



مركز ابن أبي الربيع السبتي
للدراية اللغوية والأدبية
مسلة نخام في العهد الإسلامي (3)

المملكة المغربية



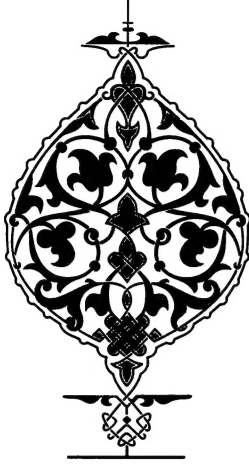
الزواجر الفقهية للعلماء

كِتَابُ الْعَصَاءِ الْجَزِيلِ فِي كَشْفِ غِصَاءِ التَّرْسِيلِ

لِلْإِمَامِ الْقَاسِمِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيِّ الشَّيْبَلِيِّ
(575 - 657 هـ)

دراسة وتحقيق:
الدكتور محمد مفتاح

كِتَابُ
الْعَصَاءِ الْجَزِيلِ
فِي كَشْفِ غِصَاءِ التَّرْسِيلِ



تطلب هذه الطبعة من الكتاب من دار الأمان للنشر والتوزيع ووكلائها المستعدين داخل المغرب وخارجه بصورة حصرية

دار الأمان للنشر والتوزيع
رقم 4، ساحة المأمونية، الرباط - المملكة المغربية
البريد الإلكتروني: darelamane@menara.ma
الهاتف: 00 212 5 37 72 32 76 - الفاكس: 00 212 5 37 20 00 55

وكلاء التوزيع:

- مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء - المغرب
الهاتف: 00 212 522 44 29 31
الفاكس: 00 212 522 44 29 35
- العرض الدائم للرابطة المحمدية للعلماء - المغرب
شارع فكتور ميكرورم: 53 مكرور - حي الأحياس - الدار البيضاء
الهاتف: 00 212 522 54 20 51 / 00 212 522 44 86 57
- مكتبة التعمرية، الرياض - السعودية
ص ب 26173، الرمز البريدي: 11486
الهاتف والفاكس: 0966 493 71 30 / 0966 492 47 06
- دار ابن حزم للطباعة والنشر - لبنان
ص.ب. 14/6366 - بيروت
الهاتف والفاكس: 00 961 13 02 27 / 70 19 74
- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر
19 شارع عمر لطفي، موازي عباس العقاد - مدينة نصر
الهاتف والفاكس: 00 966 394 71 30 / 00 966 294 47 06
- مكتبة عالم المعرفة - الجزائر
حي الصومام، عمارة 17 المحل 7، باب الزوار.
الهاتف: 00 213 21 24 45 37

الساحة المغربية



هذا الكتاب من إصدارات

الرابطة المحمدية للعلماء

العنوان البريدي: الرابطة المحمدية للعلماء، شارع لعلو،
لوداية - الرباط

الموقع الإلكتروني: www.arrabita.ma
البريد الإلكتروني: info.arrabita@gmail.com
الهاتف: 00 212 5 37 70 57 48
الفاكس: 00 212 5 37 70 57 49



مركز أبحاث الربيع الشتوي
للدراسات اللغوية والأدبية

مركز ابن أبي الربيع السبتي

للدراسات اللغوية والأدبية

شارع أحمد الحريزي، 4 - تطوان
البريد الإلكتروني: assabti.arrabita@hotmail.fr
الهاتف: 00 212 5 39 99 91 87
الفاكس: 00 212 5 39 99 97 67

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

يُمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضخيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية أو نشره رقمياً على الأنترنت إلا بموافقة الناشر خطياً.

السلسلة : ذخائر في اللغة والأدب (3)

العنوان : كتاب العطاء الجزيل في كشف خفايا الترسيل
لأبي القاسم أحمد بن محمد البايي الإشبيلي
(657-575هـ)

دراسة وتحقيق : محمد مفتاح

تقديم : أحمد عبادي

التعليق الفني : محمد فوزار

خطوط الفلاف : محمد الملمين

تصميم الفلاف : آمال محفوظ

تصنيف وتضخيد : هاجر الفتوح

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي الناشر

الايداع القانوني: 2019MO3599

ردمك : 978-9954-619-83-4

الطبعة الأولى : 1441هـ / 2020م



مركز ابن أبي العمود العربي
للدراسات اللغوية والأدبية

سلسلة : ذخائر في اللغة والأدب (3)

المملكة المغربية



الوزارة العامة للتعليم العالي

كِتَابُ الْعَصَاءِ الْجَزِيلِ فِي كَشْفِ غِصَاءِ التَّرْسِيلِ

لِلْإِمَامِ الْقَاسِمِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيِّ الشَّيْبَانِيِّ
(575 - 657 هـ)

دراسة وتحقيق :
الدكتور محمد مفتاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا أول كتاب أُلِّفَ في المختارات النثرية في الأندلس، كتبه، في ثلاث سنوات، عالم إشبيلي كبير، عاش مدة طويلة في مراكش، اسمه أبو القاسم أحمد بن محمد البلوي، جمع فيه نصوصاً، كثيرٌ منها لا يوجد في غير هذا الكتاب، ومنها رسائل نثرية مشرقية، لعبد الحميد الكاتب وغيره. ما كانت ليطلع عليها الناس اليوم، لولا صاحب هذا السُّفر - رحمه الله تعالى -.

ومن هذه النصوص أيضاً، نصوص موحدية نادرة، اختارها المؤلف بذوقه الرفيع، وإطلاعه الواسع، جَلَّتْ قدرته على التمييز بين ضروب الكلام. وتلك قدرةٌ عَدَّهَا القدماء قدرةً مساوية للقدرة على القول، وهي القدرة على إصابة الاختيار. حتى قال البغدادى في «الخزانة» عن أبي تمام: "...وله كتاب الحماسة الَّذِي دَلَّ على غزارة علمه، وَكَمَالِ فضله، وإتقان مَعْرِفَتِهِ بِحَسَنِ اخْتِيَارِهِ. وَهُوَ فِي جمعه للحماسة أشعر مِنْهُ فِي شعره"

ولنا أن نضيف إلى هذه القدرة، قدرته على قول الشعر، فقد كان فيه متمكناً، سريع البديهة، بارعاً في الترسل، في زمن كانت طبقة الكُتَّاب فيه ذات شأن. فقد ذكر ابن صاحب الصلاة، أن هذه الفئة نالت في عهد يعقوب المنصور من الأموال، وصلاح الأحوال، ما لم تنله في عهد آخر.

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب، ودراسته، وإخراجه للناس، أحد كبار محققي التراث الأندلسي في بلدنا الكريم، وهو فضيلة الدكتور محمد مفتاح، فأجاد في ذلك حفظه الله، وقدم للكتاب بدراسة مفيدة، على صعوبة ذلك، لقلة المصادر التي ترجمت للرجل، ولضياع قسم كبير من الكتاب. فقد ضاع منه أربعة عشر باباً من أوله.



وهي أمور لم تمنع المحقق - جزاه الله خيراً - من الاجتهاد في كتابة ترجمة للبلوي، وعصره، وأسرته، وبيان أهمية الكتاب، وخطورة ما فيه، وضرورة الاطلاع عليه لمن أراد أن يطلع على أحوال العصر الموحد من جهات الاجتماع، والسياسة، والثقافة، والأدب، والعلاقات الإنسانية.

أسأل الله تعالى أن يجعل ثواب هذا العمل النفيس، في ميزان حسنات مولانا أمير المؤمنين، وأن يحفظه بما حفظ به أوليائه المخلصين، راعي العلم والعلماء في هذا البلد الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. أحمد عبادي

الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء

مقدمة

لم يكن اختياري موضوع هذه الرسالة من قبيل الصدفة بل جاء نتيجة لسببين رئيسيين: سبب ذاتي وسبب موضوعي.

أما السبب الذاتي فيتلخص في اعتقادي الجازم بأن التراث العربي الأندلسي هو تراث مشترك بين أمتين كونتا حضارة تفتخر بها الإنسانية كما أن هذا التراث كان رابطة قوية تربط بين شعبين عريقين هما الشعب العربي والشعب الإسباني، ومن ثم يجب أن يكون هذا التراث جسرا نعبر به من الماضي إلى الحاضر حيث يمكننا أن نتخذ مما خلفه أسلافنا وأسلافكم وسيلة للتعاون المثمر في هذا العصر وفي العصور اللاحقة أو الآجلة. كما أنني أعتقد أن الاضطلاع بتحقيق التراث الأندلسي ودراسته يجب أن يتم من قبل أبناء الأمتين اللتين أنتجتاه؛ وتلك مهمة يجب أن ينجزها المهتمون بهذا التراث من أبناء البلدين.

أما السبب الموضوعي فيتلخص في كوني وجدت الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته يضيف إلى المكتبة العربية جديدا. فهو كتاب غني بالنصوص الثرية، سواء تعلق الأمر بالنصوص المشرقية أم الأندلسية والمغربية؛ فهو يحتوي على عدة رسائل من النثر الفني ومن أرفع وأحسن ما خلفه كتاب العرب عبر مختلف العصور في المشرق والأندلس.

ولا شك أن هذه النصوص التي حصلنا عليها بواسطة هذا الكتاب ستكون مجالا خصبا للباحثين والمهتمين بالدراسات العربية الأندلسية والمشرقية. وأنها ستغير كثيرا من الأحكام التي قدمت؛ وخاصة عن العصر الموحد، الذي يحتوي الكتاب على نصوص هامة عنه؛ سواء تعلق الأمر بالجانب السياسي أو الاجتماعي أو الفني. هما السببان اللذان جعلاني أقدم على تحقيق الكتاب ودراسته. ومن ثم فقد سلكت في سبيل ذلك المسلك التالي:



لقد قسمت البحث إلى قسمين رئيسيين: قسم للدراسة وهو مهم في نظري رغم إيجازه، وقسم للتحقيق.

أما القسم الأول: لقد تعرضت فيه للبلويين في الأندلس؛ فتحدثت عن نسبهم وانتمائهم، ثم ركزت على دخولهم إلى الأندلس وانتشارهم في مدنها حيث وجدت أن أغلب هؤلاء كانوا بالوسط والغرب والجنوب ولم أعثر على أي من هؤلاء بشمال شبه الجزيرة، كما تعرضت للمناصب الإدارية التي كانوا يتولونها مبرزاً الدور الذي لعبه هؤلاء على الصعيدين الثقافي والسياسي باعتبارهم من البيوتات المهمة في الأندلس.

ثم تطرقت بعد ذلك للحديث عن مصادر ترجمة البلوي مقسماً إياها إلى مصادر قديمة ومصادر حديثة.

وقد وجدت أن الترجمتين الأصيلتين اللتين احتفظ بهما الزمان هما: ترجمة ابن عبد الملك المراكشي في «الذيل والتكملة» و ترجمة ابن سعيد المغربي في اختصار القدح. غير أن الترجمة الهامة فيهما هي الترجمة الأولى باعتبار أن «ابن عبد الملك» كان تلميذاً وفيما للبلوي حيث عاش بجانبه مدة طويلة ليس في حلقات الدرس فحسب بل خارج جنبات الأقسام الدراسية فكان يستفيد منه في كل لحظة وحين؛ ومن ثم تكون لديه رصيد هام من المعلومات عن شيخه وظفه في كتابه.

أما ابن سعيد فكان قد اتصل بالبلوي في إشبيلية وصحبه مدة؛ ومن ثم فقد أفرد له ترجمة هامة في «اختصار القدح» وإن لم يكن قد ذكره في كتبه الأخرى. وتكمن أهمية هذه الترجمة في كونها أشارت إلى بعض أشعار البلوي؛ ونماذج من نثره وإشارات طفيفة إلى حالته العائلية والنفسية. ثم بينت المصادر الحديثة التي أشارت للبلوي؛ واعتبرت أن جل هذه المصادر نقلت عن المصدرين السالفين.

وهكذا وجدت أنه مذكور في «الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام» والترجمة التي أوردها ابن إبراهيم في كتابه هذا منقولة بالحرف عن نسخة «الذيل والتكملة».



أما الكتاب المحدثون أو المعاصرون فقد وجدت أنهم اعتمدوا كلياً أو جزئياً على المصدرين الأولين. وهكذا نبهت على الترجمة التي خصه بها الدكتور محمد بن شريفة في مقدمة «الذيل والتكملة» والتي أفرد لها الدكتور إحسان عباس في كتابه عن عبد الحميد الكاتب والترجمة التي خصه بها الأستاذ عبد الوهاب بن منصور والأستاذ إدريس العلوي البلغيثي.

وقد نبهت في الختام إلى عدم تنبه كثير من الباحثين لأهمية كتاب «العطاء» في بناء ترجمة الرجل حيث أغفله جل هؤلاء مع أن الكتاب يحتوي على معلومات هامة عن حياته وعلاقاته الشخصية، ويتضمن جزءاً مهماً من شعره ورسائله؛ ومن ثم فقد استفدت منه ولأول مرة في بناء ترجمته وتقويم شخصيته.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن المؤثرات العامة في حياته مشيراً إلى أن المصادر كلها سكنت عن الحديث عن أسرته وعن طفولته، لكنني مع ذلك أشرت إلى نسبه وبعض أفراد أسرته كأخيه الأكبر الذي كان له الحظ الأوفر في تربيته، وخاله القرماذي الذي استفاد البلوي كثيراً من علمه وأخلاقه. ثم تحدثت عن تنقلاته ورصدت تلك التنقلات، فوجدت أنها لا تعدو بالأندلس خاصة أن تتجاوز إشبيلية - جيان - مربلة وإصططونة. ثم تحدثت عن العلاقات التي كونها بإشبيلية، وعن المناصب التي تولاها بها أو خارجها: حيث علمت من خلال الأخبار القليلة عنه أنه ولي الكتابة بكل من إشبيلية وجيان والقضاء بمربلة وإصططونة.

ثم تحدثت عن حياته بالمغرب، خاصة بمدينة مراكش وضواحيها؛ وعلمت أنه دخل هذه المدينة أكثر من مرة وأنه قد أصيب بمرض هناك كاد يؤدي بحياته لولا العناية التي أولاه به صديقه وشيخه ابن عياش الذي أنقذه بواسطة الأطباء الذين أوفدهم لفحصه وتطبيبه.

ثم بينت أنه أقام هناك يدرس العلوم التي كان قد حذقها؛ كما أشرت إلى أنه أصيب بفاقة شديدة في أخريات أيامه، فذهب إلى حاحة لتعليم أبناء أحد البرابرة مقابل أجر زهيد لم يكفه إلا لأيام قلائل، وأنه عاد بعد ذلك يتعيش من عقد الشروط وكتابتها.



وهكذا تبين لي أن البلوي عاش في أواخر حياته سيء الحظ، حيث لم يحظ بعطف أي أحد سواء من أقربائه أو أصدقائه أو تلامذته.

وبعد ذلك تعرضت لشيوخة وتلامذته، وتتبع هؤلاء في المصادر التي بين يدي فوجدت أنه درس علوما مختلفة فتنوع ثقافته تبعاً لتنوع ثقافة شيوخة الذين كان يجلسهم ويجلسونه. وذكرت أنه كان لا يني يستفيد من شيوخة، وحتى من بعض تلامذته كما يذكر «ابن عبد الملك».

ثم تعرضت لتلامذته الذين كانوا يقدرونه وأبرزت أن أشهر هؤلاء ابن عبد الملك المراكشي الذي يعتبر الناقل الأول لأخباره وأشعاره ومؤلفاته. كما نبهت على أن عدد هؤلاء سواء أكانوا شيوخاً أم تلامذة يفوق ما وجدناه بكثير وذلك استناداً إلى ما ذكره تلميذه ابن عبد الملك صاحب «الذيل والتكملة».

ثم تحدثت عن شاعرية البلوي مبرزاً أن معاصريه قد أشادوا بشاعريته، وأنه كان يمارس الشعر ممارسة المطبوع عليه؛ وأنه كان باستطاعته ألا يكلم الناس إلا بالشعر إن أراد، ولكن المصادر لم تحتفظ لنا بكثير من إنتاجه الشعري فليس هناك سوى نصف قليلة مذكورة في: الذيل وفي اختصار القدح ومما تجدر الإشارة إليه أن أغلب القصائد التي وصلتنا مذكورة في العطاء سواء تعلق الأمر بغرض المدح أم الرثاء أم غيرهما، ثم ذكرت بعض الأغراض الشعرية التي برز فيها كالمدح والرثاء، أما المدح فقد خص به بعض الولاة وبعض الأصدقاء، وهكذا وجدناه مدح أبا العلاء إدريس والخليفة المعتضد بالله الملقب بالسعيد؛ كما مدح صديقه أبا مروان الباجي؛ ثم أبرزت أن الصفات التي كان البلوي ينعت بها ممدوحيه هي صفات تقليدية ترد عادة في قصائد المدح العربي ومن ثم لم نلاحظ أن البلوي قد أتى بجديد يذكر في هذا الغرض.

ثم تطرقت للحديث عن غرض الرثاء وبينت أن البلوي كان له القدح المعلى في هذا الغرض وأن جل ما وصلنا من شعره في هذا الجانب رغم قلته يعبر عن ذلك. ثم



أشرت إلى القصائد أو المقطعات التي وصلتنا وهي: قصيدة واحدة في رثاء صديقه أبي عبد الله الباجي وقصيدة في رثاء السيد أبي محمد الموحي وثلاث قصائد في رثاء ولي نعمته أبي إسحاق إبراهيم.

ثم تعرضت لشعره الذاتي الذي عبر فيه عن همومه وقلقه وهو شعر يدل على أن البلوي كان يعاني أزمات حادة وأنه يئس من الأنام حيث لم يجد من يفضي إليه بأسراره سوى كتبه التي كان يسار إليها بما لديه فتجييه وإن كانت خرساء.

وأثناء حديثي عن نشره افتتحت ذلك بالحديث عن الكتابة والكتاب في عصر الموحدين مبرزاً أهمية الكتابة في هذا العصر، وتشجيع الخلفاء للكتاب بل وتوجيههم أحياناً باعتبار أنهم كانوا من مثقفي العصر أيضاً وليسوا من ساسته فحسب.

ثم حددت أقسام نشره فوجدت أن رسائله يمكن أن تصنف إلى رسائل رسمية ورسائل إخوانية:

أما الرسائل الرسمية فقد حددت مصادرها حيث وجدت أن جل هذه الرسائل قد ورد في كتابين مخطوطين هما: العطاء الجزيل ومخطوط الأستاذ المنوني الذي يعتبر المصدر الأساس لهذه الرسائل.

ثم حللت مضامين هذه الرسائل مبرزاً أهميتها في الجانب السياسي حيث وجدت أن أغلبها قد تطرق إلى العلاقة بين المسيحيين وبين المسلمين آنذاك، وأن الهدنة كانت تعم في أغلب الأحيان بالرغم مما كان يحدث من تجاوزات في بعض الأوقات سواء من جانب المسيحيين أو المسلمين، ثم تطرقت أثناء تحليل مضامين بعض الرسائل إلى الجوانب الاقتصادية التي كانت تسود الأندلس عامة وإشبيلية خاصة في تلك الحقبة الزمنية.

كما تعرضت أثناء الحديث نفسه إلى بعض الجوانب الاجتماعية، ثم تعرضت لرسائل البلوي الإخوانية وقسمتها حسب مضامينها إلى رسائل الهدايا ورسائل التعزية ورسائل الوصف مبرزاً أهمية هذه الرسائل وقيمتها الأدبية والفنية.



ثم تحدثت بعد ذلك عن مؤلفات البلوي وبينت أن تنوع ثقافته كان سببا أساسيا في تنوع مؤلفاته مشيرا إلى أسماء بعض هذه المؤلفات، معتقدا أن الجانب الأدبي كان يطغى على شخصيته؛ ومن ثم لم يذكر لنا مترجموه سوى مؤلفات في هذا الجانب.

وبعد ذلك تحدثت عن كتاب العطاء الجزيل فذكرت أن للكتاب اسمين: تشبيب الإبريز والعطاء الجزيل، وأن مؤلفه كان في بداية الأمر قد أطلق عليه الاسم الأول ثم أثناء اكتماله وتحريره أضاف له اسمه الثاني.

ثم تحدثت عن بواعث تأليفه مشيرا إلى أنه كان قد جمعه باقتراح من محمد بن سهيل القضاعي وأن أبا إسحاق إبراهيم هو الذي حثه على إتمام إنجازهِ وإخراجه من مسودته للناس.

ثم تعرضت لمنهجه في الكتاب وبينت أنه قد بنى اختياراته في الكتاب على اعتبارين:

1- اعتبار فني.

2- اعتبار زمني.

ثم تعرضت للحديث عن المصادر التي اعتمدها في مؤلفه مبرزاً بعض هذه المصادر؛ ومحددا أنها تتنوع بتنوع موضوعات الكتاب، وأنه لم يكتف بالمؤلفات الأندلسية بل كان يملك مصادر مشرقية نادرة استفاد منها في تحرير مؤلفه.

ثم وصفت النسخة الخطية الوحيدة التي وصلتنا وصفا دقيقا تعرضت فيه لرقم النسخة وعدد صفحاتها وسطورها واصفا خطها مبرزاً أنه قد وقع بها ترميم لا ندرى مكانه أو زمانه.

ثم ختمت ذلك بالحديث عن الأبواب الباقية من الكتاب، وهي تبتدئ من الباب الخامس عشر إلى العشرين يليها باب خاص بالزوائد التي ألحقها المؤلف بكتابه وهو باب خاص بالرسائل الموحدية، وهي جلها رسائل لم ترد في المصادر التي نملكها عن هذا العصر.



أما التحقيق فقد أردت من خلاله أن أنجز الكتاب على صورة ترضي الناس، وترضي صاحبه؛ ومن ثم فقد حاولت قراءته قراءة متأنية سليمة - قدر المستطاع - حتى تعطى النصوص التي يحتويها صورة عن الحياة الأدبية في المشرق أو الأندلس خلال عصر المؤلف أو قبله.

وقد بذلت في ذلك جهدي وطاقتي حيث عرضت كثيرا من تلك النصوص على مؤلفات أخرى محاولا ترميم الكتاب الذي تعسر قراءته على المتخصص بله غير المتخصص.

كما شرحت بعض الغوامض والمبهمات من الألفاظ والعبارات اللغوية عارضا كل ذلك على اللسان «لسان العرب».

كما ترجمت لبعض الشخصيات الواردة في المؤلف مما يفيد الباحثين، ويوضح المغمور منها للمتلقي.

كما رصدت الأمثال الواردة بالكتاب موضحا مصادرها وبعض معانيها، كما أشرت إلى الأشعار وأصحابها، والأحاديث النبوية ومصادرها، ثم ذيلت الكتاب بفهارس عامة تكون مفاتيح للاستفادة من الكتاب وأبوابه.

وختاما، فإني أعترف أنه لولا العناية التي لقيتها من أستاذتي ماريا خيسوس فيغيرا ما كنت لأنجز هذا البحث.

فقد وجدت في إشرافها نعم الإنسانية، ونعم الأستاذة بعلمها وثقافتها، والإنسانة بدمائة أخلاقها وطيب سلوكها.

فلها شكري العميق بما طوقتني به من فضل وما غمرتني به من توجيه.

الدكتور محمد مفتاح

كتاب

العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل

لأبي القاسم أحمد بن محمد البلوي (ت: 575-657هـ)

قسم الدراسة



البلويون في الأندلس

ينتسب البلويون سواء تعلق الأمر ببلويي المشرق أو الأندلس أو المغرب إلى قبيلة «بلي» العربية اليمنية وهم ولد بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة، فهي إذن قبيلة جنوبية كانت تسكن في القديم منطقة مارب وذلك بدليل قول الشاعر اليمني الملمم بن قرط البلوي⁽¹⁾:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْحَيَّ كَانُوا بِغِبْطَةٍ بِمَارِبٍ إِذْ كَانُوا يُحْلُونَهَا مَعَا
بِلِيِّ وَيَهْرَاءَ وَخَوْلَانٍ إِخْوَةً لِعَمْرٍو حَافٍ فَرَعٌ قَدْ تَفَرَّعَا

غير أن الهمداني وهو المؤرخ العالم بالتوزيع الجغرافي للقبائل اليمنية العارف بها حق المعرفة يجعل منازل بلي إلى الشمال الغربي من المدينة المنورة⁽²⁾.

كان البلويون كثيري الترحال والتنقل يشاركون في الحروب التي يخوضها المسلمون في جميع البقاع، ومن هنا يمكن أن نعتبر البلويين الداخلين إلى الأندلس كانوا قد وفدوا عليها، أثناء الفتح الإسلامي ثم انتشروا بعد ذلك في مناطق متعددة وأماكن متفرقة من بلاد الأندلس.

وقد حاولنا أن نتبع البلويين المقيمين بالأندلس من خلال بعض كتب التراجم والطبقات فوجدنا أن توزيعهم الجغرافي كان على الشكل التالي:

المكان	العدد	المصادر
قرطبة	4	التكملة 1/ 130، التكملة 1/ 292، الدياج المذهب 2/ 179، الذيل 4/ 69.

(1) منتخبات في أخبار اليمن، ص: 9.

(2) وداد القاضي: بشر بن أبي كبار البلوي، ص: 25.



ألمرية	3	الإحاطة 2 / 382، الإحاطة 3 / 218، أزهار الرياض 309 / 1.
طرطوشة	1	التكملة 2 / 495، الذيل والتكملة 6 / 16.
مالقة	2	أدباء مالقة ص: 122، وكذلك ص: 208.
جيان	1	الديباج المذهب 354.
شاطبة	1	الذيل والتكملة 6 / 302.
إشبيلية	3	الذيل والتكملة 1 / 1 ص: 106، برنامج شيوخ الرعيني 112.
غرناطة	1	تاج المشرق، ص: 16.
لبسة	2	الإحاطة «نصوص جديدة» ص: 173 و 221.
جزيرة شقر	1	الذيل والتكملة 6 / 79.
إلبيرة	1	الإحاطة «نصوص جديدة» ص: 226.
برجلة	1	الذيل والتكملة 1 / 1 ص: 449.
وادي آش	2	ثبت البلوي، ص 17 و 20.

من خلال الجدول السابق يتبين أن استقرار البلويين لم يكن بمكان واحد بل كانت تحركاتهم تتم من مدينة إلى أخرى ومن منطقة إلى منطقة ومن ثم وجدنا بعض البلويين القرطبيين يرحلون إلى شذونة أو إشبيلية وبعضهم الآخر كان من باجة ثم تركها ودخل قرطبة كما وجدنا أيضا أن بعضهم من طرطوشة وقد رحل إلى مرسية وأن الذين سكنوا مالقة كان أصلهم من إشبيلية. ويستفاد من الجدول السابق أيضا أن الرقعة الجغرافية التي كان البلويون يتحركون فيها هي وسط شبه الجزيرة وشرقها



وغربها وجنوبها. أما الشمال فإننا لم نعثر على أي ترجمة لأي بلوي من شمال شبه الجزيرة وذلك في المصادر التي اتخذناها مقياسا لتحركاتهم وتنقلاتهم.

وقد كان جل البلويين القاطنين بالأندلس ينتمون إلى بيوتات عريقة في المجد والسيادة والشرف مما مكنهم من تولي مناصب مهمة في الدول التي كانوا يعاصرونها وخلال فترات زمنية متعددة ومتنوعة غير أن المناصب التي كانوا يتقلدونها غالبا بناء على الجدول السابق هي منصب القضاء؛ مما يدل على أن الرصيد الثقافي الذي كان لدى أغلبهم هو الشريعة الإسلامية، والفقه، والأحكام، والعلوم الدينية، ولعل اهتمام أغلب البلويين بالفقه المالكي وتبحرهم فيه هو الذي ساعدهم على تولي مثل تلك المناصب، خاصة إذا علمنا أن الأندلس ظلت فترة وجيزة على مذهب الإمام الأوزاعي ثم تحولت إلى مذهب الإمام مالك الذي مكث خلال حقبة طويلة هو المذهب الرسمي للدولة في الأندلس.

غير أن البلويين لم يكونوا فقهاء فحسب بل كان من بينهم الطبيب والمقرئ والأديب والشاعر والعروضي؛ ويبدو أن الصفة الثانية التي كانت تغلب على البلويين بعد الفقه هي الأدب والشعر؛ فقد وجدنا في تراجم بعضهم أنه كان يتعاطى لقرض الشعر ويميل فيه إلى التوليد⁽¹⁾ بمعنى أنه كان من أنصار مدرسة التجديد كما أن البعض الآخر كان على العكس من ذلك يميل إلى الشعر المطبوع⁽²⁾ غير المتكلف ولكنه كان يميل في شعره إلى الوسط فلا هو بالجميل ولا هو بالضعيف. وإذا انتقلنا إلى الجانب الأسري والثقافي إلى الجانب الأخلاقي والاجتماعي فإننا نجد أن البلويين في عمومهم كانوا يتمتعون بخصال حميدة كالزهد والورع والفضل والبر وحسن السيرة⁽³⁾. مما دفع بالكثير من مؤلفي الطبقات وكتب التراجم إلى الثناء عليهم وإبراز هذا الجانب من شخصيتهم.

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، 2/ 382.

(2) المصدر السابق، 3/ 218.

(3) أدباء مالقة، «مخطوط» لابن عسكر، ص: 122.



مصادر ترجمة البلوي

لم يكن البلوي مشهوراً في عصره شهرة بالغة كما أنه لم يكن مغموراً⁽¹⁾ بل عرف من قبل المعاصرين وشهدوا له بالتبريز والفتنة والذكاء، وسرعة البديهة، والقدرة الفائقة على نظم الشعر وتدبيج الرسائل. غير أن ترجمته وتفاصيل حياته ظلت محصورة لدى فئة قليلة من معاصريه بحيث لم نجد له ذكراً في كتب الطبقات والتراجم المتأخرة، ولعل مرد ذلك أن كتابه في «فن الترسيل»⁽²⁾ لم يذع بين الناس ولم يستفد منه أحد من الذين اهتموا بتراجم الرجال وإنتاجهم فظل محدود التأثير قليل الانتشار ولعل السبب نفسه هو الذي جعل كثيراً من المعاصرين من مستشرقين وعرب لا يولون الرجل أهمية بل إن كثيراً منهم لم يذكروه ضمن مثقفي العصر الموحدى الذين كان لهم تأثير جلي واضح في النهضة الأدبية والفكرية. وهكذا أهمله ليفي بروفنسال، هويثي ميرنده، وإحسان عباس، وحكمت علي الأوسي، ومحمد عبد الله عنان وغيرهم من كبار الباحثين الذين لهم إسهام وافر ودراسات قيمة عن عصر الموحدين وفي جوانب متعددة من الحقول المعرفية التي كان يزخر بها هذا العصر. ولكننا بالرغم من هذا الإهمال الذي لقيه البلوي خلال حياته وبعد مماته سنحاول أن نرصد بإيجاز المصادر التي ترجمت له سواء تعلق الأمر بالأصول القديمة أو الدراسات الحديثة والمعاصرة معتمدين في ذلك على الترتيب الكرونولوجي.

(1) الذيل والتكملة 1/ 2-453.

(2) إدريس العلوي البلغيثي: فن الترسيل في عصر الموحدين، ص: 318 وما بعدها.



أ- المصادر القديمة:

❖ ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة⁽¹⁾.

لعل الترجمة الوحيدة التي عرّفت بالبلوي وألقت الأضواء الكاشفة عن بعض مراحل حياته وتكوينه الثقافي هي تلك التي احتفظ لنا بها صاحب الذيل والتكملة⁽²⁾ والسبب في ذلك عائد إلى كون ابن عبد الملك يعتبر من تلامذة البلوي الأوفياء ومن المقربين لديه والعاطفين عليه بل يمكن اعتباره من أصدقائه على الرغم من فارق السن بينهما. لقد أفرد ابن عبد الملك ترجمة مطولة لشيخه ذكر فيها نسبه وشيوخه الذين درس عليهم في الأندلس وكذا شيوخه الذين أجازوه من المشاركة والأندلسيين كما ذكر بعض تلامذته الذين أخذوا عنه بالأندلس والمغرب. وقد عبر ابن عبد الملك في هذه الترجمة عن انطباعه الشخصي حول نفسية البلوي التي قال عنها: إنها كانت تتميز بالركة والرهافة وسرعة الدمعة، كما ذكر مهنته التي كان يَمْتَنِّهَا بمراكش وهي «عقد الشروط» وقد تحدث المؤلف أيضا عن ارتباط البلوي ببعض ولاية الموحدين بالأندلس وتقلده لمنصب الكتابة لكثير منهم، كما ذكر مؤلفاته وإنتاجاته الفكرية سواء تلك التي أتمها في حياته أو التي توفي قبل إتمامها، كما تحدث عن شعره وسرعة بديهته فيه مستشهدا بقصيدته التي أنشدها بين يدي المعتضد بالله «الملقب بالسعيد»⁽³⁾ الذي تولى الحكم بعد وفاة أخيه الرشيد وهي من القصائد الغر المتميزة بالجودة والاتقان. وفي ختام الترجمة أبرز ابن عبد الملك الحرمان الذي أصاب شيخه في أواخر حياته وكيف تنكر له بعض تلامذته ومنهم أبو الحسن الرعيني⁽⁴⁾ بالرغم من أنه كان بلديه؛ وقد انتفع به كثيرا في طريقته التي اشتهر بها وهي الكتابة عن السلطان.

(1) حول ابن عبد الملك، انظر مقدمة محمد بن شريفة للجزء 8 من الذيل والتكملة.

(2) الذيل والتكملة 1/ 2-453.

(3) البيان المغرب، 359.

(4) برنامج شيوخ الرعيني: المقدمة.



❖ ابن سعيد المغربي: اختصار القدح المعلى⁽¹⁾:

لم يترجم ابن سعيد لصديقه البلوي في كتاب المغرب في حُلَى المغرب كما أنه لم يذكره في «الغصون الياصرة» ولا في «رايات المبرزين» غير أنه أفرد له ترجمة في اختصار القدح⁽²⁾ ويمكن اعتبار هذه الترجمة بعد ترجمة ابن عبد الملك أوفى ترجمة وصلتنا عن الرجل وعن ظروف حياته. ويذكر ابن سعيد في غصون هذه الترجمة نسب البلوي مختصرا كما يتحدث عن شهرته في صناعة الكتابة وعن منصبه الذي تولاه في إشبيلية لبعض سادات بني عبد المؤمن، كما أن المؤلف تحدث عن الشؤم الذي أصاب البلوي في أواخر حياته مشيرا إلى بعض مؤلفاته وخاصة كتابه الذي صنفه في رسائل كتاب عصره⁽³⁾.

ثم تحدث ابن سعيد عن شاعرية البلوي الفذة مشيرا إلى قصيدته التي أنشدها بحضرة أبي العلاء إدريس⁽⁴⁾ حينما وصله الخبر بقتل البياسي⁽⁵⁾ الذي كان قد أضرم في الأندلس نار الفتنة. كما أورد ابن سعيد ضمن ترجمة البلوي جملة من أشعاره الذاتية، وأشاد بطول نفسه وقدرته على الإبداع وممارسة الشعر، كما اختار له فصولا من رسائله في الشكوى والتي عبر البلوي من خلالها عن حالته النفسية والاجتماعية⁽⁶⁾.

(1) محسن حامد العيادي: ابن سعيد حياته وتراثه الفكري والأدبي.

(2) اختصار القدح المعلى، ص: 120.

(3) لقد وهم ابن سعيد في ذلك، حيث ذكر أن الكتاب يحتوي على رسائل الكتاب المعاصرين للبلوي والحقيقة أنه يضم رسائل لغيرهم.

(4) الحلل الموشية، ص: 163.

(5) البيان المغرب، قسم الموحدين.

(6) الذيل والتكملة، 8/ 10-11.



ب- المصادر الحديثة:

❖ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام⁽¹⁾.

لقد خصص ابن ابراهيم كتابه للأعلام الوافدين على مراكش من غير المغاربة، كما ترجم فيه لمجموعة من الشخصيات المراكشية، وبما أن البلوي كان على شرط كتابه فقد أفرد له ترجمة مطولة نقلها بالحرف دون زيادة أو نقصان عن كتاب «الذيل والتكملة»، غير أنه أفصح عن مصدره الذي أخذ عنه في مقدمة الترجمة. وكنا نعتقد أنه سيضيف جديدا في ترجمته للبلوي غير أنه لم يضيف أي جديد، كما كنا نرجح أننا سنجد ترميما للخروم التي وقعت في ترجمة البلوي في «الذيل والتكملة» المطبوع ولكن شيئا من ذلك لم يحدث مما يدل على أن المؤلف اعتمد على نفس نسخة الذيل «قسم الأحمدين» الذي حققه الدكتور محمد ابن شريفة.

ج- الدراسات المعاصرة:

لقد أشرت في بداية الحديث عن مصادر ترجمة البلوي إلى أن الباحثين المعاصرين الذين كتبوا دراسات قيمة عن الموحدين في جوانب متعددة من الحقول المعرفية لم يهتموا بالبلوي اهتمامهم بغيره من الشخصيات الموحدية غير أننا وجدنا بعض هؤلاء وفي أيامنا القريبة قد أفردوا البلوي بعنايتهم وأجروا له ذكرا في بعض مؤلفاتهم ومن هؤلاء:

❖ الدكتور محمد بن شريفة⁽²⁾:

أثناء الترجمة القيمة التي كتبها الدكتور محمد بن شريفة لابن عبد الملك المراكشي في مقدمة الجزء الثامن من الذيل وقد تعرض للبلوي باعتباره من شيوخ ابن عبد الملك الأوائل الذين درس عليهم بمستقره وأخذ عنهم مباشرة في بلده مراكش.

(1) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، 2 / 178.

(2) أستاذ لأجيال من الدارسين المغاربة وشيخ الباحثين العرب في الدراسات الأندلسية.



وقد اعتمد المؤلف في بناء هذه الترجمة على كتاب الذيل والتكملة نفسه، فتحدث عن صلة ابن عبد الملك بشيخه وعن المعارف التي أخذها عنه مشيراً إلى مؤلفاته وعن رواية التلميذ لشعر أستاذه، وعما ابتلي به البلوي في آخر حياته من فاقة وحرمان، كما تحدث عن مؤلفه «العطاء الجزيل» مشيراً إلى وجود قسم منه بالخزانة الحسينية⁽¹⁾ ومنوهاً بقدرة البلوي على فن الترسل ومشيراً إلى تأثر ابن عبد الملك بطريقته في الكتابة باعتباره كان من الملازمين له والمختصين بمصاحبه⁽²⁾.

❖ الدكتور إحسان عباس:

في مؤلف الدكتور إحسان عباس «عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله»⁽³⁾ إشارة مقتضبة للبلوي ولعل القارئ يتساءل ما علاقة البلوي بعبد الحميد؟، ولكن سؤاله وتعبه سينجلي حينما يعلم أن الكتاب الذي ألفه إحسان عباس يرجع في أصوله - كما يقول هو نفسه - إلى البلوي⁽⁴⁾؛ ذلك أن أبا القاسم البلوي احتفظ في كتابه «العطاء الجزيل» بمجموعة من رسائل عبد الحميد النادرة التي لا توجد في مصدر آخر من المصادر الأندلسية أو المشرقية. وقد جمع إحسان عباس هذه الرسائل، وأضاف إليها رسائل أخرى لم ترد فيه، وقدم لها بدراسة قيمة عن عبد الحميد الكاتب مشيراً في مقدمته إلى المصدر الذي استخرج منه هذه الرسائل الجديدة معرفاً - بإيجاز - بالكتاب وصاحبه⁽⁵⁾.

وقد اعتمد إحسان عباس في صفحاته القليلة التي كتبها عن البلوي على ترجمتين الواردين في كل من الذيل واختصار القدح.

(1) الذيل والتكملة 1/8 - 12.

(2) المصدر السابق.

(3) عبد الحميد بن يحيى الكاتب، ص: 8.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق، ص: 10-15.



❖ عبد الوهاب بن منصور:

جمع الأستاذ عبد الوهاب بن منصور كتابا عرف به بأعلام المغرب العربي، وقد خص البلوي في القسم الرابع بترجمة وافية⁽¹⁾ وقد مزج المؤلف في هذه الترجمة بين ما ورد في الذيل وما ورد في اختصار القدح. وقد نقل من المصدرين المذكورين جملة من أخبار الرجل وأشعاره وقدرها صالحا من نثره.

❖ إدريس العلوي البلغيثي:

في رسالة جامعية كتبها إدريس العلوي عن فن الرسائل في العصر الموحد⁽²⁾ أفرد الباحث للبلوي ترجمة تعتبر - في نظري - أوفى ما كتبه المعاصرون عن شخصيته وتراثه الفكري والأدبي. وقد استفاد الباحث في بناء ترجمة الرجل من المصدرين الأساسيين «الذيل والتكملة»، و«اختصار القدح المعلى»، كما استفاد في جزء يسير منها من كتاب «العطاء الجزيل»، وقد تعرض الباحث في هذه الترجمة لأسرة البلوي ونسبه وبعض شيوخه مع الحديث عن ثقافته والتنويه بملكته الفذة وموهبته الفنية الرفيعة كما أنه انتقى من المصدرين المذكورين طائفة صالحة من شعره وفصولا من رسائله القصيرة⁽³⁾. محللا بعضها تحليلًا جزئيا تعرض فيه لبعض المعاني التي تنطوي عليها تلك الرسائل مبرزًا قيمتها الفنية والتاريخية، ومنوها بأسلوب البلوي وقدرته على الكتابة⁽⁴⁾. ومما تجدر الإشارة إليه أن البلوي قد ذكر عرضا في بعض المصادر والمراجع، فهو مذكور في نفح الطيب حيث اختار له المقرئ أربعة أبيات في شكوى الزمان وأمله. كما ورد ذكره في ملء العيبة أثناء حديث ابن رشيد عن سند لأحد الشيوخ. كما أشار إليه أستاذا وشيخنا الكبير محمد المنوني في المصادر العربية

(1) أعلام المغرب العربي، 4/ 146.

(2) فن الترسل في عصر الموحدين، ص: 168.

(3) إدريس العلوي البلغيثي، فن الترسل في عصر الموحدين، ص: 321.

(4) المصدر السابق، ص: 323.



لتاريخ المغرب معرّفاً بنسخة الكتاب ومنوهاً بقيمته الأدبية والتاريخية كما وردت الإشارة إليه في رسالة الدكتور عبد الله العمراني أثناء حديثه عن البلويين بالأندلس. ولم يذكره من المستشرقين سوى أستاذتنا الجليلة ماريّا خيسوس فيكييرا في بحثها القيم عن مصادر تاريخ الموحدين⁽¹⁾.

نستفيد من كل ما سبق أن الترحمتين الأصيلتين اللتين احتفظ لنا بهما الزمان هما الواردتان: في: «الذيل والتكملة» و«اختصار القدرح المعلى»، وأن الدارسين المحدثين والباحثين المعاصرين قد اعتمدوا جزئياً أو كلياً على هذين المصدرين، ولم يلتفت أحد من هؤلاء إلى قيمة الكتاب «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل» في بناء ترجمة البلوي فهو يحتوي على معلومات هامة تفيد الباحث في إبراز شخصية الرجل وأخلاقه، كما أن الكتاب يكشف عن علاقات البلوي بمعاصريه من الطبقة العليا كالولاء والقواد والأمراء والكتاب أو من الطبقة الدنيا من عامة الشعب. كما أنه يحتوي على نماذج هامة من رسائله وأشعاره التي يستطيع الباحث من خلالها أن يُقَوِّمَ قدرات البلوي الفنية من خلالها ويضعه في منزلته التي كان يحتلها بين كتاب عصره.



.FUENTES ALMOHADES (1)



المؤثرات العامة في حياته

❖ في الأندلس:

ذكر ابن عبد الملك نسب البلوي فقال: هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن علي القضاعي الاشيلي كان سلفه القدماء يسكنون قرطبة ثم نزحوا إلى إشبيلية ولا ندري متى كان هذا النزوح كما أننا لا نملك أخباراً عن أسبابه ودوافعه، غير أن مترجميه ذكروا أنهم كانوا يعرفون في قرطبة ببني علي، نسبة إلى جدّهم الأول⁽¹⁾.

وليست بين أيدينا أخبار عن أسرته الكبيرة أو الصغيرة فقد سكت المصادر عن ذكر والده كما أنه لم يشر إليه في كتابه، مما يدل على أنه لم يكن من مثقفي عصره ويؤيد ذلك أن توجيه البلوي نحو الفكر والثقافة لم يكن من قبل أبيه بل كان بمبادرة من أخيه الأكبر⁽²⁾. وقد كان أخوه هذا من كبار عاقدي الشروط بإشبيلية ومن صدور العدول المبرزين بها من أثبت الناس على شهادة وإن طال أمرها⁽³⁾ كامل المعرفة بالفقه والفرائض والمواريث والحساب والعروض⁽⁴⁾، فقد أخذ البلوي كل هذه العلوم عن أخيه فأصبح مبرزاً فيها مثله، كما أخذ بعض المعارف والعلوم عن خاله أبي العباس أحمد ابن عمر القرمادي⁽⁵⁾ مما يدل على أن والده المؤلف كانت من أسرة آل القرمادي وهي من الأسر المشهورة في إشبيلية.

وكما أننا لا نملك معلومات كافية عن أسرته الكبيرة فإننا أيضاً لا نتوفر على أخبار ومعلومات إضافية عن أسرته الصغيرة وليست هناك سوى إشارات طفيفة وغامضة

(1) الإعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الأعلام 2/ 180.

(2) الذيل والتكملة 5/ 1 - 309.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

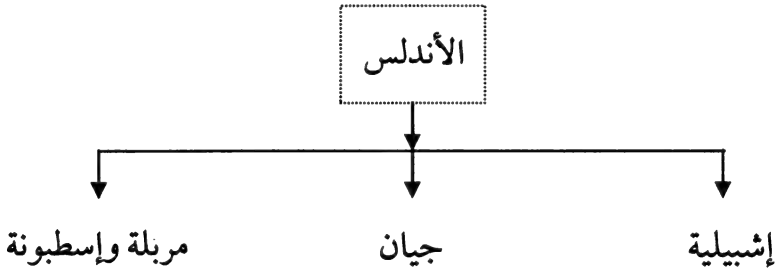
(5) المصدر السابق، 1/ 348 - 349.



أحيانا عن أحوال أسرته فقد ذكر هو نفسه في سياق رسالة له أن ربة الدار قد جارت عليه في أقوالها وأفعالها⁽¹⁾ وأنه حزن لهذا الجور حتى غدا لا يهنأ له عيش ولا يطمئن له بال فساء حاله ظاهرا وباطنا ولا ندري ما يقصده البلوي من هذا الجور غير أننا نستنتج منه أنه لم يكن هني البال مع أسرته خاصة إذا علمنا أنه يشكو في رسالة أخرى من مقاطعة الأهل له وأنه كان يكتبهم من بلاد الغرب «أي من صحراء المغرب» فلا يردون عليه جوابا⁽²⁾.

وإذا تجاوزنا حياة البلوي الأسرية فإننا نجده قد عاش حياة اجتماعية مليئة بالأحداث والتقلبات وأنه قضى مراحل حياته كلها مترددا بين الأندلس والمغرب وذلك تبعا لارتباطه السياسي وتوجهه الإيديولوجي.

أما بالأندلس فإننا وجدنا صدى أخباره في المدن التالية:



لقد كانت مدينة إشبيلية المقر الأساس لصاحبنا ففيها قضى طفولته وشبابه، ويبدو أنه كان في مراحل حياته الأولى نشيطا مرحا حيث كون صداقات متعددة مع أبناء بلده وغيرهم فكان يخرج معهم للمنتزهات على الوادي الكبير فيتناشدون الشعر ويتسامرون بألوان من النثر⁽³⁾ وفي المدينة نفسها اتصل بمجموعة من الوافدين عليها

(1) اختصار القدح، ص: 120.

(2) العطاء الجزيل، لوحة 50.

(3) المصدر السابق، لوحات متعددة.



وكان من بين هؤلاء شيخه وصديقه ابن عياش⁽¹⁾ كاتب الخلافة الموحدية في أيام المنصور والناصر والمستنصر الذي كان يشار إليه بالبنان لبراعته وفصاحته. ويبدو أن البلوي كان قد تدرب على يد ابن عياش في صنعة الكتابة وفن الترسل كما أنه ارتبط بواسطته بالبلاط الموحيدي وخاصة للولاة الذين ترددوا على إشبيلية حيث تولى مهمة الكتابة في زمن شبيبته لمجموعة من هؤلاء: كأبي زيد بن عبد المؤمن، وأبي موسى المعروف بالعدل، وأبي عمران بن أبي موسى، وأبي إسحاق ابن أبي يعقوب، وأبي إسحاق بن أبي يوسف المعروف بالأحول⁽²⁾. وبالرغم من أنه كتب لهؤلاء جميعا فإن الأخبار التي لدينا تدل على أنه ارتبط بهذا الأخير ارتباطا وثيقا حيث مكث كاتباً له مدة ثمانية عشر شهرا أي منذ دخوله لإشبيلية لأواخر سنة 610 هـ إلى حين وفاته سنة 612 هـ. وقد تأثر البلوي لوفاة صديقه أبي إسحاق بالغ التأثير فرثاه بقصائد فريدة وكتب في تعزيتة رسائل نادرة⁽³⁾.

ويبدو أن إشبيلية عرفت تنصيب عدد من الولاة الموحدين الذين كانوا لا يعرفون الاستقرار الدائم بهذه المدينة ولا شك أن هؤلاء الولاة كانوا يوصون بالبلوي خيراً، ومن ثم أصبح من المقربين لديهم ولو لم يكن قد تقلد لديهم منصب الكتابة، وهكذا وجدناه بين المدعوين لحضور حفل التهئة الذي أقامه أبو العلاء إدريس بالقرب من الوادي الكبير بعد وصول البشارة بقتل البياسي⁽⁴⁾. كان البلوي من بين الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم في هذا الحفل وقد نالت قصيدته إحسان الوالي كما استحسناها العامة والخاصة وأصبح الإشبيليون يلهجون بها ويحفظونها عن ظهر قلب.

ويظهر لي أن أحد هؤلاء الولاة بعد أن خَبَرَ سيرة البلوي وعرف أخلاقه وحسن معاملته وثباته على الحق والعدل عينه قاضيا بمدينة تسمى مربلة وإسطنبولنة يستفاد ذلك

(1) الذيل والتكملة، 6/ 384.

(2) أعلام المغرب العربي، 4/ 146.

(3) العطاء الجزيل، صفحات متفرقة.

(4) البيان المغرب، 272-273.



من رسالة بعثها له أبو الحكم بن عذرة جواباً على رسالة تعزية كان قد خاطبه بها وهو مقيم بهاتين المدينتين⁽¹⁾. ولا شك أن البلوي كان قد سلك في خطته هذه مسلكاً حسناً مما دفع الناس إلى تقيظه والثناء عليه معبرين عن شكرهم لسلوكه وذكائه وفضله وامتلاكه لزمام المعاني وقد كان من بين المادحين له أبو الحكم بن عذرة الذي قال في حقه:

وَاسْلَمَ وَدُمَّ يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الرَّضِي فِي خُطَّةٍ تَقْضِي لَكُمْ بِبَقَائِهَا
مَا لَاحَ نَجْمٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ أَوْ حَنَّ ذُو جَفْنٍ إِلَى إِغْفَائِهَا⁽²⁾

غير أن البلوي لم يرض بهذا المنصب الذي أسند له ولم يرد أن يمكث فيه لسبب من الأسباب التي نهجها وطلب إعفائه ثم عاد إلى مدينة إشبيلية.

بعد عودة البلوي إلى إشبيلية استدعاه أبو زيد عبد الرحمن الموحي ليكون كاتبه الخاص فلبى طلبه وانتقل إلى مدينة جيان حيث ظل هناك من سنة 607 هـ إلى سنة 610 هـ. وفي هذه الأثناء صدرت عن البلوي رسائل رسمية وصلتنا منها رسالة واحدة كتبها عن والي جيان أبي زيد المذكور إلى ملك قشتالة وطليلة وغشكونية يُذَكِّرُهُ فيها بالعهود المبرمة بينه وبين الموحيين⁽³⁾. ويبدو أن إقامة البلوي بجيان لم تدم طويلاً بسبب الصراع الذي كان قائماً بين المسيحيين والمسلمين المجاورين لهم، وبسبب المناوشات الدائمة التي كانت تدور بين الطرفين ففضل الانتقال مرة أخرى إلى مدينة إشبيلية ومنها إلى مراكش.

❖ البلوي في المغرب:

لم يكن البلوي دائم الاستقرار بالأندلس بل كان ينتقل بينها وبين المغرب محاولاً أن يتقلد منصب الكتابة لدى أحد الخلفاء الموحيين الذين كانوا يقربون الكُتَّاب

(1) العطاء الجزيل، الزوائد.

(2) المصدر السابق، الزوائد.

(3) انظرها في المصدر السابق.



الأندلسيين لبلاطتهم ويعتنون بهم أشد الاعتناء؛ غير أن البلوي لم يفلح في ذلك إذ لم نعر في كتب الطبقات التي ترجمت له على خبر يفيد أنه تقلد منصب الكتابة لخليفة من الخلفاء بالرغم من أنه عاصر مجموعة كبيرة منهم وشاهد أحداث الدولة الموحدية وتقلباتها السياسية منذ نعومة أظفاره إلى حين وفاته.

وعلى الرغم من أن البلوي لم يجد في المغرب ما يليب طموحاته ورغباته فقد تردد عليه مرات متعددة وخلال فترات مختلفة؛ ويبدو أن أول زيارة له للمغرب كانت في أيام الناصر أبي عبد الله بن المنصور⁽¹⁾. حيث دخل مراكش واتصل فيها بشيخه أبي عبد الله بن عياش الذي كان قد تعرف عليه من قبل في مدينة إشبيلية⁽²⁾. وخلال هذه المدة التي أقامها في كنف أستاذه وصديقه المذكور عرض له مرض شديد كاد يودي بحياته لولا احتفاء ابن عياش به وإحضاره لمهرة الأطباء للنظر في علاجه وتدبير علته⁽³⁾. ويبدو أن البلوي خلال إقامته الأولى بمراكش كان يتصل بالوافدين الأندلسيين على هذه المدينة خاصة أولئك الذين كانوا يردون من إشبيلية يجالسهم ويسألهم عن حالهم ويشفع لهم في أمورهم ويتوسط لهم في سبيل قضاء مآربهم.

بعد رحلة البلوي الأولى إلى مراكش عاد إلى إشبيلية موطنه الأصلي ولا ندري متى كانت عودته غير أن ابن عبد الملك يشير إلى ذلك قائلا «وقدم مراكش في أيام الناصر وانقطع إلى ابن عياش واختص به فكان في كنفه إلى أن فصل عن مراكش إلى الأندلس»⁽⁴⁾.

ويعود البلوي مرة أخرى إلى مراكش ضمن وفد إشبيلية الذي قدم لمبايعة الخليفة المعتضد بالله الملقب بالسعيد⁽⁵⁾ والذي تمت بيعته سنة 650 هـ مما يفيد أن البلوي كان

(1) الأعلام، 2/ 180، البيان المغرب، ص: 60.

(2) الذيل والتكملة، 6/ 385.

(3) المصدر السابق، 6/ 385.

(4) المصدر السابق، 6/ 358.

(5) المصدر السابق، 1/ 2-457، البيان المغرب، ص: 65.



قد دخل مراكش في هذه السنة. ولعل ورود البلوي ضمن هذا الوفد له دلالة خاصة حيث نستفيد منه أن الرجل كان صاحب مركز اجتماعي هام، وأنه كان من وجهاء قومه وخاصتهم حيث لا يقع الاختيار في مثل هذه المناسبات إلا على من توفرت فيه مثل تلك الصفات؛ ويدلنا أيضا على أن البلوي كان من بين الشعراء الذين وقع عليهم الاختيار لإنشاد الشعر بين يدي الخليفة وكان لا ينشد الشعر في هذه المناسبات إلا من شهد له ببراعة النظم وجودة القريحة، وقد كان البلوي يمتاز بالصفيتين معا. ويذكر تلميذه ابن عبد الملك أنه أنشد الخليفة أثناء حفل تنصيبه قصيدة بديعة نالت إعجاب الحاضرين ثم أتبعها بخطبة رائعة أظهر فيها البلوي قدرته على الارتجال وتفوقه في مجال النثر والشعر.

ويستفاد من أخباره أنه مكث بمدينة مراكش خلال هذه المرحلة غير أن الأيام لم تساعده على بلوغ أمله إذ أدركته فاقة شديدة «اضطر من أجلها إلى الانتقال إلى حاحة من أعمال مراكش وبواديها القريبة لتعليم العربية لبعض بني أحد رؤساء البربر»⁽¹⁾. وبعد سبعة أشهر من القلق والغربة عاد البلوي إلى مراكش، ويده نزر يسير من المال الذي كان قد منحه إياه ذلك الرئيس البربري، أقام به أوده على تقدير مدة قصيرة، ثم عاد إلى حالة الفقر الأولى وظل يرتزق مما يعود عليه من عقد الشروط.

ولما ورد على مراكش سنة 655 هـ الواعظ محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي تعرف على البلوي وتحقق من فضله وعلمه وأدرك ما آل إليه أمره من سوء حال، فصيره في كفالته وأجرى له جراية أقام بها أوده «وكان ذلك من أقبح ما جرت به الأقدار من موجبات النقد على صنفه وجيرانه من المنتمين إلى العلم والمرسمين به وغيرهم من رؤساء حضرة مراكش»⁽²⁾، فقد كان البلوي الجار الجنب القريب لأبي الحسن الرعيني وكان تلميذه وبلديه وبطريقته في الكتابة انتفع حتى غدا الكاتب

(1) الإعلام، 182/2، أعلام المغرب العربي، 147/4.

(2) الإعلام، 182/2.



الرسمي لجملة من الخلفاء الموحدين ومع ذلك لم تجر له على يده منفعة ولا نال من قبله فائدة⁽¹⁾.

وهكذا ظل البلوي يعيش في أخريات أيامه قلقا يعاني من شظف العيش وسوء الحال وعقوق الخلان والأصحاب إلى أن وافاه الأجل المحتوم مُغْرَبًا عن وطنه الأصلي سنة 657هـ.

❖ شيوخه وتلامذته:

لم يترك لنا البلوي فهرسة للشيوخ الذين درس عليهم أو أجازوه إجازة عامة أو خاصة، كما أن أخبار طفولته ومرحلة صباه قليلة شحيحة حيث لم تذكر المصادر التي ترجمت له شيئا عن تلك المرحلة، غير أننا باستقراء كتب الطبقات والتراجم تمكنا من ضبط بعض الشيوخ الذين تلقى عنهم العلم أو أجازوه سواء من المشاركة أو الأندلسيين. ويبدو أن البلوي كان قد وجد في أحد أفراد عائلته من يوجهه نحو الدرس والتحصيل، ونعني بذلك أخاه الأكبر أبا الحسن علي⁽²⁾؛ الذي أخبرنا البلوي أنه أدخل عليه أبا القاسم ابن بشكوال وهو بعد في المهد ابن أربعين يوما واستجازه له فكتب له إجازة وضعها بيده على صدره ودعا له بخير⁽³⁾.

ويدلنا هذا الخبر على أن أول شيخ أجاز البلوي إجازة مجردة هو أبو القاسم ابن بشكوال صاحب كتاب «الصَّلَة» كما يدلنا أيضا على أن البلوي يعد آخر من روى عنه بهذا النوع من الإجازة⁽⁴⁾.

(1) الذيل والتكملة 2/1 - 259.

(2) الذيل والتكملة 5/1 - 310، صلة الصلة، ص: 130، التكملة: ترجمة رقم 1896، برنامج شيوخ الرعيني، ص: 112.

(3) الذيل والتكملة، 2/1 - 454.

(4) سير أعلام النبلاء، 21/141.



وحينما كبر البلوي وجد التوفيق مفتاح الأبواب في شتى العلوم من عُرُوضٍ وحساب وفرائض وهندسة وحديث وآداب وقراءة ومهارة في عقد الشروط وقدرة على نظم الشعر وكتابة الرسائل. ولم يكن التوفيق ليحالفه لولا نبوغه وذكاؤه ولولا جلوسه إلى شيوخ كبار وحضوره لحلقات الدرس التي كانت تعقد بإشيلية من قبل هؤلاء الشيوخ الذين كانت تزخر المدينة بهم في هذا العصر.

ويبدو أن البلوي كان حريصاً على العلم لا يأنف أن يستفيدة من الصغير والكبير، يُقَيِّدُ منه ما شاء أن يقيد ويحفظ منه ما شاء أن يحفظ ولذلك تنوعت ثقافته وتعددت معارفه بتنوع الشيوخ الذين درس عليهم وبتعدددهم ومن هؤلاء الشيوخ:

- أبو العباس أحمد بن مضاء القرطبي⁽¹⁾ الذي كان بارعاً في فن التصريف من العربية عالماً بالنحو كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً متحققاً من العلوم العقلية والنقلية كما كان طيب النفس كريم الأخلاق حسن اللقاء جميل العشرة كامل المروءة أخذ عنه جملة من الطلبة بالأندلس والمغرب ودرس عليه أبناء عبد المومن بن علي⁽²⁾ مدة وانتفعوا بعلمه وفضله. درس البلوي على شيخه هذا تصانيفه ومن بينها كتابه «المشرق»⁽³⁾ وأجاز له رواية بعض أشعاره.

- أبو العباس أحمد بن عمر بن أحمد بن عبد الملك اللخمي القرمادي⁽⁴⁾ وهو خال البلوي؛ ذكر ابن عبد الملك أن له رحلة إلى المشرق حج فيها وسمع بالاسكندرية عن السلفي.

- أبو عبد الله بن عياش⁽⁵⁾ وهو من كُتَّابِ الدولة الموحدية المرموقين روى عن الإمام السهيلي وابن حبيش وكان يتصرف في الكتابة تصرفاً بارعاً ويحفظ جملة من

(1) مقدمة كتاب: الرد على النحاة، تحقيق د. شوقي ضيف.

(2) الحلل الموشية لابن سمالك، ص: 56.

(3) المشرق هو الكتاب الذي طبعه شوقي ضيف باسم الرد على النحاة.

(4) الذيل والتكملة 1/1 - 348.

(5) التكملة 2/605، الذيل والتكملة 6/384.



الأشعار، وقد اتصل به البلوي بمدينة إشبيلية ثم بمدينة مراكش وكانت بينهما علاقة متينة وطيدة وقد انتفع البلوي بطريقته في الكتابة.

- أحمد بن محمد بن مقدم الرعيني⁽¹⁾ الإشبيلي كان شيخا مقرئا عارفا بتجويد القرآن، حافظا للأحاديث راوية لها، متصفا بالعدل والنزاهة فيما ينقله أو يرويه، حافظا للأحاديث راوية لها متصفا بالعدل والنزاهة فيما ينقله أو يرويه، حافظا للأدب يستظهر شعر «سقط الزند» لأبي العلاء المعري متصفا بالزهد والفضل. وكان البلوي يجله ويقدره وقد روى عنه وحدث تلاميذته بأخباره.

- محمد بن سعيد بن رزقون الإشبيلي⁽²⁾ كان محدثا ثقة فيما يرويه عالما بأصول الفقه وأحكام القضاء ماهرا في عقد الشروط والوثائق دارسا للأدب كاتبا مجيدا شاعرا محسنا حسن المشاركة في الطب، قضى عمره في تدريس الحديث وإسماعه، كما أنفق وقتا طويلا في تعليم الأدب وكان يجمع بين الثقافة المتنوعة وبين دماثة الخلق، وحسن التودد إلى الناس، وخاصة طلبته الذين كانوا يتلقون عنه العلم.

- يوسف بن أحمد بن عيادي التميمي⁽³⁾ اشتهر بمشاركته في أصول الفقه وتدريسه لكتاب «التنقيحات» للنَّهْرُ وَرْدِي؛ وكان شغوفا بالأدب كاتبا مجيدا له حظ من قرض الشعر وبَصَرٌ بالفلسفة كما كان يتمذهب بالمذهب الشيعي ويجاهر بالمغالاة فيه. دخل إشبيلية ثم انفصل عنها إلى مراكش صحبة أبي عمران بن أبي موسى بن عبد المومن.

- عبد الله بن أحمد بن جمهور⁽⁴⁾ القيسي الإشبيلي كان سلفه من جند الشام النازلين بشرق إشبيلية روى عن ابن حبيش، وابن فرقد، وابن ملكون، وابن العربي، وابن

(1) الذيل والتكملة 1/ 384-1، التكملة 1/ 97، جذوة الاقتباس 1/ 72.

(2) الذيل والتكملة 6/ 203، التكملة 2/ 540، الديباج المذهب 2/ 259، تذكرة الحفاظ رقم 1360.

(3) الذيل والتكملة، 8/ 1-426.

(4) التكملة 2/ 872، الذيل والتكملة 4/ 174.



الجد؛ كما أخذ عن أبي الحسين بن عزيمة. واشتهر بمعرفته باللغة وبعقد الشروط، كما كان له حظ من علم الأنساب والتاريخ؛ وكان إلى جانب ذلك متميزا بصلاحه وفضله ودماثة خلقه درس عليه البلوي واشترك معه في الأخذ عن بعض الشيوخ.

- أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري⁽¹⁾ روى عن أبي سليمان بن حوط الله. وكان من الفقهاء المتصنفين بالحفظ، العاقلين للشروط المبرزين في معرفتها الضابطين لأحكامها.

وقد ذكر ابن عبد الملك إلى جانب هؤلاء جملة من الشيوخ الذين أخذ عنهم كأبي الحسين بن عزيمة الذي قرأ عليه البلوي القرآن بالقراءات السبع، وأبي اسحاق بن الشرفي وأبي الحجاج بن الحسين بن عمر. كما ذكر جملة من الشيوخ الذين أجازوه ومن بينهم عبد الرحمن بن محمد الشراط من الأندلسيين، وأبو الطاهر الخشوعي من المشاركة⁽²⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن البلوي بعد أن اكتملت شخصيته واستوى عوده وتنوعت ثقافته شارك في مجال التدريس وندب نفسه لنشر العلوم والمعارف فتلقاها عنه مجموعة من التلاميذ النجباء سواء بإشبيلية حيث أقام مدة طويلة من مرحلة حياته الأولى أو بمراكش التي مكث بها في مرحلة حياته الأخيرة.

وقد ذكر ابن عبد الملك أن كثيرا من شيوخه وجماعة من أصحابه أو من يتنزل منزلتهم⁽³⁾ قد قرأوا على البلوي كثيرا من الحديث والآداب. وذكر أيضا أنه قرأ عليه - هو نفسه - القرآن الكريم برواية ورش وتدرج على يديه في علم العروض، وصناعة الحساب والفرائض، وأنه أجازة إجازة عامة أكثر من مرة؛ وعلى هذا الأساس يكون ابن عبد الملك من تلامذة البلوي الذين لازموه، وأنه كانت له

(1) الذيل والتكملة، 1/ 527 - 1.

(2) المصدر السابق، 2/ 454 - 1.

(3) المصدر السابق، 1/ 454 - 2.



خصوصية به ولم تكن صلته بشيخه مقتصرة على حلقة درسه وإنما كان يسايره ويذاكره خارج الحلقة، ويجالسه في دكانه الذي كان يتصدى فيه لعقد الشروط. كما كان ابن عبد الملك الراوية الأول لشعر البلوي يستفاد ذلك من قوله: «أنشدني كثيرا من شعره ما لا أحصيه كثرة وشاهدت من ارتجاله إياه وسرعة بديهته ما أقضي منه العجب»⁽¹⁾. ويبدو أن صحبة ابن عبد الملك لشيوخه كانت حوالي 650 هـ بمدينة مراكش وأنها قد استمرت إلى حين وفاة البلوي سنة 657 هـ⁽²⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن عبد الملك المراكشي يعد المصدر الأساسي في بناء ترجمة البلوي باعتباره شيخه الأثير الذي استفاد منه كثيرا من المعلومات وظفها في كتابه «الذيل والتكملة»، ويستفاد مما هو مبثوث في هذا الكتاب من معلومات أنه روى عنه كثيرا من الأخبار. كما يستفاد أيضا من خلال الأخبار التي أوردها ابن عبد الملك في كتابه عن شيخه أنه كان من تلامذته الأوفياء، ولذلك نجده رثى لحاله حينما أصابته فاقة في أخريات أيامه وأنه كان ينحى باللائمة على بعض تلامذته الذين لم تُجَرِّ الأقدار على يدهم خيرا بالرغم من انتفاعهم به وهو يعني بذلك أبا الحسن الرعيني⁽³⁾ الذي يعد من تلامذة البلوي الأوائل الذين انتفعوا كثيرا بطريقته في الكتابة، فأصبح لهم صيت ذائع وشهرة بالغة واكتسبوا جاهًا عريضا؛ وقد اتصل الرعيني بالبلوي في إشبيلية ودرس عليه، وتدرّب بين يديه على أساليب الكتابة حتى صار من العلماء المرتسمين فيها؛ وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يُجَرِّ له ذكرا في «برنامج» مع أنه على شرطه. ولا ندري سبب ذلك وعلمته إلا أن يكون قد وقع بين التلميذ وشيخه ما يدعو إلى إسقاطه من كتابه.

ومن تلامذة البلوي أيضاً عمر بن محمد بن أحمد القيسي⁽⁴⁾ وهو «خال ابن عبد الملك المراكشي» الذي أثنى عليه وذكر أنه كان أديبا بارع الكتابة، متصفا بحسن

(1) نفسه.

(2) د. محمد بن شريفة «مقدمة الذيل والتكملة»، 13-11 / 8.

(3) مقدمة برنامج شيوخ الرعيني، الذيل والتكملة 1/5 - 323.

(4) الذيل والتكملة، 1/8 - 235.



الخلق ودمائه، إذ كان منزله مجمع الفضلاء والنبلاء من الناس يغلب عليه طابع الحياء، كثير المواساة للناس، انتفع كثير من النَّاسِ بِجَاهِهِ وَمَالِهِ، فأكثرُوا الثَّناءَ عليه والتمجيد لأخلاقه وحلمه وعلمه وفضله. وقد أخذ عن البلوي بمدينة مراکش وانتفع بعلمه كثيرا.

ويعد من تلامذته أيضا أحمد بن فرج بن أحمد بن محمد اللخمي⁽¹⁾، لم يأخذ عن البلوي ببلده إشبيلية وإنما درس عليه في مراکش بعد سنة 650 هـ ولا شك أنه كان قد انتفع بشيخه في علمين أساسيين وهما: الأدب والحديث؛ إذ تذكر الأخبار أن اللخمي كان قد فاق أقرانه في هذين النوعين من العلم، وأنه كان إلى جانب علمه وثقافته حسن الأخلاق طيب العشرة جميل الصحبة.

ويعتبر أبو الحسن الماجري الكفيف⁽²⁾ من تلامذة البلوي الذين أخذوا عنه بمراكش؛ وكان حافظا للحديث راوية له، موسوعي الثقافة جمع بين الرواية والدراية، وبين المعقول والمنقول، ألف في المنطق كتابا سماه «أسهل الطرق إلى فهم المنطق» وهو أول تأليف مغربي في هذا النوع من العلوم⁽³⁾. كما ألف الناسخ والمنسوخ في الحديث وغير ذلك من المصنفات التي تدل على غزارة علمه وتنوع ثقافته.

هؤلاء هم تلامذة البلوي الذي تمكنا من معرفتهم والوقوف على تراجمهم في كتب الطبقات. ولا شك أن عددهم يفوق ذلك بكثير، يستفاد ذلك من عبارة ابن عبد الملك التي أوردها ضمن ترجمته والتي قال فيها: «وروى عنه جماعة من أصحابنا ومن يتنزل منزلة شيوخنا»⁽⁴⁾. إن العبارة السالفة الذكر تشعرنا بأن الآخذين عن البلوي أكثر من العدد الذي توصلنا إليه بكثير، غير أن اختصار «ابن عبد الملك» وإيجازه في الحديث

(1) الذيل والتكملة، 1/ 359-1، نفح الطيب 3/ 282. درة الحجال 1/ 16.

(2) انظر مقالا عنه للدكتور محمد بن شريفة في مجلة المناظرة. ع: 2، ص: 27-56.

(3) المصدر السابق.

(4) الذيل والتكملة 1/ 2-454.



عن تلامذته حجب عنا العديد منهم؛ خاصة إذا علمنا أن الزمن امتد بالبلوي طويلا وأنه عُمِّرَ وأَسَنَّ، ولم يبلغه أجله إلا بعد اثنين وثمانين سنة. ولعل تلك المدة الزمنية كانت كافية لكي يتصل بمجلسه وحلقة علمه ودَرْسِه كثير من الراغبين في الاستفادة من الشيوخ؛ يضاف إلى ذلك أنه استقر بمركزين أساسيين من مراكز العلم خلال الحقبة الموحدية وهما: مدينة «إشبيلية» ومدينة «مراكش» حيث كان يقصدهما الطلاب من كل الجهات للتزود بالعلوم والمعارف والأخذ عن الشيوخ.





شاعرية البلوي:

كان البلوي كاتباً بليغاً ذاعت شهرته في الأوساط الأدبية بالأندلس والمغرب؛ غير أنه لم يكن كاتباً فحسب بل كان إلى جانب ذلك شاعراً مشاركاً تفتقت شاعريته منذ صغره حيث ذكر تلميذه «ابن عبد الملك» أنه نظم في شببته قصائد بديعة وخاطب بها صديقه أبا بكر بن مهيّب⁽¹⁾ وعمره لا يتجاوز العشرين. وقد أشاد معاصروه بشاعريته وممارسته للقريض إذ يحدثنا «ابن سعيد المغربي» أنه أثناء لقائه إياه بإشبيلية أنشده قصائد طويلة تدل على طول نفسه وشدة معالجته للشعر وممارسته له، ونبوغه فيه⁽²⁾ فاق به بعض أقرانه. كما نجد «ابن عبد الملك» وكان ملازماً للبلوي يشيد أيضاً بشاعريته، ويذكر أنه استمع لكثير من قصائده وأشعاره في مناسبات متعددة وأغراض متنوعة؛ كما يذكر أنه كان كثير الارتجال للشعر قوي البديهة، وهاتان الصفتان تدلان على أن البلوي كان شاعراً مطبوعاً يسلك في قريضه طريقة الشعراء المطبوعين لا يتكلف في قوله للشعر بل يأتيه طوعاً. ولعل الذي ساعد البلوي على ذلك ممارسته لقراءة الكتب الأدبية مع صفاء ذهنه وقوة ذاكرته؛ يضاف إلى كل هذا طبعه الميال إلى الأدب والشعر؛ وقد كان البلوي يعتد بهذه الصفات كلها ويفخر بها حيث كان يقول: «لو شئت ألا أتكلم في حاجة تعرض لي مع أحد وأحاوره إلا بكلام منظوم لفعلت غير متكلف ذلك»⁽³⁾.

بالرغم من شهادة معاصريه ومن تلاهم بتفوق البلوي في قول الشعر وبغزارة إنتاجه فيه فإننا لا نتوفر من شعره إلا على نسبة قليلة متفرقة في بعض المصادر التي ترجمت له، أو في بعض مقدمات رسائله التي احتفظ لنا بها هو نفسه في كتابه العطاء الجزيل⁽⁴⁾ مما

(1) التكملة 2/ 659.

(2) اختصار القدح المعلى، ص: 120.

(3) الذيل والتكملة، 1/ 2 - 457.

(4) العطاء الجزيل، خواتم الأبواب المتبقية كلها.



يجعلنا لا نستطيع أن نتمثل شاعريته تمثلاً حقيقياً ويجعلنا أيضاً لا نستطيع أن نلم بمختلف جوانب تلك الشاعرية ونصدر حكماً نطمئن إليه كل الاطمئنان. ولكننا مع ذلك سنحاول أن نقدم نظرة موجزة عن شاعريته من خلال النصوص القليلة المتبقية؛ وإن كنا نعتقد أن التفت التي سلمت لنا من شعره لا تمثل الصورة الحقيقية لشاعريته، كما أنها لا تصور الوجه الحقيقي للشاعر كما عرفه أصدقاؤه وتلامذته، وكما صورته لنا معاصروه.

ومما لا شك فيه أيضاً أن البلوي كان قد نظم قصائد في مختلف الأغراض التقليدية التي عرفها الشعر العربي عبر مسيرته التاريخية الطويلة من مدح وفخر وغزل ورثاء ووصف وإخوانيات؛ غير أننا لا نملك من شعره اليوم سوى أبيات من قصائد المدح، وبعض قصائد الرثاء، أضف إلى ذلك مقطعات شعرية عبّر فيها عن ذاته وعن المحن التي اعتّرتّه، كما عبّر من خلالها عن القلق والاضطراب الذي انتابّه في أُخْرَيَات حياته. ولكي تتضح الصورة الحقيقية لشاعرية البلوي فإننا سنتحدث عن الأغراض التي أبدع فيها وهي:

❖ المدح:

يعد المدح الغرض الرئيس في الشعر العربي لأنه مصدر عيش بعض الشعراء وباب رزقهم ولهذا السبب قيل: إن ثلثي الشعر العربي مدح، وعلى أساسه أقام بعض النقاد نظريتهم في بناء القصيدة العربية. ولم يكن المدح باباً للرزق فحسب بل كان أيضاً باباً للشهرة والذيع إذ لم يستطع كثير من الشعراء أن يشتهروا إلا بعد مدحهم للملوك أو الولاة والأمراء وعلية القوم بل إن فحولة الشاعر لا تكتمل - في نظر كثير من النقاد - إلا إذا طرق هذا الباب وإن لم يدفعه دافع التكسب؛ ومن ثم كان لازماً على البلوي أن يشارك الشعراء في هذا الغرض، وأن يمدح من يستحق المدح من الخلفاء والولاة والأمراء أو من الأصدقاء الذين كانوا يبادلونه الود والصداقة وقد كان لديه منهم عدد كثير.



ويبدو أن أول قصيدة مدحية قالها البلوي، وذاعت شهرتها بين الناس، هي تلك التي نظمها في مدح أبي العلاء ادريس حينما كان واليا على إشبيلية سنة 623 هـ. ويظهر أنها قد نالت إعجابه فوق اختياره عليها من بين القصائد التي قدمت له في تهنته بعد تغلبه على أبي عبد الله البياسي الثائر ووصول البشائر بخبر قتله⁽¹⁾. وعلى الرغم من شهرة القصيدة وحفظ الناس لها وتداولها بين طبقات المجتمع الإشبيلي فإننا لا نملك سوى شطر واحد من مطلعها يقول فيه البلوي:

يَا هَبَّةَ السَّعْدِ هُزِّي قُبَّةَ الْوَادِي⁽²⁾

أما القصيدة الثانية فهي التي نظمها في مدح الخليفة المعتضد بالله الملقب بالسعيد⁽³⁾ كان قد أنشده إياها أثناء وصول وفد إشبيلية ومثوله بين يديه لتهنته بصيرورة الأمر إليه بعد وفاة أخيه الرشيد. ويذكر ابن عبد الملك أن البلوي كان قد أنشد الخليفة قصيدتين بَدِيعَتَيْنِ وَخُطْبَتَيْنِ رَائِعَتَيْنِ؛ ولم يحتفظ لنا الزمان من كل ذلك إِلَّا بِأَيَّاتٍ قَلِيلَةٍ مِنْ قَصِيدَةٍ مَدْحِيَّةٍ وَاحِدَةٍ اختار منها ابن عبد الملك ما يُنَاسِبُ ذَوْقَهُ.

يفتح البلوي القصيدة بزف البشرى إلى الناس في كل البقاع والأصقاع، وهي بشرى ستعقبها بشائر أخرى، لأن الخليفة الجديد سَيَهْدِي الْبَشَرَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ بِفَضَائِلِهِ وَخِصَالِهِ الْحَمِيدَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الرِّعْيَةَ سَتَنَامُ فِي إِمَارَتِهِ قَرِيرَةَ الْعَيْنِ لِأَنَّهُ سَيَكُونُ السَّاهِرَ الْأَمِينَ عَلَى شُؤْنِهَا الْعَامَةِ وَالْخَاصَةِ كَمَا أَنَّهُ سَيَكُونُ الْمُؤَنَسَ لَهَا فِي وَحْشَتِهَا وَغَرَبَتِهَا فَهُوَ قَمَرٌ قَدْ أَشْرَقَ عَلَى رَعِيَّتِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّشِيدِ⁽⁴⁾ كَمَا يَشْرُقُ الْقَمَرُ الْحَقِيقِيُّ فِي لَيْلٍ مَظْلَمٍ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ بُشْرَى بَعْدَهَا الْبُشْرُ خَلِيفَةُ بَشَرٍ يُهْدِي بِهِ الْبَشَرَ

(1) البيان المغرب، ص: 271.

(2) اختصار القدح المعلى، ص: 120.

(3) البيان المغرب، ص: 359.

(4) الذيل والتكملة 2/1، الحلل الموشية، ص: 167.



نَامَتْ رَعِيَّتُهُ فِي حُجْرٍ إِمْرَتِهِ وَفِي رِعَايَتِهَا مِنْ شَأْنِهِ السَّهْرُ
وَأَشْرَقَ الْأُنْسُ مِنْ بَعْدِ الرَّشِيدِ بِهِ كَأَنَّمَا هُوَ فِي لَيْلِ الْأَسَى قَمَرٌ⁽¹⁾

ثم يصف فضائل الخليفة الجديد وهي كثيرة تفرقت لدى غيره واجتمعت فيه، فهي تشبه فضائل الخلفاء الراشدين الخليفة في صدقه كأبي بكر الصديق دلت على ذلك سريره وأخبر عنه طبعه ومخبره كما أنه سيكون في فتوحاته للمعادل والحصون كعمر بن الخطاب وستوالى تلك الفتوحات ترى وستأتي متتابعة. وهو في حياته البادي على وجهه ومحياه كعثمان بن عفان، وهو في شجاعته وبطولته كعلي بن أبي طالب إذ يعد سيف الله الذي يشقى به كل من عاند أو خالف دعوته سواء من كان من قومه أو من كان من غيرهم وهو وحده يغني عن جيشه في معاركه، فلا يبالي أثناء دخوله للمعارك أقل جيش أعدائه أم كثر وهو شمسٌ إذا أرسلت أشعة نورها على الأرض أغنت الناس عن نور النجوم الصغيرة:

فَضَائِلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَهُ مَجْمُوعَةٌ فِيهِ مِنْ آيَاتِهَا الْكِبَرُ
كَأَنَّمَا نَحَلَ الصَّدِيقُ شَيْمَتَهُ فِي الصَّدِيقِ فَالْخُبْرُ صَدَقٌ مِنْهُ وَالْخَبْرُ
تَأْتِي الْفُتُوحَاتُ فِي أَيَّامِهِ نَسَقًا كَأَنَّمَا هُوَ فِي أَيَّامِهِ عُمَرُ
وَمِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ الْحَيَاءُ لَهُ عَلَى مُحَيَّاهُ مِنْ أَنْوَارِهِ أَثَرُ
لَهُ الْوَصِيُّ⁽²⁾ سَمِيًّا وَهُوَ يُشَبِّهُهُ فِي سَيْفِهِ فَبِهِ يَشْقَى الْأَلَى كَفَرُوا
سَيْفٌ عَدَا فِي يَدِ الْقَهَّارِ قَائِمُهُ لَا يَكْهَمُ السَّيْفُ أَمْضَتْ حَدَّهُ الْقَدَرُ
يُغْنِي اسْمُهُ إِنْ نَضَاهُ عَنْ عَسَاكِرِهِ فَلَا يُبَالِي أَقَلَّ الْجَيْشُ أَمْ كَثُرُوا
كَالْشَّمْسِ تُغْنِي إِذَا ذَرَّتْ أَشْعَتَهَا عَنِ الْمَصَابِيحِ حَيْثُ النُّورُ مُتَشِيرٌ⁽³⁾

(1) نفسه.

(2) الوصي: يقصد به علي بن أبي طالب.

(3) الإعلام بمن حل بمراكش وأغمت من الأعلام، 2/ 181.



لا يكفي البلوي بمدح فضائل الخليفة «السعيد» فحسب بل يبالغ في مدحه ويعتبر المدائح التي تلقى فيه من القصائد التي يتقبلها الناس بصدر رحب حيث يكررونها حفظاً ودراسة كما يكررون ويحفظون سور القرآن الكريم، لأنهم يعتقدون أن تلك المدائح تكشف عن محاسن الخليفة وبذلك تبدو صورته لديهم كَعُرُوسَةٍ باهية الحسن رائعة الجمال ثم يتخيلون أن الأئمة الذين سبقوه قد حضروا في شخصه وذلك بإحيائه لسننهم وسيره على سيرتهم ونهجهم:

تُتْلَى مَدَائِحُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ بِهَا كَأَنَّمَا هِيَ إِذْ تُتْلَى لَهُمْ سُورُ
كَأَنَّمَا هِيَ إِذْ تُجْلَى مَحَاسِنُهُ عَرَائِشُ الْحَسَنِ قَدْ رَاقَتْ لَهَا صُورُ
لَمَّا رَأَيْنَاهُ خِلْنَا عِنْدَ بَهْجَتِهِ أَنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ آبَائِهِ حَضَرُوا⁽¹⁾

ثم يتطرق البلوي بعد ذلك في قصيدته إلى تقديم فروض الولاء والطاعة من قبل وفد إشبيلية الذي جاء مبايعاً ومهنئاً للخليفة الجديد بتوليته للسلطة، فيذكر أن هذا الوفد قد جاء مستجيراً بالخليفة مستعصماً به لائذاً إليه بعدما صَالَ النصارى على المسلمين بالأندلس في عقر دارهم، وأحاطوا بهم من كل جانب فأصبحوا قليلي العدد إلا أنهم بفضل إمارة الخليفة الجديد ونصرته لهم سَيُضْبِحُونَ كثيري العدد إذ الخليفة سيعزز جانبهم ويرفع من معنوياتهم، ولذلك فهم متيقنون بأن النصر سيكون حليفهم لأن إرادة الخليفة مستمدة من إرادة الله ومن تكن تلك صفته لا شك أنه إن أمر بشيء نُقِّدَ أو طُمح إلى غاية نالها:

وَأَفَاكُمُ وَفُدَّ حِمَصُ⁽²⁾ الْمُسْتَجِيرِ بِكُمْ وَقَدْ أَعَزُّوْا بِكُمْ وَعَدَا وَقَدْ نُصِرُوا
صَالَ الْعَدُو عَلَيْهِمْ فِي جُورِهِمْ حَتَّى لَقَلُّوا فَمَذُومُكُمْ كَثُرُوا
وَأَيَقُنُوا أَنَّ نَصَرَ اللَّهِ نَصْرَكُمْ فَالْفَتْحُ مُرْتَقِبٌ وَالنَّصْرُ مُتَنْظَرُ

(1) الذيل والتكملة 1/ 2 - 458.

(2) حمص: المقصود بها إشبيلية.



إرادةُ الله تمضي ما تريد بها إذا أمرت فالفلك الدوّار مُؤتمِر⁽¹⁾

ويحتفل البلوي في قصيدته بالإطراء المتزايد ويخلع على الخليفة الجديد صفات الهدى والدين، باعتباره محيي رسمه، وباعتبار أنه يسير على نهج مؤسس الدعوة الموحدية المهدي ابن تومرت⁽²⁾، ويهنئ الشريعة الإسلامية التي أصبح الخليفة حارسها الأمين وروحها وسمعها، فبأمره غداً دعاة الحق والدين متصيرين على الكفار لأنه يرميهم بشواظ من نار، وذلك لأنه معتضد ومؤازر من قبل الله مستنصر به، فهو كالسهم يرمي به الله على أعداء دينه؛ وطائفة التوحيد وجماعتهم هي القوس والوتر بيده:

يَهْنِي الشَّرِيعَةَ أَنْ أَصْبَحْتَ كَافِلَهَا فَالزُّوْحُ أَنْتَ لَهَا وَالسَّمْعُ وَالْبَصْرُ
بَأْمَرِكُمْ حَاطَ سِرْبُ الدِّينِ نَاصِرَهُ تُخَيِّ الْعِبَادَ وَتَحْمِيهِمْ وَتَنْصِرُهُ
مَعْنَى الْهُدَى عَصْبَةُ التَّوْحِيدِ ظَاهِرَهُ وَأَنْتَ لَا شَكَّ مَعْنَاهَا إِذَا اعْتَبَرُوا
رَمَى بِكَ اللَّهُ أَهْلَ الْكُفْرِ نَسَحَتْهُمْ وَأَنْتَ مُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ مُتَّصِرُ
فَاللَّهُ رَامَ وَأَنْتَ السَّهْمُ فِي يَدِهِ وَالْقَوْسُ طَائِفَةُ التَّوْحِيدِ وَالْوَتَرُ⁽³⁾

والقصيدة كما يبدو محكمة السبك، جيدة الأسلوب والتعبير، قوية المعاني، واضحة الدلالة؛ وهي من القصائد الغر الطوال التي دبجها البلوي في المدح. ولكن الملاحظة التي تتبادر إلى ذهن القارئ حينما يتمعن في معانيها هي أن البلوي قد خلع على الخليفة صفاتٍ مبالغاً فيها لا تُخلع على سائر البشر. ولا شك أن الموقف كان يستدعي ذلك، وأن المناسبة دفعت به إلى إبراز ما يكنه أهل إشبيلية - وضمنهم الشاعر - من محبةٍ وولاءٍ للخليفة الجديد وما يضمرونه للدعوة الموحدية من إخلاص وما يؤملونه فيها وفي الخليفة ذاته من نصرة وخلاص؛ خاصة وأنهم كانوا يعيشون في قلق دائم واضطراب شديد بسبب الهجومات المتكررة التي كانت تحوط

(1) الإعلام بمن حل بمراكش وأغمت من الأعلام، 2 / 181-182.

(2) أخبار المهدي بن تومرت للبيدق، ص: 11-34.

(3) الذيل والتكملة 1 / 2 / 458-459.



بهم من قبل جيرانهم وبسبب الصراعات السياسية والحربية التي كانت تشهدها الأندلس؛ كما أن الشاعر البلوي أراد من خلال هذه القصيدة أن يظهر قدرته الفنية أمام تلك الجموع المحتشدة التي أتت مهنته الخليفة من كل الأصقاع والبقاع؛ ويبدو أن الشاعر كان صادقاً في عاطفته تُجَاهَ الموحدين ودَعَوَتِهِمْ وأنه لم يُضَفِ عَلَيْهِمْ من الصفات، سوى تلك التي عهدنا أغلب الموالين لهم يصفونها عليهم؛ وهي وإن بَدَتْ لنا حالياً مبالغاً فيها فإنها باعتبار العصر عادية.

لَمْ يمدح البلوي الولاة والأمرء والخلفاء فحسب بل مدح أصدقاءه؛ ولم نعر له في مدح أصدقاءه إلا على أبيات قالها في أبي مروان الباجي⁽¹⁾ الذي كان قد وَفَدَ على إشبيلية من مدينة مراكش لحضور جنازة أخيه، وقد وردت هذه الأبيات ضمن افتتاحية قصيدة بعثها إليه البلوي يعزیه في وفاة أخيه الأكبر الخطيب أبي عبد الله وذلك سنة 606 هـ⁽²⁾.

في هذه الأبيات يذكر البلوي أن قدوم صديقه إلى إشبيلية، قد أعاد الأُنس إلى النفوس التي كانت قد اشتاقت لرؤيته خاصة نفوس الذين تربطهم به رابطة القرابة أو رابطة الصداقة؛ كما يذكر أن إشبيلية نفسها أضحت مشرقة النواحي بطلوعه عليها، وَأَنَّ أَرْضَهَا وَتُرَابَهَا قد فاحت مِسْكًا وعطراً بِرُؤْيَايِهِ والتَّمَلَّى بطلعته، وَأَنَّ الزهور قد أينعت على الرغم من أن الفصل الذي كان قد ورد فيه هو فصل الصيف فكأنه بحلوله قد حل معه فصل الربيع:

قُدُومُكَ أَيُّهَا الْجَبْرُ الرَّفِيعُ أَعَادَ الْأُنْسَ فَأَبْتَهَجَ الْجَمِيعُ
وَأَضَحَّتْ جِمَصُ مُشْرِقَةِ النَّوَاحِي بِوَجْهِكَ حِينَ خَانَ لَهُ طُلُوعُ
وَفَاحَتْ أَرْضُهَا بِشَذَاكَ حَتَّى كَانَ تُرَابُهَا مِسْكًا يَضُوعُ

(1) الذيل والتكملة، 5/ 2 - 687.

(2) المصدر السابق، 5/ 2 - 686.



وَأَيَّنَعَتِ الْأَزَاهِرُ وَهُوَ صَيْفٌ كَأَنَّكَ إِذَا أَتَيْتَ أَتَى الرَّبِيعُ⁽¹⁾

وبعد هذه الافتتاحية التقليدية ينتقل للتعبير عما انتابه من سُرور وفرح، ثم يضيف عليه بعض الصفات التي كانت تميزه عن غيره من الشخصيات في عصره؛ ومن هذه الصفات - الأخلاق الحسنة - الدين المتين - الحسب والنسب - الثقافة وقدرة التحصيل.

ويبدو من خلال الصفات التي مدح البلوي بها صديقه أنها تَرُدُّ في الشعر العربي عامة؛ فهي صفات تقليدية لا جديد فيها؛ ولكن الشاعر كان صادقاً فيها غير مجاني للحق والحقيقة يؤيد ذلك أن أغلب الذين ترجموا لِلْبَاجِي يُحَلُّونَهُ بنفس الصفات ويضيفون عليه نفس الخصال:

خُلِقْتَ لِمَلِكٍ أَفْنَدَةَ الْبَرَائِيَا فَأَنْتَ لِكُلِّ ذِي أَمَلٍ شَفِيعُ
لَكَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ بِكُلِّ أَرْضٍ بِأَخْلَاقٍ لَهَا حُسْنٌ بَدِيعُ
لَكَ الدِّينُ الْمَتِينُ لَكَ الْمَعَالِي لَكَ التَّحْصِيلُ وَالْحَسَبُ الرَّفِيعُ
وَمَا جَارَكَ فِي شَأٍ وَخَطِيبُ فَإِنَّكَ وَخَدَكَ ظَالِعُ الظِّلِّيعُ⁽²⁾

❖ الرثاء:

يعتبر الرثاء من الأغراض التي طرقها البلوي وبرزَ فيها وليس بين أيدينا قصائد مستقلة في هذا الغرض، بل كل ما وصلنا منه هو عبارة عن مقطعات وقصائد وردت ضمن رسائل التعزية المبنوثة في كتاب «العتاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل»⁽³⁾.

ولم يَرِثِ البلوي أحداً من أقربائه أو ذويه، بل رثى أصدقاءه كما رثى الولا والأمرء الذين ارتبطت حياته بهم وخاصة صديقه ووليه الحميم إبراهيم المعروف

(1) العطاء الجزيل، ص: 176.

(2) المصدر السابق، ص: 177.

(3) المصدر السابق، ص: 180 - 182 - 184.



بالأحول⁽¹⁾، الذي تأثر البلوي بوفاته، وخلد ذكره بقصائد رثائية رائعة معبرة، تدل على تأثره العميق لوفاته وحزنه الشديد على مفارقتها.

وقَبْلَ أن نحددَ مضامينَ هذا الشعر فإننا نُشيرُ إلى أن القصائد التي وصلتنا في هذا الغرض هي التالية:

القصائد	الأفراد
1	في رثاء صديقه أبي عبد الله الباجي وتعزية أخيه.
1	في رثاء السيد أبي محمد الموحدي وتعزية والده أبي موسى.
3	قصائد في رثاء ولي نعمته أبي إسحاق إبراهيم الموحدي والي إشبيلية.

أما القصيدة الأولى؛ فقد وردت ضمن رسالة تعزية بعثها البلوي لأبي مروان الباجي الذي ورد لحضور جنازة أخيه من مدينة مراكش⁽²⁾. أما المَرثِيُّ فهو أبو عبد الله محمد ابن أبي عُمَر اللخمي الإشبيلي كان متصفا بالوقار والتدين والانقباض؛ ولي الخطبة والقضاء ببلده إشبيلية، وتوفي بها سنة 606 هـ كما يقول ابن الأبار في التكملة⁽³⁾.

وقد افتتح البلوي قصيدته في رثائه بأبياتٍ مَدَحَ بِهَا أخاه باعتباره كان قد خَلَفَهُ، وباعتبار أن البلوي بعث إليه بهذه الأبيات مُعَزِّيًا له ومُسَرِّيًا عن همه وحزنه. ثم تخلص البلوي بعد ذلك إلى التعبير عن فداحة المصاب بفقد من فقد مُذَكِّرًا بما دَهَى الناس من حزن عليه، فأضحى شمل سرورهم متصدعًا بعد أن كان مجتمعًا؛ يقول معبرا عن ذلك:

عَلَى أَنَّ الْمُصَابَ بِلَا امْتِرَاءٍ بِفَقْدِ أَخِيكُمْ جَلَلٌ شَنِيعٌ

(1) البيان المغرب، ص: 266.

(2) المصدر السابق، ص: 266.

(3) التكملة، 637 / 2.



وَأَصْحَى النَّاسُ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا وَشَمِلُ سُرُورِهِمْ بَدَدٌ صَدِيعٌ⁽¹⁾

ثم انتقل البلوي إلى تعداد مناقب المرثي، مُركزاً على ما كان يتصف به من تواضع، وخشوع، وتدين، وتقوى، وهي صفات المتقين الذين يخشون الله في السر والعلن؛ وتلك كانت مزايا الباجي بحق:

وَنَادَى الدِّينُ وَالْهَفْيُ عَلَيْهِ أَرَى التَّقْوَى خَلَتْ مِنْهَا الرُّبُوعُ

مَضَى الْبَاجِي فَنَادَى أَهْلَ حِمَصٍ فَقَدْ ذَهَبَ التَّوَاضُّعُ وَالْخُشُوعُ⁽²⁾

وَيَعْقُبُ تِلْكَ الْأَنْبِيَاءُ أُخْرَى حِكْمِيَّةٌ؛ أبرز فيها الشاعر أن الله قد هدى الإنسان للتقوى، ولكنه غافل يرى الناس أمام أعينه يذهبون صباح مساء وهو مع ذلك لا يزعوي عن غيِّه وَضَلَالِهِ:

هَدَانَا اللَّهُ لِلتَّقْوَى وَإِنَّا لَنَافِي حَوْضٍ غَفَلَتْنَا كُرُوعُ

وَيُوقِظُنَا الْحَمَامُ بِكُلِّ حِينٍ وَنَحْنُ لَطُولٍ غَفَلَتْنَا هُجُوعُ⁽³⁾

ويختتم قصيدته بالتفجع على صديقه. وذكر مكانته من نفسه، داعياً لأخيه الأكبر بطول العمر:

فَكُمُ أَبْكِي عَلَيْهِ بِكُلِّ دَمْعٍ وَلَا تُجْدِي عَلَى مَيِّتٍ دُمُوعُ

وَمَدَّ اللَّهُ عُمْرَكَ فِي سُرُورٍ وَدَامَ لِعِزِّكَ الْمَجْدُ الْمَنِيعُ

فَمَا فُقِدَتْ مَعَانٍ أَنْتَ فِينَا خَلِيفَتُهَا وَدَاعِيَهَا السَّمِيعُ⁽⁴⁾

ويظهر من خلال ما تبقى من هذه القصيدة الرثائية، التي مزج فيها البلوي المدح بالرثاء، أنها جيدة السبك، حسنة النظم، سهلة الألفاظ بديعة التركيب.

(1) العطاء الجزيل: 178.

(2) المصدر السابق: ص: 179.

(3) المصدر السابق: ص: 178.

(4) المصدر السابق: ص: 179.



أما القصيدة الثانية؛ فهي عبارة عن مقطعة صغيرة بعث بها البلوي إلى السيد أبي موسى الموحدي يعزيه بآبائه أبي محمد، وليس فيها من الرثاء سوى بيت واحد، أما باقي الأبيات فهي عبارة عن مدح لأبي موسى المعزى به. وقد ركز البلوي في بيته المَعْنِيَّ على بعضِ صِفَاتِ المَرْثِيِّ فذكر عِلْمَهُ وَفَضْلَهُ وديانته، ثم دعا لوالده بالبقاء وطول العمر:

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَعْلَى الَّذِي شُهِرَتْ مِنْهُ الدِّيَانَةُ فِي أَقْصَى قُرَى الصِّينِ
مَاذَا يَقُولُ الْمُعْزِي وَهُوَ مُقْتَسِسٌ مِنْ نُورِ عِلْمِكَ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالِدَيْنِ
مَا مَاتَ مَنْ أَنْتُمْ الْبَاقُونَ بَعْدَهُمْ، وَسَائِرُ السَّادَاتِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ⁽¹⁾

الملاحظ في هذه المقطعة وفي غيرها من قصائد الرثاء، أن البلوي يركز دائما على المَعْزَى به مُوَأْسِيًا له ومعبراً عن أسفه وحزنه؛ بينما لا يتحدث عن المَعْزَى إلا قليلا. أما القصائد الأخرى فهي التي رثى بها والي إشبيلية الذي توفي سنة 612 هـ⁽²⁾ وتعتبر من أجود ما قاله البلوي في هذا الغرض. ولعل العلاقة التي كانت تربطه بأبي اسحاق هي التي جعلته يبدع في نظمه؛ فهي علاقة متميزة إذ استكتبه الوالي المذكور مدة إقامته بإشبيلية، وساعده ماديا وأديبا على تأليف كتابه «العتاء الجزيل» حيث أمدّه بجملة من الرسائل والذخائر التي كانت بحوزته، ودعاه إلى إدراجها في كتابه؛ كل ذلك دفع بالبلوي إلى أن يتذكر ما أسدى له صاحبه من خيرٍ ومعروف، وأن يحزن لفقده ويتأسف لموته وأن يخلد ذكره بمراثيه.

وقد حدد البلوي تاريخ هذه القصائد الثلاثة؛ فذكر أنه نظم الأولى في اليوم الثالث من دفن سيده وهو يوم السبت 28 شعبان 612 هـ، والثانية في اليوم السابع من دفنه وهو يوم الأربعاء؛ وأما الثالثة فقد نظمها في اليوم الثالث عشر من دفنه وذلك يوم وصول ابن الفقيّد من بَطْلَيْوُس⁽³⁾.

(1) العطاء الجزيل، ص: 186.

(2) البيان المغرب، ص: 77.

(3) العطاء الجزيل، ص: 182.



والبلوي يستهل القصيدة الأولى، بإبراز حزنه العميق على وفاة مَنْ كان له سنداً في حياته، معبراً عما اعتراه من ألم مُمِضٍّ، واصفاً هَوْلَ المصَابِ وفِدَاحَتَهُ؛ ومُذْكَراً بِمَنْ حَزَنَ النَّاسَ تَفْجَعاً لِمَوْتِهِ، وَمَنْ كَادَتْ الْأَرْضُ تَنْزِلُ حَسْرَةً عَلَى فَقْدِهِ؛ يقول في هذا الصدد:

سُلِبَ الْعَزَاءُ فَكُنَّا مَحْزُونُ خَطْبٌ تَهُونُ لَهُ الْخُطُوبُ الْجُونُ
تَبْكِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضُ فِيهِ تَفْجَعُ وَيَبِيتُ يَشْكُوهُ التَّقَى وَالذِّينُ
سَلَّ بِالْبَسِيطَةِ هَلْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا تُخْبِرُكَ مِنْهَا سَهْلَةٌ وَحُزُونُ⁽¹⁾

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى تعداد مناقب الميت؛ فيذكر بلاغته وفصاحته التي كانت تفرع الأسماع، وقراءته للحديث والسيرة النبوية التي كان يحيي بها الفروض الدينية، كما يذكر إحسانه ومعروفه ونواله الذي كان يسح به على الناس، لا فرق عنده في ذلك بين قوي أو ضعيف.

أَيْنَ التَّهْلُلُ فِي الْمَجَالِسِ مِنْكُمْ يُبْدِيهِ وَجْهٌ وَاضِحٌ وَجَبِينِ
أَيْنَ الْقِرَاءَةُ فِي مَقَامِكَ سِيرَةٍ يَحْيِي بِهَا الْمَفْرُوضُ وَالْمَسْنُونِ
أَيْنَ الطَّعَامُ تَعْدُهُ لَجْمَاعَةٍ فِيهِ لَهَا الْإِحْسَانُ وَالتَّحْسِينِ
مَنْ لِلنَّوَالِ يَسُحُّ فِينَا غَيْثُهُ حَتَّى لَيْسْتَغْنِي بِهِ الْمُسْكِينِ⁽²⁾

ويختتم القصيدة بالدعاء لقبره الميمون معبراً عن التقصير في التعبير مشيراً إلى أن لسانه قد أحرس، فلا يكاد يبين من شدة الحزن وعمق الأسى.

مَوْلَايَ هَادِي نَفْسُهُ مَا قُلْتُهَا إِلَّا وَذَهَبِي بِالْأَسَى مَجْنُونِ
عُذْرِي يُلَوِّحُ عَلَى تَبْلُدِ خَاطِرِي خَرَسَ اللِّسَانُ فَلَا يَكَادُ يَبِينِ

(1) العطاء الجزيل، ص: 182.

(2) المصدر السابق، ص: 183.



ويختتم قصيدته بأبيات في الحكمة وجّة فيها نداء عامّاً بوجوب الاتعاظ بالموت التي هي مآل كل حيّ والاستعداد لها بعين بصيرة ونفس مطمئنة، يقول في هذا الصدد:

أَسَادَتَنَا يَخُصُّكُمْ نِدَائِي وَإِنْ نَادَيْتُ عَامّاً لِلْأَنَامِ
هِيَ الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ دَارُ خُلْدٍ وَعُمُرُ الْمَرْءِ فِيهَا لَأَنْصِرَامِ
فَطُوبَى لِلْأُلَى نَظَرُوا بِعَيْنِ الْـ بَصِيرَةٍ فَاسْتَعَدُّوا لِلْجَمَامِ⁽¹⁾

ويظهر من خلال القصيدة أن البلوي كان وفيّاً لسيده إبراهيم وفاء لا حد له لأنه كان ملاذه الذي يلوذ إليه وملجأه الذي يأوي إليه فكان لا يعتصم بأحد سواه بعد الله ذلك ما عبر عنه في القصيدة ذاتها حينما قال:

وَيَا مَنْ كَانَ لِي ظِلًّا وَعِزًّا فَكَانَ بِهِ وَبِاللَّهِ اغْتِصَامِي⁽²⁾

أما القصيدة الثالثة فقد نظمها البلوي يوم وصول ولّد إبراهيم من بطليوس بعد أن مرت على وفاة والده ثلاثة عشر يوماً. وقد افتتح البلوي قصيدته بنداء المثنى على عادة الشعراء القدامى من الجاهليين وغيرهم، وهو نداء تقليدي يطلب فيه الشاعر من صاحبيه أن يَمُرّاً على قبر المرثي، حتى يقضي بانهمار دموعه ما عليه من حقوق الأكابر الذين حوتهم أرض إشبيلية، كما يود منهما أن يساعدها على حزنه الذي ألم به بتخفيفهم من وطأته، وإن لم يتمكن من ذلك فسيقتصر بدموعه التي ستكون له خير نصير على ذلك. والشاعر من شدة الحزن والأسى قد نفذ صبره، فبدأ له أن القصر قد غدا خالياً مقفراً وأنه رسم دائر، وذلك عندما سأله عن صاحبه فأخبره بأنه قد تبدل من سكنى القصور بسكنى القبور:

خَلِيلِيَّ عُوْجَا سَاعَةً بِالمَقَابِرِ يَقْضِي بِهَا دَمْعِي سَوْقَ الْأَكَابِرِ

(1) العطاء الجزيل، ص: 189.

(2) المصدر السابق، ص: 190.



خَلِيلِي إِنْ لَمْ تُسْعِدْ أُنِي عَلَى الْأَسَى فَحَسْبِي دَمْعِي فَهُوَ فِي الْحُزْنِ نَاصِرِي
أَسِيدَنَا غُيِبَتْ عَنِّي فِي الثَّرَى فَمَنْ لِي بِقَلْبٍ بَعْدَ فَقْدِكَ صَابِرِي
كَفَى حَزْناً أَنِّي أَرَى الْقَصْرَ خَالِياً كَأَنِّي مِنْهُ فِي الرُّسُومِ الدَّوَابِرِ
أَسْأَلُ فِيهِ عَنْكُمْ فَيَقَالَ لِي تَبَدَّلَ بَعْدَ الْقَصْرِ سُكْنَى الْمَقَابِرِ⁽¹⁾

ثم يتطرق الشاعر إلى الحديث عن الزمان الذي قضاه بجانب سيده إبراهيم هادي البال مسروراً، يجتني من محاسنه وكرم أياديهِ فتغدو أيامه كأنها روض ناضر مشرق، وكيف تبدل الأمر بعد وفاته حيث غدر الزمان به، فغدا روض أنسه شاحبا وزهر أيامه ذابلا يقول في هذا الصدد:

لَقَدْ كَانَ رَوْضُ الْأَنْسِ لِي بِكَ نَاضِراً فَمَا لِي أَرَاهُ بَعْدَكُمْ غَيْرَ نَاضِرِ
وَكَانَ زَمَانِي قَدْ وَفَى لِي بِوَجْهِكُمْ فَيَا قُرْبَ مَا أَضْحَى زَمَانِي غَادِرِي⁽²⁾

ثم انتقل الشاعر بعد ذلك إلى تعداد مناقب إبراهيم وصفاته الحميدة التي كان يتمتع بها، وهي صفات وخصال تدل على أن المرثي كان شديد التدين متعلقا بالله أشد التعلق، قواما صواما سالكا سبيل المؤمنين قولا وعملا، يقول في ذلك:

فَمَنْ بَعْدَكُمْ لِلصَّوْمِ يَهْوَى وَصَالَهُ إِذَا شَكَتِ الْجِرْبَاءُ حَرَّ الْهَوَاجِرِ
وَمَنْ لِقِيَامِ اللَّيْلِ يَعْشَقُ طَوْلَهُ فَيَحْسَبُ أَنَّ الْفَجْرَ طَلَعَهُ فَاجِرِ⁽³⁾

ثم ينادي بعد ذلك أهله وذويه وأقاربه، فيدعوهم إلى التحلي بالصبر حتى يفوزوا بالأجر الذي وعد الله به عباده المؤمنين، مذكرا إياهم بأن الذي يرد حوض الموت لن يعود ولو كان كبير قومه أو من سراتهم، ويقدم لهم الدليل على ذلك بوفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يقول في هذا الشأن:

(1) العطاء الجزيل، ص: 191.

(2) المصدر السابق، ص: 193.

(3) المصدر السابق، ص: 193.



أَسَادَتْنَا صَبْرًا تَفُوزُوا بِأَجْرِهِ فَمَا وَارِدُ حَوْضِ الْمُنُونِ بِصَادِرِ
وَهَلْ بَعْدَ مَوْتِ الْمُصْطَفَى مِنْ تَجَلُّدٍ إِلَّا إِنَّمَا الدُّنْيَا سَبِيلٌ لِعَابِرٍ⁽¹⁾

ويختتم القصيدة بمخاطبة أقرباء الميت من أبنائه وغيرهم مبرزاً شعوره نحوهم، مادحاً إياهم، معترفاً لهم بأن الذي مات وترك بعده ذخائر من العز والسؤدد فكأنه حي يرزق، مبرزاً بأن الميت وإن كان بدراً قد هوى، فقد عوض بأبنائه النجوم الزواهر، وإن كان ياقوتة قد سقطت من عقدها فحسب المنى بقاء ذويه والمنتمين إليه ممن يعدون بمثابة الجواهر. وأخيراً يدعو لضريح الميت بالرحمة والرضوان وبالسقى والامتنان ودخول جنة الرحمن؛ يقول في ذلك:

وَمَا مَاتَ مِنْ أَنْتُمْ لَنَا بَعْدَ مَوْتِهِ ذَخَائِرُ عِزِّ دِمْتُمْ مِنْ ذَخَائِرِ
فَإِنْ كَانَ بَدْرٌ مِنْهُمْ فِي التُّرْبِ قَدْ هَوَى فَقَدْ عَوَّضُونَا بِالنُّجُومِ الزَّوَاهِرِ
وَإِنْ سَقَطَتْ يَاقُوتَةٌ مِنْ نِظَامِهَا فَحَسَبَ الْمُنَى فِيهِ بَقَاءُ الْجَوَاهِرِ
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَا سَاكِنَ الثَّرَى وَرُحْمَاكَ دَائِبًا إِنَّهُ خَيْرٌ غَافِرٍ⁽²⁾

تلك هي أشعار البلوي التي نظمها في الرثاء، وهي تدل على صدق عاطفته ووفائه كما تدل على جودة شعره وحسن سبكه.

❖ الشعر الذاتي:

لا شك أن البلوي قد اعترضته في حياته طوارق وأزمات، وأنه لم يكن كغيره من بني عصره محظوظاً لدى الخلفاء الموحدين فتشأم من الدنيا وناسها، وعبر عما أصابه بأبيات شعرية كان قد أنشدها لابن سعيد المغربي⁽³⁾ أثناء إقامته بإشبيلية؛ ونرجح أن يكون ذلك بعد وفاة إبراهيم الموحدي «المعروف بالأحول»، الذي كان حفيواً به عطوفاً

(1) العطاء الجزيل، ص: 194.

(2) المصدر السابق، ص: 194.

(3) اختصار القدح المعلى، ص: 120.



عليه. ولا شك أن أحوال صاحبنا قد اختلت بعد ذهابه وفقدانه إياه، فغدا يشكو ما أصابه من اكتئاب وحزن لا يجد من يؤنسه في وحشته من البشر أحدا، ولا من يفضي إليه بأسراره سوى كتبه التي كان يحاورها في صمت فتجيبه وإن كانت خرساء، ويشكو لها ألمه فتسري عنه وإن كانت لا تنطق؛ قال معبرا عن ذلك في هذه الأبيات:

لِمَنْ أَشْكُو مُصَابِي مِنَ الْبَرَايَا وَلَا أَلْقَى سِوَى رَجُلٍ مُصَابٍ
أُمُورٌ لَوْ تَدَبَّرَهَا حَكِيمٌ لَعَاشَ مَدَى الزَّمَانِ أَخَا اكْتِئَابٍ
أَمَّا فِي الدَّهْرِ مَنْ أَفْضِي إِلَيْهِ بِأَسْرَارِي فَيُؤْنِسُ بِالْجَوَابِ
يُسْتُ مِنَ الْأَنَامِ فَمَا جَلِيسٌ سَرَى عَنِّي الهمومَ سِوَى كِتَابِي⁽¹⁾

ويبدو أن البلوي قد اعترته محن شديدة فخذله أصحابه كما خذله أقرباؤه وذويه، فغدا يشكو الزمان وأهله.

ومن شعره الذي عبر فيه عن ذاته أيضا، أبيات قالها في الشيب بعد أن أحس بأنه قد خالط رأسه قبل أوانه، وأن شبابه قد ولى دون أن يقضي من مرحلته تلك ما كان يجب أن يقضي من تمتع واطمئنان بال، وهو يتأسف على ذلك ويرى أن بعد الحبيب وقرب العدو الحاسد والصديق اللئيم، أخف عليه من طلوع الشيب بِفَوْدَيْهِ قَبْلَ أَجَلِهِ يقول في هذا الصدد:

لَبُعْدُ حَيِّبٍ إِذَا مَا حَصَلَ وَقَدْ فَنَيْتُ فِي رِضَاهُ الْعِلَلُ
وَقُرْبُ عَدُوٍّ عَلَى فَجَاءَةٍ حَسُودٍ حَقُودٍ كَثِيرِ الْحَيْلِ
وَلَوْ أَنَّ صَدِيقَ عَلَى غَفْلَةٍ أَوْ أَنَّ إِلَيْكَ سَعَى وَازْتَحَلُ
فَأَحْوَجَكَ الدَّهْرُ يَوْمًا لَهُ وَقَدْ نَفَقْتُ بِمُنَاهُ الدُّوَلُ
أَخَفْتُ عَلَى نَاطِرِي طَلْعَةً مِنَ الشَّيْبِ إِنْ جَاءَ قَبْلَ الْأَجَلِ

(1) اختصار القدح المعلى، ص: 120، نفح الطيب، 3/ 325.



وَوَلَّى الشَّبَابُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ زيارته وَرِضَاهُ الْأَمَلُ
فَطُوبَى بِمَنْ مُتَّعَتْ نَفْسُهُ بِهِ ثُمَّ فِي ذَلِيلِهِ قَدْ رَقِلَ⁽¹⁾

تلك هي أشعار البلوي؛ ولا شك أنها لم تردنا كاملة، إذ ذكر تلميذه «ابن عبد الملك» أنه كان سريع القول قوي البديهة؛ ومن تكن هذه صفته لا بد أن يكون إنتاجه غزيراً كثيراً، غير أننا نستفيد مما بقي، أن شعر البلوي يميل إلى السهولة والبساطة حيث كان لا يتكلف في قوله؛ وأنه شاعر مطبوع يسير على مذهب الأوائل.



(1) اختصار القدح المعلى، ص: 121، أعلام المغرب العربي، 4/ 149.



نثر البلوي

❖ الكتابة والكتاب في عصر الموحدين:

اهتم الموحدون بالكتابة والكتاب خلال فترة حكمهم، وجعلوهم في الطبقة العليا من بين الطبقات التي كانت تزخر بها دولتهم؛ ومن ثم وجدناهم يَحْظُونَ برعاية خاصة طيلة مدة الحكم الموحي. وقد ذكر ابن صاحب الصلاة أن هذه الفئة قد نالت في عهد يعقوب المنصور من الأموال وصلاح الأحوال ما لم تنله في زمان آخر⁽¹⁾.

ولم يكن الموحدون يغدقون المال على هذه الطبقة فحسب، بل كانوا يشاركون في توجيهها بحكم مركزهم السياسي والفكري، وبحكم التعليم المتواصل الذي كان أبناء الخلفاء الموحدين يتلقونه في بلاطاتهم؛ ومن ثم وجدنا الخليفة المنصور يشارك في إسداء النصيحة للكتاب ويدعوهم إلى الإيجاز بدل الإطناب؛ قال ابن عذاري: «ولما وصل المنصور إشبيلية ووصل معه وفود من سائر بلاده ومنتهى طاعته بالتهاني من النظم والنثر، قال المنصور الفتح أعظم من الإطناب في وصفه، وأمر الكاتب أبا الفضل ابن أبي الطاهر وأكد عليه أن يوجز الكتب في هذا الفتح غاية الإيجاز، ولا يسلك في العبارة عنه مسلك شيء مما تقدم من أوصاف الفتوحات، وأن يَنْحُو فيه منحى كتاب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ⁽²⁾. ويبدو من خلال النص الذي أورده ابن عذاري، أن المنصور كان قد لمح أن الكتاب يطنبون في وصف الفتوحات، فأشار عليهم برأيه في تغيير أسلوب الكتابة وطريقتها، ودفعهم إلى الاختصار خاصة إذا تعلق الأمر بالإخبار بفتح وذلك جريا على طريقة الصحابة في كتبهم التي كانوا يبعثون بها إلى ولاية الأقاليم وعمالها.

وقد شارك الخُلفاء في الاعتناء بهذه الطبقة الولاية، سواء تعلق الأمر بولاية المغرب الأوسط أو الولاية الذين كانوا بالأندلس؛ فقد ذكرت بعض المصادر أن هؤلاء الولاية

(1) المن بالإمامة، ص: 236.

(2) البيان المغرب «قسم الموحدين»، ص: 221.



كانوا يستدعون الكُتَّابَ من منطقة إلى أخرى، ومن مدينة إلى مدينة وذلك حتى يتمكنوا من إخبار الحضرة العلية بما يجد من أحداث سواء على الصعيد السياسي أم العسكري أم الاجتماعي؛ فقد ذكر ابن صاحب الصلاة في هذا الشأن أن أبا إسحاق المسوفي، استدعى الكُتَّابَ والمَشَارِفَ من إشبيلية للذهاب إلى قرطبة، فنزحت إلى هناك جماعة كبيرة مشهورة من كُتَّابِ إشبيلية وأعيان جهاتها، وكان من بين أولئك الذين كتبوا غير أنه تخلص عن منصبه لأسباب لم يذكرها.

❖ رسائل البلوي الرسمية:

يبدو أن إشبيلية كانت تحظى بعناية خاصة من قبل الموحدين، يعود ذلك إلى كونها كانت سبابة للدخول في طاعتهم قبل غيرها من مدن الأندلس، ومن ثم اهتم بها الخلفاء أكثر من غيرها، فكانوا لا يولون عليها إلا من كان صالحا من أبنائهم أو من يرونهم أهلا للقيام بشؤونها السياسية والاجتماعية. وهكذا تعاقب على ولاية إشبيلية مجموعة من السادة الموحدين، كان من بينهم أبو إسحاق إبراهيم الأحول الذي ولاه عليها المستنصر بالله سنة 611 هـ⁽¹⁾.

ويذكر البلوي في خاتمة كتابه «العطاء الجزيل» أنه عندما وصل أبو إسحاق السالف الذكر إلى إشبيلية عيّنه كاتباً له وظل في مهمته ثمانية عشر شهراً⁽²⁾. وقد صدرت عنه خلال هذه المدة مجموعة هامة من الرسائل والمكاتبات الرسمية، التي كان يبعث بها «إبراهيم» إلى الحضرة الإمامية بمراكش لإخبارها بما يجري بالأندلس.

وقد وصلتنا مجموعة هامة من رسائل البلوي هذه مُتَّصَمَةً في مصدرين هما: «العطاء الجزيل» و«مخطوط مبتور الطرفين» يُجْهَلُ اسمه⁽³⁾. وسنحاول تلخيص مضامين هذه

(1) البيان المغرب، ص: 266، الحلل الموشية، ص: 161، المعجب، ص: 236.

(2) العطاء الجزيل، ص: 379.

(3) يوجد المخطوط في خزانة الأستاذ محمد المنوي؛ وقد سمح لنا بتصويره والاستفادة منه. ولذا فنحن نسجل له شكرنا وتقديرنا الخالصين.



الرسائل الهامة التي تكشف - لأول مرة - بتفصيل دقيق عما كان يسود الأندلس والمغرب، خلال عهد الخليفة المستنصر من أحوال اجتماعية وسياسية واقتصادية؛ وسنعمد في تحليل مضامين هذه الرسائل على المصدرين السَّالِفَيْن؛ مبتدئين برسائل المخطوط الخاص باعتبارها تمثل نسبة كبيرة مما خلفه البلوي؛ وهي هذه:

الرسالة الأولى: بعد المقدمة التقليدية التي يفتح بها البلوي رسائله الرسمية، يخلص إلى الموضوع مباشرة حيث يخبر الخليفة - على لسان إبراهيم - بأن أحوال إشبيلية وما جاورها من المدن، جارية على الصلاح الشامل وأن الأمن يسود البلاد والعباد. كما يخبره بأن الناس جميعاً قد استبشروا بالإنعام الذي أنعمه الخليفة عليهم، فغدوا لزراعة مناطق الثغور وغيرها باذلين في ذلك جهدهم متمنين النجاح في قصدهم. كما يبلغ الحضرة الإمامية ما علمه من أخبار النصارى وأحوالهم، فيذكر له أن الناس كانوا يقولون بارتباط صلح بين صاحب «قشتالة» وصاحب «ليون»، ثم ورد خبر من مدينة «ماردة» مفاده أن صاحب «ليون» وابن صاحب «قشتالة» قد اقتتلا، فانتصر لكل واحد منهما فريقه فقتل من الجانبين ما يزيد عن «خمسين» رجلاً، وقد استبشر المسلمون بهذا الخبر واطمأنت نفوسهم وتهللت وجوههم، فغدوا وهم لخليفتهم داعون ولأمانته وعهده راعون.

الرسالة الثانية: في هذه الرسالة يخبر والي إشبيلية أبو إسحاق إبراهيم بأن أحوال جهته جارية على الصلاح المستدام والرخاء العام، وأنه قد استلم كتاب الخليفة الذي يوصيه فيه بتأكيد أسباب الهدنة بين المسلمين والنصارى، ومباشرة أمور الرعايا بإنصاف المظلوم منهم وتأمين الخائف، وأنه قد تلقى هذا الكتاب وسيعمل على تنفيذ أوامره المطاعة. كما يخبر والي المذكور خليفته بأن بعض أهل الدعارة كانوا قد عاثوا في بعض الجهات فساداً، فأرسل في طلبهم من يطاردهم في عقر دارهم حتى تهدأ الأحوال ويسود الأمن في البلاد، وقد تم ذلك فعلاً فغدا شمل هؤلاء المفسدين مشتتا وانقسموا «بين قتل ذاهبٍ وطريد هاربٍ ونازلٍ تائبٍ»⁽¹⁾.

(1) خاص في خزنة المرحوم الأستاذ المنوني.



ويبدو من سياق الرسالة كذلك أن الخلافة الموحدية كانت ترغب في شراء منازل بعض الأندلسيين الضعفاء، ثم تنازلت عن ذلك فأصدرت الأمر للوالي المقيم بإشبيلية بأن يخبر الرعية بما عزمت عليه، فأخبرهم وعندما علم الناس بذلك استبشروا واطمأنت نفوسهم فأصبحوا الأمر الخليفة المطاع ذاعنين وبالذعاء له مسارعين.

الرسالة الثالثة: تتحدد مضامين هذه الرسالة فيما يلي:

- 1- الإخبار بأن أحوال جهات إشبيلية في صلاح تام وخير عام.
- 2- إنعام الخليفة الموحدي على والي إشبيلية بإضافة مدينة «بطلوس» وثغورها الجوفية إلى نفوذه، وبالتفاوض مع الشيخ «أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن» فيمن سيعينه على تلك الجهات.
- 3- مطالبة الخليفة للوالي بأخذ الاحتياط على المخازن. ويبدو من سياق الرسالة أن الخليفة الموحدي خلال هذه الحقبة كان يعتني أشد الاعتناء بالأندلس عامة، وإشبيلية خاصة لمجاورتها للثغور المسيحية، كما يبدو أيضا أن المراسلات كانت مستمرة بين الوالي المذكور وبين الخليفة.

الرسالة الرابعة: يبدو من مضمون الرسالة أن الخليفة الموحدي كان قد بعث كتابه إلى والي إشبيلية مشتملا على «العلامة» التي هي القطب الذي يحرك فلك المصالح ويديره، فتبرك بهذا الكتاب وأخبر خليفته بأنه لن يدخر وسعا في تطبيق أوامره، ويبدو من سياقها كذلك أن الخليفة يؤكد على الوالي بأن يرعى السلم مع صاحب قشتالة، وأن ينبه الناس في كل الجهات وخاصة الحدود المتاخمة للمسيحيين، وأن يحفظوا عهودهم ويقفوا عند حدودهم وبذلك تقوم الحجة على النصارى، ويعلموا أن المسلمين يفون بمواثيقهم وعهودهم.



الرسالة الخامسة: في هذه الرسالة يخبر والي إشبيلية الحضرة الموحدية، بأن أحوال جهته سارة بما توالى عليها من الغيث المدرار، وأن نفوس الرعية في طمأنينة وتمهيد قرار بما مَنَّ الله عليهم من إذعان الأعداء والكفار، كما يقدم شكره للخليفة الذي أنعم على ابنه بتقديمه على مدينة «بطلْيوس» وسائر ثغورها، معترفا بهذا الفضل السابع ومذكرا بأن ابنه نشأة من نشأة الخليفة ومملوك من ممالكه، وأن هذا التقديم إنما هو اختبار له وتجريب.

الرسالة السادسة: بعد المقدمة المسهبة التي يفتتح بها البلوي رسائله الرسمية، يخلص إلى موضوع الرسالة التي تتحدد مضامينها فيما يلي:

1- لا شك أن الخليفة كان قد أصر على والي إشبيلية في التعرف على أبناء النصارى، وأمره بتكليف أهل الثغور بالإعلام بما يجد هناك من أخبارهم، ومُواصَلَةِ الإعلام بما يرد من حقيقة أنبائهم، ولذلك فإن الوالي المذكور يخبر الخليفة بالمفاتنة الواقعة بين النصارى وبالانقسام الساري في صفوفهم.

2- كما يخبره بأنه قد نفذ الأمر الذي صدر إليه في شأن «كومية»، وأنه أحضر مزوارهم وجماعتهم وحذرهم من عاقبة اعتدائهم وخوفهم من الجزاء الذي ينتظرهم إن هم تمادوا في غيهم وفسادهم.

ويظهر من خلال الوصايا الصادرة عن الحضرة إلى الوالي، أن الموحدين كانوا يتشددون في السهر على أمور الناس ومصالحهم، وأنهم كانوا يعتنون بالأندلس عامة وإشبيلية خاصة لمجاورتها للنصارى.

3- ويبدو من سياق الرسالة أيضا أن الخليفة كان قد أنعم على ابن آخر لوالي إشبيلية، فقدمه على «بني رياح» وطلب منه أن يسكن مدينة «شريش»، وقد أدرك «أبو إسحاق إبراهيم» ما في هذا التقديم من تشريف، ومن ثم فهو يخبر الحضرة المراكشية بالسروور الذي انتابه وَكَدَهُ، مُذَكِّراً بأنه قد ألقى إليه من الوصايا ما يجعله بها يسلك الطرق الحميدة ويتبع المناحي السديدة.



الرسالة السابعة: لا شك أن المراسلات بين حضرة مراکش وولاية إشبيلية كانت متواصلة، وأن الخليفة الموحي كان يتطلع دوماً لمعرفة أخبار هذه الجهة إن على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي. ومن ثم كان والي إشبيلية يبعث رسائل جوابية لإخبار الحضرة المراكشية بما يقع، يبدو ذلك واضحاً جلياً من خلال هذه الرسالة، التي يخبر فيها إبراهيم الخليفة بأن منطقة الثغور تعاني أزمة اقتصادية بسبب قلة الطعام وغلاء السعر في مختلف المواد، ولولا أن الله قد أغاث الناس «بالبلوط» فاتخذوه قوتا لهم وَلِدَوَابُّهُمْ لكانت قد حلت الكارثة بالبشر والأنعام.

الرسالة الثامنة: يظهر من سياق هذه الرسالة أن والي إشبيلية يخبر الخليفة بأمد الصلح المبرم بين المسلمين والنصارى، الذي لم يبق منه سوى شهرين وأنه ي كاتبه ويتطلع إلى معرفة رأيه في هذا الجانب السياسي الهام، لأنه لا يقطع أمراً إلا بمشورته ولا يتخذ قراراً إلا بإذنه، كما أنه يتطلع إلى لقاء الخليفة برغبة أكيدة خاصة بعدما علم أنه عقد العزم على زيارة الأندلس لمعرفة ما يجري بها وتفقد أحوالها.

الرسالتان التاسعة والعاشر: فيهما أخبار بأن والي إشبيلية كان يتطلع إلى مشاهدة الخليفة، ولكنه لا يستطيع التحرك من بلده إلا بإذن خاص منه، وقد بلغه إسعاف بذلك تحقيقاً لرغبته فاعتبط به أشد الاعتباط.

الرسالة الحادية عشرة: يظهر من مضمون الرسالة أن والي إشبيلية يخبر حضرة مراکش بظهور ناكث غادر بجهته، وقد ظهر فساد للعيان وابتدر الناس بالشكوى منه بسبب الفتنة التي سببها، وكان هذا المشاغب يؤذي الناس جميعاً لا يفرق في ذلك بين مسلم أو نصراني، ونهي عن فعله، ودعي إلى الرجوع عن فساد وغيه، فلم يزد الدعاء إلا استكباراً؛ حيث نهض إلى جماعة من رعاة النصارى كانوا تحت ظلال السلم المعقودة بينهم وبين المسلمين، فرماهم وغنمهم ثم دخل مدينة «بظليوس» بواحد وعشرين أسيراً من هؤلاء. غير أن الوالي اقتصر منه، وسرح النصارى المأسورين خوفاً من نكث العهود والمواثيق المبرمة بينهم وبين المسلمين، وخوفاً



من حدوث فتنة أو ضرر من قبل النصارى المجاورين للمسلمين. وعندما علم المسلمون أن عدوهم المفسد قد استؤصلت شأفته فأصبحوا داعين لخليفتهم بالنصر والتمكين مستمسكين ببيعته التي أمر بها الدين. أما الروم فقد بلغهم الخبر ورأوا كيف يحفظ السلم عند المسلمين فاغتبطوا بذلك، وزادهم الأمر ارتباطا بالسلم حيث اختلط رعاتهم برعاة المسلمين، حتى غدا الفريقان يَرْعَوْنَ في مرعى واحد.

ويبدو من مضمون الرسالة أيضا أن الوالي يخبر الخليفة بما لديه من معلومات عن النصارى، وأنه علم بواسطة جواسيسه بأن «ابن الرنق» و«صاحب ليون» قد تعاقدوا بينهما على السلم، وقد اختلف الناقلون في أمدها ومدتها. كما أنه يحذر الخلافة العلية من نكث النصارى لعهودهم، وذلك حينما علم بأن «ابن الرنق» كان يود توجيه رسوله إلى الحضرة عندما علم بأن «اذفونش» كان قد عزم على إرسال «ابن حريق» رسولا إلى الحضرة نفسها، فلما تخلص الثاني عن عزمه تبعه الأول؛ وهذا أمر معهود من النصارى وهو من خداعهم ومكرهم كما يقول صاحبُ الرسالة.

الرسالة الثانية عشرة: تعد هذه الرسالة أول رسالة مؤرخة حيث ذكر في ختامها أنها بعثت إلى الحضرة في 20 صفر سنة 611 هـ ويفهم من خلال سياق هذه الرسالة المؤرخة أن أحوال جهة إشبيلية كانت سيئة اقتصاديا بسبب ندرة الطعام وقلة الدقيق، وأن الناس كانوا يشتكون من هذا الأمر فكانت الحضرة الإمامية تزودهم بالأقوات بين الفينة والأخرى، تفاديا للضرر الذي قد يحدث بهذه المنطقة واستجلابا للنفوس والقلوب. ويبدو من سياقها كذلك أن الجانب السياسي كان حسنا وذلك بسبب الصلح الذي كان قد أبرم بين المسلمين وبين النصارى، وبسبب الهدنة المعقودة بين الجانبين مما طمأن نفوس الرعايا القاطنين بهذه الجهة، لا فرق في ذلك بين سكان الثغور أو سكان المواسط.

الرسالة الثالثة عشرة: يفهم من سياق هذه الرسالة أن الخليفة كان قد أنعم على والي إشبيلية وعلى أبنائه بنعم كثيرة وهو يشكره على التنويه والتقدير الذي لقيه منه،



كما يفهم من مضمونها أيضا أنه كان قد وقع خلاف بين والي إشبيلية وبين بعض سكانها، الذين حاولوا الخروج عن طاعته وتعكير صفو الجوبينه وبين الرعية في هذه الجهة، وقد تألم الخليفة حينما علم بذلك فتوعدهم وهددهم تأنيسا لواليه إبراهيم وتسكينا للنفوس والقلوب، مما جعل الوالي المذكور تطمئن نفسه ويقر قراره ويقدم شكره للخليفة.

الرسالة الرابعة عشرة: مما لا شك فيه أن المراسلات التي كانت تدور بين حضرة مراکش وولاية الأقاليم، كانت مضامينها تختلف بحسب المناسبات والوقائع والأحداث، يتبين ذلك من هذه الرسالة التي يستفاد منها أن والي إشبيلية كان قد علم بواسطة كتاب الحضرة بتردد الموحدين وخروجهم إلى المغرب الأوسط، لتأسيس الرعايا والبحث عن شؤونهم وقضاياهم، وتلك كانت عادة الموحدين في العناية بمناجح الأمور والالتفات لمنافع العباد والبلاد، لأنهم مختصون بالعدل والإحسان والفضل والجود والكرم والامتنان وحسن الرأي المبني على هدي القرآن والسنة، وذلك يدعوهم لكي يحوطوا الرعية ويكلاؤهم بأعينهم لأنهم أمانة لديهم.

ويفهم من سياق الرسالة كذلك أن هذه الرحلة الموحدية كانت موفقة، وأن أولئك الذين خرجوا لتفقد أحوال المغرب الأوسط قد عادوا إلى أوطانهم وأوليائهم المشتاقين إلى رؤيتهم. وتَجَمَّعُ الرسالة بين الإخبار والدعاء للحضرة وأوليائها الذين سهل الله عودتهم فرجعوا مصاحبين بالسعد والظفر في أمورهم.

الرسالة الخامسة عشرة: يفهم من سياق هذه الرسالة، أن الخلافة الموحدية قد عرفت خلال عهد «المستنصر» بعض المناوئين بالمغرب الأقصى ممن نكثوا ببيعة الخليفة وادعوا لأنفسهم⁽¹⁾، ولا شك أن هذا الداعي هو الذي ظهر ببلاد جزولة سنة 612 هـ، حيث انتسب إلى الفاطميين وادعى أنه من ذرية أبي عبد الله الشيعي، وقد

(1) البيان المغرب «قسم الموحدين»، ص: 266.



تمكن الخليفة الموحيدي بواسطة أنصاره أن يقضي على دعوته، فقتل وعلق رأسه على باب فاس كما يقول ابن عذارى⁽¹⁾.

والرسالة التي كتبها إبراهيم للحضرة، تبرز أن الخليفة كان قد أخبره بما حدث وطلب منه أن ينشر الخبر بين رعاياه بالأندلس، حتى يكونوا على علم بما جرى ويجددوا بيعتهم للخليفة. ومن مضمون الرسالة يفهم أيضا أن إبراهيم كان قد بثَّ البشري في أرجاء البلاد كلها، حتى تعم الفرحة والمسرّة جميع الناس القاصي منهم والداني، ويأخذ الجميع من فهم معانيها والابتهاج بما تضمنه سعد الخلافة من الخير الجزيل فيها، ليزداد الذين آمنوا إيماناً ويشاهدوا نور الحق عياناً.

الرسالة السادسة عشرة: بعد مقدمة مسهبة في الدعاء للحضرة الإمامية يخلص الكاتب إلى الموضوع الرئيسي، حيث يخبر والي إشبيلية خليفته بمراكش بأن أحوال جهاته ترتع من الخيرات في جميع، وتقطف من المسرات كل شامل عميم، وأن الناس جميعاً يعيشون في أمن وأمان بفضل الهدنة التي تمد عليهم رواقها، وبفضل السعادة الإمامية التي تدلي لهم بحجتها وبرهانها وتقطفهم ثمر السرور المتزايد؛ ومما كان قد أثمره سعد هذه الخلافة ما وقع بين النصاري من الفتنة التي اضطربت نارها، وقد علم الوالي نبأ هذه الفتنة من خلال الكتاب الذي ورد عليه من مدينة «بطليوس»، فبعث منه نسخة إلى الخليفة ليبين له ما يدور بين النصاري من تناحر وتنافر وما يجري بينهم من شقاق، كما أخبر الوالي خليفته بابتهاج جميع المسلمين بالأندلس عند سماعهم هذه الأخبار.

الرسالة السابعة عشرة: يستفاد من مضمون هذه الرسالة أنه كان قد ورد على إبراهيم كتاب من الخليفة المستنصر، يتضمن بعض مصالح الرعية حيث يأمره بنقل العرب إلى الأماكن الخالية القصية، فتلقى إبراهيم هذا الكتاب بالتعظيم والشكر؛ وبادر إلى امتثال أوامره لأنه يرى أن ما تشير به الحضرة العلية هو الصواب، ولذلك

(1) البيان المغرب «قسم الموحدين»، ص: 266.



فهو لا يتجاوزه ولا يعدوه ومن ثمَّ فهو يعلم الخليفة بأنه قد أنفذ في الحين إلى «أبي العباس أحمد ابن عمر الصنهاجي»، للتشاور معه في هذا الأمر الخطير والاجتماع به من أجل التهاور حول هذه القضية الهامة، وقد لبى الشيخ المذكور ما طلب منه، وبعث برسالة جوابية إلى والي إشبيلية الذي أنفذ الأمر إلى حضرة مراكش ليقف الخليفة على مقتضاه.

وقد كتب البلوي عن والي إشبيلية مجموعة من الرسائل، كان قد بعثها إلى بعض وزراء الدولة الموحدية، الذين كان لهم شأن كبير ودور خطير في تسيير السياسة الموحدية ومن هذه الرسائل:

الرسالة الأولى: لم يفصح البلوي عن الوزير الذي بُعثت له هذه الرسالة، غير أن مضمونها يتلخص في كون أن إبراهيم يخبر هذا الوزير عن أحوال جهاته التي ظهر صلاحها وتساوى في الأمان والدعة ليلها ونهارها، وأن البلاد مطمئنة هادئة وأصول البركة الإمامية ثابتة وفروعها عالية باسقة، وسعادة الخلافة ترسل النعم على العباد، فلا عين لعييدها إلا وهي قريرة ولا نفس إلا وهي مسرورة. ويخبر والي المذكور الوزير السالف الذكر بأن الزرع قد بسط الله الآمال بكثرته وصلاحه في هذه السنة، وأعطى الله منه للناس حظاً وافراً لأنهم كانوا قد استكثروا منه في كل مكان، وأنفقوا في سبيل صلاحه ورعيه كل ما لديهم من غال وكُل ما عز وهان، وتنافسوا في ذلك تنافس الوثائقين فتملأ بهم السهل والجبل، وكان من صنع الله الجميل أن جادهم الله بالغيث المدرار، فبدت الأرض في زي حسن يسر الناظرين جمالها، وذلك بفضل بركة الخلافة السعيدة ويمنها وسعادة مقامها.

الرسالة الثانية: كتبها إبراهيم إلى الشيخ أبي سعيد بن أبي محمد بن أبي إسحاق الذي كان قد وصله كتاب منه يأمره فيه بما يلي:

مخاطبة «كومية» بكتاب عزيز وأن يحضروا لقراءته وأن يحملوا على اتباع ما فيه من مقاصد. وهذا الكتاب لم يصل لوالى إشبيلية إلا وهو مفوض الختام، وقد زعم



مزوارهم أي رئيسهم أنه قد قرأ الكتاب عليهم، وأن ذلك يغني عن إعادته قراءته عليهم مرة ثانية، فصنفه الوالي المذكور وأوضح له مقتضى الغرض الإمامي في جميع أنحاءه.

وقد أشار الوزير في كتابه المذكور إلى ضرورة تعاون «إبراهيم» مع الشيخ أبي عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن، واستشارته في كل الأمور التي تهم تسيير شؤون البلاد.

ويفهم من مضمون الكتاب أيضا أن الخليفة كان قد أنعم على إبراهيم بفائدة السهم الذي يوجد بمخازن إشبيلية، ولا شك أن الشيخ أبا عبد الله المذكور آنفا هو الذي كان أمينا على هذا المخزن، حيث نجد الرسالة تذكر أنه هو الذي خوطب في هذا الشأن.

ومما أخبر به الكتاب أيضا تعيين القاضي أبي الحسن علي ابن أبي القاسم بن المَالِقي قاضيا على مدينة «شريش»، ويبدو أنه كان قد نحي من منصبه أو أقيـل منه، فتوسط له الشيخ المذكور لدى الخليفة فأعاده لمنصبه؛ يتجلى ذلك واضحا من مضمون الرسالة وأسلوبها.

الرسالة الثالثة: بعد مقدمة مسهبة في الدعاء للحضرة والسلام عليها وشكرها وشكر نعمها والتضرع إلى الله في مجاراتها، يخلص الكاتب إلى الموضوع الأساس حيث يخبر بعض وزراء الدولة الموحدية بعودة الوفد الذي كان قد ورد على الحضرة، وبأن جميع أعضائه يجددون شكرهم وامتنانهم للخليفة الذي أسبغ عليهم من نعمه ما لا يعد ولا يحصى.

الرسالة الرابعة: كتبت هذه الرسالة لوزير موحدي لم يفصح البلوي عن اسمه، وهو يخبره بوصول كتابه -صحة كتاب الخليفة - الذي يبشره فيه بإنعام الخليفة على ابنه بتقدمه على مدينة «بطلوس» وسائر ثغرها الجوفي، مطالبا إياه أن يمثل الأمر المطاع وأن يذهب على الوجه الذي يرضي الله والخليفة؛ ويظهر من جواب إبراهيم أنه كان قد تلقى هذه النعمة بالشكر والامتنان، وأنه قدم لولده من الوصايا



والنصائح ما يجعله أهلاً لتحمل المسؤولية التي كلف بها، خاصة وأن الإمام كان قد طلب من القائمين على إشبيلية وشؤونها، أن يمنحوه مرتباً مساوياً لمرتب إخوانه الذين سبقوه في هذا المنصب.

الرسالة الخامسة: بعد المقدمة التقليدية في الدعاء للخليفة بالنصر والتأييد، يخلص الكاتب «البلوي» إلى الهدف الأساس من الرسالة فيقول:

«لقد ثبتت سعادة الخلافة الإمامية وامتد شأوها، وغدت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. وقد طلعت في سماء السعادة الإمامية بشرى كانت من أعظم البشائر، وذلك بما كان من الفتح المبين الذي أشرق به وجه الإسلام، وذلك بما بلغني من خبر موت صاحب قشتالة». وكان قد تقدمته مسرة أخرى وبشرى عظمية ألا وهي هلاك «دياقه لبس» رئيس خُدّام الملك المذكور، والذي كان يعتد به اعتداده بساعده وعضده. ثم يبين والي إشبيلية للخليفة الموحيدي ووزيره أن هذا الخبر الذي بَشَّرَهُ به لا يشك في صدقه ولا يمتري في شأنه، حيث وصلته مخاطبات في هذا الشأن من حصون شتى وجهات متعددة.

الرسالة السادسة: بعد مقدمة قصيرة - على غير عادة البلوي - في الدُّعَاءِ لِلْحَضْرَةِ الإمامية وشكر نعمها وآلائها، يتبين من سياق الرسالة أن والي إشبيلية كان قد وصله كتاب من أحد الوزراء الموحيدين، يدعوه فيه إلى الاعتناء بمحتسب كان قد عين بهذه المدينة، ويلتمس من الوالي أن يدفع له مرتبه الذي يستعين به على تسيير أحواله وشؤونه. وقد نفذ الوالي ما أمر به وبعث رسالة جوابية في هذا الشأن.

الرسالة السابعة: بعد مقدمة قصيرة في الدعاء للحضرة وإبراز ما لله من عناية بها وتكفل بتسيير شؤونها، يخبر والي إشبيلية وزراء الحضرة الإمامية أنه قد وفد نصراني من بلده فأنبأه بما يجري بين النصاري، وبالرغم من أن الرسالة لا تفصح عن الأنباء التي ورد بها هذا النصراني، فسياقها يدل على أنه بشر المسلمين بالخلافات الحادة، والصراعات الواقعة بين «صاحب قشتالة» و«صاحب ليون».



الرسالة الثامنة: بعد مقدمة مسهبة في الدعاء للحضرة الإمامية وشكرها وإبراز ما أنعم الله عليها وما صنع لها من صنع جميل، يخبر والي إشبيلية الخلافة الموحدية العلية بالبشرى التي عمت الأندلس، حينما علم الناس بقتل الشقي الذي لجم «بجزولة»⁽¹⁾ وقد كان الأندلسيون يعلمون علم اليقين بصحة هذا الخبر عن طريق العقل، فأرادوا التأكد منه عن طريق النقل، ولما ورد الخبر بذلك وتواتر بواسطة مراسلة الحضرة، تأكدوا من صحته واستبشروا به وزادهم إيماناً بالبيعة الميمونة. وكان من السعد الذي أشرقت آياته وظهرت علاماته أن وصل الكتاب ليلة الجمعة، فتمم الله بذلك فضل هذا اليوم حيث جمع الأمة من الحواضر والبوادي لسماع البشرى وحشرها في الجامع الكبير في يوم مشهود، فضج الناس بالدعاء والشكر عند سماع ما تضمنه الكتاب وطار بهم السرور، وتيقن الجميع أن الله ينصر أنصاره، ويخذل من ناواه ويأخذ منهم ثأره؛ ثم احتفل الناس بهذا اليوم وكان أول من سبق لذلك جماعة الموحدين ثم تلاهم جماعة أهل الأندلس على اختلاف طبقاتهم. ثم يسترسل البلوي في إبراز غرور ذلك الشقي الذي قابل القدرة الإلهية بعناده وعتوه، فأعجزته وشك في أمر الموحدين، والشك في أمر دعوتهم يقابل شك الإنسان في وحدانية الله وذلك أمرٌ مُحال.

وينتهي الرسالة بإخبار الوزير بأنه قد بعث الكتب بهذا الفتح العظيم إلى جميع الجهات الأندلسية، فعمت البشرى كل ثغر وحصن وحلت على القريب والبعيد، وتيقن الناس بأن الدعوة المهدية في ظهور مستمر إلى يوم القيامة والنشور، ويختم الرسالة بالدعاء للحضرة الإمامية في أن يضاعف الله سرورها وأن يكسر شأفة عداها.

بالإضافة إلى تلك الرسائل الواردة في مخطوط أستاذنا محمد المنوني والتي سبق أن لخصنا بإيجاز مضامينها، نجد البلوي قد كتب مجموعة أخرى من الرسائل عن والي إشبيلية تهم سياسة الدولة الموحدية، سواء تعلق الأمر بالسياسة الخارجية أو

(1) البيان المغرب، ص: 266.



بالسياسة الداخلية. ومن هذه الرسائل تلك التي كتبها من إشبيلية عن إبراهيم إلى القمط اربل بن القمط نونه، وهو يخبره فيها بوصول رسوله أبي الحجاج بن مزاح مع أبي اسحاق ابن الفخار، وقد تعرف ما عنده من موالاة للموحدين والاستناد إليهم، وأنه قد طلب منه الاعتناء بمبعوثه والاهتمام به، فأجابه إبراهيم بأنه كان سيفعل ذلك ولو لم يوصه بالأمر، لأنه يرفع المودة ويحفظ العهد وتلك عادته وجبلته. وعليه فإن رسوله سيكون مكرماً أثناء مقامه وسيعتني به أشد الاعتناء حتى يعود إلى وطنه.

ثم كتب البلوي عن إبراهيم أربع رسائل وجه اثنتين منها إلى كل من الشيخ أبي سعيد بن أبي محمد والقائد أبي القاسم بن مثنى، واثنتان لم يذكر لمن بعثهما ولعله كان قد أرسلهما إلى الخليفة الموحي المستنصر⁽¹⁾.

وهو في هذه الرسائل يعرض لجانب من الجوانب التي تهم الأوضاع السياسية في عصر الموحيين، والعلاقة التي كانت تربطهم بالأندلس وما كان يجري على يد مجموعة منهم في هذه البلاد من اعتداء وظلم وفساد. ويبدو أن أهل «كومية» الذين كانوا قد انتشروا بالأندلس خلال هذه الفترة، وبخاصة في إشبيلية وما جاورها من مدن وقرى وأرياف، كانوا قد أطلقوا أيديهم في الفساد وأربوا الناس واضطهدوهم تارة بالتخويف وتارة بالاستغلال البشع، مما دفع الأندلسيين إلى رفع شكواهم إلى الخليفة يعبرون فيها عن الظلم الذي اعتراهم والرعب الذي هالهم.

وقد بلغتنا رسالة واحدة كتبها البلوي عن وال آخر من ولادة الموحيين هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد المومن، وكان والياً بجيَّان وصَحْبَةُ الْبَلَوِيَّ إلى هذه المدينة، وكتب له مدة إقامته بها ويبدو أن ذلك كان حوالي سنة 607 هـ.

ويبدو من سياق الرسالة أن أبا زيد كان قد بعث هذه الرسالة إلى ملك «قشتالة وطيطة وغشكونية»، يخبره فيها بالعهود المبرمة بينه وبين الموحيين، تلك العهود

(1) البيان المغرب، ص: 263.



التي يجب المحافظة عليها والوفاء بها، ويحق العقاب على كل من قدح فيها أو اعتدى عليها.

ولكن المسلمين علموا أن عددا من خيل النصارى ورجلهم قد ضربوا أحواز «شقورة» وغيرها من الحصون التي تعود إلى «جَيَّان»، وأخذوا عددا من أسارى المسلمين ودوابهم مع جملة من البقر والغنم، وعاثوا في هذه الجهات فسادا مجاهرين بالمفاتنة مشعلين نار المحاربة، كأنهم ليس لهم ملك يحكمهم فيخافون منه أو يستحيون.

ثم يقول البلوي مذكراً المكتوب له: «وقد علم المسلمون أن أصحاب هذه الفعلة هم من رجالكم وَقَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّهُمْ مِنْ أَرْغُونٍ غير سائغ لأن الأرض التي دخلوا منها هي أرضكم. وقد كشفنا بالبحث عن حقيقة الفاعلين فوجدنا أنه لم يكن فيهم من «أرغون» إلا نحو خمسين فارسا خاصة، وسائر المئين من الرجالة والفرسان وذلك نحو 1400 راجل و 150 فارسا إنما كانوا من بلادكم. ونحن إذ نكاتبكم في هذا الشأن نود أن تعرفونا بالأمر فإما أنكم ما تزالون على شرط السلم فيحافظ عليها من الجانبين، وإما أنكم نكتتموها فنرفع الأمر للحضرة في هذا الشأن».

تلك هي الرسائل الرسمية التي وصلتنا وهي كما يبدو صادرة في عمومها عن والي إشبيلية أبي إسحاق إبراهيم الأحول، الذي كان يخبر مراکش بما يجري في الأندلس من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية. وقد كشفت الرسائل التي وصلتنا في هذا الشأن عن بعض القضايا الهامة التي يستحق للدارس أن يتعمق في بحثها، بموازنتها مع ما ورد في بعض المصادر العربية أو المسيحية.

❖ رسائل البلوي الإخوانية:

كان البلوي شديد الارتباط بأصدقائه وإخوانه، محبا لهم، عاطفا عليهم، مقدرا لعلمهم وأخلاقهم، مستفيدا منهم، لا يتوانى في مكاتبتهم والاستشارة معهم في قضاياهم



وشؤونه، وقد عثرنا له على مجموعة من الرسائل الهامة التي تبادلها مع إخوانه وأصدقائه، أغلبها موجود في كتاب العطاء الجزيل⁽¹⁾. وقليل منها ذكره ابن سعيد في كتابه اختصار القدر المعلى⁽²⁾. وهي تتناول موضوعات مختلفة وأغراضا متنوعة مما يتناسب وهذا اللون من التعبير؛ وهكذا نجد البلوي كتب في الاستهداء والتعازي والوصف والشكوى، وغير ذلك من الموضوعات التي سنتحدث عنها أثناء تحليل مضامين هذه الرسائل.

ويمكن تصنيف رسائل البلوي الإخوانية من حيث أغراضها إلى رسائل:

❖ الإهداء:

كتب البلوي رسالتين يطلب فيهما من إخوانه وأصدقائه أن يزودوه بما لديهم من نثر وما يملكونه من فن القول. الأولى لم يفصح لمن كتبها والثانية ذكر أنه بعثها إلى شيخه «أبي عبد الله بن عياش».

افتتح البلوي رسالته الأولى بإبراز قيمة الهدايا المتبادلة بين الناس، مبينا أن خير ما يهديه الأديب لصديقه هي قراطيس الأدب ذاكرة أنه قد سمع بغزارة طبع صديقه وذلاقة لسانه وحسن بيانه، فأبدى رغبته في أن يبعث له من كلامه شعرا كان أو نثرا، شاكرًا له على تفضله بذلك.

أما التي بعثها لشيخه ابن عياش فقد ذكر أنه اجتمع مع بعض طلبة الأندلس، وجرت بينهم مباراة في التفضيل والترجيح بين كُتَّابِ زمانهم، فأبدى كل واحد منهم رغبته في تفضيل من يرى أنه أحق بذلك ولم يصدق أحد منهم بتبريز «ابن عياش» في ميدان النثر والكتابة، ولهذا طلب البلوي منه رسالتين ليستدل بهما على رسوخ شيخه في فن الكتابة، وسبقه في ميدان النثر وليقيم الحجة على مناوئيه ومُنافِسيه.

(1) العطاء الجزيل، صفحات متفرقة، 37 - 41 - 170.

(2) اختصار القدر المعلى، ص: 122 - 123.



وكتب عنه وعن صديقه الشيخ أبي القاسم بن حسان⁽¹⁾ الكلبي رسالة في نفس الموضوع، إلى «أبي زيد عبد الرحمن ابن يخلفتن الفازازي»، يطلب منه أن يبعث لهما موشحة من سبعة أبيات بعدما علما بوجودها لديه، وتشوقا إلى الاطلاع عليها ورغبا في اقتنائها.

ولما بلغت الرسالة إلى «أبي زيد الفازازي» أجاب البلوي وصديقه معذرا عن ذلك برسالة مطولة فما كان من البلوي إلا أن رد عليه برسالة أخرى ملحا في طلب الموشحة، ويبدو من خلال هذه الرسالة، أن البلوي كان معتزا بصديقه مفضلا إياه معترفا ببراعته في البلاغة والبيان مميزا له عن باقي كتاب عصره؛ ومن ثم فقد أتت الرسالة مشحونة بأوصاف دقيقة لشخصية الفازازي الأدبية.

❖ الإسعاف:

كتب البلوي في هذا الشأن رسالة عن الفقيه «أبي الحسين همام» إلى «أبي محمد بن الخليفة المنصور». وهو بعد مقدمته التقليدية التي يفتتح بها رسائله وبعده الإطراء المتزايد للمكتوب له، وإبراز ما قدمه «الفقيه» من خدمة للحضرة الإمامية يخلص إلى الغرض المطلوب، حيث يفصح بأنه يتضرع إلى أبي محمد بأن ينعم على الفقيه المذكور بمكان لم يذكر اسمه في قرية من القرى القريبة من إشبيلية، وأن يتركه يستفيد منه ورغبته في ذلك أكيدة وثقته لإسعاف مولاه إياه سديدة، ويختم البلوي رسالته هذه بالسلام على الحضرة.

❖ الاستدعاء:

كتب البلوي رسالة إلى الشيخ القاضي العالم «أبي حفص عمر السلمي» يطلب لقاءه ليستشير معه في بعض أموره، ويسترشد برأيه ويستهدي بحسن بصيرته. ولعل

(1) التكملة، 1/ 116، الذيل والتكملة، 1/ 86 - 87.



البلوي كما يظهر من سياق الرسالة، كان قد عرض له مشكل طارئ فأراد أن يعرف رأي صديقه وشيخه في هذا المشكل الذي استعصى عليه حله وحده. وهو يطلب من هذا الشيخ تعجيل اللقاء إذ كان البلوي على أهبة السفر أثناء كتابة الرسالة.

وكتب البلوي في نفس الغرض رسالة عن الشيخ «أبي زكرياء ابن أبي الربيع» إلى الشيخ «أبي العباس بن أبي الغمر»، بمناسبة يوم عنصرة يستدعيه فيها لحضور الحفل البهيج الذي يقيمه أهل إشبيلية على الوادي الكبير. وفيها يخبر الشيخ أبو زكرياء صديقه بخروج الناس إلى شاطئ الوادي الكبير للمؤانسة، والاستمتاع بمشاهده الخلابة وأجوائه الساحرة التي تجمع بين طرفي نقيض، طرف الجد وطرف الهزل، فمن الناس من يقصد شاطئ الوادي للاستشفاء، ومنهم من يأتيه للتأمل والعبرة، ومنهم من يقصده لحضور مجالس اللهو. وهو يغري صديقه بالحضور إلى الوادي لكي يشاركه بهجته، خصوصاً وأنه يعلم امتلاكه لقبة مشهورة، تقوم على أساس المسرة وتفوق قصري الخورنق والسدير في حُسْنِهَا وبَهَائِهَا.

❖ العتاب:

كتب البلوي في هذا الغرض رسالة جوابية إلى صديق، كان قد بعث له يلومه اعتماداً على تَقْوُل بعض الوشاة. وقد حاول البلوي أن يبرئ نفسه من الاتهام الذي وجهه إليه صديقه، مبيناً أن الوشاة أرادوا تفريقهما وأن العداة حاولوا تمزيق حبل الصداقة المبرم بينهما، ثم يدعو صديقه إلى عدم الإصغاء لتلك الأقوال الكاذبة فما هي إلا أقوال زور وبهتان، كما يلتبس منه الرجوع عن رأيه الذي بناه على أحكام خاطئة. ويهيب به أن يدرك أن ولاءه وإخلاصه لا يفسدهما الباطل، وأن وده لا تغيره الشوائب ولا تطرأ عليه النوائب. وقد مزج البلوي في أسلوبه بين العتاب الخفيف والسخرية المغلفة، وذلك لأنه كان يقدر صديقه الذي بعث له هذه الرسالة.

ثم كتب رسالة ثانية يعاتب فيها عشيرته وأقرباءه بأنهم لم يكتأبوه منذ مدة طويلة، وقد صدرت منه إليهم مخاطبات متكررة ومراسلات متعددة، فما أجابوه «ولا سراً



عنه كربته بالرغم من أنهم يعلمون بغرته». ويظهر من سياق الرسالة أن البلوي كتبها لأهله من الصحراء المغربية، وأنه كان يشعر هناك بالوحدة والانفراد، كما كان يَشْعُرُ بالغربة والانقطاع، ولذلك فهو يعبر عن اشتياقه لوطنه وأهله وتطلعه إلى مراسلاتهم التي كانت تسري عن حزنه ووحدته. والبلوي بالرغم من عتابه العنيف لأقربائه، فإنه قد بين لهم أن وُدَّهُ ثابتٌ راسخٌ، مستشهدا بقول الشاعر:

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وُدٌّ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ

ثم كتب رسالة أخرى يجيب فيها صديقا له عاتبه على بعض كلامه، حيث يخبره بوصول كتابه الذي تلقاه تلقي المحب المكرم وتعلق بشكر أغراضه الجميلة، ثم يبرز له أن وده مرصوص البناء وأن ثناءه على معارفه لا يغيره تقادم الزمان أو بعد المكان، كما يذكر له أنه ندم على مخاطبته بشيء من الدعابة والهزل في الكتابة، ولم يدرك أنه يتألم لأدنى سبب يخاله قادحا في عود الصفاء بينهما، ويختم الرسالة بطمأنة صديقه الذي يدعوه إلى وجوب المحافظة على الصداقة التي تجمع بينهما، والتي يجب أن لا تنفصم عراها أو تنفصل.

ثم كتب رسالة أخرى لصديق له، يتبين من خلال سياقها أنه يضمّر له ودا وحبا بالرغم من محاولة الأعداء التفريق بينهما وبالرغم من بعدهما ونزوح شخصيهما، فالإخلاص لصديقه ثابت في قلبه راسخ في اعتقاده، لكنه مع ذلك يعاتبه على سفره دون إخباره فلم يقض ما عليه من واجب بتوديعه ومصافحته.

ويكتب رسالة أخرى يعاتب فيها شخصا اسمه أبو عبد الله، كان قد شارك الكُتَّابَ في مهمتهم فأبى إلا أن يَشْمَخَ بأنفه ويزهو بنفسه؛ فكتبه البلوي محاولا أن يحد من شموخه هذا، وأن يرده إلى أصله داعيا إياه بأن يتواضع في سلوكه وأن يلتزم بأدب المكاتب.

وكتب رسالة إلى صديقه أبي عبد الله بن مَهْيَب⁽¹⁾، الذي كان قد خاطبه برسالة تبين له من خلال فصولها أنه يعنفه، ولم يكن سبب ذلك سوى تأوله لألفاظٍ صدرت عن

(1) التكملة 2 / 658، الإحاطة 2 / 418.



البلوي في رسالة سابقة كان قد بعثها له. وهو يبين لصديقه أنه كان من الواجب عليه أن يأخذ تلك الألفاظ على محملها الأصلي، وأن يحمل المعاني على دلائلها الأصلية؛ لأنه يعلم مقدار حبه له، وتقديره إياه، ويدرك أنه ينزّه عن الشيم التي لا تليق به، ويعتقد كل الاعتقاد أنه الصديق حقاً ولكن ظنه خاب فيه حينما جاهره بالحرب الكلامية، فأبى أن يكيل له من صاعه مفضلاً تحمّل ما صدر عن صديقه في حقّه من لومٍ وعتابٍ، والرسالة مؤرخة بـ سنة 603 هـ.

❖ التعازي:

كتب البلوي في هذا الغرض رسائل متنوعة، وأول رسالة عثرنا عليها في «العطاء الجزيل» هي التي كتبها في تعزية أبي إبراهيم بن الناصر⁽¹⁾. وفيها يذكر ما أصاب الناس من حزنٍ على فقدّه وتفجع على موته وتأثّر لفقدانه، غير أنه إذا كانت الموت غاية كل حي، فإنه من واجب اللبيب الأريب أن يتسلح على ذلك بالصبر والسلوان.

أما الرسالة الثانية فقد كتبها عن والي إشبيلية «إبراهيم»، يعزي الحضرة الإمامية في القائد ابن مثنى الذي كانت له خدمة مشكورة في ظل الدولة الموحدية وسوابق كريمة في عهدها، وهو يبرز حزنه الشديد على فقدّه وتأثّر العميق لمفارقته.

وبعد وفاة سيده «أبي إسحاق إبراهيم الأحول»، كتب البلوي نيابة عن ولده عثمان رسالة إلى الحضرة الإمامية، يخبرها فيها بتاريخ وفاته، ويعرفها بما حدث وذلك بعيد انفضاض الناس من دفنه. ويبدو من خلال الرسالة أن ابن الفقيد كان يتطلع إلى خلافة والده على ولاية إشبيلية، يتجلى ذلك من خلال أسلوب الإطراء المتزايد الذي حلّى به الخليفة، والأوصاف التي منحه إياها وعبارات الشكر التي عبّر بها.

وقد بعث «عثمان» السالف الذكر في نفس الوقت رسالة إلى الشيخ أبي سعيد يخبره بوفاة والده إبراهيم، الذي كانت تربطه به رابطة قوية من الود والصدقة

(1) البيان المغرب، ص: 266.



والإخلاص، معلما إياه بأنه سيسير على سنن أبيه في المُواَلَاةِ للحضرة والاعتماد على أوامرها العلية. وكتب البلوي رسالة إلى صديقه أبي مروان الباجي يعزيه في وفاة أخيه أبي عبد الله⁽¹⁾، وقد افتتحها بقصيدة طويلة عبر فيها عن وفائه للمُعَزَّى وتأسّفه وحسرتَه على المُتَوَفَّى؛ مذكرا بالمصائب الدنيوية التي تحل بالناس، ومعلما بأن مآل كل حي إلى فناء وأن الدنيا لا تهب إلا ريثما تأخذ ولا تَسُرُّ إلا ريثما تُحْزِنُ؛ ولذلك فعلى الإنسان أن يتسلح بالصبر والتقوى للتغلب على كوارث الدهر ومصائب الزمان.

ثم كتب البلوي بعد ذلك فصلا من تعزية السيد «أبي موسى» في وفاة ولده «أبي محمد». وقد استهل البلوي الرسالة بأبيات شعرية، مدح فيها «أبا موسى» ثم تعرض لمَنَاقِبِ المَيِّتِ الذي كان يتمتع بخصال حميدة، جعلت ذكره بين الناس مشهورا وأمره مذكورا، مما دفعهم إلى إسالة الدموع عليه حسرة وأسى، بحيث لم يطيقوا صبرا على فقدته، ولم يُعَزِّهِمْ فيه سوى ما رأوه من وفاة سيد الأنام محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولعل أهم الرسائل التي كتبها البلوي في هذا الغرض هي التي صدرت عنه في حق ولي نعمته، أبي إسحاق إبراهيم الذي كان قد توفي سنة 612 هـ. وقد خلد البلوي ذكره بمجموعة هامة من رسائل التعزية، عبر فيها عن حزنه العميق ولوعته الشديدة التي اعترته بعد فقدانه فقد كان له خير سند ومعين؛ وبفقدته فقد كل شيء فأضحت حياته مضطربة بعد أن كانت مستقرة بجانبه.

❖ الوصف:

يَذْكُرُ البلوي أن أول رسالة كتبها في حياته هي هذه وكان ذلك سنة 594 هـ حيث لم يتجاوز عمره الثامنة عشرة، وقد كتبها في وصف مجلس ضمه مع أصدقائه وكان قد حضر فيه شيخه وأستاذه أبو عبد الله ابن عيَّاش⁽²⁾؛ كاتب الخلافة الموحدية.

(1) الذيل والتكملة 5/ 2- 686.

(2) المصدر السابق، 6/ 384.



وهو يصف في هذه الرسالة كُلَّ ما دار في هذا المجلس الرائع الذي كان قد أقيم بجانب كنيسة الماء، كما يصف المكان الذي يتميز بعذوبة مائه وصفاء هوائه، ثم يعرج على وصف ما دار في هذا المجلس من أكل وشراب؛ ويخلص بعد ذلك إلى الحديث عما جَرَى بين الإخوان من حوار كان واسطة العقد فيه «ابن عياش» الذي كان يجاذبهم بحديث عذب كشهد النَّحْلِ، ويلقي عليهم من بديع كلامه شعرا ونثرا ما هو كالسحر أو أدق؛ ولقد رام البلوي تشبيهه فما وجد له شبيها ولا مثيلا. ثم يخلص إلى وصف كنيسة الماء وبروجها المرتفعة التي تطاول السماء، وحصونها الدالة على علوها وشُمُوخِها مما جعلها تقف أمام الأعداء صامدة، فلم تتناولها يد الخطوب ولا طمع فيها أي واحد ممن أشعل نار الفتنة والحروب.

أما الرسالة الثانية التي كتبها في هذا الغرض فهي التي يصف فيها رمانه، وقد أنشأها البلوي بتكليف من شيخه ابن عياش بمحضر جماعة من أصدقائه، وهي من الرسائل المرتجلة مما يدل على قدرة البلوي وتمكنه من فن القول؛ ولعل أستاذه ابن عياش كان يمرنه على ذلك حتى يتمكن من ولوج باب الكتابة الرسمية.

وقد أجاد البلوي - وهو بعد صغير السن - في وصف هذا الفاكهة الطيبة، التي كانت بساتين الأندلس عامة وإشبيلية خاصة تزخر بها. وقد شبهها البلوي تشبيهات دقيقة فهي كحق بلور مملوء بياقوت، أو نهود عذارى لونها لون المرجان الأحمر؛ وهي قد غذيت بنمير الماء وريبت بنبية الهواء. ثم يختم الرسالة بقصيدة شعرية في وصف الرمانه نفسها. وقد جمع البلوي في رسالته الوصفية بين الشعر والنثر مما يؤكد قدرته على الإبداع في الفنين معا.

وآخر رسالة له في هذا الغرض هي التي أنشأها في وصف حال فقيه من قراء كتاب الله، أصابه ضيق وضرر بسبب وجوده في مكان أهله ضعاف الدخل، لا يستطيعون دفع مرتبه. وقد شرح البلوي - بطريقة دقيقة - حال هذا الفقيه الذي يملك قدرة فائقة على إقراء القرآن الكريم وتجويده، ولكنه قد يتخلى عن ذلك بسبب قلة ذات يده.



ويلتمس البلوي من الخليفة الموحي أن يساعده على الاستمرار في مهمته ووظيفته، وأن يخصص له مرتباً يعول به أبناءه ويسد له حاجاته.

تلك هي رسائل البلوي في جانبها الرسمي والإخواني، وهي تتميز بتنوع موضوعاتها ومزجها بين السجع والكلام المرسل الخالي من الصور البلاغية. غير أن ما تتميز به تلك الرسائل، هو التعبير عن الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تسود الأندلس في مراحل تاريخية متعددة.

❖ مؤلفات البلوي:

كانت ثقافة البلوي متنوعة المشارب متعددة النواحي، غير أنه اشتهر بتفوقه في علمي الحساب والهندسة باعتبارهما العلمَانِ اللّذان يُستخدمان في عَقْدِ الشروط، وقد كان البلوي مُبرِّزاً في هذا الجانب، وكان قد أخذ هذه الفنون عن أخيه الأكبر أبي الحسن علي⁽¹⁾، كما أخذ عنه غير ذلك من العلوم، فاشتهر البلوي بالأدب وما يتصل به من عروض وقوافي، ولم يذكر كل الذين ترجموا له أو تحدثوا عنه شيئاً من مؤلفاته في النوع الأول من العلوم التي كان قد اشتهر بها، غير أنهم ذكروا بعض مؤلفاته في النوع الثاني وهي:

1- مختصر في العروض سماه «المقطوف من تدقيق الميزان لعلم العروض والأوزان»⁽²⁾.

2- مطول في العروض سماه «المعطوف من تحقيق العيان للفرش والمثال في غاية البيان»⁽³⁾، وقد ذكر البلوي أنه قصد بكتابه الأول فتح الباب للطلاب في هذا العلم، وأنه قصد بالثاني تمكين الأفهام وتحقيق الأحكام لمن أراد أن يتقن هذا الفن.

(1) صلة الصلة، ص: 130، برنامج شيوخ الرعيني، ص: 112، الذيل والتكملة 5/ 1 - 310.

(2) الذيل والتكملة 1/ 22 - 456.

(3) المصدر السابق.



3- وبما أن كل مؤلف في علم العروض لا بد له أن يشير إلى علم القوافي، فقد ألف البلوي في هذا الجانب كتابا سماه «المقتضب في القوافي»⁽¹⁾. اقتداء بهؤلاء المؤلفين وسيرا على منهاجهم.

4- ثم ألف البلوي مختصرا آخر في العروض سماه «عمدة الاقتصار وزبدة الاختصار». وكان البلوي قد ألف هذه الكتب العروضية جميعها تلبية لرغبة رئيس الطلبة أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن العراقي⁽²⁾. وذلك في عهد الخليفة المعتضد الموحد.

5- ويبدو أن البلوي كان قد شرع في أواخر حياته في تأليف كتاب أدبي هام، انتقى فيه الأشعار واختارها بحسب فنونها سماه «روض الأديب والمنزه العجيب» وكان يقصد أن يضاهي به كتاب «الحماسة المغربية» لأبي العباس الجراوي، غير أنه لم يكمل منه إلا نحو الثلث فعجز لكبر سنه عن إتمامه.

6- ونظم البلوي في صغر سنه مربعاتٍ بديعة، أكبرها تشتمل على ثلاثة وعشرين مربعا عرضا، وثمانية وعشرين طولا يتخرج منها نظم ونثر وموشحة وزجل، وكان قد خاطب بها جميعها صديقه أبا بكر محمد بن مفضل بن مهيب اللخمي⁽³⁾.

7- كتابه في فن الترسل الذي جمع فيه نشر طائفة هامة من الكتاب المشاركة والأندلسيين من معاصريه وغيرهم. وهو الكتاب الذي نقوم بدراسته وتحقيقه.



(1) نفسه.

(2) البيان المغرب، ص: 370-371، «مزار الطلبة» في عهد المعتضد.

(3) الإحاطة 2/ 418.



الْعِطَاءُ الْجَزِيلُ فِي كَشْفِ غِطَاءِ التَّرْسِيلِ

❖ اسم الكتاب:

يذكر البلوي أنه كان قد أطلق في بداية الأمر على كتابه اسم «تشبيب الإبريز والمزيد الأحق بالتبريز على ما جاء من الترسيل في كتاب ابن غمر المسمى بالوجيز»⁽¹⁾. ونحن نستشف من هذا الاسم أن مؤلفه ذكّل به كتاب «ابن غمر» وأنه لم يورد فيه من الرسائل ما ورد في كتابه تفاديا للتكرار، وتجنباً لإعادة ما ليس من حقه أن يعاد. ولا شك أنه بعمله هذا يكون قد وفى بالشرط الذي ذكره في صدر الكتاب⁽²⁾.

ثم ذكر البلوي أنه عندما انتهى من تأليفه واكمل بين يديه، رأى أنه قد فتح باباً جديداً في صنعة الترسل وأنه وَضَعَهُ لطلاب هذا الفن يستنيرون به ويسترشدون، فزاده درجة في التفضيل فسماه «الْعِطَاءُ الْجَزِيلُ فِي كَشْفِ غِطَاءِ التَّرْسِيلِ»⁽³⁾. وعلى هذا الأساس يكون لكتاب البلوي اسمان، وقد شبهه مؤلفه باختياره له هذين الاسمين بالثوب الذي يطرزه صاحبه برسمين⁽⁴⁾.

❖ بواعث تأليفه:

يقول ابن عبد الملك المراكشي⁽⁵⁾ أن البلوي جمع كتابه في الترسيل باقتراح من محمد بن عبد الرحمن بن سهيل القضاعي؛ وحينما أتمه رفعه إليه فأثابه عليه بمال جسيم وأثواب فاخرة. أما البلوي فيصرح أنه ابتداءً جمعه في شعبان سنة 610 هـ، وختمه في شعبان سنة 613 هـ، ولم يكن اشتغاله فيه خلال المدة المذكورة متصلاً بل

(1) الذيل والتكملة 1/ 1-455.

(2) انظر عنه مقال الدكتور محمد بن شريفة في مجلة الأكاديمية.

(3) العطاء الجزيل، ص: 381.

(4) المصدر السابق، ص: 381.

(5) الذيل والتكملة 1/ 2-455، و6/ 359.



كان مقطعا منفصلا، بسبب السفر والاغتراب أحيانا، أو بسبب ملل أو هم شاغل أو كسل أحيانا أخرى، ثم يذكر أن معظم ما في هذا الكتاب كان قد جمعه في الثمانية عشر شهرا التي استخدمه فيها أبو إسحاق إبراهيم⁽¹⁾ كاتبا بإشيلية، وحين علم بشروعه في هذا المجموع قوي عزمه على إنجائه وتأكد سعيه في إخراجه وإتمامه، غير أن القدر لم يمهل حتى يرى الكتاب قد أنجز، حيث توفي قبل أن ينهي البلوي كتابه.

وحينما علم الفقيه الطبيب الأديب أبو إسحاق ابن الحجر⁽²⁾ بخبر تأليفه للكتاب، وقع منه موقعا حسنا فحثه على إتمامه ووظف له ناسخا يستخرج منه كل جزء اكتمل. ويرى الدكتور إحسان عباس بناء على ما أورده ابن عبد الملك من خبر أن الكتاب قد مر بمرحلتين، فقد يكون البلوي كتبه أولا «لأبي إسحاق ابن الحجر» ثم صنع منه نسخة «لابن سهيل» أو العكس، وأرى أن هذا الاستنتاج قد يكون فيه بعض التمحل، فقد يكون البلوي شرع في تأليف كتابه باقتراح من ابن سهيل فعلا، وحينما أنجزه قدم له نسخة منه ثم قدم نسخة أخرى لابن الحجر فأجازه عليه وأثابه كما ذكرنا.

❖ منهجه ومصادره:

لم يذكر البلوي شيئا من منهجه ومصادره في النسخة التي بين أيدينا، ولعله يكون قد فعل ذلك في الجزء الأول، إذ عادة المؤلفين أن يذكروا شيئا من هذا القبيل في مقدمة مؤلفاتهم. وبما أن القسم الأول ضائع فإننا سنعتمد على تحديد شيء من ذلك بواسطة القراءة المتأنية التي قمنا بها للكتاب.

أما من حيث المنهج فإن البلوي قد بنى اختياراته التي أوردها في الكتاب على اعتبارين:

- 1 - اعتبار زمني.
- 2 - اعتبار فني.

(1) العطاء الجزيل، ص: 379.

(2) المصدر السابق، ص: 380.



أما من حيث الاعتبار الزماني، فإنه يبدأ الأبواب كلها بمختارات للأقدم زماناً فالذي يليه، ويفتح كل باب بذكر رجاله أولاً ثم يشرع في الاختيار مبتدئاً بالكُتَّابِ المشاركة ثم الأندلسيين، ويختم كل باب بجملة من رسائله. وقد اختار لنفسه منها مجموعة هامة لم نعثر عليها في مصدر آخر، مما يجعلنا نظمئن إلى أن دارس النثر في عصر الموحدين عامة ونثر البلوي خاصة لا يمكنه أن يستغني عن هذا الكتاب.

أما الاعتبار الفني، فيبدو من خلال الرسائل المختارة التي قدم البلوي من خلالها صورة حقيقية عن الأساليب الرفيعة التي تزخر بها الآداب العربية في المشرق والمغرب، وكذلك من خلال أعلام الكتابة الفنية الذين اختار لهم، حيث استقطب الكُتَّابُ جملةً هائلةً من الكُتَّابِ المشهورين في المشرق والمغرب، الذين ذاع صيتهم وانتشرت رسائلهم وكتاباتهم بين الناس.

أما المصادر التي اعتمد عليها فإنه أشار إلى شيء من ذلك في خاتمة الكتاب، حيث ذكر أن أبا إسحاق إبراهيم كان قد أخرج له من خزائنه «جملة من الرسائل الكبائر المذخورة عنده في الأعلاق والذخائر وأمره بإيرادها في أثناء أبواب الكتاب، حتى تحل الفرائد منها محل القلوب من الضلوع والأحناء»⁽¹⁾.

ولا شك أن الرسائل التي دفعها له والي إشبيلية كانت متعلقة بالمكاتبات الرسمية؛ أما الرسائل الإخوانية فقد اعتمد فيها على مراسلاته لأصدقائه، حيث كان يطلب منهم أن يزودوه بما لديهم من مكاتبات حتى يتمكن من إدراجها في كتابه، كما كان يستعير منهم المؤلفات التي تعينه على تحقيق ما يلبي رغبته في هذا المجال، كما عبر عن ذلك هو نفسه. ومِمَّا يُفِيدُنَا على أن البلوي اعتمد على بعض المصادر المشرقية التي كانت بين يديه ما أورده في الكتاب من رسائل لعبد الحميد الكاتب، تلك الرسائل التي لم ترد في مصدر آخر، وهذا يدل أيضاً على أن البلوي كان يملك نسخة

(1) العطاء الجزيل، ص: 380.



من رسائل عبد الحميد وأنه اعتمد عليها، كما اعتمد على شرح مقامات أبي القاسم الحريري للشريشي، وكتاب الذخيرة لابن بسام، ومجموع رسائل صفوان بن إدريس، وغير ذلك من مجاميع الرسائل والمصنفات الأدبية المشرقية والأندلسية، التي كانت تزخر بها مكتبته أو مكتبات أصدقائه الذين كان لا يتحاشى أن يستعير منهم كتباً للاستفادة منها والاعتماد عليها في تحرير مؤلفه.

❖ وصف النسخة الخطية:

النسخة الوحيدة التي نعرفها لهذا الكتاب هي المحفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط، وتحمل رقم 6148، ويقع الكتاب في 172 لوحة وهي مرقمة ترقيماً حديثاً يضاف إليها 23 صفحة أخرى وهي «الزوائد»، التي ألحقها المؤلف بأبواب الكتاب. وبذلك يصل مجموع لوحات النسخة إلى 205، وفي كل صفحة 31 سطراً، ومعدل الكلمات في السطر الواحد 15 كلمة. والنسخة مكتوبة بخط أندلسي دقيق حسن الضبط، ولكن الخط يتغير ويختلف في الصفحات: 81 إلى 98.

ولعل ما في هذه الأوراق كان قد رمم من قبل أحدهم، مما يدل أن للكتاب نسخة ثانية اعتمد عليها في هذا المجال غير أنها محجوبة عنا اليوم، كما أننا لا نستطيع تحديد الزمن الذي تمت فيه عملية الترميم.

والكتاب مقسم على أبواب النثر، ويبدأ الباقي منه بالبواب الخامس عشر ومعنى ذلك أنه قد ضاع منه 14 باباً، لعلها تكون الجزء الأول أو الجزأين الأولين من الكتاب.

أما الأبواب الباقية فهي:

1- الباب الخامس عشر:

- في الإهداء والاتحاف والاستزارة والاستجداء والاعتذار والإسعاف.

2- الباب السادس عشر:

- في العتاب والتفريع والذم والتشنيع.



3- الباب السابع عشر:

- في التعازي في أنواع المصائب والتفجع عند النوائب.

4- الباب الثامن عشر:

- في الأوصاف.

5- الباب التاسع عشر:

- في الهزل والمُدَاعِبَة والتهكم في المكاتبة.

6- الباب المو في عشرين.

- في العيون من سائر الفنون⁽¹⁾.

ثم يلي هذه الأبواب قسم خاص بالزوائد التي تلحق بأبواب الكتاب وهي خاصة برسائل موحدية، وهي كلها رسائل جديدة لم ترد في مصدر آخر من المصادر التي بين أيدينا، سوى رسالة واحدة وردت في المجموع الذي نشره ليفي بروفنسال⁽²⁾.



(1) عبد الحميد وما تبقى من رسائله، ص: 12.

(2) مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفي بروفنسال، ص: 85.



مضمون الكتاب: محاولة للتحليل

لم يحتفظ لنا الزمن من كتاب أبي القاسم سوى بجزئه الثاني الذي يتدئ من الباب الخامس عشر، وينتهي بالباب الموفى عشرين، الذي ألحق به بابا آخر عنوانه المؤلف «باب الزوائد»، جمع فيه مجموعة من الرسائل الموحدة خاصة، وهي من الرسائل المتعلقة بالفتوحات التي وقعت في زمنهم والإخبار بها، وهي موجهة إلى بعض الطلبة والأعيان والشيوخ والعامة سواء في المغرب أو في الأندلس.

ويستهل البلوي أبواب الكتاب بذكر الكتابِ أولا وتعداد أسمائهم، ثم يشرع في اختيار رسائلهم وتلك عادته في جميع أبواب الكتاب. وليس في الكتاب ما يدل على منهج المؤلف في الاختيار، غير أن قارئه يلاحظ أنه يقتصر في كل باب على أعلامه من المشرق والأندلس، معتمدا في ذلك على الترتيب الزمني أولا فهو يبدأ بالأقدم فالذي يليه، كما يلاحظ أنه يسلك في هذا الترتيب مسلكا فنيا معتمدا فيه على أهمية الرسالة شكلا ومضمونا.

وسنحاول من خلال قراءتنا للكتاب، أن نقدم نظرة موجزة عنه وعن مضامينه مقسمين الرسائل التي أوردها في كل باب إلى قسمين:

1- الرسائل المشرقية.

2- الرسائل الأندلسية.

• الباب الخامس عشر:

❖ الرسائل المشرقية:

افتتح البلوي هذا الباب بفصل من رسالة للحسن ابن وهب، يطلب فيها من أحد أصدقائه أن يكتبه ويزوده بما لديه من خطاب أو جواب أو مكاتبة. ثم أعقبها برسالة أخرى يعتذر فيها لأحد أصدقائه عن تخلفه من المجيء إليه، وهذا الاعتذار ناشئ من كونه لا يريد أن يكلف صاحبه ما لا طاقة له به.



ثم أورد رسالتين لأبي القاسم الهمداني صاحب المقامات، الأولى يطلب فيها من صديق له أن يجود عليه بمال كان في حاجة إليه، والثانية أجاب فيها صديقا له كان قد وبخه وعنفه فألأن له جانبه لأنه يتصف بالحلم والصبر، ويأمر صاحبه في ختامها بأن يتلطف في طلب حوائجه حتى تُقضى له.

ويختار بعد ذلك رسالة «لأبي الفتح ابن العميد»، يطلب فيها من أحدهم أن يزوده بالمدام في ليلة كان قد انتظم فيها مع أصحابه انتظام الثريا في السماء، ويدعوه أن يُعَجِّلَ بذلك وإلا أصبحت حاله كحال «بنات نعش» في التفرقة والابتعاد؛ والذي يلفت النظر في هذه الرسالة أن والد أبي الفتح وهو «ابن العميد» الكاتب المشهور، حينما علم بالأمر وقرأ الرسالة التي كتبها ولده سر بها ووقع له بمال كثير⁽¹⁾.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى اختيار رسالة لأبي إسحاق النيجرمي يصف قلما كان قد أهدها إلى صديق له يسمى أبو عمران ابن رياح، وقبل أن يدفع بالهدية إلى صاحبها أطنب الكاتب في وصف القلم المهدى، معتبرا إياه من الرسائل التي تجلب إلى الناس حِكَمَ الأولين ومشبها إياه تشبيهات دقيقة، وهو بإدراكه أن القلم وسيلة يجب أن تكون لدى الكاتب الممارس الفذ، وبما أن صديقه يتحلى بهذه الصفة فقد أثره به وفضله على نفسه، لأنه يدرك تمام الإدراك أن هذا القلم إن أهدها إلى صديقه، عاد إلى مَعْدِنِهِ كما يعود الدر إلى البحر أو الصدف المصقول إلى النحر.

❖ الرسائل الأندلسية:

اختار البلوي لمجموعة هائلة من الكتاب الأندلسيين في هذا الباب، ويفتتحه بالكاتب المشهور أبي حفص ابن برد الأصغر⁽²⁾. حيث يختار له ثلاث رسائل في موضوع واحد:

(1) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر 3 / 132.

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1 / 1 - 486.



- الأولى: في الاستزارة حيث يطلب من أحدهم أن يُقدِّم عليه في يوم كان قد اجتمع فيه مع أصدقائه يتنادمون ويستمعون للغناء والطرب.

- والثانية: تسير في نفس الاتجاه السابق حيث يطلب من أحد أصدقائه (أو صديقاته) أن يزوره بالليل، لأنه أخفى للزائر والمزور معا.

- وأما الثالثة: فيطلب فيها من صديق له أن يلتحق به إلى مجلس الأنس الذي عقده مع أصدقائه، وهو مجلس يتصف بالمرح والسرور ويتمتع فيه ابن برد وأصداؤه بالخمр والغناء، وهو مجلس يؤنس الموحش ويُطَيِّبُ نَفْسَ المهموم.

ثم يختار البلوي لأبي الوليد الحميري⁽¹⁾ فصلين من رسالتين، الأولى في وصف فصل الربيع وفيه يقدم الحميري تشبيهات دقيقة وأوصافا بديعة للزهور والرياحين. وأما الفصل الثاني فيجمع فيه بين الوصف لنور الربيع وطيب جوه، وبين طلب من أحد أصدقائه للحاق به من أجل تجديد أيام الأنس التي ذهبت وولت، تلك الأيام التي لا يروق مجتلاها إلا في جو الربيع.

ثم اختار رسالة لأحمد بن محمد بن حجاج بعثها لصديق عزيز عليه يذكره فيها بمحبته له، ويطلب منه أن يقبل هديته التي بعثها له مصاحبة مع تلك الرسالة.

ويختار لأبي محمد عبد الغفور رسالة وفصلا منها، وهو يُذَكِّرُ فيها صديقه بالهدية التي بعثها له ويعتبرها ليست بذات قيمة، ولكنها باعتبارها وردت من صديق ودود فإنه لا شك يتمنى أن يقتنيها ويدخرها، ثم يفصح بعد ذلك عن الهدية وهي عبارة عن قدر من السفرجل. وفي أثناء الرسالة وصف دقيق لهذا النوع من الفاكهة التي بعثت لهذا الصديق، ويختم الرسالة بالتعبير عن الود والصداقة التي تربطه بصاحبه ويتمنى له المزيد من التقدم والنُّصرة والجمال.

(1) البديع في وصف الربيع، ص: 36-39، والذخيرة 1/2-125.



ثم يورد البلوي رسالة «لأبي عبد الرحمن بن طاهر» وهو يعتذر فيها لأبي بكر بن عبد العزيز الذي كان قد زف ابنته إلى المستعين بالله، ويذكر أنه لم يتمكن من حضور الزفاف لأسباب قاهرة، ولكنه مع ذلك يذكر صاحبه بمقدار فرحته وسعادته بهذا النبأ، الذي سرى في نفسه سريان الماء الزلال في الأرض القاحلة، ويتمنى في الختام أن يقبل منه عذره.

وبعد ذلك يختار لأبي المطرف ابن الدباغ ثلاث رسائل:

- الأولى: يطلب فيها من صديق أن يبعث له خمرا، حيث لم يجدها في محلات الشراء وهو يَعْلَمُ أن صديقه يملك منها قدرا غير يسير، ولذلك فهو يطلب منه أن يهديه شيئا منها شاكرا إياه في ختام الرسالة.

- أما الثانية: فهي استدعاء لأحد أصدقائه إلى حضور مجلس أنس، وخلال الرسالة وصف دقيق لذلك المجلس، الذي جمع بين الأصدقاء الذين يتمتعون بالسماع للغناء وبتعاطي شرب الراح.

- والثالثة: في نفس الغرض السابق، حيث يفتتحها بوصف اليوم الذي اجتمع فيه الأصدقاء يتنادمون ويستمعون للغناء، ويلتمس من صديق له أن يحضر حتى تكتمل مسرة إخوانه بطلوعه عليهم، وهو عادة ما يثني على أولئك الذين يستدعيهم ويصف حالتهم النفسية.

ثم يورد لابن السقاط⁽¹⁾ رسالتين:

- الأولى: في وصف فرس كان قد أهده لأحدهم، وهو يصف خفة الفرس ونشاطه وسرعته مشبها إياه في ضموره بظبي وفي سرعته ببرق ملتهب، ويتمنى لصديقه أن يضمه إلى جياده التي يتخذها للحرب والطعان.

(1) قلائد العقيان، ص: 198-199.



- والثانية: يستدعي فيها أحد أصدقائه لمجلس أنس، وهو مجلس قد ضم جملة من الندماء الذين يستمعون إلى الغناء الحجازي، ويتمتعون بمعاقرة الكؤوس من أيادي سقاة كالظباء بهاء وحسنا، ويختمها بدعوة هذا الصديق إلى الحضور لأنه يرى أن أنس أصدقائه لن يكتمل إلا بوصوله.

ثم يختار رسالة لابن حسداي⁽¹⁾ يستدعي فيها «أبا عبد الرحمن بن طاهر» لحفل زفاف المستعين بالله، الذي كان قد تزوج بنت «أبي بكر بن عبد العزيز». وهو يصف من خلالها المودة التي كانت تربط بين الرجلين بالرغم من بعد المسافة بينهما، كما يأمل أن يحضر صاحبه هذا الحفل البهيج، الذي لن يكتمل إلا بوصوله وحضوره بجانبه. وقد سبق أن علمنا أن ابن طاهر لم يحضر الحفل لأسباب عاقته عن ذلك واعتذر برسالة مطولة.

بعد هذه النماذج التي اختارها البلوي للأندلسيين وهي في أغلبها وعمومها لكتاب عصر الطوائف المشهورين، ينتقل بصفة مباشرة إلى العصر الموحي دون أن يورد أي نص لأي كاتب مرابطي، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الصراع الذي كان محتدما بين المرابطين والموحدين، منذ المهدي بن تومرت⁽²⁾ مؤسس الدولة الموحدية إلى آخر حاكم لها، وحتى لا يُغضب الكاتب أصدقاءه الموحدين فإنه لم يختار لكتاب المرابطين ولم يورد من رسائلهم شيئا ذا بال، اللهم ما أورده من رسائل للفتح بن خاقان والقاضي عياض⁽³⁾.

أما الكاتب الموحي الذي افتتح به هذا الباب فهو شيخه «أبو عبد الله محمد بن عياش»، ولعل تقديره لهذا الكاتب وصدافته التي ربطته به، هي التي جعلته يبدأ به مباشرة أضف إلى ذلك أن ابن عياش كان صاحب طريقة خاصة في الكتابة، سلكها من جاء بعده أو من عاصره من الكتاب لاستحسانهم لها⁽⁴⁾.

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 3/ 1-457.

(2) أخبار المهدي بن تومرت للبيدق.

(3) التعريف بالقاضي عياض بقلم ولده محمد، تحقيق: الدكتور محمد بن شريفة.

(4) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 264.



والنص الذي أورده البلوي لأستاذه في الإسعاف خال من الافتتاحية التي كان الكتاب الموحدون يبدوون بها رسائلهم عادة. ولعل البلوي قد أتى بالنص مختصرا فلم يذكر المقدمة التي افتتح بها شيخه هذا النص؛ ويبدو من خلال الرسالة أن الموحدين كانوا يعيشون بالغزاة إلى الأندلس، ثم يطلبون منهم الرجوع إلى وطنهم وحدهم دون الموحدين المقيمين هناك. ومن خلال الرسالة أيضا، يبدو أن الذي كان يكلف بالإشراف على عملية العبور هو مزوار الطلبة⁽¹⁾.

وفي الرسالة توجيه إلى هؤلاء بأن يتغافروا مع الأندلسيين المقيمين بالجزيرة، وأن يعبروا المجاز أو المضيق وهم برآء من الإثم أعرفهم نقيه وأجورهم موفورة.

ويختار البلوي لِصَفْوَانَ بن إدريس رسالتين:

- الأولى: يصف فيها أنه استعار من صديق له بغلة ليركبها، ثم يصف المركوب وما يتميز به من خفة في السير وسرعة في الحركة.

- والرسالة الثانية: في مناقضة الرسالة الأولى.

ثم يورد رسالتين «لأبي زيد عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي»:

- الأولى: كتب بها إلى «البلوي» وشيخه أبي القاسم ابن حسان⁽²⁾، وهي رسالة كان قد كتبها في زمن شببته وتعد من كلامه الأول، ولذلك فهو يعتذر لصديقه على ركافة معانيها ويدعو صديقه ابن حسان أن يَمْنَحَهَا للبلوي الذي طلبها منه.

- أما الرسالة الثانية: فهي جواب عن رسالة كان قد بعث بها إليه البلوي يطلب منه موشحة مكونة من سبعة أبيات؛ وهو يفتتحها بمدح البلوي وأصدقائه واصفا إياهم بالذكاء والفطنة وجودة البلاغة، ومتهما نفسه بالتقصير في النظم والنثر داعيا أصدقاءه إلى الاغضاء عن هذا التقصير⁽³⁾.

(1) البيان المغرب قسم الموحدين، ومزوار الطلبة يعني به رئيسهم.

(2) الذيل والتكملة 1/ 86-1، ترجمة رقم 102.

(3) انظر كتاب «أبو زيد الفازازي» للدكتور عبد الحميد الهرامة.



ثم ينتقل البلوي إلى «أبي بكر ابن مغاور الشاطبي» فيورد له مجموعة هامة من الرسائل، غالبيتها في الهدايا ووصفها أو طلبها. وهو في الرسالة الأولى التي اختارها له يطلب بردة من أحد أصدقائه، ولعله أحد السادة العظماء والملوك الأفذاذ الذين ارتبط بهم، ويتمنى أن تكون تلك البردة رائقة المنظر نفيسة تليق بمكانه ومكانته. وهو يعتذر في ختامها؛ فَلَعَلَّهُ يكون قد جشم صديقه مسلكاً صعباً، أو مُرْتَقَى لا قبل له به، ولكنه مع ذلك يأمل أن يبلغ مناه لما يعرفه من صدق مودة صاحبه وحسن نيته وإرادته.

أما الثانية، فيطلب فيها من صديق له أن يزوده بعمامة يكون بها نسيج وحده بين الأنام، وهو يشبهها بمنظر العشيقة في رقتها، وعذوبة نسجها لو رآها «أحيحة بن الجلاح» لطلبها بدلا من عمته التي كان يعتم بها، ولو أوردتها عليه تمكن أن ينال الرياسة في قومه.

أما الرسالة الثالثة فيطلب فيها من أحد أصدقائه، أن يبحث له عن بعض الأهب (الجلود التي تصنع منها الألبسة) التي تكثر ببلاده، حتى يتمكن من صنع لباس منها. ولا شك أن الجمال الصحراوية التي كانت كثيرة بالمغرب، كانت تستعمل من جلودها وأوبارها ملابس كالبرانس والجلابيب وغيرها، وهي عادة لا تزال إلى يومنا هذا، حيث يعتبر البرُئْسُ المصنوع من أوبار الجمال أحسن البرانس وأتقنها. ويبدو أن المغاربة منذ القديم كانوا يصنعون ملابسهم من أوبار جمالهم، ويظهر من الرسالة أنها موجهة من الأندلس إلى المغرب وإن كان الكاتب لم يحدد مكان الإرسال.

وأما الرسالتان الرابعة والخامسة؛ فكلتاها تتحدثان عن رغبة الكاتب في شراء بغلة فارهة، وهو يلح فيها على صديق له أن يبحث له عن صنف جيد من الجياد، ويقنتني له واحدة منها وهو يَعِدُّه بأن يؤدي له الثمن ناجزا دون نقص بعد شرائها، ويشكر صديقه في ختام الرسالة بما طوقه به من فضل وامتنان وإحسان.

وأما الرسالة السادسة فهي تتضمن موضوعين: الأول، طلب الكاتب من صديقه أن يبحث له عن جارية تكون صورتها شبيهة بصورة القمر أو بظبية تعطف في خمر،



وتكون قابلة للتعليم ليست بالعجوز ولا بالصبية القاصر. أما الموضوع الثاني، فهو طلبه من أحد أصدقائه أن يبعث له ثوبا جيدا مِقْدَارُهُ ثلاثون ذراعاً يصلح لصنع العمام، وذلك قصد تقديمه هدية لشيخ له كان يُعِزُّهُ وَيُجِلُّهُ ويضعه في منزلة والده، والمبعوث له نفسه كان يعتز بهذا الشيء حيث جاء في خاتمة الرسالة ما يفيد ذلك ويستشف من قوله: «وأنتم لا غرو له أرعى، وإِلَى مَا يَجِبُ لِصِلَتِهِ أَدْعَى»⁽¹⁾.

وأما الرسالة الأخيرة فقد كانت جوابا على رسالة أخرى، كان قد بعث له بها صديقه الذي طلب منه شراء فرس له، ويبدو أنه لم يَعْثُرْ على ذلك النوع الذي وصفه له ابن غِيَاثَ لأن الأوصاف التي حددها له، والنعوت التي طلب منه أن تكون متوفرة في ذلك النوع من الجياد لم يتمكن صديقه من إيجادها. وهكذا نجد ابن غياث يجيبه برسالة أخرى في نفس الغرض، متنازلا عن تلك الأوصاف ومعتبرا إياها من باب أسلوب الكتاب الذين ينمقون رسائلهم؛ ولكن الواقع الاجتماعي والاقتصادي يقتضي عكس ذلك. وهو يتنازل طالبا من صديقه أن يبحث له عما لا يُسْتَهْجَنُ أو يستكره من الجياد فحسب، دون التدقيق في الأوصاف والنعوت، شاكرا صديقه في الختام على تهممه واعتناؤه.

ثم يورد البلوي بعد ذلك رسالتين «لأبي عمر بن حفصون» وهو من أصدقائه كما يبدو من التحلية التي حلاه بها في بداية الرسالة. أما الرسالة الأولى فهي على شكل مقامة بَدْءًا وعرضا وخاتمة، يفتتحها «ابن حفصون» بوصف حالته ودخوله لإشبيلية التي يتعرض لها بوصف دقيق، حيث يعتبرها مصر الأمصار وملك الأنوار الذي عليه المدار، ويبرز كيف أسست على تقوى من الله ورضوان، ويذكر نهرها الكوثر الذي صفا ماؤه ولذ شرابه فهو يفوق الرافدين «دجلة والفرات» بل ويغيض ملتقى البحرين. وبعد هذا الوصف ينتقل إلى ذكر الأسواق التي زارها والمصنوعات التي

(1) العطاء الجزيل، ص: 29.



تشتهر بها؛ وَتَخْلُصُ دقيق ينتقل إلى سوق المطاعم الذي صُففت فيه المأكولات من جميع الأصناف، وزُرِكت فيه الأطباق بكل ما لذ وطاب، فوَقعت عينه على «المُجَبَّنَةِ» وقبل أن تبوح له بسرّها واسمها، يصفها وصفاً دقيقاً، حيث يشبّـهـا تشبـيهاً لا يمكن لأي كان أن يتأتى له ذلك إلا إذا كان حاذقاً لصناعة الكتابة مبرزاً في أسلوب النثر الفني، ويستشهد على ذلك بأبيات شعرية تبرز مقدار حذق ابن حفصون لصناعة الكتابة ودقته في الوصف والتعبير. وينهي الرسالة/ المقامة التي كتبها على شكل حوار، بالتأسف على عدم تمكنه من خطبة العروس المجتلاة «أي المجبنة» لأنه لا يملك عقداً على نقد، ولكنها وَجَّهَتْهُ كي يستطيع خطبتها باللجوء إلى الوالي الموحيدي أبي عبد الرحمن ابن أبي إسحاق⁽¹⁾، كي يمنحه مالا لشرائها ولقد تم له ذلك فعلاً، يستفاد ذلك من خاتمة الرسالة حيث ورد فيها مايلي: «فأعطاه السيد الأجل أبو عبد الرحمن ديناراً ليشتري به ما ذكر»⁽²⁾.

وبعد أن تمكن من شراء المجبنة واستطاع الوصول لخطبتها بفضل كرم «أبي عبد الرحمن» بعث له رسالة شاكرًا إياه، وقد افتتح رسالته بوصف الدينار الذي سلمه إياه معقبا بوصف حالته مع المجبنة، وقارئ الرسالة على عجل لا يستطيع أن يميز هل كان الكاتب يصف مجبنة أم يصف امرأة، فقد كانت متمنعة ثم أسلست له القياد بعد أن أقرت بذنبها واعترفت بأنها كانت مخطئة في تمنعها، فبذلت له ما كانت قد أخفته وأخذ في ارتشاف لعسها في الظلام حتى قضى أَرْبَعُ منها وبرد ظمأه من طيب مراشفها. وتلك الأوصاف التي منحها الكاتب للمجبنة تنطبق تمام الانطباق على المرأة. ثم يختم الرسالة بمدحه «لأبي عبد الرحمن» الذي جاد عليه بما لم يجْدُ به عليه أحد، وهو مدح يتسم بتملق شديد واستعطاف ينم عن تَوَدُّدٍ مُبَالِغٍ فيه، غير صَادِرٍ عن عاطفة صادقة. ويختم البلوي هذا الباب بنماذج من رسائله التي تحدثنا عنها أثناء تعرضنا لنشره.

(1) العطاء الجزيل، ص: 30.

(2) المصدر السابق، ص: 33.



• الباب السادس عشر:

❖ الرسائل المشرقية:

يفتح البلوي هذا الباب برسالة لعلّي بن الحسين⁽¹⁾، بعثها جواباً عن رسالة أخرى كان قد بعثها له أحدهم يُعَنِّفُهُ فيها لكونه تزوج إحدى مواليه، وقد أثبت له من خلال الرسالة أنه لم يرتكب إثماً ولا فعلاً حراماً، واستشهد على ما فعله بما فعله الرسول حين تزوج صفية بنت حي بن أخطب سيد بني النضير، بعد أن أصدقها عتقها، فأسلمت وحسن إسلامها وهو يبين له أن الإسلام قطع كل خسيصة وإثم كل نقيصة، فلا لوم على امرئ مسلم إلا في أمر حرام اقترفه أو إثم ارتكبه.

ثم يورد رسالة لمعاوية بن أبي سفيان⁽²⁾ يُعَنِّفُ فيها ولده يزيد، ويعاتبه على أفعاله التي بلغه أنه ارتكبتها، ومما ذكّره من هذه الأفعال أنه كان يتعاطى للمسكرات والمحرمات، ويجمع حواله أوباش الناس وأراذلهم بالرغم من أنه من ذوي الجاه والسلطان، وهذا أمر لا يليق به. فهو يحط من قدره ويُنزّل من قيمته، ثم يوضح معاوية لابنه بأن هذه الأعمال وسوس له بها الشيطان وهو للإنسان عدو مبين. وفي ختام الرسالة ينصحه بالعدول عن ارتكاب مثل هذه الموبقات لأنها تبعده عن الدين، وينهاه عن التمادي في الغي وارتكاب الذنوب والآثام، طالبا منه عدم الانسياق أو الانصياع للعاطفة، وأن يحكم عقله في كل أمر يريد القيام به.

ثم أورد رسالة لعبد الملك بن مروان⁽³⁾، يعاتب فيها عليّ بن الحسين لكونه تزوج إحدى مواليه وترك من هنّ خير منها من النساء القرشيات اللائي يرتبط بهن من حيث النسب ويصلحن أن يكن زيجات لأبناء الشرفاء وأصهارا لهم. وقد سبق لعلّي بن الحسين أن رد على هذه الرسالة بما يراه صواباً ويعتقده مناسباً⁽⁴⁾.

(1) زهر الآداب 63 / 1، جُمهرة رسائل العرب 2 / 19.

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشا 5 / 387-388.

(3) زهر الآداب 63 / 1.

(4) انظر ما سبق، ص: 40.



واختار البلوي بعد ذلك للحسن بن وهب ثلاث رسائل:

- الأولى: في عتاب صديق له كان قد أوقف عنه المكاتبه دون ذنب ارتكبه في حقه.

- الثانية: جوابا على رسالة عتاب بعثها له أحد أصدقائه.

- أما الثالثة: فخطب بها «محمد بن علي القمي» الذي ارتبطت بينه وبين الكاتب صداقة متينة ومودة قوية، ولكنه عاداه لأمر بلغه إياه أحد الوشاة فصدقه. ويطلب ابن سهل من صديقه أن يعيد تلك الرابطة التي كانت بينهما وأن يحسن به الظن، وأن لا يثق بأولئك الذين يسعون للفساد بين الإخوان. ويعتذر عن الحضور إليه لأسباب قاهرة مذكرا إياه بأنه لو تمكن من الحضور والمثول بين يديه، لاستطاع أن يرى نفسه من التقول الذي نمي عنه، والقول الكاذب والزور الذي رمي به.

ثم اختار لعبد الحميد الكاتب جملة من الرسائل أو فصول منها تعتبر من أجود ما كتبه وأكثره أصالة، والذي يلفت النظر أن الرسائل التي أوردها البلوي «لعبد الحميد» في كتابه هذا، سواء في هذا الفصل أم في غيره من الفصول لم ترد في أي مصدر آخر من المصادر التي بين أيدينا سواء أكانت مشرقية أو مغربية، مما يؤكد أن الأندلسيين كانوا يتوفرون على نصوص مشرقية نادرة، وأن بعض المصادر الأندلسية قد احتفظت بكثير من تلك النصوص التي ضاعت أصولها⁽¹⁾.

أما الرسالة الأولى التي أوردها لعبد الحميد فقد كتبها عن مروان⁽²⁾، في صدام وقع بين «عمرو بن سعيد» وهو من قرابة أمير المؤمنين وبين ابن هبيرة وهو من ولاته. ويستشف من الرسالة أن عمرو بن سعيد كان قد سافر بنفسه إلى مروان، وحكى له ما لحقه من ابن هبيرة من ظلم وتعسف واستهانة بحقه. ولذلك فإن مروان يعاتب ابن هبيرة ولا يتعدى درجة العتاب خشية ألا يقتصر سوء تصرفه على عمرو وخده بل

(1) عبد الحميد بن يحيى وما تبقى من رسائله، ص: 192، العقد الفريد 4/ 228.

(2) العطاء الجزيل، ص: 45.



يصيب غيره من شباب قريش، ومروان بن الحكم لم يتنكر لواليه ولم يغلظ له القول، كما أنه لم يعنفه تعنيفاً شديداً لأنه يعتبره العين الساهرة والرجل الذي يجلب له قلوب الرعية، ولكنه مع ذلك لم يعرف السبب الذي حدا به لإبداء جفوته نحو عمرو بن سعيد، فقد يكون تصرف نحوه من قبل بما حمله على رد السيئة بمثلها.

وتؤكد الرسالة أن أمير المؤمنين مروان كان وصولاً لذوي رحمه وهذا يكسبه محبة الذابين عنه من بني أمية، وعمرو أحد أولئك القرابة الماتّة بل هو أحد القرابة الذين كان لهم بلاء جميل في ولاية أمير المؤمنين، بل إنه أضاف إلى ذلك البلاء طاعة لينة، ولذا على ابن هبيرة أن يحذر من استصغار ذوي لُحْمَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِ أمير المؤمنين، ولا سيما من حسنت نيته وصحت بصيرته فيهم.

ويكتب عبد الحميد⁽¹⁾ رسالة عتابٍ إلى أخ له كان قد جفاه من غير ذنب، وهو يوضح له أنه متردد بين وفائه له وعدم وفائه؛ لأنه رأى منه في أول الأمر أنه كان قد ابتدأ باللطف فأطمعه في لقائه، ثم أعقبه بِجَفَاءٍ نَفَرَهُ منه، ولذلك فهو لا يدري بأي الرأيين يأخذ بالأول أم الثاني.

ثم أورد البلوي لنفس الكاتب رسالة وجهها مروان إلى ابنه عبيد الله⁽²⁾ يعاتبه فيها، لأنه أغضب زوجته عائشة وكانت هي بدورها قد بعثت رسالة إلى أبيه تشكوه فيها من سوء معاملته وقبح عشرته؛ وتكشف الرسالة عن رأي سيء في النساء عامة غير مستغرب في ذلك العصر، فهن رقيقات ضعيفات الطبائع قليلات الصبر يغلب عليهن الشيطان وهن على عوج وضعف في العقول، ولهذا يحتجّن إلى حسن مداراة وصبر، ومروان لا يرى أن من حق ابنه تنفير عائشة زوجته وإغضاها بالميل إلى الجوّاري، لأنهن لا يُؤْتَمَنْنَ على أنفسهن ولا يوثق بهن؛ خاصة وأنه قد رشحه لولاية العهد وأحله

(1) عبد الحميد بن يحيى وما تبقى من رسائله، ص: 192، العقد الفريد 4/ 228.

(2) نسب قريش، ص: 167، تاريخ الطبري 2/ 1895.



أسمى منزلة وهي منزلة سياسة الأمة الاسلامية جمعاء، فماذا يقول الناس عنه إذا عجز عن سياسة امرأة واستصلاحها.

ثم إن عائشة لا تُقَاسُ بعِلَجِ الإمام اللواتي لا يُؤْتَمَنُ على أنفسهن وفي استصلاح زوجه برها وإرضاء لها واكتساب جمال في الدنيا، فهي ابنة هشام وحسب عبيد الله ذلك فهي من محتد شريف وفرعها يشبه فرع وأصلها يوازي أصله. وفوق كل هذا وذاك فإن أمير المؤمنين ربط رضاه عنه برضاها. وقد كتب لها أمير المؤمنين يخبرها بغضبه بتصرف ابنه وما صدر عنه نحوها وذلك حتى تطمئن وتعلم أن هناك ناصرا يناصرها. ويقرن سخطه على ولده بسخطها عليه. ويختم ذلك كله بتهديده بسلب ما في يديه وتحكيم زوجته عائشة بكل ما تحكم عليه بالرغم منه أو برضاها. ولسنا نعرف الحل الذي توصل إليه الزوجان⁽¹⁾. ولكن يبدو أن الأحداث المتوالية غطت على هذا الحدث وأمثاله، حيث أصبح عبيد الله يصارع من أجل النجاة بنفسه غير آبه ولا ملتفت إلى عائشة أو غيرها.

وبعد عبد الحميد يختار البلوي لأبي الفضل بن العميد مجموعة من الرسائل في العتاب والذم. الأولى بعثها إلى أبي عبد الله الطبري⁽²⁾. وهو يخبره فيها بأنه كان يريد اللقاء به لأنه يعتبره من الإخوان الذين يساندونه في النوائب؛ ولكنه بعد أن تغيرت أحواله معه وانقلبت سيرته من حسن الإخاء والمودة إلى سوء الاعتقاد أصبح الآن وقد كشفت عن عينيه غشاوة الهوى الذي كان يُكِنُّه له وذلك لأنه وجد منه منكرا ولقي منه أمرا مستكبرا، ولذلك ولَّى عنه وقد أصبح قلبه مملوء رعبا ورهبا ونفسه لا تتطلع إلى مثل هؤلاء الأصدقاء.

ويبدو من الرسالة الموالية أن صديقه «أبا عبد الله الطبري» كتب له رسالة اعتذار عما صدر منه، ولكن هذا الاعتذار لم يجد قبولا لدى صديقه «ابن العميد»، لأنه قرأه

(1) عبد الحميد بن يحيى وما تبقى من رسائله، ص: 77.

(2) زهر الآداب 3/ 875.



فلم يجد بين طياته سوى مخايل الكذب وسوء الأخلاق، كما أنه وجد من خلال ذلك أن ذنب صديقه لا يمكن أن يغفر لأنه قام باقتراف ذنب كبير.

ثم كتب إليه ابن العميد رسالة أخرى يخاطبه فيها وقد عاد لا يحتمل الإغفاء عن أفعاله لأن قلبه أصبح مَصْدُوراً ولم تبق له بقية في التصبر لأنه قديماً كان يقبل الأصدقاء - ومنهم أبو عبد الله الطبري - على عِلَّاتِهِمْ ويصفح عن أخطائهم وَهَنَاتِهِمْ، ولكنه بعد ذلك أصبح مغلوباً على أمره، لا يستطيع أن يغضي عما صدر عن صديقه من الجفاء حتى أصبح جسمه من ذلك متباعداً عنه، نابياً له بسبب ظلمه إياه وهجره له وصده عنه.

وهو يشبه صفات صديقه في هذه الرسالة بالدهر في القطيعة والعقوق، وفي إظهار ما يسر الإنسان وإخفاء ما يسوؤه وفي التقلب والتبدل، وفي نشر حبائل الزور ونصب أشراك الغرور، وفي إخلاف الوعد والرجوع في الموهوب، وفي البدء بالشر وتكذيب الظنون والميل عن النباهة إلى الخمول، وفي النسيمة والغيبة والمشى بالسوء بين الناس، وفي تنقيص العلماء الأفاضل والحط من قيمتهم، إلى غير ذلك من المساوئ التي ترد من الدهر متفرقة وهي في صديقه مجتمعة⁽¹⁾.

ثم بعث له رسالة أخرى وقد ذكر دعواه في العلوم⁽²⁾، وهي رسالة ساخرة تنم عن قدرة «ابن العميد» على التعبير بالرمز الملفوف بالسخرية والاستهزاء. فهو يفتح الرسالة بفرضية منطقية يقول له فيها: افرض أنك كنت أفلاطون فأين ما سنتته في السياسة، فقد تصفحنا كتابه فلم نجد فيه دعوة إلى قطيعة صديق، لو حسبتك أرسطو فأين الذي رسمته من الأخلاق، فقد قرأناه فلم نر فيه ما يدعو إلى العقوق.

وأما الهندسة فهي تبحث في المقادير ولا يمكن أن يعرفها إلا من عرف مقدار نفسه، وهكذا يربط له بين كل علم من العلوم التي ادعى أنه حاذق فيه وبين طبيعة

(1) زهر الآداب 3/ 877.

(2) المصدر السابق 3/ 878.



نفسه ويمثل له بأنواع ثلاثة من العلوم العربية: وهي «الآداب والنحو والعروض»، ويربط بين هذه العلوم وبين شخصية صاحبه في أسلوب ساخر لا مثيل له.

ثم يورد البلوي فصلاً آخر من هذه الرسالة، والظاهر أن ابن العميد كان قد غضب على صديقه أشد الغضب ووجد عليه أشد الوجد، فهو يكيل له التهم ويحط من قدره وقيمه بأسلوب فيه لمز وسخرية كبيرين. ولا شك أن الذي حز في نفس ابن العميد هو تقلب صاحبه عليه بعد أن كان قد أخلص له الود واختاره صديقاً، وبعد أن ضيع وقتاً في ذلك الغرس الذي أراد له أن يكون غرساً جيداً، تنتج عنه صداقة وفيه ولكنه وجد تربة لن توافق «فلم تتفتح أزهاره ولم تجن ثماره»⁽¹⁾. وهو يتأسف على نفسه وطبعه وكيف أشكل عليه الأمر في اختيار الصديق، لأنه يعتبر أن الصداقة في الزواج يجب أن يكون فيها تآلف بين الزوجين، وموافقة في الطبع والشكل والخلق، ولكن ارتباطه بأبي عبد الله الطبري هو من قبيل ارتباط النقيض؛ فهما متباعدان خلقاً وخلُقاً طبعاً وطبيعةً، فهما «كطري ضدين وبينهما ما بين أمرين متباعدين»⁽²⁾.

ثم أورد البلوي رسالة لبديع الزمان الهمذاني «صاحب المقامات» كتبها لبعض إخوانه في شأن رجل وُلِّي شؤون الأشراف دون أن يصرح باسمه. وهو يذكّر لصديقه أنه عليه ألا يحسد من ولي هذا الأمر، لأنه سيكون إشرافاً على هلاكه من قبل الأتراك، وعليه أيضاً ألا يغتر بهذا المنصب الذي أسند إليه، فربما يكون وبالاً عليه لأن عقله غير سليم، وعليه أن ينظر إلى سرائره وباطنه وأن يتخلى عن ظاهره؛ ويود من صديقه ألا يتشبه به من حيث أخلاقه، ثم يذكر له أن ما عنده خير مما عند ذلك، فعليه أن يشكر الله على ما أعطاه وأن يرضى بعيشته التي يحياها وإلا ظل طول الدهر مكتئباً حزينا عملاً بقول الشاعر:

(1) العطاء الجزيل، ص: 52.

(2) المصدر السابق، ص: 52.



إِنَّ الْغَنِيِّ هُوَ الرَّاضِي بِعَيْشَتِهِ لَا مَنْ يَظْلُ عَلَى الْأَقْدَارِ مُكْتَبِبًا⁽¹⁾

وبعد ذلك يورد البلوي رسالة «لأبي الخطاب العبدكاني» أجاب بها «الصابي» وهي رسالة تنم عما كان يدور بين الأصدقاء من المداعبة في المكاتبة، والرسالة تصف كبشاً كان قد أهدها أحدهم إلى صديق له؛ يقول العبدكاني: لقد وصلتني رقعتك ففضضتها ووجدت خَطَّهَا مشرقاً وَلَفْظَهَا مُورِقاً ومعانيها غريبة وبلاغتها عجيبة، غير أن القول فيها قَصْرٌ عن الفعل لأنك ذَكَرْتَ «حَمَلًا جعلته بصفتك وبيانك جَمَلًا وَلَمَّا رأيتَه وجدته كبشاً هزيلة ذميماً قصير القامة عاري العظام جامعا للعيوب والمثالب»⁽²⁾. فلو ألقى إلى السبع لعافه وكرهه أو رمي للذئب لقلاه.

ثم يورد لنفس الكاتب رسالة ثانية أجاب بها بعض أصدقائه، وهو يبين له أنه لم يكن منصفاً في الحقائق التي أوردتها، وأن أسلوبه يتميز بالتهديد والغلظة والوعيد، وأنه سوف يجيبه على ذلك بما يؤدي إلى الإفهام والاحتجاج.

وبعد ذلك يورد له رسالة ثالثة في ذم أهل الخلاف، ويصف شخصا كان شرف بولائه وإنعامه، فلما وصل إلى ما وصل إليه من الرفعة والنباهة اختال واستكبر وأصبح غَادِرًا، يشعل نار الفتنة وينحرف مع المخالفين والمنائين كأنه طغى واستكبر؛ فلما علم ما آل إليه أمر صاحبه من الرجوع إلى الفسطاط مسرورا، سَقَطَ في يده وفكر في عظيم جرمه، ولا شك أنه سيكون من الذين تتناولهم الأيدي وتنوشهم السيوف ويذهب معه من يلقي عليه القبض من الأعداء.

ويختتم هذا الباب من رسائل المشاركة برسالة «لمحمد بن مكرم» بعثها لصديق له يعاتبه، ويبين له أنه كان صاحب فضل عليه، ولكنه تقبل هذا الفضل بنكران وهو يتمنى من صديقه أن يرجع عن غيه وأن يؤوب إلى رشده؛ فإن تم له ذلك دامت الصداقة بينهما وإلا فالقطيعة والهجران هما اللذان سيحلان محلها.

(1) العطاء الجزيل، ص: 58، رسائل بديع الزمان الهمداني، ص: 85.

(2) نهاية الأرب 10 / 128.



❖ الرسائل الأندلسية:

يفتح البلوي هذا الباب برسالة لأبي العباس ابن رشيق بعثها إلى Gandesa برشلونة وهي رسالة تهديد ووعيد يظهر من خلالها أنه كان بينهما عهد وأن Gandesa قد تغافلت ونقضت عهدها غادرة به، حيث أصبحت لا ترى له حقا عليها. وهو ي كاتبها منذراً إياها بقطع اليد منها، وأنه تجرد بكل ما لديه لمحاربتها - إن هي تمادت في ذلك - ويبين لها أن هذا الأمر ليس عليه بعسير خاصة وأن المسافة التي تفصل بينهما ليست بعيدة، وهو لا يخشى ذلك لأنه قطع المسافات الطويلة لغيرها لمحاربته، فكيف لا يقطعها وليس بينه وبينها سوى بياض يوم وسواد ليلة.

ثم يورد مجموعة من الرسائل لأبي حفص ابن برد⁽¹⁾، الأولى بعثها لصديق يعاتبه فيها ويبين له أن الصداقة التي كانت تربطهما أصبح جوها مظلماً وزهرها ذابلاً، بسبب ما اقترفه في حقه من ذنب وهو ي كاتبه بالرغم من أن فكره لا يسعفه في ذلك، بسبب اللوم الذي وصله عنه والعتاب الشنيع الذي بلغه من قبله، وهو يدعوه إلى إبداء حجته في هذه القطيعة، حتى يعود إلى مواخاته وإلا كانت النتيجة قطع حبل المودة وإفسادها كما يفسد الزرع توالي الماء⁽²⁾.

ثم يختار البلوي لنفس الكاتب رسالة بديعة في ذم مؤاخ⁽³⁾ وهي تفصح عن أسلوب ابن برد الساخر، حيث يفتحها بإبراز بعض صفات هذا الشخص وهي صفات ذميمة، منها أنه بخيل أفعاله رثة لا يفي بوعده ليس له حياء، فهو دائم التجهم كأنه «قفل ضاع مفتاحه» و«ليل مات صباحه»⁽⁴⁾، جاهل ليس له عقل لا يثني عليه ولا يذكره أحد بمدح، لم ينل من نعم الله شيئاً فكأنها نسيته وهو غير وفي لأصدقائه

(1) المغرب في حلى المغرب 1/ 88.

(2) العطاء الجزيل، ص: 59.

(3) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/ 504.

(4) المغرب في حلى المغرب 1/ 89.



وإخوانه، فهو إذن «شر بقعة لغرس المودة وبذر الإخاء»⁽¹⁾، ونظرا لهذه الصفات التي ذكر فهو قد كرهه وقلاه معتبرا إياه كأنه ميت لا وجود له.

ويستقل بعد ذلك إلى اختيار رسالة لأبي عبد الله محمد ابن مسعود، يخاطب بها ولد له وقد بلغه عنه أنه مال إلى شرب الخمر ومجالسة الأشقياء فهو يتوعده ويحذره قائلا:

لقد فاز يا بني من استمسك بالدين واعتصم بحبل القناعة وتحصن بالعفاف والكفاف ولم يزاحم الأقدار، وقد أوغلت يا بني في البلاد، ومع ذلك لم تتذكر شوق أبيك المحزون القلب عليك.

ثم يتطرق إلى تهديده ووعيده ساخرا منه ومن فعله طالبا منه أن يشرب العسل الذي يكثر بتلك المنطقة التي زارها بدل شربه للخمر، وعليه أن يتناول في طعامه السمك الذي لا يعدمه بتلك الجهة. كل هذه الصفات التي أطلقها ابن مسعود أتت بأسلوب فيه سخرية كبيرة واستهزاء شديد.

ثم يورد البلوي لابن حيان⁽²⁾ رسالتين في وصف شخصين:

- في الأولى منهما يطلق ابن حيان العنان لقلمه في وصف حالة شخص، وفي نعتة بصفات سيئة منها أنه بعيد عن الفطنة، غبي مشاكس، بجسمه رائحة، يطلق لسانه في أعراض الناس فاحتقروه، يضاف إلى ذلك أنه وسخ الثياب والأظافر، يدني غائطه من مائدته لا يتقذر شيئا البتة.

- أما الثانية⁽³⁾ فهي في وصف شخص آخر ينعتة فيها بصفات دنيئة منها: أنه كان لا يرعى حقوق الجار بالرغم من ثروته، يعاتب الأصدقاء ليس له باع في العلم والفضل شرس الأخلاق معتد بنفسه، يعتقد أنه قد ملك القضاء بسبب مصاهرته لبني

(1) العطاء الجزيل، ص: 60.

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/ 2-586.

(3) المصدر السابق 1/ 2-592.



ذكوان⁽¹⁾. وأنه سيطر على الإمارة فارتقى في الغي ذرى شاهق ثم هوى إلى الحضيض، وهو لا يقضي أيامه في الجد بل يمضيها بين الشراب والسماع للغناء وتعمير المجالس بأصدقاء السوء والنميمة الذين يجلبون له أخبار الناس، ويبدون له معايهم من أجل قليل من المال يمنحه لهم، أضف إلى ذلك أنه يقضي أوقاته بين الموائد - أي في الأكل - معطلا للفروض المسنونة عليه، فلا يصلي لا في بيته ولا في المساجد.

وبعد ذلك يختار لأبي عبد الله البزلياني⁽²⁾ رسالتين الأولى بعثها لأبي جعفر بن عباس يلومه فيها حيث زاره ولم يوفه حقه قائلاً: نحن نعلم أنه من المروءة إن أتى زائر إلى بيت صديق أن يكرمه، ولكنك تكبرت والمتكبر يبدو للناس صغيراً إذ لا يرفع قدر الإنسان بالكبر بل بالتواضع، ولقد أتيتك زائراً فكأنني جئتك راغباً وودت مصافحتك فما مددت يدك إلي ولا نهضت لمعانقتي، وأشرت بالحاجب كأنك لا تعرفني وتلك من شيم اللؤماء وليست من شيم الكرماء.

وفي فصل منها يتعجب من كونه نسبه إلى الشعوذة وهي صفة به ألصق، كما نسبه إلى اللحن في النطق وهي عادة به أليق. ثم يتهمة بقصور باعه في الأدب لأنه لا يملك رسائل أو أشعاراً أو مؤلفات وآثاراً، وأنه لن يحصد من وراء حسده وشره سوى الندم.

ثم يورد البلوي رسالة «لأبي عبد الرحمن بن طاهر»⁽³⁾، يعاتب فيها الفتاح بن عبيد الله المعروف «بابن خاقان» وينصحه قائلاً: عليك أن تقتصر في أمورك على الأشياء المهمة، وأن تكون مقتصداً في مواهبك معتدلاً في مذهبك وألا تجود بإسراف وتبذير إذ لو كان مقدار البحر ملكك مالا لنفد، كما أنه يبين له أنه بذل له الشيء الكثير من أجل أن ينال حظوة عالية، لكنه امتطى غارب الكبر ولم يجبه إلى ما أراد ولذلك فهو ينصحه بأن يكف من رسنه وأن ينهض من وسنه⁽⁴⁾.

(1) انظر مقالاً لإحسان عباس، قدمه في مهرجان ابن حيان بالرباط حول بني ذكوان.

(2) الذخيرة 1/ 2-635.

(3) خريدة القصر وجريدة العصر 2/ 313.

(4) قلائد العقيان، ص: 76.



ثم يورد رسالة لأبي بكر بن القصيرة يراجع بها «الفتح ابن عبيد الله» صاحب كتاب «القلائد»، وهو يفتتحها بالثناء عليه حيث يعتبره قائد البلاغة في عصره لا يشق له غبار، وكان من الأحق بزمانه أن يبوئه مكانة عليا، ولكنها الحظوظ مقسومة لا ينال منها كل بحسب ما يملك، وفي خاتمتها يعاتبه على خلقه الذي يميزه الكبر والزهو، ويطلب منه أن يتخلى عن ذلك حتى ترتفع قيمته لدى أصدقائه وينال حظوة لديهم، لأن الكبر لا يرفع من صاحبه بل يحط من قيمته وقدره.

ويختار في هذا الباب رسالة «لأبي محمد عبد الغفور»⁽¹⁾ خاطب بها بعض أهل عصره كان قد سمع قول الوشاة وأخذ برأيهم في نفي الكتابة عنه، وهو يلوم صاحبه ويبين له أن أولئك الذين نفوا عنه الكتابة لا يعرفون حق الكاتب وقدره، ويبرز له أنه من الذين يعتد بهم في باب الكتابة وأنه قد رضع الأدب منذ نعومة أظفاره، ويختمها بدعوة عدول صاحبه عن هذا الرأي الذي سمعه من الوشاة، وأن يكذب تلك الأقاويل التي نقلت عنه زورا وبهتانا⁽²⁾.

ويتنقل البلوي بعد ذلك مباشرة إلى رسائل الكتاب الموحدين ويفتح اختياره برسالة «لصفوان بن إدريس»⁽³⁾ كتبها عن «عبد الرحمن بن إدريس بن عبد المومن»⁽⁴⁾، حينما كان واليا على مرسية وهي رسالة مهمة تكشف عن حقائق خطيرة في المجال السياسي، وخاصة في مجال العلاقة بين الموحدين والمسيحيين في تلك المرحلة. ويفهم من الرسالة أن ألفونس بن شانجه كان قد بعث برسالة على يد رسول له إلى الأمير عبد الرحمن، يدعوه فيها إلى نبذ الدعوة والثورة ضد الخليفة ويحثه على ذلك، ويوضح له أنه سيلقى منه مساعدة عسكرية إن هو فعل ذلك. ولكن الأمير لم يستجب لطلبه ويبين له أنه إنما يريد بفعله هذا أن يفرق بين المسلمين وأن ينشر

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/2 - 326.

(2) المصدر السابق 1/2 - 326.

(3) انظر مقدمة زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة.

(4) البيان المغرب، ص: 76.



بينهم العداوة والبغضاء، وأنه لن يستجيب لهذه الدعوة لأنها تدعو إلى الخلاف، والمسلمون إذا بايعوا رجلا واحدا فإنهم لا يميلون عنه ولا يزورون ولا يعتقدون سوى بإمام واحد، وأن الدعوة قد سرت في قلوبهم مسرى النار في الهشيم. وفي ختام الرسالة يهدده بأنه إذا أخبر الخليفة بهذا الأمر فلن يتردد في غزوه بجيوش جرارة لا قبل له بها، ولن يستطيع دفعها أو ردها مهما جمع من جيوشه الخاصة أو من جيوش قومه، بل قد تكون نهايته على يد الموحدين إن هو تمادى في غيه وزوره ومينه.

ثم يورد له رسالة كتب بها إلى بعض أهل إشبيلية وكان قد كتب ينقد على «أبي الوليد»⁽¹⁾ بعض أحكامه الشرعية، وهو يلوم هذا الشخص لكونه ركب مركبا صعبا وجري من يمكن مجاراته في الأصول والفروع، وأنه بفعله هذا دل على جهله وسوء خلقه وقلة علمه، وأنه أراد أن يجاري البحر الزخار الطامي فلم يستطع وغلبته أمواجه، ذلك لأن «أبا الوليد» عالم لا يجارى ولا يبارى متمكن من الأصول الشرعية ضارب فيها بسهم معلى، ومن أراد أن يجاريه يكون بمثابة المجنون أو النائم الذي يحلم بما لا يصدق الواقع. ويظهر من خلال الرسالة أن «صفوان ابن إدريس» كان يكبر أبا الوليد لعلمه ومعرفته، وأنه مطلع على أحوال عصره الثقافية وما يجري بين العلماء من جدال وحجاج في المسائل الدينية، أو غيرها من المسائل التي كان يقع حولها الخلاف وأنه يقيم الحق مكانه ويرده إلى نصابه.

ثم يورد لصفوان أيضا رسالة ثالثة جوابية كتبها لبعض أصدقائه كان قد عاتبهم، حينما بلغه عنه خبر حمله إليه بعض الوشاة. والكاتب من خلال الرسالة يبرئ نفسه من التهم الموجهة إليه، ويوضح لصديقه أن طبعه صادق خالص، وأن تلك الطائفة التي بلغته الخبر الكاذب إنما تريد أن توقع بين الإخوان والخلان، وهي طائفة شامته تسعى بالفساد فعليه إذن ألا يعتد لأقوال أولئك، وأن يأخذ الخبر اليقين من صاحبه التي يبلغه إياه دون زيادة أو نقصان.

(1) لعله أبو الوليد بن رشد بل هو، انظر كتاب أستاذنا الدكتور محمد بن شريفة حول ابن رشد.



ثم كتب صفوان رسالة أخرى إلى «أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم المرسى» يعاتبه فيها بل ويذمه، وقد استهلها صفوان بقصيدة رائعة يتبين من خلالها مقدار قدرته على صياغة الكلام نثراً وشعراً، وأنه يبرز في الشعر الذي يرتجله والذي يتروى في صنعته وحياته، كما أنه يفوق أقرانه في الاطناب والإيجاز، ولا ينكر عليه هذه الصفات التي يمتلكها سوى متعجرف حسود يريد أن يساجل الرجال فيتجاوز قدره ولا يصل إلى قدرهم، وفي الرسالة نفس من الفخر بالذات والاعجاب بالنفس، وفيها ما يدل على الصراع الذي كان يقع بين المتأدبين في كل عصر ومصر، وهو صراع تفرضه الطبيعة البشرية والواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه.

ثم يورد له رسالة مسهبة يرد بها على أحد الذين انتقدوا عليه رسالته التي سماها «بالارتحال والتعريس»⁽¹⁾، ويظهر من خلال الرسالة أن الناقد شاطبي وأنه كان يدعي منزلة في الأدب والعلم ولكنها لم تصل إلى مرتبة صفوان بن إدريس.

يفتح الرسالة بأقوال الناقد نفسه، حيث يوضح أنه أراد أن يبارز أسدا وظن أنه يستطيع ذلك لكنه ورط نفسه في هذه المبارزة.

ومن جملة ما انتقده عليه أنه كنى عن شاطبة بأمر صخر وأن اسمه «صفوان» وهو الحجر الذي يوافق اسمها. ويرد عليه ابن إدريس بقوله: إن صفوان عند علماء اللغة كناية عن البحر وليس عن الحجر ويحتج على ذلك بيت شعري لابن مرج كحل⁽²⁾ وهو من فحول شعراء الجزيرة. ثم ينتقد عليه كونه غضب لأنه لم يلق من يكرمه حينما دخل شاطبة وأنه لم يجد من يراعه هناك.

وأخيراً يصف شاطبة بأنها مدينة اتخذت الصنم مسرحاً لعبادتها، وتركت المسجد وراء ظهرها، وهذا لمز من صفوان وإشارة إلى كون أبناء هذه المدينة لا يقيمون

(1) الذيل والتكملة 4/ 140.

(2) برنامج شيوخ الرعي، ص: 208.



للدين الإسلامي وزنا، وأن الصنم لديهم مفضل على المسجد. ثم يختم الرسالة بكثير من الأوصاف الدينية التي اشتهر بها سكان شاطبة، مستدلا على بعض تلك الأوصاف بأبيات شعرية لأبي جعفر بن عاصم⁽¹⁾ يهجو بها شاطبة وأهلها.

ثم يورد البلوي بعد ذلك رسالة أخرى للكاتب نفسه بعثها لصديقه أبي عمرو بن حسون⁽²⁾، يعاتبه فيها حيث بلغه أنه مال إلى الراحة والكسل بعد أن كان قد أخذ يشتغل بالعلم والدراسة. وهو يبين منذ مطلع الرسالة أن صديقه كان قد أقدم على الطلب مجتهدا فيه غير مقصر، ولكنه بعد ذلك انحرف عن الطريق السوي وهو طريق العلم بعد أن اقترب من الإشراف على النباهة فيه. وهو يحثه على العودة إلى سلوك هذه السبيل التي تصلح له ويصلح لها، وأن يتجنب قول كل حاسد مغرور ولو امتطى في سبيل ذلك بياض النهار وسواد الليل، ثم ينصحه ويبين له أن العلم لا ينال إلا بالتجلد والصبر، وأن طريقه شائكة لا يسلكها إلا من كان قوي العزيمة، ولا ينال مقصده منه إلا من كان مثابرا غير يائس، وفي الختام يعتذر له عن هذا العتاب الخفيف الذي لا يرجو من ورائه سوى النصيحة والخير.

ثم يورد البلوي بعد ذلك رسالة لابن مبشر لم يصرح فيها بالمرسل إليه، ولكن يفهم منها أنه يلوم أحدهم على فراره من الحرب واتصافه بالجبن والخور، في حين يدعي البطولة والرجولة وهو يتهمة بذلك مشبها إياه بربات الحجال «النساء»؛ لأنهن لا يستطعن المقاومة أو دخول المعركة، ويستفاد من الرسالة أنه كان قد وصله لوم المرسل إليه فخاطبه بهذا القدر معنفا إياه ومصورا قلة شهامته ورجولته، معتبرا إياه بعيد الهممة عن المساجلة وأنه لا يستطيع الخوض في ذلك، بل يستطيع فقط الدفاع عن نفسه أثناء نزول الموائد للأكل.

(1) زاد المسافر، ص: 88.

(2) المصدر السابق، ص: 60.



ثم يورد بعد ذلك رسالة لأبي بكر بن المرخي⁽¹⁾ وجهها إلى صديق له يعرف بابن البنته، ويفهم من سياقها أنها جواب عن رسالة أخرى كان قد بعثها له صديقه يعاتبه فيها على إبطائه في مكاتبتها، كما يفهم منها أيضا أن ابن المرخي هذا كان يقدر صديقه ويعترف له بالسبق في الفضل والخير والأخلاق الحسنة وأنه كان صديقه الأود تربطه به علاقة حميمة.

والرسالة موجهة من حضرة مراکش حيث كان يقيم ابن المرخي الذي يعاتب صديقه الذي لم يكاتبه بالرغم من معرفته بمكان إقامته، في حين كان هو يجهل مكان إقامة صديقه أما وقد أصبح مقامه معروفا فإنه سيوالي عليه رسائله ومكاتباته واحدة تلو الأخرى، وفي الرسالة إشارة إلى أن ابن المرخي يعاتب صديقه على كونه يكاتب بعض الأصدقاء دون البعض الآخر، ولكنه مع ذلك يعذره في ذلك لأنه غريب بأرض البادية ليس له ولي ولا نصير.

كما يفهم من الرسالة أن ابن المرخي بعث إلى أبي سليمان ابن داود كتابا خاصا يوصيه فيه بصديقه ابن البنته ويعرفه بفضله وقدره.

وبعد ذلك يورد البلوي رسالة موحدية هامة كتبها ابن عبد الحميد⁽²⁾ إلى أبي بكر بن توندوت، وهي رسالة لوم وتشنيع يظهر من خلال سياقها أن ابن توندوت كان في بداية الأمر يسير في ركاب الموحدين، ويخطب ودهم ويحارب بجانبهم ثم نقض بيعته لهم فخرج عن طاعتهم مفضلا الرضوخ للمرابطين والدعوة لهم. والكاتب يحذره من مغبة الأمر إن هو تمادى في غيه، ويدعوه إلى الرجوع للدعوة الموحدية لأنها الملجأ الذي يمكن له أن يجد فيه مأواه والملاذ الذي يمكن أن يلوذ إليه. وفي ختام الرسالة يدعو الكاتب ابن توندوت إلى التوبة والانابة خاصة وأنه قد سبقت له

(1) تحفة القادم، ص: 174.

(2) العطاء الجزيل، ص: 106.



خدمة في ظل الدعوة الموحدية، ولا شك أنه سيجد الاستجابة والعفو من لدن الخليفة الذي يعفو عن الظالمين والخارجين عن طاعته والمخالفين لدعوته.

وقد اختار البلوي بعد ذلك رسالة لأبي الحجاج يوسف ابن عتبة يهجو فيها ابن بكساس، ويعاتبه عتاباً عنيفاً يظهر في ثنايا سطورها أن الكاتب كان مقتدراً عالمياً بأسرار البلاغة، متمكناً من أدواته الكتابية، عارفاً بفن السخرية في المكاتبة، ولا شك أن الرسالة تظهر ما كان بين هاذين الكاتبين من تنافس، وأن الثاني منهما كان قد بعث برسالة إلى ابن عتبة يهجو فيه، فكانت السبب الذي دفعه إلى الرد عليه بهذه الرسالة.

وهو ينعتة فيها بأقبح النعوت وأسوأ الأوصاف، ويتهمة بالتقصير في النظم والنثر وأنه يحاول تقليد الفحول فلا يستطيع، وشبهه في محاولاته تلك بالغراب الذي أراد تقليد صوت الحمام ومشيته فلم يتمكن من ذلك، كما شبهه بالطائر المعروف «بِالْحَدَّاقَةِ» الذي يحاول أن يصيد أمراً ذابال، ولكنه لا يصيد سوى الفئران وتلك صفة ابن بكساس.

ويختتم البلوي كعادته هذا الباب بمجموعة من رسائله المتنوعة الأغراض.

• الباب السابع عشر:

❖ الرسائل المشرقية:

خصص البلوي هذا الباب لرسائل التعازي التي بعثها الكتاب إلى أصدقائهم أو من يعدون في مرتبتهم، ويفتح هذا الباب برسالة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁾ بعثها إلى معاذ ابن جبل⁽²⁾ يعزيه في ابن له، غير أن الناسخ قدم الرسالة مفردة قبل أن يذكر البلوي رجال هذا الباب كعادته، وذلك تأدباً مع الرسول وتعظيماً لاسمه الكريم. ومما تجدر الإشارة إليه أن الناسخ يؤاخذ البلوي على إدراجه اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الكتاب ويعتبر ذلك تقصيراً في حقه وغفلة من البلوي.

(1) التعازي والمراثي، ص: 148، صبح الأعشى، ص: 150.
(2) الطبقات الكبرى لابن سعد 3/ 583، الاستيعاب 3/ 1402.



وفي الرسالة تعبير رقيق عن البلوى التي أصابت معاذ بن جبل في وفاة ابنه وفلذة كبده، وقد بين له الرسول أن الأهل والأموال إنما هي ودائع منحها الله للإنسان إلى وقت معلوم وأجل محدود معدود، ثم يستردها متى أراد، ويدعو الرسول معاذ بن جبل إلى الصبر والاحتساب، فهما وسيلتان إلى ميل الأجر والثواب عند رب العالمين، أما الجزع فإنه يحبط العمل ويذهب الثواب كما أنه لا يرد ميتاً ولا يدفع حزناً، فما على المرء إذن سوى أن يطيع ربه وينجز ما وعده، حتى يذهب عنه أسفه وحزنه.

ثم يورد البلوي بعد رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالتين لعبد الحميد الكاتب⁽¹⁾:

- الأولى كتبها عن مروان بن محمد إلى أخيه يعزیه في الحكم بن مروان ويدعوه إلى التسليم للقضاء والقدر والتجمل بالصبر والخشية، والرجوع إلى الله في هذه المصيبة وفي ختام الرسالة يدعو الكاتب للميت بأن يغفر الله ذنوبه، ويتجاوز عن سيئاته ويضاعف له حسناته.

- أما الثانية فهي مبعوثة من عبد الحميد⁽²⁾ نفسه إلى مروان يعزیه في أخيه، وهو يصور له فيها كلوم الدنيا ومصائبها وفجائعها التي تتاب الناس في قضايا عديدة، جريا على قضاء الله وقدره، ويبين له أن الهلع والجزع في مثل هذه الحوادث لا يردان فائتاً، كما يبرز له أن أعظم ما يذهب الرزايا والمصائب هو الصبر على المكروه والرجوع إلى الله، وفي ختام الرسالة يدعو للميت بالثواب، وللخليفة بأن يصرف عنه السوء والمكروه.

ثم يورد بعد ذلك رسالة لأبي إسحاق الصابي⁽³⁾ يعزي محمد ابن العباس في وفاة ابنة له وكانت أكبر ولده، وهو يبرز فيها أن مصائب الدنيا ليست سوى أبواب مفتوحة تؤدي إلى الثواب، كما أنه يبين له تألمه وحسرتة على هذا الحدث الفاجع الفاجئ والملم الفادح، وفي الختام يبين للوزير أن الله وإن كان قد أخذ منه ابنته تلك فقد

(1) عبد الحميد وما تبقى من رسائله، ص: 194.

(2) المصدر السابق، ص: 195.

(3) الأدباء الصابئة في العصر العباسي، ص: 51-117.



عوضه من الولد ما يؤنس صدره وينور مجلسه، كما عوضه عن لوعته تلك بالعز القاهر والسلطان المتظاهر.

وفي ختام الرسالة يدعو للمتوفاة بالسعادة في الدار الآخرة، وللوزير بالمنح غير الامتحان وباللم غير التشعيث والتفريق، وبالزيادة غير النقصان في الأهل والولد والأموال.

وبعد ذلك يورد البلوي ثلاث رسائل لأبي الفضل الميكالي⁽¹⁾:

- الأولى كتبها إلى ناصر الدولة يعزيه في بعضهم، وهو يذكر في فصل منها أن الأقدار السارية بين البشر تنقسم إلى قسمين: منها ما هو مكروه ومنها ما هو محبوب، كما يبين له أن المصيبة التي نزلت به قد قرحت الأكباد وسودت وجوه المعالي والمكارم، إذ الميت كان يتسم بصفات العدل والدين وهما صفتان قلما توجدان في إنسان غيره، ولولا وجود الأمير الذي اجتمعت حوله الكلمة لما كان لهذا الجرح من أسى أو لهذا الكلم من تضييد.

- والرسالة الثانية كتبها الميكالي إلى أبي العباس بن أبي الطيب يعزيه، وفي فصل منها يذكر أن المصيبة التي نزلت بصاحبه مؤلمة ممضة، ولكنها نزلت بساحة من تلقاها بصدر رحب، ومن يصبر على الملمات حتى لا يحبط الجزع أجره وثوابه اقتداء بما جاء به الشرع والدين.

- أما الرسالة الثالثة فقد كتبها الميكالي إلى أبي عمرو البحتري يعزيه، وهو يذكر في فصل منها بعض فضائل الميت وصفاته التي كان يتمتع بها، ومن تلك الصفات نباهة الذكر ودلالة القدر، ثم يذكر أنه في الوقت التي اكتملت لديه المناقب والمفاخر واعترى ذروة المجد كالنجوم الثواقب اختطفته المنون، فمحي أثره وانقطع عمله ولذلك فالفضل خاشع لفقده والكرم خالي المكان من بعده⁽²⁾.

(1) زهر الآداب 3/ 745.

(2) المصدر السابق 4/ 1141.



ثم يختار البلوي رسالة لبديع الزمان الهمداني⁽¹⁾ كتبها إلى بعض أصدقائه وإخوانه يعزيه في وفاة والده، والرسالة من خلال سياقها تبدو وكأنها وصية حسنة من بديع الزمان لصديقه، وهو يفتتحها بالمصائب الجليلة التي أصاب صديقه ولكنه جدير بالصبر عليه والعزاء فيه، ثم تعقب هذه الافتتاحية وصية هامة من البديع بعدم الإسراف في الإنفاق ومخالطة أصدقاء السوء، حتى لا يضيع المال الذي جمعه له والده ويتلف الإرث الذي خلفه له بعد أن كد من أجله طول حياته، على أنه يوصيه أيضا ألا يقتتر على نفسه وألا يبخل على أهله وأسرته وذوي رحمه وأقربائه، بل عليه أن يتوسط الأمرين فلا إفراط ولا تفريط ولا إسراف ولا تقتير بل قصد بين الطريقين.

ويختار البلوي بعد ذلك لعمر بن مسعدة⁽²⁾ رسالة يعزي فيها الأمير العباسي المأمون في العباس بن الفضل، وهو يفتتحها بذكر عظم المصيبة التي ألمت به والرزية التي دهمته، ولكنها مصيبة تصغر بالصبر الذي يثيب الله عليه المؤمنين ويجازيهم عليه أحسن الجزاء، كما يذكر مناقب العباس وفضائله وأن المأمون سيجد في الخليفة ما يؤنس وحشته ويفرج كربته. وفي الختام يعبر الكاتب عن شعوره أمام هذا الحادث الجلل والمصائب الذي ألم، وهو شعور من تفرح قلبه وفوض أمره إلى الله، لعلمه بأن كل النفوس ذائقة الموت وأن كل الناس إليه يرجعون.

أما الحسن بن وهب⁽³⁾ فقد اختار له البلوي رسالتين:

- الأولى يعزي فيها علي بن بنان، والثانية يجيب فيها من عزاه في ابنة له. يفتتح الأولى بدعوة المعزى به إلى الصبر على هذه الفجعة، والتسليم لقضاء الله وقدره وتفويض الأمر إليه وشكره على النعم والنقم، ثم يتحدث عما أوقع هذا الحادث في نفسه من ألم وحزن، لأن العلاقة بينه وبين هذا الكاتب كانت علاقة ود وصداقة،

(1) نفسه، 4 / 1150.

(2) وفیات الأعيان 3 / 145، أمراء البيان 1 / 191.

(3) الأغاني 8 / 357، الاعلام 2 / 226.



وهو من الذين يرعون الود والعهد ويشارك أصدقاءه في الأفراح والأتراح. ثم يدعو لصديقه بطول العمر ودوام العافية ويطلب منه أن يحمل تعزيتة هذه لجميع أقرباء الميت، حتى يكون قد أدى ما عليه من واجب وحتى تطمئن نفسه وتسكن.

- أما الرسالة الثانية فقد أجاب بها الحسن بن وهب أحد أصدقائه الذي كان قد بعث له بتعزيتة في وفاة ابنة له، وهو يعترف بما تضمنه الكتاب المبعوث من موعظة حسنة، كما أنه يعلم علم اليقين أن وفاة وحيدته بالرغم من أنه أحزنه وأقلقه فإنه يعلم أن الرجوع إلى أمر الله خير من الجزع على ما فات وأنه يرغب إليه سبحانه أن يجزل ثوابه عليها ويعوضه بجميل الخلف بعدها.

❖ الرسائل الأندلسية:

يفتح البلوي باب التعزية برسالة لأبي العباس أحمد بن رشيق⁽¹⁾، وكان قد بعثها إلى الموفق⁽²⁾ يعزيه في وفاة القاضي الجوهري. ويذكر الكاتب صاحبه بالفاجعة التي ألمت به والمصيبة التي طرأت عليه، ولكنها مصيبة وإن عظمت وجلت فإن بقاء الموفق يلينها وسلامته تهنئها. ثم يتحدث ابن رشيق عما ألم به بعد وفاة القاضي من حزن، وما نزل به من كرب لأنه كان يشاركه في القيام بالحقوق والواجبات ويعضده في خدمة الأمير ودولته.

وفي الختام يهون الأمر لصاحبه مستدلاً بأن التوبة تمحو الذنوب وإن كبرت وتعفو آثارها وإن كثرت، ثم يطلب من الله أن يلهمه مثوبة متينة الأسباب سليمة من الاضطراب قائمة بالحدود وافية بالعهود⁽³⁾، كما يختم الرسالة بالدعاء لصاحبه بالسلامة وطول العمر.

(1) جذوة المقتبس، ص: 115، أعلام المغرب العربي، ص: 50.

(2) العطاء الجزيل، ص: 136.

(3) المصدر السابق، ص: 137.



ولابن رشيق رسالة ثانية كتبها نيابة عن ولديه العباس وعبيد الله إلى الموفق⁽¹⁾ يعزيانه في موت القاضي الجوهري، ويتبين من خلال الرسالة أن الولدين يعترفان بفضل الموفق عليهما، إذ كانا قد نشأ في حضنه وتحت كنفه ولذا فهما لم يشاركانه في مصابه ويحزنان لحزنه.

كما أورد البلوي لابن رشيق رسالة ثالثة يجيب بها الموفق يذكره فيها بفضلته ونعمه التي أسبغها عليه ومننه التي طوق بها عنقه ولذلك فهو يشاركه في لوعته وحزنه ويعترف بالتقصير في ذلك مهما أطنب، ولكنه يعلم أن أخلاق الموفق وحلمه سيجعلانه يتجاوز عن تقصيره.

ثم يختار البلوي رسالة لأبي جعفر اللمائي⁽²⁾ كتبها إلى أبي جعفر بن عباس يعزيه في أبيه، وهو يعترف بأنه إذا كان لا يجيد التأبين فإنه يجيد البكاء والحنين، وأنه حينما علم بخبر موت الوزير تروع قلبه وجنانه ولم يطق الصبر؛ لأن الميت كان بدرا قد أفل وهلا لا قد استقل، وأنه كان قد طوقه بالبر والإحسان ولذا فهو يبكي لفقده دما بدل الدموع، وفي ختام الرسالة يعزي أبا جعفر ويلتمس منه الصبر لينال الأجر والثواب فهو الطريق الموصل إليها.

ويختار البلوي لابن عمر الباجي⁽³⁾ مجموعة من الرسائل في التعزية بعث الأولى منها إلى أبي عامر يعزيه في وفاة ابنه المعتز بالله، وهو يذكر فيها أنه يشاركه في هذا الحدث الجلل الذي أصابه والفجعة التي ألمت به وهو مصاب له وقع في النفوس والقلوب، وهو لا يستطيع عليه صبرا لشدة الحزن والأسى. ويقتطف من نفس الرسالة فصلا يذكر فيه صاحبه بأمر الله الذي لا راد له ولا منزع لقضائه العادل، ويدعو صاحبه إلى الصبر والاحتساب للقدر النازل به حتى ينال بذلك ثواب الله جزاءه.

(1) جذوة المقتبس، ص: 115 و 331.

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/2 - 186.

(3) المصدر السابق.



وفي رسالة أخرى - ولعلها مكتوبة إلى السابق - يتحدث عن مشاركته لصديق له في عظيم مصابه الذي يعد فقدته بمثابة فقد السمع والبصر، ومن رمي به فكأنه رمي بالحوادث والغير. ولكنه يدعو للرجوع إلى الله الذي يعتصم به العارفون ويرجع إليه المسلمون، كما يدعو إلى الصبر والاحتساب وهو خليق بذلك لأنه يعلم أن كل نفس ذائقة الموت وأن الناس كلهم إلى الله يرجعون.

ثم يورد البلوي رسالة لأبي عبد الرحمن بن طاهر⁽¹⁾ بعثها إلى المعتصم بالله صاحب ألمرية، عندما كان رئيساً بها وهو يصف له فيها ما أوقعه النصاري من حيف وغيث ببلاد الأندلس، حيث أصبحت يرثى لها بعد أن أصابها ما أصابها من الدمار على يد كل من فُرِدِلْنَد. الذي كان قد نزل بقلعة أيوب وغرسية الذي نزل بسرقسطة ورذمير الذي نزل بوشقة، والمسلمون في كل هذه الجهات تنهب أموالهم وتزهق أرواحهم لا حول لهم ولا قوة ولا قدرة لهم على رد المكروه، سوى اللجوء إلى الله وحده الذي يلجأ إليه في تلافي الأمة وكشف ما أصابها من ضرر تلك الغمة.

وبعد ذلك يختار البلوي رسالة لأبي بكر بن عبد العزيز كان قد بعثها لصديقه محمد بن القاسم⁽²⁾، الذي نكبه أمير المسلمين نكبة أصابته من جرائها غمة شديدة، والكاتب يذكر صديقه بأحكام الدنيا المتقلبة التي لا تدوم على حال ففيها سرور وفرح وحزن وألم، ثم يدعو إلى عدم الأسى والحزن لأن أدبه وعلمه يرفعانه ويعليان من شأنه، كما يطلب منه أن يعتبر نكبة أمير المسلمين له ضربة من ضربات الدهر لا بد أن تنكشف وتنجلي، بإكرامه له مرة أخرى وإرجاعه إلى منصبه الذي كان يحتله ومكانته التي كان يتميز بها، بالرغم من أنه يعلم أن صاحبه قد ترك الدنيا رافضاً لها يائساً من مذهب السائرين على صواها.

(1) نفسه 1/3 - 86، قلائد العقيان، ص: 66.

(2) قلائد العقيان، ص: 187.



ومن إنشاء أبي عبد الله اللوشي⁽¹⁾ يختار المؤلف رسالة كتبها إلى أمير المسلمين يعزيه في قادة المرابطين الأشاوس، وهو الأمير مزدلي الذي قد جرت بينه وبين السيد القمبيطور مناوشات حربية في مدينة بلنسية.

والكاتب يقرر في رسالته إلى أمير المؤمنين أن الرزء الذي حل به عظيم، ولكنه إن أخطأه وتعداه وبقي هو يحمي ديار المسلمين كان في ذلك الخير كله، كما يعبر عن الألم الذي نزل به إلى حد أن نفسه أصبحت محترقة وعيونه كأنها من كثرة الدموع مغرورقة، وذلك لما كان يتمتع به المتوفى من خصال حميدة، وخاصة صفة الجهاد التي كانت من أدل صفاته وأعظما، ثم يدعو في ختام الرسالة للميت بحسن الشهادة وللأمير بالصبر والسلوان.

ثم يختار المؤلف رسالتين لعماد الدين الأصفهاني⁽²⁾، يعزي فيها المسلمين جميعا في وفاة صلاح الدين الأيوبي. وهي رسالة كان من المفروض أن تدرج ضمن رسائل الكتاب المشاركة.

وبعد ذلك يورد البلوي رسالتين لأبي بكر بن مغاور الشاطبي⁽³⁾، الأولى لعله بعثها لأحد أصدقائه يعزيه في وفاة أبيه، والثانية يعزي في الرئيس أبي الحجاج يوسف ابن عيسى. وهو يفتتح الأولى بالدعاء للإمام المعصوم والاسترضاء عن الخليفة الإمام على عادة كتاب الموحدين، ثم يوالي حديثه عن المفقود الذي كان بمنزلة والده ويدعو له بالتوبة والغفران ويذكر المعزى بألا يجزع أو يحزن لأن الجزع والحزن لا يردان فائتا، كما أن الأسف لا يرجع الميت من قبره، ولو كان الأمر كذلك لسالت الدموع من العيون دما، ولكن الموت كما قال بديع الزمان -وخشن حتى لان- فعلى الإنسان أن يتأدب بأدب الصابرين المؤمنين حتى ينال الأجر الجزيل والثواب الجميل.

(1) قلائد العقيان، ص: 254.

(2) الفتح القسي في الفتح القدسي، ص: 488.

(3) انظر كتاب ابن مغاور الشاطبي للدكتور محمد بن شريفة.



أما الرسالة الثانية فهي على شكل خطبة تأبين مما يرتجله الناس على قبر الميت بعد دفنه، وهو يستهلها بالحمدلة والتصلية ثم يعدد خصال الفقيد ومناقبه ويذكر أن الإنسان الميت لا ينفعه بعد وفاته سوى عمله الصالح، وأن حسابه من قبل ربه سيكون على تلك الأعمال، ولا شك أن أبا الحجاج ممن سيحاسب حساباً يسيراً لفضله وفضائله ولخصاله التي كان يتمتع بها. ثم يدعو الناس إلى الصبر على المحزون والتسليم للقضاء والقدر، ويدعو في ختام الرسالة لأقربائه بدعوات طيبات صالحات، ثم يشكر الذين حضروا الدفن على تجشمهم للمشاق في سبيل حضور هذه الجنازة المباركة.

أما شيخ الكتاب الموحدين قاطبة أبو عبد الله بن عياش⁽¹⁾، فيختار له المؤلف رسالة كتبها نيابة عن الخليفة إلى جماعة الموحدين والطلبة والكافة المتواجدين بإشبيلية، يعزيهم في وفاة أبي إسحاق الأحول الذي كان والياً عليها ما بين 610هـ إلى 612هـ.

في بداية الرسالة يذكر الخليفة - بقلم ابن عياش - أهل إشبيلية باهتمامه المتزايد بهم وعنايته بمدّيتهم رغم بعد المسافة بينها وبين الحضرة، ثم يعلمهم بأنه قد وصله خبر وفاة أبي إسحاق ثم يدعوهم إلى الاتصاف بالأمانة والخلق الحسن، وأنه كانت تربطه بآل إشبيلية رابطة حسنة فيتأنسونه ويتوددون، ولا شك أنهم أحق من يتقبل التعزية فيه ومن يستقبلها بصدر مكلوم وقلب مجروح، ثم يعلمهم بأنه قد عين لهم والياً آخر سيكون خير خلف لخير سلف، وعليهم أن يترقبوا مقدمه ويكونوا خير مساعدين له في أموره حتى تستقيم الأحوال بتلك الجهات، وتسير الأمور على خير ما كانت عليه في الحال والمآل.

ثم أورد البلوي بعد ذلك رسالة لأبي عمرو بن غياث الشريشي⁽²⁾ يعزي بها من توفي له أحد أقربائه، وهو يدعو إلى الصبر على النوائب والأرزاء حتى ينال ثواب الله

(1) الذيل والتكملة 6/ 384.

(2) العطاء الجزيل، ص: 169.



الذي يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب. ثم يعدد مناقب الميت ويذكر مصائب الدنيا التي نزلت بقوم سابقين مضوا بدون رجعة. ويعزي في ختامها أقرباء المتوفي وأهله ذاكراً أن مآل الجميع سيكون إلى ما آل إليه، وأن مصير كل حي إلى ارتحال داعياً من الله ألا يصيبهم بمكروه، وأن يختم عليهم بصلاح الأعمال كما بدأها في أول الأمر.

ويختتم البلوي باب التعازي بجملة من رسائله التي دبجها يراعه وكتبها أنامله، أغلبها في تعزية ولي نعمته أبي إسحاق إبراهيم الأحول الذي كانت تربطه به علاقة وطيدة، وهو يتلهف على موته ويذرف الدموع على فقده. وقد حللنا هذه الرسائل أثناء حديثنا عن نثر البلوي.

• الباب الثامن عشر:

خصصه البلوي لرسائل الوصف على اختلاف أنواعها ومواضيعها.

❖ الرسائل المشرقية:

يفتح البلوي هذا الباب برسالتين لعبد الحميد ابن يحيى الكاتب⁽¹⁾ الأولى منهما في وصف طغيان نهر الفرات، والثانية في وصف جارية كان قد طلب الخليفة من عبد العزيز بن عمر بن هبيرة شراءها وإرسالها له.

في الرسالة الأولى يصور الكاتب كيف أن نهر الفرات قد هاجت أرجاؤه على المناطق المجاورة، فذك الأراضى والتلاع وهدم المنازل والديار وأغرق المواشي والخيام وأصبح لا يمر بشيء قائم البنيان إلا هدمه، فغدوا خائفين وجلين منه لما رأوه من هائل مصبه وإقبال تياره. ولقد أصبح الخليفة حينما وصله خبر طغيان هذا النهر الجارف مرتاعاً وجلاً، وطلب من الناس التهيؤ للأمر وأخذ الحيطه والحذر حتى لا يصبحوا كمن ضربهم سيل العرم.

(1) عبد الحميد وما تبقى من رسائله، ص: 10.



أما الرسالة الثانية فهي في وصف جارية⁽¹⁾ ويفتحها الكاتب بقوله، لقد طلب أمير المؤمنين من عبد العزيز بن عمر بن هبيرة أن يشتري له جارية، تكون قد نبتت في بيت من العرب تأدبت بأدبهم ويجب أن تكون رزينة حليلة، منطقها رخيم دقيقة الخصر طويلة الشعر ممتلئة الساقين واسعة العينين، قارئة كاتبة تنشد من الشعر بعضه وتقوم بخدمة الأمير بما يحتاج إليه، أمينة على السر مجيبة للدعوة قليلة الأهل، وفي ختام الرسالة يطلب الخليفة من المشتري أن يحدد الثمن الذي اشتراها به حتى يؤديه له ناجزا كاملا غير منقوص.

❖ الرسائل الأندلسية:

يفتح البلوي هذا الباب برسالتين لأبي عبد الله محمد بن سليمان بن الحنات⁽²⁾، الأولى خاطب بها ابن دري والثانية في وصفه قصيدة أهدها لصديق. أما الأولى فيصف فيها حال صديق له كان شاعرا، وقد أخبره بعضهم بأنه صاحب منظوم جيد رائق، ولذلك فهو يبعث له قصيدة خبرها من بنات فكره يثني بها على فضله وعلمه، مع الاعتراف أنه مقصر في التعبير لأنه أهدي الدر إلى ناظمه وخلع الوشي على منمنمه. أما الثانية فهي أيضا في وصف قصيدة بعثها لصديق له بعد ليلة أنس، وهو يذكر أنها من القصائد الغر رقيقة اللفظ جيدة السبك، ويطلب من صديقه أن ينشدها على أبي عامر ابن شهيد⁽³⁾ ويكلفه بمعارضتها على نفس القافية والوزن.

ثم يختار لأبي عامر بن شهيد⁽⁴⁾ ثلاث رسائل في الوصف الأولى في وصف برغووث، والثانية في وصف ثعلب، والثالثة في وصف الماء وصفائه.

ومما لا شك فيه أن ابن شهيد كان يجيد الوصف شعرا ونثرا، ولذلك وجدنا البلوي يختار له هذه الرسائل ليرز قدرته على التحليل الدقيق والوصف البارع.

(1) عبد الحميد وما تبقى من رسائله، ص: 197.

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/ 438-1.

(3) المصدر السابق 1/ 271-1.

(4) المغرب في حلى المغرب 1/ 83، والذخيرة 1/ 271-1.



ففي وصف البرغوث يعطينا ابن شهيد لهذا المخلوق العجيب صفات دقيقة بواسطة التشبيهات التي يصفه بها، فهو أسود كأنه زنجي أو ليل حالك أو نقطة مداد يعب حين يشرب ويثب حين يمشي، لا يخرج إلا بالليل ويدخل على الرؤساء والجبابرة كما أنه يستحل دم كل مسلم ويهتك ستر كل حجاب، ولا يحفل ببواب «شره مبثوث وعهده منكوث وهكذا كل برغوث»⁽¹⁾.

وفي وصف الثعلب يقدم لنا ابن شهيد صورة عن دهائه وفتكه وعن انتهازه للفرص متى وجدها مع حسن اختياره لطعامه وشرابه فلا ينقض إلا على الدجاج أو الحمام ولذلك فهو يشبه «بقراط» في إدامه و«جالينوس» في اعتدال طعامه⁽²⁾.

أما رسالته في وصف الماء فهو يقدم من خلالها وصفا دقيقا لصفاته وعذوبته من خلال التشبيهات التي يعطينا إياها: فهو أزرق كعيون القطط، أو كلسان شمعة في صفاء الدمعة إذا رفع عن إنسان مات عطشا، وإن قدم له حميت به نفسه وطابت. ويختار بعد ذلك لأبي محمد عبد الغفور⁽³⁾ رسالتين:

الأولى منهما في وصف طبق من السفرجل كان قد أهده لصديق له يخلص له الوداد، وهو يقدم لنا وصفا دقيقا للسفرجل من خلال تشبيهاته له، فهو في شكله كثدي العذارى أو كأقداح مملوءة بماء الذهب يفوق في نكهته نكهة التفاح والعنب، ولعل ثمرة من هذا النوع يحق للإنسان أن يقضمها ويشد عليها أنامله، وبعد وصفه لهذه الثمرة يختم الرسالة بوصف دقيق للصداقة التي تربطه بصاحبه.

أما الرسالة الثانية فهي في وصف المطر الذي نزل بعد أن أصاب الناس قحط شديد، وهو يستهلها بوصف عظمة الله وقدرته على إنزال الغيث بعد القحط، وتلك

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1-1 / 2-1، المغرب في حلى المغرب 1 / 83، اليتيمة 2 / 46.

(2) العطاء الجزيل، ص: 214.

(3) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 2 / 1-341.



نعمه ينعم بها على الخلق، فمن الواجب عليهم أن يشكروها لأن الماء يحيي الأرض بعد مواتها، فيستبشر الناس به خيراً ويفرح له كل أعجم وناطق، ويشفى به غليل كل قلب عطشان صاد.

ثم يتحفنا البلوي برسالة للفتح بن عبيد الله المعروف بابن خاقان صاحب كتاب «القلائد» وهي أول رسالة يختارها المؤلف لكاتب مرابطي. وهو يصف فيها الأدب الذي يعد في نظره من أجمل ما التحفته همم الناس، لأنه هو الذي يطلق اللسان من عقاله وينطق الإنسان من صواب مقاله، كما يشمل النثر والنظم اللذان تتحلى بهما صدور الملوك وتزين بهما مجالسهم ومنتدياتهم.

ويختار البلوي بعد ذلك رسالتين لأبي عبد الرحمن ابن طاهر، الأولى منهما يخبر فيها المنصور بن أبي عامر بالسيل الذي أصاب مدينة مرسية وهد أسوارها وجرف ديارها. وهو من خلال الرسالة يبرز أن السيل كان عظيماً قوياً، أذهل الأذهان وشغل البيان وأنطق اللسان، حيث ملأ السهل والجبل ودك المنازل والحصون وأصاب الناس والأنعام. ثم توقف بقدرة قادر فكان ذلك من معجزات الخالق حيث غيض الماء لحينه، ولكن بعد أن غير المعالم والآثار وخرب المنازل والديار.

وأما الرسالة الثانية فقد بعثها أيضاً إلى المنصور بن أبي عامر، وهو يصف فيها صقورا كان قد أرسلها له ويذكره بأنه حصل عليها بواسطة عارف بوكونها وأوكارها، مجرب لأحسنها وأفرها ولذلك فهي من الصقور المجربة الجيدة، تصيد الطيور بسرعة فائقة وتنقض عليها كالبرق الخاطف، ثم تعود إلى يد صاحبها وهو يطلب من المنصور أن يقبلها منه هدية وأن يكاتبه بعد وصولها.

ثم يختار البلوي لأبي جعفر بن أحمد⁽¹⁾ رسالة في وصف مشموم ورد كان قد أهداه له أحد أصدقائه، فيصف الورود التي اشتمل عليها إذ احتوى المشموم على الأبيض

(1) خريدة القصر 3/ 438.



والأحمر وغير ذلك من الأنواع، وكل هذه الورود تشبه في لونها نور الصبح وحمرة الشفق، ثم يذكره برائحتها التي تشبه المسك وعبيره، ثم يختمها بشكر صاحبه على هديته مفصحا عن حسن خلقه ومشبهها أخلاقه بصفات ما أهدى له من الورد.

ومن إنشاء أبي القاسم بن السقاط⁽¹⁾، يختار المؤلف رسالة يصف فيها فرسا أهداه إلى أحد أصدقائه، وهو جواد أصيل يسبق الجياد في وسط الحلبة منكباه يزاحمان منكب الجوزاء، كما أنه يشبه الطيبي في شكله ولونه والنجم أو البرق في عدوه وسرعة انقضاضه، وختاما يطلب من صاحبه أن يضمه إلى جياده وأن يتخذة ليومي رهانه وجلاده.

أما الكتاب الموحدون فيختار البلوي في هذا الباب لثلاثة منهم يعدون من أبرع الكتاب في الوصف وهم: ابن مغاور الشاطبي، وأبو بحر صفوان بن إدريس، وثالث لم يفصح عن اسمه.

أما ابن مغاور فأول رسالة له في الوصف هي تلك التي يصف فيها كلب ماشية وهو من الكلاب التي تهر إذا سمعت الأصوات، سريع العدو حاد الأنياب يصبص حينما يشعر بالضعف، ويكشر عن أنيابه حينما يحس باللصوص، ويسهر حينما ينام الرعيان فإن أغفلوا عن الماشية حرسها، وإن رأى ذئبا صاده لا تجده إلا أمام الغنم أو وراءها كامنا، فكأنما كان جده لأصحاب الكهف والرقيم ثامنا، ثم ذكر ابن مغاور لصاحبه أنه اختاره له من الجراء البينة الأصل التي تجرح الخنازير بأسنانها فتفر من مكانه إلى مكانها. وفي الختام يبين لصاحبه أن اقتناء مثل هذه الكلاب جائز في الشرع.

وفي رسالة أخرى يصف وطواطا «طائر الليل» ويذكر أنه لا يملك ريشا، فهو ليس من ذوات القوادم والخوافي، كما أنه ليس بذئب أضلاف يكشر عن أنياب كأنه سبع بالرغم من أنه يحلق في السماء كالطير، وهو لا يبيض بل يفرخ كما أنه لا يدح بل ينفخ، يبصر في الليل ولا يرى في النهار، ويهجم على ذوات الإبر كأنما يطلبهن بثأر

(1) قلائد العقيان، ص: 198.



فإن رضيه خادماه له كان له ذلك، وإلا فرأيه أصوب وحجته أقرب ويبدو من ختام الرسالة أنه كان قد بعثها مداعبا بها أحد أصدقائه.

ثم أورد له البلوي رسالة مطولة في وصف ذئب حينما أمر بإخراجه ابن مردنیش⁽¹⁾، من مدينة شاطبة متشفعا بوزير لأمر المؤمنين الخليفة الموحد، ويتبين من خلال الرسالة ومن سياقها أنه يرمز بهذا الذئب الموصوف إلى ابن مردنیش نفسه.

يستهل الكاتب رسالته بوصف بعض مزايا الوزير وخصاله، مدركا أنه يستطيع بسياسته الحكيمة أن يميز بين الحق والباطل، وأن يعرف ما لفق ضده من قول ليس سوى زور وبهتان. ثم ينتقل إلى استعراض حالته وكيف خرج بعد أن اشتدت الغوغاء بين الناس، فطلب منه أن يخرج من المدينة راحلا عنها، ليس له أنيس يقطع الفيافي والقفار وحيدا على قدمين ليس له مركوب يستعين به، مما جعله يلقي في سفره نصبا شديدا وأثناء عبوره للفيافي والقفار لقي ذئبا ضاريا دامي الأظفار، وهو مشهور بتلك الأقطار، فظن أن أجله قد حضر بعد أن كشر له عن أنيابه كأنها الرماح يريد الانقضاض عليه ومباغتته، ولم ينجه منه سوى خنجر كان بيده فأجهز به عليه وأثبتته في حنجرته فسقط صريعا، وعاین من تخبطه منظرا شنيعا. وبعد ذلك تركه يلبس الرهج «الغبار»، وركب إلى الوزير يطلب منه إنصافه فوجد لديه ما أمله، لأنه من الذين يعتقون الرقاب ويفكون الأسرى وييسرون ما ينال الناس من عسر، ولهذه الأسباب لجأ ابن مغاور إليه طالبا منه أن يتوسط له لدى الخليفة الهمام الفاضل، الذي سيرد له حقه من الذين ظلموه وأخرجوه من منزله ووطنه، وبذلك تستريح نفسه ويقر قراره.

ثم أورد له البلوي رسالة بعثها إلى صديق له لم يفصح عن اسمه وكان مولعا بالتين الصهابي، فيذكر فيها أن الله كسى الشجر أوراقا وجعل لعباده فيها أرزاقا، ولم يترك

(1) العطاء الجزيل، 224.



الناس هملاً أو سدى بل نفعهم بشجرة تعين الناس ببرها فتساقط عليهم رطباً جنياً، كما أنها تقيهم البرد والحر، ثمرها يسيل له لعاب الجائع وظلها يستر الخائف الحائر. ويختتم الرسالة بأبيات شعرية يصف فيها هذا النوع من التين.

وبعد ذلك يختار البلوي لصفوان بن إدريس⁽¹⁾ رسالة في وصف دابة سيئة، وهي رسالة على شكل مقامة تخيلها الكاتب وأحسن التعبير فيها عن ذلك الحيوان، فهي بغلة كليلة ترغو إلى الشعرير رغاء البعير لا تستطيع السير، كسولة خلقها سيء تقعد ولو ضربت بالسوط.

وبعد ذلك يختار له البلوي رسالة في وصف المطر الذي كان مصاحباً بهرق وريح ورعد، وكان صفوان قد بعثها لصديق له، وهو يذكره بأنه بعد مفارقتها نظر إلى السماء فوجدها قد تلبدت بالسحاب الثقيل، فخاف من عيونها أن تدمع ورب محذور يقع وخذن يصيبه ما يتوقع⁽²⁾، فلما وصل إلى منطقة «القناطر» صاحبت السحابة بروق ورعود ثم أنزل الله من السماء ماء مدراراً فلبست الأرض خضرتها وازينت، ولكن صفوان ظل يواصل سيره إلى أن بلغ منطقة «قطرال» فبات هناك في جوار أناس أفاضل، يتجاذب معهم أطراف الحديث إلى طلوع الصبح، فرحل متجهاً إلى مرسية حيث وجد بها أخاً ينتظره، وقد طال مقامه فأراد الهجرة والخروج، إلا أن وصوله إليه قبل رحيله كفاه «مؤنة المشقة وأراحه من قطع تلك الشقة»⁽³⁾. أما الرسالة الأخيرة من رسائل الكتاب الموحدين في هذا الباب فهي لكاتب لم يصرح بالبلوي باسمه، وهي في وصف ديك حيث يذكر صاحب الرسالة أنه كان يملك ديكا مليح الصورة على رأسه تاج من الذهب، كأنه تاج ملك يشبه الطاووس في حلته، عيناه كأنهما قطعة عقيق من شدة الاحمرار له ملقط كأنه صيغ من عنبر أو زمرد أخضر، كان إذا شعر في الجو بطائر رفرف ينذر عشيرته

(1) العطاء الجزيل، ص: 230.

(2) المصدر السابق، ص: 234.

(3) المصدر السابق، ص: 235.



ويخبر ذريته وأهله، خوفاً من عقاب أو باز، والكاتب يصف أنه كان كلفاً به محباً له حب الوالد لمولوده معجباً بصفاته إعجاب المتمثل بآياته.

• الباب التاسع عشر:

خص البلوي هذا الباب لرسائل الهزل والمداعبة والتهكم في المكاتبة، ولم يختار فيها للمشاركة سوى رسالة واحدة لأحمد بن سعيد الأصفهاني الكاتب يداعب أحد أصدقائه.

❖ الرسائل الأندلسية في هذا الباب:

الرسالة الأولى التي اختارها البلوي في هذا الباب هي لأبي جعفر أحمد بن عباس⁽¹⁾، يجيب بها أبا المغيرة بن حزم، مداعباً إياه واصفاً له الرجل الذي بعث له معه خطاباً، وصفاً يدعو إلى التندر والضحك فهو رجل طويل القامة على شاشيته وسخ وفي لسانه ومنطقه لكنة، ثيابه تشبه ثياب راهب تائه يمشي متباعد الساقين وعلى رأسه عمامة كأنها صنعت في زمن العمالقة، ويلبس طيلساناً رثاً كأنه طيلسان ابن حرب، وخفين باليين كأنهما حذاء يهودي في تأكل نعليهما.

وقد أجاب أبو المغيرة ابن حزم⁽²⁾ صديقه أبا جعفر أحمد بن عباس برسالة مماثلة، غير أنه أنكر تلك الأوصاف التي أطلقها على صاحبه وعدها من باب الدعابة والهزل.

ثم يختار البلوي لأبي محمد بن عبد الغفور⁽³⁾ رسالة يداعب فيها أحد أصدقائه، وكان قد مدح له امرأة وحضه على تزوجها وكانت امرأة ذميمة الخلقة، فأخذ الكاتب يصف هيأتها وشكلها ويذم منظرها ويطلب من صديقه أن يأخذها لنفسه بدلاً من أن يقدمها لأصدقائه.

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/ 2-643، المغرب في حلى المغرب 2/ 205.

(2) الذخيرة 1/ 2-648.

(3) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 2/ 1-345.



ويختار أيضا لأبي بكر بن قزمان⁽¹⁾ رسالتين: الأولى يداعب فيها صديقا له كان قد تزوج ودخل بعقيلته التي راقته وراقها، والثانية بعثها جوابا عن رسالة كان قد بعث له بها أحد الأصدقاء وهو يداعبه من خلالها ويذكر له أنه لا يشك في قوته وفحولته، كما أنه لا يظن بصاحبه سوءا إن كبا فرسه أو نبا سيفه.

أما الرسائل الموحدية في هذا الباب فقد خصصها البلوي كلها لصفوان بن إدريس⁽²⁾، الذي كان في طليعة الكتاب المداعبين خلال هذا العصر، فلا شك أن البلوي كانت قد وقعت بين يديه رسائله وأخباره، فانتقى منها في كتابه هذا مجموعة انفرد بها دون سواه.

في الرسالة الهزلية التي بعثها صفوان لصديقين يذكر لهما أنهما زاراه فأبرما حبل مسرته، وأنسا بيته بطلوعهما عليه وحليا الصقع الذي نزلا به فكلاهما إلف إلى قلبه حبيب إلى نفسه، غير أنه يلومهما عن عجزهما لزيارته وتأخرهما عنه، علما بأنهما يثنيان عليه ويحفظان له من الود ما لا عد له ولا حصر.

وفي رسالة ثانية يبلغ صفوان أمانة لوزير كان صديقا له بإخباره بواسطة القلم الذي ينوب في رأيه عن اللسان، أن أحدهم قد بلغه منه كتاب يسلم فيه على الوزير ولكنه كتاب كله هزل ودعابة، وقد أدرك من خلال قراءته للخطاب الموجه إليه أن ذلك الشخص لا ينطوي في نفسه على حب لصاحبه، وأنه وردت في رسالته عبارات فيها تنويه ولكنها تحمل بين طياتها لمزا وتعريضا، بحيث لا يمكن أن تفسر العبارات الواردة في الرسالة تفسيراً جدياً بل يجب أن تؤول وتأويلها يؤدي إلى ضدها.

أما الرسالة الثالثة التي أوردها البلوي لصفوان فقد وجهها لصديقه أبي عبد الله بن حامد⁽³⁾، يخبره فيها بأن أبا علي الذي كان مقدما لدى الوزير أبي الحجاج قد غدا

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 2/ 781.

(2) انظر المقدمة التي كتبها أستاذنا الدكتور محمد بن شريفة لكتابه: أديب الأندلس أبو بحر التجيبي عمر قصير وعطاء غزير.

(3) الذيل والتكملة 4/ 190، ترجمة رقم 156.



منبوذا لديه ولدى جميع أصدقائه وخلانه، فلا يجد منهم أحدا يسأل عنه أو يقترب منه. وفي الختام يطلب صفوان بن إدريس من ابن حامد أن يقدم لصديقه عزاءه لعله يكسر بذلك سيف هجره، ويسلي عنه كربته التي أصابته ولعله يعود كما كان من قبل فتطيب نفسه وتطمئن جوارحه.

أما الرسالة التي أوردها البلوي لصفوان بعد ذلك، فكان قد وجهها إلى أبي الحسن علي بن حريق⁽¹⁾، يجيبه فيها عن رسالة كان قد بعث له بها وهو يفتحها بقصيدة طويلة معبرة المعاني، يمدح فيها ابن حريق ويصفه بتوقد الذهن وسرعة الخاطر، وبالبيان الذي يغني عن كل بيان واللسان الذلق الذي ليس يشبهه لسان، إذا نطق أسكت الحاضرين بدر كلامه، وإن كتب أعجز الكتاب ببيانه وأسلوبه، كما أن وجود شبيه له منعدم ونادر كالأبلى العقوق، ولهذا فصفوان يجله ويقدره ويعتبره من أصدقائه المخلصين الأوفياء، غير أنه يلوم الدهر الذي فرق بينهما مما جعل كل واحد منهما يحزن إلى صاحبه ويشتاق لرؤيته. ثم يتعرض صفوان ضمن رسالته إلى الخطاب الذي وجهه له صديقه ابن حريق، فيصفه وصفا دقيقا ويضفي على صاحبه الذي كتبه حللا موشية من الأوصاف منها: أنه بارع التصرف في المنظوم والمثثور، لا يجاريه أحد في أسلوبه ولا يستطيع أن يركب طريقه في البلاغة والبراعة، ولهذا عدل صفوان عن مراجعته في بداية الأمر خوفا من العجز والتقصير.

أما آخر رسالة «لصفوان» في هذا الباب فهي تلك التي كتبها مداعبا أحد أصدقائه وكان يلقب «بالكلبة»، فخرج في سحرة يوم فعضه كلبان⁽²⁾. يفتح صفوان هذه الرسالة بيت شعري لعدي بن زيد العبادي⁽³⁾ مضمناه أن ظلم الأقارب يكون شديدا على الإنسان أشد من وقع السيف البتار، ثم يذكر صفوان أنه كان يسمع بحسد

(1) زاد المسافر، ص: 64، الذيل والتكملة 5/ 275.

(2) العطاء الجزيل، ص: 252.

(3) ديوانه، ص: 208.



القريب للقريب، فكان لا يصدق القول ويعتقد أن ذلك أمر شاذ غريب، إلى أن علم بما وقع لصاحبه مع هذين الكلبين اللذين أجهزا عليه وبادراه بأنياهما، دون تخوف أو تهيب منه كأنهما لم يسمعا باسمه «الكلبة» فصدق الخبرُ الخبرَ وعلم أنه ليس للإنسان من جنسه صديق أو حبيب.

ثم يلتبس من صاحبه أن يصبر لذويه «الكلبان» وإن قَطَعُوهُ وَقَطَّعُوهُ، لأنه ليس من خلق الإنسان أن يقابل الجهل بالجهل بل عليه أن يغفر لهم وألا يعاقبهم على سوء فعلهم، وأن يعرض عنهم ويعظمهم وأن يصبر على الإيذاء لأن من حسن خلق المرء موافقة الغرباء ومصالحة النسباء⁽¹⁾، ومن قبيح خلقه مشاجرة أولي الأرحام لأن الذي يريد مداواة الداء بالداء يكون مثله مثل الذي يطفئ النار بالحلفاء، وفي الختام يطلب صفوان من العلي القدير أن يزيح عن صاحبه غماء روعه، وأن يصلح بينه وبين أبناء نوحه ويجعل الائتلاف قرة عينه، فالله وحده هو الكفيل بأن يؤلف بينها قلوب، لا يستطيع الإنسان أن يؤلف بينها ولو أنفق ما في الأرض جميعا.

• الباب الموفي عشرين: وقد خصصه البلوي للرسائل النادرة في سائر الفنون.

❖ الرسائل المشرقية:

افتتح البلوي هذا الباب كعادته برسائل عبد الحميد بن يحيى الكاتب⁽²⁾، الذي لا نشك أنه كان يمتلك نسخة من رسائله، دليلنا على ذلك أن الرسائل الواردة في الكتاب سواء في هذا الباب أو الأبواب السالفة، والتي تصل إلى أربع عشرة رسالة كل هذه الرسائل لم نعر عليها في مصدر آخر سواء منها المشرقية أو الأندلسية، ومما يقوي زعمنا ويكاد يؤكد أنه أن المغاربة والأندلسيين، كانوا يهتمون منذ العصور الأولى بالتراث المشرقي اهتماما جعلهم يحذون حذوه محاولين في بعض الأحيان تقليده وفي أحيان أخرى

(1) العطاء الجزيل، ص: 261.

(2) عبد الحميد وما تبقى من رسائله، ص: 46.



تجاوزه، ولعل هذا الاهتمام هو الذي دفع البلوي إلى اختيار هذه الرسائل، وذلك لاعتبارات زمنية لا سيما إذا علمنا أن عبد الحميد كان إمام الصناعة الكتابية في المشرق، حتى قيل فيه «بدئت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد»⁽¹⁾.

أول رسالة اختارها البلوي لعبد الحميد في هذا الباب هي تلك التي كتبها عن مروان إلى نصر بن سيار، يطلب منه أن يواجه ثورة أبي مسلم الخرساني بكل حزم وعزم، وألا يترك أمره ينتشر بين الناس فتكون الطامة الكبرى، وقد افتتح عبد الحميد رسالته هذه بالتذكير بظهور شيطان مريد يريد أن ينشر الفتنة بين الناس، ويجلب إلى دعوته الأشرار منهم مكرماً لأهل الخمول متحلاً ولاية الصالحين، وهو مفارق لهم يغطي أمر دعوته بالرفق واللين حتى يتمكن من استدراج الناس إليه، ويتمكن من الغلبة والظهور ولا شك أن ذنوبه وذنوب من معه ستسلمه وتسلمهم إلى الخزي والعار.

ثم يؤكد مروان في رسالته أنه من الواجب على نصر بن سيار ومن بجانبه من المناصرين للدولة، ألا يتركوا هؤلاء وأن يعملوا بكل عزم على اجتثاث دابرهم لأنهم إن تركوهم نموا وتكاثروا، ولا شك أن الله سينصرهم لأنهم قائمين على الحق وسيخذل من هم قريبوا عهد بعبادة النيران والأوثان، ثم يبين لهم مروان أن الموت في سبيل إظهار الحق خير من الحياة مع هؤلاء المناوئين على ضلال، ثم يدعو لهم في ختام الرسالة بالعاقبة الحسنة والعزة المظفرة والرحمة الدائمة، طالبا من الله أن يمتنعهم بعافية الأبدان وسلامة الأديان وطاعة الرحمن⁽²⁾.

أما الرسالة الثانية فهي التي كتبها عبد الحميد إلى أخ له يخبره بمولود له، وكان أول مولود رزقه الله إياه يقول فيها: إنه لم يتعرف موهبة خص بها أعظم وأسرى من هبة ولد، يأمل أن تبقى حياته مذكورة ببقائه وأن يخلفه ويشفع له عند ربه في خلواته أثناء

(1) يتيمة الدهر 3/ 158، وفيات الأعيان 5/ 104، البداية والنهاية 10/ 55.

(2) العطاء الجزيل، ص: 266.



حججه وصلاته، ثم يبين أنه قد سر به حيث أنس وحدته، وهوتارة يعانقه وأخرى يحاول مس جسده ولمسه، ويطلب من الله العلي القدير أن يحفظه من مكاره السوء وأن يجلب عليه العافية حتى يشاكل الله نعمة البقاء فيه بنعمة الولادة. وفي الختام يشكر الله الذي امتن عليه بهذا المولود، طالبا منه تعالى أن يوصل له ذلك بالزيادة وطول العمر فهو الوهاب لا شريك له.

ثم كتب عبد الحميد رسالة أخرى إلى أخ له يذكر فيها أنه مرتاح البال، قد صان وجهه وأراح بدنه وأكرم عن الدنيا والخطايا نفسه، وأنه يرضى بالقليل دون الكثير من حطام الدنيا، حتى صار قليل ما هو فيه كثيرا، لا تدخله مشقة البعد ولا ذلة السفر أو الغربة، وأنه مسرور بقرابته وأهله وولده.

أما عبد الحميد - الذي بعث له الرسالة - فهو يصور أنه في تعب دائم كثير الأسفار المملة من أجل نيل حطام الدنيا، لا يقر له قرار ولا يسكن في منزل ولا دار وهو يغبط أخاه على حياته المستقرة وينعى على نفسه كثرة التطواف والترحال.

أما الرسالة الرابعة التي اختارها البلوي لعبد الحميد⁽¹⁾ في هذا الباب، فهي التي كتبها نيابة عن الخليفة، وقد وجهت إلى الناس في أرجاء الدولة، يعلمهم فيها بأن أمير المؤمنين قد أدى فريضة الحج وحضر المشاهد وقضى المناسك ابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى، وهنالك رأى عز الإسلام فوجد بهذا المكان من حجيح الآفاق والأمصاير جماعات لم ير مثلها في الكثرة والعدد، فامتلاً صدره سروراً وحمد الله على هذه الروح الدينية المتأججة التي تحمل أصحابها على الاستعانة بتعب البدن، وعلى بذل الأموال للقيام بحج البيت طاعة لله واتباعاً لسنة رسوله عَلَيْهِ السَّلَام. وتصف الرسالة كيف خرج أمير المؤمنين إلى عرفات ووقف متضرعاً إلى الله، ثم أفاض إلى منى على أحسن ما تكون عليه الإفاضة، وقد تم كل ذلك من دون أن ينغص أمر أحد من رجاله

(1) عبد الحميد وما تبقى من رسائله، ص: 80.



المسلمين أو ركبائهم، بل كلهم أدوا الفريضة في ظل العافية والسلامة وكذلك كان حظ أمير المؤمنين، وهو يسأل الله أن يجعله حجا مبروراً وعملاً مقبولاً، وأن يستجيب لدعائه في خاصته وعامته، ويوفقه للخير ويرزقه العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ثم كتب عبد الحميد⁽¹⁾ رسالة أجاب فيها على لسان أمير المؤمنين من أخبره بدخول شهر رمضان، والخليفة يسأل الله الذي بلغه هذا الشهر المبارك وأدخله عليه بالعافية والسلامة أن يعينه على قيامه، ويرزقه من تقبل عمله واستجابة دعائه وتكفير سيئاته، ومغفرة ذنوبه وخطاياهم فيه ما يوجب له به رضوانه ودخول جنته⁽²⁾.

كما أورد البلوي رسالة أخرى لنفس الكاتب صادرة عن مروان بن محمد أثناء ولايته «بأرمينية»، يخبر فيها أمير المؤمنين بنفر من «القدرية» الذين كان قد أرسلهم معه في الجند الذي صاحبه، ومروان يشكو من هؤلاء سوء نيتهم وينعى عليهم أقوالهم وأفعالهم، لأنه رأى منهم ما لا يرضي الله تعالى فهم يوهنون قدرته وينقضون عرى الإسلام جهاراً دون خوف أو حياء، وقد رأى مروان أن يخبر الخليفة بذلك حتى يرى رأيه الصائب فيهم. ومما لا شك فيه أن هذه الرسالة تكشف بحق عن مشكلة من المشاكل العقدية الكبرى التي واجهت الدولة الأموية، وكادت تقضي على وحدة الجماعة ألا وهي مشكلة العلاقة بين الفعل الإلهي والفعل الإنساني أو ما عرف في التاريخ الإسلامي «بمشكلة القول في القدر»⁽³⁾.

أما الرسالة الأخيرة التي أوردها البلوي في هذا الباب لعبد الحميد الكاتب، فهي التي بعثها إلى ابن البحري⁽⁴⁾ حينما سخط عليه مروان ونعى عليه بعض أفعاله، ويبدو من خلال سياق الرسالة أن الخليفة قد وصله خبر عن أعمال مشينة لابن

(1) عبد الحميد وما تبقى من رسائله، ص: 273.

(2) العطاء الجزيل، ص: 274.

(3) عبد الحميد وما تبقى من رسائله، ص: 126-127.

(4) تاريخ الطبري 14/ 106.



البحثري لم يرضها، فوجد عليه قلبه وهو يهدده ويتوعده إن لم يرجع عن تلك الأعمال، ويدعوه إلى تقديم الاعتذار للخليفة حتى يهدأ غضبه ويسكن روعه.

وقد اختار البلوي لسالم⁽¹⁾ مولى سعيد بن عبد الملك، رسالة كتبها عن هشام بن عبد الملك وجهها إلى سعيد⁽²⁾ يقول فيها: لقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم ما ذكرت من تسليط خالد عليك لسانه في مجلس العامة، مستحقراً لقدرك ومستصغراً قرباتك لأمر المؤمنين وإمساكك عنه، تعظيماً لأمر المؤمنين وكذلك يفعل آل سعيد في مثل هذه المواقف صمت من غير إفحام وأحلامكم تزن الجبال رزانة، وقد شكر أمير المؤمنين فعلك وجعل أمر خالد إليك إما أن تعزله وإما أن تقره على ما هو عليه، وسيمضي أمير المؤمنين فعلك بال عزل إن عزلته وبالإقرار إن أقررت. ثم يطلب من سعيد أن يكتب أمير المؤمنين فيما بدا له طالبا أمراً أو متحدثاً عن شيء، فسيجد التنفيذ لديه حاضراً لأنه يرمى حقوق أهل بيته وينفذ أوامرهم.

ثم أورد البلوي رسالة لمعن بن زائدة⁽³⁾ إلى بعض أصدقائه الذين أفرطوا في شكره، وهو يذكر له أن بعض أهل الأدب قالوا إفراط المرء في شكر النعمة توبيخ وأنه قد حاز النعمة بالشكر، ثم يدعوه بالأدب الذي يستوجب منه الإخاء أكثر مما يناله من الإحسان. وقد أجابه ذلك الصديق معبراً عن عجزه عن شكر النعم التي أسداها له، ولكنه مع ذلك لا يقدم له من الثناء إلا ما هو في طاقته، وبذلك تنهمر نعم معن عليه وتغمره عطاياه.

وآخر رسالة مشرقية في هذا الباب هي التي اختارها البلوي للحسن بن وهب⁽⁴⁾ كتبها نيابة عن أمير المؤمنين يطلب فيها من أحمد بن الخطيب أن يهدم داره التي بناها

(1) الإعلام، 98 / 3.

(2) تاريخ الطبري 2 / 1649، الوزراء والكتاب 68.

(3) وفيات الأعيان 2 / 108، تاريخ بغداد 13 / 235، أمالي المرتضى 1 / 161.

(4) الفهرست 177، معجم الأدباء 3 / 221، تهذيب بن عساكر 4 / 252، إعتاب الكتاب 132.



«بجر جرايا» على غير تقوى من الله، لأن المال الذي وظفه في بناء تلك الدار، كان قد أخذه من حرام، والبناء الذي يبنى على هذه الصورة يكون حرياً بأن يهدم.

❖ الرسائل الأندلسية:

أول رسالة اختارها البلوي للأندلسيين في هذا الباب هي لأبي حفص ابن برد⁽¹⁾، وجهها إلى ابن جهور يذكره فيها بمحاورة جرت بين خمسة ألوان من الرياحين، تم في ختامها تفضيل الورد على غيره من ألوان النواوير والأزهار.

ويجب أن نشير هنا أن هذا النوع من المحاورات لم يقدر للأدب المشرقي أن يعرفه، وإنما تتلمذ فيه على أدباء الأندلس وظهرت صفحة النثر الفني الأندلسي في القرن الخامس ساحرة باهرة بهذا الإطار الرائق من القول⁽²⁾.

وقد ناقض أبو الوليد الحميري⁽³⁾ الرسالة السالفة برسالة أخرى، بعثها إلى المعتضد بن عباد وفيها ينكر على ابن برد تفضيله للورد مع أن نور البهار أحق بالتفضيل وفضله باد للعيان بدو النهار، وقد شبهه علماء الشعراء وحكماء البلغاء بالعيون بينما يشبه الورد بالخدود وأشرف الحواس العين وليس الخد حاسة، ثم يستدل على القياس الفاسد ببيت لابن الرومي وموازنة الخدود بالعيون من هذا القبيل فللعيون التفضيل على كل حال.

ثم اختار البلوي لأبي محمد بن الحاج⁽⁴⁾ خطبة في نزول الغيث بعد القحط، التي أشار فيها إلى أن الله الواحد الدائم ينزل للناس الغيث بعد القنط، ويرسل الرياح اللواقح لكي تبكي السحب السوافح، ومع ذلك فالناس في غفلة لا يشكرون رب العباد ولا يستغفرون له، بل ينهمكون في المعاصي والمآثم ولا يغيرون أثر الجرائم، ولهذه الأسباب وغيرها

(1) العطاء، ص: 278.

(2) ملامح التجديد في النثر الأندلسي، ص: 138.

(3) البديع في وصف الربيع، ص: 58.

(4) قلائد العقيان، ص: 163، المغرب في حلى المغرب 2/ 167، خريدة العصر 2/ 147.



أصيب الناس بالجذب بعد القحط فذوى الزرع وغارت المياه وحارت الماشية، لكن رحمة الله انتشرت بعد ذلك ممتدة الاطناب فأظهر الله نعمته في أثناء السحاب فسحت وهطلت، ولبت أياما حيث عمت السهول والحزون والجبال والوديان، فغدت الوجوه مستبشرة، والأرض منيرة نيرة والمواشي والبهائم راضية والمنازل حالية. وفي ختام الخطبة بل الرسالة يطلب ابن الحاج من الناس أن يوالوا ألسنة الجد والاجتهاد في شكر الله وحمده وأن يكثروا من الاستغفار بالليل والنهار، فبالاستغفار تزول الكوارث والمحن وتنقضي الخطايا والإحزن.

ثم أعقب البلوي اختياره برسالة لأبي عمر الباجي⁽¹⁾ في نفس الموضوع السابق، وهي رسالة على نمط الخطبة السالفة يذكر فيها الباجي أن الله منحنا يبسطها لعباده إنعاما وتنبها، فهو الذي ينزل الغيث بعد القنط أوبعد إمساك السقيا وتوقف المطر، وحينما ترجف الأكباد طمعا وتذهل القلوب فزعا ينشر رحمته ويبسط نعمته لعباده، فتغدو الأرض وقد ارتوت وتأخذ زينها بعد بؤس، فما على الناس بعد ذلك إلا شكر الله على نعمه ومننه التي يمن بها على الخلق أجمعين.

ثم أورد البلوي رسالة أخرى في نفس الموضوع لأبي محمد بن عبد الغفور، وهو يعارض بها رسالة أبي الوليد الباجي السالفة الذكر ورسالة أبي القاسم بن الجد⁽²⁾.

ومن خلال الرسالة تتبين أن الكاتب يعيد ويكرر أفكار الباجي ومعانيه بأسلوب بديع وبيان منقطع النظير.

ثم اختار البلوي بعد ذلك رسالة لأبي حفص عمر بن صاحب الصلاة⁽³⁾ في الموضوع ذاته وهو يعبر فيها عما أصاب الناس من قحط، وكيف أمسك الله الغيث عن عباده مدة

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/2 - 196.

(2) المصدر السابق 1/2 - 342.

(3) الذيل والتكملة 5/2 - 472.



فغدت الأرض مغبرة مجدبة إلى أن تداركهم الله بإنزال المطر، الذي أحيا الأمال في النفوس فعادت مطمئنة مستبشرة برزق ربها ورحمته، وبذلك أصبح زمانهم جديدا وزارعهم سديدا، فهم بذلك يحمدون الله على تلك المنة العظمى التي أجزلها لهم والمنحة الكبرى التي منحهم.

ويختتم هذا النوع من الرسائل التي كتبت كلها في موضوع واحد برسالة لأبي عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الإمام ⁽¹⁾ الاستجي، وقد وجهها إلى صديق له يعرف بأبي القاسم ويفتح ابن الإمام رسالته بذكر صفات صديقه الحميدة، فيثني عليه ثم ينتقل إلى الاسترسال في وصف حالة الناس والأرض بعدما أصابهم جرب وقحط وكيف أصبحوا في ضيق مما أصابهم الله به، وكيف أن الأرض أصبحت مسودة مغبرة والأنعام تشكو مما لا قبل لها به، ثم يبين كيف أن الله أرسل رحمته على عباده بإنزال الغيث الذي أحيا النفوس وأعاد الاستبشار إلى الوجوه بله القلوب. ويختتم الرسالة بالحمد والشكر لله على نعمه التي لا تنضب، ومنه التي لا تنقطع على الخلق دون تمييز بين صالح أو طالح، وبذلك يتأكد قوله تعالى «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ».

ثم اختار البلوي بعد ذلك رسالة للقاضي عياض ⁽²⁾، يُحمل فيها الفتح بن خاقان تحية للرئيس أبي عبد الرحمن ابن طاهر ⁽³⁾ وفصلا من رسالة له لم يذكر فيها اسم المرسل إليه. وهو في الرسالة الأولى يثني على صاحبه الفتح بن خاقان ويحليه بتحلية جيدة، فهو وحيد عصره في الكتابة يتسنى فيها مركزا عاليا، ولذلك فهو يحمله أمانة تبليغ هذه التحية إلى الوزير الطاهر بن الطاهر داعيا إياه بتبليغ سلامه المشفوع بصريح الحب والوداد.

أما الفصل الذي اقتطفه من رسالته الأخرى فهو يعبر فيه صراحة أنه لا بد لكل عصر من رجال يحلون عاطله وينشرون فضائله، ولكل مجال من رجال ينهضون بأعبائه

(1) التكملة ترجمة رقم 1683، الذيل والتكملة 1/5 - 135.

(2) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، القاضي عياض الأديب لعبد السلام شقور.

(3) قلائد العقيان، ص: 258.



ويهمون في كل واد بأنبائه، على الرغم من أن سوق الأدب أصبحت في هذا العصر كاسدة وناره خامدة⁽¹⁾.

ثم أورد البلوي في هذا الباب رسالة فريدة لأبي حسن القرشي العامري⁽²⁾. وقد وجهها إلى قبر رسول الله ﷺ وهي الرسالة الدينية الوحيدة واليتيمة التي اختارها البلوي في هذا الكتاب.

ويذكر القرشي في مقدمة رسالته أنه وجهها إلى الرسول ﷺ شافعا ذلك بأوصافه، إذ بين أنه منقذ الناس من الحيرة يقتبسون من نوره ومن رسالته السمحة التي جاء بها وأمر بتبليغها، والكاتب يتأوه اشتياقا للرحلة إلى قبره الشريف غير أنه لم يستطع القيام برحلة إلى المقام الكريم لعوائق عاقته وشواغل منعه، ولكنه مع ذلك يتذكر بقلبه ونفسه الحجاج ومناسكهم بدءا من الطواف بالبيت ووقوف بعرفات إلى نزول بالمزدلفة. وفي ختام الرسالة يطلب القرشي من الله العلي القدير متوسلا إليه أن يكرمه بالوفادة على قبره الشريف، وأن يوفقه بالاستفادة منها كما وفق غيره من المسلمين طالبا منه تعالى أن يبلغه مقصده وينيله مطلبه.

بعد الرسائل السالفة التي اختارها المؤلف لكتاب مشارقة وأندلسيين، ينتقل إلى الكتاب الموحدين مفتتحا هذا الباب برسائل ابن مبشر وهي عديدة ومتنوعة أغلبها في موضوع طلب رفع الظلم عن العامة، أو عن الذي أصابهم جور من العمال أو الولاة أو القضاة الموحدين، وهذا يدل على أن بعض الجهات الموحدية كانت الفوضى ضاربة بها أطناها.

وجه الكاتب رسالته الأولى إلى أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن الموحدي⁽³⁾ يطلب فيها أحد من نالهم جور وظلم من عتيق بن مكسور الجنب⁽⁴⁾، كان قد أطلق

(1) أزهار الرياض 4 / 4.

(2) الذيل والتكملة 1 / 5 - 287.

(3) المن بالإمامة، ص: 206.

(4) الذيل والتكملة 8 / 1 - 286.



يده في المسلمين بعد أن نال حقهم وملاً قلوبهم ذعرا وارتياعا، مما جعل الناس يشكون من تصرفه وسوء معاملته طالبين من الخليفة إنصافهم والأخذ بيدهم من سوء تصرفه ومعاملته.

أما الرسالة الثانية، فقد كتبها ابن مبشر عن رجل قُتل أخوه ظلما فرفع قضيته إلى الخليفة أبي يعقوب الموحيدي⁽¹⁾، شارحا له النازلة كيف حدثت وكيف أن أخاه قد قتل من قبل شريك له، ففر ثم عاد يتوعد الأخ الثاني الطالب بثأره ويتهدهده ومن ثم فهو يطلب من الخليفة أن يبعث إلى طلبة الموحدين، كي يتمكنوا من القبض عليه ومحاكمته حتى يعم الأمن في البلاد بين الناس والعباد.

ثم كتب ابن مبشر رسالة إلى الأمير أبي يعقوب على لسان أحد الرعايا وهو يشكو فيها من ظلم أصابه من إخوته، ويفتح الرسالة بالدعاء للخليفة والترضية على الإمام المهدي ثم يذكر أن المشتكي قد جار عليه إخوته أثناء اقتسامهم للميراث، فلم يفرضوا له فريضة بل هضموا حقه ولم يسلموه حصته كاملة، وهو يلتمس من الخليفة أن يحكم بينه وبين إخوته حتى يأخذ حقه كاملا غير منقوص، ثم يختم الرسالة بالدعاء للخليفة.

أما الرسالة الثالثة، فقد كتبها ابن مبشر على لسان أحد الرعايا الذين أصابهم جور وظلم من بعض التجار، والكاتب بعد الدعاء للإمام المهدي وخليفته الناصر يعرض شكواه ويفسر حالته، فيذكر أنه اعتُدي عليه من قبل بعض التجار فطلبوا منه أن يؤدي نصيبه في سوق السماط، وقدر هذا النصيب ثلاثمائة دينار مع العلم أنه لم يكن تاجرا بهذا المكان، ولم يختلط بأهله قط ومن ثم فقد رفع أمره إلى الخليفة، ويتمنى أن ينصفه بإبطال هذا الباطل الذي ألزم به، وأن يرد عليه حقه ثم يختم الرسالة بالدعاء للخليفة شاكرا فضله وعدله.

(1) الحلل الموشية، ص: 157.



ثم يكتب رسالة أخرى إلى أبي يعقوب الموحيدي وهي موجهة من امرأة أصابها ظلم من قبل زوجها، والكاتب بعد الحمدلة والترضية للإمام المعصوم والدعاء للخليفة يتعرض لوصف حالة هذه الزوجة، التي كان زوجها يعاشرها معاشرة سيئة حيث كان يتمادى في إضراره لها، وقد طلبت منه أن يطلقها واختلعت منه بمال كثير ولكنه لم يجبها إلى طلبها ولم يرد مفارقتها، بالرغم من أن الناس يشهدون على سوء معاملته لها وقبيح عشرته معها، وهي تطلب من الخليفة الموحيدي أن يكشف عنها بأساءها وشدتها، ويرفع عنها السوء الذي أصابها داعية للخليفة بالنصر والتأييد في العاجل والأجل.

ويوجه ابن مبشر - نيابة عن بعض الرعايا - رسالة إلى أحد القضاة يطلبون منه أن يأخذ لهم حقهم من شخص كان قد قدمه القاضي على ميراثهم، فاهتضم حقوقهم ونالهم منه عسف وخسف كثير، فغدوا لا يعرفون مبلغ مالهم وهم يخافون من ضياعه خاصة وأن الموكل عليهم قد وعد بخدمته في المخزن، فعند ذلك لا يستطيعون مطالبته بمالهم خوفا منه وحرجا من سطوته وسلطته.

ثم يرفع ابن المبشر رسالة أخرى إلى قاض من القضاة الموحيدين على لسان جماعة من الناس، كان قد قدم عليهم شخص سيء السيرة والأخلاق، وهم يطلبون من القاضي أن يرفع أذاه عنهم وأن يقصيه من خدمته تلك، حتى تعود الحقوق إلى نصابها ويدخل الناس تحت العدالة التي يجب أن تكتنفهم في ظل الخلافة الموحدية.

ويكتب ابن مبشر رسالة إلى أحد القضاة وهي موجهة من فقيه عرف بحسن سيرته وتدينه، لكنه أصيب بقول زور وبهتان فسجن ظلما وعدوانا من قبل بعض المحتسبين، بعد أن ظن أنه قد باع «حلقات» مغشوشة في سوق السقاطين لحداد هناك، فسجن الرجلان معا لكن الحداد أطلق سراحه بينما ظل هو يرسف في قيده. وهو يرغب من القاضي أن ينظر في أمره وأن يتوخي في ذلك السداد والصواب حتى يعود الحق إلى نصابه، والفقيه المظلوم تحت ظل العدل ويكتنفه باب من أبوابه.



ثم كتب ابن مبشر رسالة أخرى إلى أحد القضاة يلتمس منه فيها أن ينظر في شأن طالب حافظ للقرآن رمي بإفك وزور، فسجن وطال حبسه فهو يتوسل إلى القاضي المذكور أن يرفق به ويرحمه ويخرجه من سجنه.

ثم كتب رسالة أخرى إلى أحد القضاة على لسان زوجة أساء زوجها معاشرتها واستطال عليها بالضرب والشتم، فما هو بممسك بإحسان ولا هو مسرح بمعروف.

وقد طلبها أن تتخلى له عن مال جسيم ففعلت، ولكنه أبى تطليقها أو فراقها وهي تستنجد بالقاضي العادل وترجو منه أن يفكها من هذا الزوج الظالم.

وبعث رسالة أخرى إلى أحد القضاة - على لسان امرأة - يطلب منه أن ينظر في حالها بعد أن رميت بالإفك والزور وسجنت، حتى غدا سجنها كأنه قبر لها وهي تلتمس من القاضي ومن عدله وقسطه أن يعجل سراقها وأن يرفق بحالها.

ثم وجه رسالة أخرى إلى أحد القضاة من امرأة قد مطلّت في ميراث لها من قبل زوجة أبيها التي ادعت كذبا وزورا أن في بطنها حملا ترجو نزوله، ولذلك فالميراث سيكون لها وحدها إن حصل ذلك، ولكن المشتكية تعلم أن زوجة أبيها لا جنين في بطنها، وأنها تدعي ذلك فحسب حتى تفوت عليها ميراثها وهي تطلب من القاضي أن يرسل إليها من النساء من يستطعن الكشف عن حقيقتها ومعرفة مدى صحة دعواها من كذبه، فإذا تم له ذلك أمكنه أن يفصل بينهما بالعدل والإحسان وأن يرد الحق إلى أصحابه.

ثم وجه ابن مبشر رسالة أخرى لقاض وهي من أحد الرعايا يلتمس فيها من القاضي المذكور أن يسرحه من سجنه بعد أن طالت مدته فيه، وأن يخرجه من هذا الخناق الذي طوق به وهو يعترف بأنه كان قد أذنب في حق صهره، وأنه تائب من ذلك توبة نصوحا مقلع عن خلقه السيء عائد إلى الطريق المستقيم.

وختاما يوجه الكاتب نفسه إلى أحد القضاة الفقهاء رسالة من أحد الرعايا كان قد سجن وأدب بسبب ضربه المبرح لمملوكة كانت لزوجته، وهو يلتمس من القاضي



المذكور أن يمن عليه بتسريحه من سجنه وأن يوليه من فضله وامتنانه ما يرد به وحشته أنسا وعسره يسرا، داعيا للقاضي بطول العمر «يقيم الحقوق ويميز البر من العقوق»⁽¹⁾.

ثم اختار البلوي لأحد كتاب الموحدين المشهورين وهو ابن مغاور الشاطبي⁽²⁾ رسالة يصف فيها دخول شهر رمضان، وهو يعدد فضائل هذا الشهر المبارك ومزاياه مستشهدا بما قال فيه الحق سبحانه على لسان نبيه المصطفى، في حديث قدسي شريف «عمل ابن آدم كله له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»⁽³⁾. ثم يبين الكاتب كيف شرف الله الصيام وفضله على جميع شرائع الإسلام، داعيا إلى وجود صيامه دون نفاق أو رياء احتسابا لثواب الله وتنزيها للنفس وسائر أعضاء الجسم من أدران المادة وأوساخها، تقربا إلى المولى وحينذاك يدخل العبد الصائم إلى قبة الفوز والنجاة وينال الرضا في الدنيا والآخرة.

بعد ذلك انتقل البلوي إلى رسائل صفوان بن إدريس⁽⁴⁾ التي اختار منها مجموعة وافرة، ويبدو من خلال هذه المختارات أنه كان يملك مجموع رسائله وأنه كان معجبا بنثره إعجابا شديدا، فلم يختار لأحد من معاصريه أو سابقيه عددا مماثلا من الرسائل والمكاتبات التي اختارها لصفوان. وهو يفتتح هذا الباب برسالة سماها صفوان: «شرك العقول ومسرح الأنس المعقول»⁽⁵⁾، وكان قد وجهها إلى صديق له لم يفصح عن اسمه بعد أن تركه بمرسية وسافر هو مع والده إلى شاطبة حينما تولى قضاءها وذلك سنة 582 هـ.

(1) العطاء الجزيل، ص: 308.

(2) زاد المسافر، ص: 79، التكملة، ص: 578، معجم أصحاب الصربي، ص: 243، المغرب في حلي المغرب 2/ 385، تحفة القادم، ص: 28-29.

(3) حديث شريف.

(4) زاد المسافر.

(5) العطاء الجزيل، ص: 310.



ويستهل صفوان هذه الرسالة بالحديث عن الجيران الذين خلفهم وراءه بعدما سافر، فيذكر صفاتهم وما كانوا يتميزون به من مجد ورفعة ويضفي عليهم من التحلية ما يفهم منه أنهم كانوا من الطبقة العليا من الناس علما وأدبا وخلقا، ولذلك فهو يتأسف على فراقهم ويتحسر على الأيام التي قضاها بجانبهم مسرورا هنيء البال مرتاح الضمير، وينحى باللائمة على الدهر الذي فرق بينه وبينهم. وفي ختام الرسالة يذكر أنه حينما دبجها أثناء إقامته بشاطبة أسمعها للوزير الكاتب أبي بكر بن مغاور، فتلقاها بحسن الإصغاء واستقبلها بالثناء الحسن، وحين فراغه منها ترامى على يديه فقبلها فسأله صفوان عن ذلك فقال له: «بيعة المعترف المسلم»⁽¹⁾، وطلب منه أن يدع الرسالة لجودتها وحسن سبكها.

ثم اختار البلوي لصفوان رسالة أخرى يظهر من سياقها أنه يخبر الخلافة الموحدية بوجود شخص بين أظهر الناس سيء الأخلاق سئم الناس أهاجيه وسوء معاملته، والكاتب يتمنى أن يقتص الخليفة منه ويأخذ للناس حقهم من سلوكه وفعله، وهو لا يصرح في رسالته باسمه بل يرمز له معددا صفاته الدنيئة.

تلك هي أهم الأبواب التي اشتمل عليها الكتاب وهو بذلك يمثل حسب ما توصلنا إليه أهم مصدر للرسائل الديوانية والإخوانية التي تربو في عددها على خمسين ومائتي رسالة لأزيد من تسعة وستين كاتباً من مختلف العصور الأدبية مشرقاً ومغرباً كما أن هذا المجموع يمثل أهم ما أنتجته قرائح عدد هائل من الكتاب في فن الترسل.

والكتاب يمثل بحق مصدرا مهما من المصادر الأدبية الأندلسية، وينطوي كما يقول أحد الدارسين⁽²⁾ على قيمة تاريخية هامة تتجلى في كبريات الأحداث التي وقعت في شتى العصور من عهد النبي ﷺ إلى العصر العباسي في المشرق وانتهاء بالعصر الموحدي في المغرب والأندلس.

(1) العطاء الجزيل، ص: 312-314.

(2) إدريس العلوي البلغي، مجاميع فن الترسل، ص: 60.



وختاماً يمكننا القول بأن هذا المجموع الذي حققناه بل أنقذناه من الضياع والتلاشي يعتبر من المجاميع الأندلسية النادرة التي تحتفظ بقيمتها التراثية المتميزة.

❖ عملي في تحقيق الكتاب:

بعد الاطلاع على النسخة الوحيدة الفريدة التي تحتفظ بها الخزنة الحسنية كنا نعود إليها بين الحين والآخر في نفس الخزنة رغم أننا كنا نتوفر على مصورة لها؛ ذلك أننا لاحظنا أن المصورة وحدها لا يمكن أن تفك لنا ألغاز الكتاب فكنا نتردد على الخزنة الحسنية العامة بين الحين والآخر من أجل إخراج النصوص وفك طلاسمها لصعوبة النص من جهة وقدم ورقه وتأكله من جهة أخرى. وهكذا عمدنا إلى كتابة النص من المخطوط ثم حاولنا ترميمه بواسطة الرجوع إلى المصادر والمراجع العديدة التي ساعدتنا في تقويم نصوصه وضبطها. وأهم هذه المصادر هي أمهات كتب الأدب واللغة ومجاميع الكتاب ودواوين الشعراء، كما عمدنا إلى التعريف بالكتاب الذين عرض المؤلف لرسائلهم وإنتاجهم الفكري؛ كما شرحنا ما أشكل من اللغة المضمنة له النصوص وما ورد فيها من أمثال وتضمينات.

كما خرجنا الآيات والأحاديث الواردة في تلك النصوص وترجمنا للأعلام من الكتاب والشعراء الذين ورد ذكرهم في المخطوط وعددهم ليس بقليل؛ وأشرنا في هوامش الكتاب إلى المراجع التي استعنا بها في الضبط والشرح والتحقيق.

وأخيراً وضعنا للكتاب فهرس عامة ومتنوعة للموضوعات والكتاب وللأشعار والأعلام.

كما ضبطنا النص بالشكل التام حتى يسهل على القارئ والمتلقي الاستفادة من الكتاب بصورة يكون بها مطمئناً واثقاً من العمل الذي يقرأه ولتفتح له مجال البحث والاستزادة.

كتاب

العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل

لأبي القاسم أحمد بن محمد البلوي (ت: 575-657هـ)

قسم التحقيق

البَابُ الْخَامِسُ عَشَرُ

في الإهداء والإتحاف والاستدعاء والاستزارة
والاستجداء والاعتذار والإسعاف



رِجَالُهُ:

الحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ - أَبُو الْقَاسِمِ الْهَمْدَانِي - بَدِيعُ الزَّمَانِ - أَبُو الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ
 بْنِ الْعَمِيدِ - أَبُو الْعَيْنَاءِ - أَبُو إِسْحَاقَ النَّجَرَمِي - أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ رَشِيقٍ - ابْنُ بُرْدٍ
 الْأَصْغَرُ - أَبُو الْوَلِيدِ الْمُلقَّبُ بِحَبِيبٍ - أَبُو عُمَرَ بْنِ حَجَّاجٍ - أَبُو مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ
 الْغُفُورِ - أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَاهِرٍ - أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنِ الدَّبَّاحِ - أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْجَدِّ -
 أَبُو الْقَاسِمِ ابْنِ السَّقَّاطِ - أَبُو الْفَضْلِ ابْنِ حَسْدَايَ - عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عِيَّاشٍ - أَبُو بَخْرٍ
 صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسٍ - أَبُو زَيْدٍ ابْنِ يَخْلَفَتْنِ الْفَارَازِي - أَبُو بَكْرٍ ابْنِ مُغَاوِرِ الشَّاطِئِي - ابْنُ
 حَفْصُونَ - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِي.

فَمِنْ إِنْشَاءِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ: فَضْلُ:

وَلَمَّا سَبَقَنِي أَهْلُ الْوَسَائِلِ بِكُتُبِ إِخْوَانِكَ إِلَيْكَ سَبَقْتُهُمْ إِلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.
 فَخَفَفْتُ عَنْكَ مَا... كَتَبْتُهُمْ فَلَمْ أَسْتَعِنْ عَلَيْكَ إِلَّا بِكَ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلَى نَفْسِكَ أَفْضَلُ
 وَسَيْلٍ وَأَكْرَمُ شَفِيعٍ فَإِنْ رَأَيْتَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - أَنْ تَضَرِّفَنِي بِسُرْعَةِ الْإِنْجَازِ
 وَتَغْسِلَ بِإِنْجَازِكَ عَنِّي وَضَرَ الْإِعْوَازِ وَتَزُودَنِي مِنْ ... الْإِمْكَانِ، فَعَلْتُ.

وَلَهُ فِي اعْتِذَارٍ:

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ وَأَدَامَ كَرَامَتَكَ أَنَا أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - مِنْ التَّخَلُّفِ وَلَوْ
 جِئْتُكَ مَا اعْتَذَرْتُ مِنَ الْمَجِيءِ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلُ بِلُقْيَاكَ بُرْءًا مِنَ التَّعَبِ بِلِقَاءِ مَنْ يَسُوءُ
 أَدَبُهُ وَيُطِيلُ جُلُوسَهُ وَيُكَلِّفُكَ مَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَا... بِتَخَلُّفِي عَنْكَ.
 فَأَحِبُّ مِنْكَ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - أَنْ تُعَرِّفَنِي بِمَا لَكَ حِينَ كِتَابِي حَتَّى كَأَنِّي لَمْ... يَجُوزُ
 أَنْ أَصِيرَ إِلَيْكَ فِي وَقْتِ انْتِصَافِ النَّهَارِ عِنْدَ خِفَةِ مِنَ الْعِلَّةِ. وَقَلَّدْتُ مَنْ يَخْضُرُ بِالْبَابِ
 فَعَلْتُ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، وَقَدَّمَنِي قَبْلَكَ، وَالسَّلَامُ.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ الْهَمْدَانِيِّ إِلَى الْبَدِيعِ⁽¹⁾:

قَدْ كَتَبْتُ لِسَيِّدِي حَاجَةً إِنْ قَضَاهَا وَأَمَضَاهَا ذَاقَ حَرَارَةَ⁽²⁾ الْعَطَاءِ. وَإِنْ أَبَاهَا وَفَلَّ شَبَاهَا⁽³⁾ لَقِيَ مَرَارَةَ الْاسْتِبْطَاءِ؛ فَأَيُّ الْجُودَيْنِ أَحَفُّ عَلَيْهِ⁽⁴⁾ أَجُودُهُ بِالْعِلْقِ⁽⁵⁾ أَمْ جُودُهُ بِالْعِرْضِ وَتُرُوءُهُ عَنِ الطَّرِيفِ⁽⁶⁾ أَمْ عَنِ الْخُلُقِ الشَّرِيفِ؟

وَمِنْ إِنْشَاءِ بَدِيعِ الرَّمَانِ جَوَابًا لِأَبِي الْقَاسِمِ الْهَمْدَانِيِّ⁽⁷⁾:

جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا طَبِيعٌ، كُلُّهُ تَوْبِخٌ، وَثَرِيدٌ كُلُّهُ وَعِيدٌ، وَلَقَمٌ، إِلَّا أَنَّهَا نِقَمٌ، وَلَمْ أَرِ قِدْرًا أَكْثَرَ مِنْهَا عَظْمًا، وَلَا آكِلًا أَكْثَرَ مِنِّي كَظْمًا، وَلَمْ أَرِ شُرْبَةً أَمَرَّ مِنْهَا طَعْمًا وَلَا شَارِبًا أَتَمَّ مِنِّي حِلْمًا، مَا هَذِهِ الْحَاجَةُ؟ وَلَتَكُنْ حَاجَتُكَ مِنْ بَعْدِ أَلَيْنَ جَوَانِبَ، وَأَلْطَفَ مَطَالِبَ، تُوَافِقُ قَضَاءَهَا وَتُرَافِقُ ارْتِضَاءَهَا. إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيد... عَنْ وَالِدِهِ أَبِي الْفَضْلِ⁽⁸⁾:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - قَدْ اغْتَنَمْتُ اللَّيْلَةَ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ رُقْدَةً مِنْ عَيْنِ الدَّهْرِ، وَانْتَهَزْتُ فُرْصَةً مِنْ فُرُصِ الْعُمْرِ، وَانْتِظَمْتُ مَعَ أَصْحَابِي فِي سِمْطِ الثَّرْيَا، فَإِنْ لَمْ تَحْفَظْ عَلَيْنَا النِّظَامَ، بِإِهْدَاءِ الْمُدَامِ، عُذْنَا كَبَنَاتِ نَعَشٍ وَالسَّلَامِ.

(1) انظر الرسالة في رسائل بديع الزمان، ص: 97، زهر الآداب 3 / 732.

(2) في الزهر: (حلاوة).

(3) شباهة كل شيء حد طرفه وقيل حده وجانبه (اللسان).

(4) خرم بالأصل والتصويب من زهر الآداب.

(5) العلق: المال الكريم والنفيس سمي كذلك لعلق القلب به.

(6) الطريف والطارف من المال: المستحدث وهو خلاف التالد والتلبد.

(7) الرسالة توجد ضمن: رسائل بديع الزمان، ص: 97.

(8) انظر اليتيمة: 3 / 182.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّيْجَرِيِّ فِي الْقَلَمِ إِلَى أَبِي عِمْرَانَ بْنِ رَبَاحٍ⁽¹⁾.

لَمَّا كَانَ الْقَلَمُ مَطِيَّةَ الْفِكْرِ لِلْبَيَانِ، وَمُخْرِجَ الضَّمِيرِ لِلْعَيَانِ، وَمُسْتَنْبِطَ مَا تَوَارِيهِ ظَلَمُ الْجِنَانِ، إِلَى نُورِ الْبَيَانِ، وَمُزِيحَ الْفُطْنِ الْعَوَازِبِ، وَجَالِبَ الْفِكْرِ الْغَرَائِبِ، وَلِسَانَ الْغَائِبِ، وَبَزَّ الْكَاتِبِ، وَمَكْتَبَ السَّائِبِ، وَمُفَرِّقَ الْحَبَائِبِ، وَعِمَادَ السَّلَمِ وَزِنَادَ الْحَرْبِ، وَيَدَ الْحَدَثَانِ، وَخَلِيفَةَ اللِّسَانِ، وَرَأْسَ الْأَدَوَاتِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ بِهَا الْإِنْسَانَ، وَشَرَفَهُ بِهَا عَلَى سَائِرِ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ، وَمَرْكَبًا لآلَةٍ تَقَدَّمَتْ كُلُّ آلَةٍ، وَحِكْمَةً سَبَقَتْ فِي الْإِنْسَانِ كُلَّ حِكْمَةٍ، وَقِيَامًا⁽²⁾ لِهَنْدَسَةٍ عَقْلِيَّةٍ وَمُصَوِّرًا لِعَقْلِ الْعَاقِلِ، وَجَهْلٍ الْجَاهِلِ.

النَّاقِلُ إِلَيْنَا حِكْمَ الْأَوَّلِينَ، وَحَامِلُهَا عَنَّا إِلَى الْآخِرِينَ، الْحَافِظُ عَلَيْنَا أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ، أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ فَسَبَّحَهُ⁽³⁾ وَمَجَّدَهُ وَحَمِيدَهُ وَسَجَدَ لَهُ وَكَانَ لَهُ فُرْسَانٌ خُلِقَ لَهُمْ وَكُنْتُ عَمِيدَهُمْ، وَأَقْرَانٌ قُصِرَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ صِنْدِيدُهُمْ، وَمِيدَانٌ كُنْتُ زِينَهُ، وَمِضْمَارٌ كُنْتُ عَيْنَهُ، وَحَلَبَةٌ كُنْتُ سَابِقَهَا، وَمُعْجَزَهَا، وَغَايَةُ كُنْتُ مَالِكَهَا وَمُحَرِّزَهَا. وَرَمَتْ بِي الْأَيَّامُ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي أَتَى بِهِ⁽⁴⁾، وَعُنِيتُ بِطَلْبِهِ فَظَفَرْتُ مِنْهُ بِقَدْحٍ فَذُّ أَوْحَدٍ، فَرَدِّ فِي مَنْبَتِهِ، قَدْ تَسَاعَدَتْ عَلَيْهِ السُّعُودُ فِي فَلَكَ الْبُرُوجِ حَوْلًا كَامِلًا، يُؤَلِّفُهُ مُخْتَلِفُ أَرْكَانِهَا وَطِبَاعِهَا، وَمُتَبَايِنُ أَنْوَانِهَا وَأَنْحَائِهَا، وَتُوَيِّدُهُ بِقَوَاهَا وَجَوَاهِرَهَا، حَتَّى غَذَتْهُ عِرْقًا فِي الثَّرَى مُعْرِقًا، وَأَرْضَعَتْهُ نَاجِمًا، وَسَقَتْهُ مَكْعَبًا، وَأَرْزَوْتُهُ مَقْضِبًا، وَأَظْمَأْتُهُ مَكْتَهَلًا، وَلَوَحَتْهُ مُسْتَحْمِدًا، وَجَلَّلَتْهُ بِهَاءِهَا، وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ عُتُونَهَا، وَأَوْدَعَتْهُ أَعْرَاقَهَا وَأَخْلَاقَهَا⁽⁵⁾، حَتَّى إِذَا شُقَّ بَازِلُهُ، وَرَقَّتْ سَمَائِلُهُ، وَابْتَسَمَ مِنْ غَشَائِهِ، وَنَادَى مِنْ لِحَائِهِ،

(1) انظر: زهر الآداب 3/ 671.

(2) الزهر: (وقواما).

(3) الزهر: (بأمره وسبحه).

(4) الزهر: (كلفت به).

(5) الزهر: (أعراقها وأوراقها).



وَتَعَرَّى عَنْهُ حُرُّ الْمَصِيفِ⁽¹⁾، بَانْقِصَاءِ الْخَرِيفِ، وَانْكَشَفَ عَنْ لَوْنِ الْبَيْضِ الْمَكْنُونِ،
وَالصَّدْفِ الْمَخْزُونِ [وَدُرٌّ]⁽²⁾ الْبَحَارِ، وَفَتَاقِ الْجُمَارِ⁽³⁾ رِيءٍ مِنْهُ يَقُقُ⁽⁴⁾ الْعَاجُ، بِنَقْبَةِ
الدِّيَبَاجِ⁽⁵⁾ وَقَمِيصِ الدَّرِّ⁽⁶⁾ بِطَرَاكِ النَّسَاجِ، فَاجْتَمَعَتْ لَهُ زِينَةُ الْأَيْدِي [الْبَشْرِئَةِ]⁽⁷⁾ إِلَى
الْأَيْدِي الْعُلُويَّةِ، وَالْأَنْسَابِ الْأَرْضِيَّةِ، إِلَى الْأَنْسَابِ السَّمَائِيَّةِ⁽⁸⁾ فَلَمَّا قَادَتْهُ السَّعَادَةُ إِلَى،
وَرَأَيْتُهُ نَسِيجَ وَحْدِهِ فِي الْأَقْلَامِ، رَأَيْتُ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ نَسِيجَ وَحْدِهِ فِي الْأَنَامِ. أَثَرْتُكَ بِهِ
مُؤَثِّرًا النَّصْفَةَ⁽⁹⁾ عَالِمًا أَنَّ زَيْنَ الْجِيَادِ فُرْسَانُهَا، وَزَيْنَ السُّيُوفِ أَقْرَانُهَا، وَزَيْنَ بَزَّةٍ
لَابِسُهَا، وَزَيْنَ أَدَاةٍ مُمَارِسُهَا، فَالآنَ أُعْطِيتُ لِلْقَوْسِ بَارِيَهَا⁽¹⁰⁾، وَزِنَادَ الْمَكَارِمِ مُورِيَهَا،
وَالصَّمْصَامَةَ مُصْلِتَهَا، وَالْقَنَاءَ مُعْمِلَهَا⁽¹¹⁾ وَحُلَّةَ الْمَجْدِ لَابِسَهَا.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي حَفْصِ بْنِ بُرْدِ الْأَصْغَرِ فِي الْاسْتِزَارَةِ⁽¹²⁾:

الْيَوْمَ يَوْمٌ بَكَتْ أَمْطَارُهُ، وَصَحِيكَتْ أَزْهَارُهُ، وَتَعَطَّلَتْ شَمْسُهُ، وَتَعَطَّرَ نَسِيمُهُ، وَعِنْدَنَا
بُلْبُلٌ هَزَجَ، وَسَاقٍ غَنِجَ، وَسُلَاقَتَانِ: سُلَاقَةُ إِخْوَانٍ، وَسُلَاقَةُ دِنَانٍ، قَدْ تَشَاكَلَتَا فِي

(1) الزهر: (وتعري عن خز المصيف).

(2) خرم بالأصل: والتصويب من الزهر.

(3) الزهر: (وفتات).

(4) البقق المُنْتَاهي في البياض وشدة النضاعة.

(5) الزهر: (دعا منه نفق العاج بنقبة الديباج).

(6) الزهر: (الدَّر).

(7) خرم بالأصل: والتصويب من الزهر.

(8) الزهر: السماوية.

(9) الزهر: (للصناعة).

(10) فيه إشارة إلى المثل العربي «أعط القوس باريها» ومنه قول الشاعر:

يَا بَارِي الْقَوْسِ بَرِيًّا لَسْتُ تُخْسِنُهُ لَا تُفْسِدُنَهَا وَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا

(11) الزهر: (معلمها).

(12) ترجمة ابن برد في: الذخيرة، 1/1 - 502، الجذوة، ص: 107، بغية الملتبس ترجمة رقم: 354،

المغرب في حلى المغرب، 1/86، المطمح، ص: 24، معجم الأدباء 2/106، نفح الطيب 3/545

وفي صفحات متفرقة منه.



[الطَّبَاع] ⁽¹⁾ وَازْدَوَجْتَا فِي إِثَارَةِ السُّرُورِ، فَاخْرِقْ إِلَيْنَا سُرَادِقَ ⁽²⁾ الدَّجَنِ ⁽³⁾ تَجِدْ مَرَأَى لِمَ يَخْسُنُ ⁽⁴⁾ إِلَّا لَكَ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَ.

وَلَهُ ⁽⁵⁾:

الرَّيَاةُ فِي اللَّيْلِ أَخْفَى، وَبِالزَّائِرِ وَالْمَزُورِ أَخْفَى، وَقَدْ سَدَلَ حِجَابَهُ، وَوَقَعَ غُرَابَهُ، وَتَبَرَّقَعَتْ نُجُومُهُ بَغْيُومِهِ، وَتَلَفَّحَتْ كَوَاكِبُهُ بِسَحَابِهِ، فَاهْتِكَ إِلَيْنَا سِتْرُهُ، وَخُضَّ نَحْوَنَا تَجْرَهُ، وَلَكَ الْأَمَانُ مِنْ عَيْنِ وَاشٍ تَرَكَ، وَشَخْصٍ رَقِيبٍ يَلْقَاكَ، وَالبَذْرُ صِنُوكَ، فَإِنْ طَلَعَتْ مَعَهُ عَلَيَّ دُعِرَ الْخَافِقَانِ، وَالشَّمْسُ نَزُبُكَ. فَإِنْ صَاحَبَتْهَا إِلَيَّ اسْتِرَابٌ ⁽⁶⁾ الثَّقَلَانِ ⁽⁷⁾ فَاجْعَلْ لِيَالِي السَّرَارِ ⁽⁸⁾، مَوَاقِيتَ الْاَزْدِيَارِ، وَأَيَّامَ الْاِنْكِسَافِ، سَاعَاتِ الْاِتِّلَافِ.

وَلَهُ ⁽⁹⁾:

لَمْ نَلْتَحِقْ مُذْ عَرَيْنَا مَرْكَبَ اللَّهِوِ وَأَخْلَيْنَا رَبْعَ الْأُنْسِ، وَقَصَصْنَا جَنَاحَ الطَّرَبِ، وَعَبَسْنَا فِي وُجُوهِ اللَّذَّاتِ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَخَفَّ إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ نُسِجَتْ فِيهِ الرِّيَاحِينُ

(1) خرم بالأصل: والتصويب من الذخيرة.

(2) السرادق: الحاجز الذي يحيط بالبناء من حائط أو مضرب أو خباء.

(3) الدجن: ظل الغيم في اليوم المطير الذي يخيم فتصيب الأرض ظلمة. والمعنى (التحق بنا قاطعا حاجز الظلام المخيم).

(4) خرم بالأصل: والتصويب من الذخيرة.

(5) الرسالة انظرها في: الذخيرة 1/ 1 - 502.

(6) خرم بالأصل: والتصويب من الذخيرة.

(7) الثقلان: هما الإنس والجن سميا بذلك لتفضيل الله لهما على سائر المخلوقات.

(8) ليالي السرار: هي الليالي الأخيرة التي يختفي فيها الهلال ويستتر قال الشاعر:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا

جُرَدًا تَعَادَى طَرْفِي نَهَارَهَا

عَشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارَهَا

(9) انظر: الرسالة في الذخيرة 1/ 1 - 503.



بالدواوين⁽¹⁾ والمجامير بالمحابر والأطباق بالأوراق، وتنازع المدام بتنازع الكلام، واستماع الأوتار باستماع الأخبار، وسجع البلابل، بسجع الرسائل. كَانَ أَشْحَذَ لِدَهْنِكَ [وَأَصْقَلَ] لِفَكْرِكَ وَأَنْسَ لِحَاطِرِكَ، وَأَطِيبَ لِنَفْسِكَ وَأَفْرَجَ لِهَمِّكَ وَأَرْشَدَ لِرَأْيِكَ.

وَنَحْنُ مِنْ مَنَزِلِ أَبِي فَلَانٍ، بِحَيْثُ نَلْتَمِحُ⁽²⁾ سَنَاكَ، وَنَتَنَسَّمُ رِيَّكَ، وَقَدْ رَاعَنَا الْيَوْمُ بِإِكْفَهْرَارِ وَجْهِهِ، وَمَا ذَرَّ مِنْ كَافُورٍ ثُلْجِهِ، فَادَّرَعْنَا لَهُ بِسُطُورٍ، وَانْغَمَسْنَا بَيْنَ جُيُوبِ الشُّرُورِ، وَرَفَعْنَا لِينَاتِ الزَّنَادِ رَايَاتِ حُمُرًا⁽³⁾، وَأَجْرَيْنَا لِينَاتِ الْكُرُومِ خَيْلًا شُقْرًا⁽⁴⁾، وَأَخْبَيْنَا أَنْ تَشْهَدَ جَيْشَ [الشَّتَاءِ] كَيْفَ يُهْزَمُ، وَأَنْفَاسَ الْبَرْدِ كَيْفَ تُكْظَمُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبِ بِحَبِيبِ فَضْلٍ إِلَى أَبِيهِ⁽⁵⁾:

لَمَّا خُلِقَ الرَّبِيعُ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْغُرِّ، وَشَرَقَ زَهْرُهُ مِنْ شِيَمِكَ الزَّهْرِ، حَسَنَ لَكَ عَيْنُ مَنْظَرِهِ، وَطَابَ فِي كُلِّ سَمْعٍ مَخْبَرُهُ⁽⁶⁾، وَتَاقَتِ النَّفُوسُ إِلَى الرَّاحَةِ فِيهِ، وَمَالَتْ إِلَى الْإِشْرَافِ عَلَى بَعْضِ مَا يَخْتَوِيهِ، مِنَ النُّورِ الَّذِي كَسَا الْأَرْضَ حُلَلًا، لَا يَرَى النَّاطِرُ فِي أَثْنَائِهَا كَلَلًا⁽⁷⁾. فَكَأَنَّهَا نُجُومٌ تُثْرَتُ عَلَى الشَّرَى، وَقَدْ مُلِئَتْ مِسْكًَا وَعَبِيرًا، إِنْ تَنَسَّمْتَهَا فَأَرْجَاةٌ أَوْ تَوَسَّمْتَهَا فَبَهْجَةٌ، تَرُوقُ الْعُيُونُ أَجْنَاسُهَا وَتُحْيِي النَّفُوسَ أَنْفَاسُهَا:

فَالْأَرْضُ فِي بُرْدَةٍ مِنْ يَانِعِ الزَّهْرِ	تُزْرِي إِذَا قَسْتَهَا بِالْوَشْيِ وَالْحَبْرِ
قَدْ أَحْكَمْتَهَا أَكْفُ الْمُزْنِ وَإِكْفَةُ	وَطَرَزْتَهَا بِمَا تَهْمِي مِنَ الدَّرَرِ
تَبَرَّجَتْ فَسَبَتْ مِنَ الْعُيُونِ هَوَى	وَفِتْنَةً بَعْدَ طَوْلِ السَّتْرِ وَالْخَفَرِ ⁽⁸⁾

(1) خرم بالأصل: والتصويب من الذخيرة.

(2) الذخيرة: نلتمس.

(3) الذخيرة: حمراء.

(4) الذخيرة: شقراء.

(5) انظر: الرسالة في البديع في وصف الربيع، ص: 28، والذخيرة 1/2 - 125.

(6) في البديع والذخيرة: خبره.

(7) في البديع والذخيرة: خللا.

(8) الأبيات من بحر البسيط.



فَأَوْجِدْنِي بِمَعَالِيكَ سَبِيلًا إِلَى إِعْمَالِ بَصَرِي فِيهَا، لِأَجْلُو بَصِيرَتِي بِمَحَاسِنِ نَوَاحِيهَا. فَالْفَضْلُ عَلَى أَنْ يَكْمُلَ أَوَانُهُ، وَيَنْصَرِمَ وَقْتُهُ وَزَمَانُهُ، فَلَا تُخْلِنِي مِنْ بَعْضِ التَّشْفِي مِنْهُ، لِأَضْدِرَ نَفْسِي مُتَيَقِّنَةً عَنْهُ، فَعَهْدِي بِمِثْلِ مَا سَأَلْتَهُ بَعِيدَ، وَشَوْقِي إِلَيْهِ شَدِيدَ، وَالنَّفْسُ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ⁽¹⁾ وَمَنْ أَجَمَّهَا فَهُوَ السَّيِّدُ الرَّشِيدُ.

وَلَهُ⁽²⁾:

قَدْ عَلِمَ سَيِّدِي أَنَّ بَمَرَاهُ يَكْمُلُ جَذَلِي، وَيَنْدُو أَمْلِي، وَقَدْ حَلَلْتُ مُحَلًّا غُنِي الْجَوْ بِتَحْسِينِهِ، وَانْفَرَدَ الرَّبِيعُ بِتَحْصِينِهِ، فَكَسَاهُ حُلًّا مِنَ الْأَنْوَارِ، بِهَا يَنْجَلِي صَدَأُ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ. فَمِنْ مَكْمُومٍ [يَعْبُقُ مِسْكُهُ، وَلَا يَمْنَعُهُ مَسْكُهُ، وَمِنْ بَادٍ يَرُوقُ مُجْتَلَاهُ، وَيَفُوقُ مُجْتَنَاهُ، فِي مِرَآةٍ وَرِيَّةٍ. فَتَفْضُلُ بِالْخُفُوفِ نَحْوِي وَتَعْجِيلِ اللَّحَاقِ بِي]⁽³⁾ لِنُجَدِّدَ لِلْأَنْسِ مَعَانِي قَدْ دَرَسَتْ، وَنَقُكَّ مِنَ الشُّرُورِ مَعَانِي قَدْ أَشْكَلَتْ، وَنَشْكُرَ لِلرَّبِّيعِ، مَا أَرَانَا مِنَ الْبَدِيعِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حَجَّاجٍ⁽⁴⁾:

لَوْ قُرِنْتُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ بِذَوِي التَّأْمِيلِ لَفَضَلْتُ، أَوْ وُزِنْتُ بِذَوِي الْمَحَبَّةِ لَرَجَحْتُ، وَهَلْ شَاهَدَ لِي - مَكَّنَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ وَأَعْلَى شَانَهُ - سِوَى مَا [عَلِمَ مِنْ] فَارِطِ تَأْمِيلِي، وَسَالِفِ انْقِطَاعِي وَتَعْوِيلِي:

(1) في الحديث الشريف: «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» وهو أن يركبها الرين بمباشرة المعاصي والآثام. اللسان (صدأ).

(2) انظر: الرسالة في كتاب البديع في وصف الربيع، ص: 30، والذخيرة 1/2 - 126، وكذلك نفع الطيب 427/3.

(3) خرم بالأصل: وقد رممنا الرسالة من المصادر المذكورة سابقا.

(4) انظر ترجمته في المغرب في حلى المغرب 1/256 رقم: 179، وقد سقطت ترجمته من جميع نسخ الذخيرة.



أَيَّامَ كُنْتُ كَمَنْ يَدْعُو لَخَالِقِهِ وَيَرْتَجِيهِ وَغَيْرِي عَابِدُ الْوَتَنِ⁽¹⁾
 طَبِيعَةً جُبِلْتُ عَلَيْهَا، وَفَضِيلَةً نَزَعْتُ إِلَيْهَا؛ وَإِنِّي لَمَّا كَانَ عِنْدِي مِنْ نِعَمِهِ، يَنَابِعُ
 كَرَمِهِ، كُنْتُ إِذَا أَهْدَيْتُ إِنَّمَا أَهْدِي هِبَاتِهِ، وَأُبْدِي عَطِيَّاتِهِ، وَبَعَثْتُ⁽²⁾ أَيْدَهُ اللَّهُ مَا تَصَمَّنَ
 تَفْسِيرُهُ مُدْرَجَةٌ رُفَعَتِي هَذِهِ. وَضَرَّاعَتِي [إِلَى عُلَاهُ]⁽³⁾ فِي الْأَمْرِ بِتَقْبُلِهِ⁽⁴⁾ تَشْرِيفًا لِي
 وَتَنْوِيهًا بِي عَلَى عَادَتِهِ الْكَرِيمَةِ مِنْ إِعْلَاءِ⁽⁵⁾ شَانِي، وَتَرْفِيعِ مَكَانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
 وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي مُحَمَّدَ عَبْدِ الْغُفُورِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْغُفُورِ⁽⁶⁾:
 رَبُّمَا كَانَ مِنَ الْأَلْطَافِ مَا لَا سَبَبَ لَهُ إِلَّا تَنْفِيقُ كُتْبَةٍ⁽⁷⁾ كَاسِدَةٍ، وَتَسْوِيقِ سِلْعَةٍ
 فَاسِدَةٍ، لَا أَنَّ الْمُلْطَفَ أَحْوَجُ بِسُوءِ عَشْرَةٍ إِلَى تَقْوِيمِ، أَوْ غِلْظِ قِشْرَةٍ إِلَى تَرْقِيقِ أَدِيمِ،
 وَلَا أَنَّ الْمُهْدَى يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعِ⁽⁸⁾، فَيَمْتَعُ⁽⁹⁾ بِالْفَرَحِ لَهُ أَوْ التَّرَحُّ عَلَيْهِ عَيْنًا مِنَ
 الْهَجُوعِ، لَا هُمْ⁽¹⁰⁾ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طُلُوعُ ذَلِكَ الشَّيْءِ النَّزْرِ، مِنْ وَدُودِ بَرٍّ، أَوْ مَوْدُودِ رَفِيعِ
 الْقَدْرِ، فَهُوَ أَوْفَرُ مَا يُفْنَى وَأَبْعَدُ مَا يُتَمَنَّى.

(1) البيت من بحر البسيط.

(2) المغرب: (وقد بعثت - أعزه الله - لما يحمل فقري قدرته).

(3) خرم بالأصل: والتصويب من المغرب.

(4) المغرب بقبوله.

(5) المغرب: (من منازعه الكريمة لإعلاء).

(6) انظر ترجمة الكاتب في الذخيرة، 1/2 - 325، قلائد العقيان، ص: 160، رايات المبرزين، ص: 12،

المغرب 1/241.

(7) الذخيرة: (كتب).

(8) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

سورة الغاشية، الآيتان: 6 و 7.

(9) الذخيرة: (فيمنع).

(10) لا هم: لغة في اللهم.



وَفِي فَضْلِ مِنْهَا:

فَالْمَوَدَّاتُ مَا خَلَتْ مِنْ تَهَادٍ مُكَرَّرَةٍ، كَطَبِيخٍ خَلَا⁽¹⁾ مِنَ اللَّحْمِ يُدْعَى مُزَوَّرَةً⁽²⁾،
وَالْمُهْدَى بَيْنَ يَدَيْ هَذِهِ الْأَخْرَفِ، عِدَّةٌ⁽³⁾ كَذَا مِنْ سَفَرِ جَلٍّ، وَتَضَحِيْفُهُ عِنْدِي سَفَرٌ
حَلٌّ⁽⁴⁾ وَإِذَا سَفَرَ عَنْ ثَغْرِهِ جَلٌّ. فَالظَّفَرُ بِطَارِقِ الْهَمِّ مَحَلٌّ يُشْبَهُ صُورَ الْعَذَارَى ضُمَّخَتْ
بِالْعَبِيرِ، وَتُذَيِّهَنَّ فِي التَّقْيِيسِ وَالتَّقْدِيرِ، كَأَنَّمَا لَبَسَتْ مِنَ الْحَرِيرِ سَرَقًا⁽⁵⁾ أَوْ شَكَتْ
بِأَلْوَانِهَا وَجَدًا قَدْ بَرَّحَ بِهَا وَأَرْقَا، كَأَنَّمَا [سَرَقَتْ] الثُّدِيَّ طَوَابِعَ مِسْكِ أَحَمٍّ⁽⁶⁾، ضَمَّتْ
عَلَيْهَا حَوَائِجَهَا ثُمَّ⁽⁷⁾ خَافَتِ الذَّمَّ، أَفْدَاحُ غَرْبٍ، عُلَّتْ بِمَاءٍ ذَهَبٍ، طُبِعَ مِنَ الْعَبِيرِ⁽⁸⁾
نَوَاهَا، وَتَابَ عَنْ شَذَاهَا [الْفَائِحِ لِلشَّرْبِ سَاطِعُ شَذَاهَا]⁽⁹⁾ وَلَرُبَّمَا فَضَلَتْ شَهِيَّ
التُّفَاحِ، وَفَتَكَتْ بِأَذْوَاءِ الْمِعْدَةِ فَتَكَةَ السَّفَاحِ⁽¹⁰⁾.

وإِنَّ فَاكِهَةً تُشْبِهُ الثُّدِيَّ، وَتَشْرُكُ فِي بَعْضِ صِفَاتِهَا الْهَدْيِ، لَجَدِيرَةٌ بِأَنْ تَحْفَظَهَا
عِنَاقًا، وَلَا تَعْدِلَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا عِنَاقًا، بَلْ يَجْعَلُ فِدْيَةً قَضِيْمَهَا أَنْ تُشَدَّ وَثَاقًا، وَتَضْرِبَ
أَعْنَاقًا.

(1) الأصل: خلاء.

(2) المزورة: نوع من الحساء الخالص الذي لا لحم به، قال البحرى:

وَجَدْتُ وَعْدَكَ زُورًا فِي مُزَوَّرَةٍ حَلَفْتُ مُجْتَهِدًا أَخْكَامَ طَاهِيَهَا

انظر: التحف والهدايا، ص: 127، ديوان البحرى.

(3) الذخيرة: عدد.

(4) الذخيرة: سفرجل.

(5) السرق: شقاق الحرير وهو أجوده. قال الأخطل:

يَرْفُلْنَ فِي سَرَقِ الْفِرْنِدِ وَقَرُّهُ يَسْتَعْبِنُ مِنْ هَذَا بِيهِ أَذْيَالًا

(6) الأحم: الأسود من كل شيء.

(7) الذخيرة: اذ.

(8) الذخيرة: العنبر.

(9) خرم بالأصل: والتصويب من الذخيرة.

(10) يقصد بالسفاح الخليفة العباسي المعروف بأبي العباس السفاح.



وَأَن مَّحَلَّكَ مِن نَّفْسِي لَخَضِيبُ جَنَابِ الصَّفَاءِ، نَقِيَّ جِلْبَابِ الْوَفَاءِ، فَصِيحُ طَيْرِ
الْثَنَاءِ⁽¹⁾، وَاللَّهُ يُلْحِقُهُ مِنَ التَّمْهِيدِ ظِلَالًا، وَيَزِيدُ يَانِعَ رَوْضِهِ نَضْرَةً وَجَمَالًا، حَتَّى لَا
تُكْرَى عُيُونُ أَزْهَارِهِ، وَلَا تَعْيَا أَلْسِنَةُ أَطْيَارِهِ، وَلَا يَغْرَى مِنْ وَرَقِ عُودِهِ، وَلَا تَخْشَى مِنْ
حَلِّ نِظَامٍ عُقُودُهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ مُعْتَذِرًا عَنِ الْوُصُولِ لِرَفَافِ بِنْتِ أَبِي
بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ⁽²⁾:

نِعْمَةُ اللَّهِ قَدْ أَعْرَفْتَنِي مُدُودَهَا، وَأَنْقَلَبْتَنِي لَوَاحِقَهَا وَوُفُودَهَا، وَأَفَانِي كِتَابُهُ الْعَزِيزُ
دَاعِيًا إِلَى الْمَشْهَدِ الْأَعْظَمِ، وَالْمَخْفَلِ الْأَكْرَمِ، الَّذِي أَلْبَسَ الدُّنْيَا إِشْرَاقًا، وَالْمَجْدَ
إِبْرَاقًا، فَأَلْفَى الدُّعَاءُ مِنِّي سَمِيعًا، لَا سِيَمًا وَقَدْ قَلَّدْتَنِي الشَّرَفَ وَالشُّوْذَذَ وَالْبِرَّ جَمِيعًا،
[وَسَمًا لِنَاطِرِي فِيهِ إِلَى حَيْثُ النُّجُومُ شَوَابِكُ]⁽³⁾ وَالْمَعَالِي أَرَائِكَ. إِلَّا أَنَّهُ أَيْدُهُ اللَّهُ أَتَمَّ
نَظْرًا، وَأَوْضَحَ تَدَبُّرًا، [مِنْ أَنْ يُلْحِقَ بِخَاصَّتِهِ الزَّلْزَلُ، وَيُوقِعَ عَلَيْهِمُ الْخَلَلَ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ
الْأَيَّامَ تَرُكْنَ بَالِي كَاسِفًا، وَخَطُوبِي وَاقِفًا، فَكَيْفَ يَسُوعُ أَنْ أَلْقَاهُ بِذَهْنٍ كَلِيلٍ، وَفَكَّرِ
عَلِيلٍ، إِذْنٌ فَقَدْ أَخْلَلْتُ بِأَيَادِيهِ، وَمَا أَجَلَلْتُ رَفِيعَ نَادِيهِ، وَأُقْسِمُ الْقَسَمَ الْبَرَّ بِحَيَاتِهِ -
أَطَالَهَا اللَّهُ - مَا كَانَ مِنْ وَطْرِي أَنْ أَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلِي فِيهِ الْأَمَالُ الْعَرِيشَةُ، وَالْقِدَاحُ
الْمُفِيشَةُ، وَفِي يَدَيَّ مِنْهُ مَوَاعِدُ زُهْرِ النِّظَامِ، وَمَوَاهِبُ زُرْقِ الْجِمَامِ⁽⁴⁾. وَإِذَا عَرَفَ
الْحَقِيقَةَ رَأَى الْعُذْرَ وَاضِحًا، وَالسَّرَّ لَا نِحَا، وَعَسَى أَنْ يَلَاحِظَ سَعْدًا، وَيَسْتَنْجِزَ لِلْمُنَى
وَعْدًا، وَيَنْفَسِحَ خَاطِرًا، وَيَهْتَدِيَ حَائِثًا، فَيَقْفَهُ بِبَابِهِ مُلَازِمًا، وَيَخْرَجَ عَلَى بَسَاطَةٍ لَا ثِمَامًا، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(1) الذخيرة: فصيح جيب الصناعة والولاء ودادا لا يبلغ مداه ولا تويس هواجر البعد ثناه.

(2) انظر ترجمته في البغية ترجمة رقم: 23، الذخيرة 1/3، 24، القلائد، ص: 58، المغرب 2/248،
الذيل والتكملة 5/590، الحلة السيرة 2/116، الخريدة 3/363 الترجمة رقم: 100، المعجب،
ص: 180، أعمال الأعلام، ص: 202.

(3) خرم بالأصل: والتصويب من الخريدة.

(4) خرم بالأصل: والتصويب من الخريدة.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْمُطَرِّفِ بْنِ الدَّبَّاحِ يَسْتَدْعِي خَمْرًا⁽¹⁾:

أَوْصَاكَ الْعَطْرَةَ، وَمَكَارِمُكَ الْمُشْتَهَرَةَ⁽²⁾، تُنْشِطُ سَامِعَهَا مِنْ غَيْرِ تَوْطِيَةٍ فِي بَسْطِ⁽³⁾
مَا عَرَضَ مِنْ أُمْنِيَّةٍ، فَلِلرَّاحِمِ مِنْ قَلْبِي مَحَلٌّ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ سَلْوَةٌ، وَلَا تَعْتَرِضُهُ جَفْوَةٌ، إِلَّا
أَنَّ مَعِينَهَا قَدْ جَفَّ، وَقَطِينُهَا⁽⁴⁾ قَدْ خَفَّ. فَمَا تُوجَدُ لِلْسَّبَاءِ⁽⁵⁾ وَلَوْ بِحُشَّاشَةِ الْحَوْبَاءِ⁽⁶⁾،
فَصِلْنِي مِنْهَا بِمَا يُؤَازِي قَدْرِي، وَيَقُومُ لَهُ شُكْرِي، فَإِنَّ قَدْرَكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ تَقْضِي حَقَّهُ
زَاخِرَاتُ الْبَحَارِ، وَلَوْ سَأَلْتُ بِذَوْبِ النُّصَارِ لَا بِصَافِيَةِ الْعُقَارِ.

وَلَهُ يَسْتَدْعِي إِلَى مَجْلِسِ أَنْسٍ⁽⁷⁾:

يَوْمَنَا⁽⁸⁾ تَجَهَّمْ مُحْيَاهُ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَبَرَقَتْ شَمْسُهُ الْغُيُومُ، وَنَثَرَتْ صَبَاهُ لَوْلُؤُهُ
الْمَنْطُومُ، وَمَلَأَ الْخَافِقَيْنِ دُخَانُ دَجْنِهِ، وَطَبَّقَ بِسَاطُ الْأَرْضِ هَمْلَانُ جَفْنِهِ، فَأَعْرَضْنَا
عَنْهُ إِلَى مَجْلِسِ كَالصَّبَاحِ الْمُسْفَرِ، وَجِلْبَابُهُ كَالرِّدَاءِ الْمُحْبَرِ، وَحَلِيئُهُ يُشْرِقُ فِي تَرَائِكِهِ،
وَنَدُّهُ يَعْبُقُ⁽⁹⁾ فِي جَوَانِبِهِ، وَطَلَائِعُ أَنْوَارِهِ تَظْهَرُ⁽¹⁰⁾، وَكَوَائِبُ إِينَاسِهِ تُزْهَرُ، وَأَبَارِيقُهُ

(1) انظر ترجمته في الذخيرة 1/3 - 251، القلائد، ص: 106، المغرب 2/440، الخريدة 3/387.

(2) الذخيرة: المنتشرة.

(3) الذخيرة والقلائد: (في اقتفاء ما عرض).

(4) القطين: المقيمون بالأرض أو المكان لا يكادون يبرحونه، قال الشاعر:

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزَعَجَتْهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ

(5) السباء: الشراء والمعنى لا يمكنني أن أشتريه لعدم وجوده.

(6) الحوباء: النفس ممدودة ساكنة الواو قال رؤبة بن العجاج:

وَقَاتِلِ حَوْبَاءَهُ مِنْ أَجْلِي لَيْسَ لَهُ مِثْلِي، وَأَيْنَ مِثْلِي

(7) انظر الرسالة في الذخيرة 1/3 - 304، الخريدة 3/391.

(8) الذخيرة: (وله من أخرى في الاستدعاء، يا سيدي ومن أبقاه الله قشبية أثواب عزه محمية ساحات

حرزه يومنا يوم تَجَهَّم).

(9) الذخيرة: يتضوع من.

(10) الذخيرة: تتمرمر.



تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ، وَأَوْتَارُهُ تُنْشِدُ وَتُغَرِّدُ، وَبُدُورُهُ تَسْتَحِثُّ أَنْجُمَهَا مُجِيبَةً، وَتُقَبِّلُ أَنْمُلَهَا مُفْدِيَةً، وَسَائِرُ نَعْمَاتِهَا، خُذْ وَهَاتِهَا، وَأَمْلُنَا⁽¹⁾ أَنْ تَحُثَّ خُطَاكَ، حَتَّى يُلَوِّحَ سَنَاكَ، وَنُسْتَفِي بِمَرَآكَ.
وَلَهُ⁽²⁾:

طَلَعَ عَلَيْنَا هَذَا الْيَوْمَ يَكَادُ يُمَطِّرُ مِنَ الْغَضَارَةِ صَخُوهُ⁽³⁾، وَيَقْبِسُ⁽⁴⁾ مِنَ الْإِنَارَةِ جَوْهَهُ، وَيُخِيبِي الرِّيمَ اعْتِدَالُهُ، وَيُضِيبِي الْحَلِيمَ جَمَالُهُ، فَلَفَّتْنَا زَهْرَتُهُ، وَنَظَمَتْنَا بَهْجَتُهُ، فِي رَوْضَةٍ أَرْضَعَتْهَا السَّمَاءُ أَشْيَابِيبَهَا، وَنَثَرَتْ عَلَيْهَا كَوَاكِيبَهَا، وَوَقَدَ عَلَيْنَا⁽⁵⁾ النُّعْمَانَ بِشَقِيقِهِ⁽⁶⁾، وَاخْتَلَّ فِيهَا الْهِنْدُ بِخُلُوقِهِ⁽⁷⁾ وَبَكَرَ إِلَيْهَا بَابِلُ بِرَحِيقِهِ⁽⁸⁾، فَالْجَمَالَ يُثْنِي لِحُسْنِهِ طَرَفَهُ، وَالنَّسِيمُ يَهْزُ لَأَنْفَاسِهِ عِطْفَهُ، وَتَمَنِّيْنَا أَنْ يَتَبَلَّجَ صُبْحُكَ مِنْ خِلَالِ فَرْوَجِهِ، وَتَحُلَّ شَمْسُكَ فِي مَنَازِلِ بُرُوجِهِ، فَتُطْلِعَ⁽⁹⁾ عَلَيْنَا الْأَنْسَ بِطُلُوعِكَ وَتُهْدِيَهُ بِوُقُوعِكَ⁽¹⁰⁾، وَلَنْ تَعْدَمَ نُورًا يَحْكِي شَمَائِلَكَ طَيْبًا وَبَهْجَةً، وَرَاحًا تَخَالُهَا⁽¹¹⁾ خِلَالَكَ

(1) الذخيرة: وأقصى أملنا، الخريدة: وأملها.

(2) انظر الرسالة في الذخيرة 1/3 - 305، القلائد، ص: 109، الخريدة 3/392.

(3) مقتبس من قول أبي تمام:

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّخْرُ مِنْهُ وَيَعْدَهُ صَخْوٌ يَكَادُ مِنَ الْغَضَارَةِ يُمَطِّرُ

(4) الذخيرة: ويعشى.

(5) الذخيرة: عليه، الخريدة: عليها.

(6) شقائق النعمان: نبت وسمي بذلك لأن النعمان بن المنذر نزل على شقائق رمل قد أنبتت زهراً أحمر فاستحسنها وأمر أن تحمى، ولذلك سميت باسمه.

(7) الهند بخلوقة: أي بطيبه وذلك لاشتهار الهند بهذه الصفة.

(8) بابل برحيقه: يعني بخمرته لاشتهار بابل بالسحر والخمر، قال الشاعر:

بِبَابِلَ لَمْ تُعَمَّرْ، فَجَاءَتْ سُلَاقَةً تَخَالِطُ قِنْدِيدًا، وَمِسْكَاً مُخْتَمًا

(9) الذخيرة: (فإن رأيت أن تطلع).

(10) وتهدي الفرح بوقوعك.

(11) الذخيرة: (تخال).



صَفَاءَ وَرِقَّةٍ، وَالْحَانَا تُثِيرُ أَشْجَانَ الصَّبِّ، وَتَبْعُثُ إِطْرَابَ الْقَلْبِ، وَنَدَامَى تَزْنَحُ إِلَيْهِمُ الشَّمُولُ، وَتَتَعَطَّرُ بِأَرْجِهِمُ الْقُبُولُ، وَيَخْسُدُ الصُّبْحُ ⁽¹⁾ عَلَيْهِمُ الْأَصِيلُ، وَيَقْصُرُ بِمُجَالَسَتِهِمُ اللَّيْلُ الطَّوِيلُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّقَّاطِ فِي إِهْدَاءِ فَرَسٍ ⁽²⁾:

قَدْ بَعَثْتُ ⁽³⁾ إِلَيْكَ - أَيُّدَكَ اللَّهُ - بِجَوَادٍ يَسْبِقُ الْحَلْبَةَ وَهُوَ يَرِيثُ ⁽⁴⁾ وَيَتَمَهَّلُ، مَتَى مَا تَرُقُّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلُ. يَزْحَمُ مِنْكَبِ الْجَوَازِ بِكَ مِنْكَبُهُ، وَتَزَلُّ ⁽⁵⁾ عَنْهُ حِينَ تَرْكَبُهُ، إِنْ بَدَأَ قُلْتَ ظَنِّي دُوَّ غَرَارَةٍ، يَعْطُو إِلَى عَرَارَةٍ، أَوْ عَدَا قُلْتَ انْقِصَاصَةً شِهَابٍ، أَوْ اعْتِرَاضَةً بَارِقِ ذِي الْتِهَابِ، فَاضْمُمْهُ إِلَى أَرْي ⁽⁶⁾ جِيَادِكَ، وَاتَّخِذْهُ لِيَوْمِي رِهَانِكَ وَجِلَادِكَ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَلَهُ يَسْتَدْعِي إِلَى مَجْلِسِ أَنْسٍ ⁽⁷⁾:

يَوْمَنَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَوْمٌ [نَقَبْتُ] ⁽⁸⁾ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ الْغَمَامِ، وَذَهَبَتْ كَاسُهُ بِشُعَاعِ الْمُدَامِ، وَنَحْنُ مِنْ قَطْرِ ⁽⁹⁾ الْوَسْمِيِّ ⁽¹⁰⁾، فِي رَدَائِ الْهَدْيِ ⁽¹¹⁾، وَمِنْ نَظِيرِ النُّوَارِ، عَلَى

(1) الذخيرة: (الضحى).

(2) انظر ترجمته في القلائد، ص: 171، المغرب 1/ 428، الخريدة 3/ 443.

(3) الخريدة: بعثنا.

(4) الخريدة: يرسف.

(5) الخريدة: وينزل.

(6) الآري: محبس الدابة ومربطها.

(7) انظر الرسالة في الخريدة، ص: 445.

ومما جاء في صدرها: (ومن رسائله المعسولة وفضائله المقبولة مما تهش إليه كل نفس مكاتبته في

استدعاء صديق إلى مجلس أنس).

(8) خرم بالأصل: والتصويب من الخريدة.

(9) الخريدة: قطار

(10) الوسمي: مطر أول الربيع وهو بعد الخريف لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرا في أول السنة.

(11) الخريدة: هدي.



نَضَائِدِ النَّصَارِ، وَمِنْ نَوَاسِمِ الزَّهْرِ، فِي لَطَائِفِ ⁽¹⁾ الْعِطْرِ، وَمِنْ غُرِّ ⁽²⁾ النَّدْمَانِ، بَيْنَ زَهْرِ البُسْتَانِ، وَمِنْ حَرَكَاتِ الْأَوْتَارِ، خِلَالَ نَعَمَاتِ الْأَطْيَارِ، وَمِنْ سَقَاةِ الْكُؤُوسِ، وَمَعَاطِي الْمُدَامِ، يُقَدِّمُ مِنْ أَنْمِلَاتِ كَالشُّمُوسِ ⁽³⁾ وَعَوَاطِي الْأَرَامِ؛ فَرَأَيْكَ فِي مُصَافَحَةِ الْأَقْمَارِ، وَمُتَافَحَةِ الْأَنْوَارِ، وَاجْتِلَاءِ غُرِّ الظُّبَاءِ الْجَوَازِي، وَالْتِقَاءِ نَحْوِ ⁽⁴⁾ الْغِنَاءِ الْحِجَازِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حَسَدَايَ يَسْتَدْعِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ طَاهِرٍ لِعُرْسِ الْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ يَبْنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ⁽⁵⁾:

مَحَلِّكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - بَيْنَ الْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتْ الدَّارُ، وَعِيَانُكَ فِي أَخْنَاءِ الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارِ، وَالنَّفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحِطِّ، وَالْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى تَمَتُّعٍ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفَرِ اللَّحْظِ. فَلَا عَائِدَةَ أَسْبَغُ بَرْدًا، وَلَا مَوْهَبَةً أَسْوَعُ وَرْدًا، مِنْ تَفْضِيلِكَ بِالْخُفُوفِ ⁽⁶⁾ إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ التِّثَامَةِ، وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ انْتِظَامُهُ، وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ، وَالْإِمْتِنَاعُ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْأَمَالِ. فَأَنَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عَلَى شَرَفِ سُودِدِكَ حَاكِمٍ، وَعَلَى مَشْرِعِ سَنَائِكَ حَائِمٍ. وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقَهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي، وَتَبَقُّهُ مِنْ تَطْلُعِي وَتَتَوَّقِي، وَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِزْتِيَا حُ بِاسْتِحْكَامِ الثَّقَةِ، وَاعْتَرَضَ الْإِنْتِزَا حُ بِإِرْتِقَابِ الصَّلَةِ. وَأَنْتَ - وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكَ - بِسَمَاحَةِ شَيْمِكَ، وَبَارِعِ كَرَمِكَ، تُنْشِي لِلْمُؤَانَسَةِ عَهْدًا، وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا، وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا، لَا زِلْتَ مُهَنِّئًا بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ، مُسَوِّغًا اجْتِلَاءَ الْأَمَانِي الْمُتَهَلِّلَةِ.

(1) الخريدة: لطائم.

(2) خرم بالأصل: والتصويب من الخريدة.

(3) الخريدة: بين مشرقات شمس.

(4) وانتقاء ذرر الغناء.

(5) انظر ترجمته في الذخيرة 1/3 - 457، المغرب 2/441، المطرب، ص: 196، القلائد، ص: 183،

الخريدة 2/450، طبقات الأمم، ص: 77، طبقات الأطباء 2/50، بدائع البدائه، ص: 367، نفع

الطيب 1/535.

(6) الذخيرة: بالخفوف وأصلا مسعدا إلى مانس.



وَمِنْ إِنْشَاءِ صَاحِبِ الْقَلَمِ الْأَعْلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ فِي الْإِسْعَافِ⁽¹⁾:

وَإِلَى هَذَا - وَصَلَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ وَكَرَّامَتَكُمْ - فَمَا زِلْنَا نَرْتَادُ لِمَنْ بَقِيَ فِي تِلْكَمُ الْجَزِيرَةِ مِنْ غُرَاةِ الْمُوحِدِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ، وَقَتًا يَنْقَلِبُونَ فِيهِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ، وَيَرُدُّهُمْ اللَّهُ فِيهِ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ. وَالْآنَ فَقَدْ بَلَغَ الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يُنْتَظَرُ⁽²⁾ لَهُمْ، وَاللَّهُ يَكْتُبُ فِي صُحُفِ الْأَبْرَارِ نِيَّتَهُمْ وَعَمَلَهُمْ. فَإِذَا وَصَلَكُمْ كِتَابُنَا هَذَا - وَصَلَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ وَكَرَّامَتَكُمْ - فَاسْتَحْضِرُوا مِزْوَارَ⁽³⁾ كُومِيَّةِ وَغُرَاتِهِمْ وَاقْرَأُوا كِتَابَنَا هَذَا عَلَيْهِمْ وَانْهَوْا مُضْمَنَهُ كُلَّهُ إِلَيْهِمْ، وَاعْلَمُوهُمْ بِأَنَّهُمْ حَيْثُ جَعَلَهُمُ اللَّهُ مِنَ التَّقْدِيمِ، وَأَنَّهُمْ مِنَ الْمُبْدَأِ بِهِمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ عَنِ التَّخْصِيسِ وَالتَّعْمِيمِ. وَمَيِّزُوهُمْ تَمَيزًا لَا تَدْخُلُهُ دَاخِلَةٌ، وَلَا تَعُولُ صِحَّتُهُ غَائِلَةٌ، وَحَذِّرُوهُمْ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ غَيْرُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ السَّاكِنِينَ هُنَالِكُمْ. وَفَاصِلُوا بَيْنَهُمْ فَضْلًا لَا يَقَعُ بِهِ التَّبَاسُّ، وَلَا يَغْرِضُ مَعَهُ إِشْكَالٌ، ثُمَّ تَقَدَّمُوا لَهُمْ إِلَى جَزِيرَةِ طَرِيفٍ بَعْدَ أَنْ يَتَعَاَفَرُوا مَعَ أَهْلِ الْبِلَادِ، وَيَخْتِمُوا بِخَيْرِ عَمَلٍ مَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنَ الْجِهَادِ، وَلَا تَنْفَصِلَ عَنِ الْمَجَازِ حَتَّى تُمْكِنَ إِجَارَتُهُمْ عَلَى مَا شَرَطْنَا مِنَ الصَّحَةِ، وَهُمْ بِيضُ الصَّحَائِفِ، بُرَاءً مِنَ الْمَأْثِمِ، أَيْدِيهِمْ مَقْبُوضَةٌ وَأَعْرَاضُهُمْ نَقِيَّةٌ، وَأَجُورُهُمْ عَلَى اللَّهِ وَاقِعَةٌ. وَعَرَفُوا مَنْ هُنَالِكُمْ مِنْ غُرَاةِ⁽⁴⁾ الْعَرَبِ بِأَنَّ الْعَهْدَ وَاحِدٌ وَأَنَّهُمْ يُجِيرُونَ فِي مَوْضِعِهِمْ عَلَى مَا أَمَرْنَا بِهِ مِنْ عَدَمِ الْاِخْتِلَاطِ، وَعَلَى مَا نُوثِرُ لَهُمْ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ،

(1) ابن عياش هو محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبيد الله التجيبي برشاني سرقسطي الأصل، سكن مراکش وتصرف بتصرف ملوكها. ولد سنة 550 هـ وتوفي سنة 618 هـ انظر في ترجمته الذيل والتكملة 6/384، التكملة، ص: 605، الاعلام.

(2) خرم بالأصل: ولعل الصواب ما أثبتنا.

(3) مزوار: اللفظ من الأصل البربري أمزوار أو أمزوارو. يقول ابن خلدون: إن اللفظ كان يطلق ليدل على الحاجب، ويرى صاحب السلوة أنه يطلق على رئيس الجماعة المتميزة ونقيب الأشراف.

(4) يطلق لفظ غازي على كل مشارك في الجهاد، ويرى ابن القطان أنها تدل على كل صنف من أصناف الموحدين. ويضعهم في المرتبة الرابعة عشرة، ويعزو كتاب الأنساب تسمية هذا الصنف بالغرزة بمعناه الاصطلاحي إلى الخليفة المنصور الموحيدي. انظر وثائق لم تنشر من تاريخ الموحدين، ص: 48. نظم الجمان، ص: 120، الحلل الموشية ص: 109.



والتزود^(١) بالثناء الجميل. والدعاء المقبول - إن شاء الله تعالى - مُنجدكم ومُعِينكم. والسلام الكريم عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

كُتِبَ فف الثالثِ عَشَرَ لِسَعْبَانَ الْمُكْرَمِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةِ وَسِتِّ مَائَةٍ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَحْرِ صَفْوَانَ بِنِ إِدْرِيسَ رَحِمَهُ اللهُ يَسْتَعِيرُ بَغْلَةً مِنْ أَحَدِ الْأَصْحَابِ^(٢):

إِنِّي هَزَزْتُكَ هَزَّ الصَّارِمِ الْخَذِمِ وَبَيَّنَّا كُلَّ مَا تَدْرِيه مِنْ ذِمِّ^(٣)
هَذِهِ أَعَزَّكَ اللهُ هَزَّةُ [الْمُتَضَارِبِ] لِعَضْدٍ... [الْمَضَارِبِ]^(٤) وَإِنَّمَا يُدْفَعُ لِلْعَظِيمَةِ
الْعَظِيمِ، وَيُدْخَرُ لِلْحَوَائِجِ مَنْ [خِلَالُهُ] التَّوْقِيرُ وَالتَّعْظِيمُ.
وَإِنَّمَا تُرْعَى.... وَالْأَبُ وَيَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يُنْشَرُ الْحَبُّ^(٥)

وَخَاجَتِي سَابِجُ كَالنَّارِ فِي صَعْدِ أَوْ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ كَالْمَاءِ فِي صَبَبِ^(٦)
وَرُبَّمَا... وَارْتَفَعَ يَتَعَاطَى خَوْضَ تِلْكَ السُّيُولِ...^(٧) فَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ
كِتَابُ^(٨)... لَهُ مِنْ مَوْكِبِ نَبِيهِ، أَهْوَنُ لِلطَّيَّاتِ وَأَسْرَعُ لِلسَّيْرِ، وَكَأَنِّي عَلِمْتُ فِيهَا الْغَيْبَ

(١) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه

(٢) صفوان بن إدريس كاتب موحد مشهور صاحب كتاب زاد المسافر، توفي سنة 598 هـ وهو لم يبلغ سن الأربعين. انظر ترجمته في الذيل والتكملة 4/ 1-140، التكملة، ص: 876، معجم الأدباء 4/ 269، فوات الوفيات 1/ 192، مطالع البدور 1/ 118، نفع الطيب، 6/ 365، بروكلمان 5/ 131.

(٣) البيت من بحر البسيط.

(٤) خرم بالأصل: ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) البيت من بحر البسيط. انظر: «ريحانة الكتاب»، 2/ 308. من قصيدة بشار بن برد مطلعها:

حَيِّيًا صَاحِبِي أُمَّ الْعَلَاءِ وَاحْذَرَا طَرْفَ عَيْنِهَا الْحَوَازِ

(٦) البيت من البسيط.

(٧) خرم بالأصل.

(٨) مقتبس من قول المتنبي:

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرْجُ سَابِجٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الْأَنْامِ كِتَابُ

انظر ديوانه، ص: 479، والذخيرة 1/ 2-838.



فَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ⁽¹⁾. وَإِنْ اعْتَرَضَ مُعْتَرِضٌ فَقَالَ: الْبَغْلُ لَا يُعْقَبُ وَلَا يُنَجَّبُ، وَفَائِدَتُهُ بَعْدَ حَيَاتِهِ تَحْتَجِبُ، فَقَدْ كَانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيِّدًا وَحَصُورًا⁽²⁾، وَبَقِيَ ذِكْرُهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ مَحْصُورًا. فَإِنْ عَوَّلَ كُلَّ التَّعْوِيلِ عَلَى ذِمَّةٍ، فَقَالَ: هُوَ يَفْخَرُ بِخَالِهِ لَا بِعَمِّهِ، فَالْخَالُ أَحَدُ الْأَبْوَيْنِ، قَوْلُهُ لَا زُورَ وَلَا مِثْنَ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا، وَهَذِهِ حِجَاخٌ قَدْ طُوِيَ بِسَاطِهَا؛ فَاسْمَحْ بِهَا أَعَزَّكَ اللَّهُ سِلْسَةَ الْقِيَادِ، بَيْنَةَ الانْطِبَاعِ وَالانْقِيَادِ، تَحْثُو التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْحِيَادِ، يَقُولُ رَاكِبُهَا، وَقَدْ اسْتَقَلْتُ مَرَاكِبُهَا⁽³⁾:

وَلَوْ كَانَ الْبَغَالُ كَمِثْلِ هَذِي لَفُضِّلَتِ الْبَغَالُ عَلَى الْحِيَادِ⁽⁴⁾
وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وَلَهُ:

وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ مُنَاقِضَةً هَذِهِ الرِّسَالَةَ فَكَتَبَ فِي إِثْرِهَا: كَتَبْتُ -أَعَزَّكَ اللَّهُ- وَآمَالِي عَلَيْكَ تَفِدُّ، وَإِلَى كَعْبَةٍ مَكَارِمِكَ تَسْعَى وَتَحْفَدُ⁽⁵⁾:
وَحَاجَتِي سَابِحَ كَالنَّارِ فِي صَعْدٍ أَوْ ابْنَ أَخْبٍ لَهُ كَالْمَاءِ فِي صَبَبٍ⁽⁶⁾

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَغْلَمَ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ﴾، سورة الأعراف، الآية: 188.

(2) مقتبس من سورة آل عمران التي جاء فيها: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. آل عمران، الآية: 39.

(3) البيت من بحر الوافر.

(4) تلاعب بقول المتنبي:

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

(5) حقد الرجل: معناه خف وأسرع.

(6) البيت من بحر البسيط.



لَا تَهُمُّ إِنْ عَدُوا الْمَفَاحِرَ وَحَسِبُوهَا، تَلَوْتُ لَهُمْ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ
لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾. فَحَسَبُ الْمُجَادِلِ الْمُرْتَابَ، أَنَّ اللَّهَ
قَدَّمَ الْخَيْلَ فِي الْكِتَابِ، فَمَا الْمُخْتَرَنُ وَالْمُدَّخَرُ، وَمَا قَدَّمَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُؤَخَّرُ، كَفَّاهَا
شَرْفًا أَنَّ الْخَيْرَ فِي نَوَاصِيهَا مَعْقُودٌ⁽²⁾ وَالْيَمْنُ بِقَوْدِ شُقْرِهَا مَقُودٌ، وَقَدْ جَرَى الْمَثَلُ عَلَى
لِسَانِ كُلِّ طَائِفٍ وَسَابِحٍ، بِأَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرْجُ سَابِحٍ⁽³⁾ وَمَنْ تَشَبَّعَ بِمَا لَمْ يَمْلِكْ
كُذَّبَ، وَمَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عُدِّبَ. مَتَى أَنْجَحَ الْبَغْلُ فِي حَرْبٍ، أَوْ أَبْلَى فِي طَعْنٍ أَوْ
ضَرْبٍ، هَلْ الْبِغَالُ إِلَّا مَرَائِبُ أَهْلِ الْخَوَرِ، وَمَوَاطِنُ ذَوَاتِ الدَّلِّ وَالْحَوَرِ، وَقُصَارَى
الْبَغْلِ إِذَا عَمِرَ بَيْتُ فَخْرِهِ الْخَالِي، أَنْ يَقُولَ: الْفَرَسُ خَالِي⁽⁴⁾، فَلِمَ يُتَوَخَّى الْفَرْغُ وَيُتْرَكُ
الْأَصْلُ، وَهَلْ يَتَسَاوَى الْفَسْلُ وَالْفَصْلُ؟ أَلَيْسَ الصُّبْحُ لِذِي نَاطِرٍ مُسْتَنِينًا؟⁽⁵⁾ أَوْ لَيْسَ
مَنْ عَدَلَ عَنِ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ غَيْبًا؟ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴿بَقَدِّ إِخْتِمَلْ بُهْتَنًا وَإِثْمًا
مُثْبِنًا﴾⁽⁶⁾، فَإِنْ اخْتَجَّ مُحْتَجٌّ فِي مِعْرَاضِ الْمَيْنِ، فَقَالَ: الْخَالَ أَحَدُ الْأَبْوَيْنِ، فَالْخَالَ لَا
يُورَثُ وَلَا يَرِثُ⁽⁷⁾ فَلَا تَغْبَأْ بِالْمُنَاقِضِ وَلَا تَكْثُرْ، وَلِمَ لَا أَقْدُمُ مَنْ حَقَّهُ التَّقْدِيمُ،
وَأَمِيلُ إِلَى مَا مَالَ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ وَالْقَدِيمُ⁽⁸⁾، وَأَنْحَرِفُ إِلَى الْعَتِيقِ عَنِ الْهَجِينِ، وَأَنْسَلُ
مِنَ النَّازِلِ أَنْسِلَالَ الشَّعْرَةِ مِنَ الْعَجِينِ:

(1) سورة النحل، الآية: 8.

(2) فيه إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «الخيول معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»

(3) من قول المتنبي:

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الْأَنْامِ كِتَابُ

(4) في الأمثال: «قيل للبعول من أبوك؟ قال: الفرس خالي». انظر مجمع الأمثال 2/ 48.

(5) مقتبس من المثل العربي «تبين الصبح لذي عينين».

(6) فيه تضمين لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ إِخْتِمَلَ
بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُثْبِنًا﴾. سورة النساء، الآية: 112.

(7) من المعلوم أن الخال لا يرث في المذهب المالكي، قال مالك في الموطأ: «الأمر المجتمع عليه عندنا
الذي لا اختلاف فيه والذي أدركت عليه أهل العلم في بلدنا أن ابن الأخ للأُم والعَم أخ الأب للأُم
والخال والجدَّة أم أبي الأم وابن الأخ للأب والأم والعمة والخالَّة لا يرثون بأرحامهم شيئاً». الموطأ،
ص: 425.

(8) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.



وَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ⁽¹⁾
فَاسْمَحْ بِهِ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - سَنِيَّ الذَّرَى، يُقَيِّدُ الْبَرْقَ إِذَا جَرَى، وَإِنْ قُدَّتْهُ مُهْرًا كَرِيمًا
فَبِالْحَرَى. وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْأَوْحِدِ الْأَمْجِدِ الْفَقِيهِ أَبِي زَيْدِ الْفَارَازِيِّ أَعَزَّهُ اللَّهُ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ وَإِلَى
سَيِّدِي الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْحَسْبِيِّ الْفَاضِلِ الْأَمْجِدِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ حَسَّانٍ - أَدَامَ اللَّهُ
سَعْدَهُ - وَكُنْتُ فِي ... أَطْلُبُ مَا بَلَغَهُ أَنَّهُ اسْتَقَرَّ عِنْدِي مِنْ كَلَامِهِ⁽²⁾:

أَيُّهَا الْجَمْعُ الْمُتَّحِدُ شَيْمًا، الْمُتَّفِقُ فَضْلًا وَكَرَمًا، لَا رُمِي سِلْكَ انْتِظَامِكُمْ بِالْبَنَاتِ،
وَلَا مُنِي شَمْلُ النِّتَامِكُمْ بِالشَّتَاتِ.

(3)

أَوَّلَى الْأُمُورِ بِسْتَرٍ شَيْءٌ رَكِيكَ الْمَعَانِي
فَاتِ الطَّيِّبِ اخْتِيَالًا وَفَاقَ طُورَ الْمَعَانِي
مَذْخُ الْكَرَامِ يُسَاوِي بِهِ نَسِيبُ الْغَوَانِي
أَبَا فُلَانٍ، فَأَخْسِنُ يَبْذُلُهُ لِفُلَانٍ

(1) البيت من بحر البسيط للمتنبى من قصيدته الميمية.

(2) كاتب موحد مشهور اشتغل مع كثير من ولاية الموحدين بالاندلس إلى أن طرده المأمون من وظيفته وأعادته إليها بعد أن استعطفه واشتهر بقصائده العشرينية في مدح النبي ﷺ. انظر ترجمته في: التكملة ترجمة 1641، برنامج شيوخ الرعيني، ص: 101، تحفة القادِم، ص: 191، صلة الصلة - قسم الغرباء الملحق بالذيل والتكملة القسم الثاني، ص: 542، بغية الوعاة 2/ 91، الإحاطة 3/ 517، بروكلمان 5/ 131. كتاب الأنساب «مخطوط» الخزانة العامة رقم 1285 لك ورقة 134، وله شعر في البيان المغرب «قسم الموحدين».

(3) خرم ومحو بمقدار خمسة أسطر بالأصل لم يتمكن من قراءة ما جاء بها.



وَكُتِبَ إِلَيْنَا أَيْضاً جَوَاباً عَلَى مَا كُتِبْتُ إِلَيْهِ فِي اسْتِدْعَاءِ مُوشِحَةٍ لَهُ مِنْ سَبْعَةِ آيَاتٍ:

يَا سَادَتِي الَّذِينَ جَمَعَتِ الْمَحَاسِنُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَطْلَعَتِ النَّيْرَةَ فَلَكَّهُمْ وَسَمَاءُهُمْ، لَا زَالَ رَبُّعُكُمْ مَطِيرًا، [وَقَدَرُكُمْ] ⁽¹⁾ خَطِيرًا، وَذِكْرُكُمْ فِي كُلِّ مَعْلُوءَةٍ مُسْتَطِيرًا. وَصَلَّتَنِي مِنْكُمْ سَحَاءَةٌ ⁽²⁾ طَابَقَتْ الْفَضْلَ أَزْهَارًا، وَشَابَهَتْهُ [أَضْوَاءُ وَأَنْوَارًا] ⁽³⁾، فَعَجِبْتُ مِنْ لَيْلِ نَفْسٍ أَطْلَعَ صَبَاحًا، وَمِنْ رَوْضِ طُرْسٍ أَنْبَتَ أَقَاحًا، عَلَى حِينِ كُلِّ لِسَانٍ الْإِحْسَانَ، [وَفَاقَتْ] ⁽⁴⁾ سِهَامُ الْأَفْهَامِ، وَانْقَشَعَتْ مَوَاطِرُ الْخَوَاطِرِ، وَانْتَكَنَتْ مَرَائِرُ الضَّمَائِرِ، وَلَمْ يَبْقَ ذَهْنٌ إِلَّا نَضَبَ حِسِّيَّةٍ ⁽⁵⁾، وَلَا فِكْرٌ إِلَّا طَفَلَ ⁽⁶⁾ مَسْنِيهِ، فَعَايَةُ النَّخْرِيرِ عَلَى هَذَا التَّخْرِيرِ، هَجَعَةُ كَلَالٍ، وَضَجَعَةُ مَلَالٍ، وَإِنْ طَبَعًا يَتَدَفَّقُ عَلَى جُمُودِ الطَّبَاعِ، وَذَهْنًا يَتَأَلَّقُ أَوْ أَنْ خُمُودِ الشُّعَاعِ، أَحَقُّ ذَهْنٍ بِأَنْ أَمْسَحَ عَظْفُهُ، وَأَسْتَمْنِجَ عَظْفُهُ، وَأَقْدِمُهُ وَأُصَلِّيَ خَلْفَهُ.

فَأَمَّا مَا عَرَضَ بِهِ السَّادَةُ - أَعْلَى اللَّهِ أَقْدَارُهُمْ - مِنْ بَعْثِ الْمُوشِحَةِ الَّتِي قَصَدْتُ بِهَا الشُّكْرَ لَا الذِّكْرَ، فَكَيْفَ وَقَدْ كَسَبْتَنِي رُؤْيَا الْفَضْلَاءِ الْعُقَلَاءِ أَمْثَالَكُمْ حُنْكَ، وَبَقْتُ عَلَى مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ مُسْكَةً، أَوْ لَيْسَ مِنْ دَلَائِلِ السَّمْعِ الْأَعْوَجِ، وَالذَّهْنِ الْأَهْوَجِ، إِبْدَاءُ تُرْبٍ لِيْتَرٍ، وَإِهْدَاءُ خَزَفٍ إِلَى دُرٍّ. وَأَنَا أَحَاشِيكُمْ، وَأَرْبَابُ بَرَقَةٍ حَوَاشِيكُمْ، عَنِ الْإِسْعَافِ، إِلَى نَظْمِ سَفْسَافٍ، وَإِخْلَادٍ ⁽⁷⁾ إِلَى لَفْظٍ غَيْرِ مُسْتَجَادٍ، وَإِنْ كَانَ مِنْ سَيِّدِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَنَّةً اسْتِحْسَانٌ يَغُرُّكُمْ [وَأَسْتِمْلَاحٌ] ⁽⁸⁾ يَنْخَدِعُ بِهِ غُرُّكُمْ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْإِغْضَاءَ سَجِيَّتُهُ،

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) السحاة: ما أخذ من القرطاس وقد تدل عليه نفسه كما تدل على الكتاب.

(3) خرم بالأصل: ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) الحسي: حفرة قريبة القعر قيل أنه لا يكون إلا في أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل. جاء في الحديث

الشريف: «أنهم شربوا من ماء الحسي».

(6) طفل مسيه: أشرف على الغروب والانتها.

(7) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(8) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.



وَالْإِزْضَاءَ عَلَى كُلِّ حَالٍ طَوَيْتُهُ، وَالْكَرَمَاءَ الَّذِينَ هُوَ قَائِدُ زَمَانِهِمْ، [وَأِمَامُهُمُ] الْمُسْتَحَقُّ وَابْنُ إِمَامِهِمْ، [يَجْزُونَ] عَلَى الْقُلِّ بِالْكَثْرِ، وَيَقُومُونَ لِلْمُقَصِّرِ الْمُجْتَهِدِ بِبَسْطِ الْعُذْرِ. فَاغْفِرْنِي مِنْ هَذِهِ الْخُطَّةِ وَاكْفُونِي [تَجَشُّمًا] هَذِهِ الضَّغْطَةَ. أَبْقَاكُمْ اللَّهُ لِلزَّلَّاتِ سَاتِرِينَ، وَبِالْمَأْثُورَاتِ مُسْتَأْثِرِينَ. بِمَنِّهِ وَعِزَّتِهِ. وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُغَاوِرٍ الشَّاطِئِيِّ⁽¹⁾:

سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى حَضْرَةِ [السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْهُمَامِ الْأَعَزِّ الْأَفْضَلِ] أَبِي عِمْرَانَ بْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ آدَامَ اللَّهِ لَهُمْ بَسْطَتِي [التَّأْيِيدِ وَالتَّمْكِينِ]. تَحِيَّةُ تَوَافِيهِ بِأَبْرِ سَلَامٍ، وَتَرْفُلٌ فِي مِثْلِ حُلَّةِ ابْنِ حَارِثَةَ ابْنِ لَامٍ⁽²⁾ وَتُمَائِلٌ فِي الْقَبُولِ بَشْرَى زَكْرِيَاءَ بِالْغُلَامِ، وَفُورٌ قَلَمِهِ بِالْكَفَالَةِ بَيْنَ الْأَقْلَامِ. إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لِلشَّيْءِ عَلَى مَنْصِبِ سَيِّدِنَا وَابْنِ سَيِّدِنَا فِي السَّنَاءِ رَوَاقًا، وَصَيَّرَ مِنْهُ فِي أَعْنَاقِ الْأَقْرَبِينَ أَطْوَاقًا، فَلَبِستُ بِهِ حَضْرَةَ الْخِلَافَةِ لِلْغِبْطَةِ مُطَرَفَهَا، وَاتَّخَذْتُ بِحَمِيدِ مَقَالِهِ فِيهَا زِينَتَهَا وَزُخْرُفَهَا وَأَنَارَتْ بِشَرَفِ نِيَابَتِهِ عَنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شُرُفَهَا. فَأَفَاءَ عَلَى عَبِيدِهِ الطَّلَبَةَ ظِلَالِ جَنَانِهِ، وَأَحَاطَ بِهِمْ مِنَ الْقَبُولِ عَمِيمٌ إِحْسَانِهِ⁽³⁾ وَصَالَتِ الرِّيحُ كُلَّ مَصَالٍ، عَلَى سِرَاجِ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ⁽⁴⁾ فَلَمْ يَطْلُ لَهَا بِهِ عَيْثٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا مُتَلَبَّثٌ، هُنَالِكَ كَتَبَ فِي الْفُرُوزَةِ مَا كَتَبَ، وَعَدَّلَ ذَا الشَّبَابِ عَلَى لُبْسِهَا وَعَتَبَ، وَسَأَلَهَا لِمِثْلِهِ مِمَّنْ شَارَفَ الْكِبَرَةَ، وَأَسَالَ عَلَى شَيْبَتِهِ الْعَبْرَةَ، وَعِنْدَمَا اخْتَلَّتِ الشَّمْسُ مِنَ الْقَوْسِ أَقْصَى مَنْزِلَةِ الْإِنْحِطَاطِ، وَاسْتَوَلَى لَيْلُهَا عَلَى أَمَدِ الشُّطَاطِ، وَاشْتَكَى غَوْلُ النَّهَارِ

(1) شاطبي سمع من أبيه وأبي علي الصديقي وكان في زمانه من كبار الكتاب والأدباء المشاهير بالأندلس وله حظ من قرض الشعر ومشاركات في الفقه وله ديوان يسمى «نور الكماثم وسجع الحمائم» غير أنه مفقود. انظر ترجمته في التكملة، ص: 578، تحفة القادم، ص: 25، معجم أصحاب الصديقي، ص: 243، شذرات الذهب 4/ 289، زاد المسافر ص: 79، المغرب 2/ 385.

(2) يقصد أوس بن حارثة بن لأم. انظر الكامل، ص: 133. وخزانة الأدب 9/ 401.

(3) خرم بالأصل بمقدار خمسة أسطر ونصف لم يتمكن من قراءتها.

(4) كاتب مرابطي مشهور له رسائل مجموعة، انظر: عن حياته ورسائله المقدمة التي كتبها الدكتور محمد رضوان الداية أثناء تحقيقه لهذه الرسائل.



بالقصر، مفل شكواي فف ظلامف بالخسر، لم أستمفل إلف بسحق نسل إطرافف وتهذل،
لا تقر به عفن مفسون بنت بجلل⁽¹⁾ أخلق من طلسان ابن حرب⁽²⁾ أو فروة ابن سارة⁽³⁾
فف الغرب، كأنها لفسف بشرففها من الأصواف والأوبار، كما روف فف الأخبار عن
شرف مضحف كعب الأخبار⁽⁴⁾، قد قضى التمزق منها كل وطر، ولقي لابسها الصر
على خطر، وتكاد تندق بزول المطر. وما أحوجنف مع سنف فف هذا اللل الممطل،
إلف للاف سابغ العرض والطول، فسكن من اللحن مضطربا وفقضي للمتمطي فف
سعفه أربا، وحن أنافف هذه البعفة على أمنفف، ولم فبلغ أملف ففها عملف ولا نففف،
لم أر للنعمة ففها إلف من هو بالصنفة العظمى لف أملك، وفف سبل المحافظة على
نفسف ودفنف أسلك. السفد الذي التمسك بطاعفه نجاة وعصمة، والملك الذي لفس
فف سؤل نواله وصمة، والهمام الذي شرف خلعه اللابس، وفكون علق السؤد ففها
أنفس النفاس، وهل رافت حلة النعمان⁽⁵⁾ إلف على أوس، وما كسا رسول الله
صلل الله علله وسلم إلف لفسف من ثياب الفردوس.

(1) هف مفسون بنت بجلل بن أنف من بني كلب كانت من التابعف وهف زوج معاوف بن أبف سفبان وأم
ابنه فزف والكاتب فشر إلف بفها الذي تقول فف:

ولفس عباءة وفقر عفف
أحب إلف من لفس الشفوف

انظر شعراء الأعراب، ص: 66.

(2) فعف بطلسان ابن حرب الذي أنشد فف الحمدوف قصائف متعددة منها قوله:

طلسان لابن حرب جاءف
قد قضى التمزق منه وطرة
أنا من خوفف علفه أبدا
سامرف لفس يألو حصرة

انظر زهر الآداب، ص: 552، جمع الجواهر، ص: 156، شعراء بصرون، ص: 127.

(3) انظر كتاب ابن صارة الشنرف للذكور حسن الوراكف. له فف فروته أشعار طرفة منها:

أودت بفف فرفة أرنب
كفؤاف عرفة فف الرقة

(4) التشرم: هو التمزق، والإشارة إلف ما ورد فف الخبر أن كعب الأخبار أنف عمر بن الخطاب بكتاب قد
تشرمت نواحه فف التوراة.

(5) النعمان: هو النعمان بن المنذر وأوس: هو أوس بن حارثة بن لام الطائف اسحق حلة النعمان لأنه

كان أجود العرب فف وقته. الكامل 133، خزانة الأدب 401/9.



وَإِنْ يَكُنِ الْعَبْدُ لَا غَرْوَ قَدْ ارْتَقَى فِي هَذِهِ الْمَأْرِيَةِ إِلَى الْمَصْعَدِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَيْهِ حَاسِرًا بَصْرُهُ⁽¹⁾ وَمَدَّ إِلَيْهِ خَطْوًا لَا يَلْحَقُ ضَيْقُهُ وَلَا قِصْرُهُ، وَلَوْ رَجَعَ عَلَى صَلَهِهِ فِي خُمُولِهِ وَقَاسَ شِبْرَهُ بِفِتْرِهِ فِي مَأْمُولِهِ، وَأَسْنَدَ إِلَى مَوْضُوعِهِ خَبَرَ مَحْمُولِهِ، لَكَانَ أَقْسَسَ بِمَذْهَبِهِ فِي مَرْكَبِهِ مَا يَلِيقُ بِأَدَبِهِ، لَكِنْ مَا قَدَّمَهُ آتِفًا مِنَ الْمَيْلِ عَلَى جَانِبِ [اللِّينِ]⁽²⁾ وَالكَرَمِ، يُحِلُّهُ فِي أَمْنٍ مِنَ النَّقْدِ عَلَيْهِ وَحَرَمٍ، مَعَ مَا يَتَرَجَّاهُ مِنْ قَبُولِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ وَالْحُظْوَةِ لَدَيْهِ، مَا [يُتَوَسَّدُ] بِهِ أَبْرَدِيهِ، وَيُجْمَعُ لَهُ بَيْنَ بُلُوغِ التَّامِيلِ وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَا رَبَّ سِوَاهُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. وَالسَّلَامُ. وَلَهُ:

سَلَامٌ عَلَى حَضْرَةِ الْوَلِيِّ الْأَجَلِّ الْكَاتِبِ الْأَكْرَمِ الْأَفْضَلِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ تَحِيَّةٌ تَمَائِلُ كَرَمَهُ الْعِدِّ، وَتَسْتَنْفِذُ فِي وَاجِبِ بَرِّهِ الْوُسْعَ وَالْجِدَّ. أَمَّا [إِنَّ السَّخَاءَ]⁽³⁾ يَتَنَمَّى مِنْهُ إِلَى جُودٍ وَسَاعٍ، [وَالسَّنَاءَ]⁽⁴⁾ مِنْ سَجَايَاهُ لَا يَبْلُغُهُ مَعَ جُهْدِهِ سَاعٍ، وَالدُّنْيَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْعَلِيَا عَلِيْمَةً وَشَهْرَةً فَضْلِهِ فِيهَا أَعْرَفُ مِنْ يَوْمِ حَلِيمَةِ⁽⁵⁾، فَجَدِيرٌ أَنْ [تَنْطِقَ]⁽⁶⁾ عَنْهُ أَلْسِنَةُ الْعُلَى، وَتُطَوِّقَ مِنْهُ طُلَى الْأَبْرَارِ حُلَى، وَيَجْعَلَهُ الْمَجْدُ تَاجًا عَلَى مَفْرِقِهِ، وَيَفْخَرُ [بِمَحَامِيدِهِ]⁽⁷⁾ الْمَغْرِبُ عَلَى مَشْرِقِهِ. وَلِلَّهِ مَا ضَرَبَ عَلَى صُحْبَتِهِ مِنْ سُرَادِقِهِ، وَنَطَقَ الْوَلَاءُ بِفَصِيحِ لِسَانِهِ فِي إِحْسَانِهِ [إِلَيَّ وَصَادِقِهِ]⁽⁸⁾ وَأَتْنَى عَلَى مَا تَكْنَفُنِي فَضْلُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ.

- (1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنْ جِئْتَ أَزْجَعَ أَبْصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾. سورة الملك، الآية: 4.
- (2) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.
- (3) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.
- (4) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.
- (5) فيه إشارة إلى المثل العربي «ما يوم حليمة بسر» وهي «حليمة بنت الحارث بن أبي شمر» انظر: مجمع الأمثال 2/ 322 رقم 3814.
- (6) خرم بالأصل.
- (7) خرم بالأصل.
- (8) خرم بالأصل.



فَإِنِّي أَحْصِي نَوَافِلَهُ الْجَمَّةَ عَدًّا، وَهَلْ بَنَيْتُ إِلَّا كَبَيْتَ الْحُطَيْتَةِ بْنِ مَوَاهِبَ بْنِ سُغْدَى،
أَرْوَحُ فِي آثَارِ [جِبَائِهِ الْغَمْرِ] ⁽¹⁾ وَأَعْتَدِي، وَأَتَعَمَّمُ بِمَا يَمْنَحُ مِنْ [الْأَلَاءِ وَأَزْدِي] ⁽²⁾ وَيَبْدَأُ
بِالْجَدْوَى وَإِنْ كُنْتُ لَا أَجْتَدِي، وَاللَّهُ يُمْنِعُ مِنْهُ مُؤْتَلَّ مَجْدِهِ، بِنَسِيحٍ وَخَدِهِ، فَيَجْعَلُ
خِدْمَتَهُ مُقْتَبَلٍ [جِدِّهِ وَعَهْدِهِ] ⁽³⁾، وَأَعْظَمَ قَضْدِهِ وَوُكْدِهِ، وَلَمَّا أَوْرَدَنِي [.....] ⁽⁴⁾ مِثْلَ
مَنْظَرِ الْعَشِيقِ، وَفِي الرِّقَّةِ كَدِيدِ ابْنِ رَشِيقٍ ⁽⁵⁾ لَوْ رَأَاهَا أَبُو أُحِيحَةَ ⁽⁶⁾ سَمَتْ لَهُ بِهَا هِمَّةٌ، ثُمَّ
لَمْ يَجِدْ سِوَاهَا عِمَّةً، وَحِينَئِذٍ تَجَمُّعُ بِهِ بَيْنَ قُرَيْشٍ لِسَمَلِ الْفَضْلِ نِظَامًا، وَتَخْلَعُ عَمَائِمُهَا
[لَهُ إِعْظَامًا] ⁽⁷⁾، وَسَيِّدِي الْأَجَلُ أَدَامَ اللَّهُ بَقِيَّاهُ، وَوَصَلَ عَلَيْهِ. يُطْلَعُ بِتَغْمِيمِي إِيَّاهَا تَاجًا
عَلَى سَنَائِهِ، وَيَجْعَلُهَا [نَاطِقَةً] ⁽⁸⁾ بِتَفْرِيطِهِ وَنَثَائِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَهُوَ
حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. وَمِنْ تَحِيَّتِي عَلَى حَضْرَتِهِ السَّنِيَّةِ مَا تَصَفُّو أَبْرَادَهُ وَتَتَوَالَى مَعَ الْآنَاءِ
أَوْرَادُهُ، ثُمَّ السَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ أَثِيرًا وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وَلَهُ:

سَلَامٌ عَلَى الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْوَزِيرِ الْمَاجِدِ الْأَفْضَلِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ. تَحِيَّةٌ
يَتَشَرَّفُ إِلِمَائُهَا لِذُرَاهُ وَتُغْرَسُ مِنَ الْقَبُولِ فِي رَطْبِ ثَرَاهُ، وَيُحْمَدُ فِيهَا الْعَزْمُ عِنْدَ

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) خرم أصاب الكلمتين ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) خرم بالأصل.

(4) خرم بالأصل بمقدار ثلاثة أسطر ونصف لم يتمكن من قراءتها.

(5) لعله يقصد به «صاحب كتاب العمدة» و«قراضة الذهب» المعروف بابن رشيق القيرواني والإشارة إلى قوله:

إِنِّي لَقِيْتُ مَشَقَّةً فَابَعْتُ إِلَيَّ بِشُقَّةً
كَوْنُكُ وَجْهَكَ حُسْنًا وَمِثْلُ دِينِي رِقَّةً

(6) يقصد به: أبا سعيد بن العاص بن أمية وهو الملقب بذي التاج.

(7) خرم بالأصل.

(8) خرم بالأصل.



صُبِّحَهُ سُرَاهُ⁽¹⁾ وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ حَمْدَ مَنْ رَجَاهُ فِي أَوْلَاهُ وَأُخْرَاهُ،
وَاسْتَوَزَعَهُ شُكْرَ مَا مَنَّ بِهِ مِنْ عَائِلَةٍ عَوَائِدِهِ وَأَجْرَاهُ وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُبْتَعَثِ
بِمَا أَظْهَرَهُ عَلَيْهِ فِي آيَاتِهِ الْكُبْرَى وَأَزْدَاهُ، وَعَلَى آلِهِ وَعِثْرَتِهِ الْأَلَى اعْتَصَمُوا مِنَ الدِّينِ
الْقَيِّمِ بِأَوْثَقِ عُرَاهُ.

وَالْاِسْتِزْضَاءُ لِلْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، الْقَائِمِ بِمَا أَلْهَمَ مِنْ تَقْوَاهُ وَأَرَى مِنْ
هُدَاهُ، وَلِخَلِيفَتِهِ النَّاصِرِ الْمَنْصُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُتَمِّمِ كَلِمَتِهِ وَمُبِيدِ عِدَاهُ، وَمُوَالَاةِ
الدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِعِزَّةِ أَمْرِ يَتَّصِلُ بِيَوْمِ الدِّينِ
مَدَاهُ، وَيُحْكِمُ فِي أَوْرَدَةِ الْمُلْحِدِينَ مُدَاهُ.

فَإِنَّ الْكِتَابَ مِنْ حَضْرَةِ مُرَّاكَشٍ حَرَسَهَا اللَّهُ وَأَنْسَهَا، وَالْمُتَجَدِّدُ بِهَا مِنْ خَفْضِ
الدَّعَةِ، وَشَمْلِ السَّعَةِ مَا يَتْلُو نَدَاهُ سَدَاهُ⁽²⁾، وَيُوشِّحُ الْخَيْرَاتِ سُدَاهُ⁽³⁾. وَنَحْمَدُ بِحَمْدِ
اللَّهِ مُرَاحَهُ وَمَغْدَاهُ. وَلَمَّا كَانَ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ -أَعَزَّهُ اللَّهُ- فِي مُؤْتَلِّ مَجْدِهِ، نَسِيجَ وَحْدِهِ،
وَالْفَضْلُ يَجْعَلُ اخْتِصَاصَهُ بِهِ عِنَايَةً وَكُدَيْهِ وَجْدَهُ، وَيُصَوِّرُ إِلَيْهِ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ
الْمُخْتَلِفَاتِ، وَيُصَيِّرُ أَشْنَاتَ آرَائِهَا بِالْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ مُؤْتَلِفَاتٍ، اسْتَهْدَيْتُ مِنْهَا أَعْلَاقَ
النَّفَائِسِ وَالْأَيْنِ الْمَلَابِسِ [وَهَا أَنَا قَدْ]⁽⁴⁾ طَمَحْتُ هِمَّتِي إِلَى ثَوْبٍ يُلْفَقُ مِنْ أَهْبٍ⁽⁵⁾
مُتَفَرِّقَاتٍ شَوَارِدٍ، لَيْسَ لَهَا إِلَّا أَوْشَالُ⁽⁶⁾ الصَّخْرَاءِ مَوَارِدٍ، وَأَوْبَارٍ مِثَالِ الْخَزِّ جِنْسًا،

(1) فيه إشارة إلى المثل المعروف: «عند الصباح يحمد القوم السرى». انظر مجمع الأمثال 5/2، رقم 2382.

(2) السَّدَى الأولى: يعني الندى القائم الذي يسقط أثناء الليل ومنه قول الشاعر:
فَأَنْتَ النَّدَى فِيمَا يَنْوُبُكَ وَالسَّدَى إِذَا الْخَوْذُ قَدَّتْ عُقْبَةُ الْقَدْرِ مَالَهَا

(3) السَّدَى: معناها نسيج الثوب وهو خلاف لحمته ومنه قول الشاعر:
إِذَا أَنَا أَسْدَيْتُ السَّدَاةَ فَالْحِمَا وَنِيرَا فِلْئِي سَوْفَ أَكْفِيكُمَا الدَّمَ

(4) خرم بالأصل.

(5) الأهب: جمع إهاب على غير قياس، وهي الجلود من البقر والغنم والوحش لم تدبغ.

(6) الوشل: الماء القليل الذي يقطر من الصخور أو الجبال، قال الشاعر:



لَكِنَّهَا أَلَيْنُ مَسَا، وَأَبْعُدُ أَنْ تَأْلَفَ أَنْسَا، تَسْكُنُ الْقِفَافَ⁽¹⁾ وَالرَّمَالَ الَّتِي لَا تَطَّأُهَا إِلَّا ذَوَاتُ الْأَخْفَافِ، وَعَجَبًا لِيَتْلِكَ الْأَجْلَادُ، مَعَ كَثْرَةِ الْأَعْدَادِ، هِيَ لَطَائِفُ تُسْتَمَالٍ، مِنْهَا نُفُوسُ الْأَقْيَالِ⁽²⁾، وَالْأَمْلاكَ بِهَدَايَا أَفْنَاكِ، فَيَخْتَصُّونَ بِهَا اسْتِثَارًا، وَمِنْ شَرَفِهَا أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا دِنَارًا، وَسَيِّدِي الْأَجَلِ الْأَسْنَى، وَعَارِفُ مَنِّي الْحُسْنَى، يَتَفَضَّلُ عَلَيَّ بِفَائِدَةٍ، هِيَ مِائَةُ إِهَابٍ لَا وَاحِدَةٍ⁽³⁾، وَيَحْتَمِلُ سُرُوءَهُ شَطَطَ هَذِهِ الْكُلْفَةِ، وَيَجْعَلُ دَالَّتِي عَلَيْهِ قُرْبَةً إِلَيْهِ وَزُلْفَةً، فَيَسْتَرِقُّ مَنِّي شُكْرًا، وَيَفْتَرِعُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِكْرًا. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَا رَبَّ سِوَاهُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ:

سَلَامٌ عَلَى الشَّيْخِ الْأَجَلِ الْوَلِيِّ الْحَفِيِّ الْأَفْضَلِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ تَحِيَّةٌ تَوَافِيهِ⁽⁴⁾ بِأَبَرِّ سَلَامٍ وَتَضَاهِي بُشْرَى زَكَرِيَّاءَ بِالْغُلَامِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْلَى مِنْ إِنْعَامٍ، وَوَالَى مِنْ فَضْلٍ عَامٍ، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ الْمُبْتَعَثِ بِمُعْجِزِ الْكَلَامِ، وَعَلَى أَهْلِهِ وَعِترَتِهِ الْأَلَى تَبَوُّوا الدَّارَ وَالْإِسْلَامَ. وَرِضْوَانُ اللَّهِ عَلَى الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الَّذِي (أَقَامَ)⁽⁵⁾ لِلْهُدَى مَا طُمِسَ مِنْ أَعْلَامٍ. وَلِخَلِيفَتِهِ النَّاصِرِ الْمَنْصُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَمْرِ تَدْرُسُهُ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ وَالْأَقْلَامِ، وَتُقَطَّعُ فِي سَعْدِهِ مَسَافَةٌ عُمْرُهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَبَعْدُ:

فَالْكِتَابُ مِنْ حَضْرَةِ مُرَّاكَشٍ حَرَسَهَا اللَّهُ وَأَنْسَهَا وَقَدْ وَرَدَ كِتَابُكُمْ الْأَثِيرُ، مُضْمَنًا أَنْكُمْ تَكْرَعُونَ مِنْ مَشْرِبِهِ فِي صَفْوِ نَمِيرٍ، وَبَدَا لَكُمْ أَلَّا نَقْطَعَ الْمُكَاتَبَةَ، وَنُوَاصِلَ

إِنَّ الَّذِينَ عَادُوا إِلَيْكَ عَادُوا وَلَا يَغْنِيكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

(1) القفاف: ما ارتفع من أرض ولم يبلغ أن يكون جبلا.

(2) الأقيال: الملوك عامة، وقيل تطلق ويراد بها ملك من ملوك حمير خاصة.

(3) الجملة غامضة لم نتبين معناها (اللسان أهب).

(4) خرم بالأصل.

(5) خرم بالأصل.



المُرَاسَلَةُ وَالْمُجَاوِبَةُ، وَتَسْتَحِثُّونَنَا عَلَى أَنْكُمْ بِحَقِّ تَرْغُبُونَ فِي كِفَاءِ مَا لَنَا مِنَ الْأَوْطَارِ وَلَا سِيَّمَا نَفَائِصِ الْأَعْلَاقِ وَمُهَمَّاتِ الْأَخْطَارِ. وَقَدْ طَمَحَتْ نَفْسِي إِلَى مَطِيَّةٍ، سَنِيَّةٍ ثَنِيَّةٍ. فَأَبْعَثْ - أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَكَ - مَنْ يَبْذُلُ فِي شَرَائِهَا جَدَّهُ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ الْعِبَاءَ حَدَّهُ. فَإِنْ ابْتَعَتْهَا فَأَشْخِصْ ثِقَةً إِلَيَّ بِهَا، وَيَصِلْكَ وَشَيْكََا ثَمْنُهَا.

وَأَمَّا مَا تَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْجَهَةِ مِنْ غَرَضٍ، فَأَنَا أَنْهَضُ - بِحَوْلِ اللَّهِ - إِلَى الْوَاجِبِ مِنْهُ وَالْمُفْتَرَضِ. وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ لَا رَبَّ سِوَاهُ.
وَلَهُ:

سَلَامٌ عَلَى الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْمُشْرِفِ الْأَشْرَفِ الْأَفْضَلِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ تَحِيَّةٌ [تُمَائِلُ] ⁽¹⁾ سَنِيٍّ فَضْلِهِ، وَمَا يَتَفَيَّأُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ مِنْ وَارِفِ ظِلِّهِ. وَبَعْدَ الْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِعَظِيمِ امْتِنَانِهِ وَوَاسِعِ طَوْلِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ الْمُبْتَعَثِ بِمَا عَجَزَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ⁽²⁾ وَعَلَى آلِهِ وَعِترته الْمُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِهِ وَالْأَسْتِزْضَاءِ لِلْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الْقَائِمِ بِالْهِدَايَةِ إِلَى وَاضِحِ سُبُلِهِ وَلِخَلِيفَتِهِ النَّاصِرِ الْمَنْصُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْتَهَضِ بِمَا مَلَأَ الْبَسِيطَةَ شَامِلٍ قِسْطِهِ وَعَدْلِهِ، وَمُؤَالَاةِ الدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِعِزَّةِ نَصْرِ يَسْتَمْتِعُ الْإِيْمَانُ فِيهِ بِنِظَامِ شَمْلِهِ.

فَإِنَّ الْكِتَابَ مِنْ حَضْرَةِ مُرَاكُشِ حَرَسَهَا اللَّهُ وَأَنْسَهَا، وَالْمُتَجَدِّدُ بِهَا الْأَمْنُ الَّذِي تَطْمَئِنُّ الْكَافَّةُ إِلَى خَفْضِهِ وَشَمْلِهِ، وَتَحْطَى بِسَعَادَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مِنْهُ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ، وَلَدَيَّ مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى تَعْظِيمِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ وَمُتَعَيِّنِ بَرِّهِ، مَا أَبَالِغُ فِي مَوْصُولِ الْاهْتِمَامِ بِهِ وَمُسْتَمَرِّهِ، وَجَدِيرٌ بِهِ فِيمَا يَنْتَمِي إِلَى السَّنَاءِ مِنْ كَرِيمِ مَنْصِبِهِ، أَنْ يَسْتَأْثِرَ مِنْ

(1) خرم بالأصل.

(2) يشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿فَلْيَسِّرْ لِي إِجْتِمَاعَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ سورة الإسراء، الآية: 88.



الشُّكْرُ وَالشَّنَاءُ بِالْأَخْصِ بِهِ، فَيَتَبَسَّطُ الْوَلِيُّ الْحَمِيمُ فِي الْمَأْرَبِ عَلَيْهِ، وَيُوجِّهُ أَمَالَهُ فِي الْمَطَالِبِ إِلَيْهِ، وَيَسْتَنِيمُ إِلَى الثِّقَةِ فِي سَعَةِ حِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ، وَيَتَسَحَّبُ فِي اسْتِرْسَالِهِ وَإِذْلَالِهِ عَلَى يُمْنِ نَقِيبَتِهِ وَإِجْمَالِهِ، وَيَتَوَسَّدُ أَبْرَدِيهِ، وَيَرْجُو تَسْنِي بُغْيَتِهِ لَدَيْهِ، وَيَأْمَلُ انْقِيَادَ أَرْبِهِ طَوْعَ الْكَرِيمَتَيْنِ يَدَيْهِ. وَإِنَّ احْتِيَاجِي مُتَّصِدًا إِلَى مُدَرِّعٍ مُقْرِفٍ⁽¹⁾ النَّجَاحِ، بَيْنَ صَهَالٍ وَسَحَاجٍ⁽²⁾، رَابِعُ فَارِهِ، يَنْبَعِثُ سَبْرُهُ غَيْرُ كَارِهِ، يَحُثُّ الْخُطَى، حِينَ يُمْتَطِي، سَلِيلُ حُجْرِهِ يَسْقُ إِلَى وَكْرِهِ الْقَطَا، بَغْلًا أُخْضِرَتْ رَوَاضِعُهُ لِلْإِنْثَاءِ، وَسَلِمَتْ قَوَائِمُهُ مِنَ الْإِنْجَنَاءِ وَالْإِنْثَاءِ، أَوْ مَطِيَّةٌ سَفَوَاءُ⁽³⁾ لَهَا حَمِيدُ خَبْرَةٍ وَحُسْنُ رِوَاءِ، يَتَمَثَّلُ مَنْ حَارَ مِنْهَا الْعِلْقُ الْأَنْفَسَ:

إِذَا حَمَلْتُ بِزَّتِي عَلَى عَدَسٍ
عَلَى التِّي بَيْنَ الْحَمَارِ وَالْفَرَسِ
فَلَا أَبَالِي مَنْ غَزَا وَمَنْ جَلَسَ⁽⁴⁾

وَالشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَدَامَ اللَّهُ اعْتِلَاءَهُ وَوَالَى الْآءَهُ، يَتَوَخَّى مِنَ ارْتِيَادِهَا وَإِتْيَاعِهَا مَا اسْتَنْدَ الرَّجَاءُ فِيهِ إِلَى اهْتِمَامِهِ، وَوَثِقَ مِنْ مُرَادِهِ بِكَمَالِهِ وَتَمَامِهِ، وَبِكَوْنِ أَهْلِ فَلَانَةِ هَذَا الْوَقْتِ بِفَلَانَةِ، تَتَفَقُّ الْبُغْيَةُ فِي وُجُودِهَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَتَتَسَنَّهُ؛ وَمَهْمَا تَسَّرَ - بِحَوْلِ اللَّهِ وَمَشِيَّتِهِ - وَجَدَانُهَا وَشِرَاؤُهَا وَعَرَفَنِي بَعْدَ إِيقَافِهَا لَدَيْهِ مَبْلَغَ ثَمَنِهَا فَأَبْعَثْ ثِقَتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَشَيْكَا إِلَيْهِ، فَيَتَسَلَّمُهَا مِنْهُ بَعْدَ إِزَاحَةِ الثَّمَنِ مُوَفَّى عَلَيْهِ، بِمَشِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَوْلِهِ. وَإِنَّهَا لَبُغْيَةٌ يُضِيفُ سَيِّدِي التَّفَضُّلَ بِهَا إِلَى عَمِيمِ إِحْسَانِهِ، وَمَا يُطَوِّفُنِي بِهِ مِنْ حُسْنِ

(1) المقرف الذي داني الهجنة من الفرس وغيره وقاربها. هكذا في الأصل ولعلها «مُبرِّدَع».

(2) السحاج: الذي يسرع في مشيه ويكثر الجري، قال الشاعر:

عَلَى أَكْرِ الْجُفْفِيِّ دَهْرٌ وَقَدْ أَتَى لَهُ، مُنْذُ وَلَّى يَسْحَجُ السَّيْرُ أَرْبَعُ

ولأبي العلاء كتاب سماه «الصاهل والشاحج». والسحاج والشحاج بمعنى.

(3) السفا: خفة شعر الناصية في الخيل والذكر أسفى والأنثى السفواء.

(4) الأبيات لبشر بن سفيان الراسبي، وعدس الموجود في الأبيات اسم من أسماء البغال. اللسان (عدس).



امْتِنَانِهِ، وَتَلَكُمُ أُمْنِيَّةٌ [تَرَوْمُهَا] ⁽¹⁾ نَفْسِي، وَأَنْتُمْ بِسُرُورِكُمْ تَرُدُّونَ بِالتَّمَكُّنِ مِنْهَا نَافِرَ أَنْفْسِي. إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَلَهُ أَيْضًا:

سَلَامٌ عَلَى الشَّيْخِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. تَحِيَّةٌ تُعَاوِدُ ابْنَ دَهْمَانَ صِبَاهُ، وَيَتَضَوَّعُ بَطْنُ نَعْمَانَ بِصِبَاهُ وَسَلَامًا [يَحُلُّ لَهُ الْعَوْلُ حُبَاهُ] ⁽²⁾ وَيَغْبِطُ بِمَا أَخْطَاهُ مِنَ الْبَشْرِ وَحَبَاهُ. وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا وَالَاهُ مِنْ طَوْلِهِ الْعَمِيمِ وَأَوْلَاهُ، حَمْدًا مَنْ اعْتَبَرَهُ نَصِيرُهُ وَمَوْلَاهُ وَالتَّمَسَّ رِضَاهُ بِمَا اعْتَقَدَهُ مِنْ وَحْدَانِيَّتِهِ وَتَوَلَّاهُ. وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَمُصْطَفَاهُ الْمُتَّبَعِ بِمَا أَوْضَحَ نُورَ الدِّينِ الْقَيِّمِ [وَجَلَّاهُ] ⁽³⁾ وَعَلَى أَهْلِهِ وَعِزَّتِهِ [الْأَلَى آتَاهُمْ اللَّهُ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَوَفَّاهُ] ⁽⁴⁾ وَرِضْوَانِ اللَّهِ عَلَى الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ... وَلِخَلِيفَتِهِ وَسَلِيلِ طَائِفَتِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَنْ نَهْجِ هُدَاهُ... وَمُؤَالَاةِ الدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا [وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِعِزَّةِ أَمْرِ يَتَّصِلُ إِلَى مَدَاهُ وَيَحْكُمُ فِي أَوْرِدَةِ الْمُعْتَدِينَ مَشْحُودٌ مَدَاهُ] ⁽⁵⁾.

فَالْكِتَابُ مِنْ حَضْرَةِ مُرَّاكُشٍ حَرَسَهَا اللَّهُ وَأَنْسَهَا وَالْمُتَجَدِّدُ بِهَا مِنْ صُنْعِ اللَّهِ الَّذِي يَشْفَعُ بِالْمَزِيدِ فِيهِ حُسْنَاهُ، وَيَجْعَلُ شُكْرَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَفْضَلِ الْإِمْتِنَانِ فِيهِ وَأَسْنَاهُ مِنْ الْمُحَافَظَةِ عَلَى مُوَآخَاةِ الْفَقِيهِ الْأَجَلِّ مَا تَوَجَّهَ فِيهِ نَفْسُ الْحُظْوَةِ وَتَقْتَضِيهِ حُقُوقُ الْمَبَرَّةِ لَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَمُجَادَبَةِ أَهْدَابِ التَّدْبِيرِ لِمُؤَانَسَةِ ارْتِشْفَانَا دَرَّةَ أَخْلَافِهَا وَتَعَاظِينَا حَلَالَ سُلَافِهَا، نَشْرَبُ مِنْ غَمْرِ نَهْرِ الْمَعَارِفِ وَنَمْتَحُ، وَنَتَدَمَّحُ ⁽⁶⁾ لِأَزْوَاجِ مُلَحِ الْأَدَابِ وَنَرْتَحُ،

(1) خرم بالأصل.

(2) خرم بالأصل.

(3) غير واضحة بالأصل.

(4) خرم بالأصل.

(5) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(6) دمع الرجل: طأطأ رأسه خضوعاً وإجلالاً.



[نَعْمَنَا] ⁽¹⁾ أَغْرَضَ بِالتَّهْمِ مُحَصَّلَةً، وَالْفَاطَ عَلَى قُدُودِ الْمَعَانِي مُفَصَّلَةً [تَقَهَّقَهُ] ⁽²⁾ فِيمَا حَوَتْ مِنَ الْكَمَالِ السَّبْعِ الْمَثَانِي ⁽³⁾ إِذَا تَقَهَّقَهُ النَّدَامَى لِمَصَوِّتِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي ⁽⁴⁾ [وَبَحَثُ] فِيهَا مَا يَتَنَازَعُهُ الْجَدَلُ، وَلَا يُحَرِّفُ الْقَوْلُ فِيهِ وَلَا يُبَدِّلُ؛ وَعَسَى الَّذِي يُعِيدُ فِي ذَاوِي الْغُضَنِ مَاءَهُ، وَيَرُدُّ إِلَى الْبَدْرِ بَعْدَ مُحَاقِهِ نَمَاءَهُ أَنْ يَنْظِمَ ذَلِكَ الشَّمْلَ بَعْدَ انْتِشَارِهِ، وَيُنْعِشَ الْأَنْسَ بِهِ مِنْ عِثَارِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنِّهِ وَلَطِيفِ صُنْعِهِ -.

وَالِىَ هَذَا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ أَحَلْتُ عَلَى تَهْمِ الْوَلِيِّ الْحَفِيِّ مَا كَرَّمَتْ سَجَايَاهُ بِالْجِدِّ فِيهِ أَجْدَرُ، وَإِلَى مَا تَحَرَّرَى الْإِرَادَةُ مِنْ تَسْنِيهِ أَبَدَرُ، وَأَصْحَبْتُهُ مِنْ رَجَالِي مَنْ اسْتَرْعَيْتُهُ مَجْدَهُ، وَاسْتَمْتَمْتُ فِيهِ إِلَى الْأَثَرَةِ عِنْدَهُ، وَتَوَكَّفْتُ مِنْهُ مُقْتَادَ الْبُغْيَةِ فِي زِمَامٍ، وَبِتَنَاوُلِ الْمَارِبَةِ مِنْ طَرَفِ ثُمَامٍ، وَبِحَسَبِ ثِقَتِي بِهِ أَتَسَحَّبُ مُدْلًا عَلَيْهِ، وَأُسْنِدُ الْبَحْثَ فِي لُبَانَةِ تَاقَتِ النَّفْسُ فِيهَا إِلَيْهِ، لِيَرْتَادَ لِي هُنَالِكَ وَلَيْدَةُ غَلَامِيَّةٍ كَمَا نَعَتْ بِشَارٍ فَطَمَتَهُ ⁽⁵⁾ فِي الْحُسْنِ، وَقَسَمَهَا بَيْنَ الْبَدْرِ وَالْكَثِيبِ وَالْغُضَنِ، كَصُورَةِ الْقَمَرِ، وَالطَّبِيبَةِ الْعَاطِفَةِ فِي الْحَمْرِ، يُصَلِّي الْحَبُّ مِنْهَا إِلَى قِبْلَةٍ، وَتُضَاهِي الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْمَأْمُونُ بِالْقِبْلَةِ ⁽⁶⁾، وَيَقْبَلُ حَذَقَهَا التَّعْلِيمَ تَفْصِيلًا وَجُمْلَةً، كَالْمُهَرَّةِ الضَّامِرِ، لَمْ تَلْحَقْ بِأَمِّ عَمْرٍو وَلَمْ تَكُنْ بِأَمِّ عَامِرٍ ⁽⁷⁾، فَإِنْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ الصُّقْعِ امْكَانُهَا، وَعُرِفَ مَكَانُهَا، وَمَبْلَغُ ثَمَنِهَا، فَاعْمَلْ وَجْهَ

(1) خرم بالأصل.

(2) خرم بالأصل.

(3) السبع المثاني يعني بها القرآن الكريم أو سورة الفاتحة منه.

(4) المثاني والمثالث: يعني بها أصوات المغنين ومجالس الطرب واللهاو.

(5) انظر ديوانه. وهي التي يقول فيها:

دُرَّةٌ بَحْرِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ مَا زَهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدُّرَرِ
عَجِبْتُ فَطَمَّةٌ مِنْ نَعْتِي لَهَا هَلْ يُجِيدُ النَّعْتُ مَكْنُوفُ الْبَصْرِ

(6) يشير هنا إلى عريب المامونية. انظر إشارة المامون أو غيره لها بقبلة في الأغاني 21 / 70-71.

(7) أم عمرو يقول فيها الشاعر:

إِذَا ذَهَبَ الْجِمَارُ بِأَمِّ عَمْرٍو فَلَا رَجَعَتْ وَلَا رَجَعَ الْجِمَارُ

وأم عامر هي كنية عن الضبع.



النَّظَرِ فِي الظَّفَرِ بِهَا. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنِّي اخْتَجْتُ إِلَى مَا تَعَرَّى مِنْ لَبُوسِهِ ظُهُورُ الرِّجَالِ، وَيَحَاكُ مِنْهُ وَشْيُ الْبُرُودِ مِنَ الْخَالِ، أَغْلَى مِنْ جِنْسِ الدِّمَقْسِ وَالْبَيْنُ مِنْ حُلَّةِ عَمْرٍو فِي اللَّمَسِ. لَوْ رَأَاهُ هِشَامُ اسْتَأْثَرَ مِنْهُ بِالْعَلْقِ الثَّمِينِ أَوْ لَبَسَهُ [مُزْنِيًا] ⁽¹⁾ كَفَّ عَنْ تَمْزِيْقِهِ كَفَّ الضَّيْنِ، فَيَصْنَعُ مِنْهُ عِمَامَتَانِ مُسْتَجَادَتَانِ أَحْسَنَ مِنْ مَنْظَرِ الْعَشِيقِ، وَأَرْقَ مِنْ دِينَ ابْنِ رَشِيقٍ، إِحْدَاهُمَا مِمَّا يُشْكَلُ لِلْعِمَّةِ عَلَى اللَّمَّةِ فَوْقَ عَشْرَةِ أَذْرُعٍ أَوْ قَيْدَاهَا، وَالثَّانِيَةُ تُضَاعِفُ عَلَى مِثْلِ الْأُولَى مَزِيدَهَا، لِفَضْلَةِ الْعُثْنُونِ وَالْعَذْبَةِ، فِي لِبْسَةِ ذَوِي الْأَسْنَانِ مِنَ الطَّلَبَةِ، أَوْثَرُ بِهِ شَيْخَنَا وَمَحَلُّ أَيْبِنَا فَلَانَا، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا [نَزْتَجِي] ⁽²⁾ فِيهِ مِنْ حُقُوقِ الْخِدْمَةِ، فَتَخَفِّضْ لَهُ جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ⁽³⁾، وَأَنْتُمْ لَا غَرَوَ لَهُ أَرْعَى، وَإِلَى مَا يَجِبُ لِصِلَتِهِ أَذْعَى، [وَهَذَا الْمُدْرَجُ] ⁽⁴⁾ طَيَّ هَذَا الْمُهْرَقُ، يَتَصَفَّحُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ مَا هُوَ إِلَى قَضَاءِ الْبُغْيَةِ فِيهِ أَسْبَقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَعُذْرًا إِلَيْهِ فِي الْإِطَالَةِ عَلَيْهِ اعْتِمَادًا عَلَى إِغْضَائِهِ وَاحْتِمَالِهِ، وَثِقَةً بِكَرَمِ سَجَايَاهُ وَحَمِيدٍ خِلَالِهِ.
وَلَهُ:

وَالْمُتَجَدِّدُ بِهَا شَامِلُ الدَّعَةِ وَعَاكِفُهَا، وَمُتَضَاعِفُ الْخَيْرَاتِ وَمُتَرَادِفُهَا وَلَدَيَّ مِنْ مُوَالَاتِكُمْ مَا أَحَافِظُ عَلَى كَرِيمِهِ، وَأَقَابِلُهُ بِحَفِيلِ [الْبُرُورِ] ⁽⁵⁾ وَعَمِيمِهِ، وَأَعْرِفُ لِفَضْلِكُمْ فِيهِ حَقَّ سَبْقِهِ وَتَقْدِيمِهِ. وَقَدْ وَرَدَ كِتَابُكُمْ الْمَبْرُورُ مُودَعًا مِنْ [تَهْمُكُمْ

(1) مُزْنِيًا: هو لقب عمرو بن عامر بن مالك ملك من ملوك اليمن وهو جد الأنصار، قيل إنه سمي بذلك لأنه كان يمزق كل يوم حلة ويخلعها على أصحابه ويقول:
أنا ابنُ مُزْنِيَا عَمْرٍو، وَجَدِّي أَبُوهُ عَامِرٌ، مَاءُ السَّمَاءِ

(2) خرم بالأصل.

(3) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾. سورة الإسراء، الآية: 24.

(4) خرم بالأصل.

(5) خرم بالأصل.



المشكور⁽¹⁾ ما يعترف شكرى مع احتفاله فى واجبه بالقصور واختمال ما ذكرتموه فى ارتياد الفرس الذى أوعبت⁽²⁾ المخاطبة نعتة وحليته، وأولى تهتمكم طلبه وبغيته، فلم يمكن وجدانه على تلك الأوصاف الكاملة، والنوع التي هي للمحاسن بأسرها شاملة، وذلك لا جرم فرس لا يلقى، لأن وصفه فاق وصف الشيات واستوفى، لكن المكاتبه اقتضت أن أبين الصفة، بحسب ما يجب للكاتب من مادة ومعرفة، وإنما يأخذ منه ما أمكن، ويعرض عما يستكره ويستهن. فإذا لقيتم فرسا تستحسنون الأغلب من صفاته، سليل الأرومة من شياته، ابتعثموه بقيمته، وبعثموه لنا ثم بعث لكم بقيمته، إن شاء الله تعالى. وفي المدرج طي هذا الكتاب تقفون على ما يوجب شرحه البيان، ويقيم التفصيل بما يجب له مقام العيان.

ومن إنشاء الكاتب السري الأديب الأبرع، الصاحب الأسبق إلى إخراج البراعة في ميدان البراعة الأسرع، أبي عمر ابن حفصون لا زال ذا جانب مرعي مضمون:

قال من جمال وجاب، واقتعد غوارب الاغتراب، لما شددت عرى الاعتزام،
[وقيدت ظنايب]⁽³⁾ الإقدام، إلى حمص⁽⁴⁾ مضر الأمصار، ومشكاة الأنوار، والفلك
الذي لكواكب الحسنة عليه مدار، محط الرواحل، ومجمع الشعوب والقبائل، ومنزل
كل ملك حلال⁽⁵⁾، ألقيتها فاعده مهدت على الرضا قواعد أركانها، وأسس على
التقوى مشيد بنيانها⁽⁶⁾ إلى ما خصت به من وإد سلسل كوثري المنهل، قد لد شرابه

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) أوعيت: فصلت القول واستوعبته. (اللسان).

(3) خرم بالأصل.

(4) حمص: يعني بها مدينة إشبيلية وقد كانت تشبه بحمص الشام.

(5) الحلال: السيد في عشيرته الشجاع الركين في مجلسه، الرزين: قال امرؤ القيس:

بَا لَهُفَ نَفْسِي إِنْ خَطِئْتُ كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَالَ

(6) يشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿أَقِمَّ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَبَا جُرُفٍ هَارٍ بِأَنْهَارٍ يَهُ فِي بَارٍ جَهَنَّمَ﴾. سورة التوبة، الآية: 110.



وَأَرْبَى عَلَى الْبَدْرِ حَبَابُهُ، [يُنْشَفُ] ⁽¹⁾ الرَّافِدِينَ ⁽²⁾ وَيُعْيِضُ مُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ ⁽³⁾، فَعِنْدَمَا تَفِيَّاتُ ظِلِّ رَوَاقِهَا، وَجَلَّتْ جَوَلَانُ الْهَائِمِ فِي أَسْوَاقِهَا، أَلْفَيْتُهَا كَمَا تَصِفُهَا الْأَلْسُنُ، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ ⁽⁴⁾.

فَطَفِقْتُ أَجِيلُ اللَّحْظَ فِي رَفَمِ رَاقِمٍ، وَنَظْمٍ نَاطِمٍ، وَمُلْحَ زَجَاجٍ، وَتَرْصِيعِ الْإِبْنُوسِ بِالسَّاجِ ⁽⁵⁾.

فَحِينَ لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ مَصْنُوعَاتِ الْبَنَانِ، إِلَّا صَنَائِعُ أَسْوَاقِ الدُّحَانِ، رَأَيْتُ الْاجْتِيَاظَ بِأَسْوَاقِ الْمَطَاعِمِ، مِمَّا يَأْبَاهُ الْأَكَارِمِ، وَالْمُرُورَ بِتِلْكَ الْأَسْوَاقِ، خَارِجًا عَنْ حَدِّ الْمُرُوءَةِ وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ⁽⁶⁾ بِالذُّخُولِ فِي هَذَا الشَّانِ، وَقَالَتْ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْخُرُوجَ عَنِ الْأَوْطَانِ دَاعٍ إِلَى الْاِمْتِهَانِ، وَمَعَ هَذَا فَمِنْ أَيْنَ يُعْرِفُ فِي خَلْقِ اللَّهِ فُلَانٌ، فَصَدَّقْتُهَا إِذْ أَخْبَرَتْ، وَأَطَعْتُهَا فِيمَا بِهِ أَمَرْتُ، فَدَخَلْتُ سُوقًا قَدْ صَفَّفَتْ أَطْبَاقَهُ، وَأَشْرَقَتْ بِنُجُومِ الْمَأكَلِ آفَاقَهُ، وَتَحَلَّتْ بِأَبْهَى مِنَ النُّهُودِ لِيَدِ الْقَاطِفِ، وَأَشْهَى مِنَ الرِّيقِ الْبُرُودِ ⁽⁷⁾ لِقَمِ الرَّاشِفِ، وَلَحَظْتُ خِلَالَهَا مَا تَوَدُّ السَّمَاءُ لَوْ طَلَعَتْ بِهَا شَمْسًا، وَالْأَقْلَامُ لَوْ مَنَحَتْهَا طَرَسًا، كَأَنَّهَا مِرَاةٌ يَسْتَعْرِقُ شُخُوصَ الْوَرَى مَاؤُهَا، وَيُعْشِي الْعُيُونَ ضِيَاؤُهَا، فَحِينَ زَهَتْ عَلَيَّ بِإِعْجَابِهَا، وَقَدْ شَغِفْتُ بِبَيَاضِهَا وَحُمْرَةِ جِلْبَابِهَا، سَأَلْتُهَا عَنْ انْتِسَابِهَا فَقَالَتْ وَيْحَكَ: أَوْ مَا تَعْرِفُنِي؟ أَنَا مُتَتَهَى الْأَمَالِ وَالْمُنَى، وَشَقِيقَةُ الشَّمْسِ فِي السَّنَاءِ

(1) خرم بالأصل.

(2) الرافدان: يعني بهما دجلة والفرات.

(3) في القرآن الكريم ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَفِيَا بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾. سورة الرحمن، الآيتان:

18-17.

(4) سورة الزخرف، الآية: 71.

(5) الساج: خشب يجلب من الهند وله رائحة طيبة تشبه رائحة ورق الجوز ومفرده (ساجة).

(6) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَّبَعْتُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة يوسف، الآية: 53.

(7) البرود بفتح الباء البارد، قال الشاعر:

فَبَاتَ ضَجِيعِي فِي الْمَنَامِ مَعَ الْمُنَى بُرُودَ الشَّيَا وَاضِحَ الثَّغْرِ أَشْنَبَ



السَّناءِ والسَّنى (1)، قَسَمًا لَقَدْ خَضَعْتَ لِي رِقَابُ الْأُمَمِ شَوْقًا وَحُبًّا، وَعَنْتَ لِي وَجُوهُ
الْأَنَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا (2) وَوَدَّتِ الْعُيُونُ أَنْ أَكُونَ [ضِيَّةً] (3) حَدَقَهَا، وَالسَّمَاءُ أَنْ أَحُلَّ شَفَقًا
بِأَفْقَهَا، يُضْدَعُ مِنِّي دُجَى السَّغَبِ بِمُضْبَاحٍ، وَيُقَابِلُ مُبْهَمُهُ بِمِفْتَاحٍ:

أَنَا أَحَلَّى مِنَ الْوِصَالِ وَأَشْهَى مِنْهُ لِلْمُذْنِفِ الْكَيْبِ الْمَشُوقِ
صَيْغَ جِسْمِي مِنْ جَوْهَرٍ فَكَسْتُهُ رَاحَةَ الْحُسْنِ حُلَّةً مِنْ عَقِيقِ (4)

أَنَا الَّتِي أَشْفِي مِنَ الْجَوَى، وَأَحْرِقُ بِشَهَابِي عَفْرِيتَ الطَّوَى (5)، وَأُعِيدُ ذَابِلَ النَّفُوسِ
يَانَعًا بَعْدَ مَا ذَوَى:

أَنَا الشَّمْسُ الَّتِي يَجْلُو سَنَاهَا دُجَى [السَّغَبِ] (6) الْمُبْرِجِ بِالْقُلُوبِ
أَنَا أَشْهَى جَنَى وَالَّذُ طَعْمًا لَدَى الْمُشْتَاكِ [مِنْ وَضَلِ] (7) الْحَيِّبِ (8)

أَنَا الْمُجَبَّنَةُ؛ فَقُلْتُ أَوَاهِ أَنْتِ وَاللَّهِ حَبِيبَةُ النَّفْسِ، [لَوْلَا أَنِّي] (9) لَا أُرِيطُ عَلَى فَلَسٍ،
فَقَالَتْ: إِذَا وَاللَّهِ لَسْتَ مِنْ حَالِي، فَلَا تَطْمَعُ فِي خِطْبَةِ أَمْثَالِي، إِلَّا إِنْ انْتَصَرْتَ بِفَاضِلِ
مِعْوَانٍ، وَعَارِضِ هَتَّانٍ، وَكَهْفِ مَانِعٍ مِنْ طَوَارِقِ الْحِدَنَانِ، مِثْلَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَبِي عَبْدِ
الرَّحْمَنِ (10) فَعِنْدَ ذَلِكَ اهْتَزَزْتُ هَزَّةً مِّنْ أَدَاكِرِي، وَهَزَّيْنِ الشُّوقِ إِلَيَّ مِّنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ لَا
يُنْكَرُ (11). فَأَعْطَاهُ السَّيِّدُ الْأَجَلَ الْأَكْرَمُ الْأَوْحَدُ الْأَفْضَلُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السَّيِّدِ

(1) السناء والسنى: الرفعة والضياء.

(2) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَنْتَ لِلْوُجُوهِ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾. سورة طه، الآية: 111.

(3) خرم بالأصل.

(4) البيتان من بحر المديد.

(5) الطوى: الجوع.

(6) خرم بالأصل.

(7) خرم بالأصل.

(8) البيتان من بحر الوافر.

(9) خرم بالأصل.

(10) هو ولد السيد أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن عبد المومن الذي كان واليا على إشبيلية.

(11) خرم بالأصل.



المُعْظَمِ المَرْحُومِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَبْقَى بَرَكَتَهُمْ، دِينَارًا لِيَشْتَرِيَ بِهِ مَا ذَكَرَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ:

مَوْلَايَ أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ، وَوَصَلَ سُعُودَكُمْ. لَمَّا وَصَلَ الْمُنِيرُ الْغُرَّةَ، الْمُشْرِقُ الْأَسِرَّةَ، وَرَأَيْتُ أَسْطَارَ صَفْحَاتِهِ، وَشَقْتُ رِيًّا نَفَحَاتِهِ، وَصَلْتُ بَعْدَ مَا هَجَرْتُ، وَأَقَرْتُ بِالذَّنْبِ وَاسْتَغْفَرْتُ، وَتَلَّكَ عَلَيَّ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾⁽¹⁾، فَتَلَّ وَتُ عَلَيَّهَا: ﴿لَا تُثْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁽²⁾. وَلَمَّا رَأَتْ مِنِّي دَهْشَةً مِنْ هَلَكَ مَا لَمْ يَكُنْ مَلَكٌ ﴿وَعَلَّقَتْ الْآبُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾⁽³⁾، فَهَزَزْتُ كَتِفِي وَنَظَرْتُ مِنَ الزَّهْوِ فِي عِطْفِي، وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا فَارْتَشَفْتُ مِنْهَا فِي الْعَلَسِ، أَعَذَبَ مِنَ اللَّعْسِ، وَبَرَّدْتُ مِنْهَا [الظَّمَا]، بِأَبْرَدَ مِنَ اللَّمَّا، فَلِلَّهِ هِيَ، فَمَا أَطْيَبَ مَرَاشِفَهَا، وَأَرْطَبَ مَعَاطِفَهَا. بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا وَفِي مَنْ أَهْدَاهَا، وَضَاعَفَ لَهُ النِّعَمَ مَرَّاحَ الْأَيَّامِ وَمَغْدَاهَا.

فَمِثْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ تَأْتِهِ أُمْنِيَّةٌ إِلَّا وَرَضِيَهَا وَأَرْضَاهَا، وَلَا أَبْقَى حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَغْفُوبُ إِلَّا قَضَاهَا⁽⁴⁾، وَأَمَّا وَقَدْ جَنَيْتُ جَنًا عَلَمِي، فَقَدْ أَنْ أَنْشُرَ بِمَدْحِكُمْ أَذْيَالَ مُفَوِّفِي وَمُعْلَمِي، وَأَنْشَدَ:

لَوْ أَنَّ نَفْسِي لُجُّ الْبَحْرِ أَوْ قَلَمِي كُلُّ النَّبَاتِ، وَقُوسًا⁽⁵⁾ مِقْوَلٌ لِفَمِي

(1) سورة يوسف، الآية: 97.

(2) سورة يوسف الآية: 92.

(3) سورة يوسف، الآية: 23.

(4) من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَغْفُوبُ قَضِيهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

سورة يوسف، الآية: 68.

(5) قس: هو قس بن ساعدة الأيادي المشهور بفصاحته وبيانه.



وَقَامَ عَبْدُ الْحَمِيدِ^(١) الْيَوْمَ يَعْصِدُنِي
وَالْحَيْفَظَانُ^(٣) وَسَخْبَانُ^(٤) اللَّذَانِ هُمَا
وَرُمْتُ شُكْرًا لِمَا أَوْلَيْتَ مِن نِّعَمِ
لِلَّهِ مِنكَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ قَسُورَةً^(٥)
أَمَلْتُ يُمْنَى النَّدَى جُودًا وَطَلَّتْ عَلَى الدَّ
فَمَنْ يَلْذُ بِحِمَاكَ حَلًّا فِي حَرَمِ
لَا زَالَ تَاجُ الْعُلَى يُغْلَى بِمُفَرِّقِكُمْ
وَاللَّهُ يُغْلِي مَجْدَ مَوْلَايَ مَخْرُوسًا، وَمَغْنَاهُ لِلْعَقَاةِ مَأْنُوسًا، وَيُدِيمُ أَيَّامَهُ، وَيُثَبِّتُ فِي
بِسَاطِ السَّعْدِ أَقْدَامَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ عَلَى مَقَامِهِ
الْمُقَدَّسِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِي -عَفَا اللَّهُ عَنْهُ- وَمِنْ إِنْشَائِي فِي هَذَا الْبَابِ إِلَى بَعْضِ
الْإِخْوَانِ أَطْلُبُ مِنْ كَلَامِهِ:

الْهَدَايَا أَكَدَّ اللَّهُ وَدَكُّكُمْ دَمَنْ [تَرْتَعِي]^(٧) الْقُلُوبُ مِنْهَا خَصِيصًا، وَتَسْتَزِيدُ بِهَا النَّفْسُ مِنْ
الْمِقَّةِ عَلَى النَّصِيبِ نَصِيبًا، وَخَيْرُ مَا اسْتَهْدَاهُ الْأَدِيبُ اللَّيْبُ، وَتَعَاطَاهُ الْمُحِبُّ
وَالْحَبِيبُ، قَرَاطِيسُ أَدَبٍ تَسْتَأْنَسُ وَخَشْ..... فَمَا لِي أَيُّهَا الْوَلِيُّ أَسْمَعُ مِنْ طَبْعِكَ بِمَا

(١) عبد الحميد: هو الكاتب الأموي المشهور الذي أورد له البلوي رسائل متعددة.
(٢) ابن العميد كاتب عباسي مشهور وهو الذي قيل فيه «بدت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد».
(٣) الحيفظان: لعله مثل سحبان من أهل الفصاحة والبيان (لم أعر على ترجمة فيما بين يدي من
مصادر).

(٤) سحبان: هو سحبان وائل المشهور بفصاحته وبيانه وكثرة خطبه.
(٥) القسورة: اسم جامع للرماة الشجعان لا واحد له من لفظه وهي لا تطلق إلا عليهم خاصة.
(٦) السهي: كويكب صغير خفي الضوء في بنات نعش وهي سبعة كواكب، وفي المثل العربي: «أريها
السهي وتريني القمر».
(٧) خرم بالأصل.



يَغِيضُ الْأَنْهَارَ، وَيَفُلُّ حَدَّ الْغَرْبِ وَلَا أَبْصِرُ الْأَزْهَارَ، وَأَسْمَعُ الْحَمَحَمَةَ وَالصَّهِيلَ، وَلَا أَرَى الْغُرَرَ وَالْتَّحْجِيلَ، وَهَذَا أَنَا قَدْ [أَبْدَيْتُ مِنْ رَغْبَتِي فِي ⁽¹⁾ اسْتِدْعَائِهَا عَرَامًا ⁽²⁾، وَتَطَاوَلَ لِيَلِي شَغَفًا بِالْإِسْعَافِ وَعَرَامًا. فَأَبْعَثُ فَدَيْتَكَ عَتِيقًا مِنْ تِلْكَ [الْخَيْلِ] ⁽³⁾، وَأَطْلِعْ عَلَيَّ اللَّيْلَ فِي الصَّبَاحِ لِيَقْرُبَ لِي الصَّبَاحُ فِي اللَّيْلِ. أَدِرْ كُؤُوسَ الشُّكْرِ عَلَى تِلْكَ الْأَزْهَارِ وَالرِّيَاحِينَ، وَاجْعَلْ لِلْقَلْبِ وَالْعَيْنِ مِنْ أَزْهَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ⁽⁴⁾؛ وَاللَّهُ يَجْعَلُ لِي وَدُكُمُ سُلَمًا، وَيَنْشُرُ عَلَيَّ الْبَسِيطَةَ مَجْدُكُمُ عِلْمًا.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا إِلَى سَيِّدِي وَعِمَادِي وَشَيْخِي الَّذِي إِلَيْهِ إِسْنَادِي كَاتِبِ الْخِلَافَةِ الْأَعْلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ أَطْلُبُ مِنْ كَلَامِهِ:

سَيِّدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمُ كُنْتُ الْآنَ فِي إِسْتَارٍ ⁽⁵⁾ مِنَ الطَّلَبَةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فَكَانَتْ بَيْنَنَا مُجَارَاةٌ فِي مِيدَانِ التَّفْضِيلِ وَالتَّرْجِيحِ بَيْنَ كُتَابِ هَذَا الزَّمَانِ، رَكِبْتُ لَهَا سَابِقَةً مِنْ سَوَائِقِكُمْ فَبَرَزْتُ فِي الْمَضْمَارِ، وَتَرَكْتُ مَنْ خَلْفِي كَرَائِبِ الْحِمَارِ، فَظَنُّوا أَنَّهَا رَمِيَةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ⁽⁶⁾ وَأَلَّا عَشِيرَةً لَهَا مِنَ الْكِرَامِ. وَطَفِقَ يَسْتَنْجِدُ كُلُّ يَعْسُوبٍ ⁽⁷⁾ وَيَحْمُومٍ ⁽⁸⁾ وَيَجُنُبُ كُلُّ أَعُوجِيٍّ ⁽⁹⁾ لَهُمُومٍ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَأَخَّرْتُ عَنْهُ تَأَخَّرَ اللَّيْثُ لِلْوُثُوبِ وَالْهُجُومِ، وَجِئْتُ إِلَيْكُمْ لِأَطْلُعَ شَمْسًا عَلَى تِلْكَمُ النُّجُومِ. فَيَا سَيِّدِي إِنْعَامًا بِإِخْدَى الْحُسَيْنِينَ، رِسَالَةَ

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) العرام: الشوق الملح لشدة الاحتياج.

(3) خرم بالأصل.

(4) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ سورة البقرة، الآية: 35.

(5) الإستار: بكسر الهمزة من العدد: الأربعة، قال جرير:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ وَالْبَعِيثَ وَأُمَّهُ وَأَبَا الْبَعِيثِ لَشَرُّ مَا إِسْتَارِ

أي يترأسهم، وهو شر الأربعة.

(6) من حكم المجانين قال ابن عبد ربه «وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يسمع بمثله كما قالوا:

رب رمية من غير رام». العقد الفريد 6/ 162.

(7) اليعسوب: أمير النحل وذكرها. وقد كثر استعماله فأصبح يطلق على كل رئيس.

(8) اليعسوب: الفرس ويطلق على فرس للنعمان بن المنذر.

(9) الأعوج: فرس سابق ركب صغيراً فاعوجت قوائمه وهو من الخيل الكريمة الأصلية والنسبة إليه أعوجي.

انظر أنساب الخيل لابن الكلبي.



اسْتَنْزَالِ جُشْمٍ أَوْ رِسَالَةٍ تَأْنِيسِ أَهْلَ مَيُوزَقَةٍ، وَتَرْجِعُ إِلَيْكُمْ الْآنَ فِي أَسْرَعِ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ،
وَاللَّهُ يُبْقِيكُمْ لِلْحَقِّ يُظْهِرُ، وَلِلْبَاطِلِ يَقْهَرُ، وَالْخَدِيمُ بِعَيْنَيْكُمْ يُشْهَرُ، وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبْتُ إِلَى الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي الْأَجَلِّ الْعَالِمِ الْقَاضِلِ الْمَرْحُومِ أَبِي حَفْصِ بْنِ
عُمَرَ⁽¹⁾ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَطْلُبُ لِقَاءَهُ مُسْتَشِيرًا:

المُسْتَشِيرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ - مُعَانٌ، وَلَكُمْ فِي الْحُكْمِ وَالْمَرَأَشِدِ نَادٍ رَحْبٌ وَمَعَانٌ،
وَلِقَاؤُكُمْ فِيهِ نُورٌ مُبِينٌ تَعْشَوْنَ إِلَيْهِ الْبَصَائِرُ وَالْأَبْصَارُ، وَيَحْسُدُهُ أَهْلُ الْأَمْصَارِ
وَالْأَمْصَارُ، قَدْ أَثَبَتَ اللَّهُ فِيهِ مَشْرَعًا لِلْمُسْتَرْشِدِ يَسْتَوْضِحُ مَعَالِمَ الْهِدَايَةِ [بِوَأْيِهِ]⁽²⁾،
وَرَفَعَ فِيهِ الطُّورَ لِلْمُسْتَفِيدِ يُنَاجِيهِ فِيهِ مَنْ يُسْتَشْفَى بِرَأْيِهِ. وَهَذَا الْخَدِيمُ قَدْ أَنَسَ مِنْ
جَانِبِ هَذِهِ نَارًا⁽³⁾، وَأَمَّ مِنْهُ عِلْمًا فَارِعًا وَمَنَارًا، وَوَقَفَ مَوْقِفَ ﴿أَرِنِي أَنْظُرِ
إِلَيْكَ﴾⁽⁴⁾ لِيَعْتَمِدَ فِيمَا يَسْتَشِيرُ فِيهِ عَلَيْكَ.

وَلَمَّا كَانَتِ الْاسْتِعَانَةُ عَلَى الْحَاجِّ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكَتْمَانِ⁽⁵⁾، وَكَانَ أَخْذُ مَا أَتَانَا
الرَّسُولُ مَقْفَدَ الْإِيمَانِ⁽⁶⁾؛ رَسَمَ الْخَدِيمُ هَذِهِ الْحُرُوفَ، لَعَلَّ بَقْعَةً مِنْ ذَلِكَ النَّادِي
[الكَرِيمِ]⁽⁷⁾ تَسْمَحُ بِانْفِرَادِ الْمُسْتَشِيرِ وَالْمُسْتَشَارِ، وَتَمْنَحُ بِذَلِكَ جَزِيلَ الْفَرَجِ وَالْاسْتِشَارِ،

(1) أبو حفص عمر السلمي أغماتي سكن مدينة فاس وهو فقيه مشاور حافظ للفقهاء والنحو شاعر ناثر ولد
سنة 530 توفي 603 هـ بمدينة إشبيلية، انظر ترجمته في التكملة رقم 1831، صلة الصلة رقم 130،
الذيل والتكملة، قسم الغرباء 1/8 - 222، الغصون الياقة، ص: 91، زاد المسافر، ص: 101، رفع
الحجب المستورة 1/110، جذوة الاقتباس، ص: 565، أزهار الرياض 2/361، نفع الطيب في
مواطن متفرقة.

(2) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه. والوأي هو الوعد.

(3) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَلَمًا قَضَيْتُ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ وَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا
قَالَ لِأَهْلِهِ لِمَكُتُورًا إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ... سورة القصص، الآية: 29.

(4) سورة الأعراف، الآية: 143.

(5) فيه إشارة إلى الحديث النبوي الشريف «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان».

(6) فيه قبس من قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُكُمْ الرَّسُولَ بِحُذُوهٍ وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

(7) خرم بالأصل.



وَتَفْحِمُ [الكَاشِحَ] ⁽¹⁾ وَلَوْ كَانَ فِي فَصَاحَةٍ قُسِّ وَشِعْرِ بَشَارٍ ⁽²⁾. وَالْحَدِيدُ الْآنَ يَشْكُو
الانْحِفَازَ، فَإِنْ أَمَكْنَ تَعْجِيلُ اللِّقَاءِ فَقَدْ فَازَ؛ وَاللَّهُ يُبْقِي سَيِّدِي لِفَضْلٍ يُسَدِّدِيهِ، وَمُشْكِلِ
يُوضِّحُهُ وَيُبَيِّدِيهِ، وَالسَّلَامُ الْحَفِيلُ عَلَى سَيِّدِي وَعِمَادِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكَتَبْتُ عَنِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْمَاجِدِ الْأَجَلِّ أَبِي زَكَرِيَاءَ بْنِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْمَرْحُومِ أَبِي
الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ إِلَى الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْمُكْرَمِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الشَّيْخِ
الْأَجَلِّ الْمَرْحُومِ أَبِي الْغَمْرِ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ فِي يَوْمِ عَنَصْرَةِ:

حَرَسَ اللَّهُ عَلَاءَكُمْ، وَحَفِظَ وَلَاءَكُمْ، يَوْمَنَا هَذَا يَوْمَ أَنْسَ رَاقَتْ مَبَاسِمُهُ، وَرَقَّتْ
نَوَاسِمُهُ، طَلَعَتْ فِيهِ بُدُورُ السَّمَاءِ، فِي أَفْلَاكِ الْمَاءِ، وَتَلَاَعَبَتْ فِيهِ الْأَطْرَابُ
[بِالْأَلْبَابِ] ⁽³⁾ تَلَاَعَبَ الْأَفْعَالُ بِالْأَسْمَاءِ، وَزَارَ فِيهِ الشُّطُّ، مَنْ كَانَ مَرَاؤُهُ عَنْهُ قَدْ شَطَّ،
وَتَوَفَّرَتْ فِيهِ دَوَاعِي [الرَّائِحِ] ⁽⁴⁾ وَالْغَادِي، عَلَى إِثَارِ الْوَادِي عَلَى النَّادِي، وَجَمَعَ اللَّهُ
فِيهِ بَيْنَ الْخَلِيعِ وَالرَّاهِبِ، «وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبٌ» ⁽⁵⁾. فَمِنْهُمْ مَنْ قَصَدَهُ لِلْأَنْسِ
وَالطَّرَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُثْنِي فِيهِ عَلَى بِنْتِ بَسْطَامَ ابْنِ قَيْسٍ ⁽⁶⁾ وَابْنَةِ الْعَنْبِ ⁽⁷⁾.

(1) خرم بالأصل.

(2) بشار بن برد شاعر عباسي مشهور، انظر ترجمته في الشعر والشعراء 2/ 643. أما قس: فقد اشتهر
بالبیان والفصاحة في الجاهلية.

(3) خرم بالأصل.

(4) خرم بالأصل.

(5) هذا الشطر يوجد ضمن بيتين في كتاب «معالم الكتابة»، ص: 111.

فُوَادِي وَطَرْفِي سَجْنُهُ وَرَقِيئُهُ وَأَخْسَبُهُ بِاللَّمْحِ فِي النَّاسِ يَنْهَبُ
وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ وَلِي كُلِّ يَوْمٍ فِيهِ بِالْحُسْنِ مَذْهَبُ

وأول من استعمله أبو فراس الحمداني:

وَمِنْ مَذْهَبِي حُبُّ الدِّيَارِ لِأَهْلِهَا وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ

(6) بَسْطَام: ليس من أسماء العرب وإنما سمي قيس بن مسعود ابنه بسطاماً باسم ملك من ملوك الفرس
والكاتب يشير إلى ابنته ولا نعرف اسمها. (اللسان). «بسطم»، جمهرة أنساب العرب، ص: 226.

(7) ابنة العنب: يقصد بها الخمر وسميت بذلك لأنها تعصر منها.



وَمَنْ أُخْبِرَ - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - عَنْ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الرَّائِقِ، وَوُصِفَ لَهُ مَا اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْخَلَائِقِ، تَأَقَّى إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَالْاطَّلَاعِ عَلَيْهِ، وَقَدْ وَصِفَتْ لِي مَحَاسِنُ قُبَّتِكُمُ الْغُرَّاءِ، الْمُؤَسَّسَةِ عَلَى الْبَهْجَةِ وَالسَّرَّاءِ، الْمُزْرِيَّةِ بِالْخَوَزَنْقِ وَالسَّيْدِيرِ⁽¹⁾، الْمُزْدَانَةِ بِالْحَقِيقِ بِهَا مِنْكُمْ وَالْجَدِيرِ، الْمُصِيخَةِ بِأُذُنِهَا لِتَسْمَعَ أَسْرَارَ الْغَدِيرِ، وَقَى اللَّهُ كَمَالَهَا عَيْنَ الْعَائِنِ، فَقُلْتُ: لَيْسَ [الْمُخْبِرُ]⁽²⁾ كَالْمُعَايِنِ، وَلَا بُدَّ فِيهَا الْيَوْمَ مِنْ لُقْيَا تُؤَكِّدُ حُرْمَةَ الرِّضَاعِ، وَتُجَدِّدُ حَقَّهَا الْمَرْعِيَّ غَيْرَ الْمُضَاعِ، وَتَحْطِي بِالْأَنْوَاعِ مِنَ اللَّهْوِ وَالْإِنْسَانِ، وَتُنْزِعُ بِالنَّهَارِ فِي خِيَالِ حَقِيقِي مِنَ النَّاسِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَاللَّهُ يَخْرُسُ مَا بَيْنَنَا مِنْ كَرَمِ الْخَلَّةِ، وَيُبْقِيكُمْ سِرَاجًا لِلْكَرَمَاءِ الْجَلَّةِ، وَالسَّلَامِ.

وَكَتَبْتُ عَنِ الْفَقِيهِ أَبِي الْحَسَنِ هَمَّامَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَضْرَةُ الْعَلَاءِ وَالْجُودِ، وَالْفَضْلِ الْمُشْتَهَرِ فِي الْوُجُودِ، حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْهَمَّامِ الْمُكْرَمِ الْأَوْحَدِ الْأَعْلَى الْمُوقَّرِ [الْأَمْجِدِ]⁽³⁾ الْأَسْعَدَ الْمُؤَيَّدَ الْأَسْمَى. أَبُو مُحَمَّدَ بْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ الْمَنْصُورَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَتَيْنِ بْنِ أَمِيرِ أَمِيرِي الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَدَامَ تَأْيِيدَهُمْ، وَوَصَلَ سُعُودَهُمْ، وَضَاعَفَ مِنْ إِحْسَانِهِ وَامْتِنَانِهِ مَزِيدَهُمْ؛ وَأَعَانَ عَلَى مَا يَجِبُ مِنْ [تَمْجِيدِهِمْ]⁽⁴⁾ وَشَكَرِ نِعْمَتِهِمْ مِنْ أَرْقَائِهِمْ وَعَبِيدِهِمْ.

عَبْدُ حَضْرَتِهِمُ السَّامِيَةِ، الْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِهِمُ النَّامِيَةِ، الْمُسْتَمْطِرُ سُحْبَ رَحْمَتِهِمُ الْهَامِيَةِ، الْمُعْتَرِفُ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنْ بَحَارِ مَكَارِمِهِمُ الطَّامِيَةِ⁽⁵⁾، الْمُزْدَلِفُ⁽⁶⁾ إِلَى

(1) الخورنق: قصر من قصور النعمان بظهر الحيرة والذي بناه له هو «سمنار» الذي قتله فأصبحت العرب تضرب به المثل. أما السدير: فهو قصر عظيم بالعراق من إنشاء ملوك بني لخم، قال الشاعر:
فَإِذَا سَكِرْتُ فَأَيْنِي رَبُّ الْخَوَزَنْقِ وَالسَّيْدِيرِ

شرح الحماسة للمرزوقي الحماسية رقم: 174.

(2) خرم في الأصل.

(3) خرم بالأصل.

(4) خرم بالأصل.

(5) الطامية: الممتلئة، من طما الماء إذا ارتفع وعلا وملا البحر أو النهر.

(6) المزدلف: الآوي الملتجئ.



الله بِعَقِيدَةِ نَفْسِهِ الْمُتَطَارِحَةِ عَلَى حُبِّهِمُ الْمُتَرَامِيَةِ، الْمُسْتَظْهَرُ عَلَى الزَّمَنِ بِلَحْظَتِهِمُ
الْمَحْظِيَّةِ، وَحُرْمَتِهِمُ الْحَامِيَةِ.

عَبْدُهُمْ فَلَانٌ: سَلَامُ اللَّهِ وَتَحِيَّاتُهُ عَلَى حَضْرَةِ السِّيَادَةِ وَالْكَرَمِ، الطَّائِفُ بِهَا الْأَمِلُونَ
طَوَافَ الْحَجِيجِ بِالْحَرَمِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ:

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ؛ فَكَتَبَ الْعَبْدُ كَتَبَ اللَّهُ لِحَضْرَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا عَلُوَّ
الْمِقْدَارِ، وَمُطَاوَعَةَ الْأَقْدَارِ وَوَصَلَ لَهَا مَا عَوَّدَهَا [مِنْ الْإِعْلَاءِ] ⁽¹⁾ وَالْإِظْهَارِ، وَتَعَرَّفَ
السَّعَادَةِ فِي الْإِيرَادِ وَالْإِضْدَارِ، مِنْ إِشْيِيلِيَّةِ حَرَسَهَا اللَّهُ وَخِدْمَتُهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ لِحَضْرَةِ
[ذَلِكَ] ⁽²⁾ الْجَلَالِ خِدْمَةً مَنْ تَفِيًّا مِنْ رَحْمَتِهَا وَارِفَ الظَّلَالِ، وَنَالَ مِنْ إِحْسَانِهَا
وَنِعْمَتِهَا كُلِّ مُنَالٍ، وَكَرَعَ ⁽³⁾ مِنْ مُورِدِ جُودِهَا الَّذِي جَلَّ عَنْ مُبَارَاةِ الدُّبُورِ وَالصَّبَا
وَالْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ ⁽⁴⁾، وَامْتَطَى صَهْوَةَ الْفَخَارِ بِالْإِعْدَادِ فِيمَنْ شَرَّفَهُ اللَّهُ بِاللَّحْظِ مِنْهَا
وَالْإِقْبَالِ، وَجَعَلَ مِنَ الْوَسَائِلِ النَّافِعَةِ فِي الدَّارَيْنِ التَّعْظِيمَ لَهَا وَالتَّمْجِيدَ فِي كُلِّ حِينٍ
وَالْإِنْقِطَاعَ لَخِدْمَتِهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَأَمَّا شُكْرُ الْعَبْدِ لِأَيَادِيهَا الْكَرِيمَةِ وَنِعْمِهَا الْعَمِيمَةِ
فَشُكْرٌ لَا يَنْضَبِطُ وَلَا يَنْحَصِرُ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ مَعْلُومٍ وَلَا يَقْتَصِرُ، وَاللَّهُ [يُوزَعُ] ⁽⁵⁾ الْعَبْدُ
شُكْرَ إِنْعَامِهَا، وَيُنْهَضُ لَخِدْمَةِ [مَقَامِهَا وَيَفْسَحُ لَهُ فِي تَعْدَادِ أَيَّامِهَا؛ بِمَنْهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ] ⁽⁶⁾.

وَلَمَّا أَسْعَدَ اللَّهُ الْعَبْدَ لَخِدْمَةِ تِلْكَ الْحَضْرَةِ..... ⁽⁷⁾ [وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْمَنْصُورَ
الْإِمَامَ لَا تُبَارِيهِ الرِّيحُ... وَلَوْ تَوَاطَأَ عَلَى اسْتِجْدَائِهِ الْأَنَامُ وَالْأَنْعَامُ، وَلَا تُسْتَغْظَمُ لَدَيْهِ

(1) خرم بالأصل.

(2) خرم بالأصل.

(3) كرع: يقال كرع في الماء يكرع كروعا إذا تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء، قال
الأخطل:

يَزُوي الْعِطَاشَ لَهَا عَذْبٌ مُقْبَلُهُ إِذَا الْعِطَاشُ عَلَى أَمْتَالِهِ كَرَعُوا

(4) الدبور والصَّبا والجنوب والشمال أربعة أنواع من الرياح تهب كل واحدة منها من جهة معينة.

(5) خرم بالأصل.

(6) خرم بالأصل.

(7) خرم بالأصل بمقدار سطر ونصف.



الهِبَاتِ الْعِظَامُ. وَأَخْلَقَ لِعَبْدٍ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ دِينَهُ، وَهَذَا الْيَقِينَ لِيَتْلِكَ الْحَضْرَةَ الْعَلِيَّةَ يَقِينُهُ،
أَلَّا تُصَدِّقَ بِهِ فِي إِنْعَامِهَا أَرَاؤُهُ وَظَنُونُهُ⁽¹⁾ وَالْعَبْدُ يَمْدُ يَدَ الضَّرَاعَةِ إِلَى ذَلِكَ الْفَضْلِ
الَّذِي تَقْصُرُ عَنْ اسْتِيفَاءِ وَصْفِهِ قُوَّةُ الْبِرَاعَةِ وَالْبِرَاعَةِ فِي الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي
بِقَرْبِهِ كَذَا. وَفَضْلُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَفِيلٌ بِقَضَاءِ الرَّغَائِبِ، وَنُجَحِ الْمَسَاعِي
وَالْمَطَالِبِ، وَمَا ذَلِكَ بِعَزِيزٍ عَلَى إِحْسَانِهِمْ، وَلَا يَبْدَعُ مِنْ أَمْتِنَانِهِمْ، فَكَمْ أَوْلَوْا مِنْ
الْفَضَائِلِ، وَكَمْ لَهُمْ مِنْ صَنِيعَةٍ فِي الْوُجُودِ لَهَا شَيْءٌ الْأَبْلَقِ⁽²⁾ الْجَائِلِ. وَإِنَّ ثِقَةَ الْعَبْدِ
بِإِسْعَافِ مَوْلَاهُ إِيَّاهُ فِي الْغَرَضِ لَتُغْنِي عَنْ إِطَالَةِ الْكَلَامِ فِي الرَّغْبَةِ فِي ذَلِكَ. وَهَذَا هُوَ الْعَبْدُ
مُتَطَلِّعٌ لِهُبُوبِ نَفَحَاتِ إِنْعَامِهِمْ، مُسْتَسْقٍ كَرِيمٍ غَمَامِهِمْ، [وَاللَّهُ]⁽³⁾ تَعَالَى يُدِيمُ
تَأْيِيدَهُمْ، وَيَصِلُ سَعُودَهُمْ.

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ الْحَفِيلُ الْعَمِيمُ عَلَى حَضْرَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْمُنْعِمِ الْمُفْضِلِ
الْمُحْسِنِ كَثِيرًا وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا فِي الْإِسْعَافِ:

مِنْ إِبْرَاهِيمَ⁽⁴⁾ بَنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِطِ الزَّعِيمِ إِبْرِيلِ
بَنِ الْقَوْمِطِ نُونُهُ⁽⁵⁾ وَفَقَهُ اللَّهُ وَأَرْشَدَهُ. أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ كَمَا يَجِبُ لَوْحْدَانِيَّتِهِ وَجَلَالِهِ
وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ
الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ وَارِثِ شَيْمَةِ النَّبَوِيَّةِ وَخَلَالِهِ، وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ
الَّذِينَ مَسَّوْا أَمْرَهُ الْعَزِيزَ إِلَى غَايَةِ كَمَالِهِ، وَالدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَبِي يَعْقُوبَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِتَيْسِيرِ آمَالِهِ، وَتَغْرِيفِهِ النَّصْرَ الْأَعَزَّ وَالْفَتْحَ الْأَسْنَى

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) الأبلق: الفرس الذي يكون محجلاً إلى الفخذين.

(3) خرم بالأصل.

(4) إبراهيم: هو أبو إسحاق إبراهيم الأحول الذي ولي على قرطبة سنة كما ولي على إشبيلية وبها توفي

سنة 612.

(5) المن بالإمامة، ص: 370، التعليق رقم 5، وكذلك أشباح: 271.



فِي كَافَّةِ أَحْوَالِهِ. فَكَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَلَا جَدِيدَ إِلَّا فَضْلُ اللَّهِ الْأَكْمَلُ، وَصُنْعُهُ الْأَجْمَلُ، وَبَرَكَتُهُ أَمْرُهُ الْعَزِيزِ الَّتِي تَعْمُ وَتَشْمَلُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَثِيرًا.

وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ فَوْقَنَا عَلَى مَا ضَمَّتْهُ مِنْ جَمِيلِ الْأَغْرَاضِ. وَوَصَلَ رَسُولُكُمْ الْوَزِيرُ أَبُو الْحَجَّاجِ بْنُ مَزَاحٍ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - صُحْبَةَ الْوَزِيرِ الْحَكِيمِ الْأَثِيرِ الْأَكْرَمِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ الْفَخَّارِ ⁽¹⁾ - تَوَلَّى اللَّهُ تَوْفِيقَهُ - فَتَعَرَّفَ مِنْ قَبْلِهِ أَيْضًا مَا عِنْدَكُمْ فِي مَوَالَاةِ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - وَالْأَسْتِنَادِ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيلِ الْمَقْصِدِ وَاسْتَجِدُّونَ بَرَكَتَهُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ الْعَلِيِّ، أَفَاضَ اللَّهُ أَنْوَارَهُ، وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ، فَإِنَّ عَادَتَهُ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَسْنَدَ إِلَيْهِ، وَأُورِدَ النَّصِيحَةَ عَلَيْهِ، فَقَدْ عَرَفَهَا الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَقَامَ عَلَيْهَا الدَّلِيلُ وَالشَّهِيدُ ⁽²⁾. وَأَمَّا مَا أَشْرَرْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَلَبِ الْاِعْتِنَاءِ بِرَسُولِكُمُ الْمَذْكُورِ، فَكَذَلِكَ كُنَّا نَفْعَلُ لَوْ لَمْ تُؤَكِّدُوا ذَلِكَ، فَإِنَّ الَّذِي عِنْدَنَا مِنْ رَعْيِ مِثْلِكُمْ مِنْ ذَوِي الْأَغْرَاضِ الْجَمِيلَةِ جَمِيلٌ، وَسَيُصَاحِبُ رَسُولَكُمْ الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ التَّهْمُ الْمُوَالِي وَالرَّعْيِ الْمُضَوَّلُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَكُلُّ مَا قَدَّرْتُمْ مِنْ حُسْنِ الْمَقْصِدِ، فَإِنَّهُ مُشْكُورٌ لَكُمْ. وَاللَّهُ يُعَرِّفُ الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِي كُلِّ مَا يَقْضِيهِ، وَيُعِينُ الْجَمِيعَ عَلَى مَا يُرْضِيهِ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، لَا رَبَّ غَيْرَهُ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ.

(1) عن ابن الفخار، انظر البيان المغرب «قسم الموحدين»، ص: 28.

(2) الشهيد: معناها ها هنا الشاهد والحجة والدليل، وقد ترد في اللغة بهذه الصيغة والمعنى.



وَكَتَبْتُ عَنِّي وَعَنِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْحَسْبِيِّ الْأَجَلِّ الْأَفْضَلِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ حَسَّانٍ⁽¹⁾
إِلَى الشَّيْخِ الْكَاتِبِ الرَّاهِدِ الْأَفْضَلِ أَبِي زَيْدِ بْنِ يَخْلَفَتِنِ الْفَازَزِيِّ⁽²⁾ نَظْلُبُ مِنْهُ
مَوْشَحَةً لَهُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْيَاتٍ:

يَا عَالِمَ الْفَضْلِ الَّذِي بَهَرَتْ أَنْوَارُهُ، وَشَهَرَتْ مَآثِرُهُ وَأَنَارُهُ، وَبَخَرَ الْأَدَبِ الَّذِي طَمَأَ
عُبَابُهُ، وَسَمَّا حَالًا عَلَى حَالِ حَبَابِهِ⁽³⁾، حُرْسَ طِرْفُ بِلَاغَتِكُمْ [الذِّيَالُ]⁽⁴⁾، وَحُفِظَ مِنْ
النَّقْصِ إِلَى⁽⁵⁾ الْكَمَالِ طَبْعُكُمْ السِّيَالُ، وَشَكَرَ فَضْلَكُمْ الَّذِي كُلُّ امْرِئٍ إِلَيْهِ بِطَبْعِهِ مِيَالٌ...
وَمِنْ الْجَوِّ حُسْنًا يَشُوقُ مُحْيَاهُ... فِي سَمَاءِ التَّوْشِيحِ مَا يُضَاهِي الدَّرَارِي فِي عَدَدِهَا
وَيَسْتَوِي... اقْتَرَحَتْهَا نُفُوسٌ جَمِيعَنَا اقْتَرَا حَهَا أَسْنَى مُتَمَنَّاَهَا وَهَا نَحْنُ الْآنَ نَرْتَقِبُهَا
[ارْتِقَابَ النَّاسِ لِهَلَالِ الْفَطْرِ]⁽⁶⁾ وَنَسْتَدْعِيهَا مِنْ فَضْلِكُمْ اسْتِدْعَاءَ الْمُجْدِبِينَ [لَا نِهْمَالِ]⁽⁷⁾
الْقَطْرِ. وَفَضْلُكُمْ يُمْتَنِعُ بِحُسْنِهَا [الْعِيُونَ الْحَسِيرَةَ]⁽⁸⁾ وَيَكْتَفِي مِنَ الرَّغْبَةِ الطَّوِيلَةِ فِي ذَلِكَ
بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ الْقَصِيرَةِ. لَا زِلْتُمْ مُهْدِينَ لِلدُّرِّ أَوْ مَشْكُورِينَ عَلَى طَبْعِكُمْ الْحُرِّ، وَخُلِقْتُمْ
الْغُرَّ، وَالسَّلَامُ.

- (1) أبو القاسم بن حسان الكلبي كان صديقاً للبلوي، انظر: تحفة القادم، ص: 50.
(2) أبو زيد: هو أبو زيد عبد الرحمان بن يخلفتن الفزازي، كاتب بليغ وشاعر مجيد، ولد بقرطبة حوالي
سنة 550 وتوفي بمراكش سنة 627. انظر عنه برنامج شيوخ الرعيني، ص: 101، التكملة 2/ 585،
مخطوط كتاب الأنساب رقم 1285 ك.

(3) مقتبس من قول الشاعر الجاهلي امرئ القيس:

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا
سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ

ديوانه.

(4) خرم بالأصل.

(5) خرم بالأصل.

(6) خرم بالأصل.

(7) خرم بالأصل.

(8) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.



وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي ذَلِكَ جَوَابًا لِّمَا كَتَبَ إِلَيْنَا مُعْتَذِرًا:

يَا رَافِعَ أَعْلَامِ الْبَلَاغَةِ وَرَايَاتِهَا، وَصَاحِبَ مُعْجَزَاتِ الْبَرَاعَةِ وَآيَاتِهَا، وَجَاذِبَ الْقُلُوبِ إِلَى حُبِّهِ بِزِمَامِ الْاهْتِمَامِ، وَرَاكِبَ الْأُسْلُوبِ الَّذِي لَا مُعَارِضَ لِعُرْوِهِ وَلَا ضَرْيَبَ لِضَرْبِهِ فِي نِثَارٍ وَلَا نِظَامٍ. لَا زَالَتْ سَعَادَتُكُمْ مَدَى الْأَيَّامِ مُعْتَادَةً، وَعَادَتُكُمْ فِي الْإِنْعَامِ مُرْتَادَةً، وَلَا بَرَحَ مَجْدُكُمْ رَفِيعًا، وَجَدُّكُمْ فِي كُلِّ لُبَانَةٍ شَفِيعًا. عَنْ لَنَا الْغَرَضُ الَّذِي عَلِمْتُمْ وَالْأَمَلُ، فِي التَّمَّاسِ الْمُوشَّحَةِ الَّتِي هِيَ شَمْسُ الْأَدَبِ وَفِكْرُكُمْ الْحَمَلُ⁽¹⁾، فَجَهَّزْنَا الرَّغْبَةَ إِلَيْكُمْ فِي جَحْفَلٍ لِحِبٍ، وَرَجَوْنَا أَنْ سَنَاهَا غَيْرُ مُخْتَجِبٍ، فَمَا رَاقَنَا إِلَّا الْإِلْمَامُ مَا زَفَفْتُمْ بِفَضْلِكُمْ مِنَ الْعُرْبِ الْأَبْكَارِ، مِنْ بَنَاتِ الْأَفْكَارِ، وَمَا أَهْدَيْتُمْ مِنَ [الْأَشْعَارِ] الَّتِي لَا⁽²⁾ يُنْتِجُ مِثْلَهَا مَرَاغُ النَّاسِ فِي الْأَسْحَارِ. فَتَلَقَّيْنَا ذَلِكَ تَلَقِّي عَرَابَةٍ رَايَةِ الْمَجْدِ⁽³⁾ وَارْتَحْنَا بِهِ ارْتِيَا حَ قَيْسٍ لِهُبُوبِ النَّسِيمِ مِنْ نَجْدٍ⁽⁴⁾ وَطَفَقْنَا [تَرْتَعُ]⁽⁵⁾ مِنْ جَمَالِهِ فِي رِيَاضِ مَوْشِيَةِ الرُّبَا، وَنَكْرَعُ مِنْ سَلْسَالِهِ فِي عُيُونٍ نَمْنَمَتْ مُتَوْنَهَا أَكْفُ الصَّبَا، وَنَعْلَقُ بِهِ عِلَاقَةَ الْغَوَانِي بِالصَّبَا، وَنَهْتَرُ لَخَطِّهِ الرَّائِقِ، وَلَفْظِهِ الْفَائِقِ طَرَبًا، وَرَأَيْنَا كَيْفَ يُسْتَخْرَجُ الدُّرُّ مِنَ الْبُحُورِ، فَيُنْظَمُ فِي

(1) الحمل: برج من بروج السماء وهو من أول البروج يليه السرطان ثم البطين ثم الثريا.

(2) خرم بالأصل.

(3) مقتبس من قول الشاعر:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ

إِذَا مَا رَايَةَ رُفَعْتَ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

وعرابة المذكور ينتمي إلى الأنصار وكان قد التقى بالشماخ بن ضرار وأكرمه، فمدحه بهذين البيتين:

انظر ديوان الشماخ، ص: 97، الشعر والشعراء، ص: 235.

(4) يشير إلى قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى ولعل محبوبته التي تغنى بها في شعره كانت من نجد، قال في بعض أشعاره:

أَلَا حَبْدًا نَجْدَ وَطَيْبَ تَرَابِهِ وَأَزْوَاحُهُ إِنْ كَانَ نَجْدٌ عَلَى الْعَهْدِ

وَقَدْ رَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يُمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ

انظر ديوانه، ص: 113.

(5) خرم بالأصل.



النَّحُورِ، وَكَيْفَ يَلُوحُ الْفَضْلُ وَالْعَقْلُ عَلَى تِلْكَ السُّطُورِ، فَعَكَفْنَا عَلَى تَقْيِيلِ حُرُوفِهِ، وَكَلَفْنَا بِتَطْوِيلِ الشُّكْرِ لِمَعْرُوفِهِ.

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْتُمْ - حَسَنَ اللَّهُ ظَنُّكُمْ - حَلَّاتُمْ⁽¹⁾ بِتَوْقِفِكُمْ فِي الْمَطْلُوبِ الظَّمَاءِ، وَنَسَبْتُمْ إِلَى حَضِيضِ الْأَدَبِ الْعُلُوَّ مِنْ نَظْمِهِ وَالسَّمَاءِ. وَادَّعَيْتُمْ عَلَيْهِ بِالنُّزُولِ عَنِ الشُّرُوجِ، وَهُوَ الَّذِي تَوَغَّلَ مَا شَاءَ فِي الْعُرُوجِ⁽²⁾ وَلَمْ يَقْنَعْ لِنَفْسِهِ بِمَحَلٍّ مِنْ تِلْكَ الْبُرُوجِ⁽³⁾ حَتَّى تَسْنَمَ الْأَفْلَاكَ، وَنَظَّمَ الْإِذْرَاكَ فِي جِيدِهِ الْأَسْلَاكَ، وَتَوَاضَعْتُمْ، عَلَى يَقَّةٍ لَمَّا عَلَوْتُمْ، وَمَا حَقَّنَا أَنْ نَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّفْرِيطِ أَوْ رَدَدْتُمْ [عَلَيْهِ مَا]⁽⁴⁾ تَلَوْتُمْ، وَمَا لَا غِنَى لَنَا عَنْهُ حَاشَيْتُمُونَا مِنْهُ وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَيْسَ الْكِبَرِيْتُ الْأَحْمَرُ⁽⁵⁾ بِمَوْجُودٍ، وَلَا التَّهَائُمُ فِي السَّيْرِ كَالنُّجُودِ، وَمَا عُولِيَتِ الْجَوَازُاءُ بِنَشَازٍ⁽⁶⁾ أَوْ عُولِيَتِ اللَّقْوَةُ⁽⁷⁾ الْحَدَّاءُ بِيَّازٍ، وَأَيْنَ مِنَ الْحَسِيِّ⁽⁸⁾ الرِّكْيِ⁽⁹⁾، تَبْرُضُ الشَّمِدَ الْبَكِّيَّ، وَأَيْنَ الْبَحْرُ فِي الطُّمُوِّ مِنَ الثَّمَادِ⁽¹⁰⁾، وَالْحَيَوَانُ فِي النُّمُوِّ مِنَ الْجَمَادِ، وَأَيْنَ مِنْ قَرْنِ الشَّمْسِ⁽¹¹⁾ قَرْنُ الْهَبَاءِ⁽¹²⁾ وَأَيْنَ مِنْ سُمْكِ السَّمَاءِ الْمُكُونَةِ

(1) حلا الإبل عن الماء طردها أو حبسها عن الورود، قال إبراهيم الموصلي:
يَا سَرْحَةَ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ أَمَا إِلَيْكَ سَبِيلُ غَيْرِ مَسْدُودٍ

لِحَائِمِ حَامٍ حَتَّى لَا حَوَامَ لَهُ مُحَلًّا عَنْ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ

(2) العروج: الصعود والارتقاء ومنه قوله تعالى: ﴿تَغْرُجُ الْمَكِّيَّةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾؛ أي تصعد.

(3) البرج: واحد من بروج الفلك وهي اثنا عشر برجا كل برج منها منزلتان.

(4) خرم بالأصل.

(5) الكبريت الأحمر: يقال إنه من الجواهر ومعدنه خلف بلاد التبت وهو من المعادن النادرة، ولذلك يقال: «أندر من الكبريت الأحمر».

(6) النشاز: المتن المرتفع من الأرض.

(7) اللقوة: العقاب السريعة الاختطاف.

(8) الحسي: الماء القليل.

(9) الركي: البثر التي تكون كثيرة الماء.

(10) الثماد: الحفرة التي تكون قليلة الماء.

(11) قرن الشمس: أولها عند الطلوع وأعلىها وقيل أول شعاعها.

(12) قرن الهباء: لعله يقصد بذلك قرن الفلاة الذي هو أولها أيضا.



سُمْكُ الْخَبَاءِ، هَذَا ذُو أَطْنَابٍ تُلْفَقُ، وَأَوْتَادٍ تَرْخُزُ فِي ثُرْبِهَا وَتُغْلَقُ، وَتِلْكَ بَعِيدَةُ الْمَنَالِ، مَصْنُوعَةٌ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، رُفِعَتْ عِبْرَةٌ لِلْمُرَاقِبِ، وَزُبْنَتْ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ. النَّاقِدُ -أَعَزَّكُمْ اللَّهُ- أَنْصَفُ، وَحَبْلُ التَّمْيِيزِ أَخْصَفُ، مِنْ أَنْ يُسَمَّى الدَّرُّ بِالْخَرْفِ⁽¹⁾، أَوْ يُقَاسَ بِالْصَّدْفِ، فَلَيْسَ الْوَشْيُ الرَّفِيعُ كَالْخَرْفِ⁽²⁾، وَلَا الدُّهْمَةُ⁽³⁾ كَالْبَلَقِ⁽⁴⁾، وَلَا الْأَمْنُ فِي طُرُقِ الْإِذْلَالِ وَالْإِسْتِزْسَالِ كَالْفَرْقِ⁽⁵⁾، وَمَا مِثْلُنَا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ إِلَّا كَمِثْلِ غَوَاصِينَ عَلَى الدَّرِّ، مُتَنَافِسِينَ فِي افْتِنَاءِ النَّفْسِ مِنْهُ وَالْحَرِّ، سَمِعُوا بِبَحْرِ قَرِيبٍ يَخْتَوِي مِنْهُ عَلَى كُلِّ غَرِيبٍ فَقَصَدُوهُ وَأَمَوْهُ، لِيُصَوِّرُوا مَا [وَجَدُوا]⁽⁶⁾ مِنْ لَوْلَاهُ وَيَضْمُوهُ، فَبَيْنَا هُمْ مِنْهُ عَلَى الشُّطِّ، مُتَصَائِلِينَ لِعِظَمِ قَدْرِهِ تَضَاوَلَتِ النُّقْطَةُ لِلخَطِّ، إِذْ قَذَفَ إِلَيْهِمْ مَوْجُهُ الَّذِي يَجِيءُ وَيَذْهَبُ، بِقِطْعَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْعَنْبَرِ الْأَشْهَبِ... فِي عِظَمِهَا وَوَجَبَ.

فَالْقَوْلُ بِتَفْصِيلِكُمْ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- إِجْمَاعٌ مُنْعَقِدٌ، وَالْكُلُّ بِصِحَّتِهِ مُعْتَقَدٌ... الْفَاضِلُ الْمُنْعِمُ الْأَعْلَى ﷺ وَأَدَامَ أَيَّامَهُمْ وَسَكَّرَ إِحْسَانَهُمُ الشَّامِلِ وَإِنْعَامَهُمْ... شَاهِدًا عَلَى انْفِرَادِكُمْ بِالْإِنْطِبَاعِ، وَامْتِدَادِ الْبَاعِ، فَإِنَّ الَّذِي عِنْدَهُمْ ﷺ مِنَ الْوُصُولِ فِي ظِلِّ عِلْمٍ وَالْإِذْرَاكِ، لِلْغَايَةِ الَّتِي لَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَهُمْ فِيهَا اشْتِرَاكٌ، وَالْإِثَارَ لِلتَّحْقِيقِ، وَالتَّشْقِيقِ فِي صَحِيحِ النَّظَرِ وَالِدَّقِيقِ، يَقْتَضِي فِي تَقْلِيدِهِمُ التَّرْجِيحَ، وَيُعْطِي التَّثْبِتَ لِمَا اعْتَقَدْنَاهُ فِيكُمْ وَالتَّصْحِيحَ.

وَقَدْ ابْتَغَيْنَا فِي بَحْرِ سُؤَالِكُمْ مَنَاجَاةً ﴿وَجِئْنَا بِبِضْغَةٍ مُزْجِيَةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكَفِيلُ﴾⁽⁷⁾، وَوَفَّ لَنَا النَّيْلَ، وَانْظُرْ بَعَيْنَ الْإِشْفَاقِ إِلَيْنَا، وَتَصَدَّقْ [عَلَيْنَا]⁽⁸⁾، وَلَعَلَّكُمْ تَتَعَمَّدُونَ فِي

(1) الخرف الأولى ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارا.

(2) الخرف هنا: نوع من الثوب.

(3) الدهمة: السواد والأدهم الأسود.

(4) البلق: التحجيل الذي يكون في الفرس وهو اختلاط البياض مع السواد.

(5) الفرق: الخوف والفرع.

(6) خرم بالأصل.

(7) سورة يوسف، الآية: 88.

(8) خرم بالأصل.



الإنحاف الهفو، وتعمدون تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْهَفُونَ فَلِ
إِنْعَفُونَ﴾⁽¹⁾ لَا زِلْنَا لِلْحَقِّ مُؤْثِرِينَ، وَمِنَ الْإِحْسَانِ مُكْثِرِينَ، وَلِلْقُلُوبِ بِكَرَمِ شَمَائِلِكُمْ
مَالِكِينَ، وَعَلَى أَوْضَحِ أُسْلُوبٍ مِنْ فَضَائِلِكُمْ سَالِكِينَ، وَالسَّلَامُ.



(1) سورة البقرة، الآية: 217.

البَابُ السَّادِسُ عَشَرُ

في العتاب والتقريع والذم والتشنيع



رِجَالُهُ:

عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ - عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ - الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ - عَبْدُ الْحَمِيدِ ابْنِ عَامِرٍ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ - بَدِيعُ الزَّمَانِ - أَبُو الْخَطَّابِ الْعَبْدُكَانِي - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْفَهَانِي - مُحَمَّدُ بْنُ مُكْرَمٍ - أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ - أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ رَشِيقٍ - أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَسَّامٍ - أَبُو حَفْصٍ بْنُ بُرْدٍ الْأَصْغَرُ - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - أَبُو مَرْوَانَ بْنُ حَيَّانٍ - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَزْلْيَانِي - أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ طَاهِرٍ - أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْقَصِيرَةِ - أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ الدَّبَّاحِ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْغَفُورٍ - أَبُو بَكْرِ صَفْوَانَ بْنُ إِدْرِيسٍ - ابْنُ مُبَشَّرٍ - ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ - أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الْحَكَمِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - أَبُو الْحَجَّاجِ ابْنُ عُتْبَةَ - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِي.

فَالَّذِي كَتَبَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ جَوَاباً⁽¹⁾:

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تُعَنِّفُنِي فِيهِ بِتَرْوِيحِي مَوْلَاتِي وَتَزَعُمُ أَنَّ لِي فِي قُرَيْشٍ مَنْ [أَمَجَدُ بِهِ فِي الصُّبْهِ]⁽²⁾ وَأَسْتَنْجِدُ بِهِ الْوَلَدَ وَلَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْتَقَى فِي مَجْدٍ وَلَا بَعْدَهُ مُسْتَرَادٌّ فِي [شَرَفٍ]⁽³⁾ وَإِنَّمَا كَانَتْ يَدِي خَرَجَتْ مِنِّي إِلَى اللَّهِ بِأَمْرِ التَّمَسُّتِ بِهِ ثَوَابِهِ ثُمَّ ارْتَجَعْتُهَا عَلَى سُنَّتِهِ وَمَنْ كَانَ طَرِيقُهُ دِينُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ. فَلَيْسَ مُخَالِفُهُ [فِي أَمْرِ] مِنْ أَمْرِهِ وَقَدْ قَطَعَ⁽⁴⁾ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْإِسْلَامِ كُلَّ خَسِيسَةٍ وَإِنَّمَا كُلُّ نَقِيمَةٍ.

(1) الرسالة في زهر الآداب 1 / 63، نسبها للحسين بن علي وقد بعثها إلى معاوية بن أبي سفيان.

(2) خرم بالأصل.

(3) خرم بالأصل.

(4) خرم بالأصل، وفي زهر الآداب: «وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، ووضع عنها النقيصة، فلا لوم على امرئ إلا في أمر مأتَم وإِنَّمَا اللوم لوم الجاهلية».



وَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ وَقَدْ عَتَبَ عَلَيْهِ⁽¹⁾:

[أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَدَّتْ أَلْسِنَةُ التَّضَرُّيحِ إِلَى إِذْنِ الْعِنَايَةِ بِكَ مَا فَجَعَ الْأَمَلُ فِيكَ وَبَاعَدَ الرَّجَاءَ مِنْكَ، إِذْ مَلَأْتَ الْعُيُونَ بِهَجَّةٍ وَالْقُلُوبَ هَيْبَةً وَتَرَامْتَ إِلَيْكَ أَمَالَ الرَّاعِيَيْنِ⁽²⁾ وَهَمَمُ الْمُتَنَافِسِينَ وَسَحَبْتَ⁽³⁾ بِكَ فِتْيَانُ قُرَيْشٍ [وَكُفُّوا أَهْلَكَ فَمَا يَسُوعُ لَهُمْ ذِكْرُكَ إِلَّا عَلَى الْجَرَّةِ الْمَهُوَعَةِ وَالْكَظِّ الْجَشَنِ]⁽⁴⁾ اقْتَحَمْتَ الْبَوَائِقَ وَانْقَدْتَ لِلْمَعَايِرِ⁽⁵⁾ وَاعْتَضْتَهَا مِنْ سُمِّ الْفَضْلِ وَرَفِيعِ الْقَدْرِ فَلَيْتَكَ يَزِيدُ إِذْ كُنْتَ لَمْ تَكُنْ سُرُزْتَ يَافِعًا نَاشِئًا وَأَتَكَلَّتْ كَهَلًا ضَالِعًا. فَوَاحَزَنَاهُ عَلَيْكَ يَزِيدُ وَيَا حَرَّ قَلْبٍ⁽⁶⁾ الْمُثْكَلِ، بَلْ مَا أَشَمْتَ فِتْيَانُ بَنِي هَاشِمٍ، وَأَذَلَّ فِتْيَانُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ عِنْدَ تَفَاوُضِ الْمَفَاحِرِ وَدِرَاسَةِ الْمَنَاقِبِ. فَمَنْ لِيَصْلَحَ مَا أَفْسَدْتَ وَرَتَقَ مَا فَتَقْتَ؟ هَيْهَاتَ خَامَشَتِ الرِّزْيَةُ⁽⁷⁾ وَجْهَ الصَّبْرِ بِكَ وَأَبَتْ الْجِنَايَةَ إِلَّا تَحَدُّثًا⁽⁸⁾ عَلَى الْأَلْسُنِ وَحَلَاوَةً عَلَى الْمَنَاطِقِ، مَا أَرْبَحَ فَائِدَةً نَالُوهَا وَفُرْصَةً أَنْتَهَزُوهَا، أَنْتَبِهْ يَزِيدُ لِلْغَفْلَةِ⁽⁹⁾ وَشَاوِرِ الْفِكْرِ، وَلَا تَكُنِ الْمُوعِظَةُ إِلَى سَمْعِكَ أَسْرَعَ مِنْ مَعْنَاهَا إِلَى عَقْلِكَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي وَسَّوَسَهُ⁽¹⁰⁾ لَكَ الشَّيْطَانُ حَتَّى حَسُنَ عِنْدَكَ فَيُبْحَهُ وَاحْلُولِي لَكَ مُرَّةُ أَمْرٍ شَارَكَكَ فِيهِ [السُّوْقَةُ]⁽¹¹⁾ وَنَافَسَكَ بِهِ الْأَعْبُدُ، لَا لِأَثَرَةٍ تَدْعِيهَا أَوْ جَبْتَهَا لَكَ الْإِمْرَةَ أَضَعْتَ بِهَا مِنْ قَدْرِكَ وَأَمَكْنَتْ بِهَا مِنْ نَفْسِكَ فَكَأَنَّكَ شَانِي نَفْسِكَ، فَمَنْ لِهَذَا كُلِّهِ.

(1) الرسالة في صبح الأعشى 6/ 387-388 قال في تقديمها: «ومن ذلك ما كتب به معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد وقد بلغه مقارفته اللذات وانهماكه على الشهوات».

(2) خرم بالأصل وقد رمناه من صبح الأعشى.

(3) صبح الأعشى: وشحت.

(4) خرم بالأصل وقد رمناه من صبح الأعشى.

(5) صبح الأعشى: أما الأصل ففيه وانفدت المعايير.

(6) صبح الأعشى: صدره.

(7) صبح الأعشى: الدربة.

(8) صبح الأعشى: تحدرا.

(9) صبح الأعشى: للفضة.

(10) صبح الأعشى: «واعلم أن الذي وطأك وسوسة الشيطان وزخرفة السلطان مما حسن عندك قبحه».

(11) صبح الأعشى: السواد.



اعْلَمْ يَزِيدُ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ وَأَسِيرُ الْحَيَاةِ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ ⁽¹⁾ الْمَجَالِسَ ⁽²⁾
وَالْمَصَانِعَ وَالْمَلَاهِي وَالْمَزَامِيرَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ⁽³⁾ وَأَجْهَرْتَ بِالْفَاحِشَةِ حَتَّى اتَّخَذْتَ ⁽⁴⁾
سَرِيرَتَهَا عِنْدَكَ جَهْرًا.

اعْلَمْ يَا يَزِيدُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَسْلُبُكَ ⁽⁵⁾ الشُّكْرُ مَعْرِفَةُ مَوَاطِنِ الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ
الْمُتَّظَاهِرَةِ، وَالْآثَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَهِيَ الْجَرَحَةُ الْعُظْمَى وَالْفَجِيعَةُ ⁽⁶⁾ الْكُبْرَى، وَتَرْكُكَ
الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَهُوَ أَعْظَمُ مَا يُحَذَّرُ مِنْ آفَاتِهَا ⁽⁷⁾ ثُمَّ مَا يَتْلُوهَا مِنْ
اسْتِحْسَانِ الْعُيُوبِ، وَرُكُوبِ الذُّنُوبِ، وَإِظْهَارِ الْعَوْرَةِ وَإِبَاحَةِ السَّرِّ ⁽⁸⁾. لَا تَأْمَنُ نَفْسُكَ
عَلَى سِرِّكَ فَمَا خَيْرَ عَيْشٍ هَكَذَا ⁽⁹⁾. فَادْرَأْ عَنْ نَفْسِكَ، وَقَصِّرْ عَنْ فِعْلِكَ، فَمَا خَيْرُ لَذَّةٍ
تُعْقِبُ النَّدَمَ، وَتُعْفِي الْكَرَمَ. وَقَدْ تَوَقَّفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ شَطْرَيْنِ مِنْ أَمْرِكَ لَمَّا يَتَوَقَّعُهُ
مِنْ غَلْبَةِ الْآفَةِ، وَاسْتِهْلَاكِ الشَّهْوَةِ؛ فَكُنِ الْحَكَمَ عَلَى نَفْسِكَ، وَاجْعَلِ الْمَحْكُومَ إِلَيْهِ
ذِهْنَكَ تَرَشُّدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَلِيُبْلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَرُدُّ شَارِدًا مِنْ نَوْمِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ نُصَبُ
الْإِعْتِرَارِ ⁽¹⁰⁾ مِنْ كُلِّ مُؤَانِسٍ وَدَرِيئَةِ الْأَلْسُنِ الشَّامِتَةِ؛ وَفَقَكَ اللَّهُ فَأَخْسِنَ.

(1) صبح الأعشى: اتخذت.

(2) صبح الأعشى: المصانع والمجالس.

(3) سورة الشعراء، الآيتان: 128 - 129.

(4) بالأصل حتى تجد ولعل الصواب ما أثبتناه من صبح الأعشى.

(5) صبح الأعشى: سلبكه.

(6) صبح الأعشى: الفجعة.

(7) صبح الأعشى: وهو من أعظم ما يحدث من آملها.

(8) بالأصل إباحة السرقة. وقد أثبتنا ما في صبح الأعشى.

(9) صبح الأعشى: فلا تأمن نفسك على سرّك ولا تعقد على فعلك.

(10) صبح الأعشى: الاعتزال.



وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (1):

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَزَوَّجْتَ مَوْلَاتِكَ وَتَرَكْتَ (2) أَكْفَاءَكَ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ (3) مِمَّنْ [تَمَجَّدُ بِهِ] (4) فِي الصُّهْرِ وَتَسْتَنْجِبُهُ لِلْوَلَدِ فَلَا لِنَفْسِكَ نَظَرَتْ وَلَا عَلَى وَلَدِكَ أَبْقِيَتْ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ إِثْنَاءِ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ فَضْلُ مُعَاتَبَةٍ فِي حَبْسِ كِتَاب:

أَدَامَ اللَّهُ بَقَاءَكَ فِي كَنْفِ حِرْزِهِ وَحَاطَكَ بِحِرَاسَتِهِ وَوَفَّائَتِهِ. إِنَّ أَوَّلَ مَا يَظْهَرُ مِنَ الْحَاضِرِ بِشْرُهُ، وَمِنْ الْغَائِبِ كِتَابُهُ، وَقَدْ قَطَعْتَ كِتْبَكَ لِغَيْرِ مَا جُرْمَ كَانَ مِنَّا وَلَا إِسَاءَةَ أَوْجَبَتْ الْوَفَاءَ عَلَيْنَا، وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى مَا نَتَّقُ بِهِ مِنْ مَوَدَّتِكَ، بَسَطْنَا عُذْرَكَ، وَصَرَفْنَا إِلَى الْخَيْرِ أَمْرَكَ، إِذْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا بَسْطُ عُذْرِكَ عِنْدَ غَيْرِنَا، بَلْ لَهُ أَكْرَعُ عَلَيْكَ مِثْلَمَا أَكْرَعْنَا... صِحَّةَ مَوَدَّتِنَا وَخَالِصَ [وِدَادِنَا] (5) وَانْتِيَالِ أَسْبَابِ الْأَلْفَةِ بَيْنَنَا وَاللَّهُ يُبْقِي وَيُعِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ:

يَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْفِطْنَةِ وَالرَّقَّةِ..... عَلَى مَا اسْتَحَقَّهُ. وَكَانَ عَتْبُكَ أَبَقَاكَ اللَّهُ..... فِيهَا مِنْ وَلِيِّ مِثْلِكَ يُعَاتِبُهُ إِذَا عُتِبَ، وَيُجَازِيهِ إِذَا رَضِيَ أَوْ غَضِبَ، وَلَعَلَّ الدَّارَ تَجْمَعُنَا عَلَى الْحَالِ الَّتِي نَهْوَى وَنَتَمَنَّى فَنَقْضِي وَطَرْنَا.... وَتَجْمَعُ الْحُجَّةُ وَتَسْتَحْيِي الْعَيْنُ مِنَ الْعَيْنِ، وَبِاللَّهِ تَيْسِيرُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(1) الرسالة في زهر الآداب 1/ 63، وفي مقدمتها كتب ما يلي: «وكان لمعاوية عين بالمدينة يكتب إليه بما يكون من أمور الناس وقريش، فكتب إليه أن الحسين بن علي أعتق جارية له وتزوجها فكتب معاوية إلى الحسين». وهكذا نجد أن نسبة الرسالة لمعاوية في زهر الآداب بينما نسبت عند البلوي لعبد الملك بن مروان.

(2) في الأصل تزوجك وتركك.

(3) زهر الآداب: أكفاءك من قريش.

(4) خرم بالأصل. والتصويب من الزهر.

(5) خرم بالأصل.



وَلَهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْقَمِيِّ:

أَنْتَ -جُعِلْتُ فِدَاكَ- فَتَى الْعَسْكَرِ وَمَعْدِنُ [الْحَزْمِ] ⁽¹⁾ وَمَوْطِنُ الْأَدَبِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَاتُهُ، فَالْخُرُوجُ عَنْ مَوَدَّتِهِ خُمُولٌ، فَضْلاً عَنِ الدُّخُولِ فِيهَا، وَأَنَا وَأَنْتَ أَخَوَا مَوَدَّةٍ وَأُخُوَّةُ الْوُدِّ أَحْسَنُ مِنْ رَحِمِ الْقَرَابَةِ. وَلَيْسَتْ بَيْنَنَا إِحْنَةٌ، وَلَا بَيْنَنَا طَرِيقُ الْبَغْضَاءِ، فَكَيْفَ رَمَيْتَ -يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ- بِسَهَامِكَ أَمْ كَيْفَ امْتَحَنْتَ بَعْدَاوَتَكَ. وَمَنْ أَنْتَجَ تَشَرُّكَ مَعَ جَوْدَةِ طِبَاعِكَ وَرَجَاحَتِكَ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

بَلَى قَدْ تَهُبُّ الرِّيحُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا وَتَقْدَحُ فِي الْعُودِ الصَّحِيحِ الْقَوَادِحُ ⁽²⁾

وَهَذَا -جُعِلْتُ فِدَاكَ- إِنْ كَانَ نَهْيًا عَلَى الْقَصْدِ إِلَى صَدِيقِكَ، فَقَدْ دَخَلْتَ فِيمَا حَاوَلْتَ لِإِخْرَاجِي عَنْهُ بِالْقَصْدِ إِلَيَّ. وَمِثْلُكَ لَا يَنْهَى عَنْ خُلُقِي وَيَأْتِي مِثْلُهُ ⁽³⁾ وَالْقَائِلُ يَقُولُ:

فَدَعِ مَا لَمْ تَصَاحِبْهُ عَلَيْهِ فَعَارٌ أَنْ يُلُومَكَ مَنْ تُلُومُ ⁽⁴⁾

وَأَنَا -جُعِلْتُ فِدَاكَ- أَطْلُبُ إِلَيْكَ مَوَدَّتَكَ، وَأَبْسُطُ الْعُذْرَ فِي كَذِبِ نُؤْمِي إِلَيْكَ، وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ -جُعِلْتُ فِدَاكَ- فِي الْإِمْسَاكِ عَنِّي وَعَنْ تَهْجِينِي، بَلْ أَسْأَلُكَ تَرْكِتِي وَتَقْرِيطِي، إِذَا كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيَّ، بِالْحَقِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَقَدْ بَلَغَنِي مَا يَجْرِي فِي مَجْلِسِكَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَأَهْلِ الْكُذْبِ وَلَوْ حَضَرْتُكَ -وَحَيَاتِكَ الْعَزِيزَةَ عَلَيَّ- لَنَطَقْتُ وَصَمْتُ، وَلَسَبَقْتُ وَتَخَلَّفُوا، وَلَصَدَفْتُ وَكَذَّبُوا. وَلَوْ لَا مَا عَلِمْتَهُ مِنْ عُذْرِي لَمْ أُؤَخِّرْ إِيَّانَكَ، وَالْأَخْذَ بِحَظِّي مِنْ قُرْبِكَ، وَأَرْجُو أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ.

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) البيت من بحر الطويل.

(3) مقتبس من قول الشاعر المتوكل الليثي:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ
وَإِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَئَهَا عَنْ غِيهَا

انظر العقد الفريد 2/ 311 و 335.

(4) البيت من بحر الوافر.



وَمِنْ إِنْشَاءِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ مَرَّانٍ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ فِي ذَوِي قَرَابَتِهِ⁽¹⁾:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَرَفْتَ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَوِي أَرْحَامِهِ وَسُرْعَتَهُ إِلَيْهِمْ وَعَظْفَهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ أَحْسَنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ خَلِيفَةً مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ وَإِنْ عَمَرُوا بَنَ سَعِيدٍ قَدِمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَذَكَرَ لَهُ اسْتِهَاثَتَكَ بِحَقِّهِ وَسُوءَ أَذَاتِكَ لَهُ وَقِلَّةَ نَصِيْبِهِ مِنْكَ، فَسَاءَ ذَلِكَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَذَرِ مَا يَضَعُهُ مِنْكَ، وَكَرِهَ إِهْمَالَ عِتَابِكَ فِيهِ وَمَلَامَتَكَ عَلَيْهِ. وَكَانَ لَهُ بَلَاءٌ جَمِيلٌ فِي وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَظُنُّكَ تَجْهَلُهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَفَوْتُهُ بِشَيْءٍ عِلْمَتُهُ أَرَدْتَ مُكَافَأَتَهُ لَمْ يَصِلْ عِلْمُهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «...»⁽²⁾ بَيَّانٍ أَمْرَ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ وَلَمْ نَأْلُتْ جَفَوْتِكَ وَمَا دَعَاهُ إِلَى الاسْتِزَادَةِ مِنْكَ فَإِنَّ لَهُ قَرَابَةً قَرِيبَةً مَعَهَا بَلَاءٌ جَمِيلٌ وَطَاعَةٌ لَيْتَنِي لَمْ يُثَبِّ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا؛ وَقَدْ كَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَارَأَ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَاصِلًا لِأَهْلِ لُحْمَتِهِ وَقَرَابَتِهِ. فَأَوْصِلْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ حَالِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي امْتَنَعَصَ مِنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْكَرَهُ لَكَ وَمِنْكَ، فَإِنَّ الْحَالَ الَّتِي يُعَاتِبُكَ عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَالٌ يَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْكَ عَامًّا لِغَيْرِهِ مِنْ نُظَرَاءِ شَبَابِ قُرَيْشٍ، فَتَعْتَظُمَ بِهِ الْمُصِيبَةُ فِي طُولِ الْغَفْلَةِ مِنْكَ وَأَنْتَ عَيْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَفَنُ النَّاضِرِ لَهُ وَالْجَارِ إِلَيْهِ وَالْمُسْتَمِيلِ لِقُلُوبِ رَعِيَّتِهِ، وَهَذَا جُرْحُ أَمْرِهِ رَجِيبٌ رَغِيبٌ، وَعَيْنٌ عَقْدُهُ عَظِيمٌ، لَهُ مَحَلٌّ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ... لَأَنَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرْضَى لَكَ أَبَدًا أَمْرًا... تَكُونُ عَلَيْهِ [رق] وَجَمَاهِيرُ أُمُورِهَا؛ فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ بِأَنْ... وَأَجْمِلْ... فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَبْلَاكَ بِالْمُنَاصَحَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَلَغَ بِكَ مَدَى... الشَّيْمِ فِي الطَّاعَةِ، وَأَنْتَ بِالْحَقِّ وَالصَّدْقِ وَالطَّاعَةِ أَسْعَدُ وَلَدَيْهِ بِهِذِهِ أَجْزَلُ وَأَصْدَقُ، وَاللَّهُ يَسْأَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْدَلَ بِكَ إِلَى مَرَاشِدِ الْأُمُورِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ بِحَيْثُ مَا أَمَّلَ مِنْكَ وَرَجَاهُ فِيكَ؛ فَإِيَّاكَ وَاسْتِصْغَارَ أَحَدٍ مِنْ ذَوِي لُحْمَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا سِيَّمَا مَنْ حَسُنَتْ

(1) عمر بن هبيرة بن سعيد بن عدي الفزاري كان أميراً على الشام، وقد امتاز بشجاعته وبسالته. انظر الأعلام، 68/5.

(2) ليس في الأصل أي فراغ والكلام بدون فراغ أو كلمة منقطع.



نِيَّتُهُ وَصَحَّتْ بَصِيرَتُهُ فِيهِمْ، وَاسْتَعَيْنَ بِاللَّهِ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ أَرَدْتَهُ أَوْ تَنَاولْتَهُ، فَإِنَّ الرُّشْدَ بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ، وَلَا قُوَّةَ لَخَلْقِهِ إِلَّا بِهِ.

وَكَتَبَ إِلَى أَخٍ لَهُ⁽¹⁾:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةٍ⁽²⁾ الرَّأْيِ فِيكَ، ابْتَدَأْتَنِي بِاللُّطْفِ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ، ثُمَّ أَعَقَبَهُ مِنْكَ جَفَاءً بِغَيْرِ ذَنْبٍ، فَأَطْمَعَنِي أَوْلُكَ فِي لِقَائِكَ، وَأَيَّاسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ، وَأَعْلَقْتَ قَلْبِي مِنْ مِقَاتِكَ مَا وَلَهْتَ لَهُ نَفْسِي وَصَبْتُ إِلَيْهِ، فَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا سَهَّلْتَ بِي إِلَى الِاسْتِغْنَاءِ بِكَ، وَلَا رَأْيًا مُشْجِعًا لِي عَلَى قَطِيعَتِكَ، فَاغْتَبَ مِنْ كُتُبٍ، فَذُو الإِغْتَابِ مِنْ ذَنْبٍ كَمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ فِتْنَةُ الْخَلَةِ وَعَصَمْنَا وَإِيَّاكَ بِوَفَاءِ أَهْلِ الدِّينِ. وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ فِيمَا شَكَّنَتْهُ عَائِشَةُ امْرَأَتُهُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَكَ مِنْ خَلِيفَتِهِ وَمِنْ جَمِيعِ أُمَّتِهِ، بِمَكَانٍ يَحِقُّ عَلَيْكَ صَوْنُهُ، وَالْإِنْمَاءُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِيمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ وَلَايَةِ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مَنَزَلَةٌ، يَرْجُوهَا طَامِعٌ فِي فَضْلِ وَلَايَةِ عَهْدِ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، وَأَنْتَ مِنْهَا بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ، وَكَأَنَّ قَدْ اخْتَجَّ إِلَيْكَ الْمُسْلِمُونَ، وَأَنْتَ قَدْ ضَعُفْتَ عَنْ أَمْرِ نَفْسِكَ أَنْ تَسْتَصْلِحَ مِنْهَا تَقْوِيمَ أَمْرَاتِكَ وَمُدَارَاتِهَا، حَتَّى انْتَشَرَ عَنْكَ وَعَنْهَا بِسُوءِ الْمُدَارَاةِ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا لِصَاحِبِهِ أَمْرُكُمَا، وَهُنَّ النِّسَاءُ وَرَقَّتْهُنَّ وَضَعُفُ نَحَائِزِهِنَّ⁽³⁾ وَقَلَّةُ صَبْرِهِنَّ وَشِدَّةُ غَلَبَةِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِنَّ، ثُمَّ هُنَّ بَعْدَ ذَلِكَ مُعْوجَّاتٌ، يَمِيلُ بِهِنَّ بَعْضُ نَقْصِ الْأَرَاءِ وَسُوءِ الْمُدَارَاةِ وَوَهْيِ الْعُقُولِ، فَلَمْ تَعْتَزِمِ عَلَى الصَّبْرِ مُدَارِيًا لَهَا، وَلَمْ تَعْمَلِ بِالْحَزَمِ أَخِذًا بِهِ، وَكَانَتْ ابْنَةُ عَمِّكَ أَنْجَبَ وَلَدًا،

(1) نسبت الرسالة في البيان والتبيين 2/ 84 - 85، لعبد الله بن معاوية وكذلك في العقد الفريد 4/ 228، وزهر الآداب 1/ 84 - 85.

(2) قرأها الأستاذ إحسان عباس عزمة وبالأصل ما أثبتناه. وقد أورد الرسالة ضمن مؤلفه عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقى من رسائله، ص: 192.

(3) النحائز: جمع نحيزة وهي الطبيعة أو الجبلية. قال الأزهرى: نحيزة الرجل طبيعته.



وَأَشَدَّ تَحَنُّنًا وَأَوْلَى بِكَ، غَالِيَةً عَلَيْكَ أَوْ ذَاهِبَةً بِكَ، مِنْ عِلْجِ إِمَاءٍ غَيْرِ مَأْمُولَاتٍ وَلَا مَأْمُونَاتٍ، قَدْ وَلَدْتُهُنَّ أُمَّهَاتٌ غَيْرُ مُنْجِبَاتٍ وَلَا مُسْلِمَاتٍ، فَإِنْ أَدَّيْنِ مَا اسْتَوْدَعْنِ، نَزَعَ بِهِنَّ سُوءٌ مُشَابِهَ الْخُؤُولَةِ وَفُسُوَلَةِ الْأُصُولِ، وَإِنْ تَخَسَّرْتَ نِعْمَةً رَاجِعَةً، لَمْ تَنْزِعْ بِهِنَّ عُرُوقٌ فِي صَالِحٍ وَرَاثَةٍ يَسْكُنُ إِلَيْهِ وَلَدٌ وَيَنْزِلُ بِهِ أَحَدٌ، فَلَا تُؤْثِرُ عَلَى ابْنَةِ عَمِّكَ مَنْ لَا يُؤْتَمَنُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا فِي عَدٍ يُوثِقُ بِهِ، فَإِنَّ فِي لُطْفِهَا مِنْ مَحَاطِييِ الْبِرِّ، وَالزِّيَادَةِ فِي الصَّلَةِ وَالنَّمَاءِ فِي الْعَدَدِ، وَالرَّضَى لِلرَّبِّ، وَالْجَمَالِ فِي الدُّنْيَا، مَا يَرْجِعُ بِكَ الرُّشْدُ إِلَيْهِ، غَالِبًا لَكَ عَلَى الْغَوَايَةِ الْمُرْدِيَةِ وَالسَّيِّئِ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْوَتْعِ فِي الدِّينِ، وَاجْتِنَاءِ النَّذَالَةِ الْمَوْصُولَةِ بِخُمُولِ الْهَمَّةِ وَضَعَةِ الْمَنْزِلَةِ لَدَى الْجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ لَكَ أَهْلُ لَوْمٍ عَلَى التَّقْصِيرِ بِعَائِشَةَ ابْنَةِ هِشَامِ الَّتِي مَحَدَّهَا شَرِيفٌ، فَرَعُهَا فَرَعُكَ، وَأَصْلُهَا أَصْلُكَ، وَرِضَاهَا مِمَّا تَسْتَجِرُّ بِهِ رَضَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ، فَمَتَى تَسْتَخْلِفُ مِنَ الْحَزَمِ الْمَعْرُوضِ عَلَيْكَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْخِصَالِ الَّتِي زَيْنَكَ اللَّهُ بِهَا، إِنْ لَزِمَتْهَا مُؤَثِّرَاتُهَا وَعَمِلْتَ بِهَا رَاغِبًا فِيهَا، فَقَدْ كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَائِشَةَ يُعَلِّمُهَا مَبْلَغَ غَضَبِهَا مِنْهُ فِي الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِ، وَأَنَّكَ فِي شُعْبَةٍ مِنْ سُخْطِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا سَخَطْتَ عَلَيْكَ، مَقْرُونًا رِضَاهَا عَنْكَ بِرِضَايَ إِذَا رَضِيتَ، فَاخْتَلِ لِنَفْسِكَ، مِنْ مَوْجِدَةٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ أَنْتَ غَفَلْتَ أَوْ أَمَلْتَ غَفْلَتِي عَنْهَا وَعَنْكَ، لَمْ يَأْتِكَ إِلَّا نَازِلٌ بِكَ مِنْ غَضَبِي عَلَيْكَ يَسْتَلْبُ (1) مِنْكَ جَمِيعَ مَا فِي يَدَيْكَ بِقَوْلِهَا، فَتَكُونُ هِيَ الْحَاكِمَةَ فِيهِنَّ مَا أَحَبَّتْ عَلَى كُرْهِكَ، بِرَغْمِكَ أَوْ بِرِضَاكَ ... أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ... مِنَ الْمَخَافِ وَتَنْجُو مِنْ الْمَعَاطِبِ ... يَا مُلُّ أَنْ يُوفَّقَكَ [اللَّهُ] لِلْخَيْرِ وَالسَّلَامِ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْفَضْلِ [ابْنِ الْعَمِيدِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّيْبِيِّ] (2):

وَصَلَّ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ عَهْدٍ بِانْطِلَاقٍ مِنْ عَنَتِ الْفِرَاقِ، [وَأَوْقَفَنِي مُسْتَرَبِّحَ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَانِحِ مِنْ حَرِّ الْاِسْتِيقَاقِ] (3) فَإِنَّ الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ الْمَأْلُوفِ فِي

(1) قرأها الدكتور إحسان عباس «يسلب».

(2) الرسالة وردت في زهر الآداب 3/ 875-876.

(3) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.



تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ، وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي [تَبْدِيلِ الْأَبْدَالِ] ⁽¹⁾ وَأَعْتَقَنِي مِنْ مَخَالَاتِكَ عِتْقًا لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَاءَ، وَأَبْرَأَنِي مِنْ عَهْدَتِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرَكًَا وَلَا اسْتِثْنَاءَ، وَنَزَعَ مِنْ عُنْقِي رِبْقَةَ الذُّلِّ فِي إِخَائِكَ بِيَدَيِ جَفَائِكَ، وَرَشَّ عَلَيَّ مَا كَانَ يَخْتَدِمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ الشُّوقِ مَاءَ السُّلُوءِ، وَشَنَّ عَلَيَّ مَا كَانَ يَلْتَهَبُ فِي صَدْرِي مِنْ الْوَجْدِ مَاءَ الْيَأْسِ، وَمَسَحَ أَغْشَارَ قَلْبِي ⁽²⁾، فَلَأَمَ فُطُورَهَا بِجَمِيلِ الصَّبْرِ، وَشَعَبَ أَفْلَازَ كِبْدِي، فَلَا حَمَّ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ الْعَزَاءِ، وَتَغَلَّغَلَ بِمَسَالِكِ أَنْفَاسِي، فَعَوَّضَ نَفْسِي مِنَ النَّزَاعِ إِلَيْكَ نَزُوعًا عَنْكَ، وَمِنْ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ، وَكَشَفَ عَنْ عَيْنِي ضَبَابَاتِ مَا أَلْقَاهُ الْهَوَى عَلَى بَصْرِي، وَرَفَعَ عَنْهَا غِيَابَاتِ مَا سَدَلَهُ الشُّكُّ دُونَ نَظْرِي، حَتَّى حَذَرَ النِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شَيْمِكَ، وَسَفَّرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ؛ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا مُنْكَرًا، وَلَمْ أَلْقِ إِلَّا مُسْتَكْبِرًا، فَوَلَّيْتُ مِنْهَا فِرَارًا وَمَلَأْتُ رُغْبًا ⁽³⁾ فَاذْهَبْ فَقَدْ أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ، وَرَدَدْتُ إِلَيْكَ ذَمِيمًا عَهْدَكَ.

وَفِي فُضْلِ مِنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ:

وَأَمَّا عُذْرُكَ الَّذِي رُمْتَ بِسُطْطِهِ فَاَنْقَبَضَ، وَحَاوَلْتَ تَقْرِيرَهُ وَتَمْهِيدَهُ ⁽⁴⁾ فَاسْتَوْفَزَ وَأَعْرَضَ، وَرَفَعْتَ بِضْبَعِهِ فَاَنْخَفَضَ، فَقَدْ وَرَدَ وَلَقِيْتُهُ بِوَجْهِ مَنْ يُؤْتِرُ قَبُولُهُ عَلَى رَدِّهِ، وَتَزَكَّيْتَهُ عَلَى جُرْحِهِ، فَلَمْ يَفِ بِمَا بَدَلَهُ لَكَ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَقُمْ عِنْدَ ظَنِّكَ بِهِ. فَأَنَّى وَقَدْ عَطَى ⁽⁵⁾ التَّدْمُومَ وَجْهَهُ، وَلَفَّ الْحَيَاءَ رَأْسَهُ، وَعَضَّ الْخَجَلَ طَرْفَهُ، فَلَمْ يَتِمَكَّنْ ⁽⁶⁾ مِنْ

(1) حرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(2) أعشار القلب انقسامه إلى أجزاء عشرة من فرط الوجد، قال الشاعر:

وَمَا دَرَكْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ

انظر شرح المعلقات، ص: 49، وديوان امرؤ القيس.

(3) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ إِبْطَلْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلِيَّتَ مِنْهُمْ وَرَارًا وَلَمْ يَلِيَّتْ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾. سورة الكهف، الآية: 18.

(4) الزهر: وحاولت تمهيد وتقريره.

(5) مقتبس من قول الشاعر عروة بن أذينة: «عَطَى هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي».

(6) الزهر: تتمكن.



اسْتِكْشَافِهِ، وَوَلَّى فَلَمْ يَفْذَرْ عَلَى إِيقَافِهِ. وَمَضَى يَغْتَرُّ فِي فُضُولِ مَا يَغْشَاهُ مِنْ كَرْبٍ، حَتَّى سَقَطَ فَقُلْنَا: لِلْيَدَيْنِ ⁽¹⁾ وَلِلْفَمِ ⁽²⁾، ثُمَّ أَمَرْتُ بِمُطَالَعَةِ مَا صَحَبَهُ فَلَمْ أَجِدْهُ إِلَّا تَابَّطَ شَرًّا ⁽³⁾، أَوْ تَحَمَّلَ وَزْرًا.

وَلَهُ إِلَيْهِ مِنْ رِسَالَةٍ ⁽⁴⁾:

أَنَا أَخَاطِبُ الشَّيْخَ سَيِّدِي -أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ- مُخَاطَبَةً مُخْرَجَ يَرُومُ التَّرْوِيحِ عَنْ قَلْبِهِ، وَيَزِيغُ التَّفْرِيحِ مِنْ كَرْبِهِ، وَأَكَاتِيهِ مَكَاتِبَهُ مَصْدُورٍ يُرِيدُ أَنْ يَنْفُثَ بِبَعْضِ مَا بِهِ، وَيُخَفِّفَ بِالشُّكْوَى ⁽⁵⁾ مِنْ أَوْصَابِهِ ⁽⁶⁾، وَلَوْ بَقِيَتْ فِي التَّصَبُّرِ بَقِيَّةٌ لَسَكْتُ، وَلَوْ وَجَدْتُ فِي أَثْنَاءِ وَجْدِي فُرْجَةً يَتَخَلَّلُهَا تَجَلُّدٌ لَأَمْسَكْتُ؛ فَقَدِيمًا لِبَسْتِ الصَّدِيقِ عَلَى عِلَاتِهِ، وَصَفَحْتُ لَهُ عَنْ هَنَاتِهِ ⁽⁷⁾، وَلَكِنِّي مَغْلُوبٌ عَلَى الْعَزَاءِ، وَمَأْخُوذٌ عَنْ عَادَتِي فِي الْإِغْضَاءِ، فَقَدْ سَأَلَ ⁽⁸⁾ عَلَيَّ مِنْ جَفَائِكَ مَا تَرَكَ اخْتِمَالِي جُفَاءً ⁽⁹⁾، وَذَهَبَ فِي نَفْسِي مِنْ ظُلْمِكَ مَا انْتَسَفَ ⁽¹⁰⁾ حَلْمِي فَجَعَلَهُ هَبَاءً ⁽¹¹⁾، وَتَوَالَى عَلَيَّ مِنْ قُبْحِ فِعْلِكَ فِي هَجْرِ يَسْتَمِرُّ عَلَى نَسَقٍ، وَصَدُّ مُطَرِّدٍ مُتَسِقٍ، مَا لَوْ فُضَّ عَلَى الْوَرَى، وَأُفِضَّ عَلَى الْبَشْرِ لَامْتَلَأَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَصَافَتْ مِنْهُ صُدُورُهُمْ. فَهَلْ أَقْدِرُ عَلَى أَلَّا أَقُولَ، وَهَلْ أُمْلِكُ أَلَّا أَعَاتِبَ، وَهَلْ أَشْكُوكَ إِلَى الدَّهْرِ حَلِيفَكَ عَلَى الْإِضْرَارِ، وَعَقِيدَكَ عَلَى الْإِفْسَادِ، وَأَشْكُوهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ كُنْتُمْ

(1) الزهر: لليد.

(2) قوله: لليدين وللغم: مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان. مجمع الأمثال: 207 / 2.

(3) فيه إشارة إلى شاعر جاهلي يلقب بهذا اللقب وهو ثابت بن جابر كان من الشعراء البؤساء، انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص: 229، الأغاني 21 / 149، ومصادر أخرى.

(4) الرسالة وردت في زهر الآداب 3 / 877.

(5) الزهر: الشكوى.

(6) الأوصاب: الآتعب والمشقات.

(7) الهنات: الأخطاء والزلات التي يرتكبها الفرد.

(8) الزهر: فقد سل من جفائك.

(9) الجفاء: النبو والتباعد.

(10) الزهر: انزف.

(11) الهباء: الغبار المتطاير.



فِي قَطِيعَةِ الصَّدِيقِ، رَضِيعِي لَبَانٍ، وَفِي اسْتِيطَاءِ مَرْكَبِ الْعُقُوقِ شَرِيكِي عِيَانٍ، فَإِنَّهُ قَاصِرٌ عَنْكَ فِي دَقَائِقِ مُخْتَرَعَةٍ، أَنْتَ فِيهَا نَسِيجٌ وَخَدِكُ، وَقَاعِدٌ عَمَّا تَقُومُ بِهِ مِنْ لَطَائِفِ مُبْتَدَعَةٍ، أَنْتَ فِيهَا وَحِيدُ عَصْرِكَ، وَأَنْتُمْ مُتَّفِقَانِ فِي ظَاهِرِ يَسْرِ النَّاطِرِ، وَبَاطِنِ يَسْوءِ الْخَاطِرِ⁽¹⁾، وَفِي تَبَدُّلِ الْأَبْدَالِ، وَالتَّحَوُّلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَفِي بَثِّ حَبَائِلِ الزُّورِ، وَنَضْبِ أَشْرَاكِ الْغُرُورِ، وَفِي خَلْفِ الْمَوْعُودِ وَالرُّجُوعِ فِي الْمَوْهُوبِ، وَفِي فَطَاعَةِ اهْتِصَامِ مَا يُعِيرُ، وَشِنَاعَةِ اِزْتِجَاعِ مَا يَمْنَحُ، وَقَصْدِ مُشَارَةِ الْأَخْرَارِ، وَالتَّحَايِلِ عَلَى ذَوِي الْأَخْطَارِ، وَفِي تَكْذِيبِ الظُّنُونِ، وَالْمِيلِ عَلَى [النَّبَاهَةِ]⁽²⁾ لِلْخُمُولِ، إِلَى كَثِيرٍ مِنْ شِيَمِكُمَا الَّتِي أُسْنِدْتُمَا إِلَيْهَا، وَسَتَّكُمَا الَّتِي [تَعَاقَدْتُمَا عَلَيْهَا، فَأَيْنَ هُوَ مِمَّنْ لَا يُجَارَى فِيهِ نَقْضُ عَرَى الْعُهُودِ وَنَكَثُ قَوَى الْعُقُودِ؟]⁽³⁾. وَأَنْتَى هُوَ عَنِ النَّمِيمَةِ وَالْغِيْبَةِ، وَمَشِي الضَّرَاءِ فِي الْغِيْلَةِ، وَالتَّنْفِقِ بِالنَّفَاقِ فِي الْحِيلَةِ؛ وَأَيْنَ هُوَ مِمَّنْ ادَّعَى ضُرُوبَ الْبَاطِلِ، وَالتَّحَلِّيَ بِمَا هُوَ مِنْهُ عَاطِلٌ، وَتَنَقَّصَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَفَاضِلِ، هَذَا إِلَى كَثِيرٍ مِنْ مَسَاوِ مَنُورَةٍ أَنْتَ نَاطِمُهَا، وَمَخَازٍ مُتَفَرِّقَةٍ أَنْتَ جَامِعُهَا، [أَنْتَ أَيْدَكَ اللَّهُ إِنْ سَوَّيْتَهُ بِنَفْسِكَ، وَوَزَنْتَهُ بِوِزْنِكَ]⁽⁴⁾ أَظْلَمُ مِنْهُ لَذَوِيهِ، وَأَعْقَى مِنْهُ لَبْنِيهِ، وَهَبَكَ عَلَى الْجُمْلَةِ [قَدْ زَعَمْتَ - مُفْتَرِيًا عَلَيْهِ - أَنَّهُ أَشَدُّ مِنْكَ قُدْرَةً]⁽⁵⁾ وَأَعْظَمُ بَسْطَةً وَأَنْتُمْ مَضَرَّةٌ⁽⁶⁾ وَأَطْلَقُ فِي الْإِسَاءَةِ، وَأَمْضَى فِي كُلِّ نِكَايَةٍ شَبَابَةٍ، وَأَحَدٌ فِي كُلِّ عَامِلَةٍ شِدَادَةٍ، وَأَغْبَنُ فِي كُلِّ مَكْرُوهِ مُتَغَلَّغًا، وَالْطَّفُ⁽⁷⁾ إِلَى كُلِّ مَخْذُورٍ مُتَوَصِّلًا، وَإِنَّ الدَّهْرَ الَّذِي لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ لِمَنْ يَجْزَعُ⁽⁸⁾، وَإِنَّ الْعُتْبَى مِنْكَ مَأْمُولَةٌ،

(1) الزهر: الخابر.

(2) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(3) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(4) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(5) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(6) الزهر: نصرة.

(7) الزهر: وألف.

(8) فيه إشارة إلى أبي ذؤيب الهذلي وهو يرثي أبناءه بقصيدة يقول فيها:

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْهِ تَوَجُّعٌ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَن يَجْزَعُ

انظر العقد الفريد 3/ 253.



وَمِنْ جِهَتِكَ مَرْقُوبَةً، وَهِنَهَاتٍ! فَهَلْ تَوَهَّمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَا رُوحٍ وَجُثْمَانٍ، مُصَوَّرًا فِي صُورَةِ
إِنْسَانٍ، ثُمَّ كَاتَبْتُهُ أَسْتَغْفِرُهُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَأَسْتَغْفِرِيهِ مِنَ الْهَجْرِ، وَأَذْكُرُهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ،
وَأَسْتَمْلِيهِ⁽¹⁾ إِلَى رِعَايَةِ الْمَقَّةِ، وَأَسْتَغْدِيهِ⁽²⁾ عَلَى مَا أَشَاعَهُ الْفِرَاقُ فِي نَفْسِي مِنَ اللَّوْعَةِ،
وَأَضْرِبُهُ بِالْبَعَادِ فِي صَدْرِي مِنَ الْحُرْقَةِ، أَكَّانَ يَسْتَحْسِنُ مَا اسْتَحْسَنْتُهُ مِنَ الْاضْطِرَابِ عِنْدَ
جَوَابِي، وَيَسْتَجِيزُ مَا اسْتَجَزْتُهُ مِنَ الْاسْتِخْفَافِ بِكِتَابِي.

وَلَهُ فَضْلٌ مِنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ وَقَدْ ذَكَرَ دَعَوَاهُ فِي الْعُلُومِ⁽³⁾:

وَهَبَكَ أَفْلَاطُونُ⁽⁴⁾ نَفْسُهُ فَأَيَّنَ مَا سَنَنْتُهُ فِي السِّيَاسَةِ، فَقَدْ قَرَأْتَاهُ، أَتَجِدُ فِيهِ إِزْشَادًا إِلَى
قَطِيعَةِ صَدِيقٍ، وَأَحْسَبُكَ أَرْسَاطًا لَيْسَ⁽⁵⁾ بَعَيْنِهِ، أَيَّنَ مَا رَسَمْتُهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ؟ فَقَدْ
رَأَيْتَاهُ فَلَمْ نَرِ فِيهِ هِدَايَةً إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعُقُوقِ، وَأَمَّا الْهِنْدَسَةُ فَإِنَّهَا بَاحِثَةٌ عَنِ الْمَقَادِيرِ،
وَلَكِنْ يَغْرِفُهَا إِلَّا مَنْ جَهَلَ مِقْدَارَ نَفْسِهِ، وَقَدَرَ الْحَقَّ عَلَيْهِ وَلَهُ؛ وَبَلَى لَكَ فِي رُؤْسَاءِ
الْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ مَنَادِيحٌ وَمُضْطَرَبٌ؛ وَلَسْنَا نَشَاحُكَ فِي ذَلِكَ، لَكِنَّهُ يُتَحَقَّقُ مِنَ الْغَرِيبِ،
بِالْغَرِيبِ مِنَ الْقَوْلِ دُونَ الْغَرِيبِ مِنَ الْفِعْلِ؛ فَقَدْ أَغْرَقْتَ فِي الذَّهَابِ بِنَفْسِكَ إِلَى حَيْثُ
لَا تَهْتَدِي لِلرُّجُوعِ عَنْهُ. وَأَمَّا النَّحْوُ فَلَمْ تُدْفَعْ عَنْ حَذْقٍ فِيهِ، وَبَصِيرَةٍ بِهِ، وَقَدْ اخْتَصَرْتَهُ
أَوْجَزَ اخْتِصَارٍ، وَسَهَّلْتَ سَبِيلَ تَعَلُّمِهِ عَلَى مَنْ يَجْعَلُكَ قُدُوءَةً، وَيَرْضَى بِكَ أُسُوءَةً،
فَقُلْتُ: الْغَدْرُ وَالْبَاطِلُ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَرْفُوعٌ، وَالصَّدْقُ وَالْحَقُّ وَمَا صَاحِبُهُمَا،
وَالْعَدْلُ وَالْوَفَاءُ وَصَاحِبُهُمَا مَخْفُوضٌ، وَقَدْ نُصِبَ الصَّدِيقُ عِنْدَكَ، وَلَكِنْ غَرَضًا
يُزْشَقُ بِسَهَامِ الْغِيْبَةِ، وَعَلَمًا يَقْصَدُ بِالْوَقِيعَةِ، وَلَسْتُ بِالْعَرُوضِ ذَا لَهْجَةٍ فَأَعْرِفَ قَدْرَ
حَذْقِكَ فِيهِ، إِلَّا أَنِّي لَا أَرَاكَ تَتَعَرَّضُ لِكَامِلٍ وَلَا وَافِرٍ، وَلَكِنَّكَ سَحَبْتَ فِي بَحْرِ الْمُجْتَنِّ
حَتَّى تَخْرُجَ مِنْهُ إِلَى شَطِّ الْمُتَقَارِبِ.

(1) الزهر: وأستملي به.

(2) الزهر: وأستعد على.

(3) الرسالة وردت في زهر الآداب 3/ 878.

(4) فيلسوف يوناني مشهور له كتاب «الجمهورية».

(5) فيلسوف يوناني مشهور.



وَفِي فَضْلِ مِنْهَا:

وَهَبْنِي سَكَتٌ لِدَعْوَاكَ سُكُوتٌ مُتَعَجِّبٌ، وَرَضِيْتُ رِضَى مُتَسَخِّطٍ، أَيْزَى الْفَضْلِ
اجْتِدَابَكَ بِأَهْدَابِهِ، مِنْ يَدَيَّ أَهْلِيهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَحْسَبُكَ لَمْ تُزَاجِمْ خِطَابَهُ، حَتَّى عَرَفْتَ
ذِلَّةَ نَفَرِهِ وَقِلَّةَ نَصَرِهِ، فَاصْذُقْنِي هَلْ أُنْشِدُكَ:

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهُمَا ضُرَجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بَدَمٍ⁽¹⁾

وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حُلَى تَصَدَّيْتُ لَهُ، وَأَنْتَ لَوْ تَتَوَجَّعْتَ بِالثُرَيَّا وَتَقْلَدْتَ قِلَادَةَ الْفَلَكَ،
وَتَمْنَطُكَ بِمِنْطَقَةِ الْجَوَازِءِ، وَتَوَشَّحْتَ بِالْمَجَرَّةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَطْلًا، وَلَوْ تَوَشَّحْتَ
بِأَنْوَارِ الرَّيِّعِ الزَّاهِرِ، وَسَرَّجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَذْرِ الْبَاهِرِ، مَا كُنْتَ إِلَّا غُفْلًا⁽²⁾، لَا
سِيَّما مَعَ قِلَّةٍ وَفَائِكَ، وَضَعْفِ إِخَائِكَ، وَظُلْمَةٍ مَا تَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ خِصَالِكَ، وَتَرَائِكُمْ
الدُّجَى عَلَى ضَلَالِكَ، وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا أَعَزَّتْكَ مِنْ وَدِّي، وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةٍ مَنَدَمٌ، بَعْدَ
إِفْتَائِي الزَّمَانِ فِي ابْتِلَائِكَ، وَتَصَفُّحِي حَالَاتِ الدَّهْرِ فِي اخْتِيَارِكَ، وَبَعْدَ تَضْيِيعِي مَا
غَرَسْتُهُ، وَنَقْضِي مَا أَسَّسْتُهُ، فَإِنَّ الْوِدَادَ غَرَسٌ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرَى ثَرِيًّا، وَجَوْأَ غَذِيًّا،
وَمَاءَ رَوِيًّا لَمْ يُرَجْ زَكَوُّهُ، وَلَمْ يَجِرْ نَمَاؤُهُ، وَلَمْ تَفْتَحْ أَزْهَارُهُ، وَلَمْ تُجْنِ ثِمَارُهُ، وَلَيْتَ
شِعْرِي كَيْفَ مَلَكَ الضَّلَالُ قِيَادِي حَتَّى أَشْكَلَ عَلَيَّ مَا يَحْتَاجُ الْمَمْزُوجَانَ وَلَا يَسْتَغْنِي
عَنْهُ الْمُتَأَلِّفَانِ [وَهُمَا مُمَارَجَةٌ طَبْعٌ، وَمُوَافَقَةٌ شَكْلٌ وَخَلْقٌ، وَمُطَابَقَةٌ خِيَمٌ⁽³⁾ وَخُلُقٌ، وَمَا
وَصَلَّتْنَا]⁽⁴⁾ حَالٌ تَجْمَعُنَا عَلَى الْإِتِّلَافِ، وَتَحْمِينَا⁽⁵⁾ مِنَ الْإِخْتِلَافِ، [وَنَحْنُ فِي طَرْفِي

(1) البيت من بحر المنسرح: وهو لمهلهل بن ربيعة أخي كليب بن ربيعة وقبله قوله:

أَنكَحَهَا فَقَدَّمَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ، وَكَانَ الْجِبَاءُ مِنْ أَدَمَ

وأبانان: جيلان وهما الأبيض والأسود؛ فالأول يوجد في بني فزارة والثاني لبني والبة بن الحارث بن
ثعلبة. انظر الشعر والشعراء 1/ 117، الروض المعطار، ص: 7.

(2) الزهر: عطلا.

(3) الخيم: بالكسر الطباع والسجايا.

(4) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(5) الزهر: وحمطنا.



ضِدَّيْنِ⁽¹⁾ وَبَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ، وَإِذَا حَصَلَتِ الْأَمْرَ وَجَدْتَ أَقْلَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْبَعَادِ،
[أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ الْوَهَادِ وَالنَّجَادِ، وَأَبْعَدَ]⁽²⁾ مِمَّا بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، وَأَيْسَرُ مَا بَيْنَنَا مِنَ النَّفَارِ
أَقْلَ مَا بَيْنَنَا مِنَ النَّضَارِ، وَأَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ⁽³⁾، وَالْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ.

وَمِنْ إِنْشَاءٍ بَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِي [إِلَى رَجُلٍ وَلِيٍّ الْأَشْرَافِ]⁽⁴⁾:

فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - مِنْ أَمْرِ فُلَانٍ أَنَّهُ وَلِيُّ الْأَشْرَافِ، وَإِنْ يَصْدُقِ
الطَّيْرُ يَكُنْ إِنْشِرَافًا عَلَى الْهَلَاكِ، بِأَيْدِي الْأَتْرَاكِ، فَلَا تَحْزُنْكَ وَلَا يَتُّهُ، فَالْحَبْلُ لَا يُزْرَمُ إِلَّا
لِلْقَتْلِ، وَلَا تُعْجِبُكَ خِلْعَتُهُ فَالْتَوُرُ لَا يُزَيَّنُ إِلَّا لِلْقَتْلِ، وَلَا يَرْعَكَ نِفَاقُهُ، فَأَرْخُصْ مَا يَكُونُ
النَّقْطُ إِذَا عَلَا، وَأَسْفَلَ مَا يَكُونُ الْأَرْزَبُ إِذَا عَلَا، وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ شَنَّ عَلَيْهِ جِرَانُ الْعَوْدِ⁽⁵⁾،
شَنَّ الْمَطَرِ الْجَوْدِ، وَقَيَّدَ لَهُ مَرْكَبُ الْفَجَّارِ، مِنْ مَرْبِطِ التَّجَارِ، وَإِنَّمَا جُرَّ لَهُ الْحَبْلُ، لِيُصْفَعَ
كَمَا صُفِعَ مِنْ قَبْلُ، وَتَسْتَعُوذُ تِلْكَ الْحَالَةُ إِحَالَةً، وَيَنْقَلِبُ ذَلِكَ الْحَبْلُ حِبَالَهُ، فَلَا تَحْسَدِ
الذَّيْبَ عَلَى الْإِلَاحَةِ يُعْطَاهَا طُعْمَةً، وَلَا تَحْسِبِ الْحَبَّ يُنْثَرُ لِلْعُصْفُورِ نِعْمَةً، وَهَبَهُ وَلِّي
إِمَارَةً مَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ أَلَيْسَ مَرْجِعُهُ ذَلِكَ الْعَقْلُ، وَمَصِيرُهُ ذَلِكَ الْفَضْلُ، وَمَنْصِبُهُ ذَلِكَ
الْأَصْلُ، وَعَصَارَتُهُ ذَلِكَ النُّسْلُ، وَقَعِيدَتُهُ تِلْكَ الْأَهْلُ، وَقَوْلُهُ ذَلِكَ الْقَوْلُ، وَفِعْلُهُ ذَلِكَ
الْفِعْلُ، فَكَانَ مَاذَا؟ أَلَيْسَ قَدْ سَلِبَ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ⁽⁶⁾، وَمَا عَدِمَ أَكْثَرَ⁽⁷⁾ مِمَّا غَنِمَ، مَا لَكَ
تَنْظُرُ إِلَى ظَاهِرِهِ وَتَعْمَى عَنْ بَاطِنِهِ؟ أَكَانَ يُعْجِبُكَ أَنْ تَكُونَ قَعِيدَتُهُ فِي بَيْتِكَ، وَبَغْلَتُهُ مِنْ

(1) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(2) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(3) خرم بالأصل ولعلها (وأيسر ما بيننا من النفار أكثر مما بين الليل والنهار وأقل مما بين النضار).

(4) الرسالة توجد في: رسائل بديع الزمان، ص: 85، زهر الأدب 3/ 887 - 888، وقد قدم لها بقوله:

«وكتب إلى بعض إخوانه في أمر رجل ولي الأشراف».

(5) جران العود: مقدم عنقه من مذبحة إلى منحرة، وقد لقب به بعض الشعراء العرب من قبيلة نيمر وهو

عامر بن الحارث بن كلفة وذلك لقوله يخاطب امرأته:

خُذَا حَذْرًا، يَا جَارَتِي فَلِئَنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ يَكَادُ يَصْلُحُ

انظر ترجمة جران العود في الشعر والشعراء 2/ 605، خزنة الأدب 4/ 197.

(6) الزهر: أوتي.

(7) الزهر: أوفر.



مِنْ تَحِيَّتِكَ، أَمْ كَانَ يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ أَخْلَافُهُ فِي إِهَابِكَ، وَبَوَابُهُ عَلَى بَابِكَ، أَمْ كُنْتَ تَوَدُّ أَنْ تَكُونَ وَجَعَاؤُهُ فِي إِزَارِكَ، وَغِلْمَانُهُ فِي دَارِكَ، أَمْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ فِي مَرْبِطِكَ أَفْرَاسُهُ، وَعَلَيْكَ لِبَاسُهُ، وَرَأْسُكَ رَأْسُهُ؟ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا عِنْدَكَ خَيْرٌ مِمَّا عِنْدَهُ؛ فَاشْكُرِ اللَّهَ وَحْدَهُ عَلَى مَا آتَاكَ، وَاحْمَدُهُ عَلَى مَا أَعْطَاكَ ثُمَّ أَنْشَدَ:

إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الرَّاضِي بِعَيْشَتِهِ لَا مَنْ يَظُلُّ عَلَى الْأَقْدَارِ مُكْتَبِبًا⁽¹⁾

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْخَطَّابِ قِطْعَةً مِنْ رِسَالَةٍ أَجَابَ بِهَا الصَّابِي عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ سَابُورِ الْمُسْتَخْرَجِ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ رُقْعَةٍ وَرَدَتْ مِنْهُ فِي صِفَةِ حَمَلٍ أَهْدَاهُ⁽²⁾:

وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ، فَفَضَضْتُهَا عَنْ خَطِّ مُشْرِقٍ، وَلَفَظْتُ مُونِقٍ، وَعِبَارَةَ مُصِيبَةٍ، وَمَعَانَ غَرِيبَةٍ، وَاتَّسَاعَ فِي الْبَلَاغَةِ يَعْجِزُ عَنْهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ فِي كِتَابَتِهِ⁽³⁾، وَسَحْبَانَ⁽⁴⁾ فِي خَطَابَتِهِ، وَتَصَرُّفٍ بَيْنَ جَدِّ أَمْضَى مِنَ الْقَدَرِ، وَهَزَلٍ أَرْقَ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ، وَتَقَلُّبٍ فِي وُجُوهِ الْخِطَابِ، الْجَامِعِ لِلصَّوَابِ. إِلَّا أَنَّ الْفِعْلَ قَصَرَ عَنِ الْقَوْلِ، لِأَنَّكَ ذَكَرْتَ حَمَلًا، جَعَلْتَهُ بِصِفَتِكَ جَمَلًا، فَكَانَ الْمُعِيدِي تَسْمَعُ بِهِ لَا أَنْ تَرَاهُ⁽⁵⁾. وَحَضَرَ فَرَأَيْتُ كَبْشًا مُتَقَادِمَ الْمِيلَادِ، مِنْ نَتَاجِ قَوْمِ عَادٍ⁽⁶⁾، قَدْ أَفْتَتَهُ الدَّهْوَرُ، وَتَعَاقَبَتْ عَلَيْهِ الْعُصُورُ، فَظَنَنْتُهُ إِحْدَى الزَّوْجَيْنِ اللَّذَيْنِ جَعَلَهُمَا نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ⁽⁷⁾ وَحَفِظَ بِهِمَا جِنْسَ الْغَنَمِ لِذُرِّيَّتِهِ، صَغُرَ عَنِ الْكِبَرِ، وَلَطَفَ عَنِ الْقَدَمِ، فَبَاطَتْ ذِمَامَتُهُ، وَقَصُرَتْ قَامَتُهُ، وَعَادَ نَاحِلًا ضَيِّلًا، بِأَلْيَا هَزِيلًا، بِأَدْيِ السَّقَامِ، عَارِي الْعِظَامِ، جَامِعًا لِلْمَعَايِبِ، مُشْتَمِلًا عَلَى الْمَثَالِبِ، يَعْجَبُ

- (1) البيت من بحر البسيط، انظر روضة العقلاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص: 131.
- (2) الرسالة وردت في زهر الآداب 1/ 147، نهاية الأرب 10/ 128، نور الطرف ونور الطرف للحصري، ص: 371-372 وهي أطول مما هنا.
- (3) يقصد به عبد الحميد الكاتب وقد سبق أن عرفنا به.
- (4) سحبان وائل: خطيب عربي مشهور بفصاحته وبيانه.
- (5) مثل عربي مشهور يقولون فيه: «تسمع بالمعدي خير من أن تراه». انظر مجمع الأمثال.
- (6) عاد: قبيلة وهم قوم هود. وعاد الأولى هم الذين ينتسبون إلى عاد بن عاديا بن سام بن نوح الذين أهلكهم الله. وأما عاد الأخيرة فهم بنو تميم.
- (7) الزوجان الاثنان من جنس أوغيره قال تعالى: ﴿فُلْنَا إِخْمِلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾. سورة هود، الآية: 40.



العاقِلُ مِنْ حُلُولِ الْحَيَاةِ بِهِ، وَتَأْتِي الْحَرَكَةُ فِيهِ، إِنَّهُ عَظُمُ مُجَلَّدٌ، وَصُوفُ مُلَبَّدٌ، لَا تَجْدُ فَوْقَ عِظَامِهِ سَلْبًا، وَلَا تُلْفِي يَدُكَ مِنْهُ إِلَّا خَشْبًا، لَوْ أُلْقِيَ إِلَى السَّبْعِ لَأَبَاهُ، وَلَوْ طُرِحَ لِلذَّبِّ لَعَافَهُ وَقَلَاهُ، قَدْ طَالَ لِلْكَلا فَقْدُهُ وَبَعْدُ بِالْمَرْعَى عَهْدُهُ؛ لَمْ يَرِ الْقَتِّ إِلَّا نَائِمًا، وَلَا عَرَفَ الشَّعِيرَ إِلَّا حَالِمًا.

ومن إنشاء العبد كافي⁽¹⁾:

وَصَلَ كِتَابُكَ فَرَأَيْتُكَ قَدْ حَلَيْتُهُ بِزَخَارِفِ أَوْصَافِكَ، وَأَخْلَيْتُهُ مِنْ حَقَائِقِ إِنْصَافِكَ، وَكَثَّرْتَ فِيهِ الْإِنْجِيَاءَ عَلَى خَضَمِكَ، فِي غَيْرِ بُرْهَانٍ أَتَيْتَ بِهِ عَلَى ادِّعَائِكَ وَزَعْمِكَ، وَقَابَلْتَ مَا اجْتَهَدْنَا فِي الْأُمْنِيَةِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْإِبَانَةِ لَكَ عَنْهُ فِي الْحُجَّةِ بِفِظَاطَةٍ اسْتَعْمَلْتَهَا، وَغِلْظَةٍ جَرَّدْتَهَا، وَتَرْهِيْبٍ وَتَهْيِيْبٍ قَدْ مَتَّهَمًا، وَإِعَادٍ وَتَهْدِيْدٍ أَثْبَتْتَهُمَا، وَمَصَارِعَ بَغْيٍ خَوْفَتْنَاهُمَا، وَعَوَاقِبَ عَدَاءٍ وَظَلَمٍ حَذَرْتَنَاهُمَا، وَسَتَقُولُ فِي جَوَابِ كُلِّ بَابٍ مِنْهُمَا بِمَا [إِنْ قَصَّرَ]⁽²⁾ عَنْ غَرَضِنَا فِي الْإِنْتِفَاعِ، بَلَّغَ لَنَا مُرَادَنَا مِنَ الْإِفْهَامِ وَالْإِحْتِجَاجِ. وَبِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِنَا نَسْتَعِينُ وَعَلَيْهِ فِيهَا نَعْتَمِدُ وَنَتَوَكَّلُ.

وَلَهُ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْخِلَافِ:

وَإِنْ فَلَانًا كَانَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِنَا، أَعْتَقَ رَقَّةً إِنْعَامُنَا، وَنَوَّهَ بِذِكْرِهِ إِكْرَامُنَا، وَشَرَفِهِ وَلَاؤُنَا، وَحَسَنَ عِنْدَهُ بِلَاؤُنَا [وَأَفْتَنِينَا لَهُ الْأَمْوَالُ]⁽³⁾، وَسَيَّبَنَا لَهُ الْأَعْمَالَ، وَأَوْطَانًا عَقِبَهُ الرِّجَالُ، فَلَمْ تَقَعْ النِّعْمَةُ مِنْهُ عِنْدَ شَاكِرٍ، وَالصَّنِيعَةُ عِنْدَ مُحْتَمَلٍ. فَلَمَّا رَفَعَ اللَّهُ بِمَكَانِنَا خَسِيسَتَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنْ شَرَفِ الذِّكْرِ، وَبَبَاهَةِ الْقَدْرِ، وَانْبِسَاطِ الْيَدِ، مَا كَانَتْ هِمَّتُهُ تَعْجِزُ عَنْهُ، وَأَمَالُهُ تَقْصُرُ [دَرْكَاً لَهُ]⁽⁴⁾ أَشْرُهُ⁽⁵⁾ ذَلِكَ وَأَبْطَرُهُ⁽⁶⁾، وَأَطْغَاهُ وَأَخْقَرَهُ، فَاخْتَالَ ذَاهِبًا

(1) هو أبو الخطاب العبد كافي وقد سبق التعريف به.

(2) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) أشر: بطر وتاه معجبا بنفسه وثروته.

(6) أبطر: طغى بالنعمة وتجبر بها.



وَاسْتَكْبَرَ عَلَيَّا، وَغَدَرَ بَاقِيًّا، وَسَاقَ عَاصِيًّا، وَأَوْضَعَ فِي الْفِتْنَةِ لَنَا حَرْبًا، وَلَأَعْدَائِنَا حَرْبًا، لِمَنْ يَنْحَرِفُ عَنَّا يَدًّا، وَلِمَنْ مَالَ إِلَيْنَا صَدًّا، عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ أَوْجَبَهُ وَلَا أَمْرٍ دَعَا إِلَيْهِ فَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْغَابِي﴾ (1) وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ (2). فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْخَبَرُ بِمَا هَيَّا اللَّهُ لَنَا مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْفُسْطَاطِ (3) عَلَى الْحَالِ السَّارَةِ لِأَوْلِيَانَا، الْقَاتِلِ لِأَعْدَائِنَا، سُقِطَ فِي يَدَيْهِ، وَفَكَّرَ فِي غَلِيظِ جُرْمِهِ وَجَنَائِثِهِ، فَأَدَاهُ الْخَوْفُ الَّذِي اسْتَشْعَرَهُ، وَالْإِشْفَاقُ الَّذِي خَامَرَهُ، إِلَى أَنْ يَرْكَبَ عَظِيمًا مِنَ [الذَّنْبِ] (4) وَكَاشَفَ بِالْمَعْصِيَةِ ... أَعْدَاءَ نِعَمَتِنَا ... ذَوِي الْعَدَاوَةِ لَنَا. وَتَرَجُّو بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَمَا لَمْ يَزَلْ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ- يُجْرِيهِ عِنْدَنَا مِنْ جَمِيلِ عَادَاتِهِ...

وَمِنْ إِنْشَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ مُكْرَمٍ (5):

قَدْ عَاتَبْتُكَ حَتَّى بَدَأَ لِي أَنَّ الْعِتَابَ يَلْجُكَ وَيُغْرِيكَ، وَاحْتِمَالَهُمَا يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكَ وَإِذَا ذَلِكَ يُفْسِدُكَ وَيُطْغِيكَ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ الصَّدِيقِ عَلَيَّ أَنْ أُرْكَبِي لَهُ نَفْسِي إِلَّا فِيمَا يَعْرِفُ فِيهِ فَضِيلَتِي، وَيُوجِبُ عَلَيْهِ شُكْرِي، وَخَاتِمَةُ الْاِعْتِذَارِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ صِدْقِي إِيَّاكَ عَمَّا عِنْدِي، فَإِنَّكَ لَا تَحْدُثُ لَكَ نَشْوَةَ إِلَّا حَدَّثْتَ لِي عَنْكَ سَلَوَةً، وَلَا يَزِدَادُ أَمَلِي فِي إِيَابَتِكَ ضَعْفًا إِلَّا أَزْدَادَتْ نِيَّتِي فِي قَطِيعَتِكَ قُوَّةً وَإِنِّي لَا أَقْبُلُ الْعُتْبَى وَلَا أَخْتَارُ الْمُرَاجَعَةَ حَتَّى يُسَلِّمَنِي الْيَأْسُ مِنْكَ إِلَى الْعَزَاءِ عَنْكَ، فَإِنْ تَنَزَّعَ فَبَصْفَحْ لَا تَثْرِبَ فِيهِ [وَأِنْ تَمَادَيْتَ] (6) فَبِهَجْرَانٍ لَا وَضَلَ بَعْدَهُ؛ وَالسَّلَامُ.

(1) سورة العلق، الآية: 6-7.

(2) سورة الشورى، الآية: 25.

(3) الفسطاط: اسم لمصر القديمة سميت بفسطاط عمرو بن العاص، الروض المعطار، ص: 441.

(4) خرم بالأصل.

(5) كاتب له أخبار مع أبي العيناء وأبي علي البصير كان وزيراً للمعتز، معجم الشعراء، ص: 396، الوافي بالوفيات 53/5.

(6) خرم بالأصل.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ رَشِيقٍ:

إِلَى الْقُمْطِيشَةِ بَيْرْ جُلُونَةَ: أَمَّا بَعْدُ: لَا غَيْرَ اللَّهُ إِلَّا عَلَى مَنْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ، فَإِنَّكَ قَدْ تَعْلَمِينَ أَنِّي لَا أَحْتَاجُ فِيكَ وَفِي بَلَدِكَ وَرِجَالِكَ إِلَيَّ مَنْ يُخْبِرُنِي، وَلَا أَضْطَرُّ فِي خُلْفِكَ وَطَمَعِكَ وَخِدَاعِكَ إِلَيَّ مَنْ يُعَرِّفُنِي، وَقَدْ حَسَنِي عَلَى احْتِمَالِكَ، وَوَقَفَنِي عَلَى صِحَّةِ خَبَالِكَ، عَهْدٌ كَانَ بَيْنَنَا، أَرَدْتُ إِلَّا أَجْبِرُهُ، وَذِمَامٌ نَوَيْتُ إِلَّا أَغْدِرُهُ، وَقَدَّرْتُ أَنَّكَ مَنْ تَرَيْنَ لِي حَقًّا لَا تَرَاهُ لِعِغْرِي. حَتَّى رَأَيْتُكَ قَدْ اسْتَعْمَلْتَنِي فِي مَا غَلَبَ عَلَيْكَ مِنْ شَرِّ مُعَامَلَتِكَ، وَجَعَلْتَنِي مِمَّنْ تَأْكُلُ وَتَمْطُلُ، حَتَّى مَرَّ بِي عَامَانِ، وَبَدَّدْتَ عَلَيَّ عَظِيمًا مِنَ الْمَالِ.

وَكِتَابِي هَذَا، مُنَابَذَةٌ لَكَ، وَنَذِيرٌ يَقْطَعُ الْيَدَ مِنْكَ، وَقَدْ اخْتَسَبْتُ أَهْلِي عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَلَوْتُ عَنْهُمْ بِالْإِنْصَافِ مِمَّنْ جَنَى عَلَيَّ، وَانْتَهَاكَ حُرْمَةً مِنْ مَدِّ يَدَا إِلَيَّ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ لَنْ لَمْ تَقْطَعِي شُغْلَكَ كُلَّهُ لِشُغْلِي، وَتَتَجَرَّدِي لِجَمِيعِ أَهْلِي وَوَلَدِي، وَتَكْفِيهِمْ لِي بِمَالِكَ، لِأُبَدِّدَنَّ عَدَدَكَ، وَأَهْتِكَنَّ بَلَدَكَ، وَلَا جَعَلَنَّ الْخَوْفَ شِعَارَكَ، وَالتَّرَقُّبَ دِنَارَكَ، وَلَا أَعْرِفَنَّكَ مِنِّي بِمَا تَجَاهَلْتِ عَنْ عِلْمِهِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. فَتَأْهَبِي لِذَلِكَ كَيْفَ شِئْتِ، فَلَسْتُ مِمَّنْ يَأْتِيكَ سِرًّا، وَلَا مِمَّنْ يَهَابُكَ جَهْرًا، وَاسْتَعْلِمِينَ كَيْفَ عَوَاقِبُ الْاسْتِخْلَافِ، وَالتَّنَكُّبِ عَنْ طَرِيقِ الْإِنْصَافِ، وَتَعْلَمِينَ مَا بَيْنَ الْعَافِيَةِ وَالْبَلَاءِ، وَبَيْنَ الْهُدْنَةِ وَالْفِتْنَةِ، وَتَعْلَمِينَ لِأَيِّ مَعْنَى أَعْرَضْتُ عَنْكَ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا بَيَاضُ يَوْمٍ وَسَوَادُ لَيْلَةٍ، وَقَطَعْتُ الْبَحَارَ وَالْأَكَامَ إِلَى غَيْرِكَ. وَحَسْبِيَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْفَلِبُونَ﴾⁽¹⁾ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي حَفْصِ ابْنِ بُرْدِ الْأَصْغَرِ⁽²⁾:

أَظْلَمَ لِي جَوْ صَفَائِكَ، وَتَوَعَّرْتُ عَلَيَّ أَرْضُ إِخَائِكَ، وَأَرَاكَ جَلَدَ الضَّمِيرِ عَلَى الْعِتَابِ، غَيْرَ نَاقِعِ الْغَلَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَقْصَى بِهِجَةً ذَلِكَ الْوُدَّ⁽³⁾

(1) سورة الشعراء، الآية: 226.

(2) سبق التعريف به في (ص: 154)، الرسالة في الذخيرة 1/ 501، المغرب في حلى المغرب 1/ 88.

(3) الذخيرة أفسى مهجة ذلك الود.



وَأَذْبَلْ زَهْرَ ذَلِكَ الْعَهْدِ؟ عَهْدِي بِكَ، وَصِلْتُنَا تَفَرُّقُ⁽¹⁾ مِنْ اسْمِ الْقَطِيعَةِ، وَمَوَدَّتُنَا تَسْمُو عَنْ صِفَةِ الْعِتَابِ وَنَسَبَةِ الْجَفَاءِ، وَالْيَوْمَ هِيَ آتُسُ بِذَلِكَ مِنَ الرَّضِيعِ بِالثَّدْيِ، وَالْخَلِيعِ بِالْكَاسِ وَهَذِهِ تُغَرَّةٌ [إِنْ لَمْ تَحْرُسْهَا الْمُرَاجِعَةُ وَتُذْكَ فِيهَا عُيُونُ الْأَسْتِصَارِ]⁽²⁾ تَوَجَّهَتْ مِنْهَا الْحَيْلُ عَلَى هَذِمِ مَا بَيْنَنَا، وَنَقُضِ مَا اقْتَنَيْنَا، وَتِلْكَ نَاعِيَةُ الصَّفَاءِ، وَالصَّارِخَةُ بِمَوْتِ الْإِخَاءِ.

لَا أَسْتَبِدُّ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنَ الْكِتَابِ إِلَيْكَ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الْقَلَمِ، وَانْزَوَتْ أَحْشَاءُ الْقِرْطَاسِ، وَأُخْرِسَ فَمُ التَّفَكُّرِ⁽³⁾ فَلَمْ يَبْقَ فِي أَحَدِهَا إِسْعَافٌ لِي⁽⁴⁾ عَلَى مُكَاتَبَتِكَ، وَلَا بَسَاشَةٌ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ مُخَاطَبَتِكَ، لِقَوَارِصِ عِتَابِكَ، وَقَوَارِعِ مَلَامِكَ، الَّتِي قَدْ أَكَلْتُ أَقْلَامَكَ، وَأَغَضَّتْ كُتُبَكَ، وَأَضْجَرَتْ رُسُلَكَ، [وَضَمِيرِي طَاوٍ لَمْ يَطْعَمْ تَجَنُّبًا عَلَيْكَ، وَنَفْسِي وَإِدْعَةً]⁽⁵⁾ لَمْ تَجْنِ ذَنْبًا إِلَيْكَ، وَعَقْدِي مُسْتَحْكَمٌ لَمْ يَمْسُسْهُ وَهْنٌ فِيكَ، وَأَنَا [الآن عَلَى طَرَفٍ مِنْ إِخَائِكَ مَعَكَ، فِيمَا أَنْ تَبْهَرَنِي⁽⁶⁾ بِحُجَّةٍ فَاتَنْصَلَّ عَنْكَ، وَإِمَّا أَنْ تَفِيءَ⁽⁷⁾ بِحَقِيقَةِ فَاسْتِدِيمِ خُلَّتِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَأْزِمَ⁽⁸⁾ عَلَى فَاسِكَ، فَاقْطَعْ حَبْلِي مِنْكَ، كَثِيرًا مَا يَكُونُ عِتَابُ الْمُتَصَافِينَ حِيلَةً تُسَبِّرُ الْمَوَدَّةَ بِهَا، وَتُسْتَارُ دَفَائِنُ الْأُخُوَّةِ عَنْهَا، كَمَا يُعْرَضُ الذَّهَبُ عَلَى اللَّهَبِ، وَتُصَفَّقُ⁽⁹⁾ الْمُدَامُ بِالْفِدَامِ⁽¹⁰⁾، وَقَدْ يَخْلُصُ الْوُدُّ عَلَى الْعَتَبِ خَلَاصَ الذَّهَبِ [عَلَى السَّبَكِ]⁽¹¹⁾ فَاَمَّا إِذَا أُعِيدَ وَأُبْدِيَ، وَرُدَّدَ وَوُولِيَ، فَإِنَّهُ يُفْسِدُ غَرَسَ الْإِخَاءِ، كَمَا يُفْسِدُ الزَّرْعُ تَوَالِي الْمَاءِ.

(1) الفرق: الخوف وتفرق تخاف.

(2) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(3) الذخيرة: الفكر.

(4) الذخيرة: إسعاف.

(5) خرم بالأصل. والتصويب من الذخيرة.

(6) الذخيرة: أن تدلي.

(7) الذخيرة: أن تنبئ.

(8) يقال أزم الفرس على فأس اللجام بمعنى قبض.

(9) يقال: صَفَّقَ وَصَفَّقَ الْقَدَحَ حَوْلَهُ مِنْ دُنَى دُنَى وَمَلَأَهُ.

(10) الفدام: المصفاة التي تستعمل في تصفية الخمر.

(11) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.



وَلَهُ⁽¹⁾:

خَلَيْتُ عَنْهُ يَدِي، وَخَلَدْتُ قِلَاهُ خَلْدِي، بِيضُ الْأَنْوَقِ⁽²⁾ مِنْ رَفْدِهِ أَمْكُنُ وَصَفَا
الْمُشَقَّرِ مِنْ خَدِّهِ أَلَيْنُ، مَنْزُورُ النَّوَالِ، رَثُّ الْفَعَالِ، أَحَادِيثُ وَعْدِهِ لَا تَعُودُ بِنَفْعٍ، وَلَا
هِيَ مِنْ غَرْبٍ وَلَا تَبْعٍ، مُطَخَلَبُ الْوَجْهِ، مُهَرَّاقُ مَاءِ الْحَيَاءِ، مُظْلِمُ الْخَلْقِ، دُبُورِي
الرَّيْحِ، مُقَشَّعُ الْوَجْهِ، طَاشَتْ عِنْدَهُ الصَّنِيعَةُ، وَضَاعَتْ فِيهِ الْيَدُ، عَلَى وَجْهِهِ مِنْ
التَّغْيِيسِ قُفْلٌ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ، وَلَيْلٌ مَاتَ صَبَاحُهُ، غَنِيٌّ مِنَ الْجَهْلِ، مُفْلِسٌ مِنَ الْعَقْلِ،
تَضَاعُلُ النِّعَمُ لَدَيْهِ، وَتَقْبُحُ مَحَاسِنُ الْإِحْسَانِ عَلَيْهِ، لَمْ تُنْظَمْ⁽³⁾ عَلَيْهِ قَطُّ خَرَزَ ثَنَاءٍ⁽⁴⁾،
وَلَا اسْتَحَقَّ أَنْ يَلْبَسَ بَزَّةَ مَدِيحٍ، غَزْبَالُ حَدِيثٍ، كُلَّمَا أَجَالَ قَدْحًا كَانَ غَيْرَ فَائِزٍ أَوْ رَمَى
سَهْمًا جَاءَهُ غَيْرُ صَائِبٍ، كَبِدُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ قَاسِيَةٌ، وَنِعْمُ اللَّهِ لَهُ نَاسِيَةٌ، شَرُّ بُقْعَةٍ لِعُغْرَسِ
الْمُودَةِ وَبَذَرِ الْإِحْيَاءِ، قَصِيرُ عُمْرِ الْوَفَاءِ لِلْإِخْوَانِ، عَوْنٌ عَلَيْهِمْ مَعَ الزَّمَانِ، هُوَ كَدَرُ
الدُّنْيَا وَسَقَمُ الْحَيَاةِ مُرَبِّ لِلْأَطْفَالِ الْإِخْنِ، مُخَيِّ لَأَمْوَاتِ الدَّمَنِ، رَقَدْتُ مِلءَ عَيْنِي
فِي فَرْشِ الْقَلَى لَهُ، وَشَرِبْتُ زُلَّالَ مَاءِ الْعَزَاءِ عَنْهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ⁽⁵⁾ مِنْ رُقْعَةٍ خَاطَبَ بِهَا ابْنَهُ إِذْ تَوَجَّهَ إِلَى
الْغَرْبِ وَقَدْ بَلَغَهُ خَلْعُ عَذَارِهِ فِي الْبِطَالَةِ وَالشَّرْبِ:

فَارَا يَا بُنَيَّ مَنْ اسْتَشَعَرَ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَاسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى⁽⁶⁾، وَاعْتَصَمَ بِحَبْلِ
الْقَنَاقَةِ وَالرِّضَا، وَتَحَصَّنَ بِالْعَفَافِ، وَتَبَلَّغَ بِالْكَفَافِ، وَلَمْ يَزَاحِمِ الْأَقْدَارَ، وَلَا غَالَبَ

(1) الرسالة: في الذخيرة 1/ 1- 504- 505، المغرب في حلى المغرب 1/ 89.

(2) في المثل العربي: «أعز من بيض الأنوق». والأنوق: الرحمة وعز بيضها أنه لا يظفر به والمعنى أن كرم
هذا: الشخص بعيد المنال قد يظفر الإنسان ببيض الأنوق ولا يظفر بكرمه. انظر مجمع الأمثال 2/ 44،
الزمخشري 1/ 245، العقد الفريد 3/ 73.

(3) الذخيرة: ينظم.

(4) المغرب: ذر.

(5) كاتب أندلسي كان كثير الهزل في نظمه ونثره سلك مسلك ابن حجاج العراقي، انظر ترجمته في
الذخيرة 1/ 1- 549، المغرب في حلى المغرب 1/ 134، مسالك الأبصار (نسخة باريز، ج: 11 ورقة
400). والرسالة توجد في الذخيرة.

(6) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾. سورة لقمان، الآية: 21.



اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَلَشَدَّ يَا بُنَيَّ مَا أَوْغَلْتَ فِي الْبِلَادِ، وَاسْتَوَطَأْتَ فِي غُرْبَتِكَ خُشُونَةَ الْمِهَادِ،
وَتَوَرَّطْتَ مُوحِشَ الْمَجَاهِلِ، وَتَوَرَّدْتَ آجِنٌ⁽¹⁾ الْمَنَاهِلِ:

تَجَاوَزْتَ فِي هَذَا وَذَلِكَ مَا بِهِ أُمِرْتَ وَلَمْ تَقْنَعْ مِنَ الْبُعْدِ بِالْذُّونِ
وَلَمْ تَتَذَكَّرْ شَوْقَ أُمِّ حَزِينَةٍ عَلَيْكَ وَشَيْخِ هَائِمِ الْقَلْبِ مَحْزُونِ
بِمَاذَا يَفِي هَذَا وَذَلِكَ لَوْ حَوَتْ يَمِينُكَ أَوْ حَارَتْ خَزَائِنُ قَارُونِ

فَأَخْبِرْنِي يَا تَاجِرَ الْبَحْرَيْنِ، وَسِمْسَارَ الْعِرَاقَيْنِ، وَدَلِيلَ الْحِجَازَيْنِ، وَخَرِيتَ الْفَلَاتَيْنِ،
وَابْنَ عَظِيمِ الْقَرَيَّتَيْنِ، أَتَعَسَّ بِكَ مِنْ خَرَّاجٍ وَلَاجٍ، مَاضٍ عَلَى السُّرَى وَالْإِذْلَاجِ، جَرِيٌّ
عَلَى اللَّيْلِ الدَّاجِ، كَالسَّرَاجِ الْوَهَّاجِ، وَالْعَارِضِ الثَّجَّاجِ، وَصَفَ لِي مَوْقِعَ الشَّمْسِ فِي
الْعَيْنِ الْحَمِيَّةِ، وَكَيْفَ كَانَ مَخْلُصُكَ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ الْوَبِيَّةِ، وَكَيْفَ رَأَيْتَ مَدِينَةَ يُوسُفَ
وَجَنَّةَ إِرَمَ، وَابْرُكَانَ الْمُؤَنَسَ وَجَزِيرَةَ الْغَنَمِ⁽²⁾، وَالزَّائِيَةَ وَصَخْرَةَ الْعُقَابِ، وَبَثْرَ الْهَازِيَةِ
وَكَيْسَةَ الْغُرَابِ⁽³⁾، وَهَوْلَ الْعُرْفِ، وَالْمَعْدِنَ وَذَلِكَ الْجُرْفِ، وَمَبِيضَ الْعَنْقَاءِ، وَالْفَلَاةَ
الْخَرْقَاءَ يَوْمَ الْبَلْقَاءِ، وَالثَّنِيَّةَ الْخُلُقَاءَ، وَمَرْسَى الزَّرْقَاءِ، وَإِيوَانَ كِسْرَى وَكَفَرْتُوْنَا⁽⁴⁾،
وَالْهَرَمَيْنِ وَالْمَنَارِ⁽⁵⁾، وَجَبَلَ الْلُكَّامِ⁽⁶⁾ وَالْغَارِ، وَغَانَةَ السُّودَانِ⁽⁷⁾، وَغَرَائِبَ الْبُلْدَانِ، وَفَيْفَاءَ
بَنِي تَمِيمٍ، وَالْكَهْفَ وَالرَّقِيمَ⁽⁸⁾ وَحَلَقَ وَادِي الْأَشْبُونَةِ، وَمَدِينَةَ جَبِيُونَةَ⁽⁹⁾.

(1) الإِجْنُ: الماء المتغير اللون والطعم.

(2) جزيرة الغنم: وردت عند الحميري أثناء حديثه عن أشبونة، حيث قال: «إن الفتيات المغرورين خرجوا إليها وهي تقع في جنوب بحر الظلمات»، الروض المعطار، ص: 61.

(3) انظر الروض المعطار، ص: 33.

(4) كفر توثا: من كور نصيبين من ديار ربيعة وهي مدينة مشهورة بآبارها العذبة، الروض المعطار، ص: 499.

(5) يقصد بالمنار منار الاسكندرية، انظر رحلة ابن جبير، ص: 41.

(6) جبل يقع قرب مدينة دمشق وقيل إنه لاصق بها، الروض المعطار، ص: 241.

(7) غانة من بلاد السودان بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين، البكري، ص: 174، صبح الأعشى، 284/5.

(8) قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾. وقد اختلف في تفسير الرقيم، انظر تفسير القرطبي.

(9) اختصر المؤلف الرسالة وبها زيادة في الذخيرة 1/1 - 550.



وفف فصل مفها:

وعلفك فف بففف بف الشجرة العافة واللبن، مف عففون ذوف الحسد والشنان، فافن مفك الحفة النضاض، وسلفك بن السلكة⁽¹⁾ والبراض⁽²⁾، أو ما سمعت أن السفر الطوفل، فرف حشفة البف إلى عوفف فنففل؟

صح عنفف أن العسل فف فللك العفة⁽³⁾ ممفن عفر عال، ومفحف عفر عال، ففناول إقامته وتركبه، وأففن صناعته وتربفه⁽⁴⁾، لقف نسفت فف بففف أن أبعث لك بنسفة فف فربب العسل المشروب، مطافة للمرغوب الفقففها مففماف عن فلان الففوفف كان انتخبها للمفصور بن أفف عامر [وأصحابه كعفسف بن سعفف⁽⁵⁾ وعفف الله بن مسلفة. ولكست بفمف الله ذوفهم، ففجابفك قف ظهرف، والذرة قف نذرف، ومخالف⁽⁶⁾ الشعوف طالعة، وآفات الفلاح ساطعة، كما سفف اللففف سلفما، وسفف عن طهر الإور قفما. كانت فللك النسفة فف طففها فف بففف عافة، وفف لذفها فهافة، ولكست ففم فف العفة عوصاف مفها، فابف عنفا فففر المال فف ففف⁽⁷⁾ ما هبط من الأففوف، وصفف على القفوف. ولقف صح عنفف [عنك بفف ذلك، والألمفف ذو فففم، ولا ففم هفا ففففا علفك، ولا كرامة، للفففطان الرففم.

(1) شاعر من بني كعب بن سعفف بن ففمناة، وهو من الشعراء الصعالفك، انظر الشعر والشعراء 281/1.

(2) البراض هو ابن قفس الكفافي وقف ذكر أبو فماف ففكفه ففال:

والففف مفن ففرفف اللفالف وفالفف كالحة النضاض
كل فوم له بفرف اللفالف ففكة مفل ففكة البراض

وفه قفل المفل العربف: «أفك من البراض». انظر ففوان أفف فماف، ص: 166، الكامل للمبرف 359/1، أما المفل فهو فف مفعم الأمثال للمففاني 332/1.

(3) الذخرة: فف فللك العفة.

(4) الرب: السلافة الفف فسفر من العنب.

(5) الففل والفكاملة: 2/5 - 494، فرفة 905.

(6) فم بالاصل والفصوب من الذخرة.

(7) الذخرة: فف بفف.



فَاشْرَبَ عَلَى وُدِّي وَقَمَّ صَافِنَا فَعَلَ الْمُحِبُّ الْوَامِقِ الذَّاكِرِ
وَلَا تَكُنْ تَشْرَبُ إِلَّا عَلَى حُسْنِ أَعَانِي خَلْفِ الزَّامِرِ
وَزِدْ جَفَاءَ لَا تَكُنْ نَاسِيَا فَهُوَ مِنَ الْمُسْتَطْرِفِ النَّادِرِ
وُخِذْ عَلَى الرِّيْقِ مِنْ أَسْبَابِهِ جُورِشِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ⁽¹⁾
حَتَّى تُرَى طَاوِي الْحَشَا قُرَّةَ عَيْنِ الشَّامِتِ السَّاخِرِ⁽²⁾
وَالْبَلَدُ بِكَثْرَةِ الصَّيْدِ مَوْسُومٌ، وَالْحُوثُ الطَّرِيُّ هُنَاكَ غَيْرُ مَعْدُومٌ، وَاللَّيْنُ⁽³⁾ جَارِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْمَدَارُ مُوَافِقٌ، وَالصَّاحِبُ مُشَاكِلٌ مُطَابِقٌ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي مَرَوَانَ ابْنِ حَيَّانَ⁽⁴⁾:

نُعِي إِلَيْنَا فَلَانٌ، وَكَانَ فِي غَفْلَتِهِ، وَبُعْدِ فِطْنَتِهِ، وَغَبَاوَةِ شَاهِدِهِ، وَفَجَاجَةِ سَمَائِلِهِ،
وَشَكَاسَةِ خَلَائِقِهِ، آيَةً مِنْ آيَاتِ خَالِقِهِ، مِنْ رَجُلٍ نَسَمَةُ رَبِّبٍ، وَقَرَارَةُ خَرْبٍ⁽⁵⁾ عَلَى
لِسَانِهِ نَمْلَةٌ تَدْبُ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ، لَا يُرَاعِي لِأَحَدٍ ذِمَّةً، فَصَارَ مَشْنُوءًا إِلَيْهِمْ مُرْهَقًا
فِي دِينِهِ مَخْرُومًا، لَمْ يَرْتَفِعْ لَهُ حَالٌ، وَلَا فَارَقَهُ إِفْلَاقٌ، وَلَا أُتِيحَ⁽⁶⁾ لَهُ مَرْفَقٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ
يَرْتَشِيهِ لِتَلْقَيْنِ خَصْمٍ أَوْ تَوْهِينِ عَقْدٍ أَوْ دَفْعِ حَقٍّ بِمُشَاغَبَةٍ أَوْ بَهْتٍ خَصْمٍ بِمُعَانَدَةٍ، لَهُ
فِي ذَلِكَ نَوَادِرُ مَحْفُوظَةٌ. وَكَانَ مَعَ هَذِهِ الْمَسَاوِي وَسِخَ الثِّيَابِ، ذَفَرُ الْمُرُوءَةِ، مَكْحَلٌ

(1) جوارش: نوع من الحلوات.

(2) الأبيات من بحر السريع.

(3) الذخيرة: «واللبرجا» انظر تعليق الدكتور إحسان عباس على هذه اللفظة.

(4) ابن حيان مؤرخ مشهور له كتاب المقتبس وقد حققت منه أجزاء وكتب عنه ملسور أنطونيه

MelchoR Antuña، رسالة جامعية، كما كتب عنه المستشرق الكبير غرسيه غومس Garcia Gamez

بحثا في مجلة الأندلس. وانظر مقدمة كتاب المقتبس الذي حققه الدكتور محمود مكي والبحوث التي

قدمت في ندوة ابن حيان بالرباط. والرسالة في الذخيرة 1/ 2 / 586-587.

(5) الذخيرة: حرب.

(6) الأصل: لولا.



الأطفور، وضر الطوق، داني العاط من المائدة، لا يتقذر شئنا البتة. وهو أول من
لا عن زوجه بالاندلس، فرأى الناس⁽¹⁾ العمل في اللعان بالعيان.
وله فصل⁽²⁾:

ونعي إلينا فلان، وكان مع ثروته مضاع الجار، منطول الغريم، عاتب الصديق،
مكرها إلى الأنام، معضوضا بأنياب الملام، مقدما في صدور الأمثال بسطة الرزق،
على ضيق الباع في العلم والفضل، والاتساع في الجهل، فلا يحفظ من الفقه مسألة،
ولا يؤت من الشروط عقدا، ولا يتخلص في التلاوة من سورة، ولا يفيض في الأدب
بيت شعر، ثم يأوي بجهله إلى حرج صدر وغالب نزيق الذبابة شراسة. سولت
له نفسه الجهول أنه قاضي لما ناسب الذكوة⁽³⁾ وأول من ظفر من قلائسهم بطويلة
فنبذ مسحة الفلاحة، وأعجبته نفسه الغراء⁽⁴⁾ فخال أنه إمام الأئمة، المسيطر⁽⁵⁾ على
الإمارة، فازتقى في الغي ذرى شاهی زلت منه قدمه، فهوى في الحضيض أسرع من
رقيه، غره ابن عمه الشهير البطالة، السفیه الماچن من رجل دد⁽⁶⁾ لم يكن قط من الجد
في صدر، ولا وزد، دن شراب، وثن صحاب⁽⁷⁾، دفترة الدف، وتسبيحه السخف،
وأنسه بكأس وقية، ودرسه بنميمة وغية، وقضمه لحوم الغافلين، ورأيه رأي
المستهزئين. إنما أربه بطنه وفرجه، وهمه عيته وخرجه، وبطائنه كل بطال ماچن،
ومافون عائب، يرصون منه بالكسرة والعرق، جري على تمزيق أهب الخلق،
يتجسسون له عن أخبارهم ويبدون إليه معايهم بها يعمر مجلسه وينفي ساعات كسله،

(1) الذخيرة: فأرى الناس، انظر تعليق الدكتور إحسان عباس على من أول من لاعن زوجه بالاندلس.

(2) الرسالة في الذخيرة 1/ 2 / 592 - 593.

(3) يقصد بهم أبناء ذكوان. انظر بحث الدكتور إحسان عباس الذي قدمه في ملتقى ابن حيان.

(4) الغراء: السوداء.

(5) الذخيرة: المستظهر.

(6) الدد: اللعب واللهو. جاء في الحديث: «ما أنا من دد ولا الدد مني».

(7) الذخيرة: «قحاب».



وَبِنَوَادِرِهَا يَهْزُ مَزْهَرُهُ وَيُرْسِلُ النَّقِيرَ عَلَيْهِ رِيَاخُ ضُلُوعِهِ، فَيَا لَكَ مِنْ شَوْقٍ وَلَا فَضْلٍ⁽¹⁾
وَارْهَامٍ مِنْ غَيْرِ هَطْلٍ يَقْطَعُ دَهْرَهُ بِتَعْمِيرِهِ الْمَوَائِدَ، وَتَعْطِيلِهِ الْمَسَاجِدَ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَزْزَلِيَّ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ زَارَهُ فَلَمْ يُوفِّهِ حَقَّهُ⁽²⁾:

[كُلَّفُ الْمُرُوءَةِ أَتَقَاكَ اللَّهُ صَعْبَةً إِلَّا عَلَى الْكِرَامِ، وَطَرَقَ الْجَفَاءَ رَحْبَةً لِسُلُوكٍ]⁽³⁾
اللَّثَامُ، وَالْأَحْمَقُ يَرَى الْبِرَّ خُسْرَانًا، وَيَعْتَقِدُ [إِكْرَامَ الْوَافِدِينَ نُقْصَانًا، فَيَمْنَحُ الْكَثِيرَ
مِنْ]⁽⁴⁾ عَرْضِهِ، وَيَمْنَعُ الْيَسِيرَ مِنْ عَرْضِهِ، وَيَلْبَسُ دِرْعًا وَهُوَ مَهْتُوكٌ بِالطَّغْنِ، وَيَجْعَلُ
الْكِبْرِيَاءَ رِذَاءً وَهُوَ مُطَرَّرٌ بِاللَّعْنِ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِذَاءُ اللَّهِ الَّذِي مَنْ جَادَبَهُ إِيَّاهُ قَصَمَهُ،
وَالْتَقَى حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ عَصَمَهُ. وَمَا يَتَكَبَّرُ مُتَكَبِّرٌ إِلَّا مِنْ جَهْلِهِ، وَعُجْبُ
الْمَرْءِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ، وَالْمُتَكَبِّرُ فِي النُّفُوسِ صَغِيرٌ، وَالْمُتَوَاضِعُ فِي الصُّدُورِ كَبِيرٌ،
وَالرَّفِيعُ مَنْ تَرَفَّعَ عَنِ الدَّنَاءَاتِ، وَالْوَضِيعُ مَنْ ادَّعَى لِنَفْسِهِ وَاجِبًا وَضِيعَ الْوَاجِبَاتِ.
وَجِئْتُكَ زَائِرًا، فَكَأَنِّي جِئْتُكَ آمِلًا، وَأَرَدْتُ مُصَافَحَتَكَ فَمَا مَدَدْتَ يَدًا، وَطَلَبْتُ
مُعَانَقَتَكَ فَخِلْتُكَ مُقْعَدًا، وَبَعْدَ أَنْ هَمَمْتُ بِالنُّهُوضِ أَقْعَدَكَ الْكَسَلَ، كَأَنَّكَ خُمُصَانَةٌ⁽⁵⁾
أَقْلَهَا الْكَسَلَ⁽⁶⁾، وَجَعَلْتَ تُشِيرُ بِالْحَاجِبِ وَتَلْوِي الشَّفَّةَ، وَتَدَّعِي بِالْجَهْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
مَعْرِفَةً. فَمَا كَانَ ضَرَّكَ حِينَ أَخْلَلْتَ، لَوْ أَجَلَلْتَ، وَمَا كَانَ يَسُوءُكَ حِينَ نَاطَرْتَ لَوْ
أَجْمَلْتَ، وَمَا كَانَ يَنْقُصُكَ حِينَ حَكَمْتَ لَوْ عَدَلْتَ، زَعَمْتَ أَنِّي أَخْطَأْتُ فِي كِتَابِ
«سَحْنِ الْوَجْهِ بِالْسَيْنِ»، وَطَمَسْتَ طَرَقَ الْمَخَارِجِ لِي وَهِيَ تَسْتَبِينُ، وَهَذِهِ اللُّغَةُ كُلُّهَا
قَدْ طَلَبْتُهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا «صَحْنَ الْوَجْهِ» بِالصَّادِ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَعِيرَ «صَحْنَ الدَّارِ»

(1) الذخيرة: فيا لك من شق بلا فصل.

(2) أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني. أصله من مألقة وفد على بني عباد وخدمهم ثم قتل على أيديهم.
انظر الذخيرة 1/ 2-624، والمصادر المذكورة هناك. والرسالة في 1/ 2-633.

(3) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(4) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(5) خمصانة: ضامرة البطن.

(6) في الذخيرة: «الكفل».



لِلْوَجْهِ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ أَجْعَلَ «السَّحْنَ» جَمْعَ سَخْنَةٍ وَهُوَ أَقْرَبُ وَأَعْرَفُ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّ الْأَكْثَرَ اتَّفَقُوا عَلَى كِتَابِهِ بِالصَّادِ، فَإِنَّ لِمِثْلِي أَنْ يَخْتَارَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا أَرَادَ. وَمَا أُبْرِي نَفْسِي⁽¹⁾ مِنْ زَلَّةٍ، وَلَا أَعْصِمُهَا مِنْ ظُهُورِ خَلَّةٍ، فَلَا أَدِيبُ يَجْعَلُ لِلْأَدِيبِ مَخْرَجًا، وَلَا يَجْعَلُ بَابَ الْعُذْرِ لَهُ مُرْتَجًا⁽²⁾.

وَفِي فَضْلِ مِنْهَا⁽³⁾:

وَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ تَنْسَبِنِي إِلَى الشَّعْوَذَةِ وَهِيَ حِصْنُكَ إِذَا غَلَبَتْ، وَتُلَحِّنَنِي فِي النُّطْقِ وَهِيَ عَادَتُكَ إِذَا كَتَبْتَ، وَلَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُهَا وَلَقَدْ جَهَلْتُهَا وَتَرَكْتُهَا وَمَا عَرَفْتُهَا وَكَمَا أَنَّ بَرَكَةَ الْأَشْجَارِ فِي الْأَنْوَارِ، فَكَذَلِكَ بَرَكَةُ الْأَدَبِ فِي الرِّسَالِ وَالْأَشْعَارِ، فَأَيْنَ رَسَائِلُكَ وَأَشْعَارُكَ، وَمُؤَلَّفَاتُكَ وَأَثَارُكَ؟ هِيَ هَاتِ هَيْهَاتَ: غَلَبَكَ عَلَى الْحَقِّ أَهْلُهُ، وَنَفَاكَ عَنْهُ جَهْلُهُ، وَكَفَاكَ مَا طَارَ لَهُ مِنْ حُسْنِ الذِّكْرِ، وَطِيبِ النَّشْرِ، وَلِمِثْلِهِ فَاغْمَلْ، وَعَلَى مَا كَتَبْتَ مِنْهُ فَتَوَكَّلْ، فَسْتَخْصِدُ الَّذِي زَرَعْتَ، وَتَعْلَمُ عَاقِبَةُ مَا صَنَعْتَ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَاهِرٍ⁽⁴⁾ عَنْ أَمِيرِ بَلَنْسِيَّةَ يَغْتَبُ الْفَتْحَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ:

أَنَا -أَعَزَّكَ اللَّهُ- عَلَيْكَ شَحِيحٌ، وَلَكَ فِيمَا تَأْتِيهِ وَتَخْتَذِيهِ نَصِيحٌ، وَمَنْ يُسَاعِدُ⁽⁵⁾، وَالْأَيَّامُ تَعُوقُ وَتُبَاعِدُ، فَأَقْصِرْ مِنْ هَذِهِ الْهِمَّةِ، وَاقْتَصِرْ مِنْ أُمُورِكَ عَلَى الْمُهْمَّةِ، الَّتِي تَفْجَأُ مَعَ الْأَوْقَاتِ، وَلَا تَلْجَأُ فِيهَا إِلَى مِيقَاتِ، وَاقْتَصِدْ فِي مَوَاهِبِكَ، وَاقْصِدْ إِلَى الْعَدْلِ فِي مَذَاهِبِكَ، وَلَا تُكَلِّفْ فِي الْجُودِ بَسْرَفَ، وَلَا تَقِفْ مِنَ التَّبَذِيرِ عَلَى شُرْفٍ، فَلَوْ أَنَّ

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾. سورة يوسف، الآية ص: 53

(2) الإرتاج: الإغلاق والانسداد وباب مرتج أي مغلق.

(3) الرسالة في الذخيرة 1/ 2-635.

(4) أبو عبد الرحمان: هو محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر كان والده من أعلام تدمير وآل طاهر كانوا ذوي بيت عامر كانت وفاته سنة 507 هـ انظر بغية الملتبس ترجمة رقم 23، القلائد، ص: 64،

المغرب في حلى المغرب 2/ 247، الذيل والتكملة 5/ 590، الخريدة 3/ 363.

(5) الخريدة: فالزمان لا يساعد.



الْبَحْرَ لَكَ مَشْرَبٌ، وَالتُّرْبَ مُكْتَسَبٌ، لَنَفِدَا مَعَا، وَلَمْ يَسُدَّ مُوَضِعَا، وَلَوْ كَانَ النُّجْمُ
لَكَ مِضْعَدَا، وَالْفُلُكُ مَقْعَدَا، لَمَا ثَنَيْتَ إِلَى ذَلِكَ عِنَانَا، وَلَا اِزْتَضَيْتَهَا لِهَمَّتِكَ مَكَانَا،
وَقَدْ خَطَبْتِكَ الْحُظُوءَ سِرًّا وَجَهْرًا، وَبَذَلْتَ لَكَ فِي الْإِمْرَةِ أَسْنَى مَرَاتِبَهَا مَهْرًا، فَازْتَدَيْتَ
زَهْوَا، وَامْتَطَيْتَ بَأْوًا⁽¹⁾ لَا تَتَرَبَّصُ عَلَى مُسْئِدِهَا، وَلَا يَخْتَصُّ بِإِجَابَتِكَ مُنَادِيهَا، وَقَدْ
كَانَ يَجِبُ أَلَّا تَرْعَبَ عَنْ رَاغِبٍ، وَلَا تَنْكَبَ عَنْهُ إِلَى شَغَبٍ شَاغِبٍ، فَأَيْنَ تُرِيدُ أَنْ
تَنْزَلَ، وَمَا الَّذِي تَرْضِي وَتَسْتَجْزِلُ، وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْكَ الْأَمَانِيُّ فَمَا تَأَمَّلْتَهَا، وَخُلِعَتْ
عَلَيْكَ مَلَابِسُهَا فَمَا اسْتَمَلْتَهَا، وَالَّذِي أَحْظُكَ عَلَيْهِ أَنْ تَكْفَّ مِنْ رَسَنِكَ⁽²⁾ قَلِيلًا، وَمِنْ
وَسَنِكَ مُسْتَطِيلًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْقَصِيرَةِ⁽³⁾ فَضْلٌ فِي مُرَاجَعَتِهِ لِلْفَتْحِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ:

وَافْتَنِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - أَحْرَفُ كَانَهَا الْوَشْمُ فِي الْخُدُودِ، تَمِيسُ فِي حُلُلِ إِنْدَاعِهَا
كَالْغُصْنِ الْأُمْلُودِ، وَإِنَّكَ لَسَابِقُ هَذِهِ الْحَلَبَةِ لَا يُدْرِكُ غُبَارُكَ فِي مِضْمَارِهَا، وَلَا يُضَافُ
سِرَارُكَ إِلَى إِنْدَارِهَا، وَمَا أَنْتَ فِي أَهْلِ الْبَلَاغَةِ إِلَّا نُكْتَةٌ فَلِكِهَا، وَمُعْجَزَةٌ تَشْرُفُ الدُّوْلُ
بِتَمَلُّكِهَا، وَمَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِمَلِكٍ يُدْنِيكَ، وَمُلْكٍ يَقْتْنِيكَ، وَلِكِنَّهَا الْحُظُوظُ لَا تَعْتَمِدُ
مَنْ تَتَجَمَّلُ بِهِ وَتَتَشَرَّفُ، وَلَا تَقِفُ إِلَّا عَلَى مَنْ تَوْقَفُ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ بِحَسَبِ الرُّتَبِ لَمَا
ضَرَبْتَ عَلَيْكَ إِلَّا قِيَابَهَا، وَلَا عَطَفْتَ عَلَيْكَ إِلَّا أَثْوَابَهَا، وَأَمَّا مَا عَرَضَتْهُ فَلَا أَرَى إِنْفَادَهُ
قَوَامًا وَلَا أَرَى أَنْ تَتْرَكَ عُيُونَ رَأْيِكَ نِيَامًا، وَلَوْ كَفَفْتَ عَنْ هَذَا الْخُلُقِ، وَانْصَرَفْتَ عَنْ
تِلْكَ الطَّرُقِ، لَكَانَ الْأَلَيْقُ بِكَ، وَالْأَذْهَبُ مَعَ حُسْنِ مَذْهَبِكَ.

(1) البأو: العظمة والكبر والفخر.

(2) الرسن: الحبل، قال ابن مقبل يصف فرسه:

هَرَيْتُ قَصِيرَ عِذَارِ اللَّجَامِ أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ

(3) ابن القصيرة: هو أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي وهو من أشهر كتاب الدولة المرابطية توفي
سنة 508 هـ انظر في ترجمته: الصلة، ص: 104، الذخيرة 1/239-1، المغرب في حلى المغرب
1/350، إعتاب الكتاب، ص: 222، القلائد، ص: 117-123، المعجب، ص: 227، الوافي بالوفيات
3/128، الخريدة 3/383، الذيل والتكملة 6/227، المحمدون من الشعراء، ص: 484،
الإحاطة 2/516، نفح الطيب 4/361.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْمُطَرِّفِ ابْنِ الدَّبَّاعِ إِلَى ابْنِ حَسْدَايَ⁽¹⁾:

كُنْتُ عَهْدُتُكَ لَا تَمْتَنِعُ مِنْ مُدَاعَبَةٍ مِنْ يُدَاعِبُكَ، وَلَا تَنْقَبِضُ عَنْ مُرَاجَعَةٍ مَنْ يُخَاطِبُكَ، فَمِنْ أَيْنَ حَدَثَ هَذَا التَّعَالِي، وَمَا سَبَبُ هَذَا التَّعَالِي، عَرَّفَنِي - جُعِلْتُ فِدَاكَ - مَا الَّذِي عَدَاكَ، وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ الْحَضْرَةَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَاضٍ فَطَمَعْتَ فِي الْقَضَاءِ وَجَعَلْتَ تَأْخُذُ نَفْسَكَ بِأَهْيَتِهِ، وَتَتَرَشَّحُ لِرُتَبَتِهِ، وَأَنْتَ الْآنَ لَا أَشُكُّ تَفَقُّهُ فِي الْأَحْكَامِ، وَتَتَطَلَّعُ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ، وَهَبَكَ تَحَلَّيْتَ السَّنَمِ، وَتَهَيَّأْتَ لِذَلِكَ الدَّسْتِ، مَا تَصْنَعُ فِي قِصَّةِ السَّبَبِ⁽²⁾. دَعِ هَذَا التَّخَلُّقَ وَارْجِعْ إِلَى أَخْلَاقِكَ، وَعُدْ فِي إِطْرَاقِكَ، وَتَجَاهَلْ مَا قَبْلَكَ جَاهِلٌ، وَتَحَامِقْ مَعَ الْحَمَقَى وَأَنْتَ عَاقِلٌ، فَلَا تُنْعِ لَذَّةَ الْاسْتِرْسَالِ، وَلَا تَبِيعِ الدُّنْيَا بِخِدْمَتِكَ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، فَمَا أَشْبَهَ أَحْوَالَهَا⁽³⁾ بِإِقْبَالٍ وَكَثْرَتِهَا بِالْإِقْلَالِ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْغُفُورِ بْنِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْغُفُورِ⁽⁴⁾:

لَوْ لَا عِدَى غَاطُوا الصَّيْدِ قَ بِنْفِيهِمْ عَنِّي الْكِتَابُ
لَمْ أَوْذِ سَمْعَكَ بِالْهَرَا ءِ وَلَا انْحَرَفْتُ عَنِ الْمَهَابَةِ
لَعَمْرِي - وَإِنْ كَانَ نَفَى مَنِيًّا وَتَقَرَّعَ صَدِيقًا حَفِيًّا - لَرُبَّ أَعْجَمَ ضَجَرَ فَأَفْصَحَ، وَأَجْذَمَ عَيْرٍ فَقَدَحَ، وَإِنْ لَمْ يُسْتَأْ لَنَا بَعْدَ الْإِفْصَاحِ، وَمَا شَقَّ مِنْ كَلِمَةٍ⁽⁵⁾ التَّحَامُلِ فِي الْاِقْتِدَاحِ، لَمْ يُؤْمَنَا عَلَى ذِكْرِ مَيْتٍ، وَإِخْرَاقِ بَيْتٍ؛ فَلِلَّهِ مَنْ اخْتَالَ لِتَخْلُصِهِ، وَلَمْ يُعْجَبْ بِتَخْصُصِهِ، وَدَفَعَ بِيَدِ جَلْدِهِ، فِي صَدْرِ حُسْدِهِ، وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَلَاغٌ لَوْ أَرْضَيْتُ بِهِ مُتَنَقِّصًا، وَلَمْ يَرْنِي بِالْاِفْتِصَارِ عَلَيْهِ مُتَخَرِّصًا، فِي الْكِتَابَةِ مُتَلَمِّصًا، إِذْ لَعَلَّهُ

(1) الرسالة في القلائد، ص: 122، والخريدة 3/ 390.

(2) يشير بذلك إلى أنه كان يهوديا قبل إسلامه واليهود يقدسون ذلك اليوم؛ أي السبت. انظر الروض الأنف 1/ 270.

(3) القلائد والخريدة: أدبارها.

(4) الذخيرة: جاء في مقدمة الرسالة: له من رقعة خاطب بها بعض أهل عصره وافتتحها بهذين البيتين: الذخيرة 2/ 1 - 326. من مجزوء الكامل.

(5) الذخيرة: كلفة.



مِمَّنْ يَظُنُّ الْإِيجَارَ حَصْرًا وَانْقِطَاعًا، وَلَا يَعْتَقِدُ الْإِجَادَةَ مَعَ الْإِسْهَابِ شَيْئًا مُوجُودًا
وَلَا مُسْتَطَاعًا. لَا جَرَمَ أَنِّي بِحُكْمِ هَذِهِ التَّقِيَّةِ سَأُطِيلُ قَصَصًا، وَأَتَطَلَّبُ فِيمَا لَمْ
يَصْرِفْ⁽¹⁾ مِنَ الْقَوْلِ قَنَصًا، لِيَعْلَمَ مِنْ نَافٍ، وَمَنْ جَلَفَ جَافٍ، بَلْ مِنْ نَزَرٍ حَقِيرٍ خَافٍ،
أَنِّي مِنْ كِتَابٍ وَقْتِهِ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ مَقْتِهِ، وَاللَّهُ مَا عَرَفْتُهُ إِلَى الْيَوْمِ، وَلَعَلِّي سَاعُثُرُ عَلَيْهِ
فِي النَّوْمِ، فَأَعْرِفَهُ: مِنْ أَرْعَنَ نَاقِصِ الْوِزْنِ وَالصَّرَفِ فَاضِرِفَهُ، بِسَمَةِ مِنَ الْهُونِ تَشْغُلُهُ
بِنَفْسِهِ، وَتُخِمِلُهُ⁽²⁾ فِي رَمْسِهِ وَاللَّهُ يُفْنِيهِ، وَلَا يُعَرِّفْنِيهِ، وَيُنْزُهُ عَنْ شَخْصِهِ الْوَضِرِ الدَّنَسِ
عَائِرٍ مَلَامِي⁽³⁾، وَمِنْ عَرَضِهِ الْقَذِيرِ النَّجَسِ طَاهِرٍ كَلَامِي.

وَكَأَنِّي بِفَارِسِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، وَمَالِكِ أَرْمَةِ هَذِهِ الْبَلَاغَةِ وَالْبَرَاةِ، قَدْ سَمِعَ هَذَرِي،
وَضَحِكَ مِنْ ضَجْرِي، وَعَجِبَ مِنْ كَرِيمَةِ وَدِّهِ، وَعَقِيلَةِ عَهْدِهِ، مِنْ مُخَاطَبٍ⁽⁴⁾ بِسُخْفٍ
مُخَاطَبٍ، فِي لَيْلٍ مِنَ الْجَهْلِ حَاطِبٍ، لَمْ يَأْتِ خِطْبَتَهَا مِنْ بَابِهَا وَلَا رَفَقَ فِي طِلَابِهَا،
وَهَيْهَاتَ لِمُرْتَقِبِ الشُّعْرَى، مِنْ مُلَابَسَةِ الْكَرَى، وَلِمِثْلِ أَمَلِي فِي ذَلِكَ السَّمَاءِ، مِنْ
تَقْصِيرِي فِي الْاِخْتِفَاءِ، وَلَكِنَّ صَدَرَ التَّحْذِيرِ، بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَى الضَّمِيرِ، فَمَتَى سَمَحَ
لِغَيْرِهِ بِمَكَانِهِ، فَقَدْ صَرَمَ الْحَبْلَ⁽⁵⁾ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَكَلَفَ نُضْجًا وَلَا تَ حِينَ إِبَانِهِ،
وَسَأَمُهَا مِنْ جَمِيلِ الثَّنَاءِ مَهْرًا، لَا تَشْمُهُ زَهْرًا وَتَخْتُمُهُ نُجُومًا زَهْرًا، وَتَرِدُّهُ كَوْثَرًا،
وَتَحْمَدُهُ عَيْنًا وَأَثَرًا، وَتَحْمِلُ⁽⁶⁾ مِنْ بَهَائِهِ تَاجًا تَعْنُو الشَّمْسُ لِضِيَائِهِ، وَتَغْرِقُ فِي لُجَّةِ
آلَائِهِ، فَيَكُونُ بَدْعًا مِنَ الْمُهُورِ، وَيَفْخَرُ ظَهْرُهُ [عَلَى سَائِرِ الظُّهُورِ، بِمُقْتَضَى مَا التَزَمْتُ
شُرُوطَ الْوَفَاءِ فِيهِ، وَحَرَمْتُ مِنْ غَدْرِ بَنِي الْيَوْمِ]⁽⁷⁾ صِحَّةَ مَبَانِيهِ وَلَوْ اكْتَفَيْتُ بِمَا مَضَى

(1) الذخيرة: يطرق.

(2) الذخيرة: وتخجله.

(3) الذخيرة: سهامي.

(4) الذخيرة: خاطب.

(5) الذخيرة: صرم فجاء.

(6) الذخيرة: وتحمل.

(7) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.



عَلَيْهِ سَلَفْنَا الْكَرِيمَ، وَتَبِعْتُ وَلَمْ تَرُمْ مَرْكَزَهَا مِنْهُ أَعْظَمُهُ الْبَالِيَةُ الرَّمِيمِ، مِنْ صَفَاءٍ وَدَّ يُعْدِي الْجَارَ فَضْلًا عَنِ الْبَنِينَ، وَوَفَاءٍ عَقْدٍ يَنْبِي النَّارَ عَنْ أَنْ تَحْرِقَ بِالطَّبْعِ أَوْ بِالْمُمَارَسَةِ عَدَدَ سِنِينَ، أَحْرَزْتُ مِنَ الْفَضْلِ نِصَابًا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ، وَحَوَيْتُ مِنَ الْفَضْلِ قِصَابًا لَا تَذَرِكُهَا الْكُفَاةُ، وَلَا تَبْلُغُهَا الْعُقَاةُ، عَلَى أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَغْرَبُ مِنْ عَقْلِ يَمْتَارُ مِمَّا فِي يَدَيْهِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى صَدَقَةٍ عَلَيْهِ، وَلَا مِنْ فَضْلِ يَتَجَاوَزُ غُلُوةَ سَهْمٍ، فَضْلًا عَنْ غَايَةِ شَهْمٍ. وَكُنْتُ قَدْ اسْتَعْنَيْتُ بِمَا أَصَلُّوا، وَلَمْ أَقْطَعْ بِهَذَا الْاسْتِثْنَاءِ مَا وَصَلُوا، إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ نَسَبَ أَدْبِهِ قَدْ كَلَّ، وَرَسَمَ سَبَبَهُ قَدْ اضمحلَّ، وَالْكَالَةُ فِي الْأَدَابِ، أَمْسُ مِنْهَا فِي الْأَنْسَابِ⁽¹⁾، فَأَعْتَمَدْتُ بِهَذِهِ النَّامَةِ سَدَادَ خَلَلٍ، وَعِمَارَةَ طَلَلٍ، وَشَائِعُ مَجْدِهِ كَانَ أَوْلَى بِهَذِهِ الرُّتْبَةِ مِنَ التَّهْمِ، وَأَهْدَى إِلَى سُنَنِ التَّقْضِيلِ وَالتَّكْرُمِ، إِذْ كَانَ أَفْصَحَ⁽²⁾ فِي الْقَوْلِ طَلِقًا، وَأَحْسَنَ فِي ذُرِّ كَلِمِهِ الْعَذْبِ سَرْدًا وَنَسَقًا، فَكَيْفَ تَزِلُّ لِي عَنْ صَهْوَةِ الْإِنْتِدَاءِ، وَتُوقِرُ عَلَيَّ خُطَّةَ الْإِفْتِدَاءِ، هَذَا إِذَا قَدِرْتَ، وَمَا أَرَاهَا إِلَّا كَأَخْتِهَا قَدْ تَعَذَّرَتْ، لَيْسَ إِلَّا بِمَكَانِي⁽³⁾ مِنَ الْحِرْمَانِ وَالْخُمُولِ، وَكُلُّ عُذْرٍ يُدْفَعُ بِهِ فِي نَحْرِ هَذَا الصَّدِيقِ فَعَيْرٌ مَقْبُولٌ.

وَقَدْ حَطَبْتُ وَخَطَبْتُ، وَسَبَبْتُ بَلْ ضَرَبْتُ، وَتَكَاتَبْتُ حَتَّى كَتَبْتُ، وَلَوْ خَطَطْتُ فِي صَفْحَةِ الْبَذْرِ بِأَنْمِلِي الْعَشْرِ، أَوْ فِي غُرَّةِ الشَّمْسِ، بِالْمَعْهُودَةِ الْخَمْسِ، وَصُغْتُ لَفْظًا لِلرُّفَعَتَيْنِ، مَحَاسِنَ الْجَدِيدَيْنِ، لَقِيلَ رَمَى الْغَرَضَ فَكَادَ، وَلَوْ نَسَجَ عَلَى مِنْوَالِ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ⁽⁴⁾ لَأَجَادَ. وَفُلَانٌ إِذَا نَقَلَ الْأَقَاوِيلَ تَوَسَّطَ، وَإِذَا رُفِعَ إِلَى فِطْرَتِهِ الْفَطِيرَةِ تَوَرَّطَ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُرَاجَعَ بِالْقَبُولِ، وَيَمَا لَدَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ بِشَرْطِ الْعُدُولِ، عَنِ التَّفْرِيطِ الْمُخْجَلِ، وَاللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ الْمُحْتَمَلِ، وَاعْتِقَادِ تَجْرِيجِي فِي الصَّنَاعَةِ بِمُجَرَّدِ التَّبَصِيرِ،

(1) قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، سورة النساء الآية: 175.

(2) الذخيرة: أفسح.

(3) الذخيرة: لمكاني.

(4) الذخيرة: فلان وفلان.



وَتَنزِيهِ خَطْوِهِ الْوَسَّاعِ فِيهَا عَنْ مُعَارَضَةِ خَطْوِي الْقَصِيرِ، وَلَى عَلَى مَوْضُوعَيْنِ⁽¹⁾ مِنْ إِيَّارِهِ، وَطَارَ اسْمِي الْوَاقِعِ بَيْنَ جَوَارِهِ. عَمَرَ اللَّهُ رَبْعَهُ بِالتَّأْمِيلِ، وَسَمِعَهُ بِالتَّكْرِيمِ وَالتَّبَجِيلِ، وَصَارَ⁽²⁾ هَذَا الزَّمَانُ صَعِدَ كُلُّ عَقْلٍ، وَفِي مَا أَتَوَكَّفُ مِنْ جَوَابِ كَرِيمٍ مِدُوسٍ إِمْهَاءً وَصَقْلٍ، وَأَزَالَ جَاهِلٌ شَبَحِي لِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْدَاءِ، حَتَّى أَجْتَلِي صُورَةَ حَقِيقَتِهِ فِي رَوْنِقِ الْجَلَاءِ، وَحَبْدًا تَعْجِيلُهُ قَبْلَ اسْتِيَاءِ الْعُجْبِ الْقَبِيحِ، وَتَكَاثُفِ حُجُبِ الْغَيِّ عَلَى مَثَنِ الصَّفِيحِ، فَيَعِزُّ صِفَالُهُ، وَيُعْجِزُ انْتِمَالُهُ، فَرَأَيْكَ فِي ذَلِكَ مُسَدِّدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَحْرِ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى إِذْفُونَشٍ⁽³⁾:

مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدَ اللَّهِ أَمْرُهُمْ إِلَى إِذْفُونَشِ بْنِ سَنَجُهُ⁽⁴⁾ مَلِكٍ قَشْتَالَةَ وَطُلَيْطَلَةَ وَفَقَّهُ اللَّهَ وَهَدَاهُ وَأَرَاهُ وَجْهَ رُشْدِهِ:

أَنْظُرْ بِعَقْلِكَ إِنْ الْعَيْنَ كَاذِبَةٌ وَاسْمَعْ [بِحِسِّكَ]⁽⁵⁾ إِنْ السَّمْعَ خَوَّانٌ
وَلَا تَقُلْ كُلُّ ذِي عَيْنٍ لَهُ نَظَرٌ إِنْ الرُّعَاةَ تَرَى مَا لَا تَرَى الضَّانُ⁽⁶⁾

كَتَبْنَاهُ مِنْ مُرْسِيَّةٍ -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي حَفَّ الْجَنَّةَ بِالْمَكَارِهِ وَالنَّارَ بِالشَّهَوَاتِ⁽⁷⁾، وَأَمَرْنَا بِالتَّزَامِ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ آيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ، وَقَرَنَ طَاعَتَهُمْ

(1) الذخيرة: دل على موضعي.

(2) الذخيرة: وصدأ.

(3) مرت ترجمته .

(4) البيان المغرب قسم الموحدین صفحات: 145 - 152 - 202 .

(5) خرم بالأصل.

(6) البيتان من بحر البسيط، وهما للأعمى التطيلي في ديوانه 218 من قصيدة مطلعها:

تَنَاصَرُ الشَّيْبُ فِي فَوْدَيْهِ خِذْلَانٌ إِنْ الرِّيَادَةَ فِي النُّقْصَانِ نَقْصَانٌ

(7) ينظر في هذا إلى الحديث النبوي الشريف: «حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات». وقد نظم أحد الشعراء هذا الحديث وضمنه في شعره فقال:

قَالَ لِي إِنْ رَقِيبِي سَبَّيْتُ الْخُلُقَ فَوَدَارِهِ
قُلْتُ دَغْنِي وَجْهَهُ لَكَ الْجَنَّةُ حَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ

السراقات الأدبية، ص: 165 .



بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ مِنْ جَمِيعِ الْحُدُودِ وَالْجِهَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁽¹⁾. فَطَاعَةُ الْأَيِّمَةِ الْمُهْتَدِينَ مِنْ أَكْدِ الْوَاجِبَاتِ وَنُصْلِي
عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ الصَّادِعِ بُنُورِ الْحَقَائِقِ ظَلَمَ الْمُشْكِلَاتِ، الْمُسَوِّي بَيْنَ الضَّعِيفِ
وَالْقَوِي فِي مَجَالِسِ الْحُكُومَاتِ، الْمُتَّصِفِ مِنْ نَفْسِهِ لِأُولِي التَّشْكِي وَالْمَظْلَمَاتِ،
كَحِكَايَةِ عُكَّاشَةٍ عَنْهُ حِينَ [أَشْعَرَ بِوُرُودِ مَنْهَلِ الْوَفَاةِ]⁽²⁾ وَعَنْهُ رَوَيْنَا «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ
وَاسْتَذَلَّ الْإِمَارَةَ لَقِيَ اللَّهَ وَلَا وَجَهَ عِنْدَهُ»⁽³⁾ فِي صَحِيحِ الْمُسْنَدَاتِ.

وَنَسَأَلُهُ الرَّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ مِنَ الْهَنَاتِ وَالزَّلَّاتِ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ
بِصَحِيحِ الدَّلَالَاتِ، وَثُبُوتِ الْعَلَامَاتِ، وَعَنْ خَلِيفَتَيْهِ الَّذِينَ تَأَلَّقَتْ بِإِزْشَادِهِمَا أَنْوَارُ
الْهِدَايَاتِ، وَجَزِيًّا عَلَى تِلْكَ السُّبُلِ النَّبَوِيَّةِ إِلَى مُنْتَهَى [الْأَمَادِ]⁽⁴⁾ وَالْغَايَاتِ.

فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا تَنْبِي عَلَيْهِ أَصُولُهُ، وَتَرْتَبِطُ بِهِ قَوَانِينُهُ الْبُرْهَانِيَّةُ وَفُصُولُهُ، مِنْ أَنَّ
الْمَلِكَ - أَرَشَدَهُ اللَّهُ - فِي نِهَايَةِ الْاِخْتِيَاغِ إِلَى تَطَبُّبِ يُصْلِحُ مِنْ دِمَاغِهِ مَا فَسَدَ، وَيُنْفِقُ
مِنْ مَوَادِّ عَقْلِهِ مَا تَزَيَّفَ وَكَسَدَ، حَتَّى يُمَيِّزَ بَيْنَ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ، وَلَا تَصْدُرَ عَنْهُ مُحَاطَبَاتٌ
ضُحْكَاةُ التَّرَحُّالِ وَالْحَلِّ، كَكِتَابِهِ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ إِلَيْنَا، وَوَرَدَ بِهِ رَسُولُهُ الْفَسْلُ⁽⁵⁾ عَلَيْنَا،
فَمِنْ مُضْمَنِهِ أَنَّا أَنْزَلْنَا غَيْرَ مَنَزِلَتِنَا، فِي أَنْ سُوِي فِي مَجْلِسِ الْأَحْكَامِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
خَضَمِنَا، وَاعْتَقَدَ الْمَلِكُ - هَدَاهُ اللَّهُ - أَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَذْنِيسِنَا فِي النَّاسِ وَوَضَمِنَا، وَذَلِكَ
مُنْكَرٌ مِنَ الْقَوْلِ، وَخِلَافٌ لِأَمْرِ ذِي الْقُوَّةِ وَالْحَوْلِ. فَإِنْ إِمَامَنَا بِالْجَرِيِّ عَلَى السَّنَنِ
السَّوِيِّ، فِي رُتْبَةٍ يُسَاوِي بِهَا بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي، وَيُقِيمُ [حَقَّ] الْمُحِقِّ، وَيَقْطَعُ دَابِرَ
الْغَوِيِّ. قَدْ رَفَعَ اللَّهُ عَنِ الْمِيلِ رُتْبَتَهُ وَمَقْدَارَهُ، وَقَرَنَ بِالتَّوْفِيقِ التَّامِّ، وَالتَّسْدِيدِ الْعَامِّ
إِيرَادَهُ وَإِضْدَارَهُ، وَجَعَلَهُ كَمَا كَانَ الْفَارُوقُ⁽⁶⁾ لَا يُبَالِي عَلَى مَنْ دَارَ الْحَقُّ فَأَذَارَهُ، وَاللَّهُ

(1) سورة النساء، الآية: 58.

(2) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) حديث نبوي.

(4) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) الفصل: الخيبت الماكر.

(6) يقصد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه فرق بين الحق والباطل.



تَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ عِبَادَهُ الْمُقَرَّبِينَ فَقَالَ: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْفِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾⁽¹⁾ فَالْمَسَاوَاةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَصْمِنَا بِالْحَقِّ تَنْوِيهِ لَنَا وَتَشْرِيف، وَاسْتِخْدَامٌ فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى وَتَضْرِيف.

وَمِنْ مُضْمَنَاتِ كِتَابِكَ، أَنَا إِنْ مَشِينَا إِلَيْكَ، وَخَلَعْنَا الطَّاعَةَ عَلَيْكَ، مَكْتَنًا مِنَ الرِّجَالِ وَالْبِلَادِ، وَشَاطَرْتَنَا - بِزَعْمِكَ - فِي الطَّارِفِ وَالتَّلَادِ⁽²⁾، وَهِيَاهُ إِنَّمَا رُوِيَ أَنْ تُذَكِّيَنَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَرَّ الْجِلَادِ، فَاْمْتَنَنْتَ كَمَا ظَنَنْتَ، وَأَنْعَمْتَ فِيمَا زَعَمْتَ، وَلَكِنَّكَ تَحَيَّلْتَ، فِي الَّذِي خَيَّلْتَ، وَمَكَّرْتَ، فِيمَا ذَكَرْتَ، وَلِنَفْسِكَ يَا بَنَ الْبَغْيِ بَغِيَّتْ، وَأَسْرَرْتَ الْحَسَوَ حِينَ ارْزَغَيْتَ⁽³⁾، رُوَيْدَكَ، لَا تَضْرِفَ عَلَيْنَا كَيْدَكَ، وَعَلَى رِسْلِكَ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى امْتِرَاءِ رُسْلِكَ، وَحَنَانِكَ، إِنْ كُنْتَ ذَا طِبِّ فَطَبِّ لِعَيْنَيْكَ، دِينَنَا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - أَمْتَنُ وَأَقْوَى، وَسَجِيَّتَنَا أَشَدُّ انْقِيَادًا لِلتَّقْوَى؛ وَلِبْسُ مَا نَدْبَتْنَا أَنْ نَبْتَدِرَ إِلَيْهِ وَنَنْعَمَ، وَيَا فُبْحَ مَا دَعَوْتَنَا أَنْ نَرْكَبَ مِنَ الْغُرُورِ وَنَتَسَنَّمْ، فَتَكُونَ كَمَنْ ﴿أَيَسَّ بُنْيَنُهُ عَلَى شَقَا جُرْفٍ هَارٍ بَانَهَا رَبِّهِ فِي بَارِ جَهَنَّمَ﴾⁽⁴⁾، وَهَلْ تَتَسَاوَى الْأَسِنَّةُ وَالزَّجَاجُ⁽⁵⁾؟ أَوْ يَتَمَاثَلُ الْعَتَبُ وَالْحِجَاجُ؟ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْحِجَاجُ؟⁽⁶⁾ وَمَتَى تَطَابَقَتِ اللَّصُوصُ فِي الْحَرَمِ وَالْحُجَّاجُ؟ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ اجْجَاجٌ﴾⁽⁷⁾ وَهَذَا قَوْلٌ يَلِيْقُ بِكُمْ - مَعْشَرَ النَّصَارَى - مِنْ جِهَةِ انْجِلَالِكُمْ، وَاسْتِجَابَتِكُمْ لِمَخْضِ الْحَرَامِ وَاسْتِخْلَالِكُمْ، لَأَنَّكُمْ مَعْشَرَ الْأَعْلَاجِ الْأَجْلَافِ، مُسْتَسْهَلُونَ لِمَا

(1) سورة النساء، الآية: 135.

(2) الطارف من المال المستفاد حديثاً، أما التلبد والتالد فهو المال ذو الأصل القديم.

(3) مجمع الأمثال، الجزء الثاني، ص: 313، والمثل بالصيغة التالية «يسر حسوا في ارتغاء».

(4) سورة التوبة، الآية: 109.

(5) الزج: حديد أسفل الرمح وتجمع على زجاج بالكسر.

(6) يشير الكاتب إلى عمر بن عبد العزيز الخليفة الورع الذي توفي سنة 101 هـ وكذلك إلى الحجاج بن

يوسف الثقفي الذي كان والياً على الكوفة في عهد عبد الملك بن مروان وقد اشتهر بشدة سفكه

للدماء، انظر مروج الذهب 3/ 192، تاريخ ابن الأثير 5/ 22.

(7) سورة فاطر، الآية: 12.



نَسْتَضِعُّ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالْاِخْتِلَافِ، وَنَحْنُ إِذَا بَايَعْنَا رَجُلًا وَاحِدًا لَا نَزَوْرُ عَنْهُ وَلَا نَمِيلُ، وَلَا يَطْمَحُ بِنَا إِلَى الْخِلَافِ عَلَيْهِ رَجَاءٌ وَلَا تَأْمِيلُ، وَإِنَّمَا نَحْنُ بِوَلَاةِ الْحَقِّ مُعْتَقِدُونَ، وَأَثْوَابِ الْاِتِّفَاقِ مُشْتَمِلُونَ وَمُرْتَدُونَ، وَعَنْ أَسْبَابِ التَّقَاطُعِ مُنْقَلِبُونَ وَمُرْتَدُونَ ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾⁽¹⁾ وَمِنْ بَيْنِ تَخْلُفِكَ وَفَسَالَتِكَ، مَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْكَ تَنَاقُضُكَ أَثْنَاءَ رِسَالَتِكَ، حَيْثُ وَصَفْتَنَا أَوَّلًا بِالْعَدْلِ وَالِدِّينِ وَنَعْتَنَا بِالسِّيَاسَةِ لِلرَّعِيَةِ وَالتَّهْدِيدِ، ثُمَّ دَعَوْتَنَا أَنْ نَخْلَعَ عَنِ الطَّاعَةِ يَدًا، وَمَا نَرَاكَ اِعْتَقَدْتَ ذَلِكَ عَلَيْنَا إِلَّا نِعْمَةً وَيَدًا:

أَعِدْ نَظْرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ لَعَلَّمَا أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الْحِمَارَ الْمُقَيَّدَا⁽²⁾
فَيَا لِلنَّاسِ لِلْعَجَبِ الْعُجَابِ، هَذِهِ غَايَةُ الظُّلْمِ الَّذِي لَيْسَ بِمُنْقَشِعٍ وَلَا مُنْجَابٍ، أَجَلُ
فَائِكَ فِي تِلْكَ الرِّسَالَةِ مِنَ الْاِمْتِنَانِ وَالْإِنْعَامِ، كَيْلُ⁽³⁾ السَّقْبِ مِنْ [رَأْلِ] النَّعَامِ، [وَمَا
أَنْتَ] ⁽⁴⁾ إِلَّا الْإِفْكَ جَاءَ بِزُورِهِ وَمَيْنِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَصِمَّنَا بِدَرْنِهِ وَشَيْنِهِ، وَهَذَا هُوَ الصَّغَارُ
بَعَيْنِهِ⁽⁵⁾، ضَعْفُ الْمَطْلُوبِ وَالطَّالِبِ⁽⁶⁾، وَخَاسَ [مَنْ] بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ⁽⁷⁾. وَإِلَى هَذَا
أَيُّهَا الْفَاجِرُ الْمَغْرُورُ، الَّذِي جَرَى مِنْهُ مَجْرَى الدَّمِ شَيْطَانُهُ الْغُرُورُ، ﴿وَمَا الْحَيَوَةُ

(1) سورة الزخرف، الآية: 22.

(2) البيت من بحر الطويل، وهو للفرزدق. انظر ديوانه، ص: 213، وشرح شواهد المغني 1/ 318.

(3) الإل: المشي المسرع. هذا عجز بيت لحسان وتماه:

لَعَمْرُكَ إِنْ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَيْلُ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ

(4) خرم بالأصل.

(5) صدر بيت وتماه:

هَذَا هُوَ الصَّغَارُ بَعَيْنِهِ لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

(6) مقببس من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ، سورة الحج، الآية: 71.

(7) مأخوذة من قول بعض الصحابة:

أَرَبُ يُؤُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ



الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ ﴿١﴾ هِيَ سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ فَإِنَّمَا تَخِيلُ فِي فَاسِدِ ظَنِّكَ أَنَّ تَنَقَّلْنَا مِنْ سِجْنِنَا إِلَى جَنَّتِكَ، أَوْ مِنْ جَنَّتِنَا إِلَى سِجْنِكَ فَتَكُونُ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (٢).

فَقِفْ فِي حَالَتِي وَزِدْكَ وَصَدْرِكَ وَفَقَّةَ الْعَيْرِ، وَغُصَّ الطَّرْفَ [إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ] (٣)، وَمَنْ لَكَ بِبَاهِلَةٍ (٤) بَلَهَ عُمَيْرٍ. لَسْنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِمَّنْ يُقَعِّقُ لَهُ بِشَنَانٍ (٥)، وَيُقَادُ إِلَى مِيدَانِ الْبَاطِلِ بِزِمَامٍ مِنَ الْغُرُورِ وَعِنَانٍ؛ وَمِنْ أَوْجِبِ مَا يُصَرِّحُ لَكَ بِهِ الْآنَ، أَنَّ هَلَكَكَ قَدْ أَزَفَ وَأَنَّ، لَأَنَّا إِذَا أَخْبَرْنَا سَيِّدَنَا الْإِمَامَ بِكِتَابِكَ الدِّمِيمِ، وَذَكَّرْنَا لَهُمْ جُرْمَكَ عَلَى فَسَادِ ذَاتِ بَيْنِنَا بِالْجِدِّ الصِّمِيمِ، أَمَدُّونَا لِغُرُوكَ بِجُيُوشٍ تَرْجِعُ عَنْهَا خَاسِئَةً عُمُيُونَ النَّاطِرِينَ، فَإِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَتِكُمْ ﴿بِسَاءَ صَبَاحِ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٦). فَتَبَّهَ وَنَبَّهَ مَنْ وَرَاءَكَ وَجَمَعَ مَحَاشِكَ يَا يَزِيدَ (٧)، وَنَادَى فِي قَوْمِكَ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٨) إِنْ نَفَعَ الْمَزِيدُ؛ فَكَأَنَّكَ بِجُيُوشِ اللَّهِ تُبَادِرُكَ مُبَادَرَةَ السَّيْلِ الْخَدُورِ فِي التَّسْرُعِ وَالتَّضْمِيمِ، ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾ (٩) فَاجْعَلْ هَذَا الْكِتَابَ حَاجِزًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَاطْوِ عَنَّا زُورَكَ وَمَيْنَكَ، فَلَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَصَلَبْنَا رَسُولَكَ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥، وسورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ١١.

(٣) مقتبس من قول جرير:

وَعُصَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبَا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

ديوانه، ص: ٧٥.

(٤) باهلة: قبيلة يضرب بها المثل في اللؤم، انظر كتاب حمد الجاسر «باهلة المفترى عليها».

(٥) الشن: القربة الخلق وتجمع على شنان وفي المثل: «لا يققع لي بشنان»، قال النابغة:

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَيْيَ أَقْيَشٍ يُقَعِّقُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنَ

(٦) سورة الصافات، الآية: ١٧٧.

(٧) من قول النابغة:

جَمَعَ مَحَاشِكَ يَا يَزِيدُ فَإِنِّي أَغْدَتُ يَزْبُوعًا لَكُمْ وَتَمِيمَا

(٨) مقتبس من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ لِحَبَّئِهِمْ هَلْ مِنْ مِثْلَاتٍ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾. سورة ق، الآية: ٣٠.

(٩) سورة الذاريات، الآية: ٤٢.



وَلَا رَيْنَاكَ ففهِ بَطْشَةَ أَبِي الْأَشْبَالِ بِالسَّخْلِ⁽¹⁾ وَلَكِنْ إِنْ عَادَتِ الْعُقْرُبُ عُذْنَا لَهَا، وَنَالَهَا
مِنْ النَّعْلِ مَا يَحُلُّ عُقْدَهَا إِذَا نَالَهَا⁽²⁾، وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أُنْذَرَ.

وَكَتَبَ فف مُتَّصِفِ ذف القعدة عام أربعة وثمانفن وُخمسِمائة.

وَكَتَبَ أفضاً فِرْدُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةِ⁽³⁾ وَقَدْ كَتَبَ ففْنَقْدُ عَلَى الْقَاضفِ أَبِي الْوَلفِدِ⁽⁴⁾
بَعْضُ أَحْكَامِفِ:

﴿أَتَاْمُرُونَ الْنَّاسَ بِالْفِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾⁽⁵⁾ ﴿كَبُرَ مَفْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁽⁶⁾. أَجَلُ أَيُّهَا الْجَارِفِ
فف مَفْدَانِ الْهَذَفَانِ مِلءٌ عَفَانِفِ، الْمُفْعَفِعُ لِمَنْ لَفْسٌ مِنْ جِمَالِ بَنفِ أَفْنَشِ بِشَنَانِفِ⁽⁷⁾
السَّائِكُ أَلْفًا، النَّاطِقُ خَلْفًا⁽⁸⁾، الَّذف فَبْدَلٌ مِنْ نَصَفِ خَصَفِ، وَمَتَاعٌ، ذف اْمَتْنَاعُ،
بَحْظٌ، فَظٌ، وَسَهْمٌ، جَهْمٌ، بَرَّاقَشُ بَجْهَلِهَا دَلَّتْ عَلَى أَهْلِهَا⁽⁹⁾، وَالذَّرَفُ أَضْلُ نَفَقَه⁽¹⁰⁾،
فَلَا أَرْشُدُهُ اللَّهُ وَلَا وَفَقَه.

(1) أبو الأشبال: الأسد. والسخل: جمع سخله فف ولد الشاة من المعز والضأن.

(2) مثل عربف معروف. ومنه قول الشاعر:

إِنْ عَادَتِ الْعُقْرُبُ عُذْنَا لَهَا وَكَانَتِ النَّعْلُ لَهَا حَاضِرَةً

(3) لعل هذا الإشبفلف فف أبو الحسن عفف ابن خروف الحضرمف الإشبفلف فف هو من تلامفذ ابن رشد. ذكر
ابن عبد الملك أنه كان كثر العفانة بالرد على الناس ورد على بعض شفوخه ومنهم ابن رشد. الذفل
320 / 5. برنامج الرعففف، ص: 81.

(4) فشففر إلى الففلسوف أبو الولفد بن رشد قاضف الجماعة بقرطبة المتوفف سنة 595 هـ.

(5) سورة البقرة، الآية: 43.

(6) سورة الصف، الآية: 3.

(7) انظر الصفحه السابقة، الهامش رقم: 5.

(8) مثل معروف انظر المفدانف.

(9) فف المثل العربف: «على أهلها دلت براقش» وفروى على أهلها ففجنف براقش، قال الشاعر:

لَمْ تَكُنْ عَنْ جَنَائِفِ لَحَقْتَنفِ لَا فِسَارِفِ وَلَا فَمَفِنِفِ جَنَفِنِفِ
بَلْ جَنَاهَا أَخْ عَلَى كَرَفِمٍ وَعَلَى أَهْلِهَا بَرَّاقَشُ فَجَزِفِ

اللسان: «برقش».

(10) مثل عربف فضرِب لمن أخطأ حجته. المفدانف والتاج.



أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تُجِرْ لَهُ فِي رُفْعَتِكَ ذِكْرًا، وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ وَرُبَّمَا لَمْ تُعْمَلْ فِيهَا فِكْرًا، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ وَلَا أَذْرِي لِمَ نَبَذْتُهُ ظَهْرِيًّا⁽¹⁾ وَالِدُعَاءِ لِخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَمَا اقْتَنَيْتَ مِنْهُ أَثَاثًا وَلَا رِيًّا⁽²⁾. حَسْبُكَ أَنْ جِئْتَ بِفَضْلٍ، فَسَلَّ، وَسَفِرَ، صِفِرَ أَوْعَبْتَ بِهِ الشَّرَّ فِي زَادِكَ⁽³⁾، وَتَبَهْتَ عَلَى صِفْرِ مَزَادِكَ، وَأُورِدْتَ الْهَذْيَانَ نَسَقًا، وَكُنْتَ كَمَنْ أَسَاءَ رَعِيًا فَسَقَى⁽⁴⁾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَبًّا بِقَدْرِ الْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ وَالرِّضَا وَالِدُعَاءِ، عَنْ أَنْ يُدَسَّسَهَا دَرَنُ ذَلِكَ الْوِعَاءِ، وَتَبًّا لَهَا مِنْ رُفْعَةٍ أَرْهَقَتْكَ مِنْ أَمْرِكَ عُسْرًا ﴿وَكَانَ عُلْفِيَّةَ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾⁽⁵⁾ فَدَعْنَا مِنْ أَمْرِ عُيَيْدٍ، وَخِلَافِهِ لِشَيْمِ عَمْرِو بْنِ عُيَيْدٍ، وَانْظُرْ إِلَى وَفَاقِكَ لِشَيْمِ ابْنِ قُرَيْعَةَ وَابْنِ عُيَيْدٍ، جَعَجَعْتَ وَمَا طَحَنْتَ، وَتَخَيَّلْتَ أَنَّكَ تُعْرِبُ مِنْ حَيْثُ لَحَنْتَ، وَجِئْتَ بِتَقْسِيمٍ وَتَفْصِيلٍ، كِلَاهُمَا لَا يَرْجِعُ إِلَى رَوِيَّةٍ وَلَا تَحْصِيلٍ.

أَمَّا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ إِضْفَاقُ ذَلِكَ الْفَرِيقِ وَإِجْمَاعُهُ، فَحَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ، لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا عَلَى الْحَقِّ مِنْ قَوْمٍ أَبَدُوا عِنَادًا، وَأُورُوا فِي تَلْهَبِ الشَّمْسِ زِنَادًا، تَعْسَا لَهُمْ هَلَّا التَّزَمُوا الْاِقْتِصَادَ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْعَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَ⁽⁶⁾، وَتَرَكَوْا الْأَخْذَ فِي أُسْلُوبِ التَّعْلِيلِ، وَمَا دَرَوْا أَنَّ النَّهَارَ لَا يَخْتَاجُ إِلَى الدَّلِيلِ⁽⁷⁾، أَلِلْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿بَنَيْدُوهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾. سورة آل عمران، الآية: 187، سورة هود، الآية: 92.

(2) من قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِمَّنْ قَرِئَ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئًا﴾. سورة مريم، الآية: 74.

(3) من قول الشاعر الخريمي:

الْخَيْرُ يَنْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَبَتْ مِنْ زَادٍ

(4) مثل عربي مشهور. نشوة الطرب 2/ 788.

(5) سورة الطلاق، الآية: 9.

(6) مقتبس من قول أبي العلاء المعري: (شروح سقط الزند 6/ 553).

أَرَى الْعَنْقَاءَ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا فَعَانِذُ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا

(7) قال المتنبي:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْإِفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا اخْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ



يَعْرِضُونَ؟ وَلَا أَحْكَامِهِ الشَّرْعِيَّةَ يَغْتَرِضُونَ؟ وَهَلْ ذَلِكَ فِي مَا تَقْتَضِي حَقِيقَةُ النَّظَرِ، إِلَّا
كَمَا تَعَاطَى الْفَرَزْدَقُ مُسَاجَلَةَ الْأَخْضَرِ⁽¹⁾، وَالْحُرُّ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانُ⁽²⁾، وَعَرَارٌ لَا يُرَادُّ بِهِ
الْهَوَانُ⁽³⁾، مَنْ عَاشَ رَجَبًا رَأَى عَجَبًا⁽⁴⁾ كَيْفَ يُجَارَى الْبَرْقُ بِسُكْنَيْتٍ يَحْجُلُ فِي قَيْدِ
الْفَسْلِ، أَوْ يُكَائِرُ مَاءَ الْبَحْرِ بِصُبَابَةِ الْوَشْلِ، أَمْ كَيْفَ يَرُوعُ الْأَسَدُ بِفَزِّ الْغَيْطَلَّةِ، أَوْ تَفَاخُرُ
زَمْزَمٌ بِالْيَثْرِ الْمُعْطَلَّةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ جَالُوا فِي تَضَرُّيخٍ، صَرِيحٍ، وَتَعَرِيضٍ، عَرِيضٍ، فَتِلْكَ
ضَرِيبةٌ مُرِيبةٌ... تعليلًا وتوجيهًا، فبرأه الله ممَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا، الْحَقُّ أَبْلَجُ،
وَالْبَاطِلُ لَجَلَجُ، وَفِي الصَّبَاحِ يُجِنُّ الظَّلَامُ وَيَكْفُرُ، ﴿بِمَسْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَسْ شَاءَ
فَلْيَكْفُرْ﴾⁽⁵⁾.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا مَنْ يَتَّحِلُ هَذِيانَ الْبَعِيرَ وَيَقْتُلُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ فَقَدْ جُنْتُ
فِي نَقْضِ تِلْكَ الثَّلَاثِ مَسَائِلِ بُفُصُولٍ، لَا عَنْ فُرُوعٍ أُحْدِثْتَ وَلَا مِنْ أَصُولٍ، وَلَعَلَّكَ
أَخَذْتَ عِلْمَكَ عَنْ زُفَرٍ، الَّذِي أَجَازَ الْوُضُوءَ بِالنَّبِيدِ فِي السَّفَرِ⁽⁶⁾ لَا مَاءً أَتَقَيَّتْ، وَلَا دَرَنَكَ
أَنْقَيْتْ، بِفِيكَ الْكِثْكَثُ⁽⁷⁾، مَا لِحِجَاكِ كَمَا تَقُولُ مُنْكِثٌ، هَلَا أَفْصَحْتَ بِالْحَقِّ وَبَرَهَنْتْ

(1) الأخضر هو الفضل بن العباس بن عتبة اللّهي وهو الذي يقول:

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَغْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جِدَا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكُرْبِ

(2) جاء في أساس البلاغة وفي مثل: لا يرمي به الرجوان، وأصله الدلو يرمي به رجوا البثر قال زهير بن أبي سلمى:

مَطَّوْتُ بِدَفْنِ الْأَرْضِ حَتَّى كَانَتْهُ أَخُو سَبَبٍ يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانُ

(3) عرار بفتح العين هو ولد عم بن شأس الأسدي وفيه يقول والده:

أَرَادَتْ عَرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ عَرَارًا لَعَمْرِي بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ
فَلِنْ عَرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَلْيَأْنِي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمِ

(4) من المثل العربي المعروف: «عش رجبا تر عجا». مجمع الأمثال رقم 1284.

(5) سورة الكهف، الآية: 29.

(6) أجاز ذلك بعض الحنفية، وقد ذكر هذه المسألة ابن رشد في البداية.

(7) الكثكث: دقاق التراب وفئات الحجارة ويقال: «بغية الكثكث»، كأنه دعاء يقصد به الدم.



عَلَيْهِ، أَمْ أَنْتَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ﴿فَلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾⁽¹⁾، وَقَدْ ادَّعَيْتَ أَنَّكَ حَطَّطْتَ رَحْلَكَ لَيْلًا، وَالنَّوْمُ يَسْحَبُ عَلَى جُفُونِكَ ذَيْلًا، وَلَوْ أَنِّي حَمَلْتُكَ عَلَى صِدْقِ الْكَلَامِ، لَتَنَيْتُ عَنْكَ أَعِنَّةَ الْمَلَامِ، وَلَا خَذْتُ بِمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْمَسْنُونِ، مِنْ رَفْعِ الْقَلَمِ عَنِ النَّائِمِ وَالصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ⁽²⁾، وَلَقُلْتُ لَعَلَّهُ إِنَّمَا كَتَبَ ذَلِكَ التَّخْلِيْطُ فِي الْمَنَامِ، فَارْتَقَى أَمْتَكَ⁽³⁾ غَارِبَ فِي الْهَذْيَانِ وَسَنَامٍ، وَجَعَجَعَةً عَنِ الشَّمَالِ وَالْيَمِينِ ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَاوِيلِ إِلَّا خَلَمَ بِعَلِيمِينَ﴾⁽⁴⁾، لَكِنِّي لَا أَنْسُبُكَ لِشَيْءٍ مِنْ صِدْقِ الْمَقَالِ، وَلَا أَعْبَأُ بِمَا هُنَالِكَ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ، فَأَتَى لَكَ بِالْإِعْفَاءِ، مِنْ هَذْيَانِ ذَلِكَ الْإِعْفَاءِ، أَوْ بِالْإِقَالَةِ، مِنْ هَذِرِ تِلْكَ الْمَقَالَةِ، لَكِنْ خُذْهَا عَلَى ظَهْرِ الْغَيْبِ، وَيُؤْ بِشُسْعِ نَعْلِ كَلْبٍ⁽⁵⁾ وَإِنْ شِئْتَ فَكُنْ مِمَّنْ اشْتَمَلَ بِرُودِ ذَلِكَ الْمَذْهَبِ الْفَسَلِ وَازْتَدَى ﴿بَسْتَغْلَمُونَ مِّنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾⁽⁶⁾ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾⁽⁷⁾.

وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ وَقَدْ عَتَبَ عَلَيْهِ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ لِكَلَامِ بَلَغَهُ عَنْهُ:

أَدَامَ اللَّهُ مِدَّتَكَ تَفَرَّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَتُبَايِنُ الْحَالِي مِنَ الْعَاطِلِ، وَتَمَيُّزُ الْمُغْرِي مِنَ النَّصِيحِ، بِذَهْنٍ يُجْلِسُ الْأَعْجَمَ فِي مَحَلِّ فَصِيحٍ، وَيَسْرِي إِلَى مَيْتِ الصَّدْقِ بِقُوَّةِ الْمَسِيحِ، وَلَا زَالَ مَجْلِسُكَ مَسْرَحًا لِحُسْنِ الذِّكْرِ وَمَجَالًا، وَمِيدَانًا تُقَالُ فِيهِ غَرَائِبُ الْفَضْلِ ارْتِجَالًا، حَتَّى لَا تَصْطَفِي لِيُوْخِي الْأَخْبَارِ إِلَّا رُوحًا أَمِينًا، وَلَا تَدْخِرُ لِيَتْلِكَ الْأَسْرَارِ إِلَّا عِلْقًا ثَمِينًا، وَلَا تَقْبَلُ مِنْ حَلَاْفٍ هَمَازٍ حَلْفًا وَلَا يَمِينًا.

سَلَامٌ تَنْفُخُ مِنْهُ رَوَائِحُ الْخُلُوصِ طَيِّبَةِ الْعَبَقِ، وَتَرْكَبُ إِلَى مَعَاطِبِ الْوَفَاءِ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ، مِنْ الْمُسْتَظْهِرِ يُوَدِّدُكُمْ، الْمُعْتَزِّضِ شَجَى فِي لَهَوَاتِ أَضْدَادِكُمْ:

(1) سورة فصلت، الآية: 5.

(2) مقتبس من الحديث الشريف: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ».

(3) أتمك: السنام، كيفما كان وقيل المرتفع منه وتمك السنام اكتنز وناقة تامك عظيمة السنان.

(4) سورة يوسف، الآية: 44.

(5) مثل عربي انظر عنه نشوة الطرب 2/ 628.

(6) سورة طه، الآية: 134.

(7) سورة طه، الآية: 46.



آتَاكَ أَمْرٌ مُسْتَبْطِنٌ لِي بِغَضَّةٍ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شَافِعٌ⁽¹⁾
فَمَنْ عَذِيرِي مِنْ طَائِفَةٍ، بِالتَّوْرِيشِ⁽²⁾ طَائِفَةٍ، ذَاتِ أَمَارَةٍ⁽³⁾ بِالسُّوءِ أَمَارَةٍ⁽⁴⁾ زَخَرَفَتْ بِأَمْرِ
يَقْتَضِي خَرْقَ الْمُعْتَادِ، وَرَحَفَتْ بِمُحَالٍ مِنْ هَذَا الْمِثْلِ دُونَهُ خَرَطُ الْقِتَادِ⁽⁵⁾، جَذَبَتْهَا مِنْ
سُوءِ النَّيَّةِ أَشْطَانٍ، وَأَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهَا فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ، وَهَلْ هِيَ إِلَّا
قَالَةٌ وَرَاءَهَا الْعَيْبُ، وَكِتَابٌ مِلْؤُهُ شَكٌّ وَرَيْبٌ، وَيَا عَجَبًا حَتَّى كُتِبَ⁽⁶⁾، مَا شِئْتَ مِنْ
غُيُورٍ⁽⁷⁾ وَكُسَيْرٍ، وَكَلَامِ أَلْسِنَةٍ ﴿حِدَادٍ أَشَحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾⁽⁸⁾، صَرَفُوا إِلَى نَقْضِ
الْمُبَرَّمَاتِ أَمَالَهُمْ، وَوَأَفُوا عَلَى الشَّرِّ شَبَاهَهُمْ وَاحْتِمَالَهُمْ، ﴿وَلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِأَخْبَطِ
اللَّهِ أَعْمَلَهُمْ﴾⁽⁹⁾ هَيَّؤُوا لِطَيْرَانِ الْهَدْيَانِ جَنَاحًا كَسِيرًا، وَرَأَوْا وَبَشَسَ مَا رَأَوْا أَنْ يَجْعَلُوا
التَّبَرِيزَ تَقْصِيرًا، فَازْتَدَّ طَرْفُ تَوَهُمِهِمْ عَنْ سَمَاءِ التَّقْصِيرِ حَسِيرًا⁽¹⁰⁾، فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يَسْتَدِرُّونَ
ظَنَّ السُّوءِ وَيَمْتَرُونَ، وَيَأْرُشُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ ﴿فَلِ-اللَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ
تَفْتَرُونَ﴾⁽¹¹⁾ وَالْمُبْلَغُ أَحَدَ الشَّائِمِينَ⁽¹²⁾، قَوْلُهُ لَا زَوْرٌ وَلَا مَيْنٌ، وَأَنَا أَقُولُ لِيَتْلِكَ الْفِئَةُ وَإِنْ

(1) البيت من بحر الطويل، وهو للنابعة من قصيدة مطلعها:

عَفَا ذُو حُسَا مِنْ فَرْتَنَى فَالْفَوَارُغُ فَجَنَّبَا أَرِيكَ فَالتَّلَاغُ الدَّوَاغُ

(2) التوريش: التحريش والإفساد بين الناس.

(3) أماراة: علامة.

(4) أما أماراة الثانية فهي بمعنى تأمر ويشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ﴾. سورة يوسف، الآية: 53.

(5) هذا من المثل: دونه خرط القتاد.

(6) من قول الفرزدق:

فَيَا عَجَبًا حَتَّى كُتِبَ نَسْبِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلُ أَوْ مُجَاشِعُ

(7) الغورة والغوير: ماء لكلب في ناحية السماوة وفي المثل «عسى الغوير أبوسا» وربما تكون من المثل: عوير وكُسير.

(8) سورة الأحزاب، الآية: 19.

(9) سورة الأحزاب، الآية: 19-20.

(10) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ سورة الملك، الآية: 4.

(11) سورة يونس، الآية: 59.

(12) مثل عربي مشهور ومعروف.



وإن أَرْفَعَ فِي الزُّورِ مَنَارُهَا، وَأَنْطَبَعَ بِسِيمَا الْإِفْكِ وَالتَّقْوُلِ دِينَارُهَا، سَمَنُهَا فِي أُدِيمِهَا⁽¹⁾
وَنَجَارُهَا نَارُهَا، إِنَّمَا هِيَ آتِيَةٌ رَشَحَتْ بِمَا تَحْوِيهِ، وَالسِّنَّةُ أَعْرَبَتْ عَمَّا تُجِنُّهُ صُدُورُهَا
وَتَطْوِيهِ، بَلَغَتْ بِالْقُوَّةِ وَالْحَوْلِ، وَرَمَتْ فِي الْحَنِيفِيَّةِ بِالْبَقَرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ، وَإِنْ
تَمَاهَلَتْ لَهُمْ أَيُّهَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ، وَأُوذِيَتْ كَمَا أُوْذِيَ مُوسَى الْكَلِيمُ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمْ
اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽²⁾، فَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرِ الْيَقِينُ⁽³⁾، وَمِثْلُكَ مَنْ أَفْصَحَ بِإِبْطَالِ
الْمُحَالِ فَأَسْمَعَ، وَأَصَاخَ لِذَاعِي الْفَضْلِ وَاسْتَمَعَ، وَأَنَا... إِلَيْكَ مَنْ فَسَلٍ يُخَادِعُ، وَوُجُوهُ
قُرُودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُجَادِعُ.

وَكَتَبَ أَيْضًا إِلَى [الْحَكِيمِ] أَبِي بَكْرٍ بْنِ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُرْسِيِّ⁽⁴⁾: [الكامل]

أَيَّ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى لَمْ أُخْرِزِ	أَمْ أَيَّ وَعْدٍ فَضِيلَةٍ لَمْ أُنْجِزِ
وَلِي الْمَفَاخِرِ، فَضُّهَا بِقَضِيضِهَا	أَعَزَى إِلَيْهَا أَوْ لِمَجْدِي تَعْتَزِي
نَامَ الْأَنَامُ عَنِ الْعَلَاءِ وَلَيْتَنِي	أَحْرَزْتُ مِنْهَا مِلءَ رَغْبَةٍ مُحَرِّزِ
هَلْ فِي الْبَرِيَّةِ مُنْكَرٌ لِفَضَائِلِي	أَوْ طَاعِنٌ فِي مَجْدِي الْمُتَعَزِّزِ
أَعَشَيْتُ سَبَاقَ الْبَيَانِ وَرَبَّمَا	أَعْطَيْتُ رَاحَتَهُ عِنَانَ مُبَرِّزِ
يَمْضِي فَيَغْشِي لِلْبُرَاقِ غُبَارُهُ	وَعَجَّاجُهُ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَخْفِزِ
فُذْتُ الْقَوَافِي شُرْدًا أَوْ ذُلًّا	تَنْحَطُّ لِي، وَلَمَنْ عَسَدَانِي تَنْتَزِي
فَأَنَا إِذَا أَطْنَبْتُ أَبْرَعُ مُطْنِبِ	وَإِذَا أَنَا أَوْجَزْتُ أَبْلَغُ مُوجِزِ
وَيَهْبُ فِكْرِي لِلْوَلِيِّ بِسَجْسَجِ ⁽⁵⁾	وَيَهْبُ فِكْرِي لِلْعَدُوِّ بِهِزْهِزِ ⁽⁶⁾

(1) هذا من المثل: «سمنكم هريق في أدِيمكم».

(2) سورة البقرة، الآية: 136.

(3) في المثل: «عند جُهينة الخبر اليقين»، مجمع الأمثال 1/ 394.

(4) الصواب حذف بن فالمدكور اسمه يحيى وكنيته أبو بكر، انظر برنامج الرعيبي ص: 64 فترجمته هناك.

(5) السجسج: الهواء المعتدل بين الحر والبر، وفي الحديث «أنهار الجنة سجسج» أي معتدل لا حار فيه ولا قار.

(6) الهزهزة: تحريك الرأس، وتطلق ويراد بها البلايا والحروب بين الناس.



وَلَرَبَّمَا جُرْتَ الْمَدَى بِمَرْجَرِي
وَسَحَبْتُ ذَيْلَ السَّبْقِ غَيْرَ مُعْجَزِ
أَيَكُونُ نُورُ الصُّبْحِ غَيْرَ مُمَيِّزِ؟
نَحْوَ الْحَكِيمِ بِكُلِّ سِحْرِ مُعْجَزِ
أَبْغِي لَدَيْهِ وَعْدَ غَيْرِ الْمُنْجَزِ
لَهُوَ الْمُقِيمِ وَضَحَكُهُ الْمُسْتَوْفِزِ⁽¹⁾
هَيْهَاتَ مِنْ وَعْدٍ فَخَارُ تَعَزُّزِ
هَلْ تَكْتَفِي شَاةٌ بِلَيْثٍ مُجْهِزِ؟
فِي حَيْثُ أَضْحَى مِنْهُ أَعْوَزَ مُعْوِزِ
جَمْعٌ مِحَاشِكَ يَا مُجْجَعٌ وَابْرُزِ⁽³⁾
أَلِقِ الْقِيَادَ لِأَلْمَعِيِّ هَبْرِزِ⁽⁴⁾
وَاللَّهْذَمَ اللَّمَاعَ لَيْسَ بِمَرْكَزِ
وَعِبَابُهُ الطَّامِي، بِنُقْطَةِ مَرْكَزِ

وَلَرَبَّمَا فُتَّتِ الْوَرَى بِمُفَقَّرِي
وَشَدَحْتُ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ عَجَائِي
يَا مَنْ يُلَاحِظُنِي بِطَرْفٍ مُنْكَرِ
يَا حَسْرَتِي لِقَصِيدَةٍ أَرْسَلْتُهَا
أَرْسَلْتُهَا مُسْتَهْزِئًا مِنْ سُخْفِهِ
أَبْغِي مُرَاجَعَةً وَأَعْلَمُ أَنَّهَا
[قَبْدًا عَلَيْهِ بِهَا]⁽²⁾: فَخَارُ تَعَزُّزِ
يَا لَائِمًا يَخِي عَلَى تَقْصِيرِهِ
وَلَقَدْ غَدَوْتُ مِنَ الْبَيَانِ مُخَوَّلًا
إِيهِ أَبَا بَكْرٍ نِدَاءً تَعَرُّضِ
فَإِذَا رَأَيْتَ قُصُورَ بَاعِكَ فِي الْعُلَى
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الشُّعْرَ لَيْسَ حَيَاكَةَ
يَا هَلْ يُسَاوِي عَاقِلٌ غَسَقَ الدُّجَى

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُسَلِّطُ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ الْعَالَمِ بِالْتَّغْنِيفِ وَأَوَّلَاهُ، وَالْخَصِي الَّذِي يَفْخَرُ
بِمَتَاعِ مَوْلَاهُ، الَّذِي أَعْظَمَ الْمُحَقَّرَ وَأَكْبَرَ، وَعَبَسَ وَبَسَرَ⁽⁵⁾ ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، وَنَظَّمَ
الْهَذْيَانَ وَنَثَرَ، وَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ، فَلَسَدَمَا جَمَعَ بِكَ حِمَارُكَ، وَطَالَ انْقِيَادُكَ

(1) المستوفز: المسرع في مشيه

(2) خرم بالأصل

(3) مقتبس من قول النابغة:

جَمْعٌ مِحَاشِكَ يَا يَزِيدُ فَلِإِنِّي أَعْدَدْتُ يَزْبُوعًا لَكُمْ وَنَمِيمًا

والمحاش بالكسر القوم يجتمعون من القبائل يحالفون غيرهم.

(4) الهبرز: الأسد، وتطلق على المقدام في كل شيء.

(5) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾. سورة المدثر، الآية: 22.



لِلْأَمَانِي الْكَاذِبَةِ وَإِثَارُكَ، وَلَمْ تُدْرِكَ بِالْمُنَى ثِمَارُكَ، فَإِنَّكَ تَعَايَيْتَ مَجَالَ الرَّجَالِ،
وَسَجَالَ الْأَزْتَجَالِ، فَلَسَدَمَا جَاوَزْتَ قُدْرَكَ صَاعِدًا، وَلَسَدَمَا قَرَبْتَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَنْجُمِ
مَعَاهِدًا وَإِلَّا فَالْحَقُّ أَجْلَى وَأَوْضَحُ، وَالْدَّرَنُ بِالمَاءِ يُنْضَحُ، رُمْتَ افْتِحَامَ طَرِيقِي،
وَلَسْتَ مِنْ فَرِيقِي، وَأَرَذْتَ أَتْبَاعِي، وَأَيْنَ انْطِبَاعُكَ مِنْ انْطِبَاعِي، وَقُوَّةُ طِبَاعِكَ مِنْ رِقَّةِ
طِبَاعِي، وَقِصْرُ بَاعِكَ مِنْ طُولِ بَاعِي، وَعَلَى التَّحْقِيقِ فَلْتَشْرِفَنَّ⁽¹⁾ سَائِمَتُكَ بِرِيقِ
سِبَاعِي، فَاسْتَغْنِ عَنِ الْإِسْرَاجِ وَالْإِلْجَامِ، وَأَنْجِ نَجَاءَ الْحَارِثِ بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ⁽²⁾،
فَمَا أَنْتَ بِمَرْسُومٍ فِي دِيْوَانِ الْجِيَادِ وَلَا مَثْبُوتٍ، لَكِنْ بَيْنَ مُقْصِرٍ أَوْ مَكْبُوتٍ ﴿وَلِإِنَّ
أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتٌ أَلْعَنَكَبُوتِ﴾⁽³⁾ وَأَنَا الَّذِي أَرْتَجِلُ، فَأَخْجَلُ، وَاقْتَحَمَ، فَأَفْجَمَ،
وَرَوَى، فَرَوَى، وَبَرَزَ، فَبَرَزَ، فَهَلَّا حِينَ كَبَا عَنْ جَوَادِي زَنْدُكَ، وَنَكَسَ عَلَى صَعْدَةِ
التَّوْفِيرِ بَنْدُكَ، ضَرَعْتَ إِلَيَّ عَلَى عَادَتِكَ، فِي إِبْدَائِكَ وَإِعَادَتِكَ، فَجَاوَيْتُ نَفْسِي عَنْ
نَفْسِي⁽⁴⁾، وَنَحَلْتُهُ إِيَّاكَ، وَلَمْ أَدْعُ فِي الْمَعَاطِسِ دَفَرَ⁽⁵⁾ رِيَّاكَ فَلِي الْمَقُولُ، الْأَطْوَلُ،
وَالسَّاعِدُ، الْمُسَاعِدُ:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ⁽⁶⁾

(1) الشرق بالماء والريح ونحوهما كالغصن بالطعام، قال عدي بن زيد:
لَوْ بَغِيْرَ الْمَاءِ حَلَقِي شَرْقٌ كُنْتُ كَغَصْنَانِ بِالمَاءِ اغْتِصَارِي

(2) يشير إلى قول حسان بن ثابت في الحارث بن هشام:
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَنَجَوْتُ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
نَزَكَ الْأَجْبَةِ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ

(3) سورة العنكبوت، الآية: 41.

(4) نفسي: مدادي؛ أي ما كتبت ودبجت.

(5) الدفر: التتن خاصة ولا يكون الطيب فيه البتة.

(6) البيت من بحر البسيط وهو للمتنبي. ديوانه، 323.



لَكِنْ أَنْتَ بِتَهْوُورِكَ وَجُنُونِكَ، وَضُرُوبِكَ الْحَسَدِيَّةِ وَفُتُونِكَ، أُبَيِّتُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ عَنْ وَجْهِ
التَّحْقِيقِ مِنَ السَّافِرِينَ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ﴾ (1) وَهَآكِهَآ وَالْوَقْرُ (2) أَرْفُقْ مِنْهَا بِأَذْنِيكَ، فَإِنْ كُنْتَ ذَا طِبِّ فَطَبِّ لِعَيْنَيْكَ:
وَإِنْ تَغْضَبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ بَيْنَنَا فَلَلَّهُ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرًا (3)

وَلَهُ أَيْضًا الرِّسَالَةُ الَّتِي سَمَّاها: رِسَالَةُ «الرَّزْدِ الْوَارِي فِي الرَّدِّ عَلَى النَّاقِدِ الْمُتَوَارِي» وَهِيَ
هَذِهِ:

تَجِيشُ بِلا شَيْءٍ شُبُوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
ضَفَادِعُ فِي ظُلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ (4)
مَثْلُكَ أَيُّهَا الْغَاوِي مِنْ غَيْرِ نَبَأٍ، مَثْلُ الْمُعْرِضِينَ مِنْ أَهْلِ سَبَأٍ سَاعَدَهُمْ سِرْبُ عَفُورٍ،
وَاکْتَنَفَتْهُمْ ﴿بَلَدَةَ طَيِّبَةَ وَرَبُّ غَبُورٍ﴾ (5)، فَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، وَحَقَّقَ فِي
طُغْيَانِهِمْ مَا ظَنَّهُ، فَمَالَ عَنْ جَانِبِ ظِلٍّ غَيْرٍ مُنْصَرِمٍ، إِلَى كَنَفِ هَجِيرٍ كَالْهَجْرِ مُضْطَرِمٍ،
وَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ (6)، أَوْ كَمِثْلَ قَرْيَةٍ كَانَتْ فِي مَحْطٍّ رَحَلَ الْإِمْكَانَ،
وَمَلَقَى [رَكْبٌ] (7) سَعِدٍ يَسْتَنْبِطُ الْمَاءَ مِنْ وَهَجِ الْبُرْكَانِ، أَمَنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَتَلَقَّتْ وَاجِبَ الشُّكْرِ بِالسَّيْنِ وَسَوْفَ، وَتَجَرَّدَتْ عَنْ أَمْثَالِ ثِيَابِ بَنِي
عَوْفٍ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ (8)، أَوْ كَمِثْلَ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ، سَارِحَةً بَيْنَ بَرْدٍ

(1) سورة البقرة، الآية: 89.

(2) ثقل في الأذن والسمع.

(3) البيت من بحر الطويل وهو لجميل بن معمر العذري في ديوانه وحماسة أبي تمام.

(4) البيتان من بحر الطويل وهما للأخطل برواية «تنق بلا شيء». العقد الفريد/ 2/ 468.

(5) سورة سبأ، الآية: 15.

(6) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَبُورٍ فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
الْعَرِمِ﴾. سورة سبأ، الآيتان: 15-16.

(7) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(8) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ فَكَهَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾. سورة النحل، الآية: 112.



النَّدَى وظلَّ الخَمَرُ⁽¹⁾ خَلَا لَهَا الْجَوُّ، وامتدَّ أَمَامَهَا الدَّوُّ، فَبَاضَتْ وَصَفَرَتْ، واطمَأْنَنْتْ وما نَفَرَتْ، وَوَرَدَتْ وَرَادَتْ، ونَفَرْتُ مَا أَرَادَتْ⁽²⁾ وقالت: إِنِّي وَإِنِّي، وكثيراً ما يورِّطُ صاحِبُهُ النَّظْمِيَّ، حَتَّى إِذَا تَمَثَّلَ لَهَا الْعُقَابُ، وَتَصَوَّرَ لَهَا فِي نَفَثَاتِهِ الْعِقَابُ، عَلِمَتْ أَنَّ جَسَدَهَا بِحَدِّ كَلَامِهَا كَلِيمٌ⁽³⁾، وَتَلَّتْ تُوبِخُ نَفْسَهَا ﴿وَبَقِيَ كُلُّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾ أَوْ كَمَثَلِ الْهَرِّ، انْتَفَخَ وَهَرَّ، وَرَدَّدَ ضُغَاءَهُ وَأَزْمَهَرَ، وَأَطَاعَ الْغَلَّ وَالْحَسَدَ، فَقَالَ لَهُ: بَارِزِ الْأَسَدَ، فَبَيْنَا هُوَ يَسْتَأْسِدُ، وَرَأْيُهُ فَاسِدٌ، زَارَ الضَّرْغَامَ، وَالتَّقَى هُنَاكَ الشَّمَمَ وَالرَّغَامَ⁽⁵⁾، وَاخْتَلَطَ الْهَمَلُ وَالْمَرْعِيُّ، وَنُعِيَ النَّاعِي وَالْمَنْعِيُّ، فَلَاذَ الْهَرِّ بِالْحُجْرَةِ وَالْكُوى، وَقَالَ لِأَبِي غُبْشَانَ⁽⁶⁾ عَلَيْكَ بِالْأَعْلَامِ وَالصُّوى، وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ لَا يُعْجَمُ بِالْغَرْبِ⁽⁷⁾ عود النَّبْعِ، وَأَنَّ التَّطْبِيعَ عِيَالٌ عَلَى الطَّبْعِ، أَوْ كَمَثَلِ رَاكِبِ الْكُودَنِ⁽⁸⁾ الْعَاثِرِ، الَّذِي لَا يَبِينُ مِنْهُ غَيْرُ رَسْمٍ دَائِرٍ، أَجْرَاهُ بِالْخَلَاءِ⁽⁹⁾، فَظَنَّهُ مِنَ النَّبَلَاءِ.....

..... وَبَعْدُ: أَيُّهَا الشَّاطِئِيُّ الْمُتَوَارِي عَلَيْنَا، الَّذِي حَسِبْتَ جَهْلًا لَأَنَّهُ الصَّخْرَ لَيْنًا، فَمَا أَظْنُكَ شَعُرْتَ، أَيَّ نَارٍ أَسْعَرْتَ، وَلَا إِخَالَكَ عَقَلْتَ، أَيَّ قَيْدٍ اعْتَقَلْتَ، وَلَا أَحْسَبُكَ عَلِمْتَ، بِأَيِّ حَدِّ كَلِمْتَ، أَعَرَفْتَ، بِمَا هَرَفْتَ، أَمْ قَدَرْتَ، بِمَا أَقْدَرْتَ، لَا

(1) الخمر: ما وارك من الشجر والجمال يقال توارى الصيد عني في خمر الوادي.

(2) مقتبس من قول طرفة بن العبد:

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمُعَمَّرٍ خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَيُضِي وَاصْفِرِي
وَنَقَرِي مَا شِئْتِ أَنْ تَنْقَرِي قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَخْذَرِي
لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُصَادِي فَاصْفِرِي

ديوانه، ص: 46.

(3) الكليم: الجريح وهو من كلمه يكلمه فهو كليم ومكلموم.

(4) سورة يوسف، الآية: 76.

(5) الشمم: الرفعة، والرغام: رمل مختلط بتراب ويدل على الذل والهوان لمن عفر جبينه به.

(6) أبو غبشان الخزاعي يقرب من المثل في الحمق والندامة.

(7) الغرب: الراوية التي يحمل عليها الماء وقيل هي الدلو العظيمة.

(8) الكودن: البرذون ويقال أيضا للفيل، قال الشاعر:

خَلِيلِي عَوْجًا مِنْ صُدُورِ الْكُودَانِ إِلَى قَضْعَةٍ فِيهَا عُيُونُ الضَّيَّانِ

(9) مقتبس من المثل العربي: «كل مجر بخلاء يسر» مجمع الأمثال.



أَعْرِفَتْ، بِمَا هَرَفَتْ، أَمْ قَدَرْتَ، بِمَا أَقْدَرْتَ، لَا جَرَمَ أَنَّكَ عَثَرْتَ، فِيمَا نَثَرْتَ، وَهَذَرْتَ،
حَيْثُ اعْتَدَرْتَ، وَفَسَلْتَ، حِينَ فَصَلْتَ، وَثَقَلْتَ، فِيمَا نَقَلْتَ، وَتَقَطَّبْتَ، حِينَ خَطَبْتَ،
وَقَصَّرْتَ، لَمَّا انْتَصَرْتَ، وَتَوَرَّطْتَ، فِيمَا أَفَرَطْتَ، وَزَوَّزْتَ فِي الَّذِي صَوَّرْتَ:

كَالْبَحْرِ يَشْتُمُهُ الْغَرِيقُ وَمَوْجُهُ مِنْ فَوْقِهِ مُتَلَاطِمُ التِّيَّارِ⁽¹⁾

[أَحْذَرُكَ] وَأَعْلِمُكَ، أَنَّكَ طَغَى بِكَ قَلَمُكَ، وَصَوَّرَ لَكَ الْغَاوِيَانِ فِكْرَكَ وَإِبْلِيسَ، وَهَمَّا
كُلُّهُ - لَوْ سَاعَدَ النَّظْرُ - تَزْوِيرٌ وَتَدْلِيسٌ، فَانْبَعَثَ تَرْدُّ عَلَى فَضْلِ مِنْ رِسَالَةِ الْإِزْتِحَالِ
وَالْتَعْرِيسِ، وَتَدَخَّلَ بِالْعَيْرِ عَلَى كَيْثِ الْعَرِيسِ⁽²⁾ وَقَدْ كَانَ طَالًا تَرْقِيًّا وَانْتِظَارِيًّا، أَنْ يَنْهَضَ
ذَلِكَ الْعَيْرُ نَحْوَ هَذَا الضَّيْنَمِ الضَّارِي، فَأَقُولُ، وَأَصُولُ، وَأَضْرِبُ بِالْبَوَارِقِ وَهِيَ نُصُولُ.
رَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا زَيَّفَتْ، حِينَ جُرَتْ عَلَى نَفْسِكَ وَتَحَيَّفَتْ، كَيْتَابِي عَنْ شَاطِئَةِ بَأْمٍ
صَخْرٍ، وَخَلَعِي عَنْهَا بِذَلِكَ تَمِيمَةَ الْفَخْرِ، فَشَمَخَ بِأَنْفِكَ الْأَجْدَعَ الْقَلْقُ وَالضَّجَرُ،
وَاخْتَجَجْتَ بِأَنْ اسْمِي صَفْوَانُ وَهُوَ الْحَجَرُ، بُعْدَكَ وَوَيْلَكَ، أَعْلَى هَذِهِ الْأَرْضِ تَسْحَبُ
ذَيْلَكَ، لَشَدِّ مَا بَاعَدَتْ بَيْنَ الدَّرَّةِ وَالنَّحْرِ، وَغَفَلْتَ عَنْ كَيْتَابِي بِأَبِي بَخْرٍ، وَهَلْ صَفْوَانُ هَا
هُنَا إِلَّا الْبَحْرُ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِصَفَائِهِ، فَنَبَّهَ طَرَفَكَ الضَّرِيرَ مِنْ سِنَةِ إِغْفَائِهِ، عَذَرْتُكَ فَإِنَّ عِلْمَ
اللُّغَاتِ، مِنَ الْمَطْرَحَةِ لَدَيْكَ وَالْمُلْقَاةِ، أَلَمْ تَسْمَعْ صُمَّ سَمْعِكَ، وَلَا لَمْ جَمْعُكَ، إِلَى قَوْلِ
قَرِيعِ الْجَزِيرَةِ وَفَحْلِهَا، الْمَشْهُورِ بِابْنِ مَرْجٍ كُحْلِهَا⁽³⁾:

قَرِيعِي رَائِقٌ بِكَ لَائِقٌ لَأَنَّكَ بَخْرٌ وَهُوَ دُرٌّ وَمَرْجَانٌ⁽⁴⁾

وَفِي مُرَاجَعَتِهِ أَقُولُ، عَلَى مَا يُوجِبُهُ الْإِشْفَاقُ الْمَعْقُولُ، وَيَقْتَضِيهِ النَّصُّ اللَّغَوِيُّ
الْمَنْقُولُ:

(1) البيت من بحر الكامل.

(2) العريسة والعريس: الشجر الملتف وهو مأوى الأسد والحيوانات، وفي المثل: «كمتبغي الصيد في عريسة الأسد».

(3) شاعر أندلسي مشهور ترجمته في: التكملة، ص: 636، برنامج شيوخ الرعييني ص: 208، الذيل والتكملة 6/ 115-116، 6/ 210، المحمدون من الشعراء، ص: 204.

(4) البيت من بحر الطويل.



صَدَقْتَ، إِذَا لَمْ يُصَفِ صَفْوَانُ وَدَّهِ فَلَيْسَ بِصَافِي الْوُدِّ فِي النَّاسِ إِنْسَانُ
هَلِ النَّوْنُ فِي صَفْوَانٍ إِلَّا مَزِيدَةٌ، مِنَ الصَّفْوِ وَالْإِخْلَاصِ يُشْتَقُّ صَفْوَانُ⁽¹⁾

وَأَمَّا كِنَايَتِي بِأَمِّ صَخْرٍ حِينَ كُنْتُ، فَغَيْرَ مَا تَعْنِي بِهِ عَنَيْتُ، إِنَّمَا كُنْتُ عَنْ أَكْفٍ بَيْنَهَا
بِالصَّخْرِ، وَضَرَبْتُ ذَلِكَ مَثَلًا لِبُخْلِهِمْ وَلَا فَخْرَ، عَلَى أَنَّ الصَّخْرَ لِيَعْضُهَا بِالْجُودِ
اسْتِهَارَ، ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَّبِعُ جُرْمُهُ الْآنْهَرُ﴾⁽²⁾ ثُمَّ إِنَّهُ صَعَرَ خَدَّكَ الْعِنَادَ،
وَوَرِيتَ بِهِ لِحْمِي ذِمَارِكَ زِنَادَ، فَقُلْتُ إِنَّ صَخْرَهَا مَظَنَّةٌ اعْتَزَّازِكُمْ، وَمَأْمَنٌ مِنْ غَلْبَتِكُمْ
وَائْتِزَّازِكُمْ، فَفَضَّلْتُ بِذَلِكَ الصَّخْرَ عَلَى الثَّرَابِ، وَكُنْتُ كَمَنْ قَاسَ بَيْنَ الْغَمْرِ⁽³⁾
وَالسَّرَابِ؛ وَالْمَعَادُ مِنْ جَهْلِكَ وَالْاِسْتِجَارَةُ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفُودَهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ﴾⁽⁴⁾ فَمَا قِيَاسُكَ مَا يَكُونُ بِهِ الْعَذَابُ مَعْقُودًا، وَيَكُونُ لِلنَّارِ وَقُودًا، إِلَى
جَوْهَرٍ خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ رُسُلَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ، وَأَوْدَعَهُ إِلَى الْحَشْرِ أَنْبِيَاءَهُ الْمُصْطَفَيْنِ وَأَصْفِيَاءَهُ؛
وَكَفَى عَلَيْكَ مِنْ تَسْجِيلٍ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾⁽⁵⁾، وَأَيُّ
قِيَاسٍ بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ مَعْصُودٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن
سِجِّيلٍ مَّتَّصُودٍ﴾⁽⁶⁾ وَالْبُرْهَانُ فِي هَذَا الْبَابِ، مُمْتَدُّ الْعَلَائِقِ وَالْأَسْبَابِ.

أَمَّا مَا أَشْرَتَ إِلَيْهِ مِنْ أَنِّي غَضِبْتُ لِعَدَمِ إِكْرَامِكُمْ، فَذَلِكَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مِنْ
جُرْأَتِكُمْ عَلَى الْإِفْكِ وَاجْتِرَامِكُمْ، عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي مَا ... عَنِ الْاِسْتِئْزَالِ، فِي قَبُولِ كَرَامَاتِ
الْأَفْسَالِ بِالْاِسْتِزَالِ.

(1) البيت من بحر الطويل.

(2) سورة البقرة، الآية: 73.

(3) الغمر: الماء الكثير.

(4) سورة البقرة، الآية: 23، سورة التحريم، الآية: 6.

(5) سورة الفيل، الآية: 4.

(6) سورة هود، الآية: 81-82.



وَمَا عَضِبْتُ إِلَّا لِأَبِي أَحْمَدَ بْنِ أُمِيَّةَ⁽¹⁾، الَّذِي لَقِيَنِي كَأَنَّهُ وَلِيدُ بَنِي أُمِيَّةَ⁽²⁾، وَقَدْ كَانَ أَبِي أَيَّامَ تَوَلَّيْهِ يُعَظِّمُهُ، وَيُعْلِيهِ فِي سِلْكِ خَاصَّتِهِ وَيَنْظُمُهُ، فَكَانَ إِذَا ذَاكَ إِذَا وَاجَهْتُهُ اسْتَبَشَّرَ، وَمَدَّ بِسَاطِ الْإِنْسَاطِ [وَنَشَرَ] فَلَمَّا لَقِيْتُهُ بَعْدَ [...] ذَلِكَ الْوَعْدِ، فَأَطْرَقَ إِذَا مَرَرْتُ بِهِ مُتَجَهِّمًا، وَكَأَنِّي إِذَا حَيَّيْتُهُ خَاطَبْتُهُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ مُسْتَفْهِمًا، حَتَّى كَأَنَّهُ لَوَرَدَ السَّلَامَ الْزَمَ الْمَلَامَ، وَلَوْ أَظْهَرَ الْإِقْبَالَ، أَلْفَ الْخَبَالَ. فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْبِرِّ كَانَ بِسَبَبِ الْخِطَةِ، وَمَا تَأَخَّرَ مِنَ الْجَفَاءِ بِسَبَبِ الدَّرَجَةِ الْمُنْحَطَةِ. عَلِمَ اللَّهُ مَا سَرَّنا التَّقْدِيمَ فَيَسْؤُنَا التَّأْخِيرَ، وَلَقَدْ تَسَاوَى الْأَوَّلُ مِنْهُ مَا عِنْدَنَا وَالْآخِرُ. وَأَمَّا عَدَا هَذَا الرَّجُلِ فَإِنِّي مَا تَذَكَّرْتُهُ، فَأَقُولُ ذَمَّمْتُهُ أَوْ شَكَرْتُهُ، وَلَوْ لَا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ تَعَرَّضَ لِنَظَرِي، مَا أَعْمَلْتُ فِكْرِي وَلَا نَظَرِي:

فَمَنْ أَنْتُمْ إِنَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحِ الْأَعَاصِرِ⁽³⁾
وَأَمَّا مَا هَدَيْتَ بِهِ مِنْ أَنَّا لَسْنَا لِلْكَرَامَةِ بِأَهْلٍ، فَحُجَّةٌ ذِي بِلَادَةٍ عَنْ فَهْمِ الْمَكَارِمِ وَجَهْلٍ، أَهَّا هُنَا غَرَّتْ، لَقَدْ حَقُرَتْ وَصَغُرَتْ، هَذَا مَكَانُ الْمَثَلِ الَّذِي جَرَى، فِي التَّغْلِييِ إِذَا تَنَحَّنَحَ لِلْقَرَى⁽⁴⁾:

كَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ لَمْ يَلْقَ مَا جَدَا وَلَمْ يَذِرْ أَنَّ الْمَكْرُمَاتِ تَكُونُ
فَقُلْ لِأَبِي يَحْيَى مَتَى تُذَرِكِ الْعَلَا وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ يَمِينٌ⁽⁵⁾

(1) هو جعفر بن أحمد بن أمية المكنى بأبي أحمد شاطي تولى الأحكام ببلده لأبي الحسن القسطلبي كان فقيها مشاوراً بصيراً بالمسائل. التكملة، ص: 243.

(2) وليد بني أمية هو الوليد أبي يزيد بن عبد الملك الذي وصف نفسه في شعره بالجبار العنيد.

(3) البيت من بحر الطويل، وهو ضمن ثلاثة أبيات لزياد الأعجم في شرح الحماسة للأعلم 2/ 1059، رقم 814.

(4) مقتبس من قول الشاعر:

وَالْتَّغْلِييِ إِذَا تَنَحَّنَحَ لِلْقَرَى حَكَ اسْتَهَ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا
تَلَقَّاهُمْ حُلَمَاءَ عَنْ أَعْدَائِهِمْ وَعَلَى الصَّدِيقِ تَرَاهُمْ جُهَالَا

العقد الفريد 5/ 297.

(5) البيتان من بحر الطويل، وهما لبشار بن برد من شعر له في عبد الله بن قزعة، ديوانه 4/ 211.



اعْلَمْ: أَيُّهَا الْجَاهِلُ بِالْمَكَارِمِ، الْمُسْتَرِيحُ مِنْ تَعَبِ الْأَكَارِمِ، أَنْ كُلَّ صَنِيفٍ جَلٍّ أَوْ قَلٍّ، وَاجِبٌ أَنْ يُضْطَلَعَ بِأَعْبَاءِ كَرَامَتِهِ وَيُسْتَقَلَّ، وَلِلَّهِ دَرُّ هَمَامٍ أَوْ هُمِيمٍ، الْمُتَبَرِّي مِنَ الصُّيَمِ وَالذُّيَمِ⁽¹⁾، حَيْثُ بَاتَ لِكِرَائِمِ مَالِهِ مُسْتَهْنًا، وَرَفَعَ لِنَارِهِ مَوْهِنًا، فَأَتَاهُ أَطْلَسُ⁽²⁾ لِدَنْبِهِ سَاحِبًا، عَسَّالٌ⁽³⁾ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبًا، ذُنْبٌ عَقِدَ عَلَى الْكَيْدِ زُنَاؤُهُ، وَجَازِرٌ فِي شِدْقِهِ شَفَرْتُهُ وَنَارُهُ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَاسَمَهُ زَادَهُ، وَرُبَّمَا وَفَاهُ عَلَى نَفْسِهِ وَزَادَهُ، وَقَالَ يَذْكُرُ طُرُوقَهُ وَمَسَرَّاهُ، وَيَصِفُ كَيْفَ أَكْرَمَ ذَرَاهُ:

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَإِنْ كَانَ صَاحِبًا	رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي
فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ اذْنُ دُونِي إِنَّنِي	وَأَيَّاكَ فِي زَادِي لِمُسْتَرِكَانٍ
فَظَلْتُ أَقْدُ الزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَذُخَانٍ
وَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ صَاحِبًا	وَقَائِمٌ سَيْفِي فِي يَدِي بِمَكَانٍ
تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي	تَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِيبُ يَضْطَحِبَانِ
فَإِنْكُمَا يَا ذِيبُ وَالْغَدْرُ كُنْتُمَا	أُخْيَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلَبَانٍ ⁽⁴⁾

وَنَاهِيكَ مِمَّنْ يَتَحَفَّظُ بِسَيْفِهِ، مِنْ غَدْرِ صَنِيفِهِ، وَعَلَى ذَلِكَ فَمَا أَذْنُهُ الْمَعْرِفَةُ بِغَدْرِهِ، إِلَى النَّزُولِ عَنْ رُتْبَتِهِ فِي الْكَرَمِ وَقَدْرِهِ، وَسِرُّ هَذَا الْأَمْرِ، لَيْسَ فِي أَكْلِ التَّمْرِ، وَأَيَّنَ خُلُقُكَ لَا كَانَ؛ مِنْ قَوْلِ مَرَّةٍ بِنِ مَحْكَاكَ⁽⁵⁾:

- (1) الذيم: العيب. وهو من ذامه ذيمًا وذامًا، وهمام هو الفرزدق الشاعر.
- (2) الأطلس: الأسود الوسخ؛ ويقال ذئب أطلس: في لونه غبرة إلى السواد وكل ما كان على لونه.
- (3) غسل الذئب يعسل عسلانا: مضى مسرعا واضطرب في عدوه.
- (4) الأبيات من بحر الطويل، وهي من شعر مشهور للفرزدق.
- (5) البيت ضمن ثلاثة أخرى قالها الشاعر في الأضياف ورواية الثاني منهما:
أُدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أَقْرِفْ بِأَمِهِمْ وَقَدْ هَجَعْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

الشعر والشعراء 2/ 576، الأغاني 2/ 348، ذيل الأمالي، ص: 179.



أَدْعَى أَبَاهُمْ وَقَدْ أَلْقَوْا وَقَدْ عَمَرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا⁽¹⁾
 وَقَدْ صَحَّ عِنْدَ الْمُتَلَفِّعِ وَالسَّافِرِ، أَنْ قِرَاكُمْ مَعَشَرَ الشَّاطِطِيِّينَ عَلَى الْمُقِيمِ وَالْمُسَافِرِ،
 حَرَامٌ كَالْبَانِ إِبِلِ تَعْلَةَ بْنِ مُسَافِرٍ⁽²⁾، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ حَلَّ أَحَدُكُمْ بِفَنَائِي لَأَشْتَدَّ خَوْفًا مِنْ
 قَضَعَتِي وَإِنَائِي:

أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ نَرَّةً وَأَنْشُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَغْرَقُ⁽³⁾
 وَأَمَّا مَا بَلَغَنِي أَنَّكَ اخْتَجَجْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَصَوَّبْتَ بِهِ سِهَامَ التَّعَقُّبِ إِلَيَّ، مِنْ وَلَايَةِ أَبِي
 وَخَالِي، لِذَلِكَ الْمَكَانِ الْخَالِي، فَالْثَّوَابُ مَحَلُّ الْأَذْهَابِ، وَالْحُسَامُ يَسْكُنُ فِي الْإِهَابِ،
 وَلَوْ لَا شَرْطُ الْوَقَارِ، لَقُلْتُ: قَدْ يُلْقَى شَرَفُ الْعُقَارِ، فِي الدَّنِّ وَالْقَارِ⁽⁴⁾:

يَا هَـذِهِ لَا تُفْنِّدِينِي رُخْتُ فِي مَنْزِلِ هَجِينِ
 لَيْسَ اتِّضَاعُ الْمَحَلِّ مِمَّا يَقْدَحُ فِي مَنْصِبِي وَدِينِي
 فَالْشَّمْسُ عَلَوِيَّةٌ وَلَكِنْ تَغْرُبُ فِي حَمَاءِ وَطِينِ⁽⁵⁾

[وَأَمَّا مَا] أَوْطَاكَ خَمْرَةَ الْاهْتِمَامِ، وَقُلْتَ عِنْدَ سَمَاعِهِ صَمِّي صَمَامٍ، مِنْ بُرْهَانِي عَلَى
 الصَّنَمِ⁽⁶⁾ وَالْجَامِعِ، فَذَلِكَ أَوْضَحُ مِنَ الْبَرَقِ اللَّامِعِ، حَسْبُكَ مِنْ مَدِينَةٍ اشْتَمَلَتْ عَلَى

(1) البيت من بحر البسيط.

(2) يشير إلى قول بعضهم:

الْبَانُ إِبِلُ تَعْلَةَ بْنِ مُسَافِرٍ مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَيَّ حَرَامٌ

(3) البيت من بحر الكامل، من قصيدة للمتنبى مطلعها:

أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرُقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَرَفُّقُ

(4) القير والقار؛ لغتان: وهو صعد يذاب فيستخرج منه شيء أسود تطلي به الإبل والسفن والأواني.

(5) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾. سورة الكهف، الآية: 84. والأبيات من مخلع البسيط، وهي للشاعر الأندلسي المعروف بالشريف الأصب. زاد المسافر: 84.

(6) صنم شاطبة مشهور بها وهو بنيان قديم كان قد تركه الروم بها وقد وصفه أحد الشعراء الأندلسيين فقال:

بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا الرُّومِ مُعْجَبَةٌ أَبْدَى الْبُنَاءِ مِنْ أَمْرِهَا حَكَمًا



الصَّنَمِ اشْتِمَالَ الصَّمَاءِ، وَأَثْبَتَهُ فِيهَا إِنْثَابَ الرِّيِّ فِي الْمَاءِ، وَبَذَتْ جَامِعَهَا بِالْعَرَاءِ، وَتَعَرَّتْ عَنْهُ تَعَرِّي الْأَفْعَالِ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ⁽¹⁾ أَمَا إِنَّ الدَّلِيلَ وَاضِحٌ، عَلَى أَنَّ أَمْرَ ذَلِكَ الصَّنَمِ فَاضِحٌ، وَأَنَّ إِلَهَ مِنْ وَدٍّ وَسَوَاعٍ⁽²⁾، كِلَالِ الْأَجْنَاسِ مِنَ الْأَنْوَاعِ، وَأَنَّهُ كَانَ لِقَدَمَاءِ ذَلِكَ الْبَلَدِ يَعْبُدُونَهُ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ، فَكَمْ طُلَّ⁽³⁾ إِزَاءَهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، مِنْ عَتِيرَةٍ⁽⁴⁾ دُبِحَتْ عَلَى الْأَزْلَامِ، وَكَمْ شُهِدَ بِفَنَائِهِ مِنْ بَيْعَةٍ، وَقِيلَ طَوْرًا بِالْعِلَّةِ وَطَوْرًا بِالطَّبِيعَةِ، فَمَا لِأَوَائِلِكُمْ إِذْ جَاءَ الْإِسْلَامُ، وَاسْتَحْكَمَ أَمْرُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يَسْلُكُوا مِنْ إِقَامَةِ الْوَاجِبِ سَمْتًا فَذَرَوْا أَعْلَامَهُ ﴿فَاعَا صَفْصَبًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾⁽⁵⁾ لَعَلَّهُمْ عَطَفُهُمْ عَلَيْهِ ذِمَامٌ، بِمَا كَانَ لِقَدَمَائِهِمْ بِهِ الْإِمَامُ، فَأَبْقَوْهُ رَغِيًا لِذَلِكَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَلَهَجُوا بِهِ لَهَجَ النَّدِيمِ بِالنَّدِيمِ:

أَلَا لَيْسَ فِعْلُ الْأَوَّلِينَ وَإِنْ عَدَا عَلَى سُوءِ فِعْلِ الْآخِرِينَ بِزَائِدٍ⁽⁶⁾
أَمْ لَيْتَ شِعْرِي مَا لَهُمْ، لَا بُلُغُوا آمَالَهُمْ، غَضِبُوا عَلَى ذَلِكَ الْجَامِعِ الْمُسْكِينِ، وَجَعَلُوهُ فِي قَرَارٍ غَيْرِ مَكِينٍ⁽⁷⁾، وَارْتَضَوْا بِالصَّنَمِ مِنْهُ خَلِيلًا، ﴿فَبَنَدُوهُ وَرَأَى ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا

لَمْ تَذَرِ مَا أَضْمَرُوا فِيهَا سِوَى أُمَمٍ مِنْ الْأَوَائِلِ سَمَوُهُ لَنَا صَنَمًا
كَالْمِبْرَدِ الْقَدْ مَا أَخْطَأ مُشَبَّهُهُ حَقًّا لَقَدْ بَرَدَ الْأَيَّامُ وَالْأَمَمَا

الروض المعطار، ص: 337، زاد المسافر، ص: 342 طبعة ابن شريفة.

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾. سورة الشعراء، الآيات: 223-224-225.

(2) ود وسواع: صنمان مشهوران كانا يعبدان في الجاهلية وقد ذكرا في القرآن: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾. سورة نوح، الآية: 23.

(3) الطل: هدر الدم.

(4) العتيرة: شاة كان العرب يذبحونها لآلهتهم في شهر رجب.

(5) سورة طه، الآية: 104.

(6) البيت من الطويل.

(7) مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾. سورة

المرسلات، الآيتان: 20-21.



بِهِ تَمَنَّا فَلِيلًا^(١) حَتَّى كَانَتْهُ اسْتُخْفِي، فَنُفِي، أَوْ اسْتُثْقِلَ، فَنُقِلَ، أَوْ اسْتُبْرِدَ، فَطُرِدَ، أَوْ جَنَى، فَأَذِيقَ مَرَّ الْجَنَى، أَوْ كَانَتْهُ ضَيْفٌ وَرَدَ لَهُمْ فَنَاءٌ، فَأَقْطَعُوهُ حَيَّةً وَعَنَاءً، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ اِزْتَكَبَ ظُلْمًا وَحَيْفًا، مَنْ رَجَا الْكَرَامَةَ مِنْ قَوْمٍ نَفَوْا جَامِعَهُمْ حِينَ حَسَبُوهُ ضَيْفًا، أَوْلَى لَهُمْ جَزُ النَّوَاصِي^(٢) وَحَزُّ الْغَلَاصِمِ^(٣) هَلْ لِيَلْدِهِمُ الدِّمِيمُ مِنْ عَاصِمٍ، مِنْ قَوْلِ الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَاصِمٍ:

شَاطِبَةُ الشَّرِّ شَرُّ دَارٍ لَيْسَ لِسُكَّانِهَا فَالَاحُ
الْكَسْبُ مِنْ شَأْنِهِمْ وَلَكِنْ أَكْثَرُ مَكْسُوبِهِمْ سُالَاحُ^(٤)
الْبَيْتُ الثَّالِثُ^(٥) مَوْضِعُ صَمْتٍ لَا إِفْصَاحَ، وَأَنَا لَكُمْ فِي السُّكُوتِ عَلَيْهِ مِنَ النَّصَاحِ، وَهَيْهَاتَ السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ وَكَمَا قَالَ فِي شِعْرِهِ النُّعْمَانُ:

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا^(٦)
وَبَعْدَ هَذَا أَيُّهَا الْمُتَعَقِّبُ، الْمُتَتَقِّبُ، وَالْمُبَارِي الْمُتَوَارِي، وَالْمُسْتَهْتَرُ الْمُسْتَتِرُ، فَإِنْ مِثْلَكَ فِي مَا جِئْتَ بِهِ قَوْمَكَ مِنَ الضَّرِيرِ، كَالْعَبْدِ الْكَلِّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ [لَا يَأْتِي]^(٧) بِخَيْرٍ. وَسَادَ عِتَابُكَ، عَلَى أَنِّي لَمْ يَصِلْنِي كِتَابُكَ، جَاوَبْتُكَ وَلَعَمْرِي لَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٢) الناصية: مقدم شعر الرأس وتجمع على نواصي وهي مذكورة في سورة العلق.

(٣) الغلاصم: مفردا غلصمة وهي رأس الحلقوم وهو الموضع الناتي في الحلق ويقال غلصمت فلانا إذا أخذت بحلقه.

(٤) البيتان من مخلع البسيط وهما لأبي جعفر بن عاصم المرسى ترجمته في زاد المسافر ٨٨، ويوجد البيتان أيضا في الروض المعطار، ص: ٣٣٧.

(٥) البيت الثالث الذي سكت عنه صفوان بن إدريس هو:

لَهُمْ بِهِ فِي الْكَثِيفِ حِفْظٌ وَفُـو... مُبَـاحُ

زاد المسافر، ص: ٨٨.

(٦) البيت للنعمان بن المنذر اللخمي جوابا على أبيات كان قد بعثها له الربيع بن زياد العبسي. خزانة الأدب ١٢٣/٢، فصل المقال، ص: ٩١، مجمع الأمثال ١٠٠٢/٢.

(٧) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه، وهو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلِيَةٍ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾، سورة النحل الآية: ٧٦.



أَعْرِفُكَ، وَلَكِنِّي إِلَى جُمْلَةِ الْأَشْبَاحِ أَصِفُكَ، أَمَا إِنِّي لَوْ وَقَفْتُ عَلَى تِلْكَ الرِّسَالَةِ، أَوْ
اطَّلَعْتُ عَلَى مَا أُودِعَتْ مِنَ الْبَسَالَةِ أَوْ الْفَسَالَةِ، أَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ أَبُو⁽¹⁾ عَذْرَاهَا، وَمُبِينُ
وَجْهِ عَذْرَاهَا، لَأَخَذْتُ الْمَجْلِسَ حَقَّهُ فِي الْجَوَابِ وَاسْتَوْفَى أَغْرَاضَهَا وَكَانَ مِنْ قَوْمٍ وَقَدْ
أَرَيْنَاكُمْ الْمِثَالَ، وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ فِي فَضِيَّتِكُمْ بِقَوْلِ جَرِيرٍ:

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سُفْهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا
أَبْنِي حَنِيفَةً إِنَّنِي إِنْ أَهْجُكُمْ أَدْعُ الْيَمَامَةَ لَا تُوَارِي أَرْبَابَا⁽²⁾

أَرِيدُكَ أَمْ كَمَاكَ، فَضَّ اللَّهُ فَاكَ، فَدَعِ الْحَسَدَ، وَإِيَّاكَ وَالْأَسَدَ، وَخَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي
الْمَنَارَ بِهِ، وَسَلَّمِ الْأَدَبَ فَلَسْتُ مِنْ ثَمَامِهِ وَلَا غَرَبِهِ، وَرُبَّ مَثِيرٍ حَرَبٍ عَادَتْ عَلَيْهِ بِحَرَبِهِ:
اللَّهُ أَنْفَذَ هَكَذَا أَقْدَارَهُ فَعَلَيَّ تَغَضُّبُ أُمِّ عَلَى الْأَقْدَارِ⁽³⁾

وَكَتَبَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ حَسُونٍ⁽⁴⁾ وَقَدْ كَانَ فَارَقَهُ وَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِالطَّلَبِ،
وَأَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ مَالَ إِلَى الرَّاحَةِ:

أَدَامَ اللَّهُ مَدَّةَ الْوَزِيرِ الْحَسِيبِ الْأَصِيلِ، الْمُحَصِّلِ لِقَوَانِينِ السُّودِ كُلِّ التَّحْصِيلِ، يَخْلَعُ
فِي الْجِتْهَادِ عِذَارَ الْبَطَالَةِ، وَيُسَدِّدُ إِلَى نَحْرِ التَّقْصِيرِ عَامِلَ الْإِطَالَةِ، وَلَا زَالَ مُسْتَجِيرٍ فِي
ظِلِّ الْإِتِّزَامِ مِنْ خُرُورِ التَّعْطِيلِ، مُسْتَطِيلًا بِفَرَاغِهِ لِلْعِلْمِ عَلَى شُغْلِهِ عَنْهُ وَأَزْبَحَ بِهِ مِنْ
مُسْتَطِيلٍ، مُطِيلًا فِي الدَّرَاسَةِ [غَيْرِ مُقْصِرٍ]⁽⁵⁾ وَمُقْصِرًا فِي الْعَجْزِ غَيْرِ مُطِيلٍ:
دُعَاءُ لَوْ يَحُومُ عَلَى سَرَابٍ لِأَصْبَحَ وَهُوَ مَاءٌ سَلْسِيلٌ

(1) خرم بالأصل. وأبو عذرها يقصد به أنه السابق إليها.

(2) البيتان من الكامل، ديوان جرير، ص: 50.

(3) البيت من الكامل.

(4) فقيه ووزير أندلسي مألقي نشأ بمالقة، وكان صديقاً لصفوان بن إدريس، انظر: زاد المسافر، ص: 60.

(5) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.



دُعَاءُ مَا افْتَطَى الْأَفْوَاهُ إِلَّا وَتَأْمِينُ الْعَلَاءِ لَهُ سَبِيلٌ⁽¹⁾
وَأَنْ تَحْتَ هَذَا اللَّفْظِ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَمَعْنَى، وَغَرَضًا أَشَرْنَا إِلَيْهِ بَيْنَانِ التَّعْرِيضِ
وَالْمَعْنَى، وَمَقْصِدًا أَنْقَلْنَا بِحُسَامِهِ جَسَدَ التَّغَاوُلِ ضَرْبًا وَطَعْنَا؛ وَمِثْلُ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ -
تَصَفَّحَ هَذَا الْفَصْلَ، فَتَلَّا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا⁽²⁾، وَإِنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لَتَوْسَمُ مِنَ الْإِجَابَةِ بِمَعْرُوفٍ
وَمَعْلُومٍ، لِأَنَّهَا مِنَ الْعُلَا فِي جَانِبِكَ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ⁽³⁾ لِأَنَّكَ مَلَكَتُهُ فَقَصَّرْتَ بِهِ، وَأَنْهَضَكَ
إِلَى أَعْلَى الرَّتَبِ فَأَخَذَتْهُ عَنْ رُتْبِهِ، حِينَ لَمْ تَنْمِنْ بِفِرْنِدِ الاجْتِهَادِ صَفْحَتَهُ، وَلَا عَطَّرْتَ
بِمِسْكِ الْحَبْرِ وَكَافُورِ الْقَرَاطِيسِ صَفْحَتَهُ، لِأَنَّكَ عَوَّلْتَ، ثُمَّ تَحَوَّلْتَ، وَاسْتَحْزَنْتَ ثُمَّ
تَأَخَّرْتَ، وَأَنْبَرَيْتَ، ثُمَّ امْتَرَيْتَ، وَقَدَّمْتَ، ثُمَّ تَنَدَّمْتَ، فَحِينَ عَقَلْتَ، انْتَقَلْتَ، وَرَيْثَمَا
فَهِمْتَ، انْحَرَفْتَ فَهِمْتَ⁽⁴⁾، وَلَمَّا قَارَبْتَ الْوَرْدَ أَصْدَرْتَ، وَعِنْدَمَا تَحَلَّيْتَ فِي أَفْقِ النَّبَاهَةِ
مِلْتَ إِلَى السَّرَارِ⁽⁵⁾ وَمَا أَبْدَرْتَ، فَأَيَّةُ بَدَايَةِ اللَّتَمِيمِ، وَعَزْمَةٌ لَوْ قُوِلْتُ بِجَدِّ صَمِيمٍ،
صُدُورٌ لَوْ طَابَقَتْهَا أَعْجَازٌ، وَحَقِيقَةٌ فَعَرَّ عَلَيْهَا فَمَهُ مَجَازٌ، وَإِسْهَابٌ شَرَّ ذَيْلُهُ إِيجَازٌ،
وَوَعْدٌ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهُ إِنْجَازٌ:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا⁽⁶⁾
فَمَا لَكَ لَا تَضَعُ بِيَدِ الْأَغْنِيَاءِ زِمَامَهَا، وَتَجْعَلَ الْجِدَّ إِمَامَهَا وَأَمَامَهَا، حَتَّى تَجْمَعَ بَيْنَ
الْحِلْيَةِ وَالسَّيْفِ، وَتَضُمَّ رَوْنَقَ الرَّبِيعِ إِلَى خَضْبِ الصَّيْفِ، وَإِنَّهَا لَخُطَّةٌ إِنْ أَنْتَ تَقِيَّاتُ

(1) البينان من الوافر.

(2) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾. سورة المائدة، الآية: 8.

(3) فيه إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

(4) فهمت: الأولى تعني الفهم والدراية؛ والثانية تعني الهيام والوجد الشديد.

(5) السرار بالفتح والكسر الليلة التي يستتر فيها القمر، قال الشاعر:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا

جُرَدًا تَعَادَى طَرَفَيَّ نَهَارِهَا

عَشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا

(6) البيت من الطويل، وهو لرجل من بني الحارث بن كعب، شرح الحماسة للأعلم 2/ 169.



ظِلَالَهَا، وَازْتَشَفَتْ زُلاَلَهَا، فَإِنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ وَإِنَّكَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهَا⁽¹⁾، وَإِنَّمَا تَتَزَيَّنُ
الْغُرُرُ بِوُجُوهِ الْجِيَادِ، وَتَبِينُ فَضِيلَةُ الْأَسْلَاحِ فِي غِيَدِ الْأَجْيَادِ⁽²⁾ وَتُدَّخِرُ الْمَلَابِسُ السَّيِّئَةَ
لِأَيَّامِ الْأَعْيَادِ. فَأَثَيْتُ - أَعَانَكَ اللَّهُ - فِي فِرَطَاسِ الطَّلَبِ سَهْمًا، وَاسْتَجَزَلُ مِنْهُ نَصِيصًا
وَسَهْمًا، وَلَا تُصَدِّقْ لِحُسُودِكَ ظَنًّا وَلَا وَهْمًا، وَلَوْ امْتَطَيْتِ الْإَيَّامُ شُهْبًا وَاللَّيَالِي ذُهْمًا.
وَشَأْنُكَ أَنْ تَتَجَلَّدَ وَتَضْطَبِرَ، وَتَعْلَمَ أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ⁽³⁾ وَإِنَّهَا لَطَرِيقُ
تَكُلُّ فِيهَا رِكَابُ قَوْمٍ وَتُبْدِعُ⁽⁴⁾ وَتَنْشُطُ رِكَابَ آخَرِينَ فَتَغْرُقُ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ وَتُبْدِعُ⁽⁵⁾ فَمِنْ
مُجِدِّ يَبْلُغُ وَلَمْ يَثِرْ انْحِفَازُهُ، وَآخِرُ يُنْشِدُ: «وَكَمْ دُونَهَا مِنْ مَهْمَةٍ وَمَقَازَةٍ»⁽⁶⁾ وَهَلْ هِيَ إِلَّا
حُطُوطٌ وَأَقْسَامٌ، وَلِقَوْمٍ عُبُوسٌ وَلِآخَرِينَ ابْتِسَامٌ ... وَصَارَ الْاِعْتِقَادُ سَرَارًا، وَعَادَ
مَعَ ذَلِكَ الْوِدَادُ ضَرَرًا وَضِرَارًا ... وَإِنْ نَقَرَ الْقَلْبُ مِنْكُمْ عَنْ قَوْمٍ يُؤْثِرُونَ الْغَدَرَ
وَيَسْتَحِبُّونَهُ ... وَلَشَدَّمَا اعْتَبْتُ فَلَمْ أُعْتَبْ، وَلَمْ أَشْكُ فِي تَخْيِيرِكُمْ وَلَمْ أَزْتَبْ ... أَنْ مِنْ
تِلْكَ اللَّئِي هَذَا السَّنَانُ. وَلِعِلْمِي بِأَنَّ حَدِيثِي غَيْرُ مُسْتَطَابٍ، أُجَدِّدُ هَذَا الْخِطَابَ، وَأَقْدِمُ
أَكْمَامَهُ قَبْلَ الْإِزْطَابِ، وَالسَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ، الْمُؤْذِنِ بِصَفْرِ الْوِطَابِ، عَدَدَ
[حُبِّ الرَّبَابِ] فِي خَلْدِ أَبِي الْخَطَّابِ⁽⁷⁾.

(1) مقتبس من قول ابن المعتز:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا

(2) الجياد الأولى تعني الفرسان وغرتها بياض رؤوسها، أما الأجياد الثانية فتعني العنق وهي جمع جيد.

(3) فيه إشارة إلى قول الشاعر:

لَا تَحْسِبِ الْمَجْدَ ثَمَرًا أَنْتَ أَكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا

(4) أبدعت الإبل: بركت في الطريق من هزال أو داء أو كلال.

(5) يقال: أبدع الركب: إذا قطع المسافة بحيوية ونشاط.

(6) صدر هذا البيت لامرئ القيس عجزه:

وَكَمْ أَرْضٍ جَذِبَ دُونَهَا وَلُصُوصُ

(7) لعله يقصد عمر بن أبي ربيعة وقوله:

نُمَّ قَالُوا: تَجِبُهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ



وَكَتَبَ أَيْضًا:

تَذَكَّرْتُ عَهْدًا بِالْجَزِيرَةِ مَاضِيًا
وَزُرْتُ رُسُومًا فِي طَرِيفٍ ⁽¹⁾ كَانَتْهَا
أَيَا أَفَقِ الْأُنْسِ الَّذِي قَدْ عَهْدْتُهُ
نَأَتْ غُرَّرُ الْأَيَّامِ عَنْكَ فَقَلَّمَا
أَرَدُّدُ فِيكَ الْعَيْنَ أَذْهَمَ مُقْفِرًا
أَقُولُ لِرُكْبٍ بِالْجَزِيرَةِ ⁽³⁾ عَرَّجُوا
دِيَارًا بِهَا نَلْنَا الْمُنَى ثُمَّتْ انْقَضَتْ
فَوَاللهِ مَا أَذْرِي إِذَا مَا حَلَلْتُهَا
لَقَدْ صَارَ فِيهَا غَائِبُ الشَّجْوِ حَاضِرًا
فَيَا رَبْعَهُمْ رَاجِعِنِي الْقَوْلَ عَنْهُمْ
مَعَالِمُهُمْ مَا أَنْتَ إِلَّا مَجَاهِلٌ
إِذَا لَمْ أَحْسَنْ مَنَظِقِي جُهْدَ طَاقَتِي
أَعِنْدَ أَبِي عَمْرِو بْنِ حَسُونٍ أَنَّنِي
وَكَا سَمِ أَبِيهِ حُبُّهُ فِي جَوَانِحِي
أَتَانِي هَوَاهُ مُسْتَمِيحًا ⁽⁴⁾ مَوَدَّتِي
وَلِنِّي لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُ ضَنَانَةٌ

فَأَنْصَفْتُ شَجْوًا لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا
بَقِيَّةُ أَعْمَادِ رُزِينِ الْمَوَاضِيَا
بِزُهرٍ ⁽²⁾ الْأَصْنَحَابِ الْأَكَارِمِ حَالِيَا
يُمِرُّ عَلَيْكَ الدَّهْرُ إِلَّا لِيَالِيَا
فَأَبْصُرْ صَدْرِي خَالِيَا مِنْ فُؤَادِيَا
قِفُوا نَزْثَ آثَارِ الْهَوَى وَالْمَعَانِيَا
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الدَّهْرُ إِلَّا أَمَانِيَا
مَعَانِي مَا أَلْقَى بِهَا أَمَّ مَعَالِيَا
وَأَضْحَى بِهَا مُسْتَقْبَلُ الْأُنْسِ مَاضِيَا
أَلَيْسَ حَقِيقًا أَنْ تَرُدَّ جَوَابِيَا
وَلَكِنِّي أَنَزْتُ حُسْنَ خَطَابِيَا
لِرَبْعٍ أَحْبَّائِي فَأَيْنَ وَدَادِيَا
عَلَى رَسْمِ عَهْدِي لَسْتُ أَنْفَكَ رَاعِيَا
فَمَا دُمْتُ أَبْقَى لَيْسَ يَفْتَأُ بَاقِيَا
فَأَعْطَيْتُهُ مَا شَاءَ إِلَّا فُؤَادِيَا
وَلَكِنِّي أَحْشَى عَلَيْهِ التَّهَابِيَا ⁽⁵⁾

- (1) طريف: مدينة وصفها الحميري فقال: «مدينة أندلسية صغيرة عليها سور وبها أسواق ومنها إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً»، الروض المعطار، ص: 392.
- (2) الزهرة: الحسن والبياض، والزهر ثلاث ليال من أول الشهر، والمعنيان يفهمان من البيت.
- (3) يقصد بها الجزيرة الخضراء.
- (4) يقال: استمحت الرجل إذا سأله العطاء. واستمحته عند السلطان أي طلبت منه أن يشفع لي عنده.
- (5) التهابي: الاندثار ومن الهباء الغبار الذي تطيره الريح فنراه على وجوه الناس.



إِذَا هَبَّ مِنْ أَفَاقِي الْبَرْقُ نَحْوَهُ فَمَا هُوَ إِلَّا شُعْلَةٌ مِنْ أَوَارِيَا⁽¹⁾
وَأِنْ جَادَ مِنْ أَجْفَانِي الْقَطْرُ رَبْعَهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَزِيدُ الْعَوَادِيَا⁽²⁾
أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ الْمُطَاوِعُ عَزَمَهُ إِلَى أَرْضٍ فَاسٍ أَدْفِيهَا سَلَامِيَا
وَحَيِّ أَبَا عَمْرٍو هُنَاكَ وَإِنَّمَا أَفْدُتْكَ - فَاشْكُرْ - أَنْ تُحْيِيَ الْمَعَالِيَا⁽³⁾

لَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ إِمَامًا، وَاسْتَهَلَّ فِكْرِي فِي تَرْبَةِ الْقِرطَاسِ غَمَامًا
وَتَرَنَّمْتُ يِرَاعِي فِي غُصُونِ السُّطُورِ حَمَامًا، وَأَحَاطْتُ مَهَارِ فِي بَزَهَرَاتِ أَلْفَاظِي
كِمَامًا؛ بِأَيِّ شَيْءٍ أَفْتَتِيحُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ، وَأُصَدِّرُ هَذِهِ النَّقْشَةَ السَّلْسَالَةَ، أَبِالْتَهْنِئَةِ أَمْ
بِالْعَزَاءِ، عَلَى بُعْدِ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ، أَمْ بِمُرِّ الْعِتَابِ، أَمْ بِحُلُوِّ الْإِعْتَابِ، لَكِنِّي أَخَذُ
مِنْ هُنَا وَهُنَا، كَمَا جَمَعْتُ عَلَى ضُرُوبٍ مِنَ الزَّهْرِ يُمْنَاكَ، وَأَجْمَعُ فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ
فُنُونًا، كَمَا جَمَعَ [المؤمل]⁽⁴⁾ فِي صَحِيفَتِهِ مَفْرُوضًا وَمَنْدُوبًا وَمَسْنُونًا حَتَّى يَرْتَسِمَ
بِاسْمِ كُلِّ أَمِيرٍ [دينارها]⁽⁵⁾، وَيُقَالُ: كُلُّ نَارٍ لَأَنَاسٍ نَارُهَا⁽⁶⁾.

أَمَّا التَّهْنِئَةُ فَأَهْنِئْ مَجْدَهُ الْأَيْلَ، وَعَلَاءَهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِثِيلٌ عَلَى وَفْقِ اخْتِيَارِهِ، أَوْ
يَنْبِغُ جِرَانٌ⁽⁷⁾ رِحَالِهِ، فِي أَسْنَى رَوْحِهِ وَارْتِحَالِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ⁽⁸⁾،

(1) الأوار: شدة حر الشمس ولفح النار ووهجها.

(2) الغوادي: مفردا غادية وهي السحابة التي تنشأ غدوة. وقيل السحابة التي تنشأ غدوة، وقيل السحابة تنشأ فتمطر غدوة.

(3) الأبيات من الطويل.

(4) خرم بالأصل.

(5) خرم بالأصل.

(6) جمهرة الأمثال 2 / 140.

(7) الجران: باطن العنق وقيل مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل: ألقى جرانه بالأرض.

(8) آل المهلب: وهو يشير إلى قول الشاعر:

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِيَا



وَيَصْدُرُ ارْتِيَادُ الْجَوَارِ لَهُ جَانِبُ الْمُتَقَلِّبِ، فِي وَفْتٍ سَعِيدٍ، حَتَّى كَانَهُ [...] مِنْ بَنِي
سَعِيدٍ، وَيَعْقُبُ مُقَدِّمَةَ هَذَا الرَّأْيِ نَتِيجَةُ الْكَيْسِ، حَتَّى يَحُلَّ كَمَا حَلَّتْ بِالْقُرْيَةِ كَبُونُ
امْرِئِ الْقَيْسِ⁽¹⁾ أَمَّا التَّغْزِيَةُ فَلِلْجَزِيرَةِ وَأَرْبَابِهَا، تَغْزِيَةُ [الزَّهْرَاءِ] فِي فَقْدِ أَرْبَابِهَا، وَأَفَاوِضُ
الْمَجْدِ الْأَعْلَى وَأُذَاكِرُهُ، بِقَوْلِ الْكَفِيفِ التَّطِيلِيِّ حَادَهُ مِنَ الْأُفْقِ الْوَسْمِيُّ بِأَكْرَهُ:
عَفَاءٌ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَا تَحُلُّهَا وَلَوْ نَبَتَتْ فِيهَا السَّمَاحَةُ وَالْبَذَلُ⁽²⁾

وَأَمَّا الْعِتَابُ الَّذِي هُنَا يَنْسَابُ عُبَابُهُ، وَيَسْمُو حَالًا عَلَى حَالٍ حَبَابُهُ⁽³⁾ فَلِمِثْلِ هَذَا
الْمَكَانِ يُدْخَرُ، وَهُنَا يَجِيشُ خَضْمُهُ وَيَزْخَرُ، وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْتَقِدُ فِيكَ هَذَا
الاعْتِقَادَ، وَلَا تَحِيلْتُ أَنْ أَصْحَبَ فِيكَ الْإِغْفَالَ وَالِانْتِقَادَ، إِلَيْهِ أَهْيَا الْأَخُ السَّرِيُّ، الَّذِي
هُوَ بِالمُؤَاخَذَةِ الْخَلِيقُ الْحَرِيُّ، فَمَا هَذَا الْغَرَضُ الْمُخْتَلِفُ، وَبِسُوءِ الْمُقَابَلَةِ مَعَ حُسْنِ
الْمُؤَاخَاةِ كَيْفَ يَأْتَلِفُ، أَبْعَدَ إِيصَالِ الْوِصَالِ، وَقَطَعَ أَعْمَارِ الْأَسْحَارِ وَالْأَصَالِ،
وإِحْكَامِ أَمْرَاسِ⁽⁴⁾ الْأُخُوَّةِ وَإِبْرَامِهَا، وَتَأْمِينِهَا مِنْ أَجْلِ التَّأْسِيسِ عَلَى التَّقْوَى
وإِضْرَامِهَا تَمَرُّ اللَّيَالِي وَالْدُّهُورِ، وَالْأَعْوَامِ وَالشُّهُورِ، وَمَا لِبَارِقِ الْمُطَالَعَةِ ظُهُورِ،
وَيَنْتَظِمُ فِي سِلْكِ الْأَمَلِ الْمَشْهُورِ، وَدُونَ بَذَرِ إِشْعَارٍ بِهِ شُهُورِ، حَتَّى كَانَنِي وَاللَّهِ
الْمُعِينِ حَسُودَ، أَوْ ضَمَائِرِي بَظْهَرِ الْغَيْبِ سُودَ، تَكَلَّمْتُ لَيْسَ يُؤْلِمُكَ الْكَلَامُ، وَسَلَّمْتُ
فَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيعِ السَّلَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَخَلُّكَ عِنْدِي خَمْرَةٌ، وَجَمْرٌ تَنَاسِيكَ تَمْرَةٌ، فَلَا

(1) يشير بهذا إلى قول امرئ القيس:

تَبَيْتُ لَبُونِي بِالْقُرْيَةِ آمِنًا وَأَسْرَحْنَا غَيًّا بِأَكْنَافِ حَائِلِ

(2) البيت من الطويل، هذا آخر بيت من قصيدة للتطيلي الأعمى أولها:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ وَأَنْ يَبْهَى بِاسْمِكَ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

(3) مقتبس من قول امرئ القيس:

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

الشعر والشعراء 1/ 74.

(4) الأمراس: الحبال سميت بذلك لتمرس الأيدي بها، قال امرؤ القيس:

كَانَ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ



ذَنْبَ لَكَ وَلَوْ أَصْلَيْتَنِي الْجَمْرَ الْمُضْطَرِمَّ، وَسَلَّطْتَ عَلَى وُجُودِي الْعَدَمَ الْمُخْتَرِمَ، وَهَذَا هُوَ الْإِعْتَابُ، الَّذِي بِهِ يُخْتَمُ الْكِتَابُ، وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ إِشْنَاءِ ابْنِ مُبَشَّرٍ⁽¹⁾:

إِلَى أُمَّةٍ نَجَحَتْ أَفْعِدَتُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ، وَرَكَنَتْ إِلَى الْخَفْضِ وَلَيَانِ الْعَيْشِ⁽²⁾ جُنُوبُهُمْ، وَظَهَرَ عُذُولُهُمْ عَنْ سَنَنِ الرِّجَالِ وَالْأَشْدَاءِ وَنُكُوبُهُمْ، الَّذِينَ ارْتَسَمُوا مِنَ الْجُبْنِ وَالْفُشْلِ بِأَفْبَحِ الثُّعُوتِ وَالْأَوْصَافِ، وَتَشَبَّهُوا بِفَزَعِهِمْ وَخَوَرِهِمْ بِنَاتِ الْمَاءِ أَوْ حُمُرُ لَصَافٍ⁽³⁾، صَرَفَهُمُ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ رُغْبِهِمْ وَفَزَعِهِمْ، وَثَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءِ مَحَالِهِمْ الدَّمِيمِ وَمَنْزَعِهِمْ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ جَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ⁽⁴⁾ وَلَمْ يَنْكُسْ بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَى ارْتِدَادِهِ. أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي مِيزَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى الْمُصْطَفَى صَلَاةً تُرَدِّدُهَا عَلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، مَقْوِي الشَّرْعِ بِالتَّيْسِيتِ لَهُ وَالْإِرْسَاءِ، الَّذِي فَضَّلَ سَائِرَ الْمُلُوكِ كَفَضْلِ الْبَحْرِ الْمُلتَجِّ عَلَى الْحَسَاءِ، وَالْدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ بِقَائِهِ ذَنْبَ الذَّهْرِ الْمُسْتَقْبَحِ الْمُسْتَسَاءِ.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ بَصَائِرَ لَا تَعْمَى عَنْ مَرَاشِدِهَا، وَسَرَائِرَ لَا يَنْحَلُ مُبْرَمٌ مَعَاقِدَهَا، وَنَقْلَكُمْ مِنْ خَجَلِ الْعَوَانِي وَالْقِيَانِ، إِلَى مَجَالِ الضَّرَابِ وَالطَّعَانِ، وَأَخْرَجَ قُلُوبَ الثَّعَالِبِ مِنْ أَحْنَاءِ ضُلُوعِكُمْ، وَعَصَمَكُمُ مِنْ نُكُوصِكُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ

(1) أبو العباس أحمد بن مبشر بن سرور كان مولى الحماديين بالجزائر، انظر: قسم الغرباء من الذيل والتكملة 1/8 - 324

(2) يقال هو في لَيَانٍ من العيش إذا كان في رخاءٍ وخفضٍ ونعيم.

(3) اللَّصَافُ: اللَّصْفُ واللَّصْفُ نبات يطبخ وتوضع عصارته في المرققة فيمرتها، وهو أيضا إذا كان على وزن قِطَامٍ يطلق على موضع بعينه في منازل بني تميم. قال أبو المهور الأسيدي يهجوهم، وهو المقصود هنا:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُكُمْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ فَإِذَا لَصَافٍ تَبَيَّضَ فِيهِ الْحُمُرُ
وَإِذَا تَسْرُكٌ مِنْ تَمِيمٍ خَصْلَةٌ فِيمَا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ

والحُمُرُ ضرب من الطير كالعصافير.

(4) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ سورة الحج، الآية: 76.



وَرَجُوعِكُمْ، وَجَنَّبَكُم فِرَاراً عَنِ الزَّخْفِ وَالْكِفَاحِ، وَجَعَلَ وَخَزَ الْإِبْرِ عِنْدَكُمْ أَهْوَنَ مِنْ طَعْنِ الرِّمَاحِ. عِنْدَمَا تَبَيَّنَ لَنَا مِنَ اللَّوْمِ الَّذِي أَوْفَضْتُمْ إِلَيَّ بِنَصْبِهِ، وَالْعَارِ الَّذِي أَكْثَرْتُمْ مِنْ اقْتِنَائِهِ وَكَسْبِهِ، وَالذِّكْرِ الَّذِي طَبَّقَ الْخَافِقِينَ سُوءَ حَدِيثِهِ، وَأَتَى سَبَبُهُ الْأَقْصَى بِسَرِيعِ شَرِّهِ وَخَبِيثِهِ، وَامْتَلَأَتِ الْمَعْمُورَةُ بِقَبِيحِهِ الذَّمِّيمِ وَبَيْتِهِ، يَعْجُزُ عَنْ حَمْلِ أَوْزَارِ الْحَرْبِ انْتِهَاضَكُمْ، وَيَهْزِمُكُمْ وَأَنْتُمْ الْكَثِيرُونَ أَبْعَاضُكُمْ، فَلَا اِزْدِجَارُكُمْ يَبْعَثُهُ شَرْعُ الْإِسْلَامِ وَلَا اتِّعَاطُكُمْ، وَلَا الْحَمِيَّةُ يُسْتَتَارُ بِهَا ذِمَارُكُمْ وَحَفَاطُكُمْ، كَأَنَّ نِفَارَكُمْ عَنْ أَعْدَائِكُمْ يَنْسَأُ أَجَالَكُمْ، وَكَأَنَّ الْحَرْبَ قَدْ حَرَمَكُمْ مِنْهَا سَجَالُكُمْ، فَلِمَ تَمْسَحُونَ لِحَاكُم، وَقَدْ سَبَّكُمُ الْوَحْيُ وَلِحَاكُم، وَلِمَ تَحْمِلُونَ الْعَمَائِمَ، وَأَنْتُمْ أَوهَنُ مِنْ رَدَادِ التَّعَاوِيدِ وَالتَّمَائِمِ، فَانْزِلُوا - حَطَّكُمْ اللَّهُ - مِنَ الْفَرَسِ النَّهْدِ، إِلَى صَهْوَةِ الْمَهْدِ، وَكُونُوا كِبَاراً، فِي الْخِلْقَةِ صِغَاراً، وَالْحَقُّوْا بِالْخَوَالِفِ⁽¹⁾ وَالْقَوَاعِدِ، وَانْخَضُوا بِالْجِنَاءِ بَطُونِ الْأَكْفِ وَظُهورِ السَّوَاعِدِ، وَانْزَكُوا الطَّعَانَ لِلتَّحْشِي عِنْدَ التَّنَائِيرِ وَالْمَوَائِدِ، وَلَا تَطْمَحُوا إِلَى أَنْ تَخْطُوا مِنْ سُودِ الْمَصَائِبِ بِيضِ الْفَوَائِدِ

وَبَيْنَمَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا أَنْ تَحْمَى وَطِيسَ، وَتَتَعَاطَى لِلْمَنِيَّةِ الْكُؤُوسَ، وَنَحُلَّ مِنَ الْحَرْبِ وَهِيَ شَمَطَاءُ عَرُوسٍ. فَإِنْ فَعَلْتُمْ عِنْدَ ذَلِكَ كَمَا فَعَلْتُمْ أَوَّلًا، وَرَأَيْنَا لَكُمْ عَلَى الْأَجْفَانِ ثُبًا وَمُعَوَّلًا، أَخَذْتُمْ سُيُوفُنَا إِخْذَةً أَسْفَ، وَعَاقَبْنَاكُمْ عَلَى مَا حَضَرَ وَعَلَى مَا سَلَفَ، وَسُقْنَاكُمْ وَقَدْ هَرَبْتُمْ مِنَ التَّلَفِ إِلَى التَّلَفِ. فَاخْتَارُوا أَيْ السِّيفَيْنِ شِئْتُمْ أَسِيفَ الْإِقْبَالِ أَمْ سِيفَ الْإِذْبَارِ، وَاقْدِمُوا أَوْ انْكِصُوا عَلَى الْأَذْبَارِ. وَقَدْ خَيْرْنَاكُمْ فَاَنْظَرُوا [بِنَظَرٍ]⁽²⁾ الْعَوَاقِبَ فِي الْخِيَارِ، وَهَذَا وَعِيدٌ وَإِنْذَارٌ، وَإِمْهَالٌ قَلِيلٌ وَإِنْظَارٌ، وَتَكْشِيفُ الرِّغْوَةِ عَنِ الصَّرِيحِ⁽³⁾ وَيُجْمَعُ مِنَ الْفَرَحِ هَذَا التَّصْرِيحِ، وَبَعْدَ هَذَا ﴿بِمَسَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

(1) الخوالم: النساء المتخلفات في البيوت إذا خرج الرجال للحرب، قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾. سورة التوبة، الآية: 88.

(2) خرم بالأصل.

(3) في المثل العربي: «أبدى الصريح عن الرغبة» مثل قاله عبيد الله بن زياد لهانئ بن عروة المرادي. انظر مجمع الأمثال 1/ 68، ثم العسكري 1/ 25، البكري، ص: 60.



تَسْرِيحٌ⁽¹⁾ وَاللَّهُ تَعَالَى يَشُدُّ أَرْزَاقَكُمْ عَلَى خُلُقِ الذُّكُورِ، وَيَرْجِعُ بِكُمْ عَنِ الْمَذْمُومِ الْمَمْكُورِ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ حَيْنًا إِلَى خُلُقِ الرِّجَالِ كَحَيْنِ الطَّيْرِ إِلَى الْوُكُورِ. وَسَلَامٌ عَلَى مَنْ رَبَطَ عَلَى قَلْبِهِ، وَلَمْ يَفِرَّ عَنِ الزَّخْفِ يَوْمَ حَزْبِهِ، وَلَا فَلَ الرُّغْبِ حَدِيدِ غَرْبِهِ، مُعَادَا مُرَدَّدَا.

وَمِنْ إِنْشَاءِ شَيْخِ الْكِتَابَةِ وَمَالِكِ زَمَامِ الْإِجَادَةِ فِيهَا وَالْإِصَابَةِ الْفَقِيهِ الْحَسِيبِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الشَّيْخِ الْكَاتِبِ الْمَرْحُومِ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - أَدَامَ اللَّهُ عُلَاهُ - يُخَاطِبُ أَبَا الْعَبَّاسِ ابْنَ الْبَنَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

بَرِئْتُ إِلَى الْمُعْتَبِ الْعَاتِبِ مِنْ الظَّنِّ وَهُوَ عَلَى الْكَاذِبِ
وَنَزَهْتُ عَنْ شُبْهَةِ وُدِّهِ لِمَا صَحَّ مِنْ ثِقَةِ الصَّاحِبِ
وَجِئْتُ إِلَيْهِ بِعَهْدِ كَرِيمٍ وَوُدِّ سَلِيمٍ مِنَ الْعَائِبِ
وَمَا مَالَ قَلْبِي إِلَى حَاضِرٍ كَمَا مَالَ لِلْحَاضِرِ الْغَائِبِ

كَتَبْتُهُ إِلَى الْأَخِ الْأَكْرَمِ، الْمَاجِدِ الْأَزْعَمِ، السَّيِّدِ الْعَمِيمِ الَّذِي أُنَاجِي قَلْبَهُ مِنْ أُمَّم⁽²⁾، وَأُنَادِي وُدَّهُ فَأَجِدُهُ سَلِيمًا مِنَ التَّصَامُمِ وَالصَّمَمِ، الْفَقِيهِ النَّيِّبِ، النَّائِي عَنِ الْمَعَايِبِ وَالشَّوَائِبِ النَّزِيهِ، الَّذِي لَمْ أَلْفِ لَهُ مِنْ نِدٍّ وَلَا شَبِيهِ، وَلَا جَارَاهُ مُبَارٍ فِي السِّيَادَةِ، مُمَارٍ فِي خُلُقِ الشَّهَادَةِ، إِلَّا غَبَّرَ فِي وَجْهِهِ مِنْهُ رَكْضٌ لَاحِقٍ وَالْوَجِيهِ⁽³⁾.

أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْبَنَّةِ، حَرَسَ اللَّهُ مَجْدَهُ وَوُدَّهُ، وَصَرَفَ بِقُرْبِهِ أَنْسَا لَمْ يَزَلِ الْحَبُّ مُسْتَرَدَّةً. أَخُوهُ بَغِيرٍ امْتِرَاءٍ وَلَا افْتِرَاءٍ، وَمُصَافِيهِ عَلَى مَا بِهِ مِنْ إِقْدَامٍ عَلَى الْعُتْبِ

(1) سورة البقرة، الآية: 227.

(2) الْأُمَّمُ: القصد الذي هو الوسط، والأمم القرب يقال أخذت ذلك من «أمم» أي من قرب.

(3) لاحق: اسم فرس معروف من خيل العرب، قال النابغة:

فِيهِمْ بَنَاتُ الْأَعْوَجِيِّ وَلَا حِقِّ وَزَقَا مَرَاكِلُهَا مِنَ الْمِضْمَارِ

وقيل إنه فرس كان لمعاوية بن سفيان. والوجيه: أيضا فرس نجيب من خيل العرب.



وَاجْتِرَاءٍ، وَمُشَارِكُهُ عَلَى الْبُعْدِ فِيمَا أَتَى بِهِ الدَّهْرُ الْمُتَلَوُّنُ مِنْ سَرَّاءٍ وَصَرَّاءٍ. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَأَنْفَذْتُ أَحْرَفِي هَذِهِ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ عَنْ نَفْسٍ لِفِرَاقِكُمْ حَسْرَى، سَارِيَّةٌ حَتَّى الصَّبَاحِ فِي ذِكْرِكَ ثُمَّ لَا تَحْمَدُ الْمَسْرَى⁽¹⁾ وَشَوْقِي إِذَا سَرَى هَمُّ الْمَرْءِ فَهُوَ أَسْرَى، مُوَكَّلُ ظَهْرِهِ مِنْكُمْ بِالسَّيِّدِ الْأَسْرَى. هَذَا الْوَصْفُ الَّذِي لَا تَعْرِفُنِي بِسِوَاهُ، وَالَّذِي اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ عَلَانِيَةٌ وَدِّي وَنَجْوَاهُ، وَحَقٌّ لِمَنْ مَلَكَتُمْ عَنَانَ هَوَاهُ، وَاتَّخَذَ حُبُّكُمْ قَلْبُهُ وَطَنَهُ وَمَثْوَاهُ.

وَأَمَّا مَا زَخَرَفْتَ فِي كِتَابِكَ إِلَيَّ أَخِينَا الْأَكْرَمَ أَبِي الْأَصْبَغِ مِنْ عَنَبٍ يَنْفِيهِ الرَّأْيُ وَيَأْبَاهُ، وَيَكْثُرُ عَلَى الْمَوَدَّةِ مَعَهَا الْاِشْتِيَاءُ، فَتَوَقَّفْ عَنْ إِنْشَادِكَ النَّاسَ مَا حَرَى أَنْ لَيْسَتْ لَهُ أَشْبَاهُ، فَقَوْلُ نَزَحْتَ بِهِ عَنِ الْجِدِّ إِلَى الْهَزْلِ، وَشَبِيتَ وَقُودَ نَارِ التَّقْرِيعِ الْفَطِيعِ وَالْحَطَبِ الْجَزْلِ، وَأَعَدْتَ بِهِ النَّفُوسَ الرَّائِعَةَ فِي وَدَادِكَ الْخِصْبِ إِلَى الضَّيْقِ وَالْأَزْلِ، هَذَا أَوْطَالَ عَلَيْكَ الْأَمَدُ فَقَسَى قَلْبُكَ وَاتَّهَمْتَ الْجَمِيعَ.

فَأَمَّا وَقَدْ حَلَلْتَ حِمَصَ⁽²⁾ وَهَذِهِ أَوَّلُ الْبُشْرَى، فَسَأُولِي كُتُبِي إِلَيْكَ تَتَرَى، وَمَا أَرِيكَ مِنْ آيَةٍ فِي الْوُدِّ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْأُخْرَى⁽³⁾. وَلَا بُدَّ مِنْ كَيْلٍ لَكَ بِصَاعِكَ، وَمُجَارَاتِكَ فِي الْمُعَاتَبَةِ بَاعًا كِبَاعِكَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي الرُّفْعَةِ فَضْلٌ تُفَضِّلُهُ لِأَخِيكَ؟ أَلَمْ يَكُنْ فِي الْوَقْتِ عَرْضٌ وَسَمْعٌ فَيُسَمِّحُكَ وَيُسَخِّيكُ؟ أَلَمْ تَكُنْ أَشَدَّ تَوَخُّيًا لِلْمَبْرَةِ فَتَدُومَ عَلَى تَوَخُّيكِ.

وَقَدْ وَقَفْتُ لَكَ عَلَى عِدَّةٍ كُتُبٍ إِلَيَّ أَخِينَا الْفَقِيهِ أَبِي الْأَصْبَغِ فَمَا لَكَ لَمْ تَجْعَلَهَا بَيْنَ إِخْوَانِكَ دَوْلَةٍ، أَوْ تَبْدُلَ لِجَمِيعِهِمْ مِثْلَهَا فَمَا زَالَتْ أَيْادِيكَ مَبْدُولَةً، يَا شَدَمًا بَدَأْتَنِي بِالتَّعَجُّبِ وَقَدْ شَارَكْتَنِي، وَسَطَوْتَ بِي سَطْوَةَ الْجَائِرِ بَعْدَ أَنْ مَالَاتَنِي حَتَّى مَلَكَتَنِي، هَذَا

(1) مقتبس من المثل العربي المشهور: «عند الصباح يحمد القوم السرى»، مجمع الأمثال.

(2) حمص هنا يقصد بها إشيلية.

(3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾. سورة الزخرف، الآية: 47.



مَعَ تَحَقُّقِكَ أَنِّي بِهِذِهِ الْحَضْرَةِ، وَكَوْنِي مِنْ مَوْضِعِ إِقَامَتِكَ فِي شَكٍّ وَحَيْرَةٍ، فَلَوْ تَرَكْتَنِي
مَعَ السَّجِيَّةِ، وَحُسْنِ الطَّوَيَّةِ وَالنِّيَّةِ، لَطَبْتُ بِمَا عِنْدَكَ نَفْسًا، وَلَمْ أَجِدْ فِيهَا لَبَسًا، وَلَكِنِّي
أَظُنُّ أَنَّ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا عُذْوَانُ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةُ السَّرَابِ بِالْقِيَعَانِ⁽¹⁾ وَغُرْبَتُكَ فِي
الْبَادِيَةِ بِالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ⁽²⁾.

وَإِنِّي لَمِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ بَسْطًا لِعُذْرِكَ، وَتَعَجُّبًا مِنْ صَبْرِكَ، عَلَى مَا فَقَدْتَ مِنْ عَدَمِ
الْمُسَاعِدِ وَالنَّصِيرِ، وَلَقِيتَ مِنْ زَمَانِكَ مِنَ التَّقْصِيرِ وَالسَّعْيِ الْقَصِيرِ، وَلَا بُدَّ بِحَوْلِ اللَّهِ
مِنْ مَصِيرِكَ إِلَى الْحُسْنَى خَيْرِ مَصِيرٍ، وَلَوْلَا التَّيَّةُ مَا حُبَّبَ إِلَيَّ أَبِي جُمُعَةَ كُلِّ قَصِيرٍ.
وَقَدْ اتَّصَلَ بِي مِنْ قَبْلِ الْأَخِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ حُبَيْشٍ⁽³⁾ اتِّصَالُكَ بِالشَّيْخِ الْحَافِظِ الْمُبَارَكِ
أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ وَاعْتِلَاقُكَ بِحَبْلِهِ، وَانْتِمَاؤُكَ إِلَيَّ ذَرَاهُ وَظَلُّهُ. وَهُوَ عَلَى الدَّهْرِ
أَكْرَمُ مُجِيرٍ، وَأَعَزُّ ظَهِيرٍ، وَذَلِكَ مِمَّا سَرَّنِي مَوْقِعُهُ، وَأَمَنَّنِي مِنْ كُلِّ مَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُهُ فَنِيقَ
مَعَهُ بِإِذْرِكَ الْأَمَلِ، وَنِلَ الْأَمَانِي بِالْقَهْرِ لَا بِالْحِيلِ، وَاللَّهُ يَسْرُكَ بِمَنْزِلَةِ مَكَانٍ رَجُلٍ مِنْهَا
كَمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلٍ⁽⁴⁾.

وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ كِتَابًا أَوْكَدُ مِنْ أَمْرِكَ عِنْدَهُ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - مَا يُغْنِيهِ فَضْلُهُ عَنْهُ،
وَأَعْرِفُهُ مِنْ قُدْرِكَ وَفَضْلِكَ بِمَا انْتَهَى وَسْعِي مِنْهُ، فَتَكَرَّرَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَجْدَى مَنْ
تُرْجَى لَدَيْهِ الْوَسَائِلُ، وَتُخَطُّ إِلَيْهِ الرِّسَالُ، وَإِنْ سَمَحَ فِي عَرْضِ هَذِهِ الْأَحْرُفِ عَلَيْهِ

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَغْمَلْتَهُمْ كَسْرَابٍ بِفَيْعَةٍ يَخْسِيبُهُ الظُّلُمَاتُ مَاءً﴾. سورة النور،
الآية: 38.

(2) فيه إشارة إلى قول المتنبي وهو يصف شعب بوان:

مَغَانِي الشُّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيِّعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ

ديوانه 2/ 553.

(3) في الأصل أبو القاسم بن جحيش ولعله خطأ من الناسخ لأن ابن حُبَيْش فقيه أندلسي مشهور. ولا
نعرف اسمًا لشخصية أندلسية تعرف بابن جحيش.

(4) زحل: كوكب مضيء مرتفع.



فَهُوَ أَهْلُ السَّمَّاحِ، وَخَيْرُ مُسْتَمَّاحٍ، وَاللَّهُ يَصْنَعُ لَكَ أَجْمَلَ الصَّنْعِ وَأَخْفَاهُ، وَأَوْفَرَ السَّغِيِّ وَأَوْفَاهُ، وَأَجْمَلَ الْأَمَلِ وَأَكْفَاهُ. بِمَنَّةٍ لَا رَبَّ سِوَاهُ. وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ عَلَى سَيِّدِي وَأَخِي وَعَلَى سَائِرِ الْإِخْوَانِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ إِلَى ابْنِ ثُونْدُوتِ:

إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَيْقِظَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ مِنْ تَوَمَّةٍ ضَلَّالِهِ، وَفَاءً بِهِ إِلَى كَنْفِ التَّوْحِيدِ وَظِلَالِهِ، مِنَ الْمُتَبَهِّلِ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاحِ حَالِهِ، وَسَلَامَةِ مَالِهِ. ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَمَّا بَعْدُ: فَيَا لَيْتَكَ لَمْ تُخْلَقْ بَشَرًا سِوَيَّا، فَقَدْ صِرْتَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا، لَمَّا تَرَكْتَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْمَرْحُومُ مِنَ الْاِغْتِبَاطِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِهِ حَفِيًّا، وَقَدْ مَهَّدَ فِيهِ لِعَقْبِهِ صِرَاطًا سِوَيَّا، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾⁽¹⁾ نَكُثْتَ بَيْعَةَ وَنَقَضْتَ عَهْدًا، وَصِرْتَ بَعْدَ الْإِمَارَةِ لِأَهْلِ اللَّثَامِ عَبْدًا، وَاسْتَبَدَلْتَ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ وَسُمُوِّ الْمَكَانِ تَحْتًا، وَمِنْ الرَّشَادِ ضَلَالَةً وَمِنْ الْمَالِ حَرَامًا وَسُخْتًا⁽²⁾ فَازْدَدْتَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا وَمَقْتًا، وَمَا مِثْلُكَ إِلَّا ﴿كَمَثَلُ الْإِعْنَكَبُوتِ إِتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾⁽³⁾. وَقَدْ تَبَرَّأْتَ مِنْكَ هَسْكَوْرَةُ⁽⁴⁾ أَعَزَزَ بِهَا شَرْفًا وَقَبِيلًا يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا... ﴿أَقِمْسَ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَبَرَأَهُ حَسَنًا﴾⁽⁵⁾، ... مِنْ نِعَمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ مِنْ نِعَمِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ خَلَدَهُ اللَّهُ عَرِيقًا، وَبَوَّأَكُمْ التَّوْفِيقَ فِي مُنَاصَحَةِ هَذَا الْأَمْرِ وَخِدْمَتِهِ مَجْدًا عَالِيًّا وَطَرِيقًا، وَتَلَحَّظْكَ بَعَيْنِ الْاِغْتِبَاطِ الْأَبْصَارُ، تَحُلْ لِمُكَاتَبَتِكَ ثَوْبَ الْحُبِّي، وَتَحْتَمِي بِكَ الْجِبَالُ الشَّامِخَةُ وَالرُّبَى، تَقْصُ

(1) سورة مريم، الآية: 59.

(2) السحت: ما خبت من المكاسب وحرّم فلزم عنه العار وقيح الذكر، قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ﴾. سورة المائدة، الآية: 64.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 41.

(4) هسكورة: قبيلة بربرية مغربية مذكورة عند ابن خلدون.

(5) سورة فاطر، الآية: 8.



الرِّقَابَ قَصًّا، وَالْمَهَابَةَ قَدْ بَسَطْتَ إِلَيْكَ الْقُلُوبَ بَسْطًا، تُجَيِّشُ الْجِيُوشَ لِلْجِهَادِ، وَتُخَلِّفُهُمْ بِخَيْرٍ فِي الْأَهْلِينَ وَالْأَوْلَادِ.

قَدْ نَظَّمْتَ عِنَايَةَ هَذَا الْأَمْرِ - خَلَّدهُ اللهُ - فِي مَرَاتِبِ الْعِلْيَةِ الْجَلَّةِ مِنْ أَوْلَادِ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ، لِيُوثِّبَ الْبَسَالَةَ وَالشَّجَاعَةَ، الْوَارِثِينَ عَنْ آبَائِهِمْ مَنَاهِجَ الْبِرِّ الْمُسْتَسْنِيَةِ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَةِ الْحَقِّ الْمَتِينَةِ، الْمُقْتَفِينَ سُبُلَ هَذَا الْأَمْرِ وَسُنَنِهِ، ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾⁽¹⁾ فَخَلَعْتَ مِنْ عُنُقِكَ رَبِّقَ الْإِسْلَامِ، وَلَمَّا دَعَاكَ الشَّيْطَانُ إِلَى الضَّلَالَةِ أَظْهَرْتَ لَهُ الْإِسْتِسْلَامَ، وَمَحَوْتَ بِسَيِّئَاتِكَ مَا كُتِبَ فِي صَحِيفَتِكَ مِنْ إِخْلَاصٍ وَنَصِيحَةٍ، وَخِدْمَةٍ مَشْكُورَةٍ وَأَثَارٍ صَحِيحَةٍ، فَعَوَّضَ اسْمُكَ مِنْ دِيْوَانِ التَّوْحِيدِ بِالشَّقْوَةِ وَالْعِنَادِ، وَأَثَرْتَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِمَا أَظْهَرْتَ مِنْ طُغْيَانٍ وَفَسَادٍ، وَرَفَعْتَ رَايَةَ الْغَدْرِ وَالْإِزْتِدَادِ، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾⁽²⁾ فَأَنْتَ بِأَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الشَّيْطَانِ تَرْكُضٌ، وَلِعُرَى الدِّينِ وَمَعَانِيهِ تَنْقُضٌ.

كَفَرْتَ أَيَادِي سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِيْمِهِمْ، وَبَسَطْتَ يَدَكَ فِي الْمُسْلِمِينَ تَقْتُلُهُمْ وَتَفَرِّقُ أَشْلَاءَهُمْ، ﴿أَقْبَسَ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾⁽³⁾ وَيَا عَجَبًا لَكَ كَيْفَ رَكَنْتَ لِأَهْلِ اللَّثَامِ وَالْبَغْيِ وَالْفُجُورِ، وَاسْتَبَدَلْتَ الْفِيَا فِي عَوْضًا مِنْ مَشِيدَاتِ الدُّورِ، وَاقْتَرَفْتَ كِبَارَ الْكِبَائِرِ وَرَفَضْتَ ادِّخَارَ الْأَجُورِ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾⁽⁴⁾، وَلَقَدْ رَكِبْتَ بِنَفْسِكَ الْغَرَرَ وَالْخَطَرَ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْكَ الْأَسْرُ وَالْبَطَرُ، وَأَثَرْتَ الْعَاجِلَةَ عَلَى الْآجِلَةِ، فَفَاتَكَ الرَّأْيُ الْحَمِيدُ وَالْوَطَرُ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ [مُنْتَظَرٍ]⁽⁵⁾ فَاصْرِفْ نَفْسَكَ عَنِ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ، وَلَا تَكُ مِمَّنْ اتَّخَذَ إِلَاهَهُ هَوَاهُ

(1) سورة الزمر، الآية: 17.

(2) سورة الرعد، الآية: 34.

(3) سورة محمد، الآية: 15.

(4) سورة فاطر، الآيات: 19 - 20 - 21.

(5) خرم بالأصل.



وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ⁽¹⁾. وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بِالْمِرْصَادِ، وَاقْرَأْ آخِرَ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ صَاد⁽²⁾، وَبَادِرْ مُبَادِرَةَ مُنِيبٍ، وَتُبْ مِنْ قَرِيبٍ، وَسَارِعْ مُسَارِعَةَ مُخْلِصٍ بِتَوْجِيدِهِ وَمَتَابِهِ، وَأَتِ الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ، قَبْلَ أَنْ تَلْمَعَ لَكَ السُّيُوفُ بَوَارِقَهَا، وَتَبْعَتْ إِلَيْكَ الْحُتُوفُ رَوَاشِقَهَا، فَقَدْ نَهَضَ الْمُوَحِّدُونَ أَيْدَهُمُ اللَّهُ وَنَفُوسَهُمُ الزَّكِيَّةُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَوْلِيكَ الْأَشْقِيَاءِ حَقِيقَةً، وَقُلُوبُهُمُ التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ لِلْمَنَآيَا مُعْتَمِقَةً، فَكَأَنَّ ضَاقَ بِكَ الْبَرَّاحُ، وَنَقَضَ عَزِيمَتَكَ الْكِفَّاحُ، وَرَفَضَتْكَ الرُّوَابِي وَالْبَطَّاحُ، وَتَحَكَّمَتْ فِيكَ الْمَنَاهِلُ وَالرَّمَّاحُ، فَاتَّخَذِ الرَّجُوعَ إِلَى اللَّهِ سَبِيلًا، وَاخْذَرْ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَنِيْلًا﴾⁽³⁾ فَعَجِّلْ بِاسْتِرْضَائِكَ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَكَ الْحِمَامُ فَتَكُونَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ كَيْفَ أَشْمَتَ بِنَفْسِكَ وَإِخْوَانِكَ الْعِدَا، وَعَرَضْتَ لِلْمِخْنَةِ أَهْلًا وَلَوْلَدًا، وَرَكِبْتَ هَوَى نَفْسِكَ وَكُنْتَ أَضْعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا:

فَدَاوِ دَاءَكَ، وَالْأَسْبَابُ مُمَكِّنَةٌ وَإِذْ طَبِيبُكَ قَدْ أَلْقَى عَلَيْكَ يَدًا⁽⁴⁾

فَإِنْ بَادَرْتَ الْإِنَابَةَ، أَلْفَيْتَ عِنْدَ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلَ الْعَفْوِ وَكَرِيمَ الْاسْتِجَابَةِ، فَقَدْ تَقَدَّمْتَ لَكَ خِدْمَةُ مَشْكُورَةٍ، فَشَفَّعَهَا الْآنَ بِتَوْبَةٍ مَبْرُورَةٍ، لَكِنَّ الْهَفْوَةَ بَيْنَهُمَا - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - مَغْفُورَةٌ. فَالسَّعِيدُ مَنْ بَادَرَ بِالْمَتَابِ وَاعْتَرَفَ، وَتَرَكَ الْبَاطِلَ رَغْبَةً عَنْهُ وَاقْتَرَفَ، فَفِي قَوْلِ اللَّهِ النَّعْمُ السَّالِفَةُ وَالْخَلْفُ، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾⁽⁵⁾.

بَلِّغْنِي اللَّهَ فِي إِنَابَتِكَ الْأَمَلِ، وَأَصْلَحْ مِنِّي وَمِنْكَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ. وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَنْخَلَصَ فِي حُبِّ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ وَاسْتَدَامَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْتَ مَسَاجِدَ اللَّهِ هَوًى وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشًوَةً﴾. سورة الجاثية، الآية: 23.

(2) آخر آية من سورة ص هي: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾. الآية: 86.

(3) سورة الإنسان، الآية: 27.

(4) البيت من البسيط.

(5) سورة الأنفال، الآية: 38.



وَمِنْ إِنْشَاءِ الطَّبِيبِ أَبِي الْحَجَّاجِ ابْنِ عُتْبَةَ إِلَى ابْنِ بَكَّاسٍ:

أَسْتَوْهَبُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ، وَأَسْتَرْشِدُهُ أَنْ يُوضِحَ لِي الطَّرِيقَ ... كُلُّ آيَةٍ، عَرَابَةٌ فِي تَلْقِيهِ
الرَّايَةِ⁽¹⁾، مُطْفِئِي نُبْرَاسِهِ، بِأَنْفَاسِهِ، أَمَا كَانَ لَكَ أَيُّهَا الْهَازِي، أَنْ تُصَرِّصَ صَرِيرَةَ
الْبَازِي، لَا تَقْتَنِصُ إِلَّا بِمِخْلَبِكَ، وَلَا تُطِلُّ إِلَّا مِنْ مَرْقَبِكَ، أَنْظُنُّكَ سَحُوقَةَ اللَّيَّانِ،
الْبَادِيَةِ الْأَفْئَانِ، حِينَ بَصُرْتَ بِالْبِيدِ، بِذَاتِ الْهَيْدِ⁽²⁾ فَنَادَتْ يَا أُمَّ الصَّرَايَةِ أَنْتِ صَاحِبَةُ
الرَّايَةِ؛ كَلَّا - لَعَمْرِي - وَلَكِنَّكَ كَابِنِ بَرِيحٍ⁽³⁾، الْمُجْهَزِ عَلَى كُلِّ جَرِيحٍ، سَمِعَ صَوْتَ
الْحَمَامَةِ فَتَعَبَ، وَحَجَلَ يَخْكِي مِشْيَتَهَا فَمَا فَعَلَ وَلَا كَرَبَ، أَوْ كَالْحِرْبَاءِ انْتَصَبَ
لِيَخْطُبَ فَارْتَقَى كَالْخَطِيبِ، عَلَى غَضَنِ غَيْرِ رَطِيبٍ، وَأَعَارَ لِسَانَ الْجُنْدِ الْهَجِيرِ،
وَأَنْبَرَى يُعَازِلُ الشَّمْسَ بِالْصَّفِيرِ، فَلَحَنَ لَا بِالْخَفِيفِ وَلَا بِالثَقِيلِ، وَحَسَدَ مَنْ حَسَدَ كُلَّ
لَوْحٍ يَسْتَحِيلُ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ تَخْصِيلُ، وَرَأْيِي أَصِيلُ، تَخْصِيلُ الْحَمَامَةِ، فِي
الْعُودَيْنِ مِنْ نَشَمٍ وَآخَرُ مِنْ ثَمَامَةٍ، وَأَنَا أَقْسِمُ بِقُرْجِ السَّمَاءِ، وَبِقِيَّةِ الدِّمَا وَأَيَّامِ الرِّضْيِ،
وَيَوْمِ غَابَ عُدَّالُهُ لِلْعَرَجِيِّ، وَكَوَاعِبِ الرَّاحِ، فَوْقَ أَفْلَاكِ الرَّاحِ، وَزُرْقِ النُّطَافِ،
[عَلَتْ⁽⁴⁾ كَأَسْهَاءِ الشَّافِافِ، يَمِينُ، لَا يَمِينُ، وَالْيَهُ، دُونَ مَثْنَوِيَّةٍ، أَنْكَ فِي حَلَبَةٍ كُتِّابِ هَذَا
الْأَوَانِ، لِكَالْغَمَامِ الْبَحْرِيِّ بَيْنَ الْحَيْتَانِ، [يَسْتَلْهُمُ]⁽⁵⁾ حُسْنَ الْحَيَوَانِ، وَمَا لَهُ حَرَكَةٌ فِي
مَكَانٍ، تَتَلَاعَبُ بِكُرْتِهِ أَيْدِي الْغَوَارِبِ، وَتَلْتَقِيهِ أَفْوَاهُ الْخُلُجِ وَالْمَذَانِبِ. أَفِي كَرَمِ
الصَّفَاءِ وَالْإِخَاءِ، أَنْ تَهَبَ لِي زَعَزَعًا لَا رُخَاءَ، شَنْتَتْ عَلَيَّ غَارَاتِكَ، تَحْتَ رَايَاتِكَ،
رَمَيْتَنِي بِرُجُومِكَ، مِنْ سَمَاءٍ مَنْظُومِكَ، وَلَفَحَنِي حَرُّ سَمُومِكَ، لَمَّا عَزَّوْتُكَ إِلَى

(1) مرت الإشارة إلى عرابية وأبيات قيلت فيه.

(2) الهيد: الحنظل، وذوات الهيد: الرئال من النعام.

(3) ابن بريح: اسم للغراب سمي بذلك لصوته، قال الشاعر:

سَلَا الْقَلْبُ عَنْ كُبْرَاهُمَا بَعْدَ صَبْوَةٍ وَلَا قَيْتُ مِنْ صُفْرَاهُمْ ابْنُ بَرِيحٍ

اللسان: برح.

(4) خرم بالأصل.

(5) خرم بالأصل.



مَخْدُومِكَ. لَطَّالَمَا زَعَمْتَ، أَنَّكَ نَظَّمْتَ، وَمَدَحْتَ بِمِلِّ فِيكَ، وَطَرَزْتَ بِأَبَاهِرِكَ
وَحَوَافِيكَ، وَغُضِّتَ فِي بَحْرِ الْمَجَرَّةِ، وَأَتَيْتَ بِنَجْمِهَا عَنْ دَرَّةٍ، فَقَلَّدْتَ بِهَا جِيدَ قُبْرَةٍ،
فَمِثْلُكَ كَالْغُرَابِ، الْمُكْتَنَى بِأَبِي النَّعَابِ، هَجَرَ مَنَاحِهِ، وَأَنْكَرَ أَفْرَاحِهِ. يَبْدَأَنَّ رِسَالَتَكَ
الْحَوْلِيَّةَ، الْعَارِيَّةَ الْعَرِيَّةَ، سَهَوْتُ فِيهَا كُلَّ السَّهْوِ، وَجِئْتُ فِيهَا بِمَا جَاءَ بِهِ شَيْخٌ مَهْوٌ⁽¹⁾ مِثْلَتْ
فِيهَا بِالْمِثْلِ، وَأَقْدَمْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ تَسَلْ، حَتَّى قُلْتَ: «أَعْيَا مِنْ أَبِي دُلَامَةَ»⁽²⁾، أَجِدَّكَ وَهَلْ
كَانَ فِي فِطْنَتِهِ مَلَامَةٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ بَغَلْتُهُ الْمَفْرُوفَةَ بِالْعَيْبِ، الْمَرْجُومَةَ بِظَهْرِ الْعَيْبِ،
الْمُتَّجِعَةَ لَهُ كُلِّ لَهَيْبٍ جَعَلَهَا وَضْلَةً لِلْمُلُوكِ، وَمَا كَانَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - بَعِيٍّ وَلَا مَفْرُوكٍ، بَخْ
بَخْ⁽³⁾ مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْكَ أَيُّهَا الْأَخْ، أَحَاجِيكَ وَأَنَا حِيكَ، فَتَبَعْتُ لِي جَيْشًا مِنْ أَهَاجِيكَ
[تَغْزُونِي سِينِنَا]⁽⁴⁾، وَتَقْرِينِي غَنَاءَ لَا سَمِينَا، فَمِثْلُكَ فِي تَأْنِيكَ وَمَا جَلَبْتُ مِنْ غَثِّ مَعَانِيكَ،
كَالْحِدَاةِ الْمُثِيفِ، عَلَى السَّبَاطَةِ أَوِ الْكُنُيفِ، تَوْعَلَ بِالصَّحَاحِ، وَسَوَّى لِلصُّعُودِ خَوَافِي
الْجَنَاحِ، وَاخْتَرَقَ الْهَوَاءَ، حَتَّى صَافَحَ السَّمَاءَ. وَحِينَ بَصُرَ بِجُرْذِ بِهَا قَدْ اسْتَقْبَلَ، حَدَّقَ
نَحْوَهُ وَأَقْبَلَ، وَحَامَ عَلَيْهِ وَاسْتَعْلَى، وَضَمَّ جَنَاحِيهِ وَتَدَلَّى، وَأَسْفَ وَاخْتَطَفَ، وَقَضَقَضَ
حِينَ انْقَضَ، وَكَفَّ، مِلَّءَ الْكَفِّ، وَانْتَقَى، مَا كَانَ لَقَى.

هَذِهِ - سَدَّدَهُ اللَّهُ - آيَةُ رِسَالَتِكَ، وَآيَاتُ غَزَالَتِكَ، فَلَا تُبَارِ السَّوَابِقَ بِعَيْرٍ، وَلَا
تُعَارِضِ الصُّقُورَ بِخَشَاشِ الطَّيْرِ «وَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ»⁽⁵⁾ وَالسَّلَامُ.

(1) في المثل العربي: أخسر صفقة من شيخ مهو. جمهرة الأمثال 1/ 432.

(2) مثل عربي مشهور. مجمع الأمثال.

(3) بخ: كلمة معناها التعجب وفيها لغات بسكون الخاء وبكسرهما مع التنوين وبتشديد هاء منونة وغير منونة وهي غالبا ما تأتي مكررة. قال الشاعر:

بَخْ بَخْ يَا عُتْبُ مَنْ مِثْلُكُمْ قَدْ قَتَلَ الْمَهْدِيَّ فَيَكُمُ قَتِيلُ

طبقات الشعراء لابن المعتز، ص: 230، الروض الأنف 2/ 68.

(4) خرم بالأصل.

(5) شطر من البيت الشعري الذي يقول فيه جرير:

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبَا بَلَّغْتُ وَلَا كِلَابَا

العقد الفريد، ص: 329.



قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - وَمِنْ إِنْشَائِي فِي هَذَا الْبَابِ:

الْأَخُ الْأَجَلُ الْأَوْفَى، الْأَبْرُ الْأَخْفَى، أَبُو فُلَانٍ، أَبَقَاهُ اللَّهُ تَاجًا عَلَى مَفْرِقِ السَّبَابِ،
وَسِرَاجًا فِي دُجَى الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَحْبَابِ، وَلَا زَالَ لَوْلُؤًا يَسْتَخْرِجُهُ الْمَجْدُ مِنْ بَحْرِهِ،
فَيَنْظِمُهُ عَلَى لَبِّهِ الزَّمَانِ السَّعِيدِ وَنَحْرِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَتَحَ اللَّهُ لِإِلْفِنَا أَبْوَابَ الرِّيَادَةِ، وَجَرَى لَهُ فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْعَادَةِ، وَبَوَّأَنَا
أَيُّهَا الْخَلِيلُ الْجَلِيلُ مَرَاتِبَ السَّعَادَةِ، فَإِنَّهُ وَصَلَنِي كِتَابُكُمْ الْأَثِيرُ، بَلْ دُرُكُمُ الشَّيْثُ، فَيَا لَهُ
مِنْ وَاصِلٍ مَا أَعَزَّهُ عَلَيَّ، وَأَحَبَّهُ إِلَيَّ.

وَلَمَّا شَقَقْتُ كِمَامَهُ عَنْ أَزْهَارِ كَلَامِكُمْ، وَفَضَضْتُ خِتَامَهُ عَنْ بَدِيعِ نَثَرِكُمْ الرَّائِعِ
وَنِظَامِكُمْ، وَوَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى تَحِيَّتِكُمْ الْعِطْرَةَ وَسَلَامِكُمْ، هَلَلْتُ فِي مَوَاقِفِهِ وَكَبَّرْتُ،
وَقَدَّمْتُ فِي تَعْظِيمِهِ وَأَخَّرْتُ، وَطَفِقتُ أَقْبَلُهُ حَرْفًا فَحَرْفًا، مِائَةً فَمِائَةً، وَأَلْفًا فَأَلْفًا،
وَلَوْلَا خَوْفِي عَلَى سُطُورِهِ أَنْ يَمْحُوهَا التَّقْيِيلُ، وَيُبْلِيَهَا بِالطَّيِّ وَالنَّشْرِ⁽¹⁾ التَّعْظِيمُ
الْمُفْرِطُ وَالتَّبْجِيلُ، لَكُنْتُ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنْ تَعْظِيمِهِ غَيْرَ مُقْتَصِرٍ، وَلَمَّا وَقَفْتُ مِنْ
تَقْيِيلِهِ لَدَى حَدِّ مُنْتَهَى وَلَا عِنْدَ عَدَدٍ مُخْتَصِرٍ، فَأَضْحَى طَرْفِي يَمْرُحُ فِيهِ وَلَا يَبْنُو، وَطَرْفُ
سُرُورِي بِهِ يَخْضُرُ وَلَا يَكْبُو، وَفُؤَادِي بِوُضُوءِهِ يُثْلَجُ، وَنَفْسِي بِمُضْمَنِ فُضُولِهِ تُسَرُّ
وَتُبْهَجُ، وَالْفَرْحُ بِهِ قَدْ بَلَغَ غَايَتَهُ وَقَاصِيَتَهُ، وَمَلَكَني زِمَامَ السُّرُورِ وَنَاصِيَتَهُ، إِذْ عَثَرَ
الطَّرْفُ فِي مَدِّ شَأْوِهِ وَطَلَّقَهُ، وَقَصَرَ الطَّرْفُ مِنْ خَشْيَتِهِ عَلَى الْوُدِّ وَفَرَّقَهُ، وَرَأَيْتُ
الْعِتَابَ أَبِينَ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ وَفَرَّقَهُ، يَخْمُسُنِي بِأُظْفَارِهِ، وَيَعْضُنِي بِنَابِهِ وَيَخْرِقُنِي بِنَارِهِ،
وَيَرْجُمُنِي بِشَهَابِهِ، وَيُبِينُ لِي مِنْ قَوْلِ الْعُدَاةِ مَا لَا يَكَادُ يَبِينُ، وَيُذِنُنِي مِنْ تَقْوَلِ الْوُشَاةِ
بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْحَقُّ وَلَا يُصَدِّقُهُ الْيَقِينُ، فَاعْتَظْتُ عَلَى الْعِدَا غَيْظًا غَيْرَ كَظِيمٍ، وَقُلْتُ

(1) الطي والنشر: هنالك مصطلح بلاغي يعرف باللف والنشر أيضا: انظر دلائل الإعجاز للجرجاني.



﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَقْبَاكِ آثِيمٍ﴾⁽²⁾ مَعَاذَ اللَّهِ أَيُّهَا الْوَلِيُّ
أَنْ تَحْكُمَ نَفْسُكُمْ النَّفْسَةَ إِلَّا بِالْإِبْطَالِ لِمَا نَقَلُوهُ وَالتَّكْذِيبِ⁽³⁾:

عَلَيَّ وَاللَّهُ فِيمَا لَفَقُوا كَذَبُوا كَكَذِبِ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ عَلَى الذِّبِ

إِنْ هُوَ ﴿إِلَّا إِنْكَافُ بِفِتْرِيهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ - آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ وَظُلْمًا وَزُورًا﴾⁽⁴⁾
﴿بِأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَلَا تُطِيعُ مِنْهُمْ عَائِمًا أَوْ
كَفُورًا﴾⁽⁶⁾، ﴿يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
مَا بَعَلُوهُ بَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾⁽⁷⁾، ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ
يُنْصَرُونَ﴾⁽⁸⁾، ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلْفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾⁽⁹⁾، وَاسْتَعِذْ مِنْهُ
اسْتِعَاذَتِكَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَادْكُرُوا مَنْ يَذْكُرْكُمْ بِخَيْرٍ ﴿حِينَ تُنْسَوْنَ وَحِينَ
تُصْبِحُونَ﴾⁽¹⁰⁾، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ﴾⁽¹¹⁾.

وَتَقَىٰ أَيُّهَا الْأَخُ بِأَنَّ الَّذِي أَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنَ الْوَلَاءِ، وَأَضْمِرُ لَكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُوصِ
وَالصَّفَاءِ، لَا يَخِيسُ بِهِ الْمَيْنُ وَلَا يُفْسِدُهُ الْبَاطِلُ:

(1) سورة النور، الآية: 16.

(2) سورة الجاثية، الآية: 6.

(3) البيت من البسيط، وفيه إشارة إلى أبناء يعقوب الذين جاءوا بقميص أخيهام وعليه دم وقد كذبوا في ذلك على أبيهم.

(4) سورة الفرقان، الآية: 4.

(5) سورة الأنعام، الآية: 68.

(6) سورة الإنسان، الآية: 24.

(7) سورة الأنعام، الآية: 112.

(8) سورة الصافات، الآيتان: 178 - 179.

(9) سورة القلم، الآيتان: 10 - 11.

(10) سورة الروم، الآية: 16.

(11) سورة الشعراء، الآيتان: 151 - 152.



وَإِذَا أَتَتْكَ مَذْمَنِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلٌ⁽¹⁾
 أَيَوُّدُ الْأَعْدَاءُ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْأَحَبُّ أَنْ يُغَيِّرُوا بَيْنَنَا وَدَاً قَدْ رَسَخَ، أَوْ يُدَنِّسُوا مِنْهُ بُرْداً مَا دَرَنَ
 قَطُّ وَلَا اتَّسَخَ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ إِنَّهُ وَدٌّ لَا تُغَيِّرُهُ الشَّوَابِبُ، وَلَا تَطْرَأُ عَلَيْهِ يَدُ الْمَسْنَدِ
 النَّوَابِ، وَإِنِّي لَأُودِعُ تَحِيَّتَكُمْ كُلَّ صَبَاً وَأَسْأَلُ عَنْكُمْ كُلَّ دُبُورٍ، وَمَا أَنَا عَلَى بَعَادِكُمْ بِجَلْدٍ
 وَلَا صَبُورٍ. وَصَلَّ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا وَأَذَنَاهُ، وَمَنْحَنَا مِنَ الْعَيْشِ أَهْنَاهُ، وَكَفَانَا مَا يَشْتَهِيهِ الْعَدُوُّ
 الْكَاشِحُ وَيَتَمَنَّا. وَاللَّهُ يَضْرِبُ بِسَيْفِ الْوَضَلِ عُنُقَ الْبَيْنِ، وَيَتَكَفَّلُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ الْمَرْضِيَّ
 بِمَا يَكُونُ فِيهِ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ وَفَرَّةُ الْعَيْنِ، [وَيَصِلُ وَدُنَا]⁽²⁾ فِي ذَاتِهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ. بِمَنْهُ
 وَالسَّلَامُ الْأَوْفَى الْأَحْفَى عَلَيْكُمْ مَا ذَرَّ شَارِقٌ، وَافْتَرَّ بَارِقٌ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ.
 وَكَتَبْتُ أَيْضاً:

أَزُورُكُمْ لَا أَجَارِيكُمْ بِجَفْوَتِكُمْ إِنَّ الْمَحِبَّ إِذَا مَا لَمْ يُزَرَ زَارَا⁽³⁾
 شَكَرَ اللَّهُ أَيُّهَا الْعَشِيرَةُ افْتِقَادَكُمْ، [وَحَرَسَ وَدُّكُمْ]⁽⁴⁾ وَاعْتِقَادَكُمْ، فَلَقَدْ سَلَكَتُمْ مَعِيَ
 مَسْلَكَ مَرْضِيّاً، وَنَظَرْتُمْ لِي نَظراً جَلِيّاً.

لَا يَتُوبُ لَهُ أَنْسٌ، وَلَا تَهْدَأُ مَعَهُ نَفْسٌ، إِلَّا بِكِتَابٍ يَصِلُهُ مِنْ أَهْلِهِ، وَيُعِيذُهُ مِنْ رَقُومِ
 الشَّوْقِ وَمُهِلِهِ، يَرُدُّ عَلَيْهِ [كَالْجَبْرِ لِلْكَسِيرِ]⁽⁵⁾ وَالْبُشْرَى بِفِكَ الْأَسِيرِ، وَيُسْرِ الْعَسِيرِ،
 يَقْرُبُ الْعَهْدَ وَإِنْ كَانَ شَاسِعاً، وَيُزِيهِ الْأَنْسَ أَيْبَضَ نَاصِعاً، وَيُمْلِكُهُ نَوَاصِي السُّرُورِ،
 وَيَعْرِفُهُ قَوَاصِي الْأُمُورِ، فَطَفِقْتُمْ تَوَالُونَ الْكُتُبَ مَوَالَاةَ النَّفْسِ، وَتَضَحَّبُونَهَا كُلُّ رَاكِضٍ
 بِالْقَدَمِ وَرَاكِبٍ بِالْفَرَسِ، وَتَقْرَنُونَهَا بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتَتَابِعُونَهَا مُتَابَعَةً مَنَازِلِ الْقَمَرِ

(1) البيت من الكامل وهو للمتنبي، انظر شرح ديوانه 376 / 3.

(2) خرم بالأصل.

(3) البيت من البسيط، وقد ورد دون نسبة في العقد الفريد 212 / 6. وروايته «أزوركهم لا أكافيكهم». وهو
 للعباس بن الأحنف، انظر الديوان.

(4) خرم بالأصل.

(5) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.



وَالشَّمْسِ، حَتَّى إِنَّكُمْ حَمَلْتُمُونَنِي مِنْ شُكْرِ ذَلِكَ عَيْنًا ثَقِيلًا، وَأَوْلَيْتُمُونِي اعْتِنَاءً وَاضِحًا وَوُدًّا صَقِيلًا. وَلَوْ نَطَقْتُ بِمَا أَعْتَقَدُهُ مِنَ الشُّكْرِ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ، عَلَى أَنْ كَانَ مِنْكُمْ هَذَا الْمَمْرُوعُ، وَالْاهْتِيَالُ الَّذِي يَزْعُ مِنَ الشُّوقِ وَالتَّوْقِ مَا يَزْعُ، لَانْتَبَتِ الْبَلَاغَةُ وَالْبَرَاةُ لِيَلَى، وَلَعَطَلْتُ كُلَّ رَوْضٍ مِنْ زَهْرٍ وَكُلَّ جِيدٍ مِنْ حُلَى. فَمَا مِثْلُ اهْتِيَالِكُمْ بِالْمُخَاطَبَةِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - اهْتِيَالٌ وَلَا كَاخْتِفَالِكُمْ فِيهَا - بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ - اخْتِفَالٌ، وَإِنِّي لَا عَجَبُ مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِكُمْ إِلَيَّ، وَتَرَادُفِهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَوَقْتٍ عَلَيَّ، وَأُبَاهِي بِهَا مَنْ فَقَدَ الْأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ، وَأَقُولُ سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ فِي نَفُوسِ الْقَرَابَةِ هَذَا الْإِشْفَاقَ وَالْحَنَانَ، حَيْثُ لَا شُغْلٌ يَشْغَلُهُمْ عَنِّي، وَلَا بَالٌ يَتَعَلَّقُ لَهُ إِلَّا بِمَا كَانَ وَيَكُونُ مِنِّي. وَأَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى أَنَّ مَعِيَ أَهْلًا وَقَرَابَةً، وَعَشِيرَةً وَعَصَابَةً، وَأَنَّ وَرَائِي مَنْ يَسْأَلُ عَنِّي إِذَا غَبْتُ، وَيُعْنَى بِي إِذَا تَغَرَّبْتُ كَلًّا - وَاللَّهُ - لَوْ كَانَ هَذَا مِنْكُمْ حَقًّا، لَكَانَتْ هَذِهِ الْمُخَاطَبَةُ صِدْقًا، وَلَوْ كُنْتُمْ كَمَا ذَكَرْتُ أَهْلًا، لَكَانَتْ جِدًّا وَلَمْ تَكُنْ هَزْلًا، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ، مَقْنَعٌ لِأُولِي الْأَفْهَامِ، فَتَدَبَّرُوا الْكِتَابَ، تَتَبَّعُوا الْعِتَابَ.

وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ - تَاللَّهِ - مَا وَصَلَنِي كِتَابُ مِنْكُمْ مِنْ يَوْمٍ تَحَمَّلِي عَنْكُمْ، وَهَذِهِ شُهُورٌ قَدْ سَلَفَتْ لِي فِي الْغُرْبَةِ، وَمَا فَرَجَ لِي خِطَابُكُمْ مِنْ كُرْبَةٍ، وَقَدْ صَدَرَتْ إِلَيْكُمْ مُخَاطَبَاتِي عَشْرَ مَرَارٍ، وَسَلَكَ إِلَيْكُمْ بِهَا فِجَاجُ الْجِبَالِ وَأَمْوَاجُ الْبَحَارِ. وَأَرَاهَا بِالْفِطْنَةِ الْإِيَّاسِيَّةِ⁽¹⁾ وَالْمُخِيلَةِ الْقِيَّاسِيَّةِ، لَمْ يُفَضَّ لَهَا خِتَامٌ، وَصُرِفَ حَامِلُهَا سَيِّءُ الظَّنِّ وَالْبَالِ عَلَيْهِ الْقِتَامُ، وَنَبَذَتْ بِالْعَرَاءِ، وَلَمْ تُزْعَ فِيهَا حُرْمَةُ مُرْسِلِهَا مِنْ هَذِهِ الصَّحَرَاءِ. وَأَيُّمُ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ يَحْضُرُنِي عَلَى هَذَا مِنَ الْكَلَامِ، أَنْفَذَ مِنَ السَّهْمِ، وَأَمْضَى مِنَ الْحُسَامِ، يُسْرِبُ الْمَدَامِيعَ، وَيَسُوءُ الْمَسَامِيعَ وَيَهْدِي الْعُمَى وَيُسْمِعُ الصَّمَمَ، وَلَكِنْ هُنَا يَلْزُمُنِي الصَّمْتُ تَأْدِبًا مَعَ الْمُخَاطَبِينَ، وَإِنْقَاءً عَلَى الْمُكَاتِبِينَ، وَاسْتِدَامَةً لِلرِّضَا وَلَعَلَّهُ يَدُومُ، وَأَخْذًا بِقَوْلِهِمْ:

(1) فيه إشارة إلى قول الشاعر أبي تمام؛ وهو يمدح إياسا بالذكاء والفتنة:

إِفْدَامٌ عَمِرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي جِلْمٍ أَخْفَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسٍ

ديوان أبي تمام.



لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تُلُومٌ⁽¹⁾

وَعُذْرًا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ، فِيمَا تَضَمَّنَ هَذَا الْكِتَابُ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ:

وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ⁽²⁾

أَصْلَحَ اللَّهُ سَرَائِرَنَا، وَأَخْلَصَ فِي ذَاتِهِ ضَمَائِرَنَا، وَطَالَعَكُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ بِمَا يَحْسَبُ
الْأَمَلُ، وَيُنْجِحُ السَّعْيَ وَالْعَمَلَ. وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبْتُ لَهُ أَيْضًا:

وَقَدْ وَصَلَنِي كِتَابُكُمْ الْأَثِيرُ الْبَرُّ الْخَطِيرُ، وَصَلَ اللَّهُ إِكْرَامَكُمْ، وَشَكَرَ اغْتِنَاءَكُمْ بِحَقِّ
الْوَلَاءِ وَاهْتِمَامَكُمْ، فَتَلَقَيْتُهُ تَلَقِّيَ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ، وَكَلَفْتُ بِشُكْرِ أَغْرَاضِهِ الْجَمِيلَةِ كَلْفَ
الْمُغْرَمِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْأَعَزُّ أَنَّ وَدِّي لَكُمْ مَرْصُوصُ الْبِنَاءِ، مَخْصُوصُ بِالتَّهْمِ
الْمَوْصُولِ بِحِفْظِهِ وَالْإِعْتِنَاءِ، وَإِنَّ ثَنَائِي عَلَى مَعَارِفِكُمْ وَمَحَامِدِكُمْ أَجْمَلُ الثَّنَاءِ، وَأَنَّ الَّذِي
عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ لَا يَخِيسُ بِهِ تَقَادُّمُ الزَّمَانِ، وَلَا بُعْدُ الْمَرَارِ - وَلَوْ فَرَضْنَاهُ - وَتَنَائِي
الْمَكَانِ، بَلْ هُوَ الْمَعْلُومُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَالْمَرْسُومُ الَّذِي أَسِيرُ إِلَى رَعِيهِ فِي كُلِّ حِينٍ
سِيرًا حَثِيثًا. وَلَقَدْ عَزَّ عَلَى مُجْلِكُمْ أَنْ شَغَلَ تَأْوُلُهُ لِلْفُظَّةِ مَا بَالِكُمْ، وَأَوْحَشَ خِلَالِكُمْ،
وَنَدِمَ عَلَى أَنْ خَاطَبَ ذَا الْقَوْلِ الْفُضْلَ الْجَزَلَ، بِشَيْءٍ مِنَ الدُّعَابَةِ وَالْهَزْلِ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِي
أَنْ أُمْنَالَكُمْ مِنَ الْكِرَامِ الْفُضْلَاءِ، تَشْتَدُّ ضَيْقُهُم بِالْوَلَاءِ، وَيُؤْلِمُهُمْ أَذْنَى سَبَبٍ يَخَالُونَهُ
قَادِحًا فِي عُودِ الصَّفَاءِ، وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ يُرَاعَ [لَكُمْ فِي]⁽³⁾ اللَّهُ تَعَالَى سِرْبٌ، أَوْ يُكَدَّرَ مِنْهُ
شَرْبٌ، وَالْحَبْلُ أَخْصَفُ وَأَلْيَنُ، وَالسَّبَبُ أَقْوَى وَأَمْتَنُ، وَالْوُدُّ أَجْمَلُ وَأَحْسَنُ. وَمَا كَانَتْ
مِنْ مُحِبِّكُمْ إِلَّا عَثْرَةٌ قَدَمٌ، وَخِصَالُكُمْ تُغْضِي عَمَّا خَشِنَ بِغَيْرِ قَصْدٍ مِنَ الْكَلِمِ، فَقَدْ قِيلَ:

(1) شطره الآخر: «تَأَنَّ وَلَا تَعَجَّلْ بِلُومِكَ صَاحِبًا»، وهو للشافعي.

(2) ورد البيت دون نسبة بالعقد الفريد وصدوره: «إذا ذهب العتاب فليس ود» العقد 2 / 310، وانظر بهجة
المجالس نسبة لأعرابي.

(3) خرم بالأصل.



يُنْظَرُ إِلَى الْقَوْلِ وَقَائِلِهِ، وَخُلُوصِ مَنَاهِلِهِ. وَهُوَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَارٌ فِي عِلْمٍ، بَلْ شَمْسٌ لَا تُبْقِي فِي آفَاقِ الصَّفَاءِ شَيْئًا مِنَ الظُّلَمِ، فَعَلَى ذَلِكَ تَقْطَعُونَ، وَإِيَّاهُ تَحَقِّقُونَ وَبِهِ تَتَوَقَّفُونَ. وَاللَّهُ يُعِينُ عَلَى أَدَاءِ حَقِّكُمْ، وَيَنْهَضُ بِمَا يَقَعُ بِأَفْقِكُمْ. وَقَدْ صَدَرَ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ مِنْ قَبْلِ مَنْ أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُمْ بِمَا تَعَرَّفُونَ مِنْ مُضْمِنِهِ مَغْزَاهُ، وَالْحَقُّ يَنْصُرُ نَفْسَهُ بَلْ يَنْصُرُهُ اللَّهُ. وَالظَّنُّ بِاللَّهِ جَمِيلٌ، وَعَدْلٌ مَنْ أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُمْ بِالنَّظَرِ السَّيِّدِ كَفِيلٌ، وَالْخَيْرُ أَجْمَعُ فِيمَا يَصْنَعُ اللَّهُ مَأْمُولٌ. وَاللَّهُ يُعَلِّي جَانِبَكُمْ، وَيَكْفِيكُمْ مُجَانِبَكُمْ وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

الْحُبُّ فِي ذَاتِ اللَّهِ - أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَةَ الْأَخِ الْخَالِصِ الْأَصْفَى أَبِي فَلَانٍ - إِذَا ثَبَتَ وَرَسَخَ، وَنُقِيَ مِنْ دَنَسِ الْمَذْقِ فَمَا دَرَنَ ثَوْبُهُ وَلَا اتَّسَخَ، وَاسْتَوَى فِي الْخُلُوصِ وَالصَّحَّةِ سِرُّهُ وَجَهْرُهُ، وَجَرَى بَيْنَ شَطْطِي الصَّفَاءِ وَالْوَفَاءِ نَهْرُهُ، وَأَضَاءَ بَذْرُهُ وَعُرْفَ قَدْرُهُ، وَامْتَلَأَ بِهِ قَلْبُ الْمُحِبِّ وَصَدْرُهُ، لَمْ يَخْسُ بِهِ نَزْغُ شَيْطَانٍ، وَلَا كَانَ عَلَيْهِ لِلْفَسَادِ مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَا قَدَحَ فِي عُوْدِهِ تَفَرُّقُ الْأَجْسَامِ وَلَا تَنَازُحُ الْأَوْطَانِ. وَالْمَرْءُ إِذَا صَحَّ اعْتِقَادُهُ، اغْتَفِرَتْ أَحْقَادُهُ، وَاحْتَسِبَ فِي جَنْبِ الْوُدِّ انْتِقَادَهُ «وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ»⁽¹⁾، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْوُدِّ رِضًا وَلَا سُخْطٌ فَفِي أَيِّ حَلَاوَةٍ يَتَصَرَّفُ الْكِتَابُ⁽²⁾، وَقَدْ كَانَ تَقَرَّرَ مِنْ وَدَّنَا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مَا لَا يُخَافُ عَلَى عِقْدِهِ أَنْ يَنْحَلَّ، وَلَا عَلَى نَظْمِهِ أَنْ يَخْتَلَّ وَلَا عَلَى صَحِيحِهِ أَنْ يَعْثَلَ. فَمَا يَضُرُّنَا أَنْ نَزْغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَنَا؛ وَوَدَّنَا وَثِيقٌ، وَكَلَانَا بِرَغِي الذَّمَامِ حَقِيقٌ؛ أَلَا وَإِنِّي لَعَاتِبٌ عَلَيْكُمْ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَنَا عِنْدَ سَفَرِكُمْ وَدَاعٌ، وَلَا امْتَدَّتْ فِي مُصَافَحَتِكُمْ عَلَى مَا يَجِبُ ذِرَاعٌ.

(1) سبقت الإشارة إلى هذا البيت في صفحة متقدمة.

(2) مقتبس من قول الشاعر:

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُرَوِّعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعُتْبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَائِلِ وَالْكَتُبِ

الأغاني 22/ 230، المرقصات والمطربات، ص: 28، نصرة الشاعر على المثل السائر، ص: 250، فوات الوفيات 2/ 199.



وَإِنِّي مِنَ الشَّوْقِ إِلَى عَهْدِكُمْ لَعَلِّي شَوْكِ وَجَمْرِ، وَفِي أَذْهَى شَأْنٍ وَأَعْظَمَ أَمْرٍ، وَلَكِنْ تَفَرَّقْنَا بِالْأَشْخَاصِ، فَقَدْ اجْتَمَعْنَا بِالْإِخْلَاصِ، وَإِنْ تَنَاءَيْنَا بِالْأَجْسَامِ، فَلَقَدْ تَمَائَلْنَا بِالْأَوْهَامِ، وَإِنْ تَنَازَحْتَ الْغُيُوبُ، فَقَدْ تَصَافَحْتَ الْأَرْوَاحَ وَالْقُلُوبُ، وَإِنْ أَوْدَى الزَّمَانُ بِأَيَّامِنَا النَّفَائِسَ:

فَمَا أَنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا عَلَى خَيْرٍ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِآسٍ⁽¹⁾

بَلْ أَرْجُو أَنْ تَحْسُدَ أَوَائِلَ أَيَّامِنَا لِلْأَوَاخِرِ، وَنَعُوذُ بِالْوِدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ؛ وَمِثْلُكُمْ مَنْ عَرَفَ حَقَّ الْمَوَدَّةِ وَالْمِقَّةِ، وَكَانَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِ وَالثِّقَةِ. وَأَنْسَ بِكِتَابِهِ مِنْ وَخْشَةِ الْبَيْنِ، وَبَعَثَ مِنْ خِطَابِهِ بِقُرَّةِ الْعَيْنِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الزَّمَانُ يُعْقِبُ وَيَتَزَحُّ، وَيُمْسِي وَيُضْبِحُ، وَيَأْسَى وَيَجْرَحُ⁽²⁾، وَيُفْسِدُ بَيْنَ الْخَلِيلِينَ ثُمَّ يُصْلِحُ. أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا وَأَقَرَّ بِحُسْنِ اللَّقَاءِ عَنْ قَرِيبٍ عَيْنِنَا؛ وَجَعَلْنَا مِمَّنْ اضْطَحَبَ فِي ذَاتِهِ، وَدَأَبَ عَلَى مَرْضَاتِهِ، بِمَنِّهِ وَالسَّلَامِ.

وَكَتَبْتُ فَضْلاً قَصَدْتُ فِيهِ بَعْضَ إِغْرَابٍ:

أَيُّهَا السَّجِيرُ، وَالْأَفْضَلُ التَّهْجِيرُ، وَلَكِنِّي ازْتَقَبْتُ النَّدَاءَ، وَخِفْتُ الْبَيْدَاءَ؛ كَانَتْ بَيْنَنَا فِي التَّوَدُّدِ - حُرْسَ رَبْعِكَ وَلَا خُرْسَ طَبْعِكَ - مُعَاطَاةٌ جَرَتْ عَلَى الدَّوْرِ «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ»⁽³⁾ إِلَى أَنْ أَطَعْتَ الْمُبْتَشِكَ⁽⁴⁾ الْخَالِقَ، وَسُمْتَ الْعَاصِمَ الْحَالِقَ، فَتَأَيَّتَ ظُلْمًا، كَأَنَّكَ لَمْ تَخْضَ بِالذُّخْلِ عِلْمًا. وَعَلَى ذَلِكَ فَكَيْفَمَا تَقَلَّبْتَ، فَلَمْ تُبْخَ تِلَاعُكَ، وَلَا غِمَطَ انْطِبَاعِكَ، رَحَابَتُكُمْ بِالْمَحَلِّ الَّذِي تَعْلُمُونَ، فَكُونُوا مِنْهَا بِالْمَكَانِ

(1) البيت من الطويل.

(2) فيه إشارة إلى قول الشاعر الأندلسي ابن زيدون:

مَا عَلَى ظَنِّي بِأَسْ قَدْ يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو

ديوانه، ص: 273.

(3) في إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «أعوذ بالله من الحور بعد الكور»؛ أي من النقصان بعد الزيادة.

(4) المبتشك: الذي يخلق الكذب على الناس.



الَّذِي تَرْتَضُونَ. وَالسَّلَامُ. وَكَتَبَهُ حَلِيفٌ وَدُّكُمْ وَحَافِظُ عَهْدِكُمْ فَلَانٌ فِي النَّاحِرَةِ⁽¹⁾ مِنْ شَهْرٍ كَذَا.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

أَخِي فِي اللَّهِ الْكَاتِبُ الذَّكِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَرَسَ اللَّهُ عَهْدَهُ، وَاللَّهُمَّ رُشِدَهُ، وَحَسَنَ مَذْهَبَهُ وَقَصْدَهُ، مُحِبُّهُ وَإِنْ أَسَاءَ، وَبَلَغَ صَبَاحُ الْمَسَاءِ، وَمُؤَثِّرُهُ وَإِنْ أَثَرَ الصَّفَاءِ فَلَانَ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ هَدَانِي لِلْوَفَاءِ، وَأَصْلِي عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً
أَسْتَوْفِيهَا أَتَمَّ الْاِسْتِيفَاءِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ الرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ وَعَنْ
آلِهِ. وَقَدْ أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كِتَابَ مُتَغَايِرِ الْأَبْعَاضِ مُتَنَاقِضِ الْأَجْزَاءِ، يَكَادُ لَا يَخْوِي شَيْئًا مِنَ
الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، يَجْمَعُ بَيْنَ الصُّدَيْنِ، وَيَنْظُرُ إِلَيَّ بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ، وَيَرُدُّ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي
مُرَاعَاةِ الْمَنِينِ، وَيُجَارِي فِي الْاهْتِمَامِ بِسُكُونِ⁽²⁾، وَيُعِيدُ عَلَى صُمْ الْعَوَامِّ بَيَا لَيْتَ،
فَعَجِبْتُ مِنْ عَهْدِ حَالٍ، وَوَدَّ قَصْرَ بَعْدَ أَنْ طَالَ، وَمَهْمَا رُمْتُ عِزْفَانَهُ أَبَى تَصْدِيرَهُ
وَتَخْطِيطَهُ، وَكُلَّمَا قَرَأْتُ عُنْوَانَهُ بَدَأَ تَقْصِيرُهُ وَتَفْرِيطُهُ؛ وَالْمُحِبُّ إِذَا كَانَ مِثْلِي لَا يَرْضَى
بِسَهْمِ نَكْسٍ، وَلَا يَقْنَعُ مِنْ حَظِّهِ بِبَخْسٍ؛ فَإِنْ كُنْتَ غَالِبْتَ نَفْسَكَ فَسَيَّمْتَ الْغِلَابَ،
وَكُنْتَ أَخَا بَرٍّ فَأَثَرْتَ الْاِنْقِلَابَ، وَالْغَيْثَ [الْمُتَالِفَ] الْمُحْكَمَ بَيْنَنَا وَالْاَضْطِحَابَ،
وَلَمْ تُوجِبْ عَلَى النَّصِيحَةِ فِي مُجَاوَرَتِكَ، وَالْخُلُوصِ فِي مُوَازَرَتِكَ الثَّوَابَ، وَاسْتَفْرَكَ
الْعُجْبَ وَالزَّهْوُ حِينَ شَارَكْتَ الْكِتَابَ؛ فَقَدْ عَطَلْتَ الْأَدَابَ، وَغَلَقْتَ فِي وَجْهِ
الْمُكَارَمَةِ الْبَابَ، فَلَا تَغْضَبْ إِذَا قَرَأْتَ هَذَا الْجَوَابَ، فَلَمْ أَحِذْ فِيهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَلَا
فَارَقْتُ فِي مَنَزَعِهِ الصَّوَابَ؛ وَقَصْدِي إِنْ كَانَ الْاِسْتِمْرَارُ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْمُكَاتَبَةِ مِنْ
طِبَاعِكَ، أَنْ أَكِيلَ لَكَ فِي الْمُجَاوَبَةِ بِمِثْلِ صَاعِكَ؛ وَإِنْ كَانَ قَوْلُكَ فِي رَغْيِ الْوُدِّ حَقًّا،

(1) الناحرة: قال صاحب اللسان: «الناحرة آخر ليلة من الشهر مع يومها لأنها تنحدر الذي يدخل بعدها أي تصير في نحرة فهي ناخرة».

(2) السكيت: بالتشديد والتخفيف، الذي يجيء في آخر الحلبة من الخيل.



وَفِي نَفْيِ الْحَقْدِ الَّذِي كُنْتَ فِي غِنَى عَنْ ذِكْرِهِ صِدْقًا، فَصَلِّ سَبَبَ الْإِجَابَةِ وَالزَّمْ أَدَبَ الْكِتَابَةِ، وَأَقْبِلْ عَلَى خَيْدَبَتِكَ⁽¹⁾ وَلَا تَنْزِلْ فِي الْوَلَاءِ عَنْ مَعْهُودِ مَرْتَبَتِكَ، وَفَلَّ غَرْبَ مُدَّتِكَ، وَخُذْ فِي هُدْيَتِكَ وَفِدْيَتِكَ، وَتَوَاضَعْ لِلَّهِ يَرْفَعَكَ⁽²⁾ وَارْضِ أَخَاكَ يَنْفَعَكَ. وَذَكَرْتَ أَنَّ لَكَ صَارَةً فِي اسْتِعْلَامِ التَّخَرُّصِ مِنْ لَدُنِّي، وَأَخَذِ قِسْمَ مِنَ الْأَنْبَاءِ السُّلْطَانِيَّةِ عَنِّي، كَأَنَّكَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ كَاتِبَ السُّلْطَانِ لَا يَفُوهُ، وَلَا يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَنْبَاءِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَّا مَنْ يَجْفُوهُ؛ فَلْيَكْفِكَ مِنْهَا أَنْبَاءُ الْغَيْرِ، وَحَسْبِي إِعْلَامُكَ بِأَنْ لَيْسَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا كُلُّ خَيْرٍ.

وَلَعَلَّكَ أَيُّهَا الْأَخُ إِذَا قَرَأْتَ عِتَابِي تَشْمَخُ بِأَنْفِكَ، وَتَتَلَقَّاهُ بِعُنْفِكَ، وَتَخْرُجُ عَنْ أَنْبَاءِ صِنْفِكَ، وَتَقُولُ: قَدْ حَسِبْتُ فِي عُودِي وَقَرَعْتُ سَمْعِي، لَا تَقُلْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُلْ: قَطُّ سَمْعِي، لِيَقْوَى لَهُ لَمْعِي، وَقَصِدْ رَوْعِي، لِيَحْسَنَ لَهُ طَوْعِي، وَإِنْ قُلْتَ: إِنِّي اسْتَرْسَلْتُ فِي كِتَابِي، وَرَفَعْتُ الصَّوْتَ بِعِتَابِي، فَإِنِّي أَقُولُ لَكَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ الْمَأْمُونُ لِابْنِهِ الْعَبَّاسِ حِينَ خَاصَمَتْهُ الْمَرْأَةُ. وَالسَّلَامُ.

وَكُتِبَتْ أَيْضًا:

السَّيِّحُ الْكَاتِبُ الْأَدِيبُ، الْأَخُ الْأَثِيرُ الْحَبِيبُ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ مَهْيَبٍ، لَا زَالَ يَفْعَلُ فَيُصِيبُ، وَيَدْعُوهُ الْخَيْرُ فَيَجِيبُ، وَلَا بَرَحَ لِمَا يُؤْثِرُهُ مِنْ حُسْنِ الْخَلِيقَةِ، وَدَمَائَةِ السَّلِيلَةِ، يَشْتَاقُهُ الْبَعِيدُ وَلَا يَمَلُّهُ الْقَرِيبُ؛ أَخُوهُ وَمُصَافِيهِ، الشَّيْقُ إِلَيْهِ الْمُحِبُّ فِيهِ، فَلَانْ سَلَامٌ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ.

فَكُتِبَتْهُ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ طَوْلَ الْبَقَاءِ، وَحِرَاسَةَ النِّعَمِ وَدَوَامَ الْارْتِقَاءِ، وَلَا مَزِيدَ عَلَى مَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَأْكِيدَ أَعْظَمَ مِمَّا تَتَحَقَّقُونَ، وَاللَّهُ يَنْفَعُ بِهِذِهِ الْخَلَّةَ، وَيَنْهَجُ بِكُمْ فِي رَعِيهَا نَهَجَ الْكِرَامِ الْجَلَّةِ، وَالْأَحْوَالِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - عَلَى مَا يَسُرُّكُمْ سَبْعُ نِعْمَةٍ، وَدُرُورُ

(1) الخديبة: الطريقة الأولى قال أبو زيد يقال: أقبل على خيدبتك؛ أي على أمرك الأول وطريقتك.

(2) فيه إشارة إلى الحديث الشريف: «من تواضع لله رفعه».



رَحْمَةً. وَالتَّشَوُّفُ نَحْوُكُمْ مُصَاحِبٌ، وَالْجَذَلُ بِكُمْ لَأَذْيَالِهِ سَاحِبٌ؛ وَالسُّؤَالُ عَنْ
أَحْوَالِكُمْ جَرَتْ وَفَقَّ أَمَالِكُمْ لِكثْرَةِ الْوَدِّ فَيْكُمْ مُنَاسِبٌ؛ فَعَسَى أَنْ تَغْفُو مِنْ وَحْشَةِ
الْإِغْيَابِ، وَتُسَعِفَ مِنَ الْإِعْلَامِ بِهَا بِالطَّلَابِ.

وَقَدْ وَصَلَنِي - وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَكُمْ وَحَرَسَ مَوَدَّتَكُمْ - كِتَابُكُمْ الْإِيثَرُ السَّارُّ فَأَسَّسَ
وُصُولُهُ، مِقْدَارَ مَا أَوْحَشْتُ فُصُولُهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا نَفْثَةُ مَضْذُورٍ، وَصَوْلَةُ قَادِرٍ بِحُكْمِ
الْحُبِّ عَلَى مَقْدُورٍ، وَلَمْ أَزَلْ أَطَالِبُ نَفْسِي بِالسَّبَبِ الْبَاعِثِ عَلَى الْإِحَاشِ حَتَّى
عَلِمْتُ أَنِّي لَمْ أُوتَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ أَلْفَاظِ لُغَوِيَّةٍ [صَمَّتْهَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ] ⁽¹⁾ الْمُجَابُّ عَنْهُ،
لِذَلِكَ قَصَدْتُ بِهَا مَا قَصَدْتُ الْعَرَبُ فِي مَعَانِيهَا، فَلَعَلَّ أَخِي تَجَاهَلَ تَفْسِيرَهَا أَوْ قَصَرَ
فِيهَا، [فَطَنَهَا شَرًّا] ⁽²⁾ - وَعَلِمَ اللَّهُ - مَا حَدِثُ بِهَا عَنْ مَغْزَاهَا، وَلَا أَوْرَدْتُهَا إِلَّا دَالَّةً عَلَى
مَعْنَاهَا، وَلَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ يُقْبَلَ عَلَى ذِيْنِهِ الْأَوَّلِ مِنْ صَمِيمٍ، وَيَأْخُذَ فِي أَمْرِهِ الْأَسْبَقِ مِنْ
كَرِيمٍ. مِنْ كِتَابِهِ الْأَوَّلِ الَّذِي اسْتَوْجَبَ عَتَبُهُ وَاسْتَدْنَاهُ... أَخِي الْأَعَزَّ مَا لَمْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ
فِي زَمَنِ الصُّحْبَةِ الْأَكِيدَةِ، وَالْمُواصَلَةِ الْعَجِيْبَةِ، وَالْمَوَدَّاتِ الْكَرِيمَةِ وَالْوَسَائِلِ الْقَرِيبَةِ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُ مَا بَيْنَنَا مِنْ ذَلِكَ مَرْعِيًّا عَلَى الْأَلْقَابِ، مَوْرُوثًا فِي الْأَعْقَابِ، فَلَيْتَ
شِعْرِي أَيْ وَدُّهُ الَّذِي يَدُومُ وَيَبْقَى، ثُمَّ إِنِّي نَزَّهْتُكَ فِي كِتَابِي إِلَيْكَ عَنْ شِيْمَةٍ فَتَسَبَّطَتْهَا
إِلَيَّ، وَلَيْسَ إِلَّا أَنِّي أَعْتَقَدُ فَيْكَ أَنَّكَ أَخِي الصَّدِيقُ. فَإِذَا فَرَضْتُ أَنَّكَ مِثْلِي بِالذَّاتِ
وَالصِّفَاتِ، بَلْ إِنَّكَ لَكَ التَّبَرُّيزُ وَالشُّفُوفُ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، طَلَبْتُكَ بِأَنْ تَجْعَلَ لِي
عَلَى نَفْسِكَ مَزِيَّةَ السَّنِّ خَاصَّةً حَتَّى تُعَامِلَنِي بِمَا يُعَامِلُ بِهِ الْأَخُ الصَّغِيرُ سِنًّا كَبِيرَةً.
وَنَاهِيكَ مِنِّي هَذَا الْخُلُوصُ وَالْإِنْصَافُ فَأَيْنَ تُرِيدُ مِنَ الْحَيْدَةِ عَنِ التَّحْقِيقِ، وَالْخُرُوجِ
عَنِ الطَّرِيقِ [إِلَى مَا يَضُرُّ] ⁽³⁾ بِالصَّدِيقِ وَمَا الْعَجَبُ إِلَّا مَا أَسْقَطَ الْمَرْءُ فِيهِ الْأَدَبَ،
وَأَضَاعَ الطَّلَبَ. وَحَاشَاكَ يَا أَخِي الْأَعَزَّ مِنْ ذَلِكَ، مَعَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ مَحْمُودٍ
خِصَالِكِ؛ وَقَدْ بَرَزْتَ قَسَمَكَ الَّذِي أَقْسَمْتَ بِهِ بِرِسْمٍ مَا سَأَلْتُهُ مِنَ التَّخْطِيطِ وَالْعُنْوَانِ؛

(1) خرم بالأصل.

(2) خرم بالأصل.

(3) خرم بالأصل.



مُعْرِضًا عَرْضًا عَلَيَّ فِي ذَلِكَ إِذَا تَضَمَّنَتْ بِهِ [مَسَرَّتْكُمْ وَلَا] ⁽¹⁾ غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا يَنْتَقَدُ فِيهِ إِذَا صَحَّ بِهِ اعْتِقَادُكُمْ.

وَطَلَبْتُمْ يَا أَحْيَى إِحْدَادَ الْأَسْلِ لِلْمُقَارَعَةِ، مُعْرِضِينَ عَنِ عَظِيمِ مَا بَيْنَنَا نَابِذِينَ لَهُ كَأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ قَادِرٌ عَلَى الشَّرِّ وَالْجَزَاءِ بِالسُّوءِ وَإِنِّي لَا أَقَارِعُكُمْ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا أَقَارِعُكُمْ بِالصَّبْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْأَخْذِ بِفَضِيلَةِ التَّحَمُّلِ الَّتِي تَنْقَطِعُ دُونَهَا الرَّقَابُ. فَإِنْ جَدْتُ بِكَ الْهِمَّةُ فِي إِثَارِ الْفَضْلِ فَهَا أَنَا مُنْتَظِرٌ جَوَابَكَ الْآيِرَ بِمَا أَسْرُبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ.

كُتِبَ غُرَّةَ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَكُتِبَتْ أَيْضًا:

مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ⁽²⁾ بْنِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَلِكِ قَشْتَالَةَ وَطَلَيْطَلَةَ وَعَشْكُونِيَّةَ. تَوَلَّى اللَّهُ كَرَامَتَهُ بِتَقْوَاهُ، وَالْهِمَّةُ إِلَى مَا فِيهِ رِضَاهُ. أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ.

فَالكِتَابُ إِلَيْكُمْ وَفَقَّكُمْ اللَّهُ مِنْ جَيَّانَ - كَلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى - وَكَلِمَةُ الْحَقِّ عَالِيَةً، وَنَعَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَوَالِيَةً، وَبَرَكَاتُ الْأَمْرِ الْعَزِيزِ - أَدَامَهُ اللَّهُ - مُتَتَالِيَةً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَتَعْلَمُونَ مَا بَيْنَ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْعُهُودِ الْمُبْرَمَةِ، وَالْعُقُودِ الْمَرْبُوطَةِ الْمُحْكَمَةِ، الَّتِي يَجِبُ الْإِنْتِهَاءُ إِلَيْهَا، وَالْوَفَاءُ بِهَا، وَالْوُقُوفُ لَدَيْهَا، وَيَحِقُّ الْعِقَابُ عَلَى مَنْ قَدَحَ فِيهَا مِنَ الرَّعِيَّةِ وَاعْتَدَى عَلَيْهَا. وَقَدْ طَرَأَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَا بَرِحَ فِيهِ الْخَفَاءُ ⁽³⁾ وَعَظُمَ فِيهِ مِنْ فَاعِلِيهِ الْجَفَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةً كَبِيرَةً مِنْ خَيْلِ

(1) خرم بالأصل.

(2) البيان المغرب، ص: 237 و 257.

(3) يقال: بَرَحَ الْخَفَاءُ وَبَرَحَ ظَهَرٌ، قال الشاعر:

بَرَحَ الْخَفَاءُ فَمَا لَدَيَّ تَجَلُّدٌ

اللسان (برح).



النَّصَارَى وَرَجُلِهِمْ خَرَجُوا مِنْ بِلَادِكُمْ، وَضَرَبُوا أَخَوَارَ شَقُورَةَ⁽¹⁾ وَغَيْرَهَا مِنَ الْحُصُونِ الرَّاجِعَةِ إِلَى [عَمَلِ جَيَانَ]⁽²⁾ - حَاطَ اللَّهُ جَمِيعَهَا - وَاحْتَمَلُوا عَدَدًا مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ وَدَوَابِّهِمْ وَاکْتَسَحُوا جُمْلَةَ كُبْرَى مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَسَاجَلُوا خِلَالَ هَذِهِ الْجِهَاتِ مُجَاهِرِينَ بِالْمُفَاتِنَةِ، مُوقِدِينَ نَارَ الْمُحَارَبَةِ، لَا يَسْتَرُونَ بِسَجْفٍ مِنَ الْحَيَاءِ وَلَا يَتَنَوْنَ عِنَانًا مِنَ التَّبَسُّطِ فِي اعْتِدَاءِ كَانَتْهُمْ لَا يَزْجَعُونَ إِلَى مَلِكٍ يَمْلِكُهُمْ وَلَا يَخَافُونَ مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُهُمْ، طُغْيَانًا مِنْهُمْ وَعِنَادًا، وَخَتَرَ لِمِثَاقِ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - الَّذِي [...] لَبَسًا وَلَا يَقْبَلُ دَخْلًا وَلَا يَحْتَمِلُ فَسَادًا⁽³⁾. وَمَا يُفْعَلُ أَبَدًا فِي حَالِ الْمُحَارَبَةِ وَالْمُفَاتِنَةِ، أَكْثَرُ مِمَّا فَعَلَ الْآنَ فِي حَالِ الْمُسَالَمَةِ وَالْمُهَادَنَةِ. وَقَدْ عُوِينُوا وَمُيزُوا وَتَحَقَّقَ قُودُ هَذِهِ الْجِهَاتِ - أَنْجَدَهُمُ اللَّهُ - أَنََّّهُمْ مِنْ رِجَالِكُمْ وَأَنََّّهُمْ خَرَجُوا مِنْ بِلَادِكُمْ وَأَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ الدَّلِيلُ فَلَانٌ مِنْ فَلَانَةٍ وَالدَّلِيلُ فَلَانٌ مِنْ فَلَانَةٍ.

وَنَكْتُ الْعُهُودَ مَا لَا يَرْتَضِيهِ مِثْلُكُمْ، وَلَا يُمَشِّيه لِفَاعِلِيهِ قَوْلُكُمْ وَلَا فِعْلُكُمْ. وَقَدْ عَجَبْنَا مِنْ حُدُوثِ هَذِهِ الْكَائِنَةِ الشَّيْعَةِ فِي مُدَّةِ السَّلَامِ الْمَرْبُوطَةِ مَعَ الْمَظْنُونِ بِكُمْ مِنْ حِفْظِ الْعُقُودِ، وَإِثَارِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ النَّازِلَةُ صَغِيرَةً لَعُدِرَ أَصْحَابُهَا وَلَكِنَّهَا مِنَ الْكَبِيرِ، وَاسْتِطَارَةِ الشَّرْرِ، بِحَيْثُ وَصَلَ خَبَرُهَا إِلَى الْأَقْطَارِ النَّائِيَةِ عَنْكُمْ. وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الرِّجَالَ الْفَاعِلِينَ هُمْ رِجَالُكَ، وَالْبِلَادَ الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا بِلَادُكَ وَأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مَقْبُوضَةٌ عَنْكُمْ بِحُكْمِ مُعَاهَدَتِهِمْ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى شُرُوطِهِمْ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ غَرَضِ إِمَامِهِمْ؛ غَيْرَ أَنَّ رِجَالَكُمْ يَتَبَسَّطُونَ هَذَا التَّبَسُّطَ فِي الْاعْتِدَاءِ، وَيَنْتَهُونَ لِمِثْلِ هَذَا الْانْتِهَاءِ، مِنْ ضَرْبِ الْبِلَادِ وَإِحَاطَةِ النَّاسِ بِالْبَلَاءِ، وَمَا كَفَى ضَرَرُ اللَّصُوصِ الَّذِينَ قَلَّمَا انْقَطَعَتْ فِي وَفْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مَضَرَّتُهُمْ لِلْعِبَادِ، وَقَلَّمَا خَلَّتْ مِنْهُمْ أَطْرَافُ الْبِلَادِ، حَتَّى يُتَجَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى الْمُجَاهَرَةِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْفَعْلَةِ الْمُنْكَرَةِ.

(1) شقورة: مدينة من أعمال جيان بالأندلس، ومنها الشاعر المفلق أبو بكر ابن مُجَبَّر شاعر دولة بني عبد المؤمن، الروض المعطار، ص: 349.

(2) خرم بالأصل.

(3) خرم بالأصل.



وَفِي الْإِغْضَاءِ عَنْ بَعْضِ هَذَا الْقَدْرِ، وَالتَّسَامُحِ فِي مِثْلِ هَذَا الْغَدْرِ، مِنَ الْإِخْلَالِ بِحُقُوقِ الْمُسَالَمَةِ، وَالْإِنْجِلَالِ فِي رُبُوطِ الْمُهَادَنَةِ، مَا لَا يَلِيْقُ بِوَفَائِكُمْ وَلَا يَحْسُنُ أَنْ تُقَرُّوا أَحَدًا مِنْ رِجَالِكُمْ عَلَيْهِ بَوَاجِهِ مِنْ وَجْهِ آرَائِكُمْ إِمَّا سَلَمٌ فَسَلَمٌ، يُحَافِظُ عَلَيْهَا، وَإِمَّا حَرْبٌ فَحَرْبٌ لَا يُجَازَى بِهَا وَيُصْرَفُ النَّظَرُ إِلَيْهَا.

وَهَذَا الَّذِي عَرَفْنَاكُمْ بِهِ لَا جَوَابَ عِنْدَ الْفَاعِلِينَ عَلَيْهِ إِلَّا بِحَثِّكُمْ عَنْهُمْ، وَاشْتِدَادِكُمْ فِي تَعْجِيلِ الْإِنْصَافِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ جَرِيْمَتَهُمُ الَّتِي أَجْرُمُوهَا لَيْسَتْ مِمَّا يُدْفَعُ بِالْجَحْدِ وَالْإِنْكَارِ، وَلَا مِمَّا يَصِحُّ أَنْ يُبْرَأَ مِنْهُ وَيُعْزَى إِلَى الْأَغْيَارِ. فَقَدْ مُيزُوا بِأَعْيُنِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ، وَعَرِفُوا بِقَائِدِهِمْ وَدَلِيلِهِمْ وَحَفِظُوا بِغُدُوِّهِمْ وَرَوَاجِهِمْ وَمَأْتَاهُمْ وَمُنْقَلِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْفَاعِلِينَ لِهَذِهِ الْكَائِنَةِ هُمْ مِنْ أَرْغُون⁽¹⁾ فَمُحَالٌّ مِنَ الْقَوْلِ، وَغَيْرُ سَائِعٍ فِي الْقِيَاسِ، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَرْضَ الَّتِي دَخَلُوا عَلَيْهَا أَرْضَكُمْ، وَتِلْكَ الْبِلَادَ بِلَادَكُمْ، وَمَا يَصِحُّ أَنْ يَجْتَازَ عَلَيْهَا أَرْغُونِي إِلَّا بِتَوَاطُؤٍ مَعَ قَوَادِمِهَا وَتَوَافُقٍ مِنْ رِجَالِكُمْ الَّذِينَ فِيهَا؛ وَلَوْ أَرَادَ أَهْلُ بِلَادِكُمْ - تِلْكَ - أَنْ لَا يُشَاكَ مُسْلِمٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْجِهَاتِ بِشَوْكَةٍ مِنْ جِهَةِ أَرْغُونٍ لَمَا كَانَ ذَلِكَ.

وَقَدْ كُشِفَ بِالْبَحْثِ عَنْ حَقِيقَةِ الْفَاعِلِينَ، وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنْ أَرْغُونٍ إِلَّا نَحْوُ خَمْسِينَ فَارِسًا خَاصَّةً وَسَائِرُ الْمِثْنِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْفُرْسَانِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ وَذَلِكَ نَحْوُ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ رَاجِلٍ، وَنَحْوُ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ فَارِسًا إِنَّمَا كَانُوا مِنْ بِلَادِكُمْ؛ وَإِنَّمَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ سَمَّيْنَاهُ لَكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ.

وَمَا هَذَا بِجَائِزٍ فِي حَقِّ السَّلَمِ، فَإِنْ كَانَ ثَمَّ سَلَمٌ فَلْتُحْفَظْ شُرُوطُهَا وَتَكْفَ الْعَادِيَّةُ فِيهَا وَيُنْصَفَ مِنَ الْمُخْلِينَ بِهَا. وَأَنْتُمْ بِحَوْلِ اللَّهِ تَفْعَلُونَ فِي هَذِهِ الْكَائِنَةِ، مَا يَجِبُ فِعْلُهُ فِي حُقُوقِ السَّلَمِ مِمَّا يَظْهَرُ وَلَا يَخْفَى، وَتَمْتَعُضُونَ مِنْهَا امْتِعَاضَ الْمَلِكِ الْأَوْفَى، وَتَنْظُرُونَ فِي تَلَاْفِيهَا، وَجَبَرَ جَمِيعَ مَا انْتَهَبَ فِيهَا، نَظَرَ مَنْ يَغَارُ عَلَى عَقْدِهِ أَنْ يُنْقَضَ،

(1) أَرْغُون Aragón: هو اسم بلاد غرسية بن شانجة يشتمل على بلاد ومنازل وأعمال. الروض المعطار، ص: 27.



وَعَلَىٰ عَهْدِهِ أَن يَنْحَلَّ بِهِ وَيَرْفُضَ، وَلَا هِنَمَامَ الْأَمْرِ عِنْدَنَا، وَجَهْنَا إِلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ أَرْسَلْنَا - سَلَّمَهُمُ اللَّهُ - لِيُشَاهِدُوا مَا يَكُونُ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ، وَيَرَوْا مَا تَفْعَلُونَ فِيهِ هُنَالِكَ، فَتَعْرِفُونَنَا صُحْبَتَهُمْ بِمَا طَرَأَ عِنْدَكُمْ فِي السَّلَامِ الْمَعْقُودَةِ، وَالْعُهُودِ الْمَعْهُودَةِ؛ وَهَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ فَيُوقَفُ عِنْدَهَا وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا أَوْ مُخْتَلَةٌ فَتُعْرِفُ بِذَلِكَ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ أَيَّدَهَا اللَّهُ وَزَفَعَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا. وَاللَّهُ يُوفِّقُ الْجَمِيعَ إِلَى مَا فِيهِ رِضَاهُ، وَيُعِينُ فِي كُلِّ حَالٍ عَلَى مَا تُحَمَّدُ عُقْبَاهُ، وَيَتَوَلَّى كَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ، بِمَنْهٍ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ وَلَا إِلَهَ حَاشَاهُ.

كَتَبَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ الْمُصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ يُعَزِّيه بِأَبْنَيْهِ⁽¹⁾:

مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، سَلَامٌ عَلَيْكَ: فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَعَظَّمَ اللَّهُ لَكَ الْأَجَرَ وَالْهَمَّكَ الصَّبْرَ، إِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَ وَأَمْوَالَنَا وَدَائِعُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، وَعَوَارِئُهُ الْمُسْتَوْدَعَةُ، يُمَتَّعُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، وَيَقْبِضُهَا لَوْفٍ مَعْلُومٍ ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ إِذَا أُعْطِيَ وَالصَّبْرَ إِذَا ابْتُلِيَ⁽²⁾ كَانَ ابْنُكَ مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ الْهَنِيئَةِ وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ. مَتَّعَكَ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ وَقَبْضَةٍ مِنْكَ بِأَجَرٍ كَبِيرٍ؛ وَالصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْهُدَى إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ، فَلَا تَجْمَعَنَّ عَلَيْكَ يَا مُعَاذُ خَطَأَتَيْنِ⁽³⁾ أَنْ يَحْبِطَ جَزْعُكَ أَجْرَكَ فَتَنْدَمَ عَلَى مَا فَاتَكَ؛ فَلَوْ قَدِمْتَ عَلَى ثَوَابِ مُصِيبَتِكَ قَدْ أَطَعْتَ⁽⁴⁾ رَبَّكَ وَتَنَجَّزْتَ مَوْعُودَهُ وَعَرَفْتَ⁽⁵⁾ أَنَّ الْمُصِيبَةَ قَدْ قَصَرَتْ عَنْهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ مَيْتًا وَلَا يَدْفَعُ حُزْنَ فَاحْسِنِ الْعَزَاءَ وَتَنَجَّزِ الْمَوْعُودَ، وَلْيُذْهِبْ أَسْفَكَ مَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ فَكَأَنَّ قَدْ. وَالسَّلَامُ.

(1) الرسالة في التعازي والمراثي، ص: 148 وقد قدم لها بقوله «لما هلك ابن معاذ بن جبل كتب إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». النجم الثاقب 1/ 124، المستطرف 2/ 303، فهرسة الميرغني 3/ 659.

(2) التعازي: «فأمرنا بالشكر إذا أعطانا وبالصبر إذا ابتلانا».

(3) التعازي: «فلا تجمعن... خطأتين» ساقطة منه.

(4) التعازي: أُرْضِيت.

(5) التعازي: وعلمت.

البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ

في التعازي



رَجَالُهُ:

عَبْدُ الْحَمِيد - أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِي - عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ، أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ الْأَصْفَهَانِي - الْحَسَنُ بْنُ وَهْب - أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ رَشِيقِ أَبُو جَعْفَرِ اللَّمَائِي - أَبُو عُمَرَ بْنِ الْبَاجِي - أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَاهِر - أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ رِجَالِ الْقَلَائِدِ - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ اللَّوْشِي - عِمَادُ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْفَهَانِي - أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُغَاوِر - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ عِيَّاش - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَمَادُو - أَبُو الْحَكَمِ بْنِ عُذْرَةَ - أَبُو عَمْرُو ابْنُ غِيَّاثِ الشَّرِيشِي - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلُوي.

مِنْ إِنْشَاءِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى أَخِيهِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاسْتِكْمَالِ الصَّبْرِ وَالْحَسْبَةِ وَصِحَّةِ النِّيَّةِ عِنْدَ عَظِيمِ الْمَكْرُوهِ وَكَبِيرِ الْمَرْزِيَّةِ وَفَادِحِ الْمُصِيبَةِ، مَنْ أَلْهَمَهُ اللَّهُ مِثْلَ الَّذِي بَصَّرَنَا فَعَلَّمَنَا - أَلِ الْبَيْتِ - مِنْ أَدَاءِ الْحَقِّ إِلَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالرَّضَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ مِمَّا يُرْضِي اللَّهَ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِي الْحَكَمِ بْنِ مَرْوَانَ مَا نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْصِمَنَا بِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الصَّبْرِ، وَيُبَلِّغَنَا مَحَبَّتَهُ مِنَ الْخَشْيَةِ، وَقَبُولِ مَا عَلَّمَنَا مِنَ الْاسْتِرْجَاعِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾⁽¹⁾، وَنَسَأَلُهُ قَبُولَ قَوْلِنَا وَطَاعَتِنَا إِيَّاهُ، وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذَنْبَهُ وَيَنْفَسِحَ لَهُ قَبْرَهُ، وَيُلْحِقَهُ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَيُضْعِفَ لَهُ حَسَنَاتِهِ، وَيُحْسِنَ عَلَيْنَا الْخِلَافَةَ - أَلِ الْبَيْتِ - بَعْدَهُ، فَمَا كَانَ أَعْظَمَ الْمَرْزِيَّةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَنَا مِنْ صَلَوَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَهُدَاهُ أَفْضَلَ مَا وَعَدَ الصَّابِرِينَ، وَأَكْمَلَ مَا أَثَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ مِنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كُلَّوَمَ الدُّنْيَا وَأَفَاتِهَا وَمَصَائِبَهَا وَفَجَائِعَهَا تَجْرِي فِي قَضَايَا جَمَّةٍ، وَأَقْدَارٍ مَحْتُمَةٍ، عَزَمَةٌ إِلَى مُتَهَيِّ أَمْرِ مَوْقُوتٍ، وَحَاتِمُ عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ نَافِذٌ غَيْرُ مَنْقُوصٍ، فَهِيَ

(1) سورة البقرة، الآية: 155.



لأهل الصبر عبدة في فناء الدنيا، وذكر ينلغون به الكرامة العليا، ولكل ذي هلع
أزمضه حادئها وأبهظه ما جرت به القضايا المكروهة عند حلولها فتنة يمحق فيها
أجره ويذهب في ضياعها ذخره، ويصير خساراً أمره، غير راد الجزع عليه فائت أمر
مما مضى، ولا موجب له ذخيرة فضل تفتنى، فأعظم الأمور عند تلك إبراء، وأشدّها
عزماً، وأعملها وأذهبها لعظيم المرزئة وطوارق ما نجتويه، وما علا منها، وتنزل
بملم من فظائعها، أقودها إلى الصبر وأوجبها للعبطة عند تحصيل الأمور وقد بلغني
... أجله واستيفاء ما أنت عليه أكمل... الذخر، يحبك [بالتواب] الفاضل والجزاء
الكامل... ويتم عليها نوره، ويكون في أعلى عليين، وأغبط مرافقة النبيين... حادث...
بك، والله ولي صريف السوء عنك والخيرة في كل قضائه لك وعليك... من الله،
ولزوم ما من الصبر يخطيك، وترك ما لا يحيل من الجزع أجرك ويؤيدك، والسلام.
ومن إنشاء أبي إسحاق الصابي عن نفسه إلى محمد بن العباس ابن فسائجس في
وزارته يعزبه عن ابنة كانت أكبر ولده⁽¹⁾.

مصائب الدنيا - أطال الله بقاء الوزير - أبواب توصل إلى الثواب وكلما طرق منها
حادث جليل، حصل بإزائه صنع جليل، إذ كان الله سبحانه قد تولى الوزير بإنافة
المحل، وإشادة الذكر وإسباغ النعم وتوفير القسم ولم يخله من اعتراض ذلك
بحوادث تتطرف ولا توغل، ونواب تتحيف ولا تجحف، فمعلوم أنه - جل ثناؤه -
إنما يرصد له اتصال السعادة في القرار، بالسعادة في هذه الدار، ليجمع له حظ الدنيا
والدين وفائدتي الآخرة والأولى. وهذه حال تقتضي منه شكر الله جل وعز على ما
يقتضيه، والصبر لما يمضيه، والقول بما يرضيه، والثقة والخيرة المستتيرة من ورائه،
والمصلحة المنطوية في أثنائه.

(1) ديوان رسائل الصابي، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ج 1، ص: 605.



وَبَلَّغْنِي مِنْ وَفَاةِ الْمُتَوَفَّاةِ مِنَ الْوَلَدِ بَرَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَضْجَعَهَا، وَكَرَّمَ مَضْرَعَهَا، وَبَلَ تَرَاهَا، وَنَقَعَ صَدَاهَا، مَا أَحْدَثَ بِأَوْفَرِ انْصِبَابِ الْعَبِيدِ وَالْخَدَمِ، وَأَذْنَى إِنْتِهَامِ الْإِتْبَاعِ وَالْحَشَمِ، تَأَلَّمَا بِمَا تَلَّمَهُ وَانْزِعَاجًا لِمَا صَرَفَهُ وَاخْتِصَاصًا فِي كُلِّ أَمْرٍ وَكُونًا تَحْتَ ظِلِّ فِي كُلِّ حَالٍ.

وَالْوَزِيرُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ أَحَقُّ مَنْ تَعَزَّى عَمَّا أُخِذَ مِنْهُ وَسَلَّمْ لِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ. وَاعْتَبَطَهُ مَا يَفِي عَلَيْهِ وَاعْتَدَّ بِالْمَوْهُوبِ مِنْهُ فَإِنَّ الْإِيَّامَ وَإِنْ كَانَتْ فَجَعْتُهُ مِنْ هَذِهِ السَّيِّدَةِ رَحِمَهَا اللَّهُ مِنْ تَوْحُّشِ الْخُدُورِ، فَقَدْ تَجَافَتْ لَهُ مِنْ ذِكْرِ الْوَلَدِ مَنْ يُؤْنِسُ الصُّدُورَ. وَأَعْطَتْهُ السُّلْطَانُ الْقَاهِرَ، وَالْعِزُّ الْمُتَظَاهِرَ فِي عَاجِلَتِهِ، وَوَعَدَتْهُ بِالْفُوزِ الْعَظِيمِ وَالْمَنْهَجِ الْجَسِيمِ فِي آجَلَتِهِ. وَفِي تَأَمُّلِ ذَلِكَ مَا خَفَّفَ ثِقْلَ اللَّوْعَةِ، وَسَهَّلَ مِنْ أَمْرِ السَّلْوَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَمَلُ أَنْ يُسَعِدَ الْمَاضِيَةَ بِمَا تَرَدُّ عَلَيْهِ وَيُبْهِجَهَا بِمَا تُفْضِي إِلَيْهِ وَيَقِيَهَا مَا أَعَدَّ لِأَمْثَالِهَا مِنْ أُمَهَاتِهَا الطَّيِّبَاتِ الطَّاهِرَاتِ اللَّائِي نَشَأْنَ فِي النَّزَاهَةِ وَالْعَفَافِ، وَدَرَجْنَ فِي الصِّيَانَةِ وَالصَّلَاحِ، فَلَمْ تَعْلُقْ بِهِنَّ الْأَذْنَانِ وَلَمْ تَمَسْسَهُنَّ الْأَذْرَانِ، وَلَمْ يَسْمَعْنَ وَيَعِينَنَّ .. وَيَقْلَنَّ وَيَفْعَلَنَّ إِلَّا مَا يُوجِبُ لَهُنَّ عِنْدَ اللَّهِ زُلْفَى، يَزِيدُهُنَّ مِنْ رِضَاهُ قُرْبَى، وَأَنْ يُعِيدَ الْوَزِيرَ مِنَ الرِّزَايَا، وَيُمَتِّعَهُ لِلْعَطَايَا، وَيَجْعَلَهُ مَمْنُوحًا غَيْرَ مُمْتَحَنٍ، وَمَلْمُومًا غَيْرَ مُشْعَثٍ، وَمَزِيدًا غَيْرَ مُنْتَقَصٍ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ: فَضْلٌ مِنْ كِتَابِ تَعَزِّيَةِ بِالْأَمِيرِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ⁽¹⁾:

أَفْدَارُ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ لَمْ تَزَلْ تَخْتَلِفُ بَيْنَ مَكْرُوهٍ وَمَحْبُوبٍ، وَتَتَصَرَّفُ بَيْنَ مَوْهُوبٍ وَمَسْلُوبٍ، غَادِيَةً أَحْكَامُهَا مَرَّةً بِالْمَصَائِبِ وَالنَّوَائِبِ وَرَائِحَةً أَفْسَامُهَا تَارَةً لِلْعَطَايَا وَالرَّغَائِبِ، وَلَكِنْ أَحْسَنَهَا فِي الْعُيُونِ أَثَرًا، وَأَطْيَبَهَا فِي الْأَسْمَاعِ خَبَرًا، وَأَخْرَاهَا بِأَنْ تَكْسِبَ الْقُلُوبَ عِزًّا⁽²⁾ وَتَصْبِرًا، مَا إِذَا طُويَ⁽³⁾ نَشْرٌ، وَإِذَا نُعِيَ بَشَرٌ، وَإِذَا كُسِرَ⁽⁴⁾ جَبَرٌ، وَإِذَا أَخِذَ

(1) الرسالة في زهر الآداب 3/ 745، وفيه أنه بعثها إلى ناصر الدين يعزبه.

(2) الأصل: جزاء، وقد أثبتنا ما في الزهر.

(3) الزهر: انطوى.

(4) الزهر: انكسر.



بِيدٍ رَدَّ بِأُخْرَى، وَإِذَا وَهَبَ يُمْنَى سَلَبَ يُسْرَى، كَالْمُصِيبَةِ بِفُلَانٍ الَّتِي قَرَحَتْ الْأَكْبَادَ،
وَأَوْهَنْتِ الْأَعْضَادَ، وَسَوَّدَتْ وَجْهَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي، وَصَوَّرَتْ الْأَيَّامَ فِي صُورِ
الَلِّيَالِي، وَغَادَرَتْ الْمَجْدَ [وَهُوَ يَلْبَسُ حِدَادَهُ] ⁽¹⁾، وَالْعَدْلَ وَهُوَ يَبْكِي عِمَادَهُ، وَالذِّينَ
وَهُوَ يَنْدُبُ جِهَادَهُ، حَتَّى إِذَا كَادَ الْيَأْسُ يَغْلِبُ الرَّجَاءَ، وَيَرُدُّ الظُّنُونُ مُظْلِمَةَ النَّوَاحِي
وَالْأَرْجَاءِ، قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ مَنْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأَهْوَاءُ، وَرَضِيَتْ بِهِ
الدَّهْمَاءُ، فَأَسَى بِهِ حَادِثُ الْكَلَمِ، وَسَدَّ بِمَكَانِهِ عَظِيمَ الثَّلَمِ، وَرَدَّ الْأَمَالَ وَالنَّفْسَ قَدْ
اسْتَبَدَّلَتْ بِالْحَيَرَةِ قُوَّةً وَانْتِصَارًا، وَصَارَتْ لِلدَّوْلَةِ الْمُبَارَكَةِ أَعْوَانًا ⁽²⁾ وَأَنْصَارًا.

وَلَهُ فَصْلٌ مِنْ كِتَابِ تَعْزِيَةِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْإِمَامِ أَبِي الطَّيِّبِ ⁽³⁾:

لَئِنْ كَانَتْ الرِّزْيَةُ مُمَضَّةً مُؤْلِمَةً، وَطُرُقُ الْعَزَاءِ وَالسَّلْوَةِ مُبْهِمَةً، لَقَدْ حَلَّتْ بِسَاحَةِ مَنْ
لَا تَنْتَقِضُ بِأَمْثَالِهَا مَرَاتِرُهُ، وَلَا تَضَعُفُ عَنْ اخْتِمَالِهَا بَصَائِرُهُ، بَلْ يَتَلَقَّاهَا بِصَدْرِ فَسِيحٍ
يَحْمِي أَنْ يَسِيحَ الْحُزْنُ جَنَابَهُ، وَصَبْرٍ مَشِيحٍ يَحْمِي أَنْ يَحْبِطَ الْجَزَعُ أَجْرَهُ وَثَوَابَهُ، وَلِمَ
لَا ⁽⁴⁾ وَأَدَابُ الذِّينِ عِنْدَهُ تُلْتَمَسُ، وَأَحْكَامُ الشَّرْعِ مِنْ لِسَانِهِ وَيَبَيِّنُهُ ⁽⁵⁾ تُسْتَفَادُ وَتُقْتَبَسُ،
وَالْعُمُومُ تَرْمُقُهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ لِتَجْرِي عَلَى سُنَنِهِ، وَتَأْخُذُ بِأَدَابِهِ وَسُنَنِهِ، فَإِنْ تَعَثَّرَتْ
الْقُلُوبُ فَلِحُسْنِ تَمَاسُكِهِ جَزَاؤُهَا ⁽⁶⁾، وَإِنْ حَسَنَتِ الْأَفْعَالُ فَلِإِلَى حَمِيدِ أَنْحَائِهِ ⁽⁷⁾
وَمَذَاهِبِهِ اعْتِزَاؤُهَا.

(1) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(2) أعوانا: ساقطة من الأصل وقد أثبتنا ما في الزهر.

(3) الرسالة في زهر الآداب 4 / 1141.

(4) الزهر: وكيف لا.

(5) الزهر: وبنانه.

(6) الزهر: فإن تعثرت القلوب فبحسب تماسكه عزاؤها.

(7) الزهر: أفعاله.



وَلَهُ مِنْ كِتَابِ تَعَزِيَةٍ إِلَى أَبِي عَمْرٍو الْبُخْتَرِيِّ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَسَقَى ضَرِيحَهُ⁽¹⁾:

فَلَقَدْ عَاشَ نَبِيَهُ الذُّكْرُ، جَلِيلَ الْقَدْرِ، عَبَقَ الثَّنَاءِ وَالنَّشْرِ، يَتَجَمَّلُ بِهِ أَهْلُ بَلَدَتِهِ، وَيَتَبَاهَى بِمَكَانِهِ ذُووُ مَوَدَّتِهِ، وَيَفْتَخِرُ الْأَثَرُ [وَحَامِلُوهُ]⁽²⁾ بِتَرَاحِيهِ بَقَائِهِ [وَمُدَّتِهِ]⁽³⁾ حَتَّى إِذَا تَسَنَّمَ ذُرْوَةَ الْفَضْلِ وَالْمَنَاقِبِ، وَزَهَرَتْ⁽⁴⁾ مَحَاسِنُهُ كَالنُّجُومِ الثَّوَاقِبِ، خَطَفَتْهُ⁽⁵⁾ يَدُ الْمَقْدَارِ، وَمُجِي أَثَرُهُ بَيْنَ الْأَثَارِ، فَالْفَضْلُ خَاشِعُ الطَّرْفِ لِفَقْدِهِ، وَالكَرَمُ خَالِي الرِّبْعِ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْحَدِيثُ يَنْدُبُ حَافِظَهُ وَدَارِسَهُ، وَحُسْنُ الْعَهْدِ يَبْكِي كَافِلَهُ وَحَارِسَهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْبَدِيعِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يُعَزِّيهِ عَنْ أَبِيهِ⁽⁶⁾:

وَصَلَّتْ رُفْعَتُكَ يَا سَيِّدِي وَالْمُصَابُ لَعَمْرُ اللَّهِ كَبِيرٌ، وَأَنْتَ بِالْجَزَعِ جَدِيرٌ، وَلَكِنَّكَ بِالصَّبْرِ أَجْدَرُ⁽⁷⁾، وَالْعَزَاءُ عَنِ الْأَحِبَّةِ رُشْدٌ كَأَنَّهُ الْغَيُّ، وَقَدْ مَاتَ الْمَيِّتُ فَلْيُخَيِّ الْحَيَّ. وَالْآنَ فَاشْدُدْ عَلَى مَالِكَ بِالْخُمْسِ، فَأَنْتَ الْيَوْمَ غَيْرُكَ بِالْأَمْسِ؛ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَيْلَكَ، تَضْحَكُ وَيَبْكِي لَكَ، وَقَدْ مَوْلَكَ مَا أَلْفَ فِي سِرَاهُ وَسَيْرِهِ، وَخَلَقَكَ فَقِيْرًا إِلَى اللَّهِ غَنِيًّا عَنْ غَيْرِهِ، وَسَيَعْجُمُ الشَّيْطَانُ الْآنَ عُودَكَ، فَإِنْ اسْتَنَّا لَكَ⁽⁸⁾ رَمَاكَ بِقَوْمٍ يَقُولُونَ: خَيْرُ الْمَالِ مَتْلَفَةٌ⁽⁹⁾ بَيْنَ الشَّرَابِ وَالشَّبَابِ، وَمَنْفَقَةٌ⁽¹⁰⁾ بَيْنَ الْحَبَابِ وَالْأَحْبَابِ، وَالْعَيْشُ بَيْنَ الْقِدَاحِ وَالْأَقْدَاحِ⁽¹¹⁾، وَلَوْ لَا الاسْتِعْمَالُ، مَا أُريدَ الْمَالُ، فَإِنْ

(1) الرسالة في زهر الآداب 4 / 1141.

(2) خرم بالأصل والتصويب من الزهر.

(3) خرم بالأصل والتصويب من الزهر

(4) الزهر: وظهرت.

(5) الزهر: اختطفته.

(6) زهر الآداب 4 / 1150.

(7) في الزهر: ولكنه بالعزاء أجدر والصبر.

(8) الزهر: استلانك.

(9) الزهر: ما أتلَف.

(10) الزهر: ما أنفق.

(11) القداح الأولى: أراد بها قداح الميسر؛ أما الأقداح الثانية فأراد بها كؤوس الخمر، يعني أنه يضيع المال بين المقامرة والسكر.



أَطَعْتَهُمْ فَالْيَوْمَ فِي الشَّرَابِ، وَغَدَاً فِي الْخَرَابِ، وَالْيَوْمَ وَاطْرَبَا لِلْكَاسِ، وَغَدَاً وَاحْرَبَا
مِنَ الْإِفْلَاسِ؛ يَا مَوْلَايَ ذَلِكَ الْمَسْمُوعُ⁽¹⁾ مِنَ الْعُودِ يُسَمِّيهِ الْجَاهِلُ نَقْرًا، وَيُسَمِّيهِ
الْعَاقِلُ عَقْرًا⁽²⁾، وَذَلِكَ الْخَارِجُ⁽³⁾ مِنَ النَّايِ، هُوَ الْيَوْمَ فِي الْأَذَانِ زَمْرٌ، وَهُوَ غَدَاً فِي
الْأَبْوَابِ سَمْرٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ الشَّيْطَانُ مَغْمَزاً فِي عُودِكَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، رَمَاكَ بِقَوْمٍ
يُمَثِّلُونَ الْفَقْرَ حِذَاءَ عَيْنَيْكَ، فَتَجَاهِدُ قَلْبَكَ، وَتَحَاسِبُ بَطْنَكَ، وَتُنَاقِشُ عِزَّكَ، وَتَمْنَعُ
نَفْسَكَ، وَتَتَوَقَّى دُنْيَاكَ بِوِزْرِكَ، وَتَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ، لَا، وَلَكِنْ قَصْداً بَيْنَ
الطَّرِيقَيْنِ، وَمَيْلاً عَنِ الْفَرِيقَيْنِ، لَا مَنَعٌ وَلَا إِسْرَافٌ، وَالْبُخْلُ فَقْرٌ حَاضِرٌ وَضُرٌّ عَاجِلٌ،
وَلِئَلَّا يَبْخُلَ الْمَرْءُ خِيفَةً مَا هُوَ فِيهِ:

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةً فَقْرٍ فَالَّذِي صَنَعَ الْفَقْرُ⁽⁴⁾
وَلْيَكُنْ لِلَّهِ فِي مَالِكَ قِسْمٌ، وَلِلْمَرْوَةِ قِسْمٌ؛ فَصِلِ الرَّحِمَ مَا اسْتَطَعْتَ، وَقَدِّرْ إِذَا
قَطَعْتَ، فَلَأَنْ تَكُونَ فِي جَانِبِ التَّقْدِيرِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي جَانِبِ التَّبْدِيرِ، وَالْعُمُرُ
مَعَ هَذِهِ الْأَلَاتِ سَاعَةٌ، وَالْقِنطَارُ فِي هَذَا الْعَمَلِ بِضَاعَةٌ.
وَمِنْ إِنْشَاءِ عَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ⁽⁵⁾ يُعَزِّي الْمَأْمُونِ فِي الْعَبَاسِ بْنِ الْفَضْلِ:

وَمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا عَاتَبَ اللَّهُ وَوَعِظَ أُولِي الْأَلْبَابِ، وَلِلْمَصَائِبِ
الْأَمُهَا وَمَضْضُهَا وَظَلَمَتُهَا وَحُرْقَتُهَا؛ فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَوْقِعَهَا مِنْ عِبَادِهِ، بَشَّرَ

(1) الزهر: ذلك الخارج.

(2) الزهر: فقرا.

(3) الزهر: ذلك المسموع.

(4) البيت من الطويل وهو للمتنبي. ديوانه 2/ 255، من قصيدته التي يمدح بها علي بن أحمد بن عامر
الأنطاكي ومطلعها:

أَطَاعِنَ خَيْلًا مِنْ قَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَجِيداً وَمَا قَوْلِي لِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ

(5) عمرو بن مسعدة توفي سنة 217 هـ وهو أحد الكتاب البلغاء تجعله بعض المصادر وزيرا للمأمون وفي
كتب الأدب شيء من رسائله وتوقيعاته. وفيات الأعيان 3/ 145-148، تاريخ بغداد 12/ 103، أمراء
البيان 1/ 191، الأعلام 5/ 260.



الصَّابِرِينَ عَلَيْهَا بِمَا بَشَّرَهُمْ بِهِ مِنْ صَلَوَاتِهِ وَهُدَاهُ وَرَحْمَتِهِ، الَّتِي تَصْغُرُ مَعَهَا كُلُّ مُصِيبَةٍ وَإِنْ عَظُمَتْ، وَرَزِيَّةٍ وَإِنْ جَلَّتْ. وَلَوْ أَنَّ الدُّنْيَا وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ زِينَةً لَهَا فَإِنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁽¹⁾ جعلت بذلك... واحد فأخذه الله منه واختبره به وَعَوَّضَهُ مَنَزَلَةً مِنْ مَنَازِلِ الثَّوَابِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ. كَانَ حَقًّا أَنْ مَا رَزَيْ فِي جَنْبِ مَا... هَيِّنٌ وَتَجَاوَزَ مَنَزَلَةَ الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ إِلَى مَنَزَلَةِ الشُّكْرِ لِلَّهِ، عَوَّضَهُ مِنَ الْأَجْرِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا فَنَاءَ لَهُ وَلَا زَوَالَ لَهُ وَلَا انْقِطَاعَ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ. فَعَصَمَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ بِطَاعَتِهِ، وَوَفَّقَكَ بِمَا يُبْلَغُكَ بِهِ رِضْوَانُهُ وَيُعْطِيكَ بِهِ مَنَزَلَةَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ وَثَوَابَهُمْ. وَأَنَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ فِي نَفْسِكَ وَفِي دِينِكَ وَعِلْمِكَ، وَفَهْمِكَ وَمَعْرِفَتِكَ، مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الثَّوَابَ مِنَ الزَّائِلِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ مُفَارَقَتِهِ، وَالزَّوَالِ عَنْهُ، وَرَفُضِ الْجَزَعِ وَالْأَسَفِ عَلَيْهِ، مِنْ عِلْمِكَ وَبَصِيرَتِكَ وَتَذَكُّرِكَ، لَا يَعِظُكَ وَاعِظُ، وَلَا يُعْزِيكَ مُعْزٍ إِلَّا بِدُونِ مَا عِنْدَكَ مِنَ اللَّهِ فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِمَا لَكَ وَعَلَيْكَ، وَقَدْ أَصَبْتَ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ، الْمُسْتَعْنِي عَنِ الدُّعَاءِ بِمَا أَفْضَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، بَعْدَ تَعْجِيلِ الشُّرُورِ، وَنَيْلِ الْأَمَلِ فِيهِ، وَبُلُوغِ الشُّكْرِ فِي النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ فِي هَيْبَتِهِ... إِيَّاهُ لَكَ بِالْمُصِيبَةِ الْمُؤَلِّمَةِ الْمُوجِعَةِ الَّتِي لَا تَحْمَدُهَا وَلَا تَوَارَى إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا، وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِي مَا أَصَابَكَ مِنْهَا وَالثَّوَابِ الَّذِي وَعَدَ عَلَيْهَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ مَنَّ عَلَيْكَ عِنْدَ الرِّزْيَةِ مِنَ الصَّبْرِ بِمِثْلِ مَا الَّذِي مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ، أَنْ تَكُونَ عِنْدَ هَيْبَتِهِ لَكَ، وَأَخْذِهِ مِنْكَ صَبُورًا شَكُورًا. فَيَا لَهُمَا مِنْ مَنَزَلَتَيْنِ، مَا أَعْظَمَهُمَا وَأَشْرَفَهُمَا، وَأَكْبَرَ قَدْرَهُمَا وَأَسْنَى ذِكْرَهُمَا، وَأَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَى مَنْ مَنَّ بِهِمَا عَلَيْهِ فَعَظَّمَهُ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَجْرَكَ، وَأَجَزَلَ ثَوْبَتَكَ وَذُخْرَكَ، وَجَعَلَ مَا بَشَّرَ الصَّابِرِينَ بِهِ مِنْ صَلَوَاتِهِ وَهُدَاهُ وَرَحْمَتِهِ عَوَّضَكَ، وَلَا نَقْصَ وَفَرَكَ، وَكَثْرَ وَأَتَمَّى عَدَدَكَ، وَجَعَلَ لَكَ مِنَ الْخَلْفِ السَّارِّ مَا يُؤْنِسُ بِهِ وَخَشْتِكَ، وَيَسُدُّ بِهِ عَضْدَكَ. وَأَطَالَ بَقَاءَ إِمَامِكَ وَخَلِيفَتِكَ الْمُؤَثِّرِ لَكَ، الْعَالِمِ الْفَضْلِ الشَّاكِرِ لِمَا أَصْفَيْتُهُ

(1) سورة الكهف، الآية: 45.



مِنْ طَاعَتِكَ، وَأَخْلَصْتَ لَهُ مِنْ نَصِيحَتِكَ، وَكَفَيْتَهُ بِرَأْيِكَ وَبِرَكَّتِكَ، وَتَذِيرِكَ
وَسِيَاسَتِكَ، وَيُؤْمِنُ نَقِيَّتِكَ مَا حَطَّ اللَّهُ بِهِ قَرِيبَ النَّاسِ وَبَعِيدَهُمْ عَنْ دَرَجَتِكَ اِمْتِنَاعَكَ
وَامْتِنَاعَهُ بِمَا مَنَحَهُ مِنْكَ وَأَعْطَاكَ فَأَمَّا الَّذِي عِنْدَنَا أَبْقَى اللَّهُ الْأَمِيرَ بِهَذِهِ الْمُصِيبَةِ
وَالْإِجْلَالَ لَهَا وَالْحُرْقَةَ لِمَا حَلَّ مِنْهَا وَالْمُشَارَكَةَ فِيهَا بِمَا لَمْ يَزَلْ يُشْرِكُ الْأَمِيرَ -
أَصْلَحَهُ اللَّهُ - فِي النُّعْمَةِ وَالْمُصِيبَةِ وَالْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ بِمَا قَدَّمَ اللَّهُ لَنَا فِي مَوَدَّتِهِ،
وَجَعَلَنَا مُتَصِلِينَ بِهِ فِيهِ، وَعَرَفْنَا مِنْ بَرِّهِ وَأَبْقَى عِنْدَنَا مِنْ أَثَرِهِ وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا مِنْ شُكْرِهِ.
وَقَوْلُنَا فِي ذَلِكَ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾⁽¹⁾. تَنْجِيزاً بِالْقَبُولِ عَنِ اللَّهِ مِيعَادَهُ،
وَرَجَاءَ لِمَا وَصَلَ إِلَيْنَا، وَخَصَّنَا مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ بِثَوَابِ اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ؛ فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَكْرَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُحْيِيَنِي فِي كِتَابِهِ مِنْ حَالِهِ وَنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا أَسْرُبُهُ
وَأَشْكُرُ اللَّهَ، فَعَلَ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ⁽²⁾ إِلَى عَلِيِّ بْنِ بَنَانِ الْكَاتِبِ التَّضَرُّافِ يُعَزِّيهِ بِأَخِيهِ:

أَعْطَاكَ اللَّهُ فِي حَالِ الْفَجِيعَةِ وَالرَّزِيَةِ، الصَّبْرَ وَالتَّسْلِيمَ، وَالْاِعْتِصَامَ، بِأَدَبِ اللَّهِ الَّذِي
دَلَّ عَلَيْهِ، وَالتَّقْوِيَصَ إِلَيْهِ، وَالرَّضَا بِهِ فِيمَا أَعْطَى وَأَخَذَ، وَوَهَبَ وَسَلَبَ، ثُمَّ عَوَّضَكَ
مِنْ كُلِّ رُزْءٍ فَائِدَةً وَمِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ نِعْمَةً وَاللَّهُمَّ تَمَامَ الشُّكْرِ الْمَوْجِبِ لِلزِّيَادَةِ.

هَذَا أَبَقَاكَ اللَّهُ حَادِثٌ مَوْقِعُهُ مِنِّي مُتَّصِلٌ بِمَوْقِعِهِ مِنْكَ لِلْحُقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا لَكُمْ
أَهْلُ الْبَيْتِ، وَلِلْخَالِصِ الْحَالِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِيمَا سَلَفَ مِنَ التَّرْبِيَةِ، وَمِنْ ابْتِدَاءِ الْإِشَادَةِ
فِي الصَّنَاعَةِ، وَمِنْ مُتَقَدِّمِ الْحَيَاةِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ مَحَلُّكَ فِيهَا مَحَلُّ الْأَبُوَّةِ، وَمَحَلِّي فِيهَا
مَحَلُّ الْبُنُوَّةِ، فَوَجَدِي وَجْدُ مَنْ هَذِهِ الْحُقُوقُ مَكْتَنَفَةٌ لَهُ وَهَذِهِ [الْعُهُودُ]⁽³⁾ مَرْعِيَةٌ عِنْدَهُ
وَالِىَ اللَّهُ الْمُشْتَكَى.

(1) سورة البقرة، الآية: 155.

(2) كاتب عباسي مشهور: انظر الأغاني 8/ 357، فوات الوفيات 1/ 367.

(3) خرم بالأصل.



وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يُنْقِصَ لَكُمْ عَدَدًا وَلَا يَزِرَ أَكُم نِعْمَةً وَلَا يُذِيقَكُم فَجَعَةً، وَأَنْ يُمَتِّعَكُم بِطُولِ الْأَعْمَارِ، وَإِيصَالَ السَّلَامَةِ، وَدَوَامِ الْعَافِيَةِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَجَبَةِ. أَنَا بِمَكَانِي - أَبْقَاكَ اللَّهُ - الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ كَانَ بِمِثْلِهِ أَنْ يُبَاشِرَ حَقًّا أَوْ يَقْضِيهِ.

وَكِتَابِي إِلَيْكَ وَإِلَى مَنْ تَخُصُّهُ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ وَاحِدٌ، فَأُحِبُّ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - أَنْ تَتَحَمَّلَ عَنِّي تَعْزِيَةَ الْجَمِيعِ، مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ، وَأَنْ تَخُصَّ أَبَا إِسْحَاقَ - أَبْقَاهُ اللَّهُ - بِمَا يُشَبِّهُ سَنَّهُ وَقَدْرَهُ. وَمَوْقِعَ الْأَمْرِ مِنْهُ وَأَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِمَا يُوفِّقُكُمُ اللَّهُ مِنَ الْقَبُولِ عَنْهُ وَالتَّسْلِيمِ لِحُكْمِهِ، لِأَسْكُنَ إِلَى ذَلِكَ وَأُحْمَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبَ إِلَى مَيْمُونِ الْكَاتِبِ مُعْزِيًا [بِمَوْلُود]:

كَتَبَ إِلَيَّ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - فُلَانٌ يَذْكُرُ مَوْلُودًا رُزِئَتْهُ فَعَمَّنِي - عَلِمَ اللَّهُ - مِنْ هَذَا الْحَادِثِ مَا غَمَّكَ وَلَمْ أَرَأْنِي بَعِيدًا مِنْ أَنْ أَكُونَ وَجَدْتُ بِهِ وَجْدَكَ إِذْ كَانَتْ خِدْمَتُكَ نِعْمَةً تُلْبِسُنِي، وَكَانَ مَنْ خَالَفَهَا مِمَّا يُجِيرُكَ اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَعَطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ يَمْسُنِي، وَيَخْلِي إِلَيَّ قَلْبِي وَلَا [...] الْحَادِثَةُ حَادِثَةٌ، جَعَلَكَ اللَّهُ مُوقِنًا بِالْمَثُوبَةِ بَعْدَهَا مَعَ النِّعْمَةِ. فَلَا رَزَاكَ اللَّهُ وَلَا أَوْحَشَكَ وَلَا أَذْخَلَ نِقَمًا عَلَيْكَ أَنَا - جُعِلْتَ فِدَاكَ - مُتَطَلِّعٌ إِلَى كِتَابِكَ بِخَبَرِ خُلُوتِكَ وَرِضَاكَ عَنْ رَبِّكَ فَنَاشَدْتُكَ اللَّهَ أَلَّا تَتَأَخَّرَ عَنِّي بِذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَكَتَبَ أَيْضًا مُعْزِيًا:

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ مُحْرُوسًا مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْغَيْرِ، مُؤَيَّدًا بِالصَّبْرِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

إِنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ فِيمَا عَظَّمَ لَكَ مِنْ دِينِكَ وَبِقِينِكَ... اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَكَرَهَا وَمِخْنَتَهُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا وَالتَّسْلِيمِ لَهَا. وَقَدْ أَتَانَا مِنَ الْخَبَرِ الْحَادِثِ فِي أَبِي فُلَانٍ نَصْرُ اللَّهِ وَجْهَهُ وَأَصْلَحَ مَثْوَاهُ مَا جَلَّ حَتَّى اسْتَعْرَقَ الْجَمِيعَ وَعَمَّ حَتَّى شَاعَ بَيْنَ الْأَقْرَبِ وَالْأَبْعَدِ.

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَظِّمَ أَجْرَكَ وَأَنْ يُجْزِلَ ثَوَابَكَ وَيَرْبِطَ قَلْبَكَ وَيَتَوَلَّاكَ وَيَتَوَلَّانَا فِيكَ بِمَا يَزِيدُ فِي النِّعَمِ تَمَامًا عِنْدَكَ وَالْمَكَارِهِ بُعْدًا عَنْكَ وَوَفْقَكَ لِمَا أَوْمَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْعَزَاءِ



الَّذِي يُبْلِغُكَ إِلَى أَفْضَلِ الْغَايَاتِ وَيُعْلِيكَ إِلَى مُنْتَهَى الْكَرَامَاتِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُشَارِكٌ لَأَشْدَّكُمْ وَجْدًا وَلَوْعَةً وَأَعْظَمَكُمْ فِي نَفْسِهِ فَجَعَا وَرِزْيَةً. فَإِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى غَيْرِهِ وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَلَّا يُرِينَا مَكْرُوهًا فِي شَيْءٍ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ وَبَلَاءِهِ لَدَيْكُمْ وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ جَوَابٌ تَعَزِيَّةٌ بِابْنَةِ لَهُ:

فَهَمْتُ كِتَابَكَ، فَلَمْ أَعْدِمِ مِنْهُ حُسْنَ مَوْعِظَةٍ وَجَمِيلَ فَائِدَةٍ، وَبُشِّرِي بِالْآخِرَةِ، وَلَقَدْ مَثَلَ لِي حَالُ الْمُصِيبَةِ، حَتَّى ظَنَنْتُ لَقَدْ سَهَّلَ اللَّهُ لِي السَّبِيلَ إِلَى الْجَزَعِ، وَأَسْهَلَ بِهِ فِي الْمَوْعِظَةِ، حَتَّى ضَعُفَ عِنْدِي قَدْرُ الرِّزْيَةِ، وَسَلَكَ بِي سَبِيلًا مِنَ الْقَوْلِ، وَفَقَّنِي فِيهَا بَيْنَ رَجَاءِ الثَّوَابِ عِنْدَمَا حَصَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ، وَخَوْفِ الْعِقَابِ، فَأَنَا حَدِثٌ مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي الْجَزَعِ، فَلَا عَدَمَ أَوْلِيَاؤُكَ مِنْكَ رَأْيًا يَقُودُهُمْ إِلَى الصَّوَابِ بِالْمَزِيدِ، وَلَكِنَّ كَانَتْ الْمُصِيبَةُ الْمَاضِيَّةُ، وَقَعَتْ مَوْقِعًا جَلِيلًا بِحَظِّ الْوَلَدِ مِنَ الْأَنْسِ، وَحَظِّ الْفَجِيعَةِ مِنَ الْأَلَمِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ بَقَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ بَقَائِهَا، وَعَوْضُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الشَّرُورِ بِهَا. وَإِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ بِالْحَازِمِ الرُّجُوعُ إِلَى مَا دَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ، قَوْلًا جَامِعًا لِلْإِقْرَارِ بِالْهَلَكَةِ، وَالاعْتِرَافِ عَلَى النَّفْسِ، وَحَثًّا مِنَ اللَّهِ لِلصَّلَاةِ وَالْهُدَى وَالرَّحْمَةِ. وَإِلَى اللَّهِ الَّذِي تَطَوَّلَ بِهِتِّهَا، وَامْتَحَنَ بِارْتِجَاعِهَا، نَزَعْتُ فِي تَوْفِيرِ الثَّوَابِ عَلَيْهَا، وَتَعْوِيضِ الْأَجْرِ مِنْهَا، وَجَمِيلِ الْخَلْفِ بَعْدَهَا؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ رَشِيقٍ إِلَى الْمُوفِيِّ فِي مَوْتِ الْقَاضِي الْجَوْهَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الْمُفَضَّلَ الْمُكْرَمَ، وَمَنْ لَا قُطِعَتْ بِهِ مِنَ الْأَيَّامِ قَاطِعَةٌ، وَلَا رَاعَتْهُ مِنَ الْخُطُوبِ رَائِعَةٌ، وَلَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ مَا يَخُونُ، وَلَا اعْتَنَلَهُ مَا لَا يَحْسُنُ. كُلُّ مُصِيبَةٍ يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي مَعَ بَقَائِكَ هَيِّنَةٌ، وَكُلُّ شَدِيدَةٍ مَعَ سَلَامَتِكَ لَيِّنَةٌ، وَكُلُّ نَازِلَةٍ فِي حَيَاتِكَ خَفِيفَةٌ، وَكُلُّ أُحْدُوْتَةٍ إِبَائِيَّتِكَ لَطِيفَةٌ [وَمَا الْعَزَاءُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ عَزَاءً] (1) وَلَيْسَ مَا يَذْهَبُ عَنَّا - وَلَكَ الْكَمَالُ بِمَعْدُودٍ، وَلَا مَنْ يُفْقَدُ مِنَّا - وَلَكَ الدَّوَامُ بِمَفْقُودٍ. وَأَبُو

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.



العبَّاسِ القَاضِي رَحِمَهُ اللهُ قَدْ وَرَدَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّانِ بِهَلَكِهِ، مَا خَصَّنِي بِهِ حِمْلٌ مِنَ الرِّزْيَةِ مُثْقِلٌ، وَلَا زَمَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْحَادِثَةِ دَاءٌ مُغْضِلٌ، وَجَرَحَ قَلْبِي جُرْحًا مَا إِخَالُهُ يَبْرَأُ، وَأَضْرَمَ بَيْنَ جَوَانِحِي نَارًا مَا أَظْهَتْهَا تُطْفَأُ، وَأَعْدَمَنِي صِحَّةٌ كُنْتُ أَدْخِرُهَا لِلشَّدَةِ، وَأَعْدَهَا فِي الْعُدَّةِ. وَفِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْأَمَلُ الَّذِي لَا تَنْفُذُ أَسْبَابُهُ، وَلَا تَنْسُدُ أَبْوَابُهُ، ثُمَّ فِي مَوْلَايَ وَسَيِّدِي، وَفِي بَنِيهِ وَعَشِيرَتِهِ الْأَكْرَمِينَ وَالطَّيِّبِينَ، فَلَهُمُ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، وَهُمْ الْخَيْرُ الْمَوْجُودُ، وَوَفَاؤُهُمُ الرِّضَا لِمَيِّتِنَا وَحَيِّنَا الَّذِي لَا تَنْقُصُ عَنْهُ فَائِدَةٌ، وَلَا تَنْقُطُ عَنْهُ عَائِدَةٌ، وَلَا يَخْذُلُ مَعَهُ إِغْفَالٌ، وَلَا يَقَعُ إِهْمَالٌ، وَذَلِكَ كُلُّهُ حَسْبِي، لِلْمُتَوَفَّى رَحِمَهُ اللهُ كَمَا كَانَ فِي حَيَاتِهِ حَسْبُهُ، فَهِيَ رِعَايَةٌ لِمَنْ تَخَلَّفَ لَا تَبْلَى جِدَّتُهَا، وَلَا تَنْقُصُ عُهْدَتُهَا وَلَا تَتَرَاخَى شِدَّتُهَا.

وَلَقَدْ كَانَ يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي، مِنْ حُسْنِ الاجْتِهَادِ فِي خِدْمَتِكَ، وَالِاسْتِهْلَاكِ فِي طَاعَتِكَ، وَالتَّصَنُّعِ بِأَبْلَغِ طَاقَتِهِ لِمَسَرَّاتِكَ، وَكَانَ شَرِيكِي فِي الْقِيَامِ بِحُقُوقِكَ، وَلِذَلِكَ أَعَدُّهُ مِنْ جَلَائِلِ مَصَائِبِي، وَسَائِرِ نَوَائِبِي، فَعَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.....

فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَسْتَشْعِرَ الْحَذَرَ، فَإِنَّ دُونَهُ الْعَبْرَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَرِ أَنْ أَمَلَهُ هُوَ غَايَةُ أَمَلِهِ، فَلَا يُدْرِجُهُ فِي الْغَفْلَةِ دُونَ مَهْلِهِ، إِذْ لَهُ مَا بَيْنَ الدَّارَيْنِ إِلَّا مَا بَيْنَ تَحْوِيلِ الْبَصَرِ مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ، فِيهِ لِلتَّذَكُّيرِ وَالتَّبَصُّرِ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ، وَحَسْرَةِ النَّدَمِ، وَقَدْ تَهَيَّبَ ذَلِكَ الْمَوْرِدَ أَوْلِيَاءُ اللهِ وَأَصْفِيَائِهِ، وَتَمَنَّوْا الْمَشَقَّاتِ دُونَهُ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَيْسَ لَهُ عَمَلٌ مَرْجُوءٌ، وَلَا شَفِيعٌ مَدْعُوءٌ، وَإِنْ بَايَدِينَا سَبَبًا إِلَى الرَّحْمَةِ لَمْ يَنْقُطْ، وَأَمَامَ بَصَائِرِنَا بَابًا إِلَى الرَّاحَةِ لَمْ يَمْتَنِعْ، أَلَا وَهِيَ التَّوْبَةُ الَّتِي لَمْ يُوضَعْ دُونَهَا حِجَابٌ، وَلَا وَقَعَ لَهَا حَتَّى الْآنَ اسْتِغْلَابٌ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبِيدِهِ، فَمَا لَهَا لَا تُبْتَدَرُ بِعَزْمٍ، وَتُقْتَطَعُ بِحَزْمٍ، وَهِيَ تَمْحُو الذُّنُوبَ وَإِنْ كَبُرَتْ، وَتَغْفُو نَارَهَا وَإِنْ كَثُرَتْ، بَلْ يُبَدِّلُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-



السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ^(١)، حَتَّى تَمْنَى بَعْضُ الْمُؤَقِّقِينَ أَنْ تَكْثُرَ سَيِّئَاتُهُ، ثُمَّ يَرْزَقَ التَّوْبَةَ مِنْهَا، لِيَكُونَ بِكَثْرَتِهَا حَسَنَاتٍ؛ فَتَسْأَلُ بِأَوْكَدِ الرَّغَبَاتِ، وَالْحَنِ الطَّلَبَاتِ، أَنْ يُلْهِمَنَا مَتِينَةَ الْأَسْبَابِ، سَلِيمَةً مِنَ الْاضْطِرَابِ، قَائِمَةً بِالْحُدُودِ وَافِيَةً بِالْعُهُودِ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِأَتَمِّ السُّؤَالِ، أَنْ يَجْمَعَ لِمَوْلَايَ وَسَيِّدِي كَرَامَةَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَخَيْرَ الدَّارَيْنِ، وَأَنْ يُقَرِّبَ لَهُ بَيْنَ الْخُطُوبَتَيْنِ، وَيَصِلَ لَهُ بَيْنَ السَّلَامَتَيْنِ، وَيُهَيِّءَ لَهُ ذَلِكَ كَيْفَ شَاءَ مِنْ لُطْفِهِ، وَكَرَمِ صُنْعِهِ، فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَأُقْرِئُ مَوْلَايَ وَسَيِّدِي سَلَامًا كَثِيرًا طَيِّبًا. وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وَلَهُ مُجَابَوَةٌ عَنِ ابْنِهِ الْعَبَّاسِ وَعُبيدِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤَقِّقِ:

يَا مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا الَّذِي نَبَاتْنَا فِي أَفْقِ سُلْطَانِهِ، وَحَيَاتْنَا مِنْ مَاءِ إِحْسَانِهِ، وَهَمَّتْنَا لَا تَنْتَهِي إِلَّا إِلَيْهِ، وَأَمَلْنَا لَا تَقِفُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ لَنَا وَلِلْجَمِيعِ كَنْفًا وَسِرًّا، وَذَخَرَ لَنَا مِنْ طَوْلِ مُدَّتِهِ عَطْفًا وَبِرًّا، لَوْ أَغْبَيْنَا يَا مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا نِعْمَكَ، وَأَتَيْنَا مُبَدَّدَةً مِنْكَ، لَكَانَتْ مُخَاطَبَتُكَ الَّتِي لَا قَدَرَ لَنَا مَعَ أَقْدَارِهَا، وَلَا خَطَرَ مَعَ أخطَارِهَا، مِنَ النِّعَمِ الَّتِي تَجَلُّ عَنِ التَّخْصِيلِ، وَالسُّنَنِ الَّتِي تَشُدُّ عَنِ التَّمْثِيلِ، وَلَكِنَّا لَا تَلْفُظُ أَلْسِنَتُنَا بَلْفُظٍ، وَلَا تَلْحَظُ أَعْيُنُنَا بِلَحْظٍ، إِلَّا وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ فَضْلِ لَكَ جَلِيلٍ، وَمَنْ مِنْكَ جَزِيلٍ، فَلَا شَيْءَ أَعْوَدُ مِنْ الْأَعْتِرَافِ بِالْإِنْقِطَاعِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَجَاوَزَكَ وَهُوَ نِعَمُ الْوَكِيلِ، وَبَعْدُ: يَا مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا، فَقَدْ تَعَزَّيْنَا بِتَعَزُّيْتِكَ، وَتَسَلَّلَيْنَا بِتَسَلُّلِيَّتِكَ، وَرَضِينَا نَظْرَكَ إِلَيْنَا، وَخُنُوكَ عَلَيْنَا، عَوْضًا مِنْ كُلِّ مَقْهُودٍ، كَمَا وَجَدْنَا خَيْرَكَ بِأَيْدِينَا وَفَضْلَكَ يَلِينَا قَبْلَ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَمَا نَأْلُمُ يَا مَوْلَانَا عَلَى مُصِيبَةٍ وَأَنْتَ جَابِرُهَا، وَلَا نُسْفِقُ لِحَادِثَةٍ وَأَنْتَ كَاسِرُهَا.

وَإِنَّ رَزَقَنَا يَا مَوْلَانَا لَكَبِيرَةٌ، وَنَازِلَتْنَا مَعَ صِغَرِنَا عَنْ حَمْلِهَا لَغَيْرُ يَسِيرَةٍ، وَلَكِنْ مَا أَبْقَانَا اللَّهُ تَحْتَ مَنَاتِكَ، ثُمَّ أَمَاتَنَا فِي حَيَاتِكَ، لَا تَعْتَلُ لَنَا نَفْسٌ، وَلَا يَبْطُلُ مِنَّا أُنْسٌ.

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا بِمَا نُهِيَ عَنْهُ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. سورة الفرقان، الآية: ٧٥.



فَصَنَعَ اللَّهُ لِمَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْمُنْعِمِ أَتَمَّ الصَّنْعِ وَأَبْقَاهُ وَكَفَّاهُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ مِنْ مَمْلُوكَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وَلَهُ إِلَى الْمَوْفِقِ:

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الْآخِذَ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بِرِزَامٍ، الْمُوَالِي كُلَّ إِحْسَانٍ بِتَمَامٍ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي نِعْمَةٍ لَا تُحْصَلُ كِبَرًا، وَرِفْعَةٍ لَا تُمَثَّلُ أَثَرًا.

وَرَدَّ عَلَيَّ يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي كِتَابَكَ الْكَرِيمَ الْمُخْبِي لِكُلِّ هِمَّةٍ، الْمُجَلِّي لِكُلِّ غَمَّةٍ، الطَّالِعُ بِكُلِّ حُسْنٍ، النَّافِعُ لِكُلِّ حُزْنٍ، وَلَوْ لَمْ تُصْنِبْنِي - يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي مُصِيبَةً لَتَمَنَيْتُهَا، تَعَرَّضًا لِكَلِمَاتِكَ الطَّيِّبَاتِ، وَدَعَوَاتِكَ الزَّاكِيَّاتِ، وَلَقَدْ تَزَدَجْتُ عَلَيَّ - يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ - نِعْمَكَ، وَتَرَادَفْتُ فِي كُلِّ مَقَامٍ مِنْكَ، حَتَّى مَا أَعْرِفُ أَبَا أَذْكُرُ، وَلَا عَنْ أَيِّ أَشْكُرُ، وَلِكُلِّ أَثَارِكَ حَقٌّ يَجِبُ تَعْظِيمُهُ، وَلِكُلِّ أَيَادِيكَ فَضْلٌ يَحِقُّ تَقْدِيمُهُ.

وَلَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ رَضِيَ عَنْ أَتَمِّ نِعَمِهِ الْحَمْدَ لَهُ، لَمَا اسْتَقَلَّ بِنِعْصِ الْإِحْسَانِ جَهْدٌ، وَلَا قَامَ بِحَمْلِهِ حَدٌّ، وَأَنَا - يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي - مَعَ فَضْلِكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَنِّي صَدٌّ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِكُلِّ صَدْمَةٍ مِنْ لَوْعَةٍ وَلِكُلِّ ذَوِي حُرْمَةٍ مِنْ فَجْعَةٍ، وَمَشَاهِدِ الْمَوْتِ مِنْ رَوْعَةٍ، فَقَدْ كَانُوا إِذَا شَهِدُوا جِنَازَةً لَمْ يَرِ مِنْهُمْ وَاحِدٌ ضَاحِكًا مُدَّةً.

وَنَحْنُ نُوعِظُ بِأَمْوَالِنَا وَبِأَهْلِينَا، وَنُوصِي مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ تَلِينَا، فَالْسَّهْوُ دَائِمٌ، وَاللَّهْوُ قَائِمٌ، وَكَأَنَّ مَا كَانَ مِنْ هَذِهِ لَمْ يَكُنْ، فَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى وَالرِّزْيَةُ الْكُبْرَى هَذِهِ لَا غَيْرُهَا.

فَجَمَعَ اللَّهُ لِمَوْلَايَ وَسَيِّدِي بَيْنَ خَيْرِ الدَّارَيْنِ، وَوَصَلَ لَهُ بَيْنَ كَرَامَةِ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَلَا قَطْعَ لَهُ مَنًى، وَلَا صَرْفَ عَنْهُ وَجْهَ رِضَى، وَلَا أَرَاهُ فِي مَنْ يُحِبُّ مَا يَرْهَبُ، وَلَا تَأْخَرُ بِهِ عَمَّا يَرْغَبُ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ، وَبِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ.

وَمَا أَنَا يَا سَيِّدِي، بَلْ مَوْلَايَ، وَمَا أَطْنَبْتُ، بِيَالِغِ لَكَ حَقًّا، فَاجْعَلِ التَّجَاوُزَ عَنِ التَّقْصِيرِ نِعْمَةً زَائِدَةً وَاقْتَرِي سَلَامًا طَيِّبًا. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي جَعْفَرٍ اللَّمَّائِي يُعَزِّي أَبَا جَعْفَرٍ بِنِ عَبَّاسٍ فِي أَبِيهِ⁽¹⁾:

إِنِّي إِنْ لَمْ أُجِدِ التَّائِبِينَ، فَأُجِِدُ⁽²⁾ الْبُكَاءَ وَالْحَيْنِينَ، وَإِنْ لَمْ أُحْسِنِ التَّمَلُّكَ وَالْإِطْرَاءَ،
فَأُحْسِنِ الْإِخْلَاصَ وَالِدُّعَاءَ. وَاتَّصَلْ بِي مَوْتُ الْوَزِيرِ أَبِيكَ - لَقَاَهُ اللَّهُ غُفْرَانَهُ -
وَبَوَّأَكَ⁽³⁾ بِفَضْلِ اللَّهِ مَكَانَهُ، فَتُرْوَعُ⁽⁴⁾ جَنَانُ الصَّبْرِ، وَأُخْرِسَ لِسَانُ الشُّكْرِ: بَذَرُ أَفْلٍ،
وَهَلَالُ اسْتَقْلٍ، أُعْزِيكَ فَأُسَلِّيكَ⁽⁵⁾ قَدْرُ مُصَابِكَ، قَدْرُ ثَوَابِكَ، صَبْرًا جَمِيلًا عَلَيْهِ
[لِتُؤْجَرَ، وَفِعْلًا حَمِيدًا]⁽⁶⁾ عَلَيْهِ لِيُذَكَّرَ. أَصَابَ الْغُرَّةَ فَأُصِيبُ⁽⁷⁾، وَأَتَعَبَ أَهْلَ زَمَانِهِ
فَأَتَعِبُ، أَقُولُ مُحَقِّقًا، وَسَتَشْهَدُ لِي⁽⁸⁾ مُصَدِّقًا: أَوْلَانِي مِنَ الْبِرِّ مَا لَا أَدْفَعُهُ، وَالْبَسَنِي
مِنَ الْإِكْرَامِ مَا لَا أَخْلَعُهُ:

سَتَنْفَحُ عَيْنِي عَلَيْهِ دَمًا إِذَا مَا الْعُيُونُ سَفَحْنَ الدَّمُوعَا
فَقَدْ كَانَ غُصْنِي بِهِ نَاعِمًا وَرَوْضِي أَنْيَقًا وَدَهْرِي رَبِيعًا⁽⁹⁾

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَمَرِ بْنِ الْبَاجِي مِنْ تَعْزِيَةِ: إِلَى أَبِي عَامِرٍ فِي ابْنِهِ الْمُعْتَزِ⁽¹⁰⁾:

بِأَيِّ لِسَانٍ - أَيْدِكَ اللَّهُ - أَخَاطِيكَ مُذَكِّرًا، وَبِأَيِّ مَقَالٍ الْأَطْفُكَ مُصَبِّرًا، وَقَدْ أَذْهَلْتَنِي فَجَاءَهُ
الْخَطْبُ، وَتَرَكْتَنِي طَائِرَ الْقَلْبِ وَاللُّبِّ، وَقَدْ رَمَانِي سَاعِدُ الزَّمَانِ حِينَ رَمَاكَ، وَأَصْمَانِي

(1) الرسالة: في الذخيرة 2/1 - 618.

(2) الذخيرة: فأجد.

(3) الذخيرة: وكونك.

(4) الذخيرة: فروع.

(5) الذخيرة: وأسليك.

(6) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(7) الذخيرة: فأصب.

(8) الأصل: وستشهدني.

(9) البيتان من المتقارب.

(10) ترجمة أبي عمر الباجي في الذخيرة 2/1 - 186، القلائد، ص: 115، المغرب في حلى المغرب

405/1، الخريدة 3/88، مسالك الأبصار، ج: 11، ورقة 420 (مخطوط باريز). والرسالة في

الذخيرة.



سَهْمُهُ لَمَا أَصْمَاكَ، وَثَارَتْ إِلَيَّ فَجَائِعُهُ مِنْ حَيْثُ ثَارَتْ إِلَيْكَ، وَدَارَتْ عَلَيَّ وَقَائِعُهُ مِنْ حَيْثُ دَارَتْ عَلَيْكَ؛ وَلَوْ كَانَ مَا طَالَعَنِي خَطَرٌ⁽¹⁾ حُلُمٌ، لَكَفَى بِهِ دَاعِيَةً بَثٌّ وَالْمَمُ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ [يَقِينًا]⁽²⁾ يَفْقَطُ أَمَلُ الْمُؤَمِّلِ، وَيُبْطِلُ رَجَاءَ الْمُرْتَجِي الْمُتَعَلِّلِ!؟

وَوَرَدَ كِتَابُكَ الْجَلِيلُ نَاطِقًا [بِلِسَانِ الرِّزْيَةِ]⁽³⁾، مَقْصِدًا سَهْمَ الْفَجِيعَةِ فِي الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ ابْنِكَ، وَمُعْتَمِدِي - كَانَ - فَإِنَّا لِلَّهِ، أَيُّ رُزْءٍ مَا أَفْطَعُهُ فِي الْقُلُوبِ، وَأَيُّ خَطْبٍ مَا أَشْنَعُهُ فِي الْخُطُوبِ، وَأَيُّ مُصَابٍ مَا أَحَقَّهُ بِطُولِ الْأَسَى وَبَبْدِ الْأَسَى، لَوْ لَا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا أَجِدُ - أَيْدِكَ اللَّهُ - لِهَذِهِ الْفَادِحَةِ قَدْرًا، وَلَا أَقِيسُ بِهَا أَمْرًا، وَلَا أَكَادُ أَقُولُ فِي مِثْلِهَا صَبْرًا، فَإِنَّهَا سَالِبَةُ الْأَذْهَانِ، وَصَانِعَةُ الْأَحْزَانِ، وَخَبِيثَةُ الْحَدَثَانِ، وَكَبِيرَةُ نَوَائِبِ الزَّمَانِ.

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا⁽⁴⁾:

وَنَحْنُ مَأْمُورٌ فِينَا، وَمَحْكُومٌ عَلَيْنَا، يَمْلِكُنَا خَيْرُ الْمَالِكِينَ، وَيَحْكُمُ فِينَا أَعْدَلُ الْحَاكِمِينَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَخْلُقْنَا، فَضْلًا عَمَّنْ خَلَقَ مِنَّا وَلَنَا، وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ⁽⁵⁾ بِنِعْمَى مَتَّعَكَ بِهَا مَا شَاءَ، ثُمَّ صَنَعَ فِي بَعْضِ مَا شَاءَ، فَإِنْ تُقَابِلُ بِالْإِحْسَابِ قَدْرَهُ النَّازِلِ، وَبِالتَّقْوِضِ قَضَاءَهُ الْعَادِلِ، [فَأَخْرِ بِحُزْنِكَ أَنْ يَعُودَ سُرُورًا، وَبِصَدْعِكَ أَنْ يَكُونَ بِثَوَابِ اللَّهِ مَجْبُورًا]⁽⁶⁾:

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي مِثْلِهِ:

[كِتَابِي]⁽⁷⁾ عَنْ نَفْسٍ مُسْتَطَارَةٍ بِلَوْعَتِهَا، [وَكَيْدٍ مُذَابِيَةِ بَرُوعَتِهَا]⁽⁸⁾، وَعَنْ قَلْبٍ شِعَارُهُ بَرُّحُ الْجَوَى وَأَعْشَارُهُ نَهْبُ الْأَسَى [تَفَجُّعًا لِمَا فَجَعَكَ، وَاشْتِرَاكَ فِي عَظِيمِ الْمُصَابِ

(1) الذخيرة: خطرة.

(2) خرم بالأصل ومحو به والتصويب من الذخيرة.

(3) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(4) الذخيرة 1/2 - 189.

(5) الأصل: علينا.

(6) خرم ومحو بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(7) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(8) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.



مَعَكَ⁽¹⁾ وَأَسْفًا عَلَى مَنْ فَقَدْنَاهُ فَقَدَانِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَرُمِينَا فِيهِ [بِأَفْطَحِ الْحَوَادِثِ وَالْغَيْرِ]⁽²⁾ «فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» بِهَا يَعْتَصِمُ الْعَارِفُونَ وَإِلَى حَقِيقَتِهَا يَرْجِعُ الْمُسْلِمُونَ.

وَإِنَّ كِتَابَكَ وَرَدَّ مُنْبِئًا عَنْ صُورَةِ حَالِكَ، فِي تَوْفِيَةِ⁽³⁾ رُزْنِكَ حَقَّهُ مِنَ الْأَسْفِ، وَإِعْطَاءِ مُصَابِكَ بِقَدْرِهِ مِنَ اللَّهْفِ. فَسَدَّ عَلَى نَفْسِي - فَادِيَّتِكَ - ثَنَانِيَا الصَّبْرِ، وَوَقَعَ مِنْهَا مَوْقِعُ الْهَشِيمِ مِنَ الْجَمْرِ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّهُ الرُّزْءُ، فَلَيْسَ كَمَثَلِهِ الْأَرْزَاءُ، الَّتِي يَخْسُنُ فِيهَا الْعِزَاءُ، وَإِنَّكَ بِالْبَثِّ وَالْحَزَنِ لِحَقِيقُ⁽⁴⁾، ثُمَّ إِنَّكَ بِالصَّبْرِ وَالْإِخْتِسَابِ لَخَلِيقُ، وَلَوْلَا أَنِّي أَتَيْتُ بِرُجُوعِكَ إِلَيْهِ، وَتَأْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ فِي الْإِخْتِمَالِ عَلَيْهِ، لَسَلَكْتُ فِي الذِّكْرِ طَرِيقَ الْمُحْتَشِدِ⁽⁵⁾، وَأَنْفَذْتُ فِيهَا وَسْعَ الْمُجْتَهِدِ، عَلَى أَنِّي بِاسْتِهْدَائِهَا جَدِيرٌ، وَإِلَى سَمَاعِهَا فَقِيرٌ. وَمَا اقْتِبَاسِي إِلَّا مِنْكَ، وَلَا اقْتِدَائِي إِلَّا بِكَ، جَعَلَكَ اللَّهُ فِي تَلَقِّي هَذَا الرُّزْءِ، وَتَحْمُلِ هَذَا الْعِبَاءِ، قُدْوَةً رُشِدٍ لِلْجَازِعِينَ، وَأُسُوءَةً هُدًى لِلْغَافِلِينَ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْمُعْتَصِمِ أَيَّامَ رِيَاسَتِهِ يَصِفُ الْعَدُوَّ الْعَاثِثَ بِالْأَنْدَلُسِ⁽⁶⁾:

كِتَابِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - وَقَدْ وَرَدَ كِتَابُ الْمَنْصُورِ مَلَاذِي الْمُعْتَمِدِ بِكَ أَيْدُهُ اللَّهُ، وَأَوْدَعَهُ مَا أَوْدَعَ مِنْ حَيَاتٍ، وَلَمْ يَدَعْ مَكَانًا بِمَسْلَاةٍ، فَإِنَّهُ لِلْقُلُوبِ مُؤَذٍ، وَلِلْعُيُونِ مُقْذٍ، وَلِلظُّهُورِ قَاصِمٌ، وَلِلْعُرَى الْعِزْمُ⁽⁷⁾ فَاصِمٌ، فَلْيَنْدُبِ الْإِسْلَامَ نَادِبٌ، وَلْيَبْكِ لَهُ شَاهِدٌ

(1) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(2) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(3) الذخيرة: وتوفيت رزئك.

(4) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. سورة يوسف، الآية: 86.

(5) المحتشد: الذي لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة.

(6) الرسالة في الذخيرة 3/ 1-86. القلائد، ص: 66.

(7) الذخيرة: الحزم.



وَعَاثِبَ، فَقَدْ طَفِئَ مِصْبَاحُهُ، وَوُطِئَ سَاحُهُ، وَهِيضَ عَضُدُهُ، وَغِيضَ ثَمَدُهُ، إِلَى اللَّهِ يُفْزَعُ، وَلَدَيْهِ يُضْرَعُ⁽¹⁾، فِي طَارِقِ الْخَطْبِ وَمُتَابِهِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، نَازِعُ الْكُرُوبِ⁽²⁾، وَنَاصِرُ الْحُرُوبِ، وَعَالِمُ الْغُيُوبِ، لَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَذَلِكَ أَنَّ فِرْدَلَنْدَ⁽³⁾ - وَقَمَهُ اللَّهُ - نَزَلَ عَلَى قَلْعَةِ أَيُّوبَ مُحَاصِرًا لِمَنْ فِيهَا، وَمُغِيرًا عَلَى نَوَاحِيهَا، بِجُمُوعٍ يَضِيقُ عَنْهَا الْقَضَا، وَتَسَاقُطُ عِنْدَ مَلَا حَظَّتْهَا الْأَعْضَا، وَأَنَّهُ قَدْ بَنَى عَلَى قَصْدِ جِهَاتِهَا، وَوَطِئَ جَنْبَاتِهَا، إِلَّا أَنَّ يَدْفَعَ اللَّهُ مِنْ شَرِّهِ، وَيَذَرُّ فِي نَحْرِهِ⁽⁴⁾، وَغَرَسِيَّةً - دَمَرَهُ اللَّهُ - بِسَرِّ قُسْطَةٍ كَذَلِكَ، وَرُذْمِيرُ أَهْلِكَهُ اللَّهُ بِوَشْكَةٍ، وَبِمَا وَالَاهَا يُنْكِحِي، بِمَا يُنْكِحِي، وَالْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ سَوَامٌ تَرْتَعُ، وَأَمْوَالُهُمْ نُهْبٌ تُوزَعُ، وَالْقَتْلُ آخِذٌ مِنْهُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ. فَأُطِلَ الْفِكْرَةَ مِنْ هَذَا الْخَرْمِ الدَّاخِلِ، وَالْبَلَاءِ الشَّامِلِ، وَأَسْبَلِ الْعَبْرَةَ، وَأُطِلِ [الْعَبْرَةَ]⁽⁵⁾ وَاللَّهُ الْمَرْجُو لِتَلَا فِي الْأُمَّةِ، وَكَشَفِ هَذِهِ الْغَمَّةِ، بِمَنْهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ رِجَالِ الْقَلَائِدِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ مُسَلِّيًا عَنْ نَكْبَتِهِ⁽⁶⁾:

الْوَزِيرُ الْفَقِيهُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ، وَكَفَاهُ مَا عَزَّهُ، أَعْلَمُ بِأَحْكَامِ الدِّيَانَةِ مِنْ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهَا طَرْفًا، وَيُنْكَرَ لَهَا صَرْفًا، وَيَطْلُبَ فِي مَشَارِعِهَا مَشْرَبًا زُلَالًا أَوْ صَرْفًا، فَشُهُدَهَا مَشُوبٌ بِعَلَقَمٍ، وَرَوْضُهَا مَكْمَنٌ لِكُلِّ صِلٍّ أَرْقَمٍ، وَمَا فَجَعْتُهُ الْحَوَادِثُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ⁽⁷⁾ - بِنَكْبَةٍ، وَلَا حَطَّتُهُ النَّائِبَاتُ عَنْ رُتْبَةٍ، وَلَا كَانَتْ الْأَيَّامُ قَبْلَ رِفْعَتِهِ بِوَزَارَةٍ أَوْ كَتَبَتْهُ، فَهُوَ الْمَرْءُ يَرْفَعُهُ دِينُهُ وَلُبُّهُ، وَيَنْفَعُهُ لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ، وَيَشْفَعُ لَهُ عِلْمُهُ وَحَسْبُهُ، وَتَسْمُو بِهِ هِمَّتُهُ وَأَدَبُهُ، وَيَعْنُو بَيْنَ يَدَيْهِ سَانِيهِ

(1) الذخيرة: إلى الله نفرع ولديه نضرع.

(2) الذخيرة: فهو كاشف.

(3) القلائد: فرديناند.

(4) القلائد: «إلا أن يدرأ الله في نحره ويحمي من شره».

(5) خرم بالأصل.

(6) الرسالة في القلائد، ص: 187.

(7) القلائد: وما فجعته أعزه الله الحوادث بنكبة.



وَحَاسِدُهُ، وَبُتُّ فِي أَرْضِ الْكَرَمِ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَجْتَنَّهُ حَاصِدُهُ، وَيَفْدِيهِ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يُوَدُّهُ، وَيَنْصُرُهُ اللَّهُ بِإِخْلَاصِهِ حِينَ لَا يَنْصُرُهُ سِوَاكَ (1) وَلَا وَدَّهُ (2):

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَعَتْبَهُ لَكَالذَّهْرِ لَا عَارٍ بِمَا فَعَلَ الذَّهْرُ (3)

وَمَا هُوَ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّهٗ - إِلَّا نَضْلٌ أُعْمِدَ لِيُجَرَّدَ، وَسَهْمٌ سُدَّ طَرِيقُهُ لِيُسَدَّدَ، وَجَوَادٌ اِزْتَبَطَ لِيُحْلَى عِائِنُهُ، وَقَطْرٌ تَأَنَّى سَحَابُهُ وَسِيرٌ سَلَّ عَنْهُ (4)، وَإِنَّ الْمَهَارِقَ لَتَلْبَسَ بَعْدَهُ ثِيَابَ حِدَادٍ، وَإِنَّ أَلْسِنَةَ الْأَقْلَامِ لَتُخَاصِمَ عَنْهُ بِاللِّسَنِ حِدَادٍ، وَسَيَنْجَلِي هَذَا الْقَتَامُ عَنْ سَابِقٍ لَا يُذْرِكُ مَهْلَهُ، وَيَعْتَمِدُهُ الْمَلِكُ الْهُمَامُ بِإِكْرَامٍ لَا يُكَدِّرُ مِنْهَلُهُ، وَيُؤْنِسُ رَنْعَ الْمَلِكِ الَّذِي أَوْحَشَ وَيُؤْهِلُهُ، وَيُرْقِيهِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - إِلَى أَعْلَى الْمَنَاهِلِ وَيُؤْهِلُهُ، وَيُنْشِدُ فِيهِ وَفِي طَالِيهِ:

وَسَعَى إِلَيَّ بِهَجْرِ عَزَّةٍ مَغْشَرٌ جَعَلَ الْإِلَهَ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا (5)

وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - سَبِيرٌ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَيُؤَلِّينِي جَانِبَ الْمَلَامِ، وَيَعُدُّ قَوْلِي مَعَ السَّفَاهَاتِ وَالْأَخْلَامِ، فَقَدْ ذَهَبَ فِي رَفْضِ الدُّنْيَا مَذْهَبًا، وَجَلَّ التَّوْفِيقُ عَنْ عَيْنِيهِ غَيْهَبًا، وَتَرَكْنَا عَيْدَ الشَّهَوَاتِ تُمَسِّكُ بَعْظَامِهَا، وَتَرْتَعُ فِي حُطَامِهَا. وَأَسْأَلُ اللَّهَ عَمَلًا صَالِحًا، وَقَلْبًا مُصَالِحًا، وَيَقِينًا نَافِعًا، وَإِخْلَاصًا شَافِعًا. بِمَنْهٖ وَيُمْنِهِ (6).

(1) سواع: اسم صنم عبد زمن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ففرقه الله أيام الطوفان فاستثاره إبليس لأهل الجاهلية فعبده.

(2) ود: صنم كان لقوم نوح ثم صار لقبيلة كلب بدومة الجندل وفي القرآن: ﴿وَلَا تَذَرْنَّ وُدَّآبٍ﴾.

(3) البيت من الطويل، وهو لشاعر تغلبي سماه صاحب كتاب: «العباب في شرح أبيات الأداب» قال تكلم

في مقام عبد الملك بن مروان بكلام لم يرضه فقال:

أَمِنْ جَذْبِهِ بِالرَّجُلِ مَنِّي تَبَاشَرْتُ عُدَايَ وَلَا عَيْبَ عَلَيَّ وَلَا سُخْرُ

(4) القلائد: وسيسليه.

(5) البيت لكثير عزة وهو برواية مخالفة لما ورد عندنا:

وَمَشَى إِلَيَّ بِعَيْبِ عَزَّةٍ نَسُوَّةٍ جَعَلَ الْإِلَهَ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا

الشعر والشعراء 1/ 422. ديوانه.

(6) القلائد: بمنه إن شاء الله.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ اللُّوشِي إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ تَعْزِيَةً فِي الْأَمِيرِ مَزْدَلِيِّ⁽¹⁾:

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَاصِرِ الدِّينِ، الشَّائِعِ عَذْلَهُ، السَّائِعِ فَضْلَهُ⁽²⁾، الْعَظِيمِ سُلْطَانَهُ، الْعَلِيِّ شَأْنَهُ، فِي سَعْدٍ يَطْرِفُ عَنْهُ أَعْيُنُ النَّوَائِبِ، وَجِدٍّ يَصْرِفُ عَنْهُ⁽³⁾ أَوْجُهُ الْمَصَائِبِ؛ كُلُّ رُزْءٍ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - وَإِنْ عَظُمَ وَجَلَّ، حَتَّى اسْتَوَلَى عَلَى النَّفْسِ⁽⁴⁾ مِنْهُ الْوَجَلُ، إِذَا عَدَا بَابَهُ، وَتَخَطَّى جَنَابَهُ، فَقَدْ أَخْطَأَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - الْمَقْتُلَ، وَصَدَّ عَنْ سَوَاءِ الْغَرَضِ فَعَدَلَ، وَإِذَا كَانَتْ أَقْدَارُ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُطَاوَلُ⁽⁵⁾، وَأَحْكَامُهُ لَا تُزَاوَلُ، فَالْصَّبْرُ لِيَوَاقِعِهَا أَوْلَى، وَالتَّسْلِيمُ أَوْهَبُ لِرِضَى الْمَوْلَى⁽⁶⁾.

وَكَتَبْتُهُ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - وَالنَّفْسُ بِنَارِ زَفَرَاتِهَا مُخْتَرَقَةً، وَالْعَيْنُ بِمَاءِ عِبْرَتِهَا شَرِيقَةً مُغْرُورَةً. لِمَا نَفَذَ بِهِ قَدْرُ اللَّهِ الْمَقْدُورِ، وَقَضَاؤُهُ الْمَسْطُورِ، مِنْ وَفَاةِ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَزْدَلِيِّ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَسَقَى صَرِيحَهُ، فَيَا لَهُ مِنْ رُزْءٍ قَصَمَ الظَّهْرَ، وَوَسَمَ النُّجُومَ الزُّهْرَ، وَأَذَكَى الْأَحْزَانَ، وَأَبْكَى⁽⁷⁾ الْأَجْفَانَ، بِمَكَاتِنِهِ مِنَ الدَّوْلَةِ الْمُئَيَّفَةِ، وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ الْأُسْرَةِ الرَّفِيعَةِ الشَّرِيفَةِ؛ وَعِنْدَ اللَّهِ تَحْتَسِبُهُ ذَخِيرَةٌ عَظْمَى، وَتَسْأَلُهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرُّحْمَى؛ فَإِنَّهُ كَانَ - نَوَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ - مُتَوَفِّرَ الْهِمَّةِ عَلَى الْجِهَادِ، مِنْ أَهْلِ الْجِدِّ فِي ذَلِكَ وَالْاجْتِهَادِ؛ وَحَسْبُهُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ نَحْبَهُ إِلَّا وَهُوَ مُتَجَبِّرٌ فِي عَسْكَرِهِ فَأَذْرَكَهُ الْمَوْتُ مُهَاجِرًا، وَمَعَ اللَّهِ تَاجِرًا.

(1) أبو عبد الله اللوشي مترجم له في القلائد وقد وردت الرسالة فيه كذلك، ص: 254، ومزدلي الذي كتبت هذه التعزية باسمه هو أحد قادة المرابطين جرت بينه وبين السيد القمبيطور مناقشات حربية في مدينة بلنسية. النفع 755 / 2.

(2) القلائد: السابغ فضله.

(3) القلائد: تصرف عنه.

(4) القلائد: النفوس.

(5) القلائد: أقدار الله غالبية لا تصاول.

(6) القلائد: به إضافة عما في أصلنا وهي: «والتزام أوامره أشرف وأعلى، وفي كل حال أجل وأولى».

(7) القلائد: وأقصى المهاد بمكانته.



وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ [تَعَالَى] ⁽¹⁾ قَدْ قَرَنَ لَهُ فَاتِحَةَ السَّعَادَةِ، بِخَاتِمَةِ الشَّهَادَةِ، وَأَمِيرُ
الْمُسْلِمِينَ أَوْ رَى فِي الرِّيَاسَةِ زَنْدًا مِنْ أَنْ تُضَعِّضَهُ الْخُطُوبُ إِذَا هَمَّتْ، وَتُوجِّعُهُ الْحَوَادِثُ
إِذَا اذْلَهَمَّتْ. وَاللَّهُ يُحَسِّنُ عَزَاءَهُ عَلَى فَجْعِهِ، وَلَا يُدْنِي كَارِثًا بَعْدَهُ مِنْ رَبِّهِ ⁽²⁾.

(1) ساقطة من الأصل. والزيادة من القلائد.

(2) في القلائد زيادة: «بمنه عز وجل».



وَمِنْ إِنْشَاءِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْفَهَانِيِّ عَنِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ
يَشْتَمِلُ عَلَى شَرْحِ مَا أَلَمَّ وَخَصَّ بِهِ الرَّزَاءُ وَعَمَّ مِنْ مَوْتِ صَلَاحِ الدِّينِ⁽¹⁾:

صَدَرَتْ هَذِهِ الْمُكَاتَبَةُ مُعَرِّبَةً عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ، وَالْخَطْبِ الْجَسِيمِ وَالرَّزَاءِ الْعَظِيمِ،
وَالْحَادِثِ الْأَلِيمِ، وَالْكَارِثِ الْمُفْعَدِ الْمُقِيمِ، وَالنَّائِبِ الْمُبَاغِتِ، وَالْمُصَابِ السَّاحِتِ،
وَالْفَجِيعَةِ الْفَاجِئَةِ، وَالنَّكْبَةِ النَّاكِئَةِ، وَالطَّارِفَةِ الطَّارِئَةِ، وَالْمِلْمَةِ الْمُؤْلِمَةِ، وَالْبَرِيَّةِ
الْبَارِيَّةِ، وَالْوَاقِعَةِ الرَّائِعَةِ، وَالصَّدْمَةِ الصَّادِعَةِ، وَالْهَذْمَةِ اللَّافِحَةِ، وَالرَّوْعَةَ الْفَادِحَةَ،
وَالْغَمَّةَ النَّبِيَّ غَامَتْ بِهَا الْأَيَّامُ، وَغَمَّ لَهَا الْأَنَامُ، وَاعْتَلَّ بِهَا الْإِسْلَامُ، وَاخْتَلَّ بِهَا النَّظَامُ،
فَقَدْ عَدِمَتْ الْمَطَالِيعُ ضِيَاءَهَا، وَالْمَشَارِعُ صَفَاءَهَا، وَالشُّعُورُ سِدَادَهَا، وَالْأُمُورُ سَدَادَهَا،
وَالْعُيُونُ قُرَّتْهَا، وَالنَّفُوسُ قَرَارَهَا وَالْقُلُوبُ ثَبَاتَهَا، وَالْجُفُونُ غَرَارَهَا، وَالْأَيْدِي أَيْدَهَا،
وَالْوُجُوهُ سُفُورَهَا، وَالصُّدُورُ انْشِرَاحَهَا، وَالْأَسْرَارُ سُورَهَا. فَقَدْ فَقَدَتِ الدُّنْيَا بَهْجَتَهَا
وَصَلَّتِ الْعُلَيَاءُ مُحَجَّتَهَا، وَاهْتَدَى الضَّلَالُ إِلَى الْهُدَى، وَأَقْوَى نَادِي النَّدَى. وَأَقْفَرَتْ
مَعَانِي الْغَنَى، وَاكْفَهَرَتْ مَجَالِي السَّنَى، وَأَمَرَّتْ مَجَانِي الْمُنَى، وَخَفِيَتْ مَنَاهِجُ
الْمَنَاجِحِ وَعُظِّلَتْ مَنَاهِلُ الْمَنَاجِحِ، وَعَمِيَتْ مَذَاهِبُ الْمَوَاهِبِ، وَأَظْلَمَتْ مَطَالِيعُ
الْمَطَالِبِ، وَأَزْتَجَتْ لِأَبْوَابِهَا الْفُتُوحُ، وَدَجَّتْ أَضْوَاءُ الْوُضُوحِ، وَدَرَسَتْ مَعَالِمُ
الْمَعَالِي، وَطُمِسَتْ زَوَاهِرُ اللَّيَالِي، وَاضْطَرَبَتِ الدَّهْمَاءُ، وَاضْطَرَمَّتِ الدَّهْنَاءُ، وَبَطَلَتْ
مَوَاسِمُ الْحَقِّ، وَأَبْهَمَتْ مَظَالِمُ الْخَلْقِ، وَانْقَطَعَتْ مَسَالِكُ الْجِهَادِ، وَتَفَجَّعَتْ مَمَالِكُ
الْبِلَادِ، وَأَخْلَفَتْ عِدَاتُ الْأَعْدَاءِ، وَانْكَسَفَتْ أَنْوَارُ الْأَوْلِيَاءِ وَذَلِكَ بِمَا أَجْرَى اللَّهُ
مِنْ قَضَائِهِ الْمَخْتُومِ، وَأَظْهَرَهُ مِنْ قَدَرِهِ الْمَكْتُومِ، بِمُصَابِ مَوْلَانَا الْمَلِكِ النَّاصِرِ رَوْحِ
اللَّهِ رُوحَهُ، وَوَرَدَ فِي جَنَّانِ رِضْوَانِهِ وَغُفْرَانِ غُفْرَانِهِ ضَرْيَحَهُ، فَقَدْ عَظُمَ الْخَطْبُ وَجَلَّ،
وَحَلَّ عَرَى الْجَلْدِ حِينَ حَلَّ، وَسَلَّمَ غَرْبَ الصَّبْرِ وَفَلَّ، وَأَجْرَى غَرْبَ الدُّمُوعِ، وَأَذْرَكَ

(1) كاتب مشرقى مشهور اشتهر بكتابه: «خريدة القصر وجريدة العصر»، كان كاتباً لصلاح الدين الأيوبي
وله رسائل عديدة مخطوطة. انظر: مقدمة كتاب الخريدة بتحقيق محمد بهجت الأثري. والرسالة في
الفتح القسي، ص: 644.



كَرَبَ الصُّلُوعَ، وَبَتَّ حَبْلَ اللَّاحِجِينَ، وَشَتَّ شَمْلَ الرَّاجِحِينَ. وَأَعْلَمَنَا أَنَّ الدُّنْيَا الدُّنْيَا
جِبَالُهَا رِثَاتٌ، وَحَبَاؤُهَا غَثَاثٌ، وَعُقُودُهَا أَنْكَاثٌ، وَسُهُولُهَا أَوْعَاثٌ، وَقُصُورُهَا
أَجْدَاثٌ، وَسُرُورُهَا غُرُورٌ وَمَوَاهِبُهَا أَحْدَاثٌ، وَسُكُونُهَا قَلَقٌ، وَأَمْنُهَا فَرَقٌ، وَصِحَّتُهَا
سَقَمٌ، وَأَمْلُهَا أَلَمٌ، وَغِبْطَتُهَا نَدَمٌ، وَوُجُودُهَا عَدَمٌ، وَبَقَاؤُهَا فَنَاءٌ، وَنِعْمَتُهَا بَلَاءٌ، وَرَاحَتُهَا
عَنَاءٌ، وَمُلْكُهَا هُلْكٌ، وَسِتْرُهَا هَتَكٌ، وَأَخْذُهَا تَرْكٌ، وَسَلْمُهَا حَرْبٌ وَصَلْحُهَا فَتْكٌ،
وَوَفَاؤُهَا غَدْرٌ، وَوَفَاؤُهَا مَكْرٌ، وَعُرْفُهَا نُكْرٌ، وَوَضْلُهَا هَجْرٌ، وَخَيْرُهَا شَرٌّ وَنَفْعُهَا ضَرٌّ،
وَجَبْرُهَا كَسْرٌ، وَمَتَاعُهَا قَلِيلٌ، وَبَاعُهَا فِي التَّطَاوُلِ طَوِيلٌ، وَمَا لِعِثَارِهَا مَقِيلٌ، وَلَا فِي
ظِلِّهَا مَقِيلٌ، وَلَا أَرْبَ فِيهَا لِأَرْبٍ، وَلَا أَلْبَابَ فِيهَا لِلْيَبِ، وَأَنَّ ظِلَّهَا قَالِصٌ، وَفَضْلُهَا
نَاقِصٌ، وَعُمُرُهَا قَصِيرٌ، وَغِيَّتُهَا فَقِيرٌ، وَرِيَّتُهَا جَوْعٌ، وَزِيَّتُهَا خُدْغٌ، وَحَلِيَّتُهَا عَطَلٌ، وَسَعِيَّتُهَا
زَلَلٌ، وَأَجْدَاؤُهَا أَجْدَابٌ، وَإِعْطَاؤُهَا إِعْطَابٌ، وَإِفْضَاخُهَا إِظْلَامٌ، وَإِرْغَابُهَا إِزْغَامٌ،
وَسَمَاحَتُهَا بُخْلٌ، وَسَجَاحَتُهَا خَتْلٌ، وَعَقْدُهَا مَفْسُوخٌ، وَعَهْدُهَا مَنُسُوخٌ، وَرَبْحُهَا
خَسَارٌ، وَجُرْخُهَا جُبَارٌ، وَيَسَارُهَا إِعْصَارٌ، وَخَضْبُهَا إِمْحَالٌ، وَخَيْرُهَا مُحَالٌ، وَلَمَّتْهَا
شَعَتْ، وَشِيمَتُهَا عَيْثٌ وَعَبَتْ، وَتُرَابُهَا تُرَاثٌ، وَمَا لِمَسْكِنِهَا أَسَاسٌ، وَلَا لِسَاكِنِهَا
أَنَاسٌ، وَلَا كَيْدُهَا فِي كَيْدِهَا بَدَدٌ، وَلَا لِمَكْرِهَا فِي جَدِّ مَكْرِهَا جَدَدٌ، وَالسَّعِيدُ مَنْ اسْتَعَدَّ
فِي مَعَاشِهِ لِلْمَعَادِ، وَاسْتَكْتَرَّ مَدَّةَ مَقَامِهِ فِي الدُّنْيَا لِسَفَرِ الْآخِرَةِ مِنَ الْإِزْوَادِ. وَمَنْ نَظَرَ
بِعَيْنِ الْقَلَى، وَعَرَفَ أَنَّهَا دَارُ الْبَلَاءِ وَالْبَلَى، وَتَقَوَّى فِيهَا بِالتَّقْوَى، وَجَدَّ فِي إِعْرَابٍ عَنْ
جَدْوَاهَا لِلْفَوْزِ يَوْمَ الْعَرَضِ بِالْجَدْوَى.

وَلَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ السَّعِيدُ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - لِحَقِيقَتِهَا عَارِفًا، وَطَرِيقَتِهَا عَازِفًا،
وَلِزُخْرُفِهَا عَائِفًا، وَمِنْ مُلْكِهَا أَنْفَا، وَمِنْ مَالِهَا مُتَعَفِّفًا، وَاشْتَغَلَ عَنِ الدُّنْيَا بِالدِّينِ،
وَخَصَّه اللَّهُ بِتَأْيِيدِهِ فِي عِلْمِ الْيَقِينِ، وَاقْتَدَى بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا زَاغَ بَصَرُهُ وَلَا
طَغَى⁽¹⁾، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى وَأَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى⁽²⁾ فَوَقَفَ حَيَاتُهُ عَلَى إِخْيَاءِ

(1) في سورة النجم الآية: 17. ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

(2) في سورة النازعات، الآيتان: 39-40.



مَعَالِمِ الْهُدَى، وَالْأَعْلَالِ بِشِعَارِ الثَّقَى وَإِعْلَاءِ مَنَارِ الْهُدَى، وَإِشَاعَةِ سُنَنِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَإِفَاضَةِ سَجَالِ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ، حَتَّى كَفَلَ جُودُهُ بِفَيْضِ الْأَرْزَاقِ وَوَفَّى بِحُجَجِ الْأَمَالِ، وَأَخْلَصَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَمَا مَلَكَ مُلْكًا وَلَا تَمَوَّلَ مَالًا إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفَقَهُ وَبَذَلَهُ، وَكَانَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ اللَّهُ لَهُ»⁽¹⁾. فَلَا جَرَمَ أَذَلَّ اللَّهُ لَهُ الْمُلُوكَ الْأَعَزَّةَ، وَوَهَبَ لَهُ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى الدَّوْلَةِ لِيُبَاهِي بِمُلْكِهِ الْعِزَّةَ، وَمَلَكَهُ الْأَقَالِيمَ وَالْأَمْصَارَ، وَأَجْرَى بِأَقْدَارِهِ الْأَقْدَارَ، فَأَزَالَ عَنْ مَشَارِعِ الشَّرِيعَةِ الْأَكْدَارَ، وَعَطَّلَ الْبِدْعَةَ بِمُضَرِّ الْيَمَنِ وَالشَّامِ، وَقَمَعَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ.

وَمَدَّ اللَّهُ فِي عُمُرِهِ حَتَّى بَلَغَ الْمُرَادَ، وَفَتَحَ الْبِلَادَ، وَوَفَّى فِي حَقِّ الْجِهَادِ الْجِدَّ وَالْاجْتِهَادَ، فَبَلَغَ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْمُلُوكُ، وَنَهَجَ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ نَهَجًا أَعْوَزَ مِنْ قَبْلُهُ فِيهِ السُّلُوكُ، وَأَخْرَجَ الْفِرْنَجَ عَنِ السَّاحِلِ وَأَبَادَهَا، وَمَلَكَ عَلَيْهَا دِيَارَهَا وَبِلَادَهَا، وَأَوْهَى عَلَيْهَا مَعَاقِدَ مَعَاقِلِهَا، وَطَالَ بِحَقِّهِ مِنْ بَاطِلِهَا.

وَأَقْصَى عَنِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مُدُنِّيهِ، وَأَزَالَ عَنْهُ أَيْدِي غَارِبِيهِ، وَأَصْرَخَ الصَّخْرَةُ الْمُطَهَّرَةُ وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَرْجَاسِ، وَأَبْعَدَهَا عَنْ أَجْنَاسِ الْأَنْجَاسِ، وَقَهَرَ الْكُفْرَ وَقَتَلَهُ، وَنَصَرَ الْإِيمَانَ وَأَخَذَ لَهُ، وَأَخْبَى لِلْكَرَمِ كُلِّ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ، وَاسْتَمَرَّتْ مَحَاسِنُ أَيَّامِهِ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، وَتَعَدَّلَتْ بِعَدْلِهِ الْجَوَانِحُ، وَتَذَلَّتْ بِبِأْسِهِ الْجَوَامِيعُ، وَدَانَتْ وَدَنَتْ لَهُ الْمَمَالِكُ الْقَاصِيَةُ، وَأَذَعَنْتْ وَعَنْتْ لِحُكْمِهِ الْأَمَانِيُّ الْقَاصِيَةُ، وَمَلَكَتِ الْقُلُوبَ وَالْقُبُولَ مَهَابَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ، وَعَمَّتِ الْخَوَاصَّ وَالْعَوَامَّ عَارِفَتُهُ وَعَاطِفَتُهُ، وَنَفَذَتْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَرَاسِمُهُ، وَقَامَتْ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ مَوَاسِمُهُ، وَوَقَّتْ بِأَمَلِ الدَّانِي وَالْقَاصِيِ وَالسَّمِيعِ وَالْعَاصِيِ مَكَارِمُهُ.

وَأَسْعَدَهُ اللَّهُ وَأَمَهَلَهُ، حَتَّى حَقَّقَ فِي ذَوِيهِ أَمَلَهُ، وَوَلَّى فِي كُلِّ إِقْلِيمٍ مَنْ يَعْمَلُ لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ عَمَلَهُ، ثُمَّ تَوَفَّاهُ حَمِيدَ الْأَثَرِ كَرِيمَ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ، ظَافِرَ الرَّجَاءِ رَاحٍ

(1) هذا الكلام ليس حديثا وقد أورده الغزالي في الإحياء ولا سند له.



الظفر، صالِح العَمَل، نَاجِح الأَمَل، طَاهِر الفِطْرَة، طَاهِر النُّصْرَة، كَاسِيَا مِنَ الفَخْرِ، عَارِيَا مِنَ العَارِ، مُرْتَدِيَا بِثُوبِ الثَّوَابِ، مُرْتَوِيَا مِنْ صَوْبِ الصَّوَابِ، مُبْتَهَجَا بِنَظَرَةِ النِّعَمِ، مُتَأَرِّجَا بِعَرَفِ نَسِيمِ التَّشْنِيمِ.

وَمَا كَانَ أَبْهَجَ الْأَيَّامِ بِأَيَّامِنِهِ، وَالْأَعْمَارِ بِمَزَايِنِهِ، وَالْأَمْصَارِ بِمَحَاسِنِهِ، وَالْإِسْلَامِ بِسُلْطَانِهِ، وَالْآفَاقِ بِسَنَا إِحْسَانِهِ، وَمَا كَانَ أَسْعَدَنَا بِجُدُودِهِ، وَأَجَدَنَا بِسُعُودِهِ، وَأَغْنَانَا بِعَدْلِهِ وَجُودِهِ، فَلَقَدْ فُتِدَ الصَّبَاحُ فَلَا سَنَا، وَدُفِنَ السَّمَاحُ فَلَا جَنِي وَلَا جَنَى، وَعَاصُ الْبَحْرِ فَلَا غَنَى، وَهَوَى الطَّوْدُ فَلَا ثَبَاتَ، وَذَوَى الرُّوْضُ فَلَا نَبَاتَ، وَهَوَى الرُّكْنُ فَلَا سَدَ، وَانْتَهَى الْيُمْنُ فَلَا جَدَدَ، وَغَلَبَ الْكَمَدُ فَلَا جَلَدَ، وَعَزَّ الْعَزَاءُ فَلَا عِزَّ وَلَا قُوَّةَ وَلَا عَضْدَ، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾⁽¹⁾ وَلَا مَرِهَ تَابِعُونَ، وَلِحُكْمِهِ طَائِعُونَ، لَا رَادَّ لِإِرَادَتِهِ، وَلَا صَادَّ لِمَشِيتَتِهِ، وَلَا صَادِفَ لِمُصَادَفَةِ قَضَائِهِ، وَلَا صَارِفَ لِمَصْرِفِ بَلَائِهِ، وَلَقَدْ كَادَتْ الْأَنْوَارُ تَغْرُبُ، وَالْأَنْوَاءُ تَغْرُبُ، وَالْمَنَابِعُ تَغُورُ، وَالصَّنَائِعُ تَبُورُ، وَالْأَحْوَالُ تَحُولُ، وَالْأَهْوَالُ تَهُولُ، وَأَضْوَاءُ الْعَوَارِفِ لَا تُضِيءُ، وَأَفْيَاءُ الْعَوَاطِفِ لَا تَفِيءُ، وَزُهْرُ السَّمَاءِ لَا تُشْرِقُ، وَأَزْهَارُ الْأَرْضِ لَا تُورِقُ، وَمَعَاقِدُ الْإِسْلَامِ تَهِي، وَمِيَامِنُ الْأَيَّامِ تَنْتَهِي، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَدَارَكَ الْأَرْمَاقَ بِالْطَّافِهِ، وَتَلَافَى الْأَمَالَ بِإِسْعَافِهِ، وَجَلَّى وَجْهَ النُّعْمَى مِنْ خِلَالِ الْبُؤْسِ، وَأَهْدَى الْبَشَرَ بَعْدَ الْعُبُوسِ، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عِنْدَ الزَّلْزَالِ عَلَى النُّفُوسِ.

وَأَجْرَى الدَّوْلَةَ عَلَى أَحْسَنِ الْعَوَائِدِ، وَأَرْشَدَ الْمَقَاصِدَ وَأَثْبَتَ الْقَوَاعِدَ، مِنْ اسْتِمْرَارِهَا عَلَى الْإِلْتِمَامِ، وَاسْتِقْرَارِهَا فِي النِّظَامِ، وَاسْتِدْرَارِهَا بِأَفَاوِيقِ الْوِفَاقِ، وَإِذْلَالِ بُدُورِهَا غَبَّ الْمَحَاقِ، وَطُلُوعِ شُمُوسِهَا مِنَ الْآفَاقِ، وَارْتِفَاعِ فُرُوعِهَا فِي سَمَاءِ الشُّمُوءِ، وَامْتِدَادِ أَصُولِهَا فِي مَنَابِتِ النُّمُوءِ، وَانْفِتَاحِ أَحْدَاقِهَا النَّوَاطِرِ عَنْ نُورِ الْأَبْصَارِ، وَانْفِتَاقِ حَدَائِقِهَا النَّوَاصِرِ عَنْ نُورِ الْأَزْهَارِ، حَتَّى اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ الْمُتَفَرِّقَةُ وَاتَّحَدَتِ،

(1) سورة البقرة، الآية: 155.



وَانْتَضَمَتِ الْأَلْفَةُ الْمُتَبَدِّدَةُ وَتَاكَّدَتِ، وَسَكَنَتِ الْقُلُوبُ الرَّاجِفَةُ وَأَنَسَتْ، وَسَكَنَتِ
الْأَلْسِنَةُ الْمُرْجِفَةُ وَخَرِسَتْ، وَأَنَارَتِ الْخَوَاطِرُ الْمُظْلِمَةَ، وَأَفَاقَتِ الظُّنُونُ الرَّاجِمَةُ
وَالْأَفْكَارُ الْمُتَنَفِّسَةُ، وَزَادَ الرَّوْنَقُ، وَزَالَ الرَّنْقُ، وَانْجَلَى الْغَسَقُ، وَتَجَلَّى الْفَلَقُ،
وَاسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ، وَاسْتَنَامَتْ إِلَى حِفْظِهَا الثُّغُورُ.

وَوَصَلَتِ الْكُتُبُ الْعَزِيزَةُ وَالظَّاهِرِيَّةُ مِنْ مِصْرَ وَحَلَبَ، بِكُلِّ مَا أَنْجَحَ الْأَرَبَ،
وَوَصَلَ السَّبَبُ، وَمَرَى دَرَّ النَّصْرِ وَحَلَبَ، وَبِكُلِّ مَا أَظْهَرَ الْقُوَّةَ وَقَوَّى الظَّهْرَ، وَشَدَّ
الْأَزْرَ وَأَمَرَ الْأَمْرَ، وَسَرَّ السَّرَّ، وَنَثَرَ الْحَقَّ وَحَقَّقَ النَّثْرَ، مِنَ الْمُوَافَقَةِ وَالْمُؤَاوَاةِ الْقَاضِيَةِ
مِنَ الْجِدَّةِ الْمُنْجِدَةِ بِالمُؤَاوَاةِ وَالْمُتَابَعَةِ وَالْمُشَايَعَةِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُبْرَمُ، وَكُلِّ حُكْمٍ يُحْكَمُ،
وَكُلِّ عَزْمٍ فِي قَمْعِ الْعَدَا يُصَمَّمُ، وَكُلِّ عَقْدٍ فِي نَصْرِ الْهُدَى يُلْزَمُ وَيَتَمَّمُ.

وَوَصَلَ الْمَوْلَى، الْمَلِكُ الْعَادِلُ فَتَوَلَّى أَمْرَ الْمَمْلُوكِ بِكُلِّ مَا وَافَقَ إِثَارَهُ، وَأَشَاعَ عَلَى
عَادَةِ الْوَالِدِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى شِعَارَهُ، وَرَفَعَ مَنَارَهُ، وَأَخْلَى مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ بَالَهُ وَرَفَّهَ أَسْرَارَهُ،
وَأَرَاحَ أَفْكَارَهُ وَمَا فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا مِنْ خَطْبِ الْجَمْعِيَّةِ وَخَطْبِ فِي الْجَمْعِ، وَأَعْرَضَ
عَنِ الْهَوَى لِلْحَقِّ الْمُتَّبِعِ، فَالْكَلِمَةُ مُتَّحِدَةٌ وَإِنْ كَانَتْ الْأَنْفُسُ مُتَعَدِّدَةً، وَمَا أَخْلَقَتْ هَذِهِ
الدَّوْلَةُ بَلْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى تَجَدُّدِ الْأَيَّامِ الْمُتَجَدِّدَةِ، وَإِنَّمَا أَشْفَقَتْ فِي حَالَةِ الصَّدَمَةِ
الْأُولَى، وَالرَّزِيَّةِ الطُّوْلَى، عَلَى بَيْتِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ مِنْ غَدْرِ الْفِرْنَجِ بِقُضْدِهَا، فَإِنَّ الْغَدْرَ
شِيْمَةٌ لَهُمْ فِي الْأَنْفُسِ؛ فَوَقَى اللَّهُ شَرَّهُمْ، وَدَفَعَ مَكْرَهُمْ، وَأَوْهَنَ أَمْرَهُمْ، وَلَمْ يُزِلْ مِنْ
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَلَمْ يُؤْثِرُوا عَلَى الصُّلْحِ الْحَرْبَ، بَلْ طَلَبُوا بَقَاءَ السَّلَامَةِ بِإِنْقَاءِ السَّلَمِ،
وَخَطَبُوا أَجْرَاءَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِعَقْدِ الْهُدْنَةِ عَلَى الرَّسْمِ، وَبَرَكَاتِ نِيَّةِ الْمَرْحُومِ شَمَلَتْ،
وَوَصَايَاهُ نَفَذَتْ وَكَمُلَتْ.

وَتَوَجَّهَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ إِلَى بِلَادِهِ الْجَدِيرِيَّةِ شَرْقِيَّ الْفُرَاتِ لِإِصْلَاحِ تِلْكَ الْوِلَايَاتِ،
وَإِخْرَاسِ شَقَاشِقِ الصَّادِرِينَ بِالْإِزْجَافِ مِنْ أَهْلِ الشَّمَاتِ، لِيُوْذِنَ بِهَيْمَةِ الْأَسَدِ جَمْعَ النَّقَادِ
بِالشَّاءِ، وَلِيُعِيدَ إِلَى الْأَنْسِ شَارِدَ الْوَلِيِّ الرَّاشِدِ، وَيُرَدَّ بِالْبَاسِ مَكَائِدَ الْحَاسِدِ الْحَاشِدِ.



وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَوْجَدَ الْأَمْنَ وَقَدَّ عَرَتِ الْمَخَافَةَ، وَأَنْزَلَ الرَّأْفَةَ وَقَدَّ فَجَأَتِ
الْمَخَافَةَ^(١) وَأَبْقَى الْإِسْلَامَ بِعِزِّهِ، وَالْكَفْرَ بِذُلِّهِ، وَثَبَّتَ قَوَاعِدَ الْمَلِكِ النَّاصِرِيِّ بِجَمْعِ
شَمْلِ أَهْلِهِ، وَأَخْيَى بِهِمْ سُنَّتِي إِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ، وَشَيْمَتِي أَفْضَلِهِ وَفَضْلِهِ، وَفِي دَوَامِ
إِقْبَالِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ دَوَامِ إِقْبَالِهِمْ، وَنِظَامِ أَسْوَائِهِمْ، وَسُبُوحِ ظِلَالِهِمْ وَبُلُوغِ أَمَلِهِمْ.
وَلَهُ فَضْلٌ^(٢): أَيْضًا فِي ذِكْرِ وَفَاءِ صِلَاحِ الدِّينِ. وَتَوْفِي بُكْرَةِ الْأَرْبَعَاءِ السَّابِعِ
وَالْعِشْرِينَ لِصَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِدِمَشْقَ.

وَتَوْفِي بُكْرَةِ الْأَرْبَعَاءِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ، وَنَقْلَهُ اللَّهُ فِي دَسْتِهِ الْعَالِي إِلَى أَعْلَى عِلِّيْنِ،
وَمَاتَ بِمَوْتِهِ رَجَاءُ الرِّجَالِ، وَأَظْلَمَ بَغْرُوبِ شَمْسِهِ صِدَاءُ الْإِفْضَالِ، وَغَاصَتْ الْأَيْدِي،
وَفَاضَتْ الْأَعَادِي، وَانْقَطَعَتِ الْأَرْزَاقُ، وَادْلَهَمَّتِ الْأَفَاقُ، وَخَابَ الرَّاجُونَ، وَغَابَ
اللَّاحُونَ، وَخَافَ الْأَمْنُ، وَخَابَ الْإِخْنُ، وَقَنَطَ السَّائِلُ، وَشَحَطَ النَّائِلُ، وَطُرِدَتِ
الضُّيُوفُ، وَنَكَرَ الْمَعْرُوفُ، وَدُفِنَ بِالْقَلْعَةِ فِي دَارِهِ، وَفُجِعَ الزَّمَانُ بِأَنْوَارِهِ، وَعَدِمَتِ
الْأَيَّامُ صَبَاحَهَا، وَالْأَمَالُ نَجَاحَهَا، وَدُفِنَ مَعَهُ الْكَرَمُ، وَغُلِبَ بَعْدَ جُودِهِ وَوُجُودِهِ الْعُدْمُ
وَالْعَدَمُ، وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْأَيَّامُ لَا أَفْرُقَ بَيْنَ الدُّجَى بِهَا وَالضُّحَى، وَلَا أَجِدُ قَلْبِي مِنْ سَقَمِ
الْهَمِّ وَسُكْرِهِ صَحَاً، وَحَالَتْ حَالِي، وَزَالَتْ أَمَالِي، وَزَادَ بَلْبَالِي، وَبَطَلَ حَقِّي، وَاتَّسَعَ
خَرْقِي، وَتَنَازَلَ جَاهِي، وَتَنَازَقَ أَشْبَاهِي، وَأَعْصَلَتْ أَدْوَاءُ الدَّوَاهِي، وَبَقِيَتْ الْمَعَارِفُ
مُتَنَكِّرَةً، وَالْمَطَالِغُ مُكْفَهَّرَةً، وَالْعُيُونُ شَاخِصَةً وَالظُّلَالُ خَالِصَةً، وَالْأَيْدِي بَائِسَةً،
وَالْوُجُوهُ عَابِسَةً، وَعَادَتْ أَبْكَارُ خَوَاطِرِي عَانِسَةً، وَنُجُومُ فَوَارِقِي وَشَوَارِدْهَا الْأَنْسَةَ
خَانِسَةً كَانِسَةً، وَبَقِيَ بَابُ كُلِّ مُرْتَجٍ مُرْتَجَاً، وَمَنْهَجُ كُلِّ مَعْرُوفٍ هَمَجَاً، وَضَنُّ الْغَنِيِّ
عَنِّي، وَأَخْلَفَ فِي ظَنِّ الْإِخْلَافِ بِهِ ظَنِّي، حَتَّى تَوَلَّى الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ بِدِمَشْقَ مُقَامَ أَبِيهِ،
وَقَامَ بِالْأَمْرِ بِعِزِّهِ تَائِبُهُ وَحَزَمَ تَائِبُهُ، فَتَعَرَّفَ افْتِقَارُهُ إِلَى مَعْرِفَتِي وَفَقْرِي،
وَرَأَى عَطْلَ الْمُلْكِ وَمَحَلَّهُ مِنْ غَرَارَةِ حَلَبِ دَرِّي، وَنَصَارَةِ حَلِي دُرِّي، فَكَتَبْتُ لَهُ

(١) في الفتح القسي: الآفة.

(٢) وردت الرسالة في «الفتح القسي في الفتح القدسي»، ص: 627-628.



وَحَلَّيْتُ مِنَ الْمُلْكِ عَطْلَهُ، وَوَشَّيْتُ الْكُتُبَ وَوَشَّعْتُهَا، وَجَلَّيْتُ الرُّتَبَ وَوَسَّعْتُهَا، وَهَزَزْتُ الْيَرَاعَةَ، وَأَغَزَزْتُ الْبَرَاعَةَ، وَهَجَزْتُ الْجَمَاعَةَ، وَلَزِمْتُ الْقَنَاعَةَ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ مُعَاوِرٍ:

سَلَامٌ عَلَى الْوَلِيِّ الْحَفِيِّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَجَعَلَ الْمَوْتَ فِي رِقَابِ عِبَادِهِ حَتْمًا، وَالِاسْتِرْضَاءَ لِلْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ... وَلِخَلِيفَتِهِ النَّاصِرِ الْمَنْصُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ... وَالِدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ آدَامَ اللَّهِ نَصْرُهُ. أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْكِتَابَ إِلَيْكُمْ مِنْ حَضْرَةِ الْخِلَافَةِ آدَامَ اللَّهِ بَسْطَةِ أَمْرِهَا وَمَا بَيْنَنَا مِنَ الْمَوَالَاةِ الَّتِي نَتَسَاهَمُ بِهَا فِي الْبَأْسَاءِ، وَنَشْتَرِكُ فِيهَا سُرًّا وَسَاءً، نَقْسِمُ رُوحَنَا الْمُتَّحِدَ فِي جَسَدَيْنِ، وَإِنِّي وَإِيَّاكَ مِثْلَ الْيَدَيْنِ. لَمَّا صَلَكَ سَمْعِي نَبَأَ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِيكَ - وَمَحَلَّ أَبِيكَ كَانَ -، أَلَحَقَهُ اللَّهُ الْغُفْرَانَ، وَبَوَّاهُ الْجَنَّانَ، وَأَرْزَلَهُ الرِّضْوَانَ، فَلَسَدَمًا هَاضَ جَنَاحِي مَوْتُهُ، وَأَفَاتَ عَنِّي حَظَّ الْاِمْتِنَاعِ بِهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - فَوْتُهُ وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يُمْتِعُكَ وَإِيَّايَ مِنْ صَالِحِ دُعَائِهِ، بِدَوَامِهِ بَعْدَهُ وَبَقَائِهِ، وَيَجْعَلَ حُسْنَ الْعَزَاءِ عَنْهُ، مَا نَرْجُو بِالْاِتِّفَاعِ مِنْهُ.

وَلَوْ كَانَ الْجَزْعُ - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - يَرُدُّ فَائِتًا، وَالْأَسَفُ يَنْشُرُ مِنْ جَدَثِهِ مَيِّتًا، لَسَأَلَتِ الْعُيُونُ نَجِيعًا، وَجَرَتِ الْقُلُوبُ مَعَ الدُّمُوعِ دُمُوعًا لَكِنَّ الْمَوْتَ كَمَا قَالَ شَيْخُنَا بَدِيعُ الزَّمَانِ ⁽¹⁾ «وَحَسُنَ حَتَّى لَأَنَّ»، وَكَفَى بِهِ غَايَةَ لِلْإِنْسَانِ، وَبِحَسْبِنَا - وَاللَّهُ الْحَسْبُ - أَنْ نَقُولَ مَا يُرْضِي الرَّحْمَانَ، وَنَتَأَدَّبَ فِي الْاِسْتِرْجَاعِ بِأَدَابِ الصَّابِرِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَا نَغْضُ مِنَ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ، بِالْخُرُوجِ عَنِ الصَّبْرِ الْجَلِيلِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُحْسِنُ عَزَاءَنَا، وَيُضَاعِفُ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا ثَوَابَنَا وَجَزَاءَنَا، بِمَنْنِهِ وَرَحْمَتِهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. وَالسَّلَامُ.

(1) يقصد بديع الزمان الهمداني وقد وردت السجعة المستشهد بها في رسالة كتبها البديع إلى أبي عامر بن عدنان بن عامر يعزيه ببعض أفعاله، انظر رسائله ص: 132.



وَلَهُ تَعْرِيزُهُ بِالرَّئِيسِ أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ عِيسَى بَعْدَ قَصِيدَةٍ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا تُغَالِبُ جُنُودُهُ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾⁽¹⁾
أَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، حَمْدًا أَغْدُو مِنْهُ فِي عَسْكَرٍ لَجِبَ وَصَبَّاحٍ غَيْرِ مُحْتَجِبٍ
وَأُصَلِّيَ وَأُسَلِّمُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ وَعَبْدِهِ صَلَاةً تُسَكِّنُ قَلْبًا يَخْفُقُ وَيَجِبُ كَمَا يَجِبُ،
أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ حُجَّةً وَبُرْهَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَسَمَّاهُ فُرْقَانًا، فَبَلَّغَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَيَّنَّهٗ بَيِّنَاتًا. وَأَنْهَاةً شَدَّةً كَانَ أَوْ لَيَانًا، فَتَلَا عَلَيْنَا فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَقَدْ
نَعَيْتُ نَفْسَهُ وَأَمَّتَهُ إِلَيْهِ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْفَيْتِمَةِ عِنْدَ
رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾⁽²⁾. «فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» وَبَعْدُ:

أَيُّهَا الْمَلَأَ الْمُجْتَمِعُونَ الْمُسْتَمِعُونَ، فَإِنَّ لَكُمْ فِي نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَأَ حَسَنَةٍ لِمَنْ
هَجَرَ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَسَنَّهُ، وَأَسَمَعَ الْقَوْلَ فَاتَّبَعَ أَحْسَنَهُ⁽³⁾. فَكُلُّ مُصَابٍ بَعْدَهُ جَلَلٌ وَإِنْ
عَظُمَ وَجَلَّ، وَأَشْعَرَ النَّفُوسَ الْخِيفَةَ وَالْوَجَلَ.

وَإِنْ كَانَ قَائِدُنَا الْمُفْدَى وَقِدْحُنَا الْمُعْلَى، وَصَارِمُنَا الْمُحَلَّى، وَبَذَرْنَا الْمُنِيرُ كُلَّمَا
تَجَلَّى، قَدْ كُيِّفَ وَخُسِفَ، وَاقْطِطَفَ نُورُهُ وَنَوَّرَهُ وَاخْتُطِفَ وَحُمَّ حَمَامُهُ وَأَزِفَ، وَنَضَبَ
بَحْرُهُ وَنَزَفَ، وَهُدًى طَوْدُهُ وَنُسِفَ، حِينَ بَزَلَ نَابُهُ⁽⁴⁾ وَخَمَدَ مَنَابُهُ، وَتَوَقَّدَ شِهَابُهُ، وَنِيْطَتْ
بِسَرَحِهِ أَثْوَابُهُ وَكَانَ مِنَ الدَّوْلَةِ -خَلَدَهَا اللَّهُ- رَاحَةً كَفَّهَا، وَمَرَمَقَ طَرْفَهَا، وَسَهْمَ كِنَانَتِهَا،
وَعَيْبَةَ⁽⁵⁾ سِرِّهَا وَأَمَانَتِهَا. فَهَلْ صَارَ إِلَّا مَا إِلَيْهِ مَصِيرُكُمْ؟ وَهَلْ رَكِبَ إِلَّا الْمَحَجَّةَ الَّتِي
عَلَيْهَا مَسِيرُكُمْ؟ مَا أَغْنَتْ عَنْهُ خَيْلُهُ وَلَا خَوْلُهُ، وَلَا دَافَعَتْ عَنْهُ بِيضُهُ وَلَا أَسْلُهُ وَلَا

(1) سورة المدثر، الآية: 31.

(2) سورة الزمر، الآيتان: 29 - 30.

(3) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. سورة الزمر، الآية: 17.

(4) بزل ناب البعير: ييزل بولا والجمع البزُل أي التي طلع نابها. قال الشاعر:

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَفِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ

(5) العيبة: وعاء من جلد يكون فيها المتاع. وعيبة الرجل موضع سره.



صَحْبِهِ إِلَّا تَقَوَّاهُ وَعَمَلُهُ، احْتَجِنَ وَطَالَ مَا احْتَجِنَ⁽¹⁾ واختزن وطالما اختزن. فَيَا لَيْتَ
شِعْرِي أَفَرَحَ بِمَا لَقِي أَمْ حَزَنَ؟ بَلَى قَدْ وَجَدَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَمَلُهُ الصَّالِحَ مَذْخُورًا،
فَعَوَّضَ مِنْ قَصْرِهِ قُصُورًا، وَحُوسِبَ - بِكَرَمِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ - حِسَابًا يَسِيرًا، وَانْقَلَبَ إِلَى
أَهْلِهِ مَسْرُورًا⁽²⁾. فَلَوْ غَيْرَ الْمَنِيَّةِ أَلَمْتُهُ أَوْ يَدُ سَوَاهَا رَمَتْهُ أَوْ رَامَتْهُ، لَقَامَتْ لِنَصْرِهِ الْأَسَاوِدُ
وَالْأَسُودُ، وَعُقِدَتْ لِثَأْرِهِ الرَّايَاتُ الشُّودُ وَاضْطَفَّتْ دُونَهُ الْمَوَاكِبُ، وَزَا حَمَتُهُ الْأَقْمَارُ
وَالْكَوَاكِبُ، لَكِنَّهَا الْمَنُونُ، جَامِعُهَا الْوَاوُ وَالْثُونُ وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ كَسَرَ الْأَكَاْسِرَةِ وَأَدْرَى كِبَارَ الْقِيَاصِرَةِ، وَحَدَاهُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا هِيَ
زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُوَ بِالسَّاهِرَةِ وَالْمَلْجَأِ حَيْثُ يُدْخِلُ إِلَى اللَّهِ وَالْمُسْتَقَرِّ وَأَنْدَاكُ يُبْنَى الْإِنْسَانُ بِمَا
قَدَّمَ وَآخَرَ فَفِيمَ تَخُوضُونَ وَلِمَ أَنْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ تَعْجَبُونَ أَوْلَى لَكُمْ ثُمَّ أَوْلَى لَكُمْ لَوْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَوْ تَأْدَبْتُمْ بِأَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى فَقُلْتُمْ مُسْلِمِينَ صَابِرِينَ مُسْتَسْلِمِينَ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاْجِعُونَ﴾⁽³⁾ وَإِنَّا بِكَ يَا فَقِيدِنَا الْأَعَزِّ عَلَيْنَا لَمَحْزُونُونَ ﴿وَإِلَيْكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَإِلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾⁽⁴⁾. لَقَدْ كُنْتَ كَمَالًا وَجَمَالًا،
لَقَدْ كُنْتَ أَفْضَلًا وَاجْمَالًا، لَقَدْ كُنْتَ عِصْمَةً لِلْيَتَامَى وَثِمَالًا، لَقَدْ كُنْتَ مَبْدَأً لِّكُلِّ
فَضِيلَةٍ وَمَالًا. مَنْ يَعْقِدُ بَعْدَكَ الْعِظَائِمَ وَيَحُلُّهَا، مَنْ يُغَمِّدُ الصَّوَارِمَ وَيَسْلُهَا مَنْ يَنْهَضُ
بِأَعْبَاءِ الدَّوْلَةِ فَيَقْلُهَا، مَنْ يَقْدَحُ فَيُورِي، مَنْ يَمْتَحُ فَيُورِي، مَنْ يَجْرَحُ فَيُدْمِي، مَنْ يَنْصَحُ
فَيُبْرِي، مَنْ يُصِيخُ إِلَى الشَّكَاةِ أَذْنًا وَاعِيَةً، مَنْ يَلْحَظُ سَائِمَةَ الرَّعَايَا بَعَيْنِ مُرَاعِيَةٍ، مَنْ
يَرْفَعُ الْمَظَالِمَ، مَنْ يَزْعُ الظَّالِمَ، مَنْ يُوجِدُ فِي الْمَهْمِ، مَنْ يُبَيِّضُ وَجْهَ الْخَطْبِ الْمُدْلِهِمْ،
مَنْ لِأَصْحَابِكَ وَجُنُودِكَ، مَنْ لِرَايَاتِكَ وَبُنُودِكَ، لَا مَنْ وَلَا يَمَنْ، وَلَوْ أَدْرَجْتَ وَالْعُلَيَاءَ
فِي كَفَنٍ:

(1) احتجن الشيء: اختزنه لنفسه واختص به دون غيره.

(2) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾. سورة الانشقاق، الآية: 9.

(3) سورة البقرة، الآية: 155.

(4) سورة البقرة، الآية: 156.



دُفِنَ الْجُودُ وَالْجَنِيْدُ جَمِيْعًا فَعَلَى الْجُودِ وَالْجَنِيْدِ السَّلَامُ⁽¹⁾

فَاصْغُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - إِلَى الذِّكْرِ وَعُوهُ، وَالبُسُو الصَّبْرَ وَادْرِعُوهُ، وَاتْرَكُوا
الْأَسْفَ وَدَعُوهُ، فَالْذُّنْيَا مَحَنٌ وَأَفَاتٌ، وَمَنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ⁽²⁾.
فَاتِبْهُلُوا لَهُ بِالْدُّعَاءِ وَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْخَضْرَاءِ⁽³⁾. اللَّهُمَّ تَابِعْ بِالسَّقِيَا ضَرِيحَهُ،
وَطَيِّبْ رُوحَهُ، وَاجْعَلْ نَفْسَهُ بِرِضَاكَ طَيِّبَةً مُسْتَرِيحَةً، وَارْحَمْهُ وَسَلِّفْهُ، وَمَنْ خَلَفَهُ،
وَاحْفَظْ بِالرَّعَايَةِ مَنْ تَخَلَّفَهُ، مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ صَوْنَ مَنْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ
خِذْرُهُ⁽⁴⁾ مِنَ الْقَوَارِيرِ⁽⁵⁾. اللَّهُمَّ وَانْقُلْ أَبْنَاءَهُ مِنَ الْمَهْدِ، إِلَى صَهْوَةِ الْفَرَسِ النَّهْدِ، وَمِنْ
صُدُورِ الدَّيَّاتِ، إِلَى سُرُوجِ الْمُقَرَّبَاتِ، تَحْتَ ظِلَالِ الرَّيَّاتِ. اللَّهُمَّ وَأَنْسَ وَخَشَةَ عَمِّهِ
الْفَاضِلِ الدَّيَّانِ أَبِي عُثْمَانَ وَابْنِ عَمِّهِ الْأَوَّاهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ وَأَخِيهِ شَفِيقِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ
اللهِ وَأُمْتِعْنَا بِابْنِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الَّذِي خَلَقْنَا بَعْدَهُ، وَسُدَّ بِهِ اللَّهُمَّ مَسَدَّهُ، وَلَا تُوجِدْنَا بِهِ
فَقْدَهُ. وَيَا وَفَدَ الْعَرَاءِ نِدَاءَ يَخْصُ الرِّئِيسِينَ الْهُمَامَ الْأَجَلَ سَمَى الْفَقِيدِ، وَأَبَا عَبْدِ اللهِ،
سَلِيلَ الشَّهِيدِ، وَيَعْمَ الْقَوَادِ الْجَلَّةَ، النُّجُومَ بِلِ الْأَهْلَةِ، الْأَخَصَّ فَلَاخَصَّ وَلَاءَ، وَيُوقِدُ
لَدَيْهِمْ مِنَ الثَّنَاءِ ثَنَاءً، أَمْضِيْتُمْ إِلَيْهِ الرِّكَابَ، وَطَوَيْتُمْ إِلَيْهِ الْبُعْدَ كَمَا طَوَى السَّجْلُ
الْكِتَابَ⁽⁶⁾، وَمَلَأْتُمْ بِخَيْلِكُمْ وَرَجْلِكُمْ الرَّحَابَ، وَبَكَيْتُمْ لَدَيْهِ حَتَّى اسْتَبَكَيْتُمْ السَّحَابَ.
وَقَطَعْتُمْ الْمَفَاوِزَ إِلَى ضَرِيحِهِ شَدًّا وَوَثْبًا، وَنَزَلْتُمْ عَنِ الْأَوْكَارِ كَرَاهَةً أَنْ تِلْمُوا بِهِ رَكْبًا.
لَقَدْ وَفَيْتُمْ حَقَّ التَّعْزِيَةِ، وَأَخَذْتُمْ بِالْحِطِّ الْأَوْفَرِ مِنَ الرِّزْيَةِ، فَوَصَلْتُمْ رَحِمًا، وَرَعَيْتُمْ
ذِمَمًا، فَأَوْبُوا بِشُكْرِ يَصُوبٍ عَلَيْكُمْ دِيمًا، وَحَمْدُ يَتْلَقَاكُمْ أُمَمًا، وَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ

(1) البيت من الخفيف، ولعله يشير بالجنيد إلى المتصوف العربي المشهور.

(2) مقتبس من خطبة مشهورة لقس بن ساعدة الإيادي. البيان والتبيين 1/ 309.

(3) الخضراء: يقصد بها السماء.

(4) الخدر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت ثم صار يطلق على المنزل نفسه.

(5) القوارير: يكنى بها عن النساء وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لأنجشة وهو يحدو الجمال بالنساء: «رفقا بالقوارير».

(6) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾. سورة الأنبياء، الآية:



وَفَضَّلَ رَاشِدِينَ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ⁽¹⁾ وَصَلَّوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ شَيْخِ الْكُتَّابِ وَقُظِبِ الْأَدَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَيَّاشٍ أَدَامَ اللَّهُ عِلَّاهُ:

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدَهُمُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدَهُمْ بِمَعُونَتِهِ إِلَى جَمَاعَةِ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ بِإِسْبِيلِيَّةٍ وَالْكَافَّةِ مِنْ أَهْلِهَا وَقَفَّهْمُ اللَّهُ وَأَكْرَمَهُمْ بِتَفْوَاهِ سَلَامٍ إِلَى آخِرِ الْوَصِيَّةِ الْمَعْهُودَةِ وَأَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ مَصَالِحَ بَلَدِكُمْ عِنْدَنَا مُقَدَّمَةٌ عَلَى كُلِّ مَا نَأَى مِنَ الْمَصَالِحِ وَدَنَا. وَأَنْ مَكَانَ إِسْبِيلِيَّةٍ مِنَّا مَكَانٌ لَا يَغِيبُ وَإِنْ بَعُدَتْ الشُّقَّةُ عَنَّا. إِذَا رُزِقَتْ الْوَسَائِلُ كَانَتْ وَسَائِلُهَا أَرْجَحَ وَإِذَا عُرِضَتْ الْأُمُورُ الْجَلَائِلُ كَانَتْ أُمُورُهَا أَسْمَحَ وَأَنْجَحَ وَإِذَا عُرِضَتْ الْمُهْمَاتُ كَانَتْ الْمُهْمُ الَّذِي يُقَدَّمُ، وَالضَّرُورِيُّ الَّذِي يُعْتَنَى بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَيُتَمَّمُ، عَلَى ذَلِكَ دَرَجَةُ إِسْبِيلِيَّةٍ ... وَلَهَا مِنَّا الْمَزِيدُ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ، وَالنَّصِيبُ الْأَوْفَرُ مِنَ الْحُبِّ وَالشَّعَاءِ، وَالْحِظُّ الْأَكْبَرُ مِنْ مُرَاعَاةِ الْمَرْضَاةِ فِي كُلِّ الْآثَاءِ.

وَقَدْ بَلَّغْنَا مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْأَثِيرِ لَدَيْنَا أَبِي إِسْحَاقَ ابْنِ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَكَرَّمَتْ مُنْقَلَبُهُ وَمَأْوَاهُ، فَلَقَدْ كَانَ الْأَمِينُ عَلَى الْغَيْبِ⁽²⁾، الْبَعِيدِ، وَرَعَهُ وَالْمَنْزَعُ الَّذِي كَانَ يَنْزَعُهُ مِنَ الرَّيْبِ، وَكَانَ لِأَهْلِ إِسْبِيلِيَّةٍ إِلَيْهِ الْمَتَابُ الَّذِي رَبَّتُهُ السُّنُونُ، وَأَنْسَ بِهِ الْأَبَاءَ وَالْبَنُونَ. فَإِنَّا اللَّهُ عَلَى ذَهَابِهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ⁽³⁾ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ تُعَزَّوْا بِهِ عَلَى الْبَعَادِ، وَتُؤْتَسُوا بَعْدَهُ لَمَا كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مِنَ الْوَدَادِ، وَأَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْ نَظَرِنَا مَا تَسْتَقْبِلُونَ بِهِ الزَّمَانَ جَدِيدًا، وَمِنْ تَخِيرِنَا مَا يَسُرُّكُمْ شَيْخًا وَكَهْلًا يَافِعًا وَوَلِيدًا. وَقَدْ عَيْنًا لَكُمْ مَنْ تَعْرِفُونَ إِيَالَهُ الْحَمِيدَةَ، وَطَرِيقَتَهُ الْمَرْضِيَّةَ السَّدِيدَةَ، الشَّيْخَ الْأَجَلِّ الْأَعَزَّ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة يونس، الآية: 10.

(2) خرم بالأصل.

(3) سورة البقرة، الآية: 155.



الْأَسْنَى الْأَثِيرَ الْأَفْضَلَ أَبَا إِسْحَاقَ بْنَ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا
الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. جَعَلَ اللَّهُ مَقْدَمَهُ عَلَيْكُمْ سَعِيداً،
وَعَرَفَكُمْ بِهِ نَمَوْاً عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا عَهِدْتُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَزِيداً. فَارْتَقِبُوا قُدُومَهُ عَلَيْكُمْ
فَلَنْ يَكُونَ بِحَوْلِ اللَّهِ بَعِيداً وَفِي أَثْنَاءِ هَذَا وَصَلَ اللَّهُ كَرَامَتَكُمْ فَلْتَحْسُنْ آثَارَكُمْ وَلْتَطِبْ
فِي الْمَسَامِعِ أَخْبَارَكُمْ وَلْيَتَسَاوْ فِي الْعَافِيَةِ لَيْلُكُمْ وَنَهَارُكُمْ. وَلْتَمَشُوا الْأُمُورَ خَيْرَ
تَمْشِيَةٍ، وَلْتَوْفُوا أَعْمَالَ الْبِرِّ أَفْضَلَ تَوْفِيَةٍ، وَلْتَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يَسْتَطِلَّ قَوِيٌّ
عَلَى ضَعِيفٍ وَلَا شَرِيفٌ عَلَى مُشْرُوفٍ. وَاسْتَعِدُّوا لِلِقَاءِ مِمَّنْ تَنْتَظِرُونَ، وَأَنْتُمْ مِنْ كُلِّ
مَا يَنْقُذُهُ النَّاقِذُ وَيَرْتَابُ بِهِ الْغَائِبُ وَالشَّاهِدُ مُتَطَهِّرُونَ. وَاللَّهُ يُوزِرُكُمْ شُكْرَ نِعْمَاهُ
وَيُعِينُكُمْ عَلَى مَا يُزِلُّ مِنْ رُحْمَاهُ، بِمَنْهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ. كُتِبَ فِي الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ
شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ سَنَةِ ثِنْتِي عَشْرَةِ وَسِتْمِائَةِ (612هـ).

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْقَاضِي الْأَجَلِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَادٍ⁽¹⁾ أَعَزَّهُ اللَّهُ إِلَى الْوَزِيرِ مُعَلِّماً بِوَفَاةِ
الشَّيْخِ الْأَجَلِّ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الشَّيْخِ الْمُعَظَّمِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كَتَبَ وَصَلَ اللَّهُ اِعْتِلَاءَكُمْ وَارْتِقَاءَكُمْ، وَمَدَّ عُمُرَكُمْ وَبَقَاءَكُمْ، وَأَدَامَ حِفْظَكُمْ بِمَا حَفِظَ بِهِ
الذِّكْرَ وَوَفَاءَكُمْ مِنْ بَجَايَةِ حَرَسَهَا اللَّهُ عَنْ إِعْظَامِ قَدْرِكُمْ الْأَعْظَمِ، وَالْإِزَامِ حَقِّكُمْ الْأَوْجِبِ
الْأَلْزَمِ، وَالْجَزْيِ مِنْ تَكْبِيرِكُمْ وَتَوْقِيرِكُمْ عَلَى الْمَنْهَجِ الْأَوْضَحِ الْأَقْوَمِ. وَلَيْسَ إِلَّا مَا اخْتَارَ
اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَاءِ أَمْرِهِ الْعَظِيمِ وَنَقَلَ مِنَ الْمُسْتَنْفَذِ مِنْهُمْ عُمُرَهُ، وَاسْتَوْفَى مِنَ الدُّنْيَا رِزْقَهُ
وَأَثَرَهُ إِلَى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالرَّغْبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَتَعَمَّدَ بِالرَّحْمَةِ سَلَفَهُمْ وَيَتَعَمَّدَ بِالْبَرَكَةِ
الْإِمَامِيَّةِ الْخِلَافِيَّةِ خَلْفَهُمْ بِمَنْهِ. وَإِنْ مُعَظَّمَكُمْ، يُنْهِي إِلَيْكُمْ أَنَّ الشَّيْخَ الْأَجَلِّ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ
الشَّيْخِ الْمُوقَّرِ أَبِي مُحَمَّدٍ، تُؤَفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَفَّرَ لَهُ، وَكَرَّمَ مَثْوَاهُ وَمَنْزِلَهُ، وَعَوَّضَهُ دَاراً خَيْراً

(1) هو محمد بن علي بن حماد بن عيسى أبو عبد الله الصنهاجي المعروف بابن حماد. ترجمته في الذيل
والتكملة، قسم الغرباء 1/ 323، التكملة 1/ 626، عنوان الدراية، ص: 128 - 130. مفخر البربر
«مخطوط» ورقة 51-65، وفيات ابن قنفذ، ص: 70، الوافي بالوفيات 4/ 157، الأعلام 7/ 169،
معجم المؤلفين 1/ 4، فهرس الفهارس 2/ 114، دليل مؤرخ المغرب، ص: 292 - 386.



مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْزَلَهُ. «فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» تَسْلِيمًا لِلْقَدَرِ، وَرِضَى بِالْحَتْمِ الْمَقْضِيِّ عَلَى الْبَشَرِ. فَلَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْجَهَةِ بَقِيَّةً صَالِحَةً يُتَأَنَسُّ بِهِ لِلتَّوْحِيدِ وَأَهْلِهِ، وَيُوجَدُ فِيهِ الَّذِي كَانَ يُوجَدُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ كُلِّهِ، وَيُتَلَقَّى عَنْهُ عُلُومٌ مِنْ سَلَفَ لَهُ، وَمَعَارِفٌ مِنْ انْقَرَضَ مِنَ الْكِبَرَاءِ الْجَلَّةِ قَبْلَهُ. فَعَظَّمَ اللَّهُ لِلْجَمِيعِ فِيهِ الْأَجْرَ، وَأَجْزَلَ لِلْكُلِّ بِمُصَابِهِ الْمَثُوبَةِ وَالذُّخْرِ. وَمَنْ تَزَوَّدَ بِرِضَى الْإِمَامِ وَمَاتَ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ عَاشَ عُمُرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ فَازَ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ.

رِسَالَةٌ لِأَبِي بَجْرِ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسَ:

﴿أَرْكَضُ بِرِجْلَيْكَ هَذَا مُغْتَسِلًا بَارِدًا وَشَرَابًا﴾⁽¹⁾، وَإِذَا تَرَنَّمَ الْأَوْرُقُ كَفَّ عَنْ نَعِيهِ الْعُرَابُ، وَيَا لَيْتَ شِعْرِي إِلَى مَا تَحْتَمِلُ لِلْجَهْلِ الْأَلَامِ وَعَلَى مَا تَحُلُّ الْوِهَادَ وَتَتْرُكُ الْأَعْلَامَ، وَحَتَّى مَا تَخْلَعُ الْفَلَاقَ وَتَلْبَسُ الْأَعْتَامَ وَفِي ذَلِكَ أُنَشِدُكَ فَأُرْسِدُكَ:

أَبَا عَمْرٍو وَبَعْدَ الْهَزْلِ جَدُّ	كَمَا ظَفِرَتْ يَدَاكَ بَعْضُ هِنْدٍ
تَقَبَّلْهُ نَاصِيحَةً ذِي وَدَادٍ	تُرِيكَ الصَّدْقَ فِي مِرَاةٍ رُشِدٍ
وَمَا هِيَ غَيْرُ تَنْبِيهِ وَذِكْرِي	تُطِيرُ شَرَارَةً عَنْ زَنْدٍ جَدِّ
نَصَحْتُ الْمَجْدَ فِيهَا قَدْرٌ وَسُعْيِي	وَأَدْبَيْتُ الَّذِي مِثْلِي يُودِي
فَإِنْ قُبِلَتْ فَذَلِكَ كَانَ قَصْدِي	وَإِنْ رُدَّتْ فَقَدْ بَلَغْتُ جَهْدِي ⁽²⁾

وَرُبَّمَا تُفَقِّدُ عَلَيْنَا هَذَا التَّرَدُّدَ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالرَّدِّ، وَأُنْكَرُ إِيرَادَهُ إِنْكَارَ الْعِدَارِ عَلَى الْخَدِّ، وَقِيلَ لَايَةٌ عَلَيْهِ تَبَوُّاً لِلظَّنِّ ظِلًّا أَوْ فَيْئًا ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾⁽³⁾ إِنْ كَانَ فَسَحَ اللَّهُ لِلْوَزِيرِ وَعَمَرَ وَعَمَرَ مِنْ رُبْعِ جَدِّهِ مَا اعْتَمَرَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعُدْرًا إِلَيْهِ مِنْ خَوَاطِرِ أَخٍ إِلَى أَغْرَاضِهِ تَتَطَّلَعُ، وَشَفِيقِ بِسُوءِ الظَّنِّ يُوَلِّعُ⁽⁴⁾، وَكَأَنِّي بِكَ -أَعَزَّكَ اللَّهُ- قَدْ

(1) سورة ص، الآية: 41.

(2) الأبيات من الوافر، والرسالة لصفوان بن إدريس وهي موجهة إلى ابن حسون.

(3) سورة النجم، الآية: 28.

(4) هذا من المثل: «إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ الظَّنِّ يُوَلِّعُ».



وَصَلَّكَ هَذَا الْكِتَابَ، فَاسْتَبَصَرَ مِنْ عَزَمِكَ مُرْتَابَ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾⁽¹⁾ فَحِينَ ذَلِكَ تَلَقَى وَصِيَّتِي بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ، وَتَقُولُ لِنَفْسِكَ النَّفِيسَةِ: هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ⁽²⁾ سَاعَةً ثُمَّ رَكَنتَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى خِلِّ صَفِيٍّ وَأَقْبَلَ كِلَاكُمَا عَلَى صَاحِبِهِ إِقْبَالَ حَفِيٍّ وَانْتَقَلْتَ بِئُمْنٍ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْحَوْرِ إِلَى الْكُورِ⁽³⁾، وَمِنْ الْهَضِيمَةِ إِلَى الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ الْوَجْدِ، إِلَى طَلَبِ الْمَجْدِ، وَنَسَخْتَ بِمُحْكَمِ الثَّقَةِ آيَةَ الْخَطَرِ، وَأَطْفَأْتَ شُعْلَةَ الْإِيْمَاضِ وَغَيَّضْتَ مُجَاجَةَ الْقَطْرِ، وَرَبَّمَا نُسِيقَ التَّغْرِيبِ فِي هَذِهِ الْكِنَايَةِ نَسَقَ الْحُرُوفِ فِي السَّطْرِ، فَقِيلَ مَا هَذَا الْإِغْمَاضُ، وَلِمَ سِيقَ الْقَطْرُ وَالْإِيْمَاضُ. وَسَيَطُولُ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْفَضْلِ الْإِخْلَالُ وَالْإِحْمَاضُ، إِلَى أَنْ يَقَعَ قَنِصُهُ فِي حِبَالَةِ التَّحِيلِ، وَيَتَجَلَّى وَجْهُ الْقَصْدِ فِيهِ لِنَظَرِ التَّخِيلِ، فَيُقَالُ: الْإِيْمَاضُ تَوْقُدُ قَلْبَ يَجِبُ⁽⁴⁾، وَالْقَطْرُ دَمْعٌ عَيْنٍ تَهْمِي عَلَى إِلْفِهَا كَمَا يَجِبُ⁽⁵⁾. وَهَذَا تَأْوِيلُ جَلُونَا فِيهِ عَنْ صَاحِبِنَا الْوَزِيرِ بِمَا ظَنَّ أَنَّهُ يَحْتَجِبُ، وَعَسَى ذَلِكَ سَبَبٌ لِأَنْ يُقْبَلَ عُذْرُهُ فِي كَسَلِهِ عَنِ التَّعَلُّمِ وَوَنَاهُ، وَمُسْعَبٌ يُودِي مِنْ أَنَّ الْحُبَّ جَرَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَجَنَاهُ، فَإِنَّ الْكَلْفَ بِالْقَدِّ الْخَاطِرِ يُمِيتُ حَيَاةَ الْخَاصِرِ، وَالِاسْتِنَانُ فِي مِيدَانِ عُرْوَةٍ، يَفْصِمُ لِلذَّكَاءِ كُلِّ عُرْوَةٍ، وَالتَّمَذُّبُ بِرَأْيٍ جَمِيلٍ، يَقْطَعُ بِالتَّأْمِيلِ، وَإِنَّ فِي سِحْرِ الْجُفُونِ السُّودِ، لَمَصَارِعَ لَغْلَبِ الْأُسُودِ، وَإِنَّمَا أَعْتَدَرُ لِلْوَزِيرِ الْأَجَلَ مِمَّا عَثَرَ بِهِ الْقَلَمُ فِي هَذَا التَّزْوِيرِ الْمُرْتَجَلِ، حَتَّى حَصَلْنَا مَعَ أَخِينَا الْأَكْرَمِ فِي أُنْشُوطَةِ الْخَجَلِ، فَمِنْ حَقِّهِ إِذَا وَصَلَهُ هَذَا الْمَكْتُوبُ، الْمَعْتُوبُ، وَالْحُرُوفُ، الَّتِي وَجْهُ الْقَبُولِ عَنْهَا مَضْرُوفٌ، أَنْ يُمَزَّقَ إِهَابُهَا، وَيُطْفِئَ بِمَاءٍ اغْتِرَاضِهِ الْتِهَابُهَا، وَمَا هُوَ إِلَّا كِتَابٌ، تَعُودُ كَافُهُ عَيْنًا فَيُزُوبُ وَهُوَ عِتَابٌ وَيَا شَوْقَاهُ إِلَى أَنْ

(1) سورة الرعد، الآية: 39.

(2) مقتبس من قول الراجز: «هذا أوان الشد فاشتدي زيم». اللسان: «زيم» وشرح أدب الكاتب للجوالقي، ص: 404.

(3) مقتبس من الحديث الشريف: «أعوذ بالله من الحور بعد الكور».

(4) وجوب القلب: حرقته وتوقده.

(5) كما يجب: أي كما هو مفروض وواجب.



تَلَحُّقَهُ هَمْزَةٌ فَيُؤُوبُ وَهُوَ إِعْتَابٌ. وَلَكِنْ عَذَرَ الْوَزِيرِ بَادٍ إِنْ هُوَ غَضِبَ وَهَرَّ، وَنَثَرَ جَعْبَةً التَّنْمُرَ وَازْمَهَرَ، وَقَالَ: يَا عَجَبًا لِهَذَا الْمُكَاتِبِ الْمُعَاتِبِ، وَالْمُخَاطِبِ، الْحَاطِبِ، وَالنَّصِيحِ، الْفَصِيحِ، أَزُورًا وَمَيْنًا، مَنْ جَرَّأُهُ عَلَيْنَا، وَمَالَ إِلَى تَحْقِيقِ مِنَ الْحَرَجِ وَمَضْمُونٍ، وَتَلَا لِهَذِهِ الرُّقْعَةَ ﴿إِخْسَتُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾⁽¹⁾. وَتَعَجَّبَ مِنْ أَغْرَاضِ النَّاسِ وَأَسْلُبِهِمْ ﴿يَقُولُونَ يَا أَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾⁽²⁾. كَتَارَكَةٍ بَيَضَهَا فِي الْعَرَاءِ وَمُلْبَسَةٍ بَيَضَ أُخْرَى جَنَاحًا⁽³⁾ فَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ هَذِهِ الرِّسَالَةُ.

وَكَتَبَ أَيْضًا إِلَيْهِ وَقَدْ أَبْطَأَ جَوَابَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِمَرَضِ أَصَابَةٍ:

بِنَا لَا بِكَ الْوَصَبُ الْمُؤَلِّمُ وَنَفْسُكَ مِنْ صَرْفِهِ تَسْلَمُ⁽⁴⁾ وَالْوَصَبُ بِنَا فِي جَانِبِكَ مِنْ جِهَتَيْنِ، وَلَا نَذْرِي مَا أَلَمَ الْقَضِيَّتَيْنِ أَضْعَفُ وَذَكَ أَمْ ضَعْفُ جِسْمِكَ، وَتَغْيِيرُ عَهْدِكَ، أَمْ تَغْيِيرُ وَسْمِكَ، وَلَكِنْ أَقُولُ أَبُو يُوسُفَ أَبُو حَنِيفَةَ⁽⁵⁾، وَإِنْ قَصَدْتُ بِذَلِكَ عَتَبَ الْوَزِيرِ وَتَعْنِيفَهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ مَتَابٌ: «فَيَقَى الْوُدَّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ»⁽⁶⁾، وَشَرَحُ هَذَا أَنِّي لَمْ يَصِلْنِي مِنْهُ كِتَابٌ، وَلَا أَذْرِي أَعْدَمَ الْقِرْطَاسَ وَالْمِدَادَ، أَمْ عَدِمَ الْجِدَّ وَالْوِدَادَ، اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبْتُ خَيْرَ⁽⁷⁾ أَذْمَنْتُ الرَّمْيَ حَتَّى أَصَبْتُ

(1) سورة المؤمنون، الآية: 109.

(2) سورة آل عمران، الآية: 167.

(3) البيت لابن هرمة وهو مما يتمثل به (المتقارب).

(4) البيت من المتقارب وهو مطلع قصيدة لابن دريد، الأمالي 1/ 33.

(5) أبو يوسف: هو القاضي المعروف صاحب أبي حنيفة، والمعنى أنهما شيء واحد.

(6) عجز البيت وصدرة:

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وَدٌّ

(7) قال الرسول هذه الكلمة بعد أن نزل خير في السنة السابعة من الهجرة وذلك بعد أن أشرف عليها وقال لأصحابه قفوا ثم ردد قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الأرضين وما أظللن». واستقبله أهله لمحاربه فلما رآوه أدبروا وفروا فقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أكبر خربت خير إنا إذن نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين». السيرة النبوية 2/ 329، الروض الأنف، ص: 228.



الغرة، وغصت في بحر الطين حتى استخرجت الأجرة، ولولا تغير الوزير لقلت الدرّة، ولكنه ينظر في مقاصد هذا الكتاب وأغراضه، فيزدري بجواهر ودي وأغراضه، فهل عنده المزاح من خلق الأشراف، وأن تودده هنا من خلق الإسراف، رويدك فإنما هي دُعابة أخ مازح، وتغريضة نازح الجسم وهو غير نازح، وأما ودنا فتأبث الاعتراء، للصدق والانتماء، ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾⁽¹⁾.

والنفس - أعزك الله - بالملك متألّمة، وبالذعاء في عودة صحتك متكلمة، ولا عرو أن تلم بك شكاة، أو تغمرك لك بمصباح الحمى مشكاة، إنما أنت كالرؤض آونة يؤنعه الزمان وآونة يذويه، وكالبذر طوراً ينشُرهُ السراو وطوراً يطويه:

وفي السماء نجوم ما لها عددٌ وليس يكسف إلا الشمس والقمر⁽²⁾
فبشرى لك ولنا بصحتك المتمكنة، وعافيتك المتهية الممكنة، فإن الشدة يكون الفرج، ولا عتب - إن شاء الله - ولا حرج، فقد يستوي الغصن بعد الانقصاص، ويُنير البذر بعد المحاق والانكساف. والله يضيفي عليك العافية سابعة المجاسد، ويجعل بحياتك موت كل حاسد، بمنه وكرمه. والسلام.

وكتب أيضاً:

إخاء ابن حسون وعهد ابن نادر ⁽³⁾	خليكي عوجاً بالرسوم الدوائر
يُجيشها دهما كمين المحابر	وشناً على ابن القاسم العتب غارة
فلهفي على تلك الجفون السواهر	بأية ما أغفى ودادي لديهم
فيا خسراً ما آبت إليه متاجري	هم عاملون بالعتاب عن الرضا

(1) سورة إبراهيم، الآية: 26.

(2) البيت للشاعر: شمس المعالي أبي الحسن قابوس بن وشمكير أمير جرجان. انظر البديع لابن منقذ، ص: 185، يتيمة الدهر 4/61، جوهر الكنز، ص: 182، المرقصات والمطربات، ص: 60، الغيث المسجم 2/160، وفيات الأعيان 4/180. وهو من البسيط.

(3) انظر في ترجمته وما ورد من أخباره في كتاب «أديب الأندلس» أبو بحر التجيبي، ص: 48.



وَعِنْدِي لَهُمْ عَثْبٌ كَانَ حُرُوفُهُ تَطِيرُ سِهَامًا عَنْ قَصِي خَوَاطِرِي
 الإِخْوَانُ الثَّلَاثَةُ أَدَامَ اللَّهُ مُدَّتَهُمْ رَافِلِينَ فِي بُرُودِ قَلَّةِ الْوَفَاءِ، وَاضْعِينَ زِمَامَ جُفُونِ
 الْجَدِّ فِي رَاحَةِ الْإِغْفَاءِ، وَارْدِينَ فِي تَكْدِيرِ الْوِدَادِ لَا الصَّفَاءِ، مُخْتَفِينَ بِنُفُوسِهِمْ عَنْ
 سِوَاهَا أَكْرَمَ الْاِكْتِفَاءِ، وَلَمْ أَمُدَّ الْخَطُوفَ فِي مَجَالِ هَذَا الدُّعَاءِ، وَلَا ضَمِنْتُ ذُخْرَهُ فِي
 هَذَا الْوِعَاءِ، إِلَّا لِأَنِّي أَسْتَلِذُّ أُنْعَالَكُمْ وَإِنْ هَدَّتْ جَانِبِي، وَأَتَلَقَّاكُمْ بِالْقَبُولِ وَإِنْ كَانَ
 كُلُّكُمْ مُجَانِبِي:

وَأَهْتَنِّي فَأَهَنْتُ نَفْسِي صَاعِرًا مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ⁽¹⁾
 السَّلَامُ عَلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ الْمُزَوَّرِ وَالْمَبْسِمِ غَيْرِ الْمُفْتَرِّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَمَّا بَعْدُ،
 رَاجَعَ اللَّهُ يَوْدَادَكُمْ وَقَادَ وَهِيَ اعْتِدَادُكُمْ وَاعْتِقَادُكُمْ، وَمَيَّزَكُمْ لَدَيَّ مِنْ أَضْدَادِكُمْ. فَإِنِّي
 كَتَبْتُ عَنْ نَفْسٍ مُتَقَلِّبَةٍ بِانْفِلَاحِكُمْ قَدْ لُجَّتْ فِي تَرْكِكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا.....

وَكَتَبَ أَيْضًا:

كَتَبَ مُوقِّرُكُمْ وَمُكَبِّرُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ جَمِيلَ الصَّبْرِ، وَجَزِيلَ الْأَجْرِ، وَالرِّضَا بِحُكْمِ اللَّهِ
 الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ⁽²⁾، وَإِلَيْهِ النُّشْرُ وَالْحَشْرُ، مِنْ بَجَايَةِ حَرَسِهَا اللَّهُ وَبَرَكَاتِهِ سَيِّدِنَا
 الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَصَلَ اللَّهُ أَيَّامَهُمْ وَنَصَرَ أَعْلَامَهُمْ - تَقْدَحُ زِنَادَ الْأَنْوَارِ
 بِالْقُلُوبِ، وَتُمِضِي الْقَدْرَ الْمَحْتَوَمَ وَالْأَجَلَ الْمَكْتُوبَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمَعَ
 كُلِّ مَقَالٍ، عِنْدَمَا طَرَأَ الْخَبَرُ بِمَا نَقَدَّ بِهِ الْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ، وَالْأَمْرُ الْحَتْمُ الْمُتَظَرُّ، مِنْ وَفَاةِ
 الْحُرَّةِ الْمُتَكَبِّرَةِ الْمُوقَّرَةِ الْمُطَهَّرَةِ، كَرَّمَ اللَّهُ مَحَلَّهَا، وَأَنْسَ بِمَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ مَزَلَهَا «وَأَنَا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». فَلَقَدْ ذَهَبَ لَنَا فِيهَا رُكْنٌ لَا تُقَاسُ بِهِ الْأَرْكَانُ، وَجَانِبٌ لَا يَسْمَحُ بِمِثْلِهِ

(1) البيت من الكامل وهو لأبي الشيص الخزاعي في ديوانه، ص: 102، تحقيق عبد الله الجبوري. وانظر

حماسة أبي تمام.

(2) فيه نظر إلى القرآن الكريم.



الزَّمان، وَإِنَّ مِنْ حَقِّهَا الْبَيِّنَ، وَبَرِّهَا الْمُتَعَيِّنَ، الْمَشْيَ [لِوَلِيِّهَا] إِلَى الْعَزَاءِ بِهَا، وَالْوُصُولَ إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي مُصَابِهَا.

واللهُ يُلْهِمُ الْجَمِيعَ عَظِيمَ الصَّبْرِ وَجَمِيلَ الْعَزَاءِ، وَيَذْفَعُ عَنْ جَوَانِبِكُمْ الْمَبْرُورَةَ طَوَارِقَ الْأَرْزَاءِ. بِمَنَّةٍ وَالسَّلَامِ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْمَرْحُومِ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ عُذْرَةَ ⁽¹⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيَّ أَيَّامَ كَوْنِي مُسَدِّدًا بِمَرْبَلَّةَ وَإِسْطَبُونَةَ مُعَلِّمًا يَوْفَاةَ أَخِيهِ الشَّيْخِ الْمَرْحُومِ أَبِي الْقَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الشَّيْخُ الْأَجَلُ الْفَقِيهُ الْقَاضِي الْأَقْصَى الْأَزْوَغُ الْأَعْدَلُ السَّنِي السَّرِي الْأَكْتَبُ الْأَشْرَفُ الْأَفْضَلُ الْوَلِيُّ الْعِمَادُ الذُّخْرُ الْأَرْفَعُ الْأَطُولُ أَبُو فُلَانٍ:

أَطَالَ فِي الْعَافِيَةِ مُدَّتَهُمْ، وَأَبْقَى بَرَكَتَهُمْ وَعُمِدَتَهُمْ، وَحَرَسَ فِي الْغَيْرِ وَالْحَوَادِثِ ذَاتَهُمُ الْكَرِيمَةَ وَبَهَجَتَهُمُ، الْمُعْظَّمُونَ لِحَقِّهِمْ وَمِقْدَارِهِمْ، الْمُلتَزِمُونَ لِجَلَالِهِمْ وَإِكْبَارِهِمْ، الدَّاعُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي وَقَايَةِ أَنْوَارِهِمْ، مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ الرَّحِيمِ وَعَبْدُ الْخَالِقِ بَنُو عُمَرَ بْنِ عُذْرَةَ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ خَيْرِ آلٍ، وَالرِّضَا أَتَمَّ الرِّضْوَانِ عَلَى الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ الْوَارِثِينَ لِتِلْكَ

(1) من أدباء الجزيرة الخضراء وفقائها النبهاء كانت له علاقة بالبلوي وقد كاتبه غير مرة، وهو من أسرة مشهورة بالعلم سكن أفرادها الجزيرة الخضراء نعرف منهم عبد الرحمن بن عمر بن عذرة الأنصاري القاضي وابن أخيه أبا القاسم عبد الرحمن بن أبي الحكم، وأبا بكر محمد وأبا الحكم عبد الرحيم ولهم شعر ومكاتبات بعضه في تحفة القادم. قال أحدهم يذكر أبا الحكم هذا:

أَبَى الْحُبِّ وَالْوَجْدُ الْمُبْرَحُ وَالْجَوَى وَعَهْدُ الرِّضَا وَالذِّكْرُ إِلَّا تَمَادِيَا
لَسِنٌ سَهْرَتْ لِلْبَيْنِ عَيْنُكَ لَيْلَةً لَقَدْ سَهْرَتْ مِنَّا عِيُونٌ لَيَالِيَا
أَبَا حَكَمٍ لَوْ كَانَ بِالْيَمِّ مَا بَنَا لِأَصْبَحَ يَسْقِي الْغَمَامَ الْغَوَادِيَا

في تحفة القادم، ص: 146 ذكر لأحد بني عذرة، وفي رسائل أندلسية مخطوطة بالأسكوريال الأبيات التي ذكر فيها أحدهم أبا الحكم.



الْخِلَالِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ابْنِ الْخُلَفَاءِ الْأَيُّمَةِ الْهَادِيَنِ الْمُهْتَدِينَ، بِنَصْرِ تَمْتُّدْ بِهِ الْأُمَالُ، وَيَطْرُدُ مَعَهُ الظُّهُورُ وَالْإِقْبَالُ، فَكَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ حَيَاةً بَاقِيَةً، وَجُنَّةً مِنَ الْحَوَادِثِ وَاقِيَةً، مِنَ الْخَضِرَاءِ⁽¹⁾ - حَرَسَهَا اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ نَفَذَ الْقَضَاءُ السَّابِقَ، وَالْقَدَرُ اللَّاحِقُ، بِوَفَاةِ أَخِينَا وَكَبِيرِنَا أَبِي الْقَاسِمِ وَلِيِّكُمْ فِي اللَّهِ تَعَالَى كَانَ، وَشَاكِرْكُمْ بِكُلِّ لِسَانٍ. فَيَا لَهَا مِنْ رَزِيَّةٍ لَمْ تَفْتَحْ إِلَى التَّصَبُّرِ بَابًا، وَلَا حَطَّتْ لِلْجَزَعِ نِقَابًا، وَلَا أَوْجَدَتْ إِلَى التَّثَبُّتِ طِلَابًا، طَرَقَتْ كَمَا شَاءَ اللَّهُ فَأَرَقْتَ، وَأَلَمْتَ فَأَغَمْتَ، وَأَسْمَعْتَ فَأَصْمَمْتَ، فَعِمَادُ السُّرُورِ مَخْفُوضٌ، وَدَمْعُ الْأَسَى وَالْحُزْنِ مَفْضُوضٌ، وَالْأَسَفُ قَدْ قَدَّ الصُّلُوعُ، وَطَرَدَ الْهُجُوعُ. وَأَغْرَقَ الْعُيُونُ فِي فَيْضِ الدَّمُوعِ، فَلَا كَبِدَ إِلَّا مَفْطُورَةً، وَلَا سُلُوءَ إِلَّا مَخْطُورَةً، وَحَقَّنَا أَلَّا تُفَارِقَنَا زَفَرُهُ، وَلَا تَخْمَدَ بَيْنَ ضُلُوعِنَا جَمْرَةً، وَلَا تَذْهَبَ عَنَّا لَوْعَةٌ وَلَا حَسْرَةٌ، فَمُصَابِنَا - وَقَاكُمْ اللَّهُ - بِهَذَا الْأَخِ الْمَذْكُورِ لَا يَغْدِلُ بِهِ مُصَابٍ، وَلَا يَمَثُلُ بِمَا طَلَعَ لِلدَّهْرِ مِنْ الثَّنَائِي وَالْإِنْقَابِ، فَلَوْ ذَهَبْنَا أَسْفًا، وَفَتَيْنَا وَجْدًا، لَكَانَ فِي حَقِّهِ حَقِيرًا، وَفِي جَنْبِ عِمَادِهِ الَّذِي خَرَّ، وَثُورِهِ الَّذِي اسْتَسَرَّ، يَسِيرًا، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رَاغِبُونَ، تَسْلِيمًا لِأَمْرِهِ وَتَفْوِيضًا لِحُكْمِهِ نَسْأَلُهُ أَنْ يُلْهِمَ الصَّبْرَ، وَيُعْظِمَ لَدَيْنَا الْأَجَرَ.

وَفِي كَرِيمِ عِلْمِكُمْ - أَبْقَاكُمْ اللَّهُ - مَا كَانَ عَلَيْهِ أَخُونَا - نَوَّرَ اللَّهُ صَرِيحَهُ - مِنْ حُبِّكُمْ فِي اللَّهِ تَعَالَى... وَلِعَلِّمَكُمْ بِذَلِكَ عَرَفْنَاكُمْ بِوَفَاتِهِ [طَالِبِينَ مِنْكُمْ الدُّعَاءَ لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ] مَعَ أَنَّنَا مُتَحَقِّقُونَ أَنَّكُمْ قَدْ أَخَذْتُمْ مِنْ خَيْرِ هَذَا الْمَصَابِ مَا أَخَذْنَا، وَتَأَلَّمْتُمْ لَهُ كَمَا تَأَلَّمْنَا، وَوَجَدْتُمْ لِفَقْدِهِ رَحْمَةَ اللَّهِ - مِثْلَمَا وَجَدْنَا، وَاللَّهُ يُعَوِّضُ الْكُلَّ عَلَيْهِ الْأَجَرَ الْجَزِيلَ، وَالْثَوَابَ الْجَمِيلَ، وَيَعْصِمُ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْأَكْرَمُ أَرْجَاءَكُمْ، وَيَحْفَظُ عَلَيْنَا عَهْدَكُمْ وَوَفَاءَكُمْ.

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ الْمَبْرُورُ مُعَادًا مُكَرَّرًا، كَثِيرًا أَثِيرًا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكُتِبَ فِي الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُخْرَى عَامَ سِتَّةٍ وَسِتِّمِائَةٍ.

(1) الخضراء: يقصد بها الجزيرة الخضراء، وكان بنو عذرة يقيمون في أغلب الأوقات بها.



وَكَتَبَ إِلَيَّ أَيْضاً رَحِمَهُ اللَّهُ جَوَاباً عَلَى جَوَابِي عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ:

نَشَرْتُ مَفَاخِرَكُمْ بَهِيَّ لَوَائِهَا وَسَقَتِ بَتَانِيسٍ كُؤُوسَ عَزَائِهَا
فَشَفَّتْ نُفُوساً شَبَّهَا أَلَمُ النَّوَى لِفِرَاقٍ بَذَرٍ أَفْلٍ بِفَنَائِهَا
كَانَ الْحَيَاةَ لَهَا وَكَانَ الْمُتَقَى مِنْ آلِ عُذْرَةٍ فِي قَدِيمِ سَنَائِهَا
كَانَ الزَّرْعِيمَ لَهَا بِمَا قَدْ أَطْلَعَتْ آيَاتُهُ مِنْ حُسْنِهَا وَرُؤَائِهَا
كَمْ مَدَّ فِي أَفْقِ الْمَحَامِدِ صَيَّتُهُ كَالشَّمْسِ قَدْ مَدَّتْ شُعَاعَ ضِيَائِهَا
أَيَّنَ الرِّصَانَةَ وَالصِّيَانَةَ وَالْحِجَا أَيْنَ الْخَطَابَةَ فِي رَفِيعِ بَنَائِهَا
أَيَّنَ الْمَعَارِفُ وَالْعَوَارِفُ وَالتُّقَى أَيْنَ الْبَلَغَةَ فِي سُؤِّ بَهَائِهَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْمَفَاخِرِ إِذْ هَوَتْ فِي تُرْبِ أُنْدُلُسٍ وَفِي خَضْرَائِهَا⁽¹⁾
تِلْكَ الْخِصَالُ كَأَنَّهَا بِمُضِيِّهِ ظِلُّ مَحَاهِ الدَّهْرِ فِي بَطْحَائِهَا
لَكِنْ بَقَاءُ عِمَادِنَا بَذَرِ السَّنَا شَمْسِ الْكِتَابَةِ فِي مَحَلِّ غَنَائِهَا
إِضْلِيلَتِهَا نَخْرِيرَهَا بِلَوِيِّهَا وَقَادِمَهَا فِي صُبْحِهَا وَمَسَائِهَا
فِيهِ السُّلُوبُ بِمَا أَفَادَ مِنَ الْتِي بَهَرَتْ بِزَاكِي فَضْلِهَا وَوَفَائِهَا
مَنْ ذَا يُسَاجِلُهُ، وَبَخَرُ بَنَانِهِ قَدْ مَدَّ لِلْعَلْيَاءِ فِي أَنْحَائِهَا
إِنْ كَانَ قُسٌّ⁽²⁾ سَامِعاً أَلْفَاظَهُ لَغَدَا يُسَلِّمُ مُفْصِحاً بِذَكَائِهَا
أَوْ كَانَ سَحْبَانٌ⁽³⁾ نَجِيَّ حُرُوفِهِ لَأَتَى مُرِيداً يَزِيدِي بِرَدَائِهَا

(1) يقصد بخضرائها سماء الأندلس أو الجزيرة الخضراء.

(2) قس بن ساعدة الإيادي خطيب جاهلي مشهور بفصاحته وبلاغته حتى ضرب به المثل فقيل: «أبلغ من قس».

(3) سحبان وائل: خطيب عربي وأحد الفصحاء المشهورين في الجاهلية.



يَا أَيُّهَا الْمَفْضَالُ وَالسَّنْدُ الَّذِي
يَا أَحْمَدُ الْمَأْمُولُ إِذْ نَهَضْتَ بِهِ
صَدَرْتُ فَرِيدَتُكُمْ عَنِ الِهِمَمِ الَّتِي
بِإِجَادَةِ جَمَعْتَ مَعَارِفَ جَمَّةٍ
فِي حَقِّ مَوْلَانَا أَخِينَا كَهْفِنَا
فَكَسَتْ مِنَ الْأَوْصَافِ أَنْفَسَ حُلَّةٍ
فَجَمِيعُنَا بِالشُّكْرِ يُغْلِنُ دَهْرَهُ
وَاللَّهُ يَحْفَظُ عَهْدَكُمْ وَوَلَاءَكُمْ
وَاسْلَمْ وَدُمْ يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الرِّضَا
مَا لَاحَ نَجْمٌ أَوْ تَرْتَمَ طَائِرٌ
مَلَكَ الْمَعَانِي قَاضِيًا بِقَضَائِهَا
نَفْسٌ أَبَتْ إِلَّا حَمِيدَ مَضَائِهَا
أَبَدَتْ مِنَ الْإِخْلَاصِ مَخْصَصَ وَلَائِهَا
فَخَرَتْ بِهَا الْعَلِيَا عَلَى أُنْبَائِهَا
عِنْدَ النَّوَائِبِ إِذْ تَحُلُّ بِدَائِهَا
بَيَانُهَا لَمَّا أَتَتْ وَثَنَائِهَا
مَا مُتَّعَتْ أَجْسَادُنَا بِذِمَائِهَا
مَا ضَاعَتْ الدُّنْيَا بِنُورِ ذُكَايِهَا⁽¹⁾
فِي خِطَّةٍ تَقْضِي لَكُمْ بَقَائِهَا
أَوْ حَنْ ذُو جَفْنٍ إِلَى إِغْفَائِهَا

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَوْتَ حَتْمًا لَا زِمًا، وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ
وَسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِي ذَخَرَتْهُ الْإِرَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ لِلشَّرِيعَةِ نَاطِمًا، وَأَيَّدَتْهُ بِوَحْيِهَا قَاعِدًا
وَقَائِمًا، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الَّذِي تَبَّهَ مِنْ سِنَةِ الْجَهْلِ
نَائِمًا، وَمُؤَالَاةِ الدُّعَاءِ لِلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ثُمَّ لِسَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِتَأْيِيدٍ لَا يَزَالُ لِأَمْرِهِ لَا زِمًا، وَلِأَفْعَالِ أَعَادِيهِ جَازِمًا.

فَكَتَبْنَا أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْمَبْرُورُ، وَالصَّفِيُّ الْوَفِيُّ الْمَشْكُورُ، كَتَبَكُمُ اللَّهُ فِي جُمْلَةِ مَنْ
سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ الْعِنَايَةُ، وَأَجْتَنَّهُ مِنْهُ الْكَلَاءَةُ وَالْحِمَايَةُ، وَأَوْتَهُ مِنْ حَوَادِثِ الْأَيَّامِ وَطَوَارِقِ
الْأَنَامِ الرِّعَايَةَ وَالْوِقَايَةَ، مِنَ الْخَضِرَاءِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ وَصَلَ خِطَابُكُمْ الْأَثِيرُ، بَلْ
رَوْضَتُكُمْ النَّضِيرُ، فَوَقَفْنَا عَلَى إِشَارَاتِهِ السَّيِّيَّةِ وَقُوفًا شَفَى النَّفْسَ مِنْ أَوْصَابِهَا، وَهَوَّنَ

(1) ذُكَاء: يعني بها الشمس.



علفها فلل ففبافها؁ وفكرفنا مفرعه الفف لا ففنازع فف البلالفة؁ ولا ففدافع فف
الافالفة؁ ولا ففشارك فف الففب المفف؁ ولا ففساغل فف الالف الفمرف المفف؁
ففرافكم الله اففها الفافف الافر الففر البزاف؁ وبافع ففنفكم وبفن فلول الازراف.
افففم من مفاف ففوفكم بالفظ الافف؁ وفرففم فف فف ففم الموفف؁ ثم ففكم
بازشافكم هففم فف الفففر فافرا؁ وافففم منهُ رسفما فافرا؁ وففكفم فموعا؁
والفكم للفلل فمف فف كان ممفوعا؁ على اف الففب ملوم؁ والففر فف ففنا -
ونسففر الله وففب ففف - مضموم. فف ففنا من لفبف له الشرففة فوب ففاد؁
واففب بفافها منهُ بسواف. ونسأل الله سبفانه اف ففون علفنا هفا المفاف البلل؁
وفمف الروفة منهُ والفلل؁ اففم افلى الله مكانكم فف عرفف ففر هفا الففب
من نفوسنا ومفله من فلوبنا.

والله فومف سافكم من فلول النواف؁ ولا فرمف عرافكم بسفام المفاف؁
وففف عركم مامولا؁ وفاهكم على اكمل اسباب الكرامة مامولا؁ والسلاف الكرفم
المبرور علفكم من فافف مفلكم عبف الرفم ومن افوفف المذكورفن ومن ابن افف
الففف افف عبف الله شافركم ومفبل افافكم ورمة الله وبرفانه.

ومن ففشاء روف الففافة؁ الفف سفاه الففب ما شاء وفافه الشفخ الففب افف عمرو
بن عفاف الشرففف افرمه الله:

اما بفء: فافف مولا فف السفء المفظم الموفر الاسمف الاسف الاسعء الرخب الصءر
الموطا الافناف؁ المففر للافوصاف والفوصاف؁ على ما فف كرفم علمفم من اف الففر
على الففلاء بالففنا والازراف؁ اعظم من الشكر على فزفل الالف والنعماء؁ والففر
افزل فف الفواف؁ قال الله عز وجل: ﴿انما فوفف الففرون افرفم بففر فساب﴾⁽¹⁾
لا سفما مفففف الموت الفف سماءا الله مفففف فف الففب؁ لكن فلف الانسان عفولا⁽²⁾

(1) سورة الزمر؁ الفة: 11.

(2) فففر فف فوله فعالى: ﴿فلف الا نسلف من عفل﴾؁ سورة الانباء؁ الفة: 37.



«فَالصَّبْرُ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّدَمَةِ الْأُولَى». وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
الاسْتِرْجَاعِ لِيَقْتَدِيَ بِهِ الْمُتَفَجِّعُ وَيَسْتَسْلِمَ لِلْقَضَاءِ فِيهِ الْمُتَوَجِّعُونَ، فَقَدْ أَخَذَ بِذَلِكَ
الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ وَالصَّحَابَةُ أَجْمَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ وَالتَّابِعُونَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتُ مَنِ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْثَقُ هُمْ الْمُهْتَدُونَ⁽¹⁾ وَإِنَّ مِمَّا دُهِينَا بِهِ، وَرُبَّمَا
بِأَضْعَفِهِ، فَقَدْ مَنَ فُقِدَ لِفَقْدِهِ جَمِيعُ الْأَنَامِ، وَرَحَلَتْ لِرَحْلَتِهِ الْحَيَاةُ عَنَّا بِسَلَامٍ، فَعَلِيهِ
وَالْأَلَا مَا نَاخَ الْحَمَامَ، وَعَلَيْهِ وَالْأَلَا مَا بَكَى الْغَمَامَ، وَفِيهِ وَالْأَلَا لَمَا لَبَسَتْ الْأَفَاقُ حِدَادَهَا
حَتَّى حُجِبَتْ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَعَظَّمَ النَّاسُ مِقْدَارَهُ حَتَّى اخْتَمَى فِي الزَّحَامِ:

فَتَبَا لِدُنْيَا إِذَا لَمْ تَكُنْ	تُرَاعِي كَرِيمًا نَمَا فِي الْكَرَامِ
أَمَاهِي مَهْمَا تَأَمَّلْتَهَا	مَصَارِعُ فِينَا فَيَا لِلْحَمَامِ
كَذَا فَعَلْتُ بِقُرُونٍ خَلَتْ	يَيَافِيهِمْ [وَبِسَامِ] ⁽²⁾ وَحَامِ
وَمَنْ قَدْ تَنَاسَلَ مِنْهُمْ بِهَا	وَلَمْ تَزَعْ مِنْهُمْ لَخْلُقِ ذِمَامِ
أَعَزِّيكُمْ وَأَعَزِّي التَّقَى	لِزَامَا كَمَا كَانَ مِنْهُ لِزَامِ
أَعَزِّي عَلَى أَنْ قَلْبِي دَمٌ	وَهَلْ لِلْقُلُوبِ الدَّوَامِي دَوَامِ ⁽³⁾

فَصَبْرًا أَيُّهَا الْمُصَابُونَ صَبْرًا⁽⁴⁾، وَعَفْرًا عَفْرًا، وَفَهْرًا لِلنَّفُوسِ الْأَيَّاهِ فَهْرًا، فَمَالُ
الْمُعَزِّيِّ وَالْمُعَزَّى إِلَى هَذَا الْمَالِ، وَلَا أَمَلُ فِي بَقَاءِ بَدَارِ ارْتِحَالِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ
هَذَا الرُّزْءَ آخِرَ الْأَرْزَاءِ، وَيُوَالِي لَدَيْكُمْ سَابِغَ النِّعْمَاءِ، وَيَخْتِمُ عَلَيْكُمْ كَمَا بَدَأَ بِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ. بِمَنِّهِ وَالسَّلَامِ.

(1) البقرة الآيةان: 155 - 156 .

(2) خرم بالأصل .

(3) الأبيات من المتقارب .

(4) ينظر فيه إلى قول الشاعر:

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا

328



قَهْرَتُهُ بِمَوَاعِظِهَا، وَوَهْنَتُهُ بِحَوَادِثِهَا. وَإِذَا كَانَ الْحِمَامُ غَايَةً كُلُّ مُوجُودٍ ذِي رُوحٍ،
وَنَهَايَةً كُلِّ حَيٍّ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ يَغْدُو أَوْ يَرُوحُ، فَلِإِلَى الصَّبْرِ - عَلَى كُلِّ حَالٍ - مَفْرَعُ
الَلَّيْبِ، وَمَرْجِعُ الْأَرِيبِ

وَاللَّهُ يُمَتِّعُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِبَقَاءِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي هُوَ رُوحُ
العَالَمِ وَسَنَاهِ، وَسَيِّدُ الْهُدَى وَمَغْنَاهِ، وَرَبُّ الصَّلَاحِ كُلِّهِ وَمَغْنَاهِ، وَيَخْرُسُ مِنَ الْحَوَادِثِ
أَرْجَاءُهُمْ، وَيُعَظَّمُ بِالصَّالِحَاتِ ثَوَابُهُمْ وَجَزَاءُهُمْ، وَالسَّلَامُ.
وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْقُدْسِيَّةُ الْمُؤَيَّدَةُ الْمَنْصُورَةُ الْعَلِيَّةُ الْمُبَارَكَةُ الطَّاهِرَةُ الزَّكِيَّةُ، مَطْلَعُ
الْأَنْوَارِ الْعَاكِفَةِ، وَمَنْشَأُ الْخَيْرَاتِ الْوَائِكَةِ. حَضْرَةُ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بَنِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ الْمُرْشِدِينَ. خَلَّدَ اللَّهُ أَيَّامَهَا وَوَصَلَ بَقَاءَهَا
وَدَوَّامَهَا، وَأَعْلَى أَعْلَامَهَا وَحَرَسَ مَقَامَهَا، كَمَا أَصْلَحَ بِهَا فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ عَيْدَهَا
النَّاصِحِينَ وَخَدَّامَهَا، عَبْدُ خِلَالِهَا، اللَّائِدُ بِوَارِفِ ظِلَالِهَا، الدَّاعِي بِدَوَامِ أَيَّامِهَا السَّعِيدَةِ
وَاتِّصَالِهَا، الْمُفْنِي عُمُرَهُ فِي شُكْرِ إِنْعَامِهَا الْعَمِيمِ وَإِفْضَالِهَا. إِبْرَاهِيمُ سَلَامٌ كَرِيمٌ طَيِّبٌ
مُبَارَكٌ عَمِيمٌ يَخْصُ حَضْرَةَ التَّمَجِيدِ وَالتَّعْظِيمِ كَثِيرًا أَثِيرًا. وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْمُتَنَفِّدِ بِالْبَقَاءِ وَالِدَّوَامِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى
وَالسَّلَامِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ وَالرُّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ
الْمَعْلُومِ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ الْآفَاقُ بَعْدَ الْإِظْلَامِ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَيْمَةِ
الْمُرْشِدِينَ الْأَعْلَامِ الَّذِينَ مَشَوْا أَمْرَهُ إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، وَمُؤَالَاةِ الدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَنِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِسَعْدِ مُتَضَاعَفِ الْأَقْسَامِ
وَنَصْرِ يَنْوُبُ فِي الْأَرْوَاحِ مَنْابَهَا فِي الْأَجْسَامِ. فَكَتَبَ عَبْدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ كَتَبَ لَهَا
اللَّهُ مِنْ عِنَايَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ مَا يَكْلَأُ مَقَامَهَا الْعَلِيِّ وَيَقِيهِ، وَيُخَلِّدُ أَمْرَهَا الْجَلِيِّ وَيُثَبِّتُهُ، وَيَكْنُفُهُ
بِضُرُوبِ الْوِقَايَةِ، وَيَحْفَظُهُ الْحِفْظَ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْغَايَةِ.



مِنْ إِسْبِلِيَّةٍ -حَرَسَهَا اللهُ- وَلِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيَّدَهَا اللهُ- مَعْهُودُهَا مِنْ فَيْضِ الْأَنْوَارِ وَعِزَّةِ الْأَنْصَارِ، وَامْتِدَادُ ظِلِّهَا عَلَى كَافَّةِ الْجِهَاتِ وَالْأَمْصَارِ وَاللهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ جَزِيلًا، وَلَهُ الشُّكْرُ مَوْضُولًا. وَالَّذِي عِنْدَ عَبْدِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْعَلِيَّةِ -أَيَّدَهَا اللهُ- مِنْ الْاجْتِهَادِ فِي خِدْمَتِهَا، وَالْاخْتِفَالِ فِي شُكْرِ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ⁽¹⁾ مِنْ نِعْمَتِهَا، وَالسَّغْيِ فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللهِ بِمَرْضَاتِهَا، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ فِي الْإِنْجَادِ عَلَى وَاجِبَاتِ حُقُوقِهَا وَمَفْرُوضَاتِهَا، حُكْمٌ مُلْتَزَمٌ وَعَمَلٌ مُغْتَنَمٌ، وَشَيْءٌ يَعْجِزُ عَنْ تَقْرِيرِ [الوَاجِبِ]⁽²⁾ فِيهِ [الطَّرْسُ]⁽³⁾ وَالْقَلَمُ. وَاللهُ يُعِينُهُ عَلَى مَا يُزِلْفُ مِنْ رِضَاهَا وَيَخْطِي بِرُحْمَاهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَالِى هَذَا وَصَلَ اللهُ تَأْيِيدَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَأَدَامَ أَيَّامَهَا، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ رِضَا اللهِ تَعَالَى أَغْلَى مَا تَنَافَسَ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَأَوْلَى مَا عَمِلَ لِمِثْلِهِ الْعَامِلُونَ، وَكَانَ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ الْمُوصِلَةَ إِلَيْهِ الْعُكُوفُ عَلَى خِدْمَةِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَوْ مُرَاعَاتِهَا بِالْاجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ وَالْإِخْلَاصِ فِي النِّيَّةِ. كَانَ مَنْ قَطَعَ فِي ذَلِكَ أَيَّامَهُ، وَجَعَلَهُ افْتِتَاحَ عَمَلِهِ وَاخْتِتَامَهُ، جَدِيرًا بِإِحْرَازِ السَّعْدِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَخَلِيقًا بِحُسْنِ الذِّكْرِ فِي حَالَتِي مَمَاتِهِ وَمَحْيَاهُ.

وَقَدْ نَعِيَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ عَبْدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَمَمْلُوكُهَا الشَّيْخُ الْقَائِدُ الْأَكْرَمُ بْنُ الشَّيْخِ الْقَائِدِ الْأَكْرَمِ أَبِي يَحْيَى بْنِ مُنَى رَحِمَهُ اللهُ وَنَفَعَهُ. وَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الْخِدْمَةِ الْقَدِيمَةِ، وَالسَّابِقَةِ الْكَرِيمَةِ، مَا دَرَجَ بِهِ رَحِمَهُ اللهُ وَافَرَ الْحِظَّ مِنْ حُسْنَاهُ، [مَقْبُوضًا]⁽⁴⁾ بِمَا حَوَّلَهُ اللهُ فِيهِ مِنْ إِرْضَاءِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَأَوْلَاهُ، وَكُلُّ مَا يُسْعِدُ اللهُ بِهِ عَبِيدَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مِنْ [سَرَائِرِ]⁽⁵⁾ الْأَحْوَالِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ، وَيَتَقَرَّبُونَ بِهِ مِنَ الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ، وَالسَّغْيِ الْمَشْكُورِ، وَيَتَقَلَّبُونَ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ أَوْ الْأَسْرِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَالشُّهُورِ

(1) الطارف والتالد: يقصد بهما القديم والجديد من النعم.

(2) خرم بالأصل.

(3) خرم بالأصل.

(4) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.



وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْقُدْسِيَّةُ الْمُؤَيَّدَةُ الْمَنْصُورَةُ الْعَلِيَّةُ الْمُبَارَكَةُ الطَّاهِرَةُ الزَّكِيَّةُ. حَضْرَةُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْامْتِنَانِ، حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَيُّمَةِ الْمُرْشِدِينَ. أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهَا وَأَعْلَى أَعْلَامَهَا، وَحَرَسَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ مَقَامَهَا، وَأَبْقَى بَرَكَتَهَا الَّتِي لَمْ تَزَلْ يَتَوَارَثُهَا الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ وَإِنْعَامَهَا.

عَبْدُهَا النَّاشِئُ فِي ظِلِّهَا الْمَدِيدِ، الْمُتَقَلِّبُ فِي نِعَمِهَا الشَّامِلَةِ لِلْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، الْمُتَقَرَّبُ إِلَى مَتِينِ الانْقِطَاعِ إِلَى خِدْمَتِهَا بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ نَصَحَاءُ الْمَمَالِكِ وَخُلَصَانُ الْعَبِيدِ، الْمُتَسَلِّي بِوَرَاثَةِ رِضَاهَا وَاسْتِيفَاءِ رُحْمَاهَا عَنْ كُلِّ فَقِيدٍ. عَبْدُهَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِهَا إِبْرَاهِيمَ. سَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْمُتَوَالِي، إِلَى مَقَامِهِ الْكَرِيمِ الْمُتَعَالِي وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْحَيِّ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَفْنَى، وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمُبْتَعَثِ إِلَى الْأَبْعَدِ وَالْأَذْنَى، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، وَارِثِ شَرَفِهِ الْأَسْنَى، وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ فِي كُلِّ مَرَمَى وَالصَّنْعِ الْجَمِيلِ فِي كُلِّ مَعْنَى. وَبَعْدَمَا يَجِبُ أَيْضًا فِي الْإِنْتِهَاءِ وَالْإِبْتِدَاءِ، مِنَ الْإِيرَادِ لِوَاجِبِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَالْأَدَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ فِي الْعَمَلِ الْكَفِيلِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا وَالْإِدْنَاءِ.

فَكَتَبَ الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ، كَتَبَ اللَّهُ لِحَضْرَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا حِرَاسَةَ أَنْوَارِهَا الْبَاهِرَةِ، كَمَا جَعَلَ طَاعَتَهَا سَعَادَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ وَلِلرَّحْمَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَدَامَهَا اللَّهُ - أَهْمَى مُصَابٍ، وَفِي الْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ - خَلَّدَهَا اللَّهُ - الْعَوَظُ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ وَبِهَا الْعَزَاءُ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ. وَاللَّهُ يَحْرُسُ أَرْجَاءَهَا، وَيَحْفَظُ لَوَاءَهَا، وَقَدْ نَفَذَ قِضَاءَ اللَّهِ وَقَدْرَهُ، بِوَفَاةِ عَبْدِهَا النَّاصِحِ وَمَمْلُوكِهَا الْمُخْلِصِ أَبِي عَبْدِهَا رَحِمَهُ اللَّهُ وَنَفَعَهُ بِمَا أَسْلَفَ مِنْ نَصِيحَةٍ وَخِدْمَةٍ خَالِصَةٍ صَحِيحَةٍ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ الْمُؤَرَّخِ بِهِ هَذَا الْكِتَابِ.



وَكَانَ كَتَبُ الْعَبْدِ لَهُذِهِ الْحُرُوفِ بِدَارًا إِلَى التَّعْرِيفِ، وَاسْتِيهَابًا لِلدُّعَاءِ الْإِمَامِيِّ
الْمَقْبُولِ الشَّرِيفِ، عِنْدَ الْإِنْفِصَاضِ مِنَ الدَّفْنِ ضُحَى يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ
الشَّهْرِ. وَهَنِيئًا لَهُ أَنْ مَاتَ سَعِيدًا بِمَا وَدَّى مِنَ النَّصِيحَةِ فِي خِدْمَةِ أَوَامِرِهَا الْعَالِيَةِ،
وَبِمَا بَدَّلَ فِي طَاعَتِهَا وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهَا مِنَ النِّيَّةِ الْخَالِصَةِ وَالْأَعْمَالِ الْمُتَوَالِيَةِ. فَإِنَّ مَنْ
كَانَ يَجْتَهِدُ فِي تِلْكَ اجْتِهَادَهُ، فَقَدْ اسْتَأْثَرَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ مَهَادَهُ، وَقَدْ وَدَّى رَبَاطَتَهُ
وَجِهَادَهُ. وَمَنْ قَدَّمَ مِنْ رِضَا الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ زَادَهُ، فَقَدْ فَازَ بِالسَّعَادَةِ وَدَرَجَ عَلَى خَيْرِ
عَمَلٍ يَخْطَى بِالْحُسْنَى عِنْدَ اللَّهِ وَالزِّيَادَةِ⁽¹⁾. وَحَسْبُ مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ مِنْ بَنِينَ وَكَافَّةَ ذَوِيهِ
عَبِيدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَأَرْجَائُهَا، بِمَا هُوَ حَسْبُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْ بَقَائِهَا. فَإِنَّ مَنْ فَقَدَ
مَا عَسَى [أَنْ يَفْقِدَ]⁽²⁾ مِنْ سَادَتِهِ وَمَوَالِيهِ الْأَعِزَّةِ عَلَيْهِ وَيَقِي لَهُ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ
الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يُرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي طَوْلِ بَقَائِهِ وَتَمَدُّ أَيْدِي الضَّرَاعَةِ فِيهِ إِلَيْهِ
فَقَدْ بَقِيَ لَهُ الظَّلُّ الْمَدِيدُ وَالْحَرَمُ الْأَمِينُ، وَالرُّكْنُ الشَّدِيدُ، وَالْمَوْلَى الْمُنْعِمُ الْعَمِيمُ،
وَالْمَلَأُ الرُّؤُوفُ الرَّحِيمُ، وَجَنَاحُ الرَّحْمَةِ الْمَنْشُورُ، وَالْمَلْجَأُ الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ
الْأُمُورِ، وَأَخْلَقَ بِمَنْ بَقِيَ لَهُ مَعَهُودُ الْإِنْفَاتِ الْإِمَامِيَّةِ، وَالنَّظَرُ الْكَرِيمُ الْعَالِي، أَلَّا يَفْنَى
عَلَيْهِ طَرِيقُ السُّلُوكِ، وَإِنْ قَرَأَ صَحِيفَةَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ.

وَسَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْعَمِيمِ يَخْصُ حَضْرَةَ التَّمْجِيدِ وَالتَّعْظِيمِ كَثِيرًا
أَثِيرًا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

الشَّيْخُ الْأَجَلُ الْأَعَزُّ الْمُكْرَمُ، الْأَسْنَى، الْوَلِيُّ، الْأَثِيرُ، الْأَوْدُ، الْأَخْصُ، الْأَزْكَى،
الْأَفْضَلُ، الْأَسْرَى، أَبُو سَعِيدِ بْنِ الشَّيْخِ الْمَرْحُومِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ الْأَجَلِ
الْمَرْحُومِ أَبِي إِسْحَاقَ، أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَهُ، وَفَسَحَ فِي السَّعَادَةِ مُدَّتَهُ، مُعْظَمُ قَدْرِهِمْ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِي وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. سورة: يونس الآية: 26.

(2) خرم بالأصل.



[اللائذ]⁽¹⁾ بِجَانِبِهِمُ الْمُؤْتِرَ لَهُمُ الْحَفِيَّ بِهِمْ، الْمُخْلِصُ فِي حُبِّهِمْ عَثْمَانُ بْنُ السَّيِّدِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَلَامٌ كَرِيمٌ عَمِيمٌ يَخْصُكُمْ كَثِيرًا، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ فَكَتَبَ مُعَظَّمُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ إِطَالََةَ الْبَقَاءِ، وَإِدَامَةَ الْعَلَاءِ، مِنْ إِسْبِيلِيَّةٍ حَرَسَهَا اللَّهُ [وَالْبَرَكَاتُ الْإِمَامِيَّةُ]⁽²⁾ - أَدَامَهَا اللَّهُ - سُورٌ مَثْلُوَّةٌ، وَالْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - لِتَفْرِيجِ الْعَمَاءِ فِي كُلِّ حِينٍ مَرْجُوءَةٌ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

وَقَدْ حَدَّثَ لِمُحِبِّكُمْ، وَمُجِلِّ قَدْرِكُمْ، وَمُعَظَّمِكُمْ الْوَالِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَنَضَّرَ وَجْهَهُ، حَادِثَ الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيدَ لِمَخْلُوقٍ عَنْهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثِنْتِي عَشْرَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَكَتَبَ هَذَا الْكِتَابَ مُعَظَّمُكُمْ الْمُجِلِّ لِقَدْرِكُمْ إِثْرَ الْإِنْفِصَاصِ مِنْ دَفْنِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ ضَحَى يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ. وَخَاطَبَ مُعَظَّمُكُمْ صُحْبَةً هَذَا مُعَرِّفًا بِذَلِكَ مَقَامَ الْإِمَامَةِ الْعَالِيَةِ حَرَسَ اللَّهُ نُورَهَا وَأَنْتُمْ الرِّدَاءُ الْأَكْرَمُ، وَالْوَسَاطَةُ الْجَمِيلَةُ وَالسَّنْدُ الْأَقْوَمُ. وَتَعَلَّمُونَ مَا دَرَجَ عَلَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي وُدِّكُمْ، وَالشُّكْرِ لَجَمِيلِ غَرَضِكُمْ وَقَصْدِكُمْ، وَإِنَّ مُعَظَّمَكُمْ لَعَلَى [سَنَنِ]⁽³⁾ مِنْ أَبِيهِ فِي ذَلِكُمْ، وَبِالْإِسْتِظْهَارِ لِكَرَمِ خِلَالِكُمْ وَالْاعْتِمَادِ عَلَى مَا يَكُونُ مِنْ جَمِيلِ تَهْمِكُمْ وَاهْتِبَالِكُمْ.

وَإِنَّ هَذَا الرُّزْءَ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ - وَإِنْ جَلَّ، فَإِنَّ الْمَسْلَاةَ عَنْهُ كَوْنُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ دَرَجَ عَلَى أَفْضَلِ الْأَحْوَالِ مِنْ رِضَا الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَعَلَى أَصْلَحِ الْأَعْمَالِ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي خِدْمَةِ الْأَوَامِرِ الْعَالِيَةِ، وَفِي بَقَاءِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - مَا يُخَسِبُ الْعَمَلَ، وَيُكْسِبُ الصَّبْرَ الْأَجْمَلَ، وَاللَّهُ لَا يُضْهِينَا مِنْ ظِلِّهَا الْوَارِفِ الْمَدِيدِ، وَلَا يُخْلِينَا مَعْشَرَ أَرْقَائِهَا الْمُتَسَلِّينَ بِبَقَائِهَا مِنْ فَضْلِهَا الشَّامِلِ لِكَافَةِ الْعَبِيدِ. وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،

(1) خرم بالأصل.

(2) خرم بالأصل.

(3) خرم بالأصل.



رَضًا بِحُلُوقِ الْقَضَاءِ وَمُرَّةً، وَتَفْوِيضًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَتَسْلِيمًا لِأَمْرِهِ. وَاللَّهُ يَجْعَلُنَا مِنْ
الْمَوْتِ عَلَى حَذَرٍ، وَيَقْضِي لِلْجَمِيعِ فِي كُلِّ حَالٍ وَاسْتِقْبَالٍ بِأَسْعَدِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ،
وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ عَلَاءَكُمْ، وَيَشْكُرُ وَلَاءَكُمْ، وَيُطِيلُ فِي أَمَانٍ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ
بِقَاءَكُمْ، وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا: أَعَزِّي الشَّيْخَ الْفَقِيهَ الْخَطِيبَ الْحَسِيبَ الْأَفْضَلَ أَبَا مَرْوَانَ الْبَاجِي (1) -
آدَامَ اللَّهِ عُلَاهُ - عِنْدَ وَرُودِهِ مِنْ حَضْرَةِ الْإِمَامَةِ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - فِي أَخِيهِ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ
الْقَاضِي الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قُدُّومُكَ أَيُّهَا الْخَبَرُ الرَّفِيعُ	أَعَادَ الْأَنْسَ فَاثْتَهَجَ الْجَمِيعُ
وَأَضَحَّتْ حِمَصُ (2) مُشْرِقَةِ النَّوَاحِي	بَوَجْهِكَ حِينَ حَانَ لَهَا طُلُوعُ
وَفَاحَتْ أَرْضُهَا بِشَذَاكَ حَتَّى	كَأَنَّ تَرْابَهَا مِنْكَ يَصُوعُ
وَأَيْنَعَتِ الْأَزَاهِرُ وَهِيَ صَنِيفُ	كَأَنَّكَ إِذْ أَتَيْتَ أَتَى الرَّبِيعُ
وَحَقٌّ بِأَنْ نَطِيرَ بِكُمْ سُرُورًا	فَإِنَّكَ لِلْوَرَى الرُّكْنَ الْمَنِيعُ
خُلِقْتَ لِمَلِكٍ أَفْتَدَةَ الْبَرَايَا	فَأَنْتَ لِكُلِّ ذِي أَمَلٍ شَفِيعُ
لَكَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ بِكُلِّ أَرْضٍ	بِأَخْلَاقٍ لَهَا حُسْنٌ بَدِيعُ
لَكَ الدِّينُ الْمَتِينُ لَكَ الْمَعَالِي	لَكَ التَّحْصِيلُ وَالْحَسَبُ الرَّفِيعُ
وَمَا جَارَاكَ فِي شَأٍ خَطِيبُ	فَإِنَّكَ وَخَدَكَ ظَالِعُ الظَّلِيلُ
لَكَ الصَّدْرُ الرَّقِيبُ لِكُلِّ خَطْبٍ	إِذَا مَا ضَاقَ بِالْخَطْبِ الْهَلُوعُ
وَفِي مَوْتِ الرَّسُولِ لَنَا تَعَزُّزُ	إِذَا مَا نَابَنَا خَطْبٌ فَظِيعُ

(1) أبو مروان الباجي عالم أندلسي مشهور شرقت كتبه وغربت له مناظرات عدة مع فقهاء الأندلس وكبار علمائها.

(2) يقصد بحمص: مدينة إشبيلية التي كان الباجي يتسبب إليها.



عَلَى أَنَّ الْمُصَابَ بِلَا امْتِرَاءٍ
 وَأَضْحَى النَّاسُ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا
 وَنَادَى الدِّينُ: وَالْهَفْيِ عَلَيْهِ
 لَقَدْ رَاعَتْ رَزِيئَتُهُ الْبَرَايَا
 تُذَكِّرُنَا اللَّيَالِي ثُمَّ نَلْهُو
 وَنَعْلَمُ أَنَّ أَشْرَكَ الْمَنَائَا
 أَبُو عَبْدِ الْإِلَهِ مَضَى حَمِيدًا
 سَقَى جَدًّا أَقَامَ بِهِ مُلْثٌ⁽¹⁾
 وَمَا يَحْوِيهِ مِنْ قَبْرِ وَلَكِنْ
 مَضَى الْبَاجِي [فَنَادَى]⁽²⁾ أَلْ حِمَصِ:
 هَذَا اللَّهُ لِلتَّقْوَى وَإِنَّا
 وَيُوقِظُنَا الْحَمَامُ بِكُلِّ حِينٍ
 إِذَا سَاهَمُ الْمَنِيَّةِ سَدَدْنَاهُ
 فَكَمْ أَبْكِي عَلَيْهِ بِكُلِّ دَمْعٍ
 وَصَلَّى اللَّهُ فِي مُسْنِي وَصَبَحٍ
 بِفَقْدِ أَخِيكُمْ جَلَلٌ شَنِيعٌ
 وَشَمْلٌ سُرُورِهِمْ بَدَدٌ صَدِيعٌ
 أَرَى التَّقْوَى خَلَتْ مِنْهَا الرُّبُوعُ
 فَلَمْ يَسْلَمْ لِذَاكَ الرَّوْعُ رُوعٌ
 وَنَأْمَنُ وَالْمُنُونُ بِهَا تَرُوعُ
 لَنَا فِيهَا بِلَا شَكٍّ وَفُوعُ
 وَمَا قَذَفَاتَ لَيْسَ لَهُ رُجُوعُ
 لِأَذْمُعِهِ مَدَى الدُّنْيَا هُمُوعُ
 أَكْتَتَهُ مِنَ النَّاسِ الضُّلُوعُ
 لَقَدْ ذَهَبَ التَّوَاضُّعُ وَالْخُشُوعُ
 لَنَا فِي حَوْضٍ غَفَلَتْنَا كُرُوعُ⁽³⁾
 وَنَحْنُ لَطُولِ غَفَلَتْنَا هُجُوعُ
 فَلَا تُغْنِي الْجَوَاشِنُ⁽⁴⁾ وَالذُّرُوعُ
 وَلَا تُجْدِي عَلَى مَيِّتٍ دُمُوعُ
 عَلَى قَبْرِ بِهِ الصَّنُوءُ الرَّفِيعُ

(1) لم يتبين لي معنى هذا الشطر!!

(2) خرم بالأصل.

(3) يقال كرع من البئر شرب منه بنهم مرة بعد أخرى.

(4) الجواشن: مفردا جوشن وهو الدرع أو ما يلبس الفارس من السلاح. قال الشاعر:

فَكَرَّ يَمْشُقُ طَعْنًا فِي جَوَاشِنِهَا كَأَنَّهُ الْأَجْرُ فِي الْإِقْبَالِ يُخْتَسَبُ



وَمَدَّ اللَّهُ عُمَرَكَ فِي سُرُورٍ وَدَامَ لِمَجْدِكَ الْمَجْدُ الْمَنِيعُ
فَمَا فَقَدْتَ مَعَالٍ أَنْتَ فِينَا خَلِيفَتُهَا وَدَاعِيَهَا السَّمِيعُ⁽¹⁾

يَا سَيِّدِي الْأَمَّجِد، وَعِمَادِي الْأَوْحَد، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكُمْ وَحَفِظَ حَوْبَاءَكُمْ⁽²⁾ وَحَرَسَ
مِنَ الْغَيْرِ أَرْجَاءَكُمْ، وَضَاعَفَ سَعْدَكُمْ وَعَلَاءَكُمْ، وَأَحْسَنَ عَلَى الْمُلِمِّ وَالرُّزْءِ الْمُذْلِمِ
عَزَاءَكُمْ، وَأَجْزَلَ نَوَابِكُمْ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَجَزَاءَكُمْ، فَأَحْكَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تُنْفَذُ كَمَا شَاءَ
فِي الْقِدَمِ، وَتَعْدَمُ بَعْدَ الْوُجُودِ كَمَا أُوجِدَتْ بَعْدَ الْعَدَمِ، فَمَنْ رَضِيَ بِالْقَضَاءِ سَلِمَ مِنْ
زَلَّةِ الْقَدَمِ، وَمَنْ لَمْ يُفَوِّضْ إِلَى اللَّهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْصُ بِنَابِهِ⁽³⁾ مِنَ النَّدَمِ⁽⁴⁾، وَمَنْ عَرَفَ
الْأَيَّامَ مَعْرِفَتَكُمْ بِشَائِبِهَا، وَاخْتِلَافَ أَلْوَانِهَا، لَمْ تُرْغْ حَادِثَةٌ مِنَ الْحَوَادِثِ سِرْبَهُ، وَلَمْ
تُكْذَرْ كَارِثَةٌ مِنَ الْكَوَارِثِ شِرْبَهُ، لِيَعْلَمَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلْفَنَاءِ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْعَنَاءِ، مَمَرٌّ لِمَنْ
عَبَّرَ، وَعَبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ، لَا تَهَبُ، إِلَّا رَيْثَمَا تَنْهَبُ، وَلَا تَسُرُّ إِلَّا وَتَضُرُّ، وَلَا تَخْلُو إِلَّا
وَتَمَرُّ، خَيْرُهَا إِلَى انْقِطَاعِ وَإِنْفِرَاضِ، وَشَرُّهَا لَا يُرَدُّ بِدِفَاعٍ وَلَا يُدْفَعُ بِاعْتِرَاضٍ. وَإِنْ كَانَ
[دَرَجَ]⁽⁵⁾ أَخُوكُمْ - وَسَيِّدِي كَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدَّسَ رُوحَهُ، وَبَرَّدَ صَرِيحَهُ، وَكَرَّمَ مَثْوَاهُ،
وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ، وَتَلَكُمُ رَزِيَّةً تَفْرَحُ الْقَلْبَ، وَتَمْنَعُ الصَّبْرَ وَتَمْنَحُ الْكَرْبَ، وَتَخْتَدِمُ
لَهَا الضُّلُوعُ بِحَسَرَاتِهَا، وَتَجُودُ لَهَا الْعُيُونُ بِعَبْرَاتِهَا، وَتَقْطَعُ الْأَكْبَادُ، وَتُقَتُّ الْأَعْضَادُ.
فَقَدْ دَرَجَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى خَيْرِ عَمَلِهِ، مُبْلَغًا مِنْ رِضَا اللَّهِ - بِفَضْلِ اللَّهِ - غَايَةً أَمَلِهِ، وَقَدْ
اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الرِّضْوَانِ، وَسَكَنَى الْجَنَانَ، وَشَتَّانَ بَيْنَ مُجَاوَرَةِ الْخَلْقِ،
وَمُجَاوَرَةِ الرَّحْمَانِ. وَلَنَا فِي مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَبَّرٌ، وَفِي مَنْ مَضَى مِنْ

(1) الأبيات من الوافر.

(2) الحوبة: كل ذي قرابة من قبل الأم، وكذلك كل ذي رحم محرم.

(3) المقصود بِنَابِهِ هنا: بسنه وقد تؤول وتقرأ بِنَابِهِ أي أوصبه.

(4) مقتبس من قول الشاعر:

لَتَفْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

(5) خرم بالأصل.



السَّلَفِ بَعْدَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُعْتَبَرٌ، وَفِي الْبَاقِينَ آيَةٌ صَادِقَةٌ وَخَبَرٌ، وَاللَّهُ [يَعِدُ]⁽¹⁾ كُلَّ ذِي رُوحٍ بِالزَّوَالِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَابٍ وَيَنْفَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ﴾⁽²⁾ وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِلصَّابِرِينَ جَزِيلَ الثَّوَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽³⁾.

فَلَنَرْغَبَ فِي الْجَزِيلِ وَهُوَ الْأَجْرُ، وَلَنَذْهَبَ إِلَى الْجَمِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ، وَلَنُقْلَ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾⁽⁴⁾ تَسْلِيمًا لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَرِضًا بِمَا شَاءَ سُبْحَانَهُ فِي وَرْدِ كُلِّ أَمْرٍ وَصَدْرِهِ، وَإِنْ كَانَ ذَهَبَ الْأَكْبَرُ سِنًا، فَقَدْ بَقِيَ مِنْكُمْ الْأَكْبَرُ قَدْرًا، وَالْأَنُورُ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي شَمْسًا وَبَدْرًا، وَالْمُقَدَّمُ فِي عِظَمِ الْفَضَائِلِ، وَخُلُوِ الشَّمَائِلِ صَدْرًا، وَإِنْ كَانَ رَحَلَ الْأَقْدَمُ مِيلَادًا فَقَدْ أَقَامَ الْأَعْظَمُ جَاهًا وَالْأَرْفَعُ مَهَادًا، وَقَدْ أَسْلَى عَنْ فَقْدِ الْغَارِبِ بَقَاءُ السَّنَامِ، وَعَنْ هَضْبَاتِ نَجْدٍ بِهِضَابِ شَمَامٍ، وَقَدْ [...] اللَّهُ لَنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الصَّمْصَمِ. وَاللَّهُ يُمَتِّعُ الْمَجْدَ بِكُمْ وَيَبْقَاكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ لِلْأَمَلِينَ عِمَادًا رَفِيعًا، وَرُكْنًا مَنِيعًا.

وَأَمَّا مَا عِنْدِي -أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكُمْ- مِنَ الْمُشَاطَرَةِ لَكُمْ فِي الْفَرَحِ وَالتَّرَحِّ، وَالْمُشَارَكَةِ لَكُمْ فِي السَّرِّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ مَلَكَتْهُ أَيْدِيكُمْ الْبَيْضُ، وَغَمَرَهُ بَحْرُ فَضْلِكُمْ الَّذِي لَا يَغِيضُ، وَمَنْ قَدَرَ قَدْرُكُمْ الْكَبِيرَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَرَفَ مَجْدَكُمْ الْأَثِيرَ عَشَا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ، وَسَارَ إِلَى نُورِ أَنْوَارِهِ، وَاللَّهُ يُوزِغُ شُكْرَ فَضْلِكُمْ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، وَيُهْنِيكُمْ مَا خَوَّلَكُمْ مِنَ الْمَحَامِدِ وَالْمَفَاخِرِ، وَيُثَبِّتُكُمْ زِينًا لِلْمَحَافِلِ وَالْمَحَاضِرِ، وَشَرَفًا تَطُولُ بِهِ دَوَابَاتُ الْمَنَابِرِ وَالسَّلَامُ.

(1) خرم بالأصل.

(2) سورة الرحمن، الآيتان: 24 - 25.

(3) سورة الزمر، الآية: 11.

(4) سورة البقرة، الآية: 155.



وَكَتَبْتُ فَضْلاً مِنْ تَعْزِيَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْمُعْظَمِ الْفَاضِلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ الرَّائِي الطَّبَاعِ
وَالْأَخْلَاقِ أَبِي مُوسَى بْنِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعَهُمْ بِمَا
يَعْلَمُهُ مِنْهُمْ:

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَعْلَى الَّذِي شَهَرَتْ
مَاذَا يَقُولُ الْمُعْزِي وَهُوَ مُقْتَسِسٌ
لَكَ الثَّوَابُ إِذَا مَا كُنْتَ مُحْتَسِبًا
فَالصَّبْرُ لِلْأَجْرِ عِنْدَ الْمُشْتَرِي ثَمَنٌ
وَمَنْ لَهُ السَّنَنُ الْأَعْلَى الَّذِي لَكُمْ
مَا مَاتَ مَنْ أَنْتُمْ الْبَاقُونَ بَعْدَهُمْ
وَأِنَّمَا ظَفَرْتَ أَيْدِي الْمَنُونِ بِهِ
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لِلْبَاقِينَ مُعْتَمِداً
وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَرْثِي الْمَجْدَ الْأَيْلَ، وَيَبْكِي الْبُكَرَةَ وَالْأَصِيلَ، مُذْ سَمِعَ أَنَّ حَضْرَتَكُمْ
الْعَلِيَّةَ فَقَدَتْ نَجْلَهَا الْكَرِيمَ وَفَرَعَهَا الْجَلِيلَ، السَّيِّدَ الْمُبَارَكَ الْمَرْحُومَ أَبَا مُحَمَّدٍ جَدِّ
اللَّهُ عَلَيْهِ رَحْمَتُهُ وَرِضْوَانُهُ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّاهُ. فَيَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَوْجَعَهَا، وَأَحْزَنَ
الْقُلُوبَ بِهَا وَأَفْجَعَهَا، أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَبِلَ الْفِدَاءَ [لَفِدِي] مِنْ أَرْوَاحِ النَّاسِ بِكُلِّ رُوحٍ، وَلَوْ
نَفَعَ الْبُكَاءُ لَأَحْدَثَ الدُّمُوعُ طُوفَانًا كَطُوفَانِ نُوحٍ، وَلَكِنَّ الصَّبْرَ مَأْمُورٌ بِهِ، وَالْأَجْرَ
مَرْبُوطٌ بِسَبَبِهِ، وَالْمُصِيبَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَزَّتِ النَّاسُ فِي مَصَائِبِهِمْ مَنْ بَعْدَهُ،
فَقَدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنْذِرَ بَدْهَابِ كُلِّ مَخْبُوبٍ وَفَقْدِهِ. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ تَسْلِيمًا
وَتَفَرُّيْضًا، وَرَجَاءً فِي أَنْ يُنْعِمَ اللَّهُ رُوحَهُ وَيَحْلُلَهَا فِي اللَّحْدِ تَرْوِيضًا، وَيَعْوِضَ فَاقِدِيهِ
بِجَمِيلِ الصَّبْرِ جَزِيلِ الصَّبْرِ تَعْوِيضًا.

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. سورة
فصلت، الآية: 7، الانشقاق، الآية: 25، التين، الآية: 6.



وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ مَا رَزَقَ حَضَرَتَكُمْ، لَمْ يَجْتَلِبْ فِي تَغْزِيَةِ الرِّسَائِلِ وَالْأَشْعَارِ، وَالْمَعْنَى الْمُتَخَيَّلِ وَاللَّفْظِ الْمُسْتَعَارِ، بَلْ بِهِ الْاِقْتِدَاءُ وَالْاِبْتِدَاءُ، وَمِنْهُ يُتَعَلَّمُ الصَّبْرُ وَالْعَزَاءُ. وَفِي بَقَاءِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، مَا يُحْيِي نُفُوسَ الْمُحِبِّينَ وَيُخْلِفُ كُلَّ فَقِيدٍ، فَهُوَ الْجُلُّ وَالْكُلُّ، وَالْفَيْءُ الْمَمْدُودُ وَالظِّلُّ، وَاللَّهُ يَخْرُسُ أَنْوَارُكُمْ، وَيُحْسِنُ عَزَاءَكُمْ، وَيَجْعَلُ الْجَنَّةَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ⁽¹⁾ جَزَاءَكُمْ. وَالسَّلَامُ.

وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ بِوَفَاةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْمُعْظَمِ الْفَاضِلِ الْمَرْحُومِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَتَيْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمْ [وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَلَأَ ذُهُمَ وَمَأْوَاهُمْ] وَنَفَعَهُمْ بِمَنْزَعِهِمُ الصَّالِحِ وَمَنْحَاهُمْ: قُمْتُ عَلَى قَبْرِهِمْ -رَوْضَهُ اللَّهُ- يَوْمَ السَّبْتِ ثَالِثِ دَفْنِهِمْ إِذْ كَانَ دَفْنُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ضُحَى يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَعِشْرِينَ مِنْ سَعْبَانَ سَنَةٍ ثِنْتِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةَ فَأَنْشَدْتُ لِنَفْسِي⁽²⁾:

سُلِبَ الْعَزَاءُ فَكُلُّنَا مَحْزُونُ	خَطْبٌ تَهُونُ لَهُ الْخُطُوبُ الْجُونُ
تَبْكِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضُ فِيهِ تَفْجَعَا	وَيَبِيتُ يَشْكُوهُ الثُّقَى وَالْدِّينُ
لَبِسَتْ لَهُ سُحْبُ السَّمَاءِ حِدَادَهَا	فَالرَّغْدُ فِيهَا زَفَرَةٌ وَأَنْبِينُ
وَمَتَى هَمَا صَوْبُ الْغَمَامِ فَإِنَّهُ	دَمْعٌ عَلَى فَقْدِ الْهَمَامِ هُتُونُ
وَمَتَى تَحَرَّكَتِ الْغُصُونُ فَإِنَّمَا	لَطَمَتْ عَلَيْهِ خُدُودُهُنَّ غُصُونُ
وَعَلَيْهِ نَاحَتْ فِي الْأَرَاكِ حَمَائِمُ	هَاجَتْ لَهَا بَيْنَ الصُّلُوعِ شُجُونُ
سَلِّ بِالْبَسِيطَةِ هَلْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا	تُخْبِرُكَ مِنْهَا سَهْلَةٌ وَحَزُونُ
إِنَّ الْبِلَادَ تَزَلْزَلَتْ فَكَأَنَّمَا	أَلْقَى دُهُولًا مَا عَلَيْهِ النُّونُ ⁽³⁾

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

وقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

وقوله: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

(2) الأبيات من بحر الكامل.

(3) النون: الحوت أو شفرة السيف!!



أَصْحَتْ بِهَا الْأَنْوَارُ وَهِيَ دُخُونُ
فِي يَوْمِنَا أَمْ نُورُهَا مَحْبُونُ⁽¹⁾
لِلنَّاسِ فِيكَ وَفِي بَيْتِكَ يَبِينُ

يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الصُّخُورِ سَفِينُ
وَالآنَ [قَلْبِي] مِنِّي إِلَيْهِ حَزِينُ
فَقَدْتُكَ مِنْهُمْ فِي الْوُجُودِ عُمُونُ
وَلَطَّالَمَا قَدْ كُنْتَ فِيهِ تَزِينُ
يُؤَدِّيهِ وَجْهٌ وَاضِحٌ وَجَبِينُ
فَكَأَنَّ لَفْظَكَ دُرُّنَا الْمَكُونُ
يَحْيَى بِهَا الْمَفْرُوضُ وَالْمَسْنُونُ
صَلَحَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَتَنَجَّزَ الدِّينُ
فِيهِ لَهَا الْإِحْسَانُ وَالتَّحْسِينُ
ظَمًا وَمَا لِلدَّمَعِ مِنْكَ مَعِينُ
وَالنَّوْمُ مِنْ كُلِّ الْعُمُونِ مَكِينُ
حَتَّى لَيْسْتَغْنِي بِهِ الْمُسْكِينُ
فَتَرَوْقُنَا أَبْكَارُهَا وَالْعُمُونُ⁽³⁾

يَا حَسْرَةَ عَظُمْتَ فَكَأَنَّتْ غُمَّةٌ
بِاللَّهِ، هَلْ طَلَعْتَ لَنَا شَمْسُ الصُّحَى
يَا أَوْحَدَ السَّادَاتِ فَضْلًا لَمْ يَزَلْ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ رَضْوَى [زَائِلُ]⁽²⁾
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الْبَحْرَ قَبْلَكُمْ
نَادِيكَ كَانَ حُضُورُهُ بِرِحَالِنَا
مَا أَنْصَفَ الْخُدَّامُ إِذْ عَاشُوا وَقَدْ
يَا وَخَشَةَ الْقَصْرِ الَّذِي أَخْلَيْتَهُ
أَيَّنَ التَّهَلُّلُ فِي الْمَجَالِسِ مِنْكُمْ
أَيَّنَ الْبَلَاغَةُ... فِي أَسْمَاعِنَا
أَيَّنَ الْقِرَاءَةُ فِي مَقَامِكَ سِيرَةً
أَيَّنَ الْأَوَامِرُ مِنْكَ تَنْفُذُ بِالَّذِي
أَيَّنَ الطَّعَامُ تُعَدُّهُ لِحِمَاةِ
فَقَدُّوكَ فَلَا كِبَادَ مِنْهُمْ تَشْتَكِي
مَنْ لِلصَّلَاةِ يُطِيلُهَا فِي لَيْلَةٍ
مَنْ لِلنَّوَالِ يَسُحُّ فِينَا عَيْثُهُ
مَنْ لِلصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ [تَسُودُنَا]

(1) المخبون: من خبن الشيء يخبئه خبنا أخفاه.

(2) رضوى: جبل معروف ومشهور.

(3) العون: جمع عَوَان وهي النَّصْفُ من البقر وتستعار للمرأة. قال الشاعر:

تَحُلُّ سُهُولَهَا فَإِذَا فَرَّغْنَا جَرَى مِنْهُمْ بِالْأَصَالِ عُونُ



رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَخُورٌ عَيْنٌ⁽¹⁾
لَبَقِيتَ لَمْ يَنْفُذْ لَكَ التَّمَكِينُ
إِلَّا الَّذِي هُوَ غَافِلٌ مَفْتُونُ
يَبْقَى عَلَيْهِمَا مِنْ ثَرَاكَ أَمِينُ
أَبْدَأَ بِحُزْمَةٍ قَبْرِكُمْ مَضْمُونُ
مَا شَاءَ رَبُّكَ فِي الْأُمُورِ يَكُونُ
وَالْكَافُ تَنْفُذُ حُكْمَهَا وَالثُّنُونُ⁽²⁾
فِي الشَّكِّ وَهُوَ كَمَا تَرَاهُ يَقِينُ
مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْوُجُودِ سَمِينُ
أَضْحَى بِصَفْقَةٍ بَيْنَهُ مَغْبُونُ
فَالذِّكْرُ يَخْلُو مِنْهُ وَهُوَ دَفِينُ
هُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْمُصْطَفَى الْمَيْمُونُ
فَمِنْ التَّحَرُّكِ أَنْ يَكُونَ سُكُونُ
فَالْفَضْلُ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ مُبِينُ
رَاضٍ، وَسَوْفَ تَقْرَأُ فِيهِ عُيُونُ
وَالسَّعْدُ فِيكُمْ صَاحِبٌ وَخَدِينُ⁽³⁾

بُشْرَاكَ مَا قَدْ نِلْتَهُ مِنْ أَجْرِهَا
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ فَاضِلٌ لَفَضِيلَةٌ
هِيَ هَاتِ لَا يَغْتَرُّ بِعَدِكَ فِي الدُّنَا
بُشْرَى لِأَرْضٍ أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةٌ
فَالْأَمْنُ فِيهَا وَالرَّخَاءُ كِلَاهُمَا
يَا ابْنَ الْهَمَامِ تَعَزَّيَا وَتَجَمُّلَا
الْمَرْءُ يَرْجُو أَنْ يَطُولَ بَقَاؤُهُ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّنَا مِنْ مَوْتِنَا
وَلَوْ بِالْبَهَائِمِ مِنْهُ تَعْلَمُ عَلَمْنَا
رَضْدُ الْحُتُوفِ عَلَى النُّفُوسِ مُوَكَّلُ
مَنْ بَاعَ أَخْرَاهُ بِدُنْيَاهُ فَقَدْ
وَمَتَى التَّقَى الرَّحْمَانُ فِي أَحْوَالِهِ
وَإِذَا الرَّايَا لَمْ تَزَلْ مَثْبُوتَةً
مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى الْإِلَـ
وَسَبِيلُ كُلِّ تَجَمُّعٍ لِيَتَفَرَّقُ
وَبِكَ الْعَزَاءُ وَبِالْهَمَامِ أَخِيكُمْ
يُسْلِيكُمْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ عَنْكُمْ
لَا زِلْتُمْ وَالْأَمْرُ يُؤْثِرُ رَغِيكُمْ

(1) العين: تطلق على كل ذي عين واسعة ومنها قوله تعالى: ﴿وَخُورٌ عَيْنٌ﴾. وفي الحديث: «إن في الجنة لحور عين».

(2) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(3) الخدن والخدين: الصديق وفي اللسان: الذي يخادتك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن.



مَوْلَايَ هَذِي نَفْسُهُ مَا قُلْتُهَا
عُذْرِي يَلُوحُ عَلَى تَبْلُدِ خَاطِرِي
يَا قَبْرَ سَيِّدِنَا الْكَرِيمِ مَزَارُهُ
[وَعَدْتُ] مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
مِنَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ عَدَدَ الْحَصَى
إِلَّا وَذَهْنِي بِالْأَسَى مَجْنُونُ
خَرَسَ اللِّسَانُ فَلَا يَكَادُ يُبِينُ
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ فَهُوَ مَعِينُ
تَصِلُ الصَّلَاةُ يَوْمَهَا جَبْرِينُ⁽¹⁾
مَا فَاحَ عِرْقُ [أَنْبَتُهُ دَرِينُ]⁽²⁾

ثُمَّ قُلْتُ «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» وَإِنَّا بِكُمْ يَا سَيِّدَنَا لَمَخْزُونُونَ، وَذَلِكُمْ حُكْمُ تَعَمَّدَ بِهِ الْكَافُ وَالنُّونُ، مِمَّنْ ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾⁽³⁾ فَنَسَأَلَ اللَّهُ الَّذِي مَنَحَكُمْ حُبَّهُ، وَاخْتَارَ لَكُمْ قُرْبَهُ، أَنْ يُسْكِنَكُمْ جَنَّتَهُ، وَيَجِدَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَيَنْفَعَكُمْ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْمَنْجَرِ الرَّابِحِ، وَأَنْ يُجَارِيَكُمْ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، عَلَى مَا أَوْلَيْتُمْ مِنَ النِّعَمَاءِ، وَيُحْسِنَ عَزَاءَ الْجَمِيعِ فِيكُمْ وَيُتَمِّعَ السِّيَادَةَ بِبَقَاءِ سَادَاتِنَا الْأَكْرَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَبَعْدَ إِنْشَاءِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَشَارَ عَلَيَّ الشَّيْخُ الْمُؤَقَّرُ الْمُعْظَمُ أَبُو مُوسَى ابْنِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْمَرْحُومِ أَبِي حَفْصٍ أَدَامَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِتَبْدِيلِ بَعْضِ مَعَانِي الْأَبْيَاتِ التَّسْعَةِ الَّتِي بَعْدَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَأَبْدَلْتُهَا بِهَذِهِ:

تَبْكِي الْعُيُونُ لَهُ وَحَقٌّ لَهَا دَمًا
فَجِئْتُ بِهِ دَمْعُ الْقُلُوبِ مِنَ الْوَرَى
وَلِكُلِّ عَيْنٍ زَفْرَةٌ وَتَفْجُجُ
دَمْعٌ عَلَى فَقْدِ الْهُمَامِ هَتُونُ
وَيَبِيْتُ يَشْكُوهُ التَّقَى وَالذِّينُ
فَلِكُلِّ قَلْبٍ زَفْرَةٌ وَأَنْزِينُ

❖

(1) لغة في جبريل.

(2) دارين: منطقة اشتهرت بالطيب والمسك حتى ضرب المثل بها في ذلك، فقيل: «هذا كمسك دارين»، وهي هنا مخففة.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 23.



وَمَتَى تَحَرَّكَتِ الْغُصُونُ لِفَقْدِهِ فَكَأَنَّ أَفْئِدَةَ الْأَنْامِ غُصُونُ
سَلَّ بِالْبَسِيطَةِ هَلَّ بِهَا مِنْ خَالِدٍ تُخْبِرُكَ مِنْهَا سَهْلَةٌ وَحَزُونُ
إِنَّ الْمُنُونِ بَدَأَتْ لِجَمِيعِهَا يَمُوتُ وَتَحْتَهُ النُّونُ
يَا حَسْرَةً عَظُمَتْ فَكَانَتْ عِبْرَةً نَظَرْتَ بِهَا الْأَيَّامُ كَيْفَ تَخُونُ
لَوْلَا أَوْلُوا الْأَمْرِ الَّذِينَ بَقَوْا لَبَدَتْ ذُكَاءٌ⁽¹⁾ وَنُورُهَا مَخْبُونُ

ثُمَّ قُمْتُ عَلَى قَبْرِهِمْ أَيْضًا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ يَوْمِ الدَّفْنِ: فَأَنْشَدْتُ لِنَفْسِي
أَيْضًا وَدَمَعِي يَفِيضُ فَيْضًا⁽²⁾:

فَقُوا لِي نَبِكَ مِنْ ذِكْرِ الْهَمَامِ وَنُورِ الْفَضْلِ فِي أَعْلَى الشَّمَامِ
فَقُوا حَيًّا الصَّرِيحَ مَعِيَ اهْتِمَامًا فَقَدْ أَعْيَى السُّلُوْ عَلَى غَرَامِي
فَقُوا قَبْلَ التَّفَرُّقِ [بِي] قَلِيلًا أَعَزَّى الْمَجْدَ فِي فَقْدِ الْكَرَامِ
أَحَقًّا تُسَلِّمُونَ كَذَا عُلَاهُ وَحِيدًا فِي التَّرَابِ بِلَا اخْتِشَامِ
وَتَنْصَرِفُونَ عَنْهُ وَكَانَ حَيًّا يُحِبُّكُمْ وَلَسْتُمْ بِاللُّئَامِ
وَلَكِنْ كُلُّكُمْ حُرٌّ وَفِيَّ رَفِيعُ الْقَدْرِ مَشْكُورُ الْمَرَامِ
أَفِيكُمْ حَافِظٌ لِلْعَهْدِ يَبْكِي عَلَى قَدْرِ الْمَوَدَّةِ وَالذَّمَامِ
أَسِيدِنَا، فَجَعْنَا فِيكَ طُرًّا بِسُلْطَانِ الْأَسَى خَلْفَ اخْتِكَامِ
دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنَّا فِي انْتِشَارِ وَحُزْنُ الْقَلْبِ مِنَّا فِي انْقِصَامِ
أَسِيدِنَا أَتَسْمَعُنِي دَفِينًا فَأَشْكُو مَا بِقَلْبِي مِنْ سَقَامِ

(1) ذُكَاء: الشمس.

(2) الأبيات من الوافر.



عَزِيزٌ إِنَّ وَجْهَكَ عَنَانَاءِ
أَقُومُ إِلَي رِثَائِكَ فِيهِ حُزْنًا
فَيَا قُرْبَ انْتِقَالِ الْحَالِ عَنِّي
تَرَامِي الْوَجْدُ فِي شَأْوٍ بَعِيدًا
وَأَذْكُرْنِيكَ كُلَّ ضَحَى وَعَصِيرِ
بَكَتْ شَجْوًا بِلَا دَمْعٍ مُرَاقٍ
وَمِنْ عَجَبٍ غَرِيقٌ فِي بَحَارِ
سَطَا سَهْمُ الرِّزْيَةِ فِي قُلُوبِ
فَيَا عَيْنِي وَفِي الْعَيْنَيْنِ سُهْدٌ
سَلَامُ اللَّهِ مُوْضُولًا عَلَى مَنْ
سَلَامُ اللَّهِ مُوْضُولًا عَلَى مَنْ
هُمَامٌ سَرَّنَا دُنْيَا وَدِينَا
وَكَانَ لَنَا نَدَى وَتُقَى رَوْوفا
وَكَانَ بِكُلِّ مَضْلَحَةٍ وَبِرٍّ
وَكَانَ لِسِعْرِنَا أَبَدًا رَخَاءِ
خَلَّتْ مِنْهُ الْقَبَابُ وَكَانَ فِيهَا
فَلَوْ أَبْصَرْتَهَا لَرَأَيْتَ ضُرًّا
بِنَادٍ شَاقِبِي فِيهِ قِيَامِي
فَكَمْ لِي امْتِدَاحِكَ مِنْ مَقَامِ
كَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ فِي مَنَامِي
وَمَا يُغْنِي التَّطَارُحُ وَالتَّرَامِي
وَمِمَّا هَاجَنِي سَجْعُ الْحَمَامِ
وَقَدْ أَغْرَقْتُ فِي دَمْعِي خِيَامِي
وَيَشْكُو بِاخْتِدَامٍ وَاضْطِرَامِ
هِيَ الْأَهْدَافُ وَالْأَقْدَارُ رَامِي
حَرَامٌ بَعْدَهُ طَعْمُ الْمَنَامِ
غَذَانًا بِالشَّرَابِ وَبِالطَّعَامِ
تَحِيَّتُهُ تَزِيدُ مِنَ السَّلَامِ
فَيَا أَسْفَا عَلَى ذَاكَ الْهُمَامِ
رَحِيمًا [مُحْسِنًا حَسَنَ الْكَلَامِ]
كَفِيلًا ذَا اعْتِنَاءٍ وَاهْتِمَامِ
وَكَانَ بِحِمَصٍ ⁽¹⁾ مِصْبَاحِ الظَّلَامِ
شَقِيقِ الْبَذْرِ فِي لَيْلِ التَّمَامِ ⁽²⁾
لِمَا قَدْ كَانَ فِيهَا مِنْ قَسَامِ

(1) حمص: يعني بها مدينة إشبيلية التي كان أبو إسحاق واليا عليها.

(2) ليل التمام: أطول ما يكون من الليل ويكون لكل نجم هوي من الليل يطلع فيه حتى تطلع كلها فيه.



يُعَلِّمُنَا الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ
وَقَدْ أَلْفَتْهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ
وَمَنْ لِلشُّكْرِ فِي كُلِّ الْمَرَامِ
جُفُونِي كَحَلَّتْ دَيْمَ الرَّهَامِ
وَدَعْ مَا يَدَّعِي صَوْبُ الْغَمَامِ
وَأِنْ نَادَيْتُ عَامًّا لِلْأَنَامِ
فَهَلْ صَبِرُ عَلَى فَقْدِ الْعِظَامِ
يُخَلِّدُ مِنْ بَنِي سَامٍ وَحَامِ
وَلَا طَوْلُ الصَّبَابَةِ وَالْغَرَامِ
وَعُمُرُ الْمَرْءِ فِيهَا لَانْصِرَامِ
وَمَنْ لِلْمَرْءِ فِيهَا بِالْأَدْوَامِ
تُرَى الْأَعْمَارُ فِيهَا فِي انْهِيَامِ
وَلِلْبَشَرِ انْتِقَاصُ كُلِّ عَامِ
وَعِزُّ الْعَذْبِ لَيْسَ بِذِي زَحَامِ
بَصِيرَةٌ فَاسْتَعْدُوا لِلْحِمَامِ
فَطَالَ الزُّهْدُ فِي قِصْرِ الْمُقَامِ
كَطِيبِ الْمِسْكِ مَفْضُوضِ الْخِتَامِ
جَمَالَ الزَّهْرِ مَفْتُوحِ الْكِمَامِ
[حَظِيتُمْ بِالْإِيَابِ مَعَ الْأَنَامِ]

فَقَدْنَا مَنْ مَجَالِسُهُ سَمَاعًا
وَأَوْحَشَ مِنْهُ فِي اللَّيْلِ الدَّرَارِي
فَمَنْ لِلْمَجْدِ فِي كُلِّ الْمَسَاعِي
أُمْتَجَعًا مَسَاقِطَ كُلِّ غَيْثِ
لِدَمْعِ السَّبْقِ فِي الشَّقِيَا فَرِزْدُهُ
أَسَادَتَنَا يَخْصُكُمُ نِدَائِي
ثَوَابُ الصَّبْرِ فِي الْأُخْرَى عَظِيمُ
رَسُولُ اللَّهِ مَاتَ فَأَيُّ حَيٍّ
عَزَاءٌ فَالْتَهَالِكُ لَيْسَ يُجْدِي
هِيَ الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ دَارُ خُلْدِ
وَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُرُورُ
نَشِيدُ اللَّبَقَاءِ بِهَا قُصُورًا
تَرَى عَدَدَ الْقُبُورِ يَزِيدُ فِيهَا
عَجِبْتُ لِلزَّحَامِ عَلَى الْمَنَابِ
فَطُوبَى لِلْأَلَى نَظَرُوا بِعَيْنِ الْـ
رَأَوْا أَنَّ الْمُقَامَ بِهَا قَصِيرُ
وَأَنْتُمْ مَعَشَرَ الزُّوَارِ طِبْتُمْ
[وَأِنْ] وَفَاءَكُمْ فِي الْحُسْنِ يُحْيِي
قَضَيْتُمْ سَبْعَةَ الْأَيَّامِ حَتَّى



فَبُورِكَ فِيكُمْ مِنْ أَهْلِ خَيْرٍ وَدَادُكُمْ يَصِيرُ إِلَى انْعِدَامٍ
وَعُوْضَتُمْ جَمِيلاً مِنْ جَمِيلٍ بِذِكْرِ اللَّهِ مِنْ نَطْقِ الْإِمَامِ
وَيَا مَنْ كَانَ [لِي ظِلًّا] وَعِزًّا فَكَانَ بِهِ وَبِاللَّهِ اعْتِصَامِي
هَنِيئًا مَا [انْتَقَلَتْ إِلَيْهِ عَنَّا] مِنَ الرُّضْوَانِ فِي دَارِ السَّلَامِ
فَلَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَنَا خَصَصْنَا يَمِينَكَ بِالسُّرُورِ وَبِالسَّلَامِ
وَأَبْصَرْنَاكَ فِي الْفِرْدَوْسِ تَمْشِي عَلَى فُرْشِ الْكَرَامَةِ ذَا ائْتِسَامِ
وَلَكِنَّ الْفِرَاقَ لَنَا فِطَامٌ فَكُلْ يَشْتَكِي أَلَمَ الْفِطَامِ
عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي دَفَنُوكَ فِيهِ مِنْ اللَّهِ الصَّلَاةَ مَعَ السَّلَامِ
ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَإِنَّكُمْ لَنَا يَا سَيِّدَنَا فَاجِعُونَ، لَكِنَّا بِمَا أَمَرْنَا بِهِ مِنَ
الصَّبْرِ صَادِعُونَ، وَلِدَمْعٍ مَنْ سَارَ لِقَضَاءِ اللَّهِ مُكْفِفُونَ، وَلِلْأَسَى [قَدَرُ الْوُسْعِ]
رَادِعُونَ، وَلَكِنْ بُعِذْتُمْ عَنَّا عَلَى قُرْبِ الْمَحَلِّ مِنَّا، فَلَقَدْ ضَرَبْتَ عَلَيْكُمْ الْقُلُوبَ قِيَابَهَا،
وَضَمَمْتَكُمْ فِي السُّوَيْدَاوَاتِ ضَمَّمَهَا أَحْبَابَهَا، وَلَقَدْ فَدَدْتُمْ بِلَدُنَّا فَقَدْ الْحَسَنَاءِ شَبَابَهَا،
وَلَا أُنْسَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ إِلَّا فِي بَقَاءِ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ نُرِيدُ صَاحِبَ نَظَرِهَا الْكَرِيمِ
وَنَسْتَفْتِحُ بِآبِهَا.

وَاللَّهُ يُطْلِعُ مِنْ رَحْمَتِهَا الْمُعْتَادَةَ، وَنِعْمَتِهَا الْمُرتَادَةَ، مَا يَسْقِي عَلَيْنَا بِهِ ذَهَابُ الْوَرْدِ
مَاهُ، وَيَعْمُرُ لِلدُّنْيَا بَنِي الْمَجْدِ سَمَاهُ، وَهُوَ الْمَسْئُولُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يُجَدِّدَ عَلَيْكُمْ -
سَيِّدَنَا- الرَّحْمَةَ وَالرُّضْوَانَ، وَيُسْكِنَكُمْ كَمَا وَعَدَ مِثْلَكُمْ الْجَنَانَ، وَيَنْفَعَكُمْ بِمَا قَدَّمْتُمُوهُ
مِنَ الْأَعْمَالِ وَبِمَا تُلَبِّي عَلَى قَبْرِكُمْ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ. وَيُحَسِّنَ فِيكُمْ عِزَاءَ جَمِيعِ أَهْلِ
الْإِيمَانِ، وَيُجَدِّدَ بَعْدَكُمْ لِسَادَاتِنَا الْأَكْرَمِينَ بَنِيكُمْ صَلَاحَ الزَّمَانِ، وَيُبْقِيَهُمْ مِنْ صُرُوفِهِ
فِي أَمَانٍ. آمِينَ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَانُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا يَتَكْفَّلُ لِلْجَمِيعِ
بِالْغُفْرَانِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ.



ثُمَّ قُمْتُ عَلَى الْقَبْرِ أَيْضًا: فِي الثَّالِثِ عَشَرَ يَوْمَ الدَّفْنِ عِنْدَ وُضُولِ ابْنِهِمُ السَّيِّدِ
الْأَجَلِ الْهُمَامِ الْأَشْرَفِ الْمَاجِدِ الْأَفْضَلِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ - أَدَامَ اللَّهُ سَعْدَهُ - مِنْ بَطْلَيْوَسَ
- حَمَاهَا اللَّهُ - فَأَنْشَدْتُ:

خَلِيلِيَّ عَوْجًا سَاعَةً بِالْمَقَابِرِ يُقْضِي بِهَا دَمْعِي حُقُوقَ الْأَكَابِرِ
فَبَيْنَ الْمُنَى وَالْقَصْرِ فِي حِمَصِ رَوْضَةٍ حَوَى تَرْبَهَا قُطْبَ الْعُلَا وَالْمَفَاخِرِ
خَلِيلِيَّ إِنْ لَمْ تُسْعِدَانِي عَلَى الْأَسَى فَحَسْبِي دَمْعِي فَهُوَ فِي الْحُزْنِ نَاصِرِي
أَرَى الْغَيْثَ فِي كَانُونٍ⁽¹⁾ يَنْزِلُ عَادَةً فَمَالِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي شَهْرٍ آخِرِ
وَمَا هِيَ إِلَّا زَفْرَةٌ تَحْرِقُ الْحَشَا بِجَنَاشِ أَسَى فِي طِيٍّ مُتَنَاصِرِ
قَضَى نَحْبَهُ فَالْدِّينُ يَبْكِي لِفَقْدِهِ [بُكَاءُ مُحَارِبٍ لَهُ وَمُتَنَاصِرٍ]
عَجِبْتُ لِقَبْرِ فِي ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ أَحَاطَ بِهِ مِنْهُ وَلَيْسَ [بِقَاصِرِ]
أَلَا حَدَّثُونِي كَيْفَ مَاتَ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى [الدَّهْرِ] بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْهُ بِقَادِرِ
أَلَمْ يَحْمِهِ الْبَاسُ الْمَحُوطُ جَنَابُهُ بِسُمْرِ الْعَوَالِي وَالرِّقَاقِ الْبَوَاتِرِ
أَلَمْ يَحْمِهِ مَا كَانَ يَحْمِي بِهِ الْوَرَى مِنَ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ الْمَصُونِ الْمُظَاهِرِ
وَكَيْفَ بِسَهْمِ الْمَوْتِ أَخْفَى مَرَاشِقًا يُدَافِعُ بِالْأَبْصَارِ أَوْ بِالْبَصَائِرِ
أَسَيْدَنَا غُيِّبَتْ عَنِّي فِي الثَّرَى فَمَنْ لِي بِقَلْبٍ بَعْدَكَ مَآثِرِ
وَجَدْتُكَ مَدْفُونًا وَلَوْ كُنْتُ حَاضِرًا دَفَنْتُكَ فِي عَيْنِي بَيْنَ مَحَاجِرِ
فَلَهْفًا عَلَى مَنْ لَا مَرَرْتُ بِقَبْرِهِ بَعِيدٌ قَرِيبٌ، غَائِبٌ فِي مَحَاضِرِ؟
كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَرَى الْقَصْرَ خَالِيًا كَأَنِّي مِنْهُ فِي الرُّسُومِ الدَّوَائِرِ
أَسْأَلُ فِيهِ عَنْكُمْ فَيَقَالُ لِي:

(1) كانون: الكانونان شهران في قلب الشتاء، لفظة رومية كانون الأول وكانون الآخر هكذا يسميهما أهل الروم. وهذان الشهران يسميهما العرب: الهراوان والهباران قاله أبو منصور الثعالبي.



وَمَا كُنْتُ تَرْضَى بِالْحِجَابِ لِرَآئِرِ
فَمَالِي أَرَاهُ بَعْدَكُمْ غَيْرَ نَاضِرِ
فَيَا قُرْبَ مَا أَضْحَى زَمَانِي غَادِرِي
إِذَا اشْتَكَّتِ الْحِزْبَاءُ حَرَّ الْهَوَاجِرِ
فِيحْسِبُ أَنَّ الْفَجَرَ طَلَعَهُ فَاجِرِ
وَيَا عَيْنُ، إِنَّ النَّوْمَ مَا عِشْتُ هَاجِرِي
فَمَا وَارِدُ حَوْضِ الْمُنُونِ بِصَابِرِ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا سَبِيلٌ لِعَابِرِ
وَلِلْمَوْتِ سُلْطَانٌ سَرِيعُ الْبَوَادِرِ
ذَخَائِرُ عِزِّ دُمُتُمْ مِنْ ذَخَائِرِ
فَقَدْ عَوَّضُونَا بِالنُّجُومِ الزَّوَاهِرِ
فَحَسِبُ الْمُنَى فِيهِ بَقَاءُ الْجَوَاهِرِ
وَرُحْمَاكَ دَابَّاءَ، إِنَّهُ خَيْرُ غَافِرِ
وَإِنْ جَادَ صَوْبُ بِالْغَمَامِ الْمُبَاكِرِ
فَحَسِبُ الثَّرَى صَوْبَ الْجُمُوعِ الْمَوَاطِرِ⁽¹⁾

أَسَيْدَنَا مَاذَا الْحِجَابُ الَّذِي نَرَى
لَقَدْ كَانَ رَوْضُ الْأُنْسِ لِي بِكَ نَاضِرًا
وَكَانَ زَمَانِي قَدْ وَفَى لِي بِوَجْهِكُمْ
فَمَ بَعْدَكُمْ لِلصَّوْمِ يَهْوَى وَصَالَهُ
وَمَنْ لِقِيَامِ اللَّيْلِ يَعْشَقُ طَوْلَهُ
فَيَا قَلْبُ، إِنَّ الْحُزْنَ مَا عِشْتُ وَاصِلِي
أَسَادَتْنَا صَبْرًا فَقُوزُوا بِأَجْرِهِ
وَهَلْ بَعْدَ مَوْتِ الْمُصْطَفَى مِنْ تَجَلُّدِ
تَأَمَّلْتُ تَأْخِيرَ الْوَفَاةِ تَعْلُلًا
وَمَا مَاتَ مَنْ أَنْتُمْ لَنَا بَعْدَ مَوْتِهِ
لَيْنَ كَانَ بَدْرٌ مِنْهُ فِي الثَّرْبِ قَدْ هَوَى
وَإِنْ سَطَّتْ يَأْقُوتَةٌ مِنْ نِظَامِهَا
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ، يَا سَاكِنَ الشَّرَى
سَقَى جَدَثًا طَيِّبَتْ مِنْهُ تَرَابَهُ
وَمَا حَاجَةٌ فِي الْغَيْثِ أَنْ يَسْقِي الشَّرَى

ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ الْعَبْدَ يَأْسَدَتْنَا بِالْعِبَارَةِ عِزِّ التَّغْزِيَةِ، وَكُلُّ قَلْبٍ مِنْهُ بِالْأَسَى فَطِيعٌ، وَعِظْمُ
الْمُصِيبَةِ قَدْ أَخْرَسَ أَلْسِنَةَ الْجَمِيعِ، لَيْسَ إِلَّا مَقَامُكُمْ السَّيِّئِ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَقَرَّ بِهِ الْعَبِيدُ
بِإِظْهَارِ التَّمَجُّعِ وَالْخُشُوعِ، وَإِنْ كَانَتْ خَرِسَتْ أَلْسِنَةُ فَلَقَدْ أَعْرَبَتْ مَا شَاءَتِ الدُّمُوعُ،
لَقَدْ عَمَّتِ الرَّزِيَّةُ يَا سَادَاتِنَا وَخَصَّتْ، وَنَصَّتْ، عَلَى الْتِهَابِ الضُّلُوعِ وَأَنْسِكَابِ
بِالدُّمُوعِ مَا نَصَّتْ، وَلَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدَاءٌ لَبَدَلْنَا فِي حَقِّ سَيِّدِنَا كُلَّ غَالٍ وَنَفِيسٍ، وَلَقَدْ نِينَاهُ

(1) الأبيات من بحر الطويل.



بِالْأَرْوَاحِ وَالنَّفُوسِ، لِكِنَّةِ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ فِدَاءٌ، [وَلَا يُطْلَبُ بِالنَّجَاةِ مِنْهُ رَجَاءٌ]، فَعَادُ عَادَةِ الْحِمَامِ، وَتَوْحُّ نَاحٍ عَلَيْهِ الْحَمَامُ، وَسَلِيمَانُ سَلَّمَ لِلْقَضَاءِ وَلَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ، وَقَارُونُ قَرَاهُ مَمَاتُهُ وَهُلْكُهُ. وَهَذَا سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ جَرَى عَلَيْهِ الْقَدَرُ الْمَخْتُومُ، نَفَذَ فِيهِ الْحُكْمُ الْمَعْلُومُ، فَأَيُّ النَّاسِ لَمْ يَكُنْ لِلْحِمَامِ مُلَاقِيًا، وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ حَيًّا وَبَاقِيًا، وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَ بِالصَّبْرِ وَالنَّدْبِ إِلَيْهِ، وَحَصَّ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ، لَذُنُبْنَا كَمَدًا، وَلَمَّا عِشْنَا بَعْدَ سَيِّدِنَا أَبَدًا، لَكِنَّا بِمَا أَمَرْنَا بِهِ مِنَ الصَّبْرِ صَادِعُونَ، فنَقُولُ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» نُسَلِّمُ فِي الرِّضَا لِقَضَاءِ اللَّهِ جَهْدَنَا، وَنُخَفِّفُ الْحُزْنَ مَا اسْتَطَعْنَا وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا عِنْدَنَا، نِيَأْسُ مِنَ الْحَيَاةِ فِي دَفْعِ الْمَوْتِ، وَرَدِّ الْفَائِتِ بَعْدَ الْقَوْتِ، فنَفْزَعُ إِلَى الدُّعَاءِ، وَنَتَضَرَّعُ فِي رَحْمَةِ سَيِّدِنَا، وَتَأْنِيسِنَا بَعْدَهُ إِلَى جِبَارِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَوْجَبْتَ فِي حَالَتِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ شُكْرَكَ وَحَمْدَكَ، وَاخْتَرْتَ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مَا عِنْدَكَ، فنَضِرُ اللَّهُمَّ ضَرِيحَهُ وَوَسَّعَ قَبْرَهُ، وَأَحْسِنَ عَزَاءَ كُلِّ مَفْجُوعٍ بِهِ وَقَوِّ صَبْرَهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ، الْمُتَّقِلِينَ إِلَى إِحْسَانِكَ، السَّاكِنِينَ فِي جَنَانِكَ، وَأَبْقِ اللَّهُمَّ عَلَيْنَا بَرَكَتَهُ بِنِيقَاءِ بَيْنِهِ الْكَرَامِ سَادَاتِنَا، وَأَدِلَّنَا بِدَوَامِ الْأَمْرِ الْعَالِيِّ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - [مَا يُيسِّرُ مِنْ عَادَاتِنَا] آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ الْأَكْرَمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

إِلَى السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْأَسْنَى وَالْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ الْأَزْكَى الْأَثِيرِ الْأَوْدَّ الْأَسْرَى الْأَفْضَلَ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُمْ وَعَلَاءَهُمْ، وَأَطَالَ فِي أَمَانٍ مِنْ ضُرُوفِ الزَّمَانِ بَقَاءَهُمْ. أَخُوهُمْ الْمُؤَثِّرُ لَهُمُ الْوَادُّ فِيهِمُ الْحَفِيُّ بِهِمْ عَيْسَى بْنُ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. سَلَامٌ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ.

فَالكِتَابُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ حُسْنَ الْعَزَاءِ، وَالْحِرَاسَةَ مِنْ طَوَارِقِ الْأَرْزَاءِ. مِنْ حَضْرَةِ مُرَّاكَشٍ - كَلَّاهَا اللَّهُ - وَلِلْأَمْرِ الْعَزِيزِ - أَدَامَهُ اللَّهُ - مَعَهُودُهُ مِنْ عُلُوِّ الْمَقَامِ،



وَنَضِرُ الْأَعْلَامَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكُمْ حَمْدًا يَتَكَفَّلُ لِلنَّعَمِ بِالْدَّوَامِ. وَعِنْدِي الَّذِي تَعْلَمُونَهُ - وَصَلَّ عِزَّتُكُمْ مِنْ إِيثَارِكُمْ، وَاسْتِطْلَاعِ أَحْوَالِكُمْ وَأَخْبَارِكُمْ، وَحِفْظِ عَهْدِكُمْ وَإِخْلَاصِ وَدُّكُمْ وَصَلَّ اللَّهُ ذَلِكَ فِي ذَاتِهِ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِ صِفَاتِهِ، وَبَعْدُ:

وَصَلَّ اللَّهُ بِقَاءَكُمْ، وَحَرَسَ حَوْبَاءَكُمْ، وَأَحْسَنَ عَلَى الْخُطْبِ الْفَادِحِ عَزَاءَكُمْ. فَإِنَّ الْأَيَّامَ كَمَا عَلِمْتُمْ مَظَنَّةَ الْحَوَادِثِ وَالْخُطُوبِ، وَمَوْلَعَةً بِمَوَالَاةِ الْأَرْزَاءِ عَلَى بَيْنِهَا وَالْكُرُوبِ، لَا تَمْتَنِعُ لِأَخٍ أَحَا، وَلَا يَخْلُ جَلًّا، وَلَا تَرْقُبُ فِي أَحَدٍ ذِمَّةً وَلَا إِلَّا⁽¹⁾. فَطُوبَى لِمَنْ أَخَذَ فِيهَا حِذْرَهُ لِلْمَوْتِ، وَأَعَدَّ الزَّادَ قَبْلَ الْقَوْتِ، وَقَدْ نَفَذَ قَضَاءَ اللَّهِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيدَ لِمَخْلُوقِ ذِي رُوحٍ عَنْهُ، بِمَا فَجَعَ النَّفْسَ، وَنَقَى الْأَنْسَ، وَأَفَاضَ الدَّمُوعَ، وَأَخْرَمَ الضُّلُوعَ، مِنْ وَفَاةِ أَخِيكُمُ الْأَجَلِّ وَصِنُوكُمُ الْأَعَزَّ الْأَكْرَمَ أَبِي زَكَرِيَّا رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَرَّمَ مَثْوَاهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَنْزِلَهُ وَمَأْوَاهُ.

وَإِنَّ هَذَا الرُّزْءَ - أَدَامَ اللَّهُ حَيَاتَكُمْ - وَإِنْ كَانَ مَوْضِعُهُ مِنَ التَّفَجُّعِ مَوْضِعُهُ، وَمَوْقِعُهُ مِنَ التَّوَجُّعِ مَوْقِعُهُ، فَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَبِيلُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، وَمَجْرَى الْمُسْتَفْدِمِ وَالْمُسْتَأَخِرِ. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالصَّبْرِ وَنَدَبَ إِلَيْهِ، وَحَظَّ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ مَا أُعِدَّ لِمُؤْتِرِهِ مِنَ الثَّوَابِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽²⁾ وَمِثْلُكُمْ مَنْ رَغَبَ فِي الْجَزِيلِ وَهُوَ الْأَجْرُ، وَأَخَذَ بِالْجَمِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ.

فَعَزَاءُ أَيُّهَا الْأَخُ الْأَكْرَمُ وَالْعَزَاءُ بَيْنَنَا مُشْتَرَكٌ، وَاللَّهُ يُلْهِمُنَا أَجْمَعِينَ التَّسْلِيمَ لِأَمْرِهِ [وَيَجْعَلُنَا] مِمَّنْ لَا يُلْحَقُهُ بِالْجَزَعِ عَلَى الْفَائِثِ دَرَكٌ. وَقَدْ صَارَ أَخُوكُمُ الْمَذْكُورُ - وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِلَى اللَّهِ مَرْجُوءًا مَا لَدَيْهِ مِنْ رِضْوَانِهِ وَرُحْمَاهُ، وَاللَّهُ يَرُوضُ نَرَاهُ، وَيُكْرِمُ مَثْوَاهُ، وَيَجْعَلُنَا عَلَى أَحْذَرِ مِمَّا نَلْقَاهُ، وَجَوَابُكُمْ - أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَكُمْ - مُرْتَقِبٌ

(1) مقتبس من قوله تعالى في سورة التوبة الآية: 8. ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾. وقوله تعالى: ﴿لَا يَرْفُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

سورة التوبة، الآية: 10.

(2) سورة الزمر، الآية: 11.



بِمَا يُسَلِّي النَّفْسَ، وَيُهْدِي الْأَنْسَ، مِنْ إِثَارِكُمْ لِلصَّبْرِ وَالْإِحْسَابِ، وَاخْتِيَارِكُمْ لِلْأَجْرِ
وَالثَّوَابِ. وَاللَّهُ [نَدْعُوا] أَنْ يَزِيدَ مِنْ عِلَائِكُمْ، وَأَنْ يُقَرِّبَنَا مِنْ وَلَائِكُمْ وَالسَّلَامِ.
وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمُ الْأَيُّرُ، وَصَلَ اللَّهُ مُدَّةَ حَيَاتِكُمْ، وَوَصَلَ لَكُمْ الْحَاجَةُ الَّتِي
تَحْفَظُكُمْ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَتَقِيكُمْ مِنْ عَشَرَاتِكُمْ، وَذَكَرْتُمْ أَنَّكُمْ تَلَقَّيْتُمْ قَضَاءَ اللَّهِ فِي فَقْدِ
أَخِيكُمُ السَّيِّدِ الْمُكْرَمِ الْمَرْحُومِ. فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ، وَرَوْحُهُ وَرِيحَانُهُ، بِالتَّسْلِيمِ
وَالْتَّفْوِيزِ، عَلَى أَنَّ الْحَادِثَ فِيهِ كَادَتْ لَهُ النَّفْسُ تَفِيضُ، وَالْعَيْنُ لَهُ تَغِيضُ، [وَذَلِكُمْ
الْخَلِيلُ الْأَحَقُّ بِأَمْثَالِكُمْ]، وَاللَّهُ يُنْقِيكُمْ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

وَفِي عِلْمِكُمْ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ - أَنَّ مَقَادِيرَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ التَّجَمُّلِ وَالتَّصَبُّرِ عِنْدَ
حُدُوثِ فَوَادِيحِ الْأُمُورِ. وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُضَاعِفَ لَكُمْ بِفَضْلِهِ الثَّوَابَ، عَلَى مَا يَكُونُ
مِنْكُمْ أَيْضًا مِنَ الصَّبْرِ وَالْإِحْسَابِ، فِيمَا نَفَذَ بِهِ الْقَدْرُ الْمَحْتَمُومَ مِنْ وَفَاةِ أَخِيكُمُ أَبِي
زَكَرِيَاءَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَجَعَلَهُ مِمَّنْ أَسْعَدَهُ بِلِقَائِهِ، وَأَزَلَفَهُ فِي أَوْلِيَائِهِ. وَمَنْ عِلِمَ الْأَيَّامَ
عِلْمَكُمْ بِهَا لَمْ يَرِ عَ حَدِثٍ مِنَ الْحَوَادِثِ سَرِبَهُ، وَلَا كَدَّرَ مِنَ التَّفْوِيزِ لِأَمْرِ اللَّهِ شَرْبَهُ،
بَلْ يَقُوضُ إِلَى اللَّهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ، وَيُسَلَّمُ لِأَمْرِهِ فِي الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ.

«فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» عَلَى فَقْدِ الْإِخْوَانِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَمَهْمَا عَظُمَتِ
الْمُصِيبَةُ عَزَّتْ فِيهَا الْمُصِيبَةُ بِرُسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ لَحَدَهُ اللَّاحِدُ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

مَقَامُ سَيِّدِنَا الْأَعْلَى السَّيِّدِ الْأَجَلِ الْمُعَظَّمِ الْأَسْنَى الْأَرْزَعِ الْأَمَّجِدِ وَالْأَكْمَلِ الْمُكْرَمِ
الْأَفْضَلِ الْأَرْضَى أَبِي عَلِيٍّ: حَرَسَ اللَّهُ أَرْجَاءَهُمْ، وَأَطَالَتِ السَّعَادَةُ بَقَاءَهُمْ، وَأَحْسَنَ
عَلَى كُلِّ حَدِثٍ مُؤَلِّمٍ عَزَاءَهُمْ.

مُعَظَّمُ قَدْرِهِمْ، وَمُقَرَّرُ بِفَضْلِهِمْ، الْكَلْفُ بِكَبِيرِ حَقِّهِمُ الْمَحَافِظُ عَلَى مَا يَجِبُ مِنْ
بِرِّهِمْ، الشَّاكِرُ لِمَجْدِهِمْ مُوسَى بْنُ السَّيِّدِ أَبِي مُوسَى.



كَتَبَ مُعْظَمَ جَلَالِكُمْ، وَشَاكِرَ أَفْضَالِكُمْ، كَتَبَ اللهُ لِمَكَانِكُمْ السَّنِيَّ انْفِسَاحَ الزَّمَانِ، وَلَا زَالَ مِنْ صُرُوفِهِ فِي أَمَانٍ. مِنْ حَضْرَةِ مُرَّاكَشٍ - حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى - عَنِ الْوَاجِبِ مِنْ تَوْفِيرِكُمْ وَإِعْظَامِكُمْ، وَالْمُقْتَرَضِ مِنَ الْإِكْبَارِ وَالْإِجْلَالِ لِسَنِيِّ مَقَامِكُمْ، وَالشُّكْرِ لَاغْتِنَائِكُمْ، بِإِذْخَالِ الشُّرُورِ بِمُخَاطَبَتِكُمْ الْكَرِيمَةِ وَاهْتِمَامِكُمْ، وَاللهُ الْمُعِينُ. عَلَى أَذَاءٍ وَاجِبِكُمْ، وَالْمُنْجِدُ عَلَى مَا يَتَّعِنُ لِكَرِيمِ جَانِبِكُمْ.

وَقَدْ وَرَدَ عَلَى مُلْتَرَمِ شُكْرِكُمْ وَتَعْظِيمِكُمْ كِتَابُكُمْ الْأَشْرَفُ الْأَكْرَمُ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ وَارِدِ مَبْرُورٍ مُجَلٍّ، وَبِأَنْوَارِ السِّيَادَةِ مُتَجَلٍّ. فَتَلَقَّاهُ بِوَاجِبِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالشُّكْرِ، وَسُرَّ بِهِ سُرُورُهُ بِذَخَائِرِ الدَّهْرِ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُ كَيْفَ يَسْلُكُ طَرِيقَ الْاِخْتِسَابِ، عِنْدَ حُدُوثِ الْمُصَابِ، فَيَحْظِي سَالِكُهُ بِالثَّوَابِ وَالْأَجْرِ. فَانْتَفَعَ مُعْظَمُكُمْ بِمَعَانِيهِ، الذَّلَالَةِ عَلَى مَنَازِلِ الصَّبْرِ وَمَعَانِيهِ، انْتِفَاعًا، بَلْ شَفَى الْجَزَعَ وَالْوَجْدَ، وَأَرْشَدَ إِلَى التَّجَمُّلِ عَلَى الْحَادِثِ الَّذِي عَلِمْتُمْ قَبْلَ وَالْحَادِثِ الَّذِي طَرَأَ بَعْدَ، وَذَلِكُمْ - حَرَسَ اللهُ أَنْوَارَكُمْ - أَنَّ قَضَاءَ اللهِ نَفَذَ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِوَفَاةِ أَحْيِكُمْ سَيِّدِي الْأَجَلِ الْأَسْنَى الْأَسْمَى الْأَعَزَّ الْأَكْرَمَ الْأَفْضَلَ أَبِي زَكَرِيَاءَ. رَوَّضَ اللهُ مَسْرَاهُ، وَتَغَمَّدَهُ بِرُضْوَانِهِ وَرُحْمَاهُ، فَاتَّبَعَ الْأَسَى بِالْأَسَى، وَالْفَرْقَ بِالْفَرْقِ، وَقَضَى عَلَى مُقَلَّةِ الْعَيْنِ بِالرُّسُوبِ فِي دَمْعِهَا وَالْعُرْقِ.

«فَإِنَّا اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» عَلَى مَا هَدَدَ الْقَلْبَ مِنْ هَذَا الرُّزْءِ الَّذِي نَكَأَ الْقَرْحَ، وَجَدَدَ بَعْدَ الْجُرْحِ الْجُرْحَ، لَكِنَّهُ الْمَوْتُ الَّذِي يَدْعُو فَيْلَبِيهِ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَمَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللهِ وَأَعَدَّ الزَّادَ لِلْقِيَاءِ فَهُوَ الْمُفْلِحُ السَّعِيدُ؛ وَمَنْ لَا يَتَعَلَّمُ الْعَزَاءَ، مَهْمَا أَلَحَّتِ الْأَرْزَاءُ.

وَاللهُ يُحْسِنُ عَزَاءَكُمْ، وَيَخْتِمُ بِذَا الرُّزْءِ أَرْزَاءَكُمْ. وَأَمَّا مُعْظَمُ جَلَالِكُمْ فَكُلُّ مَا أَصَابَ جَانِبَكُمْ - حَرَسَهُ اللهُ - فَهُوَ لَهُ مُصِيبٌ، وَلَهُ مِنَ التَّأَلُّمِ لَهُ الْحَظُّ الْوَافِرُ وَالنَّصِيبُ، إِيْجَابًا لِحَقِّكُمْ الْكَبِيرِ، وَقِيَامًا بِوَاجِبِكُمْ الَّذِي [أَنْتُمْ بِهِ] فِي كُلِّ حَالٍ جَدِيرٍ.

وَاللهُ يُبْقِي بَرَكَتَكُمْ، وَيَخْرُسُ مَكَانَتَكُمْ، وَيُفْسِحُ فِي السَّعَادَةِ مُدَّتَكُمْ وَزَمَانَكُمْ. وَسَلَامُ اللهِ الْكَرِيمِ عَلَى مَقَامِكُمْ السَّامِيِّ وَرُحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

البَابُ الثَّامِنُ عَشَرُ

في الأوصاف على اختلاف الأنواع والتصرف في
التشبيهات والإبداع



رِجَالُهُ:

عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى - أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِي - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحَنَاطِ - أَبُو عَامِرِ
 بْنُ شُهَيْدٍ - أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْغَفُورِ - الْفَتْحُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ - أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ طَاهِرٍ -
 أَبُو جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ - أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ السَّقَاطِ - أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُغَاوِرٍ - أَبُو بَحْرٍ صَفْوَانُ بْنُ
 أَدْرِيسٍ - مَجْهُولٌ - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِي.

مِنْ إِنْشَاءِ عَبْدِ الْحَمِيدِ [فِي وَصْفِ طُغْيَانِ الْفُرَاتِ]:

وَأَفَى كِتَابُكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَوَارِ الْفُرَاتِ يَجِيْشُ بِأَرْجَائِهِ ⁽¹⁾ مُطْلَحِيَّةً أَمْوَاجُهُ،
 مُتَزَايِلًا فِي حُجْرَاتِهِ ⁽²⁾، أَذِيهِ صَخْبٌ وَغَطَامِيَّةٌ لَجِبٌ ⁽³⁾، وَعُلُوُّهُ مُتَوَالٍ يُسَاوِرُ الْجِبَالَ،
 وَيَدُكُ عَقَنْقَلِ التَّلَاعِ ⁽⁴⁾ قَدْ أَبَارَ أَيْتَاتِ بَنِي سَعْدٍ وَكَانُوا حُلُولًا بِوَاهِي الْعُمَرِيِّ، وَصَبَحَ
 آلَ فَلَاقٍ بِذِي الرَّمْثِ، فَطَخَطَخَ مَنَازِلَهُمْ وَأَسَالَ عِرَاصَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ بَدَا بِبَنِي سَعْدٍ،
 فَاجْتَاخَتِ السُّدُودُ أَمْوَاحَهُ بِهِمْ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَى أَمْوَالِهِمُ السَّابِيحَةُ وَخِيَامِهِمُ الزَّاهِرَةُ،
 وَعَقَدِهِمُ النَّفِيسَةُ، ثُمَّ أَخَذَ نَحْوَ أَلْوَاذِ الْخَزَرَجِ ⁽⁵⁾، فَحَدَرَتْ مِنْ رُغْبِهِ الْقَبَائِلُ، وَزَخَرَتْ
 الْهَرَجُ فِي وَادِ الْقَرْصِ فَهُمْ كَثْرَةٌ جَفَاءٌ فِي أَوْدِيَةٍ ⁽⁶⁾، كُلُّ تُسْتَنٍّ أَمْوَاجُهُ مُتَدَارِكَةٌ، وَتُعْتَلِّجُ
 زَوَائِدُهُ هَائِلَةً، لَا يَمُرُّ بِقَائِمٍ إِلَّا هَدَمَهُ لَجِبُهُ، وَلَا يَحُلُّ وَادِيًا إِلَّا أَخْرَقَهُ مَسِيلُهُ، وَلَا يَتَحَدَّرُ
 مَنَصِبًا إِلَّا أَبْقَى بِهِ أَخَاقِيْقَ وَمُسْتَنَّ رَقْرَاقٍ ⁽⁷⁾ فَسُكُورُهُ وَاهِيَةٌ ⁽⁸⁾، وَفُتُوْقُهُ مُتَدَاعِيَةٌ، قَدْ أَجْفَلَ

(1) الأرجاء: النواحي، والمفرد رجاء.

(2) الحجرات: النواحي، متزايلًا: متفرقا.

(3) الأذي: الموج الغطامط: صوت اضطراب الموج.

(4) العقنقل: الكتيب العظيم.

(5) لوذ الوادي: منعطفه.

(6) الجفاء: ما نفاه السيل.

(7) الأخاقيق: كسور في الأرض وشقوق: الجاري أو المضطرب، الرقراق: الماء الجاري جريا سهلا.

(8) السكور: جمع سكر، وهو المسئلة أو ما يسد به ماء النهر لئلا يندفع.



أَهْلَ جَنْبَتَيْهِ هَرَبًا، وَأَمْسَكُوا اللَّفَاءَ⁽¹⁾ بِأَيْدِيهِمْ عَنْ مُعَالَجَةِ سُكُورِهِ، وَالْأَنْفَاقِ مِنْ مَرَمَةِ
بَرَزَنْدَاتِهِ⁽²⁾ لِمَا رَأَوْا مِنْ هَائِلٍ مَصْبِيٍّ وَإِقْبَالِ تَيَّارِهِ.

وَقَدْ أَصْبَحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُزْتَاعًا وَجَلًّا لِمَا أَصْبَحَ بِأَهْلِ حُجْرَاتِ الْفُرَاتِ مِنَ الْإِشْفَاءِ
عَلَى الْغَرَقِ، عَلَى الَّذِي أَخْدَقَتْ بِهِمْ أَوْدِيَّتُهُ الْمَخُوفَةُ، وَتَزَايَدَ عَلَيْهِمْ هَوْلُهُ الرَّاعِبُ،
فَأَوْشَكَ مِمَّا تُتْرَدُّ أَمْوَاجُهُ، وَتَتَأَكَّلُ عِبْرَتُهُ⁽³⁾، وَتَتَدَاعَى بُتُوقُهُ، وَتَنْخِزِلُ سُكُورُهُ، إِنْ نَمَتْ
غَوَالِبُ لَجَبَاتِهِ وَتُرَادَفَ سَوَائِلُ سُيُولِهِ، فَإِذَا ضِفَّتْهُ أَضَاءُ⁽⁴⁾ يُمُوجُ بِهَا رَفْرَاقُهُ وَتَرَجَّاعُ
فِيهَا مُسْتَنَّتُهُ، وَأَهْلُهُمَا بَحِيثُ الْمُرْسِلِ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ. وَاللَّهُ [يَقِي] الْمَخُوفَ الْهَائِلَ،
وَالْمُفْطِئَ النَّازِلَ وَيُحَقِّقُ الرَّجَاءَ، وَيُنْهِي الطَّلِبَةَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ فِي ابْتِيَاعِ جَارِيَةٍ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ ثِقَتِهِ بِكَ وَأَمْلُهُ مِنْ مُبَالَغَتِكَ فِي أَمْرِهِ، أَحَبُّ أَلَّا يُشْرِكَ
مَعَكَ ذَا ثِقَةٍ مِنْ أَهْلِهِ وَحَشْمِهِ فِيمَا أَرَادَ اشْتِرَاءَهُ مِنَ الْجَوَارِي لِنَفْسِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مَا صَارَ
إِلَيْهِ مِنْهُمْ بِرَأْيِكَ اشْتَرَيْنَ وَعَنْ مَشُورَتِكَ قَبْلُنَ، فَابْتَغِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَارِيَةً مَنِبْتَهَا فِي
أَهْلِ بَيْتِ صَدِيقٍ مِنَ الْعَرَبِ، قَدْ نَجَعَ فِيهَا أَذْبُهُمْ وَنَالَهَا حُسْنُ هَذَبِهِمْ، تُقْعِدُهَا الرِّزَانَةَ
وَيُسَكِّتُهَا الْجَلْمَ، إِنْ نَهَضَتْ أَثْقَلَتْهَا أَرْذَافُهَا، وَإِنْ تَكَلَّمَتْ تَأَقَّتْ إِلَيْهَا قُلُوبُ السَّامِعِينَ،
مَنْطِقُهَا رَخِيمٌ، وَاسِعَةُ الصَّدْرِ، دَقِيقَةُ الْخَصْرِ، قَامَتُهَا مَدِيدَةٌ، وَأَطْرَافُهَا سَبَاطٌ، فَرْعُهَا
جَثْلٌ أَضْلُهُ، مُتَدَلِّ فَرْعُهُ، قَدْ جَلَّلَ ظَهْرَهَا كَثْرَتُهُ، حَتَّى سَتَرَ بِسَوَادِهِ مُشْتَمِلَ الْقَلْبِ⁽⁵⁾،
حَسَنَةُ الثَّغْرِ، لَمِيَاءُ الشَّفَةِ، وَطَفَاءُ الْأَشْفَارِ⁽⁶⁾، جَهْمَةٌ⁽⁷⁾ الْمُسْتَقْبَلِ، فَعَمَّةُ الْمُسْتَدْبِرِ، تَنْوُءُ

(1) اللَّفَاءُ: الشيء اليسير الحقير.

(2) البرزندات: الحواجز تقام على القنوات.

(3) العبرة: شاطئ الوادي.

(4) أضاء: بحيرات، والمفرد: إضاءة.

(5) القلب: جمع قلب، وهو السوار، أي أن شعرها طال حتى ستر ساقها إذ القلب هنا كناية عن الخلل.

(6) الوطف: كثرة شعر الأشفار مع طولها.

(7) جهمة: غليظة، وهذا ينأى بها عن الريبة.



بِعَجِيزَتِهَا مُقْبِلَةً وَمُذْبِرَةً، خَذَلَهُ السَّاقُ⁽¹⁾، صَخَمَةُ الرُّكْبَةِ، بَلَجَاءُ مَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ⁽²⁾، بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ مَضْحَكُهَا أَيْقُ، وَخُلُقُهَا وَثِيقُ⁽³⁾، تَخْلَطُ الْجِدَّ بِالْخَنْثِ فِي الْكَلَامِ، مَعْرُوفَةُ الْأَبْوَيْنِ، طَوِيلَةُ الْخَدَّيْنِ، قَدْ كَتَبْتُ مَا يُقْرَأُ، وَقَرَأْتُ مَا يُكْتَبُ، تُنْشِدُ مِنَ الشُّعْرِ بَعْضَهُ، وَتَقُومُ مِنْ خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهَا، إِنْ طَابَ وَلَكُذَا كَانَتْ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِ الْخِلَافَةِ، وَإِنْ أَوْتِمِنْتَ عَلَى حِمْلِ أَسْرَارِهِ اسْتَقَلَّتْ مِنْهَا بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ، قَبُولَةٌ لِلْكَرَامَةِ سَرِيعَةٌ لِلنَّهْضَةِ، مُجِيبَةٌ لِلدَّعْوَةِ، قَلِيلَةُ الْأَهْلِ، إِلَّا فِي حِرْزِ مُوَضَّنٍ، ثُمَّ اشْتَرَى لَهَا خَدَمًا يَقِينَهَا وَيَكْفِينَهَا، وَابْعَثْ بِهَا، وَخُذْ إِلَيْهَا أَمِينًا فِي دِينِهِ، مَأْمُونًا عَلَى مَا اسْتُودِعَ، يُبَلِّغُهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ صَالِحِي أَهْلِكَ وَأَصْحَابِكَ، وَارْفَعْ نَفَقَتَكَ فِي ثَمَنِهَا وَمَا ابْتَعْتَ لَهَا فِي مُحَاسَبَتِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْسِبُهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ رِسَالَةٌ تُقْرَأُ مَعْكَوسَةً:

الْإِنْسَانُ صَنِيعَةٌ⁽⁴⁾ الْإِحْسَانُ؛ وَرَبُّ الْجَمِيلِ فِعْلُ النَّذْبِ⁽⁵⁾، وَشِيْمَةُ الْحُرِّ ذَخِيرَةٌ الْحَمْدِ، وَكَسْبُ الشُّكْرِ اسْتِثْمَارُ السَّعَادَةِ، وَعُنْوَانُ الْكَرَمِ تَبَاشِيرُ الْبَشْرِ، وَاسْتِعْمَالُ الْمُدَارَاةِ، يُوجِبُ الْمُصَافَاةَ، وَعَقْدُ الْمَحَبَّةِ يَقْتَضِي النُّصْحَ وَصِدْقُ الْحَدِيثِ حِلْيَةُ اللِّسَانِ وَفَصَاحَةُ الْمَنْطِقِ سِحْرُ الْأَلْبَابِ، وَشَرَكُ الْهَوَى آفَةُ النُّفُوسِ، وَمِلَلُ الْخَلَائِقِ⁽⁶⁾ سَيْنُ الْخَلَائِقِ، وَسُوءُ الطَّمَعِ يُبَايِنُ الْوَرَعَ، وَالتِّزَامُ الْحَزَامَةِ زِمَامُ السَّلَامَةِ، وَتَطَلُّبُ الْمَثَالِبِ شَرُّ الْمَعَائِبِ، وَتَتَبُّعُ الْعَثَرَاتِ يَذْخَضُ الْمَوَدَّاتِ، وَخُلُوصُ النِّيَّةِ خُلَاصَةُ الْعَطِيَّةِ، وَتَهْنِئَةُ النَّوَالِ، ثَمَنُ السُّوَالِ، وَتَكْلُفُ الْكُلْفِ، يُسَهِّلُ الْخَلْفَ، وَتَيَقُّنُ الْمَعُونَةِ، يُسَنِّي الْمَوْوَنَةَ،

(1) خذلة: ممثلة.

(2) البلجة: نقاوة ما بين الحاجبين.

(3) في الأصل: وخلفها وميق.

(4) الصنينة: ما يصطنعه الإنسان لغيره من الخير.

(5) النذب: السيد الخفيف.

(6) الخلائق: مفردا خليفة وهي الجبلية والطبيعة.



وَفَضْلُ الصَّدْرِ ⁽¹⁾ سَعَةُ الصَّدْرِ وَزِينَةُ الرُّعَاةِ، مَقْتُ السُّعَاةِ، وَجَزَاءُ الْمَدَائِحِ، بَثُّ الْمَنَائِحِ، وَمَهْرُ الْوَسَائِلِ، تَشْفِيعُ الْمَسَائِلِ، وَمَجْلَبَةُ الْعَوَايَةِ، اسْتِغْرَاقُ الْغَايَةِ، وَتَجَاوُزُ الْحَدِّ، يُكَلِّلُ الْحَدَّ ⁽²⁾، وَتَعَدِّي الْأَدَبِ، يُحْبِطُ الْقُرْبَ، وَتَنَاسِي الْحُقُوقِ، يُنْشِئُ الْعُقُوقَ، وَتَحَاشِي الرِّيبِ، يَرْفَعُ الرُّتَبَ، وَارْتِفَاعُ الْأَخْطَارِ، بِافْتِحَامِ الْأَخْطَارِ وَتَنَوُّهُ الْأَقْدَارِ، بِمُؤَاتَاةِ الْأَقْدَارِ، وَشَرَفُ الْأَعْمَالِ، فِي تَقْصِيرِ الْأَمَالِ، وَإِطَالَةِ الْفِكْرَةِ، تَنْفِيجُ الْحِكْمَةِ، وَرَأْسُ الرِّيَاسَةِ، تَهْذُبُ السِّيَاسَةَ، وَمَعَ اللَّجَاجَةِ، تُلْغَى الْحَاجَةُ، وَعِنْدَ الْأَوْجَالِ، تَتَفَاضَلُ الرِّجَالُ، وَبِتَفَاضُلِ الْهَمَمِ، تَتَفَاوَتُ الْقِيَمُ، وَبِتَزْيِيدِ السَّفِيرِ، يَهْنُ التَّدْبِيرُ، وَبِخَلَلِ الْأَحْوَالِ، تَتَبَيَّنُ الْأَهْوَالُ، وَبِمُوجِبِ الصَّبْرِ، ثَمَرَةُ النَّصْرِ، وَاسْتِحْقَاقُ الْإِحْمَادِ، بِحَسَبِ الْجِتْهَادِ، وَوُجُوهُ الْمَلَاخِظَةِ، كِفَاءُ الْمُحَافَظَةِ، وَصَفَاءُ الْمَوَالِي، بِتَعَهُّدِ الْمَوَالِي، وَتَحَلِّي الْمُرُوءَاتِ، بِحِفْظِ الْأَمَانَاتِ، وَاخْتِبَارُ الْإِخْوَانِ، بِتَخْفِيفِ الْأَخْزَانِ، وَدَفْعُ الْأَعْدَاءِ، بِكَفِّ الْأَوْدَاءِ، وَامْتِحَانُ الْعُقَلَاءِ بِمُقَارَنَةِ الْجُهْلَاءِ، وَتَبَصُّرُ الْعَوَاقِبِ، يُؤَمِّنُ الْمَعَاطِبَ، وَاتِّقَاءُ الشُّنْعَةِ، يَنْشُرُ الشُّمْعَةَ، وَفُجَّحُ الْجَفَاءِ، يُنَافِي الْوَفَاءِ، وَجَوْهَرُ الْأَحْرَارِ، عِنْدَ الْأَسْرَارِ ⁽³⁾.

وَلَهُ الرِّسَالَةُ الرَّقْطَاءُ وَهِيَ هَذِهِ:

أَخْلَاقُ سَيِّدِنَا تُحَبُّ، وَبِعَقُوتِهِ يُلَبُّ ⁽⁴⁾، وَقُرْبُهُ تُحَفُّ، وَنَأْيُهُ تَلْفُ، وَخُلَّتُهُ نَسَبُ، وَقَطِيعَتُهُ نَصَبُ، وَغَرْبُهُ ذَلِقُ ⁽⁵⁾، وَشُهْبَةُ تَأْتَلِقُ، وَظَلْفُهُ ⁽⁶⁾ زَانٌ، وَقَوِيمٌ نَهْجُهُ بَانٌ، وَذِهْنُهُ قَلَبٌ وَجَرَّبٌ، وَنَعْتُهُ شَرَقٌ وَغَرَّبٌ:

سَيِّدٌ قَلَبٌ سَبُوقٌ مُبِرٌّ فَطِنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عَيُوفٌ ⁽⁷⁾

(1) الصدر: المتقدم في الأمور، المتصدر لها.

(2) الحد الأول: معناه الفصل بين الشيئين وأصله المنع. والحد الثاني: معناه حد السيف.

(3) الرسالة: في شرح المقامات، ص: 162-167.

(4) بعقوته يلب: أي بمنزله يقام حماية لمن يلوذ به وإكراما لمن يلجأ إليه.

(5) غرب ذلق: أي حد سيف قاطع.

(6) الظلف: المنع والكف وظلفت نفسي عن الأمر منعتها منه.

(7) العيوف: الكاره للدنيا وهو عند العرب الذي يتلف ماله كرما.



مُخْلِيفٌ مُتْلِفٌ أَغَرَّ فَرِيدٌ نَابِيَهُ فَاضِلٌ ذَكِيٌّ أَتُوفُ
مُفْلِقٌ إِنْ أَبَانَ، طَبُّ إِذَا نَا بَ هِيَاجٌ وَجَلَّ خَطْبٌ مَخُوفٌ⁽¹⁾

مَنَاظِمُ شَرَفِهِ تَأْتِلِفُ، وَشُؤْبُوبُ⁽²⁾ حِبَائِهِ يَكِفُ، وَنَائِلُ يَدِيهِ فَاضٍ، وَشُحُّ قَلْبِهِ غَاضٍ،
وَخِلْفُ⁽³⁾ سَخَائِهِ يُخْتَلِبُ، وَذَهَبُ عِيَابِهِ يُخْتَرِبُ، مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فُلَجٌ وَعَلَبُ، وَتَاجِرُ بَابِهِ
جَلَبٌ وَخَلَبُ، كَفَّ عَنْ هَضْمِ بَرِي؛ وَبَرِيٌّ مِنْ دَسَسِ غَوِي؛ وَقَرَنَ لِيَانَهُ بَعِزٌّ، وَنَكَبَ عَنْ
مَذْهَبِ كَرٍّ، لَيْسَ بِوَنَابٍ عِنْدَ نُهْزَةِ شَرٍّ، بَلْ يَعْفُ عِفَّةً بَرٍّ:

فَلِذَا يُحِبُّ وَيَسْتَحِقُّ عَفَاؤُهُ شَعَفَا بِهِ فَلَبَابُهُ غَلَابُ
أَخْلَاقِهِ غُرَّتْ رِفُّ، وَفُوقُهُ فُوقُ⁽⁴⁾ إِذَا نَاضَلْتُهُ غَلَابُ
سَحِجٌ⁽⁵⁾ يَهَشُّ وَذُو تَلَاوِفٍ إِنْ هَفَا خِلُّ فَلَيْسَ بِحَقِّهِ يُزْتَابُ
لَا بِاخِلٍّ بَلْ بِأَذِلٍّ خَرَقُ إِذَا يُعْتَرُّ⁽⁶⁾ بَرَزُ لَا يَلِيهِ بَابُ
إِنْ عَضَّ أَزَلُّ، فَلَّ غَرَبَ عِضَاضِهِ بِمَنَابِهِ، فَانْحَتَّ مِنْهُ نَابُ⁽⁷⁾

وَجَدِيرٌ بِمَنْ لَبَّ وَفَطَنَ، وَقَرَّبَ وَشَطَنَ، أَنْ أَدْعَنَ لِقَرِيعِ زَمَنْ وَجَابِرِ زَمِنْ⁽⁸⁾ مُذْ رَضَعَ
نُدْيَ لِيَانِهِ، خُصَّ بِإِفَاضَةِ تَهْتَانِهِ، نَعَشَ وَفَرَجَ، وَصَافَرَ فَأَبْهَجَ، وَنَافَرَ فَأَزْعَجَ؛ وَقَاءَ بِحَقِّ
أَبْلَجَ، أَتَعَبَ مَنْ سَيْلِي، وَقَرَّظَ إِذْ هَزَّ وَبُلِي، وَتَوَجَّ صِفَاتِهِ بِحُبِّ عَفَاتِهِ:
فَلَا خَالَذَا بَهْجَةٍ يَمْتَدُّ ظِلُّ خِصْبِهِ

(1) الأبيات من بحر الخفيف.

(2) الشؤبوبوب: المطر يصيب المكان ويخطئ الآخر فهو المطر المتفرق.

(3) الخلف: حكمة الضرع الذي يحتلب منه اللبن، ويطلق على الضرع أيضا.

(4) الفوق الأولى: تعني السهم، والثانية طرفه الذي يلي الوتر.

(5) الساحج: الطيب الخلق اللين الجانب.

(6) المعتر: من قصده السائلون والطالبون ولجأوا إليه.

(7) الأبيات من بحر الكامل.

(8) الزمن: الفقير الذي لازمه الفقر أو المريض الذي لم يفارقه مرضه.



فَإِنَّهُ بَرٌّ بِمَنْ أَنْسَ صَوَّءٌ شُهُهُ
زَانَ مَرَايَا ظَرْفِهِ بَلْبَسِ خَوْفِ رَبِّهِ⁽¹⁾

فَلِيَهِنَّ سَيِّدَنَا فَوْزُهُ بِمَفَاخِرِ تَأْكُلَتْ وَجَلَّتْ، وَقُوَّتُهُ بِصَنَائِعِ تَمَّتْ وَنَمَتْ، وَيُلَائِمُ قُرْبَ حَضْرَتِهِ، غَوْتُ رِقِّهِ بِحِطِّ مَنْ حُطِّتِهِ، فَإِنَّهُ تَلِيدُ نَذْبٍ، وَشَرِيدُ جَذْبٍ، وَجَرِيحُ نُوْبٍ أَثَرْتُ، وَنَاظِمُ قَلَائِدَ تَسِيرْتُ، إِذَا جَاشَ لِحُطْبَةِ فَلَا يُوجَدُ قَائِلٌ، ثُمَّ قُسَّ ثُمَّ بَاقِلٌ⁽²⁾، فَإِنْ حَبَّرْتُ قُلْتَ جَبْرٌ تُنَمِّتُ، وَخِلْتَ رِيَاضًا قَدْ نَمَتْ، هَذَا ثُمَّ شَرِبُهُ بَرَضٌ⁽³⁾، وَقُوَّتُهُ قَرَضٌ؛ وَفَلَقَهُ غَسَقٌ، وَجَلْبَابُهُ خَلَقٌ، وَقَدْ قَلِقَ لِتَوَغَّرِ غَرِيمٍ غَاشِمٍ، يَسْتَحِثُّهُ بِحَقِّ لَازِمٍ، فَإِنْ مَنْ سَيِّدُنَا بِكْفِهِ، بِهَبَاتِ كَفِّهِ، تَوَشَّحَ بِمَجْدِ فَاقٍ، وَبَاءَ بِأَجْرِ فَكِّي مِنْ وَثَاقٍ، لَا خَلَّتْ سَجَايَا خُلُقِهِ، تَرْفُدُ شَائِمَ بَرِّقِهِ، بِمَنْ رَبِّ أَرْزَلِي، حَيَّ أَبْيَدِي.

وَلَهُ الْخُطْبَةُ الثُّخْبَةُ - كَمَا قَالَ - بِلَا سَقَطٍ وَالْعُرُوسُ بِغَيْرِ نَقِطٍ وَهِيَ هَذِهِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَمْدُوحِ الْأَسْمَاءِ، الْمَحْمُودِ الْآلَاءِ، الْوَاسِعِ الْعَطَاءِ، الْمَدْعُوِّ لِحَسَنِ اللَّأْوَاءِ⁽⁴⁾، مَالِكِ الْأُمَمِ، وَمُصَوِّرِ الرِّمَمِ، وَأَهْلِ السَّمَاحِ وَالْكَرَمِ، وَمُهْلِكِ عَادٍ وَإِرَمٍ⁽⁵⁾، أَدْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُهُ، وَوَسِعَ كُلَّ مِضْرٍ حِلْمُهُ، وَعَمَّ كُلَّ عَالِمٍ طَوْلُهُ، وَهَدَّ كُلَّ مَارِدٍ حَوْلُهُ، أَحْمَدُهُ حَمْدٌ مُوَحَّدٌ مُسْلِمٌ، وَأَدْعُوهُ دُعَاءُ مُؤَمِّلٍ مُسْلِمٍ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْعَادِلُ الصَّمَدُ، لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، وَلَا رِذْءَ مَعَهُ وَلَا مُسَاعِدَ، أَرْسَلَ مُحَمَّدًا

(1) الأبيات من مجزوء الكامل.

(2) سبحان وباقل: خطيبان مشهوران بفصاحتهما وبلاغتهما قال الشاعر:

لَوْ أَنَّ بَاقِلًا الْمُفْهَمَ يَنْبَرِي وَلَمَدَحَهَا سَهَّلَتْ عَلَيْهِ خُرُومُهَا
وَلَوْ أَنَّ سَخْبَانًا يَسْحَبُ ذَيْلَهُ فِي ذِمَّهَا لَمْ يَذِرْ كَيْفَ يُدِيمُهَا

(3) البرض: القليل من كل شيء.

(4) اللأواء: الشدة والضيق.

(5) عاد وإرم: أمتان قديمتان وقيل إرم قبيلة من عاد، وهي اسم لكثير من القبائل، كَطَسَمٍ وَجَدِيسٍ.



لِلْإِسْلَامِ مُمَهَّدًا، وَلِلْمِلَّةِ مُوَطَّدًا، وَلِلدِّلَّةِ الرُّسُلِ مُؤَكَّدًا، وَلِلْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ⁽¹⁾ مُسَدَّدًا،
وَصَلَّ الْأَرْحَامَ، وَعَلَّمَ الْأَحْكَامَ، وَوَسَمَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَرَسَمَ الْإِحْلَالَ وَالْإِحْرَامَ،
كَرَّمَ اللَّهُ مَحَلَّهُ، وَكَمَّلَ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَهُ، وَرَجِمَ آلَهُ الْكَرَمَاءَ، وَأَهْلَهُ الرَّحَمَاءَ، مَا هَمَرَ
رُكَامَ، وَهَدَلَ حَمَامَ، وَسَرَحَ سَوَامَ، وَسَطَا حُسَامَ، اَعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَمَلَ الصِّلْحَاءِ،
وَإِكْدَحُوا لِمَعَادِكُمْ كَذَحَ الْأَصْحَاءِ، وَازْدَعُوا أَهْوَاءَكُمْ رَذَعَ الْأَعْدَاءِ، وَأَعِدُّوا لِلرَّحْلَةِ
إِعْدَادَ السُّعْدَاءِ، وَادِرِعُوا حُلَلَ الْوَرَعِ، وَدَاوُوا عِلَلَ الطَّمَعِ، وَسَوُّوا أَوْدَ الْعَمَلِ، وَعَاصُوا
وَسَاوِسَ الْأَمَلِ، وَصَوُّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُؤُولَ الْأَحْوَالِ، وَخُلُولَ الْأَهْوَالِ، وَمُسَاوِرَةَ
الْأَعْلَالِ، وَمُصَارِمَةَ الْمَالِ وَالْآلِ، وَادْكُرُوا الْحِمَامَ وَسَكْرَةَ مَضْرِعِهِ، وَالرَّمْسَ وَهَوْلَ
مُطْلَعِهِ، وَالْمَحْوِ الدَّهْرَ وَلُؤْمَ كَرِّهِ، وَسُوءَ مَحَالِهِ وَمَكْرِهِ، كَمْ طَمَسَ مَعْلَمًا، وَأَمَرَ مَطْعَمًا،
وَطَخَّطَ⁽²⁾ عَرَمَرَمًا، وَدَمَرَ مَلِكًا مُكْرَمًا، هَمَّهُ سَكُّ الْمَسَامِعِ، وَسَخَّ الْمَدَامِعِ، وَإِكْدَاءُ
الْمَطَامِعِ، وَإِزْدَاءُ الْمَسْمَعِ وَالسَّامِعِ، عَمَّ حُكْمُهُ الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعَ، وَالْمَسُودَ وَالْمُطَاعَ،
وَالْمَحْسُودَ وَالْحُسَادَ، وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ، مَا مَوَّلَ إِلَّا مَالًا، وَعَكَسَ الْأَمَالَ، وَمَا وَصَلَ
إِلَّا وَصَالَ، وَكَلَّمَ الْأَوْصَالَ، وَلَا سَرَّ إِلَّا وَأَسَاءَ، وَلَوْمْ وَأَسَاءَ، وَلَا أَصَحَّ إِلَّا وَلَدَ الدَّاءَ،
وَرَوَّعَ الْأَوْدَاءَ، اللَّهُ اللَّهُ، رَعَاكُمُ اللَّهُ، إِلَّا مَ مَدَاوِمَةُ اللَّهْوِ، وَمُواصَلَةُ السَّهْوِ، وَطُولُ
الْإِضْرَارِ، وَحَمْلُ الْإِصَارِ، وَاطْرَاحَ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ، وَمُعَاصَاةُ إِلَهِ السَّمَاءِ، أَمَا الْهَرَمُ
حَصَادُكُمْ، وَالْمَدْرُ مِهَادُكُمْ، أَمَا الْحِمَامُ مُذْرِكُكُمْ، وَالصُّرَاطُ مَسْلُكُكُمْ، أَمَا السَّاعَةُ
مَوْعِدُكُمْ، وَالسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُمْ، أَمَا أَهْوَالُ الطَّامَةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ، أَمَا دَارُ الْعُصَاةِ الْحُطْمَةُ
الْمُوصَدَةُ. حَارِسُهُمْ مَالِكٌ، وَرَوَاؤُهُمْ حَالِكٌ، وَطَعَامُهُمْ السُّمُومُ، وَهَوَاؤُهُمْ السَّمُومُ⁽³⁾،
لَا مَالٌ أَسْعَدَهُمْ وَلَا وَلَدٌ، وَلَا عَدَدٌ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدٌ، أَلَا رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا مَلِكَ هَوَاهُ، وَأَمَّ
مَسَالِكَ هُدَاهُ، وَأَحْكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ، وَكَدَّ وَكَدَحَ لِرُوحِ مَأْوَاهُ، وَعَمِلَ مَا دَامَ الْعُمْرُ

(1) الأحمر: يطلق ويراد به جميع الناس كما يراد به خاصة الروم والفرس.

(2) طحطح: أهلك وافرقت.

(3) السَّمُومُ الأولي: تعني السم القاتل، والثانية: هي ريح حارة تهب من الجنوب.



مُطَاوِعَا، وَالذَّهْرُ مُوَادِعَا، وَالصَّحَّةُ كَامِلَةٌ، وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةٌ، وَإِلَّا دَهَمَهُ عَدَمُ الْمَرَامِ، وَحَصَرُ الْكَلَامِ⁽¹⁾، وَالنَّمَامُ الْآلَامُ، وَحُمُومُ الْحِمَامِ، وَمِرَاسُ الْأَرْمَاسِ، آهًا لَهَا حَسْرَةٌ أَلَمُهَا مُؤَكَّدٌ، وَأَمَدُهَا سَرْمَدٌ، وَمُمَارِسُهَا مُكَمَّدٌ، مَا لَوْلَاهُ حَاسِمٌ، وَلَا لِسَدَمِهِ⁽²⁾ رَاجِمٌ، وَلَا لَهُ مِمَّا عَرَاهُ عَاصِمٌ، أَلْهَمَكُمُ اللَّهُ أَحْمَدَ الْإِلَهَامِ، وَرَدَّاكُمُ رِذَاءَ الْإِكْرَامِ، وَأَحَلَّكُمُ دَارَ السَّلَامِ، وَأَسْأَلُهُ الرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَسْمَحُ الْكِرَامِ، وَالْمُسْلِمِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ خُطْبَتُهُ الْبَدِيعَةُ النَّظَامُ الْعَرَبِيَّةُ مِنَ الْإِعْجَامِ وَهِيَ هَذِهِ⁽³⁾:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْمَحْمُودِ، الْمَالِكِ الْوَدُودِ، مُصَوِّرِ كُلِّ مَوْلُودٍ، وَمَالِكِ كُلِّ مَطْرُودٍ، سَاطِعِ الْيَهَادِ، وَمُوطِدِ الْأَطْوَادِ، وَمُرْسِلِ الْأَمْطَارِ، وَمُسَهِّلِ الْأَوْطَارِ، عَالِمِ الْأَسْرَارِ وَمُذَرِّكِهَا، وَمُدَمِّرِ الْأَمْلاكِ وَمُهْلِكِهَا، وَمَكْوَرِ⁽⁴⁾ الدُّهُورِ وَمُكَرِّرِهَا، وَمُورِدِ الْأُمُورِ وَمُضْدِرِهَا، عَمَّ سَمَاحَةُ وَكَمَلٌ، وَهَطْلٌ رُكَاةٌ وَهَمَلٌ، وَطَاوَعُ الشُّؤْلِ وَالْأَمَلِ، وَأَوْسَعُ الْمُرْمِلِ وَالْأَرْمَلِ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا مَمْدُودًا مَدَاهُ، وَأَوْحَدُهُ كَمَا وَحَدَهُ الْأَوَاهُ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا صَادِعٌ لِمَا عَدَلَهُ وَسَوَاهُ، أَرْسَلَ مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلْإِسْلَامِ، وَإِمَامًا لِلْحُكَّامِ، وَمُسَدِّدًا لِلرَّعَاعِ، وَمُعْطِلًا أَحْكَامَ وَدٍّ وَسَوَاعِ، أَعْلَمَ وَعَلَّمَ، وَحَكَمَ وَأَحْكَمَ، وَأَصَّلَ الْأُصُولَ وَمَهَّدَ، وَأَكَّدَ الْوُعُودَ وَأَوْعَدَ، وَأَصَلَ اللَّهُ لَهُ الْإِكْرَامَ وَأَوْدَعَ رُوحَهُ دَارَ السَّلَامِ، وَرَجَمَ آلَهُ وَأَهْلَهُ الْكِرَامِ، مَا لَمَعَ آلٌ وَمَلَعَ رَأْلٌ⁽⁵⁾، وَطَلَعَ هِلَالٌ وَسَمِعَ إِهْلَالٌ، اَعْمَلُوا رَعَاكُمُ اللَّهُ أَصْلَحَ الْأَعْمَالِ، وَاسْلُكُوا مَسَالِكَ الْحَلَالِ وَاطَّرِحُوا الْحَرَامَ وَدَعُوهُ، وَاسْمَعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَعُوهُ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَرَاعُواهَا، وَعَاصُوا الْأَهْوَاءَ وَازْدَعُواهَا؛ وَصَاهِرُوا الْحَمَّ

(1) الْحَصَرُ: الحبسة التي تكون في الكلام، ورجل حصور لا يتكلم بطلاقة وبيان.

(2) السدم: الحيرة والقلق.

(3) الرسالة في شرح المقامات، ص: 302 - 305. وفي شرح الشريشي 3/ 101.

(4) كور: يقال كورت الشيء لويت بعضه على بعض، والتكوير إدخال الليل على النهار، والنهار على الليل.

(5) الرال: والرال: فرخ النعامة، وملع في مشيه عدا وأسرع.



الصَّلَاحَ وَالْوَرَعَ، وَصَارِمُوا رَهْطَ اللَّهْوِ وَالطَّمَعِ، وَمُصَاهِرُكُمْ أَظْهَرُ الْأَخْرَارِ مَوْلِدًا،
وَأَسْرَاهُمْ سُودْدًا، وَأَخْلَاهُمْ مَوْرِدًا، وَأَصَحُّهُمْ مَوْعِدًا، وَهَاهُوَ أَمَّتْكُمْ وَحَلَّ حَرَمَكُمْ،
مُمْلِكًا عَزَّوَسَكُمُ الْمُكَرَّمَةَ، وَمَاهِرًا لَهَا كَمَا مَهَرَ الرَّسُولُ أُمَّ سَلَمَةَ⁽¹⁾، وَهُوَ أَكْرَمُ صَهْرَا
أَوْدَعِ الْأَوْلَادَ، وَمُلْكٌ مَا أَرَادَ، وَمَاسَهَا مُمْلَكُهُ وَلَا وَهَمَ، وَلَا وَكَسَ مُلَاحِمُهُ وَلَا وَصِمَ،
أَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ إِحْمَادَ وَصَالِهِ، وَدَوَامَ إِسْعَادِهِ، وَاللَّهُمَّ كَلَّا، إِصْلَاحَ حَالِهِ وَالْإِعْدَادَ لِمَعَادِهِ،
وَلَهُ الْحَمْدُ السَّرْمَدُ، وَالْمَدْحُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَهُ فَضْلٌ فِي الْمَقَامَةِ: السَّادِسَةِ عَشْرَةَ الْمَغْرِبِيَّةِ:

وَبِنَا نَحْنُ إِلَى اسْتِثَارَةِ مُلْحِ الْأَدَبِ وَعُيُونِهِ، وَاسْتِنْبَاطِ مَعِينِهِ مِنْ عُيُونِهِ، إِلَى أَنْ جُلْنَا
فِيمَا لَا يَسْتَحِيلُ بِالْإِنْعَكَاسِ، كَقَوْلِكَ: سَاكِبُ كَاسٍ، فَتَدَاعَيْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَتِجَ لَهُ الْأَفْكَارَ،
وَنَفْتَرِعَ مِنْهُ الْأَبْكَارَ، عَلَى أَنْ يَنْظِمَ الْبَادِي ثَلَاثَ جُمَانَاتٍ⁽²⁾ فِي عِقْدِهِ، ثُمَّ تَتَدَرَّجُ
الزِّيَادَاتُ مِنْ بَعْدِهِ، فَيَرْبِّعُ دُو مِثْمَتِهِ فِي نَظْمِهِ، وَيُسَبِّعُ صَاحِبُ مِيسَرَتِهِ عَلَى رَغْمِهِ.

قَالَ الرَّائِي: وَكُنَّا قَدْ انْتَضَمْنَا عِدَّةَ أَصَابِعِ الْكَفِّ، وَتَأَلَّفْنَا أَلْفَةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ،
فَابْتَدَرَ لِعِظَمِ مِثْمَتِي، صَاحِبُ مِثْمَتِي، وَقَالَ: «لَمْ أَخَا مَلَّ» وَقَالَ مِيَامِنُهُ «كَبَّرَ رَجَاءُ أَجْرِ
رَبِّكَ» وَقَالَ الَّذِي يَلِيهِ «مَنْ يَرْبُّ إِذَا بَرَّيْنُمُ» وَقَالَ الْآخَرُ: «سَكَّتْ كُلُّ مَنْ نَمَّ لَكَ تَكْسُ»
وَأَفْضَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ، وَقَدْ تَعَيَّنَ نَظْمُ السَّمُطِ الشُّبَاعِيِّ عَلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ فِكْرِي يَصُوغُ
وَيَكْسِرُ؛ وَيُثْرِي وَيُعْسِرُ، وَفِي ضَمْنِ ذَلِكَ أَسْتَطَعُمُ فَلَا أَجِدُ مَنْ يُطْعِمُ، إِلَى أَنْ رَكَدَ
النَّسِيمُ، وَحَضَّحَصَ التَّسْلِيمُ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي لَوْ حَضَرَ السَّرُوجِيُّ هَذَا الْمَقَامَ، لَشَفَى
الدَّاءَ الْعُقَامَ، فَقَالُوا لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ بِإِيَّاسٍ، لَأَمْسَكَ عَلَى يَاسٍ.

وَجَعَلْنَا نَقِيضُ فِي اسْتِضْعَابِهَا، وَاسْتِغْلَاقِ بَابِهَا، وَذَلِكَ الزُّورُ الْمُغْتَرِي، يَلْحَظُنَا لِحْظَ
الْمُزْدَرِي، وَيُؤَلِّفُ الدَّرَرَ وَنَحْنُ لَا نَذَرِي، فَلَمَّا عَثَرَ عَلَى افْتِضَاحِنَا، وَنُضُوبِ

(1) أم سلمة: هي هند بنت أمية بن المغيرة تزوج بها الرسول ﷺ قبل وقعة بدر.
(2) الجمانة: حبة تصنع من الفضة فتصير كالدرة وقد سمي أحد المؤلفين في الغرب الإسلامي كتابه باسم:
«الجمانة في إزالة الرطانة».



صَحْصَحَانَا⁽¹⁾، قَالَ: يَا قَوْمُ إِنَّ مِنَ الْعَنَاءِ الْعَظِيمِ، اسْتِيلَادَ الْعَقِيمِ، وَالْإِسْتِشْفَاءَ بِالسَّقِيمِ، ﴿وَقَوْفُ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ﴾⁽²⁾ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ، سَأَتُوبُ مَنَابِكَ، وَأَكْفِيكَ مَا نَابَكَ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَشُرَّ، وَلَا تَعُثِّرَ، فَقُلْ مُخَاطِبًا لِمَنْ ذَمَّ الْبَخْلَ وَأَكْثَرَ الْعَدْلَ: «لُذِّ بِكُلِّ مُؤَمِّلٍ إِذْ لَمْ وَمَلَكَ بَذَلٍ»، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَنْظِمَ، فَقُلْ لِلَّذِي تُعْظِمُ:

أُسْ أَرَمَ لَإِذَا عَرَا	وَأَنَعَ إِذَا الْمَرْءُ أَسَا
أَشْنَدَ أَخَا نَبَاهَةِ	أَبْنِ إِخَاءَ دَنَسَا
أَسْلُ جَنَابَ غَاشِمٍ	مُشَاغِبٍ إِنْ جَلَسَا
أَسْرِ إِذَا هَبَّ مِرَا	وَأَزِمَ بِهِ إِذَا رَسَا
أُسْكُنْ تَقَوَّ فَعَسَى	يُسْعِفُ وَقَتٌ نَكَسَا ⁽³⁾

وَمِنْ رَسَائِلِهِ عَلَى الْإِزَامِ حَرْفِ السِّينِ⁽⁴⁾:

بِاسْمِ السَّمِيعِ الْقُدُّوسِ أَسْتَفْتِحُ، وَبِإِسْعَادِهِ أَسْتَنْجِحُ، سِيرَةُ سَيِّدِنَا الْإِسْفَهْسِلَارِ السَّيِّدِ النَّفِيسِ سَيِّدِ الرُّوسَاءِ سَيْفِ السَّلَاطِينِ حُرْسَتْ نَفْسُهُ، وَاسْتَنَارَتْ شَمْسُهُ، وَاتَّسَقَ أُنْسُهُ، وَبَسَقَ⁽⁵⁾ غَرْسُهُ، اسْتِمَالَةُ الْجَلِيسِ، وَمُسَاهَمَةُ الْأَنْبِيسِ، وَمُسَاعَدَةُ الْكَسِيرِ وَالسَّلِيلِ، وَمُؤَاسَاةُ السَّحِيقِ وَالنَّسِيبِ، وَالسِّيَادَةُ تَسْتَدْعِي اسْتِدَامَةَ السَّنَنِ، وَجِرَاسَةَ الرَّسْمِ الْحَسَنِ، وَسَمِعْتُ بِالْأُمْسِ تَدَارُسَ الْأَلْسُنِ سُلَاقَةً خَنْدَرِيْسِهِ⁽⁶⁾ فِي سَلْسَالِ كُؤُوسِهِ، وَمَحَاسِنَ مَجْلِسِ مَسَرَّتِهِ، وَإِحْسَانَ سُمْعَةٍ سِيَادَتِهِ، فَاسْتَسْلَفْتُ السَّرَّاءَ، وَتَوَسَّمْتُ

(1) الضحوضاح: الماء النزر القليل اليسير.

(2) سورة يوسف، الآية: 76.

(3) الأبيات من مجزوء الكامل.

(4) شرح المقامات، ص: 604.

(5) يسق: تم طوله واتساقه وفي القرآن في سورة ق، الآية: 10، قال تعالى: ﴿وَالنَّخْلُ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾.

(6) الخندريس: الخمرة القديمة، وهي كلمة معربة كما نص على ذلك ابن دريد.



الاستدعاء، وسَوِّفْتُ نَفْسِي بِالْإِحْتِسَاءِ، وَمُؤَانَسَةِ الْجَلَسَاءِ، وَجَلَسْتُ أَسْتَقْرِ السُّبُلَ،
وَأَسْتَطْلِعُ الرُّسُلَ، وَأَسْتَبْعِدُ تَنَاسِيَّ اسْمِي، وَأَسَاوِرُ الْوَسَاوِسَ لَاسْتِحَالَةَ رَسْمِي:

وَسَيْفُ السَّلَاطِينِ مُسْتَأْثَرٌ	بِأَنْسِ السَّمَاعِ وَحَسَنِ الْكُؤُوسِ
سَلَانِي وَلَيْسَ لِيَأْسُ السُّلُوفِ	يُنَاسِبُ حُسْنَ سِمَاتِ النَّفِيسِ
وَسَنْ تَنَاسِيَّ جَلَّاسِهِ	وَأَسْوَا السَّجَايَا تَنَاسِيَّ الْجَلِيسِ
وَسَرَّ حَسُودِي بِطَمَسِ الرُّسُومِ	وَطَمَسُ الرُّسُومِ كَرَمَسِ النُّفُوسِ
وَسَاقِي الْحُسَامِ بِكَأْسِ السُّلَافِ	وَأَسْهَمَنِي بِعُبُوسٍ وَبُوسٍ ⁽¹⁾
وَأَسْكَرَنِي حَسْرَةَ وَأَسْتَعَاضَ	لِقَسْوَتِهِ سَكْرَةَ الْخَنْدَرِيسِ
سَأَكْثُوهُ لِنِسَةِ مُسْتَعْتَبِ	وَأَمْسِكُ إِمْسَاكَ سَالٍ يَوْوَسِ
أَسْطَرُّ سِيْنَاتِهِ سِيرَةَ	تَسِيرُ أَسَاطِيرَهَا كَالْبَسُوسِ ⁽²⁾

وَلَهُ أَيْضاً عَلَى التَّرَامِ حَرْفُ الشَّيْنِ⁽³⁾:

بِإِرْشَادِ الْمُنْشِي، أَنْشِي، شَغْفِي بِالشَّيْخِ شَمْسِ الشُّعْرَاءِ رِيَشَ مَعَاشِهِ، وَفَشَا رِيَاشِهِ،
وَأَشْرَقَ شِهَابُهُ، وَاعْشَوْشَبَتْ شِعَابُهُ، يُشَاكِلُ شَغْفَ الْمُتَشْيِي بِالنَّشْوَى، وَالْمُرْتَشِي
بِالرُّشْوَى، وَالشَّادِنِ بِشَرْخِ الشَّبَابِ، وَالْعَطْشَانِ إِلَى شَبِّمِ⁽⁴⁾ الشَّرَابِ، وَشُكْرِي لِتَجَشُّمِهِ
وَمَشَقَّتِهِ، وَشَوَاهِدِ شَفَقَتِهِ، يُشَاكِلُ شُكْرَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ، وَالْمُسْتَرْشِدِ لِلْمُرْشِدِ،
وَالْمُسْتَشْعِرِ لِلْمُبَشِّرِ، وَالْمُسْتَجِيشِ لِلْجَيْشِ الْمُشْمِرِ، وَشِعَارِي إِنْشَادَ شِعْرِهِ، وَإِشْجَاءُ
الْكَاشِحِ وَالْمُكَاشِرِ بِنَشْرِهِ، وَشُغْلِي إِشَاعَةً وَشَائِعِهِ⁽⁵⁾ وَتَشْيِيدُ شَفَائِعِهِ، وَالْإِشَادَةُ

(1) بوس: مخففة بؤس.

(2) البسوس: امرأة كانت تعيش في الجاهلية وقد دارت بسببها حرب ضروس في الجاهلية وسميت باسمها فأصبحت كالأسطورة التي يتناقلها الناس. والآيات من المتقارب.

(3) انظر شرح المقامات، ص: 607.

(4) الشيم: البارد وفي حديث جرير خير الماء الشيم.

(5) الوشائع: الزخارف والتحليات.



وَالْإِسَادَةُ بِشُدُورِهِ وَشُؤْفِهِ، وَالْمَشُورَةُ بِتَشْفِيْعِهِ وَتَشْرِيفِهِ، وَأَشْهَدُ شَهَادَةَ الْمُشْنَعِ
الْكَاشِفِ، وَالْمُنْشِرِ الْمُكَاشِفِ، لِإِنْشَادِهِ يُدْهِشُ الشَّائِبَ وَالنَّاشِي، وَيُلَاشِي شِعْرَ
النَّاشِي⁽¹⁾، وَلَمْشَاهِدَتُهُ كَاشِتِيَارِ الشَّهْدِ، وَتَبَاشِيرِ الرُّشْدِ، وَلَمْشَاحَتَتُهُ تُشْقِي الْمُشَاحِنَ،
وَلَمْشَاجِرَتُهُ تَنْشُرُ الْمَشَائِنَ، وَلَمْشَاعِبَتُهُ تُشْطِي الْأَشْطَانَ، وَتُشِيطُ الشَّيْطَانَ، فَشَرَفَا
لِلشَّيْخِ شَرَفَا، وَشَغَفَا بِشَنْشَتِهِ شَغَفَا:

وَعِشْرَتُهُ مَشْكُورَةٌ وَعَاشِرَتُهُ	فَأَشْعَارُهُ مَشْهُورَةٌ وَمَشَاعِرُهُ
فَشَانِيهِ مَشْجُو الْحَشَا وَمَشَاغِرُهُ	شَأَى الشُّعْرَاءِ الْمُشْمَعِلِينَ شِعْرُهُ
فَأَشْيَاعُهُ يَشْكُونُهُ وَمَعَاشِرُهُ	وَشَوْءَ تَرْقِيَشِ الْمُرْقَشِ رَقْشُهُ ⁽²⁾
فَمَنْشُورُهُ بُشْرَى الْمَشُوقِ وَنَاشِرُهُ	وَشَاقَ الشَّبَابِ الشَّمِّ وَالشَّيْبِ وَشَيْءُهُ
وَشِرِّيَّهُ مُسْتَبَشِّرٌ وَمَعَاشِرُهُ	شَمَائِلُهُ مَغْشُوقَةٌ كَشْمُولِهِ
شَهَامَةٌ شَمِيرٌ يَطِيْشُ مُشَاجِرُهُ	شَكُورٌ وَمَشْكُورٌ وَحَشُو مُشَاشِهِ
شَبَا مَشْرِفِي جَاشٍ لِلشَّرِّ شَاهِرُهُ	شَقَاشِقُهُ مَخْشِيَّةٌ وَشَبَابَتُهُ
فَمَشْفِيَّةٌ مُشْفَى وَشَاكِيهِ شَاكِرُهُ	شَفَا بِالْأَنَاشِيدِ النَّشَاوَى وَشَفْهَمُ
وَيُشْغِفُهُ إِنْشَادُهُ فَيُشَاطِرُهُ	وَيَشْدُو فِيَهْتَشُ الشَّحِيحُ لِشْدُوهِ
وَبَشَّرَ مَمْشَاهُ بِبَشْرِ أَبَاشِرُهُ	تَجَشَّمَ غَشْيَانِي فَشَرَّدَ وَخَشْتِي
وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا تَشِيْعُ بِشَائِرَتُهُ ⁽³⁾	سَأَنْشِدُهُ شِعْرًا تُشْرِقُ شَمْسُهُ

وَأَشْهَدُ شَهَادَةَ شَاهِدِ الْأَشْيَاءِ، وَمُشْنَعِ الْأَحْشَاءِ، لَيُشْعِلَنَّ شُوَاطِ أُنْوَاقِي شَحْطُهُ،
وَلَيُشْعِنَنَّ شَمْلَ نَسَاطِي نَسْطُهُ، فَنَاشَدْتُ الشَّيْخَ أَيْشَعْرُ بِأَسْتِيحَاشِي لِشُسُوعِهِ،

(1) الناشي: هناك ناشتان الأصغر والأكبر، انظر وفيات الأعيان 1/ 263.

(2) المرقش: هناك مرقشان الأكبر والأصغر وهما شاعران جاهليان، انظر الأغاني 5/ 199. شرح

المفضليات، ص: 216.

(3) الأبيات من الطويل.



وَأَجْهَاشِي لِتَشْيِيعِهِ، وَوَشَايَتِي لِتَشْيِيدِهِ الْمَوْشِيَّ، وَنَشِيدِ شَخْصِهِ بِالْإِشْرَاقِ وَالْعَشْيِ،
حَاشَاهُ حَاشَاهُ، تُغْشِيهِ شُبُهَةٌ وَتَغْشَاهُ، فَلَيْسَتْ شَيْفَ شَرْحِ شُجُونِي لِشَطُونِهِ، وَمُسَارَكَتِي
لِشُجُونِهِ، وَاشْتِغَالِي بِتَمْشِيَةِ شُؤُونِهِ، لَيْشُدَّ جَاشِي، وَيُشَارِفَ انْكِمَاشِي، عَاشَ مُنْتَعِشِ
الْحُشَاشَةِ، مُسْتَشِيرِي الْبَشَاشَةِ⁽¹⁾، مَشْحُودَ الشِّفَارِ، مُتَشِيرَ الشَّرَارِ، شَتَامًا لِلْأَشْرَارِ،
شَحَاذًا بِالْأَشْعَارِ، يَشْرُحُ وَيَجُوشُ، وَيُنْعِشُ الْمَنْقُوشَ، بِمَشِيَّةِ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ، الشَّامِخِ
الْعَرْشِ، وَتَشْرِيفِهِ لِشِيرِ الْبَشَرِ، وَشَفِيعِ الْمَحْشَرِ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَنَاطِ الْمَكْشُوفِ فَضْلَ لَهُ مِنْ رُقْعَةٍ
خَاطَبَ بِهَا ابْنَ دُرِّي⁽²⁾:

حَنَاتِيكَ أَيُّهَا الْغَيْثُ الْهَاطِلُ، وَلَبَّيْكَ أَيُّهَا الرُّوْضُ الْخَضِلُ، فَإِنَّهُ طَلَعَ عَلَيْنَا مِنْ رُغَيْنِ
رَائِدٌ رَعَّ بَرُوضِكَ، وَكَرَعَ فِي حَوْضِكَ؛ هَزَّ بِكَ عِطْفَ الشَّعْرِ، فَمَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَهُ، وَنَنَى
إِلَيْكَ عِنَانَ الشُّكْرِ، فَحَثَّ نَحْوَكَ طَرْفَهُ.

وَكَانَ فُلَانٌ ذُو الْخُلُقِ الْعَمِيمِ وَالْخَلْقِ الْكَرِيمِ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾ يُتَحَفَّنَا مِنْ ذِكْرِكَ بِنَافِجَةِ مِسْكَ، وَيُخْبِرُنَا بِخَبْرِكَ عَنْ
وَاسِطَةِ سِلْكَ، وَتُعَرِّفُ مَوَاقِعَ الْغَيْثِ بِرُودِهِ، وَيُوقِفُ عَلَى مَوَاضِعِ الْمَاءِ بِوُرَادِهِ، فَعَنْ
مِقَةٍ نَزَعْنَا إِلَيْكَ، فَاجْتَهَدْنَا، وَعَنْ ثِقَةٍ نَبَهْنَا لَهَا عُمَرَاءُ ثُمَّ نَمْنَا⁽⁴⁾، وَمَا حَرَكْنَا مِنْ أَدَبِكَ
سَاكِنًا، وَلَا أَثَرْنَا مِنْ كَرَمِكَ كَامِنًا، وَغَيْرَ أَنَّ الْجَمْرَ يُحْسُ عَلَى ذِكَايِهِ، وَالنَّضْلَ يُهْزُ

(1) في شرح المقامات «مستبشر الحشاشة».

(2) الذخيرة 1/ 438.

(3) سورة الحديد، الآية: 20.

(4) فيه إشارة إلى قول بشار بن برد في عمر بن العلاء:

إِذَا أَيْقَظْتَكَ حُرُوبُ الْعَدَا فَبَّهَ لَهَا عُمَرَاءُ ثُمَّ نَمَ
دَعَانِي إِلَى عُمَرٍ جُودُهُ وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بَخْرٌ خِصَمَ

المختار من شعر بشار، ص: 77، الأغاني 3/ 187، الشعر والشعراء، ص: 645.



عَلَى مَضَائِهِ، فَذُونَكَهَا قَدْ حَبَّرَ الْحَبْرُ تَطْرِيزَهَا، وَإِلَيْكَهَا قَدْ خَلَصَ الْفِكْرُ إِبْرِيزَهَا، تَتَلَفَعُ مِنْهَا فِي حُلَّةٍ ثَنَاءً، وَتَتَوَجَّعُ مِنْهَا إِكْلِيلَ بَهَاءٍ، يُخَالُ مِدَادُهَا مِنْ بَهِيمِ اللَّيْلِ صُنْعٌ، وَيُخَسَّبُ رَقُّهَا مِنْ أَدِيمِ الصُّبْحِ قُطْعٌ. أَرْسَلْنَاهَا كَافُورَةً بِمِسْكِ مُوسُومَةٍ، وَأَهْدَيْنَاهَا دُرَّةً بِيَّاقُوتٍ مَخْتُومَةٍ، وَأَقْدَمُ أَوَّلًا الْإِعْتِرَافَ بِالتَّقْصِيرِ، وَأَذَعْنُ فِي الْكَفِّ عَنِ التَّعْيِيرِ. إِذْ أَهْدَيْتُ الدَّرَّ إِلَى مُنَظَّمِهِ، وَخَلَعْتُ الْوَشْيَ عَلَى مُنْمَنِهِ.

وَلَهُ:

فِي لَيْلَةٍ بَيْتُهَا وَالْكَفُّ الْخَضِيبُ سِوَارُهَا الْبَدْرُ، وَالشُّعْرَى⁽¹⁾ الْعَبُورُ وَسَاحُهَا النَّسْرُ، وَكَأَنَّهَا سَمَاوُهَا رَوْضَةٌ تَفْتَحُ النَّجُومَ وَسَطُهَا زَهْرًا، وَتَفْجَرُ الْمَجْرَةَ خِلَالَهَا نَهْرًا⁽²⁾، وَادٍ يَسِيلُ بِعَسَجِدٍ، عَلَى رَضْرَاضٍ زَبْرَجِدٍ. فَلَمَّا أَصَبْتُ الْغِرَّةَ، وَأَقْصَدْتُ الثَّغْرَةَ، تَقَلَّبْتُ عَرَارًا، وَتَنَاوَمْتُ غَرَارًا، حَتَّى أَتْبَهَنِي الْفَجْرُ بِبُرْدِهِ، وَسَرَبَلَنِي الصَّبَاحُ بِبُرْدِهِ، وَهَبَيْتُ مِنَ النَّوْمَةِ، وَصَحَوْتُ مِنَ النَّشْوَةِ، فَزَفَفْتُهَا إِلَيْكَ بِنْتُ لَيْلَتِهَا عَذْرَاءَ، وَجَلَوْتُهَا عَلَيْكَ كَرِيمَةً فِكْرُتِهَا حَسَنَاءَ، تَتَلَفَعُ بِحُبْرَةٍ حَبْرٍ، وَتَتَبَخَّرُ فِي شِعَارِ شِعْرِ، مُؤْتَلَفٌ بَيْنَ رِقِّهَا وَمِدَادِهَا، وَمُجْتَمَعٌ فِي بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَعَسَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَبَّسَ﴾⁽³⁾ رُقِعَتْهَا كَافُورٌ تُنْمِنُ بِمِسْكِ، وَخِتَامُهَا يَاقُوتٌ نُظِمَ فِي سِلْكِ، فَتَحَسَّبُ خَطُّهَا تَيْمَ لَفْظَهَا فَشْكَاءَ، وَتَخَالُ الْقَلَمَ رَقًّا لِمَا بِهِ فَبْكَى، فَأَنْشُدَهَا أَخَاكَ الشُّهَيْدِيَّ⁽⁴⁾، وَكَلَّفَهُ عَلَى الْعُرُوضِ وَالْقَافِيَةِ مُعَارَضَتَهَا، وَحَمَلَهُ عَلَى اللَّيْنِ وَالشَّدَّةِ مُقَارَضَتَهَا، فَسُتَوِ قَدْ بَقْلَهُ قَبْسًا وَتَضْرِبُ فِي أُذُنِهِ جَرَسًا، فَيَتَبَيَّنُ بِهِ حَظُّهُ، وَيَعْرِفُ لِعَيْرِهِ فَضْلَهُ.

- (1) الشعري: كوكب نير يقال له المرزم وهما شعريان العبور التي في الجوزاء والغميصاء التي في الذراع قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾. سورة النجم، الآية: 48
(2) النهر والنهر: واحد الأنهار وفي المحكم النهر والنهر من مجاري المياه.
(3) سورة التكوين، الآيتان: 17-18.
(4) يقصد به ابن شهيد الشاعر الأندلسي المشهور وقد كان بعث له بهذه الرسالة مع أبيات شعرية لمعارضتها. والرسالة في الذخيرة 1/ 440-1، والذيل والتكملة 6/ 224.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ شَهِيدٍ فِي وَصْفِ بَرْغُوثٍ أَسْوَدَ⁽¹⁾:

أَسْوَدُ زَنْجِيٍّ، وَأَهْلِيٍّ وَحَشِيٍّ، لَيْسَ بِوَانٍ وَلَا زُمَيْلٍ⁽²⁾ كَأَنَّهُ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ لَيْلٍ،
وَشُونِيزَةٍ⁽³⁾، وَابْتَهَا غَرِيزَةً، أَوْ نَقْطَةً مِدَادٍ، أَوْ سُودَاءَ قَلْبٍ فُرَادٍ⁽⁴⁾، شُرْبُهُ عَبٌّ، وَمَشْيُهُ
وَتَبٌّ، يَكْمُنُ نَهَارَهُ، وَيَسْرِي لَيْلَهُ، يُدْرِكُ بَطْعَنٍ مُؤَلِّمٍ، وَيَسْتَحِلُّ دَمَ كُلِّ مُسْلِمٍ، مُسَاوِرٌ
لِلْأَسَاوِرَةِ، يَجُرُّ ذَيْلَهُ عَلَى الْجَبَابِرَةِ، يَتَكَفَّرُ بِأَرْفَعِ الثِّيَابِ، وَيَهْتِكُ سِتْرَ كُلِّ حِجَابٍ، وَلَا
يَخْفُلُ بِبَوَّابٍ، يَرُدُّ مَنَاهِلَ الْعَيْشِ الْعَذْبَةِ، وَيَصِلُ إِلَى الْأَحْرَاجِ الرَّطْبَةِ، لَا يُمْنَعُ مِنْهُ أَمِيرٌ،
وَلَا يَنْفَعُ فِيهِ غَيْرُهُ غَيْرٌ، شَرُّهُ مَبْنُوثٌ، وَعَهْدُهُ مَنُكُوثٌ، وَهَكَذَا كُلُّ بَرْغُوثٍ.

وَلَهُ فِي تَعْلَبٍ⁽⁵⁾:

أَذْهَى مِنْ عَمْرٍو⁽⁶⁾ وَأَفْتَكُ مِنْ قَاتِلِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ⁽⁷⁾، كَثِيرُ الْوَقَائِعِ فِي الْمُسْلِمِينَ،
مُغْرَى بِإِرَاقَةِ دِمَاءِ الْمُؤَذِّنِينَ، إِذَا رَأَى الْفُرْصَةَ انْتَهَزَهَا، وَإِذَا طَلَبَتْهُ الْكُمَاةُ أَعْجَزَهَا، وَهُوَ
مَعَ ذَلِكَ بَقْرَاطٌ فِي إِدَامِهِ، وَجَالِينُوسٌ⁽⁸⁾ فِي اعْتِدَالِ طَعَامِهِ، غَذَاؤُهُ حَمَامٌ أَوْ دَجَاجٌ،
وَعَشَاؤُهُ تَدْرُجٌ أَوْ دَرَّاجٌ⁽⁹⁾.

(1) الذخيرة 1/1 - 275، المغرب في حلى المغرب 1/83، اليتيمة 2/46.

(2) الزُمَيْلُ: الضعيف الجبان الرذل. قال أحيحة بن الجلاح:

وَلَا وَأَيِّكَ، مَا يُغْنِي غَنَائِي مِنْ الْفَتَيَانِ زُمَيْلٌ كَسُوْلٌ

(3) الشينيز: الحبة السوداء وهي كلمة فارسية الأصل. قال أبو حنيفة: والفُرس يسمون البزر: الشونيز بضم
الشين لا كسرهما.

(4) في الذخيرة: فُرَادٍ.

(5) الذخيرة 1/1 - 275، اليتيمة 2/47.

(6) يقصد به عمرو بن العاص وكان من دهاة العرب وهو الذي ناب عن معاوية أثناء التحكيم بينه وبين
علي بن أبي طالب.

(7) قاتل حذيفة بن بدر: هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي الأعلام 5/206.

(8) بقراط وجالينوس: طبيبان مشهوران عنهما أخذ الناس الطب والحكمة وكتبهما نالت شهرة واسعة.

(9) الدراج: بضم الدال ضرب من الطير يشبه الحيقطان وهو من طيور العراق، (اللسان) «درج».



وَلَهُ فِي وَصْفِ الْمَاءِ⁽¹⁾:

أَزْرَقُ كَعَيْنِ السَّنُورِ⁽²⁾، صَافٍ كَقَضِيبِ الْبَلُورِ، انْتُخِبَ مِنَ الْفُرَاتِ، وَاسْتُعْمِلَ بَعْدَ الْبَيَاتِ، فَجَاءَ كَلِسَانَ الشَّمْعَةِ، فِي صَفَاءِ الدَّمْعَةِ، أَنْظَرُهُ يَا سَيِّدِي كَأَنَّهُ عَصِيرُ صَبَاحٍ، أَوْ ذَوْبُ قَمَرٍ لِيَّاحٍ، لَهُ فِي إِنَائِهِ، انْصِبَابُ الْكُوكَبِ مِنْ سَمَائِهِ، الْعَيْنُ حَانُوتُهُ، وَالْفَمُ عَفْرِيتُهُ، كَأَنَّهُ خَيْطٌ مِنْ غَزَلٍ فُلِقَ، أَوْ مَخْصَرٌ يَضْرِبُ بِهِ مِنْ وَرَقٍ، يُرْفَعُ عَنْكَ فَتَرْدَى، وَيُضَدَّعُ بِهِ قَلْبُكَ فَتَحْيَا.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْغُفُورِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْغُفُورِ⁽³⁾:

فَالْمَوَدَّاتُ مَا خَلَّتْ مِنْ تَهَادٍ مُكْرَّرَةٍ، كَطَبِخٍ خَلَا مِنَ اللَّحْمِ يُدْعَى مُزَوْرَةً⁽⁴⁾، وَالْمُهْدَى بَيْنَ يَدَيَّ هَذِهِ الْأَخْرُفِ عِدَّةٌ⁽⁵⁾ كَذَا مِنْ سَفَرَجَلٍ⁽⁶⁾، وَتَصْحِيفُهُ عِنْدِي سَفَرَجَلٌ، وَإِذَا سَفَرَ عَنْ ثَغْرِهِ جَلٌّ، فَالظَّفَرُ بِطَارِقِ الْهَمِّ مُجَلٌّ، يُشْبِهُ صُورَ الْعَذَارَى ضُمَّخَتْ بِالْعَبِيرِ، وَتُدْبِيهِنَّ بِالتَّقْيِيسِ وَالتَّقْدِيرِ، كَأَنَّمَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَرِيرِ سَرَقًا، أَوْ شَكَّتْ بِالْوَانِهَا وَجَدًا قَدْ بَرَّحَ بِهَا وَأَرْقَا، بَلْ كَأَنَّمَا سَرَقَتْ الشَّيْطَانِ طَوَائِعَ مِسْكِ أَحْمَ، ضَمَّتْ

(1) الذخيرة 1/1 - 276. اليتيمة 2/46.

(2) السنور: القط.

(3) الذخيرة 2/1 - 341، 342، وقد كرر المؤلف الرسالة بعد أن ذكرها قبل.

(4) المزورة: مرقعة بدون لحم يطعمها المريض كي يشفى وقد نصح أحد الأطباء البحري بشرها أثناء مرضه فلما جاتته لم يستطعها فكتب يقول فيها:

وَجَدْتُ وَغَدَكَ زُورًا فِي مُزَوْرَةٍ حَلَفْتُ مُجْتَهِدًا أَحْكَامَ طَاهِيهَا
فَلَا شَفَا اللَّهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهَا وَلَا عَلَتْ كَفُّ مُلْقِي كَفِّهِ فِيهَا

التحفة والهدايا، ص: 127-128.

(5) الذخيرة: عدد.

(6) كثيرا ما يتطير الأدباء من اسم السفرجل لأن فيه اسم السفر قال الشاعر:

مُنْخَفِي بِالْـسَّفَرَجَلِ لَا أُرِيدُ الـسَّفَرَجَلَا
اسْمُهُ لَوْ عَرَفْتُهُ سَفَرٌ جَلٌّ فَاعْتَلَى

الموشى للوشاء، ص: 198.



عَلَيْهِ جَوَانِحَهَا ثُمَّ خَافَتِ الذَّمَّ، أَفْدَاحُ غَرْبٍ، عُلَّتْ بِمَاءٍ ذَهَبٍ، طُبِعَ مِنَ الْعَبِيرِ نَوَاهَا،
وَنَابَ عَنْ شَذَاها الْفَائِحَ لِلشَّرْبِ سَاطِعُ شَذَاها، وَلَرُبَّمَا فَضَلَتْ شَهْيَ التَّفَاحِ، وَفَتَكَتْ
بِأَدْوَاءِ الْمَعْدَةِ فَتَكَةَ السَّفَاحِ، وَإِنَّ فَاكِهَةً تُشَبِّهُ الثُّدْيَ، وَتَشْرِكُ فِي بَعْضِ صِفَاتِهَا الْهَدْيَ،
لَجْدِيرَةٍ بِأَنْ يَحْفَظَهَا عِنَاقًا، وَلَا يَعْدِلُ بِالْوَاحِدَةِ مِنْهَا عِنَاقًا، بَلْ يَجْعَلُ فَذِيَّةَ قَضْمِهَا أَنْ
تُشَدَّ وَثَاقًا وَتُضْرَبَ أَعْنَاقًا.

وَإِنَّ مَحَلَّكَ مِنْ نَفْسِي لَخَصِيبُ جَنَابِ الصَّفَاءِ، نَقِيٌّ جِلْبَابِ الْوَفَاءِ، فَصِيحُ طَيْرِ
الْثَنَاءِ [نَصِيحُ جَنِبِ الصَّنَاعَةِ وَالْوَلَاءِ، وَدَادًا لَا يَبْلُغُ مَدَاهُ، وَلَا تُؤْبَسُ هَوَاجِرُ الْبُعْدِ
ثَرَاهُ] ⁽¹⁾ وَاللَّهُ يُلْحِفُهُ مِنَ التَّمْهِيدِ ظِلَالًا، وَيَزِيدُ يَانِعَ رَوْضِهِ نُضْرَةً وَجَمَالًا، حَتَّى لَا
تُكْرَى ⁽²⁾ عُيُونُ أَزْهَارِهِ، وَلَا تَعْيَا أَلْسِنَةُ أَطْيَارِهِ، وَلَا يَغْرَى مِنْ وَرَقِ عُودِهِ، وَلَا تَخْشَى
مِنْ حَلِّ نِظَامِ عُقُودِهِ.

وَلَهُ يُعَارِضُ رِسَالَتِي أَبِي عُمَرَ الْبَاجِي وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْجَدِّ فِي صِفَةِ الْمَطَرِ بَعْدَ الْقَحْطِ ⁽³⁾:
وَاللَّهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ أَوَامِرُ تُحِيلُ الْمُنِيرَةَ عَنْ طِبَاعِهَا، وَتَسْتَلِبُ ⁽⁴⁾ مِنْ حَصَى الْمَعْزَاءِ ⁽⁵⁾
فَضْلَ شُعَاعِهَا، وَتَرُدُّ فِي خِلْفِ ثَمَرِيهِ حَلَبَ إِزْصَاعِهَا، لَا تُلْحَقُ بِسَوَابِقِ الرَّهَانِ، فِي
مِيَادِينِ الْأَذْهَانِ، وَلَا تُذَرِّكُ بِقَدَاحِ الْقِمَارِ، مِنْ مُعْلَيَاتِ الْأَبْصَارِ، تُطْلِعُ الْمِنَحَ مِنْ ثَنِيَّاتِ
الْمِحَنِ، وَتُخَوِّلُ الْعَاجِزَ الزَّمْنَ مِنْ مُنْفَسَاتِ الزَّمَنِ، وَقَدْ تَذَهَبُ بِمَا تَهَبُ، وَتُغَيِّرُ عَلَى
مَا بِهِ تَغْيِيرٌ، حِكْمَةً بِهِرَتْ حَقِيقَتُهَا زَوَاهِرَ الْأَفْكَارِ، وَغَمَرَتْ دَقِيقَتُهَا زَوَاجِرَ بَحَارِ
الْإِعْتِبَارِ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ⁽⁶⁾ وَيَبِيدُهُ النَّفْعُ وَالضَّرُّ، وَإِنَّ أَحَقَّ النِّعَمِ بِشُكْرِ لَا تَنْصَبُ

(1) ساقطة بالأصل والزيادة من الذخيرة.

(2) تكرر: يصيرها الكرى أي النوم.

(3) الذخيرة 1/2 - 342 - 344.

(4) الذخيرة: وتسلب.

(5) المعزاء: بالفتح الأرض الحزنة الغليظة ذات حجارة أو التي يكثر بها الحصى.

(6) في ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَرَّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة
الأعراف، الآية: 53.



مُدُّودُهُ، وَحَمْدٌ تَجَاوَزُ حَدَّ الْمَعْهُودِ حُدُودُهُ، نُعْمَى أَحْيَتْ بِالسُّقْيَا أَرْضًا مَوَاتًا،
وَأَنْشَرَتْ بِدَرِّ الْحَيَا أَمَلًا رُقَاتًا، وَقَدْ غَبَطَ طَيْرُ الْمَاءِ، ضَبَابَ الْيَهْمَاءِ⁽¹⁾ وَحَجَبَ كَاسِفُ
الدُّجَى⁽²⁾ نَيِّرَاتِ النُّعْمَاءِ، وَشَابَتْ مَفَارِقُ الرِّيَاضِ، وَغَاصَتْ مُفَعَّمَاتُ الْحَيَاضِ،
وَأَفْشَعَرَتْ الرُّبَا، وَحَلَّ نَبْتُ الْحَاجِرِ عَقْدَ الْحُبَا، وَبَاتَتْ أَزْهَارُ الْغَيْطَانِ عَلِيلَاتِ
الْأَجْفَانِ، تَسْتَسْقِي نُجُومَ السَّمَاءِ، وَتَتَوَسَّلُ بِالشَّيْءِ إِلَى ذَوَاتِ الْأَنْوَاءِ. فَعِنْدَمَا أُمْسَتْ
الْبَسِيطَةُ عَلَى شَفَا، وَأَجْبَلَ الْمُحْتَضِرُ وَلَمْ يَجِدْ مُرْتَشَفًا، أَرْسَلَ اللَّهُ تِلْكَ النُّعْمَةَ، بَيْنَ
يَدَيِ الرَّحْمَةِ، رِيحًا لَيِّنَةً هُبُوبِ النَّسِيمِ، فِي الرُّوْضِ الْهَشِيمِ، شَدِيدَةً حَفِزِ الْغَمَائِمِ،
لِتَذَارِكَ مَا فِي الْكَمَائِمِ، فَتَسَجَّتْ بِإِذْنِهِ مَلَاءَهَا، وَرَمَتْ أَمْرَاسَهَا وَدَلَالَتَهَا، فَلَمَّا لَمَّتْ
قَرَعَهَا⁽³⁾، وَوَصَلَتْ بِقُدْرَةِ الْخَلْقِ قِطْعَهَا، سَفَحَتْ عُيُونُ تِلْكَ النُّجُومِ، بِمُكْفَهَرِ
الْعُيُومِ، رَحْمَةً لِعَلِيلِ النَّبَاتِ، وَرَقَّةً لَأَلِيلِ الْمُهَجَّاتِ، فَنُمْنِمَ وَشْيِ التَّلَاعِ، بِيَدِ لَطِيفَةِ
صَنَاعِ، وَرُصِّعَ تَيْجَانِ الْأَكَامِ، بِنُطْفِ الْغَمَائِمِ السَّجَامِ، فَاهْتَزَّتِ الْقَطَارِيَّةُ لِذَلِكَ الْقِطَارِ،
وَاشْتَمَلَتْ عَلَى مُحَسِّنِهَا مِنَ الْأَوْطَارِ، وَضَحِكَ ثَغْرِ الرُّوْضِ بَعْدَ عُبُوسٍ وَثِقَلٍ إِلَى
سَعَةِ الرَّحْمَةِ مِنْ ضَنْكِ الْبُؤْسِ، وَسَحَبَتْ فَوَاهِقُ⁽⁴⁾ الْأَنْهَارِ مَذَانِبَهَا، وَنَشَرَتْ عَرَائِشُ
الْأَزْهَارِ ذَوَائِبَهَا، نَازِمَةً مِنْ لَآلِي الطَّلِّ عُقُودَهَا، مَالِئَةً لَيْتَهَا⁽⁵⁾ مِنْ جَوْهَرِهِ الرَّائِقِ

(1) اليهماء: المفازة التي لا ماء فيها ولا صوت، قال الشاعر:

كُلُّ يَهْمَاءٍ يَقْصُرُ الطَّرْفُ عَنْهَا أَرْقَلْتَهَا قِلَاضُنَا إِزْقَالًا

اللسان: يهم.

(2) الذخيرة: الرجاء.

(3) القرع: قطع من السحاب رقاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة، وفي حديث الاستسقاء:

«وما في السماء قرعة» قال الشاعر:

مَقَانِبُ بَعْضُهَا يَنْبِرِي لِبَعْضٍ كَأَنَّ زُهَاءَهَا قَرَعُ الظَّلَالِ

(4) الفهق: اتساع كل شيء ينبع منه ماء وأرض فيهق: واسعة.

(5) اللَّيْت: بالكسر صفحة العنق، والجمع آليات وليته وفي الحديث: «ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا

أصغى ليته»؛ أي أمال صفحة عنقه.



وَجِيدَهَا، تَفُوحُ مَجَامِعُ أَزْهَارِهَا، وَتَلُوحُ خَفِيَّاتُ أَسْرَارِهَا فِي مَرَايِي أَنْوَارِهَا، فَتَرْمِي
الذَّابِلَ بَرِيَّاهَا. وَتُحْيِي النَّائِمَ وَمَا حَيَّاهَا، مُؤَذِّنَةً بِإِذْرَاكِهَا، عَلَى لِسَانٍ مِسْكِيهَا فِي سَاحَةِ
مَدَاكِهَا⁽¹⁾ وَقَامَ مِنْ مُتَرَنِّمِ الْأَطْيَارِ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَشْجَارِ، حَاطِبٌ يَتْلُو مَا حَبَّرَ مِنَ الشَّاءِ،
عَلَى سَابِغِ النَّعْمَاءِ، وَسَائِفِ رَجِيحِ الْآلَاءِ. فَيَا لَهَا نِعْمَةً مَا أَحْسَنَ مَوْقِعَهَا، وَرَحْمَةً مَا
أَلْطَفَ مَحَلَّهَا مِنَ النَّفُوسِ وَمَوْضِعَهَا، لَقَدْ بَرَدَتْ حَرَّ الْأَكْبَادِ، وَشَفَّتْ غَلِيلَ الْقُلُوبِ
الصَّوَادِ، وَفُدِيَتْ بِنَفَائِسِ وَمُحِبِّبِي الْأَوْلَادِ⁽²⁾، نَفَسَتْ خِنَاقَ الْأَمَالِ، وَحَلَّتْ عِقَالَ
الْإِقْبَالِ⁽³⁾، وَكَادَتْ تُجْرِي لِأَرْوَاحٍ فِي الرِّمَمِ الْبَوَالِي. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا حَظَّ عَلَيْهِ مُتَهَيَّ
الْحَمْدِ، وَمَبْلَغَ الْوُسْعِ وَالْجَهْدِ، وَمَا لَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ، وَمَا شَاءَ تَعَالَى مِنْ بَعْدُ⁽⁴⁾.

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْفَتْحِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي وَصْفِ الْأَدَبِ⁽⁵⁾:

وَبَعْدُ: فَإِنَّ الْأَدَبَ أَجْمَلُ مَا التَّحَفَّتْهُ الْهَمَّةُ، وَعَرَفَتْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ، فَإِنَّهُ مُطْلَقُ اللَّسَانِ مِنْ
عِقَالٍ، وَمُنْطَقُ الْإِنْسَانِ بِصَوَابِ الْمَقَالِ، وَلَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالنَّظْمِ نَجْمَانِ صَارَتِ الْقُلُوبُ
لَهُمَا فَلَكَ، وَالْخَوَاطِرُ مَسْلُوكًا، وَمَا زَالَتْ صُدُورُ الْمُلُوكِ لَهُمَا مَحَلًّا، وَلَبَّاتُهُمْ⁽⁶⁾ بِهِمَا
تَحَلَّى، وَمُجْتَمَعَاتُهُمْ مَيْدَانُ مَجَالِهِمَا، وَمَكَانُ رَوِيَّتِهِمَا وَارْتِجَالِهِمَا، تُرْشَفُ فِيهَا
تُغُورُهُمَا، وَيُقْطَفُ لَدَيْهَا نُورُهُمَا، وَكَانَ النَّدَى يَسْقِيهِمَا فَيُثْمِرَانِ بِالْإِبْدَاعِ، وَيُسْفِرَانِ
عَنْ مَحَاسِنَ كَالصُّبْحِ عِنْدَ الْانْصِبَاعِ.

(1) المداك: الحجر الذي يسحق عليه المسك أو غيره.

(2) الذخيرة: بنفائس النفوس والأولاد.

(3) عقال. الأصل.

(4) الذخيرة: وما شاء تعالى من شيء بعد.

(5) مقدمة قلائد العقيان، ص: 2.

(6) اللبات: جمع لبة بالفتح ما بين الرقبة والصدر وهي موضع الفلادة من المرأة.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ يُعْلِمُهُ بِخَبَرِ السَّيْلِ
الَّذِي سَالَ بِمُرْسِيَةٍ فَقَعَّى آثَارَهَا، وَهَدَّ أَسْوَارَهَا وَاحْتَمَلَ دِيَارَهَا⁽¹⁾:

وَرَدَّنِي أَيْدُهُ اللَّهُ كِتَابُهُ⁽²⁾ الْمُسْرَفُ مُسْتَفْهِمًا لِمَا طَارَ بِهِ إِلَيْهِ⁽³⁾ الْخَبَرُ، مِنَ السَّيْلِ
الْحَافِلِ الَّذِي عَظُمَ مِنْهُ الضَّرَرُ، وَقَدْ كُنْتُ أَخِذًا فِي الْإِعْلَامِ، بِخَوَادِثِهِ الْعِظَامِ، فَإِنَّهُ
أَذْهَلَ الْأَذْهَانَ، وَشَغَلَ الْبَيَانَ، إِذْ أَقْبَلَ يَمْلَأُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، وَالْجُنُوبُ قَدْ اضْطَجَعَتْ،
وَالْعُيُونُ قَدْ هَوَمَتْ لِلنَّوْمِ أَوْ هَجَعَتْ، فَمِنْ مَاضٍ قَدْ اسْتَلَبَهُ، وَنَاجَ قَدْ حَرَبَهُ، وَفَازَعَ قَدْ
أَثْكَلَهُ، وَحَاطِرٍ لَا يَدْرِي مَا حُمَّ لَهُ، وَالْبَرْقُ يَجِفُّ فَوَّادُهُ، وَالْوَدْقُ⁽⁴⁾ يَنْسَرِبُ مَزَادُهُ، قَدْ
اسْتَسْلَمَ لِلْقَدْرِ، وَاعْتَصَمَ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَيْسَ سِوَاهُ مِنْ وَزَرٍ، حَتَّى أَرَانَا آيَةَ إِعْجَازِهِ
وَبَرَاهِينِهِ، وَغِيضَ الْمَاءِ لِحِينِهِ⁽⁵⁾، وَطَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَى مَعَالِمٍ قَدْ غَيَّرَهَا، وَأَكَامَ قَدْ
حَدَّرَهَا، لَا يَنْقُضِي مِنْهَا عَجْبُ النَّاطِرِ، وَلَا يُسْمَعُ بِمِثْلِهَا فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ⁽⁶⁾. [فَالْحَمْدُ
لِلَّهِ عَلَى وَافِي دَفْعِهِ، وَمُتَلَا فِي عَوْنِهِ وَنَفْعِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ]⁽⁷⁾.

(1) القلائد، ص: 70-71، الخريدة 3/ 368 - 369.

(2) القلائد: أيد الله كتابك.

(3) القلائد: إليك.

(4) الودق: المطر كله شديده وهينه وقد يوق يدق ودقا أي قطر قال زيد الخيل:
ضَرَبْنَ بِغَمْرَةٍ فَخَرَجْنَ مِنْهَا خُرُوجَ الْوَدْقِ مِنْ خَلْلِ السَّحَابِ

واللفظة واردة في القرآن الكريم.

(5) تعبير قرآني مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَعِضْ أَلْمَاءَ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾.
سورة هود، الآية: 44.

(6) القلائد: بمثلها في الزمن الغابر.

(7) ساقطة من الأصل وقد أثبتنا ما في القلائد.



وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضاً مَعَ شُودَانِقَاتٍ⁽¹⁾:

وَإِنِّي لَمَّا شِيعْتُهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - وَبِثُّ فِي الْمَحَلَّةِ الْكَرِيمَةِ مَعَهُ قَصْدَنِي مَمْلُوكُهُ فِي
ازْتِيَادِ أَفْرُخٍ مِنَ الشُّودَانِقَاتِ عِنْدَ أَوَانِهَا، وَالبَعْنَةُ بِهَا وَقْتُ تَهَيُّئِهَا وَإِمْكَانِهَا، فَلَمْ أَفَارِقْ
لَهَا ازْتِقَابًا، وَلَمَطَانِهَا طَلَابًا، إِلَى أَنْ حَانَ حِينُ ظُهُورِهَا، وَامْتَلَأَتْ مِنْهَا جُحُورُ
وُكُورِهَا، وَبَدَا سَعْيُهَا، وَاکْتَسَى عُرْيُهَا، وَجَهْتُ طَبًّا رَفِيقًا لاسْتِزْنَالِهَا، يَزْتَقِي إِلَى ذُرَى
أَجْبَالِهَا، وَيَمِيزُ أَفْرَهِهَا، وَيَحُورُ أَشْرَهِهَا، فَحَصَلْتُ مِنْهَا عَدَدًا، جُرَّبْتُ يَدًا فَيَدًا، إِلَى أَنْ
تَخْرَجَ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَطْيَارٍ، كَانَتْهَا شُعْلُ نَارٍ، صَيْدُهَا أَجَلُ كُلِّ صَيْدٍ، وَقَيْدُهَا أَيُّمَا قَيْدٍ،
تُقَلَّبُ حَوَادِقُ مَقْلٍ، وَتَنْظُرُ نَظْرَ مُخْتَبِلٍ، وَتُسْرِعُ فِي الانْقِضَاصِ، كَالْوَحْيِ وَالْإِيمَاضِ،
وَتَرْجِعُ إِلَى يَدٍ وَنَاقِيَا، كَأَنَّمَا أَشْفَقْتُ مِنْ فِرَاقِهَا، بِمِخْلَبِ دَامٍ، وَأُبْهَةِ مِقْدَامٍ، فَتَاهِيكَ
بِهَا يَا مَوْلَايَ سَعْدٌ لَكَ ذَخَرُهَا، وَعَبْدٌ قِنْ لَكَ تَخْيِرُهَا، وَهِيَ وَأَصْلَةُ مِنْ يَدَيَّ حَامِلِهَا،
تَحْمِلُ رَغْبَةَ نَاطِمِهَا، فِي الْإِبَاسَةِ حُلَّةِ التَّشْرِيفِ وَالتَّنْوِيهِ بِالْأَمْرِ بِقَبُولِهَا، وَالْمُرَاجَعَةِ مِنْ
وُصُولِهَا. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ أَحْمَدَ وَقَدْ أَهْدَى إِلَيْهِ مَشْمُومٌ وَرْدٍ⁽²⁾:

زَارَنَا الْوَرْدُ بِأَنْفَاسِكَ، وَسَقَانَا مَدَامَةَ الْأَنْسِ مِنْ كَاسِكَ، وَأَعَادَ لَنَا مَعَاهِدَ الْأَنْسِ
جَدِيدَةً، وَزَفَّ إِلَيْنَا مِنْ فَتَيَاتِ النَّوْرِ⁽³⁾ خَرِيدَةً، فَأَحْمَرَ حَتَّى خِلْتُهُ شَفَقًا، وَابْيَضَّ حَتَّى
أُبْصَرْتُ مِنَ النَّوْرِ فَلَقًا، وَأَرَجَّ حَتَّى كَانَتْهُ الْمِسْكُ فِي ذَكَائِهِ⁽⁴⁾، وَتَضَاعَفَ حَتَّى قُلْتُ
تَصُورَ مِنْ حَيَاتِهِ⁽⁵⁾، فَلْيَتَصَوَّرْ شُكْرِي فِي رُؤَاةٍ، وَلْيَتَخَيَّلْ فِي نَفْحَتِهِ وَرَيَاةٍ.

(1) القلائد، ص: 71، الخريدة 3/ 369. والشُّودَانِقُ: صقر. والشَّيْدَقَانُ: لغة فيه قال الشاعر:
كَالشَّيْدَقَانِ حَاضِبٌ أَظْفَارُهُ قَدْ صَرَبَتْهُ شِمَالٌ فِي يَوْمٍ طَلَّ

اللسان: «شذوق».

(2) ترجمته في القلائد، ص: 188-190، الخريدة 3/ 438-439 والرسالة مثبتة فيهما.

(3) القلائد والخريدة: البر.

(4) ذكائه: مسك ذكي وذلك طيب الرائحة قال قيس بن الخطيم:

كَأَنَّ الْقُرْنُفْلَ وَالزَّنَجِيْلَ وَذَاكِي الْعِيْرِ بِجِلْبَابِهَا

(5) القلائد: جِبَابُهُ.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ السَّقَّاطِ: فف إهداء فرس⁽¹⁾:

قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ - أَيْدَكَ اللَّهُ - بِجَوَادٍ يَسْبِقُ الْحَلْبَةَ وَهُوَ يَرِثُ⁽²⁾ وَيَتَمَهَّلُ، مَتَى مَا تَرَقَّ
الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلُ⁽³⁾، يَزْحَمُ بِمَنْكِبِ الْجَوَازِ مِنْكَ مَنْكِبُهُ، وَتَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلُهُ حِينَ تَرْكَبُهُ، إِنْ
بَدَأْتُ قُلْتَ: ظَنَنْتُ ذُو غَرَارَةٍ، يَعْطُو إِلَى عَرَارَةٍ⁽⁴⁾، أَوْ عَدَا قُلْتَ انْقِضَا ضَةً شِهَابٍ، أَوْ
اعْتَرَا ضَةً بَارِقٍ ذِي التَّهَابِ، فَاضْمُمْهُ إِلَيَّ أَرِي جِيَادِكَ، وَاتَّخِذْهُ لِيَوْمِي رِهَانِكَ
وَجِلَادِكَ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُعَاوِرٍ فِي وَصْفِ كَلْبٍ مَاشِيَةٍ:

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ عِمَادِي الْأَعْلَى، وَعَلَقِي الْأَنْفَسِ الْأَغْلَى، تَتَأْتِي إِرَادَتُهُ، وَتَطْرُدُ
سَعَادَتُهُ، وَيُحْتَمَى ذِمَارُهُ وَجَنَابُهُ، وَلَا تَهْرُ دُونَ طَارِقِ الْأَضْيَافِ كِلَابُهُ، وَلَا زَالَتْ
سَائِمَتُهُ رَابِعَةً فِي مَرَايِضِ الْأَسَاوِدِ وَالْأَسُودِ، آمِنَةً اغْتِيَالَهَا وَاخْتِيَالَهَا فِي الدَّادِي
وَاللِّيَالِي السُّودِ، يَمْنَعُهَا هَرِيرُ أَهْرَتِ الشُّذْقِينَ مُنْتَمِرِ الْإِهَابِ، سَرِيعِ الْجِيَاءِ وَالذَّهَابِ،
مُعْرِقٌ عِنْدَ انْتِسَابِ الْكِلابِ، هَزْجُ النَّبَاحِ، مَانِعٌ لِلْحَرِيمِ الْمُبَاحِ، إِنْ رَبَضَ حَمَى
الرَّبَضِ، وَإِنْ سَرَحَ، قَتَلَ أَوْ جَرَحَ. ثَقِيلُ الْوَطْأَةِ، خَفِيفُ الْوَثْبَةِ عِنْدَ النَّبَاةِ، يَفْتَرُ عَنْ مُدْرَةٍ
وَيَنْظُرُ عَنْ جَمْرَةٍ، يَمِيزُ بَأَنَفِهِ فِي اللَّيْلِ الْأَلِيلِ الْبَهِيمِ، بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالصَّدِيقِ الْحَمِيمِ، إِنْ
شَعُرَ بِالضَّيْفِ بَضْبَصَ وَهَمَسَ، وَإِنْ أَحَسَّ بِاللَّصِّ أَطْرَقَ وَعَبَسَ، وَأَتْلَعَ جِيدَهُ
وَتَوَجَّسَ، وَدَارَ بِالْدَارِ وَاخْتَرَسَ، وَهَمَّهُمْ وَزَمَزَمَ، وَكَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ؛ وَإِذَا نَامَ الرُّعْيَانُ
سَهَرُ وَتَطَوَّفَ، وَأَنْذَرَ بِنُبَاجِهِ وَخَوْفَ، فَإِنْ أَغْفَلُوا السَّخْلَةَ حَرَسَهَا، وَقَامَ عَلَيْهَا
وَلَحَسَهَا، وَرُبَّمَا انْتَرَحَ عَنْ رَبِّهِ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَبَسَطَ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ⁽⁵⁾.

(1) الرسالة في القلائد، ص: 198 وقد قدم لها بقوله: وله فصل من رسالة في إهداء فرس.

(2) القلائد: يرسف.

(3) شطر من معلقة امرئ القيس.

(4) في القلائد: عزارة.

(5) «بالوصيد» سورة الكهف، الآية: 18.



يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّعًا مِنْ تَيْهِهِ فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُوسُ عَلَيَّالًا⁽¹⁾

وَتَارَةً يَنْتَصِبُ مَقْعِيًا عَلَى ذَنْبِهِ، يَتَلَعَّقُ مِنْ تَعْبِهِ وَنَصْبِهِ، مُتَزَحِّحًا عَنْ حَرِّ الْمَفْتَادِ وَلَهَبِهِ، وَيُضْغِي بِأُذُنٍ مُؤَلَّلَةٍ إِلَى مَا يُوحَى إِلَيْهِ وَيَوْمُرُ بِهِ، يُحَدِّدُ نَحْوَ الْإِكْلِ نَظَرَهُ، وَيُذَكِّي إِلَيْهِ بَصَرَهُ، وَيَلْتَفِتُ الْأَجُوفَ أَوْ الْخَرَقَ فِي الْهَدَفِ، وَيَزْدَرِدُ الْعِظَامَ أَزْدِرَادًا، [وَيَتَرَكُهَا]⁽²⁾ وَقَدْ اسْتَحَالَتْ بِلَهَبِ أَحْشَائِهِ رَمَادًا، فَإِنْ حَسَدَهُ الْحَاسِدُ عَلَى مَا يَلْتَقِمُهُ، لَمْ يَرِ عِنْدَ خِرَاءَتِهِ مَا يَرْحُمُهُ، إِلَى فَهْمٍ وَفُطْنَةٍ بِالرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ، يُمَيِّزُ بِهَا بَيْنَ النَّعْيِ وَالْبِسَارَةِ، فَيَتَمَرَّرُ لِذِي الْأَوْصَابِ وَيَتَدَلَّلُ لِذِي الرِّزْيِ وَالشَّارَةِ، يُفَرِّقُ بَيْنَ دُخَانِ الْكَيِّ، وَدُخَانِ الشَّيِّ، وَيَكَادُ يَعْرِفُ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ، يَصِيدُ السَّرْحَانَ، وَيَقْتُلُ الثُّغْبَانَ، وَيَقْهَرُ الظَّلِيمَ، وَإِنْ بَعُدَ عَنْهُ وَبَانَ⁽³⁾، فَإِنْ عَرَضَ الصَّيْدُ، فَخِفَّةً وَأَيْدٍ، وَأَجَلٌ وَقَيْدٌ، لَوْ كَانَ مَعَ خِرَاشٍ⁽⁴⁾ لَجَمَعَ مِنَ الطَّبَّاءِ مَا تَفَرَّقَ عَلَيْهِ، أَوْ مَعَ وَاشِقٍ⁽⁵⁾ مَا أَقْعَصَ صَاحِبُهُ لَدَيْهِ، فَفِي كُلِّ حَالَاتِهِ عِبْرٌ، إِذَا تَلَوَّى وَانْعَطَفَ فَحَيَّةٌ مَسَّهَا الْخَمَرُ، وَإِذَا اعْتَدَلَ أَوْ وَقَفَ فَقَوْسٌ أَعْوَزَهَا الْوَتَرَ، وَإِذَا جَرَى وَوَتَبَ فَسَهْمٌ أَرْسَلَهُ الْقَدَرُ:

عَقِمَ الْكِلَابُ فَمَا يَلِدُنْ بِمِثْلِهِ إِنَّ الْكِلَابَ بِمِثْلِهِ عَقِمُ⁽⁶⁾

(1) هذا الشطر من البيت هو الذي يبدو في الأصل دون شطره الأول، وهو من الكامل من قصيدة للمتنبى

في وصف الأسد ومطلعها:

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مَحِيلًا

(2) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) بان: بعد واختفى.

(4) إشارة إلى البيت المعروف:

تَكَاثَرَتِ الطَّبَّاءُ عَلَى خِرَاشٍ فَمَا يَذْري خِرَاشٌ مَا يَصِيدُ

(5) واشق: اسم يطلق على الكلب.

(6) البيت من الكامل.



ثُمَّ لَا تَجِدْهُ - دَامَ عِزُّكَ - إِلَّا أَمَامَ الْغَنَمِ طَلِيعَةً أَوْ وَرَاءَهَا كَامِنًا، وَكَأَنَّمَا كَانَ جَدُّهُ لِأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ثَامِنًا⁽¹⁾.

وَقَدْ انْتَحَبْتُ لِسَيِّدِي الْأَعْلَى مِنْ هَذَا النَّسْلِ جُرُوءًا زَاكِي الْأَصْل، مُرْهَفًا كَالنَّضْلِ، إِذَا جَرَبَتْهُ وَجَدَهُ يَصِيدُ بَعْضَ الْخَنَازِيرِ، بِأَسْنَانٍ كَالْأَسِنَّةِ أَوْ الْخَنَاجِيرِ، إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ حَادَّ عَنْهَا وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ، وَإِذَا أَذْبَرَتْ عَنْهُ رَكِبَ أَعْجَازَهَا بِالْعَضْصِ، فَمِنْ مُجَدَّلٍ هُنَالِكَ هَالِكٍ، وَمِنْ هَارِبٍ بِجُرَيْعَةِ الدَّقْنِ ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُ الْمَسَارِحِ وَالْمَسَالِكِ، أَعْجَزَهُ لِاشْتِعَالِهِ بِغَيْرِهِ لِحَاقُهُ فَأَقَامَ يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ. فَافْتَنَّهُ - دَامَ عِزُّكَ - لِلزَّرْعِ وَالضَّرْعِ فَافْتَنَاءٌ مِثْلُهُ حَلَالٍ فِي الدِّينِ مُبَاحٍ فِي الشَّرْعِ. وَاللَّهُ يُسَخِّرُهُ لَكَ شَرِسًا لَيْسًا صَغْبًا هَيِّنًا، وَيَقَرُّ لَكَ أَذْنَا وَعَيْنَا، مَا كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ زُورًا وَمِينًا وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ فِي وَطْوَاطٍ⁽²⁾:

اِثْمَرْتُ لَكَ - يَا عِمَادِي - الطَّيْرُ طَوْعًا، وَلَبَّيْتُكَ سَمْعًا، وَاتَّخَذْتُكَ عَوْنًا وَدَفْعًا، وَاعْتَمَدْتُكَ مَحَبَّةً وَنَفْعًا، وَلَا زَالَتْ مُكَافِحَةٌ عَنْ ذِمَارِكَ، مُدَافِعَةٌ عَنْكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، لَمَّا أَذْنُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - إِلَى وَطْنِكَ الْأَسْفَارِ، وَأَلْقَيْتَ فِي عَطْنِكَ عَصَا التَّنْسِيَارِ، وَأَذْنْتُ بِالتَّوْدِيعِ وَالِاسْتِقْرَارِ. رَغِبَ فِي خِدْمَتِكَ مِنَ الطَّيْرِ، صِنُو الْجُرْذِ وَأَخُو النُّغَيْرِ⁽³⁾ يَصِفُ مَعَ الطَّيْرِ الصَّوَّافِ بِجَنَاحِ ضَافٍ، لَيْسَ بِذِي قَوَادِمٍ وَلَا خَوَافٍ، وَيَدِرُ

(1) فيه إشارة إلى ما ورد في سورة الكهف من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَفَافَيْنَهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، سورة الكهف، الآية: 22.

(2) قدم لها في مجموع مخطوط بخزانة الزاوية الناصرية يحمل رقم 1580 بقوله: «وكتبت إلى القائد أبي عبد الله دحنون صحبة رجل يعرف بالوطواط على وجه الاعتناء به عند قدومه من بعض أسفاره».

(3) النغر: طائر كالعصفور أحمر المنقار، قال الراجز:

عَلَيْقَ حَوْضِي نَعْرُ مُكْرَبٌ
إِذَا غَفَلْتُ غَفْلَةً يَغُوبُ
وَحَمَّرَاتٍ شُرُوبُهُنَّ غُوبُ



رِسْلُهُ مَعَ ذَوَاتِ الْأَخْلَافِ، وَلَيْسَ بِذِي أَخْلَافٍ وَلَا أَظْلَافٍ، يُكْشَرُ مَعَ السَّبَاعِ عَنْ نَابٍ، وَيُحْلَقُ مَعَ الطَّيْرِ فِي إِهَابٍ، لَا يَلْتَقِطُ مَعَ الْعَصَافِيرِ حَبًّا، وَلَا يَزْعَى مَعَ السَّائِمَةِ أَبًا⁽¹⁾، لَا يَبِيضُ وَإِنْ أَفْرَحَ، وَلَا يَصْدَحُ وَرُبَّمَا نَفَخَ، يُعْشِيهِ الصَّبَاحُ الْمُسْفِرُ، وَتُكْحَلُهُ الدِّيَاجِي فَيُصِرُّ، فَلَهُ فِي الظَّلَامِ هَجَمَاتٌ، وَفِي ذَوَاتِ الْإِبْرِ الدَّاعِيَاتِ [إِلَى السَّهْرِ]⁽²⁾ فَتَكَاتٌ، وَكَانَّمَا يَطْلُبُهُنَّ بِدُخُولِ⁽³⁾ وَتَرَاتٍ؛ فَإِنْ رَضِيَتْهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - خَادِمًا، وَقِيلَتْهُ قَادِمًا، فَلِ دُونِكَ جُيُوشَهَا، وَوَقَاكَ هَزْشَهَا وَتَحْمِشَهَا، فَيَطِيبُ نَوْمُكَ، وَيَنْطَابِقُ فِي الدَّعَةِ لَيْلُكَ وَيَوْمُكَ، ثُمَّ لَا يَسْأَلُكَ أَجْرًا، وَلَا يَسْأَلُكَ شُكْرًا وَإِلَيْهِ يَسْخَرُ لَكَ أَصْنَافُ الْأُمَمِ، وَيُثَقِّقُكَ سَامِي الذِّكْرِ، مُعْتَلِي الْهَمَمِ، بِمَشِيَّتِهِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ فِي ذَنْبٍ لَمَّا أَمَرَ ابْنَ سَعْدٍ⁽⁴⁾ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ شَاطِبَةٍ حِينَ نَسِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ خَاطَبَ حَضْرَةَ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَتَبَ مُسْتَشْفِعًا إِلَى وَزِيرِهِ:

إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا حَقًّا بِقَوْلِهِمْ فَقَدْ سَجَدْتُ مَعَ الْإِفْشِينَ لِلصَّنَمِ
وَبِعْتُ مِنْكُمْ بَيَاضَ الصُّبْحِ مُتَسِقًا بِسُدُفَةٍ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ كَالْفَحَمِ⁽⁵⁾
أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْوَزِيرِ الْأَجَلِ السَّيِّدِ الْحَسِبِ الْأَفْضَلِ، وَالْأَمَالُ بِهِ تُنَاطُ، وَالْأَمْوَالُ
بِنَظَرِهِ تُحَاطُ، وَفُتُوقُ الْأَيَّامِ بِسِيَاسَتِهِ تُرْتَقُ وَتُخَاطُ وَلَا زَالَ يَجْلُو صَدَأَ الْمُهَنْدِ بِصِقَالِهِ،
وَيُطْلَقُ يَدِ الْجَوَادِ الْمُقَيَّدِ مِنْ شِدَّةِ الْإِشْكَالِ وَعِقَالِهِ، وَيَذْخُضُ حُجَّةَ الْبَاطِلِ بِصَحِيحِ
مَقَالِهِ، وَيُخْرِزُ شَأْوَ الْمَكَارِمِ عَفْوًا دُونَ خَبِيهِ وَإِزْقَالِهِ.

وفي الحديث: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْرُ». وهو الحديث الذي أُملى عليه أحد المغاربة أربعمائة فائدة.
انظر «الروض الهتون».

(1) الأب: الكلاء، وقيل إنه المرعى وفي التنزيل ﴿وَلَقَدْ كَفَرَ أَبَتَاكَ﴾ سورة عبس، الآية: 31.

(2) خرم بالأصل.

(3) الذحول: جمع ذحل وهو الثَّار.

(4) ابن سعد: يعني به ابن مردنيش.

(5) البيتان من البسيط.



كَبَبْتُهُ - أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهُ - وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ بِشَرَكِ⁽¹⁾ وَغُولِبَ الْحَقُّ بِلَفْظٍ مُشْتَرَكٍ، وَأَصْبَحْتُ كَالْجَمَلِ الْجَرَبِ الشَّارِدِ، إِذَا ذِيدَ عَنِ الْحِيَاضِ وَالْمَوَارِدِ، وَفِي جَنَابِكَ الْحَسِبِ أَمْنٌ وَمُعْتَسَلٌ بَارِدٌ، وَشَرَابٌ⁽²⁾ عَذْبٌ لِحَايِمٍ وَوَارِدٍ. فَأَنْتَ السَّيِّدُ الْأَرْضَى وَالصَّارِمُ الْأَمْصَى، تُعَمِّدُ وَلَكِنْ لِيُتَسَلَّ يَوْمَ الْحَقِيقَةِ وَتُنْتَضَى، وَلَمَّا حَمِي بِفُلَانَةٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ - الْوَطِيسُ، وَنَفَخَ فِي أُذُنِ الْغَوْغَاءِ - أَصْلَحَهُمُ اللَّهُ - إِبْلِيسُ، وَرَدَّ أَمْرُ مَنْ أَدَامَ اللَّهُ اِعْتِلَاءَ أَمْرِهِ، وَاعْتَزَّازَ نَصْرِهِ، بِأَنْ أَخْرَجَ مِنْ فُلَانَةٍ، فَلَنْ أَقِيمَ بِهَا وَلَنْ أَلْبَثَ، فَقُلْتُ لَعَلَّهَا الْمَدِينَةُ تَنْفِي الْخَبَثِ⁽³⁾؛ فَخَرَجْتُ عَنِ الْأَمْرِ الْمُطَاعِ، خُرُوجَ الضَّبِّ مِنْ نَافِقَائِهِ جُمُوحًا إِلَى الْوَهَادِ وَالتَّلَاعِ، وَمِلْتُ أَنْغْلَغُلُ فِي الْأَكَامِ وَالْغَيْطَانِ، بَيْنَ بَارِجٍ وَبَرْجَطَانِ، فِي زِيٍّ خَاتِلٍ أَوْ فِي زِيٍّ شَيْطَانٍ؛ فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي - دَامَ عِرْكَ - لَصَحَحْتُ مِنِّي عُجْبًا، أَوْ مُلِئْتُ مِنِّي رُغْبًا⁽⁴⁾ وَلَوَلَيْتَ عَنِّي هَرَبًا، وَقُلْتُ لَقَدْ لَقِي هَذَا مِنْ سَفَرِهِ نَصْبًا، وَرُبَّمَا أَشْفَقْتُ - دَامَ عِرْكَ - لِلْمَشَقَّةِ، وَبُعْدِ الشُّقَّةِ، مِنْ الْمَشْيِ عَلَى الْقَدَمِ، فَاعْتَصَبْتُ مِنْ أَبِي الطَّيِّبِ نَاقَةً مِنْ أَدَمَ، لَا تَكْسِبُ السَّنْدِيفَ، وَلَا تَحْمِلُ الرَّدِيفَ⁽⁵⁾، يَلِينُ مَسْهَا عَلَى الْاِمْتِهَانِ وَالْهَوَانِ، وَلَا تُجَلِّدُ بِالسَّوْطِ يَوْمَ السَّبَاقِ وَالرَّهَانِ. وَلَا تَعْرِفُ

(1) مقتبس من قول الشاعر العربي مجنون ليلي:

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةٌ قِيلَ يُنْفَذَى يَلِيكِي الْعَامِرِيَّةُ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

ديوانه، ص: 90، الحماسة البصرية، ص: 157.

(2) من قوله تعالى: ﴿هَذَا مُعْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾. سورة ص، الآية: 41.

(3) مقتبس من الحديث النبوي الشريف الذي قاله في المدينة المنورة: «المدينة كالكير تنفي خبثها وتنضح طيبها». اللسان: «نضح».

(4) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَوْ إِطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَيْتَ مِنْهُمْ بَرَارًا وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾. سورة الكهف، الآية: 18.

(5) فيه إشارة إلى قول المتنبي، وكان كثيرا ما يتجشم الأسفار ولا مطية له إلا الخف أو النعل:

لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا
شَرَائِكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّعُوعُ مَقُودُهَا

شرح ديوان المتنبي، ص: 26-27. يتيمة الدهر 1/ 115.



النَّفَارَ وَلَوْ وَطِئَتْ بِهَا رَأْسَ الْحَيَّةِ وَذَنْبَ السَّرْحَانِ، لَوْ حَدَاها أَنْجَشَةُ⁽¹⁾ وَهِيَ تَحْمِلُ
القَوَارِيرَ مَا زَادَتْ فِي خُطَاها، وَقَالَتْ الرَّأْيُ إِلَيْكَ فِي الإسْرَاعِ وَالْإِبْطَاءِ لَمَنْ تَمْطَاها
وَرَكِبَ مَطَاها. وَرُبَّمَا قَرَأَتْ - دَامَ عِزُّكَ - كِتَابَ الْاِخْتِصَارِ، وَقَرَّبَتْ لِي مَطِيَّةً مِنْ مَرْبِطِ
النَّجَّارِ، صَفْرَاءُ هَيْفَاءُ، وَإِنْ ائْتَمَّتْ فَأَمَّها الحَلْفَاءُ لَا الْخَيْفَاءُ⁽²⁾ رَخِيصَةَ الثَّمَنِ، مُشَابِهَةً
لِخَلْقِ الزَّمَنِ، وَإِنْ رَفَهْتَكَ عَنِ الْعَلْفِ، فَإِنَّها سَرِيعَةُ التَّلْفِ، لَا يُرْتَقُ فَتَقُها، وَلَا يُخَاطُ
خِرْفُها، خَشِنٌ مَسُّها وَلَمْسُها، وَخَيْرٌ يَوْمِئِها فِي الاسْتِعْمَالِ أَمْسُها، عَلَى أَنَّها رَخِيصَةٌ
بِالْعِرْقِ وَالْعَيْنِ، إِذْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ: تَقِي مِنْ آفَةِ الْعَيْنِ، ذَلَّ رَاكِبُها وَذَلَّتْ، وَحَلَّ
الْهَوَانُ مَعَهَا حَيْثُ حَلَّتْ، فَبَعْدًا لَهَا لَقَدْ أَوْرَثَتْ قَدَمِي قَرْحًا، ثُمَّ ذَرْتُ عَلَيْهِ مِلْحًا، وَيَا
عَجَبًا كَيْفَ أَضَامُ وَلَمْ أَطُوِ عَلَى غِشٍّ كَشْحًا:

لَئِنْ كَانَ ذَنْبِي لِلزَّمَانِ مَحَبَّتِي فَذَلِكَ ذَنْبٌ لَسْتُ عَنْهُ أَتُوبُ
وَإِنِّي لَأَرْضَى بِالْحَوَادِثِ تَغْتَرِي عَلَى حُبِّكُمْ وَالنَّائِبَاتِ تُتُوبُ⁽³⁾

فَبَيْنَا أَنَا - دَامَ عِزُّكَ - أُخَاطِبُ نَفْسِي عَاذِلًا أَوْ عَاذِرًا، لَا نَاكِسًا وَلَا غَادِرًا، إِذَا وَضَحَ
لِي تَحْتَ الْأَلِ، شَخْصٌ مُكْهَرٌ الْوَجْهَ مُمَزَّقُ الْأَسْمَالِ، فَقُلْتُ مَا لِلْبِدَارِ، وَمَاذَا الزُّيُ
وَالنَّفَارِ، مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ⁽⁴⁾. قَالَ: صَمِّي صَمَامٍ، وَأَكْذِبْ هُنَا بِمَا قَالَتْ حَذَامُ⁽⁵⁾ [نَبَأٌ

(1) النجش: السوق الشديد وأنجشة: رجل كان يسوق الجمال للرسول ﷺ وهو الذي قال في حقه الحديث المشهور «رفقا بالقوارير»؛ أي النساء.

(2) الخيفاء: هي الناقة أو الفرس الذي تكون إحدى عينيه سوداء كحلاء والأخرى زرقاء. ورد في ترجمة ابن عسك المالقي صاحب «أدباء مالقة» من الذيل للمراكشي: «ومن رأى من نظمه» في صفة النعل المتخذة من الحلفاء:

رَكِبْتُ إِلَى لُقْيَاكَ كُلَّ مَطِيَّةٍ مُبْرَأَةً أَنْ تَعْرِفَ الْأَبَّ وَالنَّسْلَا
إِذَا نَسَبُوهَا فَالتَّنَوُّفَةُ أُمُّهَا وَوَالِدُهَا مَاءُ الْعَمَامِ إِذَا انْهَلَا

(3) البيتان من الطويل وهما لابن عمار، الذخيرة 1/ 548.

(4) هو عصام بن الحارث كان شجاعاً استخدمه النعمان بن المنذر حاجباً له وفيه يقول النابغة:
فَلِإِنِّي لَا أَلُومُكَ فِي دُخُولِ وَلَكِنْ مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ

العقد الفريد 3/ 373.

(5) في المثل العربي: «القول ما قالت حذام» وكانوا يصدقونها فيما تقول وقد عكس الكاتب معنى المثل.



يُكْرَهُهُ] الْمُحَدَّثُ وَالسَّامِعُ وَيَكَادُ تَسْتَكُ مِنْهُ الْمَسَامِعُ⁽¹⁾ فَقُلْتُ كَذِبٌ.....

فَقَالَ لِي اسْبِقْ ظِلَّكَ وَأَوْغِلْ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ⁽²⁾ وَالْفَجَاجِ، وَانْجُ بِجُرْنَعَةِ الدَّفْنِ وَمَا إِخَالَكَ بِنَاجٍ، فَمِنْ وَرَائِكَ مَعَ حِلْمٍ مُعَاوِيَةَ سَطْوَةُ الْحُجَّاجِ⁽³⁾ فَقُلْتُ الْأَمْرُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَلَمْ يَغْلِبْ عُسْرُ يُسْرَيْنِ، وَتَصَفَّحْتُ صَحِيفَةَ عَمَلِي، فَأَلْفَيْتُهَا بَيْنَاضَاءِ نَقِيَّةٍ، فَقُلْتُ مِمَّا الْجَزَعُ وَالتَّقِيَّةُ، وَأَنَا أَقَلُّ مِنْكَ هُنَا فَمَا ظَنُّكَ بِي هُنَاكَ، وَتَدْبِقَاعُ قَرْقَرٍ، وَطَلَلُ بَالٍ مَا شَيْدٌ بِكُلْسٍ وَلَا بِمَرْمَرٍ، نَسَبٌ وَلَا نَشَبٌ، وَأَدَبٌ وَلَا ذَهَبٌ، فَمَا لِي أَيْنَ يَعْدِلُ بِي الْحَاسِدُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ، لِسَانُهُ أَفْصَحُ، وَمِيزَانُهُ أَفْسَحُ، وَجَبِينُهُ فِي كُلِّ دُجْنَةٍ أَوْضَحُ، وَبِمَاءٍ يَغْسِلُ دَرَنَ الشَّكِّ وَيَنْضَحُ⁽⁴⁾ ثُمَّ رُضْتُ مَطِيئِي، وَنَفَذْتُ لِي وَجْهَتِي وَطِيئِي، إِذَا غَشِيَتْ أَكْمَةً، أَسْمَعُ فِيهَا رَمْزَةً وَهَمْهَمَةً، وَتَبَيَّنْتُ فَإِذَا أَنَا بِذَنْبٍ ضَارٍ، دَامِي الشُّدْقَيْنِ وَالْأَظْفَارِ، شَهِيرُ الْعَيْنِ وَالْآثَارِ بِتِلْكَ الْأَقْطَارِ، خَرِيتُ⁽⁵⁾ أَوْدِيَةَ، خَرَابُ أُنْدِيَةَ، أَزُلُّ مُشْرِفُ التَّلِيلِ وَالْهَادِي، مُعْضَلَةٌ دَادِي، يَنْظُرُ مِنْ قَبَسٍ، وَكَأَنَّمَا تَعَبَّدَ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ عَبَسَ⁽⁶⁾ طَالَمَا قَتَلَ الرُّعْيَانَ وَالتَّقَفَ الثُّغْبَانَ، وَأَخَافَ السَّيْلَ، وَأَذَاقَ السَّائِمَةَ الْعَذَابِ الْوَيْلَ، أَجَلٌ قَدْ حَضَرَ، وَقَدَرٌ لَا يُنْجِي مِنْهُ حَذَرٌ، فَتَلَمَّظَ وَتَمَطَّى لَا مِنْ كَسَلٍ، كَشَرَ عَنْ

(1) استك مسامعه: صمت وضاعت والقول مقتبس من بيت النابغة:
أَتَانِي أَيْتَ اللَّعْنِ أَتَّكَ لَمْ تَنْبِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

(2) الموماة: المفازة الواسعة.

(3) يقصد بمعاوية ابن سفيان الخليفة المشهور وقد عرف بالحلم، أما الحجاج فهو ابن يوسف الثقفي وقد اشتهر بجبروته وسطوته.

(4) النضح: رش الماء وتفريقه.

(5) الخريت: الدليل الحاذق كأنه ينظر في خرت إبرة. قال رؤبة:

أَرَمِي بِأَيْدِي الْعِيسِ إِذْ هَوَيْتُ فِي بَلَدٍ يَعْنِي بِهَا الْخَرِيتُ

(6) أول سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾. السورة رقم 80، الآيتان: 1-2.



مِثْلَ أَطْوَافِ الْأَسَلِ، وَانْتَفَضَ إِلَيَّ كَمَا انْتَفَضَ إِلَى الْفَرِيسَةِ أُسَامَةُ⁽¹⁾ وَانْتَفَضَ الصَّرِيحُ مِنَ النَّاسِ بِمُحَلِّمِ ابْنِ جُثَامَةَ، وَصَرَبَ بِذَنبِهِ إِلَى الْأَرْضِ فَكَادَ يَتَوَارَى مِنَ الْغُبَارِ فِي عَجَاجَةٍ، وَأَقَمْتُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ رُجَاجَةٍ، فَنَظَرْتُ يَمْنَةً وَشَمْلَةً، فَلَمْ أَرِ إِلَّا خِنْجَرًا وَشَمْلَةً، فَلَفَفْتُهَا عَلَى ذِرَاعِي، وَقُلْتُ لِنَفْسِي لَا تُرَاعِي⁽²⁾، وَوَقَفْتُ ثَبَتَ الْجِنَانِ، وَقُلْتُ لَا نَامَتْ عَيْنُ الْجَبَانِ، وَذَكَرْتُ مَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، عَنْ أَصْحَابِ الْغَارِ وَالْحَجَرِ⁽³⁾، فَقُلْتُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ حَقًّا مَا نُسِبَ إِلَيَّ، سَلَطَهُ عَلَيَّ، وَإِنْ كَانَ كَذِبًا وَمِينًا فَأَقِرَّ لِي بِالظَّفَرِ عَيْنًا، وَصَدَقْتُ الْحَمْلَةَ، وَأَقْدَمْتُ عَلَيْهِ إِفْدَامَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى أَنْفِ رَمْلَةٍ، وَأَثَبْتُ الْخِنْجَرَ فِي خَنْجَرَتِهِ، حَتَّى تَوَلَّى إِلَى قَبْضَتِهِ، فَخَرَّ كَالْهَدَفِ صَرِيعًا، وَعَايَنْتُ مَنْ تَخَبَّطُهُ مَنْظَرًا شَنِيعًا.

وَتَرَكْتُهُ يَلْبَسُ الرَّهَجَ⁽⁴⁾، وَرَكِبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ - دَامَ سَعْدُهُ - الْمَنْهَجَ، وَالْفَأَلُ الصَّالِحُ قَدْ رَمَزَ بِالنَّجْحِ فِيمَا أَمَلُهُ وَنَهَجَ، فَقَالَ ظَفِرْتُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بَعْدُ وَنَصَبَ لَكَ الْحَبَائِلَ خَاتِلًا، وَسَدَّدَ إِلَى نَحْرِكَ سَهْمًا قَاتِلًا، لَكِنَّ اللَّهَ يَقِيكَ وَالْأَجَلَ، وَمَا يُقِيمُهُ مِنْ حُجَّتِكَ الْوَزِيرُ الْأَجَلَ، فَكَمْ أَعْتَقَ مِنْ رَقَبَةٍ، وَدَمَّتْ⁽⁵⁾ مِنْ عَقَبَةٍ، وَفَكَ مِنْ أُسْرِ، وَوَضَعَ مِنْ إِضْرٍ، وَنَسَخَ مِنْ عُسْرِ يُيَسِّرُ. فَجِثَّتْكَ - دَامَ عِزُّكَ - لَا مُسْتَقِيلًا مِنْ عِثَارٍ، وَلَا مُنَاجِيًا

(1) أسامة: من أسماء الأسد لا ينصرف وهو معرفة وليس بنكرة، قال زهير:
وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ دُعِيتَ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ

(2) مقتبس من قول الشاعر الخارجي، قطري بن الفجاءة:
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ لِنَفْسِي مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ سِوَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي

العقد 1/ 105.

(3) تنظر قصتهم في كتاب العقد الفريد للملك السعيد، ص: 127-128.

(4) الرهج: الغبار، وفي الحديث «ما خالط قلب امرئ رهج في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار». اللسان: «رهج».

(5) دمت الشيء إذا مرسه حتى يلين، وفي المثل «دمت بجنبك».



مُنَاجِيًا يَلْسَانَ اعْتَدَارَ، وَلَا مُذْنِبًا يَلُودُ بِحَضْرَةِ الْاِغْتِفَارِ. فَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْبَاطِلُ لَجَلَجُ⁽¹⁾
وَبِالسَّيْفِ يُقَامُ الْمَيْلُ وَالْعَوَجُ. أَرِدَّةٌ بَعْدَ إِيمَانٍ؟ أَنْكَثُ بَعْدَ عُهُودٍ مُعْلَظَةٍ وَإِيمَانٍ؟
أَتَعَرَّضُ لِهَلَاكِ بَعْدَ قَرَارٍ وَأَمَانٍ؟. وَاللَّهُ مَا خَاطَبْتُ ابْنَ فُلَانٍ، وَلَا أَعْرِفُ الْحَقَّ إِلَّا لِمَنْ
تَمَلَّكَنِي بِالْإِحْسَانِ وَالْاِمْتِنَانِ. وَالْمَلِكُ الْأَجَلُ الْهُمَامُ الْأَفْضَلُ - خَلَدَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ -
وَدَعَوَتُهُ وَإِنْ صَحَّ عَلَيَّ غَيْرُ هَذَا بَعْدَ الْاِسْتِثْنَاتِ، وَالذَّلَالَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

فَالسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ⁽²⁾

فَاصْدَعْ دَامَ عِزُّكَ مُتَأَجِّرًا بِاخْتِجَاجِي، عِنْدَ اخْتِجَاجِي، وَكُنِ النَّيِّرَ الْأَزْهَرَ أَثْنَاءَ إِسْرَائِي
وَإِذْ لَا جِي:

وَتَرَاجَاهَا مِنْ إِيْلٍ تَرَاجَاهَا أَمَا تَرَى الْمَوْتَ لَدَى أَوْرَاجِهَا⁽³⁾
لَا زِلْتَ تُحْسِنُ صَنِيعًا، وَتُجِبِرُ صَرِيْعًا، وَتُخَيِّي نَفْسًا مُؤْمِنَةً ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا
بِكَاثَمًا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾⁽⁴⁾ وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ رِسَالَةٌ فِي صِبَاغِ كِسَاءٍ:

وَلِلْاِخْتِيارَاتِ غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْاِجْتِهَادِ، وَبِذَلِكَ النَّصِيحَةِ فِي الْاِنتِقَاءِ وَالْاِزْتِيَادِ،
وَعَنْتَ لِي مَأْرِبَةٌ هُنَاكَ بِيَدِكَ زِمَامُهَا، وَبِدَوِّهَا وَتَمَامُهَا، وَهِيَ أَنْ يُصْبَغَ لِي عَنْ أَمْرِكُمْ،

(1) من الأمثال وهو يعني أن الحق واضح والباطل ملتبس. قال المبرد: قوله: «لجلج»؛ أي يتردد فيه صاحبه ولا يصيب منه مخرجا أما الأبلج فهو الواضح ومن قول الشاعر:
حَتَّى بَدَتْ أَغْنَاقُ صُحُبِ أَبْلَجَا

مجمع الأمثال 207 / 1.

(2) البيت من البسيط وهو لأبي تمام من قصيدته المشهورة التي قالها لما فتح المعتصم عمورية. ديوانه،
ص: 40 / 1.

(3) الورك: والجمع أورك ما فوق الفخذ كالكتف فوق العضد. بيت شعري لطفيل بن يزيد الحارثي وهو
من شواهد الكتاب لسيبويه 241 / 1.

(4) سورة المائدة، الآية: 34.



وَتَحْتَ نَظَرِكُمْ، كِسَاءٌ وَجْهَتُهُ إِلَيْكَ، وَيَرِدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى يَدَيِ مُوَصِّلٍ آخَرُ فِي عَالِيكَ، فَاسْتَنْبِطَ أَعَزَّكَ اللَّهُ بِذَهْنِكَ وَتَهَمُّمِكَ مِنْ حُمْرَةِ الْخَجَلِ، وَصُفْوَةِ الْوَجَلِ، لَوْنًا ذَا اسْتِرَاكِ، بَيْنَ حَوَّةِ اللَّعْسِ وَصُفْرَةِ الْمِسْوَاكِ، كَأَنَّمَا أَعَارَهُ قَوْسُ قَرْحٍ شُعَاعًا، أَوْ نَثَرَ عَلَيْهِ الْوَرْدَ الْيَانِعَ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ الْمُوَدَّعَةِ فِي رُؤُوسِهِ قِنَاعًا، أَوْ أَلْبَسَهُ قَمِيصًا، ثُمَّ أَهْدَى إِلَيْهِ سَفْحَ قَاعُونِكُمْ⁽¹⁾ مِنْ تَرْجِيهِ الْعَصْبِ بِصِيصًا، فَلَا تَلْقَى إِلَّا مَنْ تَرَاهُ عَلَى الْاِسْتِمَالِ بِهِ حَرِيصًا، وَمَوْصَلُهُ أَعَزَّهُ اللَّهُ كَفِيلٌ بِأَدَاءِ مَا يَتَوَبُّهُ بِمِيزَانٍ عَدْلٍ لَا يَخِيسُ شَعِيرَةً، فَلْيَزِدِ الصَّانِعُ فِي اجْتِهَادِهِ بِصِيرَةٍ، وَلْيُكْمِلْهُ عَلَى الْمُرَادِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ، وَاللَّهُ يُطِيلُ عُمُرَهُ مُتَمِّمًا لِلْأَمَلِ، مُوَفِّقًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، بِعِزَّتِهِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ: وَكَانَ مُوَلَّعًا بِالتَّيْنِ الصَّهَابِيِّ⁽²⁾:

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي كَسَا الشَّجَرَ أَوْرَاقًا، وَجَعَلَ لِعِبَادِهِ فِيهَا أَزْرَاقًا، وَرَكَّبَ فِي أَغْصَانِهَا نُهْدًا وَحِقَاقًا. فَإِنَّهُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَبْلُ وَبَعْدُ، قَدْ هَيَّا لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا⁽³⁾، وَمَا

(1) يشير ابن مغاور إلى قاعون CAOUN وهو جبل ذكره الإدريسي عند حديثه على دانية، قال: «وفي الجنوب منها جبل عظيم مستدير يظهر من أعلاه جبال يابسة في البحر، ويسمى هذا الجبل جبل قاعون» النزهة: 557. وورد اسم هذا الجبل في شعر لأبي حفص العروضي قاله لما نزل بدانية وطولب بمكس (معجم السفر للسلفي ومعجم ياقوت):

مَا وَاجِبٌ مِثْلِي يُمَكِّسُ عِدْلَهُ لَوْ كَانَ يَغْدِلُ وَزْنُهُ قَاعُونًا

وجاء ذكر «جبل دانية المعروف بقاعون» في آخر رحلة ابن جبير. ويبدو أن ابن مغاور خاطب بهذه الرسالة بعض أهل دانية التي تبعد عن شاطبة بخمسة وعشرين ميلا أو غيرها من الجهات الواقعة في سفح جبل قاعون ومنها بكيران (بيران 3) التي كانت «تصنع بها ثياب بيض تباع بالأثمان الغالية ويعمر الثوب منها سنين كثيرة وهي من أبدع الثياب عتاقة ورقة حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد في الرقة واللباض». (الإدريسي: 557).

(2) أشار أستاذنا الدكتور محمد بن شريفة إلى بعض أنواع التين المعروفة بالأندلس فقال: منه المالقي والشعري والإشبيلي ولم يذكر من بين هذه الأنواع «الصهابي» ولم نعر على نص آخر يشير إليه البسطي آخر شعراء الأندلس، ص: 49.

(3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾. سورة الكهف، الآية: 10.



كَانَ لِيَدَعَنَا سُدًى، أَمْتَعَنَا بِطُفِهِ وَعَطْفِهِ، بِأَمْ تُعِينُ عَلَى بَرِّهَا، وَلَا تَبْخُلُ بِدَرِّهَا، تُرْضِعُ
بَعْدَ الْفِطَامِ بَيْنَهَا، وَتَسَاقِطُ رُطْبًا جَنِيًّا عَلَى مُجْتَنِيهَا⁽¹⁾ تَقِينَا بِظِلِّهَا الْبَرْدَ وَالْحَرَّ، وَتَذَرُّ
عَنَّا بِشَخْصِهَا الْقَرَ وَالصَّرَّ، عَجُوزُ فَتِيَّةٌ، فَصِيحَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ، فَإِنْ انْتَسَبَتْ فَصَهَايَةٌ⁽²⁾.
قَرَاهَا غَيْرُ مَمْنُونٍ، وَكَمْ تَحْتَ أَوْرَاقِهَا مِنْ بِيضٍ مَكْنُونٍ، وَكَمْ حَصَنْتُ مِنْ يَتِيمٍ، أَخْضَرِ
الْأَدِيمِ، مُعْرِقِ الْأَدِيمِ، مَزَقْتَ جِلْدَتَهُ الصَّبَا، فَاجْتَمَعَ وَاحْتَبَى، وَشَاخَ فِي شَرْخِ الصَّبَا،
ذِي رِيْقٍ سَائِلٍ، وَجِيدٍ مَائِلٍ، وَمَا شِئْتَ مِنْ تُدِيٍّ مُلْسٍ، وَشِفَاهٍ لُغْسٍ، فَهَلُمَّ يَا أَخِي صَلِّ
خُطَاكَ، وَاشْكُرِ اللَّهَ فَكَثِيرًا أَعْطَاكَ:

بِأَبِي الْيَوْمِ وَنَفْسِي بَلَسُ ⁽³⁾	كُتْدِي الزَّجِجِ دَرَّتْ عَسَلَا
عَبَّئْتُ فِي بُرْدِهِ كَفَّ الصَّبَا	فَرَدًّا مِنْ جَدِيدٍ سَبَلَا ⁽⁴⁾
سَهَرِ اللَّيْلَةِ يَزَعَى نَجْمَهَا	ثُمَّ أَغْفَى فِي الصَّبَاحِ كَسَلَا
لَيْتَ شِعْرِي مَنْ سَقَاهُ خَمْرَةً	شَفَقُ الصُّبْحِ فَأُضْحَى ثَمَلَا
مَائِلَ الْجِيدِ عَلَتْهُ نَعْسَةٌ	سَائِلَ الرِّيقَةِ مَهْمَا غَفَلَا
كُلُّ يَوْمٍ لِي عَلَيْهِ غَارَةٌ	غُدَّةَ الصُّبْحِ وَأُخْرَى أُضَلَا
لَسْتُ أَزَوَى مِنْ أَوَامِي بِهِمَا	إِنَّمَا الرِّيُّ شَرَابِي عَلَلَا ⁽⁵⁾

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَهَرَجَ إِلَيْكَ بِجُدْعِ النَّحْلَةِ تَسْلَفُ عَلَيْهِ رُطْبًا جَنِيًّا﴾. سورة مريم، الآية: 24.

(2) لعل هذا التين ينسب إلى «صهاب» وهي قرية فارسية وقد يكون أحد الفاتحين أدخل هذا النوع إلى الأندلس. الروض المعطار، ص: 368.

(3) البلس: التين، وقيل تمر التين.

(4) السبل: المطر المسبل وأسبل المطر والدمع إذا هطلا قال بعضهم.

السبل: المطر الذي يخرج من السحاب ولم يصل الأرض اللسان: «سبل».

(5) العلل: الشرب الثانية، وقيل الشرب بعد الشرب اتباعا ولذلك يقال علل بعد نهل. والأبيات من الخفيف.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَخْرٍ صَفْوَانَ بْنِ أَذْرِيسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَصِفُ دَابَّةً سَيِّئَةً:

لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي غَنَى بَيْنَكُمْ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَّاحُ الشَّقِيقِ فَاحْتَرَقَا⁽¹⁾
غَنَى فَعَنَى وَنَعَبَ فَاتَّعَبَ، فَكَانَ فَضْلُ الْقَضِيَّةِ أَنِّي ارْتَحَلْتُ، فَاْمَحَلْتُ وَبَنْتُ فَعُيْنْتُ،
وَأَتَقَلْتُ، فَمَا عَقَلْتُ، وَتَرَحْتُ، فَتَفَيْتُ الْكَرَى عَنْ نَاطِرِي وَرَحَزْتُ، وَوَطَأْتُ مَرْكَبَ
السَّيْرِ فَمَا نَزَحْتُ.

هَيَّا لِي الْقَدَرُ بَغْلًا يَحْسُدُ رَاكِبُهُ رَاكِبَ الْغَيْرِ، وَيَرَى الْفَضْلَ إِلَيْهِ بِرُكُوبٍ أَحْيَى بَنِي
نُمَيْرٍ، نَطَقَ لِسَانُ كَلَالِهِ فَأَفْصَحَ، وَكَادَ مِنْ طُولِ الْبَلَى أَنْ يُنْصَحَ⁽²⁾ إِنْ وَجَدَ مَبْرَكًا
فَعَدَ، وَأَنْجَزَ بِالْعَجْزِ مَا وَعَدَ، وَأَنْشَدَ وَقَدْ صَوَّبَ فِي الْفَشَلِ وَصَعَّدَ:
فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي⁽³⁾
وَيَرْغُو عِنْدَ رُؤْيَةِ الشَّعِيرِ، رُغَاءَ الْبَعِيرِ، وَيُرْزَمُ⁽⁴⁾ إِلَى الْقَصِيلِ⁽⁵⁾ إِزْرَامَ الْفَصِيلِ⁽⁶⁾،
وَيَلْجُ فِي زَفِيرٍ وَأَنِينٍ، وَيُنْشِدُ بِصَوْتِ حَيْنٍ:
وَقَفَ الْهَوَى بِحَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مَّا أَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ⁽⁷⁾

(1) البيت من البسيط.

(2) مصحح الكتاب: ذهب ومصحت الدار عفت. وهو من رجز لرؤية ونقشة:
فَانْهَدَّ مِنْ كَرٍّ أَصِيلٍ وَضَحَى وَكَادَ مِنْ طُولِ الْبَلَى أَنْ يُنْصَحَا

(3) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه، ص: 161. وهو من الطويل.

(4) أرزم: أطلق صوتا دون أن يفتح فمه.

(5) القصيل: نبات يصلح لعلف الدواب.

(6) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(7) البيت لأبي الشيص وهو في الحماسة لأبي تمام، ص: 143، الزهرة، الجزء: الأول، ص: 20، شرح
المقامات للشريشي 39/2، المرقصات والمطربات ص: 47، نفحة الريحانة 1/110.



إِنْ أُعْجِلَ عَثْرَ، وَإِنْ لَوِيَ انْتَثَرَ، وَإِنْ دَبَّ فَوْقَ جِلْدِهِ مُخَوِّلٌ مِنَ الذَّرِّ أَثَرٌ⁽¹⁾، يَتَوَجَّعُ لِلنَّهِيمِ، وَهُوَ يَشْرَبُ الْمَاءَ شُرْبَ الْهَيْمِ⁽²⁾، وَيَتَأَلَّمُ إِنْ أَحَسَّ مِنْ عَقَبِيٍّ ضَمًا، وَهُوَ يَأْكُلُ الْعَلْفَ ﴿أَكْلًا لِّمًا﴾⁽³⁾، يَدْبُ إِلَى عِلْفِهِ دَيْبَ الْحُبَابِ، وَيَكَادُ يَتَفَسَّخُ بِرَاكِبِهِ تَفَسُّخَ الْحَبَابِ⁽⁴⁾، إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ يَسْجُدُ رَاكِبُهُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، وَلَا يَتَيَمَّمُ إِذَا وَقَعَ إِلَّا إِلَى الْكُوعِ، فَلَمَّا اقْتَعَدْتُ قَرَاهَ، فَطَلَبَ مِنْ سَيْرِهِ قَرَاهَ، أَلْفَيْتُ الْمَاءَ فِي دَارِ عُثْمَانَ لَهُ ثَمَنٌ⁽⁵⁾، وَوَجَدْتُهُ بِأَنْوَاعِ الْفَسْلِ وَالْكَسَلِ قَمَنَ، فَكُلَّمَا رَكَضْتُهُ وَقُلْتُ: أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمَعَارُ⁽⁶⁾

كَانَ جَوَابُهُ:

وَرُبَّ قَتْلٍ عَارٍ

وَلَمَّا ازْتَبَطْتُهُ وَمَا أَكْرَمْتُ، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَحْسَنُ مِنْ حَيْثُ اجْتَرَمْتُ، قُلْتُ لَعَلِّي أُودَّبُهُ فَيَنْجَحُ فِي فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ، وَيَكُونُ كَنْضَلَةٍ فِي يَوْمٍ غَوْلٍ⁽⁷⁾، فَيُبدِلُ قُبْحَهُ الْحَسَنَ وَيُبَيِّحُ:

(1) هذا من قول امرئ القيس:

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوَدَبَّ مُخَوِّلٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِنْتِ مِنْهَا لَأَثَرَا

(2) تعبير مقتبس من القرآن قال تعالى: ﴿يَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ يَشْرَبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾. سورة الواقعة، الآيتان: 57-58.

(3) سورة الفجر، الآية: 21.

(4) الحباب بالضم الحية، وبالفتح انكسار الماء مع وجود فقايع قال طرفة:

يَشْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَائِلُ بِالْيَدِ

والبيت من المعلقة.

(5) هذا من قول عبد الملك الحارثي:

الْمَاءُ فِي دَارِ عُثْمَانَ لَهُ ثَمَنٌ وَالْخُبْزُ فِيهَا لَهُ شَانٌ مِنَ الشَّانِ

(6) شطربيت من الوافر، وهو لبشر بن أبي خازم أو الطرماح، وأوله:

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ

(7) نضلة: هو نضلة السلمي، كان دميما ولكنه كان ذا بأس ونجدة ويوم غول من أيام العرب.



وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ⁽¹⁾

فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ فَرَعَ سُوءَ خُلُقِهِ، لِسُوءِ خَلْقِهِ وَسَبْقِهِ، وَأَشْبَهَ شَرْجَ شَرْجَا وَوَافَقَ شَنْ طَبَقَةً⁽²⁾، فَرُبَّمَا كُنْتُ حِينَ أَرَى كَسَلَهُ قَدْ زَادَ، تَارَةً أَلْقِي النَّعْلَ وَالصَّحِيفَةَ وَالزَّادَ، وَتَارَةً أَنْفَصِلُ عَنْ طَبِئِي، وَأَعْقِرُ لِغَيْرِ الْعَذَارَى مَطِئِي⁽³⁾ وَكُنْتُ خِلَالَ ذَلِكَ أَنْتَقِلُ إِلَى مَرْكُوبٍ لَا يَقْبَلُ الرَّدِيفَ، وَلَا يَحْتَمِلُ السَّدِيفَ⁽⁴⁾، لَا يُجْهَدُ بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ، وَلَا يَعْلَمُ رُكُوبَهُ إِلَّا الْمُهَّانُ⁽⁵⁾ لَا يَمْشِي إِلَّا فِي قَيْدٍ، وَلَا يَزَالُ يَضْرِبُ الْأَرْضَ ضَرْبَ زَيْدٍ، دَابَّةٌ تَغْدُو وَتَرُوحُ، وَمَا لِحِجْسِمِهَا رُوحٌ، وَتَدْبُ عَلَى بَطْنِهَا دَيْبَ الْحَيَّةِ، مَيْتَةٌ غَيْرَ حَيَّةٍ، وَلَعَلَّكَ تَخَيَّلُ أَنَّ هَذِهِ الدَّابَّةَ عَلَى غَيْرِ قَدَمٍ، نَعْلٌ مِنْ شِرَاكِ أَوْ أَدَمٍ، عَلَى رِسْلِكَ مَا هِيَ إِلَّا مَطِيَّةٌ مِمَّا تَنْبُتُ الْأَرْضُ، مَا لَهَا بَطَانٌ⁽⁶⁾ وَلَا عَرَضُ، وَاحِدَةٌ اجْتَمَعَتْ فِيهَا الْقِرَابُ، أَبُوهَا الْمَطَرُ وَأُمُّهَا التُّرَابُ.

فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ فِي شُؤُونٍ وَأَنْبَاءٍ، وَأَحْوَالٍ تَتَلَوْنَ تَلَوْنَ الْحَرْبَاءِ، حَتَّى أَلْقَيْتُ بِهِذَا الْأُفْقَ عَصَا السَّيَّارِ، وَأَنْبَرَيْتُ أُطَارِحُ بِذِكْرَاكُمْ سُوَادِي الْأَطْيَارِ، فَنَاهَيْكَ مِنْ حَالٍ، ذَاتِ إِمْحَالٍ، وَبَالٍ، ذِي وَبَالٍ، وَرَوْعَةٍ لَوْ نَفَخْتَ عَلَى الْغُصْنِ مَا أَوْرَقَ، وَلَوْعَةٍ لَوْ لَفَحْتَ

(1) عجز بيت لنضلة وأوله:

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهَوَّ حُرُّ

(2) مثل عربي معروف وقد نظمه أحد الشعراء فقال:

لَقَيْتُ شَنْ إِيَادًا بِالْقَنَّا وَلَقَدْ وَافَقَ شَنْ طَبَقَةً

مجمع الأمثال 2/ 360، جمهرة ابن دريد 1/ 99.

(3) فيه إشارة إلى قول امرئ القيس في معلقته:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِئِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمِّلِ

(4) الرَّدِيف: الراكب الذي يكون خلف صاحبه على برذون واحد؛ أما السَّدِيف: فهو السير بالليل. قال المتنبي:

لَا نَأْقِي تَحْمِيلَ الرَّدِيفِ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدَهَا

(5) الْمُهَّان: هم أصحاب الحذق في حرفة من الحرف أو عمل من الأعمال؛ ومنه قول عائشة: «كل الناس مُهَّانٌ أَنْفُسَهُمْ».

(6) الْبِطَان: الحزام الذي يكون تحت بطن الدابة.



وَجَهَ الْمَاءِ لاختَرَقَ، وَلِلَّهِ قَطْرٌ اكْتَنَفَتْ مَحَاسِنُكُمْ رُبُوعُهُ، وَاقْتَبَسَ مِنْ أَنْوَارِكُمْ تَابِعُهُ
وَمَتَّبِعُهُ، كَمْ أَرَدَدُ بَيْنَ الضَّدَيْنِ، فِي حَسَدِهِ وَوِدَادِهِ، وَأَنْحَازُ طَوْرًا إِلَى أَوْلِيَائِهِ وَطَوْرًا
إِلَى أَعْدَائِهِ. أَمَّا حَسَدِي لَهُ فَلَا نُهُ لَهُذَا الْقَطْرِ فَيَكُمُ غَاصِبٌ، وَكَيْفَ يَسْتَأْثِرُ بَيْنَ الْمَالِ
إِذَا حَضَرَ الْعَاصِبُ⁽¹⁾. فَهَذَا الْقَطْرُ حَلَّ بِهِ تَمَائِمُكَ الشَّبَابِ، وَبَنَتْ لَكَ فِيهِ نَشَأَتَكَ
ضَرِيحًا تَبْلُغُ بِهِ فِي سَمَاوَاتِ السُّمُوءِ أَسْبَابَ، وَهَذِهِ الْأَرْضُ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدَكَ
تُرَابَهَا⁽²⁾، وَمَحَضَّتْكَ الْوَدَّ حَتَّى كَادَ يَكُونُ لَكَ مَاءُ سَرَابِهَا، وَيَتَرَاءَى فِي مِسْلَاخِ الْبَشِيرِ
غُرَابِهَا، فَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْحَقِّ الْمَظَالِمِ، فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالْهَمْدَانَ ظَالِمٌ⁽³⁾. وَعَادَ
الْحَدِيثُ مَا جَرَّ أَوَّلَهُ، وَعَلَى مَحَاسِنِكُمْ مُعْتَمِدُهُ وَمُعَوَّلُهُ.

أَمَّا الْوِدَادُ لِذَلِكَ الْقَطْرِ فَهَذَنَّهُ عَلَى دَخَنِ⁽⁴⁾ لَا تَرْجِعُ
أَعَزَّكُمْ اللَّهُ أَحَبَّهُ فَبِأَنَّكُمْ حَلَيْتُمْ عَاطِلَهُ، وَجَلَّوْتُمْ لِي مَا طَلَهُ

أَبَا جَعْدَةَ وَلَقَدْ ذَكَرْتَنِي هَذِهِ الْقَضِيَّةُ بِقَوْلِ أَخِي بَنِي جَعْدٍ ... :
وَأَلْقِي عَلَى جِيرَانِهَا مَسْنَحَةَ الْهَوَى وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا لِي قَبِيلًا وَمَعَشَرًا⁽⁵⁾
وَلَا أَمْرٍ مِنَ الْاسْتِذْعَاءِ لِلْمَوَدَّةِ وَالْأَسْبَابِ، أَحَبَّ قَيْسٌ بِزَعْمِهِ السُّودَانَ حَتَّى مِنْ
الْكِلَابِ⁽⁶⁾، فَلَا غَرَوْا أَنِّي أَهِيْمُ بِذَلِكَ الصُّقْعِ الظُّلُومِ، وَأَنْقَلُهُ إِلَى بَابِ الْمَحْمُودِ وَهُوَ

(1) العاصب: الذي يرث الرجل عن كلاله من غير والد ولا ولد. وفي الفرائض: كل من لم تكن له فريضة مسماة.

(2) مقتبس من قول الشاعر رفاع بن قيس الفقعسي:

بِلَادُ بَيْهَا حَلَّ الشَّبَابِ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابَهَا

الأمالي 1/ 83، الزهرة 2/ 300.

(3) هذا من قول مالك بن حريم:

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فَهَذَا أَنَا فِي ذَا يَالْهَمْدَانَ ظَالِمٌ

(4) مثل مشهور ومعروف.

(5) البيت من الطويل ولعله يقصد بأخي بني جعد النابغة الجعدي.

(6) هذا من قول الشاعر:



عِنْدِي فِي بَابِ الْمَذْمُومِ. وَأُولَى مَوَاطِئِ نَعَالِكُمْ مِنْهُ بِفَمِ الْوَهْمِ تَقْبِيلًا، فَبَكَرْهِي لَوِ اسْتَطَعْتُ سَبِيلًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَرِيمًا فَإِنَّهُ يَحِلُّ بِهِ شَخْصٌ مَا يَزَالُ لِي غَرِيمًا، وَاعْجَبَ لَهُ كَيْفَ لَا يَنْقَشِعُ غَيْمُ ظُلْمِهِ وَيَنْجَابُ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ تُسْتَجَابُ⁽¹⁾؟ وَأَنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، وَأَعْجَبَ مِنْهُ أَهْلُهُ كَيْفَ يَسْتَهْوِئُونَ عَظِيمًا فِيكُمْ وَيَحْتَفِرُونَ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ.

وَأِلَى هَذَا فَإِنِّي اجْتَمَعْتُ بِالْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُعَاوِرٍ مُلْقِي الْقِيَادِ لِفَصَاحَتِكُمْ، وَالْمُعْتَرِفِ أَنَّ الْبَيَانَ وَهُوَ أَقْلُ حَلَاكُمُ لَمْ يُخَيِّمْ إِلَّا بِسَاحَتِكُمْ، فَطَالَبْتُهُ بِمَا كُنْتُمْ ذَكَرْتُمْ مِنَ الاسْتِئْجَازِ، فَقَالَ يَا لِلْمُسْلِمِينَ مَتَى اخْتِاجَتِ الصُّدُورُ إِلَى الْأَعْجَازِ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ فَضَلْتُ أَرْضَ الْحَبَشَةِ أَرْضَ الْحِجَازِ، وَمَالَ إِلَيَّ يَقُولُ لِي لَعَلَّكَ وَهَمْتَ، وَمَا فَهَمْتَ، وَغَفَلْتَ فِيمَا تَكْفَلْتَ، مَنْ جَعَلَ الْوَهْدَ عِلْمًا، وَالْمَجْهَلَ مَعْلَمًا، فَحِينَ رَأَيْتُ مَطْلَهُ وَلَيْتَهُ، قُلْتُ لَهُ وَلَا كُلُّ هَذَا يَا عَلَيْهِ، فَرَزَخِ عَنْ وَجْهِ الْجِدِّ حَاجِبِ الْجِلْبَابِ وَأَنْزِلْ بِمَنْزِلِ زَيْنَبَ وَالرَّبَابِ، فَمِثْلُ هَمْدَانَ سَنَى فَتَحَةَ الْبَابِ، فَقَالَ: أَمَا عَلَى مَعْنَى الْاِئْتِمَارِ لِلْمَجْدِ فَأَهْلًا وَسَهْلًا، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِمَا أَهْلَنِي أَهْلًا، لَكِنِّي لِمَا أَمَرَ بِهِ ذَلِكَ الْجَلَالِ مِنَ الْمُذْعِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَابِلٌ فَمَا نَهَى عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ⁽²⁾.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ مُدَّةَ سَيِّدِي وَالزَّمَانَ يَخْدُمُ جَنَابَهُ الْأَعَزَّ، حَتَّى لَوْ طَالَبَهُ بِالْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ أَوْ بَيَضِ الْأَنْوَقِ⁽³⁾ مَا امْتَنَعَ وَلَا عَزَّ، وَالْقَضَاءُ السَّعِيدُ يَجْرِي بِوَفْقِهِ، وَيَعْمَدُ إِلَى كَوَاكِبِ أَغْرَاضِهِ فَيُطْلِعُهَا بِأَفْقِهِ:

أَحِبُّ لِحُبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحِبُّ لِحُبِّهَا سُودَ الْكِلاَبِ

(1) مقتبس من قول الرسول ﷺ في حديثه المشهور: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

(2) قول الرشيد لأخته عليّة أول قولها عندما قرأت: فإن لم يصبها وابل فما نهى عنه أمير المؤمنين.

(3) مثلان معروفان يضربان للأمر المستحيل وقد قال الشاعر في ذلك:

طَلَبَ الْأَبْلَقُ الْعَقُوقَ فَلَمَّا لَمْ يَنْلَهُ أَرَادَ بَيَضَ الْأَنْوَقِ



تُمسِي الأمانِي صَرَعى دُونَ مَبْلَغِهِ فَلَا يَقُولُ لِشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي⁽¹⁾
وَالسَّلَامُ عَلَى مَحَلِّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وَلَهُ فِي وَصْفِ مَطَرٍ مَعَهُ بَرْقٌ وَرِيحٌ وَرَعْدٌ:

السَّلَامُ الطَّيِّبُ الْأَرْجُ وَالْبَرَكَاتُ تَعْطِيفُ وَفُوقُهَا وَتَعَرَّجُ، عَلَى مَقَامٍ أَخَيْرُضِي بَرُّهُ
حَتَّى يُخْرِجَ، وَرُبَّ بَرٍّ أَضَاعَ مِنْ إِسْقَاطِ الْكُلْفَةِ حُقُوقًا، فَاسْتَحَالَ لِلتَّكْلِيفِ عُقُوقًا.
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ هَذِهِ مُجَارَاتٌ شِعْرِيَّةٌ، وَإِشَارَاتٌ بِالْمَجَازِ حَرِيَّةٌ، وَحَاشَى لِلَّهِ أَنْ تُوسَمَ بِمَا
يَغُضُّ مِنْهَا تِلْكَ الْمَآخِذِ السَّرِيَّةِ، أَخُونَا أَتَمَّ كَرَمًا، وَأَحْمَى حَرَمًا، مِنْ أَنْ يَتَعَلَّقَ الْعَيْثُ
بِغَيْثِهِ، أَوْ يُقَدِّمَ هَزْلُ النِّقْدِ عَلَى جِدِّ لَيْثِهِ، وَإِنَّمَا لِلْأَفْكَارِ خُزْغِيلَاتٌ مُلَفَّقَةٌ، وَأَغْرَاضٌ إِلَى
التَّزْوِيرِ مُؤَفَّقَةٌ، وَدُعَابَاتٌ مَعْرُوفَةٌ، وَإِلَى مَآخِذِ الْفُكَاهَةِ مَضْرُوفَةٌ وَلَيْسَ هَذَا حِينُهَا، وَلَا
فِي هَذَا الْوَقْتِ يُطْرَبُ تَلَحُّنُهَا، فَقَدْ كَانَ لَنَا فِي وَصْفِ أَحْوَالِنَا مَآرِبٌ، وَإِشَارَةٌ إِلَى
مَآثِلِهِ مِنْهَا الْغَمَامُ السَّارِبُ.

فَارَقْتُكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْحَمِيمُ، وَالْأَخُ الَّذِي لِيَدَايَتِهِ فِي السُّؤْدَدِ تَتِيمٌ، وَالْجَوُّ بِالسَّحَابِ
الثَّقَالِ مُتَنَقِّبٌ، وَأَنَا مِنْ فَيْضِ جُفُونِهِ خَائِفٌ مُتَرَقِّبٌ، وَرُبَّ مَحْذُورٍ يَقَعُ، وَحَذِيرٍ أَصَابَهُ
مَا يُتَوَقَّعُ. فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى الْقَنَاطِرِ⁽²⁾ تَحَلَّيْتُ بِلُؤْلُؤِ السَّحَابِ الْمَوَاطِرِ، وَمَا خَلَصْتُ
إِلَّا خُلُوصَ الْمُخَاطِرِ، بَيْنَ بَرْقٍ كَمَا هَزَّ الْحُسَامُ الدَّامِي، لَا يَصِحُّ عَلَى الْأَمْنِ بِشِيمَةٍ⁽³⁾
إِقْدَامِي وَلَا تَقِفُ أَقْدَامُ صَبْرِي عَلَى خَطْفَتِهِ فَكَيْفَ بِأَقْدَامِي، وَرَعْدٍ كَمَا زَارَ أَسَامَةً⁽⁴⁾
كَأَنَّهُ يَنْعَى عَلَى الْبَرْقِ ابْتِسَامَهُ وَيَصْبِحُ بِهِ.....

(1) البيت من البسيط وهو للمتنبي من قصيدة مطلعها:

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرُّكْبِ وَالْإِبْلِ

ديوانه 3/ 198 برواية (فما يقول).

(2) القناطر: اسم موضع قريب من قطرال غير بعيد عنه.

(3) يقال شم فلان السحاب والبرق شيما نظر إليه أين يقصد وأين يمطر، وقيل الشيم النظر إلى البرق
والسحاب من بعيد.

(4) أسامة: اسم يطلق على الأسد ويلقب به.



الْأَرْضَ عِذَارَ خُضْرَتِهَا كَذَلِكَ إِلَى «قَطْرَالٍ»⁽¹⁾ بَثَّ بِهَا فِي جَوَارِ قَوْمٍ حَدِيثُهُمْ عَنِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ، وَرِزْقُهُمْ بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالذَّوَابِلِ ثُمَّ قُمْتُ مُصْبِحًا إِلَى مُرْسِيَةِ وَالْمَطِيَّةِ بِالْوَحْلِ تَنْعَلُ، وَالْغَمَامُ يَهُمُّ وَلَا يَقْعَلُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَعِنْدَمَا وَصَلْتُهَا وَجَدْتُ أَبِي وَمَوْلَايَ عَلَى الْمَشْيِ عَنِّي عَازِمًا فَكَانَ وَصُولِي لِحَرَكَتِهِ حَرْفًا جَازِمًا، فَكَفَيْتُهُ مُؤَنَّةَ الْمَشَقَّةِ، وَأَرْخَتُهُ مِنْ قُطْعِ الشُّقَّةِ. وَاللَّهُ يَجْعَلُ فِي هَذَا خَيْرًا، وَيُخَيِّرَ لِمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ إِيَابًا وَمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ سَيْرًا؛ بِمَنِّهِ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ إِنْشَاءٍ غَيْرِهِ فِي وَصْفِ دِيكَ :

أَمَّا بَعْدُ: رَفَعَ اللَّهُ فِي الْعَطَاءِ قَدْرَكَ، وَسَوَّغَ بِأَطْيَبِ الْعَرْفِ ذِكْرَكَ، وَأَرْشَدَ إِلَى مَا تَهْوَاهُ أَمْرَكَ، وَجَعَلَ قِدْحَ عِلْمِكَ عَالِيًا، وَرَمَحَ فَهْمَكَ مَاضِيًا. كَتَبْتُ هَذِهِ الرُّفْعَةَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ حُسْنَاهُ بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَأَسْنَاهُ، بَعْدَ أَنْ فَوَّقْتُ⁽²⁾ إِلَيَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ شَهَابَهَا وَانْتَضَعْتُ عَلَيَّ سُيُوفَ الْامْتِحَانِ مُتَابَهَا، وَقَاتَلْتَنِي الْبَوَائِقُ بِكُلِّ مِخْنَةٍ، وَطَالَبَتْنِي الْعَوَائِقُ بِكُلِّ إِخْنَةٍ. وَذَلِكَ وَفَّقَكَ اللَّهُ وَسَدَّدَكَ، وَهَدَاكَ وَأَرْشَدَكَ، وَأَعَانَكَ عَلَى مَا قَلَّدَكَ، أَنَّهُ كَانَ لِي دِيكَ، مَلِيحُ النَّهْيِكِ، عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنَ الذَّهَبِ السَّيِّكِ، لَمْ يُتَوَّجْ بِمِثْلِهِ مَلِيكٌ، لَهُ مِنَ الْعُرُوسِ حِلْيَتُهُ، وَمِنَ الطَّائُوسِ حُلَّتُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ عَلَى التَّحْقِيقِ، قُطِعَتَا مِنَ الْعَقِيقِ، وَأَشْرَبَتَا بِنْتَ الدَّنَانِ، وَأُسْقِيَتَا مَاءَ الزَّعْفَرَانِ، قَدْ مُلِحَتَا بِقُطْعَتَيْنِ مِنْ أَحْمَرَارِ الْيَاقُوتِ، فَوُسِّعَتَا بِخَالِصِ الْمَنْبُوتِ، تَحْتَ مِلْقَظٍ قَدْ كُوِّنَ مِنْ عَنَبَرٍ، أَوْ أَتَقَنَّ مِنْ زُمُرْدٍ أَخْضَرٍ... كَأَنَّ قَدْ صَوَّتَ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَارْتَفَعَ عَنْ بَرْدِ الْهَوَاءِ، وَانْعَطَفَ عَلَى مَتْنِهِ عَطْفُ الرَّاءِ، وَمَالَ كَقَوْسٍ صُدَّغَ مُرَكَّبٍ، عَلَى صَحْنٍ خَدُّ مُكْتَتَبٍ، بَلْ طَارَ حَتَّى طَالَ عَنْ عِطْفِهِ بِمَغْزِلٍ، وَمَالَ كَقَنْوِ⁽³⁾ النَّخْلَةِ الْمُتَعَنِّكِ، إِذَا شَعَرَ فِي الْجَوِّ بِطَائِرٍ، أَوْ

(1) قطرال: موضع في جهة أوريولة.

(2) فَوَّقْتُ: صَوَّبَ السَّهْمَ أَوْ غَيْرَهُ.

(3) القنو: بالكسر وبالضم، العذق قال امرؤ القيس:

وَفَرَعَ يَزِينُ الْمَتْنَ أَشْوَدَ فَاجِمٍ
أَيْثُ كَقَنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَنِّكِ

شرح المعلمات العشر، ص: 59.



خَطَرُ لَهُ بِشَأْنِهِ خَاطِرٌ، قَامَ وَاسْتَمَعَ وَرَفَرَفَ يُنْذِرُ عَشِيرَتَهُ، وَيُخْبِرُ أَهْلَهُ وَذُرِّيَّتَهُ، خَوْفًا مِنْ عُقَابِ طَارٍ، أَوْ بَازٍ بِالْاِقْتِنَاصِ دَارٍ، يَنْظُرُ إِذَا فُتِحَ بِفَأْسٍ مِسْحَلٍ. وَكُنْتُ أَكْلَفُ بِحُبِّهِ كَلَفَ الْمُحِبِّ بِحُبِّهِ، وَأُبْهَجُ بِتَغْرِيدِهِ، ابْتِهَاجَ الْوَالِدِ بِمَوْلُودِهِ، وَأَعْجَبُ بِصِفَاتِهِ، إِعْجَابَ الْمُتَنَسِّكِ بِآيَاتِهِ، وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى مَحَلِّ أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَيَهْجَعُ فِي حُسْنِ عَلَيْهِ وَإِحْسَانٍ، كَامِلِ الْجُذُرَانِ، هَائِلِ الْاِتْقَانِ، وَلَا تَهْزُهُ فِيهِ أَرْوَاحُ جَزَعٍ، وَلَا تَذْهِلُهُ ذَاهِلَةٌ فَزَعٍ، حَتَّى إِذَا عَسَعَسَ اللَّيْلُ وَدَجَّى، وَاخْلَوْلَكَ ظِلَامُهُ وَسَجَا، قَامَ عَلَى قَدَمٍ وَتَنَحَّى، كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى، فَاسْتَنْطَقَ بِالصُّبْحِ، وَأَنْبَأْنَا بِقُدُومِ الصَّبَاحِ، لَا تَمْنَعُهُ الْعَوَاصِفُ عَنِ الْاِنْصَافِ، وَارْتِقَابِ الْأَوْقَافِ، حَتَّى إِذَا هَبَّ الْقَائِمُونَ مِنَ الْمَنَامِ، بَكَرَ لِطَلَبِ مَعِيشَتِهِ، يَتَبَخَّرُ فِي حَبِيبِ مَشِيتِهِ، يَنْحُتُ الْأَرْضَ بِمَخَالِيهِ وَيَلْتَقِطُ الْحَبَّ لِأَزْوَاجِهِ وَأَقَارِبِهِ، حَتَّى إِذَا أَبْصَرَ دِيكَ ثَانِيًا، شَمَرَ ذَيْلَهُ لَيْسَ مُتَوَانِيًا، وَهَجَمَ هَجْمَةً ضَرْغَامٍ عَلَيْهِ يُحَارِبُهُ بِبَرَائِنِهِ وَمِنْقَارِهِ، حَتَّى يُخْرِجَهُ عِنُودَةً مِنْ دَارِهِ.....

قَالَ أَحْمَدُ الْبَلَوِي: وَكَتَبْتُ فِي هَذَا الْبَابِ: وَهِيَ أَوَّلُ مَا كَتَبْتُ وَعُدَّتِي فِي ذَلِكَ كَاتِبُ الْخِلَافَةِ الْمُعَظَّمِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ:

أَدَامَ اللَّهُ يَاسِيدِي سَعَادَتَكُمْ وَاعْتِلَاءَكُمْ، وَأَبْقَى تَقْدُمَكُمْ لِلْمَعَالِي وَانْتِمَاءَكُمْ وَحَفِظَكُمْ عِمَادًا رَفِيعًا، وَرُكْنًا مَنِيعًا، وَلَا زِلْتُ أَتَشَرَّفُ بِخِدْمَتِكُمْ دَهْرِي، كَمَا لَمْ يَخْبُ فِي أَوَّلِ الْقَضِيَةِ فِيكُمْ زَجْرِي، وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ بِفَضَائِلِ سَيِّدِي وَأَيَادِيهِ، حَتَّى صِرْتُ الْآنَ أَكْرَعُ مِنْهَا فِي وَادِيهِ، وَكُنْتُ أَرْغَبُ فِي شَرَفِ خِدْمَتِهِ أَنْ أَقْتَنِيهِ، الْآنَ وَجَبَ أَنْ يَقْطِفَ شُكْرِي وَيَجْتَنِيهِ، وَلِلَّهِ أَرْمَانُنَا الْمَوْشِيَّةُ وَحُلُولُنَا بِكَيْسَةِ الْمَاءِ⁽¹⁾ عَشِيَّةً، وَنَحْنُ، قَدْ حَطَطْنَا بِدَارِهِ، وَانْبَسَطْنَا فِي رَحْبِ دَارِهِ، فِي لَيْلَةٍ سَمَحَ الزَّمَانُ بِوَضَلِ أَسْبَابِهَا، وَفُتِحَ الْمُغْلَقُ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَأَرَجَ⁽²⁾ زَهْرَهَا وَفَاحَ، وَبَدَأَ ضَوْءَ بَدْرِهَا وَلَاحَ، لَمْ يُجْهَلْ فَضْلُهَا،

(1) لعله يعني به متنزها كان معروفا لديهم يجتمعون فيه.

(2) أَرَجَ يَأْرَجُ أَرَجًا الطيب: فَاحَ، قَالَ الشَّاعِرُ:



وَلَمْ يَخْطُرْ بِيَالٍ مِثْلُهَا، حَارَ فِي حُسْنِهَا الطَّرْفُ، وَتَأْتَقَ فِيهَا وَفِي طَيْبِهَا النَّسِيمُ وَالْعَرْفُ،
ضَمْنَا فِيهِ لِلْاجْتِمَاعِ مَنْزِلٌ قَيْدَ الْعُيُونِ، يُزْرِي جَمَالُهُ بِالْوَشْيِ الْمَصُونِ، عَذْبُ الْمَاءِ،
غَذِيُّ الْهَوَاءِ، يَزِيدُ الْأَنْسَ اتِّسَاعًا، وَيُورِثُ النَّفْسَ انْقِيَادًا فِي زِمَامِ الْأَزْتِيَاكِحِ وَانْصِيَاعًا،
يَهْبُ عَلَيْنَا فِيهِ نَسِيمُ رِيحَانِ الْحَيَاةِ يَسْتَنْشِفُ نَافِحَاتِ هَوَائِهِ، وَرَوْحَهَا يَكْتَسِي بِنَفْسِ
مُلَائِهِ، وَكَأَنَّ الْجَوْ مَعْطَرٌ مِنْهُ بِخُلُقٍ⁽¹⁾، يُحْيِي الْقُلُوبَ بِسَمِيمٍ مُفَوِّقٍ مَعْشُوقٍ، فَيَأْلَهُ مِنْ
شَيْمِ رِيحٍ قَدْ دَنَتْ فِي هُبُوبِهَا، وَتَعَاقَبَ عَلَيْنَا نَسِيمُ صَبَاها وَجَنُوبِهَا، قَدْ نَشَرَتْ فِيهِ
كَمَائِمُ الْمِسْكِ سَرَائِرَ أَزْهَارِهِ، وَظَفِرَتْ يَدُ غَاشِيهِ بِقَطْفِ فَائِحِ ثَوَارِهِ، وَأَرْبَى فِيهِ نُورٌ لَيْلِهِ
عَلَى ضَوْءِ نَهَارِهِ. فَاجْتَرْنَا مِنَ السَّلَكِ مَوْضِعَ الصَّدْرِ، وَدُرْنَا عَلَى مَائِدَةِ كِدَارَةِ الْبَدْرِ،
فَطَعِمْنَا طَعَامًا لَا تَبْغِي الْأَمَانِيَّ عَلَيْهِ مَزِيدًا، حَتَّى كِدْتُ أَقُولُ أَيْكُونُ هَذَا عُرْسًا أَمْ عِيدًا،
ثُمَّ عَمَدْنَا إِلَى عِنَبِ كَمَخَارِيزِ الْبَلُورِ، وَظُرُوفِ النُّورِ، عُنُقُودُهُ كَالثَّرِيَا، وَحَبُّهُ كَالْكَأْسِ
فِيهِ الْحَمِيَا. فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنَ الْأَكْلِ أَرَبْنَا، وَنَلْنَا مِنْهُ طَلَبْنَا، طَفِقَ سَيِّدِي يُجَاذِبُنَا نَشْرًا
كَالسَّخْرِ أَوْ أَدَقٍّ، وَنَظْمًا كَالْمَاءِ أَوْ أَرْقٍ، وَحَدِيثًا كَالشَّهْدِ أَوْ أَعْدَبٍ، تَنْتَفِي الْهُمُومُ إِذَا
سَاقَطَتْ وَتَذَهَبُ، فَهُوَ مِنْ بَدِيعِ كَلَامِهِ، وَرَفِيعِ نَثْرِهِ وَنَظَامِهِ، قَدْ أَعْيَا لَبِيدًا⁽²⁾ حَتَّى عَادَ
اسْمُهُ بَلِيدًا. وَلَقَدْ كِدْتُ أَنْ أَشْبَهَ سَيِّدِي فَمَا وَجَدْتُ لَهُ شَبِيهَا، وَلَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ بَارِعًا وَلَا
نَبِيهَا. وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ضَارِبٌ فِي قِدَاحِ الْمَجْدِ بِمُعَلَّى السَّهَامِ، أَخَذَ مِنْ عُيُونِ الْفَضْلِ
بِأَوْفَى الْأَقْسَامِ، قَدْ التَّحَفَ الزَّمَانُ بِبُرُودِ عَلَيَّاهِ، وَازْتَشَفَ شُعُورَ نَدَاهِ، فَقَدْ أَعْيَتْ
الْوَاصِفَ، وَأَزْرَتْ بِكُمَاةِ الْبَلَاغَةِ كُمَاتُهُ. وَنَحْنُ قَدْ اسْتَنْدْنَا إِلَى كَنَفِهِ، وَأَوْنَيْنَا إِلَى عَمِيمِ

كَأَنَّ عَلَيْهَا بَالَةً لَطِيئَةً لَهَا، مِنْ خِلَالِ الدَّائِبَتَيْنِ أَرِيحُ

(1) الخلق والخلق: ضرب من الطيب وقيل الزعفران.

قَدْ عَلِمْتُ إِنْ لَمْ أَجِدْ مُعِينًا لَتَخْلُطَنَّ بِالْخُلُقِ طِينًا

(2) لبید بن ربیعہ من شعراء الجاهلية وفسانهم أدرك الإسلام وقدم على الرسول في وفد بني كلاب ويقال إنه توفي في أول خلافة معاوية كما أنه لم يقل في الإسلام سوى بيت واحد:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّى لَيْسْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرْبًا لَا

الشعر والشعراء، ص: 174، الأغاني 14/93، طبقات ابن سلام، ص: 113.



شرفه، تعضدنا الواسطة العظمى المنتظمة على تلك الخضراء الزاهر، وكيسة الماء الحصى الشريف المنير الباهر، الصرخ⁽¹⁾ الممرد الأثير الزاهر، الذي له فروع قد صعدت تبغي السماء، وتطلب الغتراء إلى بروجها والائتماء، تقدمت أبراجها إلى السماء إقدام الأبطال يوم النزال، وقالت لبزج الكيسة نزال نزال، قد اعتلت شرفاتها فوق الكواكب، وتقاتلت كصفوف الموابك، فكانت قد قر أمام الحروب، فلا تناوله أيدي الخطوب، فإذا تناوله عارف بالحروب نبيل، ينشد عليه:

وليس إلى أهل السماء سبيل⁽²⁾
اختاره السرور وطنا واضطفاه... فظل كل محميا بفنائيه، ومغريا بسلفه وعلائه

وكتب يوم دفعت هذه الرسالة إليه ارتجالا بين يديه في وصف رمانة بتكليفه إياي ذلك بمخضر جماعة من أصحابه:

بنفس رمانة كانتا حق بلور⁽³⁾ مملوء بيواقيت تشرق كالنور، أركانها نهود عذارى، أو خدود سكارى، بدت في حلة وردية، يروق جمالها الناظر، ويجول في بديع مراتها خاطر، تشبه في لونها لون المرجان الأحمر، أو لبات حبيب في رصاب ومنظر، وكان قطعها وقد فصل بينها قشر، وجوه عذارى تسترها براقع صفر، غذاها نمير⁽⁴⁾ الماء، ورباها نبيه الهواء، فجاءت كالعروس، أو كالراشيف من مرائف الكؤوس، فالله يوسع شجرتها ويزكي ثمرتها والسلام.

(1) الصرخ الممرد: معناه بناء طويل مملس، ومنه قوله تعالى: ﴿صَرَخَ مَمَرْدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ﴾. سورة النمل، الآية: 45.

(2) الشطر من الطويل.

(3) الحق: الصنديق الذي تجمع فيه الحلي والجواهر.

(4) النمر والنمير كلاهما الماء الزاكي النامي عذبا كان أو غير عذب والعبارة مقتبسة من قول امرئ القيس:

غذاها نمير الماء غير المخلل

وهو هنا بمعنى الماء الكثير.



أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ رُمَّانَةٍ

فَإِذَا أَبْصَرْتُهَا فِي غُضَنِهَا

دَارَةً حَمْرَاءُ فِي حُسْنِهَا

مَجْلِسٌ حَلَّتْ بِهِ [فِي فِتْيَةٍ]

وَنَحَ مَنْ يَزُمُّهَا غَادِيَةً

لَمَّا أَنْ أَبْصَرْتُهَا عَشِيقَتَهَا

كَيْفَ مُشْتَاقٌّ إِذَا أَبْصَرَهَا

يَا كَرِيمًا جُذِبَ بِهَا فَإِنْ فِي

وَانْتِظَرَهَا يَا فُتَيْمِي فَإِنَّهَا

يَا أَبْنَ عِيَّاشٍ أَنَا خَادِمُكُمْ

دُمْتَ فِي مَيْدَانٍ سَعِيدٍ دَائِمٍ

خِلَتْهَا الشَّمْسُ بَدَتْ فِي الشَّفَقِ

بِخُطُوطٍ أَشْبَهَتْ لَوْنَ الْبَلَقِ

تُذْهِبُ السَّوْدَاءَ عَنْهُمْ وَالْقَلَقِ

يَتَنَبَّي مَشْغُوفَهَا حَتَّى الْغَسَقِ

وَأَنَا لَسْتُ قَدِيمًا مَنْ عَشَقَ

يَذْكُرُ الْحَبَّ الَّذِي كَانَ عَنْقُ

أَكْلَهَا الْوَصْلَ وَفِيهِ الْمُعْتَقِ

تَأْتِيكَ يَوْمًا سَرِيعًا فِي طَبَقِ

مِنْكُمْ مُقْتَبِسٌ هَذَا النَّسَقِ

أَخْضَرَ الطَّرْفَ بِهِ حَتَّى سَبَقِ



البَابُ التَّاسِعُ عَشْرُ

في الهزل والمداعبة والتهكم في المكاتبة



رَجَالُهُ:

أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ - أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبَّاسٍ - أَبُو الْمُغِيرَةِ بْنِ حَزْمٍ - أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْغُفُورِ - أَبُو بَكْرٍ بْنُ قُزْمَانَ - أَبُو بَخْرٍ صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسٍ - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلُوي.

فَمِنْ إِنْشَاءِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ مُدَاعَبَةً رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَلَّغَنِي الْحَادِثُ فِي ذَنْبِ الْحِمَارِ، وَكُلُّ مَا تَعَدَّى مِنَ الْحَدِيثِ فِي الْحَيَوَانِ رَأْسَهُ وَمَوَاضِعَ مَقَاتِلِهِ فَجَلَّلُ حَدَّثُهُ يَسِيرُ خَطْبُهُ. وَلَيْتَنِي كُنْتُ فُجِغْتُ مِنْهُ بِذَنْبِ ذِيَالٍ مُتَمَكِّنٍ الْعَجِيبِ رَائِقِ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ عَقِيصَةٌ مِنْ عَقَائِصِ الْعَذَارَى، لَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ مِنْكَ قَلْبًا حَدِيدًا وَنَفْسًا شَهْمَةً وَجَوَارِحَ كَامِلَةً مِنْ عُنُقِ قَوْدٍ أَوْ شَوَى عَيْلٍ، وَوَطَاءً ظَهَرَ فِي سُرْعَةِ خَضِرٍ، وَأَمْنٍ مِنْ عَثَارٍ وَنَفَارٍ، أَقْلٌ مَا فِيهِ مِنْ مَحَاسِنِ أَعْقَابِهِ، يُعْقِي عَلَى مَا ذَهَبَ مِنْ ذَنْبِهِ.

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يُرِيكَ سُوءَ آفِي شَيْءٍ قَدْ شَغِفَ بِهِ قَلْبُكَ، وَرَمَقَتْهُ عَيْنُكَ، وَأَنْ يُدِيمَ سَلَامَتَكَ وَسَلَامَةَ أُخُوَّتِكَ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَبَّاسٍ رُفْعَةً خَاطَبَ بِهَا أَبَا الْمُغِيرَةِ ابْنَ حَزْمٍ قَالَ فِيهَا⁽¹⁾:

أَنْهَى إِلَيَّ كِتَابَكَ رَجُلٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ، صَقِلُ الْهَامَةِ، بَعِينِيهِ لِيَانَهُ، وَعَلَى أَسْنَانِهِ طُرَامُهُ⁽²⁾ وَفِي شَاشِيَّتِهِ⁽³⁾ وَضَارَةٌ، وَفِي مَنْطِقِهِ⁽⁴⁾ لُكْنَةٌ صَعْبَةٌ، وَعَلَى أَنْفِهِ عُقْدَةٌ كَالْكَبَّةِ⁽⁵⁾، وَفِي أَطْوَاقِهِ

(1) أبو جعفر أحمد بن عباس: كان قد فاق أهل زمانه في أربعة أشياء كما يقول ابن بسلام: «المال والعجب والبخل والكتابة». ترجم له صاحب الذخيرة في 1/ 2-643، المغرب في حلى المغرب 2/ 205، الإحاطة 1/ 267، نفح الطيب 3/ 535.

(2) طرامة: خضرة تتركب الأسنان أو بقية الطعام بينها.

(3) شاشية: غطاء الرأس وما زالت تستعمل في شمال المغرب، قال الشاعر:

وَاحْرَبِي مِنْ صَاحِبِ الشَّاشِيَةِ لُغْبَةً عَاجَ يَنْتَهَا مَا شِيَةِ

(4) منطق: لغة ولسانه ومنه إصلاح المنطق لابن السكيت.

(5) الكبة: كرة من خيط أو غيره وما زالت تستعمل في لهجة المغرب.



سعة، يخرج منكباة من أقطارها كأنها ثياب وإله، أو شبارق⁽¹⁾ راهب تأته، وفي مشيته تفحج⁽²⁾ قبيح كأنه عائم في ييس، وعليه غفارة شفافة شبكية السدارة⁽³⁾ وأظن العمالة غزلت صوفها زمن الفطحل⁽⁴⁾ والأكاسرة تولت صباغها عام الصفر⁽⁵⁾، كأنها الطيلسان الحزبي أو الثبان السعدي⁽⁶⁾. ولقيت الرجل وقد أحاط بي جمع، والتفت علي قوم، فوقفت معه موقفا كفاك الله حزبه ولا وقفك مثله. وقد عهدتكم تجري بميدان الفكاهة، وتنخرط في سلك الدعاية، فلما أسلم إلي الكتاب ولحظت عنوانه، وحياني بلفظ لم أفهم لسانه، قلت: خباها أبو المغيرة ورب الكعبة، وأهدى إليك بهذا الإنسان لعبة، ورماك عن قوس فكاهته بهياة باذة، ودهاك من تمايل خياله بطلعة شاذة، وسد تطيبك بسداد من نغره⁽⁷⁾، وطار إلي أفق تنديرك بجناح من هزله.

فتماسكت وما كذت، ثم تجلذت؛ ولجأت إلى فض الكتاب، وابتغيت نقله لأستتر بجملة أسباب، واعتصمت بعصمة خطه الموشي، ولفظه البابلي⁽⁸⁾ وصعدت في الكتاب وصوبت لأعمل لنفسي شغلا حتى رأيت النسب، وسمعت اللقب، فقلت: الرجل -لامحالة- عبري المسمى، وشاهد الطلعة عدل مزكى. فوحق الطرب، وحرمة الأدب، لقد هممت أن أوفي الشطارة حقها، وأسم الخلاعة وسمها، فأجعل في يده

(1) شبارق: الثوب أو المقطع منه.

(2) تفحج: تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان أو غيره.

(3) السدارة: العمامة بدون أصداغ.

(4) الفطحل: زمن نوح أو دلالة على زمن قديم.

(5) عام الصفر: هو عام يؤرخ به الرومان من عمر أكتيان، قال بن سعيد وهو يتحدث عن طليطلة «من تاريخ الروم إنها إحدى المدن الأربع التي بنيت في مدة قيصر أكتيان الذي يؤرخ لمدته مدة الصفر» أورد هذا التعليق إحسان عباس في الذخيرة.

(6) الثبان: سروال صغير يكون للملاحين. وطيلسان ابن حرب مشهور وهو مذكور في ثمار القلوب وما يعول عليه.

(7) فيه إشارة إلى قول العرجي:

أَصَاعُونِي وَأَيَّ قَتَى أَصَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهِةٍ وَسِدَادٍ نَغَرِ

(8) لفظه البابلي: يعني به الساحر ببيان، لاشتهار بابل بذلك.



عُكَازٌ⁽¹⁾ قَصَبِيَّةٌ خَضْرَاءُ، وَفِي رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ بَيْضَاءُ، وَأَضْعَ عَلَى عَاتِقِهِ خُرْجًا⁽²⁾ بِنُخَالَةٍ، وَأُقِيمَ مِنْ نَفْسِي وَمَنْ حَضَرَ عَرَّافَةٌ وَآلَةٌ، وَأَخَذَ بِهِ مِنْ طُرُقِ بَنِي مُرْدَخَاي⁽³⁾ عَلَى قَارِعَةِ الْمَحَجَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأُقْلِدُهُ سَيْفَ الْبَاجِي أَبِي الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ صَحِيفَةٌ مُقَشَّرَةٌ لَا غِرَارَ لَهَا وَلَا ظُبَّةَ كَأَنَّهُ قَضِيبُ صَاحِبِ أَسْفِيرِيَا⁽⁴⁾، أَوْ عُمُوذُ تَيْرَكِي⁽⁵⁾ لَمْ يُحَدِّدْ لَهُ زُجَا، وَهَذَا شَرْطُ ذَلِكَ اللَّعِبِ، فَفِي نَفُوسِ الْقَوْمِ خَوْزٌ، لَا تُحْمَلُ مَعَهُ السَّلَاحُ إِلَّا بِخَوْفٍ وَحَذَرٍ. وَتَأَمَّلْتُ حُفَّتِهِ فَإِذَا بِهِمَا مِنْ كَيْمُخَتٍ⁽⁶⁾ بَال، مُصَدَّرَانِ تَصْدِيرِ السَّنْدَالِ⁽⁷⁾، قَدْ أَنْهَرَتَا أَشْدَاقَهُمَا، وَتَهَدَّلَتْ مَشَاوِرُهُمَا، وَصَارَ عَاجُهُمَا آيُنُوسَا، وَنَعْلُهُمَا خِيَالًا مَرْسُوسَا⁽⁸⁾ فَقُلْتُ: لَا يَزْدُوجُ طَيْلَسَانُ ابْنَ حَرْبٍ إِلَّا بِخُفْيِ حُنَيْنٍ⁽⁹⁾.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْمُغِيرَةِ بْنِ حَزْمٍ جَوَابًا عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ⁽¹⁰⁾:

وَأَرْجِعْ مِنْ كِتَابِكَ إِلَيَّ مَا رَكَضَ جَوَادَ الْهَزْلِ، وَشَهَرَ سِلَاحَهُ، وَنَشَرَ عِلْمَهُ، وَشَبَّ زُبُونَ حَرْبِهِ، وَأَوْقَدَ وَطِيسَ فِتْنَتِهِ، بَلْ إِلَى مَا مَدَّ بِسَاطَهُ، وَفَرَشَ أَنْمَاطَهُ، وَأَدَارَ كُؤُوسَهُ

(1) العكاز: العصا وما زالت تستعمل اللفظة بهذا المعنى في شمال المغرب وجنوبه.

(2) خرجا: أي وعاء يوضع فيه التبن وما أشبهه لعلف الدواب.

(3) مردخاي: لعله من أسماء العبرانيين وأسماء بعض أسرهم.

(4) الأسفيريا: أكلة وهي خليط من اللحم والبيض والبصل. انظر كتب الطبخ في الأندلس وخاصة كتاب ابن رزين.

(5) النيزكي: نسبة إلى النيزك وهو الرمح القصير.

(6) الكيمخت: لفظة فارسية، وهو يعني بها نوعا من أنواع الجلد لا وجود لها. في «المعرب من الكلام الأعجمي» للجوالقي.

(7) السندل: ابن خالويه: السندل جورب الخف. ابن الأعرابي: سندل الرجل إذا لبس الجوربين ليصطاد الوحش في صكة عمي. اللسان (سندل).

(8) المرسوس: الذي نسي لتطاول العهد به وتقادم الزمن عليه.

(9) في المثل العربي: «رجع بخفي حنين». مجمع الأمثال. أما طيلسان ابن حرب فإنه مشهور؛ وقد قال فيه الحمدوني الكثير من القصائد والمقطعات، ينظر ثمار القلوب.

(10) الرسالة في الذخيرة 1/ 2-648.



وَأَمَّا طَبْعُوسُهُ⁽¹⁾، وَحَرَكَ أَوْتَارَهُ، وَتَبَّهَ أَطْيَارَهُ بَلْ إِلَى مَا أَقَامَ لَعِبَهُ، وَحَرَكَ لُعْبَهُ⁽²⁾،
وَأَخْضَرَ مُجُونَهُ، وَاسْتَجَرَ فُنُونَهُ، وَزَمَرَ فِي بُوقِهِ، وَنَقَرَ بَطْنَ دُفِّهِ، وَرَقَصَ عَلَى إِيقَاعِ
لَحْنِهِ فَقَلَنْسَ فِي إِحَانِهِ⁽³⁾ وَطَرَطَرَ فِي قُرُونِهِ، وَبَرَزَ⁽⁴⁾ فِي رَاعِي ضَانِهِ، وَتَرَهَّبَ فِي غَيْرِ
خَالِقِهِ، وَلَمْ يَدْعُ مِنَ الْجِدِّ طُرْقًا⁽⁵⁾ وَلَا لِلْهَزْلِ سَبَبًا إِلَّا وَتَمَسَّكَ بِهِ. الْقَائِمُ الْقَاعِدُ،
وَالْغَوِيُّ الرَّاشِدُ، فِي وَصْفِ الطَّارِي بِالْكِتَابِ عَلَيْكَ، الَّذِي قَادَهُ الْخِذْلَانُ⁽⁶⁾ وَحَمَلَهُ
إِلَيْكَ مِنْ أَنْزَحِ مَكَانٍ، لِيَكُونَ أَنْتُمْ فِي إِلَهَائِكَ وَأَبْلَغَ فِي إِصْحَاكَ⁽⁷⁾. فَالْغَرِيبُ مِنْ كُلِّ
حَقٍّ وَبَاطِلٍ نَافِقٍ، وَالْمَوْجُودُ كَاسِدٌ. وَلَمْ أُمِيزْ مِنْ هَيَأْتِهِ غَيْرَ الْقَامَةِ، وَأَنْكَرْتُ سَائِرَ ذَلِكَ
مِنَ الْهَامَةِ، فَعَهْدِي بِجَبِينِهِ كَالصَّفْحَةِ الصَّقِيلَةِ، وَخَذَهُ كِمَرَّةَ الْغَرِيبَةِ⁽⁸⁾، وَعَيْنِيهِ كَنَاطِرِ
صَفِيرِ طَاوٍ⁽⁹⁾ عَلَى مَرْقَبٍ، وَصَفْدَعٍ يَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ طُحْلُبٍ، وَأَنْفٍ كَغَرَارٍ⁽¹⁰⁾ سَيْفٍ
لَيْسَ الَّذِي قَلَدَتْهُ بِهِ، وَأَلْقَيْتُ حَمَائِلَهُ فِي عُنُقِهِ، وَلِسَانٍ⁽¹¹⁾ كِمَخْرَاقٍ لَا عِيبَ، وَبِصَوْتٍ
شَبِيبٍ بِهِ نَيْمًا وَزَجْرٍ أَبِي عُرْوَةَ هَمَسًا خَفِيًّا، وَأَثْوَابُهُ تُزْرِي عَلَى الْيَمَنِ بِشَرَفِ صَنْعَةٍ
صَنَاعَتِهَا، وَخُفُّهُ لَوْ وَطِئَ لَا يَسُهُ عَلَى الصَّمِيمِ فِي الْمَجْلِسِ بَيْنَ جَعْفَرٍ وَالرَّشِيدِ
وَالْحَاجِبِ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي الرَّبِيعِ⁽¹²⁾ مَا أَنْكَرَ مَدْخَلَهُ، وَلَا تُبَيَّنَ خَلْلُهُ. لُطْفُ تَوْصُلِ

(1) في بعض النسخ من الذخيرة: غموسه ولعله تحريف.

(2) الذخيرة: بل ما أقامه لعبه وحرك لعبه.

(3) الذخيرة: في اختانه.

(4) الذخيرة: وبربر.

(5) الذخيرة: طرفا.

(6) الذخيرة: الذي هذبه الزمان وقاده إليك الخذلان.

(7) الذخيرة: إضحائك.

(8) يشير في هذا إلى قول ذي الرمة الشاعر:

لَهَا ذَنْبٌ ضَافٍ وَذِفْرَى أَسِيلَةٍ وَخَذْتُ كِمَرَّةَ الْغَرِيبَةِ أَنْجَحَ

(9) الأصل: طارئ، وقد أثبتنا ما في الذخيرة.

(10) غرار السيف أو الرمح حدهما، ويقال إنهما غراران أي شفرتان.

(11) الذخيرة: ولسانه.

(12) الفضل بن الربيع وزير عباسي مشهور كان أبوه وزيرا لجعفر المنصور واستحجبه المنصور لما ولي

أباه الوزارة فلما آل الأمر إلى هارون الرشيد كان الفضل وزيرا له. الأعلام 5/ 148.



يُوهِمُكَ أَنَّ السَّحَرَ يُمَدُّهُ، وَقُوَاهُ تَشُدُّهُ، لَوْ شَاءَ أَنْ يَجْمَعَ [بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَيَضُمَّ جَمِيعَ] ⁽¹⁾ الْأَنْوَاعِ تَحْتَ جِنْسٍ، مَا اِزْتَقَى صُعْدًا، وَلَا لَقِيَ كَبْدًا. فَكَيْفَ انْقَلَبَتْ هَذِهِ الْعَيْنُ، وَانْسَلَخَتْ مِنْ ذَلِكَ الزَّيْنِ، وَصَارَتْ أَبَدَةً تُلْهِمِي، وَنَادِرَةً تَجْرِي، لَوْلَا مَا هَيَّأَهُ سَعْدُكَ، وَسَبَّبَهُ جَدُّكَ؟ وَقَدْ قَامَ التَّوَرُّوزُ ⁽²⁾ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُوجِدْكَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَارْتَقَبَ مِنَ الْمَهْرَجَانِ نَعْتَهَا، وَانْتَظَرَ فِيهِ شَكْلَهَا. وَكُنْتُ أَسُومُكَ مُسَاجِلَتِي بِنَظِيرِهَا، وَمُقَابِلَتِي بِمَثِيلِهَا لَكِنْ مَنْ لِي بِمُسَاعَدَةِ الزَّمَانِ بِقِسْطِكَ، وَالْأَخْذِ فِيهِ بِشَرِّطِكَ؟

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْغَفُورِ وَقَدْ وَصَفَ لَهُ أَحَدَ إِخْوَانِهِ امْرَأَةً مَدَحَهَا وَحَضَّهُ عَلَى أَنْ يَنْكِحَهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبْدِ الْغَفُورِ ⁽³⁾:

بَيْنَمَا كُنْتُ نَاطِرًا فِي الْمِرْآةِ مِنْ شَعَرٍ أَحْمَ، وَرَأْسٍ أَجَمٍّ أَخَافُ مَعَهُ الذَّمَّ، إِذْ تَقَدَّمَ رَسُولُكَ يَخْطُبُ بِنْتَ فَلَانٍ عَلَيَّ وَيَرْغَبُ ⁽⁴⁾ مِنْهَا فِي سَعَةِ مَالٍ، وَبِرَاعَةِ جَمَالٍ، وَيُقْسِمُ أَنَّهَا لَبَرَّةٌ بِالزَّوْجِ بَرِيكَةٍ، لَا تُخَوِّجُهُ عِنْدَ النَّوْمِ إِلَى أَرِيكَةٍ، وَلَوْ يُسْرْتُ - وَعِيَاذًا بِاللَّهِ - لِهَذَا النِّكَاحِ، لَرَزَقْتُ مِنْهَا قَبْلَ الْوَلَدِ آلَةَ النَّطَاحِ، وَلَا حَاجَةَ لِي بَعْدَ الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ، إِلَى حَزْبِ زُبُونٍ، أَوْ قِرَاعِ بِالْقُرُونِ، وَلَوْ حَمَلْتُ، إِلَيَّ تَاجَ كِسْرَى وَكُنُوزَ قَارُونِ ⁽⁵⁾. فَاطْلُبْ لِهَذِهِ السَّلْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مُشْتَرِيًا غَيْرِي، وَلَا تُسَوِّفْهَا وَلَا فِي النَّوْمِ عَلَى أُيْرِي، وَابْتَنَعْهَا وَلَوْ بِأَرْفَعِ الْأَثْمَانِ لِنَفْسِكَ، وَأَضِفْ عَاجَهَا النَّفِيسَ إِلَى ابْنُوسٍ عِزِّسِكَ، وَلَا عُدْرَ لَهَا فِي النُّشُوزِ ⁽⁶⁾ وَالْإِعْرَاضِ، فَإِنَّمَا يَخْسُنُ السَّوَادُ الْحَالِكُ بِالْبَيَاضِ. وَاللَّهُ يُمَدِّدُكَ

(1) خرم بالأصل والتصويب من الذخيرة.

(2) النيروز والنوروز: فارسي معرب معناه يوم جديد وهو أول يوم من السنة الشمسية، قال جرير:

عَجِبْتُ لِفَخْرِ التَّغْلِبِيِّ وَتَغْلِبُ تُوْدِي جِزَى النُّيُوزِ خُضْعًا رِقَابُهَا

(3) الرسالة في الذخيرة 1/2 - 345.

(4) في الأصل: ورغب.

(5) سبق التعريف بقارون وما كان يملكه من أموال حتى اشتهر بذلك. أما ملك كسرى فيضرب به المثل.

(6) النشوز يكون بين الزوجين، وهو كراهة كل منهما للآخر، قال الشاعر:

سَرَتْ تَحْتَ أَقْطَاعِ مِنَ اللَّيْلِ حَتِّي لِيَحْمَانَ يَبْتَ فَهِيَ لَا شَكَّ نَاشِرُ

وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ سورة النساء، الآية: 34. كما قال: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ سورة النساء، الآية: 127. ويرد الحديث عنه في كتب الفقه الإسلامي.



بِقَرْنَيْنِ قَبْلَ الْحَيْنِ، وَيَضَعُ لَكَ صُنْعَيْنِ وَيَلِينِ، فَيُسْقِطُكَ بِهَذَا النِّكَاحِ الثَّانِي لِلْفَمِ كَمَا
أَسْقَطَكَ بِالْأَوَّلِ لِلْيَدَيْنِ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ قُرْمَانَ، وَكَلَّفَ مُحَاطَبَةَ عُرُوسٍ، فَكَتَبَ رُقْعَةً قَالَ فِيهَا⁽¹⁾:

الْكُلْفَةُ بَيْنَنَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - جِدُّ سَاقِطَةٍ، وَالْحَالُ الْجَامِعَةُ لَنَا فِي أَقْصَى حَدِّ الْمُؤَانَسَةِ
وَالْمُبَاسِطَةِ، فَلَا نَكْرَ أَنْ نَبْثَ السَّرِّ [الْمُحْتَجَبِ]⁽²⁾ وَلَا عَجَبَ⁽³⁾ أَنْ نَتَكَاشَفَ
الْمُغِيبَ. وَاتَّصَلَ بِي دُخُولُكَ بِعَقِيلَةٍ أَتْرَابِهَا وَبَيَضَةِ خِدْرِهَا وَرَبِّهِ مِخْرَابِهَا، تُشَاطِرُكَ
نَسْلَكَ، كَمَا شَاطَرْتِكَ أَصْلَكَ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَضْلُحُ إِلَّا لَهَا وَلَمْ تَكُنْ تَضْلُحُ إِلَّا لَكَ⁽⁴⁾
فَخَدَمْتِكَ بِالنِّيَّةِ وَحَضَرْتِكَ عَلَى بُعْدِ الشُّقَّةِ⁽⁵⁾ وَتَقَاذِفِ الطَّيِّةِ. وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكَ
وَيُبَارِكَ عَلَيْكَ، وَيَجْمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ، عَلَى أَسْعَدِ الْجِدِّ وَأَيْمَنِ الطَّيْرِ إِلَى آخِرِ
الْقَافِيَةِ؛ ثُمَّ تَرَقَّبْتُ كِتَابَكَ مُودِعًا مِنْ وَصْفِ حَالِكَ، مَا يُنْبِئُ فَخَوَاهُ عَنْ اجْتِمَاعِ شَمْلِكَ
وَنِعْمَةٍ بِالِكَ، فَرَأَيْتُ التَّوَاؤُهُ، وَقَدَحَ فِي نَشَاطِي تَوَقُّفِهِ وَإِنْبَاطِوَاهُ، وَتَسَلَّطَتْ عَلَيَّ
الظُّنُونُ، وَخَفْتُ مَا عَسَى أَلَّا يَكُونَ، وَسَاءَنِي أَنْ تَسْتَمْطِرَ⁽⁶⁾ مِنَ الْأَمَلِ جَهَامًا
وَتَسْتَنْصِرَ⁽⁷⁾ لَدَى ذَلِكَ الْعَمَلِ كَهَامًا وَتَجِدَ صَاحِبَكَ مُفْرَدًا عَلَى الْمُنَاجَزَةِ، لَا يَدُّ لَهُ
بِالْمُحَاجَزَةِ، مُنْقَطِعًا فِي مَوْضِعِ الْحُجَجِ، مُبْدِعًا بِهِ عِنْدَمَا اسْتَقْبَلَ مَفْرِقَ الطَّرِيقِ وَلَقِمَ
الْمَنْهَجِ:

(1) الرسالة في الذخيرة 2/ 781.

(2) ساقطة من الأصل، وقد أثبتنا ما في الذخيرة.

(3) الذخيرة: ولا غرو.

(4) مقتبس من قول أبي العتاهية الشاعر الزاهد:

أَتْنُهُ الْخِلَافَةَ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرُّرُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكْ تَضْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَضْلُحْ إِلَّا لَهَا

ديوانه، ص: 612.

(5) الذخيرة: المشقة.

(6) الذخيرة: استمطر.

(7) الذخيرة: استنصر.



تُرِيدُ جَوًّا وَيُرِيدُ بَرًّا كَأَنَّمَا أُسْعِطَ شَيْئًا مُرًّا⁽¹⁾

ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ حَظِي بِمَا جُنِّي لَهُ، فَافْتَحَ الْحِصْنَ الَّذِي نَازَلَهُ قَسْرًا، وَتَخَلَّلَهُ كَيْفَ شَاءَ مَجَالًا وَمَكْرًا، وَأَفْضَى بِهِ انْصِدَاعُ مَا صَدَعَهُ إِلَى التَّامِّ، وَانْشِعَابُ مَا أَتَعَبَهُ إِلَى انْتِظَامٍ وَالتَّحَامِ، وَلُهِمِي بِتَوَابِعِ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ الْإِمْرَةِ، وَجَامِعَةُ أَفَانِينَ الْمَسْرَةِ، عَنْ صَدِيقٍ يَصِلُهُ بِكِتَابٍ إِلَيْهِ يُعْلِمُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَهَنَّاكَ، وَظَفَرْتَ يَدَاكَ، وَإِنْ يَكُنْ مَا عَدَاهُ، وَيَكْفِيهِ اللَّهُ، فَمَعَ الْيَوْمَ عَدُوٌّ، وَفِي اللَّمَمِ خَلَالُ ذَلِكَ مُتَعَلِّلٌ، ثُمَّ لَمْ يَشْغُلْ عَنِ الْكِتَابِ جَذْلٌ وَلَمْ يَحُلْ⁽²⁾ دُونَهُ خَجَلٌ.

وَلَهُ أَيْضًا جَوَابُهَا مِنْ إِنْشَائِهِ⁽³⁾:

الْكَلَامُ مَأْثُورٌ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْإِنْسَاطِ حِجْرٌ مَحْجُورٌ، وَقَدِيمًا جَرَّ عَلَى أَهْلِيهِ، وَأَثَارَ عَلَيْهِمُ التَّقَاطُعَ. مِنْ مَجَائِمِهِ وَأَبْرَزُهُ مِنْ مَطَاوِيهِ، فَسَبِيلُ مَا وَرَدَنِي الْآنَ كِتَابُكَ الْمُفْتَحُ هَذَا الْبَابِ الْمُتَحَامِي، إِلَّا أَنَّ مَا عَوَّلْتُ عَلَيْهِ، وَأَسْنَدْتُ إِلَيْهِ، مِنْ تَمَكُّنِ الْأُلْفَةِ، وَازْتِفَاعِ الْكُلْفَةِ، سَوَّغَ بَعْضَ الْمَغْزَى. وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَقْطَعِهِ، وَعَجِبْتُ مِنَ التَّفَرُّغِ لِمُودَعِهِ، فَإِنْ كُنْتُ مُنْذِرًا فَلْيَخَفْ وَقَعُكَ، أَوْ حَذِرًا عَلَى الْحَقِيقَةِ فَلْيَفْرِخْ رَوْعَكَ. فَالْحَدُّ بِحَمْدِ اللَّهِ مَاضٍ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ رَاضٍ، عَلَى غُنْفِ التَّقَاضِي، ثُمَّ لَا بَاسَ وَلَا إِبَاسَ⁽⁴⁾ لَوْ عَرَتْ نُبُوءَةٌ، وَعَدَتْ⁽⁵⁾ دُونَ الْمَرَامِ كِبُوءَةٌ، فَرُبَّمَا خَانَ الثَّقَاتُ، فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ: وَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ كَانَ صَارِمًا نَبَا يَدِينِي وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ⁽⁶⁾

(1) البيت من الرجز.

(2) الذخيرة: لا يشغل... ولا يحول.

(3) الرسالة في الذخيرة 2/2 - 783.

(4) الذخيرة: ولا إبلاس.

(5) الذخيرة: وعرضت.

(6) البيت للفَرزدَق يعْتذر عن نبو ضربه حين أمره سليمان بن عبد الملك بقتل أحد الأصرام وورقاء هو ابن زهير بن جذيمة العبسي ضرب خالد بن جعفر وهو مكب على أبيه زهير فلم يصنع سيفه شيئاً. انظر شرح النقااض ص: 383 - 384. التعليق في الذخيرة من إحسان عباس. البيت من الطويل.



وَأَزْجَعُ فَأَقُولُ بِحُكْمِ الْحَالِ، وَعَلَى شَرْطِ الْاسْتِنَامَةِ وَالْاسْتِزْسَالِ: لِلَّهِ أَخُوكَ الَّذِي لَا فَرْقَ عِنْدَكُمْ بَيْنَ مَا يَعْرِوهُ وَيَعْرُوكَ، فَلَقَدْ افْتَرَّ عَنْ بَازِلٍ، وَجَرَّدَ عَنْ قَاصِلٍ، وَرَمَى بِلَا أَفَوْقَ نَاصِلٍ، وَلَقَدْ لَقِيتَ أَعْدَاءَكَ بِمِثْلِ صَاحِبِهِ مَضَاءً وَإِقْدَامًا، وَتَسَرُّعًا وَاسْتِقْدَامًا: طَعْنَتْهُمْ سُلُوكِي وَمَخْلُوجَةٌ لَفَنَتِكَ لِأَمِينٍ⁽¹⁾ عَلَى نَابِلٍ⁽²⁾

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَجْرِ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يُهَازِلُ بَعْضَ الْإِخْوَانِ، وَقَدْ زَارَهُ إِذْ ذَاكَ صَاحِبَانِ كَانَ أَحَقَّ بِزِيَارَتِهِ مِنْهُمَا فَلَمْ يَتِمَكَّنْ لِعُذْرِ شَغْلِهِ:

سَيِّدِي وَلَا أَقْلَ، الَّذِي انْتَهَضَ بِعَبِّ السُّودِدِ وَاسْتَقَلَّ. أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَعَمَرَ بِالطَّبَاءِ الْغَيْدِ رَامَتَهُ. كَتَبْتُهُ أَيُّهَا الْعَلْقُ الْخَطِيرُ، وَالْقَلْبُ يَهْفُو وَالْجَوَانِحُ تَطِيرُ:

طَارَ فُؤَادِي إِلَيْكَ لَمَّا زَارَكَ بِالْجِسْمِ صَاحِبَانِ
زَارَكَ لَفْظًا فَزُرْتُ مَعْنَى وَإِنَّمَا الشَّانُ لِلْمَعَانِي⁽³⁾

زَارَا، فَعَهْدِي بِكَ تَسْحَبُ لِلْجَذَلِ إِزَارَا، وَوَصَلَا فَأَتْرَمَا حَبْلَ مَسَرَّتِكَ وَوَصَلَا، وَالْمَا، فَجَمَعَا شَعْتَ أَنْسِكَ وَلَمَّا، وَقَصْدَا، فَأَتْبَعَا شَيْطَانَ تَوْحُشِكَ شَهَابًا رَصْدَا⁽⁴⁾، وَحَلَا، فَتَرَيْنَ بِهِمَا عَاطِلُ ذَلِكَ الصَّفْعِ وَتَحَلَّى، أَحْبَبَ بِهِمَا مِنْ فَرْقَدَيْنِ زَائِرَيْنِ، وَأَسْدَيْنِ فِي أَجْمَةِ الْأَدَبِ زَائِرَيْنِ⁽⁵⁾ كِلَاهُمَا إِلْفٌ إِلَيَّ حَبِيبَ، وَوَجْهٌ أَبْهَى دُونَهُمَا حَالِكٌ غَزِيبَ، زَارَكَ كَمَا زَارَ الْأَمِينُ الرَّغْدِيدَ، وَتَرَكَانِي لَطِيَّاتِي عَبَادِيدَ، فَكُنْتُمْ ثَلَاثَةَ الْجَوَرَاءِ، فِي الرُّفْعَةِ

(1) يقال: سهم لأم: عليه ريش لؤام، ومنه قول امرئ القيس هذا. كما يقال: لأم السهم لأمًا؛ أي جعل عليه ريشا لؤاما.

(2) البيت من السريع، وهو لامرئ القيس، ديوانه ص: 120.

يقال في الأمثال: «الرأي مخلوجة وليست بسلكى» قال: قوله مخلوجة، أي تصرف مرة كذا ومرة كذا حتى يصح صوابه، والسلكى: المستقيمة.

(3) البيتان من مخلع البسيط.

(4) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ إِلَّا أَنْ يَجِدَ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا﴾. سورة الجن، الآية: 9.

(5) زائرین: الأولى من الزيارة، والثانية من الزئير.



والاجتزاء، ياليتني كنت لهما متقدما أو تابعا، فأكون إذ ذاك رابعا، هذا ولو عُدنا عِدَّة أصحاب الكهف والرقيم⁽¹⁾ فسَهْلُ مرارة الدواء، بحلاوة الصِّحة على السَّقِيم.

لله درُّهُما كيف قصدا الحَكَمَ حيث اشتمل عليه بيته⁽²⁾، وياعجبا لي كيف حملت ضيم العجز عن تلك الزيارة لما أبيتته. لقد ظفرا منك بتمرّة الغراب وخيما بمن هما عنده أخف من الفتحة في حركات الإغراب، فوافق سن طبقه⁽³⁾ وصادف العابد مُصَلَّاه والخليع مُضطَبَّحه ومُعْتَبَّقه، وأنا وإن لم أحجَّ معهما فقد اعتمرت، وإن لم أساعد في الصُّخبة فربما استشبرت فأمرت، على أن صاحبي ما نهضا لأداء حق واجب، بل لإبراء قلب⁽⁴⁾ واجب، أو لثري أحدهما القمر ويريك الشها⁽⁵⁾ أَسْتَغْفِرُ الله فَإِنَّ الْقَلَمَ قَدْ سَهَا. ولا يُعْتَمَدُ أيضا بالجملة على هذا القول، فأنا الذي أقول: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَبُورَ قُبُورًا عَظِيمًا﴾⁽⁶⁾، وألتزم لذلك الجلال أو الجمال توقيرا وتَعْظِيمًا، فعلى الحقيقة «رَمَنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَتْ»⁽⁷⁾ وعلى المجاز نفس حُرِّ سُلَيْتَ فَتَسَلَّتْ، بذلك تأمر لو نُطِيعُهَا، وَبِتِلْكَ [تَنْهَى] لَوْ كُنَّا لَا نَسْتَطِيعُهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَمَادَى هَذَا الْفِرَاقُ وَقَدْ فَعَلَ، أَنْ تُخِمِدَ الزَّيَارَةُ مِنْ ضَرَمِ أَكْبَادِنَا مَا اشْتَعَلَ، وَنَحُلَّ عَنْ يَدِ الْعَزْمِ عِقَالًا، وَنَفْرَ خِفَافًا وَثِقَالًا فَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُخَالِفِينَ، أَوْ نَقْعُدَ مَعَ الْخَالِفِينَ.

وإلى هذا فإن صاحبي لما صدرا، حمدا من لقائك وزدا ودما صدرا، وبشرا من ثنائك، ما يملأ بين فناءيهما إلى فنائك، وحداثي من برك بما كنت ظننت، وحركا لي

(1) عدد أصحاب الكهف والرقيم لا يعلمه أحد بدليل قوله تعالى: ﴿فَلِربِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. الكهف، الآية: 22.

(2) يشير إلى المثل: في بيته يؤتى الحكم.

(3) مثل عربي معروف، وقد سبق التنبيه عليه والإشارة إليه.

(4) واجب الأولى من الوجوب، أي الفرض وال لزوم، والثانية من الوجوب وهو خفقان القلب واضطرابه.

(5) السها: كويكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبر وقد ورد فيه المثل التالي: «أُرِيهَا السَّهَاءَ وَتُرِينِي الْقَمَرَ». اللسان: «سها».

(6) سورة النساء، الآية: 72.

(7) مثل عربي مشهور انظر: زهر الأكم 3/ 60.



إلى زيارتك حوارًا فحنت⁽¹⁾. وهنا حكاية تنجر مع هذا الحديث، وتبعث على نشر القديم منه والحديث. أمّا صاحبنا فلان فأتبع وسمي المدامع بالولي، وصاح وحر قلباه من فرقة الولي، وبأوينح الشجي من الخلي⁽²⁾ ولولا ما أوثق لرجع عوداً على بدء إليكم ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾⁽³⁾. فسبحان من قضى له بالتوحيش ولكم بالإيناس، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽⁴⁾ وأمّا أخونا فلان فمذمن على تأبط وطبه، ومترغ إلى صرف تحيته وخطبه، لا سيما منذ سعى تيس الأطباء بينهما بداء الضرائر، ونكت ما كان أبرم من تلك المرائر⁽⁵⁾؛ فأخونا يتلظى لأمره، ويضطلي ولا يكاد بحر جمره، وما زال المذكور على هذه السجية مطبوعاً، ومطيفاً بكعبة التوريش⁽⁶⁾ أنسوعاً فأنسوعاً. وأف له كيف يحاول أن يحول بين الأفق والشمس، ويقتل أخاناً كما قتل نفساً بالأمس⁽⁷⁾، وترجو أنه لا يطيش له في هذه النازلة نبل، ولا يعجزه أن يفعل ما فعل أخ له من قبل. وأخاف إن تمادى بين الموصل والموصل إليه الجواب والخطاب، أن يقول: أخونا صفر الوطاب⁽⁸⁾ هذا على أنه للمذكور مسالم، ومعتقد أن جلدة بين العين والأنف سالم⁽⁹⁾ ومن عذيري من أبي

(1) مأخوذ من المثل العربي: «حرك لها حوارها تحن».

(2) مثل عربي معروف، ومنه قول أبي الأسود الدؤلي:

وَنِلَّ الشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ فَإِنَّهُ نَصِبُ الْفَوَادِ لِشَجْوِهِ مَغْمُومٌ

مجمع الأمثال 398 / 1.

(3) سورة النساء، الآية: 93.

(4) سورة آل عمران، الآية: 140.

(5) المرائر: الحبال المفتولة على أكثر من وجه. وتطلق مجازاً على الرباط الذي يجمع بين الإخوة والأصدقاء وهو المقصود هنا.

(6) التوريش: التحريش، يقال: ورشت بين القوم، أي أفسدت بينهم.

(7) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَلْمُوزِي أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ﴾ سورة القصص، الآية: 18.

(8) الوطاب: مفردة وطب، وهو سقاء اللبن. قال الشاعر:

وَأَفْلَتْهِنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضاً وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفِرَ الْوِطَابُ

(9) مقتبس من قول الشاعر:



إِسْحَاقُ فَإِنَّهُ يَرْمِينِي فِي الْهَوَى بِحِجَارِهِ، وَيَأْخُذُ الْجَارَ بِذَنْبِ جَارِهِ، وَيُحَافِظُ حِفْظِي فِي الْحُبِّ عَلَى جِوَارِهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الْمِعْصَمَ لَا يَنْطَبِعُ عَلَيْهِ غَيْرُ سِوَارِهِ، وَلَعَمْرُكَ مَالِي بِالْمَذْكُورِ اهْتِمَامٌ، وَلَا أَخَذْتُهُ إِلَّا مَا يَجِدُ بِالْهَدِيلِ الْحَمَامُ، وَقَدْ أَلْقَيْتُ يَدِي لِلْأَسْتِسْلَامِ وَرَجَعْتُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَخْصُكَ بَعْدَ بَأْتَمِ السَّلَامِ.

وَلَهُ:

لَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ عَارِفًا، وَحَلَلْتُ مِنَ الْبَلَاغَةِ ظِلًّا وَارِفًا، بِمَا أَفَاتِحُ وَلَاءَكَ، وَأُنَاجِي فِي هَذَا الْكِتَابِ عِلَاءَكَ، أَأَقْدَمُ بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكَ عُذْرًا، أَمْ أَوْفِي مِنْ تَبْلِيغِ الْأَمَانَةِ نَذْرًا⁽¹⁾، فَإِنَّ الْأَمَانَةَ لَا يَحْمِلُهَا إِلَّا الْإِنْسَانُ⁽²⁾ وَقَدْ يُؤَدِّي الْقَلَمُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ اللِّسَانُ، وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تَخْتِاجُ إِلَى تَفْصِيلٍ، وَمُبْهَمٌ يَخْتِاجُ إِلَى شَرْحٍ وَتَخْصِيلٍ. وَأَمَّا وَلَا بُدَّ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ بِنَصِّ الْكِتَابِ، فَعَسَى أَنْ يُغْمِدَ عَنِّي سَيِّدِي سَيْفَ الْعِتَابِ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا حَدِيثٌ عَنْ مَحْبُوبٍ، يَسْتَلْذُ وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِيهِ مَسْبُوبٌ:

لَكِنَّ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِّي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ⁽³⁾

وَأَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ فُلَانًا وَصَلَ خِطَابُهُ، وَقَدْ صَفَرَتْ مِنْ وَدَّكَ وَطَابُهُ؛ لِأَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْكَ سَلَامًا كُلَّهُ هَزَلٌ، وَوَلَاكَ مِنَ التَّعْظِيمِ خُطَطًا خَيْرٌ مِنْهَا الْعَزَلُ، لِأَنِّي تَأَوَّلْتُهَا، فَحَوَّلْتُهَا، وَطَلَبْتُهَا

يُذِيرُونِي عَنْ سَالِمٍ وَأُذِيرُهُمْ وَجِلْدَةً بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

إِعْتَابُ الْكِتَابِ، ص: 62، وفیات الأعيان 3/ 147.

(1) النذر: ما ينذر الإنسان على نفسه فيجعله واجبا يدفعه تبرعا، وفي القرآن: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾. سورة مريم، الآية: 25.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾. سورة الأحزاب، الآية: 72.

(3) البيت لابن الدمينه من قصيدة مطلعها:

قَفِي يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ نَفْضِ لُبَانَةٍ وَنَشْكُ الْهَوَى، ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ

العقد الفريد 2/ 276. وهو من بحر الطويل.



فَقَلْبَتْهَا، وَإِلَّا فَمَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوح⁽¹⁾، وَكَيْفَ ارْتَقَى وَهَدُ حُبِّكَ عِنْدَهُ إِلَى
اللُّوحِ، هَذَا وَإِنْ كُنْتَ تَحْسَرُ لِلظُّنُونِ عَنْ مَدَاكَ، وَتَشْرِقُ الْحَسَدَةُ بِمَدَاكَ، وَتُقَرَّبُكَ
بِالسَّبْقِ عِدَاكَ، فَإِنَّ عَهْدِي بِمَنْ تَعْلَمُ لَا يَزَعَى مِقْدَارَكَ، وَلَا يَعْتَقِدُ فِي فَلَكِ التَّنْوِيهِ
مَدَارَكَ. فَلَمَّا اطْلَعْتُ عَلَى ذَلِكَ التَّخْلِيْطِ، وَمَا فِيهِ مِنَ التَّشْطِيْطِ، وَرَأَيْتُهُ

مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ:

[وَلَجُدْتُ حَتَّى كِدْتُ] تَبْخُلُ حَائِلًا لِّلْمُنْتَهَى وَمِنْ السُّرُورِ بُكَاءُ⁽²⁾

فَأَعْمَلْتُ فِي طَرِيقِ تِلْكَ الْخُطْطِ مَطِيَّةَ الْفِكْرِ، إِلَى أَنْ وَقَعَ قَنْصُهَا فِي حِبَالَةِ الْفِكْرِ،
فَقُلْتُ: أَمَّا تَشْيِخُهُ لِلْوَزِيرِ الْجَلِيلِ، فَإِنَّهُ نَظَرُهُ مِنَ الْجِدِّ بِطَرْفِ كَلِيلِ، وَكُنِيَ عَنْهُ كِنَايَةً مَنْ
عَنَاهُ ارْتِيَاضُهُ، عَلَى يَدِ جَنَاهُ رِيَاضُهُ، فَكَسَاهُ عَلَى وَضْلِهِ ثَوْبَ مُحْرَمٍ، وَقَالَ:
وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ⁽³⁾

(1) ذو طلح: اسم مكان وهو مذكور لدى الشعراء كثيرا، قال الحطيطه:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بِذِي مَرَحٍ حُمْرِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرٍ

وقال الأعشى:

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَتَاسٍ هَلَكُوا وَرَأَيْنَا الْمَلِكَ عَمْرًا يَطْلُخُ

وفي شعر جرير:

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيتِ الْغَيْثُ أَتَيْتُهَا الْخِيَامُ

(2) شرح ديوان المتنبي 1/ 153. من قصيدة مطلعها:

أَمِنْ أَزْدِيَّارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتَ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ

(3) دخل بعض الشراة على المنصور فقال له كلاما يوبخه فأنشد:

أَتَرَوْضَ عِزِّكَ بَعْدَمَا كَبِرَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ



وَيَذُلُّ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْطَى مِنْ وَضْلِهِ بِطَائِلٍ، مَا تَفْهَمُهُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهُمْ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُمْ خَبَالًا⁽¹⁾

أَمَّا مَا عَجَّلَهُ لَكَ مِنْ دَيْنٍ تَنْذِيرِهِ وَقَضَاهُ، حِينَ قَالَ: وَرَزَقْنِي بَرَّهُ وَرِضَاهُ، فَأُشِيرُ عَلَيْكَ بِاطِّرَاحِ هَذَا الْمَطْلُوبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكَلِمِ الْمَقْلُوبِ، وَالْأَمْثِلَةُ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا الْأُسْلُوبِ، وَلِذَلِكَ أَقِيسَةُ يُشِيرُ إِلَيْهَا مِثْلُهُ مِمَّنْ هَجَرَ، كَقَوْلِهِمْ: بَلَّغْتَ هَجَرَ⁽²⁾، وَكَانَ الْحَقُّ أَنْ يَنْصِبَ حَجَرَ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِمَّا يُبَيِّنُهُ لَكَ الْمَالَ، قَوْلُهُمْ:

كَأَنَّنَا رَعْنُ قُفٍّ يَرْفَعُ الْآلَا⁽³⁾

فَهَذَا مَا حَضَرَنِي مِنَ الْجَوَابِ، عَلَى هَذَا السُّؤَالِ، وَاللَّهُ يُدِيمُ مُدَّةَ الْوَزِيرِ مَا جُورًا، مَتْرُوكًا مَفْرُوكًا. بِمَنِّهِ وَالسَّلَام.

وَلَهُ:

كَيْفَ اهْتَرَأَ الْوَزِيرَ الْحَسِيبَ، الَّذِي وَقَارُهُ أَرْجَحُ مِنْ عَسِيبِ⁽⁴⁾، وَأَخْلَاقُهُ أَتْقَى مِنْ أَيْتَاتِ النَّسِيبِ، غُرَّةُ وَجْهِ الْمَحَامِدِ، أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَامِدٍ⁽⁵⁾، أَبْنَاهُ اللَّهُ سَالِكًا مِنَ الْجِدِّ أَوْضَحَ مِنْهَا، نَائِبًا فِي ظُلَمِ الْمُشْكِلَاتِ عَنْ كُلِّ سِرَاجٍ وَهَّاجٍ، بِحَدِيثِ جَلِيٍّ، عَنْ صَاحِبِ وَلِيِّ، شَجٍّ غَيْرِ خَلِيٍّ، وَرُبَّمَا تَهَدَّتْ فِطْرَتُكَ لِأَنْ تَنْظَنَّهُ أَبَا عَلِيٍّ، اللَّهُ أَكْبَرُ:

(1) البيت من الشواهد العروضية على بحر الكامل المقطوع الممنوع إلا من الإضمار، وهو للأخطل.

العقد الفريد 482/5، المعيار في أوزان الأشعار، ص: 62. ديوان الأخطل.

(2) هجر: هناك ثلاث مدن سميت بهذا الاسم الأولى في مأرب، والثانية في البحرين، والثالثة مدينة ملك البجاة. الروض المعطار ص: 592.

(3) عجز بيت للنابغة الجعدي وتماهه:

حَتَّى لِحَقْنَاهُمْ بِهَمْ تَغْدِي فَوَارِسُنَا كَأَنَّنَا رَعْنُ قُفٍّ يَرْفَعُ الْآلَا

(4) عسيب: اسم جبل لعله بأنقرة، قال امرؤ القيس:

أَجَارَتْتَا إِنْ الْخُطُوبَ تَتُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

(5) الروض المعطار، ص: 31.



سَقَطَتْ عَلَى الْخَبِيرِ⁽¹⁾، وَأَحْطَتْ عِلْمًا: بِالْقَبِيلِ وَالْدَّبِيرِ⁽²⁾ فَأَصْبَحَ لَهُ أَغْرَبَ مِنْ نَظَرِ الزَّرْقَاءِ⁽³⁾، وَأَشْهَى مِنْ حَدِيثِ الْعَنْقَاءِ⁽⁴⁾، وَأَطْرَبَ مِنْ هَدِيلِ الْوَرْقَاءِ. إِنَّ صَاحِبَنَا أَبَا عَلِيٍّ لَمَّا أُنِخَ قَلَمُ رُجَّاحِهِ، مَعَ أَبِي حَجَّاجِهِ، كَانَتْ فِي ذَلِكَ مِنْ فُلَانٍ سِعَايَةً، لَمْ تَطْرُدْ فِيهَا رِعَايَةً، تُقْبَحُ فِي عَيْنِ الْمَنْصُورِ وَزَدَ الرَّبِيعِ⁽⁵⁾، وَتُبْغِضُ الْقَطَرَ عِنْدَ نَوْرِ الرَّبِيعِ. وَلَمَّا نَبَذَ أَبُو عَلَيْنَا بِالْعَرَاءِ، وَاعْتَقَدَ بَعَاذَهُ وَكَذَلِكَ كَانَ مِنْ أَصُوبِ الْآرَاءِ، لَمْ أَلْ أَنْ ذَلِكَ لَهُ مِنْ جَانِبِ ذَلِكَ الْمُعْتَزِّ، وَرَضِيتُ بِأَنْ أَتَضَمَّنَ صِفَةَ اللَّيْلِ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ⁽⁶⁾ حَتَّى تَزْخَرَحَ الْقَدَا عَنْ تِلْكَ الْمَشَارِبِ، وَأُبَيِّحَ لِلشَّارِبِ مَوْرِدَ الشَّارِبِ، وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِ هَذَا مِنَ الْمَارِبِ، فَإِنَّ صَاحِبَنَا لَا يُتَّهَمُ بِقَدِّ الْقَمِيصِ، وَلَا مُعَانَقَةِ الْخَضِرِ الْخَمِيصِ وَلَمَّا سَفَرَ رَأْسُهُ مِنْ صُدَاعِهِ، اسْتَدْرَجَتْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ سَاعَةً وَدَاعِهِ، فَمَا ظَنُّكَ بِهَامِي الْمُقْلَتَيْنِ، لُدِغَ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ⁽⁷⁾ نَزَعَتْ بِمَحْبُوبِهِ الدَّارُ، وَفَرَّقَتْ بَيْنَ الْغَضَنِ الْغَضِّ وَالذَّابِلِ أَقْدَارًا. وَعَهْدِي بِأَبِي عَلِيٍّ إِذِ النَّاسُ نَاسٌ، وَالزَّمَانُ كُلُّهُ إِنَاسٌ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ بَعْدَهُ كِنَاسٌ، يَفْتَقُ بِظُنُونِهِ مَا لَا يُرْفَعُ، وَيَبْكِي بِمَا عَسَاهُ لَا يَقَعُ، وَيُولَعُ بِسُوءِ الظَّنِّ فَيَجْلُبُ الْحُزْنَ إِلَيْهِ، وَيَحْسِبُ كُلَّ صَنِحَةٍ عَلَيْهِ⁽⁸⁾ فَيَبْكِي وَغَضْنُهُ مَيَّادُ نَاصِرٍ،

(1) صيغة المثل: على الخبير سقطت.

(2) من كلام العرب قولهم: «فلان ما يدري قبلا من دبير»؛ أي لا يعلم من الأمر شيئا.

(3) الزرقاء: يقصد بها زرقاء اليمامة، وكانت مشهورة بجودة النظر وصحة الإدراك، قال فيها الشاعر:

وَاحْكُمْ كَحْكُمِ فَتَاةَ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامِ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

الروض المعطار، ص: 620.

(4) العنقاء: طائر عظيم يرى بعضهم أنه لا وجود له إلا في خيال الناس، قال الشاعر:

وَلَوْ لَا سُلَيْمَانُ الْخَلِيفَةُ خَلَقْتُ بِهِ مِنْ يَدِ الْحَجَّاجِ عَنْقَاءَ مُغْرِبِ

(5) لعله يقصد بالمنصور الخليفة العباسي، وبالربيع وزيره الفضل بن الربيع. أو لعله يقصد المنصور بن أبي عامر الذي كان مولعا بالأزهار والورود.

(6) شاعر عباسي مشهور امتاز بوصفه لليل في أغلب قصائده.

(7) فيه إشارة إلى الحديث النبوي: «المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين».

(8) فيه إشارة إلى قوله تعالى: «يَخْسِبُونَ كُلَّ صَنِحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الَعَدُوُّ قَاخَذَرَهُمْ». سورة المنافقون، الآية: 4.



وَيَنُوحُ وَإِلْفُهُ لَدَيْهِ حَاضِرٌ، فَكَيْفَ وَقَدْ أَكَلَ يُوسُفَهُ ذَيْبُ الْفِرَاقِ⁽¹⁾، وَأَصَابَ سَهْمٌ مِّنْ بِيْذِي سَلَمٍ مِّنْ بِالْعِرَاقِ⁽²⁾، فَهَاهُوَ عَنِ نَغْرِ الْكَاتِبَةِ يَفْتَرُ، وَتَلُوحُ لَهُ بُرُوقُ الْمُئْنَى فَلَا يَغْتَرُ، وَلَا يَنْتَلُو مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ إِلَّا ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنَاً وَأَهْلَتْنَا الضَّرُّ﴾⁽³⁾ قَدْ تَكَنَّفَهُ مِنَ النَّوَى شَجَنٌ عَظِيمٌ ﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَلَهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾ فَلَكَ الْفَضْلُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ- فِي عَزَائِهِ، وَتَسْلِيَّتِهِ عَمَّنْ كَانَ يَدُورُ بِإِزَائِهِ، فَلَعَلَّكَ تَكْسِرُ غَرْبَ هَجْرِهِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بِمَنْ اللَّهُ وَيُؤْمِنُهُ وَالسَّلَام.

وله: رَحِمَهُ اللَّهُ يُرَاجِعُ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ حَرِيقٍ⁽⁵⁾ مُدَاعِباً فِي آخِرِ رِسَالَةٍ:

وَرَاءَ ضُلُوعِ الْغَيْمِ قَلْبٌ مَّشُوقٍ	لِبَرْقِ بِلْدَاتِ الْأَبْرَقَيْنِ خَفُوقٍ
بَدَا طَفَلاً يُزْجِي السَّحَابَ وَإِنَّمَا	أَدَارَ عَلَى الْآفَاقِ كَأْسَ غُبُوقٍ
فِيَا مَنْ رَأَى لَوْنِي أَصِيلاً وَعَبَّرْتَنِي	عَمَاماً، وَقَلْبِي وَهُوَ خَفَقُ بُرُوقٍ
أَلَا فَاعْجَبُوا مِنِّي وَإِنِّي وَاحِدٌ	يُضْمِنُنِي حُبِّي صِفَاتِ فَرِيقٍ
وَمَنْ لِبُرَيْقٍ يَشْتَكِي مِنْهُ أَفْقُهُ	بِجُرْحٍ كَجُرْحِ الْحُبِّ غَيْرِ مُفِيقٍ
قَعَدْتُ لَهُ فِي فِتْيَةٍ أَدَبِيَّةٍ	يُقِيمُونَ لِأَدَابِ أَكْرَمِ سُوقٍ
مِنَ الْقَوْمِ جَالَتْ فِي الْمَعَانِي شِفَاهُهُمْ	مَجَالُ أَكْفٍ فِي كُؤُوسِ رَحِيقٍ

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ أَكَلَهُ الذَّيْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذْ لَّخَسِرُونَ﴾. سورة يوسف، الآية: 14.

(2) هذا من قول الشاعر:

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَآمِيهِ بِيْذِي سَلَمٍ مِّنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدْتَ مَرَمَاكَ

(3) سورة يوسف، الآية: 88.

(4) سورة يوسف، الآية: 84.

(5) ابن حريق من الشعراء الموحدين، كان معاصراً للصفوان بن إدريس، وصديقاً له، كانت وفاته سنة

622 هـ انظر عن ترجمته زاد المسافر: التكملة رقم 1895، صلة الصلة، ص: 129، الذيل والتكملة

275 / 5، المغرب في حلى المغرب 2 / 318، رايات المبرزين، ص: 86، فوات الوفيات 3 / 64.



يَقُولُونَ لِي شَبَّهَ؛ فَقُلْتُ كَأَنَّمَا
فَأَوْمَوَا بِأَنْ زِدْنَا، فَقُلْتُ كَأَنَّمَا
وَلَوْ حَسُنَ التَّكْرَارُ قُلْتُ كَأَنَّهُ:
فَقَالُوا: أَرَدْنَا سُرْعَةً وَتَوَقُّدًا
وَلِإِنْ سَنَّا بَرْقٍ يَكُونُ شَبِيهَهُ
وَآيَةُ بَرْقِ الْجَوِّ سَكَبُ دُمُوعِهِ
لِيُطْلَعَ فِي ثُلْدِ الْغُصُونِ كَوَاكِبًا
وَآيَةُ ذَلِكَ الْخَاطِرِ الْفَذُّ نَفْثَةُ
هِيَ الْحُسْنُ لَا مَا تَزِدْهُي رَوْضَةُ الرَّبِيِّ
مِنْ الْمَذْهَبَاتِ الْغُرِّ تَهْوَى رِكَابُهَا
تَسِيرُ وَرَاءَ السَّمْعِ فِي كُلِّ فَذَفِدٍ
أَقُولُ وَقَدْ سُقِيتُ بَعْضَ سُلاَفِهَا
أَيَا رُقْعَةَ الْحَبْرِ الْمُقْبِلِ نَعْلُهُ
وَيَا مُتَعَاطِيَهَا مَكَانَكَ تَسْتَرِخُ⁽³⁾

يَجُرُّ عَلَى الْكَافُورِ ذَيْلَ عَقِيْقِ
أَفَاصَ عَلَى الْبَلُّورِ رَدْعَ خَلْقِ
«وَرَاءَ ضُلُوعِ الْغَيْمِ قَلْبُ مَشُوقِ»
فَقُلْتُ: ذَكَرْتُمْ خَاطِرَ ابْنِ حَرِيْقِ
لِيَزْدَادَ بِالتَّشْبِيهِ حُسْنَ بَرِيْقِ
بِأَبْطَحِ وَادٍ أَوْ سَمَاوَةٍ نِيْقِ⁽¹⁾
مِنْ الزُّهْرِ تُعْشِي الْعَيْنَ لَمْعَ شُرُوقِ
تَسُدُّ عَلَى الْأَذْهَانِ كُلَّ طَرِيْقِ
بِخَدِّ أَقْصَحِ أَوْ بِشَفْرِ شَقِيْقِ
إِلَى كُلِّ فَجٍّ فِي الْبَيَّانِ عَمِيْقِ
إِلَى مُسْتَقَرِّ الْقَلْبِ سَيْرِ سَبُوقِ
فَأَضْبَحْتُ بَيْنَ الشَّرْبِ⁽²⁾ غَيْرَ مُفِيْقِ
سَخَا بِكَ فَارُوقِ الْبَيَّانِ فَرُوقِي
فَكَمْ مِنْ رَسِيمِ⁽⁴⁾ دُونِهَا وَعَتِيْقِ⁽⁵⁾

(1) النيق: حرف من الجبل، وقيل هو أرفع موضع في الجبل، وانه قول الشاعر:
شَفَوَاءُ تَوْطِنُ بَيْنَ الشَّيْقِ وَالنَّيْقِ

(2) الشرب: جماعة الشاربين، قال الشاعر الأندلسي:
وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّرْبَ أَخَذْتُ سَمَاوَهُمْ
تَأَبَّطْتُ زَقْمِي وَاحْتَسَبْتُ عَنَائِي

(3) انظر في ذلك إلى قول الشاعر عمرو بن الإطنابة مخاطبا نفسه:
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ وَجَاشْتُ
مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

(4) الرسيم: ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض.

(5) العتيق: الفرس الكريم الذي يسرع في خطوه.



كَمَا يَتَحَامَى الْغَضَنُ فَرْعَ سَحُوقٍ⁽¹⁾
كَأَنَّ فَرَّاشًا حَامَ حَوْلَ حَرِيقِ
بَنْصَلٍ كَنْصَلِ الزَّاعِبِيِّ⁽²⁾ فَتَيْقِ
لِغَيْرِ سِهَامِ الْفِكْرِ نَسْجُ سَلُوقِ
فَحَلَّ بِهَا ذَهْنِي مَحَلَّ غَرِيقِ
إِلَى نَسَبِ صِنُو الصَّبَاحِ عَرِيقِ
وَجِدُّ كَصَدْرِ الْمَشْرِفِيِّ وَثِيقِ
وَأَلْقَيْتُ عَنْ أَمْرِي [جِيَادَ رَفِيقِ]⁽⁴⁾
وَلَيْسَ كَذُوبُ الْقَوْلِ مِثْلَ صَدُوقِ
رَتُوقِ⁽⁵⁾ لِأَثْوَابِ الْبَيَانِ فَتُوقِ
فَرُبَّ صَدِيقٍ فَوْقَ كُلِّ شَقِيقِ
عَلَى صَرْفِ دَهْرِ الْعَتَابِ خَلِيقِ
سَيَعْلَمُ إِنْ حَاسَبْتُهُ بِعُقُوقِ
غَدَاةٍ أَزْدَرَى جَهْلًا بِفَضْلِ عَتِيقِ

يَقْرُبُ بَعَيْنِي أَنْ تَقْهَقَرْتُ دُونَهَا
وَقَدْ سَرَّنِي أَنْ ذَابَ عَنْهَا حَسُودُهَا
لَقَدْ رَشَقَتْ قَلْبَ الْحَسُودِ سِهَامُهَا
وَلَمْ يَغْنِهِ سَرْدُ⁽³⁾ الدُّرُوعِ وَإِنَّمَا
وَجَاشَتْ عَلَى سَمْعِي بِخُمْسَةِ أَبْحُرِ
بِخُمْسَةِ آيَاتٍ تُمْتُ مِنَ النَّهْيِ
مَدَدَتْ بِهَا نَحْوِي يَمِينَ مَوَدَّةٍ
..... يَنْعَمُ
أَصْرَحُ صِدْقًا وَهُوَ فَرَضٌ عَلَى الْفَتَى
يَمِينًا لَنَا مِنْ خَاطِرٍ مُتَسَلِّسٍ
لَأَنْتَ أَحْيَى لَا مَا تَخَيَّلَ وَارِثِي
تَعَالِ أَجَاذِيكَ الْحَدِيثَ هُنَيْهَةً
بِآيَةٍ مَا يُضْجِي وَيُمْسِي يَعْقِنِي
أَلَا وَلَهُ فِي مِسْطَحٍ⁽⁶⁾ شَرُّ إِسْوَةِ

(1) السحوق: الطويل من النخل، أو الشجر؛ ويستعار للمرأة الطويلة أحياناً، قال الشاعر:
تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ طَعِينَةً طَوِيلَةً أَنْقَاءَ الْيَدَيْنِ سَحُوقُ

(2) الزاعبي من الرماح، الذي إذا هز، تدافع كله، كأن آخره، يجري في مقدمه. والنصل الفتيق هو الحديد
الشفرتين، والسيف الفتيق الحاد. ومنه قولهم: «كنصل الزاعبي فتيق» اللسان: فتق.

(3) السرد: الثقب، والدروع المسرودة، أي المثقوبة.

(4) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) الرتق: الالتئام والالتحام وهو عكس الفتق، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْفًا فَتَفَتَّنْنَاهُمْ﴾ سورة الأنبياء، الآية: 30.

(6) مسطح: كاهن من بني ذئب. اللسان: «سطح». ويشير إلى ما كان له في قصة الإفك.



إِذَا رُمْتُ أَنْ أَسْمُوهُوتَ بِي رِيحُهُ
نُحِبُّ بَنَاتِ الْفِكْرِ وَهِيَ تَعْقُنَا
لِكُلِّ مَكَانٍ فِي الْخُضُوعِ سَاحِقِ
وَتَسْرِي وَمَا عَادَتْ عَلَيْنَا بِعَائِدِ
فَمَا لِعَدُوِّي أَرْتَضِيهِ صَدِيقِي
كَأَبْلَقِ⁽¹⁾ مَعْدُومِ الْوُجُودِ عَقُوقِ

سَيِّدِي وَأَكْثَرُ، وَوَلِيِّي الْأَحَبُّ الْأَثَرُ، وَمَنْ لَهُ مِنْ هَوَايَ الْعَيْنِ وَالْأَثَرُ، وَمِنْ الْمَكَارِمِ
الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالْأَثَرُ، وَمِنْ نَفَاتِهِ نَلْتَقِ كُلَّ مَا يُنْتَظَمُ وَيُنْتَشَرُ، وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَيُؤَثَّرُ⁽²⁾. أُنَسَّ اللَّهُ وَلَيْكَ بِلِقَائِكَ [وَأَتَمَّ] رُوحَ الْأُنْسِ مِنْ لِقَائِكَ. وَلَيْتَ الزَّمَانُ
تَجَافَى لَنَا عَنِ التَّلَاقِي قَلِيلًا، فَتَشْحَذُ بِهِ لِلشَّاطِطِ غَرْبًا⁽³⁾ كَلِيلًا، وَنَنْفِثَ نَفْثَةً مَضْذُورٍ،
فِي جَانِبِ هَذَا الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ، وَنَجِدَ مِنَ الرُّوْيَةِ لِعَيْنِهِ وَالْإِسْتِعْدَادِ، وَنَسْلَقَهُ وَقَدْ أُمِيطَ
عَنَّا خَوْفُهُ بِأَلْسِنَةِ حِدَادِ⁽⁴⁾، بَلْ لَيْتَهُ أَذْهَبَ عَنَّا خَوْفَهُ، وَأَمِنَ أَنْ نُعِدَّ لَهُ سِينَ الْعِتَابِ
وَسَوْفَهُ، وَلَكِنَّ أَحْوَالَهُ أَطْوَارٌ وَأَدْوَارٌ، فَمُحَاقٌ⁽⁵⁾ وَأَنْوَارٌ، وَبِعَادٌ وَجَوَارٌ، وَغَضَارَةٌ
الْأَيْكَةِ يَتَعَاقَبُ فِيهَا الذُّبُولُ وَالنُّوَارُ، طَوْرًا نَذْفَعُ صُرُوفَهُ بِيَدِ الْإِفْتِرَاقِ فِي صُدُورِ
الْإِتِّصَالِ، وَأَوْنَةً نُضْفِي عَلَى ضَاحِي الْهَجْرَانِ ظِلَّ الْوِصَالِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ مَا بَيْنَ
نَرْجِسِ الْأَسْحَارِ وَبَهَارِ الْأَصَالِ، سَلَمُهُ عِنْدَ انْتِقَادِهَا حُرُوبٌ، وَجَانِبُهُ رَوَاقٌ بَيْنَ
النُّفُوسِ وَأَمَالِهَا مَضْرُوبٌ، وَهَذَا حَقْدٌ لَيْسَ بِهِ وَحْسَدٌ، وَغَرَضٌ تَضَمَّنَ رُوحَهُ مِنَ الْبَغْيِ

(1) الأبلق الفرد: حصن للسموأل بن عاديء، والأبلق أيضا يطلق على حصن قصده الزباء فلم تقدر عليه،
فقال: «تمرد مارد وعز الأبلق».

(2) ينظر في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. سورة
فاطر، الآية: 10.

(3) الغَرْبُ: حَدُّ السَّيْفِ؛ ومنه لسانُ غَرْبٍ: أي قاطعٌ، قال الشاعر:

غَرْبًا سَرِيعًا فِي الْعِظَامِ الْخُرْسِ

(4) ينظر إلى قوله تعالى: ﴿بِإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾.
سورة الأحزاب، الآية: 19.

(5) الْمُحَاقُّ: آخر الشهر عندما يختفي الهلال ولا يعاد يرى. وهي الميم المثلثة.



جَسَدٌ، لِأَنَّهُ لَمَّا عَايَنَ عِذَارَ الدَّجَى إِذَا سَجَا، يَسْتَعْرِقُ مَحَاسِنَ وَجَنَةِ الْفَجْرِ، كَمَا اسْتَعْرِقَتْ دَمَاءُ⁽¹⁾ الصَّبِّ لَيْلَةُ الْهَجْرِ، كَرِهَ طَبْعُهُ مُسَالَمَةَ بَيْنِهِ وَأَبَاهُ، وَقَالَ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُشَبَّهَ أَبَاهُ»⁽²⁾ فَأَوْفَى مِنَ التَّفْرِيقِ بِمَا نَذَرُ، وَفَرَّقَ أَشْيَاعَ الْمُتَأَلِّفِينَ شَذَرَ مَذَرٍ، وَنَبَأَ عَنْ تَأْلِيْفِهِ نُبُوَ الطَّرْفِ عَنِ الْخَدِّ إِذَا عَدَّرَ، خَوْفًا أَنْ يُعَيِّنَ بَيْنِهِ، عَلَى هَذْمِ مَا بَيْنِهِ، إِذِ «التَّمَرَّةُ إِلَى التَّمَرَةِ تَمَرٌ» وَمِنْ السَّقَطِ⁽³⁾ وَالشُّطَاطِ يَتَوَلَّدُ الْجَمْرُ، وَالْعَصْدُ بِالْعَصْدِ يَسْتَنْصِرُ، وَالْمُنْفَرْدُ يَحْذِفُ التَّأْلَفَ وَيَخْتَصِرُ.

-حَسْبُنَا اللَّهُ- مَنْ أَدَانَا أَنْ نَتَأَوَّلَ عَلَى الزَّمَانِ أَفْعَالَهُ، وَنَحْدُوَ عَلَى قَدَمِ الظَّنِّ نِعَالَهُ فَقَدْ كَانَتْ لَنَا فِي وَصْفِ أَحْوَالِنَا مَارِبٌ أُخْرَى، وَرُسُلُ أَقْوَالٍ تَجِيءُ تَتْرَى، وَمُعِيدِي كُلُّهُ خَيْرٌ: يُسْتَهَى أَنْ يُسَمَعَ وَيُرَى⁽⁴⁾.

أَمَّا إِنْ كِتَابَكُمُ الْأَكْرَمُ وَصَلَ أَبْرَ وَصُولٍ، فَجَلَّى ظِلَامَ تَوْحُّشٍ لَوْ خُضِبَ بِهِ الشَّيْبُ لَمْ يَخَفَ مِنَ النَّصُولِ، فَلِلَّهِ دَرْكٌ مَا أَمَدَّ مَدَاكَ، وَأَحَدٌ مَدَاكَ، وَأَحْفَلُ دَرْكٌ وَأَنْفَسُ دَرْكٌ⁽⁵⁾ وَأَنْقَبَ كَوَكَبُكَ، وَأَنْجَدَ مَوَكِبُكَ، وَأَقْلٌ فِي الْبَلَاغَةِ مَنَايِبُكَ، وَأَوْرَى فِي الْمَعَارِفِ زُنْدُكَ، وَأَجْرَى مَا لِلثَّمِ أَنْامِلُكَ وَزُنْدُكَ⁽⁶⁾، وَمَا أَبْدَى أَنْوَارَكَ، وَمَا أَشْهَى أَنْوَارَكَ، وَأَبْهَجَ أَضْوَاءَكَ، وَأَلْهَجَ بِكَ أَذْوَاءَكَ، وَأَطْيَبَ حَدِيثَكَ، وَأَغْرَبَ قَدِيمَكَ وَحَدِيثَكَ، لِأَنَّكَ

(1) الدَّمَاءُ: بقية الروح.

(2) يشير في ذلك إلى قول الشاعر:

بِأَبِيهِ اقْتَدَى عَزْدِي فِي الْكَرَمِ وَمَنْ يُشَابِهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ

والبيت من شواهد شراح الألفية؛ انظر شرح الأشموني 1 / 70.

(3) السَّقَطُ: ما يتناثر من الجمر فهو رماد ويسمى سقط الزند.

(4) فيه إشارة إلى المثل العربي: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه»، وقد قيل هذا المثل في ضمرة بن ضمرة، عندما دخل على النعمان بن المنذر. فصل المقال، ص: 121، مجمع الأمثال 1 / 86، العقد الفريد 2 / 288.

(5) الدر: اللبن، والدر بالضم: حجر كريم.

(6) الزند الأولى: معناها الخشبтан اللتان تقدح بهما النار، والزند الثانية: عظم في الساعد، ويكنى به عن الكف.



الْفَيَاضُ الطَّبَاعُ الْفَضْفَاضُ الْانْطِبَاعُ، النَّافِثُ بَغَرَرِ الْأَسْحَارِ، الْعَابِثُ بِدُرَرِ الْبِحَارِ،
الْأَخِذُ إِحْسَانَهُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ، النَّابِذُ فِي الْغُبَارِ كُلِّ مَنْ يُجَارِيهِ فِي أُسْلُوبِ.
أُفْسِمُ بِالَّذِي زَيْنَكَ وَحَلَاكَ، وَجَعَلَكَ قُدُوءَ الْأَدَابِ عَلَى أَنَّهَا أَقْلُ حَلَاكَ، لَقَدْ
تَصَفَّحْتُ رُفْعَتَكَ الَّتِي أَعْطَتْ كَمَالَ الْحَقِّ وَتَمَامَهُ، وَكَانَ أَحَقَّ بِهَا مِنْ اسْمِ الرُّقْعَةِ اسْمُ
الْكِمَامَةِ، فَلَشَدَّ مَا خُلِعَتْ عَلَيْهَا الْبَرَاةُ، الَّتِي وَلِدَتْ مِنْ تِلْكَ الْبِرَاعَةِ، خَلَعَ الْخِيَلَانِ
عَلَى الْخُدُودِ، وَالْإِزْتِيَا حَ عَلَى هَيْفٍ⁽¹⁾ الْقُدُودِ، وَالْفِرْنِدُ عَلَى الْمُهَنْدِ الْعَضْبِ، وَالزَّحَامِ
عَلَى الْمَوْرِدِ الْعَذْبِ، وَالْبِشْرِ عَلَى بَرْقِ الْغَمَامَةِ، وَالطُّوقِ عَلَى جِيدِ الْحَمَامَةِ.

فَلِذَلِكَ تَرَكْتُ الْمُرَاجَعَةَ تَرَكَ الظَّنِّي ظِلَّهُ، وَتَلَوْتُ وَخَوَاطِرِي بِالْقُصُورِ مُسْتَظَلَّةً،
وَبَرَبَعَ الْخَجَلَ عَمَّنْ غَلْبُهُ مِثْلَكَ مُدَلَّهُ، ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾⁽²⁾ فَقَبِلْتُ عُذْرَ فِكْرِي حِينَ انْقَادَ وَسَلَّمْ، وَقَالَ وَقَدْ أَشْعَرَ
بِعَجْزِهِ وَأَعْلَمْ، مَا كَانَ لَابْنِ أَبِي قُحَافَةٍ⁽³⁾ أَنْ يَوْمَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ
يَزَلْ يَسْتَظْهِرُ عَلَيَّ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِحَجَّاجَ، وَتَشَوُّقُ إِلَى الْإِعْفَاءِ تَشَوُّقُ جَحْدَرٍ لِعَفْوِ
الْحَجَّاجِ⁽⁴⁾، وَلَوْلَا التَّعْظِيمُ لِمَكَانِ سَيِّدِي لَقُلْتُ تَشَوُّقُهُ لِلِقَاءِ أَبِي الْحَجَّاجِ، وَكَمْ هُنَا
مِنْ حَدِيثِ ذِي شُجُونٍ⁽⁵⁾، وَزَهْرٍ حَسَنِ تَفَتَّرَ عَنْهُ كَمَاثِمُ الْمُجُونِ، وَمَنْ بَقَلَ عِذَارُهُ⁽⁶⁾،
فَقَدْ انْقَطَعَتْ أَعْدَارُهُ، كَمْ بَيْنَ ذَاكَ الْجَنَى وَالْوَرَقِ، مِنْ خُدَعِ الْمُنَى وَلَفَحَاتِ الْحُرْقِ،
وَمَنْ نَقَدَ الْغَزَلَ فِي مَحَكِّ الْإِمْتِحَانِ، فَضَّلَ عَلَى انْتِقَالِ الْوَرْدِ بَقَاءَ الرَّيْحَانِ، وَلَيْسَ فِي سُنَّةِ
الْكَلْفِ، أَنْ يُعَابَ الْبَدْرُ بِالْكَلْفِ⁽⁷⁾. فَالآنَ أَنْ أَنْ يَفِيضَ إِسْعَادُهُ، وَحَانَ أَنْ يَغِيضَ بَعَادُهُ،

(1) الهيف: رقة الخصر وضمور البطن، والهيف جمع هيفاء.

(2) سورة النمل، الآية: 35.

(3) ابن أبي قحافة: هو أبو بكر الصديق.

(4) اسم رجل كان لقبه فسجنه الحجاج فقال شعرا يشناق فيه إلى أهله ويطمح في عفو الحجاج. رفع
الحجب 1/ 50.

(5) مثل عربي مشهور، انظر زهر الأكم 2/ 102.

(6) بقل المكان: أي أنبت: البقل؛ وهو كناية عن الكبر والفتوة.

(7) الكلف: لون بين السواد والحمرة.



إِذْ مُدَّةُ انْصِرَامِ حِبَالِهِ قَرِيبَةً، وَجَنَّتْهُ مِنْ عَارِضِ الْعَارِضِ مُسْتَرِيَّةً، بِأَيَّةٍ مَا يُطْلَعُ فِي أَفْقِهَا أَهْلَةُ الْمُوَاسِي مَكْسُوفَةً، فَيَذَرُ جَمَالَ عِذَارِهَا مَنْسُوفَةً، وَيَحْذَرُ زَمَانًا يُعِيدُ سَلْمَهُ حَرْبًا، وَيُبْعِدُهُ فِي مُحِبِّهِ قُرْبًا، فَيَتَّقِلُ مِنَ الْهَشِيمِ إِلَى الْحَمِيمِ، وَلَا يَزِيهِ وَرَاءَ سِتْرِ اللَّهِ عَنْ قَوْسِ رَمِيمٍ⁽¹⁾، فَمَا لَهُ مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ⁽²⁾ فَلِذَلِكَ يَكْسِرُ مِنْ غَرْبِ انْتِخَائِهِ، وَيُقَدِّمُ لِرِمَانِ بُوْسِهِ فِي بَقِيَّةِ زَمَانِ رَجَائِهِ، وَيَغْتَنِمُ شَبَابَهُ قَبْلَ هَرَمِهِ⁽³⁾، وَلَا يَمْنَعُ مِنَ الصَّيْدِ فِي حَرَمِهِ؛ وَاللَّهُ يُمَتِّعُكُمْ بِهِ سَلِسَ الْقِيَادِ، سَرِيعَ الْانْصِياعِ وَالْانْقِيَادِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ مَا نَمَتِ الْأَزْهَارُ، وَتَبَايَنَ السَّرَارُ وَالْجَهَارُ وَكَانَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ: «كَلَامِ اللَّيْلِ الَّذِي يَمْنَحُوهُ النَّهَارُ»⁽⁴⁾ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَلَهُ: مُدَاعِبًا بَعْضُ إِخْوَانِهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْكَلْبَةِ فَخَرَجَ سَخَرَةً يَوْمَ فَعَضَّهُ كَلْبَانِ.

وظَلَمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ⁽⁵⁾

مَا زِلْتُ أَعَزُّ اللَّهُ الْوَزِيرَ الْحَسِيبَ وَلَا سَلَطَ عَلَيْهِ الْقَرِيبَ وَلَا النَّسِيبَ، وَأَقَالَ مِنْ مَوْقِفِ الْجَزَعِ عَثْرَةَ قَدَمِهِ، وَلَا جَعَلَ لِلْأَثَابِ الْفَوَارِثِ سَبِيلًا عَلَى أَدَمِهِ، وَلَا سَبَبًا إِلَى إِزَاقَةِ دَمِهِ، أَسْمَعُ بِحَسَدِ الْقَرِيبِ لِلْقَرِيبِ، وَأَطْوِي عَلَى اعْتِقَادِهِ جَوَانِحَ مُسْتَرِيبٍ، وَأَقُولُ إِنْ كَانَ فِي السَّادِ الْغَرِيبِ، بَلْ أَصَمُّ عَلَى أَنَّهُ تَقُولُ مُلْفَقٌ، وَزُورٌ لَمْ يَفِهِ بِهِ مَوْقُقٌ.

حَتَّى أَتَّصَلَ بِي مَا دَهَمَ جَنِينِكَ، مِنْ عَضِّ كَلْبِيكَ، وَقَيَّدْتُ عَنِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَصَادِقِ، بِسِنْدٍ يَرْفَعُهُ صَادِقٌ إِلَى صَادِقٍ، كَيْفَ فَاجَاكَ، فَوَجَاكَ⁽⁶⁾ وَبَادَرَاكَ، فَصَادَرَاكَ،

(1) فيه نظر إلى قول أبي حنيفة النُمَيْرِي:

رَمْتَنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ

(2) ينظر إلى قوله تعالى: ﴿قَمًا لَنَا مِنْ شَرِيعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾. سورة الشعراء: 100-101.

(3) فيه إشارة إلى الحديث النبوي: «يا ابن آدم اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

(4) مثل عربي: يضرب للذي يكثر من إخلاف الوعد، العقد الفريد 6/ 199.

(5) البيت لعدي بن زيد العبادي وهو من الطويل. انظر ديوانه، ص: 108.

(6) وجاه: ضربه باليد أو بالسكين أو غيرهما فأصابه بطعنات تكاد تودي بحياته.



وَقَصْدَاكَ، فَأَقْصِدَاكَ، وَنَبِيَاكَ⁽¹⁾، وَمَا تَهَيَّبَاكَ، وَلَوْلَا فف جِسْمِكَ، كَأَن لَّمْ يَسْمَعَا بِاسْمِكَ،
وَنَقْدَاكَ الْعَصَّ نَقْدًا نَّاجِرًا، وَتَرَكَكَ بِالْجَدَالَةِ⁽²⁾ وَإِن لَّمْ تَكُنْ عَاجِزًا؛ فَتَأَلَّمْتُ - يَعْلَمُ
اللهُ - لِدَلِّكَ الْعَصَّ، وَتَلَوْتُ ﴿وَإِن كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾⁽³⁾
أَلَمْ تَكُنْ لَكَ رُقِيَّةٌ مُّسَيِّطِرٌ، تُنْجِيكَ مِّنْ طَعْنِ الْمُبِّطِرِ، وَلَا كَيْدَ مُجْتَلِبٍ، لَاسْتِزَالِ الْكَلْبِ
الْكَلْبِ⁽⁴⁾ فَلَمَّا صَدَقْتُ ذَلِكَ لِصِحَّةِ النَّقْلِ، عَلِمْتُ تَحَاسُدَ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ بِضُرُورَةٍ
العقل، وَقُلْتُ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مِّنْ صِنْفٍ حَبِيبٌ، وَلَا مِرٍ مَا يَقُولُ حَبِيبٌ:
حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قُرْحَةٌ أَعْيَتْ زِيَادَتُهَا وَجُرْحٌ مُّؤْلِمٌ⁽⁵⁾

..... وَأَرَدْتُ: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا
وَقَلُّوْبُهُمْ شَتَّى﴾⁽⁶⁾، وَأَتَصَرَّمُ مِّنْ جَارِحِ حَرَّكَ وَمَا حَرَّكَتْهُ، وَلَا هِثَّ حَمَلَ عَلَيْكَ
وَتَرَكَتْهُ، إِذْ سَمِعَ أَنَّ حَبْلَ الصَّبْرِ أَقْوَى ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾⁽⁷⁾، فَاقْتَضُوا مِّنَ
الصَّبْرِ دَيْنَكُمْ، ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾⁽⁸⁾ اضْبِرْ لِدَوِيكَ وَإِن سَاءَ مَا أَقْطَعُوكَ،
وَصِلْ قَرَابَتَكَ وَإِن قَطَعُوكَ، وَأَغْضِ وَلَوْ أَنَّهُمْ ضَاعَفُوا الطَّاءَ فَقَطَّعُوكَ، وَمُقَابَلَةُ الْجَهْلِ
بِالْجَهْلِ مِّنْ أَخْلَاقِ الْحُمْرِ، وَصِلَّةِ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ⁽⁹⁾. فَاحْلَمَ عَنْهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَعَلَّمُونَ
وَقُلْ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»⁽¹⁰⁾ وَلَا بُدَّ مِّنَ الصُّلْحِ الْمَعْرُوفِ، وَالْأَقْرَبُونَ

(1) نبياء: يعني أنهما أصاباه بأنيابهما.

(2) الجدالة: الأرض، والمجدل الذي يسقط عليها.

(3) سورة (ص)، الآية: 23.

(4) كَلْبٌ كَلْبٌ، وَكَلْبُ الْكَلْبِ: إِذَا ضَرَى وَتَعَوَّدَ أَكَلَ النَّاسَ.

(5) البيت لحبيب بن أوس، المعروف بأبي تمام، وهو من الكامل. من قصيدة مطلعها:

أَرْضٌ مُّصَرَّدَةٌ وَأُخْرَى تُشْجُمُ مِنْهَا النَّبِيُّ رُزِقْتُ وَأُخْرَى تُحْرَمُ

ديوانه 3/ 199، وفيه: أعيت عواندها.

(6) سورة الحشر، الآية: 14.

(7) سورة البقرة، الآية: 235.

(8) سورة البقرة، الآية: 235.

(9) حديث شريف.

(10) من دعاء النبي ﷺ.



وَالْأَقْرَبُونَ أَوْلَى بِالْمَعْرُوفِ⁽¹⁾، فَالرَّأْيُ أَنْ تَتْرَكَ الْمُعَاقَبَةَ وَتَدَعَ، وَتَعْلَمَ «أَنْ أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ»⁽²⁾ وَقُلْ لِمَنْ أَنْذَرَكُ مِنْهُمْ عَصًا، يَابِغُضِي دَعْ بَعْضًا⁽³⁾، وَذَكَرَهُمُ النَّسَبَ الْمُتَلَحِّمَ، وَأَنْشِدُهُمُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ وَقُلْ تَعَزَّيَا عَنْ دَمِكِ الْمُطَرَّدُ:
إِخْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَإِنْ لَمْ تُرَدْ⁽⁴⁾

وَأَنْ طَاوَعْتَ فِي الْإِنْصَافِ وَهَمَكَ، وَعَصَيْتَ فِي مَحْمُودِ الْعَفْوِ فَهَمَكَ، رَمَيْتَ إِلَى نَحْرِكَ سَهْمَكَ، وَنَثَرْتَ بِيَدِكَ نَظْمَكَ، وَأَهَنْتَ بِسَوْطِكَ عَظْمَكَ، فَخُذْ فِي تَوَرُّعِكَ وَكَفِّكَ، وَلَا تَسْتَجِزْ قَطْعَ كَفِّكَ بِكَفِّكَ، وَبَلِّغِ الْجَانِينَ مَأْمُولَ الْإِعْتِنَاءِ تَبْلِيغًا، ﴿بِأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾⁽⁵⁾ وَاصْبِرْ عَلَى الْإِيْجَاعِ، وَأَطْرِقْ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَتَأَذَى بِفَرِيْقِهِ، كَمَا أَنَّهُ قَدْ يَشْرَقُ الْمَرْءُ بِرِيْقِهِ⁽⁶⁾:
قَرَابَةُ السُّوءِ شَرُّ دَاءٍ فَاحْمِلْ أَذَاهُمْ تَعِشْ حَمِيدًا
وَمَنْ تَكُنْ قُرْحَةً فِيهِ يَجْرِعْ عَلَى مَا بِهِ الصَّدِيدُ⁽⁷⁾

وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ، وَخُلُودِ الْحَيَاةِ الْحَبِيْبَةِ، مُوَافَقَةُ الْقُرْبَاءِ، وَمُصَالَحَةُ النِّسَاءِ، وَأَقْبَحُ مِنْ صُبْحِ الشَّيْبِ، وَالْغَيْبَةِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، مُشَاجَرَةُ أَوْلِي الْأَرْحَامِ، وَتَنَافُرُ فُرُوعِ تَأْوِي أَصُولِهَا إِلَى التَّحَامِ، وَمَنْ يَكْفُ الْإِعْتِدَاءَ بِالْإِعْتِدَاءِ، كَمَنْ يُدَاوِي الدَّاءَ بِالدَّاءِ، وَمَنْ يُسَكِّنُ الْجَفَاءَ بِالْجَفَاءِ، كَمَنْ يُطْفِئُ النَّارَ بِالْحُلْفَاءِ. أَمَّا إِنِّي لَوْ كُنْتُ بِحَيْثُ أَنْظَرُ إِلَى مَصْرَعِكَ

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَإِلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾. سورة البقرة، الآية: 179.

(2) من الأمثال العربية المعروفة.

(3) من الأمثال العربية المعروفة.

(4) عجز بيت قاله أعرابي قتل أخوه ابنا له وتمامه:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَةً
إِخْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَإِنْ لَمْ تُرَدْ

(5) سورة النساء، الآية: 62.

(6) مثل عربي، انظر: مجمع الأمثال 1/ 457، المستقصى 2/ 132.

(7) البيتان من بحر البسيط، وهما للسميسر، الذخيرة 1/ 2-484.



المُبين، وَأَرَاكَ مَتْلُولًا لِلْجَبِينِ⁽¹⁾ بَيْنَ زَعِيمَيْنِ مِنْ عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبَيْنِ، لَأَقْدَعْتُ لَهُمَا فِي الْمَقَالِ وَهَجَرْتُ⁽²⁾، وَعَتَبْتُ وَرَجَرْتُ، وَتَقَفْتُ وَسَجَرْتُ⁽³⁾، وَقُلْتُ: مَا ذَنْبُ أَخِيكَ الَّذِي حَفَّتْ عَلَيْهِ أَيْمًا حَيْفٌ، لَكِنَّ التَّجَاوَزَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ أَلْيَقُ بِنَجْرِكَ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُزِيحُ غَمَاءَ رَوْعِكَ، وَيُصْلِحُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أُنْبَاءِ نَوْعِكَ، وَهُوَ الْكَفِيلُ بِأَنْ يُهْدِنَ ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَيَجْعَلَ الْإِتِّلَافَ قُرَّةَ عَيْنِكُمْ، فَهُوَ الَّذِي يَجْمَعُ الْبَدَدَ تَجْمِيعًا، وَيُوَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبٍ لَا تَوَلَّفُ بَيْنَهَا ﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾⁽⁴⁾.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ؛ وَإِنْ كَانَتْ الدَّعَابَةُ مِنْ شَرْطِ الْجَلَالِ، مُوجِبَةً لِلِإِذْلَالِ؛ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - وَمِنْ إِنْشَائِي فِي هَذَا الْبَابِ: مَا كَتَبْتُ بِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَحْبَابِ:

عَلَّلَهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزَجِ أَيُّهَا النُّورُ الْأَجَمُ، فَقَدْ تَأَوَّلَهَا بَعْدَ فِرَاقِكَ الْهَمُّ، فَسَعَى بِرَبْعٍ لِقَائِكَ الْبَدِيعِ الزَّهْوِ، وَلَقَدْ أَعْيَى عَلَى بُعْدِكَ طَرِيقُ السُّلُوفِ وَاللَّهْوِ، أَلَمْ أَكُنْ وَادَعْتُكَ عَلَى أَنْ تُدِيرَ دِهَاقًا⁽⁵⁾ هَذَا الْكَأْسَ، بَعْدَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا صَحَّ الْوُدُّ فَلَا حَرَجَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحَلَى وَلَا بِأَسْ، فَأَيْنَ مَا عَلَيْهِ بِنْتُ، أَجْبِنِي لَا كُنْتُ:

(1) سورة الصافات، الآية: 103، وهو ينظر فيها إلى قوله تعالى: ﴿قَلَمًا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾. ويقال تله تلا، فهو متلول: صرعه، وقيل ألقاه على عنقه. قال الشاعر:

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ مُنْعَفِرًا مِنْهُ مَنْطُ الْوَتِينِ مُنْقَضِبُ

(2) هجرت: الهجر؛ الفحش من القول أو الهذيان.

(3) سجر الكلب أي وضع الساجور في عنقه.

(4) سورة الأنفال، الآية: 64.

(5) كأس دهاق: مترعة ممتلئة، وفي القرآن: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾. وقال خداس بن زهير:

أَتَانَا عَامِرٌ يَرْجُو قَرَانَا فَأَتَرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقًا

اللسان: «دهق».



خُذْهَا عَلَى الْكُمِيَّتِ
مَيْتٌ غَدَا فِي الْوَرَى كَحَيٍّ حَيٌّ غَدَا فِي الْهَوَى كَمَيْتٍ
قَنْدِيلُهُ لَا ... شَيْئًا فَلْتُخَيِّ قَنْدِيلُهُ بِزَيْتِ
قَدْ أَظْلَمَ النُّورُ فِي جُفُونِي مُذَلَّمٌ يُنَزِّ وَجْهُكُمْ بَيْتِ
إِنْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ شِعْرًا زِيدُوا عَلَى الْأَلْفِ فَرْدَ بَيْتِ⁽¹⁾

لَا يَا أَخِي أَلَا زِدْ عَلَى هَذِهِ الْقَوَافِي الْخَمْسِ، وَإِلَّا فَاسْمَعْ مَا اتَّفَقَ لِي مَعَ التِّيُّوسِ
أُمْسٍ، خَرَجَتْ أُمْسٍ فِي فِتْيَةِ عَدَدِ الْبُرُوجِ⁽²⁾، نُريدُ التَّنْزُّهُ فِي بَعْضِ الْمُرُوجِ، فَاعْتَمَدْنَا
وَهَذِهِ نَشْرُ الرِّبْعِ فِيهَا أَزْهَارَهُ، وَأَفْشَى أَسْرَارَهُ، وَطَفِقْنَا نَتَذَكَّرُ الْأَدَابِ، وَتَتَجَادَبُ مِنْ
الْغَزَلِ الْأَهْدَابِ، فَبَيْنَا نَحْنُ نُسْرِّحُ الطَّرْفَ فِي مَحَاسِنِ ذَلِكَ النَّبَاتِ، إِذْ سَمِعْنَا دَوِيًّا فِي
بَعْضِ الْجَنَابَاتِ، فَأَرْعَيْنَاهُ إِضْغَاءً، حَتَّى سَمِعْنَا نُغَاءً، وَإِذَا شَيْءٌ تَرَدُّ، وَالتِّيُّوسُ أَمَامَهَا
تَفْدُ، فَالْتَفَتْنَا مِنْهَا إِلَى تَيْسٍ أَشْهَلٍ، قَدْ صَمَّمَ نَحُونًا لِلْمُنْهَلِ، فَشَهِدْتُ فِي نَفْسِي، ثُمَّ
خَفْتُ أَنْ يَخِيبَ فِيهِ حَدْسِي، فَقُلْتُ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، كَمْ لِي أَتَمَّنَّى الْقُرْبَ
مِنْكَ وَاللَّحَاقَ، فَتُغَا نُغَاءً أَوْجَسَ مِنْ صَوْتِ الْعَيْرِ، وَقَالَ: ذَكَرَ اللَّهُ مَنْ ذَكَرْتَ بِخَيْرٍ، ثُمَّ
إِنَّهُ وَقَفَ، وَأَنْشَدَ وَدَمَعُهُ قَدْ وَكَفَ:

إِيهِ عَنِ التَّيْسِ الْعَظِيمِ الْأَكْبَرِ أَخْبِرْ فَدَيْتُكَ طَالَمَا لَمْ أُخْبِرِ
تَيْسٌ أُمُوتُ مِنَ الضَّنَى مِنْ ذِكْرِهِ وَأُمُوتُ مِنْ شَوْقِي إِذَا لَمْ يُذَكَّرِ
ذُو لَيْخِيَةِ مَا لِلتِّيُّوسِ مِثَالُهَا أَحْسِنِ بِمَنْظَرِ وَجْهِهِ مِنْ مَنْظَرِ
فَارَقْتُهُ فَبَقِيْتُ أَبْكِي بَعْدَهُ وَأَحْنُ إِنَّ ذُكِرَ اسْمُهُ فِي مَحْضَرِ⁽³⁾

(1) الأبيات (مخلع البسيط).

(2) عدد البروج اثنا عشر برجاً، كل برج منها منزلتان، وثلاث منزل للقمر، وثلاثون درجة للشمس إذا غاب
منها ستة طلع ستة، ولكل برج اسم على حدة. اللسان: «برج».

(3) الأبيات من الكامل.



فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَسْتُ إِبرَاهِيمَ، قَالَ: بَلْ أَنَا الَّذِي بِهِ أَهِيمُ، وَأَيْنَ مَنْ ذَكَرْتَ مِنِّي، وَقَدْ غَيَّبَهُ الْبَيْنُ عَنِّي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَسْرَحَهُ وَمَرَاحَهُ، وَأَعْرِفُ غُدُوَّهُ وَرَوَاحَهُ، فَقَالَ لِي: فَبَعِيثُكَ إِلَّا مَا بَلَغْتَهُ سَلَامِي، وَوَصَفْتُ لَهُ شَغْفِي بِهِ وَهِيَامِي، ثُمَّ إِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنَيْهِ، وَكَرَّ عَلَى مَنْكَبِي كَرَّةً بِقَرْنَيْهِ، وَانْصَرَفَ عَنِّي وَعَنِ الْجُلُوسِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مُصَافِحَةُ التُّيُوسِ؛ ثُمَّ رَجَعْتُ مَعَ أَصْحَابِي إِلَى الْمَذَاكِرَةِ فِي الْهَوَى، وَقُلْنَا: - سُبْحَانَ اللَّهِ - حَتَّى الْبَهَائِمُ تَشْكُو الْبَيْنَ أَيْضًا وَالنَّوَى. وَحَظَّنِي الْقَوْمُ عَلَى مُخَاطَبَةِ أَبِي إِسْحَاقَ ⁽¹⁾ بِهَذَا النَّبِيِّ الْغَرِيبِ، فَخَاطَبْتُهُ بِهِ عَسَى أَنْ يَتَذَكَّرَ ذَلِكَ التَّيْسَ بِوَضَلٍ مِنْهُ عَنْ قَرِيبٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ إِنَّ لَمْ يَلْقَ خِطَابِي بِالتَّشْرِيبِ.



(1) أبو إسحاق إبراهيم: هو والي إشبيلية الذي كان البلوي كاتباً له، ومن أقرب الناس إليه.

**الباب الموفي عشريين
في العيون من سائر الفنون**



رِجَالُهُ:

عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى - سَالِمٌ مَوْلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ - مَعْنُ ابْنِ زَائِدَةَ - الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ - أَبُو حَفْصِ بْنِ بُرْدٍ - أَبُو الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُلقَّبُ بِحَبِيبٍ - أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَاجِّ - أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْغَفُورِ - أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ صَاحِبِ الصَّلَاةِ الْأَوْبِي - أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ عُثْمَانَ بْنِ الْإِمَامِ الْإِسْتِجِي - أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَسَنِيُّ الْقُرَشِيُّ الْعَامِرِيُّ - ابْنُ مُبَشَّرٍ - أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُعَاوِرِ الشَّاطِئِيِّ - أَبُو بَخْرٍ صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسٍ - أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيِّ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ مَرْوَانَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ فِي مِصْرٍ [خُرَاسَانَ]:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَنْتَعِثْ أَهْلَ فِتْنَةٍ قَطُّ هُمْ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَنْهَضَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ: إِفْرِيقِيَّةً وَالْأَنْدَلُسَ وَمَا دَانَاهَا مِنَ الشَّامِ وَأَرْضِهِ، فَلَهُ فِي كُلِّ حِينٍ نَعْرَةٌ بِأَهْلِ جَمَاعَةٍ يَسْتَخَفُّهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَيَسْتَدْعِيهِمْ إِلَى الضَّلَالَةِ، يَسْتَوْعِبُ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ. وَقَدْ كَانَ مِنْ نُجُومِ هَذِهِ النَّابِتَةِ فِي أَرْضِ خُرَاسَانَ مَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهِينَ بِهِ أَهْلَ الْكُفْرِ لِنِعْمَتِهِ وَالْجُحُودِ لِحَقِّهِ، فَقَامَ بِذَلِكَ شَرِيرٌ اسْتَجَابَ لَهُ أَشْرَارٌ عِنْدَمَا رَأَى مِنْ تَشَاغُلِ الْعَرَبِ بَيْنَهَا، افْتَرَصَ اسْتِغَالَهُمْ بَعْدَاوَةً بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، قَدْ أَغْفَلُوا بِدُخُولِ الضَّغَائِنِ بَرْدَ مُعَالَجَةِ الْمَغْنِيِّ مِنَ الْأُمُورِ لَهُمْ، حَتَّى إِذَا غَلِظَ أَمْرُهُ، وَاسْتَحْفَلَ شَأْنُهُ، وَاسْتَجْمَعَتْ لَهُ مَكَائِدُهُ وَقَوِيَتْ مَنَاشِطُهُ⁽¹⁾، وَتَمَدَّدَتْ فِي الْقَبِيحِ أَطْرَافُهُ، بَهَتْ الْكِتَابُ بِالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، وَالرَّسُولُ بِالِدُعَاءِ إِلَى وَلَدِهِ، لِيَجْتَرَّ بِهِ أَهْلَ الشُّخْفِ مِنَ الْأَشْرَارِ، مُظْلِمًا لِصَالِحِي السَّلَفِ، مُبَايِنًا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى رَأْيِهِ الْمُبْتَدِعَ، يُغْتَقَى الْأَرْقَاءَ، وَيَدْعُو الْأَشْرَارَ، وَيُكْرِمُ أَهْلَ الْخُمُولِ، وَيُحَرِّفُ وَلَايَةَ الدِّينِ جَارِحًا لَهُ، وَيَتَنَجَّلُ وَلَايَةَ الصَّالِحِينَ مُفَارِقًا لَهُمْ، يَتَقَدَّمُ فِي الْأُمُورِ بِتَرْفِقٍ، وَيُعْطِي مَا يَرِيدُ إِظْهَارَهُ إِلَى الْأَوَانِ الَّذِي تُمْكِنُهُ فِيهِ الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ مِنْ طُمُوسِ مَعَالِمِ الدِّينِ، فَهُوَ وَمَنْ مَعَهُ يَنْعَى إِلَيْكُمْ الْإِسْلَامَ وَشَرَائِعَهُ بِتَجْرِيدِهِمُ السَّيْفَ، وَإِظْهَارِهِمُ الْحَيْفَ، وَإِذْخَالِهِمْ عَلَى النَّاسِ

(1) المناشط، جمع منشط وهو ما ينشط له الإنسان من أمر؛ (وفي الأصل: مباشطه).



الْخَوْفِ، مَنْ أَقَرَّ لَهُمْ اسْتَدْلُوهُ، وَمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ قَتْلُوهُ، فَالْبَاقُونَ مِنَ الْأَشْرَارِ وَالسَّفَلَةِ
مِمَّنْ لَا يَخْرُجُ مَعَهُمْ تَغْلِي صُدُورُهُمْ حَقًّا عَلَى مَا يَلِيهِمْ بِتَقْلُبِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِمَالِ
إِلَيْهِمْ، فَإِنْ كَانَ ظُهُورُهُمْ اسْتِدْرَاجًا⁽¹⁾ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ حَتَّى يَسْتَوْقِرُوا مِنَ الْآثَامِ؛ فَإِنْ
ذُنُوبُهُمْ سَسَلِمُهُمْ إِلَى مَصَارِعِ الْخِزْيِ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ ابْتَعَثَهُمْ لِتِمَامِ الْبَلِيَّةِ وَقَتْلِ الْحُرِّيَّةِ
وَصَيَاعِ الذُّرْيَةِ، فَسْتَهْوِي عَلَيْهِمْ مُشَدَّدَاتُ الْبَلَايَا بِتَتَابُعِ الْمَنَايَا، وَآخِرُ أَمْرِهِمْ أَعْجَبُ
مِنْ أَوَّلِهِ. فَلَا تَتْرَكُوا الْعَمَلَ بِالْحَزْمِ لاسْتِعْلَائِهِمْ عَلَيْكُمْ، وَلِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقَلَّتِكُمْ،
فَإِنَّا لَمَّا بَدَأْتُمُوهُمْ بِالْتَفْرِيطِ ثَرَوْا وَنَمَوْا، وَضَعِيفُ أَمْرِكُمْ أَقْوَى مِنْ عِزَّةِ جَمَاعَتِهِمْ،
لِأَنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى حَقٍّ، وَالْحَقُّ بِكُمْ أَوْلَى، وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ أَقْرَبُ، وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ أَغْضَبُ،
فَصُولُوا عَلَيْهِمْ بِشِدَّةِ غَضَبِ اللَّهِ، وَمُحَاوَلَةٍ لَتَعْظِيمِ مَا صَغُرُوا، فَإِنَّهُمْ لَوْ لَا اجْتِرَازُهُمُ
النَّاسَ وَتَسْكِينُهُمْ إِلَيْهِ، وَطَمَعُهُمْ فِيهِ؛ لَأَظْهَرُوا مِنْ صُنُوفِ الْكُفْرِ وَعَظِيمِ الْفِرَاءِ، وَسُوءِ
الْآثَرَةِ وَتَنَاوُلِ الْفَوَاحِشِ مَا يَتَمَنَّى الْأَحْيَاءُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَمْوَاتًا، فَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ⁽²⁾
مُسْتَوْجِبِينَ لَهُ بِصَحَّةِ نِيَّاتِكُمْ، وَتَذَكَّرُوا مَا هُمْ بِهِ حَدِيثُو عَهْدٍ: مِنْ عِبَادَةِ النَّيِّرَانِ
وَالْأَوْثَانِ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا يَقْوَى بِهِ عَزْمُكُمْ، وَتَصَحَّ بِه نِيَّاتُكُمْ، وَتَحَرَّكَ بِهِ ضَغَائِنُكُمْ
عَلَيْهِمْ، وَتَشَدَّدَ بِهِ بَصَائِرُكُمْ فِيهِمْ، وَمَا الْهُدَى وَالذِّينُ الَّذِي أَتَاكُمْ بِهِ نَبِيِّكُمْ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ذُلُّهُمْ وَقَهُورُهُمْ وَرَدُّهُمْ إِلَى مَوَاضِعِهِمُ الَّتِي مِنْهَا طَلَعُوا، وَبِهَا
كَانُوا أَقَامُوا، فَقَدْ ادَّعَا الْإِسْلَامَ جَاهِلِينَ بِهِ، وَسَأَلَكُمْ بِحَقِّهِ تَارِكِينَ لَهُ، وَقَاتَلُوكُمْ عَلَيْهِ
مُقَصِّرِينَ عَنْهُ، فَأَنْتُمْ بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهِ أَوْلَى بِالذَّبِّ عَنْهُ، وَالْغَضَبِ لَهُ، أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
الْمُصَدِّقُونَ بِتَنْزِيلِهِ وَالْمُضَارِبُونَ عَلَى تَأْوِيلِهِ، وَهُمْ الْجَا حِدُونَ لِجُمْلَتِهِ وَالْمُحَرِّفُونَ لِمَا
أَقْرَأُوا بِهِ فَأَيْنَ يَذْهَبُ بِكُمْ؟ أَلَكُم مَطْمَعٌ فِي عَوْضٍ مِنَ الْإِسْلَامِ يَأْمُلُهُ آمِلٌ، وَمِنَ الْقُرْآنِ
كِتَابٌ، وَمِنَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنَ الْمَاضِينَ مِنْ أَسْلَافِكُمْ وَأَجْدَادِكُمْ
وَوُلَاتِكُمْ وَمَنْ تَتَوَلَّوْنَهُمْ وَتَأْتُمُونَ بِهِمْ وَتَهْتَدُونَ بِهَدَايَتِهِمْ؟ وَاللَّهُ لِلْمَوْتِ فَاقِدِينَ لَهُمْ
خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ مَعَهُمْ، مُسْتَقَرَّةٌ بِكُمْ الدَّارُ، مُطَوَّلَةٌ لَكُمْ الْأَعْمَارُ، تَرَوْنَ ثَرْوَةً غِنَاكُمْ فِي

(1) في الأصل: استدراج .

(2) لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ﴾. سورة البقرة، الآية: 44 .



أَيْدِيهِمْ، وَعِزَّةَ سُلْطَانِكُمْ يُلُونَهُ دُونَكُمْ، فَقَدْ تَقَطَّعَتْ عَنْكُمْ دَرَاتُ الْغِنَى وَخَفُضَ لِبِنِ
الْمَعَاشِ، إِنْ أَقْرَزْتُمْ لَهُمْ أَقْمَتُمْ فِي ذَلَّةِ الدَّارِ، قَدْ أَوْطِئْتُمْ الْخَسْفَ وَمَنْعْتُمْ النِّصْفَ،
وَاسْتَأْسَرْتُمْ لِلْبَلَى، فَلَا تُحْمَلُوا أَبْدَانَكُمْ ذُلَّ سُلْطَانِهِمْ عَلَيْكُمْ، وَاخْتَارُوا فِرَاقَهُمْ مَعَهُ
الْمَوْتُ عَلَى الْبَقَاءِ مَعَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُسَلِّطُهُمْ عَلَى قَوْمٍ لَهُ فِيهِمْ حَاجَةٌ، فَاسْتَقْبَلُوا التَّوْبَةَ
إِلَى اللَّهِ قَبْلَ مُنَازَلَتِهِمْ لِلْقِتَالِ، وَلَا تَلْقَوْهُمْ إِلَّا وَأَرْوَاحُكُمْ طَاهِرَةٌ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الذُّنُوبِ،
فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ⁽¹⁾ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ. فَإِذَا صَحَّتْ لَكُمْ تَوْبَتُكُمْ
فَتَنْظَرُوا الْفَلَجَ الْعَزِيزَ وَالْغَلْبَةَ الْقَاهِرَةَ وَالسُّلْطَانَ الْمُؤَيَّدَ وَالْخُطَى الْمُطَوَّلَةَ، ثُمَّ انْسُبُوا مَا
أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ إِلَى اللَّهِ الْمُتَوَلَّى مِنْكُمْ مَا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهِ، وَالرَّادُّ عَلَيْكُمْ الْمُتَأَخِّرُ عَنْكُمْ،
وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ لَهُ بِتَرْكِ التَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَالْمَسْأَلَةُ لِلْإِلَهَامِ لِشُكْرِهِ عَلَى النَّازِلِ مَنْ
عِنْدَهُ مِنَ الْمَحْمُودِ مِنَ آلَائِهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ، بَلَا اسْتِخْفَاقٍ مِنْكُمْ لَهُ إِلَّا تَطَوُّلٌ بِهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ
وَعَزَّ جَارُهُ - وَإِيَّاهُ يَسْتَوْدِعُكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْأَلُ اللَّهُ الَّذِي بِقُدْرَتِهِ - حَتَمَ إِنْشَاءَ خَلْقِهِ
- وَعِزَّةَ سُلْطَانِهِ، وَيَعْدِلُهُ جَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، أَنْ يُحْسِنَ لَكُمْ وَإِلَيْكُمْ، وَلَا يُرِي أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا الْعِزَّ وَالْعَفْوَ عَنْكُمْ، وَأَنْ يَرْحَمَ مِنْكُمْ مَا حَمَدَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، مَعَ رَحْمَتِهِ لَكُمْ،
عَافِيَةِ الْأَبْدَانِ وَسَلَامَةِ الْأَدْيَانِ وَطَاعَةَ الرَّحْمَنِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَكُتِبَ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ
وَمِائَةً.

وَلَهُ إِلَى أَخٍ فِي مَوْلُودٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ كَانَ لَهُ⁽²⁾:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي مَا أَعَرَفْتُ مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ نِعْمَةً خُصَّصْتُ بِمَزِيَّتِهَا وَأُضْفِيتُ
بِخُصِّيصَاهَا⁽³⁾ كَانَتْ أَسْرَى⁽⁴⁾ مِنْ هِبَةِ اللَّهِ لِي وَلَدًا سَمَّيْتَهُ فُلَانًا، وَأَمَلْتُ بِبَقَائِهِ بَعْدِي
حَيَاةَ ذِكْرِي، وَحَسَنَ خِلَافَتِي فِي حُرْمِي وَإِشْرَاكُهُ إِيَّايَ فِي دُعَائِهِ، شَافِعًا لِي إِلَى رَبِّهِ

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. سورة البقرة، الآية: 220.

(2) الرسالة في اختيار المنظوم والمنثور 13/ 550، رسائل البلغاء، ص: 216، جمهرة رسائل العرب
2/ 549، أمراء البيان، 1/ 2 - 53.

(3) وأضيفت بخصيصتها.

(4) أسر لي.



عِنْدَ خَلَوَاتِهِ فِى صَلَوَاتِهِ وَحَجِّهِ وَكُلِّ مَوْطِنٍ مِّنْ مَّوَطِنٍ طَاعَتِهِ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى شَخْصِهِ
تَحَرَّكَ لِي (١) وَجَدِي، وَظَهَرَ بِهِ سُورِي، وَتَعَطَّفْتُ عَلَيْهِ مِنِّي (٢) أَنْسَهُ الْوَلَدَ وَتَوَلَّتْ عَنِّي
بِهِ وَخَشَةُ الْوَحْدِ (٣)، فَأَنَا بِهِ جَذَلٌ فِى مَغِيْبِي وَمَشْهَدِي، أُحَاوِلُ مَسَّ جَسَدِهِ (٤) بِيَدِي فِى
الظُّلَمِ، وَتَارَةً أُعَانِقُهُ وَأَرْشِفُهُ، لَيْسَ يَعْدِلُهُ عِنْدِي عَظِيمَاتُ الْفَوَائِدِ وَلَا مُنْفِسَاتُ
الرَّغَائِبِ، سَرَّني بِهِ وَاهِبُهُ لِي عَلَى حَاجَتِي، فَشَدَّ بِهِ أَرْزِي وَحَمَلَنِي مَن شُكْرِهِ فِيهِ مَا قَدْ
آدَنِي بِثِقَلِ (٥) حَمْلِ النِّعَمِ الْمُسَافَةِ (٦) إِلَيَّ بِهِ، الْمَقْرُونَةُ سَرَاؤُهَا فِى الْعَجَبِ بِتَارَاتِ مَا
يُذَرِّكُنِي طَيْئُهُ فِى رِقَّةِ الشَّفَقَةِ مَخَافَةَ مُجَادِبَةِ (٧) الْمَنَايَا إِيَّاهُ، وَوَجَلَا مِّنْ عَوَاطِفِ (٨) الْأَيَّامِ
عَلَيْهِ، فِيمَا يَعْتَلِجُ لِي وَعَلَيَّ بِالْمَسْرُورِ وَالْمَحْذُورِ، فَإِنْ يَذْفَعُ اللَّهُ عَنْ حَوْبَائِهِ بِالْبِتَاسِي
الْعَافِيَةِ فِيهِ، وَيَصْرِفُ جَوَالِبَ الْأَقْدَارِ وَمَكَارِهِ الشُّوءِ عَنْهُ فَنِعْمَةً رَّادِفَةً تُشَاكِلُ الْبَادِيَةَ
الْمَوْصُولَةَ بِالتَّالِيَةِ، أَضَافَهَا الْمُتَمَنِّ بِالْمَوَاهِبِ إِلَى مَا ابْتَدَأَ مِنْ مِّنِّهِ وَأَعْطَى مَنْ فَضْلِهِ،
وَذَلِكَ أَمَلْنَا مِنْهُ فِى بُلُوغِ مَتَاقِ الْأَنْفُسِ مِنْ طَوْلِ الْمُدَّةِ، مَقْرُونٌ تَوَالِيهَا بِمَوَاضِي
خَوَالِيهَا (٩).

أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَمَتَّنَا عَلَيْنَا بِحُسْنِ صَنْعَتِهِ فِي الْأَرْحَامِ وَتَأْدِيَّتِهِ بِالزَّكَاةِ، وَحَرَسَهُ
بِالْعَافِيَةِ أَنْ (١٠) يَرْزُقَنَا شُكْرَ مَا حَمَلْنَا فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا وَهَبَ (١١) لَنَا مِنْ

(١) به.

(٢) الأصل: من.

(٣) الأصل: الوحدة.

(٤) الأصل: جسدي.

(٥) يثقل.

(٦) السالفة.

(٧) مجاذبة.

(٨) عواصف.

(٩) فيما يعتلج.... خوالىها: لم يرد في المنظوم والمثبور.

(١٠) في المنظوم والمثبور: تأديبه... وأن.

(١١) في المنظوم والمثبور: يهب.



سَلَامَتِهِ وَالْمُدَّةَ فِي عُمْرِهِ، مَوْضُولًا بِالزِّيَادَةِ، مَقْرُونًا بِالْعَافِيَةِ، مَحْوُطًا مِنَ الْمَكْرُوهِ،
فَإِنَّهُ الْمَنَّانُ بِالْمَوَاهِبِ، وَالْوَاهِبُ لِلْمُنَى لَا شَرِيكَ لَهُ.

حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ بِعِلْمٍ⁽¹⁾ مَا سُرَزَتْ بِهِ عِلْمِي بِحَالِكَ فِيهِ، وَبِشَرِّكَتِكَ⁽²⁾ إِيَّايَ
فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَسَدَّاهَا إِلَيَّ وَالْيَ⁽³⁾ النِّعَمِ، وَأَهْلُ الشُّكْرِ أَوْلَى بِالْمَزِيدِ مِنَ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ.
وَكَتَبَ إِلَى أَخٍ لَهُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ مَنْ صَغُرَتْ رَغْبَتُهُ، وَقَصُرَتْ حَاجَتُهُ، أَرَّاحَ بَدَنَهُ وَلَا زَمَ أَحْبَابَهُ وَصَانَ
وَجْهَهُ، وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَأَكْرَمَ عَنِ الدُّنْيَا نَفْسَهُ. وَقَدْ أَصْبَحْتَ عِنْدِي ذَا غِبْطَةٍ بِاقْتِصَارِكَ
عَلَى الْقَلِيلِ، وَرِضَاكَ بِهِ، وَإِقَامَتِكَ عَلَيْهِ، بِقَطْعِكَ جِبَالِ الْأَمَلِ، وَرَدِّكَ نَفْسَكَ عَنْ جِمَاحِهَا
إِذَا نَارَ عَتَكَ مُتَطَلِّعَةً إِلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، حَتَّى اعْتَلَقْتَ خَفْضَ الدَّعَةِ وَالْوَدَاعَةِ، وَتَمَدَّدْتَ
فِي فُسْحِ سَاحَاتِ مَنَازِلِ الرَّاحَةِ، وَاسْتَفْرَعْتَ أَبْوَابَ السَّلَامَةِ، وَتَمَهَّدْتَ وَثَارَةَ الْأَمْنِ،
وَتَوَسَّطْتَ رِبَاعَ الْعِزِّ، وَاسْتَخَفَّضْتَ بِذَلِكَ مَعَاشَكَ فَصَارَ قَلِيلٌ مَا أَنْتَ فِيهِ كَثِيرًا، لِمُسَاعَدَةِ
السَّلَامَةِ إِيَّاكَ، لَا تَدْخُلُكَ [مَشَقَّةُ] الْبُعْدِ وَلَا ذِلَّةُ السَّفَرِ، وَلَا كَابَةُ الْغُرْبَةِ وَلَا اغْتِرَابُ الدَّارِ،
وَلَا سُوءُ تَجَهُّمِ الْأَذَانِ، وَلَا ضَجْرُ الطَّلَبِ، وَلَا تَعَبُ شَرِّهِ النَّفْسِ، إِنْ صَحَّ بَدَنُكَ، طَابَ
لَكَ رَعْدُ عَيْشِكَ بِمُعَاوَنَةِ الزَّوْجِ السَّارِّ لَكَ قُرْبُهَا وَالْوَلَدِ الْمَضْمُومِ إِلَيْكَ شَخْصُهُ، وَالْمَقَامُ
مِنْكَ فِي مَنْشِئِكَ وَمَنْبِتِكَ، وَإِنْ عَرَضَ لَكَ عَارِضٌ مِنْ سَقَمٍ، تَكَنَّفَكَ الْكُفَاةُ، وَأَحْدَقَ بِكَ
الْحَفْدَةُ، وَسَاعَدَكَ اللَّطْفُ مِنْ أَهْلِ التَّعَطُّفِ عَلَيْكَ بِالرَّقَّةِ الْمُتَحَرِّكِهَ يُعَوِّدُونَكَ وَيَتَّابُونَكَ
فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِذِ الضَّيْعَةُ لِمَنْ اغْتَرَبَ وَالْغُرْبَةُ لِمَنْ اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْهُمُومُ، وَتَشَعَّبَتْهُ
الرَّغْبَةُ، فَفَارَقَ الْأَحِبَّةَ وَاسْتَخْلَفَ مِنْهُمْ الْغُرْبَةَ، وَكَادَحَ الْأَسْفَارَ وَأَتَعَبَ الْبَدَنَ، وَأَفْلَقَ
الشَّخْصَ وَنَابَذَ الدَّعَةَ، وَاعْتَاضَ النَّصَبَ، وَإِنَّكَ بِحَيْثُ انْعَطَفَ عَلَيْكَ أُنْسُهُ الْقَرِيبُ

(1) في نفس المصدر: لعلم.

(2) في نفس المصدر: وشركتك.

(3) في نفس المصدر: ولي.



وَرَا حَةَ السُّكُونِ إِلَى الطَّمَأْنِينَةِ فِي دَارِ الْخَفْضِ وَمَنْزِلِ الْقَرَارِ وَنَحْنُ فِي تَعَبِ الدُّنْيَا:
تُوجِبُ بِنَا مَطَايَا الشَّقَاءِ، تُبَاكِرُ دَلَجَهَا بِغَمِّ النَّصَبِ وَمَبْهَظِ التَّعَبِ، وَاحْتِمَالِ الْجَفْوَةِ،
وَذُلِّ التَّجَهُمِ، فَالْأَبْدَانُ خَاشِعَةٌ لِطُولِ الدَّأْبِ، تَتَوَقَّلُ فِي وَعُورِ الْمَسَالِكِ، وَتَتَدَرَّعُ هَوْلَ
تِلْكَ الْمَخَاوِفِ، حَتَّى تُخَيِّمَ بِنَا الْأَسْفَارَ عَلَى حُلُولِ كُلِّ دَارٍ بِكَرْبَةِ الْغُرْبَةِ، وَخُسُونَةِ
الْجَفْوَةِ، وَجَوَارِ الْمُتَتَكِّرِينَ، وَوَحْشَةِ مَنْ تَصِيرُ إِلَيْهِ، مَعَ تَجَبُّرِ مَنْ نُعَامَلُ بِاسْتِطَالَتِهِ
عَلَيْنَا، فَإِنْ نَلْنَا مِنْهُمْ حَظًّا، وَأَصَبْنَا مِنْ دُنْيَاهُمْ حُطَامًا نَكْرَهُ طُولَ السَّفَرِ الْمُمِلِّ لَنَا مِنْ
عَقْدِ الرَّحَالِ وَحَلَّهَا، إِلَى أَوَانِ الْأُوبَةِ إِلَى الْأَهْلِ، ثُمَّ لَعَلَّ ذَلِكَ الْقَلِيلَ أَنْ تَسْتَنْفِذَهُ
نَوَائِبُ الدُّهُورِ، وَيَتَبَلَّغَهُ قَضَاءُ الْحُقُوقِ، بِالتَّقْدِيمِ قَبْلَ التَّدْبِيرِ، ثُمَّ تَسْتَأْنِفُهُ مَقَاوِرُ الطَّلَبِ
بِتَحْرِيكِ الْمَضْطَرَبِ، فَإِذَا الْأَسْفَارُ قَدْ تَجَدَّدَتْ بِتَكَالِيفِ الْمُؤُونَاتِ، مُوجِفِينَ إِلَى نَائِي
الْمَحَلِّ فِي دَارِ الدَّلَّةِ، قَدْ اسْتَعْجَمَتْ عَلَيْنَا أَخْبَارُ الْأَحْبَابِ، وَفَقَدْنَا الْأَقَارِبَ
وَالْأَصْحَابَ، فَالْغُومُ مُشْتَبِكَةٌ وَالنَّفُوسُ بِأُمُورِ شَتَّى مَعْنِيَةٍ، وَأَنْتَ مُقِيمٌ بِدَارِ أَمْنِكَ، قَدْ
أَظْلَكَ الشُّرُورُ، وَحَالَكَ الْأَمَلُ، وَطَابَ لَكَ الْمَقَامُ وَأَمِنْتَ تَرْقِيعَ الرَّحْلِ، مُتَصَبِّحًا
بِأَحْبَابِكَ، يَتَعَطَّفُ عَلَيْكَ الرَّخَاءُ، تُحَاوِلُ قَلِيلَ مَا أَنْتَ فِيهِ وَكَثِيرَهُ بِقَصْرِ خُطْوَةٍ، إِنْ
مَشِيتَ رِقَّةً وَجْهَكَ نَاضِرٌ لَوْنُهَا وَأَوْصَالَكَ مُسْتَرِيحَةٌ أَطْرَافُهَا، أَفْرَخَ رَوْعُكَ وَأَمِنَ
سِرْبُكَ، وَامْتَلَأَتْ مِمَّنْ تُحِبُّ عَيْنُكَ، وَسَاعَدَكَ قُرْبُ أَتْرَابِكَ الَّذِينَ مَتَاوَقُوا نَفْسَكَ
إِلَيْهِمْ، فَهَنَّاكَ اللَّهُ النُّعْمَةَ وَوَهَبَهَا لَكَ، وَرَادَكَ إِلَيْهَا مَنْ تَوَلَّاهَا مِنْكَ، سَائِقًا لَهَا إِلَيْكَ،
فَاقْتَصِرْ عَلَى مَا قُرْبَتْ مِنْكَ جِدَّتُهُ فَلَعَلَّ طُولَ تِرْحَالِنَا وَتَنَقُّلِنَا فِي الْبِلَادِ أَنْ يَجْرَّ إِلَى مَا
فِيهِ بَعْضُ الْحَظِّ لَكَ، فَتَجْتَمِعَ لَكُمْ نَاوِي نَفْسِكَ. وَلَا تَنْسَ الدُّعَاءَ لَنَا وَلَكَ فِي تَارَاتِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِنَّ الْعَوَارِي مِنَ الْمُنْعِمِ مُبْلَغَةٌ دَوْلَاهَا بَيْنَ الطَّالِبِينَ لَهَا وَالْخَالِدِينَ عَنْهَا،
فَقَدْ اسْتَطَلَقَتْ عِقَالَ الرَّاحَةِ وَجَلَسَ بِكَ التَّوَكُّلُ عَنْ نَصَبِ بَدْنِكَ، وَأَنْتَ عِنْدَنَا مَغْبُوطٌ،
إِذْ نَحْنُ عَلَى أَنْفُسِنَا أَهْلُ إِرْزَاءٍ فِي طُولِ التَّطَوَّافِ فِي مَهَاوِي الْفَيَافِي وَذُرَى قُلُلِ
الْجِبَالِ، بَارَكَ اللَّهُ فِيمَا أَصَارَكَ إِلَيْهِ وَلَنَا فِيمَا اخْتَارَ لَنَا مِمَّا سَبَقَ فِيهِ حَتْمُهُ، وَمَضَى فِيهِ
عِلْمُهُ. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَالسَّلَامُ.



وَكَتَبَ أَيْضًا فِي الْمَوْسِمِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ بِحَمْدِهِ وَنِعْمَتِهِ، لَمْ يَزَلْ يَهْدِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا تَوَجَّهَ لَهُ مِنْ حَجِّ بَيْتِهِ، وَحُضُورِ مَشَاهِدِهِ وَمَشَاعِرِهِ⁽¹⁾، وَقَضَاءِ مَنَاسِكِهِ وَوِظَائِفِهِ، وَمَا رَجَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْقُرْبَةِ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَابْتِعَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ، وَفَضِيلَةِ الزُّلْفَى عِنْدَهُ، كُلُّ مَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فِي تَبْلِيغِهِ إِيَّاهُ وَإِتْمَامِهِ لَهُ: مِنْ حُسْنِ التَّيْسِيرِ وَالصُّحْبَةِ، وَكَفِّ الْمَكْرُوهِ، وَدَفْعِ الْمَحْذُورِ، إِلَى أَنْ قَدِمَ حَرَمَ اللَّهِ وَأَمْنَهُ، فَأَلْفَى هُنَالِكَ مِنْ حَجِيجِ الْأَفَاقِ وَالْأَمْصَارِ جَمَاعَاتٍ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا فِي الْكَثَرَةِ وَالْعَدَدِ، ثُمَّ فِي الْجِتْهَادِ وَالْإِحْتِشَادِ لَمَّا شَخَّصُوا لَهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، مِنْ بَيْنِ مُوَدِّ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ، أَوْ مُتَقَرَّبٍ إِلَى اللَّهِ بِمَا يَرْجُو مِنْ نَافِلَةِ الْأَجْرِ وَفَضِيلَةِ الذُّخْرِ، وَرَاغِبٍ إِلَى اللَّهِ فِيمَا جَعَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ تَضَعِيفِ الْحَسَنَاتِ وَحَطِّ السَّيِّئَاتِ، فَسَرَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا عَايَنَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَكْثَرَ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَا أَلْهَمَ رِعِيَّتَهُ مِنْ إِشْخَاصِ أَبْدَانِهِمْ وَإِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَحَجِّ بَيْتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا نَهَجَ لَهُمْ.

ثُمَّ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَرَافَاتٍ فَلَمْ يَأَلُ نَفْسُهُ وَإِيَّاكُمْ اجْتِهَادًا وَخَيْرًا فِي التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ وَالِابْتِهَالِ إِلَيْهِ، وَالتَّعْظِيمِ لِمَا عَظَّمَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، وَجَعَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكََةِ وَالْفَضْلِ فِيهِ وَقَسَمَ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ لِأَهْلِهِ، ثُمَّ أَفَاضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَرَافَاتٍ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ إِلَى مَنَى عَلَى أَحْسَنِ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ الْإِفَاضَةُ، مِنْ حُسْنِ الدَّعَةِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَالْأَخْذِ بِمَا يُعْرِفُ مِنَ الْهَدْيِ وَكُلِّ مَا يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِهِ فِي ذَلِكَ، فَأَرَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ شَهِدَ الْمَوْسِمَ مَعَهُ مِنَ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ بَعْدَ الرَّغْبَةِ وَالْاجْتِهَادِ وَالْمُبَالِغَةِ فِيمَا يَحِقُّ لِلَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلَ الَّذِي كَانَ يَأْمُلُ، وَأَحْسَنَ الَّذِي كَانَ يَرْجُو.

(1) المشاعر: جمع مشعر وهي مناسك الحج.



وَلَمْ يَسْمَعْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ حُضُورَهُ بِحَجٍّ قَطُّ كَانَ أَسْلَمَ رَاكِبًا وَرَاكِعًا، وَأَخْشَدَ وَأَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُ، وَاللَّهُ مَحْمُودٌ مَشْكُورٌ. فَكَتَبَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابَهُ هَذَا حِينَ فَرَّغَ مِنْ حَجِّهِ وَقَضَى مَنَاسِكَهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي وَصَفَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعْلَمَكَ مِنْ حُسْنِ بَلَاءِ اللَّهِ عِنْدَهُ، وَمَا أَرَاهُ وَمَنْ حَضَرَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا رَجُوا مِنْ اسْتِجَابَةِ اللَّهِ لَهُ مَعَ مَا عَرَفَهُ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ، فِي نَفْسِهِ، وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ مِنْ رَعِيَّتِهِ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي ائْتَنَّ عَلَيْهِ بِمَا رَزَقَهُ مِنْ حَجِّ بَيْتِهِ، وَالْهَمَّهُ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي ذَلِكَ، أَنْ يَجْعَلَهُ حَجًّا مَبْرُورًا وَعَمَلًا مَقْبُولًا، وَسَعْيًا مَشْكُورًا، وَأَنْ يَسْتَجِيبَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُعَاءَهُ فِي خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ، وَيُوفِّقَهُ لِلْخَيْرِ كُلِّهِ، وَيَكْفِيهِ الْمُهَمَّ مِنْ أَمْرِهِ، وَيُرْجِعَهُ بِخَيْرٍ مَا رَجَعَ بِهِ وَافِدًا إِلَيْهِ، مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ وَالْمُعَافَاةِ وَالْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلَام.

وَلَهُ فِي دُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابَكَ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ دُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَسَنَ بَلَاءِ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَبْلِيغُهُ إِيَّاهُ وَإِذْخَالُهُ عَلَيْهِ بِمَا أَذْخَلَهُ بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ، وَالْعَافِيَةِ، وَفَهَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّ الَّذِي دَعَوْتَ لَهُ بِهِ فِي ذَلِكَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي بَلَغَهُ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ وَأَذْخَلَهُ عَلَيْهِ بِالْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ، أَنْ يُعِينَهُ عَلَى صِيَامِهِ، وَيَرْزُقَهُ مِنْ تَقْبُلِ عَمَلِهِ، وَاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ وَتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِ، وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ فِيهِ، مَا يُوجِبُ لَهُ بِهِ رِضْوَانَهُ وَدُخُولَ جَنَّتِهِ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ وَالْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ فِي السَّلَامَةِ، وَالسَّلَام.

وَكَتَبَ إِلَى هِشَامٍ فِي الْقَدْرِيةِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ وَجَّهَ مَعِيَ بِنَقْرِ مِنَ الْقَدْرِيةِ فِي الْجُنْدِ الَّذِي كَانَ أَمْدَنِي بِهِمْ، وَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ مِنْهُمْ مِنَ النِّيَّةِ وَالْقَوْلِ مُنَازَعَةً لِلَّهِ فِي رِزْقِهِ، وَشُرْكََةً لِلَّهِ فِي الْأَمْرِ، يُزْغِمُونَ مَنْ لَيْسَ عَلَى رَأْيِهِمْ تَوَلَّى مَا هُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى ظَهَرَ ذَلِكَ وَانْتَشَرَ،



وَكَرِهْتُ الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ بِالْمُطَالَبَةِ دُونَ إِعْلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَالَهُمْ، وَإِنَّمَا رَأَيْتُهُمُ الَّذِي
ارْتَأَوْهُ، طَائِفَةٌ مِنْ رَأْيِ النَّصَارَى، فَيَتَشَعَّبُ لَهُمْ فِيهِ فُنُونُ الْكَلَامِ إِلَى تَوْهِينِ سُلْطَانِ
الرَّبِّ وَتَضْعِيفِ قُدْرَتِهِ، وَنَقْضِهِمْ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَثَائِقِ عُرَاهُ وَقَدْ عَلَا ذَلِكَ، فَمَنْعَتْهُمْ
بِالتَّهْدِيدِ لَهُمْ، وَأَنَا مُعَالِجُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِنْ عَادُوا لِتَضْعِيفِ شَيْءٍ مِمَّا عَظَّمَ اللَّهُ. إِنَّ الشَّيْطَانَ
إِنَّمَا اسْتَدْعَاهُمْ بِصَغَارِ الْأُمُورِ لِيَرْفَعَهُمْ إِلَى كِبَارِهَا، وَإِنَّمَا رَغَبَهُمْ لِيُوقِعَ بِهِمْ ثُمَّ يَقَعَ
بِهِمْ وَيَتَخَلَّى عَنْهُمْ. وَأَنْتَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ النُّكَيْرُ عَلَيْهِمْ
وَالْعُقُوبَةُ لَهُمْ. وَأَرْجُو أَنْ يُرِيَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ أَحْسَنَ مَا عَلَيْهِ نَيْتُهُ
وَهِمَّتُهُ، وَالْأَبْنَاءُ يَنْتَلِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَكْرُوهِ فِي خَاصِّ أَمْرِهِ وَلَا عَامَّةٍ. فَإِنَّهُ وَلِيُّهُ وَوَلِيُّ مَا
غَابَ عَنْهُ وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الْبُخَّارِيِّ فِيمَا كَانَ مِنْ سَخَطِ مَرْوَانَ عَلَيْهِ وَمَا أَعْلَمَهُ مِنْ قِيَامِهِ بِهِ:
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ مُتَحَرِّكِ غَضَبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ، مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ جُلُنَا،
وَلَمْ يَبْلُغْهُ جَاهُنَا وَمَقْدِرَتُنَا، وَلَوْ نَاهَضْنَاهُ بِالطَّلَبِ إِلَيْهِ فِي سَوْرَةِ مَوْجِدَتِهِ تَخَوُّفُنَا عَلَيْكَ
مِنْ سَطَوَاتِهِ نَازِلَ عُقُوبَةٍ بِهَا أَمْرُهُ الَّذِي تَقْصُرُ أَيْدِينَا عَنْ رَدِّهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ حِيلَةٌ هِيَ
أَقْوَى مِنْ تَرْكِهِ إِلَى أَوَانِ سُكُونِ غَضَبِهِ ثُمَّ مُحَاوَلَةِ عَذْرِكَ عِنْدَهُ، فَإِنْ لِعَظَبِ السُّلْطَانِ
سَوْرَةٌ لَهَا مُتْلَهَّبُ شَرَرٍ يَحْرِقُ وَمِيضُهُ وَسَنَاهُ مَنْ تَعَرَّضَ لَهُ أَوْ دَنَا مِنْهُ دَمَرُهُ، وَلَمْ نَغِبْ
عَنْ حَيَاتِكَ، وَلَمْ نُغْفَلْ عِنَايَتَنَا عَنْكَ، وَلَمْ نَحْتَجْ إِلَى تَكْدِيرِنَا بِكَتْبِكَ، فَأَرْخِ جِبَالَ
الثَّقَةِ طَارِحًا لَهَا، وَمَدَّ مِنْ أَمْلِكَ فِينَا، فَإِنَّ الْعِنَايَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ مُقْلَقَةً، وَالزِّيَادَةَ لَاحِقَةً،
وَالْبِرَّ بِكَ وَاصِلٌ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ.



وَمِنْ إِنْشَاءِ سَالِمٍ مَوْلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
بْنِ مَرْوَانَ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ⁽¹⁾:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابُكَ، وَفَهِمَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ تَسْلِيطِ [خَالِدٍ]⁽²⁾ عَلَيْكَ
لِسَانَهُ فِي مَجْلِسِ الْعَامَّةِ، مُسْتَحْقِرًا⁽³⁾ لِقُدْرِكَ، وَمُسْتَصْغِرًا لِقَرَابَتِكَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ⁽⁴⁾
وَأَمْسَاكِكَ عَنْهُ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسُلْطَانِهِ، وَتَمَسُّكَ بِوَثَائِقِ عِصْمِ طَاعَتِهِ،
عَلَى مُؤْلَمٍ⁽⁵⁾ مَا تَدَاخَلَكَ مِنْ قَبِيحِ أَلْفَاظِهِ وَشِدَّةِ⁽⁶⁾ مَنْطِقِهِ وَإِكْبَابِهِ⁽⁷⁾ عَلَيْكَ عِنْدَ إِطْرَافِكَ
عَنْهُ، مُرَوِّيًا فِيمَا أَطْلَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَطَالَ مِنْ عِنَانِهِ، وَرَفَعَ مِنْ دَرَجَتِهِ⁽⁸⁾،
وَنَوَّهَ مِنْ خُمُولِهِ، وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ - آلَ سَعِيدٍ - فِي مِثْلِهَا عِنْدَ هَذِرِ الدُّنْيَا⁽⁹⁾ وَطَائِشَةِ
أَخْلَامِهَا صَمْتُ مِنْ غَيْرِ مَا إِفْحَامٍ، تَنْهَضُونَ⁽¹⁰⁾ بِأَخْلَامٍ تَخِفُّ الْجِبَالَ عِنْدَهَا وَزُنًا⁽¹¹⁾.
وَقَدْ أَحْمَدَ⁽¹²⁾ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَعْظِيمَكَ إِيَّاهُ وَتَوْقِيرَكَ سُلْطَانَهُ، وَشُكْرَهُ، وَجَعَلَ أَمْرَ خَالِدٍ
إِلَيْكَ عَزْلُهُ وَإِقْرَارُهُ⁽¹³⁾، فَإِنْ عَزَلْتَ أَمْضَى عَزْلِكَ، وَإِنْ أَقَرَرْتَ⁽¹⁴⁾ فَتِلْكَ مِنْهُ مِنْكَ عَلَى
خَالِدٍ لَا يَشْكُرُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا.

(1) وردت في الطبري 2 / 1644 - 1646 دون نسبة، وانظر جمهرة رسائل العرب 2 / 412، والوثائق
السياسية، ص: 477، ونرمز للطبري بالحرف (ط).

(2) في الأصل: تسليطه، ط: بسط خالد.

(3) ط: محتقرا.

(4) ط: من أمير.

(5) ط: مع.

(6) ط: قبائح وشرارة.

(7) ط: واكتابه.

(8) ط: ضعته.

(9) في الأصل: حذر الدنيا.

(10) في الأصل: ينهضون.

(11) فيه نظر إلى قول الشاعر:

أَخْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَائَةً وَتَخَالَتَا جِنَا إِذَا مَا نَجْهَلُ

(12) ط: حمد.

(13) ط: في عزلك إياه وإقراره.

(14) ط: عزلته، أقررت.



وَقَدْ كَتَبَ⁽¹⁾ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَصُدُّ⁽²⁾ عَنْهُ سِنَةُ الْهَاجِعِ، قُدُومُ رَسُولِهِ عَلَيْكَ⁽³⁾ ووصول كتابه إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ بِإِتْيَانِكَ رَاجِلًا عَلَى أَيْ⁽⁴⁾ حَالٍ صَادَفَهُ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَلْفَاهُ رَسُولُهُ الْمُوجَّهَ إِلَيْهِ مِنْ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، حَتَّى يَقِفَ بِبَابِكَ⁽⁵⁾، أَذْنَتَ لَهُ أَوْ حَجَبَتَهُ، أَقْرَزَتْهُ أَوْ عَزَلَتْهُ. وَتَقَدَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى رَسُولِهِ فِي ضَرْبِهِ بَيْنَ يَدَيْكَ عَلَى رَأْسِهِ عِشْرِينَ سَوْطًا، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَكَرُّهُ ذَلِكَ أَنْ يَنَالَهُ بِسَيْبِكَ، لِحَرَمَةِ خِدْمَتِهِ، فَأَيُّهُمَا رَأَيْتَ إِمْضَاءَهُ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَرِّكَ وَتَعْظِيمِ قَرَابَتِكَ⁽⁶⁾ وَصِلَةِ رَحِمِكَ، مُوَافِقًا وَإِلَيْهِ حَبِيبًا فِي مَا يَنْوِي مِنْ قَضَاءِ حَقِّ آلِ أَبِي الْعَاصِي وَسَعِيدٍ. وَكَاتَبَ⁽⁷⁾ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَا بَدَأَ لَكَ مُبْتَدَأًا وَمُجِيبًا، وَمُحَادِثًا وَطَالِيًا، عَسَى أَنْ يَنْزِلَ بِكَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَوَائِجِهِمُ الَّتِي تَقْعُدُ بِهِمُ الْحِشْمَةُ عَنْ تَنَاوُلِهَا قَبْلَهُ، لِيُعَدَّ دَارِهِمْ عَنْهُ، وَقَلَّةُ إِمْكَانِ الْخُرُوجِ بِمَطَالِيَاهُمْ⁽⁸⁾ لِإِنْزَالِهَا بِهِ، غَيْرَ مُحْتَشِمٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا مُسْتَوْحِشٍ مِنْ تَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ، عَلَى قَدْرِ قَرَابَتِهِمْ⁽⁹⁾ وَأَذْيَانِهِمْ وَأَسْنَانِهِمْ⁽¹⁰⁾ مُسْتَمِيعًا وَمُسْتَرْفِدًا وَطَالِيًا مُسْتَزِيدًا، تَجِدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَرِيعًا إِلَى مَا تُحَاوِلُ⁽¹¹⁾ مِنْ صِلَةِ قَرَابَتِهِمْ وَقَضَاءِ حُقُوقِهِمْ، وَبِاللَّهِ يَسْتَعِينُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ⁽¹²⁾، وَإِلَيْهِ يَرْغَبُ فِي قَضَاءِ حَقِّ قَرَابَتِهِ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ⁽¹³⁾، وَاللَّهُ وَلِيُّهُ وَمَوْلَاهُ⁽¹⁴⁾.

(1) ط: كتب إليه.

(2) ط: يطرده.

(3) ط: عند وصوله إليك .

(4) ط: أية.

(5) في الأصل: بيابه.

(6) ط: وعظم حرمتك وقربتك.

(7) ط: فكاتب.

(8) في الأصل: إياهم، وسقطت من: ط.

(9) ط: قرباتهم .

(10) ط: وأنسابهم. وأسنانهم: أي حسب سن كل واحد.

(11) ط: إليك سريعًا بالبر لما يحاول.

(12) ط: ينوي.

(13) ط: ويتوكل وبه يثق.

(14) ط: زاد في: ط والسلام.



وَمِنْ إِنْشَاءٍ مَعْنِ بْنِ رَائِدَةَ إِلَى بَعْضِ مَنْ أَقْرَطَ فِي شُكْرِهِ⁽¹⁾:

عَافَاكَ اللَّهُ وَحَفِظَكَ. قَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ: إِفْرَاطُ الْمَرْءِ فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ تَوْبِيخٌ. وَقَدْ حُزْتُ نِعْمَتَنَا بِشُكْرِكَ وَاسْتَوْجَبْتَ أَكْثَرَ مِمَّا تَسْتَطِيعُهُ مِنَ الْمَزِيدِ، وَالْأَدَبُ شَفِيعِي إِلَيْكَ فِي تَرْكِ ذِكْرِ مَا وَلَّيْتِكَ مِنْ ذَلِكَ. فَإِنَّ الَّذِي تَسْتَوْجِبُهُ مِنِّي بِإِخَانِكَ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَكَ مِنْ إِحْسَانٍ. وَلِلَّذَلِكَ أَقُولُ:

نُهُوضُكَ بِالْإِخَاءِ يُقَوِّتُ فَضْلِي فَحَسْبِي مِنْ مُكَافَأَةٍ وَشُكْرِ
فَاجَابَهُ:

وَأَيَّاكَ فَحَفِظَ اللَّهُ وَأَبْقَى. لَوْ لَمْ يُعْجِزْنِي عَنْ شُكْرِكَ إِلَّا اسْتِصْغَارُكَ عَظِيمَ نَبْلِي وَاسْتِعْظَامُكَ صَغِيرَ شُكْرِي لَكَانَ فِي ذَلِكَ مُعْجِزٌ عَنِ تَبْلِهِ وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ:

كَرِيمٌ يَرَى الْإِحْسَانَ لَوْ كَانَ مُزِيئًا عَلَى الشُّكْرِ أَضْعَافًا، أَقَلٌّ مِنَ الشُّكْرِ
وَلِإِنِّي لِأَعْطِيهِ مِنَ الشُّكْرِ طَاقَتِي فَيَعْمُرُ شُكْرِي بَعْضَ نَائِلِهِ الْعُمُرِ⁽²⁾

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ⁽³⁾ فِي هَذْمِ دَارِ ابْنِ الْحَصِيبِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ رُفِعَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَالِ فِي الْبِنَاءِ الَّذِي ابْتَنَى أَحْمَدُ بْنُ الْحَصِيبِ بِجَرْجَرَايَا⁽⁴⁾ فِي غَيْرِ حَقِّهِ مِنْ مَالٍ أَخَذَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ. فَرَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَوَّلَى بِنَاءٍ بِهِذْمٌ وَآثَرٌ بِتَغْفِيَةِ بِنَاءٍ أُسِّسَ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى⁽⁵⁾ وَأَمْرٌ تُخْطِئِي فِيهِ إِلَى الظُّلْمِ وَالْعِدَا. فَتَقَدَّمَ فِي هَذْمِهِ حَتَّى تُلْحِقَهُ بِقَوَاعِيدِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ.

(1) معن بن زائدة: من أشهر أجياد العرب وفصحائهم. الأعلام 7/ 273، وفيات الأعيان 2/ 108.

(2) البيتان من الطويل.

(3) كاتب متمكن وشاعر رقيق تقلب في عدة مناصب هامة، وكان كاتباً لابن الزيات، انظر: معجم الأدباء 3/ 221، إعتاب الكتاب، ص: 138.

(4) جرجرايا: مدينة بالعراق على شرقي دجلة، بقريندير العاقول. الروض المعطار، ص: 157.

(5) في ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَقِمْسُ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَيْسَسُ بُنْيَانَهُ عَلَى شِقَا جَرْفٍ فَإِنَّهَا رِيهٌ فِي بَارِ جَهَنَّمَ﴾. سورة التوبة، الآية: 110.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي حَفْصِ بْنِ بُرْدٍ خَاطَبَ بِهَا ابْنَ جَهْوَرٍ⁽¹⁾:

أَمَّا بَعْدُ، يَا سَيِّدِي وَمَنْ أَنَا أَفْدِيهِ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيهِ، وَذَوِي
الظَّرْفِ الْمُعْتَنِينَ بِمُلْحِ مَعَانِيهِ، أَنَّ صُنُوفًا مِنَ الرِّيَاحِينَ وَأَجْنَاسًا مِنْ أَنْوَارِ الْبَسَاتِينِ،
جَمَعَهَا فِي بَعْضِ الْأَزْمِنَةِ خَاطِرٌ خَطَرَ بِنُفُوسِهَا، وَهَاجِسٌ هَجَسَ فِي ضَمَائِرِهَا لَمْ يَكُنْ
لَهَا⁽²⁾ بُدٌّ مِنَ التَّفَاوُضِ فِيهِ وَالتَّحَاوُرِ وَالتَّحَاكُمِ مِنْ أَجْلِهِ وَالتَّنَاصُفِ. وَأَجْمَعَتْ عَلَى أَنَّ
مَا ثَبَّتَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَهْدِ وَنَقَذَ مِنَ الْحِلْفِ مَاضٍ عَلَى مَنْ غَابَ شَخْصُهُ وَلَمْ يَأْنِ مِنْهَا
وَقْتُهُ فَقَامَ قَائِمُهَا فَقَالَ⁽³⁾: يَا مَعْشَرَ الشَّجَرِ وَعَامَّةَ الزَّهْرِ إِنْ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ الَّذِي خَلَقَ
الْمَخْلُوقَاتِ وَدَرَأَ الْبَرِّيَّاتِ بَيْنَ أَشْكَالِهَا وَصِفَاتِهَا، وَبَاعَدَ بَيْنَ مَنْحِجِهَا وَأَعْطَايَتِهَا،
فَجَعَلَ عَبْدًا وَمَلِكًا، وَخَلَقَ قِيحًا وَحَسَنًا، فَضَّلَ عَلَى بَعْضِ بَعْضًا حَتَّى اعْتَدَلَ بِعَدْلِهِ
الْكُلُّ وَاتَّسَقَ عَلَى لُطْفِ قُدْرَتِهِ الْجَمِيعُ. وَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّا جَمَالًا فِي صُورَتِهِ وَرِقَّةً فِي
مَحَاسِنِهِ وَاعْتِدَالًا فِي قَدِّهِ وَعَبَقًا فِي نَسِيمِهِ، وَمَائِيَّةً فِي دِيبَاجَتِهِ قَدْ عَطَفَتْ عَلَيْنَا
الْأَعْيُنُ، وَنَنَّتْ إِلَيْنَا الْأَنْفُسُ، وَزَهَتْ بِمَخْضَرِنَا الْمَجَالِسُ حَتَّى سَفَرْنَا بَيْنَ الْأَحْبَةِ
وَوَصَلْنَا أَسْبَابَ الْقُلُوبِ وَتَحَمَّلْنَا لَطَائِفَ الرَّسَائِلِ⁽⁴⁾، وَصِغَ فِينَا الْقَرِيضُ وَرُكِبَتْ
عَلَى مَحَاسِنِنَا الْأَعَارِيضُ فَطَمَحَ بِنَا الْعُجْبُ وَازْدَهَانَا الْكِبْرُ وَحَمَلْنَا تَفْضِيلَ مَنْ فَضَّلْنَا
إِيثَارُ مَنْ أَثَرْنَا عَلَى أَنْ نَسِينَا الْفِكْرَ فِي أَمْرِنَا⁽⁵⁾، وَالتَّمْهِيدَ لِعَوَاقِبِنَا وَالتَّطْيِيبَ لِأَخْبَارِنَا
وَادْعَيْنَا الْفَضْلَ بِأَسْرِهِ وَالْكَمَالَ بِأَجْمَعِهِ، وَلَمْ نَعْلَمْ بِأَنَّ فِينَا مَنْ لَهُ الْمَزِيَّةُ عَلَيْنَا وَمَنْ هُوَ

(1) الرسالة في البديع في وصف الربيع ص: 53، وترجمة ابن برد الأصغر في الجدوة ص: 107، البغية رقم 354، المغرب في حلى المغرب 1/ 86، المطمح، ص: 24، الذخيرة 1/ 1 - 486، معجم الأدباء 2/ 106، نفح الطيب 3/ 545، نهاية الأرب 11/ 196، بلاغة العرب في الأندلس، ص: 152.

(2) الأصل: له.

(3) في البديع زيادة لم ترد في الأصل وهي: «فتخيرت من البلاد أطيبها.... ثم مجالسها وانبرت على مراكبها وقام».

(4) في البديع زيادة وهي: «وحبينا اللهو واحتضنا السرور وأخذنا جعالة البشرى وأكرمنا بنزل الرفادة وأسنت لنا صلة الزيادة وصيغ».

(5) البديع: الفكرة.



أُولَى بِالرِّيَاسَةِ مِنَّا⁽¹⁾ وَهُوَ الْوَرْدُ الَّذِي إِنْ بَدَلْنَا الْإِنْصَافَ مِنْ أَنْفُسِنَا وَلَمْ نَسْبَحْ⁽²⁾ فِي بَحْرِ عَمَانًا وَلَمْ نَمِلْ مَعَ هَوَانَا دَنَا لَهُ وَدَعَوْنَا إِلَيْهِ⁽³⁾ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنَّا حَيَّاهُ بِالْمُلْكِ وَلَمْ يُدْرِكْ مِنْ سُلْطَانِهِ وَدَوْلَةِ أَوَانِهِ، اعْتَقَدَ مَا عَقَدَ عَلَيْهِ وَلَبَّى مَا دَعَا إِلَيْهِ. فَهُوَ الْأَكْرَمُ حَسَبًا وَالْأَشْرَفُ زَمَنًا، إِنْ فَقَدَ عَيْنَهُ لَمْ يَفْقِدْ أَثَرَهُ أَوْ غَابَ شَخْصُهُ لَمْ يَغِبْ عَرْفُهُ. وَهُوَ أَحْمَرُ وَالْحُمْرَةُ لَوْنُ الدَّمِّ وَالِدَّمُ صَدِيقُ الرُّوحِ، وَهُوَ كَالْيَاقُوتِ الْمُنْضَدِّ فِي أَطْبَاقِ الزَّبَرْجَدِ عَلَيْهَا فَرَائِدُ الْعَسَجِدِ. وَأَمَّا الْأَشْعَارُ فَبِمَحَاسِنِهِ حَسُنَتْ وَبِاعْتِدَالِ جَمَالِهِ وَزِنَتْ.

وَفِي فَضْلِ مِنْهَا:

وَكَانَ مِنْ حَضَرَ هَذَا الْمَجْلِسِ مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ⁽⁴⁾ النَّرْجِسُ الْأَصْفَرُ، وَالْبَنْفَسُجُ وَالْبَهَارُ وَالْخَيْرِيُّ وَهُوَ النَّمَامُ، فَقَالَ النَّرْجِسُ الْأَصْفَرُ: وَالَّذِي مَهَّدَ لِي حَجَرَ الثَّرَى وَأَرَضَعَنِي ثَدْيَ الْحَيَا لَقَدْ جِئْتُ بِهَا أَوْضَحَ مِنْ آيَةِ الصَّبَاحِ وَأَسْطَعَ مِنْ لِسَانِ الْمِصْبَاحِ، وَلَقَدْ كُنْتُ أُسِرُّ مِنَ التَّعَبُّدِ لَهُ وَالشَّغْفِ بِهِ وَالْأَسَفِ عَلَى تَعَاقُبِ الْمَوْتِ دُونَ لِقَائِهِ مَا أَنْحَلُ جِسْمِي، وَمَكَّنَ سُقْمِي، وَإِذْ قَدْ أَمَكَّنَ الْبَوُحَ بِالشَّكْوَى فَقَدْ خَفَّ ثِقَلُ الْبَلْوَى.

ثُمَّ قَامَ الْبَنْفَسُجُ فَقَالَ: عَلَى الْخَيْرِ سَقَطَتْ، أَنَا وَاللَّهِ الْمَتَّعَبُّدُ لَهُ وَالِدَّاعِي إِلَيْهِ الْمَشْغُوفُ بِهِ، وَكَفَى مَا بَوَّجَهِي مِنْ نَذْبٍ⁽⁵⁾ وَلَكِنْ بِالتَّأْسِي بِكَ أَنْسَ⁽⁶⁾.

(1) في البديع زيادة وهي: «ومن يجب له علينا التحرج ومد اليد بالمبايعة، وإعطاء مجهود المحبة وبذل ذات النفس وهو الورد».

(2) البديع: نرتكض.

(3) في البديع زيادة وهي: «واعترفنا بفضلله وقلنا برياسته واعتقدنا إمرته وأصفيها محبته».

(4) البديع: وكان ممن حضر هذا المجلس وشهد هذا المشهد من مشاهير الأزهار ورؤساء الأنوار.

(5) البديع: من نذب وبجسمي من عدم نهوض ولكن في التأسي.

(6) البديع: وفي الاستواء معك وجدان سلو.



ثُمَّ قَامَ الْبَهَارُ فَقَالَ: لَا تَنْظُرَنَّ إِلَيَّ غَضَارَةٌ مُنْبِتِي وَنَضَارَةٌ وَرَقِي وَانْظُرْ إِلَيَّ وَقَدْ صِرْتُ حَدَقَةً بَاهِتَةً⁽¹⁾ تُشِيرُ إِلَيْهِ وَعَيْنًا شَاخِصَةً تَنْدَى بُكَاءٌ عَلَيْهِ:

وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي⁽²⁾

ثُمَّ قَامَ الْخَيْرِيُّ النَّمَامُ فَقَالَ: وَالَّذِي أَعْطَاهُ الْفَضْلُ دُونِي وَمَدَّ لَهُ بَيْعَةً يَمِينِي⁽³⁾ مَا اجْتَرَأْتُ قَطَّ إِجْلَالًا لَهُ وَاسْتِخْيَاءَ مِنْهُ. عَلَى أَنْ أَتَنْفَسَ نَهَارًا أَوْ أُسَاعِدَ فِي لَذَّةِ صَدِيقًا أَوْ جَارًا فَلِذَلِكَ جَعَلْتُ اللَّيْلَ سِتْرًا وَاتَّخَذْتُ جَوَانِحَهُ كِنًّا.

فَلَمَّا اسْتَوَتْ أَرَاؤُهَا⁽⁴⁾ قَالَتْ: إِنَّ لَنَا أَصْحَابًا وَأَشْكَالًا وَأَتْرَابًا لَا نَلْتَقِي بِهَا فِي زَمَنٍ وَلَا نُجَاوِزُهَا فِي وَطَنٍ، فَهَلُمَّ فَلْنَكْتُبْ بِذَلِكَ عَقْدًا يَنْفُذَ عَلَى الْأَقَاصِي وَالْأَدَانِي⁽⁵⁾ فَكْتُبُوا رُقْعَةً نُسَخْتُهَا⁽⁶⁾:

هَذَا مَا تَحَالَفَتْ عَلَيْهِ أَصْنَافُ الشَّجَرِ وَضُرُوبُ الزَّهْرِ، وَسَمِيئُهَا وَشَتَوِيئُهَا وَرَبِيعِيَّهَا وَقَلِيلِيَّهَا حَيْثُ مَا نَجَمَتْ مِنْ تَلْعَةٍ أَوْ رَبْوَةٍ وَتَفْتَحَتْ مِنْ قَرَارَةٍ أَوْ حَدِيقَةٍ، عِنْدَمَا رَاجَعْتُ مِنْ بَصَائِرِهَا وَأَلْهَمْتُ مِنْ رَشَادِهَا، وَاعْتَرَفْتُ بِمَا سَلَفْتُ مِنْ هَفَوَاتِهَا وَأَعْطْتُ لِلْوَرْدِ قِيَادَهَا وَمَلَكَتُهُ أَمْرَهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَمِيرُهَا الْمُقَدَّمُ بِخِصَالِهِ⁽⁷⁾ فِيهَا وَالْمُؤَمَّرُ بِسَوَابِقِهِ عَلَيْهَا، وَاعْتَقَدْتُ لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ، وَالتَّزَمْتُ لَهُ الرِّقَّ وَالْعُبُودِيَّةَ، وَبَرِئْتُ مِنْ كُلِّ مَنْ نَازَعْتَهُ نَفْسُهُ الْمُبَاهَاةَ لَهُ وَالْإِفْتِرَاءَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَطَنٍ وَمَعَ كُلِّ زَمَنٍ فَأَيُّهُ زَهْرَةٌ قَصَّ عَلَيْهَا لِسَانُ الْإِيَّامِ هَذَا الْحِلْفَ فَلْتَعْرِفْ أَنَّ رَشَادَهَا فِيهِ وَقَوَامُ أَمْرِهَا بِهِ.

(1) الأصل: حرقه باهية.

(2) البيت للخنساء، وهو من الوافر، انظر ديوان الخنساء، ص: 152.

(3) البديع: يعني.

(4) البديع: فلما رأت استواء آرائها على التفضيل له واعتدال مذاهبها في الدعاء إليه.

(5) البديع: عليه. نسخة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تحالفت.

(6) في الأصل: اختصار؛ وفي البديع زيادة وخلاف.

(7) الأصل: بخالصه.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُلَقَّبِ بِحَبِيبٍ: رِسَالَةٌ خَاطَبَ بِهَا الْمُعْتَصِدُ مُنَاقِضًا لِأَبِي حَفْصِ بْنِ بُرْدٍ فِي رِسَالَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي تَفْضِيلِ الْوَرْدِ عَلَى سَائِرِ الْأَزْهَارِ قَالَ فِيهَا⁽¹⁾:

وَأَوَّلُ مَنْ رَأَى ذَلِكَ الْكِتَابَ وَعَايَنَ الْخَطَّابَ نَوَائِرُ الرَّبِيعِ⁽²⁾ الَّتِي هِيَ خَيْرَةُ الْوَرْدِ فِي الْوَطَنِ وَصَحَابَتُهُ فِي الزَّمَنِ. فَلَمَّا قَرَأَتْهُ أَنْكَرَتْ مَا فِيهِ وَبَنَتْ عَلَى هَذِهِ مَبَانِيهِ وَنَقَضَ مَعَانِيهِ وَعَرَفَتْ الْوَرْدَ بِمَا عَلَيْهِ فِيمَا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ اسْتِحْقَاقِهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ وَاسْتِيْهَالِهِ⁽³⁾ مَا لَا يَسْتَأْهِلُهُ. [ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: مَنْ مَدَحَ امْرَأًا بِمَا لَيْسَ فِيهِ، فَقَدْ بَالَغَ فِي هِجَائِهِ، وَبَيَّنْتَ ذَلِكَ لَهُ بَيِّنَاتٍ، رَأَى الرُّشْدَ فِيهِ عَيَانًا، وَأَجْمَعْتَ عَلَى مُجَاوَبَةِ مَكَاتِبِهَا، وَمُرَاجَعَةِ مُخَاطِبِهَا، بِمَا بَدَأَ لَهَا مِنْ سُوءِ تَذْيِيرِهَا، وَضَعْفِ رَأْيِهَا ثُمَّ رَأَتْ⁽⁴⁾ أَنَّ مُخَاطَبَةَ مَنْ أَخْطَأَ تِلْكَ الْخَطِيئَةَ، وَأَذْنَى مِنْ نَفْسِهِ تِلْكَ الدَّنِيَّةُ تَذْيِيرٌ دَبْرِيٌّ⁽⁵⁾ وَرَأَيْ غَيْرُ مَرْضِيٍّ. فَكَتَبَتْ إِلَى الْأَقْحُوَانِ وَالْخَيْرِيِّ الْأَصْفَرِ كِتَابًا قَالَتْ فِيهِ⁽⁶⁾ فَلَوْ اسْتَحَقَّ الْوَرْدَ إِمَامَةً وَاسْتَوْجَبَ خِلَافَةً لَبَادَرَتْ إِلَيْهَا أَبَاؤُنَا⁽⁷⁾ وَلَعَقَدَهَا أَوَائِلُنَا الَّتِي لَمْ تَزَلْ تُجَاوِرُهُ لِمَكَانِهِ وَتَجِيءُ مَعَهُ فِي أَوَانِهِ.

وَلَا نَذْرِي⁽⁸⁾ لِأَيِّ شَيْءٍ أَوْجَبَتْ تَقْدِيمُهُ، وَرَأَتْ تَأْهِيلَهُ، لِمَا غَيْرُهُ أَشْكَلُ لَهُ وَأَحَقُّ بِهِ، وَهُوَ نَوْرُ الْبَهَارِ، الْبَادِي فَضْلُهُ بُدْوُ النَّهَارِ، وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ عِنْدَ عُلَمَاءِ الشُّعْرَاءِ وَحُكَمَاءِ الْبُلْغَاءِ مُشَبَّهًا بِالْعُيُونِ الَّتِي لَا يَجُولُ نَظَرُهَا، وَلَا يَحُولُ⁽⁹⁾ حَوْرُهَا. وَأَفْضَلُ تَشْبِيهِ

(1) الرسالة توجد في: البديع في وصف الربيع، ص: 58.

(2) لم يفتح البلوي الرسالة بما افتتح به الحميري صاحب البديع؛ ففيها زيادة وخلاف.

(3) البديع: واستيهاله.

(4) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وقد أضفناه من البديع.

(5) الرأي الدبري: الذي لا يمعن النظر فيه، وكذلك الجواب الدبري، يقال: «شر الرأي الدبري» وهو الذي يسنح أخيرا عند فوات الحاجة.

(6) البديع: فكتب إلى الأقحوان والخير الأصفر... ذلك هو الخسران المبين ولو استحق.

(7) البديع: لبادر بها أبائنا.

(8) البديع: وأما من عقد البيعة وكتب تلك الصحيفة... وتعلم جليلة خيره، فبأي شيء أوجب تقديمه.

(9) البديع: ولا يحور.



تَشْبِيهِ لِلْوَرْد، بِنُصْرَةِ الْخَدِّ، عِنْدَ مَنْ تَشَبَّعَ فِيهِ⁽¹⁾ وَأَشْرَفَ الْحَوَاسِ الْعَيْنِ، إِذْ هِيَ عَلَى
كُلِّ مُتَوَلٍّ عَيْنٍ⁽²⁾، وَلَيْسَ الْخَدُّ حَاسَّةً، فَكَيْفَ تَبْلُغُهُ رِيَّاسَةٌ:

أَيْنَ الْخُدُودِ مِنَ الْعُيُونِ نَفَاسَةٌ⁽³⁾ وَرِيَّاسَةٌ، لَوْ لَا الْقِيَاسُ الْفَاسِدُ⁽⁴⁾

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَاجِّ اللَّوْزِيِّ خُطْبَةً فِي نُزُولِ الْغَيْثِ بَعْدَ الْفَخْطِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ، الدَّائِمِ لَا الْبَائِدِ، الْقَائِمِ بِالْقِسْطِ الْعَالِمِ الشَّاهِدِ، مُثِيبِ الْأَكْثَامِ
وَالْفُرْطِ، وَمَشْتَتِ الْجِيزَةِ الْخَلْطِ، وَمُنْزِلِ الْغَيْثِ بَعْدَ الْقَنْطِ⁽⁵⁾، مُرْسِلِ الرِّيَّاحِ اللَّوَّاحِ⁽⁶⁾
لِإِبْكَاءِ السَّحَابِ السَّوَافِحِ، بِإِضْحَاكِ وَجْهِهِ الْأَرْضِ الْكَوَالِحِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ذُو النُّعْمَةِ
الْحَافِلَةِ، وَالْعِصْمَةِ الْكَافِيَةِ الْكَافِلَةِ، لَا تُعَدُّ فَوَاضِلُهُ وَلَا تُحْصَى، وَلَا تُكَاثِّرُ بِالْحَصَى.

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ بَهَّصَتْهُ مِتَّتُهُ، وَأَيَقَظَتْهُ مِنْ نَوْمَةِ الْجَهْلِ كُتِبَتْهُ وَسُتَّتُهُ، عَدَدَ مَا خَلَقَ،
وَمَنْ رَزَقَ، وَمَا اطَّرَدَ أَمْرُهُ وَاتَّسَقَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُتَخَيَّرِ الْمُتَّخَبِ، مِنْ
أَعْلَى الْمَنَاصِبِ وَأَزْكَى الْمُتَسَبِّبِ، وَأَسَمَى جَمَاهِيرِ الْعَرَبِ: مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ، الْهَادِي النَّاسَ طُرّاً وَالِدَّاعِي إِلَى اللَّهِ سِرّاً وَجَهْراً، الْوَافِي ذِمَّةً وَبِرّاً. صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مَا انْسَكَبَ مَزْنٌ، وَاعْشَوْشَبَ حَزْنٌ، وَسَكَنَ طَائِرٌ فِي وَكْنٍ وَحَنَّ مُسَافِرٌ
إِلَى سَكْنٍ، صَلَاةً رَائِحَةً غَادِيَةً، دَاعِيَةً إِلَى النِّجَاةِ هَادِيَةً، قَائِدَةً إِلَى الْجَنَّةِ حَادِيَةً.

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مَا أَعْجَبَ أَمْرُنَا، وَفَضَّلَ اللَّهُ عِنْدَنَا وَإِنْ لَمْ نَقْضِهِ شُكْرُنَا، نُذْنِبُ فَيَغْفِرُ،
وَنَدَّابُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فَيُمْهَلُ وَيَنْظَرُ، وَنَفْسُقُ فَيَسْتُرُ، وَنَعْتُو فِي الْكِبَائِرِ فَيُمْهَلُ وَيَجْبُرُ،

(1) البديع: وعني به. وأشرف.

(2) البديع: منول عون.

(3) البديع: من العيون رياسة ونفاسة.

(4) البيت لابن الرومي وهو من الكامل. ديوانه ص: 389.

(5) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ
الْوَلِيُّ الْخَمِيدُ﴾. سورة الشورى، الآية: 26.

(6) في ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَافِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ
وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾. سورة الحجر، الآية: 22.



وَنَحْنُ لَا يَشْعَلُنَا الْاِغْتِبَارُ، وَلَا يَتَّابُنَا الْاِقْصَارُ، وَلَا تَعْظُنَا الْاَيَّامُ وَالْاَعْصَارُ. فَلَوْلَا الْاِسْتِغْفَارُ، لَحَاقَ بِنَا الْبَوَارُ، فَنَحْنُ فِي غَيَاةِ غَوَايَةِ نَرْتَبِكُ، وَإِطَالَةِ بَطَالَةِ نَنْهَمِكُ، نُصِرُّ عَلَى الْمَآئِمِ، وَلَا نُغَيِّرُ أَثَرَ الْجَرَائِمِ، وَلَا نُنْكِرُ شَيْئًا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْعَطَائِمِ، الرَّفَاقُ فِي أَفْنِينِنَا تُسْتَلَبُ، وَالْاَعْلَاقُ مِنْ أَيْدِينَا تُنْتَهَبُ، وَالْاَفَاقُ عَنَّا تَتَحَدَّثُ فَتَتَعَجَّبُ.

فَلَمَّا أَعْرَضْنَا لِحُلُولِ النِّقَمِ، وَأَعْرَضْنَا عَنْ شُكْرِ النِّعَمِ، وَأَفْضْنَا فِي الْأَشْرِ وَالْغَمَطِ، أَصْبَنَّا بِالْجَذْبِ وَالْقَحْطِ، فَاقْشَعَرَ النَّبْتُ بَعْدَ نَضَارَتِهِ، وَاغْبَرَّ الْقَطَرُ بَعْدَ إِنَارَتِهِ، وَذَوَى الزَّرْعُ، وَطَوَى دَرَّةُ الضَّرْعِ، وَذَبَلَتِ الشَّفَاةُ، وَغَارَتِ الْمِيَاهُ، حَتَّى إِذَا سَاءَتِ الظُّنُونُ، وَدَمِعَتِ مِنَ الْحَذَرِ الْعُيُونُ، وَخِيفَ مِمَّا يَكُونُ، وَتَسَاوَى فِي الضَّرَاعَةِ الْمَكِينُ وَالْمِسْكِينُ، وَحَارَتِ السَّائِمَةُ، وَذَهَلَتْ عَنْ رَامِهَا الرَّاثِمَةُ، نَشَرَ اللَّهُ رَحْمَتَهُ مُمْتَدَّةً الْأَطْنَابَ، وَأَظْهَرَ نِعْمَتَهُ فِي أَثْنَاءِ السَّحَابِ، بَادِيَةً لِلْعِيَانِ، وَاقِفَةً عَنِ التَّهْتَانِ، إِلَى أَنْ أَذِنَ اللَّهُ بِجُودِهِ، فِي تَلَا فِي عَيْدِهِ، فَسَحَّتْ وَوَبَلَّتْ، وَسَفَحَتْ وَهَطَلَّتْ، وَلَبِثَتْ أَيَّامًا، وَوَالَتْ إِزْهَامًا، ثُمَّ [إِسْجَامًا] فَعَمَّتِ السُّهُولُ وَالْحُزُونُ، وَالْمُتُونُ وَالْبُطُونُ، وَمَلَأَتِ الْحُجْرَةَ وَالْوُكُونَ، فَسَقَتِ الْوَهَادَ وَاللِّصَابَ، وَأَسَالَتِ الْغُرْيَانُ وَالشُّعَابَ، فَالْغُدُرُ مُوْنَعَةٌ، وَالسُّفُوحُ مُمْرِعَةٌ، وَالْكَاسِي كَالْمُرْتَاحِ، وَالْمُسْتَكِينُ كَالْمَاشِي بِقِرْوَا ح⁽¹⁾.

وَتَغَرَّ الرُّوْضُ بِاسْمٍ، وَرُوحَ الْحَيَاةِ نَاسِمٌ، وَصَفَحَاتُ الرُّوْضِ خَفِرَةٌ، وَوُجُوهُ الْأَرْضِ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَالْبَهَائِمُ رَاضِيَةٌ، وَالْمَنَازِلُ حَالِيَةٌ.

فَاعْمَلُوا -رَحِمَكُمُ اللَّهُ- أَلْسِنَةَ الْاجْتِهَادِ وَالْجَدِّ، فِي إِطَالَةِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ، فِيهِمَا تُسْتَرَادُّ السُّقْيَا، وَتُسْتَعَادُّ النُّعْمَى وَتُتَمَرَّى الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ، وَأَكْثِرُوا مِنَ الْاِسْتِغْفَارِ، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِيهِ تُسْتَكْنُ بَعَثَاتُ الْمَحْنِ وَفَجَاتُ الْأَقْدَارِ.

(1) القرواح: الفضاء من الأرض التي ليست بها شجر، ولم يختلط بها شيء، وقيل الأرض البارزة للشمس، وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص، ومنه أخذ اللورقي «صاحب الخطبة» هذه العبارة: فَمَنْ يَنْجُوتَهُ كَمَنْ يَعْقُوتُهُ وَالْمُسْتَكِينُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَا ح



وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ وَجَعَلْنَا مِمَّنْ اسْتَوْجَبَ رِضَاهُ وَرُحْمَاهُ، وَحَبَّبَ إِلَيْنَا آخِرَتَهُ، وَكَرَّهَ إِلَيْنَا دُنْيَا وَاسْتَعْمَلْنَا بِالتَّقْوَى، وَعَصَمْنَا مِنْ مُوبِقَاتِ الْهَوَى. بِمَنَّةٍ وَالسَّلَامِ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَمَرَ الْبَاجِي فِي نُزُولِ الْغَيْثِ بَعْدَ الْقَحْطِ⁽¹⁾:

إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى قَضَايَا وَاقِعَةً بِالْعَدْلِ، وَعَطَايَا جَامِعَةً لِلْفَضْلِ، وَمِنْحًا يَنْسُطُهَا - إِذَا شَاءَ - إِنْعَامًا وَتَرْفِيهَا، وَيَقْضِيهَا - إِذَا أَرَادَ - إِلْهَامًا وَتَنْبِيهَا، وَيَجْعَلُهَا لِقَوْمٍ صَلَاحًا وَخَيْرًا، وَآخِرِينَ فَسَادًا وَضَيْرًا ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَنَطَوْا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁽²⁾، وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ إِمْسَاكِ السُّقْيَا، وَتَوَقُّفِ الْحَيَا، مَا رِيعَ بِهِ الْأَمِنْ، وَاسْتِطِيرَ لَهُ السَّاكِنِ، وَرَجَفَتِ الْأَكْبَادُ فَزَعًا، وَذَهَلَتِ الْأَلْبَابُ جَزَعًا، وَأَذَكَّتْ ذُكَاؤُ⁽³⁾ حَرَّهَا، وَمَنَعَتِ السَّمَاءُ دَرَّهَا، وَاکْتَسَتِ الْأَرْضُ غُبْرَةً بَعْدَ خُضْرَةٍ، وَلَبَسَتْ شُحُوبًا بَعْدَ نَضْرَةٍ، وَكَادَتْ بُرُودُ الرِّيَاضِ تَطْوِي، وَمُدُودُ نِعَمِ اللَّهِ تَزْوِي. ثُمَّ نَشَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَتَهُ، وَبَسَطَ نِعْمَتَهُ، وَأَتَاكَ مِثَّتَهُ، وَأَزَاحَ مِخْتَتَهُ، فَبَعَثَ الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ، وَأَرْسَلَ الْغَمَامَ سَوَافِحَ، بِمَاءٍ دَفِقٍ، وَرُوءٍ عَدَقٍ، مِنْ سَمَاءٍ طَبَقٍ، اسْتَهَلَّ جَفْنُهَا فَدَمَعَ، وَسَحَّ دَمْعُهَا فَهَمَعَ، وَصَابَ وَبَلَّهَا فَفَنَّقَ، فَاسْتَوَفَّتِ الْأَرْضُ رِيًّا، وَاسْتَكَمَلَتْ مِنْ نَبَاتِهَا ﴿أَثْنًا وَرِيًّا﴾⁽⁴⁾ فَرِيْنَةُ الْأَرْضِ مَشْهُورَةٌ، وَحُلَّةُ الزَّهْرِ مَنْشُورَةٌ، وَمِنَّةُ الرَّبِّ مَوْفُورَةٌ، وَالْقُلُوبُ نَاعِمَةٌ بَعْدَ بُوسِهَا، وَالْوُجُوهُ ضَاكِكَةٌ إِثْرَ عُبُوسِهَا، وَأَثَارُ الْجَزَعِ مَمْحُورَةٌ، وَسُورُ الشُّكْرِ مَثْلُورَةٌ. وَنَحْنُ نَسْتَزِيدُ الْوَاهِبِ نِعْمَةَ التَّوْفِيقِ، وَنَسْتَهْدِيهِ فِي قَضَاءِ الْحُقُوقِ، إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ، وَنَسْتَعِيدُ بِهِ مِنَ الْمِنَّةِ أَنْ نَعُودَ فِتْنَةً، وَمِنِ الْمِنْحَةِ أَنْ نَعُودَ مِخْنَةً.

(1) الرسالة في: الذخيرة 1/2 - 196، القلائد، ص: 116، الخريدة 3/382.

(2) سورة الشورى، الآية: 26.

(3) ذكاء: الشمس.

(4) سورة مريم، الآية: 74.



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي مُحَمَّدٍ بِنِ عَبْدِ الْغُفُورِ يُعَارِضُ رِسَالَتِي أَبِي عُمَرَ الْبَاجِي وَأَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الْجَدِّ فِي صِفَةِ الْمَطْرِ بَعْدَ الْقَحْطِ⁽¹⁾:

وَاللهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ أَوْامِرُ تُحِيلُ الْمُئَيَّرَةَ عَنْ طِبَاعِهَا، وَتَسْتَلِبُ مِنْ حَصَى الْمِعْزَاءِ⁽²⁾ فَضْلَ شُعَاعِهَا، وَتَرُدُّ فِي خَلْفِ ثَمَرِهِ حَلَبَ إِرْضَاعِهَا لَا تَلْحَقُ بِسَوَابِقِ الرَّهَانِ، فِي مَيَادِينِ الْأَذْهَانِ، وَلَا تُدْرِكُ بِقِدَاحِ الْقِمَارِ، مِنْ مُعْلِيَاتِ الْأَبْصَارِ، تُطْلِعُ الْمِنَحَ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْمِحْنِ، وَتُخَوِّلُ الْعَاجِزَ الزَّمْنَ مِنْ مُنْفَسَاتِ⁽³⁾ الزَّمَنِ، وَقَدْ تَذَهَبُ، بِمَا تَهَبُ، وَتُغَيِّرُ، عَلَى مَا بِهِ تَغْيِيرُ⁽⁴⁾، حِكْمُهُ بَهَرَتْ حَقِيقَتُهَا زَوَاهِرُ الْأَفْكَارِ، وَعَمَرَتْ دَقِيقَتُهَا زَوَاخِرُ بَحَارِ الْاِعْتِبَارِ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَيَبْدُو النَّفْعُ وَالضَّرُّ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّعْمِ بِشُكْرِ لَا تَنْصُبُ مُدَوْدُهُ، وَحَمْدٍ تَتَجَاوَزُ حَدَّ الْمَغْهُودِ حُدُودُهُ، نُعْمَى أَخِيَتْ بِالْشَّقِيَا أَرْضًا مَوَاتًا، وَنَشَرَتْ بِذَرِ الْحَيَا أَمَلًا رُفَاتًا، وَقَدْ غَبَطَ طَيْرُ الْمَاءِ، ضَبَابَ الْيَهْمَاءِ بِإِذْرَاكِهَا وَحَجَبَ كَاسِفِ الدُّجَى نِيرَاتِ السَّمَاءِ، وَشَابَتْ مَفَارِقُ الرِّيَاضِ، وَغَاضَتْ مُفْعِمَاتُ الْحِيَاضِ، وَاقْشَعَرَّتِ الرُّبَا، وَحَلَّ نَبْتُ الْحَاجِزِ⁽⁵⁾ عِنْدَ الْحُبَا، وَبَاتَتْ أَزْهَارُ الْغَيْطَانِ، عَلِيلَاتِ الْأَجْفَانِ، تَسْتَسْقِي نُجُومَ السَّمَاءِ، وَتَتَوَسَّلُ بِالشَّبهِ إِلَى ذَوَاتِ الْأَنْوَاءِ⁽⁶⁾، فَعِنْدَمَا أُمْسَتْ الْبَسِيطَةُ عَلَى شِفَا، وَأَجْبَلَ الْمُحْتَفِرُ وَلَمْ يَجِدْ مُرْتَشِفًا، أَرْسَلَ اللهُ تِلْكَ النَّعْمَةَ، بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَةِ، رِيحًا لَيِّنَةً هُبُوبِ النَّسِيمِ، فِي الرُّوْضِ وَالْهَشِيمِ، شَدِيدَةً حَفْزِ الْغَمَائِمِ، لِتُدَارِكَ مَا فِي الْكَمَائِمِ، «فَتَزَعَتْ»⁽⁷⁾ بِإِذْنِهِ مَلَأَهَا، وَرَمَتْ أَمْرَاسَهَا وَدِلَاءَهَا، فَلَمَّا لَمَّتْ قَرَعَهَا⁽⁸⁾ وَوَصَلَتْ بِقُدْرَةِ الْخَلْقِ قَطْعَهَا، سَفَحَتْ عُيُونُ تِلْكَ النُّجُومِ، بِمُكْفَهَرِ الْغُيُومِ،

(1) الرسالة في الذخيرة، 1/2 - 342.

(2) المعزاء: المكان الصلب الكثير الحصى.

(3) الذخيرة: الزمن منفسات.

(4) تغير: أي تمنح وتعطي.

(5) الحاجز: منبت الرمث ومجتمعه.

(6) الأصل: الأنواء، ورواية الذخيرة أنسب.

(7) خرم بالأصل، والتصويب من الذخيرة.

(8) الأصل: فرعها. وقد أثبتنا ما في الذخيرة، لصعوبة قراءة الأصل.



رَحْمَةً لِعَلِيلِ النَّبَاتِ، وَرَقَّةً لَأَلِيلِ الْمُهْجَاتِ، فَنُمنِمَ وَشَيْ التَّلَاعِ، بِيَدِ لَطِيفَةِ صَنَاعِ،
وَرُصِّعَتْ تِيَجَانُ الْأَكَامِ، بِنُطْفِ الْغَمَائِمِ السَّجَامِ، فَاهْتَزَّتِ الْقَطَارِيَةُ لِتِلْكَ الْقَطَارِ،
وَاشْتَمَلَتْ عَلَى مَحَاسِنِهَا مِنَ الْأَوْطَارِ، وَضَحِكَ نَغْرُ رَوْضِ بَعْدَ عُبُوسِ، وَنُقِلَ إِلَى
سَعَةِ النُّعْمَةِ بَعْدَ ضَنْكِ الْبُوسِ، وَسَحَبَتْ فَوَاهِقُ الْأَنْهَارِ مَذَانِبَهَا، وَنَشَرَتْ عَرَائِصُ
الْأَشْجَارِ ⁽¹⁾ ذَوَائِبَهَا، نَاطِمَةً مِنْ لَالِي الطَّلِّ عُقُودَهَا، مَالِئَةً لَيْتَهَا ⁽²⁾ مِنْ جَوْهَرِهِ الرَّائِقِ
وَجِيدَهَا، تَفُوحُ مَحَاسِنُ ⁽³⁾ أَزْهَارِهَا، وَتَلُوحُ خَفِيَّاتُ أَسْرَارِهَا، فِي مَرَايِ أَنْوَارِهَا،
فَتَرْمِي الذَّاهِلَ بَرِيَّاهَا، وَتُحْيِي النَّائِمَ وَمَا حَيَّاهَا، مُؤَذِّنًا بِإِذْرَاكِهَا، عَلَى لِسَانِ مِسْكِيهَا فِي
سَاحَةِ مَدَاكِهَا، وَقَامَ مِنْ مُتَرْنِمِ الْأَطْيَارِ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَشْجَارِ، خَطِيبٌ يَتْلُو مَا حَبَّرَ مِنْ
الثناءِ، عَلَى سَابِغِ النُّعْمَاءِ، وَسَائِغِ رَحِيقِ الْآلَاءِ. فَيَالِهَا نِعْمَةً مَا أَحْسَنَ مَوْقِعَهَا، وَرَحْمَةً
مَا أَلْطَفَ مَحَلَّهَا مِنَ النَّفُوسِ وَمَوْضِعَهَا، لَقَدْ بَرَّدَتْ حَرَّ الْأَكْبَادِ، وَشَفَّتْ غَلِيلَ الْقُلُوبِ
الصَّوَادِ، وَفَدَيْتْ بِنَفَائِسِ النَّفُوسِ وَمُحِبِّي ⁽⁴⁾ الْأَوْلَادِ، نَفَسَتْ خَنَاقَ الْأَمَالِ، وَحَلَّتْ عَقْلَ
الْأَقْفَالِ ⁽⁵⁾، وَكَادَتْ تَجْرِي الْأَرْوَاحُ فِي الرَّمَمِ الْبَوَالِي. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا حَضَّ عَلَيْهِ، مُتَهَيِّ
الْحَمْدِ، وَمَبْلَغُ الْوُسْعِ وَالْجَهْدِ، مَا لَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ، وَمَا شَاءَ تَعَالَى مِنْ بَعْدُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي حَفِصِ ابْنِ صَاحِبِ الصَّلَاةِ الْأَوِيِّ فِي ذَلِكَ:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْشَى بَلَاؤُهُ، وَتُرْجَى آلَاؤُهُ، وَتَنْفُذُ قَضَايَاهُ، وَلَا تَنْفُذُ عَطَايَاهُ،
وَهُوَ الْعَدْلُ فِي مَا قَضَى وَصَنَعَ، وَلَهُ الْفَضْلُ أَعْطَى أَوْ مَنَعَ، وَالْمُنْفَرِدُ بِالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ،
وَالْقَائِمُ عَلَى عِبَادِهِ بِالْقِسْطِ، يُصَرِّفُهُمْ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، لِيَكُونُوا مِنْ طَاعَتِهِ عَلَى
أَهْبَةٍ، وَيُقَلِّبُهُمْ بَيْنَ بُؤْسٍ وَنُعْمَى، وَرَوْحٍ وَغَمٍّ، لِيَكُونُوا بِقَبُولِ الْمَوْعِظَةِ أُخْرَى، وَعَلَى
سَبِيلِ التَّذَكُّرَةِ أَجْرَى. وَإِنَّهُ تَعَالَى أَمْسَكَ الْغَيْثَ عَنْ عِبَادِهِ مُدَّةً، حَتَّى لَقُوا مِنْ انْقِطَاعِهِ

(1) الذخيرة: الأزهار.

(2) الذخيرة: لبتها. والليت: العنق.

(3) الذخيرة: مجامر.

(4) الذخيرة: النفوس والأولاد.

(5) الذخيرة: عقال الأقفال.



شِدَّةً، وَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ اغْبَرَّتْ فِجَاجُهَا، وَاسْتَطَارَ عَجَاجُهَا، وَغَلَبَ عَذْبُهَا
أُجَاجُهَا، وَكَأَنَّ الْمَحَلَّ قَدْ ضَرَبَ عَلَيْهَا قُفْلًا، وَصَيَّرَهَا مِنَ النَّبَاتِ غُفْلًا، وَالْحَيَوَانَ قَدْ
أَجْدَبَ مَرْعَاهَا، وَضَعَّفَ مَسْعَاهَا، وَجَفَّ رَسْلُهَا، وَضَاعَ نَسْلُهَا وَسَعَتِ النَّمْلُ فِي
الْاِخْتِكَارِ، وَخَلَّتِ الطُّيُورُ عَنِ الْأَوْكَارِ، فَمَا تَدْعُو عَلَى قُضْبِ الْأَيْكَةِ دِيلاً، وَلَا تَبْغِي
بِطَلَبِ الرُّزْقِ بَدِيلاً، وَصَارَ النَّاسُ مُسْتَيْتِينَ⁽¹⁾، وَإِلَى اللَّهِ مُخْبِتِينَ⁽²⁾. ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ الرِّيَّاحَ
مِنْ كِنَانَتِهَا، وَأَخْرَجَهَا مِنْ خِزَانَتِهَا، فَجَرَّتْ ذُبُولَهَا، وَأَجْرَتْ خُبُولَهَا، خَافِقَةً بِنُودُهَا،
مُتَلَاخِقَةً جُنُودَهَا، فَأَثَارَتِ الْغَمَامَ، وَقَادَتَهُ بِزَمَامٍ، وَأَنْشَأَتْ بَحْرِيَّةً مِنَ السَّحَابِ، ذَاتَ
أَثْرَابٍ وَأَصْحَابِ، كَثِيرًا عَدَدُهَا، غَزِيرًا مَدَدُهَا، تَتَجَادَبُ إِلَيْهَا، وَتَتَرَاكِبُ عَلَيْهَا، تَرَاكِبُ
الْأَزْهَارِ فِي الْكَمَائِمِ، وَالْأَكْوَارِ فِي الْعَمَائِمِ، فَبَشَّرَتْ بِالْقَطْرِ كُلِّ سَائِمٍ، وَأَنْذَرَتْ بِالْوَدِّ
كُلِّ حَائِمٍ، وَالرَّيْحُ تَبْتُهَا، وَالْبَرْقُ يَحُثُّهَا، كَأَنَّهُ لِسَانٌ مِّنْ لَّهَبٍ، أَوْ [طَبَقٌ مِّنْ ذَهَبٍ]⁽³⁾
يَتَلَطَّفُ وَيَسْتَنِي، وَيَنْصَرِفُ وَيَتَأَنَّى، مَعَ رَعْدٍ يَضْطَكُ السَّمْعُ مِنْ [بَرْقَعَتِهِ] وَتَرْتَجُ
الْأَرْضُ مِنْ فَرْقَعَتِهِ، فَيَتَرَكُّ الْأَرْضُ رَاجِقَةً، وَالْقُلُوبُ وَاجِقَةً، وَلِلْسَحَابِ مِنْ ضَوْءِ
الْبَرْقِ هَادٍ، وَمِنْ صَوْتِ الرَّعْدِ حَادٍ، وَالرَّيْحُ تُوشِعُ بُلْخَمَتِهَا سَدَاهَا، وَتُسْرِعُ فِي
حِيَائِهَا يَدَاهَا، وَالسَّمَاءُ تَنْجَلِي مِنْ خَلَلِهَا⁽⁴⁾ كَتَجَلَّى السُّيُوفُ مِنْ خِلَالِهَا⁽⁵⁾، فَلَمَّا التَّحَمَّ
فَتَقُهَا، وَالتَّامَ رَتَقُهَا، وَامْتَدَّتْ أَشْطَانُهَا⁽⁶⁾ وَاتَّسَعَتْ أَعْطَانُهَا⁽⁷⁾، وَانْفَسَحَتْ أَجْنَابُهَا،
وَأَنْسَدَلَتْ أَطْنَابُهَا، وَتَهَدَّأَ حَمْلُهَا، وَتَمَخَّضَ حِمْلُهَا، وَمَدَّتْ عَلَى آفَاقِ السَّمَاءِ رِوَاقَهَا،

- (1) أسنت القوم فهم مستنون: أصابتهم سنة من القحط والجذب، قال ابن الزبيري:
عَمُرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالٌ مَكَّةَ مُسْتَيْتُونَ عِجَافٌ
- (2) أحببت الرجل إلى ربه: إطمأن إليه. وروي عن مجاهد أنه فسر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ
الْمُخْبِتِينَ﴾ سورة الحج، الآية: 32.
- (3) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.
- (4) الخلل: منفرج ما بين الشيتين، وخلل السحاب: مخارج الماء منه.
- (5) الخلل بالكسر جفون السيوف، واحدها خلة، وتسمي العرب من يعمل جفون السيوف خللاً، وقد
سمي أبو سلمة حفص بن سليمان الخللاً نسبة إلى خلل السيوف.
- (6) الشطن: الحبل الطويل الشديد الفتل، يستقى به، وتشد به الخيل، قال عنتره:
- يَذْعُونَ عَنْتَرَ وَالرَّمَا حَ كَانَهَا أَشْطَانٌ بَنِي فِي لَبَانِ الْأَذْهَمِ
- (7) عطن الإبل: مبركه وموضع مبيته.



وَزَرَّتْ عَلَى أَعْنَاقِ الْجِبَالِ أَطْوَأَقَهَا، كَأَنَّهَا بِنَاءٌ عَلَى الْجَوِّ مَقْبُوبٌ، أَوْ طَبَقٌ عَلَى الْأَرْضِ مَكْبُوبٌ، تَمْشِي مِنَ الثَّقَلِ هَوْنًا، وَتَسْتَدْعِي مِنَ الرِّيحِ عَوْنًا، وَمَخَائِلُهَا تَقْوَى، وَعَارِضُهَا أَخْوَى، فَإِذَا أَذِنَ اللَّهُ بِالْإِنْجِدَارِ، وَأَنْزَلَ مِنْهُ بِمِقْدَارٍ، وَأَرْسَلَتِ الرِّيحُ خُيُوطَ الْقَطَرِ مِنْ بُرُودِ السَّحَابِ، وَأَسْبَلَتْ إِسْبَالَ الدَّوَائِبِ، فَدَرَّتِ السَّمَاءُ مِنْ خِلْفِ مَضْرُورٍ⁽¹⁾، وَنَثَرَتْ طَلَهَا نَثْرَ الدَّرُورِ، ثُمَّ انْخَرَقَ جَيْبُهَا، وَانْفَتَقَ سَيْبُهَا، فَصَارَ الطَّلُّ وَبَلًا، وَالْحَيْطُ حَبَلًا، وَتَبَيَّنَتْ فِي الثَّرَى مَوَاقِعُ الْقَطَرِ، وَتَضَوَّعَتْ مِنْهُ رَوَائِحُ الْمَطَرِ. وَأَرْسَلَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ مَجَادِيحَهَا⁽²⁾، وَعَمَّتْ بِالسَّقِيَا مَنَادِيحَهَا⁽³⁾ فَالسَّحَابُ يَتَعَلَّقُ، وَالْبَرْقُ يَتَأَلَّقُ، وَالرَّعْدُ يَرْتَجِسُ، وَالْقَطَرُ يَنْبَجِسُ، مِنْ غُرُوبِ هَامِئَةٍ، وَجُفُونِ دَامِئَةٍ، تَبْكِي بِلَا حُزْنَ، وَتَجْرِي عَلَى وَزْنٍ، وَالنُّقْطُ تَتَوَافَى طِبَاقًا، وَتَسَاوَى سِبَاقًا، فَيَرْتَدِفُ السَّابِقُ الْمَصْلِيَّ، وَيَتَّصِلُ التَّابِعُ بِالْمُوَلِّيِّ، وَتَقَعُ كَمَا يَقَعُ مِنَ الْمُنْخُلِ الْبُرُّ، وَيَنْتَشِرُ مِنَ النِّظَامِ الدُّرُّ، فَجُبُوبُ السَّمَاءِ تَسْقِطُهُ، وَأَكْفُ الْغُدْرَانِ تَلْتَقِطُهُ، فَكُلَّمَا جَادَ صَوْبُهَا وَدَامَ ذَوْبُهَا، كَانَتْ لِعَلَّةٍ شَوْقُ أَنْقَمٍ، وَفِي حَبَّةِ الْقَلْبِ أَوْقَمٌ، وَالْأَرْضُ قَدْ فَتَحَتْ لِلسَّمَاءِ أَفْوَاهًا، وَجَرَعَتْ مِنْهَا أَمْوَاهًا، وَلَبَّدَ الْقَطَرُ ثَرَاهَا، وَأَحْسَنَ قِرَاهَا، وَسَقَاهَا عَلَى الصَّدَا فَشَفَاهَا، حَتَّى أَخَذَتْ رِيَّهَا مِنَ الْمَطَرِ، وَبَلَغَتْ مِنْهُ غَايَةَ الْوَطَرِ، ثُمَّ خَفِيَ مِنَ الرَّعْدِ تَسْيِيحُهُ، وَطَفِيتْ مِنَ الْبُرُوقِ مَصَابِيحُهُ، وَحَسَرَتِ السَّمَاءُ نِقَابَهَا، وَوَلَّتِ السَّحَابُ أَغْقَابَهَا، وَحَكَتْ فِي مَرَّهَا طَلْقَ السَّابِقِ⁽⁴⁾، وَهَرَبَ الْآبِقِ⁽⁵⁾، وَخَلَصَ شُعَاعُ الشَّمْسِ إِلَى الْأَرْضِ، فَعَرَضَتْهَا عَلَى الْقِفَارِ، وَقَدْ أَخَذَتْ زَخَارِفَهَا، وَنَشَرَتْ مَطَارِفَهَا، وَتَجَلَّتْ رُبَاهَا لِلْعِيَانِ، وَتَزَيَّنَتْ تَزِينُ الْقِيَانِ، وَتَحَلَّتْ بِمِثْلِ اللَّجِينِ وَالْعِقْيَانِ، وَالتَّقَى

(1) الخلف المصنوع: الحلمة التي تكون مملوءة بالحليب.

(2) مجاديع السماء: أنوارها، يقال أرسلت السماء مجاديعها «وروي عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه خرج للاستسقاء فصعد المنبر فلم يزد على الاستغفار حتى نزل، ف قيل له إنك لم تستسق فقال لقد استسقيت بمجاديع السماء».

(3) المنادح: المفاوز والقفار، ومنادح الأرض ومناديعها أرجاؤها المتسعة، ومنه قوله: «لك متدح في البلاد»؛ أي مذهب واسع عريض.

(4) تقول العرب للذي يسبق من الخيل سابق، وسبق. والسبق: المقدمة في الجري وفي كل شيء وهو مصدر.

(5) يقال أبى أبى، فهو أبى استخفى وذهب وكذلك تأبى، قال الأعشى:

فَذَاكَ وَإِنْ لَمْ يُعْجِزْ إِلَى الْمَوْتِ رَبُّهُ وَلَكِنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ لَا يَتَأَبَّى



ففها الثرىان⁽¹⁾ فزهى فجمها⁽²⁾ وسجرها، وفندى ثربها وحجرها. ففرددت العيون فف صفتاتها، وابتهجت النفوس بالفتاتها، والناس فف الأرض ففتشرون، وبالخصب ففتشرون، ففتشرون عن نزول الغف، وففتشرون من أفن وحث، وقد بشر الزائر أهله بالمرعى الفصفب، وأخذ من رعد العفش أوفى نصفب، وهان على المقم طول السففن، وعوز البنففن، وأصبح الزمان ففدفاً، ورأف الزارع سدفداً، وارتعت الشاء والنعم، وكثرت الآلاء والنعم، وزادت الوحش فف عذوها، والطفر فف شدوها.

فالحمف لله على رحمته الفف أنزلها، ونعمته الفف أجزلها، وهب الله لنا من الأعمال أبرها، ومن الأزراق أدرها ولا أخلاه من [مردد لذكره] ولا مراع لشكره، وحسبنا الله ونعم الوكفل.

قال أبو عمرو عثمان بن عف فف عثمان بن الإمام⁽³⁾ الإسففف ومما ففتبنا فف هذا الفرض وإن ففنا عارضنا الفوفر بالفرض والصحة بالمرض وساجلنا البفور بالفرض من رسالة أولها:

سففف أبا الفاسم، فخر الأعفاد والمواسم، وروض الآداب الناسم، وفجر الثغر الباسم، لا زالت فخذ فذكرك الفلاص الرواسم، وففطر بفشر فخرك الرفاف النواسم، وففبر عن ففناك وفكرم وفافك الفمام البواسم:

ففتبه وفصل فذلک، وأبرم أملك، وصفاف أهلفك مورڈ الغدو ومنهلک، فف الفهماء من رمضان المعظم عرفنا الله بركة اسفهلاله، وفصلک ففتهى العام من أمثاله، وقد كانت النوى فرففنا دون وفاع ففضف ففها للنفوس المشوفة أربا، وفصل للأخرى فف حال الانقطاع سبفاً. وفارقت الفصرة الحالية بفحلاك، الفشفرة بفحلاك، فف فوم كلّه قر،

(1) الثرى: ففنى، بثراف، وثراف الأرض: لانت بعد الفدوبة.

(2) النجم من النبات: كل ما فف على فف الأرض؛ ونجم على ففر ساق وفسطح، ومنه قوله فعالى: ﴿والنجم والشجر فسجدان﴾. سورة الرحمن، الآية: 4.

(3) هو صاحب كتاب: «سمط الفمان وسقط الأذهان»، فوف بعد 550هـ، وكان ابن سعف فعمد علفه فففا. انظر ترجمته فف: الففل والفكملة 1/5-135. الفكملة، ترجمة رقم 1833. والمغرب فف موافن مفرفة.



وَرِيحُهُ صِرٌّ⁽¹⁾، وَالْغَبْرَاءُ جَدِيَّةٌ، وَالْخَضْرَاءُ [سَجْحًا] كَمِرَّةَ الْغَرِيَّةِ، وَالشَّمَالُ تَسْحَبُ فِي النَّبْتِ وَالْغُبَارِ ذُبُولَهَا، وَتَزْحَفُ لِلَاكْتِبَاحِ فِي الرُّبَى وَالْبُطْنَانِ خِيُولَهَا، وَصَرُّهَا يَلْفَحُ الْوُجُوهَ، وَيُؤْذِنُ هُنَالِكَ بِهَالِكِ [الْحَرْثِ] وَمَنْ يَرْجُوهُ، وَالْأَكَامُ، تَتَلَفَعُ بِالْقَتَامِ وَالْوَهَادِ، لَا عَهْدَ لَهَا بِالْعِهَادِ، وَالْغِيْطَانِ، تَنْبُو بِالْقُطَانِ، وَالْغُدْرَانِ، فِي بُحْرَانٍ، وَالْبِئَارُ⁽²⁾، كَالْقُلُوبِ الْحِرَارِ، تَلْتَهِبُ بِالْيَيْسِ أَحْشَاؤُهَا، وَيُنْكِرُهَا دَلُوهَا وَرِشَاؤُهَا⁽³⁾، وَالْقَرْمُ قَدْ سِيمَ الرُّغَاءِ، وَالْبَهْمُ لَا يُطِيقُ الثَّغَاءَ، وَاللَّيْثُ لَا يَعْرِفُ التَّيِّمَ وَلَا الْمُعَاءَ⁽⁴⁾؛ فَعُقُودُ السَّوَامِ مَشْوَرَةٌ، وَجِبَالُ الرَّجَاءِ مَبْشُورَةٌ، وَوُجُوهُ الْأَنَامِ مَقْشُورَةٌ، وَالْوَيْةُ الْجَذِبِ [مَبْثُورَةٌ] مَشْوَرَةٌ، وَبَنَاتُ الْمَاءِ فِي حِمَى، تَكْتَحِلُ بِعَمَى، وَتُعَلِّلُ أَضْعَفَ دَمًا، قَدْ أَزَفَ مَضْضُهَا، [وَرَدَفَ رَمْضُهَا] وَالتَّفَتَ عَلَى أَشْلَانِهَا عَزَمَضُهَا، وَالْأَكْرُ كَفَرَةٌ، وَالْحُكْرُ فَجْرَةٌ. فَمِنْ قَانِطٍ يَأْسُ، وَقَانِعٍ بَأْسُ، وَمُغْتَبِطٍ بِمَا لَدَيْهِ حَائِسُ⁽⁵⁾، قَدْ بَرِمَ بَعِيَالِهِ، وَانْتَبَذَ أَوْ كَادَ مِنْ أَطْفَالِهِ، يَلْحَظُهُمْ بَعَيْنٌ لَا تَعْرِفُ الْهَجُوعَ، وَيَنْطَوِي عَلَى ضُلُوعٍ، تَحْكَمُ فِيهَا سُلْطَانُ الْجُوعِ، حَتَّى إِذَا عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ، وَاسْتَوَى فِي [الصَّدْمَةِ] وَلَا تُهْمُ وَعُقَاتُهُمْ، وَاتَّفَقَتْ - فِي الدُّعَاءِ لِلَّهِ عَلَى اخْتِلَافِهَا - لُغَاتُهُمْ؛ أَرْسَلَ اللَّهُ الْجَنُوبَ وَأَنْشَأَ مِنْ رَحْمَتِهِ بَحْرِيَّةً فَتَشَاوَمَتْ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا حُكْمَ السَّيَّاتِ فَتَنَّاوَمَتْ، ثُمَّ أَيْقَظَهَا بِحِكْمَةٍ أَبْدَعَهَا، وَقَدْ نَظَّمَ وَدَاعَهَا، وَأَوْدَعَهَا مِنْ بَرَكَتِهِ الْجَمَّةَ مَا أَوْدَعَهَا، وَأَمَرَ الرِّيَّاحَ فَرَفَعَتْ قِتَابَهَا، وَمَدَّتْ عَلَى الْأَرْضِ أَطْنَابَهَا، فَأَمَسَتْ طَبَقَ الْأَرْضِ، وَتَحَرَّتْ تَدَوُّرٌ فِي رَفْعٍ وَخَفْضٍ، فَمِنْ بَرَقٍ هَادٍ، وَرَعْدٍ حَادٍ، وَلُجَجٍ فِي مَحَافِلِهَا بَادٍ؛ حَتَّى إِذَا حَانَ حِينُهَا، وَأَرْزَمَ أَيْنُهَا، وَتَمَخَّضَ فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا، حَلَّتْ مِنْهُ مَزَادَهَا، وَأَسْبَلَتْ عِهَادَهَا، وَبَشَّرَتْ بِصَدْقِ الْحَدِيثِ رُوَادَهَا، وَاللَّيْلُ قَدْ وَقَفَ غَاسِقُهُ،

(1) الصَّرُّ: بالكسر شدة البرد، ومن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾. الآية: 117.

(2) البئر: القليب وتجمع على آبار، ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول آبار، وإذا كثرت فهي البئار، وإن قلت فهي أبور.

(3) الرشاء: الحبل الذي يستخدم لإخراج الماء من الدلو، يقال: أرشى الدلو أي جعل له رشاء.

(4) نَامَ الْأَسَدُ يَنْتُمُ تَنْيِمًا: أخرج صوتا دون الزئير، ومغاوؤه: صياحه.

(5) الحائس: الذي اختلط عليه الأمر فلا يدري ما يفعل، وهو مأخوذ من الحيس أي الخلط.



وَأَنْتَقَبَ خَانِسُهُ وَطَارِقُهُ، فَطَبَّقَتِ الْأَكَامَ وَالْبِطَاحَ، وَأَغْدَقَتِ الْوَهَادَ وَالْفِيَا حَ، وَجَادَتْ لَيْلَهَا سَحًا وَوَبَلًا، وَهَطَلًا، مِثْلَ أَفْوَاهِ الْجِرَاحِ، فَأَصْبَحَتِ الْغِيَا ضُ كَالْحِيَا ضِ، وَالرِّيَا ضُ كَالْحَدَقِ الْمِرَا ضِ، فَلِلنَّبَاحِ هَرِيرٍ، وَلِلتَّلَا عِ خَرِيرٍ:
وَكُلُّ كِمَامَةٍ فِيهَا عَرُوسٌ وَكُلُّ قَرَارَةٍ فِيهَا غَدِيرٌ⁽¹⁾

فَلَا تَرَى إِلَّا نِجَادًا، يَتَقَلَّدُ نِجَادًا⁽²⁾ وَيَلْبَسُ بِنِجَادًا، وَغَوْرًا، يَلْتَفِتُ نَوْرًا وَيَمُورُ مَوْرًا، وَيَسَاطًا يَنْشُرُ بِسَاطًا، وَيَنْفُضُ كِمَامَ زَهْرِهِ طَرَبًا وَنَشَاطًا، وَأَرْسَانًا تَخْلَعُ أَرْسَانًا، وَقِيَانًا تُرَدِّدُ أَلْحَانًا، زَرْقَاءَ خَامَاتٍ قَدْ نُشِرَتْ، وَمِيتَاتٍ نَبَاتٍ قَدْ حُشِرَتْ، وَأَيَّاتٍ مُمَجَّلَاتٍ قَدْ مُجِيتٍ وَبُشِرَتْ، وَعَذَبَاتٍ قَصَبَاتٍ قَدْ أُسِدِلَتْ وَنُشِرَتْ، وَنُفُوسٍ بَعْدَ عُبُوسٍ قَدْ اسْتَبَشِرَتْ، وَرَبُّ الزَّرْعِ مِنْهَا مُعْتَبِطًا، وَذُو الصَّرْعِ قَدْ أُكْرِمَ فَارْتَبَطَ، وَالْمُدْخِرُ قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا اخْتَجَنَ وَضَبَطَ، وَالنَّاسُ قَدْ رَامُوا أَمَلَهُ بَعْدَ الْقَنْطِ، وَالشَّجِيعُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ يَدُهُ مَغْلُولَةً إِلَى غُنْفِهِ قَدْ أَطْلَقَهَا وَبَسَطَ⁽³⁾ وَجَمَعَ الرَّغْيَ بِالْهَمَلِ وَالسَّوَامِ بِالْإِمَامِ قَدْ التَّقَطَّ، يَطْأُونَ مِنَ الْأَرْضِ مَنَدَسَهَا، وَيَسْتَنْشِقُونَ مُتَنَفِّسَهَا، وَيَسْتَشْرِفُونَ عُرُوسَ الدُّنْيَا الْمُقْبِلَةَ وَعُرْسَهَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَغْسُرُ عَلَيْهِ بَعِيدٌ، وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ، وَالشُّكْرُ الْعَرِيفُ الْمَدِيدُ، وَالنِّشَاءُ الْمُسْتَفِيزُ الْعَدِيدُ، عَلَى نِعَمٍ بَسَطَهَا لِلْعَبِيدِ، وَدِيمَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ⁽⁴⁾ سَاقَهَا وَلَدَيْهِ الْمَزِيدُ، وَرِهِمِ إِثْرَ رِهِمِ⁽⁵⁾، أَسْقَطَهَا بِقَدَرٍ وَتَحْدِيدٍ، فَأَنْبَتَ بِهَا

(1) البيت من الوافر.

(2) النجاد: الهضاب، والنجاد الثانية: لعلها تعني النبت الذي يزين الهضاب بعد سقوط المطر، فتكون كالبنجاد الذي يلبسه الإنسان.

(3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ غُنْفِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ سورة الإسراء، الآية: 29.

(4) الأرض الجرز: هي التي لا نبات فيها، جاء في التنزيل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾. سورة السجدة، الآية: 27.

(5) الرحمة: المطر الضعيف الدائم الصغير القطر، وتجمع على رِهِمِ وَرِهِامِ.



﴿جَنَّتْ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّحْلَ بِاسْفَتٍ لَهَا طَلَعُ نَضِيدٍ﴾⁽¹⁾. حَمْدًا وَشُكْرًا يَبْدَأُ بِهِمَا الْعَبْدُ وَيُعِيدُ، وَشُكْرًا لِأَيَادِيهِ عِنْدَنَا بِالنُّمُوِّ وَالتَّخْلِيدِ، لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَا مَعْبُودَ حَاشَاهُ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَتَعَالَى جَلَالُهُ وَكِبَرُ يَأُوه. وَأَعْلَمْتُكَ -أَعَزَّكَ اللَّهُ- بِذَلِكَ وَأَنَا أَرْجُو أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ قَدْ شَمِلَتْ تِلْكَ الْأَقْطَارَ، وَأَوْفَرَتْ حَظَّكُمْ مِنْ تِلْكَ الْقِطَارِ⁽²⁾، وَالسَّحَابَ الْحُفْلَ الْغِزَارَ.

وَأَمَّا تَطْلُعِي إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ فَتَطْلُعُ الْغَرِيقُ إِلَى اسْتِشْرَافِ السَّاحِلِ، وَالصَّائِمِ إِلَى الْهَيْلَالِ النَّاحِلِ، فَلَكَ الْفَضْلُ فِي تَعْجِيلِ الْإِعْلَامِ، وَتَسْكِينِ الْأَوَامِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَمِنْ إِنْشَاءِ الْفَقِيهِ أَبِي الْفَضْلِ ابْنِ عِيَّاضِ رُفْعَةً حَمَلَتْ فِيهَا الْفَتْحُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ تَحِيَّةً لِلرَّئِيسِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَاهِرٍ⁽³⁾:

عِمَادِي أَبَا النَّصْرِ⁽⁴⁾ مَثْنَى الْوَزَارَةِ وَسَنِيَّ الْإِمَارَةِ وَوَحِيدَ الْعَصْرِ، هَلْ لَكَ فِي مِنَّةٍ تَفُوقُ الْحَصْرَ، تَخِفُ مَحْمَلًا، وَتُبْلُغُ أَمَلًا، وَتَشْكُرُ قَوْلًا وَعَمَلًا، شُكْرًا تَتَرَنَّمُ بِهِ الْحُدَاةَ ثِقِيلًا وَرَمَلًا، إِذَا بَلَغْتَ الْحَضْرَةَ الْعَلِيَّةَ مُسْتَلِمًا، وَلَقِيتَ الطَّاهِرَ بْنَ الطَّاهِرِ⁽⁵⁾ فَخَرِ الْوَزَارَةَ مُسْلِمًا، وَحَلَلْتَ فِي فَنَائِهِ الرَّحْبَ⁽⁶⁾ حَرَمًا، وَلَمَسْتَ بِمُصَافَحَتِهِ رُكْنَ الْمَجْدِ يَنْدَى كَرَمًا. فَقِفْ شَوْقِي بِعَرَفَاتِ تِلْكَ الْمَعَارِفِ، وَأَنْسَ شُكْرِي بِمَشَاعِرِ تِلْكَ الْعَوَارِفِ⁽⁷⁾، وَأَبْلُغْ عَنِّي تِلْكَ الْفَضَائِلَ سَلَامًا، يَلْتَمِسُ بِصَرْيَحِ الْحُبِّ الْإِتِمَامَ، وَيَخْسُنُ عِنْدِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَقَامًا، وَيَسِيرُ بِأَرْجِ الْحَمْدِ إِنْجَادًا وَاتِّهَامًا.

(1) سورة (ق)، الآيتان: 9-10.

(2) القطار: يقصد بها الأمطار التي تسقط قطرات متفرقة.

(3) القاضي عياض شهرته طبقت الآفاق، حتى قيل: «لولا عياض ما عرف المغرب». وقد ألفت فيه مؤلفات كثيرة متنوعة، وفي جوانب متعددة من شخصيته. وأهم كتاب ترجم له هو: «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» لأبي العباس المقرئ. والرسالة في القلائد، ص: 255، والأزهار 1/4.

(4) القلائد، والأزهار: أبا نصر.

(5) القلائد والأزهار: طاهر، وترجمته في القلائد، ص: 52، المغرب 2/247.

(6) القلائد والأزهار: الأرحب.

(7) القلائد والأزهار: «وأطف إكباري بكعبة ذاك الجلال سبعاوي بوئ لودادي في مقر ذلك الكمال ربعا»



وَلَهُ فَضْلٌ مِنَ الرَّسَالَةِ⁽¹⁾:

لَا بُدَّ لِكُلِّ حِينٍ - أَعَزَّكَ اللَّهُ⁽²⁾ - مِنْ بَيْنَيْنِ يُحَلُّونَ عَاطِلَهُ، وَيُجَلُّونَ فَضَائِلَهُ، وَلِكُلِّ مَجَالٍ، مِنْ رِجَالٍ، يَقُومُونَ بِأَعْبَائِهِ، وَيَهَيِّمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ بِأَنْبَائِهِ، وَإِنْ كَانَتْ جَمْرَةٌ الْأَدَبِ هَامِدَةً، وَجَذْوَتُهُ خَامِدَةً، وَلِسَانُهُ حَصِيرًا، وَإِنْسَانُهُ حَسِيرًا، فَلَمْ يُخْلِهِ اللَّهُ مِنْ هَالَالٍ يَطْلُعُ فَيُشْرِقُ فِي سَمَائِهِ بَذْرًا، وَزُلَّالٍ يَتَّبِعُ فَيُغْدِقُ بِفَضَائِهِ بَحْرًا، وَشِبْلٍ يَشْدُو، فَيَزَارُ مِنْ غَايَةِ لَيْثًا، وَطَلٍّ يَنْدُو، فَيَمُطِرُ مِنْ رَبَابِهِ غَيْثًا.

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْكَاتِبِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْقُرَشِيِّ الْعَامِرِيِّ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، الْمُبْتَعَثِ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّحْذِيرِ، الْمُتَّقِدِ مِنَ الْحَيْرَةِ وَاقْتَبَسَ النُّورَ، وَتُدَوَّرَسَ الْكِتَابُ الْمَسْطُورُ، وَطَابَ الْمُعَرَّسُ⁽³⁾ وَالْمَقِيلُ، وَحَظِي الصَّفِيَّانِ مَالِكٌ وَعَقِيلٌ، فَوَاهَا ثُمَّ وَاهَا، مَا شَاقَّتِ الذِّكْرَى أَوَاهَا، يَوْمَ ظَعَنَ الزَّوْرُ، وَطُلِعَ النَّجْدُ وَهَبَطَ الْغَوْرُ، وَاسْتَقَلَّ الرَّائِحُ، وَاسْتَهَلَّ الرَّابِحُ:

وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ⁽⁴⁾

وَعُودِرَ رَهْنِ الْحَيِّ بَائِسٌ، وَقَعَدَ حِلْسَ الْبَيْتِ طَاعِمٌ لَا بَسَ، لَمْ يَرْحَلْ لِبَغِيَةِ الْمَكَارِمِ، وَلَا أَفَنَفَ مِنْ مَقَامِ الْمُجْرِمِ الْآثِمِ، فَيَفُوزُ بِالْقَاءِ النَّفْثِ، وَيَعُودُ مِنْ شَقَا النُّطْفِ وَالرَّفَثِ، أَمَا إِنَّهُ دَمَعُ جَادٍ، وَعَزَمَ خَلَعَ النَّجَادِ، حِينَ أَنْضَبَتِ الْمَزَادُ، وَعَدِمَتِ الرَّاحِلَةُ وَالزَّادُ،

(1) الرسالة في القلائد، ص: 258، وأزهار الرياض.

(2) القلائد والأزهار: «لا بد أعزك الله لكل حين».

(3) المعرس والمعرس: مكان التعريس، وهو نزول القوم من السفر آخر الليل.

(4) الشطر ضمن أبيات، يقول فيها الشاعر:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشَدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَتَنَّا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

الشعر والشعراء، ص: 13، سمط اللآلئ، ص: 77.



وَلَمْ أَسْتَطِيعِ السَّيْلَ، وَلَا زَمْتُ الْمَرْتَعَ الْوَيْلَ، فَمِنْ أَرْقٍ عَلَى أَرْقٍ⁽¹⁾، وَحُرْقٍ، غِبَّ
حُرْقٍ، وَمِنْ نَفْسٍ يَتَرَدَّدُ، وَقَبَسٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ يَتَوَقَّدُ، أَسْفًا أَلَّا أَكُونَ مِمَّنْ هَجَرَ وَسَرَى،
وَعَفَرَ خَدَّهُ فِي الثَّرَى، وَلَحِقَ بِخَيْرِ فَرِيقٍ، وَشَهِدَ لِيَا لِي التَّشْرِيقِ⁽²⁾، وَلَبَّى وَدَعَا، وَخَبَّ
فِي بَطْنِ الْوَادِي وَسَعَى، وَوَقَفَ بِعَرْفَةِ، وَسَأَلَ اللَّهَ لَمَّا سَقَى بِطَرْفَةِ، وَدَفَعَ إِلَى الْمُزْدَلْفَةِ،
وَنَقَعَ صَدَأَ النَّفْسِ الْكَلْفَةَ، وَرَمَى وَنَحَرَ، وَاسْتَطَابَ الْأَصِيلَ وَالسَّحَرَ، وَاسْتَلَمَ وَصَدَعَ،
وَاجْتَهَدَ فِيمَا اسْتَوْدَعَ، وَاطَّوَّفَ بِالْبَيْتِ الْعَيْتِقِ، وَاطَّيَّبَ بِمَسْكِهِ الْفَتِيقِ، وَتَفَرَّاهَا
مَسَالِكُ، وَتَقَصَّاهَا مَنَاسِكُ، وَعَاجَها ذُلُّ رَوَاتِكِ⁽³⁾ عَلَى الْمُثِيفَةِ الْعِمَادِ، الْمَرِيعَةِ
الْوَهَادِ، ذَاتِ.... وَالنَّكِيرِ، الْمُوقِظِ بِالْعِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ، النَّافِحِ الْأَرْدَانِ، الْمُنَاجِي بِهِ
صَاحِبَ غُمْدَانِ⁽⁴⁾. نَبِيَّ الرَّحْمَةِ وَالرَّحْمَنِ، وَالصَّرِيحِ اللَّبَاتِ مِنْ عَدْنَانِ، عِصْمَةِ اللَّائِذِ
بِأَكْنَافِهِ، وَصَفْوَةِ الْغَطَارِيفِ مِنْ عَبْدٍ مَنَافِهِ، الْمُبْرَأِ مِنَ الْعَابِ، الْمُرَدَّدِ الْأَعْرَافِ فِي
الطَّنَابِ الطَّنَابِ، دِيَانَ الْعَرَبِ، وَفَرَّاجِ الْكُرْبِ، سُلَالَةِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، وَمَعَادِنِ الزَّمَنِ
الْكَلْبِ، الْمَنْصُورِ بِالصَّبَا، الْمُجَهَّزِ الْبُعُوثِ أَيْدِي سَبَا، الصَّادِعِ بِمَا أُمِرَ، السَّافِرِ عَمَّا
يُضْمِرُ، الَّذِي قَامَ بِهِ الْأُودُ، وَتَعَبَّدَ بِشَرِيعَةِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، سَيِّدِ الْبَشَرِ، وَحَامِي أُنْبَاءِهِ
لَيَوْمِ الْمَحْشَرِ، الْمُوقِّرِ الْمُعَزَّرِ، الْمُؤَيَّدِ الْمُؤَزَّرِ، الْمُؤَثِّرِ بِالْآيَاتِ، الْمُؤَيَّدِ بِالْبَيِّنَاتِ،
الْمُتَحَدِّثِ بِالْآيَاتِ، الطَّيِّبِ الْأَزْرَةِ، الصَّيِّبِ بِالْعَفْوِ عَنْ قُدْرَةِ، خَيْرَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ،
الْمُنْجِي مِنَ الضَّلَالِ وَرَبِّقِهِ، النَّاطِقِ بِالْبَيِّنَاتِ، النَّاسِخِ لِلْأَدْيَانِ، الْمُجِيرِ مِنَ الرُّوعِ
وَالْوَجَلِ، الْمُرْسَلِ عَلَى دُثُوٍّ مِنَ السَّاعَةِ وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجَلِ، خَيْرِ مُوسِدٍ فِي الدَّيْمِ،

(1) ينظر فيه إلى قول الشاعر:

أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِنْ لِي يَأْرُقُ

(2) التشريق: صلاة العيد، وأخذ من شروق الشمس، لأن ذلك وقتها، وقال شعبة التشريق: الصلاة في
الفطر والأضحى بالجَبَّانِ.

(3) الراتكة من النوق: التي تمشي وكان برجليها قيذا وتضرب بيديها، ويقال: أرتكت البعير إذا حملته
على السير الحثيث.

(4) صاحب غمدان: هو سيف بن ذي يزن الذي كان يعرف بالبشارة مبعث الرسول ﷺ، صبح الأعشى
40/5، معجم ما استعجم 3/1002، معجم البلدان «غمدان».



وَسِرَّ الْفَوَاطِمَ ⁽¹⁾ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعَوَاتِكِ مِنْ سُلَيْمٍ ⁽²⁾. الَّذِي جَرَى الْمَاءُ مِنْ بَنَانِهِ مُتَفَجِّرًا، وَسَعَتْ بِهِ النَّاقَةُ الْأَذْمَاءُ مُتَعَنِّجَرًا، وَتَلَجَّتْ بِحِكْمَتِهِ الْقُلُوبُ الْهَيْمُ، وَبَشَّرَ بِهِ عِيسَى وَدَعَا لَهُ إِبْرَاهِيمُ. الْمُخْتَارُ مِنَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، الْمُنتَارُ مِنَ الرَّحِيقِ الْأَخْلَى، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالْتِسْلِيمِ، مَا اسْتَدَّ صَائِبُ الْكَلَامِ، وَامْتَدَّ ثَائِبُ الْأَحْلَامِ، مِنَ الطَّلِيحِ الْمُثْقَى، الْمُتَمَسِّكُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى، الْمَهِيضُ الْجَنَاحَ، [الْمُتَطَّلِعُ] لِلنِّزَاعِ وَالْإِزْتِيَاكِ. الْمُقْتَفِي أَثَرَهُ، الْمُصَدِّقُ لَهُ وَلَمْ يَرَهُ، الْمُتَّبِعُ مَكَانًا فَصِيًّا ⁽³⁾ الْمُدِيرُ عَلَى الْإَيَّامِ زَمَنًا عَصِيًّا، الْمُتَمَيِّزُ بِكَرَمِ صِهْرِهِ، الْمُتَحَيِّزُ إِلَى عَامِرِ بْنِ فِهْرِهِ، الْمُتَضَرِّمُ اللَّوْعَةَ، الْمُتَدَفِّقُ الدَّمْعَةَ، سَلِيلُ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَمْعَةَ. خَطَطَتْهَا يَارَسُولُ الْهُدَى، وَعَلِمَ النَّجَاةَ وَالنَّاسَ سُدىً، أَخْرَفَا بَرَّةً، أَدْمَعَا ثَرَّةً، شَوْقًا إِلَى مَحَطِّ ضَرْيَحِكَ، وَوُجُودِ رِيحِكَ، وَشَغَفًا بِمَحَطِّ رِكَابِكَ، وَزُودِ كِتَابِكَ، حَيْثُ نَزَلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ، وَظَهَرَ السِّرُّ الْكَمِينُ، وَالظَّلُّ وَالْمَاءُ، وَالنَّخْلُ وَالْقَصْرُ وَالْحَمَاءُ، دَارُ الْهَجْرَةِ وَالْإِيْمَانِ، وَمَعْنَى الْغِبْطَةِ وَالْأَمَانِ، مَنَزَعُ الرَّحْلةِ وَالْتَسْيَارِ، وَمَنْجَعُ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ، وَمَنْ لِي أَنْ أَزْجَرَهَا أَيَا مِنْ، وَأَحْلَ مِنْ طَيِّبَةِ الْحَرَمِ الْأَمِينِ، فَأَنْزَلَ إِكْرَامًا، وَأَكْبَّ اعْتِنَاقًا وَالتَّزَامًا، وَأَسْتَأْمِنَ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَأَزُورُ الرُّوْضَةَ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ، وَأُصَلِّي مِنَ كَثْبِ، عَلَى الْمُتَخَبِّ الْمُتَجَبِّ، وَأُسَلِّمُ عَلَى الْعُمَرَيْنِ ⁽⁴⁾، وَأَسْرُو عَنْ فُؤَادِي حُجْبَ الدِّينِ، وَأُفْضِي بِذَاتِ صَدْرِي، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا يَذَرِي، وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي، وَأَبْرَأُ إِلَى يَوْمِي الْأَغْبَطِ مِنْ أَمْسِي، فِي حَيْثُ يُمْتَعُ السَّائِلُ، وَتُسَفَّعُ الْوَسَائِلُ، وَتَنْجَابُ الذُّنُوبُ، وَتَطْمَنُّ الْجُنُوبُ.

(1) يقصد بسر الفواطم من قريش: أن النساء اللواتي ولدته تسمى كل واحدة منهن فاطمة، قال ابن بري: والفواطم اللاتي ولدن النبي قرشية وقيسية ويمانية وأزدية وخزاعية. تلك هي سلسلة النساء اللواتي ينتسب الرسول إليهن.

(2) جاء في الحديث أن الرسول قال: «أنا ابن العواتك من سليم»، والعواتك من سليم ثلاثة وهن: عاتكة بنت هلال، وعاتكة بنت مرة، وعاتكة بنت الأقوص بن مرة بن هلال أم وهب بن عبد مناف، بن زهرة جد الرسول ﷺ.

(3) في ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا فَصِيًّا﴾. سورة مريم، الآية: 21.

(4) العمران: هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.



اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِيَدِهِ الْقُلُوبُ، وَلَدَيْهِ الْمَطْلُوبُ، فَإِنِّى أَتَوَسَّلُ بِنَبِيِّكَ الْمُرْتَضَى، إِلَى أَدَلَّةِ
فَرَضِكَ الْمُقْتَضَى، وَأَسْأَلُكَ ثَرَوَةً تُعِينُ، وَمَرْوَةً عَلَى قَرَعِ الْحَوَادِثِ لَا تَلِينُ؛ حَتَّى
تُكْرِمَنِى هَذِهِ الْوَفَادَةَ، وَتَسْمِنَنِى بِحُظُوتِهَا الْمُسْتَفَادَةَ، وَتُقْطِعَنِى شَرَفَ تِلْكَ الْمَكَارِمِ،
وَتُطْلِعَنِى مِنْ هَاتِيكَ الرَّبِّى وَالْمَعَالِمِ. أَنَا جِيكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ نَجِيَّةَ الْفُؤَادِ، وَكَمِّيَّةَ الْأَمَلِ
الْمُرْتَادِ، وَمُسْتَشْفِعًا إِلَى هَذَا الْقَبْرِ الْمُتَّابِ، إِلَى مَا أُضْمِرُ مِنْ طِلَابٍ، وَأَزْجُو مِنْ
حُسْنِ مَابٍ، وَمِنْكَ الْإِجَادَةُ وَإِلَيْكَ الْمَابُ، وَأَنْتَ الْجَوَادُ وَالْوَهَابُ؛ ثُمَّ التَّحِيَّةُ أَرْقُ مِنْ
النَّسِيمِ، الْمُنْسَابَةُ كَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ، يَقْدُمُهَا وَفْدُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَيَخْذُوهَا جُهْدُ التَّكْرِيمِ
وَالْتَنْعِيمِ، عَلَى النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، نُورِ النَّدَى وَالنَّدَى، وَعَلَى ضَجِيعِيهِ مِنْ تَيْمٍ وَعَدِي.

وَمِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ مُبَشَّرٍ فِي رَفْعِ ظُلْمٍ مِنْ أَحَدِ الْعَمَالِ:

حَضْرَةَ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْأَعْدَلِ الْمَلِكِ الْأَعَزِّ الْأَفْضَلِ أَبِي يَعْقُوبَ ⁽¹⁾ بَنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي أُسِّسَتْ عَلَى الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ قَوَاعِدُهَا، وَانْهَلَتْ بِالْغُرِّ الْغَوَادِي عَلَى
الْأُمَّةِ رَوَاعِدُهَا، وَرَمَتْ الْجَوْرَ فَأَقْصَدَتْهَا يَدُهَا الْبَاطِشَةُ وَسَاعِدُهَا، أَبْقَاهَا اللَّهُ يَسْتَمِرَّ
سَاكِنُهَا وَيَدُومَ خَالِدُهَا، عَبْدُهَا الْعَامِلُ عَيْسَهُ الْمَنْصَاةُ إِلَيْهَا، رَاجِي الْفَرَجِ الْوَشِيكَ مِمَّا
حَلَّ لَدَيْهَا، فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، السَّاكِنِ بِمَوْضِعٍ كَذَا مِنْ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةٍ، سَلَامٌ عَلَى الْحَضْرَةِ
الْإِمَامِيَّةِ، وَالنُّصْرَةِ الْحُسَامِيَّةِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ خَالِقِ الْخَلَائِقِ وَمُدَبِّرِ الْأُمُورِ، حَاشِرِ الْأَيْمَةِ الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرِ
مِنْ نُورٍ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَاةَ تَوَلِيهِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ
الْمَوْزُودِ، يَوْمَ الْعَرْضِ الْجَامِعِ وَالنُّشُورِ؛ وَعَنِ الْإِمَامِ الْمَغْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ
الْحَاكِمِ عَلَى الْجَوْرِ بِالْخُمُولِ الْخَاسِي وَالْدُّخُورِ، وَالدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِالتَّأْيِيدِ الْعَزِيزِ لِعَلَمِهِ الْمُظَفَّرِ وَلِوَاثِيهِ الْمَنْصُورِ، وَلِنَجْلِيهِ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ أَبِي يَعْقُوبَ فِي
سُعُودِ تَنْتَظِمٍ فِي مُلْكِهِ انْتِظَامِ السُّلُوكِ النَّفِيسَةِ عَلَى النُّحُورِ.

(1) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن الموحدى، المعجب، ص: 236-237-348، الحلل
الموشية، ص: 157، المن بالإمامة، ص: 206-207.



فَإِنْ عَبْدَكُمْ لَقِيَ عُبُوسًا مِنْ وَجْهِ الْجَوْرِ وَوُجُومًا، وَأَنَّاكُمْ بَعِيدَ الدَّارِ مَظْلُومًا، وَرَجَا مِنْ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَنْ تُرْسَلَ عَلَى مُرِيدِ الضَّلَالَةِ رُجُومًا. وَإِنَّ عَتِيقًا بِن مَكْسُور⁽¹⁾ الْجَنْبِ الَّذِي كَسَرَهُ أَكْذَبَ اسْمَهُ وَصَدَّقَ اسْمَ أَبِيهِ، وَضَجَّتِ الْأَرْضُ وَعَجَّتْ لِقُبْحِ مَا يَاتِيهِ، فَإِنَّهُ كَانَ قَاضِيًا فِي أَيَّامِ النَّصَارَى - دَمَرَهُمُ اللَّهُ - يَخْدُمُ مَكُوسَهُمْ، وَيَفْدِي بِنَفْسِهِ الْخَائِنَةَ نَفُوسَهُمْ، قَدْ اتَّخَذَ أَعْوَانًا وَوَزَعَ⁽²⁾، وَأَبْرَزَ شَنْعَهُ وَبِدَعَهُ، وَقَدْ بَعُدَ عَنْ مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَعِلْمِهِ، وَلَمْ يَجْرِ عَلَى حَدِّهِ الْمُطَرِّدِ وَرَسْمِهِ، بَلْ يَحْكُمُ فِي النَّوَازِلِ، بِالرَّأْيِ الْفَائِلِ، وَيَقْضِي فِي الْحَوَادِثِ، بِالنَّظَرِ الْعَابِثِ، يَسْلُكُ فِي سُبُلِ الْمَظَالِمِ وَطُرُقِهَا، وَيَضْرِبُ ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَيُعْصِدُ إِلَى مَنْ بِالْمُنْسْتِيرِ مِنَ الْعِبَادِ الَّذِينَ خَفَرْتُمْ ذِمَّةَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَرَحْمَتَهُ، وَتَكَنَّفْتُمْ رَأْفَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ.

وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا يَغْنُو لَهُ كُلُّ مَنْ قَرَأَهُ وَيُذْعِنُ، وَيُوْغِلُ فِي [بِرِّهِ] وَتَكْرِمَتِهِ وَيُؤْمِنُ، وَمَعَ مَا نَالَ الْعِبَادَ مِنَ الْكَرَامَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالْأَيَادِي الْجَزِيلَةِ الْعَمِيمَةِ، يَضْرِبُهُمُ بِالسَّيَاطِ إِيقَاعًا، وَيَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ دُغْرًا مُخِيفًا وَارْتِيَاعًا؛ وَمِنْ نَوَازِلِهِ الْقَبِيحَةِ، الشَّاهِدَةُ عَلَيْهِ بِالْفَضِيحَةِ، أَنَّهُ رَدَّ امْرَأَةً تَسْكُنُ مَنْزِلَ الْأَبْوَيْنِ كَانَ قَدْ طَلَّقَهَا رَوْجُهَا ثَلَاثًا، فَرَدَّهَا إِلَى رَوْجِهَا وَتَقَضَّى الشَّرْعَ إِنْكَاثًا، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ عَشْرَةَ دَنَائِيرٍ أَكَلَهَا سُخْتًا، وَحَكَمَ بِالْبَاطِلِ بَخْتًا، وَعِنْدَ عَبْدِكُمْ مِنْ قَبِيحِ قَضَايَاهُ، وَذُنُوبِهِ فِي السَّنَةِ وَخَطَايَاهُ، مَا إِنْ أَذْنُتُمْ فِي شَرْحِهِ، أَطْلَعْتُ مُنْبَلِجَ صُبْحِهِ، وَأَيَّامُكُمْ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ - [تَمَحَّقُ] الْبَاطِلَ وَتَزْهَقُهُ، وَتَسْتَنْفِذُ شُكْرَ الشَّاكِرِ وَتَسْتَغْرِقُهُ، وَعَبْدُكُمْ أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ - قَدْ طَالَ بِالْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ مَقَامُهُ، وَشُرِّدَ بَارْتِيَاعِهِ كَرَاهُ وَمَنَامُهُ، وَرَغِبَ فِي الرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ، وَاجْتِمَاعِ [شَمْلِهِ] بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، فَالرَّحْمَةُ الْعَمِيمَةُ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامِ الْأَعْدَلِ، الْمَلِكِ الْأَعَزِّ الْأَفْضَلِ، عَلَى الْعَبْدِ الرَّاجِي فِي أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا يَأْمَنُ بِهِ مِمَّنْ يَكِيدُهُ، وَيَصِلُ بِرَكَتِهِ

(1) انظر الذيل 1/8 - 286، التعليق رقم: 399.

(2) الوزعة: الأعوان، جاء في حديث الحسن البصري لما ولي القضاء قال: «لا بد للناس من وزعة»؛ أي أعوان يكفونهم عن التعدي والشر والفساد «اللسان».



إِلَى مَا يَرْغَبُهُ مِنَ الدَّعَةِ، [وَيُرِيدُهُ]. وَأَنَا -أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَكُمْ- قَدْ جُبْتُهَا مَهَامِهِ وَقَفَّارًا، وَلَبِسْتُ تَأْمِيلَكُمْ النَّجِيجَ [دِنَارًا]، فَإِنْ مَنَنْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ بِإِفْرَاحِ رَوْعِهِ، وَتَمَيِّزِهِ عَنْ نَوْعِهِ، وَأَصْحَبْتُمُوهُ كِتَابًا كَرِيمًا، يُطَالِعُهُ بِهِ الْأَمَلُ وَسِيمًا، وَفَزَّيْتُمْ [لَهُ] عِنْدَ اللهِ [ثَوَابًا] جَزِيلًا وَأَجْرًا، وَبَايَعْتُمُوهُ فَأَزْبَحَكُمْ تَجْرًا. وَاللهُ جَلَّ وَعَزَّ يَقِيمُ بِكُمْ لِلْعَدْلِ مَنَارًا لَا يَغْفُو أَثَرَهُ، وَيُنْفِيكُمْ نَحْيًا بِكُمْ قَضَايَا الْفَارُوقِ وَسِيرِهِ، وَلَا زَالَ لِلْحَقِّ مَا يَأْتِيهِ نَظَرُكُمْ الْمُوَفَّقِ وَمَا يَذَرُهُ، بِمَنْتِهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبَ عَنْ رَجُلٍ قُتِلَ أَخُوهُ ظُلْمًا:

حَضْرَةُ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْأَعْدَلِ الْمَلِكِ الْأَعَزِّ الْأَفْضَلِ أَبِي يَنْغُوبِ أَدَامَهُ اللهُ حَاقِنًا لِلدِّمَاءِ بِالْقَوْدِ وَالْقِصَاصِ، حَاكِمًا بِالْقِسْطِ عَلَى ذَوِي التَّمَرُّدِ وَالْاِغْتِيَاصِ، عَبْدُهُ الْمُسْتَجِيرِ بِحِمَاهِ، الشَّاكِي إِلَيْهِ سَهْمًا قَصْدَهُ بِهِ الدَّهْرُ وَأَصْمَاهِ [فُلَان] سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللهِ الَّذِي رَفَعَ بِالْإِمَامَةِ الْمَهْدِيَّةِ ظُلْمًا نَازِلًا وَعُدُونًا، وَجَعَلَ لَوْلِيَّ الْمَقْتُولِ الْمَظْلُومِ عَلَى قَاتِلِهِ وَظَالِمِهِ سُلْطَانًا⁽¹⁾، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَاةَ تُرَدِّدِهَا وَتُكْرِّرُهَا إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا، وَنَسْأَلُهُ لِلْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ رِضَى يُجْلِّهَا اللهُ بِهِ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مَحَلًّا رَفِيعًا وَمَكَانًا، وَلِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَضْرِ عَزِيزٍ وَفَتْحٍ مُبِينٍ يَكْسِرُ نَوَاقِيسَ مُضَلَّلَةٍ وَصُلْبَانَا، وَلِنَجْلِيهِ الْأَمِيرِ الْأَجَلُ فِي سُعُودِ [مُتَابِعَاتٍ] [تُسَاقُ] إِلَى سُدَّتِهَا الْمُكْرَمَةِ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانَا.

فَإِنْ عَبْدُكُمْ اللَّائِذُ فُجِعَ بِحَمِيمِهِ، وَكَرَعَ مِنَ الْأَسَى وَالْحُزَنِ فِي [مَقْشُوبِهِ] وَمَسْمُومِهِ، وَرَجَا أَنْ يَأْخُذَ بِقِسْطِكُمْ وَعَدْلِكُمْ مِنْ ثَارِهِ [بِمُقِيمِهِ].

وَشَرَحَ هَذِهِ النَّازِلَةَ -أَيْدِكُمْ اللهُ- وَتَفْسِيرُهَا، وَوَضَعَهَا عَلَى كُنْهَهَا وَتَحْبِيرُهَا؛ أَنْ أَخِي عَدَا عَلَيْهِ شَرِيكُهُ فَشَدَخَ فِي حَالِ نَوْمِهِ [بِإِزْرَبَةٍ]⁽²⁾ رَأْسَهُ، أَذْهَبَتْ حَيَاتَهُ وَأَفَاتَتْ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾. سورة الإسراء، الآية: 33.

(2) المرزبة والإرزية: عُصِيَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ يَكْسِرُ بِهَا الْمَدْرُ. «اللسان».



أَنْفَاسَهُ، فَتَصَايَحَ النَّاسَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَتَوْا مِنْ هُنَا وَهُنَالِكَ، وَوَجَدُوا أَخِي وَعَايَنُوهُ مُضَرَّجًا فِي دَمِهِ، مُصَرَّعًا بِيَدَيْهِ وَفَمِهِ، وَفَرَّ الْقَاتِلُ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا، لَا يُعْرِفُ لَهُ مَكَانَ فِي بَدْوِهَا وَلَا حَضَرِهَا، ثُمَّ رَجَعَ الْآنَ وَتَوَاعَدَنِي بِالْإِهْلَاكِ وَالْقَتْلِ، وَقَالَ: سَأَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتُ بِأَخِيهِ مِنْ قَبْلُ.

وَهَا أَنَا -أَدَامُ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ- قَدْ لُذْتُ بِحِمَاكُمْ، وَتَنَسَّيْتُ رَوْحَ نِعْمَاتِكُمْ، فَعَسَى أَنْ يُنْهِيَ إِلَيَّ الطَّلَبَةَ -أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ- بِمَوْضِعٍ كَذَا أَنْ يُنْفِذُوا مَنْ يَتَكَفَّلُ بِإِحْضَارِهِ، وَيُزْعِجُهُ عَنْ أَهْلِهِ وَدَارِهِ، حَتَّى تَمَكَّنَ مُحَاكَمَتَهُ، وَتَتَأَتَى مَقَاعِدَتُهُ وَمُخَاصَمَتُهُ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُنْفِيكُمْ لِحَفْنِ دِمَاءٍ وَإِنْقَاءِ نَفُوسٍ، وَإِطْلَاعِ بُدُورٍ مِنَ السَّيِّرَةِ الْعَادِلَةِ وَإِشْرَاقِ شُمُوسٍ بِمَنَّةٍ. وَكَتَبَ أَيْضًا:

إِلَى حَضْرَةِ سَيِّدِنَا الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي يَعْقُوبَ مَدَّ اللَّهُ لَهَا فِي الْبَسِيطَةِ ضِيَاءَ وَثُورًا، وَجَعَلَ [الْمَطْوِيَّ] مَنْ عَذَلَهَا [مُذِيلًا] مَوْفُورًا، مِنَ اللَّائِذِ بِعَذْلِهَا وَقِسْطِهَا، وَالرَّاجِي لِإِفَاضَتِهَا الرَّحْمَةَ عَلَيْهِ وَبَسْطِهَا، فَلَانَ. سَلَامٌ عَلَيْهَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَدْلَ ظِلًّا مَمْدُودًا، وَعَذْبًا [نَاقِعًا] بَرُودًا وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَاةً أَوْلَىهَا تَكْرِيرًا وَتَرْذِيدًا، وَعَلَى الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْقَائِمِ لِإِعَادَةِ شِرَاعِ الْإِسْلَامِ قَشِيًّا جَدِيدًا، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْ يُؤَلِّيَ اللَّهُ حِزْبَهُ الْمَنْصُورَ تَظْفِيرًا وَتَأْيِيدًا، وَلِسَيِّدِنَا الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي يَعْقُوبَ ⁽¹⁾ فِي سَعْدِ مَكِينٍ يَبْغِي ضِعْفًا وَيَطْلُبُ مَزِيدًا.

فَإِنَّ إِخْوَتِي جَاؤُوا عَلَيَّ يَوْمَ افْتِسَامِهِمْ، وَسَلَّوْنِي كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ مِنْ أَسْهَامِهِمْ، فَلَمْ يَفْرِضُوا لِي مِنْ فَرِيضَةٍ، بَلْ قَدَّرُوا حِصَّتِي مِنْهَا مَنْقُوصَةً مَغِيضَةً، وَقَدْ سَدَّدَتْ إِخْوَتِي نِصَالَهَا، وَأَسَاءَتْ مَعِيَ..... بِحَيْسِي:

(1) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن، وقد مرت الإشارة إليه سابقا.



وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَذْعَى لَهَا⁽¹⁾

وَأَنَا -أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ- أَشْهَدُ شَاهِدَهُمْ، وَأَنْظُرُ مَا هَدَهُمْ، وَيَطُوُونَ عَنِّي فَوَائِدَهُمْ.
وَعَدْلُكُمْ -أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ- يَحْكُمُ بِالسَّوَاءِ، وَيَعْصِمُ بِالشُّرْبِ عَلَى الْإِقْدَاءِ، وَيَكْفُ
عَنِّي أَيْدِي الْمُؤْذِينَ عَنِ الْإِيْدَاءِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ بِعَدْلِكُمْ الْمَبْسُوطِ شَبَاهُكُمْ، وَيُسَوِّي
بِالْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ رُبَاهُمْ، حَتَّى تَنْسَاوِي وَتَنْتَاصِفَ، وَتَنْتَعَالِمَ بَعْدَ التَّنَاكُرِ وَتَنْتَعَارَفَ،
وَتَنْتَذَكِرَ حُقُوقَ الرَّحِمِ الْمُشْتَبِكَةِ وَتَنْتَوَاصِفَ. وَيُؤَدِّمُ إِقْدَامَكُمْ، وَيَجْعَلُ سَعْدَكُمْ الْمَكِينِ
أَمَامَكُمْ، وَيُفَرِّقُ بِسِيرَةِ الْعُمَرَيْنِ غَشِيَانَكُمْ وَإِلْمَامَكُمْ. بِمَنْهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَالسَّلَامُ.
وَلَهُ:

حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بَثَّ فِي الْبَسِيطَةِ
عَدْلَهَا، وَمَدَّتْ عَلَى الْأُمَّةِ فَيَأْهَا الْوَارِفَ وَظَلَّلَهَا. حَكَمَ اللَّهُ فِي طُلَى الْكُفَّارِ وَكُلَّاهُمْ
سَيْفَهَا الصَّقِيلَ وَنَضَلَهَا. عَبْدُهَا اللَّائِثُ بِحَرَمِهَا الْآمِنِ، الْمُسْتَجِيرُ مِنْهَا بِكَافِلٍ يَرْفَعُ
الظُّلْمَ عَنْ صَاحِبِهِ وَضَامِنٍ، فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ سَلَامٌ عَلَى حَضْرَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ حَمْدًا يَقْضِي بِهِ حَقَّ مَنَّتِهِ الْعَمِيمَةِ وَالْآئِيهِ، وَيُعْظَمُ بِهِ مَا وَجَبَ لَهُ
جَلَّ وَعَزَّ مِنْ عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ. وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى خَاتَمِ رُسُلِهِ
وَخَيْرَةِ أَنْبِيَائِهِ، وَتَرْضَى عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ مُخْرَزِ الْفَخَارِ بِعَظَمِ مَقَامِهِ وَكَرَمِ انْتِمَائِهِ،
وَعَنِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُظْهِرِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ بِإِشَاعَتِهِ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَإِفْشَائِهِ، وَالدُّعَاءُ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي غَلَبَتِهِ عَلَى مَنْ عَانَدَ أَمْرَهُ الْعَالِي وَاسْتَيْلَاتِهِ.

(1) شطر بيت شعري لزرافة الباهلي، يقول فيه:

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَذْعَى لَهَا وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُذْعَى جُنْدُبُ

والبيت من الكامل. اللسان: «حيس».



فَإِنَّ عَبْدَكُمْ جَرَى عَلَيْهِ بِمَدِينَةِ كَذَا عِتْدَاءُ، وَالزَّمْ قَضَاءُ لِمَا يَلْزَمُهُ فِي السَّبِيلِ وَأَدَاءُ، وَذَلِكُمْ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ - أَنَّهُ يَسْكُنُ بِحَارَةِ الطَّرَامَةِ فَأَدَّى مَا عَلَيْهِ مَعَ جِيرَانِهِ، وَجَرَى فِي طَلْقِ التَّنَاصُفِ مَعَهُمْ وَمِيدَانِهِ. وَإِنَّ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا مِنْ تَجَارِ سُوقِ السَّمَاطِ كَتَبُونِي فِي جُمْلَتِهِمْ، وَالْحَقُونِي بِفَيْتِهِمْ، وَالزُّمُونِي ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ وَخَمْسِينَ دِينَارًا. وَعَبْدُكُمْ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ - لَمْ يَصْفُقْ قَطُّ فِي سُوقٍ، وَلَا كَانَ لَهُ مَعَ أَهْلِ السَّمَاطِ إِقْبَالٌ وَلَا لُصُوقٌ، وَقَدْ رَفَعَ عَبْدُكُمْ أَمْرَهُ إِلَيْكُمْ، وَعَرَضَهُ مُفَسَّرًا عَلَيْكُمْ. وَأَنْتُمْ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ - بَعْدَلِكُمْ الَّذِي سَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدِهِ، وَنَظَرَكُمْ الْمُؤَقَّ الَّذِي هُوَ عِتَادٌ لِمَنْ خِيفَ عَلَيْهِ وَعُدَّهُ، سَتُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ وَتَتَوَخَّوْنَ بِهَدَايَتِكُمْ رَدَّهُ. وَاللَّهُ لَا يُعِدُّ عَبْدَكُمْ مِنْكُمْ نَصْرًا عَزِيزًا تَجِدُونَهُ يَوْمَ مَعَادِكُمْ، وَتَتَّخِذُونَهُ عَمَلًا مَبْرورًا مِنْ جِهَادِكُمْ، فَإِنَّ قَمْعَ الظُّلْمَةِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا، وَأَسِيرَهَا إِلَى رِضَا اللَّهِ الْعَزِيزِ وَأَجْرَاهَا. مَدَّ اللَّهُ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَيَّامِكُمْ، وَعَقَدَ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ مَنْشُورَ أَعْلَامِكُمْ، وَشَكَرَكُمْ عَلَى تَحْقِيقِكُمْ بَرْدَ الْمَظَالِمِ وَاهْتِمَامِكُمْ بِمَنْهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ. وَلَهُ:

حَضْرَةُ الْإِمَامِ الْأَعْدَلِ الْمَلِكِ الْأَكْرَمِ الْأَفْضَلِ أَبِي يَعْقُوبَ بْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. أَقَامَ اللَّهُ مَنَارَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ بِيَقَائِهِ، وَأَدَامَ عَلَيْنَا رُوحَ الْإِنْتِصَافِ وَالْإِنْتِصَارِ مِنْ تَلْقَائِهِ. مَمْلُوكُهُ إِنْعَامِهِ، الرَّاعِبَةُ إِلَى اللَّهِ فِي اتِّصَالِ أَمْرِهِ الْعَزِيزِ وَدَوَامِهِ، فَلَانَةُ: سَلَامٌ عَلَى الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ وَالشَّيْخَةِ الْقُدْسِيَّةِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَكْفُ بِالْإِمَامِ الْمُقْسِطِ وَيَزَعُ، حَمْدًا يَقْتَضِي حُسْنَ الْفَعَالِ وَكَرَمِ الْمَصْنَعِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمُبْتَعَثِ بِالسَّنَا الْأَنْوَرِ وَالضِّيَاءِ الْأَسْطَعِ، وَنَرَضَى عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ رَضَى يَجِدُ كَرَامَتَهُ فِي الْيَوْمِ الْأَخْفَلِ وَالْمَشْهَدِ الْأَجْمَعِ، وَنَدْعُو لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَصْرِ عَزِيزٍ يَرُدُّ الْكَافِرِينَ وَالْمَارِقِينَ وَيَقْمَعُ، وَلِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْأَعْدَلِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ أَبِي يَعْقُوبَ فِي سُعُودِ جَمَّةٍ تَفْتَنُ ضُرُوبُهَا الْجَمَّةُ وَتَتَنَوَّعُ.



فَإِنَّ أَمَتَكُمْ رُمِيَتْ مِنْ زَوْجِهَا فَلَانٌ بِذَاهِيَةِ الدَّهْرِ، وَمُنِيَتْ مِنْ إِضْرَارِهِ بِقَاصِمَةِ الظَّهِيرِ، قَطَعَ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ مَجَالَهَا، وَحَشَدَ أَوْصَابَهَا الْمَقْطُوعَةَ وَأَوْجَالَهَا، وَصَيَّرَ الْخَوْفَ مِنْ هَجْمَةِ الضَّرْعَامِ حِجَالَهَا، لَجَّ فِي إِضْرَارِهِ عَلَى إِضْرَارِهِ، وَعَزَمَ عَلَى إِبَائِيَّتِهِ، تَرَكَ إِذَائِيَّتِهِ. وَقَدْ اضْطَرَّنِي بِمَا سَامَنِي مِنَ الْخُسْفِ، وَرَكِبَنِي بِهِ مِنَ الْعُنْفِ وَالْعُسْفِ، حَتَّى اخْتَلَعْتُ مِنْهُ بِكَثِيرٍ مِنْ مَالِي، وَرَضِيتُ الْعُدْمَ ثَمَنًا لِرِخَاءِ حَالِي. فَمَا أَجَابَنِي إِلَى مَطْلُوبِي، وَلَا أَسْعَفَنِي إِلَى مَرْغُوبِي.

وَعَدْلُكُمْ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَكُمْ - يَفْكُنِي مِنْ إِسَارِهِ، وَيَحُلُّ عُقْبِي مِنْ رِبْقَةِ اقْتِسَارِهِ؛ وَالشَّيْخُ أَبُو فَلَانٍ وَغَيْرُهُ مِنْ شُيُوخِ بَنِي فَلَانٍ - وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ - يَعْلَمُونَ أَمْرَنَا، وَيَخْبِرُونَ سِرَّنَا.

وَاللَّهُ لَا يُعِدُّ الْمَلْهُوفَةَ الْمُضْطَهَّدَةَ مِنْ نَظَرِكُمْ الْمُؤَيَّدِ بِالسَّدَادِ، وَرَأْيِكُمُ الرَّاحِمِ لِكَافَةِ الْعِبَادِ، مَا يَكْشِفُ بِأَسَاءِهَا، وَيَرْفَعُ عَنْهَا مَا سَاءَهَا، وَهُوَ جَلٌّ وَعَزٌّ يَعْمُرُ بِالْفُتُوحَاتِ النَّيِّرَةِ صَبَاحَ حَضَرَتِكُمُ السَّامِيَةِ وَمَسَاءَهَا، وَيُحَقِّقُ امْتِدَادَ أَيَّامِكُمُ السَّعِيدَةِ وَنِسَاءَهَا، وَالسَّلَامَ.

وَلَهُ:

الشَّيْخُ الْأَجَلُ الْفَقِيهُ الْأَعْدَلُ أَبُو فَلَانٍ. أَبْقَاهُ اللَّهُ يَحْفَظُ عَلَى الْإِيْتَامِ الضُّعَفَاءِ أَمْوَالَهُمْ، وَيَتَجَنَّبُ إِضَاعَتَهُمْ وَإِهْمَالَهُمْ، وَيَتَفَقَّدُ السَّاعَاتِ وَاللَّحْظَاتِ أَحْوَالَهُمْ. الشَّاكُونَ إِلَيْهِ مَا نَابَهُمْ مِنَ الْحَيْفِ وَالْهَضْمِ، الْمُتَمَلِّمُونَ لِأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ بِالْخَضْمِ وَالْقَضْمِ، الْإِيْتَامُ الصَّغَارُ بَنُو فَلَانٍ.

سَلَامٌ عَلَى الْفَقِيهِ الْقَاضِي، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. أَنْتُمْ - أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ - قَدْ مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ خَشْيَةً وَتَقْوَى، وَجَعَلَ زَكَاءَكُمْ أَرْسَخَ مِنْ هَضَابٍ يَذْبُلُ وَرَضْوَى⁽¹⁾، فَبَطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى، تَرَفُّعِ إِلَيْكُمْ شَكَاةَ مَلَأَتْ نُفُوسَنَا بَلْبَالًا وَخَبَلًا، وَإِنَّ فَلَانًا الَّذِي قَدْ مَتَمَّوْهُ لِلنَّظَرِ عَلَيْنَا، وَجَعَلَ الْمَنَافِعِ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ إِلَيْنَا، أَرْتَعْنَا مَرْتَعًا وَخِيمًا

(1) يذبل ورضوى: جبلان يقع الثاني منهما في بلاد بتهامة. الروض المعطار، ص: 269.



وَيْلًا، وَلَمْ يَفْعَلْ فِيمَا أَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ فِيهِ فَيَبِلًا؛ وَلَا نَعْرِفُ بَعْدَ مَبْلَغِ مَالِنَا وَلَا مُنْتَهَاهَا، وَلَا نَذَرِي أَذَنَاهُ وَلَا أَقْصَاهُ؛ وَإِنَّا أَمْنَا سَأَلْتُمِيرَانَهَا مِنَ الْهَالِكِ - فَلَانٌ - أَخِينَا، فَلَمْ يُرَاجِعْهَا شَرْحًا لِمَبْلَغِ مِيرَانِهَا وَلَا تَبْيِينًا. وَأَشَدُّ مَا نَخَافُهُ وَنَحْذَرُهُ، وَنُقَدِّمُهُ بِالذِّكْرِ وَنُصَدِّرُهُ، أَنَّ الْمَالَ الَّذِي عِنْدَهُ؟ لَمْ يَتَقَيَّدْ مَبْلَغُهُ فِي زِمَامٍ، وَلَا أَلَمَ بِالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ أَذْنَى إِنْجَامٍ، وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَحِينَ يَوْمُهُ، وَيُسَلِّمَهُ إِلَى رَمْسِهِ قَوْمُهُ، فَنَبْقَى عِنْدَ ذَلِكَ فِي عَمِيَاءٍ مُشْكِلَةٍ، وَدَهْمَاءٍ مُعْضَلَةٍ. فَاَنْظُرْ مِنَّا بِفِرَاسَتِكَ الصَّادِقَةِ وَالْمَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِكَ⁽¹⁾. وَيَجِبُ عَلَيْكُمْ إِطَالَةُ الْفِكْرِ وَتَحْدِيقِ النَّظَرِ، «فَلَوْ ضَاعَتْ شَأَةٌ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ لَسُئِلَ عَنْهَا عُمَرُ»⁽²⁾. وَنَحْنُ - أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ - تَحْتَ خَطَرٍ شَدِيدٍ، وَحُزْنٍ مُذِيبٍ لِلْحَدِيدِ، لِأَنَّ الَّذِي عِنْدَهُ الْمَالُ قَدْ أَوْعَدَ فِي خِدْمَةِ الْمَخْزَنِ، وَسَلَكَ مِنْهُ الْمَسْلُوكَ الْأَوْعَرَ الْأَخْشَنَ، وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يُنَاقَشَ حِسَابًا، وَيَنْسَابَ إِلَيْهِ أَرْقَمُ الْمَطَالِبِ انْسِيَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَذْهَبُ مَالُنَا بِرُمَّتِهِ، وَنُوكِلُ إِلَى اتِّبَاعِ أَمَانَتِهِ أَوْ ذِمَّتِهِ.

وَأَنْتُمْ - أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ - أَمْتَنُ دِينًا، وَأَصْدَقُ يَقِينًا، مِنْ أَنْ يُعَرِّضَ الذَّرِيَّةَ الضُّعْفَاءَ لِلتَّلَفِ، أَوْ يُحْمِلُونَ عَلَى الضَّيْمِ فِي حَالِ الْوَاهِيَةِ وَالْمُؤْتَلَفِ. أَيْدَ اللَّهُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ هَذَا الْمَالِ مِنْ هَذِهِ الْمَخَاوِفِ عَزْمَكُمْ، وَسَدَدِ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ فِي سَائِرِ النَّوَازِلِ سَهْمَكُمْ، وَقَرْنَ بِالْمَلِكَيْنِ قَضَاءَكُمْ بِالْقِسْطِ وَحُكْمَكُمْ؛ بِمَنْنِهِ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ.
وَلَهُ:

السَّيِّخُ الْأَجَلُ الْفَقِيهُ الْقَاضِي الْعَدْلُ أَبُو فَلَانٍ. أَبْقَاهُ اللَّهُ عُدَّةً مَذْخُورَةً لِلْإِيْمَانِ، وَأَوْجَبَ لَهُ بِصِيَامِهِ الْمُتَقَبَّلَ بِأَبِي الدِّيَانِ، وَقَمَعَ بِنَظَرِهِ الْمُوَفَّقِ كُلَّ بَاطِلٍ بَهْتٍ وَكُلَّ بُهْتَانٍ، الرَّافِعُونَ إِلَى عَذْلِهِ الشَّهِيرِ شَكْوَاهُمْ، الْمُخْلِصُونَ لَهُ - زَادَهُ اللَّهُ تَسْدِيدًا - دَعْوَاهُمْ؛ جَمَاعَةً أَهْلٍ كَذَا. نَعْرِفُ الْفَقِيهَ - أَدَامَهُ اللَّهُ - وَرَأْيُهُ نُورٌ يَأْتِلِقُ، وَسَيْفُهُ بِحَبْلِ

(1) فيه إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته». صحيح مسلم:

8/6. مسند الإمام أحمد 2/121.

(2) قوله مشهورة للخليفة عمر رضي الله عنه.



الله المَتِينُ مُعْتَصِمٌ مُعْتَلِقٌ. أَنْ فَلَنَا لَا يَزْعَى لَنَا جَوَارًا، وَلَا يُحْسِنُ فِينَا آثَارًا ...
... فَجَلَبَ إِلَيْنَا أَلِيمَ مَخُوفِنَا، وَفَطِيعَ مَخْذُورِنَا، وَيُخْرِجُ بِفَعْلِهِ الدِّمِيمَ بَاطِنَ صُدُورِنَا،
وَيَقْطَعُ بِالسَّيَاطِ ظَاهِرَ ظُهُورِنَا. وَعِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ مَعَ سُوءِ سِيرَتِهِ، وَقَبِيحِ سَرِيرَتِهِ،
مَنَاقِيرُ تُوجِبُ رَفْعَ يَدِهِ عَنِ الْعَمَلِ، وَالْحَاقَةُ بِالرَّعِيَّةِ الْهَمَلُ. وَمِنْ قَبِيحِ صَنِيعِهِ وَفِعَالِهِ،
وَاسْتِصْغَارِهِ لِلْمَشِيخَةِ وَاسْتِزْدَالِهِ؛ أَنَّ الشَّيْخَ الْفَاضِلَ أَبَا فَلَانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ نَكَهَ عَلَيْهِ ...
بَطْنِهِ رَائِحَةَ الْمُسْكِرِ، وَفَهُمْ مِنْ عِبَنَاتِ كَلَامِهِ، أَنَّهُ قَدْ سَكِرَ مِنْ قَهْوَتِهِ وَمُدَامِهِ، فَأَنْكَرَ
مَنْهُ ذَلِكَ الْفِعْلَ الدِّمِيمَ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ. وَقَالَ أَتَسْكُرُ فِي يَوْمٍ جَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا،
وَأَوْجِبَ لَهُ حَقًّا وَكِدًّا؛ فَقَالَ لَهُ غَيْرُ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُتَيْبٍ، أَنْتَ هُوَ الْمُذْمَنُ عَلَى شُرْبِ
الْمُسْكِرِ الْمُطْرَبِ. وَعَدْلُكُمْ -أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ- يَرْفَعُ أَذَاهُ، وَيُقْصِيهِ عَنَّا إِلَى حَيْثُ
أَبْعَدَهُ الْحَقُّ وَأَفْصَاهُ؛ وَاللهُ جَلَّ وَعَزَّ لَا يَعْدِمُنَا مِنْكُمْ نَصْرًا مُؤَرَّرًا عَلَى مَنْ اعْتَدَى،
وَيُنْفِقُكُمْ لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا لِلْهُدَى. بِمَنْهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

وَلَهُ أُخْرَى:

أَبْقَاهُ اللَّهُ، رَاحِمًا لِمَنْ اضْطَهَّدَ مِنَ الْعِبَادِ، مُؤَثِّرًا لِلتَّكْثُرِ مِنَ الْأَفْعَالِ الْبِرَّةِ وَالْإِزْدِيَادِ
لِلطَّوْلِ الْعَمِيمِ، فِي النَّظَرِ لَغَرِيبٍ وَحِيدٍ طَالَ سَجْنُهُ وَحَبْسُهُ، وَصَاقَتْ - لِمَا نَابَهُ مِنْ
قَوْلِ الزُّورِ عَلَيْهِ - نَفْسُهُ، وَأَنَا -أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ- رَجُلٌ أَعْرِفُ بِتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ
وَعَزَّ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ سَبِيلِ الْبِرِّ فِي سَدِيدِهِ وَقَوِيمِهِ، وَلَمْ أَزَلْ فِي عَافِيَةٍ تَدْفَعُ عَنِّي
الظَّنَّ، وَأَدْرِعُ مِنْهَا بِأَخْصَنِ دُرُوعٍ وَأَوْثَقِ جُنُنٍ⁽¹⁾. وَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي «السَّقَاطِينِ» لِيَبْغُضَ
شَانِي، وَلَا أَمُرُ أَهْمَنِي وَعَنَانِي، إِذْ رَأَيْتُ الْمُخْتَسِبِينَ، أَحْدَقُوا بِرَجُلٍ مِنَ الْحَدَّادِينَ،
وَجَدُوا عِنْدَهُ حَلَقَاتٍ⁽²⁾، رَعِمَ زَاعِمٌ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ أَنْ تُطْبَعَ بِهَا الدَّرَاهِمُ. فَلَمَّا سُئِلَ
ذَلِكَ الْحَدَّادُ عَنْ صَاحِبِهَا وَكُلِّفَ بِالتَّغْرِيفِ بِسَائِلِهَا مِنْهُ وَطَالِبِهَا، نَسَبَهَا إِلَيَّ
ظُلْمًا وَتَعَدِّيًا وَلَمْ يَتَرَفَّقْ، وَكَانَ كَالْغَرِيقِ بِمَا رَأَى يَتَعَلَّقُ، فَسَجِنَا جَمِيعًا، وَحُسْنًا عَاصِيًا

(1) الْجَنَّةُ وَتَجَمُّعٌ عَلَى جُنُنٍ: مَا يَقِي بِهِ الْفَارِسُ نَفْسَهُ مِنَ الْحَرْبِ.

(2) الْحَلَقَاتُ: قُرْطُ تَعْمَلُهُ النِّسَاءُ، وَيَكُونُ مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ أَوْ نَحَاسٍ، وَلَعَلَّ الْأَنْدَلُسِيِّينَ كَانُوا يَطْبَعُونَ الدَّرَاهِمَ مِنْ هَذَا النَّوعِ. وَمَا تَزَالُ الْكَلِمَةُ تَسْتَعْمَلُ فِي الْمَغْرِبِ بِهَذَا الْمَفْهُومِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.



وَمُطِيعًا. ثُمَّ إِنَّ نَظَرَكَمُ اقْتَضَى أَنْ يُطْلَقَ الْحَدَّادُ الْمَظْنُونُ الْمُتَّهَمُ، وَقَلِبَتْ عَلَيَّ دَعْوَاهُ
الْفَاجِرَةُ، وَخَلَّانِي عَاتٍ فِي نَدَمٍ.

فَأَزَعَبُ مِنْ طَوْلِكُمْ-أَعَزَّكُمْ اللهُ- أَنْ تَنْظُرُوا فِي أَمْرِي نَظَرَ مَنْ يَتَوَخَّى الصَّوَابَ
وَالسَّدَادَ، وَيَذْكُرُ إِذَا قَضَى قَضِيَّةً فِي رَعِيَّتِهِ الْمَعَادِ. وَاللهُ جَلَّ وَعَزَّ يَرْزُقُنِي عَلَى أَيْدِيكُمْ
الْعَالِيَةِ سَرَّاحًا مُعَجَّلًا، يُوجِبُ لَكُمْ ثَوَابًا مَذْخُورًا مُؤَجَّلًا. بِمَنَّهُ.

وَلَهُ:

لِلْفَقِيهِ الْقَاضِي أَبِي فَلَانٍ. أَبْقَاهُ اللهُ نَاطِرًا بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ لِمَنْ تَابَ وَأَقْلَعَ، وَأَنَابَ إِلَى
اللهِ جَلَّ وَعَزَّ وَرَجَعَ، الْفَضْلُ فِي أَنْ يَنْظُرَ لِطَالِبٍ مِنَّا طَالَ فِي السَّجَنِ الضَّيْقِ حَبْسُهُ،
وَطَالَعَهُ فِيهِ سُؤْمُهُ وَنَحْسُهُ، وَهُوَ مِمَّنْ يَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ يُعَلِّمُهُ، وَيَقْصِدُ الْبِرَّ وَيَتِمِّمُهُ،
وَقَدْ رُمِيَ بِإِفْكِ وَزُورٍ، وَاللهُ مُطَّلِعٌ عَلَى خَبَايَا الصُّدُورِ. وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ تَائِبٌ مِنَ الذُّنُوبِ
عَلَى الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ، وَمُسْتَغْفِرُ اللهِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ وَأَصِيلٍ، وَقَدْ عِيلَ⁽¹⁾ فِي الْحَبْسِ
الْمُنْكَلِ اضْطِبَّارُهُ، وَأَسْلَمَهُ قُصَّادُهُ وَزُورَاهُ. فَارْحَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ غُرْبَتَهُ، وَازْعُوا لَهُ
انْفِرَادَهُ وَوَحْدَتَهُ. وَقَدْ تَوَسَّلَ إِلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ الْعَزِيزِ فَافْكِرُوا وَسِيلَتَهُ، وَلْتَكُنْ رَأْفَتُكُمْ
وَرَحْمَتُكُمْ مُجِيرَتَهُ وَمُقِيلَتَهُ، وَاللهُ جَلَّ وَعَزَّ يُثْقِلُ بِهِذِهِ الْحَسَنَةِ مِيزَانَكُمْ، وَيُوجِبُ بِهَا
لَكُمْ رِضْوَانَكُمْ. بِمَنَّهُ، وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ:

الْفَقِيهِ الْقَاضِي أَبُو فَلَانٍ؛ أَبْقَاهُ اللهُ يُقِيمُ الْعَدْلَ مَنَارًا، وَيُبْقِي بِهِ لِلْقَضَاءِ فِي الصَّالِحِينَ
آثَارًا، يَنْظُرُ فِي مَلْهُوفَةٍ [سُيِّتَ قَسْرًا]، وَمِلَكْتِ عَنُودَةٍ وَأَسْرًا، وَذَلِكَ-أَدَامَ اللهُ
تَوْفِيقَكَ- أَنْ بَعْلِي فَلَانًا نَالَنِي بِغِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ، وَخَالَفَ أَبَا زَرَعَ⁽²⁾ فِي حُسْنِ عِشْرَتِهِ

(1) عيل: نفد ولم يعد يحتمل شيئاً.

(2) أبو زرع: أُلِفَ في حديثه القاضي عياض كتاباً سماه: «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من
الفوائد». انظر الحديث في الكتاب المطبوع.



[يَسْتَطِيلُ⁽¹⁾ عَلَيَّ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَلَا يُمَسِّكُ بِمَعْرُوفٍ وَلَا يُسَرِّحُ بِإِحْسَانٍ⁽²⁾؛ أَثَقَلْتُ مِنْ سُوءِ صُحْبَتِهِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا.... عَلَى حَسَبِ مَا مَضَى، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِخَيْرٍ مَا قَضَى، وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أَتَخَلَّى لَهُ عَنْ أَمْرِهِ بِالْأَلِّ، وَتَرَكْتُ مَا كَانَ لِي عَلَيْهِ مِنْ سَلَفٍ وَمَالٍ، فَأَبَى إِلَّا اشْتَطَاطًا، وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا انْسِحَابًا عَلَى مَالِي كُلِّهِ وَانْبِسَاطًا؛ وَالشَّيْخُ أَبُو فُلَانٍ وَأَبُو فُلَانٍ يَعْلَمَانِ مَا بَيْنَنَا، وَيُودَّانِ فِرَاقَنَا وَبَيْنَنَا.

وَأَنْتُمْ -أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ- وَجَعَلَ طَرِيقَ الْعَادِلِينَ الْمُفْسِطِينَ طَرِيقَكُمْ، تَفْكَونَ مِنْ إِسَارِهِ، مَنْ لَازَ بِاسْتِنْجَادِهِ. بَكُمْ وَانْتِصَارِهِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لَا يَعْدُمُنِي فِيكُمْ نَصْرًا وَظَفْرًا، وَيَجْعَلُ ذَنْبَ الْآيَامِ بِكُمْ مَمْحُومًا مُغْتَفَرًا، وَأَنَا أَكْثَرُ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا⁽³⁾.

وَلَهُ:

لِلْفَقِيهِ الْأَجَلِّ الْقَاضِي الْأَعْدَلِ أَبِي فُلَانٍ. أَبْقَاهُ اللَّهُ رَفِيعَ الْبُنْيَانِ بِنَظَرِهِ السَّيِّدِ، مَغْضُودِ الْقَضِيَّةِ بِالْمَعُونَةِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالتَّايِيدِ، الثَّوَابِ الْمُقْتَنَى، وَالْحَارِ الزَّادِ الَّذِي لَا يَفْنَى فِي الرَّفْقِ بِأَمْرِهَا رُمِيتُ بِالْعَظِيمَةِ وَالْأَفْكَ، وَأُلْغِيَ الْيَقِينَ فِي شَأْنِهَا وَأُعْمِلَ الشَّكَّ؛ وَقَدْ طَالَ سَجْنُهَا وَحَبْسُهَا، حَتَّى كَانَ السَّجْنُ قَبْرَهَا وَرَسْمُهَا، وَقَدْ حَدَدْتُمْ⁽⁴⁾ قَاضِي، فَأَرِيحُوا مَحَازِرِي وَمَخَاوِفِي. وَفِرَاسْتَكُمْ مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ الْوَاقِدَةِ تَسْتَمِدُّ، وَرُكْنَكُمْ فِي الْعَدْلِ وَالْقِسْطِ الرُّكْنَ الْأَوْثَقُ الْأَشَدُّ، فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا عَجَلْتُمْ سَرَاحِي، وَظَفَرْتُمْ سِهَامِي وَقِدَاحِي، وَرَفَقْتُمْ بِمَنْ ظَلَمْتُ وَاهْتَضَمْتُ، وَجُرَحْتُ بِالْإِفْكِ الصُّرَاحِ وَكَلِمَتِ⁽⁵⁾ وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لَا يُعْذِمُ الْمُسْكِينَةَ الْمَلْهُوفَةَ مِنْكُمْ، رَحْمَةً تَتَقَاضَى مِنْ اللَّهِ مِنَّةً، وَرَحْمَةً تُورِثُ الْجَنَّةَ.

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾. سورة البقرة، الآية: 227.

(3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿بِقَوْلِ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾. سورة الكهف، الآية: 34.

(4) تقصد بذلك أنه طبق عليهم الحد المعروف في الشرع.

(5) الكلْم: الجرح.



وَلَهُ:

الفقيه القاصي أبو فلان. سَدَدَ اللهُ آراءَهُ، وَتَكَنَّفَهُ بِالْعِصْمَةِ أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ، يَنْظُرُ فِي مَمْلُوكِيهِ فَلَانَةَ بِنْتُ فَلانِ الَّتِي لُوِيَتْ، بِحَظِّهَا مِنْ مِيراثِ أَبِيها وَمُطْلَتْ، وَسُكِتْ شُؤُونُ مَدَامِيعِها الذَّارِفَةِ وَأَهْطَلَتْ، فَإِنَّ زَوْجَ أَبِيها قَدْ اذَّعَتْ حَمَلًا لَا تُرْجَى وَلادَتْهُ، وَتَمَلَّكَتْ بَدْعَواها مَالَها وَخَدَّها إِفادَتْهُ، فإلى كَمْ - أَدَامَ اللهُ تَوْفِيقَكُمْ - يُضْغِي إِلى دَعَواها الَّتِي بَعُدَتْ عَنِ الْأَشْباهِ، وَقَلَبَ بِها غَرْبَ الْحَقِّ شَباهُ، فَبِالرَّغْبَةِ إِلَيْكُمْ - أَعَزَّكُمْ اللهُ - فِي أَنْ تَنْظُرُوا فِي شَأْنِها نَظَرًا يَضْحَبُهُ التَّوْفِيقُ، وَيُنْتَهِجُ لَهُ إِلى رِضا اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - سَبِيلٌ وَاضِحَةٌ وَطَرِيقٌ، وَعَسَى أَنْ تَأْمُرُوا - إِنْ رَأَيْتُمْ - بِتَوْجِيهِ النِّساءِ إِلَيْها وَالتَّكْرارِ بِالنَّظَرِ السَّديدِ عَلَيْها، وَلَا تُجْعَلْ كَزَوْجَةِ الْعَجْلاَنِ الَّتِي كَانَتْ قَدَّةً فِي زَمَانِها، وَخارجَةً عَنِ حُكْمِ لِداتِها وَأَقْرانِها، وَقَدْ تَمَلَّكَتِ الدَّارَ عَلَيْنَا، وَسَدَدَتْ سَهْمَ الإِذايَةِ إِلَيْنَا وَنَظَرَكُمْ الْمُوقِفُ يُنْطِلُ التَّلْبِيسَ، وَيَأْبَى التَّسْوِيفَ وَالتَّنْفِيسَ، وَيَنْظُمُ فِي سِلْكِ الإِصَابَةِ الْخَطِيرَ النَّفِيسَ، وَاللهُ جَلَّ وَعَزَّ يُسَدِّدُ أُنْحاءَكُمْ وَيُوقِّفُها، وَيُبْقِي أَنْوارَكُمْ، يُعْشِي الْعُيُونَ اللَّامِحَةَ مُشْرِقُها بِمَنِّهِ.

وَلَهُ:

نِعْمَةُ الْفقيهِ الْقاصِي الْأَجَلِّ الْأَعْدَلِ أَبِي فَلانِ وَعَبْدُهُ، الْمُتَكَنَّفَةُ عَلاؤُهُ الْباهرِ وَمَجْدُهُ، فَلانٌ سَلامٌ عَلَى الْفقيهِ. أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ عَلَى السَّراءِ وَالضَّراءِ وَالصَّلابةِ عَلَى مُحَمَّدٍ خاتِمِ الرُّسُلِ الْمُضْطَفِّينَ وَالْأَنْبياءِ، وَالرِّضا عَنِ الْإِمامِ الْمَهْدي رَضِيَ يُوجِبُ اللهُ لَهُ بِهِ دَرَجَةَ الصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ، وَالِدَعاءِ لِسَيِّدِنَا أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَصْرِهِ عَلَى جَميعِ الْمُنائِبِينَ وَالْأَعْداءِ، وَلِسَيِّدِنَا أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي يَعْقُوبَ فِي إِصْلاحِ أُمُورِ الْكَافَّةِ وَشُؤُونِ الدَّهْماءِ.

فإِنَّ نِعْمَتَكُمْ قَدْ بَلَغَ بِها الْأَدَبُ مُنتَهاهُ، وَعَرَفَ الْآنَ ما جَاءَهُ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ وَأَناءِ، وَقَدْ طالَ فِي السَّجَنِ الضَّيِّقِ حَبْسُهُ، وَعَزَبَ عَنْهُ حَرْمُهُ وَأُنْسُهُ، وَقَدْ اُنْسَدَ عَلَيْهِ حِصارُهُ، وَطالَعَهُ خَوْفُهُ وَحِذارُهُ؛ فَإِنَّ مَنَنْتُمْ - أَدَامَ اللهُ عَلاءَكُمْ - بِإِطلاقِهِ، وَسَرَّحْتُمُوهُ مِنْ السَّجَنِ وَضَيْقِ خِناقِهِ، اكْتَسَبْتُمْ أَجْرًا وَثِوابًا، وَفَتَحْتُمْ لِلْمَأْسُورِ الْحَبِيسِ إِلى الْفَرَجِ



الْعَاجِلِ بَابًا، وَإِنِّي تُبْتُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ تَوْبَةً نَّصُوحًا⁽¹⁾، وَبَعُدْتُ عَنْ خُلَّتِي الْأَوَّلِ هَرَبًا وَنَزُوحًا. وَسَأَصْلِحُ خَتْنِي⁽²⁾ صُلْحًا لَا يُنَوِّى بَعْدَهُ فَسَادًا، وَأَرْجِعُ عَلَى مَا كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّهَا تَأْلَفُ مِنِّي قَبْلَ ذَلِكَ وَتَعْتَادُ. وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ يُدِيمُ لِلْكَافَةِ نَفْعَكُمْ، وَيَصِلُ بِوَتَرِهِ فِي الْفَضَائِلِ شَفْعَكُمْ؛ بِمَنَّهُ.

وَلَهُ:

الْأَلَا تُدُّ بِالْفَقِيهِ الْقَاضِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، الرَّاجِي تَقَرُّبَ إِطْلَاقِهِ عَلَى الْكَرِيمَةِ يَدِيهِ؛ فُلَانٌ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَسْلَمَ لِقَضَائِهِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمَبْعُوثِ لِإِظْهَارِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَإِبْدَائِهِ، رِضَى يُبَوِّئُهُ اللَّهُ بِهِ فِي ظِلَالِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَأَفْيَائِهِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِظْهَارِ أَمْرِهِ الْعَزِيزِ وَإِعْلَائِهِ، وَلِسَيِّدِنَا الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي يَعْقُوبَ فِي اقْتِفَائِهِ بِالْأَيْمَةِ الْمُقْسِطِينَ وَاهْتِدَائِهِ.

فَإِنَّ عَبْدَكُمْ قَدْ طَالَ فِي السَّجَنِ الضِّيقِ مُكْنُهُ، وَاتَّصَلَ بِقَاوُهُ فِيهِ وَلَبَنُهُ، وَقَدْ بَرَّحَ بِهِ اسْتِيحَاشُهُ، وَتَعَطَّلَ تَصَرُّفُهُ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَمَعَاشُهُ، وَهُوَ لَمْ يَزِفْ عَلَيْهِ إِلَّا ضَرْبَ مَمْلُوكَةٍ لِرُؤُوحِهِ كَانَ إِلَيْهِ تَأْدِيبُهَا، وَيَبِيدُهُ تَخْصِيمُهَا لِلْخِدْمَةِ الصَّحِيحَةِ وَتَهْذِيبُهَا. فَإِنْ رَأَيْتُمْ -أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ- أَنْ تَمْنُوا عَلَيْهِ بِإِحْسَانِكُمْ، وَتَوْلُوهُ مَا يَعْهَدُ مِنْ أَفْضَالِكُمْ وَامْتِنَانِكُمْ، سَرَّخْتُمْ أَخِيذًا أَسِيرًا، وَيَسَّرْتُمْ صَعْبًا مِنْ اسْتِيحَاشِهِ وَإِظْلَامِهِ عَسِيرًا. وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ يُبْقِيكُمْ لِإِقَامَةِ حُقُوقِ، وَتَمَيِّزِ بَرٍّ مِنْ عُقُوقِ، بِمَنَّهُ؛ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُغَاوِرٍ الشَّاطِبِيِّ:

عَرَفَ اللَّهُ سَيِّدِي الْأَجَلَ يُمْنُ الشَّهْرِ الْمُعْظَمِ وَبَرَكَتَهُ، وَوَفَّقَ إِلَى حُسْنِ عِشْرَتِهِ فِطْرَةَ طَبْعِهِ وَمَلَكَتَهُ، وَجَهَّزَ بِسُرْعَةٍ مُدَّتِهِ دَوْرَ فَلَكَهِ وَحَرَكَتَهُ، وَأَخْطَاهُ بِالْإِسْتِيقَاقِ فِي مِضْمَارِهِ، وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ إِظْهَارِ صَدْقِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَإِضْمَارِهِ، وَرَسَمَهُ فِي مَنْ اِكْتَسَبَ التَّوْفِيقَ فِيهِ

(1) ينظر في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾. سورة التحريم، الآية: 8.

(2) ختن الرجل أصفهه سواء أكانت أم زوجته أم والدها.



اكتسابا، وصامه إيماناً واحتساباً⁽¹⁾، ونظمه في المنورين لمساجده، والانخراط في سلك رايحه وساجده، فشرع له من الأفراد الأعيان، لقبول بباب الديان، كما اختص بجزاء عمله الرحمن⁽²⁾ وشرف من الصيام على شرائعه الإيمان، فإنه سبحانه يقول: «عمل ابن آدم كله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»⁽³⁾، وفي تأويل هذا ما تحدد فيه العارفون، وخاص في العبارة عن صفته الواصفون، واستخرجت الغاصة في بحار العلم له جواهر الحكم وفرائدها، وضنت أن تهب إلا آحاد الفهماء الفذ فوائدها، فمن قائل إن هذا من نراه الصيام عن الرباء، في تصفية أعمال الأنبياء والأولياء، وذوو التصوف الألي نظروا إلى أرواح المعاني، واعتنوا في أنفسهم من شهواتها بفك الأسير العاني، تخطوا هذه المرقاة، مبالغة في الخشية والثقة، فقالوا إن العبد إذا أَرْضَى باريه، وصيق من الشيطان في دمه مجاريه، عطّل قوام جسمه، بصرم أضل عيشه وحسمه، واعتلق من الصمديّة، بنسبه، وتمسك بالعودة الوثقى من القرية، رقي بقلبه عن سائر أعضائه، فيما بحضرة القدس من مولاه في مولاة إرضائه، وهذا هو الصوم الذي يتأدى الصائمون من بابه، ويضرب للفوز عظيم سرادقاته⁽⁴⁾ وقبائه.

والله سبحانه ينظم الولي الأجل وإيائي في هذا السلك، ويخطيه منه باكسير السعادة وكيماي الملك، بمنه. ويجعلنا في من استشعر هذه التقوى، واعتصم من الحقيقة فيه بالحبلى الأقوى، بجوده ولطفه.

وهنيئاً له، -دام سرؤه- بتقريب صيف منه يستقره تلاوة القرآن، ويُسّرهُ بالرضوان والغفران، ويضجبه محفوظ الحُرمة، مرعي الذمة [ناصح] الجيب، داعياً له إذا تصرّم بظهر الغيب.

(1) مقتبس من الحديث الشريف: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له».

(2) يقصد بجزاء العمل ما جاء في الحديث الشريف: «عمل ابن آدم كله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»

(3) قول الكاتب «فإنه سبحانه يقول» ليس معناه أن الكلام الآتي قرآن، بل هو حديث قدسي مشهور.

(4) السراوق: ما أحاط بالبناء وجمعه سرادقات، وورد في الحديث ذكر السراوق أكثر من مرة، قال الشاعر:

هو المُدْخِلُ النُّعْمَانَ بَيْتاً سَمَاوُهُ صُدُورُ الْقُيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدِقِ

اللسان: سردق.



وَقَدْ اقْتَضَبْتُ هَذَا الْكَلِمَ تَحْفَةً أَهْدَيْتُهَا، وَنُكْتَةً لَا يَجِبُ عَلَيَّ الْمَلَامُ إِنْ أَبْدَيْتُهَا،
وَأَزَقَبْتُ لَهَا مَا يَقْتَضِيهِ كَرَمُ سَيِّدِي أَعَزَّهُ اللَّهُ مِنْ إِبْدَاءِ قَبُولٍ وَإِلْمَامِ رَسُولٍ، وَلَا جَرَمَ أَنْ
لِلْمَوَاهِبِ مَرَاتِبَ فِي الْحُقُوقِ وَمَذَاهِبَ، تَكُونُ فِيهَا الْمُكَافَأَةُ، وَيَقْتَضِي وَاجِبَهَا
الْإِنْصَافُ وَالْمُصَافَاةُ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ، لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَالسَّلَامُ.

رِسَالَةٌ أُخْرَى:

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْأَدِيبِ الْأَوْحِدِ أَبِي بَحْرِ صَفْوَانَ بْنِ إِدْرِيسَ رَحِمَهُ اللَّهُ الرِّسَالَةَ الَّتِي سَمَّاهَا
بِشَرِكِ الْعُقُولِ وَمَسْرَحِ الْأَنْسِ الْمَعْقُولِ. وَكَتَبَ بِهَا إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ بِمُرْسِيَةٍ، حِينَ
تَوَلَّى أَبُوهُ الْقَضَاءَ بِشَاطِبَةِ، وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا وَنَقَلَهُ مَعَهُ وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ عَامِ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ
وَخَمْسِمِائَةٍ:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانَنَا تَرَكْتُهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجَلُّوا لَيْلَةَ الظُّلَمِ⁽¹⁾

مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ سَنَّ الْفَضَائِلَ وَشَرَعَهَا، وَوَلَدَ أَبْكَارَ مَعَانِي السِّيَادَةِ وَاخْتَرَعَهَا، مِنْهُمْ
يُعَدُّ الْمَجْدُ التَّالِدُ وَالطَّارِفُ⁽²⁾ وَعَلَى أَجْسَادِهِمْ خُلِعَتْ مِنْهُ الْمَجَاسِدُ وَالْمَطَارِفُ⁽³⁾
أَرْضَعَتْهُمْ الْمَعَالِي مَا أَحَبُّوا مِنْ دَرَّةٍ وَغَلَّالَةٍ، وَأَخَذُوا إِخْذَهَا مِنْ غَيْرِ كَلَالَةٍ، فَطَارَ بِهِمْ
الذِّكْرُ فِي الْأَقْطَارِ، أَقْصَى الْمَطَارِ، وَصَارَ وَسَارَ، فِي الْأَفَاقِ، عَلَى الْوِفَاقِ، وَهَزَّ
التَّحَدُّثُ عَنْ أَنْبَائِهِمْ أَعْطَافَ الرُّكْبَانِ، هَزَّ النَّسِيمَ قُضْبَانَ الْبَانِ:

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي⁽⁴⁾

نَفَرَّ بِهِمْ انْتِظَمَ سِلْكُ أَنْسِي وَإِنْ تَمَيَّزَتْ فَهُمْ جِنْسِي، وَقَوْمٌ حَلَّ الشَّبَابُ فِي أَرْضِهِمْ
تَمَائِمِي، وَتَبَسَّمَتْ عَنْ زَهْرَاتِ الصَّبَا كَمَائِمِي، نَشَأْتُ فِيهِمْ وَلِيدًا وَلَيْثُ مِنْ عُمْرِي
سِنِينَ، وَأَعْرَسْتُ بِعَقِيلَةِ الشُّرُورِ بِمَا شِئْتُ مِنْ رِفَاءٍ وَبَيْنِ، لَمْ أَزَلْ يَبْنِيهِمْ أُمُتْطِي صَهْوَةً

(1) البيت من البسيط.

(2) التاليد من المجد التاليد: القديم وكذلك من المال. والطارف منها: الجديد المستحدث.

(3) المطارف: مفردا مطرف بالكسر، ومطرف بضم الهميم وهي أردية من خز مربعة لها أعلام.

(4) البيت من البسيط. وهو للعرندس الكلبي في حماسة أبي تمام وحماسة الأعلام 903/2.



الجدل ومطاه، وأخذ من جذعه ما أعطاه، إن عن لي مرتع فخصيب وإن رميت من غرض فمصيب، ظل الأني علي ممتد، وطرف الحسود عني كليل مرتد، وسري لا يروعه نفور، وأنا كأهل سباً من غير إغراض ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾⁽¹⁾.

فالسعد يخلق ما اشتهت ويفري، وأنا أنتهب الحسود بيناني وظفري ففي تلك الميادين برزت شاكا في ثياب أعزل، ومع تلك البلهنيات عرفت اللهو والغزل. فكمن لي بها من قيام وقعود، وينع ثمر وإيراق عود، وأيام طابت ورقت، وتملكت إصرار الهمم واسترقت، عثرت بها في ذيول الزهو، وسهوت ولم آخذ بالسجود من ذلك السهو⁽²⁾، فيها رجع جد الرقيب عاثراً لا يتعقب، وولى خائفاً يترقب⁽³⁾، كذلك حتى جد بالبين جدّه، وأبلى الزمان ما كان يجده، وهدم اليأس ما شده الرجاء، وأظلمت تلك الساحات والأرجاء، وما أرى إلا أن الزمان نظر بطرف غير، فقد تلك الخزعبلات قد السيور، ونفت لنا في عقده، وصرح بضميره ومعتقده، وناول الفريسة الأسد، وتعود بالله ﴿من شر حاسد إذا حسد﴾⁽⁴⁾ نادى على حين أجيب نداؤه، وحدا بحيث استمع حداؤه، وأنجز ما لم يتقدم له به وعد، وقال «بما أنكرت سعد»⁽⁵⁾ خلا له الجو فباص وصفر⁽⁶⁾ وأذنب فما وجد إلا من اغتفر، غصضت له الطرف وما أنا من نمر⁽⁷⁾ وبؤت

(1) سورة سبأ، الآية: 15.

(2) سجد السهو: يكون قبلها وبعديا ويسمى بالسجود القبلي أو البعدي.

(3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾. سورة القصص، الآية: 17.

(4) سورة الفلق، الآية: 5.

(5) مقتبس من قول الحطيفة وقد عكسه الكاتب:

وَتَعْدِلْنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ

وقد ضمن المثل ابن أبي الخصال في رسالة فقال: «وأنت تألوه بسروك نصحا، ولمبهم أبوابه فتحا وهو في تفضيله أمة لا يثنى ولا يجد وما قال إلا بالذي علمت سعد». رسائل ابن أبي الخصال، ص: 621.

(6) هذا تصرف في قول طرفة:

خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَيُضِي وَاضْفِرِي وَتَقْرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُقْرِي

(7) مقتبس من قول جرير:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبَا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا



وَمَا أَنَا بِالظَّالِمِ وَلَا الْعَادِي بِرُقْفَةٍ عُمِيرٍ، هَلَمَّ فَلَبَّيْتُ، وَأَمَرَ فَمَا وَنَيْتُ، انْقِيَادًا فِي زَمَامِهِ، وَصَمْتًا لَجَهْرٍ إِمَامِهِ، وَقُلْتُ:

هَلْ عَلِمْتَ يَا بَيْنُ مَنْ أَغْرَى بِي فَمَتَى مَا أَصِلُ الْأُنْسَ قَطَعُ
قَدْ نَأَتْ دَارِي عَنْ مُرْسِيَةٍ وَذَوِي وَدِّي فَفِيمَ الْمُتَّبِعِ
يَا غَرَابَ الْبَيْنِ شَاكِيَةً فَالَّذِي كُنْتُ تَشَكَّى قَدْ وَقَعَ
خُذْ وَدَعْ وَاعْرِفْ مَقَادِيرَ الْجَوَى وَالتَّفَتِ مَا تَحْتَ قَوْلِي خُذْ وَدَعْ⁽¹⁾

وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ بَرَقَ لَامِعٌ، أَوْ بَكَى سَحَابٌ هَامِعٌ، فَقُلْتُ وَقَدْ غَصَّتْ بِالْمَاءِ وَالنَّارِ الضُّلُوعُ وَالْمَدَامِعُ:

طَرِبْتُ كَذَلِكَ الْمُسْتَهَامَ طَرُوبٌ لِبَرَقٍ بِفُودٍ⁽²⁾ اللَّيْلِ مِنْهُ مَشِيبُ
فَشَانِي نِزَاعٌ وَادْكَارٌ وَأَنَّةٌ فَجُمْلَةُ حَالِي فِي الزَّمَانِ ضُرُوبُ
تَقَسَّمَنِي مَاءٌ وَنَارٌ لِمَدَمَعٍ وَقَلْبٌ، فَكُلِّي زَفْرَةً وَنَحِيبُ⁽³⁾
فَيَا بَرَقُ هَلْ تَرَوِي لِتُدْمِيرٍ⁽⁴⁾ بَعْدَنَا حَدِيثًا؟ فَيَسْتَجِدِّيهِ مِنْكَ غَرِيبُ
وَلَا فَلَا أَوْزَيْتَ زَنْدَكَ بَعْدَهَا وَلَا خَفَقَتْ فِي الْغَيْمِ مِنْكَ قُلُوبُ
أَتُدْمِيرُ هَلْ لِلْبَرَقِ مِنْكَ تَطْلُعُ؟ وَهَلْ لِنَسِيمِ الرِّيحِ مِنْكَ هُبُوبُ؟
وَهَلْ لِلْيَالِي عَوْدَةٌ بَعْدَ بَدَاةٍ فَتَغْفَرَ عَنْهَا أَوْ تُحَطَّ ذُنُوبُ
أَعْلَلُ نَفْسِي فِي حَدِيثِكَ بِالْمُنَى عَسَى مَا مَضَى عَنِّي عَسَاهُ يَوْوُبُ

(1) الأبيات من بحر المديد.

(2) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن، وفود الرأس: جانباً.

(3) الأبيات من بحر الطويل.

(4) تدمير: من كور الأندلس سميت باسم ملكها ويقصد بها مرسية.



وَأَسْتَعْطِفُ الْإِيَّامَ ففك تَطْلُعَا
عَلفك ... إِلَّا اسْتَطَارَ جَوَانِحف
وَقِفْل كَثفب لفس فثنف عِنَانهُ
لِف اللّهُ مَا لِلْأَنسِف لَمْ فذْنُ ظِلُّهُ
كَأَنَّ عَلفف أَنسِف رَقفبَا أَخَافُهُ
وَإِنْ كَان عَهْدف بِالسُّلُوكَمَا أَرَف
أَمَا وَأَبف إفسَاقَ إِنْ تَشُوقف
وَمَا كُنْتُ أَذرف قَبْلَ فَوْمٍ وَذَاعِف
ففَا أَرْضُ تُذمِف وَأَنْتِ اخْتَمَلْتِف
حُسَامٌ بِكَف الْأَرْفِفَةِ مُرْهَفٌ
فَلفس لْأَنسِف وَلَكِنْ لِمَ لَأَكْ
فَعَلَفِف مِّنَ السَّلَامِ مَا ففندف نُدُوءَ أَزْهَارِ الْكِمَامِ، بَوَافِف (3) الْغَمَامِ، ففغمُرُ أَبَاطِفِهُ
الْكَرْفِمَةِ وَرُبَاهُ، وَففخُصُّ هُنَالِكِ أَبَاهُ، وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

قَالَ أَبُو بَحرٍ صَفْوَانُ بِنُ إِذْرِفس رَحْمَةُ اللّهِ وَلَمَا أَنشَأْتُ هَذِف الرِّسَالَةَ أَسْمَعْتُهَا لِلْوَزفِرِ
الْكَاتِبِ الْأَعْلَفِ أَبِي بَكْرِ بِنِ مُغَاوِرٍ أَكْرَمَ اللّهُ مَثْوَاهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ نُزْلَهُ وَمَأْوَاهُ، فَتَلَقَّاهَا
رَحْمَةُ اللّهِ بِحُسْنِ الْإِضْغَاءِ وَاسْتَقْبَلَهَا، وَحفِنَ فَرَعْتُ مِنْهَا تَرَامفِ عَلفِ ففدَف فَقَبَلَهَا،
فَخَجَلْتُ خَجَلِ الْمُتَعَلِّمِ مِّنَ الْمُعَلِّمِ، وَسَأَلْتُهُ ففمَا ذَلِكَ فَقَالَ: «بَفِعَةُ الْمُعْتَرِفِ الْمُسَلِّمِ،
هَذِف واللّهُ مِمَّا ففجبُ أَنْ تُذَفِعَهُ، وَلَا تُضَفِعَهُ، وَواللّهُ مَا ففف الشَّرْقِ مِّنْ ففقدِرٍ عَلفِ هَذَا

(1) فرعوف: فرجع عن فففه وضلاله.

(2) الطنوب: مففردها طنوب وهف الحبال الفف تشد بها البفوت المصنوعة من الشعر وكذلك الخفام.

(3) وكف الدمع: سال غوفرًا وكذلك الغمام.



شَهَادَةٌ يَتَّبِعُهَا يَمِينٌ، مُعَقَّدُهَا لَا يَمِينٌ^(١) وَهَذِهِ الْأَرْبَعُ الْفِقَرُ نَصُّ كَلَامِهِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكَتَبَ أَبُو بَجْرٍ أَيْضًا مُرَاجِعًا:

سَلَامُ اللَّهِ يَخْتَصُّ بِهِ الْحَضْرَةُ الَّتِي تَغْسِلُ مِيَاهُ دِرَائَتِهَا مِمَّا بِالْدِّينِ مِنْ دَرَنٍ، وَيَقْتَصُّ عَدْلُهَا مِنَ الْبَازِلِ الْعَوْدِ لَابِنِ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرْنٍ^(٢)، وَيَقِيدُ انْتِصَارَهَا الْجَمَاءُ مِنْ مُنَاطِحَةِ الْأَقْرَنِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ تَتَوَالَى وَبَعْدُ: فَكَتَبَهُ الْعَبِيدُ عَنْ نَفْسٍ يَلْعَبُ بِهَا الْجَزَعُ لَعِبَ الْأَيَّامَ بِالْأَمَلِ^(٣) وَيُسِّرُّهَا بِمَا يُسِّرُ بِهِ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةٍ^(٤) فِي يَوْمِ الْجَمَلِ، وَتَارَةً تَرْتَبُطُ بِرَجَاءٍ فَضْلِكُمْ كَالصَّلَةِ بِالْمَوْضُولِ، وَتَمِيلُ مِنْهُ إِلَى ظِلِّ أَوْرَفَ مِنَ الشَّبَابِ وَأَطْوَلَ مِنْ كَيْلِ صُولِ^(٥)، وَسَبَبُهُ أَنْ بَيْنَ أَظْهَرِنَا نَشْأَةً مِنْ نَشَاتِ الْفُضُولِ وَالتَّكْلِيفِ، وَنَذْرَةً مِنْ نَذَرَاتِ التَّخْلِيصِ وَالتَّخْلُفِ يُقَدِّفُ بِسُخْنِهِ الْعَيْنِ، وَيُلْدَغُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ^(٦) قَدْ فُوقَتْ^(٧) مِنْ نَفْثَاتِهِ سِهَامٌ وَنَبْلٌ، وَحَاقَ بِالْأَعْرَاضِ مِنْ أَهَاجِيهِ وَصَبٌّ وَخَبْلٌ، وَمِثْلُهُ مِنْ سَفِيهِ، تَعَاطَى اسْتِسَادًا، افْتَرَشَ التُّرَابَ مِهَادًا وَالْجَنْدَلَ وَسَادًا، وَأَقْطَعَ جَزَاءً ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا^(٨) وَمَنْ اخْتَدَى حَذْوُهُ مِنْ مُبْدِيٍّ فِي الْفُجُورِ

(١) يمين الأولى: معناها القسم، والثانية معناها لا يحنث ولا يكذب.

(٢) فيه إشارة إلى قول جرير بن عطية:

وَإِبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ

شعراء الأعراب، ص: ٩٢.

(٣) مقتبس من قول الرصافي البلنسي في وصف غلام حائك:

جَذْلَانِ تَلْعَبُ بِالْمُخَوَالِكِ أَنْمُلُهُ عَلَى السَّدَى لَعِبَ الْأَيَّامَ بِالْدُّوْلِ

ديوانه، ص: ١٢٢.

(٤) ابن صفية هو الزبير ابن العوام وقاتله هو عمرو بن جرموز، وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار».

(٥) صول: اسم مكان قال فيه الشاعر:

فِي كَيْلِ صُولٍ تَنَاهَى الْعَرْضُ وَالطُّوْلُ كَأَنَّمَا لَيْلُهُ بِاللَّيْلِ مَوْضُولُ

(٦) يشير في ذلك إلى المثل المعروف: «المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين».

(٧) الفوق: السهام الساقطات النصول.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٣٥.



مُعَىء؁ جَدِىرٌ أَن تَشْرِقَ مِن دَمِهِ لَهَوَاتُ⁽¹⁾ الصَّعَىء؁ وَبُصَىبُهُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ⁽²⁾ أَوْ قَوْمَ هُودَ⁽³⁾ أَوْ قَوْمَ صَالِحَ⁽⁴⁾ وَمَا قَوْمُ لُوطَ⁽⁵⁾ مِنْهُ بِبَعَىءٍ⁽⁶⁾؁ وَمَنْ أَخَذَهُ مِنْ مُتَنَكِّبٍ طَرِىْقِ الْاَزْدِجَارِ؁ خَلِىْقُ أَنْ يُعَتَّفَ تَغْنِىفَ الْمَرْدَةِ الْفُجَّارِ؁ وَىْقَادَ إِلَيْهِ مَرْكَبُ الْجَذْعِ مِنْ مَرْبِطِ النَّجَّارِ؁ وَمَنْ اقْتَمَى أَثَرُهُ مِنْ نَابِذِ عِلْقِ الْاِقْصَارِ؁ مُسْتَدْعٍ أَنْ يَخْطُبَ عَلَى مَنْبَرِ الْمُثَلَّةِ خُطْبَةَ الْخَسَّارِ؁ وَىْمَثَلُ فِى مَشْهَدِ نَكَالٍ يَوْوُبُ بِالْمُتَعَامِى إِلَى الْاِبْصَارِ؁ وَتُحَكِّمُ فِى قَذَالِهِ⁽⁷⁾ شَفْرَةُ صَارِمٍ ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْفِهِ يَذْهَبُ بِالْاَبْصَارِ﴾⁽⁸⁾ وَىَا لَهَا مِنْ بُشْرِى تَقْتَرِنُ بِقَضَاءِ لَنَا سَعَىءٍ؁ وَقَدَّسَهَا اللَّهُ سَاعَةً نَرْفُهَا رِفَةً هِلَالِ الْعَىءِ ﴿وَمَا هِىَ مِنَ الْظَلَمِىنَ بِبَعَىءٍ﴾⁽⁹⁾ كَيْفَ نَضْحَى وَأَنْتُمْ ظِلُّ اللَّهِ فِى أَرْضِهِ؁ أَمْ كَيْفَ نَسْتَطِىلُ ذَلِكَ الْوَعَىءَ فَلَا يُجْمَعُ لَهُ بَيْنَ تَقَلُّ التَّنْكِىلِ وَفَرْضِهِ؁ حَتَّى يُحَازِىَهُ الْبَوَارُ وَىُوزَاىَهُ «وَمَنْ يَفْعَلِ الشَّرَّ لَا يَعْزِمُ جَوَازِىَهُ»⁽¹⁰⁾ وَالسَّلَامُ.

- (1) اللهوات: مفردا لهاة وهي ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم.
- (2) ىشىر إلى قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾. سورة الفرقان؁ الآية: 37.
- (3) ىشىر إلى قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ يَا عُنَيْنَا وَوَحِينَا وَلَا تُخْطِئْنِى إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾. سورة هود؁ الآية: 37.
- (4) ىشىر إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَنْصَلِحُ اِبْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْقَ فَأَصْبَحُوا بِدَارِهِمْ جَثْمِينَ﴾. سورة الاعراف؁ الايتان: 76-77.
- (5) سورة هود؁ الآية: 89.
- (6) من قوله تعالى: ﴿وَلَيْقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعَىءٍ﴾. سورة هود؁ الآية: 89.
- (7) القذال: جمال مؤخر الرأس من الإنسان.
- (8) سورة النور؁ الآية: 42.
- (9) سورة هود؁ الآية: 82.
- (10) مقتبس من قول الحطىئة:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْزِمُ جَوَازِىَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

لقد أخذه الحطىئة من بعض الكتب القديمة حيث قال الله فىما أنزله على داود عَلَيْهِ السَّلَام: «من يفعل الخير يجله عندى؁ لا يذهب العرف بينى وبين عبدى». العقد 1/ 227؁ 3/ 106.



وَلَهُ الرَّسَالَةُ الَّتِي سَمَّاها: «عُنْوَانُ التَّصْرِيحِ عَنِ الْوُدِّ الصَّرِيحِ وَمِيزَانُ التَّصْحِيحِ لِلْعَهْدِ الصَّحِيحِ»:

كَتَبَ بِهَا حِينَ صَدَرَ عَنْ مُرَاكَشٍ إِلَى مُرْسِيَةٍ فِي صَفَرِ سِتَّةٍ وَثَمَانِينَ، وَقَدْ اجْتَارَ عَلَى إِخْوَانِهِ بِالْجَزِيرَةِ فَجَدَّدَ بِهِمْ عَهْدًا ثُمَّ انْفَصَلَ إِلَى مُرْسِيَةٍ وَخَاطَبَهُمْ بِهَا وَجَمَعَ فِيهَا أَسْمَاءَهُمْ وَكَرَّرَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَوَّلًا، وَسَطًا، أَخِيرًا، حَتَّى يَرْتَفِعَ عَنْهُ الْحَجَلُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا قَالَ وَهِيَ هَذِهِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُقَدِّرِ الْأَقْدَارِ، وَمُيَسِّرِ الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾⁽¹⁾، بِيَدَيْهِ الْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ، وَبِأَمْرِهِ تُعْمَرُ وَتُكُونُ، وَتَقْفَرُ وَتُكُونُ، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽²⁾ حَكَمَ فَأَحْكَمَ وَقَدَرَ فَقَدَّرَ، وَقَضَى فَأَمْضَى، بِفِقْصَائِهِ تَحِنُّ إِلَى الْأَعْطَانِ، النَّيْبُ⁽³⁾، وَيَنْقَادُ الْأَبْيُّ فِي رِيقِهِ وَهُوَ جَنِيبُ⁽⁴⁾، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁽⁵⁾ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَرَسُولِ الْعِصْمَةِ وَشَفِيعِ الْأُمَّةِ، صَلَاةَ تَرْفَعُ دَرَجَةَ مُصَلِّيِّهَا لَدَيْهِ، وَتَسْعَى يَوْمَ الدِّينِ نُورًا تَامًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَضِي عَنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَكَبَ عَلَيْهِمْ مَاءَ الرَّحْمَةِ مِنْ سَحَابِهِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَنَ الْإِتِّصَالَ بِالْإِنْفِصَالِ، وَأَزْدَفَ عَلَى صُدُورِ الْبُكَرِ أَعْجَازَ الْإِصَالِ، فَبَيْنَا تَلْمَحُ مِنْ هَذِهِ لُجَيْنًا لَمَحَتْ مِنْ هَذِهِ ذَهَبًا، حَتَّى إِذَا كَرَّ الظَّلَامُ عَلَيْهِمَا ذَهَبًا، فَإِذَا كَانَ الزَّمَانُ فِي نَفْسِهِ يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا، وَيَبْقَى عَلَى حَالَةٍ أَوَانًا، فَالْمُسْتَقَرُّ فِيهِ يَقْتَفِيهِ، وَالْمُسْتَوْتُنُ يَخْتَارُهُ وَيَضْطَفِيهِ، فَلِكُلِّ لِقَاءٍ فِرَاقٌ، وَلِكُلِّ نِتَامٍ انْفِرَاقٌ، [وَمَنْ رَامَ

(1) سورة الرعد، الآية: 9.

(2) سورة يس، الآية: 81.

(3) النيب: النوق المسنة وأعطائها مكان إقامتها ومبركها.

(4) فرس جنيب: الفرس الذي يقاد بجانب آخر، ويطلق أيضا على الغريب من الناس.

(5) سورة هود، الآية: 88.



التَّرْحَالَ رَحَلَ] ⁽¹⁾ وَمَنْ اَزْتَحَلَ حَلَ، وَمَنْ شُدَّ لَنَا بَلَّغْنَا بِهِ الْمَحَلَّ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَبَلَ الْقُلُوبَ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ⁽²⁾، وَفَطَرَهَا عَلَى الْكَلْفِ بِمَنْ وَقَفَ عِنَانَ الْمُسَاعَدَةِ عَلَيْهَا، وَأَنَارَ بِشَمْسِ الْجِدِّ مَاءَ الْوَدَادِ، وَجَدَعَ بِيَدِ الْمُرَافَقَةِ أَتُوفَ الْأَضْدَادِ، مَوَارِدَ التَّأَلُّفِ عَذَابِ، وَالسَّمَاحَةَ رَحْمَةً وَالْفُرْقَةَ عَذَابِ، وَمِمَّا يُؤْذِنُ لِهَذَا الْفَضْلِ بِتَصَدِيقِهِ قَوْلُهُمْ «إِنَّمَا الْمَرْءُ بِصَدِيقِهِ» وَ«رُبَّ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ» ⁽³⁾، يَعْتَمِدُكَ بِالْمَبَرَّةِ وَيُؤْمُكُ، فَجَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَنْ زَرَعَ فِي أَرْضِ الْأُخُوَّةِ بَذَرَ الْوَفَاءِ، وَرَمَى بِمُحَصَّبٍ ⁽⁴⁾ الْمَوَدَّةَ جِمَارَ الصَّفَاءِ، وَشَكَرَ الْإِخْوَانَ الَّذِينَ يُصْبِحُ مِنْهُمْ إِلَى دَاعِي الْجِدِّ سَمِيعٍ، وَإِنْ أَضَحَّتْ أَجْسَامُهُمْ فِي الْوَدِّ شَتَى فَالْقُلُوبُ جَمِيعٌ، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ⁽⁵⁾ إِلَّا قَوْمًا تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ⁽⁶⁾ صَرَبُوا بِعَالِيَةِ السُّودِ قَبَابًا، وَارْتَقَوْا فِي صَرْحِ الْمَجْدِ فَلَبَّغُوا مِنْ سَمَاءِ النَّبَاهَةِ أَسْبَابًا، وَحَلُّوا بِالْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ⁽⁷⁾ حُلُولَ النُّجُومِ بِالْخَضِرَاءِ ⁽⁸⁾ فَسَارَتْ بِشَنَائِهِمْ شَوَارِدُ الْأَمْثَالِ، وَاحْتَدَّتِ الْمَعَانِي حُلَاهُمْ عَنْ مِثَالِ، سَادُوا وَالْدِّيَارُ بِأَهْلِهَا شَرِيقَةً، وَتَأَلَّقَتْ بِأَفْقِ الْكَمَالِ بُدُورُهُمُ الْمُسْرِيقَةَ، وَعَمَّرُوا حَزْنَ ⁽⁹⁾ السِّيَادَةِ وَسَهْلَهَا، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ ⁽¹⁰⁾، فَهَفَّتْ نَوَاسِمُ

(1) خرم بالأصل والصواب ما أثبتناه.

(2) مقتبس من الحديث النبوي الشريف: «جبلت النفوس على حب من أحسن إليها». وقد نظم بعض الشعراء الأندلسيين معنى هذا الحديث فقال:

أَسَاءُوا فَأَتَبَغَضْنَاهُمْ ثُمَّ أَحْسَنُوا عَلَيْنَا فَأَحْبَبْنَاهُمْ لَيْسَ ذَا بَدَعَا
تُحِبُّ الْقُلُوبُ الْمُحْسِنِينَ جِيلَةً وَتُبْغِضُ أَيْضًا مَنْ أَسَاءَ لَهَا طَبَعَا

الذيل والتكملة 6/ 295، والتعريف بالقاضي عياض، ص: 31.

(3) مثل عربي معروف، انظر زهر الأكم 3/ 36. وما قبله مثل معروف أيضا.

(4) الْمُحَصَّبُ: موضع رمي الجمار بمنى، وقيل هو الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى، ينال فيه ساعة من الليل ثم يخرج إلى مكة.

(5) سورة ص، الآية: 23.

(6) سورة البقرة، الآية: 272.

(7) مدينة أندلسية تسمى أيضا جزيرة أم حكيم. الروض المعطار، ص: 223.

(8) الخضراء: السماء لخضرتهما، صفة غلبت الأسماء وفي الحديث: «ما أطلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر».

(9) الحزن: ما غلظ من الأرض فارتفع وهو عكس السهل.

(10) سورة الفتح، الآية: 26.



نَوَاسِمُ حُلَاهُمْ بِعُطْفِ ثَبِيرٍ⁽¹⁾ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾⁽²⁾، صَدَرْتُ عَنْ مَرْتَعِي
لِشُؤُونِ عَنَّتْ، فَمَا عَنَّتْ⁽³⁾، وَقَضَايَا جَلَّتْ، فَجَلَّتْ⁽⁴⁾ فَوَرَدْتُ مِنْ جَوْهَرِ سَمَاءِ هُمْ
زَهْرُهَا⁽⁵⁾، وَرَتَعْتُ فِي رِيَاضِ أَخْلَاقِهِمْ زَهْرُهَا، فَكَأَنَّمَا فَارَقْتُ مَالِكَ بْنِ طَرِيفٍ⁽⁶⁾ إِذْ لَمْ
أَجِدْ مُوَاتِيَا، وَأَقَمْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا:

فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاهْتِبَالُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي⁽⁷⁾

فَكُنْ لِي فِي ذُرَاهُمْ مِنْ أَصِيلِ أَصِيلٍ⁽⁸⁾، وَعَشِيَّةَ مُوشِيَّةٍ، وَأَسْحَارٍ، كَالْأَسْحَارِ، وَأَيَّامٍ
كَالْأَعْيَادِ، وَلِكَيْلِ نَظْمُنَا دُرَرَهَا مِنْ الدَّهْرِ عَلَى أَجْيَادٍ، وَمَشَاهِدَ دَعْوَايَ فِي الْأُنْسِ بَعْدَهَا
«كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ»⁽⁹⁾ ثَكِلْتُ أَثَرَهَا وَعَيْنَهَا، وَسَعَى الدَّهْرُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، فَمَا كَانَ
إِلَّا أَنْ ذَوَى ذَلِكَ الزَّهْرُ، وَاحْتَكَمَ عَلَيَّ فِي فَقْدِهِ التَّغْلُبَ وَالْقَهْرُ:
وَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ⁽¹⁰⁾

(1) ثبير: هو أعلى جبال مكة وأعظمها وفيه تقول الشاعرة:

أَبْنَى لَا تَنْظِلُمُ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ
وَاحْفَظْ مَحَارِمَهَا بُنَى وَلَا يَغُرَّنْكَ الْغُرُورُ
وَاللَّهُ أَمَّنْ طَيْرَهَا وَالْعُصْمُ تَأْمَنُ فِي ثَبِيرَ

الروض المعطار، ص: 149، معجم ما استعجم 1/ 3345.

(2) سورة فاطر، الآية: 14.

(3) عنت: الأولى: معناها ظهرت. والثانية: أتعبت.

(4) جلت الأولى: معناها كانت عظيمة، وأما الثانية: فمعناها كشفت وأوضحت.

(5) النجوم الزهر: هي البيضاء اللامعة.

(6) مالك بن طريف: من قيس عيلان وهو جد جاهلي من الأجواد المذكورين. الأعلام 5/ 262.

(7) البيت من الطويل. وهو لأبي الهندي في مصادر عديدة منها الأمالي والسَّمَط.

(8) الأصيل الأولى: معناها العشي، والجمع أصل، وأصلان. والأصيل الثانية: معناها الثابت الذي لا يفنى.

(9) شطر بيت تمامه:

جَمَارٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ

(10) شطر البيت من الطويل، وهو لأبي صخر الهذلي وصدره:

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا



فَهَا أَنَا أَطْوِي الْفُؤَادَ عَلَى لَهَبِ جَمْرِهِ، وَأَقْتَدِي فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ وَأَمْرِهِ، بِمَا سَنَّ جَحْدَرٌ
فِي أُمِّ عَمْرِهِ⁽¹⁾، فَعَلَيْهِ مِنْ عَهْدِ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ، وَلِلْقَضَاءِ الْانْقِيَادَ وَالْاسْتِسْلَامَ، وَعَلَى
أَوْلَايِكَ الْإِخْوَانَ مِنْ أَرْجِ التَّحِيَّةِ مَا يُنَافِحُ مِنْكَ دَارِينَ⁽²⁾ وَيُكَاثِرُ رَمْلَ يَبْرِينَ⁽³⁾ وَلِلَّهِ دَرُّهُمْ
مِنْ جِلَّةٍ بِهِمْ أَرْتَبَطُ، فَاعْتَبَطُ، وَاسْتَنْصَرْتُ، فَاسْتَبَصَرْتُ، وَرُبَّمَا حَرَّكَتَنِي إِلَيْهِمْ أَيْدِي
الْحَيْنِ، فَتَصَرَّفْتُ مِنَ الْأَوْجَالِ فِي أَفَانِينَ، وَأَنْشَدْتُ بَيْنَ اسْتِعْبَارٍ وَأَيْنِ:

وَكَمْ لِي بِالْجَزِيرَةِ مِنْ خَلِيلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنِّْي مُجْتَلَاهُ
نَأَى عَنِّي فَلَا تَسْأَلُ بِحَالِي وَمَا طَرَفُ يُفَارِقُهُ سَنَاهُ
فَقَدْ أَنْحَى الْفِرَاقُ عَلَى وُجُودِي وَغَيَّرَ جُمْلَتَنِي إِلَّا هَوَاهُ
وَتُدْنِيهِ لِي الْأَشْوَاقُ حَتَّى كَأَنِّي حَيْثُ لَمْ تَخْضُرْ نَوَاهُ
فَمَا أَعْمَلْتُ طَرْفِي فِي مَكَانٍ لِفَرْطِ تَخِيلِي إِلَّا أَرَاهُ⁽⁴⁾

وَرُبَّمَا نَشِطَتْ بِإِيرَادِ أَسْمَائِهِمُ الْأَسْمَاعُ، وَمَالَ ذِكْرُهَا بِالْأَعْطَافِ كَمَا يَفْعَلُ السَّمَاعُ⁽⁵⁾،
وَنَاهِيكَ مِنْ ثَلَاثَةِ هُمْ أَثَافِي الرِّيَادَةِ، فَازُوا فِي الْمَكَارِمِ بِالْحُسْنَى وَزِيَادَةِ⁽⁶⁾ فَهُمْ كَأَيَّامِ
النَّحْرِ عِدْدًا وَمِقْدَارًا، وَكَأَنَّهُمْ الْجُورَاءُ تَأَلَّقَا وَمَدَارًا، فَالْفَقِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْقَاسِمِ، مَا
شَاءَ مِنْ رَاقِلٍ فِي سَنَنِ الْعُلِيَاءِ وَرَاسِمِ، وَالْفَقِيهِ أَبُو مُوسَى بْنُ نَادِرٍ، نَاهِيكَ مِنْ بَارِعٍ فِي
الْمَجْدِ وَنَادِرٍ، وَالْوَزِيرُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حُسُونٍ، حَسْبُكَ [مَنْ عِلْمٍ وَحَسْبِ مَضُونٍ] ثَلَاثَةُ هُمْ

(1) هو جحدر بن مالك الحنفي والإشارة إلى قوله:

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ آلَ عَمْرٍو وَإِنَّا فَذَلِكَ لَنَّا تَدَانِي
بَلَى وَتَرَى الْهَلَالَ كَمَا أَرَاهُ وَيَغْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي

(2) دارين: قرية في بلاد فارس اشتهرت بالطيب والمسك قال ابن حمديس يذكر طيبها:

فَمَا فَازَ بِالْمِسْكِ إِلَّا قَتَى تَيَمَّمْ دَارِينَ أَوْ دَارَهَا

(3) يبرين: اسم موضع يقال له رمل يبرين قال جرير:

فَقُلْتُ لِلرَّكْبِ إِذْ جَدَّ الْمَسِيرُ بِنَا يَا بُعْدَ يَبْرِينَ مِنْ بَابِ الْعَرَادِيسِ

(4) الأبيات من الوافر.

(5) السماع: يقصد به الغناء.

(6) سورة يونس، الآية: 26.



مَدَارُ الْأُنْسِ، كُلُّهُمْ كَالدَّرِّ فِي صُدُورِ الْحَسَانِ أَوْ كَالرَّضَابِ فِي الشَّفَاهِ اللَّعْسِ أَمَّا الْوَزِيرُ
الْحَسِيبُ أَبُو عَمْرٍو فَنَبَعَةُ الشَّرَفِ الصَّمِيمِ، وَزَهْرَةُ رَوْضَةِ الْحَسَبِ الْعَوِيمِ، نَشَاءُ رُقَاةِ
الْأَسْرَةِ وَالْمَنَابِرِ، وَجَذَعُ غَبَرٍ فِي وُجُوهِ الشَّرَفَاءِ الْأَكَابِرِ، شَرَفُ أَشْهَرٍ مِنَ الشَّمْسِ فِي
السَّمَاءِ، وَحَسَبُ كَاتِسَاقِ عِقْدِ النُّجُومِ فِي نَخْرِ [الظَّلْمَاءِ] ⁽¹⁾، وَخُلُقُ أُنْدَى مِنَ الزَّهْرِ
وَأَسْوَعُ مِنَ الْمَاءِ، إِلَى أَدَبٍ يَتَصَيَّدُ الْعُقُولَ، وَيَجْمَعُ الذَّاتِي وَالْمَقُولَ، وَعَلَى الْحَقِيقَةِ
فَلِمَثْلِهِ يَسُوعُ أَنْ يَقُولَ:

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
أَصْأَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَاقِبُهُ ⁽²⁾

وَأَمَّا الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ فَشَرُفَ بِقَوْمِهِ وَشَرُفَ بِهِ قَوْمُهُ ⁽³⁾ وَزَادَ عَلَى أُمْسِهِ فِي
الْفَضَاءِ يَوْمُهُ، لَهُ الْفِطْنُ وَالْمَعَارِفُ، الَّتِي تَتَنَكَّرُ أَمَامَهَا الْمَعَارِفُ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ مِنْ مَالِكِ،
لِعِنَانِ مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَأَحْسِنَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ، يُزَيِّفُ بِلَاغَةَ الصَّاحِبِ ⁽⁴⁾، وَأَكْرَمَ بِخَلَّتِهِ
مِنْ خَلِيلٍ، أَخَذَ الثَّنَا عَلَى أَعْلَامِ عِلْمِ الْخَلِيلِ ⁽⁵⁾، إِلَى وَقَارٍ لَا تُحُلُّ حُبَاهُ، وَصَوْنٍ لَا
يَتَسَنَّمُ الدُّنْسُ رُبَاهُ، وَسُودِدَ عَلَى رَغَمٍ مِنْ أَبَاهُ، أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ⁽⁶⁾ وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ
أَنْ يُشْبِهَ أَبَاهُ:

(1) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) البیتان للقیط بن زرارۃ، ونسبان لأبی الطمحن القینی، وروایتهم: «الذین عرفتهم، إذا مات منهم سید»،
الشعر والشعراء 2/ 600، الحیوان 3/ 93، أمالی المرتضی 1/ 275.

(3) عکس قول أبی الطیب المتنبی:

لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَزْتُ لَا بِجُدُودِي

(4) یقصد بالصاحب: الصاحب بن عباد وكان مشهورا ببلاغته وبیانه.

(5) یعنی: الخلیل بن أحمد الفراهیدی واضع علم العروض، وصاحب کتاب «العین» الذی اختصره
العالم الأندلسی أبو بکر الزبیدی، وحققه الأستاذ صلاح الفرطوسی.

(6) فیہ إشارة إلى بیت الشاعر رؤبة بن العجاج. وهو من الشواهد الشعریة لدى النحویین:

بِأَبِهِ أَقْتَدَى عُدَيٌّ فِي الْكَرَمِ وَمَنْ يُشَابِهُ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ

شرح الألفية للأشمونى 1/ 70.



وَرِثُوا السُّؤْدَدَ عَنْ آبَائِهِمْ ثُمَّ سَادُوا سُؤْدَدًا غَيْرَ زِمٍ⁽¹⁾
وَأَمَّا الْفَقِيهُ أَبُو مُوسَى فَلَهُ النَّبَاهَةُ الْبَارِعَةُ، وَالْمَعَارِفُ الْفَارِعَةُ، وَالْمَكَارِمُ الْمُبَادِرَةُ
الْمُسَارِعَةُ، حَسْبُ النَّدَامِ، بِأَخْلَاقِهِ مِنْ مُدَامٍ، وَبِالْفَاطِظِ مِنْ زَهْرٍ مُدَامٍ، إِلَى آدَابٍ غَضَّةٍ،
وَفَضَائِلٍ مُرْفَضَةٍ، وَمَسَاعٍ كَعَرَّتِهِ مُبَيَّضَةٍ، السَّمْوَالُ فِي وَفَائِهِ، لَيْسَ مِنْ أَكْفَائِهِ، وَالْكِنَانِيُّ
فِي آدَابِهِ، لَا يَتَعَلَّقُ بِأَهْدَابِهِ، جُمْلَةٌ فِي الْمَحَاسِنِ تَعْمُرُ طَيْرَ الْأَمَالِ وَكَوْنَهَا، وَيَتَمَنَّى مُخَيَّرٌ
أَنْ يَكُونَهَا:

لَوْلَا عَجَائِبُ صُنْعِ اللَّهِ مَا ثَبَّتَتْ تِلْكَ الْفَضَائِلُ فِي لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ⁽²⁾
وَلَمَّا اتَّصَلَتْ بِصُخْبَتِهِمْ اتَّصَالَ ذِكْرُ اللَّهِ بِاللِّسَانِ، وَتَمَلَّكَونِي بِعَمِيمٍ بِرَّهِمْ تَمَلَّكَ
الْإِنْسَانُ بِالْإِحْسَانِ، حَدَقَ إِلَيَّ الدَّهْرُ حَسُودًا، فَأَحَالَ بِيضَ أَمَالِي سُودًا، وَلَمْ يَزَلْ
يُذَكِّي فِي عِلْمِ الْبَغْيِ نَارَ الْحِقْدِ، وَيُطَارِحُ صُرُوفَهُ عَلَى نَثْرِ ذَلِكَ الْعِقْدِ، إِلَى أَنْ شَمَرْتُ
ذَيْلًا، وَادَّرَعْتُ لَيْلًا، وَشَدَدْتُ عَنْ أَرْضِهِمْ رِحَالَ الْجِدِّ، وَنَشَرْتُ لِلطَّيْرَانِ عَنْ جَوْهِمْ
جَنَاحَ الْمُجْدِّ. وَلَمَّا أَزِفَتْ آزِفَةُ الْوَدَاعِ، وَوَضَعْتُ الْقَلْبَ عَلَى يَدَيَّ عِذْلٍ مِنْ
الْإِنْصِدَاعِ، قُلْتُ لِلدُّمُوعِ «هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زِمٍ»⁽³⁾ وَأَيْنَ مَا كُنْتُ تَتَعَاطَيْنِ مِنْ
مُسَاجَلَةِ الدَّيْمِ، وَاقْتَعَدْتُ ظَهَرَ سَفَرِي، وَقُلْتُ لِلْحَوَادِثِ:

[خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُضِي وَاضْفِرِي]⁽⁴⁾

(1) البيت من بحر الرمل وهو لطرفة بن العبد

(2) البيت من البسيط وهو فيه قصيدة طويلة لابن الرومي، مطلعها:

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ هِنْدًا آخِرَ الْحَقْبِ عَلَى اخْتِلَافِ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَالْعُقْبِ

ديوانه 1/ 196، تحقيق حسين نصار.

(3) مثل: قاله الحجاج على المنبر، وزعم الأصمعي أن زيم في هذا الموضع اسم فرس، ونسبه بعضهم إلى
شريح بن ضبيعة من بني قيس بن ثعلبة الذي قال:

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زِمٍ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ

شرح التبريزي للحماسة 1/ 118. سمط اللآلي، ص: 729.

(4) شطر بيت لطرفة بن العبد قاله في صباه وتمتته:

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُضِي وَاضْفِرِي



وَأَرْهَفِي سَهَامِكَ وَحَدِّدِي وَعِيشِي جَعَارٍ⁽¹⁾ وَبَدِّدِي، وَانْطَبَعْتُ سَهْمًا فِي قَوْسِ النَّوَى، وَنَبَذْتُ عَلَقَ ذَلِكَ الْأُنْسِ نَبَذَ النَّوَى، وَوَدَّعْتُ بَعْضَ أَوْلَايِكَ الْعَلِيَّةِ وَالْدُّمُوعُ تَخْضِبُ الْخَدَّ مِنَ الْوُلُوعِ، وَمَصَارِعُ الْأَنْفَاسِ تَعْصِفُ بِالضُّلُوعِ، وَاتَّفَقَ أَنْ شَيَعَ الْوَزِيرُ أَبُو عَمْرٍو عَلَى بَعْضِ الطَّرِيقِ، وَأَمْتَعَ بِمُجَادِبَةِ غُصْنِ أُنْسِهِ الْوَرِيقِ، حَتَّى إِذَا وَدَّعَ وَانْصَرَفَ، وَأَقَرَّ الْفِرَاقُ بِغَضَبِ قَلْبِي وَاعْتَرَفَ، أَنَّكَ ذَلِكَ الْخَلِيطُ مِنْ أُنْسِي مَا عَرَفَ، وَقَالُوا «نَرَى الْمِسْمَعَ وَلَا نَرَى شَفْهَهُ»⁽²⁾ وَهَذَا قَصِيرٌ فَأَيُّ أَمْرِ جَدَعَ أَنْفَهُ⁽³⁾ مَا بَالُهُ انْزَوَى إِبْقَالُهُ، أَنْبَأْ دَهَاهُ، أَمْ عُجِبْ أَزْدَاهُ، فَطَوَّرَا يَخِيطُونَ فِي تَخِيلِ أَمْرِ الْعَشْوَاءِ، وَيَسْتَشِيرُونَ فِي ظَلَمِ الْإِبْهَامِ الْأَضْوَاءِ، وَتَارَةً يَخْمِلُونَنِي عَلَى عَلَاتِي، وَيَعْتَدُونَهَا مِنْ خَزَعَلَاتِي أَمَّا لَوْ وَدَّعَ وَخَدَّهُ الْأَحْسَبُ وَكَفَى، وَأَقَامَ عَذَرَ النَّاطِرِينَ عَلَى أَنْ وَكَفَا، فَكَيْفَ وَهُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةِ أَمْجَادٍ أَلْفَتْهُمْ أَلْفَةً الْعَاتِقِ لِلنَّجَادِ، وَتَزَمَلْتُ⁽⁴⁾ مِنْ بَرِّهِمْ وَحُبِّهِمْ فِي بَجَادٍ⁽⁵⁾:

إِنَّ الْغَرَامَ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقٍ⁽⁶⁾

فَمَا زَالُوا يُخِمُّدُونَ وَيُوقِدُونَ، وَيُسَلِّمُونَ وَيَتَّقِدُونَ، وَأَنَا أَسْتَهْدِي الشُّوقَ إِمَامًا، حَتَّى صَيَّرْتُ خَلْفِي أَمَامًا:

تَرَحَّلْتُ عَنْهُمْ لِي أَمَامِي عَشْرَةٌ^{*} وَعَشْرٌ وَعَشْرٌ بَعْدَهَا مِنْ وَرَائِيَا⁽⁷⁾

(1) هذا من قول بعضهم:

فَقُلْتُ لَهَا عِيشِي جَعَارٍ وَبَدِّدِي بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدْ الْقَوْمَ نَاصِرُهُ

الخزانة 2/ 424.

(2) الشنف: ما يلبس في أعلى الأذن وهو يشبه القرط. وهو مثل مذكور في كتب الأمثال.

(3) فيه إشارة إلى المثل المعروف: «لأمر ما جدع قصير أنفه». مجمع الأمثال 2/ 196.

(4) تزمّل: تغطى.

(5) البجاد: الكساء.

(6) البيت من الكامل، وهو من قصيدة طويلة لابن الرومي مطلعها:

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعُشَّاقِ فَكَفَاهُمْ بِالْوَجْدِ وَالْأَشْوَاكِ

ديوانه 4/ 1662.

(7) البيت من الطويل.



وَسِرْتُ أَحْمِلُ أَنْفَاسَ الصَّبَا حَقَائِبَ الْوَجْدِ، وَأَتَمَّتْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ⁽¹⁾ وَأَكْتَفِي
بِالْكَرِيمَتَيْنِ مَرَادًا، وَأَفْنَعُ بِزَادِ الضَّبِّ زَادًا، إِلَى وَادِ أَرَهُ⁽²⁾ وَصَلْنَاهُ وَالشَّمْسُ قَدْ
عُضِفَتْ أَبْرَادُهَا، وَدَنَا فِي الْعَيْنِ الْحَمِيَّةِ إِبْرَادُهَا⁽³⁾ وَلَمَّا حَلَلْنَا بِهِ، بَيْنَ ظُفْرِ التَّوْحُشِ
وَنَابِهِ، تَذَكَّرْتُ يَوْمَنَا الَّذِي صَفَتْ مَنَاهِلُهُ مِنْ كَدْرِ الزَّمَانِ، وَقَرَعَ الدَّهْرُ سِنَّ النَّدَمِ عَلَى
بَذْلِ أَغْلَاقِهِ الثَّمَانِ، وَكَيْفَ قَلْنَا فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرِ، وَتَحَمَّلْنَا عِبَاءَ الْإِيَابِ مِنْ غَيْرِ
ضَجَرٍ، وَكَيْفَ خَيَّمَ الْقَمَرَانِ بِأَفْقِ ذَلِكَ السَّيْفِ، وَجَلَبَا اغْتِدَالِ الرَّيِّعِ إِلَى انْحِرَافِ
الصَّيْفِ. وَاعْتَبَرْتُ بَأَنِّ أَطْبَقَ الدَّهْرُ عَلَى أَكْمَامِهَا سُدْفَةَ الْحِمَامِ، وَتَرَكَ الْآخَرَ يَغِي
بِأَمْرِهِ عِيَّ الْحَمَامِ، وَمَا لَهُ عُودَانِ مِنْ نَشْمٍ وَلَا آخِرُ مِنْ ثَمَامٍ⁽⁴⁾ فَوَقَفْتُ أَنْضَحُ الْكَفَّيْنِ
عَلَى الْجَوَانِحِ، وَأَتَذَكَّرُ فِي هَجِيرِ الْبَوَارِحِ ظِلَّ السَّوَانِحِ، وَأَكِنُّ مِنَ الْوَجْدِ مَا غَايَهُ
الشُّكْلَى أَنْ نُكَيِّتَهُ، وَأَقُولُ «فُبْحَا لَوْجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ»، وَأَتَرَدَّدُ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ تَرَدُّدًا
هُوَ عَاقِبُ الْعَهْدِ بِهَا وَخَاتَمُهُ، وَأَقِفُ وَفُوفَ «شَحِيحِ ضَاعَ فِي التُّرَابِ خَاتَمُهُ»⁽⁵⁾ وَيِنَا أَنَا
أَتَعَهَّدُ مَوَاطِئَ تِلْكَ الْأَثَارِ بِالتَّقْبِيلِ، وَأَقُولُ هَلْ إِلَى مَوَدَّتِهِ مِنْ سَبِيلٍ، سَنَحَ لِي أَنْ قُلْتُ
عَلَى أَنِّي لَا أَعْرِفُ دَبِيرًا مِنْ قَبِيلٍ⁽⁶⁾:

أَيِّنْ أَيَّامُنَا اللَّوَاتِي تَقُضْتُ إِذْ زَجَرْنَا لِلْأَنْسِ أَيَّمَنْ طَيْرِ
وَائْتِلَافِ عَهْدَتُهُ مِنْ كِرَامِ سَارَ صَرْفُ النَّوَى بِهِ أَيَّ سَيْرِ

(1) سبقت الإشارة إلى البيت الشعري الذي يشير إليه صفوان وهو:

تَمَّتْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ

(2) وادي أَرَهُ: من الأودية المشهورة في الأندلس انظر. معجم البلدان 1/ 52، العذري، ص: 120-182،
وفي جذوة المقتبس رسمه «آر»، كما أن ياقوت الحموي ذكره تحت مادة: «باره» ونطقه بالإسبانية
GUADIARO.

(3) سبقت الإشارة إلى ذلك.

(4) النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسي وهو من عتق العيدان. والثمام: نبت معروف في البادية لا تشتهيه
الأنعام إلا في وقت الجذب.

(5) في قول المتنبي:

بَلَيْتَ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَفُوفَ شَحِيحِ ضَاعَ فِي التُّرَابِ خَاتَمُهُ

(6) سبقت الإشارة إلى ذلك؛ وشرح لا الرأي القبيل والديبر.



شَعَبَ الدَّهْرُ شَمْلَهُمْ بَعْدَ جَمْعِ رُبَّ نَفْعٍ أَزَالَهُ حُكْمُ ضَمِيرٍ
حَكَمَ الْبَيْنُ فِي مَنَاهُمْ فَقَضَوْا لِاخْتِكَامِ الْفِرَاقِ طَرْفَ نَمِيرٍ⁽¹⁾
فَتَكَ الْحُبُّ فِي سُلوَى عَنْهُمْ مِثْلَ فَتْكِ الْحَجَّاحِ بَابِنِ جُبَيْرٍ
لَيْسَ لِي غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُنْسِ إِنْسٌ يَأْتُرِي هَلْ لَهُمْ هُنَالِكَ غَيْرِي
كُلَّمَا مَرَّ ذَكَرُهُمْ قَالَ قَلْبِي: ذَكَرَ اللَّهُ مَنْ ذَكَرْتَ بِخَيْرٍ⁽²⁾
مَا زِلْتُ أُعِيدُ الْأَبْيَاتَ وَأُكْرِّرُهَا، وَأُثَبِّتُ سِهَامَهَا فِي قَرَاطِيسِ الْأَسْمَاعِ وَأُقَرِّرُهَا،
حَتَّى أَقْطَعْتُ نِيَامًا، وَحَشَدْتُ لِلْوُمِيِّ فِتَامًا⁽³⁾ فَطَوَّرَا يَذْمُونَ مَعِيَ الْقَرَارَ، وَأَوْنَةً يُحْكَمُونَ
الْإِضْرَارَ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»⁽⁴⁾.

أَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَى لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ شُهُورٌ⁽⁵⁾
فَقَطَعْتُهَا لَيْلَةً تَبَرَّأَ فِيهَا الْحُبُّ مِنَ الْمَيْنِ، وَكَأَنَّمَا عَارَضْتُ لَيْلَةً زِيَادَ بِالْجُمُومَيْنِ⁽⁶⁾،
حَتَّى عَبَثَ الْإِنْسَامُ بِالْوُجُومِ، وَفَاضَ نَهْرُ الْفَجْرِ عَلَى حَضْبَاءِ النُّجُومِ، فَأَطْلَقْنَا أَيْدِي
الْمَطِيِّ مِنْ سِنَةِ السُّكُونِ، وَحَرَكْنَا مِنْهَا مَا كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى السُّكُونِ، وَسَرْنَا لِدَوَاعِي
الْإِنْحِفَازِ غَيْرَ مُخَالِفِينَ، وَتَرَكْنَا الْكَسَلَ يَقْعُدُ مَعَ الْخَالِفِينَ إِلَى مَرْبَلَةٍ⁽⁷⁾ وَصَلْنَاهَا وَالْعَشِيَّةُ

(1) يشير إلى قول الشاعر:

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَغَبَا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابَا

وقد سبقت الإشارة إلى صاحب البيت.

(2) الأبيات من الخفيف يشير إلى ما كان من قتل الحجاج للتابعي الجليل سعيد بن جبير، ترجمته في
وفيات ابن خلكان.

(3) الفتام: الجماعة من الناس قال الشاعر:

كَأَنَّ مَجَامِعَ الرِّبَلَاتِ مِنْهَا فِتَامٌ يَنْهَضُونَ إِلَى فِتَامٍ

(4) حديث شريف مشهور ومتداول.

(5) البيت من الطويل، والبيت لأعرابي رواه الأصمعي.

(6) زياد هو النابغة الذبياني، والإشارة إلى قوله:

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُمُومَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكِنًا وَظَاهِرًا

(7) مريلة: مدينة أندلسية مشهورة.



تَجُودُ بِذِمَائِهَا، وَذَكَاءُ تَشْحَطُ فِي دِمَائِهَا فَتَزَلُّنَا بِهَانَعَالِجُ آلَامِ الْأَشْوَاقِ، وَنُصَارِحُ ذَوَاتِ
الْأَطْوَاقِ، وَلَمَّا طَرِبَ طَائِرُ الْأَسْحَارِ.....فَوَقَعَ بَيْنَ الْأَكْرِيَاءِ
وَالْتَّجَارِ، مَا يَقَعُ بَيْنَ الْمُتَنَافِسِينَ مِنَ الْاِسْتِجَارِ، فَذَهَبْتُ أَصْلِحُ بَيْنَهُمْ ﴿وَالصِّلْ خَيْرٌ﴾⁽¹⁾
فَكِدْتُ أَفُوزُ مِنْهَا بِالْحِمَامِ لَا غَيْرَ، وَلَمَّا اضْطَرَمَّتْ نَارُ الْعَجِيجِ، وَتَارَ دُخَانُ الضَّجِيجِ،
انْبَرَى أَحَدُ الْأَكْرِيَاءِ إِلَيَّ وَخَرَّقَ الْإِرَارُ عَلَيَّ وَأَقْسَمَ بِقُوَّةِ فُسْقِهِ وَضَعْفِ دِينِهِ لِيَجْلِبَنَ إِلَيَّ
الرَّدَى مِنْ دِينِهِ الرَّدَى مِنْ مِيَادِينِهِ، فَأَبْرَمْتُ لِلرَّحْلَةِ أَمْرَاسِي⁽²⁾ وَأَنْشَدْتُ: «إِنْ حَظِي مِنَ
الْغَنِيمَةِ رَاسِي»، وَخَلَعْتُ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ، «وَقُلْتُ: لَا نَاقَةَ لِي فِيهَا وَلَا جَمَلَ⁽³⁾ وَنَبَذْتُ
أَوْ لَا تِلْكَ الْمُزَافِقِينَ»، إِذْ لَمْ يَكُونُوا مُوَافِقِينَ، وَسَرْتُ لَا حَادِيَ إِلَّا الْعَزِيمَةَ، وَلَا جُنَّةَ إِلَّا
الْهَزِيمَةَ، وَلَا دَلِيلَ إِلَّا السُّوَالَ، وَلَا مَنَهْلَ إِلَّا الْآلَ. وَاعْتَرَلْتُ عَنْ تِلْكَ الْأَنْشُوطَةِ اعْتِرَالًا،
وَخَلَوْتُ جَبَانًا بِتِلْكَ الْأَرْضِ وَلَمْ أَطْلُبْ طَعْنًا وَلَا نِزَالًا⁽⁴⁾، وَانْبَرَيْتُ أَسْتَدِرُّ النَّجَاءَ،
وَأَطْوِي بِقَدَمِ الرَّوْعِ تِلْكَ الْأَرْجَاءَ:

كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءُ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَاءَ وَيَفْعَلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُغْبًا⁽⁵⁾

كَذَلِكَ حَتَّى فَاضَ عَلَى لُجَيْنِ ذَلِكَ الْيَوْمِ نُصَارُهُ، وَدَنَا بِحُكْمِ اللَّيْلِ اخْتِصَارُهُ، إِلَى
مَالِقَةٍ⁽⁶⁾ وَصَلَتْهَا فَمَا خَلَعْتُ نَعْلِي لِلاِسْتِقْرَارِ بِطَوَاهَا، وَلَا أَصَخْتُ لِسِرِّ الدَّعَةِ نَجْوَاهَا،
حَتَّى نُوْمِي إِلَيَّ أَنَّ صَاحِبَهَا الْفَقِيهَ أَبَا بَكْرٍ عَتِيقَ بَنِ عَمِيرَةَ⁽⁷⁾ أَدَامَ اللَّهُ فِي السَّلَامَةِ وَالْكَرَامَةِ

(1) سورة النساء، الآية: 127.

(2) الأمراس: الحبال التي تربط بين الدواب وغيرها قال الشاعر:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

(3) مثل يضرب للذي ليس له في أمر ما أي دخل. وقد ذكره الراعي في شعره فقال:

وَمَا هَجَزْتُكَ حَتَّى قُلْتُ مُغْلَبَةً لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ

(4) هذا في قوله على أنه معكوس: وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزلا.

(5) البيت من الطويل. وهو بيت من قصيدة للمتنبى المشهورة، «هذا من قوله أنه معكوس»:

وإذا ما خلا الجبان بأرضي طَلَبَ الطَّعْنَ وَخَدَهُ وَالنَّزَالَ

(6) مالقة: مدينة أندلسية تقع جنوب شرقها تشتهر بصناعة الفخار. الروض المعطار، ص: 517، رحلة

ابن بطوطة 2 / 186 - 187. مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص: 76.

(7) لعله عتيق بن يوسف بن عميرة التجيبي الذي روى عن ابن الفرس، الذيل والتكملة 5 / 1 - 131.



تَعْمِيرُهُ، خَرَجَ مِنْهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُنَحْفِزًا لَا يَسْتَقِيلُ، وَمُسْتَوْفِزًا إِلَى مُرْسِيَةِ يَتَقَلُّ، فَذَكَرْتُ
بَرَّهُ وَوَلَاءَهُ، وَشَكَرْتُ لِلدَّهْرِ فِي قُرْبِهِ الْآءَهُ، فَعَوَّلْتُ عَلَى الْإِذْلَاجِ وَبَيَّنْتُ، وَوَجَدْتُ جِصًّا
وَأَجْرًا فَيَبِّئْتُ، وَبِثُّ أَسْتَطِيلُ اللَّيْلِ وَلَوْ كَانَ ظِمَاءُ الْحِمَارِ قِصْرًا⁽¹⁾، وَأَسْتَنْطِقُ الْأَذِينَ
بِالصُّبْحِ فَيَأْبَى إِلَّا حَصْرًا، إِلَى أَنْ أَصْفَقْتُ دَعْوَةَ الْحَمْدِ لِكَلِّ مَنْ كُلِّ مَنَارٍ، وَأَنَّ لِلْمَشْرِقِ أَنْ
يَقْدَهَا شَقِيقَةَ الدِّينَارِ، ائْتَطَيْتُ الطَّرِيقَ مُنْفَرِدًا، وَرَكِبْتُ عَزْمِي وَمُنْجَرِدًا⁽²⁾ أَقْصِدُ وَأُحُورُ،
وَأَعْدِلُ وَأُجُورُ، تَارَةً أَهْدَى مِنْ قَطَاةٍ⁽³⁾ إِلَى مَاءٍ وَطَوْرًا أَضِلُّ مِنْ عَمٍّ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ كَذَلِكَ
حَتَّى لَمْ يَبْقِ الْآئِينَ مِنَ النَّشَاطِ بَقِيَّةً، وَعَايَتْهَا بَيْضَاءُ نَفِيَّةً، إِلَى نَارِجَةٍ⁽⁴⁾ وَصَلَتْهَا وَقَدْ انْتَهَى
الْحِزَامُ الطَّبِيبِينَ⁽⁵⁾ وَبَلَغْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ صَاحِبِنَا الْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ إِحْدَى الْحُسَيْنِينَ، فَإِنَّهُ وَلِيٌّ
يُؤَثِّرُ كَرِيمَ الْخُلُقِ وَيَسْتَجِبُهُ، وَكَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أُحُدٍ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»⁽⁶⁾ فَبِتْنَا
تِلْكَ اللَّيْلَةَ نَقْلُدُ بِشُكْرِكُمْ أَجْيَادَ الْحَدِيثِ، وَنُقِيضُ فِي النَّشَاءِ عَلَى بَرِّكُمْ الْقَدِيمِ
وَالْحَدِيثِ، وَلَمَّا أَبَاحَ سَيْفُ الْمَشْرِقِ دَمَ الْكَوَاكِبِ، وَتَرَكَهَا غَرْقَى مِنْ دِمَائِهَا السَّوَاكِبِ،
وَصَعْنَا سِيَاطَ الشُّوقِ فِي أَعْنَاقِ الْمَطَايَا، وَاعْتَدَدْنَا حَسَنَاتِ الرُّفُقِ بِهَا خَطَايَا، وَسِرْنَا
طَوْرًا تَرْتَفِعُ حَتَّى نَكَادُ نَشْرَبُ الْمَاءَ فِي السَّحَابِ، وَنُفَاخِرُ النُّجُومَ بِشُرفِكُمْ مِنْ
أَصْحَابِ، وَأَوْنَةً نُنْخَفِضُ حَتَّى كَأَنَّا نَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ⁽⁷⁾ أَوْ نَسْتَقِرُّ فِي مُسْتَقَرٍّ إِلَى يَوْمِ
الْعَرْضِ، إِلَى مُنْكَبٍ⁽⁸⁾ وَصَلْنَا بَعْدَ أَنْ أَظْلَمْنَا دُونَهَا الْبَرُّ وَالشَّقَى، وَقَطَعْنَا الْحَزْنَ الْكَوْوَدَ

(1) في الأمثال العربية: «أقصر من ظمأ الحمار». الميداني 2/ 126.

(2) المنجرد: الفرس، قال امرؤ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

(3) مثل مشهور.

(4) نارجة: nerja توجد بين مالقة والمنكب، النفح 1/ 178-179.

(5) جمهرة الأمثال 1/ 220.

(6) أحد: جبل بظاهر مكة وهو أقرب الجبال إليها؛ ولعل قول الرسول كان يقصده أهل أحد وهم:

«الأنصار». الروض المعطار، ص: 13.

(7) مقتبس من قوله تعالى: «فَإِنْ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ». سورة الأنعام، الآية: 36.

(8) المنكب: مرفأ ساحلي جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة، مشاهدات لسان الدين، ص: 79، الإدريسي، ص: 199، الروض المعطار: 548.



الكؤود والوعر الأشق، فحططنا منها الرّحال بمعمور أشبه شيء بالخراب، واسم بلا جسم كما حصلت على السراب، فأقسم بليل الملح وما وسق، وقمر الأزار إذا اتسق⁽¹⁾ لولا أنها تعلقت من صاحبتنا الوزير أبي عمرو وبذمة وجوار، وأن معصمها قد تحلى يوما بذلك السوار، لحللنا لها عن يد الملاحاة عقالا، وقلت فلم أترك مقالا، ولكن غفرت للعدو شفاعاة الصديق، وأغضيت على زلة مسطح عفو أبي بكر الصديق:

وما جبي لطيب ثراب أرضي ولكن حُب من وطى التراب⁽²⁾
وقطعنا مهمامه تطيل حيرة العير، ومفاور كأنها جوف العير، إلى أرجبة⁽³⁾ وصلناها والأصيل قد قضى، وذلك اليوم قد انقضى.

والشمس تشر زعفرانا في الربا وتفت مسكتها على الغيطان⁽⁴⁾
فخيمنا بمنزل شد النشاط مسارحه، واعتقل للأنس سارحه، وبالجملة: «فما أشبه الليلة بالبارحة»⁽⁵⁾ من منزل يابى أن يوافق أو يقارب، ولا ينبت إلا العقارب، من حله سليما، صدر عنه سخيما، ومن استوطنه ضيفا، ضاف⁽⁶⁾ عنه الأمن ضيفا؛ اللهم إلا أن يكثر الرقى والعود، ويستعيد بالله من شرها الذي استخوذ، فسيكون هنالك من الأمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْفُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁷⁾. فتنا بها نفترش الفرع، ونلتحف الجزع، إلى أن قبضت يد الإصباح، روح المصباح، وفزنا - والحمد لله - بالسلامة والأرباح، فزمننا الرّحال ماديرين، وسدنا على بُعد

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وَالْفَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ. سورة الانشقاق: 17-18.

(2) البيت من الوافر، وهو لقيس بن ذريح، الأمالي 2/ 76. ويناسبه قول إياس بن الأرت الطائي:

وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ ثَرَابِ أَرْضِي وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَيْبُ

شرح الحماسة للبريزي 3/ 243.

(3) أرجبة: origiva.

(4) البيت من الكامل وهو لأبي الحسين بن سراج، الذخيرة 1/ 2-823

(5) مثل عربي معروف، أنظر جمهرة الأمثال 2/ 247.

(6) ضاف عنه الأمن: أي مال وابتعد؛ وبهذا المعنى فسر قول ابن أبي بكر «ضفت عنك يوم بدر»؛ أي ملت عنك وعدلت.

(7) سورة الإسراء، الآية: 82.



الشَّيْءَ مُصَادِرِينَ، وَسَرْنَا فِي هُبُوطٍ وَصُعُودٍ، وَكَأَنَّ سَالِكَهَا مُلَازِمٌ لِلْقُعُودِ، فَطَوَّرَا
نَرْتَفَعُ ارْتِفَاعَ النُّجُومِ، وَأَوْنَةً نَنْحَدِرُ انْحِدَارَ الرَّجُومِ.

وَحُضْنَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَهْرًا يَدْرَعُهُ هُبُوطُ النَّسِيمِ، وَيَتَرَامَى بَيْنَ الشَّقَائِقِ كَأَنَّهُ الْعِدَارُ فِي
الْحَدِّ الْوَسِيمِ، وَالتَّحَفْنَا مِنْ ظِلِّ أَيْكِهِ أَبْرَدًا وَكَأَنَّا دَخَلْنَا مِنْهُ صَرْحًا مُمَرَّدًا⁽¹⁾ أَوْ أَوْطَانًا
الْمَطِيِّ مِنْ أَدِيمِهِ زَرْدًا، إِلَى أَجَاجِرٍ⁽²⁾ وَصَلْنَاهَا وَظِلُّ أَحَدِنَا قَدْ صَارَ مِثْلِيهِ، وَدَيْنُ الصَّلَاةِ
الْوُسْطَى قَدْ حَلَّ عَلَيْهِ، فَحَطَطْنَا مِنْهَا بِحَيْثُ نَطَّلِعُ عَلَى أَسْرَارِ الْأَمْنِ أَيَّ اطِّلَاعٍ، وَتُغَازِلُ
زُرُقَ عُيُونِ الْجَدَاوِلِ وَخُصَّرَ غُدُرُ التَّلَاعِ، وَحِينَ صَفَرْتَ وَطَابُ الْجُفُونِ مِنَ الْإِغْفَاءِ،
وَبَرِحَ مَا بِسِرِّ الصُّبْحِ مِنَ الْخَفَاءِ، عَالَيْنَا الرَّحَالَ، وَطَارَدْنَا الْارْتِحَالَ، وَسَرْنَا نُنْجِزُ
لِلْإِنْحِفَازِ دُيُونًا، وَنُصَوِّرُ بِحَوَافِرِ الْمَطِيِّ فِي وَجَنَاتِ الْبَيْدَاءِ عُيُونًا، إِلَى الْغَيْرَانِ⁽³⁾
وَصَلْنَاهَا وَجَفْنُ الظَّلَامِ قَدْ انْطَبَقَ عَلَى عَيْنِ الشَّمْسِ، وَمَضَى الْيَوْمُ مُضِيَّ الْأَمْسِ،
فَانْخَنَّا مِنْهَا الْبَيْدَاءَ قَرَارًا، وَبَنَّا لَا نَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا، حَتَّى إِذَا بَقِيَ نِصْفُ اللَّيْلِ إِلَّا
قَلِيلًا، أَدْرَعْنَا بِالسَّقْفِ الْمَحْفُوظِ ظِلًّا ظَلِيلًا، وَسَرْنَا نُرْسِلُ الرِّيَّاحَ أَعْنَةً، وَنَعْتَمِدُ الْكَوَاكِبَ
أَسِنَّةً، فِي ضِفَّتِي نَهْرٍ بِجَانَةِ⁽⁴⁾ الْمُتَوَيِّ كَالْأَيْنِ، الذَّاهِبِ مَنْظَرُهُ بِالسَّامِ وَالْأَيْنِ، مِنْ نَهْرِ
قَامَتْ عَلَى ضِفَّتِيهِ ثِمَارٌ تَرُوقُ وَتَرْوَعُ، وَكَأَنَّهَا خُضْرُ أَلْوِيَةٍ بُسِطَتْ تَحْتَهَا دُرُوعٌ، إِلَى
الْمَرِيَّةِ⁽⁵⁾ أَشْرَفْنَا عَلَيْهَا تُتْلِعُ إِلَيْنَا أَحْيَادَ قِصَابِهَا، وَتَبَسُّمٌ عَنْ ثُغُورِ أَسْوَارِهَا وَفُلَجٌ لِيَصَابِهَا⁽⁶⁾
فَحَلَلْنَاهَا بَلَدًا أَقْفَرَ وَخَرِبَ، وَأَكَلِ الدَّهْرِ عَلَى مَحَاسِنِهِ وَشَرِبَ، فَمَا تَحُلُ مِنْهُ إِلَّا رُبْعًا

(1) صرح مُمرّد: قصر ذو بناء طويل ومرتفع ومنه قوله تعالى: ﴿صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾. سورة
النمل، الآية: 45.

(2) أجاجر: معروفة إلى الآن بهذا الاسم وترسم بالحروف اللاتينية ugijar.

(3) الغيران: أو وادي الغيران يقع على مرحلة من المرية: الإحاطة 2/ 360، النفع 6/ 83.

(4) بجانة: نهر بجانة يقصد وادي آش، قال العذري: «ومدينة بجانة كثيرة الشمار لا يراها من أمها حتى
يدخلها وكانت أشرف قرى وادي آش في القديم». العذري، ص: 86، الروض المعطار، ص: 79.

(5) المرية: مدينة محدثة، أمر ببنائها الناصر لدين الله سنة 344هـ قال فيها أحد الشعراء:

قَالُوا الْمَرِيَّةَ صَفَّهَا فَقُلْتُ مَطَّ وَشَيْخُ

الروض المعطار، ص: 537، العذري، ص: 86.

(6) اللَّصْبُ: مضيق الوادي أو شق في الجبل. قال الأصمعي: هو الشعب الصغير في الجبل، والجمع:
لصاب ولصوب.



إِلَّا رَبِّعَا قُدْمُوسًا⁽¹⁾ وَطَلَّلَا كَفْوَادُ أُمِّ مُوسَى⁽²⁾ وَضَحَ عُدْرَ مُؤَبِّهِ وَبَانَ، وَقَالَتْ عَنْهُ لِسَانُ
الْحَالِ كَانَ فَبَانَ⁽³⁾ فَلَا يَغْدُو فِيهِ الْأَنْسُ وَلَا يَرُوحُ، وَلَا يَتَصَرَّفُ فِي جِسْمِهِ لِلْبَهْجَةِ رُوحُ،
اللَّهُمَّ إِلَّا [بَقِيَّةً] كِرَامَ عَضْدُوهُ فَاسْتَنْصِرَ، وَأَشَارُوا إِلَى بُغَايِهِ فَاسْتَنْسِرَ⁽⁴⁾ مِنْ كُلِّ أَزْهَرِ مَا
أَصَحَّ عَهْدِهِ، وَمَا أَسَحَّ عَبْدُهُ، أَبْرُوا فَبَرُوا⁽⁵⁾ وَعَزُّوا فَأَعَزُّوا:
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَقَامَ يَبْلُدَةً سَالَ النُّضَارُ بِهَا أَوْ قَامَ الْمَاءُ⁽⁶⁾

قَدَمَا كَانَ بَدْرَ هَالَةٍ بَرَاعَتِهَا، وَحَاقِنَ هَالَةٍ بَرَاعَتِهَا، الْفَقِيهُ السَّرِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ
الْغَزَالِ، الَّذِي مَدَّ أَرْضَ الْبَلَاغَةِ وَدَحَاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَحَاهَا يَتَشَوَّقُنِي عَلَى
السَّمَاعِ، وَيَنْشِطُ لِلاتِّصَالِ بِي وَالاجْتِمَاعِ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ مُخَاطَبَاتٌ أُنْدَى مِنَ الزَّهْرِ
الْعَلِيلِ، وَأَعْطَرُ مِنْ رِيحِ مَحْبُوبَةِ الْمَلِكِ الضَّلِيلِ⁽⁷⁾ فَلَمَّا عَلِمَ بِوُصُولِي وَصَلَ فِي لَمَّةٍ
مِنْ إِخْوَانِهِ الْأَعْلَامِ، وَأَعْيَانِ الْبَلَدِ الَّذِينَ يَلْتَقُونَ كَالْتِقَاءِ الْأَلْفِ بِاللَّامِ، فَالْتَقَيْنَا هُنَالِكَ
الْتِقَاءَ الشَّمْسِ وَالْأَلِ، وَانْتِظَمْنَا انْتِظَامَ الْأَقَارِبِ وَالْأَهْلِ، فَأَظْهَرُوا مِنْ الْإِثَارِ
وَالْتَعْظِيمِ، مَا يَقُولُ النَّاسُ مَعَهُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ⁽⁸⁾ وَأَخَذُوا يُهَيِّبُونَ بِذِكْرِي، وَيَخْطُبُونَ
لِأَبْنَاءِ مَحَابِرِهِمْ بُنَيَاتٍ فِكْرِي، وَأَنَا أَقُولُ: مَنْ نَعَتْ لَكُمْ بِحُلَى الْجَوَادِ غَيْرِي، وَلَعَلَّكُمْ
حَدَّثْتُمْ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ عَنْ غَيْرِي، وَأَيْنَ جَالُوتٌ مِنْ دَاوُدَ فِي الْأَيْدِ، وَأَنَّى لَابْنِ الْمَرَاغَةِ

(1) القدموس: القديم البالي قال عبيد:

وَلَنَا دَارٌ وَرَثَانَاهَا عَنِ الْـ أَقْدَمَ الْقُدْمُوسِ مِنْ عَمٍّ وَخَالٍ

(2) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَلْبًا﴾. سورة القصص، الآية: 9.

(3) بان: الأولى معناها ظهر؛ والثانية: اندثر وخرب.

(4) مقتبس من المثل المشهور: «إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ»، مجمع الأمثال 1/ 10، فصل المقال، ص:

129.

(5) أبروا: كثروا. وبروا: صلحوا.

(6) البيت من الكامل وهو للمتنبي في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أَمِنْ أَرْذِيَارِكَ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ كُنْتُ وَفِي الظَّلَامِ ضِيَاءُ

(7) يقصد بالملك الضليل الشاعر امرأ القيس وهو من الشعراء الجاهليين المشهورين بغزله الفاحش.

(8) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَلَيْتُ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. سورة

القصص، الآية: 79.



وَأَتَى لَابْنَ الْمَرَاعَةِ بِمَعِيشَةِ آلِ زَيْدٍ⁽¹⁾؛ وَأَمَّا لَوْ كُنْتُ مِنَ الْمُوسِرِينَ فِي صِنَاعَةِ الْأَدَبِ،
لَنَسَلْتُ إِلَيْكُمْ إِسْعَافِي مِنْ كُلِّ حَدَبٍ، كَرِيمٍ غَلَبَهُ الْعَدَمُ وَعَزَّهُ، وَدَيْنُكُمْ هَذَا كَدَيْنِ غَرِيمٍ
عَزَّهُ⁽²⁾ وَهُمْ يَقُولُونَ: نُبْهَكَ فِي هَذَا الْكَلَامِ حُلْمٌ، وَمَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَأَنَا أَقُولُ: أَمَا أَنَا
فَلِغَيْرِي الْقِدْحُ الْمُعَلَّى، وَكَمَا حَدَّثْتُمْ عَنْ كَرَمِ الْمُعَلَّى:

لَعُمْرُ أَيْبِكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا أَفْشَعَرَتْ وَصَوَّحَ نُبْهَارُ عِي الْهَشِيمِ⁽³⁾

كَذَلِكَ حَتَّى عَزَمْنَا عَلَى الرَّحْلَةِ، وَآتَيْنَا صَدَقَاتِنَا نِحْلَةً⁽⁴⁾ وَنَسَفْنَا جِبَالَ التَّعْرِيسِ،
وَأَذْنَا بِالْإِفْصَالِ عَنْ ذَلِكَ الرَّبْعِ الدَّرِيسِ. وَمَا أَنْفَصَلْنَا عَنْهُ إِلَّا وَالْغَزَالَةَ⁽⁵⁾ قَدْ بَرَزَتْ مِنَ
الْكِنَاسِ، وَتَصَوَّبَتْ بَيْنَ قَرْنَيْهَا الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ⁽⁶⁾ فَيَسِرْنَا نَسْتَجِدُّ السَّرْعَةَ عَلَى طُولِ
الشُّقَّةِ نَصِيرًا، وَنُوسِعُ الْأَكْلَ تَطْوِيلًا وَالصَّلَوَاتِ تَقْصِيرًا⁽⁷⁾ وَأَخْلَقْنَا فِي السَّيْرِ شَبَابَ
ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَبِعْنَا الدَّعَةَ مِنَ الْكَلَالِ بِأَرْخَصِ سَوْمٍ إِلَى الْجُبِّ الْأَحْمَرِ⁽⁸⁾ وَصَلْنَاهُ وَقَدْ
تَضَمَّخَتْ صَفَحَاتُ الرُّبَا بِخُلُوقِ الْأَصِيلِ، وَأَرْزَمَتِ الْمَطَايَا إِلَى الدَّعَةِ إِزْرَامَ الْفَصِيلِ،
فَحَلَلْنَا مِنْهُ بِحَيْثُ نُجَاوِزُ الْأَسَاوِدَ وَالْأُسُودَ، وَنُجَاوِزُ الدَّوَاهِي السُّودَ.

(1) ابن المراغة هو جريز، والمراغة لقب أمه والإشارة هنا إلى قوله:

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالصَّلَاتِ وَالصَّنَابِ

(2) عزه الأولى: معناها أعوزه، أي أفقره أشد الفقر. وعزه: الثانية غريمة الشاعر كثير، وقد اشتهر لقبه بها
واقترن، فأصبح يعرف بالكثير عزة وهو يشير إلى قوله:

قَضَى كُلُّ ذِي دِينَ فَوْقِي غَرِيمَهُ وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمُهَا

(3) البيتان من الوافر. وهما لأبي علي البصير شاعر مشرقى جمع ديوانه يونس السامرائى ونشره في المورد
سنة 1972. العددان 3 و 4.

(4) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْا أَلْسِنَاءَ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً﴾. سورة النساء، الآية: 4.

(5) الغزالة: يقصد بها الشمس؛ وكناسها المكان الذي تطلع منه.

(6) سورة الناس، الآية: 4.

(7) تقصير الصلاة جائز في السفر وإلى هذا يشير الكاتب.

(8) الجب الأحمر لعلم المكان الذي يسمى اليوم «ELCHIVE».



وَلَمَّا حَطَطْتُ بِهِ رَحْلَ الْمُقِيمِ، وَلَا سَمِيرَ إِلَّا مَا بِي مِنَ الشَّوْقِ الْمُفْعِدِ الْمُقِيمِ،
 أَلْفَيْتُ بِهِجَتَهُ مُتَقَلِّصَةً الْأَفْيَاءِ، وَوَجَدْتُ سَاحَتَهُ كَدَارِ مِيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ، فَنَفَضْتُ يَدَيَّ مِنْ
 عُلْقَةِ الْجِلْدِ، وَقُلْتُ: «لَا حَبْدًا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ⁽¹⁾ مِنْ بَلَدٍ» وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ أَصَابَنِي أَلَمٌ
 حَيْرٌ وَغَيْرٌ وَأَسْعَفَ، بِأَنْ أَضْعَفَ، وَذَلِكَ لِمَا كَانَ فِي بَاعِ الدَّعَةِ مِنَ الْقُصُورِ، أَوْ
 لَانْحِرَافِ الْهَوَاءَيْنِ الْمَمْدُودِ وَالْمَقْصُورِ، فَحِينَ نَضَحَ مَاءُ الْبَيَاضِ دَمَ الْحُمْرَةِ،
 وَصَفَرَتْ كَأْسُ الْأَفْقِ مِنْ تِلْكَ الْجَمْرَةِ، قُمْتُ لِأَقْضِي مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كِتَابًا مَوْفُوتًا
 وَأَقْرِي الْجُفُونَ إِثْرَ ذَلِكَ مِنَ النَّوْمِ قُوتًا، فَأَصَابَنِي أَرْضٌ، وَلَبِطَ بِي الْأَرْضُ، فَسَقَطْتُ
 سَرِيعًا، وَتَرَدَّيْتُ صَرِيعًا، وَسُلِبْتُ الْحِسَّ وَالْحَرَكََةَ، وَنَصَبْتُ لِنُطْقِي مِنَ الْخَرَسِ
 شَرَكَةً، فَتَارَ النَّاسُ إِلَيَّ، وَأَقَامُوا التَّأْسُفَ عَلَيَّ، وَقَطَعُوا عَلَيَّ أَنَّهُ طَرَقَ الْحِمَامُ
 الْمُرْتَجِلَ، وَتَلَّوْا تَوَجُّعًا وَاعْتِيَارًا ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾⁽²⁾ وَعَزَمُوا عَلَيَّ أَنْ يُدْرِجُونِي فِي
 أَثْوَابِ اللَّيَالِي الْحَوَالِكِ، وَيَقُولُوا هَالِكٌ مِنَ الْهَوَالِكِ، وَتَفَاوَضَ فِي ذَلِكَ سِرُّهُمْ
 وَنَجْوَاهُمْ، فَمَارَ أَلَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ، حَتَّى اتَّقَدَ سِرَاجُ الْحِسِّ مِنْ لَيْلِ ذَلِكَ التَّوَهُّمِ،
 وَأَوْمَضَ بَرَقُ التَّبَسُّمِ فِي وَجْهِ ذَلِكَ التَّهَجُّمِ، فَثَابَتَ إِلَيْهِمُ الْعُقُولُ، إِذْ تَسَرَّحَ مِنْ قَيْدِ
 الْهَلَكَةِ ذِمَائِي الْمَعْقُولِ، وَعِنْدَمَا تَمَثَّلْتُ أَقُولُ:
 كَمْ قَدْ قُلْتُ وَكَمْ قَدْ مِتُّ قَبْلَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَطَارَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ⁽³⁾
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ مَنْ بِالسَّلَامَةِ عَلَى الْفُورِ، وَغَمَرَ كِمَامَةَ الْجَسَدِ مِنَ الصَّحَّةِ
 بِأَنْضَرِ نَوْرٍ.

(1) صنعاء: مدينة يمنية وهي كثيرة الخيرات ليس في بلاد اليمن أقدم منها وإليها ينسب الوشي صنعاني، قال الشاعر:

وَشْيِي نَضَارُ صَلَاتِهِ بِلُحْيَتِهِ أَعْجِبْ بِحُسْنِ الْوَشْيِ مِنْ صَنْعَاءِ

وهو مصطلح لقصيدة زياد بن منقذ العدوي وهي في معجم ياقوت الرومي.

(2) سورة الأعراف، الآية: 32.

(3) البيت من البسيط، وهو في قصيدة المتنبي:

بِمِ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ



وَلَمَّا سَوَّغَنِي اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَعَمَّرَ بِالصُّحَّةِ رُبُوعَ الْجَسَدِ الْعَافِيَةِ، افْتَرَشْتُ مِنْ كَفِّ
السَّلَامَةِ مِهَادِي، وَخَلَعْتُ عَلَى الْكَوَاكِبِ سُهَادِي، حَتَّى ذَهَبَ خِطَابُ الظُّلَمَاءِ،
وَاضْمَحَلَّ زَبَدُ النُّجُومِ عَنْ بَحْرِ السَّمَاءِ.....إِلَى بَيْرَةِ⁽¹⁾ وَصَلْنَا بَعْدَ أَنْ
شَكَتِ الرَّوَّاحِلُ تَأَلُّمًا مِّنْ أَشْكَاهَا، وَأَجْهَدَنَاهَا مِنْ وَقْتِ تَذَكُّرِ الْخَنَسَاءِ إِلَى وَقْتِ
بُكَاهَا، فَبِتْنَا مِنْهَا بِسَاحَةِ حِصْنٍ شَمَخَ بَأْنَفٍ وَنَأَى بِجَانِبٍ، وَامْتَنَعَ عَلَى الْمُتَطَاوِلِ
امْتِنَاعَ مَجَانِبٍ، وَلَمَّا بَاحَ الْفَجْرُ بَسْرَ الصُّبْحِ الْمَهْزُومِ، وَدَنَا وَقْتُ نِدَاءِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومِ،
قَارَعَنَا ظُنْبُوبُ⁽²⁾ الْإِنْتِقَالِ، وَرَشْنَا جَنَاحَ الْخَبِّ وَالْإِزْقَالِ، وَسِرْنَا نَطْوِي مَسَافَةَ الْبَيْدَاءِ،
طَيِّ الرَّدَاءِ، وَنَهْزُ لِلْجِدِّ عَطْفَ ارْتِيَاحٍ، وَنَظِيرُ عَلَى الْأَرْضِ بِجَنَاحِ الرِّيَّاحِ، إِلَى أَنْ
حَجَلَتِ الشَّمْسُ مِنْ تَعَبِهَا فَاصْفَرَّتْ، وَتَخَيَّلْنَا نَظْلُهَا بِدُخُلِ فَفَقَرْتُ إِلَى مَغْرِبِهَا
وَفَقَرْتُ، وَحَانَتِ الْعَشْرُ الثَّوَانِي مِنْ تَحِيَّاتِ قَيْسِ بْنِ الدَّرِيحِ⁽³⁾ وَقَدْ بَرَّخْنَا بِالْمَطِيِّ كُلَّ
التَّبْرِيحِ، إِلَى لُورَقَةِ⁽⁴⁾ أَحَدِ أَنْظَارِ مَرْسِيَةِ وَأَعْمَالِهَا، وَخَالَ فِي خَدِّ جَمَالِهَا، ذَاتِ
الْأَرْضِ الْأَرِيضَةِ، وَالْبِلَادِ الْعَرِيضَةِ، ظِلُّ ظَلِيلٍ، وَزَهْرٌ بَلِيلٌ، وَهَوَاءٌ صَحِيحٌ وَنَسِيمٌ
عَلِيلٌ، مِنْ بِلْدَةٍ أَقْسَمْتُ بِعُلُوِّ قِصَابِهَا، أَلَا يَفُورُ مَبْسِمُ الثُّرَيَّا بِرَشْفِ رُضَابِهَا، فَلَا تَرْتَقِيهَا
إِلَّا الظُّنُونُ، وَكَأَنَّهَا ضَبٌّ وَمَنْ يَطْمَعُ فِيهِ نُونُ⁽⁵⁾، فَأَتَخْنَا بِهَا مِنْ عَطْنٍ، وَقَدْ أَشْرَفْنَا-
بِحَمْدِ اللَّهِ- عَلَى ثَنَائَا الْوَطَنِ:

(1) حصن بيرة: vera يقع في الشمال الشرقي من مملكة غرناطة وتشتهر بصعوبة مسالكها، قال الشاعر الأندلسي يصف طريقها:

بَطْرِيْقِي بَيْرَةَ أَجْبُلٌ وَعَقَابُ لَا يَزْتَجِي فِيهَا النَّجَاءُ عِقَابُ
فَكَأَنَّمَا الْمَاشِي عَلَيْهَا مُذْنِبٌ وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْعِقَابُ عِقَابُ

(2) يقال: قرع للأمر ظنوبه: أي تها له.

(3) قيس بن الدريح شاعر من كنانة وهو من الشعراء العشاق وصاحبه لبنى ويعرف بها. الأغاني 2/ 107.

(4) لورقة lorca: مدينة أندلسية تقع في محافظة مرسية وتشتهر بعنيتها وزرعها ومعادنها. العذري ص: 7، الإدريسي، ص: 196، معجم البلدان 4/ 369.

(5) يشير إلى استحالة الجمع بين الضب والنون.

إِذَا اجْتَمَعَ الْجُوعُ الْمُبَرِّحُ وَالْهَوَىٰ عَلَى الْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ كَادَ يَمُوتُ⁽³⁾

496



تَعَالَى - وَالْأَصِيلُ قَدْ صَبَغَ رِدَاءَهُ وَجْهَ الْاِخْتِسَامِ، وَالشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ كَعَيْنِ هِشَامٍ⁽¹⁾
وَلَمَّا حَلَلْتُ بِهَا حُلُولَ الْحَيَاةِ بِالْجِسْمِ، وَالْإِعْرَابِ فِي آخِرِ الْأَسْمِ، وَصَلَّ إِخْوَانِي
يَسْحَبُونَ الْمَسْرَةَ أَرْدَانًا، وَطَارُوا إِلَى فَنَائِي زَرَافَاتٍ وَطِييَا، فَخَرَجْتُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ،
وَبَادَرْتُ التَّسْلِيمَ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلُوا يُلْحُونَ، فَيَجْمَحُونَ، وَيَتَفَكَّرُونَ، فَيَتَنَكَّرُونَ، وَيَقُولُونَ
مَتَى عَهْدُكَ بِالتَّغْرِيسِ، وَأَيْنَ عَادَرْتَ صَفْوَانَ بْنَ إِدْرِيسَ؟ فَأَقُولُ: أَمَّا الْجِسْمُ فَيَتَدَمِيرُ،
وَأَمَّا الْقَلْبُ فَبِالْخَضْرَاءِ فِي يَدِ التَّدْمِيرِ. فَصَارُوا وَكُلُّهُمْ مُنْكَرٌ مُسْتَرِيبٌ، وَقَالُوا مِنْ أَيْنَ
وَفَدَّ هَذَا الْغَرِيبُ:

يَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْغَرِيبُ بَارِضِنَا وَأَيُّدِي الْهَدَايَا إِنَّنِي لَغَرِيبٌ⁽²⁾
فَعِنْدَمَا أَرَعَيْتُهُمْ طَرَفَ الْاِخْتِقَارِ، وَشَمَخْتُ بِأَنْفِي فِي هَضْبَةِ الْوَقَارِ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ
إِنْ تَسَاوَى السَّرُّ وَالْإِعْلَانُ، فَقَدْ وَصَلَ حَبْلُ النَّسِكِ فُلَانٌ، مَتَى انْتَقَلَ مِنْ كَيْدِ،
السَّرُّوَجِيِّ أَبِي زَيْدٍ⁽³⁾، وَانْغَمَسَ فِي دَيْرٍ، سَعِيدِ بْنِ الْجُبَيْرِ⁽⁴⁾ فَأَيْنَ تَغَزَّلُهُ؟ وَأَنَا أَصَحِّحُ
الْاِنْقِبَاصَ وَأَحَقِّقُ، وَعَنْ صَبُوحَ مَا أَرْقُؤُ:

صَلَّى فَأَعَجَبَنِي وَصَامَ فَرَاعَنِي نَحَّ الْقُلُوصَ عَنِ الْمُصَلِّي الصَّائِمِ⁽⁵⁾
وَعِنْدَمَا خَلَعْتُ عَلَى الْحِلِّ بُرْدَةَ التَّرْحَالِ، وَبَرَنْتُ إِلَى الْاِسْتِقْرَارِ مِنَ الْعَيْسِ وَالرَّحَالِ،
قُلْتُ أَتَدُبُّ مَا مَرَّ مِنْ صَالِحِ تِلْكَ الْحَالِ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ قَدْرُ الْخِصْبِ فِي زَمَنِ الْإِمْحَالِ:

(1) يقصد به هشام بن عبد المالك، وقد عرف عنه أن عينه كان بها حول؛ قال اليربوعي: كان الفرزدق قد
هجا هشام بن عبد الملك بشعر فيه قوله:

يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنَا لَهُ حَوْلًا بَادِ عِيُوبَهَا

النقائض، ص: 984.

(2) البيت من الطويل وهو لابن الدمينة، انظر ديوانه تحقيق العالم أحمد ابن النفاخ، ص: 114.

(3) أبو زيد السروجي: بطل مقامات أبي القاسم الحريري.

(4) سعيد بن جبير أسدي بالولاء وهو حبشي الأصل، انظر وفيات الأعيان 1/ 204، طبقات ابن

سعد 6/ 178، الأعلام 3/ 93.

(5) البيت من الكامل.



سَلِ الْبَذَرَ عَنِّي إِنْ قَدِمْتَ عَلَى الْبَذْرِ
وَأَنِّي أَهْمُّو بِالْمَطَايَا عَلَى الْوَجَا
بِعَزْمٍ يَخَالُ الْبَحْرَ شَرْبَةً مُرْتَوٍ
نَذَرْتُ عَلَيْهِ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمُنَى
إِذَا الْأَفْقُ يَتَلَوُ سُورَةَ اللَّيْلِ بِالْفَلَا
وَأِنْ خَانَنِي خِلٌ أَعْدُوْ وَفَاءُهُ
سَيَذِرِي زَمَانِي أَيَّ عِلْقٍ مَضِيَّةٍ
خَلِيلِي مَا لِلدَّهْرِ يَطْوِي مَا رَبِّي
وَمَا لِعُقَابِ النَّائِبَاتِ تَصِيدُنِي
نَعَمْ، عَلِمْتُ وَكُرًّا سِوَاهُ وَإِنَّمَا
خَلِيلِي قَدْ أَفْنَيْتُ دَمْعِي صَبَابَةً
وَمَا سَمِطُ دَمْعِي مُذْ نَأَيْتُمْ كَأَنَّمَا
فَلَمَّا رَأَوْا دَمْعِي تَلَا طَمَ مُوْجُهُ
أَخْلَايَ بِالْخَضْرَاءِ دُومُوا بِنِعْمَةٍ
إِذَا نَسَمْتُ رِيحُ الْجَزِيرَةِ هَيَّجَتْ
تَقِي اللَّهَ فِيهَا يَا نَسِيمُ فَإِنَّهَا
يُقَرُّ لِعَيْنِي بَانَةَ السُّدْرِ أَنَّنِي

يُخَبِّرُكَ أَنِّي مِثْلُهُ أَبَدًا أُسْرِي
وَأَحْمِلُهَا مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا تَذْرِي
وَيَحْسَبُ طُولَ الْأَرْضِ فِي سَعَةِ الشُّبْرِ
فَهَلْ إِنْ بَلَغْتُ النَّجْمَ يَكْمُلُ لِي نَذْرِي
تَلَوْتُ لَهُ مِنْ صَارِمِي سُورَةَ الْفَجْرِ
فَسَيَفِي وَزِيرٌ لِي أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي⁽¹⁾
أَضَاعَ، وَيُفْنِي السَّنَّ قَرَعًا إِذَا يَذْرِي
أَلَا حَكَمٌ فَضْلٌ يُقِيدُ مِنَ الدَّهْرِ
أَمَا عَلِمْتُ فِي الْأَرْضِ وَكُرًّا سِوَى وَكْرِي
صُرُوفُ اللَّيَالِي تَسْتَطِيلُ عَلَى الْحَرِّ
فَمَنْ عِنْدَهُ دَمْعٌ أَقِيمُ بِهِ عُذْرِي؟
أَعْلَمُهُ مِنْ بَعْدِكُمْ صَنْعَةَ النَّشْرِ
دَعَوْنِي عَلَى حُكْمِ الْبُكَاءِ بِأَبِي بَحْرِ
فَوَا الْعَصْرِ إِنِّي مُذْ نَأَيْتُمْ لَفِي خُسْرِ⁽²⁾
دَمَاءُ نُفَيْسٍ لَا تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي
إِذَا فُقِدَتْ ضَاعَ الصَّبَا وَالْهَوَى الْعُذْرِي
أَحِنُّ عَلَى عُفْرِ إِلَى بَانَةِ السُّدْرِ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ هَٰؤُلَاءِ﴾ أشد به أزرى، سورة طه،

الآيات: 28-29-30.

(2) سورة العصر، الآية: 1.



أَغَازِلُ بَرْقِ الْعَرَبِ حُبًّا لِعَهْدِكُمْ فَمَهْمَا بَدَا بَرْقُ أَقْلٍ كُنْ أَبَا ذَرٍّ⁽¹⁾
كَأَنَّ لَمْ نَرُدْ زَهْرَ الرِّيَاضِ وَلَمْ نَرِدْ مَسَارِعَ ذَاكَ النَّهْرِ، بُورِكَ مِنْ نَهْرِ
وَلَمْ نَلْتَحِظْ ظِلَّ الْأَرَاكِةِ بُرْدَةً مُنَمَّقَةً الْأَعْطَافِ بِالزَّهْرِ النَّضِيرِ
وَلَمْ نَلْتَقِطْ دُرَّ الْحَدِيثِ عَشِيَّةً بِسَاحَةِ ذَاكَ الْقَصْرِ أَقْدِيهِ مِنْ قَصْرِ
شَبَابٍ وَإِخْوَانٍ تَوَلَّى كِلَاهُمَا فَلَا خَائِنِي دَمْعِي وَلَا جَدَّ لِي صَبْرِي
وَكَمْ رُمْتُ أَلَّا يَشْعَبَ الدَّهْرُ شَمْلَنَا وَلَكِنَّ سِحْرَ الدَّهْرِ أَنْفَذَ مِنْ سِحْرِي
ثَلَاثَةَ إِخْوَانٍ تَأَلَّفَ شَمْلُهُمْ تَأَلَّفَ شَمْلَ الطَّلِّ وَالْمَاءِ وَالزَّهْرِ
فَأَمَّا أَبُو مُوسَى⁽²⁾ فَنَائِيهِ عِبْرَةٌ وَيَا لَيْتَنِي أَلْقَاهُ أَعْلَى مِنَ الْعَصْرِ
لَهُ أَدَبٌ سَمِخٌ كَمَا رَقَّتِ الصَّبَا إِلَى أَدَبٍ كَسِبَ كَعَهْدِكَ بِالسَّحْرِ
أَقُولُ خَلِيلِي وَهُوَ أَعْظَمُ رُتْبَةً وَلَكِنَّهُ تَأَنَّى الصَّرُورَاتُ فِي الشُّعْرِ
وَمَا شَبَّ عَمَرُوا فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى عَنِ الطُّوقِ لَكِنَّ شَبَّ عَنْهُ أَبُو عَمْرِ⁽³⁾
وإِنْ بَنِي حَسُونٌ سَادَةُ دَهْرِهِمْ وَلَكِنَّ هَذَا فِيهِمْ «بَيْضَةُ الْعُقْرِ»⁽⁴⁾
وَلَا عَجَبَ أَنَّ سَادَهُمْ وَهُوَ مِنْهُمْ فَمِنْ جُمْلَةِ الْأَسْيَافِ صَمْصَمَاتَا عَمْرِ⁽⁵⁾

(1) هو أبو ذر الغفاري، وهذه القولة فيه مشهورة.

(2) هو أبو موسى بن نادر وهو الذي نسخ كتاب الكلبيات لابن رشد.

(3) في هذا البيت إشارة إلى المثل المعروف: «شب عمرو عن الطوق»، وعمرو: يقصد به ابن حنون، الذي كان صديقاً له ووزيراً من وزراء الدولة الموحدية، وبيت بني حنون مشهور بالعلم والفضل والرياسة.

(4) من المضاف الجاري مجرى المثل، ثمار القلوب 496-497.

(5) يشير في هذا البيت إلى «الصمصامة» التي تنسب إلى عمرو بن معدي يكرب، وقيل أنه سماه بذلك عندما وهبه وقال:

خَلِيلٌ لَمْ أُخْنَهُ وَلَمْ يَخْنِي عَلَى الصَّمْصَامَةِ السَّيْفِ السَّلَامُ

اللسان: «صمم».



وَبِي مِنْ نَوَى ابْنِ الْقَاسِمِ النَّدْبِ لَوْعَةً
تَتَأَى فَمَا مَرَّ السُّلُوبُ بِخَاطِرِي
وَتُطْرِئُنِي ذِكْرَاهُ حَتَّى يَقُولُ مَنْ
أَحْبَبْنَا قَصَّرْتُ فِي شُكْرِ مَجْدِكُمْ
فَأَنْتُمْ ظُبَا بَاسِي وَأَطْوَادُ عِصْمَتِي
وَدُونُكُمْ هَا تُخَفَّةٌ مِنْ أَخِيكُمْ
عَسَى اللَّهُ يُدْنِينَا عَلَى بُعْدِ دَارِنَا
ثُمَّ السَّلَامُ الَّذِي يَتَضَوُّعٌ، فَيَتَنَوُّعٌ، وَيَتَكَرَّرُ فَيَتَقَرَّرُ، وَيَتَرَدَّدُ، فَيَتَجَدَّدُ، بِالرَّحْمَةِ
وَالْبَرَكَاتِ، مَا كَلِفْتُ بِلِقَائِكُمْ، وَوَجَدْتُ رُوحَ الْأَمْنِ مِنْ تِلْقَائِكُمْ، وَكُتِبَتْ فِي أَوَاخِرِ
صَفْرِ عَامِ سِتَّةٍ وَثَمَانِينَ.

وَكُتِبَ أَيْضًا عِنْدَمَا تَحَقَّقَ أَنَّ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ كَانَ نَوَى السَّفَرِ مَعَهُمْ إِلَى الْحَجِّ قَدْ أَقْلَعُوا:

أَخِي وَسَيِّدِي، وَمُثْنِي فِي رِفْعَةِ إِكْرَامِهِ وَمُقِيدِي، الْوَزِيرُ الْحَسِيبُ، الَّذِي يَسِيحُ سَلْسَالُ
بِرِّهِ وَيُسَيِّبُ، وَلَوْ لَا بُخْلُ الْعِمَامِ لَقُلْتُ كَأَنَّهُ لِيُصَغِّرِي أَنَا مِله نَسِيب. أَدَامَهُ اللَّهُ حَدًّا لِحُسَامِ
الْوَفَاءِ، فَرَنْدَا لِيَصْفَحَةَ الصَّفَاءِ، أَبْقَاهُ اللَّهُ لِيَجِدَّ يُبْرِمُ مِنْهُ مَا سَحَلَهُ الزَّمَانُ⁽⁴⁾ وَخُلُوصِ يُمَهِّدُ
لَهُ وَقَدْ خَانَهُ الْأَمَانُ، مَا زَالَ عَلِقًا تَتَنَافَسُ فِيهِ الْمَحَافِلُ وَالصُّدُورُ، وَذِكْرُهُ مِسْكٌ تَفْضُهُ

(1) اختلف الفقهاء في حد السكر فمنهم من يجعله ثمانين جلدة ومنهم من يبلغه إلى مائة، وذلك كل واحد حسب فهمه وتأويله للنصوص.

(2) أغشى: غالى وبالع في الأمر منه الأغياء في البلاغة بمعنى: المبالغة.

(3) الأبيات من الطويل.

(4) سحل: عكس قتل فالسحل والسحيل هو الثوب الذي لا يبرم غزله ولا يقتل ومنه قول زهير:

عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ

اللسان: «سحل».



الْأَلْسِنَةُ وَتَعِيْبُهُ الصُّدُورُ.. وَالزَّمَانُ لَأَمَالِهِ مُطِيعٌ كَأَنَّ هَذَا إِنْسَانٌ وَهَذَا قَدَرٌ مَقْدُورٌ.....
الرَّامِي إِلَى هَدَفِ حَمْدِهِ بِسَهْمِ ابْنِ قُزْعَةَ عَنْ قَوْسِ حَاجِبٍ⁽¹⁾ الْمُتَخَافِضُ لَهُ وَلَوْ شَمَخَ
تَخَافُضُ الْعَيْنِ لِلْحَاجِبِ، الَّذِي لَيْسَ عَلَى أَمِيرِ شُكْرِهِ لَهُ مِنْ مُوَارٍ وَلَا حَاجِبٍ. سَلَامٌ
طَيِّبٌ أَثِيرٌ، كَأَنَّهُ لِلْإِسْتِحْسَانِ مُثِيرٌ، فَمَحَلَّهُ فِي الْمَعَاطِنِ وَثِيرٌ، وَقَلِيلُهُ فِي الْإِغْتِبَاقِ بِهِ كَثِيرٌ،
فَهَلْ هَذَا الْكَلَامُ مِنْكَ نَثِيرٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَبَعْدُ:

فَإِنِّي خَطَطْتُ مِنْ تَعْظِيمِ أَنْزَلْتُهُ بِفَنَائِكُمْ وَحَطَطْتُ وَاللَّهُ أَسْتَعِينُ عَلَى مَا يَجِبُ مِنْ
حَقِّكُمْ الْمَتَعِينَ، وَأَسْتَوْهَبُهُ أَنْ يُنَجِّدَ عَلَى شُكْرِكُمْ بِلِسَانٍ مُبِينٍ، وَمِنْهُ أَسْأَلُ إِبْقَاءَكُمْ فِي
كَنْفِ كَالْمُؤْمِنِ هَيِّنَ لَيِّنٍ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ صَاحِبِي قَدْ فَصَّلَا، وَاسْتَقَرَّ عَلَى لُجَّةِ خَضَارَةٍ
وَخَصَلَا، وَعَلِمَ اللَّهُ لَقَدْ أَذْرَكْنِي عَلَى فِرَاقِهِمَا نَدَمٌ، وَكَيْفَ وَقَدْ زَلَّتِ الْقَدَمُ، وَأَصَابَنِي
عَلَى الرَّجُوعِ مَذَلٌ، وَقَدْ «سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ»⁽²⁾ وَلَا شَكَّ أَنَّ خَطِيئَتِي صَرَفَتْ عَنِ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَطِيئَتِي، وَرَدَّتْ عَلَى أَغْفَابِهَا طِيئَتِي، كَمَا لَا أُمْتَرِي أَنَّ إِجْرَامِي، نَقَضَ
عَزِيمَةَ إِحْرَامِي، فَأَنْقَلَبْتُ بِغَيْرِ مَا طَلَبْتُ، وَانْعَطَفْتُ، وَمَا قَطَفْتُ، وَالتَّوَيْتُ، وَمِنْ زَمْزَمٍ
مَا أَزْتَوَيْتُ، فَحَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ لِلْعَزَاءِ، وَأَصِيرَ غَرَضًا لِسِهَامِ الْأَرْزَاءِ، وَأَيُّ ذَلِكَ
كَانَ، فَقَدْ وَجَدَ الْمَحَلَّ وَالْمَكَانَ، مَا قَيَّدَهُ الْعِصْيَانُ لَمْ يَنْحَلْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنِ التَّقَى شُرْعَهُ
لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ الْمَحَلَّ. إِلَى اللَّهِ أَشْكُوهَا أَغْرَاضًا سَامِرِيَّةً وَعَزَمَاتٍ شِعْرِيَّةً، كُلَّمَا آنَسْتُ
مِنْ هَذِهِ الْإِنْسَاسِ، قَالَتْ لَا مَسَاسَ، وَإِذَا نَوَيْتُ مِنْ تِلْكَ مَا الْبَرَّةُ يَنْوُونَ، تَلَّتْ
عَلَيَّ: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾⁽³⁾.

لَا أَشْكُو إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، لَعَلَّهُ أَنْ يُطِيرَ عَنِ مَيْتِ رَجَائِي كَفَنَهُ وَلَحْدَهُ، فَإِنَّمَا
مَصْرَفُ الطَّلَبَاتِ إِلَيْهِ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ فَازَ بِخَيْرِ

(1) فيه إشارة إلى البيت الشعري:

لَقَوْسُ سَلِيمٍ حِينَ يُرْسِلُ سَهْمَهُ أَشَدُّ عَلَى الْآتَافِ مِنْ قَوْسِ حَاجِبٍ

(2) مثل معروف، والمذل: الضجر.

(3) سورة الشعراء، الآية: 223.



الدَّارَيْنِ وَلَمْ يَغْلِبْ عُسْرُهُ الْيُسْرَيْنِ، وَبَلَّغْنَا مَشَاهِدَ الْحَرَمَيْنِ، بِعَزَائِمٍ لَا زَوْزَ وَلَا مَيْنَ، فَهُوَ الْمُعْطَى مِنْ سَعَةٍ لَا يَنْصَبُ فِيْضُهَا، وَلَا يَجُورُ غَيْضُهَا، وَالسَّلَامُ.

وَلَهُ الرِّسَالَةُ الَّتِي سَمَّاها: رِسَالَةُ الْإِرْتِحَالِ وَالتَّعْرِيسِ إِنْشَاءً صَفْوَانِ بْنِ إِدْرِيسَ وَهِيَ هَذِهِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحُرَّ بِحِفْظِ الْعَهْدِ جَدِيرًا، وَالْوَفَاءَ لَا تَسَاقِ الشَّمْلِ مُدِيرًا، وَقَدَّرَ تَصَافِي الْإِخْوَانِ بِحُكْمَتِهِ تَقْدِيرًا ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾⁽¹⁾ وَمِمَّا يَجْرِي لِهَذِهِ الْمَقْدِّمَةِ مَجْرَى التَّفْسِيرِ قَوْلُ الْأَعْشى أَبِي بَصِيرٍ⁽²⁾:

فَإِنَّ الْقَرِيبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ، لَا مَنْ تَنَسَّبًا⁽³⁾

فَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ أَلْحَقْنَا أَقْيَاءَ الْأَنْسِ بِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ ظِلَالَهُ، وَسَوَّغْنَا فُرَاتَ مَنْهَلِ التَّلَافِ وَرُزَالَهُ، وَانْفَرَدَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ فَلَمْ تَنْبَغِ إِلَّا لَهُ. وَلَمَّا كَانَ الْإِنْفِرَادَ، مِيدَانًا لَيْسَ لِلْبَشَرِ لَهُ طَرَادَ، أَثَارَ تَعَالَى مِنْ بَعْضِ عَيْبِهِ لِبَعْضِ إِخْوَانَا، وَجَعَلَهُمْ عَلَى مَا أَرَادَ أَعْوَانَا، فَمِنْ مُنْفَرِدٍ لِبَطَاعَتِهِ، بِاسْتِطَاعَتِهِ، وَمُطَابِقٍ بَيْنَ أَثَرِ عِضْيَانِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَإِيَّاهُ نَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَنَا فِي شِعَابِ الطَّاعَةِ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَيَرْزُقَنَا خَاتِمَةَ التَّوْفِيقِ وَالْيَقِينَ، وَبَرَكَهَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾⁽⁴⁾، وَيُفِيضَ عَلَيْنَا هِدَايَةَ نَكُونُ بِهَا لِرِضْوَانِهِ مُسْتَقْبِلِينَ، وَيَجْمَعَنَا فِي جَنَّتِهِ ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾⁽⁵⁾، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْهُدَى، وَغَمَامِ النَّدَى، وَحِمَامِ الْعِدَا وَتَمَامِ الْمَدَى، الدَّالِّ عَلَى قُصْدِهِ إِلَى الْإِتِّلَافِ وَتَوَخُّيهِ، بِقَوْلِهِ: «الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ»⁽⁶⁾.

(1) سورة الفرقان، الآية: 54.

(2) الأعشى: هو ميمون بن قيس من الشعراء الجاهليين، انظر ترجمته في الأغاني 8/ 74، الشعر والشعراء 178/ 2، معجم الشعراء، ص: 41، خزانة الأدب 83/ 1.

(3) البيت من الطويل، ديوان الأعشى، ص: 113.

(4) من قوله تعالى: ﴿وَالْأَخْلَاءُ يَوْمَ يُدْعَى بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾. سورة الزخرف، الآية: 67.

(5) سورة الحجر، الآية: 47.

(6) حديث نبوي شريف ورد بنصه في العقد الفريد 304/ 2.



وَقَدْ بَيَّنَّ فَائِدَةَ التَّوَاحِي غَايَةَ الْبَيَانِ فَقَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ»، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَظَّم بِهِ بَدَدَ الْإِيْنَس، كَقَوْلِهِ: «رَأْسُ الْعَقْدِ بَيْنَ الْإِيْمَانِ وَالتَّوَدُّدِ إِلَى النَّاسِ»⁽¹⁾ وَلَمَّا تَوَدَّى إِلَيْهِ الْإِزْرَةُ مِنَ الْاسْتِنْصَارِ، آخَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَقَالَ: هَذَا أَخِي يَغْنِي عَلَيَّ، فَأَحَلَّهُ بِذَلِكَ مَكَانًا عَلِيًّا، وَحَمْرُهُ أَسَدُ اللَّهِ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانُ، مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَخَوَانُ، وَأَنَّهُ أَوْصَى حَمْرَةَ إِذْ حَضَرَهُ الْقِتَالُ، وَخَافَ أَنْ يُقَاتِلَهُ يَوْمَ أُحُدٍ مُغْتَالًا، وَكَانَ حَارِثَةُ ابْنُ زَيْدٍ وَالصَّدِيقُ أَخَوَيْنِ يَحُفُّ بِهِمَا التَّصَدِيقُ، وَالْفَارُوقُ وَعُتْبَانُ، كَانَتْهُمَا أَرْضَعُهُمَا لِبَانُ، وَذُو النُّورَيْنِ وَأَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ، كَانَتْهُمَا يَأْوِيَانِ لِأَصْلٍ ثَابِتٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَبُو عُيَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، كَانَتْهُمَا الشَّهْدُ بِالمَاءِ الْقَرَّاحِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، كَمَا اتَّخَذَ الْقَطْرُ مَعَ زَهْرِ الرَّبِيعِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، كَمَا حَدَّثَتْ عَنْ عَقِيلٍ وَمَالِكٍ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ وَأَبِي بَنِي كَعْبٍ، مَا فَوْقَ كَعْبٍ تَوَاحِيَهُمَا مِنْ كَعْبٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَسَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ، إِخَاؤُهُمَا جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ وَلَامَهُ⁽²⁾ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَجَعْفَرُ الطَّيَّارُ، سَابِقُ إِخَاءٍ لَا تُجَارِيَهُمَا الْأَغْيَارُ⁽³⁾.

فَهَذِهِ بُنْدَةٌ مِمَّنْ آخَى الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَهُمْ، وَأَنْجَزَ مِنَ الْإِتِّلَافِ فِي ذَاتِ اللَّهِ دِينَهُمْ، إِلَى غَيْرِهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مِنْ ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾⁽⁴⁾، مِمَّنْ يَطْوُلُ بِهِمُ التَّعْدَادُ، وَكُلُّهُمْ بِبَرَكَاتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتْرَابٌ وَأَنْدَادُ. وَأَوَّلَى مَنْ اقْتَفَيْنَا مُتَالَفَهُ وَمُجْتَمَعَهُ، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾⁽⁵⁾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَجَعَلْنَا لِهَدْيِهِ مُتَّبِعِينَ أَمَّا بَعْدُ:

(1) حديث شريف معروف.

(2) أصل الكلمة «لأمة»، وخففت همزتها لأجل السجع. واللام: الدرع الذي بقي صاحبه فهو جنة له.

(3) انظر في الأشخاص الذين آخى النبي بينهم كتاب الروض الأنف 1/ 48.

(4) سورة الحشر، الآية: 9.

(5) سورة الفتح، الآية: 29.



فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَعَ مِنْ صِدْقِ الْإِحَاءِ، عَلَى حَالِكِ الْبُؤْسِ بَعْدَ الرَّخَاءِ، وَخَلَقَ لِلْإِنْسَانِ أَصْحَابًا جَعَلَهُمْ فِي مَحَلِّ النَّوَائِبِ سَحَابًا، وَنَظَّمَ لَهُ أَوْدَاءَ، يَكْفُ بِهِمُ الْاِعْتِدَاءَ، فَإِنَّهُ مَنْ قَلَّ وَذَلَّ، وَلَوْ اِنْسَكَبَ الْغَمَامُ مِنْ كَفِّهِ وَاسْتَهَلَّ، وَمَنْ عَزَّ بَزًّا⁽¹⁾ وَلَوْ اضْطَرَبَ الْبَرْقُ خَنْقًا عَلَيْهِ وَاهْتَزَّ لَذَلِكَ قَالَ: الْكَلِيمُ⁽²⁾ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ، يَسْتَدِرُّ الْاِعْتِصَادَ بِأَخِيهِ وَيَمْرِي، ﴿إِشْدُدْ بِهِ أَزْرِعَ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِهِ﴾⁽³⁾، وَقَدْ رَأَى الْمُتَقَدِّمُونَ اِتِّخَاَبَ الصَّدِيقِ وَانْتِخَالَه، فَقَالَ قَائِلُهُمْ:
أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَه⁽⁴⁾

وَأَطَالُوا اِنْتِقَاءَ الْإِخْوَانِ وَاخْتِيَارَهُمْ، فَقَالُوا:

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ⁽⁵⁾

وَفَضَّلُوهُ فِي التَّحْقِيقِ، عَلَى الْإِخِ الشَّقِيقِ، وَمُقَدِّمَةَ تَصَدِيقِي، قَوْلُهُمْ: «أَخِي إِذَا كَانَ صَدِيقِي»، فَرَعِيًّا لِإِخْوَانٍ أَرْضَعْتَنَا إِيَّاهُمْ الْآدَابُ دُرًّا، وَبَرَقَتْ بِنَا وَجُوهُ الْإِخْلَاصِ غُرًّا، فَأَخَذْنَا مَعًا بِأَهْدَابِ، الْآدَابِ، وَخَيَّمْنَا بِسَاحَةِ السَّاحَةِ، وَاسْتَمْسَكْنَا بِرِشَاءِ، الْإِنْسَاءِ، وَنَشَانَا فِي أَيْيَاتِ، الْإِيَّاتِ، وَارْتَدَيْنَا بِمَأْثُورِ الْمَثُورِ، وَاعْتَدَيْنَا بِغَرِيضِ الْقَرِيضِ، وَتَسَابَقْنَا بِسِرَاعِ الْيِرَاعِ، وَطَرْنَا وَقَوَّافِنَا قَوَادِمُنَا وَخَوَافِنَا:
عِصَابَةٌ جَاوَزَتْ آدَابَهُمْ أَدَبِي فَهُمْ وَإِنْ فَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ جِيرَانِي

(1) يز: فاق وتقدم.

(2) الكليم: يقصد به نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(3) سورة طه، الآيتان: 30-31.

(4) هذا الشطر من بيت شعري تردد نسبته بين مسكين الدارمي وابن هرمة وتمتته:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَه كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحٍ

عيون الأخبار 3/2، مجمع الأمثال 1/23.

(5) صدر بيت لعدي بن زيد العبادي وعجزه:

وَلَا تَضْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي



أَزْوَاحًا بِمَكَانٍ وَاحِدٍ لَوْ غَدَتْ أَجْسَامُنَا بِشَّامٍ أَوْ خَرَّاسَانٍ⁽¹⁾
وَرُبَّمَا قَرَعَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ أَسمَاعًا، فَأَكْسَبَتْهَا فِي كَثَرَةِ الإِخْوَانِ أَطْمَاعًا حَتَّى إِذَا
نَظَرَهَا النُّقَادُ، وَسَبَّكَ ذَهَبَهَا الْفِكْرُ الْوَقَادُ، وَجَدَ مَسَاغًا يَسْلُكُهُ الْإِنْتِقَادُ، فَقَالَ: أَرَاهُ
يَكْنِي عَنْ أَزْوَاجٍ وَأَجْسَامٍ، وَيُحِيلُ عَلَى جُمُوعِ جَسَامٍ، فَمَا لَهُ وَمُخَالَفَةُ الْجُمْهُورِ،
وإِنْكَارُ الْمُتَعَارَفِ الْمَشْهُورِ، أَلَيْسَ أَشْهَرَ مِنَ النَّدِّ فِي الْمَجْمَرِ، وَأَعْرَفَ مِنْ اخْتِمَالِ
الْفَضْلِ لِلضَّمِيرِ أَنَّ الصَّاحِبَ الْمُخْلِصَ «أَعَزُّ مِنَ الْكَبِيرِ»⁽²⁾، فَكَأَنَّهُ بِي أَفِيضُ
عَلَيْهِ سَيْلَ الْاِخْتِجَاجِ، وَأَوْضَحَ لَهُ الْحَقَّ إِضْاحَ الْمَنَاسِكِ لِلْحُجَّاجِ، فَأَقُولُ: إِنَّ الْعَرَبَ
رُبَّمَا كُنْتُ عَنْ الْوَاحِدِ بِلَفْظِ التَّكْثِيرِ، لِكُونِهِ عِنْدَهَا بِالْمَحَلِّ الْأَثِيرِ، أَوْ لَا تَنْظُرُونَ
وَتَسْمَعُونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى.... وَأَحْسِبُ الرَّحْبَ ضَيْقًا، فَقَالَ: أَحَارُ تَرَى بُرَيْقًا⁽³⁾ فَإِنِّي مَعَ
الْوَاحِدِ نَطَقْتُ، [وَبِهِ عَلَى مَذْهَبِ] ⁽⁴⁾ الْعَرَبِ انْتَطَقْتُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقُومَ لِلْكَافَةِ مَقَامَ
جَاحِدٍ، وَالْوَمُ مَنْ قَالَ بَاسْتِكْثَارِ صَدِيقٍ وَاحِدٍ، إِذَنْ لَاؤُلْتُ عَلَى غَيْرِ مُتَأَوَّلٍ، وَذَهَبَ
عَنِّي تَصَدِيقُ الْأَوَّلِ:

وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ فَهُوَ الْمُرَادُ، وَأَيْنَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟⁽⁵⁾
لَا أَأَيْنَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَلَا أَأَيْنَ⁽⁶⁾، وَقَدْ بَيَّنَّ الْأَثَرُ الْعَيْنَ، فَحَسَبْنَا بِالْوَزِيرِ الْحَسِيبِ،
وَالسَّهْمِ الْمُصِيبِ، إِنْسَانٍ عَيْنِ الْمَحَامِدِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَامِدٍ، مِنْ وَلِيِّ عَلِيٍّ، وَصَفِيٍّ

(1) البيتان من البسيط وهما لأبي تمام، ديوانه 3 / 335.

(2) الدرة الفاخرة، ص: 97.

(3) مقتبس من قول امرئ القيس:

أَحَارُ تَرَى بَرْقًا أَرِيكَ وَمِيضَهُ كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلٍ

شرح المعلقات، ص: 84.

(4) رم بالأصل.

(5) البيت من قصيدة لأحد الشعراء القدامى وهو دون نسبة في الصداقة والصديق، ص: 151، والدر

الفريد، 3 / 293. وهو من الكامل.

(6) الأين: الإعياء والتعب.



حَفِيٍّ، وَسَاعِدٍ مُسَاعِدٍ، هُوَ مَطِيَّةٌ وَدَادِيٍّ وَاعْتِدَادِيٍّ، وَمُورِيٍّ زِنَادِيٍّ اعْتِقَادِيٍّ وَانْتِقَادِيٍّ، وَمَالِيٍّ لَا أَقُولُ، عَلَى مَا يَقْتَضِي الْمَعْقُولُ، حَدُّ صَارِمِيٍّ، وَجُنَّةٌ مِنْ سِهَامٍ مَصَارِمِيٍّ، شَبَابٌ سِنَانِيٍّ، وَمُسَدَّدٌ عَنَانِيٍّ، وَلَمْ لَا أَتْنِي وَأَمْدَحُ، وَأَقُومُ غَرِيدًا بِأَيْكَةِ عَلَاءٍ وَأُصْدَحُ، وَقَدْ أَضَاءَ فَمَا لِي لَا أَقْدَحُ؛ وَكُلَّمَا اسْتَعْرَضْتُ وَدَّهٌ فِي مِغْرَاضِ التَّجْرِيبِ، تَبَرَّأَ عَنِ الشَّيْبِ وَالضَّرِيبِ⁽¹⁾ وَأَنْسَى فِي الْيَوْمِ فِعْلُ الْأَمْسِ، كَمَا أَرَبَى عَلَى لَيْلَةِ الْبَدْرِ يَوْمُ الشَّمْسِ، وَزَادَ حُسْنًا كَمَا تَزِيدُ سَادَةُ عَبْدٍ شَمْسٍ، فَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَزِيدُ بِهِ اغْتِبَاطًا، وَأُسْتَوْتِقُ فِي يَدَيَّ مَحَبَّةً اِزْتِبَاطًا، وَكَأَنِّي أَسْتَقْبِلُ مِنْهُ فِي كُلِّ بَرْدٍ زَمَنٍ رِبَاطًا. فَإِذَا عَادَتْ حَلَاوَةُ الْأَخْلَاقِ مَرَارَهُ، وَغَلَبَتِ الشُّوْكَةُ الْحَرَارَهُ⁽²⁾ فَهُوَ الْحُلُوُّ الْحَلَالُ، وَالْعَذْبُ الزُّلَالُ:

وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هَزَّةٌ كَمَا اهْتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصْنُ الرَّطْبُ⁽³⁾
وَكُنْتُ قَبْلَ أَنْ أَعْتَلِقَ بِعَلَائِهِ، وَأَتَلِقَ بِأَلَاءِهِ وَلَا يَهُ، أَسْمَعُ الْجِدَّ وَلَا أَرَاهُ، إِلَّا كَمَا أَطْمَعُ النَّائِمَ كَرَاهُ، وَأُمَثِّلُ مَا وَرَدَ عَلَى سَمْعِي مِنَ الْوَفَاءِ، وَأَحَادِيثِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ، بِعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ، أَوْ أَبْكَمِ مُغْرِبٍ:
حَتَّى إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ يُسْعِدُنِي رَأَيْتُهُ قَرَأْتُ النَّاسَ فِي رَجُلٍ⁽⁴⁾

تَوَاحَيْنَا تَوَاحِي الْيَدَيْنِ، وَانْتِظَمْنَا انْتِظَامَ الْفَرْقَدَيْنِ⁽⁵⁾ مَحَوْتُ عَتَبَ الزَّمَنِ بِمَاءِ عُتْبَاءٍ، وَسَلَكْتُ مِنْ حَمْدِ الدَّهْرِ فِي مَهْيَعٍ كَرِهَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ وَأَبَاهُ، وَغَفَرْتُ لِلْأَيَّامِ سُوءَ

(1) الضريب: المماثل والضرب.

(2) العرارة: نبتة برية طيبة الرائحة وتجمع على عرار، قال الشاعر:

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ

وقال آخر:

بَيْنَ ضَاءِ غُدُوئِهَا وَصَفِ رَأَى الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارِ

اللسان: «عرر».

(3) البيت من الطويل، وينسب لأبي الأشعب العبسي والأقرع بن معاذ القشيري، شرح الحماسة للتبريزي 1/ 145.

(4) البيت من البسيط.

(5) الفردقان: نجمان لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدى وقيل هما كوكبان في بنات نعش الصغرى.



أَعْرَاضِهَا، وَتَبَرَّأْتُ مِمَّنْ يُصَادِفُ حَلَاوَةً فِي أَعْرَاضِهَا؛ وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ نَشَأْنَا رَأْيِي فِي السَّفَرِ أَيْدٍ بِالتَّوْفِيقِ، وَاسْتَدْعَانَا إِلَى بِلَنْسِيَّةٍ⁽¹⁾ طَرِيقٌ، التَّمَسُّتُ فِيهِ مِنْ عَلَائِهِ خَيْرَ رَفِيقٍ، فَأَصْفَقْنَا عَلَى الاسْتِخَارَةِ وَأَجْمَعْنَا، وَعَوَّلْنَا عَلَى إِعْمَالِ قَدَمِ الْحَرَكَةِ وَأَزْمَعْنَا، وَلَا أَمَلٌ إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الَّذِينَ امْتَطَوْا غَارِبَ التَّفَرُّجِ وَتَسَنَّمُوا وَاقْتَدَوْا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَافِرُوا تَصِحُّوا وَتَغْنَمُوا»⁽²⁾ فَعَزَّزْنَا مِنْ وَلِيِّنَا أَبِي عَلِينَا بِثَالِثٍ، وَمِنْ أَحِينَا أَبِي الْحَسَنِ الْوَرَّاقِ بِرَبَاعٍ تَزْرِي حَلَاوَةً أَعْرَاضِهِ بِالْمَثَانِي وَالْمَثَالِثِ⁽³⁾ وَنَاهِيكَ بِكِلَيْهِمَا مِنْ أَدِيبِ الطَّبَّاعِ، قَرِيبِ الانْطِبَاعِ، أَمَّا أَبُو الْحَسَنِ: فَلَوْ رَأَى الْأَمِينَ⁽⁴⁾ مَا اسْتَحْلَى مَقَاصِدَ الْحَسَنِ⁽⁵⁾ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ⁽⁶⁾ مَا اسْتَكْفَى وَزَارَةَ الْحَسَنِ⁽⁷⁾ إِلَى جِدِّ مُسْتَجِدٍّ، وَوَفَاءٍ ذِي اكْتِفَاءٍ، وَائْتِلَافٍ كَالسَّلَافِ⁽⁸⁾.

وَلَمَّا حَانَ أَنْ تَسْتَقِلَّ رِكَابُنَا، وَيَسْتَهْلُ مِنْ جَوِّ الْعَزْمِ انْسِكَابُنَا، نَبْذُنَا تَوْدِيعَ مَنْ خَلَفْنَاهُ بِالْعَرَاءِ⁽⁹⁾ وَفَصَلْنَا وَلَمْ نَقُلْ ضِدًّا إِخْوَانِنَا الشُّعْرَاءَ. وَسِرْنَا وَيُثْنُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا حَادٍ، وَالزَّمَانُ يُعَرِّضُ عَنْ أَنْ يُرِيدَ فِينَا بِالْحَادِ⁽¹⁰⁾:
وَفَارَقْنَا الْحَيِّبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَعْنَا بِلَا سَلَامٍ

(1) بلنسية: مدينة في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجاية ستة عشر يوما. الروض المعطار، ص: 97، معجم البلدان 1/ 730، فرحة الأنفس، ص: 16.

(2) حديث نبوي شريف .

(3) المثاني والمثالث: يقصد بهما الغناء إذ تسمى أوتار العود التي بعد الأول بهذا الاسم.

(4) يقصد بالأمين: الخليفة العباسي ولد هارون الرشيد.

(5) الحسن: يقصد به أبا نواس الذي يعرف بالحسن بن هانيء وكان نديما للأمين.

(6) المأمون: أخو الأمين هارون الرشيد وهو خليفة عباسي مشهور.

(7) الحسن: يقصد به الحسن بن وهب، وكان وزيرا للخليفة السابق الذكر.

(8) سلاف الخمر: أول ما يعصر منها، وقيل هو ما سال من غير عصير وتكون من أخلص الخمر وأفضلها.

(9) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾، سورة القلم، الآية: 49.

(10) البيت من الوافر، في القرآن: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، سورة الحج، الآية: 23.



[إلى أريولة] ⁽¹⁾ وصلناها ودين فانية العجموين ⁽²⁾ يطلب الانجاز، وإسهاب السبق كانه قميص في حلة الإيجاز ⁽³⁾ فبادرنا الوزير أبو محمد بن أبي العباس وتلقانا ببر أو سعنا إحسانا، وأودعنا بعين الترحيب إنسانا، فبتنا عنده في ليلة أنس، لا طفي مضباحها، ولا توقد إضباحها، لولا أنها من ليالي صول ⁽⁴⁾ لعددناها من ليالي المحب الموصول، فبالك إنسانا قضانا مطولة، وليل تقاصر طولة، قد كاد ينثر بأخيره أولاه، وينظم على جيد الشمس حلاه، يأتي بأغرب ما اتفق، ويسبق فجره الشفق، ولما برقت أسارير السراج، وغابت في دموع السليط مقل السراج ⁽⁵⁾، تبادرنا إلى الإلجام والإسراج، فعزم المذكور على أن يصل كرامته بكرامته، ويقتنصا ظبي الأنس في رامته ⁽⁶⁾، فاستصحبنا في ذلك اليوم، استصحب الظمان للحوم ⁽⁷⁾ وما زلنا نجف في سبل دلالتيه، وتلتجف بظليل جلالته، على ضفة نهر كأنها سرحاته المظلة، ألوية خضر على الدروع مظلة، تدفق تدفق الشجاع، ويأتي على نفسه من خريه بأسجاع، وربما سحبت عليه الريح أذيالا، فاهترت أعطاف موجه أختيالا، وجرت الشمس على لجينه نيالا، وأعادت زجاجة الأزرق جريالا ⁽⁸⁾، والورق تخطب على منابر تلك

(1) أريولة: حصن بالأندلس وهو من كور تدمير وتعني باللاتينية الذهبية. الروض المعطار، ص: 34، العذري، ص: 139.

(2) يعني صلاة العصر.

(3) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه .

(4) سبق التعريف بصول وطول لياليها.

(5) السراج الأولى: يقصد بها الشمس سميت بذلك لوضوح نورها وإشعاع ضوئها. أما الثانية: فيقصد بها المصباح الزاهي الذي يسرج بالليل.

(6) رامة: اسم مكان قال زهير:

لَمَنْ طَلَّلَ بِرَامَةِ لَا يَرِيْمُ عَفَا وَخَالَاهُ حُقْبٌ قَدِيمُ

اللسان: «روم».

(7) الحوم: الدوران وغالبا ما يكون بالنسبة للظمان طلبا للماء.

(8) الجريال: الخمر الشديدة الحمرة، قال الأعشى:

وَسَيِّئَةٌ مِمَّا تَعْتَقُ بِابِلْ كَدَمَ الدِّيحِ سَلَبَتْهَا جَرِيَالَهَا



الْأَرَاكِ، وَالْهَوَى يُنَادِي بِالنَّفُوسِ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْظَرِ وَالْمَسْمَعِ دَرَاكُ دَرَاكٍ⁽¹⁾، فَمَا زِلْنَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نُغَازِلُ قُدُودَ تِلْكَ الْأَغْصَانِ، وَنَعْتَدُّ مِنْ أَوْرَاقِهَا بِخِرْصَانٍ، وَنَنْظُرُ ذَلِكَ النَّهْرَ السَّلْسَالَ، فَتَذْكُرُ دَمْعَ الْمَهْجُورِ إِذَا سَالَ، فَعَلَى تِلْكَ مِنْ حَالٍ، أَجَبْنَا دَاعِيَ التَّرْحَالِ، إِلَى الْمُدُورِ⁽²⁾ وَصَلْنَاهَا وَالْعَشِيَّ قَدْ طَفَلَ⁽³⁾ وَعِطْفُهُ فِي الثُّوبِ الْمُعْطَرِ قَدْ رَفَلَ، وَالشَّمْسُ قَدْ خَجَلَتْ مِنْ فِرَاقِ الْحَاضِرِينَ، ﴿صَفَرَاءُ قَافِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾⁽⁴⁾ وَعِنْدَمَا أَنْخَنَّا بَهَا، وَحَلَلْنَا فَيَسِيحَ جَنَابِهَا، قَطَعْنَا عُمُرَ تِلْكَ الْعَشِيَّةِ، بِامْتِطَاءِ الْعِذْرَاءِ الْحَبَشِيَّةِ⁽⁵⁾، وَاقْتَعَدْنَا بَطْنَ تِلْكَ الْمَطِيَّةِ الدَّهْمَاءِ، وَالنَّاسِكَةِ الْمَاشِيَةِ عَلَى الْمَاءِ، وَجُلْنَا مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ فِي صِنُو السَّمَاءِ، وَانْبَرَيْنَا نَسْتَقْصِي عَلَى السَّمَكِ مَكَامِنَهَا، وَنَقْذِفُ بِالرُّوْعِ مَا مِنْهَا، وَنَنْتَرِعُهَا مِنْ قَعْرِ اللَّجَجِ أَيَّ انْتِرَاعٍ، وَنَأْخُذُ عَلَيْهَا ثَنَائَا الْمَحَانِي⁽⁶⁾ وَالْأَجْزَاعِ⁽⁷⁾ وَنُشْرِفُهَا بِرِيقِ الْاِخْتِيَالِ، وَنَذْرِفُ عَلَيْهَا دُمُوعَ النَّهْرِ السِّيَالِ، وَلَمَّا طَارَدْنَا حُوتَ ذَلِكَ النَّهْرِ صَيْدًا، وَأَوْثَقْنَا سَارِحَهُ فِي الشَّبَاكِ قَيْدًا، وَأَثْكَلْنَا الْخَلِيَجَ أَبْنَاءَهُ، وَاسْتَفْرَعْنَا مِنْهُمْ إِنَاءَهُ، اسْتَنْجَدَ الْحَمَائِمُ مِنْ تِلْكَ الدَّوْحِ، فَاسْتَهَ بِالْبُكَاءِ وَالنُّوحِ، وَمَا مِنَّا إِلَّا مَنْ قَدْ بَلَغَ أَرْبَابًا، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى طَرَبًا:

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَمَ مُحَجَّلٍ يَطُوُلُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ⁽⁸⁾

(1) دراك: إسم فعل بمعنى أقبل.

(2) المدور: حصن بالأندلس العذري، ص: 175، الروض المعطار، وهو غير المدور الذي في جهات قرطبة.

(3) طفل العشي: هم بالانقضاء لاصفرار شمس.

(4) سورة البقرة: الآية، 68.

(5) يقصد بالعدراء الحبشية: السفينة السوداء لأنها تشبه في لونها لون الحبش، وكذلك يقال: «ناقة حبشية»

(6) المحنية من الوادي: منعرجه حيث ينعطف ويلتوي وتجمع على «محاني».

(7) جزع الوادي: جانبه ومنعطفه؛ وقيل هو ما اتسع من مضايقة وتجمع على «أجزاء».

(8) البيت من الطويل، وهو من قصيدة المتنبي التي مطلعها:

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ وَرُدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ



كَذَلِكَ فِي أُنْسٍ غَيْرِ مُنْجَابٍ، ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾⁽¹⁾ فَعُرِّتْ أَفْرَاسُ الْمَاءِ
وَرَوَّاحِلُهُ، وَحَلَّتْ صَفَاتُ ذَلِكَ النَّهْرِ وَسَوَاحِلُهُ؛ وَبَنَّا وَالْمَائِسُ تُمَطِّينَا أَسْنِمَةً بُخْتَهَا⁽²⁾
وَعَايِنَا لَيْلَةً أَكْبَرَ مِنْ أُخْتِهَا.

وَلَمَّا وَرَدَ بَرِيدُ الْفَجْرِ، وَاسْتَرَّاحَ إِلَى الصُّبْحِ سَامِرُ الْهَجْرِ، امْتَطَيْنَا الطَّرِيقَ، وَفَارَقْنَا
ذَلِكَ الْفَرِيقَ، وَاسْتَضَحَيْنَا الْبَحْرَ جَاراً وَاقْتَحَمْنَا كَيْدَ تِلْكَ الْمَفَازَةِ لَا اخْتِسَاباً وَلَا
اِتِّجَاراً، تَارَةً نَهْدِي، وَأُخْرَى نَقْتَدِي، وَنَنْتَهِي ثُمَّ نَبْتَدِي، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ رَوْعٌ لَا يَطِيرُ لَهُ
غُرَابٌ، وَلَا يُتَوَهَّمُ لَهُ إِلَّا النَّجِيعُ⁽³⁾ شَرَابٌ. فَنَاهِيكَ مِنْ مَفَازَةٍ تُخَوِّفُ مِنَ الْبَسِيطِينَ
الشَّرَى وَالْمَاءِ، وَتُذْهِلُ اللَّيْلَ إِذَا اقْتَحَمَهَا عَنْ أَنْجُمِ السَّمَاءِ، لَوْ سَلَكَهَا جَوَادُ أَبِي
الْعَلَاءِ⁽⁴⁾ لَمْ يَكُنْ صَهِيلُهُ قِيلاً وَقَالاً، وَلَمْ يُحَسَّ بِالْخِيَالِ فَيَمِيلُ عَنْهُ مِنْ نَوْمِ ذَلِكَ
الرَّكْبِ إِزْقَالاً، وَمَا لِضَمَارِنَا وَجُوبٍ، وَلَا لِنَدْبِ ذَلِكَ الرَّوْعِ وَجُوبٍ، حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ
صَنْكَ ذَلِكَ الرَّوْعِ وَضَيْقَهُ، بِوُضُوءِنَا إِلَى السَّوِيقَةِ⁽⁵⁾، بَعْدَ أَنْ صِرْنَا لِهَوْلِ الْيَوْمِ فِي سِنِّ
الْاِكْتِهَالِ، وَأَيْدِينَا مُمْتَدَّةٌ بِالْدَّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْاِئْتِهَالِ [وَحَسْبُكَ بِنُزُولِنَا عَلَى
الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ حَامِدٍ وَكَفَى، جِيرَانِ بَخْرَيْنِ تَدَفَّقَا وَوَكَّفَا، فَبَنَّا لَيْلَتَنَا نَصْلُ
شَمْسِ الْأُنْسِ كَمَا تَوْصَلُ دُرُّ السَّلَكِ، وَنَقُولُ لِرَوْعِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَاضِي هَذِهِ بَيْتُكَ،

(1) سورة ص، الآية: 31.

(2) البخت: كلمة معربة عن الفارسية معناها الإبل الخراسانية وقال بعضهم إنها كلمة عربية واستدل بقول
الشاعر:

إِنْ يَعْشُ مُضْعَبٌ فَإِنَّا بِخَيْرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا تُرْجِي
يَهْبُ الْأَلْفُ وَالْخَيُْولُ وَنَسْفِي لَبَنَ الْبُخْتِ فِي قِصَاعِ الْخَلَنَجِ

(3) النجيع: الدم وقيل هو دم الجوف خاصة، قال طرفة:

عَالَيْنَ رَقْمًا فَآخِرًا لَوْنُهُ عَبَقْرِي كَنْجِيعِ الدَّيْبِخِ

(4) يقصد ما قاله أبو العلاء المعري الشاعر العباسي المشهور:

وَأَبْقَظَ بِالصَّهِيلِ الرَّكْبَ حَتَّى ظَنَنْتُ صَهِيلَهُ قِيلاً وَقَالاً

(5) السويقة: بلد يرد ذكرها في المصادر المسيحية، انظر جيشار.



ولَمَّا وُلِدَ النَّهَارُ، وَكُشِفَتْ لِلنُّجُومِ الزُّهْرُ أَزْهَارُ، نَقَلْنَا الْوَزِيرَ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى الْمُنْبِيَةِ الْكُبْرَى، وَأَحَلْنَا مِهَادَ كَرَامَتِهِ الْأُخْرَى، فَكَانَ انْتِقَالَنَا مِنْ كَيْدٍ إِلَى قَلْبٍ، وَمِنْ عَيْنٍ إِلَى قَلْبٍ، فَاقْتَضَيْنَا بِهَا شَيْبَ يَوْمِ شَبَابٍ لَيْلٍ، ثُمَّ انْحَدَرْنَا إِلَى: السَّوِيقَةِ انْحِدَارَ السَّيْلِ، فَاجْتَلَيْنَا مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَجْهًا لِلتَّبَرُّكِ سَافِرًا، وَشَاهَدْنَا هَا وَإِنْ لَمْ تَلْزَمْ مُسَافِرًا، ثُمَّ أَضْعَدْنَا مُرْتَقِينَ مِنْ ذَلِكَ الْحِصْنِ إِلَى شَفِيقِ الْأَبْلَقِ وَمَارِدٍ⁽¹⁾، وَمَحَلٌّ بِهِ كَانَ يَقْصِدُ مَقَاعِدَ السَّمْعِ كُلِّ مَارِدٍ، لَا يَطْرُقُهُ الْوَهْمُ، وَلَا يَرْشِقُهُ سَهْمٌ.

وَيَكَادُ مَنْ يَرْقَى إِلَيْهِ مَرَّةً مِنْ دَهْرِهِ يَشْكُو انْقِطَاعَ الْأَبْهَرِ⁽²⁾

فَبَلَّغْنَا بِهِ إِلَى حَيْثُ نُصِيخُ لَأَسْرَارِ النُّجُومِ، وَنَطْلَعُ عَلَى بَعْضِ الشَّيَاطِينِ فِي قُلُوبِ الرُّجُومِ⁽³⁾. وَمَا حَدَرْنَا إِلَّا وَنَحْنُ نَرْمِي مَنَازِلَنَا فِي الْأَرْضِ رَمِي مَنَافِرٍ، وَنَكَادُ تَنَنَاجِي مُنَاجَاةِ شِصَارٍ أَوْ خُنَافِرٍ⁽⁴⁾ وَعِنْدَ ذَلِكَ بَادَرْنَا الْفَقِيهَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ مُتَتَالٍ حَامِلُ لَوَاءِ الْمَعَارِفِ، وَمُتَمَلِّكُ التَّالِيدِ مِنَ الْمَحَاسِنِ وَالطَّارِفِ، فَاقْتَدَحَ فِي تَأْنِيْسِنَا زَنْدَهُ، وَعَزَمَ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ عِنْدَهُ، فَسَرْنَا إِلَيْهِ وَاللَّيْلُ قَدْ عَزَمَ، وَالنَّهَارُ قَدْ انْهَزَمَ، وَمَا وَصَلْنَا مَنَزِلَهُ إِلَّا وَالظَّلَامُ قَدْ أَعْتَمَ، وَسِرُّ الشَّفَقِ قَدْ اكْتَسَمَ. فَبِتْنَا بِمَحَلِّهِ فِي أَطْرَفِ حَوَارٍ، وَأَشْرَفِ حَوَارٍ، بِحَيْثُ لَا يَجُوزُ عَلَى حَرَكَهٍ أَنْسِنَا سُكُونٌ، وَمِنْ دُونِنَا لِعِتَاقِ الطَّيْرِ وَكُونٌ.

(1) فِيهِمَا يُقَالُ: تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ.

(2) الْبَيْتُ مِنَ الْكَامِلِ، وَهُوَ فِي قَصِيدَةِ لِأَبِي مِرْوَانَ الْجَزِيرِيِّ مَطْلَعُهَا:

أَلْوَى بَعَزَمَ تَجَلْدِي وَتَصْبِرِي نَأْيُ الْأَجَبَةِ وَاعْتِيَادُ تَذَكَّرِي

(3) مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَئَيْنَا الْأَسْمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾. سُورَةُ الْمَلِكِ، الْآيَةُ: 5.

(4) خُنَافَرٍ: إِسْمُ رَجُلٍ. وَشِصَارٍ: هُوَ خُنَافَرُ بْنُ التَّوَّامِ الْحَمَرِيُّ هُوَ اسْمُ رَثِيهِ مِنَ الْجَنِّ، قَالَ خُنَافَرُ فِي رَأْيِهِ مِنَ الْجَنِّ:

نَجَوْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَحْمَةٍ تَوَرَّثْتُ مُلْكًا يَوْمَ وَدَّعْتُ شَاصِرًا

وَأَرَادَ بِشَاصِرٍ شِصَارٍ، فَغَيَّرَ الْاسْمَ لِحُضُورَةِ الشَّعْرِ وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ.



وَلَمَّا نَشَرْتُ ذُكَاءَ لَوَاءِهَا، وَبَثْتُ عَلَى الْخَافِقَيْنِ⁽¹⁾ أَضْوَاءَهَا، وَأَلْقَى الظَّلَامُ يَدَ مُتَهَبٍ،
وَتَطَلَّعَتِ الْجُونَةُ⁽²⁾ كَجَحْفَةِ الذَّهَبِ، عَزَمْنَا عَلَى أَنْ نَخْفِزَ فِي السَّيْرِ، وَنُجَارِيَ فِي
الْإِسْرَاعِ أَجْنِحَةَ الطَّيْرِ، فَأَسْلَمْنَا ذَلِكَ الْمَخْضِرَ وَوَدَّعْنَا مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ حَضَرَ، وَسِرْنَا
بِعَزْمٍ غَيْرِ مُرْتَابٍ، وَسِيرَ يَطْوِي الْبَيْدَ ﴿كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾⁽³⁾ إِلَى فِينِشْرَاطٍ
وَصَلَّانَهَا وَالْأَصِيلَ قَدْ وَلَّى، وَعَامِلُ الظَّلَامِ قَدْ تَوَلَّى، وَالشَّمْسُ كَالْعَاشِقِ الْحَيْرَانِ،
وَجِرَابُ الْمَغْرِبِ يَضُمُّ مِنْهَا فُرْصَ الزَّعْفَرَانِ؛ فَحَيَّمْنَا مِنْهَا بِقَصْرِ مُنِيفٍ الْإِسْتِعْدَادِ،
مُمْتَنِعٍ عَلَى الْأَنْدَادِ:

كَالْقَصْرِ ذِي الشُّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادٍ⁽⁴⁾

لَشَدَّ مَا أَجَادَ ابْنُ سَعْدٍ⁽⁵⁾ بِنَاءَهُ وَغَمَرَ بِالشُّرُورِ فِنَاءَهُ، حَتَّى آتَاهُ الدَّهْرُ بِمَا سَاءَهُ وَنَاءَهُ،
فَوَضَعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ النَّقْبِ هِنَاءَهُ، فَالْأَعْلَامُ طَوَامِسُ، وَوُفُودُ الْأَبْوَابِ رَوَامِسُ،
وَالْمَأْمُورُ بِالْإِلْتِمَامِ مَزْجُورٌ، وَالدَّارُ خَالِيَةٌ، وَالْبَابُ مَعْجُورٌ؛ فَأَطْلُنَا بِهِ أَمَدَ الْاِخْتِيَارِ،
وَقُلْتُ عَلَى جِهَةِ الْاِمْتِحَانِ لِلْخَاطِرِ وَالْاِخْتِيَارِ:

يَا مَحَلَّ الْمُلُوكِ أَيْنَ مُلُوكُ ظَافَرْتَهُمْ خِلَالَكَ النَّعْمَاءُ
نَعِمُوا وَالزَّمَانُ يَضْحَكُ مِنْهُمْ رَبُّ ضِخْكِ يَكُونُ عَنْهُ بُكَاءُ
هُدِمُوا وَالْبِنَاءُ بَاقٍ مَشِيدٌ لَيْتَهُمْ شِيدُوا وَهُدَّ الْبِنَاءُ⁽⁶⁾

(1) الخافقان: المشرق والمغرب، ذلك أن المغرب يقال له الخائق وهو الغائب، فغلبوا المغرب على المشرق فقالوا: الخافقان.

(2) الجون: من الأضداد يدل على البياض كما يدل على السواد، وقصد به الكاتب المعنى الأول. انظر كتاب الأضداد.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 103.

(4) سنداد: اسم موضع أو نهر، وفيه قال الأسود بن يعفر هذا الشطر الشعري. «اللسان»: شطره الأول:

أَهْلُ الْخَوَزَنَقِ وَالسَّيْدِ وَبَارِقِ

(5) ابن سعد: يعني به ابن مردنیش، وفي هذا القصر يقول حازم:

وَكَمْ قَصْرًا زَمْنَا لِلْسَّعْدِ فِي قَصْرِ ابْنِ سَعْدٍ بِالشُّرُورِ وَالْهَنَّا

(6) الأبيات من الخفيف.



فَأَقَمْنَا هُنَالِكَ لَيْلَنَا ذَلِكَ، إِلَى أَنْ غَلَبَ الْيَقْتُ الْحَالِكُ؛ ثُمَّ امْتَطَيْنَا الْبَيْدَاءَ، وَأَوَلَيْنَا الْمَطَايَا
الاعْتِدَاءَ، فَلَمْ يَبْلُغْ عُمُرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَدَّ الْفِطَامِ، وَلَا اسْتَمَرَ مَقُودُ الدَّمِيلِ طَوَّعَ الْخِطَامِ، إِلَّا
وَدَانَهُ أَخِينَا أَبِي الْحَسَنِ قَدْ اسْتَجَارَتْ، بِظِلَالِ الْكَلَالِ مِنْ حُرُورِ السَّيْرِ الدَّرُورِ:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ⁽¹⁾

فَكُلَّمَا طَمِعْنَا مِنْ ذَلِكَ الطَّرْفِ أَنْ يُفَارِقَ مَنَوَاهُ، لَمْ يُفْلِحْ مِنَ الْفُشْلِ عَمَّا نَوَاهُ، لَكِنَّهُ
أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَا زِلْنَا نُرَاوِدُهُ عَلَى
السَّيْرِ وَنُدِيرُهُ، وَلَمْ يَثْنِ عَنَانَهُ لِسَيْرِنَا وَثَبَّتْ تَقْدِيرُهُ، وَمِسْمَعُهُ لَا يَتَحَلَّى مِنْ كَلَامِنَا
بِشَنْقٍ، وَمَطَارِفُنَا مِنْهُ جِلْدَةٌ مَا بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ⁽²⁾ فَطَوَّرًا نَحْنُ مُوعِدُونَ، وَطَوَّرًا
وَاعِدُونَ، وَلِسَانُ الْحَالِ يَقْرَأُ عَنْهُ ﴿إِنَّا هَلَهْنَا فَعِيدُونَ﴾⁽³⁾ حَتَّى إِذَا أَنْفَضْنَا مِنْهُ يَدَ
التَّأْمِيلِ، وَقُلْنَا نَعَاءً⁽⁴⁾ إِلَى الْخَبِّ وَالدَّمِيلِ، وَكِدْنَا نُغَادِرُهُ وَلِيْمَةً لِلْسَّبَاعِ، وَنَتْرُكُهُ عُرْسًا
لِلضَّبَاعِ، فَحِينَ رَأَى مَبَانِي أَمَالِنَا فِيهِ قَدْ هُدِمَتْ، وَعَلَى الْاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ قَدْ قَدِمَتْ،
أَسِفَتْ خَوَاطِرُهُ عَلَى فِرَاقِنَا وَنَدِمَتْ، وَاسْتَقَلَّ قَائِمًا مِنْ بَعْدِمَا وَبَعْدَ مَت. فَاسْتَضَحَبْنَاهُ
عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، سَفَرِ الرَّحَالَةِ، وَسَايَرْنَا جَنِيْبًا، لَا عَاصِيًا وَلَا مُنِيْبًا، كَأَنَّهُ إِنَّمَا يَخْطُو
عَلَى الْأَسَلِ، وَلِسَانُ تَحَابُّيْتِهِ يُنْشِدُ مُثِيرًا إِلَى الْكَسَلِ:

وَتَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ قَالِيَا لَكُمْ وَلَكِنَّ مَا يُقْضَى فَسَوْفَ يَكُونُ⁽⁵⁾

كَذَلِكَ حَتَّى تَضْمَخَ جَنْبُ الْأَصِيلِ بِالْعَبِيرِ، وَكَادَتِ الشَّمْسُ تَسْقُطُ مِنَ الْمَغْرِبِ
عَلَى خَبِيرٍ، إِلَى قَلْبِ⁽⁶⁾ وَصَلْنَاهَا فَحَطَّطْنَا مِنْهَا الرَّحَالَ بِقَصْرِ سَبِيلِهِ سَبِيلٌ، مَا تَقَدَّمَ، قَدْ
اسْتَشْعَرَ عَلَى بَانِيهِ الثُّكُلُ وَالنَّدَمُ، وَتَهْتَكُ حِجَابُهُ، وَأَجْفَلَ زَهْوُ رَبِّهِ وَإِعْجَابُهُ:

(1) البيت من الطويل، وهو للأحمر بن سالم المزني وينسب لغيره بهجة المجالس 1/ 228.

(2) يشير إلى قول الشاعر:

بُذِيرُونِي عَنْ سَالِمٍ وَأُذِيرُهُمْ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

(3) سورة المائدة، الآية: 26.

(4) نعاء: اسم فعل، بمعنى أنع، والنعي إشاعة خبر الموت.

(5) البيت من الطويل، من أبيات رواها صاحب الأمالي أبو علي القالي.

(6) قلب calpe: هي قاعدة مرور بالأندلس وهي مدينة كبيرة تشتهر بكثرة الزيتون والثمار. الروض
المعطار، ص: 469، بل هي التي تقع على ساحل البحر المتوسط بين لقنت ودانية.



كَأَنَّ فِي دَارِ سِوَاهَا دَارَهُ أَوْ عَلَّلَتْهُ بِالْمُنَى ثُمَّ ازْتَحَلَ⁽¹⁾
فَبِتْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ أُسَاةَ ذَلِكَ الطَّرَفِ، مُتَعَهِّدِينَ بِهِ بِالتَّلَطُّفِ تَعَهُّدَ الْأَدِيمِ بِالصَّرْفِ،
حَتَّى إِذَا غَاصَ نَهْرُ الْمَجْرَةِ، وَهُمِمْتَ⁽²⁾ أَسْنَانَ الْكَوَكِبِ الْمُغْتَرَّةِ، سِرْنَا وَقَدْ خَلَعَ ذَلِكَ
الْمُسْرَجُ سِقَامَهُ، وَكَأَنَّمَا وَافَقَ مِنْهُ تَلَطُّفُنَا ﴿جِدَارًا أَيْرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ بِأَقَامَةٍ﴾⁽³⁾
وَمَا زِلْنَا نَخْبُ، وَبَحْرُ الْآلِ يَعْثُ، إِلَى أَنْ أَطْلَلْنَا عَلَى دَانِيَةٍ⁽⁴⁾ وَعَايْنَا أَعْلَامَهَا الدَّانِيَةَ،
وَلَمَّا حَلَلْنَاهَا وَوَقْتُ الظُّهْرِ قَدْ تَنَامَى سَأَلْنَا أَطْلَالَهَا عَنْ فَتَى نَجِيبٍ، فَأَبَتْ أَنْ تُجِيبَ،
فَحَلَلْنَاهَا هَالَةً⁽⁵⁾ بَلَا قَمَرٍ، أَوْ كَمَامَةً بِلَا ثَمَرٍ، فَلَمْ يَسْتَقِمْ لَنَا فِي مُشْكِلِ الْأُنْسِ مُتَأَوِّلٍ،
وَلَمْ يَكُنْ عَلَى ذَلِكَ الرَّسْمِ الدَّارِسِ مُعَوِّلٍ⁽⁶⁾، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ أَعُوزْنَا الْمَنْزِلَ، وَتَعَدَّرَ
عَلَيْنَا الْمَنْزِلُ، فَعَمَدْنَا لِأَحَدِ الْمَنَازِلِ الْهَجَانِ⁽⁷⁾ وَجِئْنَا إِلَى مَوَاضِعِ الْأَدَاهِمِ بِالتَّيْجَانِ،
وَلَكِنَّا صَيَّرْنَاهُ بِحُلُولِنَا صَدْرَ مَجْلِسٍ، وَأَخَذْنَاهَا مِنْ رَبِّهِ أَخَذَ مُخْتَلِسٍ، وَقَنَعْنَا بِهِ قَنَاعَةً
ذِي النُّونِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَجَرَةٍ مِنْ يَفُطِينَ⁽⁸⁾ وَاقْتَصَرْنَا عَلَيْهِ اقْتِصَارَ الشَّمْسِ عَلَى الْغُرُوبِ فِي
حِمَاةٍ وَطِينٍ⁽⁹⁾، فَبُعْدًا لَهُ مِنْزِلًا لَوْ نَشَأَ بِهِ ابْنُ الرُّومِيِّ لَمْ يَكُنْ عَلَى حُبِّهِ مُقْتَصِرًا، وَلَا قَالَ
مُسْتَعْدِيًا عَلَى مَنْ يُحَاوِلُ غَضَبَهُ فِيهِ وَمُتَّصِرًا:

(1) البيت من الرجز.

(2) هتم فاه: ألقى مقدم أسنانه.

(3) سورة الكهف، الآية: 76.

(4) دانية: مدينة أندلسية تقع في الشرق منها على البحر، عامرة حسنة وعليها سور حصين. الروض
المعطار، ص: 231. الإدريسي، ص: 192.

(5) الهالة: دارة القمر، وتجمع على حالات قال الشاعر:

فِي هَالَةٍ هَلَالُهَا كَالْإِكْلِيلِ

(6) في إشارة إلى قول امرئ القيس:

وإِنْ شَفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوِّلٍ

(7) يقال: أرض هجان بيضاء لينة التربة.

(8) في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَبِتْنَا تِلْكَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَفِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَفُطِينَ﴾. سورة
الصفوات الآيتان: 145-146.

(9) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾،
سورة الكهف، الآية: 84.



وَلِي وَطَنٌ أَلَيْتُ أَلَا أَيْعُهُ وَأَلَا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرُ مَالِكَا
وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَارَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَا⁽¹⁾

يَبْدُ أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا الْحُسَيْنِ بِنَ أَبِي بَكْرٍ تَلَقَّانَا، فَشَعَشَعَ خَمْرَةَ الزِّيَارَةِ بِمَاءِ الْبِرِّ وَسَقَانَا، فَأَقْسَمَ بِمَنْ أَخْلَى جِسْمَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ مِنْ رُوحِ الْمَجْدِ، وَرَكَّبَ خَلَائِقَ الزُّهْدِ عَلَى ذَلِكَ النَّجْدِ، وَلَوْلَا ابْنُ أَبِي بَكْرٍهَا، لَصَدَقَتْهَا الْمَلَا حَاةٌ سِنَّ بَكْرٍهَا⁽²⁾، لَكِنْ لِلْأُمُورِ أَسْبَابُ، وَعَنْ قَدْرِ مَا يَنْجُو الذُّبَابُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ نَمُكِّثْ بِهَا إِلَّا ثَانِي يَوْمِ الْوُصُولِ، وَتَهَيَّأَ خِضَابُ الْاسْتِقْرَارِ لِلنُّصُولِ، وَعِنْدَمَا خَفَقَ سَيْرُنَا، وَفَارَقَ وَكَّرَ ذَلِكَ الْمَنْزِلَ طَيْرُنَا، قُلْتُ مُرْتَجِلًا، وَخَطَطْتُهُ عَلَى بَابِ تِلْكَ الدَّوِيرَةِ عَجَلًا:

يَا مَنْزِلًا جُذْنَا عَلَى رَبِّهِ فِي أَنْ حَلَلْنَاهُ بِلَا مَسْأَلَةٍ⁽³⁾
بِتَنَابِهِ يَوْمًا عَلَى نَقْصِهِ مَنْ يَغْتَرِبُ لَا يَحْتَقِرُ مَنْزِلَهُ
ثُمَّ إِنَّا نَبَذْنَا ذَلِكَ الرَّبْعَ [بِلَا تَضْيِيعٍ]⁽⁴⁾ وَاسْتَضَحَبْنَا الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ عَلَى جِهَةِ التَّشْيِيعِ، فَعِنْدَمَا عَزَمْنَا عَلَيْهِ فِي الْإِنْصِرَافِ، وَقَدْ كَادَ يَخْرُجُ فِي بَرْنَا إِلَى حَدِّ الْإِسْرَافِ، جَمَعْتُ حَاطِرِي وَحَشَدْتُهُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُهُ فَأَنْشَدْتُهُ:

أَبَا الْحُسَيْنِ مُصَغَّرًا وَمُكَبَّرًا سِرِّي يُتَرْجَمُ عَنْ وَفَاءِ شَامِلٍ
مَالِي بِمَا أَوْلَيْتُمُوهُ يَدٌ وَمَنْ بِلِسَانِ سَحْبَانَ لِفَكِّي بِأَقْلٍ⁽⁵⁾
أَوْدَعْتُ مَجْدَكُمْ وَقَدْ وَدَّعْتُكُمْ وَدَا كَمَا حَيَّاكَ زَهْرُ خَمَائِلٍ

(1) البيتان لابن الرومي: وهو شاعر عباسي اشتهر بالهجاء اللاذع وكان ينسج في شعره على منوال الخريمي. انظر ديوانه 5/ 1836.

(2) يشير إلى المثل العربي: «صدقني سن بكره».

(3) البيت من السريع.

(4) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) سحبان: رجل من ربيعة، وهو من قبيلة بكر، كان بليغا، يضرب به المثل. أما باقل: فهو أيضا من ربيعة، ولكنه كان يضرب به المثل في العي، فيقال: «إنه لأعيا من باقل». الدرر الفاخرة 1/ 311.



وَأَنسْتُ بِالْبَرِّ الَّذِي أَوْلَيْتُمُ أَنَسَ الْمُتَمِّمِ بِالرَّقِيبِ الْعَافِلِ
وَعَرِفْتُ مِنْ خَجَلِي بِكُمْ فِي لُجَّةٍ فَلْتَجْعَلُوا الْإِغْضَاءَ عَنِّي سَائِلِي
وَشَكَرْتُكُمْ شُكْرًا يَقُولُ لِبِرِّكُمْ: «هَذَا السَّنَانُ لِمِثْلِ ذَلِكَ الْعَامِلِ»
وَرَحَلْتُ عَنْكُمْ وَالْفُؤَادُ لَدَيْكُمْ فَلْتَعْجِبُوا لِي مِنْ مُقِيمِ رَاحِلٍ⁽¹⁾

ثُمَّ انْبَرَيْنَا نُرْقُلُ، وَلَا نَعْتَقِلُ، وَنَطْوِي وَلَا نَلْوِي إِلَى بَيْرَانٍ⁽²⁾ وَصَلْنَاهَا وَتَطْوِيلُ النَّهَارِ
قَدْ حَازَهُ اقْتِصَابٌ، وَمَهِيَّةٌ قَدْ أَزْدَرَهُ الْخِصَابُ؛ فَبِتْنَا بِهَا فِي بَرِّ سَجُومٍ⁽³⁾ إِلَى أَنْ فَارَقَ
جِيدَ الْخَضِرَاءِ سِلْكَ النُّجُومِ، فَانْتَحَيْنَا الْفَلَاةَ نَذْرُعُهَا، وَنَحْفِزُ الْمَطَايَا حَتَّى نَكَادَ
نَضْرَعُهَا؛ وَسِرْنَا بَيْنَ بَحْرِ وَوَادٍ، فِيهِمَا طَيُّ جُودٍ وَرَيُّْ جَوَادٍ، وَخِلَالَ ذَلِكَ دَوَحَاتُ
وَيْثَمَارٍ، وَلَقَدْ ائْتَمَرَ لَهَا الْحُسْنُ كُلُّ ائْتِمَارٍ، فَجُسْنَا خِلَالَهَا تَفْدُ عَلَيْنَا رُسُلُ الرِّيَّاحِ،
فَنُعْطِيهَا مِلءَ الْأَعْطَافِ مِنَ الْاِزْتِيَّاحِ، وَنَنْظُرُ إِلَى مَفَازَةٍ حَلَّتِ الْبَهْجَةُ فِيهَا حُبَاهَا،
وَرَوْضَاتُ تَلْطِمُ أَيْدِي الرِّيحِ أَزْدَافَ رُبَاهَا، وَظِلَالُ الْأَيْكِ تَخْفِقُ عَلَيْنَا ذَوَائِبُ، وَنَوَاسِمُ
الْصَّبَا تَحُطُّ لَدُنَا رَكَائِبُ، إِلَى بَلَنْسِيَّةٍ وَصَلْنَاهَا بَعْدَمَا عَصَمَتِ الْمَطْيِيُّ كَلَالَهَا، وَسَابَقَتْ
ذَمِيلًا وَرَسِيمًا⁽⁴⁾ ظِلَالَهَا، وَالْيَوْمُ قَدْ وَلَّى شَبَابُهُ، وَالْمَسَاءُ قَدْ اسْتَحْكَمَتْ أَسْبَابُهُ:

وَالشَّمْسُ تَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ مَرِيضَةً وَاللَّيْلُ نَحْوَ مَغِيْبِهَا يَتَطَلَّعُ
وَلَمَّا حَطَطْنَا بِهَا رَحَلَ الْإِلْهَامُ، وَخَلَعْنَا عَلَى عَطْفِ الصَّلَاةِ بُرْدَ الْإِنْتِمَامِ، سَقَطَ الْخَبْرُ
عَلَى إِخْوَانِنَا الْأَعْيَانِ، وَأَتْرَيْنَا أَرْبَابَ الْمَجْدِ وَالْبَيَّانِ، فَوَصَلُوا وَصُولَ الْمَاءِ إِلَى كَبِدِ

(1) الأبيات من الكامل.

(2) بيران: حصن من حصون الأندلس وهو في مقاطعة بلنسية قال ابن الأبار يمدح عبد الرحمن بن عبد
المؤمن ويذكر الحصن:

لِللَّيْلِ قَلْعَةُ بَيْرَانٍ وَعِزُّهَا عَلَى الْأَعَاصِيرِ فِي مَاضِي الْأَعَاصِيرِ

ديوانه، ص: 442.

(3) سجمت العين الدمع: أسالته وصبته بغزارة فهي تسجوم.

(4) الرسيم: من سير الإبل فوق الذميل وفي هذا يقول الشاعر:

أَجَدْتُ بِرِجْلَيْهَا النَّجَاءَ وَكَلَّفْتُ بَعِيرِي غُلَامِي الرَّسِيمَ فَأَرْسَمَا



الصَّدَيَانِ، وَأَهَابُوا بِرِهِمُ الْغَامِرَ، فَاتَتْ وَفُودُهُ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ⁽¹⁾ فَأَقْمَنَّا بِهَا
نُطَالِبُ مِنْ قَبُولِ [الْبَرِّ بِدُيُونِ]، وَتَهَادَانَا الْعُيُونُ فِي الْمَحَاجِرِ وَالْمَحَاجِرُ فِي الْعُيُونِ،
جِيرَانُ أَجَوَادٍ، عَطَّلُوا ذِكْرَ جَارِ أَبِي دُوَادٍ⁽²⁾، وَلَوْلَا الطُّولُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْإِمْلَالِ، الْوَافِدُ
بِالْأَسْمَاعِ عَلَى مُعَرَّسِ الْكَلَالِ، لَشَرَحْتُمْ تَفْصِيلًا، وَسَمَّيْتُهُمْ تَخْصِيلًا؛ لَكِنِّي سَأَنَافِجُ
زَهَرَ الرَّبِيعِ، بِذِكْرِ قَائِدِهَا الْأَعْلَى أَبِي الرَّبِيعِ وَأَمْضِي عَلَى الرَّسْمِ الْوَاجِبِ، وَفِي شُكْرِ
مُحَدِّثِهَا أَبِي الْخَطَّابِ بْنِ وَاجِبٍ⁽³⁾ وَأَخْلَعُ مِنَ الْحَمْدِ أَسْنَى لِبَاسٍ، عَلَى عِطْفِ
فَيْلَسُوفِهَا أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُتَمِّمِ نَهَارُهُ إِلَى الدَّهَبِ⁽⁴⁾، السَّالِكِ مِنَ السِّيَادَةِ أَهْدَى مَذْهَبٍ،
وَأَسْلُكُ مِنَ النَّشَاءِ كُلِّ طَرِيقٍ، عَلَى أَدِيبِهَا أَبِي الْحَسَنِ بْنِ حَرِيقٍ⁽⁵⁾ الرَّاكِبِ ذِكْرُهُ مَطَايَا
التَّغْرِيبِ وَالتَّشْرِيقِ، وَأَخْلَصُ التَّقْرِيبُصَ تَخْلِيصَ الْإِنْرِيزِ، لِلشَّرِيفَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي
حَرِيزٍ، ثُمَّ عُذْرًا إِلَيْهِمْ مِمَّا أَتَيْتُ وَأَقْدَمْتُ، فَأَخَّرْتُ فِي تَعْدَادِ أَسْمَائِهِمْ وَقَدَّمْتُ، فَمَا
مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ حَازَ حُطَّةَ التَّقَاضِيِ اللَّهُمَّ إِلَّا مَا أَبْدَيْتُهُ سُوءَ التَّغَاضِيِ، مِنْ نَجْلِ ابْنِ فُلَانٍ
الْقَاضِيِ، فَإِنَّهُ كَانَ أَيَّامَ انْتِزَائِنَا يَسْتَسْقِي مُزْنَ اعْتِنَائِنَا وَيَنْتَظِمُ فِي رِبْقَةِ خِدْمَتِنَا وَاهْتِمَالِنَا
وَيَزْنَعُ فِي كَنْفِ احْتِمَالِنَا وَيَسْرَفُ بِالْارْتِقَاءِ إِلَى دَرَجَةِ أَمَالِنَا، فَأَمَّا الْيَوْمَ وَقَدْ بَكَرَ خَزْرُ
بَلَنْسِيَّةٍ مِنْ رَوْحِهِ⁽⁶⁾، حَتَّى أَذَاهُ الْبُكَاءِ إِلَى تَوَحُّهِ، وَعَيَّتِ الْمَطَارِفُ اللَّيْنَةَ مِنْ جُدَامِ،

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾. سورة الحج، الآية: 25.

(2) هو أبو دُوَادٍ الإيادي اشتهر بحسن الجوار قال الشاعر:

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ نُمَّ أَوْيَ إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ

(3) أبو الخطاب ابن واجب: هو محمد بن عمر بن واجب القيس البلنسي قتل بأريولة سنة 539 هـ. انظر تحفة القادم، ص: 150، التكملة، ص: 143.

(4) أحمد بن جرج الذهبي، الذيل 1/ 279.

(5) أديب لغوي نحوي من أهل بلنسية له أرجوزة بديعة: رثى بها ابن سيده ورسالة ضمنها أبيات الجمل توفي سنة 622 هـ ترجمته في الأعلام، ج: 5، بغية الوعاة 2/ 186، التكملة رقم 679، البلغة، ص: 156، فوات الوفيات 2/ 141، معجم المؤلفين 7/ 179.

(6) هذا من قول الشاعر:

نَبَا الْخَزْرُ عَنْ رَوْحٍ وَأَنْكَرَ جِلْدَهُ وَعُجْتُ عَجِيجًا مِنْ جُدَامِ الْمَطَارِفِ



وَأَصْبَحَ الْقَوْلُ لِغَيْرِ حَذَامٍ⁽¹⁾ وَاسْتَأْسَدَتْ أَغْرَاضَ السَّخْلِ، وَاسْتَمَرَّ حُكْمُ اللَّهِ فِي كَرْبِ النَّخْلِ، فَالْكِبَرُ لَخْدِيمِنَا ذَلِكَ لَبُوسٌ، وَالْعُجْبُ عَلَى أَغْرَاضِهِ مَحْبُوسٌ، وَكَأَنَّهُ أَبُو قَابُوسٌ، إِلَّا أَنَّ زَمَانَهُ كُلَّهُ بُوسٌ⁽²⁾، وَيَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ قَاضِي مَيْلَةٍ⁽³⁾ فَلَقَدْ أَصَابَ الْمِفْصَلَ وَطَبَقَهُ، حَيْثُ يَقُولُ فِي مَنْ صَبَّحَهُ الزَّهْوُ بِالْوِلَايَةِ وَعَبَّقَهُ:

أَقُولُ لَهُ إِذْ تَيْهَنُهُ وَلَايَةٌ أَتَتْ عَرَضًا مَهْلًا فَقَدْ غَلِطَ الدَّهْرُ
تَرَفَّقُ يُرَاجِعُ فِيكَ دَهْرُكَ عَقْلُهُ فَمَا سُدَّتْ إِلَّا وَالزَّمَانُ بِهِ سُكْرُ
فَمَا بَرَحْتَ أَيَّامُهُ أَنْ تَصَرَّمَتْ وَمَا عِنْدَنَا سُكْرٌ وَلَا عِنْدَهُ عُذْرُ⁽⁴⁾

فَأَلَّ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ جَرَى، وَمِثْلُ طَارٍ وَسَرَى، وَكَلِمَةٌ وَافَقَتْ قَدْرًا، وَرَدَّتْ وَرَدَّ ذَلِكَ الزَّهْوُ صَدْرًا، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قَدْ شُغِلْنَا بِذِكْرِ هَذَا النَّازِلِ، عَنْ وَصْفِ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ وَالْمَنَازِلِ، فَلَطَّالَمَا سَحَبْنَا فِي عَشَايَا تِلْكَ الْأَيَّامِ، دُبُولَ الْإِلْتِمَامِ، تَطَوُّفًا عَلَى خَارِجِ ذَلِكَ الْبَلَدِ الرَّفِيعِ، الْوَاقِعِ حُسْنُهُ مِنْ ذَنْبِ الْوَحْشَةِ مَوْقِعِ الشَّفِيعِ؛ رَوَّضَاتٍ تَمَلُّ الصَّبَا فِي عِطْرِهَا حَقَائِبُهَا، فَتَوَرَّدُ بِطِيبِ الْأَرَجِ رَكَائِبُهَا، فَتَقَرُّ أَعْيُنُ الْعُشَّاقِ، وَبِالْإِنْشَاقِ إِلَى أَغْصَانِ عَقْدَتِ الْجَدَاوِلِ خَلَاجِلِ بِسُوقِهَا، وَلَا لَى زَهْرٍ مِثْلَتْ مِنَ الرِّيَاضِ بِسُوقِهَا، إِلَى وَادٍ كَأَنَّمَا أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ نَهْرًا، قَدْ كَلَّلَ الرَّبِيعُ صِفَتِي زَهْرًا، فَإِنْ أَعَدَّتِ النَّظْرُ قُلْتَ مَجْرَّةً وَزَهْرًا، إِلَى مَا شِئْتَ مِنْ انْتِظَامِ الْبُحَيْرَةِ وَالْبَحْرِ، فَلَادَتَيْنِ عَلَى ذَلِكَ النَّخْرِ، قَدْ حَلَّيَا ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَتَخَلَّلَاهُ كَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ؛ قَدْ مَرَجَهَا اللَّهُ بِحَرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِي﴾⁽⁵⁾ فَإِذَا ضَا حَكْتُهُمَا

(1) فيه إشارة إلى المثل المشهور: «القول ما قالت حذام»، ومعناه أن قولها سديد معتد به، وقد نظم أحد الشعراء ذلك فقال:

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ

مجمع الأمثال 2/ 106، خزائن الأدب 4/ 370.

(2) يشير إلى قصة النعمان بن المنذر الذي كان له يوم نعيم ويوم بؤس.

(3) شعره في الذخيرة 4/ 2 - 533، المطرب 48. وفيات الأعيان 5/ 348، رفع الحجب في أماكن متفرقة.

(4) الأبيات من بحر الطويل، الذخيرة 4/ 2 - 533، المغرب، ص: 48، وفيات الأعيان 5/ 348.

(5) سورة الرحمن، الآية: 18.



الشَّمْسُ انْعَكَسَ الضَّيَاءُ، وَزَادَ الْاِخْتِفَالُ فِي النُّورِ وَالْإِغْيَاءُ، فَمِنْ حَيْثُ مَا اسْتَقْبَلَتْ تِلْكَ
الْمَدِينَةُ أَشْرَقَتْ، وَكَيْفَمَا لَمَحَتْ أَسَارِيرَهَا بَرَقَتْ:

وَقَالُوا: هَلِ الْفِرْدَوْسُ مَا قَدْ وَصَفْتَهُ فَقُلْتُ: وَمَا الْفِرْدَوْسُ فِي الْجَنَّةِ الْآخَرَى
بَلَنْسِيَّةُ تِلْكَ الرِّبْزِ جَدَّةُ الَّتِي تَسِيلُ عَلَيْهَا كُلُّ لَوْلُؤَةٍ نَهْرًا⁽¹⁾

فَمَا زِلْنَا بِهَا فِي شَقَائِقِ أَيَّامِ الشَّبَابِ، وَحَدَائِقِ انْتِظَامِ الْأَحْبَابِ، نَحْكُمُ فِي حَزَنِ
الْأُنْسِ وَسَهْلِهِ، حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ، وَالزَّمَانَ بِمُسَاعَدَتِنَا قَمَنَ⁽²⁾ وَمَنْ يَكُنْ ضَيْفَ
الْأَمِيرِ يَسْمَنُ حَتَّى إِذَا قَرُبَ أَمْدُ الرَّحِيلِ، وَغَلَبَ وَاجِبُهُ عَلَى الْمُسْتَحِيلِ، عَزَمَ عَلَيْنَا
الْفَقِيهَانِ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَيْشُونَ وَأَبُو الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ⁽³⁾ اللَّذَانِ يَقُولُ لِسَانُ الْاِخْتِيَارِ
لِكُلَيْهِمَا أَنْتَ عِنْدِي كَسَالِمٍ⁽⁴⁾، فِي أَنْ تُسَايِرَهَا لِمَشَاهِدَةِ أُمِّ الْعَجَائِبِ، وَرُؤْيَةِ مَنْظَرِ
تُضْرَبُ إِلَيْهِ أَكْبَادُ النَّجَائِبِ، فَأَعْطَيْنَا الْقِيَادَ، وَامْتَطَيْنَا الْجِيَادَ، إِلَى مُرْبَاطٍ⁽⁵⁾ وَصَلْنَاهَا
وَالشَّمْسُ كَأْسٌ فِي يَدِ الْاِغْتِبَاقِ، وَالشُّهُبُ تَسْتَعِدُّ لِلْسَّبَاقِ، فَبَادَرْنَا إِلَى ذَلِكَ الْمَنْظَرِ
الْعَجِيبِ، وَلَبَيْنَا دَاعِيَهُ تَلْبِيَةً مُجِيبٍ، فَأَجَلْنَا الْعُيُونَ فِي هَيْكَلٍ عَظِيمٍ، وَشَكَلَ قَدْ تَقَلَّدَ
مِنْ الْإِتْقَانِ بَحْلِي نَظِيمٍ، قَدْ نُضِدَ بِنَاؤُهُ بِالْفَرَاسِخِ، وَمِثْلَ تَاجٍ عَلَى مَغْرَقِ ذَلِكَ الطُّودِ
الرَّاسِخِ، وَكَأَنَّمَا فَرَعَ تِلْكَ الرُّبَا، يَبْتَغِي عَلَى السَّمَاءِ تَسْرُبًا، أَوْ كَأَنَّهُ حِصْنٌ أَبَدَعَتْهُ الْجِنُّ

(1) البيتان من الطويل، وهما لأبي حريق.

(2) قمن: حري وخليق وجدير، ويأتي بالكسر فيقال: قمن. وله نفس المعنى.
فقال الشاعر:

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَئِنَّ مَنَزِلَنَا فَلَا تُخَوِّاتُهُ مِنَّا مَنَزِلُ قَمِنَ

اللسان: «قمن».

(3) هو أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي عالم مشهور. انظر الرسالة الجامعية التي أنجزتها عنه ثريا
الليهي تحت إشراف أستاذنا الدكتور محمد بن شريفة.

(4) يشير إلى قول الشاعر:

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُدِيرُهُمْ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

(5) مرباط morviedro: حصن بالأندلس قريب من طرطوشة بها مساجد وفيها آثار للآول دار ملعب
وأصنام، ولعل صفوان يصف هذه الآثار التي أشار إليها الحميري. الروض المعطار، ص: 540،
العذري، ص: 19-145، الرازي، ص: 72.



لَسْلَيْمَانَ أَوْ مَا حَدَّثَنَا الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنْ صَرْحِ هَامَانَ⁽¹⁾ قَدْ قُسِّمَ عَلَى مَنَازِلٍ، يُبَارِي فِيهِ الْعَالِي النَّازِلَ، وَقُدِّمَ الْإِمَامُ عَلَى الْمَأْمُومِ، وَرُتِبَةُ الْمَخْفُوضِ عَنِ الْمَنْصُوبِ وَالْمَجْزُومِ، فَدَلَّ وَضَعُ بُيَانِهِ الْمَرْصُوصِ، عَلَى أَنَّهُ اخْتَرَعَ لِأَمْرِ مَخْصُوصٍ، وَأَشْهَدَتْ تِلْكَ الْأَنْوَاعُ وَالْأَجْنَاسُ، بِأَنَّهُ كَانَ لِيَوْمٍ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ⁽²⁾ غَيْرَ أَنَّهُ ارْفَضَ مِنْ جَنَادِلِهِ، وَانْقَضَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَجَادِلِهِ، وَدَاخَلَهُ مِنَ التَّدَاعِي، وَأَجَابَهُ الْخَرَابُ الدَّاعِي، مَا يُنْبِئُ عَنِ اسْتِصْحَابِ أَبَدٍ وَاقْتِرَابِ مِنْ عَهْدٍ لُبْدٍ⁽³⁾ فَطَفْنَا مِنْهُ بِكَعْبَةِ الْعَبْرِ، وَعَايْنَا مَنْظَرًا لَا تَشْرَحُهُ عِبَارَةُ الْخَبَرِ، لَا يُخْبِرُ عَنْهُ إِلَّا مَنْظَرُهُ، وَلَا يَشْفِي مِنْ حَدِيثِهِ إِلَّا مَحْضَرُهُ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَنَجْمٌ مِنْ سَمَاءٍ، وَنُقْطَةٌ مِنْ دَأْمَاءٍ⁽⁴⁾ وَفِيهِ أَقُولُ:

يَا مَضْنَعًا قَدْ تَرَدَّى حُلَّةَ الْهَرَمِ	مَشْهُودٌ حَالِهِ عُنْوَانٌ عَنِ الْقِدَمِ
كَمْ طَافَ حَوْلَكَ مِنْ حَافٍ وَتَمْتَعِلٍ	بَادُوا وَأَنْتَ حَبِيسُ الدَّهْرِ لَمْ تَرِمِ
وَكَمْ تَأَلَّفَ فِيكَ الرُّومُ وَاجْتَمَعُوا	وَأَنْتَ فِي أَنْفِ ذَاكَ الْجَمْعِ كَالشَّمَمِ
وَالدَّارُ دَارُهُمْ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُمْ	وَصِيَّتُهُمْ فِي الْوَرَى نَارٌ عَلَى عِلْمِ
حَتَّى انْتَحَتْهُمْ صُرُوفُ الدَّهْرِ فَانْقَرَضُوا	فَأَيْنَ رِمَتْهُمْ فِي جُمْلَةِ الرَّمَمِ
يَا مُشْبِهَ الْقَوْسِ إِلَّا أَنْ أَسْهَمَهُ	فَضَّتْ عَلَى مَنْ تَبَنَّاهُ مِنَ الْأُمَمِ
تَاجٌ وَلَكِنَّ ذَاكَ الطُّودَ مَفْرُقُهُ	قَدْ حَلَّ فِيهِ مَحَلُّ الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ
قَالُوا هُوَ الْمَلْعَبُ الْبَادِي فَقُلْتُ لَهُمْ	نَعَمْ، وَلَكِنْ لِيَخِيلَ الرِّيحِ وَالْدِّيمِ
يَا هَيْكَلًا أُخْبِرْتَ عَنْهُ مَنَاطِرُهُ	بِأَنَّهُ نُقْطَةٌ فِي أَبْحَرِ الْهِمَمِ

(1) صرح هامان: ذكر في القرآن مرتين في سورة القصص، الآية: 18، وفي سورة غافر، الآية: 36.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾. سورة هود، الآية: 103.

(3) في إشارة إلى المثل العربي: «طال الأبد على لبْد». جمهرة الأمثال.

(4) الدأماء: البحر.



يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ أَهْلِكَ كَيْفَ غَدَتْ؟
فَحِينَ ذَكَرْتُهُ أَهْلِيهِ طَارَ حَنِي
وَقَالَ وَلَوْ وَخَلَوْنِي وَرَاءَهُمْ
فَجَبْتُ سُورِي قَدْ مَرَّقَتْهُ أَسْفَا
أَلَيْتُ أَسْلُوهُمْ رَغِيَا لِعَهْدِهِمْ
فَأَوْدَعَ السَّمْعَ قُرْطًا مِنْ حَدِيثِهِمْ
أَشْلَاؤُهُمْ لِلرَّضَى لَحْمًا عَلَى وَضَمِّ⁽¹⁾
عَنْهُمْ وَحَاوَرَنِي نُطْقًا بِغَيْرِ فَمٍ
وَاسْتَوْدَعُونِي حُسْنَ الرَّغْيِ لِلذَّمِّ
وَسِنْ صَخْرِي مَقْرُوعٌ مِنَ النَّدَمِ⁽²⁾
أَلَيْسَ رَغِي لِدَاكَ الْعَهْدِ مِنْ كَرَمٍ؟
يَا مَنْ رَأَى أَعْجَمًا يُنْبِي عَنِ الْعَجَمِ⁽³⁾

فَبِتْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِهَا، وَلَمْ نُفَرِّقْ بَيْنَ ظُهُورِ الْمَطِيِّ وَقَتَبِهَا، وَالْاِعْتِبَارُ يُبْدِي بِنَا وَيُعِيدُ،
وَلَنَا فِي سَهْلِ التَّعَجُّبِ وَحُزْنِهِ تَضُوبٌ وَتَضَعِيدُ، كَذَلِكَ حَتَّى انْقَضَتِ الطَّيْرُ عَنْ
الْوُكُوفِ، وَنَسَخَ حُكْمُ الْاِبْتِغَاءِ حُكْمَ السُّكُونِ، وَتَمَخَّضَ حَشَا اللَّيْلِ عَنْ جَنِينِ
الشَّمْسِ، وَوَفَدَ عَلَيْنَا رَضِيعَ لُبَانِ الْأَمْسِ، اقْتَعَدْنَا الْخَيْلَ قَافِلِينَ، وَفِي بَرْدِ الْاِنْحِفَازِ
رَافِلِينَ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي مِنْ ذَلِكَ الْقُفُولِ، أَذْنَا أَفُقَ بَلَنْسِيَّةَ بِالْأُقُولِ.

وَلَمَّا عَزَمْنَا عَلَى الْمَسِيرِ، وَطَلَبْنَا مُضْمَرُ حُبِّ الْوَطَنِ بِالتَّفْسِيرِ، سَايَرْنَا جَمَاعَةً
أَوْ لَا تِلْكَ الْإِخْوَانِ إِثَارًا، وَشِيعُونَا احْتِفَالًا فِي الْبَرِّ وَإِكْثَارًا، حَتَّى إِذَا أَمَرَهُمُ التَّوْدِيعَ
بِالرُّجُوعِ، وَمَا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَّا مَنْ انْقَلَبَ بِقَلْبٍ فَاجِعٍ مَفْجُوعٍ، وَعَايَنْتُ حَرْبَ ذَلِكَ
الْوَدَاعِ سَجَالًا، وَقَدَحْتُ بِدَيْعَتِي فَقُلْتُ ازْتِجَالًا:
أَحِبَّتْنَا نَزْحًا عَنْ ذَرَائِمِ نُزُوحِ الْكَاسِ عَنْ كَفِّ النَّدِيمِ

(1) الوض: كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو غيره قال الشاعر:
لَسْتُ بِرَاعِيِ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمِّ

(2) مقتبس من قول الشاعر:
لَتَفَرَّعَنَّ عَلَيَّ السَّنُّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتُ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

(3) الأبيات من البسيط.



وَوَدَّعْتُمْ بِبِرِّكُمْ وَلَكِنْ
فَكَانَ مَحَلٌّ هَذَا الْبِرِّ مِنَّا
وَدَاعَ الْبَذْرِ لِلَّيْلِ الْبَهِيمِ
مَحَلُّ الْبُرْءِ مِنْ جِسْمِ السَّقِيمِ
وَمَا كَانَ الْفِرَاقُ لَنَا اخْتِاجًا
فَإِذْ عُدْنَا فَبِالْحُسْنَى (1)

ثُمَّ شَغَلَنِي عَنْ إِنْشَادِهَا، مَا كُنْتُ فِيهِ مِنْ تَأَجُّجٍ لَوْعَةِ الْبَيْنِ [وإِجْهَادِهَا] [فَانْصَرَفَ
عَنَّا أَوْلَايْكَ] الْأَخْبَاب، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ
وَتَفَطَّعَتْ بِهِمْ الْأَسْبَبُ﴾ (2) وَسِرْنَا يُنْجِدُ بِنَا الْعَزْمُ وَيُثَبِّتُهُمْ، وَيَطْوِي الشَّقَّةَ جِدًّا لِلْفَلَاةِ
مُتَّهِمٍ إِلَى جَزِيرَةِ شُقْرٍ (3) وَصَلَّنَاهَا بَعْدَ إِجْهَادِ الْوَرَادِ، وَالشُّقْرُ، وَمَا حَلَلْنَاهَا إِلَّا وَالْعَصْرُ
قَدْ خَيَّمٌ، وَالْيَوْمُ مِنْ فَضْلِ عُمْرِهِ قَدْ تَأَيَّمٌ، وَرَيْنَمَا نَزَلْنَا، وَتَرَخْزَخْنَا، عَنِ الشُّرُوجِ
وَاعْتَزَلْنَا، وَصَلَّ أَخُونَا بِنِسْبَةِ الْأَدَبِ، الَّذِي نَسَلَ فِكْرُهُ إِلَى الْإِبْدَاعِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ (4)
الْمُفْلِقِ الَّذِي نَفَثَاتُهُ شَهْدَةٌ بِفَمِ الرَّحِيلِ وَالتَّعْرِيسِ، الْمَشْهُورُ بِمَرْجٍ كُحْلٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسٍ (5) فَبَذَلَ مِنْ بَرِّهِ وَبُرِّهِ، مَا لَا يُكَافَأُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْوَلْوِ كَلَامِهِ وَذَرَّهُ، وَعِنْدَمَا
أَطَافْنَا عَلَى أَفْنَاءِ الْجَزِيرَةِ وَجْهَاتِهَا، وَأَشْرَفَ بِنَا عَلَى جَنَاتِهَا وَمُتَزَهَاتِهَا، فَاجْتَلَيْنَاهَا
لَمْعَةً بَارِقٍ، أَوْ زَوْرَةً طَيْفٍ طَارِقٍ، وَنَظَرْنَا مِنْ مَدِينَةٍ رَفَلَتْ فِي دِرْعٍ وَادِيهَا، وَامْتَنَعَتْ

(1) الأبيات من الوافر.

(2) سورة البقرة، الآية: 165.

(3) جزيرة شقر: بالأندلس قريبة من شاطبة وتشتهر بروعة طبيعتها وأنهارها وفيها يقول ابن خفاجة:

بَيْنَ شُقْرٍ وَمُلْتَقَى نَهْرَيْهَا حَيْثُ أَلْقَتْ بِنَا الْأُمَانِي عَصَاهَا
وَتَغْنَى الْمُكَاءِ فِي شَاطِئِهَا يَسْتَخِفُّ النَّهْيُ فَحَلَّتْ حُبَاهَا

ديوانه، ص: 364، الروض المعطار، ص: 350، معجم البلدان 2/ 307.

(4) مقتبس من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.
سورة الأنبياء، الآية: 95.

(5) هو محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم المعروف بابن مرج كحل كان شاعرا مفلقا ورفيق
الغزل وله أمداح في كثير من أمراء وقته ورؤسائه، توفي سنة 634 هـ ترجمته في التكملة، ص: 636 برنامج
شيوخ الرعي، ص: 208، الذيل والتكملة، ص: 208، زاد المسافر، ص: 82، المغرب في حلى المغرب
2/ 373، الإحاطة 2/ 252 وفيات الأعيان 2/ 397، الوافي بالوفيات 2/ 181، نفع الطيب في صفحات
متفرقة.



بِحُسَامِهَا الْمَسْلُوكِ مِنْ غَيْرِ الْأَيَّامِ وَعَوَادِيهَا، فَاتَّخَذَتْ بِهِ مِنَ الْمَطَالِبِ مُعْتَصِمًا
وَتَحَلَّتْ فِي سِوَارِهِ مِعْصَمًا وَرُبَّمَا تَمَثَّلَتْ فِي جَوْفِ مِرَاتِهِ صُورَةٌ تَرْتَدُّ عَنْهَا أَيْدِي
الْمَكَائِدِ مَقْصُورَةٌ، وَرُبَّمَا خَلَتْ مَا مَدَّتْ مِنْهُ أَمَامَهَا مِيرْدًا، قَدْ أَكَلَتْ بِهِ خُطُوبُ الدَّهْرِ
وَصُرُوفُ الرَّدَى، وَرُبَّمَا تَخَيَّلَتْهُ بِنَائِهَا، كَرَّمَا رَشَحَ مِنْ إِنَائِهَا، أَوْ جُودًا سَالَ مِنْ أَيْدِي
أَبْنَائِهَا، أَوْ شَبَّهَتْهَا خِلَالَهُ بِمُحِبِّ قَلْصِ الْبَيْنِ ظِلَالَهُ، فَفَارَقَهُ أَحْبَابُ، وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ
دَمْعِهِ غَبَابُ، فَبِكُلِّ مَسْقِطِ نَظَرَةٍ، مَا اشْتَهَتْ الْأَنْفُسُ مِنْ نَعِيمٍ وَنُضْرَةٍ، نَهَرُ هَتَّانُ، يَحْفُهُ
بُسْتَانُ، وَمَزَايِ لِحَوَاطِرِ الْأَدْبَاءِ فَتَانُ. فَبِتَنَا بَهَا فِي قَرَى نُفُوسٍ وَأَجْسَامِ، بَيْنَ نَهْرٍ لِلنَّدَى
سَائِلِ وَزَهْرٍ لِلْأَدَبِ بَسَامِ، كَذَلِكَ حَتَّى تَوَلَّتِ الْكَوَاكِبُ لِأَعْيُنِهَا ثَانِيَةً، وَنَادَيْنَاهَا يَا لَيْلَةَ
شُقْرِ آلَا عَذَّتْ ثَانِيَةً. ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَنَا، وَأَثَقَلْنَا بِالْبِرِّ الَّذِي أَوْدَعَنَا، وَسِرْنَا فِي تِلْكَ الْبَيْدَاءِ،
لَوْثِ الرَّدَاءِ إِلَى شَاطِئَةِ⁽¹⁾، لَا مَرْحَبًا بِهَا وَلَا بِأَهْلِهَا قَاطِئَةٍ، فَتَعَسَا لَهَا مِنْ حُبَارَى، لَا
تُجَارَى وَلَا تُبَارَى، سِلَاحُهَا سِلَاحُهُمَا فَكَيْفَ يُرْجَى صَلَاحُهَا، وَمَعْدِرَتُهَا عَذِرَتُهَا،
فَهِيَ وَبَيْئَةُ السَّاحَةِ قَدِرَتُهَا، بَايَةَ مَا جَاءَتْ شَيْئًا فَرِيًّا، فَاتَّخَذَتْ الْجَامِعَ وَرَاءَهَا ظَهْرِيًّا،
وَاعْتَلَقَتْ بِالصَّنَمِ⁽²⁾ اعْتِلَاقَ الْمُبْتَدَأِ بِالْخَبَرِ، ﴿إِنَّهَا لَا خَذَى الْكُبَرِ﴾⁽³⁾ فَأَقَامَتْهُ
لِسُوقِهَا مُشَاهِدًا، وَعَلَى فُسُوقِهَا شَاهِدًا، فَمَا لِأُمِّ صَخْرٍ، وَالَادِّعَاءِ فِي الْفَخْرِ، إِنْ هِيَ
إِلَّا كَذَابِغَةٌ وَقَدْ حَلُمَ الْأَدِيمُ⁽⁴⁾، فَلْتَنَازَحْ فَلِغَيْرِهَا التَّقْدِيمُ:

(1) سبق التعريف بها.

(2) اشتهرت المدينة بهذا الصنم وقد وصفه كثير من الشعراء الأندلسيين من بينهم أبو عامر بن عثمان
الذي يقول فيه:

بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا الرُّومِ مُعْجِبَةٌ أَبْدَى الْبُنَاءِ لَنَا مِنْ أَمْرِهَا حَكَمًا
لَمْ نَدْرِ مَا أَضْمَرُوا فِيهَا سِوَى أُمِّ تَتَابَعَتْ قَبْلُ سَمَوُهُ لَنَا صَنَمًا

زاد المسافر، ص: 133، الروض المعطار، ص: 337.

(3) سورة المدثر، الآية: 35.

(4) هذا في قول الشاعر:

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابُ إِلَيَّ كَذَابِغَةٌ وَقَدْ حَلُمَ الْأَدِيمُ



وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ قَنَاءَ قَوْمٍ كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمًا⁽¹⁾

وَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا دُثُو السَّرِّ مِنَ الضَّمِيرِ، وَحَلَلْنَا جَوَارَهَا حُلُولَ التَّاجِ بِمَفْرِقِ الْأَمِيرِ، ثَارَ بَعْضُ إِخْوَانِنَا حِرْصٌ عَلَى حُلُولِهَا، وَالتَّطَوُّفُ عَلَى رُبُوعِهَا الْخَالِيَةِ وَطُلُوبُهَا، فَقَوَّضْتُ خِيَامَ ذَلِكَ التَّمَنِّي وَقُلْتُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، غَيْرَ أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا جَعْفَرِ بْنِ جُبَيْرٍ⁽²⁾، أَوْقَدَ قَبْلَنَا إِلَيْهَا أَلْهُوبَ السَّيْرِ، وَتَقَدَّمَ مِنْ بَلَنْسِيَّةٍ مُعْتَمِدًا لِإِكْرَامِنَا بِهَا، وَالْأَخِذَ بِغَنَاءِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ الْبَلَنْسِيَّةِ وَمَنَابِهَا، فَلَمْ نُسَاعِدْهُ عَلَى الْإِقَامَةِ بِهَا، أَكْثَرَ مِنْ مَسْقِ الْحَرْفِ، أَوْ خَطَرَةِ الْوَهْمِ أَوْ رَجْعِ الطَّرْفِ، وَانْتَقَلْنَا إِلَى مَنَزِلِهِ بَيْنِي سَوَارٍ، انْتَقَالَ الْمَغْصَمُ إِلَى السَّوَارِ، فَبِتْنَا فِي بَرٍّ مُبَرٍّ، وَإِكْرَامٍ، غَيْرِ ذِي انْصِرَامٍ، وَلَمَّا أَشَارَ الصُّبْحُ بِيَمْنَاهُ وَدَعَا الْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ وَوَدَّعْنَاهُ، وَقَدْ عَبَّرَ لَفْظُ اهْتِبَالِهِ عَنْ مُنَاهُ، وَانْحَدَرْنَا فِي قَفَرٍ صَفِيرٍ وَاقْتَبَلْنَا صَدْرَ فَلَاةٍ، تَرُوعُ كُلَّ سِغْلَةٍ⁽³⁾، فَأَوْنَةً تَرْتَفِعُ حَتَّى لَا تَتَمَيَّزُ مِنَ الْمَنَاقِبِ وَتُنْكِرُ أَثْنَاءَ تِلْكَ الْمَرَاقِبِ، وَلَوْ أَضَلَلْنَا لَنَشَدْنَا الْكَرَمَ عِنْدَ السُّحُبِ السَّوَاكِبِ، وَأَوْنَةً تَتَخَلَّقُ بِخُلُقِ الْمَاءِ، فَتَتَخَلَّى إِلَى الْمَرْكِزِ عَنِ السَّمَاءِ، إِلَى قَسْطَلَةٍ⁽⁴⁾ وَصَلْنَاهَا بَعْدَ مَسْحِ الْجَبِينِ، وَالْانْحِفَازِ الْمُبِينِ، وَمُنَادِي الْمَغْرِبِ قَدْ هَتَفَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالْغَرْبُ يَشْرَبُ مِنَ الشَّمْسِ بِالْكَبِيرِ. فَحَلَلْنَا بِهَا عِنْدَ أَخِينَا الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَامِدٍ⁽⁵⁾ حُلُولَ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الشَّاكِرِ

(1) البيت لزياد الأعجم؛ وهو من الشواهد النحوية . المغني 1/ 69، شرح شواهد المغني، ص: 74،

شرح ابن عقيل 4/ 123.

(2) أحمد بن جبير والد الرحالة المشهور كان ببلنسية ثم انتقل إلى شاطبية بعد أن خلع عبد الملك بن مروان بن عبد العزيز من رئاسة بلنسية سنة 540 هـ، انظر الذيل والتكملة 1- 79/ 1.

(3) السعلاة: الغول وقيل هي ساحرة الجن، قال جرّان العود:

هُمَا الْغُولُ وَالسَّعْلَةُ وَأَسِي مِنْهُمَا مَخْدَشُ مَا بَيْنَ التَّرَاقِي مُكْدَحُ

(4) قسطله دراج: قرية تقع في غرب الأندلس وإليها ينسب الشاعر الفحل ابن دراج القسطلي. الروض المعطار، ص: 479، الإدريسي، ص 179.

(5) أبو محمد بن حامد شاعر موحد كان بينه وبين صفوان صداقة متينة، وقد مدحه بشعر أورده في زاد المسافر، ص: 82.



الشَّاكِرِ الحَامِدِ، فَأَنْخَنَّا بِالْمَحَلِّ الخَصِيبِ، وَكَأَنَّا بَيْنَ مِضْرٍ والخَصِيبِ⁽¹⁾ فَأَخْمَدْنَاهُ
سَفَرًا وَذَكَرْنَا قَوْلَ الْغَنَوِيِّ⁽²⁾: «جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا».

هُمْ أَسْكَنُونَا فِي ظِلَالِ بُيُوتِهِمْ ظِلَالِ بُيُوتِ أَرْفَاتٍ وَأَظْلَلَتْ
أَبْوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنًا تُلَاقِي الَّذِي يَلْقُونَ مِنَّا لَمَلَّتِ⁽³⁾

وَبِإِنِّي يَوْمَ عَزَمْنَا عَلَى أَنْ نُسَلِّمَ إِنْصَاحَ الْمُقَاوِمِ إِلَى الْحَصَرِ⁽⁴⁾ وَنَتَّقِلَ مِنْ ذَلِكَ
الْمُورِدِ الْعَذْبِ ﴿كَلَمَحِ الْبَصْرِ﴾⁽⁵⁾، وَنَهَجْرُهُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْعُدُوبَةِ وَالْخَصْرِ؛ وَمَا
سِرْنَا إِلَّا وَالشَّمْسُ مُسْتَوْفِيَةُ الْأَلَاءِ، مُرْتَقِيَةٌ دَرَجَةَ الْعَلَاءِ، ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى
هَؤُلَاءِ﴾⁽⁶⁾ وَعِنْدَمَا اكْتَفَيْنَا ذَلِكَ الرَّسِيمَ، نَافَخْنَا مِنْ بَلَنَسِيَّةٍ⁽⁷⁾ نَسِيمٍ، طَاوَعَهُ مِنَّا مَيْتٌ
وَقَسِيمٍ، فَقُلْتُ وَالشُّوقُ بَيْنَ الدَّمْعِ وَالخَاطِرِ يَزُوي وَيَسِيمُ:

تَأَرَّجَ عَرْفُ النَّسِيمِ النَّدِيِّ فَبَرَّحَ بِالْهَائِمِ الْمُكْمَدِ⁽⁸⁾
فَيَا لَيْتَ صَدْرِي مَثْوَى لَهُ وَإِنْ هَاجَبَتِ الرِّيحُ لِلْمَوْقِدِ
وَقَدْ خَطَرْتُ بِالْهَوَى خَطَرَةً تُثِيرُ الصَّبَابَةَ فِي الْجَلْمَدِ
فَلَيْتَكَ أَشْرَفْتَ مِنْ أَضْلَعِي تَرَى فِي سَبِيلِ الْهَوَى مَقْصِدِي
جَرَيْتُ أَعَانِقُ مَسْرَى الصَّبَا وَأَعْقَدُ فِي الذَّلِيلِ مِنْهُ يَدِي

(1) يشير إلى قول أبي نواس:

أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِضْرٌ فَتَدَفَّقَا فِكَلَاكُمَا بَخْرُ

(2) هو طفيل بن كعب الغنوي وتمام البيت وبعده البيتان:

جَزَى اللَّهُ عَنِّي جَعْفَرًا حِينَ أَزَلَقْتُ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَلْتُ

(3) البيتان من الطويل.

(4) الحصر: ضرب من العي وعدم القدرة على الكلام والبيان.

(5) سورة النحل، الآية: 77. سورة القمر، الآية: 50.

(6) سورة النساء، الآية: 142.

(7) سبق التعريف بها.

(8) الأبيات من المتقارب.



لَعَلِّي أَظْفَرُ مِنْهُ بِمَا تَرَدَّدَ فِي عِطْفِكَ الْأَمْلَدِ⁽¹⁾
 أَطَارِحُهُ نَفَثَاتِ الْهَوَى أَنَا الْمُتَّهِي وَهُوَ الْمُتَّبِي
 فَيَصْدُرُ عَنِ نَفْسِي مُخْرِقًا وَعَنْ أذْمُعِي وَهُوَ رَطْبُ نَدِي
 وَلَمْ نَسِرْ بَعْدَهَا إِلَّا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى⁽²⁾ حَتَّى قَرَّبَ التَّعْرِيسُ مَنَزِلَنَا وَأَدْنَى إِلَى
 بَطْرِيرِ⁽³⁾ وَصَلَّنَاهَا عَصْرًا، وَنَحْنُ نُنَادِي مُشِيرِينَ إِلَى الْهُدُونِ يَا نَضْرُ نَضْرُ نَضْرًا⁽⁴⁾
 فَبَادَرَنَا صَاحِبُنَا الْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الْمَدِينِيِّ⁽⁵⁾ مُبَادَرَةً الْعَيْنِ لِلْوَسْنِ، وَاعْتَلَقَ بِنَا
 اعْتِلَاقَ الْأَدِيبِ بِالْوَجْهِ الْحَسَنِ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَلَى رُبَا الْمُتَمَنَّى، مُقَامَ مَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ⁽⁶⁾
 بِتَلِّ بَوْنَى:
 نَزَلْنَا عَلَى أَنَّ الْمُقَامَ ثَلَاثَةٌ فَطَابَ لَنَا حَتَّى أَقَمْنَا بِهَا عَشْرًا⁽⁷⁾

وَمَازِلْنَا فِي وَارِفِ ظِلَالِهَا، وَوَكِفِ اسْتِهْلَالِهَا، إِلَى أَنْ آذَنَ اللَّهُ الرَّكَائِبَ فِي
 اسْتِقْلَالِهَا. فَأَعْمَلْنَا مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْوَطَنِ نَظَرَ الْمُعِيدِ، وَوَدَّعْنَا مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ
 جَوَارًا كَجَوَارِ بَنِي سَعِيدٍ⁽⁸⁾، وَسَرْنَا يَوْمَنَا سِيرَ الْخِيَالِ، إِلَى أَنْ عَايَنَّا الْيَوْمَ مُعْصِفَر

(1) الأملد: الناعم الرخص الذي استوت قامته .

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا بِتَدَلٍّ بَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾. سورة النجم: 8-9.

(3) بطرير: مدينة توجد في مقاطعة لقنت إلى الجنوب الشرقي من شجس. الروض المعطار، ص: 339.

(4) هذا فن قول رؤية بن العجاج:

إِنِّي وَأَنْصَارُ سَطْرُنَ سَطْرًا لَقَائِلُ يَا نَضْرُ نَضْرًا نَضْرًا

(5) انظر الذيل والتكملة 5/ 428-54.

(6) مالك بن أسماء ابن خازجة الفزاري يتنسب إلى غطفان، وكان شاعرا غزلا ظريفا، الأغاني 16/ 40،

معجم الشعراء، ص: 364.

(7) البيت من الطويل وهو لمالك بن أسماء المذكور، وتل بوني من قرى الكوفة. معجم البلدان.

(8) بنو سعيد: لعلمهم أصحاب القلعة المنسوبة إليهم وقد اشتهروا بالوجود أقام عندهم الحجاري عامًا،

وفيهم يقول الرصافي البنسي:

إِنَّ الْكِرَامَ بَنِي سَعِيدٍ وَرِثُوا النَّدَى وَالْمَجْدَ أَوْحَدًا أَوْحَدًا

فَقَسَمُوا الْمَعَانِي بِالسَّوَاءِ وَفَضَّلُوا فِيهَا عِمَادَهُمُ الْكَبِيرَ مُحَمَّدًا



الأذْيَالِ، فَوَضَعْنَا خُطَى السَّيْرِ فِي يَدِ الْإِنْفِصَامِ، وَنَزَّلْنَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَرْيَةِ بَنِي عِصَامٍ ⁽¹⁾ وَصَلْنَاهَا وَالْأَصِيلُ يَقْضِي ذِمَّاءَهُ، وَيُوصِي اللَّيْلَ وَظِلْمَاءَهُ، فَخَيَّمْنَا مِنْهَا بِضِفَّةِ نَهْرِ كَاللُّجَيْنِ، وَخَلِيجِ كَمْبَرِدِ الْقَيْنِ، عَلَى عَبْرَتِهِ ⁽²⁾ دُولَابَانَ، بِالْحَيْنِ يَتَجَاوَبَانِ، يَنْدُوَانِ مِنَ الزَّهْرِ الذَّادِي وَيَتَوَسَّلَانِ الرُّوضِ وَرَاعَا [بَكْفَ رَاقِمٍ]، مِنْ أَيْنِ وَأَنْسِيَابِ بَرْزِيرِ أَسَدٍ وَاضْطِرَابِ أَرَاقِمٍ، وَسَبْكَ مِنَ الْغَدِيرِ سَبَائِكَ اللَّجَيْنِ، فَنَقَدَا مِنْهَا بِأَيْدِي الْكِمَامِ دَرَاهِمَ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، وَكَأَنَّ كِلَيْهِمَا صَبُّ أَثْقَلِ كَاهِلِهِ بِمَنْ يُحِبُّ عِرْقَانَهُ، وَتَمَادَى فِي قَيْدِهِ بَشْرُهُ وَسَفَانُهُ، وَكَتَمَ مِنْ دَمْعِهِ طُوفَانًا، فَتَفَتَحَتْ ضُلُوعُهُ تَسِيلُ حِفَانًا، فَتَبْنَا بِهَا جِيرَانَ دُولَابٍ يَهْدُلُ، وَأَغْصَانٍ تَنْثَنِي وَتَعْتَدُلُ، وَسِرِّ لِلظَّلَالِ يَنْسَدِلُ، حَتَّى إِذَا بَقِيَ مِنَ اللَّيْلِ حَدُّ الْوَصِيَّةِ مِنَ الْمَالِ، فَضَيْنَا عَلَى مَبْدُولِ الشَّرَى بِالْإِسْتِعْمَالِ، وَسِرْنَا وَالظَّلَامُ مُحْتَمِلٌ، وَالسَّيْرُ بِطَيِّ الشَّمْلِ مُكْتَفِلٌ إِلَى مُرْسِيَّةٍ ⁽³⁾ وَصَلْنَاهَا وَالزَّنْجِيَّ ⁽⁴⁾ يُشِيرُ لِلتَّوْدِيعِ، وَمَاءُ الْفَجْرِ يَرْشُحُ مِنْ إِنَاءِ اللَّيْلِ الصَّدِيعِ، فَقَضَيْنَاهَا سَفَرَةً لَوْلَا أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا أَمْرَهُ الْإِنْقِيَادُ وَالْإِسْتِسْلَامُ، يَقُولُ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ» ⁽⁵⁾ لَقُلْتُ كَانَتْ جُمْلَةً قِطْعَ النَّعِيمِ الْعَذَابِ. لَكِنِّي أَسْلُكُ بِالْحَدِيثِ نَهْجَ التَّأْوِيلِ وَالتَّغْلِيلِ وَأَقُولُ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَعْتَدَّ بِالْقَلِيلِ، وَأَجْعَلُ هَذِهِ السَّفَرَةَ مِنَ النُّوَادِرِ الَّتِي لَا يُعْرَضُ إِلَيْهَا، وَالشَّوَادُّ الَّتِي تُحْفَظُ وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهَا.

(1) بنو عصام: ذكرها حازم في مقصورته فقال:

وَحَلَّ فِي بَنِي عِصَامِ عَصْمَهُ
وَقَضَّ هَؤُلَاءِ الْمَزْدَادِ وَفَرَا

رفع الحجب 1/ 176.

(2) العبرين: الجانيين أو الطرفين قال النابغة:

وَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِيهُ
تَرْمِي أَوَادِيَهُ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ
يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهُ سَنِيبَ نَافِلَةٍ
وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

(3) مرسية: مدينة أندلسية مشهورة، قال الرندي:

فَأَسْأَلُ بِلَنْسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ

(4) الزنجي: يقصد به الليل.

(5) حديث مشهور.



وَبَعْدُ: فَإِذَا شَكَرَ اللَّهُ مَنْ كَانَ لِخَيْرِ سَبَبًا، وَأَجَالَ فِي مِيدَانِ أَمَلِهِ جِيَادَ التَّسْهِيلِ حَبِيبًا، فَأَدَامَ اللَّهُ مُدَّةَ أَحْيَانَا الْوَزِيرِ الْحَسِيبِ، وَحَفَظَهُ عَلَيْنَا حِفْظَ الْمُقَامِ عَلَى عَسِيبِ⁽¹⁾، فَإِنَّهُ الَّذِي أَثْبَتَ لَنَا فِي مَوَاقِفِ هَذِهِ التُّزْهِةِ قَدَمًا، وَأَوْجَدَ مِنْ عَزَائِمِنَا لِحُلُولِ هَذِهِ الْمَعَاهِدِ عَدَمًا. وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الرُّحْلَةُ جَرْيَا عَلَى مَا اقْتَضَاهُ رِضَاهُ، وَاتَّبَاعًا لِمَا نَوَاهُ هَوَاهُ؛ رَأَيْتُ أَنْ أَرْسُمَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ فِي أَوْصَافِهَا؛ وَأَبْذُلَ الْجُهْدَ فِي إِنْصَافِهَا؛ وَأَقْلُدَهَا جِدَدَ مَجْدِهِ عَقْدًا، وَأَجْعَلَهَا لِعَقِيلَةِ بَرِّهِ نَقْدًا، وَأُذِيعَهَا بِشُكْرِ أَخُوْتِهِ الَّتِي أَحَالَتْ مُجْدِبَ الْوَفَاءِ مُخْصِبًا، وَحَلَّتْ مِنْ اعْتِقَادِي مَحَلَّ أَيَّامِ الصَّبَا:

وَقَدْ تَبَدَّلْتُ مِنْ كُلِّ بِمُشَبِّهِهِ فَمَا وَجَدْتُ بِأَيَّامِ الصَّبَا عِوَضًا⁽²⁾

وَمِنْ اللَّهِ تَعَالَى نَسْأَلُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا، وَيَجْعَلَ التَّجَاوُزَ إِلَى طَرِيقِ رَحْمَتِهِ مَطَايَانًا، وَيَجْمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي رِضْوَانِهِ وَصَفْحِهِ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ الزَّهْرِ وَطِيبِ نَفْحِهِ، أَوْ بَيْنَ هَمَامٍ وَالْقَيْدِ، وَعَبَّاسٍ وَالْعُبَيْدِ، وَالنُّحَاةِ وَضَرْبِ زَيْدٍ، ثُمَّ إِذَا كَانَ الشَّأْنُ فِي الْفَضْلِ، وَبِخَوَاتِمِ الْعَمَلِ إِحْرَازُ الْفَضْلِ؛ فَلَنَخْتِمَ بِصَلَاةِ عَاطِرَةِ الْأَكْوُسِ، وَسَلَامِ أَخَفِّ مَوْقِعًا مِنَ الْبُشْرَى عَلَى الْأَنْفُسِ، نَخُصُّ بِهَا سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَوُسْطَى عَقْدِ الْمُتَفَاخِرِينَ، مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، الْمَخْصُوصِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، عَدَدَ بُكَاءِ الْقَطْرِ وَانْتِحَايِهِ، وَرَزَقْنَا التَّكْرِيمَ، بِحُبِّهِ مِنْ رَسُولٍ كَرِيمٍ:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِكَفِّهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ⁽⁴⁾

(1) عسيب: فيه إشارة إلى قول امرئ القيس:

أَجَارَتْكَ إِنِّ الْمَرَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

(2) البيت من البسيط وهو للمعري.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 106.

(4) البيت لأبي طالب يمدح به الرسول ﷺ؛ وثمان اليتامى: غياثهم. وثمانهم: أطعمهم وسقاهم. اللسان: «ثمل».



ثُمَّ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اغْتَفَرَ الْكَثِيرَةَ لِلْقَلِيلَةِ، وَنَظَرَ إِلَى مَقَالَتِنَا هَذِهِ بِالْعَيْنِ الْكَلِيلَةِ.
وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وَلَهُ مِنْ رِحْلَةٍ:

وَلَمَّا فَصَى اللَّهُ أَنْ يُمَثَّلَ أَمْرُ النَّوَى، وَبَيَّتَ لِلزَّمَانِ مِنْ قَطْعِ إِصْصَالِ مَا نَوَى، سَفَرَ لِي⁽¹⁾
عَنْ وَجْهِهِ السَّفَرُ، وَنَفَرَ عَنِّي أَوْلَايَكَ الْقَوْمُ وَالتَّفَرُّ، فَوَدَّعُونِي وَوَدَّعْتُهُمْ، وَأَوْدَعُونِي
أَضْعَافَ مَا أَوْدَعْتُهُمْ، وَلَوْ لَا مَا لَمْ يُسْتَعْمَلْ وَدَّعَ لَقُلْتُ وَوَدَّعُونِي لِلْمُقِيمِ الْمُقْعَدِ
وَوَدَّعْتُهُمْ، فَبَسُرْتُ أَمْتَطِي السُّهُولَ وَالْحُزُونَ، وَأَضَاهِي بِمَاءِ شُؤُونِي⁽²⁾ الدَّرَّ الْمَخْزُونِ،
إِلَى أَرْيُولَةٍ وَصَلْنَاهَا، وَالشَّمْسُ مَرْضَى أَصَائِلُهَا، وَالرَّبِّي مُعْصِفَةٌ وَصَائِلُهَا، فَحَلَلْنَا بِهَا
الرَّحَالَ، وَبَيَّتْنَا التَّرْحَالَ، فَلَا أَذْرِي هَلْ نَقَلْتُ إِلَيْهَا صُورًا، أَمْ فُرِشْتُ فِي مَصَاجِعِهَا
النُّصُولُ؟ وَلَا شَكَّ أَنَّ وَجْهَ الْجَذَلِ تَنَكَّرَ، وَتَذَكَّرْتُ وَمِنْ حَاجَةِ الْمَخْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَ، فَلَا
غَرَوْ أَنْ جَمَعْتُ مُفْتَرِقَ خَاطِرِي وَحَشَدْتُ، وَطَلَبْتُ ضَوَالَهُ وَنَشَدْتُ، وَرَفَعْتُ
عَقِيرَتِي⁽³⁾ وَأَنَشَدْتُ:

يَا أَرْضُ تَذْمِيرَ هَلْ حَدِيثُ	يَخْطُرُ بِي مِنْكَ أَوْ يَلِمُ
كَمْ فِيكَ لِي مِنْ خَلِيلٍ صَدِيقِ	السَّهْدُ إِلَّا لَدَيْهِ سُمُ
وَمِنْ بُكُورٍ وَمِنْ رَوَاحِ	يَخْصُصُ بِالْبَشْرِ أَوْ يُعْمُ
لِلَّهِ فَيَمَنْ هُنَاكَ قَوْمُ	هَمْ تَنَالِيهِمْ يَهُمُ
إِنْ جَذَعَ الْعَدْرُ أَنْفَ عَهْدِ	فَعَهْدُهُمْ شَامِخُ أَشْمُ

(1) سفر عن وجهه: أظهره وأبداه واضحا للعيان.

(2) الشؤون: مواصل عروق الرأس وملتقاها ومنها تأتي الدموع قال الشاعر:

لَا تُخْزِنِي بِالْفِرَاقِ فَإِنِّي لَا تَسْتَهْلُ مِنَ الْفِرَاقِ شُؤُونِي

(3) عقيرة الرجل: صوته إذا غنى أو قرأ أو بكى، قال الجوهري: قيل لك من رفع صوته عقيرة ولم يقيد بالغناء.



شَاعَتْ بِهِمْ لَوَعَتِي وَحُبِّي وَالْمِسْكُ مِنْ طَبْعِهِ يَنْبُتُ⁽¹⁾
وَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ هَتَفْتُ أُرْدُدُهَا، وَأُنْقِفُ سِهَامَهَا وَأَسْدُدُهَا، فَيَا لَكَ مِنْ نَفْثَةِ مَضْذُورٍ،
وَقَدْرِ هُنَالِكَ مَقْدُورٍ⁽²⁾:

رَمَيْتُ بِقَوْسٍ لَمْ يُصَبِّ وَأَصَابَنِي فَأَلْقَيْتُ قَوْسِي عَنْ يَدَيَّ وَأَسْهَمِي
وَسُقْتُ إِلَى نَفْسِي مَيِّتَةً نَفْسَهَا كَمَا اخْتَرَقَتْ فِي نَارِهَا كَفْتُ مُضْرِمٍ⁽³⁾
وَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَنْتَحُونَنِي بِلَوْمِهِمْ، وَيَجْعَلُونَ عَذْلِي بَدَلًا مِنْ بَقِيَّةِ نَوْمِهِمْ، وَأَنَا آوَنَةٌ
أَغْضُ وَأَوَنَةٌ أُطْرِفُ، وَطَوْرًا أَنْكِرُ وَطَوْرًا أَعْتَرِفُ، كَذَلِكَ حَتَّى دَعَا دَاعِي الشَّدِّ، وَتَلَقَّانَا
الرَّحِيلُ بِسَاعِدِهِ الْأَشَدِّ.

وَسِرْنَا وَالظَّلَامُ يَزْمِلُنَا فِي بَجَادِهِ⁽⁴⁾ وَالْبَيَانُ يَرْفَعُنَا إِلَى ظُهُورِ رَوَابِيهِ مِنْ بَطُونِ نِجَادِهِ
وَانْتَبَرْنَا نُوفِي الذَّمِيلَ⁽⁵⁾ بِمَا نَذَرُ، وَلَا نُلْوِي عَلَى مَنْ تَعَدَّرَ، وَالكَرَى يَهْفُو بِذَوَائِبِ الرُّكْبِ
وَيَخْفِقُ، وَالنَّسِيمُ يَلْطِمُ فِي ذُبُولِ أَرْضِيَّتِهِمْ وَيَضْفِقُ، إِلَى أَنْ أُخْرَقَتْ فَحْمَةُ اللَّيْلِ عَنْبَرُ
الْإِضْبَاحِ، وَخَبَا مِنَ النُّجُومِ الزُّهْرُ كُلُّ مُضْبَاحٍ، وَاسْتَخْفَى النَّجَاشِيُّ مِنْ دُعَاءِ الْقِبْطِيِّ⁽⁶⁾
وَكُحِلَتْ مِنْ رَمَدِ الْحَيْنِ⁽⁷⁾ أَجْفَانُ الْمَطِيِّ. فَسِرْنَا نَحْبُ وَنُوضِعُ، وَنَسْتَدِرُّ أَحْلَامَ
الْوَجِيفِ⁽⁸⁾ وَنَرْتَضِعُ، إِلَى بَطْرِيرٍ وَصَلْنَاهَا وَمُحَيَّا الشَّمْسِ كَوَجْهِي أَصْفَرَارًا، وَعَيْنُهَا كَمُقْلَةٍ
الرَّقِيبِ أَرْوَرَارًا، فَحَلَلْنَا مِنْهَا ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾⁽⁹⁾، وَخَيَّمْنَا بِأَصْلِ جَاءٍ مِنَ الْإِمْحَالِ

(1) الأبيات من مخلع البسيط.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾. سورة الأحزاب، الآية: 38.

(3) البيتان من الطويل.

(4) النجد: ما استوى من الأرض ولم يكن مرتفعاً ومنه منطقة نجد بالقرب من مكة.

(5) الذميل: ضرب من سير الإبل وقيل السير اللين، ويقال نوق ذوامل:

تَحْبُّ إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ الدَّوَامِلُ

(6) القبطي: يقصد به الديك الذي يبدأ دعاءه مع بداية الفجر، والنجاشي: هو الليل.

(7) الحين: التعب والإعياء.

(8) الوجيف: ضرب من السير.

(9) سورة إبراهيم، الآية: 39.



الإمْحَالِ بِكُلِّ فَرْعٍ، إِلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ مَاءٍ كَضْمِيرِ الْمَارِقِ كَدَرًا، أَوْ كَوَقْفَةٍ وَدَاعِنًا وَزَدًا
وَصَدْرًا، إِلَى خَوْفٍ مِنَ الْعَامَّةِ وَهُوَ كَلَامٌ لِسَانِهَا، وَإِنْ عُدَّتِ الْمَحَاسِنُ فَنُورٌ إِنْسَانِهَا،
وَمَعْنَى يَفْرَعُ الْوَاصِلُ إِلَيْهِ سَنَ النَّدَمِ ⁽¹⁾ وَلَا يَكَادُ يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلِيبِ دَمٍ، وَعَلَى
ذَلِكَ فَمَا حَالَ أَلَمُ الْجَرِيضِ، دُونَ الْقَرِيضِ ⁽²⁾، بَلْ لَمَّا اتَّقَدَّ لِلنُّجُومِ الزُّهْرُ مِجْمَرٌ:
وَرَوْحَ رُغَيَّانٍ وَنَوْمَ سُومَرٍ ⁽³⁾

وَأَذِنَ اتِّصَالَ السَّمَرِ بَانْفِصَالِ.....

وَاسْتَعَجَلْتُ وَصَرَّحْتُ بِمَا رَوَيْتُ وَارْتَجَلْتُ:

صَرَمْتُ مِنْ أَنْسِي حَبْلُ الْأَمَلِ	فَسَلَّ عَمَّا أَصَابَهُ أَوْ لَا تَسَلَّ ⁽⁴⁾
حَالٌ كَمَا شَاءَتْ صُرُوفُ الزَّمَنِ	سَرَى بِهَا الرِّكْبُ وَطَارَ الْمَثَلُ
مَدَامِيعُ تَنْحَلُّ أَسْمَاطُهَا	وَلَوْعَةٌ عُقْدَتُهَا لَا تُحَلُّ
وَمُهْجَةٌ مُسْتَطَرَفٌ عَيْنُهَا	يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ مِنْهَا الْأَجَلُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى جَمَّةٌ	وَيُغْبِطُ الْمَرْءُ بِمَا لَمْ يَنْلُ
هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ كَعَهْدِي بِهِ	وَقَلَّمَاتُ السُّعْطِفُ الدَّهْرَ هَلْ
جِيرَتَنَا مَالِي أَرَى قُرْبَكُمْ	مَالَ بِهِ الْبَيْنُ فَهَلَّا اعْتَدَلُ
لَوْ كَانَ لِي أَمْرِي وَمَنْ لِي بِهِ	لَمِتُّ مِنْ بَعْدِكُمْ لَا أَقْلُ

(1) مقتبس من قول الشاعر:

لَتَفْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنُّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتُ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

(2) هذا من يفعل المعروف: حال الجريض دون القريض.

(3) من أبيات لعمر بن أبي ربيعة يقول فيها:

وَعَابَ قُمْمِيرٌ كُنْتُ أَزْجُو غِيَابَهُ وَرَوْحَ رُغَيَّانٍ وَنَوْمَ سُومَرٍ

(4) الأبيات من بحر السريع.



لَكِنْ يُقَرُّ الْعَيْنَ أَنَّ الْجَوَى قَدْ حَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ
وَالْقَلْبُ إِلَّا مِنْ وَجِيبٍ ⁽¹⁾ عَرَى وَالْعَيْنُ إِلَّا مِنْ دُمُوعٍ طَلَّلَ ⁽²⁾
وَلَا مَنِي قَوْمٌ فَرَدُّوا بِمَا جَاءُوا وَمَلُّوا وَأَنَا لَا أَمَلُ
فَلَوْ رَأَى ضَبَّةً عَضِيَانَهُمْ لَمْ يَنْسُبِ السَّيْفَ لِسَبْقِ الْعَذَلِ ⁽³⁾
فَشَغَلَ الْقَوْمَ مَا كَانُوا بِسَبِيلِهِ، عَنْ دَيْرٍ مَا جِئْتُ بِهِ أَوْ قَبِيلِهِ ⁽⁴⁾، وَلَمْ أَرْزُ أَهْتَاجُ بِهَا
تَرْتُمًا وَتَرْجِيْعًا، فَمَا كُنْتُ بِقَائِلٍ إِلَّا رَجِيْعًا، إِلَى أَنْ هَتَفَ هَاتِفُ الرَّحِيلِ، بِمُبْرَمٍ مِنْ أَمْرِهِ
أَوْ سَحِيلٍ ⁽⁵⁾.

فَسَرْنَا وَالْفَلَاةُ تَذُوبٌ مِنْ كَدَّنَا خَجَلًا، وَالنَّجْمُ يَرْعُدُ مِنْ سُرَانَا وَجَلًا، وَوَصَلْنَا
الْجَاشِرِيَّةَ ⁽⁶⁾ بِالصَّبُوحِ، وَلَمْ نُصِخْ مِنْ نِدَاءِ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ إِلَى تَغْمُغٍ ⁽⁷⁾ وَلَا بُيُوحٍ؛ إِلَى
أُنْتُنْيَانٍ وَوَقْتُ الْعَصْرِ قَدْ أَلْقَى عَصَاهُ، وَبَلَغَ أَمْدُهُ الْمُسْتَحَبَّ أَقْصَاهُ، وَالْأَمْنُ
قَدْ أَلْقَى عَلَيْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ رِدَاءَهُ، وَأَبْرَأَ سَقَامَ ذَلِكَ الرَّوْعِ وَدَاءَهُ، فَحَلَلْنَا مِنْهَا بِمَسْرَحٍ

(1) الوجيب: الخفقان والاضطراب، جاء في الحديث الذي دار بين أبي عبيدة ومعاذ بن جبل: «إنا نحذرك من يوم تجب فيه القلوب». اللسان: «وجب».
(2) دموع طلل: أي منهمرة بتواصل دون انقطاع.
(3) في المثل العربي: «سبق السف العذل»، وهو يضرب لما قد فات وقد نسب هذا المثل: لضبة بن ضامع البرجمي. وفي الشعر تضمين للمثل؛ كما أن غير صفوان ضمنه فقال:
إِنَّمَا اخْذَرْتُ أَنْ تُبْلَى بِمَنْ عُذْرُهُ: سَبَقَ السَّيْفُ الْعَذَلَ

مجمع الأمثال 1/ 328، العسكري 1/ 329، الفاخر لابن سلمة، ص: 48، اللسان: عذل.
(4) تقول العرب: فلان لا يدري قبلا من دبير ومعناه لا يدري شيئا. والقيل ما وليك، والدبير ما خالفك.
(5) السحيل: الغزل الذي لم يرم ومنه قول زهير:
عَلَى كُلِّ حَالٍ سَحِيلٌ وَمُبْرَمٌ

(6) الجاشرية: الشرب مع الصبح ويوصف به فيقال: «شربة جاشرية»، قال الفرزدق:
إِذَا مَا شَرَبْنَا الْجَاشِرِيَّةَ لَمْ نُبَلْ أَمِيرًا وَإِنْ كَانَ الْأَمِيرُ مِنَ الْأَزْدِ
(7) التغمغ: الكلام الذي لا يبين.



بِمَسْرَحِ آمَالٍ، وَمُقْتَرَحِ آمَالٍ، ﴿جَنَّتَنِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾⁽¹⁾ رَوْضَاتٍ قَدْ أَيْنَعَتْ فِيهَا
الْأَزْهَارُ وَانْبَعَثَتِ الْأَعْيُنُ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾⁽²⁾ فَبِتْنَا فِيهَا بِلَيْلَةٍ
عَاطِرَةِ النَّفْحِ، تُزْرِي بِلَيْلَةِ السَّفْحِ:

يَا طَيْبَهَا لَيْلَةٌ لَوْلَا تَذَكُّرُهُمْ مَا كُنْتُ فِيهَا أَشَقُّ الْجَيْبِ مِنْ أَلَمِ
أَقُولُ إِذَا أَنْسُوا فِيمَا هُنَاكَ وَبِي عَنْ قَوْلِهِمْ صَمَمٌ، نَاهِيكَ مِنْ صَمَمِ
رُدُّوا عَلَيَّ لِيَايِي الَّتِي سَلَفَتْ لَمْ أَنْسَهُنَّ وَلَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمِ⁽³⁾

فَرَبَّمَا تَحَيَّرْتُ ظُنُونٌ، وَقَالُوا: شَاعِرٌ مَجْنُونٌ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْحُبَّ جُنُونٌ، كَذَلِكَ حَتَّى
تَضَوَّعَ لَهُمْ عَرَفُ الْحَبِّ وَالْإِرْقَالِ، وَحَلُّوا أَيْدِيَهُمْ وَمَا كَادُوا مِنْ عُرَى ذَلِكَ الْقِيلِ وَالْقَالِ،
وَسَرَتْ بِنَا الْمَهْرِيَّةُ⁽⁴⁾ الْقُودُ، وَقَدْ انْتَضَمَتْ بِأَجْيَادِ الْقَلَاةِ مَنَا عُقُودٌ؛ فَمَسَرْنَا بِنَجْدٍ فِي وَهْمِ
الْحَزْمِ مُتَصَوِّرٌ، وَلِلظُلُمَاءِ فَوْقَنَا عَرْشُ يَاسَمِينَ مُنَوَّرٌ، إِلَى شَاطِئَةِ⁽⁵⁾ وَصَلْنَاهَا وَاللَّيْلُ قَدْ
تَضَعَّضَ بِنَاؤُهُ، فَرَشَّحَ عَنْ مَاءِ الصُّبْحِ إِنَاؤُهُ، وَزَالَ عَنْ مَوْضِعِ النَّقْبِ هِنَاؤُهُ، وَالنَّجْمُ قَدْ
طَفِيَ فِي نَهْرِ الْفَجْرِ حَبَابُهُ، وَأَلْفَى عَلَى وَجْهِهِ نَصِيفُ ابْنِ دُكَاءَ⁽⁶⁾ وَنَقَابُهُ. فَحَلَعْنَا بِهَا عَنْ
الْعِيسِ مَقَالِيدَ الْأَكْوَارِ، وَالْوَجْدُ هُنَا وَهُنَاكَ يَلْطِمُ بِيَدِ ذَاتِ سَوَارٍ⁽⁷⁾ وَاسْتَوْطَنَّاهَا قِرَارًا وَلَمْ

(1) سورة سبأ، الآية: 15.

(2) سورة الزخرف، الآية: 71.

(3) الأبيات من البسيط، ليلة السفح هي التي يقول فيها الرضي:
يَا لَيْلَةَ السَّفْحِ هَلَّا عُدْتُ ثَانِيَةً

(4) المهرية من الإبل: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، وهو أبو قبيلة وصاحب حي من أحياء العرب.

(5) شاطبة: مدينة أندلسية مشهورة ينتسب إليها كثير من العلماء من أشهرهم: أبو إسحاق الشاطبي
صاحب الموافقات، الروض المعطار، ص: 337، الإدريسي، ص: 192، الرازي، ص: 71، ترصيع
الأخبار، ص: 145.

(6) دكاء: بالضم إسم الشمس وابنها هو الصبح لأنه من ضوءها قال الشاعر:

فَوَرَدَتْ قَبْلَ انْبِلَاجِ الْفَجْرِ وَابْنُ دُكَاءٍ كَامِنٌ فِي سَفَرٍ

(7) يشير إلى المثل المعروف: «لو غير ذات سوار لطمتني». مجمع الأمثال 2/ 103، الفاضل، ص: 42.



نُسَمَّ بعدَ العَشِيَّةِ مِن نَجْدٍ عَرَارٍ⁽¹⁾ فَرُبَّمَا تَسَمَّى لِي قَوْمٌ بِأَخْدَانٍ، فَأَقُولُ مَرَحَبًا بِالْأَهْلِ وَأَهْلًا بِالْخِلَانِ، بَلْ رُبَّمَا نَعْبُ غُرَابٍ، وَرَاجَعْتُ لَهُ أَتْرَابٍ. فَتَفَنَّتْ أَوْ نَفَتْ الْجَوَى الْمُبَرَّحِ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - وَمِنْ إِنْشَائِي فِي هَذَا الْبَابِ مَا يَأْتِي فِيهِ بَعْدَ هَذَا - بِحَوْلِ اللَّهِ - وَهُوَ خَاتِمَةُ الْكِتَابِ:

السَّيِّخُ الْأَجَلُّ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ الْوَلِيُّ الْأَثِيرُ الْأَوْدُ الْأَخْلَصُ الْأَرْكَى الْأَفْضَلُ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ السَّيِّخِ الْأَجَلِّ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ السَّيِّخِ الْأَجَلِّ الْمَرْحُومِ أَبِي إِسْحَاقَ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَهُ وَوَصَلَ كَرَامَتَهُ وَرَفَعَتْهُ؛ وَلِيَّهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَمُحِبُّهُ فِي الْبَرِّ بِجَانِبِهِ الْمُؤَثِّرُ لَهُ الْحَفِيُّ بِهِ. إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. سَلَامٌ كَرِيمٌ يَخْصُصُكُمْ كَثِيرًا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ:

فَالْكِتَابُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ دَوَامَ السَّعَادَةِ، وَتُلُوعَ الْأَمَلِ كُلِّهِ وَالْإِرَادَةَ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ، وَبَرَكَاتِهِ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ أَيَّدَهَا اللَّهُ وَاضْحَةَ الْأُسْلُوبِ، كَفِيلَةَ بِالْفَرْجِ الْعَاجِلِ لِكُلِّ مَكْرُوبٍ، وَبَيِّنِلْ كُلِّ مَرْغُوبٍ، وَدَرَكِ كُلِّ مَطْلُوبٍ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَثِيرًا. وَالْوُدُّ لَكُمْ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّكُمْ - مَوْضُولٍ، وَالْاعْتِقَادُ فِيكُمْ جَمِيلٌ، وَالْإِيثَارُ لَكُمْ حَسَنَ الْمَذْهَبِ، وَالشُّكْرُ لِمَقَاصِدِكُمْ الْحَمِيدَةِ مُتَّصِلُ السَّبَبِ. وَاللَّهُ يَجْعَلُ ذَلِكَ فِي ذَاتِهِ بَاقِيًا، وَفِي دَرَجِ مَرْضَاتِهِ رَاقِيًا.

وَالِإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ، فَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا يُنْهِيهِ مُجَلِّتُكُمْ إِلَيْكُمْ، وَأَكَّدَ مَا تَقْتَفِي النَّصِيحَةَ [تَقْرِيرَهُ] وَتَكْرِيرَهُ لَدَيْكُمْ، حَالٍ مِنْ هُنَا مِنْ فَلَانَةٍ - أَصْلَحَهُمُ اللَّهُ - فَإِنَّهُمْ قَدْ

(1) مقتبس من قول الشاعر الصمة بن عبد الله القشيري:

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَخْذِي بِنَا بَيْنَ الْمُتَيْفَةِ فَالْدُمَارِ
تَمَتَّعْ مِنْ شَوِيْمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ



عَاشُوا فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ وَبَالَعُوا فِي نِكَايَةِ أَهْلِهَا وَاشْتَدَّتْ وَطْأَتُهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْقَهْرِ وَالْاضْطِهَادِ، وَالْبَسْطِ فِي الْعُدْوَانِ وَالْإِشْتِدَادِ وَقَدْ تَوَالَى اعْتِدَاؤُهُمْ وَصَارَ مُقْلِقًا مُوَحِّشًا مُمِلًّا مُجْحِفًا مُكْدِّرًا لِلرَّعِيَّةِ مَا تَعَوَّدَهُ الْأَرْقَاءُ مِنْ نِعْمَةِ الْأَمْرِ الْعَزِيزِ - أَدَامَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا -.

وَقَدْ كَانَ مُجْلِسُكُمْ خَاطَبَ مَجْدِكُمْ قَبْلَ هَذَا بِأَفْعَالِهِمْ، وَمَا لِحَقِّ الرَّعِيَّةِ مِنَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ عَلَى زَرْعِهَا، الَّذِي هُوَ قَوَامُ حَيَاتِهَا، وَمُمْسِكُ رَمَقِهَا، وَمَلَاذُ أَقْوَاتِهَا وَأَطْلَتِ الصَّائِفَةُ الَّتِي صَافَتْ فَأَذْرَكَ الرَّعِيَّةَ مَا خَشِيتَ مِنَ الضَّرَرِ فِيهَا؛ وَلَمَّا نَهَيْنَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ شَحَذُوا لِلْإِسْطِظْلَامِ مَدَاهِمُ، وَمَدُّوا فِي الْأَذْيَةِ خُطَاهِمُ، وَتَلَمَّظُوا لِلزَّرْعِ تَلَمَّظَ الْمُسْتَعْدِّينَ لِانْتِهَابِهِ، الْمُتَاهِبِينَ لِأَنْ يَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْبَابِهِ، وَهَاهُوَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - بِهِمْ إِلَّا كَالْفَرِيَسَةِ بَيْنَ ظُفْرِ اللَّيْثِ مِنْ نَابِهِ، وَقَدْ تَسَبَّبُوا إِلَى الرَّعِيَّةِ بِأَسْبَابٍ، وَفَتَحُوا عَلَيْهَا مِنَ الْمُطَالَبَةِ جُمْلَةَ أَبْوَابٍ، تَارَةً بِقَتِيلٍ يَدْعُونَ عَلَى مَنْ شَاءُوا بِقَتْلِهِ، وَتَارَةً بِتَكَالِيفٍ يُلْزِمُونَهُمْ مِنْهَا مَا يَضْعِفُونَ عَنْ حَمْلِهِ، وَيُجَادِبُونَهُمْ أَنْوَاعَ الْغَلَّاتِ، وَفَوَائِدِ الثَّمَرَاتِ، فَيَكْتَسِحُونَ أَكْثَرَهَا وَلَا يَتَرَكُونَ لَهُمْ إِلَّا الْجُزْءَ الْأَقْلَّ مِنْهَا.

وَقَدْ كَانُوا فَعَلُوا - فِي فَلَانَةٍ - مَا قَدْ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ، وَأَهْلُهَا مُزْمِعُونَ الْجَلَاءِ عَنْهَا، وَالْفِرَارِ أَمَامَهُمْ مِنْهَا، وَإِسْلَامَ مَا لَهُمْ بِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ، فِرَارًا مِنْ مُقَاسَاةِ الشَّدَائِدِ عَلَيْهَا وَالْأَهْوَالِ. وَكُلُّ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْعَصِيرِ فِي الْعَامِ الْفَارِطِ، لَمْ يَتَحَصَّلْ لِأَرْبَابِهِ مَعَهُمْ مِنْهُ إِلَّا مَا فَضَّلَ عَنْهُمْ، وَسَلَّمْ مِنْهُمْ، وَأَمَّا الْعَصِيرُ الْمُسْتَقْبِلُ، فَمَا يَتَعَلَّقُ لِأَرْبَابِهِ - عَلَى مَا ذَكَرُوا - بِهِ أَمَلٌ.

وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ رَمَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ لَيْلًا عَلَى جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ فَلَانَةٍ فَاسْتَعَاثَ أَهْلُهَا وَدَافَعُوهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ ادَّعَى الْفَلَانِيُّونَ أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُمْ قَتِيلٌ بَيْنَ أَهْلِ الْجِهَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَوُجِدَ عِنْدَ سَانِيَةِ⁽¹⁾ لِرَجُلٍ هَرِغِيِّ⁽²⁾ مِنَ الْقَدَمَاءِ هُنَاكَ، فَعَلَقُوا دَعْوَاهُمْ فِي

(1) السانية: هي الساقية التي يستخدمها الفلاحون لري أرضهم ولعلها لفظة أندلسية وما زالت تستعمل بالمغرب بهذا المعنى.

(2) الهرغي: نسبة إلى قبيلة هرغة وهي من القبائل التي ناصرت الدعوة الموحدية. العبر لابن خلدون.



قَتْلِهِ بِالْهَرِغِيِّ الَّذِي وَجَدَ الْقَتِيلَ بِزَعْمِهِ عِنْدَ سَانِيَّتِهِ، فَسَجَنَهُ لَهُمْ حَافِظُ الْمَوْضِعِ اجْتِهَاداً وَتَسْكِيناً لِلثَّائِرَةِ، فَبَلَغَ الْاِعْتِدَاءُ بِفُلَانَةٍ، إِلَى أَنْ افْتَحَمُوا سِجْنَ فُلَانَةٍ فِي وَسْطِ النَّهَارِ وَذَبَحُوا الْهَرِغِيَّ الْمَذْكُورَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ أَحَالُوا عَلَى الرَّعِيَّةِ أَيْدِيَهُمْ، وَبَسَطُوا فِيهِمْ تَعْدِيَّهُمْ، وَطَلَبُوا مِنْهُمْ بِمَغَارِمٍ مُثْقَلَةٍ، وَتَوَعَّدُوهُمْ عَلَيْهَا بِإِخْرَاقِ الزَّرْعِ وَإِفْشَاءِ الْقَتْلِ، وَإِهْلَاكِ الْحَرْثِ وَالنَّسْلِ. وَعَلَى هَذِهِ النَّسَبَةِ هِيَ أَفْعَالُهُمْ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَتَّبَعُونَهَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ، سَوَاءٌ هِيَ فُلَانَةٌ وَفُلَانَةٌ وَفُلَانَةٌ.

وَلَمْ يَنْفَكُوا فِي كُلِّهَا عَنِ الْعُدْوَانِ الْمُتَمَادِي وَمِزْوَارِهِمْ^(١) خِلَالَ ذَلِكَ يَشْكُو النَّاسُ إِلَيْهِ فَلَا يُشْكِيهِمْ، وَلَا يَتَحَرَّكُ مِنْ مَكَانِهِ بِشَيْءٍ مِنَ النَّظَرِ فِي كَفِّ أَيْدِيهِمْ، وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ أَثَرٌ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهُ فِي قِطْعِ الْعَادِيَةِ نَظَرٌ. وَيَظْهَرُ مِنَ الْقَوْمِ -أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ- مَا قَدْ أَعْلَنُوا بِهِ وَصَرَّحُوا، مِنْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ الْمُبَالِغَةَ فِي الضَّرَرِ لِيُسْمَعَ خَبَرُهُمْ فَيُجَارُوا الْبَحْرَ وَيَسْرَحُوا، فَهُمْ يَتَبَحَّرُونَ فِي عُذْوَانِهِمْ بِغَايَةٍ وَسِعِهِمْ وَجَهْدِ إِمْكَانِهِمْ.

وَقَدْ صَجَّتِ الرَّعِيَّةُ صَحِيجاً وَعَجَّتْ بِالشُّكْوَى عَجِيجاً، وَرَجَّتْ لِلْعَمَاءِ مِنَ الْاِلْتِفَاتِ الْأَمَامِيِّ تَفْرِيجاً، وَرَفَعَتْ أَصْوَاتَهَا لِلْاِسْتِعَانَةِ وَالْاِسْتِزْحَامِ، وَنَادَتْ حَضْرَةَ الْعَدْلِ الَّتِي هِيَ نُصْرَةُ الْمَظْلُومِينَ وَمَلْجَأُ الْمَقْهُورِينَ الْمَلْهُوفِينَ مِنَ الْأَنْامِ، وَانْزَعَجَتْ لِمَا نَالَهَا مِنَ الضَّرَرِ الشَّدِيدِ الْبَرْحِ، الْخَارِجِ عَنِ الْحَدِّ الْمُرَبِّي عَلَى الشَّرْحِ، وَالْفَتَكِ الَّذِي اقْتَضَى لَهَا ضِيقُ الدَّرْعِ، وَالْقَهْرُ الَّذِي تَخَافُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ضَمِّ الزَّرْعِ.

وَقَدْ أَفْسَمَ أَهْلُ فُلَانَةٍ أَنَّهُ لَوْ لَا تَقْيِيدُهُمْ بِالْحُبُوبِ الَّتِي لَهُمْ فِيهَا وَتَعَلُّقُ نُفُوسِهِمْ بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ تَحْصِيلِهَا، لِمَا لَحِقَهُمْ مِنَ الضَّرَرِ الَّذِي لَا صَبْرَ لَهُمْ عَلَيْهِ وَلَا بَقَاءَ لَهُمْ مَعَهُ، حَيْثُ تَقْتَحِمُ عَلَيْهِمُ الدِّيَارُ، وَتَسْتَغْلِبُ بَنَاتُهُمُ الْأَبْكَارُ، وَتَسْلُبُ أَمْوَالَهُمْ بِالْقَهْرِ وَالْاِقْتِسَارِ، وَيُقْتَلُونَ عَلَيْهَا سِرّاً وَعَلَانِيَةً بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتُخَوِّفُ قُرَاهُمْ تَخْوِيفاً يَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْجَلَاءِ عَنْهَا وَالْفِرَارِ، وَمَا لِأَحَدٍ هُنَا طَاقَةٌ بِكَفِّ فُلَانَةٍ عَنْهُمْ وَلَا اقْتِدَارُ.

(١) سبق التعريف به .



فَإِنَّ فَلَانَةَ قَدْ اشْتَغَلُوا بِحَصَادِ الزَّرْعِ قَهْرًا فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ الَّتِي حَلُّوا بِهَا وَقَدْ فَشَا عَيْثُهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَصَارَ حَدِيثًا لِلرُّكْبَانِ، وَأَمْرًا مُفْسِدًا لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ. فَالنَّاسُ بِسَبَبِهِمْ فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ مَشْغُوفُونَ، وَعَلَى جَمِيلِ النَّظَرِ الْأَمَامِيِّ مَوْقُوفُونَ، وَإِلَى حَتَانِ الْمَقَامِ الْقُدْسِيِّ مُتَشَوِّفُونَ، وَلَا سِتْنَصَالَ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْقِطَاعِ أَمْوَالِهِمْ إِنْ أَبْطَأَ النَّظَرُ الْكَرِيمَ عَنْهُمْ مُتَخَوِّفُونَ وَرَحْمَةَ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - تَتَذَارَكُهُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِتَعْجِيلِ الْأَمَانِ، وَتَتَكَفَّلُ لَهُمْ بِصَلَاحِ الزَّمَانِ، وَتَرْفَعُ عَنْهُمْ مَا قَدْ اشْتَدَّ بِهِمْ مِنَ الْعُدْوَانِ، عَمَلًا عَلَى مَا عَوَّدَتْهُ مِنْ تَأْمِينِ الْمُرْتَاعِ وَإِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ. وَقَدْ أَفْهَمَكُمْ مُجْلُكُمُ الْحَالَ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ مِنَ الْأَفْهَامِ، وَلَمْ يُفَرِّطْ بِالْتَّعْرِيفِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَالْإِعْلَامِ وَأَنْتُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - تَعْتَنِمُونَ الْأَجَرَ الْجَزِيلَ، وَالذِّكْرَ الْجَمِيلَ بِحُسْنِ الْوَسَاطَةِ الَّتِي يَخْسَنُ أَثَرُهَا، وَيَسُرُّ خَبَرُهَا، بِفَضْلِ اللَّهِ. وَالْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ أَيَّدَهَا اللَّهُ أَنْظَرَ لِعِبَادِهَا، وَأَحْوَطَ عَلَى بِلَادِهَا. وَاللَّهُ يُعِينُ الْجَمِيعَ عَلَى مَا يَخْطَى بِرِضَاهَا، وَيُزِلُّ مِنْ رُحْمَاهَا.

وَكُتِبَتْ أَيْضًا فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَائِدِ الْأَجَلِّ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ مُثَنَّى رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالِىَ هَذَا وَصَلَ اللَّهُ عَزَّ تَكُمُ فَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا يَجِبُ تَبْلِيغُهُ وَإِنْهَاؤُهُ، وَأَوْكَدَ مَا يَتَعَيَّنُ بِحُكْمِ النَّصِيحَةِ تَقْرِيرُهُ وَتَكْرِيرُ رَفْعِهِ وَإِعَادَةُ ذِكْرِهِ، وَإِبْدَاؤُهُ، مَا اشْتَدَّ بِالرَّعِيَّةِ فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ مِنْ نَاسٍ فَلَانَةٍ أَصْلَحَهُمُ اللَّهُ، وَحَلَّ بِهَا مِنْ اسْتَطْلَاقِهِمُ الشَّنِيعَةَ وَتَعَدِّيهِمُ الْفَاحِشَ.

فَإِنَّهُمْ - أَذَامَ اللَّهُ حُظُونََكُمْ - قَدْ عَانُوا فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ بِوُجُوهٍ مِنَ الْعَيْثِ كَثِيرٍ، وَبِالْغَوَا فِي نِكَايَةِ أَهْلِهَا مُبَالَعَةً مُبِيدَةً مُبِيرَةً، وَإِنَّ النَّاسَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَضْطِهَادِ، وَظُهُورِ الْاِخْتِلَالِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَالْفَسَادِ، لَفِي مَشَقَّةٍ مُفْرِطَةٍ وَفِي شِدَّةٍ كَبِيرَةٍ، قَدْ تَجَاوَزُوا حَدَّ النِّهَايَةِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْحِنْفِ، وَعَظُمَ فَسَادُهُمْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ التَّفْسِيرُ فِي جَوَابِ كَيْفٍ. وَغَادَرُوا الرَّعِيَّةَ بَيْنَ مَرْغُوبٍ مَسْلُوبٍ يَرْهَبُ الْخَيَالَ مِنْهُ طَيْفٌ، وَيَتَنَظَّرُ الْفَقْرَ بِانْتِهَابِ زَرْعِهِ فِي هَذَا الصَّنِيفِ، وَبَيْنَ مُحَرَّقٍ بِالنَّارِ وَمُقْتَلٍ بِالرُّمَحِ وَالسِّيفِ. قَدْ تَفَاقَمَ أَمْرُهُمْ كُلُّ التَّفَاقَمِ، وَتَعَاطَمَ ضَرْهُمُ كُلِّ التَّعَاطَمِ، وَتَلَاطَمَ بَحْرُهُمْ فِي الْعُدْوَانِ أَعْظَمَ التَّلَاطَمِ. فَمَا يُبْقُونَ وَلَا يَذَرُونَ، يَعِيشُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا يَفْتَرُونَ.



وَقَدْ صَجَّتِ الرَّعِيَّةُ صَجِيجَ السَّقِيمِ النَّاحِلِ، وَأَجْهَشَتْ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْعَادِلَةِ إِجْهَاشَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَبْرِ رَاحِلٍ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهَا -أَيْدَهَا اللَّهُ- بِأَيْدِي الْأَسْتِغَاثَةِ إِشَارَةَ الْغَرْقَى بَيْنَ مَوْجِ الْبَحْرِ إِلَى أَهْلِ السَّاحِلِ، مُنَادُونَ غَوْثًا غَوْثًا، وَعَظْفًا عَظْفًا، وَيَسْتَرْجِمُونَ إِمَامَهُمْ وَمَوْلَاهُمْ -بَسَطَ اللَّهُ أَنْوَارَهُ- حَنَانًا وَلُطْفًا لُطْفًا.

وَقَدْ كَانَ مُجْلِسُكُمْ طَالِعَ قَبْلَ هَذَا بِأَفْعَالِ الْقَوْمِ ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ عَلَى نَصِّ الَّتِي قَبْلَهَا⁽¹⁾. وَكَتَبْتُ فِي ذَلِكَ مِنْ أُخْرَى:

وَالِإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ عَزَّزْتُكُمْ فَإِنَّ مُجْلِسَكُمْ يُنْهِي إِلَيْكُمْ مِنْ شَرْحِ الْحَالِ مَا هُوَ أَهَمُّ مَا يُنْهَى وَيُرْفَعُ مِنْ كَبِيرِ الْخُطْبِ وَجَلِّلِهِ، وَأَوْجَبَ مَا يُنْظَرُ فِي حَسْمِ عِلَلِهِ وَرَمَّ حَلِّلِهِ.

وَذَلِكُمْ أَنَّ فَلَانَةَ الَّذِينَ بِهِذِهِ الْجِهَاتِ قَدْ عَاشُوا فِيهَا وَتَبَسَّطُوا بِأَشْنَعِ اسْتِطَالَةٍ وَأَفْدَحَ تَعَدُّ فِي نَوَاحِيهَا. اِمْتَدَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَانْتِهَابِ الْأَمْوَالِ وَاسْتِغْلَابِ لِلنِّسَاءِ، وَاقْتِحَامِ الدِّيَارِ، وَالانْتِقَامِ مِنَ الرَّعِيَّةِ بِأَنْوَاعِ الْأَضْرَارِ، وَالتَّقْيِيلِ بِالسَّلَاحِ وَالتَّخْرِيقِ بِالنَّارِ وَأَحَالُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ يَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ⁽²⁾ وَيَتَسَبَّبُونَ إِلَيْهِمْ بِشَتَّى أَسْبَابٍ، وَيَطْلُبُونَهُمْ بِمَغَارِمٍ مُجْهِفَةٍ مُقْلِقَةٍ، وَيَتَوَعَّدُونَهُمْ بِإِحْرَاقِ الزَّرْعِ وَإِفْشَاءِ الْقَتْلِ أَنْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ أَذَائِهَا، وَمَزْوَارِهِمْ خِلَالَ ذَلِكَ يُشْكِي إِلَيْهِ فَلَا يَتَحَرَّكُ بِنَظَرٍ، وَلَا يَظْهَرُ مِنْهُ حَمِيدٌ أَثَرٍ.

وَقَدْ أَقْسَمَ أَهْلُ فَلَانَةَ بِأَوْكِدِ الْقَسَمِ: أَنَّهُ لَوْلَا مَا لَهُمْ مِنَ الْحُبُوبِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ خَوَاطِرُهُمْ بِضَمِّهَا، وَكَادَتْ نُفُوسُهُمْ تَمُوتُ مِنَ الْخَوْفِ عَلَى عَدَمِ لَمَّهَا لَفَرُوا أَجْمَعِينَ مِنَ الْبَلَدِ، بِالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ.

وَأَمَّا أَهْلُ فَلَانَةَ فَقَدْ لَادُوا بِالْفِرَارِ، وَلَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا إِلَى الْقَرَارِ وَجَلَّ عَصِيرُهَا الْفَارِطُ؛ فَلَانَةُ اسْتَأْصَلُوهُ. دُونَ أَرْبَابِهِ، أَمَّا الْعَصِيرُ الْمُسْتَقْبِلُ فَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ - عَلَى مَا ذَكَرَ - أَمَلٌ لِأَصْحَابِهِ.

(1) يقصد أنه استمر على نص الرسالة السابقة التي بعثها إلى الحضرة.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾. سورة البقرة: 48.



وَقَدْ كَانَتْ الرَّعِيَّةُ شَدِيدَةَ الْخَوْفِ، عَلَى زَرْعِهَا فِي هَذَا الصَّيْفِ، وَالْآنَ قَدْ أَدْرَكَهُمْ فِيهِ مَا خَافُوهُ مِنَ الْحَيْفِ. فَإِنَّ فَلَانَةَ قَدْ أَشْعَلُوا فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ الَّتِي حَلُّوا بِهَا بِالتَّعَدِّي قَهْرًا فِي الْحَصَادِ، وَكَيْفَ يُخْلَصُ أَرْبَابُ الزَّرْعِ إِلَيْهِ وَهُوَ فَرِيسَةٌ فِي سَوَاعِدِ آسَادِ.

وَأَمَّا الْغَلَّاتُ، وَفَوَائِدُ الثَّمَرَاتِ، فَقَدْ وَزَعُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَسَمًا، وَلَمْ يُبْقُوا لِأَرْبَابِهَا فِيهَا حَظًّا وَلَا قِسْمًا، إِلَّا مَا تَخَنَطُهُ الْيَدُ الْعَادِيَّةُ، وَشَذَّ عَنْ تَلَقِّي الرَّائِحَةِ مِنْهَا وَالْعَادِيَّةُ. وَقَدْ ضَجَّتِ الرَّعِيَّةُ ضَجِيجَ الْهَلَكَى، وَاسْتَعَاثَتْ اسْتِعَاثَةَ الْغَرَقَى، وَاشْتَدَّ بِهَا الْيَأْسُ اشْتِدَادًا كَلِيًّا، وَلَحِقَهَا الْحَيْفُ وَمَسَّهَا الضَّرُّ⁽¹⁾ مَسًّا وَاضِحًا جَلِيًّا، وَالظَّتْ بِالْغَوْثِ دُعَاءً وَنِدَاءً؛ وَرَفَعَتْ شَكْوَاهَا إِلَى الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ مَقَامَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - إِعَادَةً وَإِنْدَاءً، مَلْهُوفَةً مُضْطَهَدَةً، مُؤْرِقَةً فِي دِيَارِجِي التَّظَلُّمِ مُسْهَدَةً، مَفْهُورَةً مَرْعُوبَةً مُنْكَدَةً.

وَالْمَقَامُ الْإِمَامِيُّ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - أَزْحَمُ بِهَا وَأَزَافُ، وَأَخْنَى عَلَيْهَا وَأَعْطَفُ، وَنَظَرَهُ الْجَمِيلَ لِعِبَادِهِ وَبِلَادِهِ أَعْلَى وَأَشْرَفُ. وَأَنْتُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَسْعَوْنَ فِي حَسَمِ هَذِهِ الْعِلَّةِ سَعْيًا جَمِيلًا، مُبْتَغِينَ مِنَ اللَّهِ أَجْرًا جَزِيلًا. وَاللَّهُ يُعِينُ الْجَمِيعَ عَلَى مَا يَرْضَاهُ وَيَقَعُ بِوُفْقِ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - وَهُوَ تَعَالَى يُدِيمُ عِزَّتَكُمْ، وَيَصِلُ رِفْعَتَكُمْ. وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبَ فِي الْمَوْفِيِّ عَشْرِينَ مِنْ مُحَرَّمِ سَنَةِ ثِنْتِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةَ.

وَكَتَبْتُ أَيْضًا فِي ذَلِكَ:

وَالِإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ، فَإِنَّ مُجْلَكُكُمْ يُنْهِي إِلَيْكُمْ مِنْ أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ مَعَ فَلَانَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَا لَا يَسَعُهُ الْكُتْمُ بَلْ يَجِبُ الْبَدْءُ بِهِ بِالتَّعْرِيفِ بِهِ وَالْخْتَمُ، لِمَا يَخْشَى أَنْ يُؤَوَّلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، إِنْ لَمْ يُطْفَأَ بِالنَّظَرِ الْإِمَامِيِّ الْكَرِيمِ جَمْرُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ شَحَذُوا لِإِذَايَةِ الرَّعِيَّةِ مَدَّ التَّعَدِّي، وَتَوَافَقُوا عَلَى اسْتِبَاحَةِ الْمَحْظُورِ وَإِحَالَةِ الْأَيْدِي، وَصُمُّوا

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَّخِذُ الْغَزِيرُ مَسْنَاً وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾. سورة يوسف، الآية: 88.



عَنِ النَّاهِي وَالزَّاجِرِ، وَأَضْرَبُوا بِالْبَرِّ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَالْفَاجِرِ، وَتَهَاوَنُوا بِسَفْكِ الدِّمَاءِ
وَأَسْتَغْلَابِ النِّسَاءِ وَانْتِهَابِ الْأَمْوَالِ، وَإِفْسَادِ الْأَحْوَالِ، جَامِحِينَ فِي ذَلِكَ مِلءَ الْعَنَانِ،
مُنْتَهِينَ فِيهِ إِلَى أَقْصَى وَجْهِ الْعُدُونِ، وَقَدْ أَخَافُوا الْقُرَى إِخَافَةً اضْطَرَّتْ أَهْلُهَا إِلَى
الْجَلَاءِ، وَالْفِرَارِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَبِخَاصَّةِ قَرْيَةِ فُلَانَةَ الَّتِي عَلَى الْوَادِي فَإِنَّ أَهْلَهَا قَذَرُوا
عَنْهَا، وَهَرَبُوا مِنْهَا وَتَرَكُوهَا خَاوِيَةً عَلَى غُرُوشِهَا⁽¹⁾ لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى دُخُولِهَا، خَوْفًا
مِنْ فُلَانَةَ وَعَلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ لَمْ يَقْرَأْ أَهْلُهَا فِي الْقَدِيمِ، إِذَا كَانَ ابْنُ الرَنْقِ. يُقَاتِلُ
الْمُسْلِمِينَ بِطَرِيَانَةِ⁽²⁾ وَيَجُوسُ خِلَالَهَا، بَلْ كَانَتْ قَرْيَةً «سَنْتَ بَسْ» حِينَئِذٍ عَامِرَةٌ لَمْ
يَبْلُغِ الرُّعْبُ بِأَهْلِهَا مَبْلَغَهُ الْآنَ مِنْ فُلَانَةَ، لَمَّا سَامَوْهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ، وَفَتَحُوا
عَلَيْهِمُ لِلْمُطَالَبَةِ مِنَ الْأَبْوَابِ وَلَقَدْ قَبَضَ أَنَاسٌ مِنْ فُلَانَةَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ عَلَى رَجُلٍ فِي
الْقَيْسَارِيَّةِ مُسْتَعْمِلٍ بِشُغْلِهِ، وَقَالُوا: جُرُّوا هَذَا لِنَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ قَرْيَةِ فُلَانَةَ فَأَنْقَذَتْهُ الرَّعِيَّةُ
مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَغَلَقَتِ الْقَيْسَارِيَّةَ، وَخَافَ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَمَتَاعِهِمْ، وَامْتَنَعُوا مِنْ
فَتْحِ حَوَانِيَتِهِمْ، حَتَّى أَنْسُوا وَسَكَنُوا، وَوَعِدُوا بِقُرْبِ النَّظَرِ الْإِمَامِيِّ لَهُمْ، وَكَذَلِكَ
يَفْعَلُونَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بِأَرْبَاضِ إِشْبِيلِيَّةَ، يَقْتَحِمُونَ دِيَارَهَا، وَيَقْتُلُونَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ
فِيهَا، وَيَسْلُبُونَ أَمْوَالَهُمْ. وَفِي الْجُمُعَةِ الْفَارِطَةِ قَتَلُوا شَيْخًا كَانَ خَطِيبًا بِفُلَانَةَ، وَسَلَبُوهُ
ثِيَابَهُ عِنْدَ أَنْصَرَفِهِ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَدْ كَثُرَ مِثْلُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْهُمْ فِي
هَذَا الْوَقْتِ كَثْرَةً مَلَأَتْ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ خَوْفًا وَجَزَعًا، فَالنَّاسُ بِسَبَبِهِمْ مَلْهُوفُونَ [فَهُمْ]
يَضْجُونَ ضَجِيجَ الْهَلَكَى، وَيَسْتَعِيثُونَ اسْتِغَاثَةَ الْغَرْقَى، وَيَمْدُدُونَ أَيْدِيَهُمْ بِالشُّكْوَى،
وَيَسْتَرْحِمُونَ الْمَقَامَ الْإِمَامِيِّ الَّذِي عَوَدَهُمُ الرِّفْقَ وَالرُّحْمَى، وَيَخْشَوْنَ أَنْ تَحْمِلَهُمُ
الْغَيْبَةُ عَلَى حَرَمِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، وَنُفُوسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، عَلَى أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ
فَيُؤُولَ ذَلِكَ إِلَى مَا يَكْرَهُونَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾. سورة
البقرة، الآية: 258.

(2) من أمثال عامة الأندلس: «يفتك وطريانة تودي الجعل»، الروض المعطار: 392 - 393.



وَعَلَى الْجُمْلَةِ أَدَامَ اللَّهُ عَزَّتْكُمْ، فَإِنَّ حَالَ فَلَانَةَ قَدْ تَفَاقَمَتْ تَفَاقُمًا تَخْشَى مُعَاقِبَتَهُ
وَتَقْتَضِي النَّصِيحَةَ إِنَّهَا، وَتُوجِبُ لِلْغَيْرَةِ عَلَى حُقُوقِ الْأَمْرِ الْعَالِي رَفْعَهُ. وَالْمَقَامِ
الْإِمَامِيِّ أَيْدَهُ اللَّهُ أَرْحَمَ لِعِبَادِهِ، وَأَنْظَرَ لِبِلَادِهِ.
وَكَتَبْتُ أَيْضًا:

عَبْدُ الْبَابِ الْكَرِيمِ، وَالْمَقَامِ الْعَظِيمِ، فَسَحَّ اللَّهُ زَمَانَهُ، وَحَاشَى مِنَ الْمَجَاشِمِ
بِخُرْمَتِهِ أَرْقَاءَهُ وَعُبدَانَهُ، فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ يَذْكُرُ أَمْرَهُ وَيَشْرَحُ شَأْنَهُ، وَيَرْجُو بِذَلِكَ عَدْلَ
سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَشَأْنُهُ أَنَّهُ مُقَرَّرٌ مِنَ الْمُقَرَّرِينَ
لِكِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلِأَبَائِهِ تَقَدَّمَ فِي حُسْنِ الْإِقْرَاءِ وَتَعْلِيمِ الْقُرَاءِ مَلَكُوا عَنَانَهُ
وَحَازُوا رَهَانَهُ، وَفَاتُوا بِهِ شَرِيحَ الْإِقْرَاءِ وَطِحَانَهُ، وَالْعَبْدُ قَدْ أَكْثَرَ مِنْ اتِّبَاعِهِمْ إِمْعَانَهُ،
وَحَطَّ عِنْدَ لِحَاقِهِمْ شِرَاعَهُ وَأَلْقَى بِمَرْتَبَتِهِ مِنَ التَّجْوِيدِ جِرَانَهُ، وَجَعَلَ الْإِقْرَاءَ لِكِتَابِ
اللَّهِ الْعَزِيزِ حِرْفَتَهُ الَّتِي يَنْتَحِلُهَا بِكُرِّ الزَّمَانِ وَأَصِيلَانَهُ، حَتَّى اكْتَسَبَ مِنْهُ يَسِيرَ مَالٍ
بِخَارِجِ إِشْبِيلِيَّةٍ يَعُولُ بِفَائِدِهِ بَنِيهِ وَوَلَدَانَهُ. وَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى التَّفَرُّغِ لِلْإِقْرَاءِ، وَعَلَى
ثِقَلِ الظَّهْرِ بِالْأَبْنَاءِ، وَلَيْتَهُ عَلَى ذِيكَ لَوْ أَعَانَهُ وَهُوَ قَدْ قَيَّضَ اللَّهُ إِسْكَانَهُ، فِي دَرْبٍ قَدْ
أَضْعَفَ اللَّهُ سُكَّانَهُ، فَلَيْسَ فِيهِمْ لَضَعْفِهِمْ مَنْ يُقِيمُ قَسْطَاسَ الْوُظَيْفِ الْمَفْرُوضِ
وَمِيزَانِهِ، فَيَمَالُ فِيهِ عَلَى الْعَبْدِ بَيْنَهُمْ مَيْلًا، أَضَاعَ حَقَّ الْإِقْرَاءِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهَانَهُ،
وَسَيِّدَنَا مَنَحَهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ، أَفْضَلَ مَنْ يَحْفَظُ لِهَذَا الصَّنْفِ مَكَانَهُ، وَيَعْطِفَ عَلَيْهِ
حَنَانَهُ، وَيُنَوِّرَ جَنَانَهُ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ سُلْطَانَهُ، وَيُعَمِّرُ بِهِ مَنَازِلَ السَّعْدِ وَسُلْطَانَهُ.

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ الْحَقِيقِيُّ الْعَمِيمُ يَخْصُ حَضْرَةَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرًا
أَيِّرًا وَرَحْمَةً اللَّهُ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيِّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

ابْتَدَأْتُ جَمَعَ هَذَا الْكِتَابِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ، وَخَتَمْتُهُ الْآنَ هُنَا فِي
شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ عَشْرَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ اشْتِغَالِي بِهِ فِي خِلَالِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَعْوَامِ



الَّتِي بَيْنَ الْوَقْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ مُتَّصِلًا، بَلْ كَانَ مُنْقَطِعًا مُنْفَصِلًا، عَاقَ عَنْهَا فِي أَوْقَاتٍ مِنْهَا السَّفَرُ وَالْإِغْتِرَابُ، وَفِي أَوْقَاتٍ أُخَرَ مَطْلٌ مَنْ طُلِبَتْ مِنْهُ رِسَالَةٌ أَوْ أُسْتَعِيرَ مِنْهُ كِتَابٌ، وَفِي أَوْقَاتٍ أُخَرَ شِكَايَةٌ أَوْ مَلَلٌ، أَوْ هَمٌّ شَاغِلٌ أَوْ كَسَلٌ. وَمُعْظَمُ الْمَجْمُوعِ فِيهِ إِنَّمَا جَمَعْتُهُ فِي الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا الَّتِي اسْتَخْدَمَنِي فِيهَا بِرِسْمِ الْكِتَابَةِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ - مَوْلَايَ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْمُعْظَمِ الْفَاضِلِ الزَّاهِدِ الْمُحْسِنِ الْمُنْعِمِ، أَبُو إِسْحَاقَ ابْنُ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَتَيْنِ الْإِمَامَيْنِ أَمِيرِي الْمُؤْمِنِينَ نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَقَدَّسَ تَرْبَهُ، وَأَوْجَبَ لَهُ رِضْوَانَهُ وَقُرْبَهُ.

وَكَانَ رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ، وَرِضْوَانِهِ لَدَيْهِ، وَاحِدَ الْإِرَادَةِ الَّذِي إِلَيْهِ يُشَارُ، وَقُتِبُ السِّيَادَةِ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَدَارُ، وَإِنْسَانُ عَيْنِ الْمَجْدِ وَالِدِّينِ وَوَاسِطَةُ عَقْدِ أَوْلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ رَجُلٍ بَهَرَ الْوُجُودَ وَجُودَهُ، وَطَالَ رُكُوعُهُ لِلَّهِ وَسُجُودُهُ، حَتَّى شَهَرَ فِي الْعَالَمِينَ فَضْلَهُ وَخَيْرَهُ وَكَرَمَهُ وَجُودَهُ، لَمْ يَحُلْ سَاعَةً فِي عُمُرِهِ مِنْ خُشُوعٍ وَاعْتِبَارٍ وَإِسْدَاءٍ أَمَادٍ، مِنَ الْبِرِّ كِبَارٍ، إِلَى أَنْ تُوفِيَ عَلَى خَيْرِ عَمَلٍ، مَقْضِيًّا لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ بِفَضْلِ اللَّهِ كُلِّ أَمَلٍ، رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانِهِ، وَعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ. وَكَانَ -رَوْضَ اللَّهِ قَبْرَهُ- قَدْ أَعْلَمَ بِشُرُوعِي فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ، [فَحَسُنَ] لِي فِيهِ رَأْيِي، وَأَصَرَّ بِأَنْ يَقْوَى عَلَى إِنْهَائِهِ عَزَمِي وَيَتَأَكَّدَ سَعْيِي، وَأَخْرَجَ لِي مِنْ خِزَانَتِهِ، جُمْلَةً مِنَ الرَّسَائِلِ الْكَبَائِرِ، الْمَذْهُورَةِ عِنْدَهُ فِي الْأَعْلَاقِ وَالذَّخَائِرِ مَا أَمَرَنِي بِإِيرَادِ فِي خِلَالِ أَبْوَابِهِ وَأَثْنَائِهِ، [وَحَتَّى تَحُلَّ لِفَرَائِدٍ] مِنْهَا مَحَلَّ الْقُلُوبِ مِنْ ضُلُوعِهَا وَأَخْنَائِهَا، فَاُمْتَثَلْتُ أَمْرَهُ فِيمَا لَمْ يَرِدْ فِي الْوَجِيزِ مِنْهَا، وَالرَّسَائِلِ الَّتِي وَرَدَتْ مِنْهَا مِنَ الْوَجِيزِ اسْتَعْنَيْتُ فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ عَنْهَا وَفَاءً بِالرَّبْطِ وَوُقُوفًا عِنْدَمَا ذُكِرَتْ فِي الصَّدْرِ مِنَ الشَّرْطِ.

وَانْحَفَزْتُ بَعْدُ فِي تَتْمِيمِ هَذَا الْكِتَابِ انْحِفَازَ الْمَأْمُورِ الْمُطِيعِ، وَبَذَلْتُ فِي التَّعْجِيلِ بِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ، وَتَبَرَّكْتُ بِقَبُولِهِ عَلَيْهِ وَاعْتَبَطْتُ بِحُسْنِ غَرَضِهِ فِيهِ وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهِ [وَوَافَقَ أَنْ وَقَعَ هَذَا الْمَجْمُوعُ مِنْ خَاتِمَةِ الْمُسْتَخْلِصِ لَدَيْهِ وَالشَّيْخِ وَالْفَقِيهِ] [الطَّيِّبِ] [الَلَّيْبِ] الْأَدِيبِ الْعَالِمِ الْمَاهِرِ الْمُتَفَنَّي الْحَسِيبِ، الْفَاضِلِ الْأَرِيبِ، أَبِي إِسْحَاقَ بَنِ



أَبِي الْحَجَّاجِ يُوسُفَ بْنَ الْحَجَرِ، أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، وَوَصَلَ عِلَاءَهُ وَازْتَقَاءَهُ، مَوْعَ
الْمَعْشُوقِ مِنْ قَلْبِ الْعَاشِقِ، وَالْمِسْكِ الْفَتِيْقِ مِنْ أَنْفِ النَّاشِقِ، فَحَفَزَنِي فِيهِ حَفَزَ
الظَّمَانِ فِي إِخْضَارِ الْمَاءِ، وَبَاتَ يَرَعَى كَمَالَهُ شَوْقًا إِلَيْهِ رَعَى الْهَيْمَانَ نُجُومَ السَّمَاءِ.

وَكَانَ أَسْعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضِيلَةِ الظَّاهِرَةِ، وَالْمَكْرَمَةِ الْبَاهِرَةِ، بِحَيْثُ يَعْجِزُ الْكَلَامُ عَنْ
وَصْفِ فَضْلِهِ، وَيَبْخُلُ الزَّمَانُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ، دِينًا مَتِينًا، وَفَضْلًا مُبِينًا، وَمُرُوءَةً لَاحِجَةً،
وَحُسْنَ وَسَاطَةِ مُلَازِمَةِ مُصَاحِبَةٍ، وَهَمَّةَ رَفِيعَةِ عَالِيَةٍ، وَسَجِيَّةَ فِي الْكَرَمِ مُتَوَالِيَةٍ،
وَأَعْمَالًا تَشْهَدُ بِشَرَفِهِ وَتَعْيْنُهُ، وَتُعْرِبُ عَنْ وَضُوحِ جَلَالِهِ وَتَبَيِّنُهُ، جَزَاهُ اللَّهُ حَيْثُمَا كَانَ،
وَأَوْجَبَ لَهُ بِالْإِحْسَانِ الْإِحْسَانَ.

فَكَانَ مِنَ الْإِحْسَانِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ إِلَيَّ وَالْإِنْفِصَالِ مَعَ كُلِّ لَحْظَةٍ عَلَيَّ، بِحَيْثُ
اسْتَرْقَنِي مَلِكًا، وَاسْتَحَقَّنِي لِلْوُلُؤِ شَكْرَهُ سَلَكًا، فَقَيَّدَ بِإِحْسَانِهِ خَوَاطِرِي الْمُطْلَقَةَ
السَّارِحَةَ، وَطَفِقَ يَطْلُبُنِي الْيَوْمَ بِمَا زِدْتُ فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ الْبَارِحَةَ، وَاسْتَأْجَرَ لِنَسْخِهِ
مِنْ مُبَيَّضَاتِي نَاسِخًا، وَأَضْحَى لِعَقْدِ رَيْثِي بِحُكْمِ الْعَجَلِ فَاسِخًا، وَوَكَّلَ وَاسِطَةَ تَتَرَدَّدُ
مَعَ السَّاعَاتِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَيَقْتَضِي مِنِّي الْكَرَارِيسَ مِثْلَاقَةَ اقْتِضَاءِ الْغَرِيمِ دَيْنَهُ، فَأَجْهَدْتُ
نَفْسِي فِيهِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ قِيَامًا بِحَقِّهِ، وَخِدْمَةً لِعَرْضِهِ وَوَفْقِهِ، وَكُنْتُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ
أَتَوَلَّى مِنْ شُغْلِ الْكِتَابَةِ وَخِدْيِ، مَا انْقَسَمَ عَلَى سِتَّةِ كُتَابٍ بَعْدِي، فَلَمْ يُخَلِّ ذِهْنِي سَاعَةً
مِنْ كَدٍّ، وَلَا وَقَفَ شُغْلٌ بِالِي عِنْدَ غَايَةِ وَلَا حُدٍّ. فَمَهْمَا كَانَ فِي هَذَا الْمَجْمُوعِ شَيْءٌ مِنْ
الْخَلَلِ، أَوْ عِلَّةٍ مِنَ الْعِلَلِ، مِنْ إِعَادَةٍ أَوْ وَهْلٍ أَوْ اجْتِلَابٍ شَيْءٍ قَدْ ذَكَرَ فِي الْوَجِيزِ مِنْ
الرِّسَالِ، أَوْ إِخْلَالٍ فِي تَرْتِيبِ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ الْأَوَّخِرِ وَالْأَوَّلِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مِمَّا
يَلُوحُ بِالتَّصْفِاحِ وَالبَحْثِ هُنَالِكَ، فَالْعَجَلُ اخْتَمَلَهُ غُثَاءٌ فِي سَبِيلِهِ، وَالْإِنْحِفَازُ حَطَبُهُ فِي
لَيْلِهِ، وَلِمُطَالَعَةِ الْفَضْلِ فِي الْإِعْضَاءِ، عَنْ كُلِّ مَا حَادَ فِيهِ عَنْ سُنَنِ الْإِرْضَاءِ.

وَقَدْ كُنْتُ قَدْ سَمَيْتُهُ فِي الصَّدْرِ: «تَشْيِيبَ الْإِنْبِرِيزِ وَالْمَزِيدَ الْأَحَقَّ بِالتَّبَرُّيزِ عَلَى مَا
جَاءَ مِنَ التَّرْسِيلِ فِي كِتَابِ: «ابْنِ غَمَرٍ» الْمُسَمَّى بِالْوَجِيزِ». وَلَمَّا كَمُلَ الْآنَ قُدُّهُ، وَتَبَيَّنَ
رُشْدُهُ، وَفَاضَ فَيَضُ الْآتِي عَلَى [الْجَدِّدِ] عَدُّهُ، رَأَيْتُ أَنَّهُ لِلطَّالِبِ هِبَةٌ مِنْ أَكْبَرِ



المواهب، وأنه قد سلك من فتح باب الصنعة أوصح المذاهب، فزدتـه درجـة في التفضيل، وسميته «العتاء البزريـل في كشف غطاء الترسيل»، فهو كتاب ذو اسمين كالشوب المطرز برسمين.

والله ينفع بالنية فيه، ويعفو عن جامعـه وطالبـيه، وهو سبحانه المـحمود على تمام الغرض فيه وكماله، وأفضل الصلاة والتسليم على محمد نبيه الكريم ورسوله وعلى آله. كمل الكتاب بحمد الله وحسن عونه وجميل توفيقه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعلى آله وصحبه الهادين إلى سبيل الرشـد وطريقه.



الزوائد التي تلحق في أبواب الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين

في الباب الأول: في الفتوحات وما إليها والأجوبة عليها بعد ابن مُبَشَّر، ومن إنشاء أبي الحَكَم بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ.

من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيدَهُ اللهُ ونَصَرَهُ وأَمَدَهُ بِمَعُونَتِهِ إِلَى الطَّلَبَةِ والمُوحِّدِينَ والشُّيُوخِ والأَعْيَانِ والكَافَّةِ بِمُرَاكَشٍ، أَدَامَ اللهُ كَرَامَتَهُمْ بِتَقْوَاهِ، وَأَوْزَعَهُمْ شُكْرَ نِعْمَاهُ.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ وَنَعِمِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِأَوْلِيَاءِ أَمْرِهِ وَحُمَاةِ دِينِهِ ﴿غَفَبَى الْبَذَارِ﴾⁽¹⁾ وَشَرَفَ الْإِيرَادِ وَالْإِضْدَارِ، وَأَيَّدَ بِهِمْ دِينَهُ الْمُظْهِرِ ﴿عَلَى الَّذِينَ كَلَّيْهِ﴾⁽²⁾ بِرَغْمِ الْمُشْرِكِينَ الْكُفَّارِ، وَشَفَى صُدُورَهُمْ مِنْ عِبْدَةِ الصُّلْبَانِ حَطَبِ النَّارِ، وَأَنْجَزَ لَهُمْ وَعْدَهُ فِيهِنَّ نَأْوَى أَمْرِهِ وَأَخَذَ لَهُمْ فِيهِ بِالنَّارِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ مُصْطَفَاهُ وَنَبِيِّهِ الْمُبْتَعَثُ بِالْحَكَمِ وَالْأَنْوَارِ، وَالْمُبَشَّرُ بِأَنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ يَبْلُغُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الْفَسِيحَةِ الْمِضْمَارِ. وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ الْأَبْرَارِ، الْبَازِلِينَ فِي اللهِ أَنْفُسَهُمُ النَّفِيسَةَ الْمَقْدَارِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ وَارِثِ مَقَامِ النَّبُوَّةِ وَالْعِصْمَةِ بِالْإِسْتِحْقَاقِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ، الْمُتَجَرِّدِ فِي الذَّبِّ عَنِ دِينِ اللهِ سَيْفِ النَّصْرِ لَهُ [وَالْإِنْتِصَارِ]، الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾⁽³⁾ اسْتَمَدَّتْ مِنْ مِشْكَاةِ الْأَنْوَارِ، وَعَنْ صَاحِبِهِ وَخَلِيفَتِهِ وَخَوَارِجِهِ [الْإِمَامِ] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُنَوَّرِ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ وَمُتَمَسِّي أَمْرِهِ الْعَزِيزِ إِلَى غَايَتِهِ مِنَ الْإِعْلَاءِ وَالْإِظْهَارِ.

(1) سورة الرعد، الآيات: 24-25-43.

(2) سورة التوبة، الآية: 33. وكذلك سورة الفتح، الآية: 28.

(3) سورة يوسف، الآية: 108.



فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ بَشَائِرَ يَعِزُّ بِهَا جَانِبُ الْإِيمَانِ، وَيُشْعِرُ بِانْتِجَازٍ وَعِدِ
اللَّهُ الصَّادِقِ فِي عَبْدَةِ الصُّلْبَانِ، وَتُعَرَفُ مِنْ آيَاتِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَالِي مَا تَقُومُ أَثَارُهُ مَقَامَ
الْعِيَانِ. مِنْ حَضْرَةِ إِشْبِيلِيَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ.

وَالَّذِي نُوصِيكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ؛ وَأَنْ
تَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ هُوَ أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي اخْتَصَّ بِشَرَفِ الْكَمَالِ، وَوَعَدَ بِالِاسْتِيْلَاءِ
عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، طَائِفَتُهُ الْمَنْصُورَةُ بِجُنُودٍ مِنْهُمْ تَخْدُمُهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.
قَرْنُهُ بِالنَّصْرِ وَحَفَّهُ بِكَرِيمِ الْمَنْعِ وَبَسَطَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأَرْسَلَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ سَوَابِقَ الرُّغْبِ
وَقَوَادِمَ السَّعْدِ، وَقَضَى أَنَّ لَهُمْ عَاقِبَةَ الظَّفَرِ وَالْفَلَحِ. وَإِنْ ظَهَرَتْ لِلْكَافِرِينَ مَخِيلَةٌ أَنْبِطَاطِ
وَقَرِينَةٌ إِمْهَالٍ أَوْ إِمْلَاءٍ. فَلِلَّهِ سِرٌّ ظَاهِرٌ لِأَمْرِهِ الْعَزِيزِ الْخَيْرُ فِيهِ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ⁽¹⁾ يَبْلُغُهُ
وَيَسْتَوْفِيهِ، إِنَّمَا يُمْلِي لَهُمْ سُبْحَانَهُ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ⁽²⁾.

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ أَيْلَةٍ مِنَ الرُّومِ -دَمَرَهُمُ اللَّهُ- الشُّوَكَةُ الَّتِي لَا تُخْصَدُ، وَالشَّبَاةُ الَّتِي لَا تُفْلُ
وَالشَّرَارَةُ الَّتِي لَا تُطْفَأُ، وَالْحَدُّ الَّذِي لَا يُكْسَرُ عُتُوءًا عَلَى اللَّهِ وَاسْتِشْرَارًا وَاعْتِرَارًا بِإِهْمَالِ
اللَّهُ لَهُمْ وَطُغْيَانًا، وَكَانُوا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ الْجَارَ الْمُصَاقِبَ، وَالْعَدُوَّ الْمُنَاسِبَ، يَمِيلُونَ عَلَى
جَوَانِبِهِ بِالْغَارَاتِ، فَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَصْرِفُ تَطَاوُلَ اعْتِدَائِهِمْ، وَلَا مَنْ يَزْدَعُ أَعْنَةَ
اسْتِشْرَائِهِمْ، قَدْ نَامَتْ عَنْهُمْ الْحَوَادِثُ وَأَهْمَلَتْهُمْ الْأَقْدَارُ وَأَرْخَتْ فِي طِيلِهِمُ الْآيَامُ، فَظَنُّوا
أَنْ لَا مَطْمَعَ فِي جِلَادِهِمْ، وَلَا مُقَارَعٍ لِأَعْدَادِهِمْ، إِلَى أَنْ أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي اسْتِثْصَالِ
شَاقَتِهِمْ، وَخَضِدِ شَوْكَتِهِمْ، وَنَحَتْ أَثْلَتِهِمْ، وَاجْعَافِ أَرْزَلَتِهِمْ، فَالْتَقُوا عَلَى رَجِيمٍ مِنْ
شَيَاطِينِهِمْ كَانَ قَدْ عَسَا ⁽³⁾ فِي الْكُفْرِ عُودُهُ، وَطَالَ فِي الظَّلَالِ انْتِرَاؤُهُ، وَجَمَعُوا مِمَّنْ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِقَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾. سورة الرعد، الآية: 39.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. سورة المجادلة، الآية: 5. أو من قوله تعالى: ﴿بَصِّدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. سورة المجادلة، الآية: 16.

(3) عسا: النبات: غلط واشتد؛ وفيه لغة أخرى. عسي يعسى عسى؛ ومنه قوله الشاعر:
يَهْوُونَ عَنْ أَرْكَانٍ عَزَّ أَذْرَمَا عَنْ صَائِلٍ عَاسٍ إِذَا اضْلَحَمَمَا



انْصَافَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ آلِةٍ وَطَلْبِيرَةٍ⁽¹⁾ وَالْإَفْرِيزِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ جَمْعًا كَثِيفًا مِنَ الْفَرَسَانِ وَالرَّجَالَةِ، كَانَ جَمِيعُهُمْ لِلشُّيُوفِ نُهْبًا وَلِلرَّمَاكِ أَهْبَاءًا، وَقَصَدُوا هَذِهِ الْجِهَاتِ - حَمَاهَا اللَّهُ - وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمُوحِّدِينَ مُفْتَرِقُونَ فِي مَوْضِعِ إِسْكَانِهِمْ، وَمَقَرَّ اسْتِيطَانِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَشْعُرُ بِهِمْ إِلَّا وَقَدْ تَمَّتْ فَتَكَتُهُمْ، وَحَقَّتْ أَوْبَتُهُمْ، وَقَدْ كُنَّا - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - عِنْدَمَا سَمِعْنَا بِاقْتِرَافِهِمْ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ. وَتَحَقَّقَ فَقَدْهُمْ لَهَا طَيْرَنَا إِلَى مَنْ خَفَّ وَقَرُبَ، مِنَ الْمُوحِّدِينَ وَالْعَرَبِ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ - فَبَادَرُوا مُسْرِعِينَ، وَلَبَّوْا مُهْطِعِينَ، وَأَرْصَدْنَا لَهُوْلَاءِ الشَّرِذِمَةِ الذَّمِيمَةِ مُتَنْظِرِينَ عَادَةَ اللَّهِ لِأَمْرِهِ الْعَزِيزِ مِنَ الْفَتْحِ الْمَوْعُودِ، وَالنَّصْرِ الْمَوْجُودِ. وَانْتَهَى أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى الْوَادِي الْكَبِيرِ⁽²⁾ مَا بَيْنَ إِشْبِيلِيَّةٍ وَقُرْطَبَةٍ فَأَلْفَوْا هُنَاكَ مِمَّنْ أَسْرَوْهُ مَنْ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْمُوحِّدِينَ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ - قَدْ نَذَرُوا بِقُدُومِهِمْ وَأَعَدُّوا لَطْرُوقِهِمْ وَقُدُومِهِمْ؛ فَانْصَرَفُوا عَنْ مَقْصَدِهِمْ، وَنَكَبُوا عَنْ وَجْهَتِهِمْ وَخَافُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ⁽³⁾ وَجَدَّ جَدُّهُمْ إِلَى جِهَاتِ قُرْطَبَةٍ - حَمَاهَا اللَّهُ - فَأَجَازُوا الْوَادِي الْكَبِيرَ هُنَاكَ، وَمَرُّوا عَلَى الْحُصُونِ الَّتِي عَلَى الْوَادِي مِنْ ضِفَّةِ الْكُنْبَانِيَّةِ⁽⁴⁾ وَاسْتَمَرُّوا إِلَى مَا بَيْنَ أَسْتِجَّةٍ⁽⁵⁾ وَقُرْطَبَةٍ، فَأَلْفَوْا هُنَاكَ غَنَائِمَ مَجْمُوعَةً وَشَاءَ كَثِيرًا فَانْكَسَحُوا جَمِيعَهَا، ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى قَبْلِي قُرْطَبَةٍ فِي كُنْبَانِيَّتِهَا لِيَجْعَلُوا ذَلِكَ طَرِيقَهُمْ إِلَى الْجِهَاتِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهَا مِمَّا يَلِي مَتْنُورَ⁽⁶⁾ فَكَانَ ذَلِكَ، وَغَنِمُوا مَا وَجَدُوا فِي طَرِيقِهِمْ وَأَجَازُوا الْوَادِي بِقُرْبِ مَتْنُورٍ مُنْصَرِفِينَ، وَقَدْ طَمَعُوا فِي الْإِفْلَاتِ مِنْ يَدِ اللَّهِ الْمُدْرِكَةِ، وَأَسْبَابِ أَخْذِهِ

(1) طلييرة: TALAVERA DE LA REINA من أقصى ثغور المسلمين وباب من الأبواب التي يدخل

منها إلى أرض المشركين وهي قديمة توجد على نهر تاجه TAJO.

(2) الوادي الكبير: نهر مشهور بالأندلس تقع عليه مدينة قرطبة: الروض المعطار، ص: 458.

(3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ بَدَأُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾.

سورة التغابن، الآية: 5.

(4) ضفة الوادي: جانبه بالفتح والكسر.

(5) أستجة: مدينة أندلسية قديمة بها آثار كثيرة ورسوم تحت الأرض موجود بها خمسة أقاليم. الروض

المعطار 53، ابن هشام اللخمي: المدخل إلى تقويم اللسان، ص: 248.

(6) متنور: مدينة أندلسية منها صاحب البرنامج المشهور.



المهلكة. وقد كُنَّا عِنْدَ وُصُولِ أَخْبَارِهِمْ بِإِجَارَةِ الْوَادِي وَالتَّوَجُّهِ إِلَى قَرْطَبَةَ، قَدْ اتَّبَعْنَاهُمْ مَنْ كَانَ اسْتَنْفَرَ لِلْغَزْوِ مِنَ الْمُوحِّدِينَ وَالْعَرَبِ. صُحْبَةً إِخْوَانَنَا وَأَشْيَاخِ الْمُوحِّدِينَ وَالْحَفَظِ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ، وَأَمَرْنَاهُمْ بِالْجِدِّ فِي جِهَادِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ وَلَوْ إِلَى بِلَادِهِمْ فَجَدَّ أَعْدَاءُ الْقَوْمِ السَّيْرِ، وَأَجَازُوا الْوَادِي الْكَبِيرَ قَاصِدِينَ جِهَاتِ قَرْطَبَةَ وَمَنْ ... قَطَعُوا مَسَافَةً لَا يُطْمَعُ فِي مِثْلِهَا بِالسَّيْرِ لَهَا إِلَّا أَجْنَحَةُ الطَّيْرِ. وَجَدَّ الْمُوحِّدُونَ الَّذِينَ أَنْقَذْنَاهُمْ لِاتِّبَاعِهِمْ -أَعَانَهُمُ اللَّهُ- جِدًّا أَرَى اللَّهُ فِيهِ نَصْرَهُمْ، وَأَيَّدَ بِهِ أَمْرَهُمْ. وَوَصَلُوا قَرْطَبَةَ عَلَى إِنْثَرِ مُرُورِ الْعَدُوِّ -دَمَّرَهُ اللَّهُ- فِي قَبْلِهَا مُسْتَبْصِرِينَ فِيمَا [عَقْدْنَاهُ] ⁽¹⁾ مِنْ أَنْ لَا يَتَرَاخَوْا فِي اتِّبَاعِهِمْ، وَلَا يَفْشَلُوا عَنْ مُلَاحَقَتِهِمْ وَمَصَاعِيهِمْ، حَتَّى يُنْجِزَ اللَّهُ فِيهِمْ وَعْدَهُ الْمَسْئُولِ، وَأَخَذَهُ الْمَأْمُولِ. وَاتَّفَقُوا هُنَاكَ مَعَ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ أَبِي حَفْصٍ -أَعَزَّهُ اللَّهُ- عَلَى سُلُوكِ طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِ الْعَدُوِّ تُيسِّرُ عَلَيْهِمْ لِحَاقَهُ وَتَخْرِجُهُمْ أَمَامَهُ. فَكَانَ ذَلِكَ وَمَشَوْا جَمِيعًا وَالسَّعَادَةُ تَخْدُمُهُمْ، وَالْخَيْرَةُ تَتَقَدَّمُهُمْ.

وَنَقَدُوا عَلَى جَبَلِ قَرْطَبَةَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ الْمُكْرَمِ، وَوَاصَلُوا سَيْرَهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ وَيَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَطَلَّائِعُهُمْ عَلَى الْعَدُوِّ تُسَايِرُ مَمَشَاهُمْ، وَتَعْرِفُ مَغْرَاهُمْ. وَفِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الْمَذْكُورِ تَقَارَبَ الْجَمْعَانِ، وَتَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ، فَاعْتَصَمَ أَعْدَاءُ اللَّهِ بِجَبَلِ هُنَاكَ فِي آخِرِ فَحْصٍ يُعْرَفُ «بِفَحْصِ هِلَالٍ» ⁽²⁾ مُطِّلٌ عَلَى جِهَاتِ قَلْعَةِ رِبَاحٍ ⁽³⁾ لِيَلُودُوا بِقُتَيْتِهِ وَيَتَمَنَّعُوا فِي أَعَالِيهِ. وَمَعُونَةُ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ تَهْوُنُ عَلَيْهِمُ الصَّعْبُ وَتُيسِّرُ لَهُمُ الْوَعْرَ. فَتَسَنَّمُوا تِلْكَ الْقُنْنَ إِلَى الْأَعْدَاءِ وَاثْقَيْنَ بِمَوْلَاهُمْ الَّذِي لَا تَزَالُ أُنَارُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ قَائِمَةً، وَصَنَائِعُ رَحْمَتِهِ لَدَيْهِمْ رَاهِنَةً، وَصَعْدُوهَا عَلَيْهِمْ مُسْتَسْهَلِينَ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَعَرَهُ، مُسْتَشْعِرِينَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ نَصْرَهُ، وَكَانَتْ لِلْأَعْدَاءِ هُنَاكَ شِدَاتٌ وَحَمَلَاتٌ كَادَتْ تُحَطِّمُ الْجِبَالَ، وَتُرْزِلُ الْأَبْطَالَ، لَكِنْ وَجَدُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ

(1) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) فحص هلال.

(3) قلعة رباح: من عمل حيان وهي بيت قرطبة وطليلة، الروض المعطار، ص: 469.



أَصْدَقَ أَسِنَّةً، وَأَفْسَحَ فِي ضَنْكِ الْمَجَالِ أَعِنَّةً. وَأَمَدَّ أَوْلِيَاءَهُ اللَّهُ بِمَا عَوَدَهُمْ مِنْ عَوَائِدِ صُنْعِهِ وَكَرِيمِ جُنْدِهِ فَوَلَّى الْأَعْدَاءَ الدُّبُرَ⁽¹⁾ يَتَسَاقُطُونَ فِي الْأَوْعَارِ، وَيَمُوتُونَ قَعْصًا تَحْتَ ظِلَالِ الْأَسِنَّةِ وَالشُّفَارِ، فَحُطُّوا مِنْ ذَلِكَ الْمُرْتَقَى مُصْغَرِّينَ، وَأُنْزِلُوا مِنْهُ مُقْتَلِينَ وَمُكْسَرِينَ.

وَتَمَشَّى الْقَتْلُ فِيهِمْ كَذَلِكَ مِنْ عَصْرِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَى نِصْفِ لَيْلَةِ الْخَمِيسِ، حَتَّى قُدِّرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ سَتَرَهُ اللَّيْلُ أَوْ أَخْرَهُ لِلْحَمَامِ، وَشَفَا اللَّهُ مِنْهُمْ الصُّدُورَ شِفَاءً أَذْهَبَ وَحَرَّهَا⁽²⁾ وَطَيَّبَ لَهَا ظَفَرَهَا. وَتَمَّ بِذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ النُّعْمَةُ فَكَمَّلَهَا وَوَفَّاهَا، وَأَطْلَقَ اللَّهُ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ الْمُضْطَّهِدِينَ مِنْ يَدِ إِسَارِهِمْ، وَقَسَرَ افْتِقَارَهُمْ. وَقَدْ عَظَّمَ مِنْهُ هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ، وَأَظْهَرَ آيَاتِهِ الْكُبْرَى لَهُمْ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ غَنَائِمِهِمْ تَوَفَّرَتْ لَهُمْ حَتَّى رَجَعَتْ عَلَيْهِمْ، مَحْوَطَةٌ بِحِيَاطَةٍ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، مَكْلُوءَةٌ بِصُنْعِ اللَّهِ الْكَرِيمِ.

وَأَخَذَ الْمُوَحِّدُونَ فِي الْإِيَابِ، وَقَدْ وَفَّرَ اللَّهُ أَجُورَهُمْ، وَذَخَرَ لَهُمْ كَرِيمَ مَقَامِهِمْ فِي الْمَصَاعِ عَنْ دِينِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَأَظْهَرَ سُبْحَانَهُ بَاهِرَ الْآيَاتِ فِي سَلَامَةِ جَمِيعِهِمْ مَعَ لِقَاءِ هَذَا الْجَمْعِ الْكَبِيرِ، وَالْجَمَاءِ الْغَفِيرِ، وَالشُّوَكَةِ الْحَدِيدَةِ، وَالْفِرْقَةِ الشَّدِيدَةِ، فَلَمْ يُصَبْ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَطَيَّرُوا بِهَذَا الْفَتْحِ الْخَطِيرِ قَبْلَ اسْتِيفَاءِ جَمْعِ دَوَابِّهِمْ، وَتَحْصِيلِ أَسْلَابِهِمْ، وَانْفُذُوا إِلَيْنَا رَايَتَهُمُ الْمَنْكُوسَةَ وَصْلَبَانَهُمُ الْكَاذِبَةَ تَعْجِيلًا لِلْبُشْرَى، وَتَعْظِيمًا لِهَذِهِ الْمِنَّةِ الْكُبْرَى، وَقَدْ عَنُونَ هَذَا الْفَتْحَ الْجَسِيمُ عَلَى أَنَّ وَرَاءَهُ لِلْمُوَحِّدِينَ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - فُتُوحًا تَطَرَّدُ وَأَيَّامًا عَلَى الْأَعْدَاءِ تَنْسَرِدُ، وَبَشَائِرُ مِنْ أَخَوَاتِهَا تَتَّحِدُ وَلَا تَنْفَرِدُ.

فَهَذِهِ كَانَتْ رَحَى الْأَعْدَاءِ، وَمَوْصِلَ الدَّاءِ، وَإِذْ قَدْ أَذِنَ اللَّهُ بِمَحْوِ أَثَرِهِمْ، وَإِظْفَاءِ شَرَرِهِمْ، فَمَا بَعْدَهُمْ - بِحَوْلِ اللَّهِ - أَيْسَرُ، وَجَانِبُ الْأَعْدَاءِ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ أَهْوَنُ،

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتَكُمْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبُرَ﴾. سورة الفتح، الآية: 22.

(2) الوحر: الغيظ والحقد وفي الحديث الشريف: «الصوم يذهب بوحر الصدور».



وَمَرَامُ الْفَتْحِ فِيهِمْ بَعْدَ أَسْهَلٍ وَأَقْرَبُ. وَالرُّومُ كُلُّ يَوْمٍ يُلْقُونَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ بَيْدَ
الاسْتِسْلَامِ، وَيَضْرَعُونَ فِي التَّمَشُّكِ بِحَبْلِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. وَسَيَقْبَلُ ذَلِكَ مِمَّنْ
ظَفَرَتْ مَخَايِلُ الْخَيْرِ عَلَيْهِ، وَتَوَجَّهَتْ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَيَتَفَرَّغُ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَيُمَالُ
عَلَيْهِمْ مِثْلَةَ تَحْطُمِ الرَّقَابِ، وَتَلْجُ عَلَيْهِمُ الْأَنْقَابُ، حَتَّى يُنْجِزَ اللَّهُ فِيهِمْ وَعْدَهُ الصَّادِقَ،
«وَيُظْهِرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»⁽¹⁾.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُسْمِعُكُمْ مَسَرَّاتٍ تَتَجَدَّدُ عَلَى الْأَذَانِ مَعَ الْأَحْيَانِ، وَيُعْلِقُكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ
بِمَا يُؤَدِّي إِلَى رِضَى الرَّحْمَنِ؛ بِمَنْه [وَلْتَقَابِلُوا]⁽²⁾ -وَفَقَّكُمْ اللَّهُ- هَذِهِ النِّعْمَةُ الْخَطِيرَةُ
بِوَاجِبِهَا مِنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، وَالْإِذَاعَةِ وَالنَّشْرِ. وَاللَّهُ يَجْعَلُكُمْ مِنَ الْحَامِدِينَ الشَّاكِرِينَ
بِمَنْه لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

كُتِبَ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَحَمْسِمِائَةٍ.
وَكُتِبَ أَيْضًا:

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدَّهُ بِمَعُونَتِهِ، إِلَى الطَّلَبَةِ
الْمَوْحِدِينَ وَالْأَشْيَاخِ وَالْكَافَّةِ بِمَدِينَةِ إِشْبِيلِيَّةٍ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ وَعَرَفَهُمْ عَوَائِدَ حُسْنَاهُ.
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ وَنَعْمِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُذَلِّلِ
الْمُسْتَضْعَبِ، وَمُسَهِّلِ دَرَكِ الْمَطْلَبِ، فَاتِحِ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ، وَمَانِحِ ضُرُوبِ
الْخَيْرِ الْمُخْتَسِبِ، وَمُعَرِّفِ أَوْلِيَائِهِ مِنْ عَوَائِدِ النَّصْرِ وَيُسْرِهِ، مَا يَصِلُ سَبَبُهُمْ مِنَ الْفُتُوحِ
بِأَكْرَمِ السَّبَبِ، وَيُؤْذِنُ أَنَّ مُنَاوِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ مَضْرُوعٌ لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ وَلَوْ ابْتَغَى نَفَقًا

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. سورة الصف، الآية: 9.

(2) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.



فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلِّمًا إِلَى الشُّهْبِ⁽¹⁾ وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى مِنْ أَكْرَمِ الْحَسَبِ، الْمُتَّبَعِ إِلَى الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ، الْأَخِذِ بِالْحَجَزِ عَنْ مَهَاوِي الضَّلَالِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْعَطَبِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَازِلِينَ فِي نُصْرَتِهِ وَطَاعَتِهِ جِدَّ الصَّابِرِ الْمُحْتَسِبِ، الْفَائِزِينَ مِنْ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى بِأَشْرَفِ الرُّتَبِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الصَّادِقِ بِنُورِ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ الْمُسْدِلَةِ الطُّنْبِ، الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ مُجَاهِدًا أَهْلَ الْكُفْرِ وَالرِّغْغِ وَالرِّبِّ، الْمَالِيءِ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا وَقَدْ مِلْتُ جُورًا إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَسِيمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرَفِ النَّسَبِ، الْمُمَشِّي أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى غَايَتِهِ الْبَعِيدَةِ الْمَذْهَبِ، حَتَّى يَسْتَوْلِيَ بِمَعُونَةِ اللَّهِ عَلَى مَا رَوَى لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

وإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ عَرَفَكُمُ اللَّهُ مِنَ الْبَشَائِرِ الْمُتَّبَاعَةِ وَالْمَسَرَّاتِ الْجَامِعَةِ، مَا يَمْلَأُ قُلُوبَكُمْ وَأَسْمَاعَكُمْ، وَيَعْمُ بِالْبَشَائِرِ أَنْدِيَتَكُمْ واجْتِمَاعَكُمْ، وَيَعْقِدُ عَلَى طَاعَتِهِ الْمَشْرِقَةَ، وَخَشِيَّتِهِ الْمُقَرَّبَةَ إِلَيْهِ الْمُزْلِفَةَ إِضْفَاقَكُمْ واجْتِمَاعَكُمْ. مِنْ دَاخِلِ قَفْصَةٍ⁽²⁾ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَالَّذِي نُوصِيكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ وَالْإِسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَالْيَقِينَ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ، هُوَ أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ الْحَرَمَ الْأَمِينَ، لِمَنْ تَمَسَّكَ بِسَبَبِهِ الْمَتِينِ، وَأَوَى إِلَى رُتْبَتِهِ ذَاتِ الْقَرَارِ وَالْمَعِينِ، وَأَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَقَدْ أَهْدَفَ نَحْرَهُ لِأَسِنَّةِ الْحَقِّ الْمُنَاضِلَةِ عَنِ الدِّينِ، وَتَبَرَّأَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ النَّجَاةِ وَالْعِصْمَةِ وَالتَّأْمِينِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْعَلُكُمْ مِمَّنْ عَرَفَ هَذَا الْأَمْرَ الْعَزِيزِ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ الْيَقِينِ، وَيَمُدُّ عَلَيْكُمْ ظِلَّهُ الْوَارِفَ، وَفَضْلُهُ الْمُتَعَارَفَ، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَقَدْ كُنَّا أَعْلَمْنَاكُمْ - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - بِمَا عَرَفَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ السَّعِيدَةِ مِنْ نُجْحِ الْمَطَالِبِ، وَيُسْرِ الْمَذَاهِبِ، وَخَرَقِ الْعَوَائِدِ فِي تَقَرُّبِ الْبَعِيدِ مِنْ أَمَلِ الْأَمَلِ وَرَغْبَةِ الرَّاغِبِ، وَأَنَّ اللَّهَ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَّبِعَ نَفْسًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَاتِيَهُمْ بِقَايَةٍ﴾. سورة الأنعام، الآية: 36.

(2) قفصة: مدينة جزائرية معروفة ومشهورة.



هَدَىٰ بُنُورَ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ مَنْ كَانَ عَنْهُ نَقَرٌ وَرَدَّ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ عَنْ رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ قَدْ أَعْرَضَ وَأَدْبَرَ، فَصَبَّرَ الْجَاهِلَ وَصَرَفَ إِلَى الطَّاعَةِ الشَّارِدَ، وَجَمَعَ عَلَى التَّقْوَى الْغَافِلَ وَالْجَاحِدَ. وَعَرَفْنَاكُمْ بِوُضُوحٍ مَنْ وَصَلَ مِنْ أَشْيَاخِ الْعَرَبِ - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - مُلْقِينَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، بِيَدِ التَّقْوِيضِ وَالتَّسْلِيمِ، مَا دَيْنَ يَدِ الْاِسْتِقَالَةِ إِلَى عَادَةٍ رَافَتِهِ وَصَفْحِهِ الْكَرِيمِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ صُرِفُوا إِلَى مَنَازِلِ هَذِهِ الْبِلَادِ أَنْزَلُوا فِيهَا لِتَجَمُّعِ كَلِمَتِهِمْ، وَتَنْتَظِمِ أَلْفَتِهِمْ، إِلَى أَنْ يُسْتَنْفَرُوا بِعَوْنِ اللَّهِ إِلَى الْغَزْوِ الَّذِي يُعَزِّبُهُ اللَّهُ كَلِمَةُ الْإِيمَانِ، وَيَنْشُرُ لِيَوَاءِ النَّصْرِ عَلَى عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ، وَعُدَاةِ الرَّحْمَنِ، بِحَوْلِ اللَّهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْقَرْيَةُ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ⁽¹⁾ طَالَمَا صَمَّتْ عَنْ دَاعِي اللَّهِ فَعَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا، وَرَكِبَتْ الْجَامِحَ مِنْ مَرَائِبٍ غِيَّهَا، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى رُشْدٍ مُرْشِدٍ، وَلَمْ تَصْرِفْ عِنَانًا إِلَى طَاعَةِ مُهْتَدٍ، وَلَمْ تَنْتَهَ عَنْ عَمَلِ بَاغٍ مُفْسِدٍ، اغْتَرَارًا بِمَنْعَةٍ مَكَانِهَا، وَضَخَامَةِ شَأْنِهَا، وَحَصَانَةِ بُنْيَانِهَا وَأَنَّهَا قَدْ [اِكْتَنَفَتْهَا] ⁽²⁾ صَحْرَاءُ تُعْطِشُ الصَّبَّ وَتُنَشِّفُ الرُّطْبَ، فَلَا يَجِدُ مَنَازِلَهَا مُعِينًا عَلَى الْمُقَاوِمِ، وَلَا مُرْتَفَقًا مِنْ مَرَاقِ الْأَنَامِ.

وَكَانَ جُلُّ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْمُبَارَكَةِ سَبَبُهَا وَقَى اللَّهُ هَذِهِ الْبِلَادَ مِنْ ضُرِّهَا وَعُرِّهَا، فَقَدْ كَانَ بَاصٍ فِيهَا الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى مُحَارَبَةِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَصْرَخَ، وَتَجَمَّعَ لَهُ فِيهَا مَعَ ذَلِكَ أَشْتَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ، وَشُدَّادَةٌ ⁽³⁾ مِنْ ذَوِي الْعِنَادِ، كُلُّ قَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، وَرَأَى سَبِيلَ الْغِيِّ فَاتَاهَا مِنْ أَقْرَبِ طَرُقِهِ، فَشَاقُوا اللَّهَ وَالْإِيمَانَ ⁽⁴⁾ وَحَالَفُوا الْبَغْيَ وَالْعِصْيَانَ، وَصَارَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ مِنْ مُنَافِقِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، يُهَاجِمُ الْبِلَادَ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا، لَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْهَا وَلَا يَعْتَصِدُ إِلَّا بِمَكَانِهَا، هِيَ مَاوَاهُمْ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾. سورة النساء، الآية: 74.

(2) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) شذاذ: يقال في القوم إنهم شذاذ إذا لم يكونوا في منازلهم.

(4) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. سورة الحشر، الآية: 4. أو من

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. سورة الأنفال، الآية: 13.



وَمَوْلَاهُمْ، وَبِسَبَبِ مُفْتِنِهِمُ الَّذِي أَضَلَّهُمْ وَأَغْوَاهُمْ . فَعَزَمْنَا - بَعْدَ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ تَعَالَى -
 أَنْ نَجْعَلَ إِلَيْهَا قَصْدَ الْاِغْتِنَاءِ، وَنَجْهَدَ فِي اسْتِثْصَالِ ذَلِكَ الدَّاءِ، فَقَدَّمْنَا إِلَيْهِمْ عَسَاكِرَ
 هَذِهِ الْبِلَادِ مَعَ طَلَبَتِهِمْ -أَعَانَهُمُ اللَّهُ وَأَنْجَدَهُمْ- وَأَمَرْنَاهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِمْ بِالنَّذِيرِ،
 وَيُحَذِّرُوهُمْ مُحَادَّةَ اللَّهِ وَأَمْرِهِ أَشَدَّ تَحْذِيرٍ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَتَتَضَحَّ لَهُمْ
 الْمَحَبَّةُ. وَإِذَا بِهِمْ عَنْ دَعَاوَى الرُّشْدِ مُعْرِضُونَ وَفِي الْفِتْنَةِ مُسْتَنْصِرُونَ، قَدْ لَجُّوا فِي
 طُغْيَانِهِمْ، وَتَمَالَوْا عَلَى عِصْيَانِهِمْ، وَبَدُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ⁽¹⁾ مُتَمَسِّكِينَ
 بِالْبَغْيِ بِأَدْيَانِهِمْ، مُعْتَصِدِينَ بِالشَّيَاطِينِ أَخَذَانِهِمْ. وَوَصَلَّ إِلَيْنَا كِتَابُ الطَّلَبَةِ الْمَذْكُورِينَ
 أَعَانَهُمُ اللَّهُ مُعَلِّمِينَ بِأَحْوَالِهِمُ الْمُنْكَرَةِ وَبِإِعْرَاضِ قُلُوبِهِمُ الْعَاتِيَةِ الْمُسْتَكْبِرَةِ وَحَيْثُ قَدْ
 انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَيْرَوَانِ مِنْ طَرِيقِنَا إِلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَتَمَمْنَا عَلَى عَزَمَتِنَا الْمُبَارَكَةِ مُسْتَعِينِينَ
 بِاللَّهِ تَعَالَى مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ مُسْتَنْجِدِينَ فِي النَّصْرِ وَالْعَوْنِ وَعُدَّةً وَعَادَتَهُ. وَعَرَفَ
 الْمُوَحِّدُونَ أَنَّ الطَّرْقَ إِلَى الْمَقْصِدِ إِلَيْهِمْ مُتَعَدِّرَةٌ الْمَسَالِكِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْعَسَاكِرِ، لِعَدَمِ
 الْمَاءِ فِيهَا فِي مِثْلِ الْفَضْلِ الَّذِي سَلَكَتْ فِيهِ، وَعَدَمِ الْمَرَافِقِ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْمَرَاعِي لِمَا
 ذُكِرَ مِنْ وَضْعِ هَذَا الْقَطْرِ، وَلِمَا تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مِنْ اخْتِبَاسِ الْقَطْرِ⁽²⁾، وَذَلِكَ مِمَّا
 أَطْعَى أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَسَوَّلَ لَهُمْ بِذَلِكَ وَأَمْلَى، وَدَلَّاهُمْ مِنَ الْغُرُورِ بِمَا دَلَّى، لَكِنَّ اللَّهَ
 سُبْحَانَهُ يَسَّرَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ فَمَهَّدَ لَهُمُ السَّبِيلَ، وَعَرَفَهُمُ الْعَوْنَ الْجَمِيلَ، وَأَوَّلَاهُمْ فِي
 مُحَاوَلَتِهِمُ الْبَرَكَةَ وَالتَّسْهِيلَ. فَوَجَدُوا مِنَ الْمَاءِ بِمَا كَانَ تَقَدَّمَ مِنَ الْمَطَرِ بَيْنَ يَدَيْ حَرَكَتِهِمْ
 السَّعِيدَةِ مَا قَامَ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ بُرْهَانًا، وَلَا حَاجَ لِلْمُسْتَبْصِرِ عَيْنَانَا، غُذْرَانُ
 تَفْهُقُ⁽³⁾، وَصُنْعُ كَرِيمٍ يَتَقَدَّمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ تَارَةً وَتَارَةً يُلْحَقُ، وَتَسَرَّبَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَقْوَاتِ مِنْ
 جَمِيعِ الْجِهَاتِ مَا رَغَدَ الْأَسْعَارُ، وَمَهَّدَ عَلَى هَذِهِ الْبَلَدَةِ الْقَرَارَ.

(1) لعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿تَبَدَّ قَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ

ظُهُورِهِمْ﴾. سورة البقرة، الآية: 100.

(2) القطر الأولى الجهة والقطر الثانية المطر.

(3) تفهق: تفيض ماء.



ولمّا كان الوُصُولُ إِلَيْهَا- عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى- أُعِيدَ عَلَى أَهْلِهَا الْإِنْدَارُ، وَكُرِّرَ لَهُمُ الْإِعْدَارُ، وَأُفْصِحَ لَهُمُ بِالتَّأْمِينِ التَّامِّ لَوْ أَصَاحَتْ مِنْهُمْ الْأَسْمَاعُ أَوْ أَنْارَتْ مِنْهُمْ الْأَبْصَارُ فَتَمَادَى مِنْ جَمِيعِهِمُ الْإِعْرَاضُ وَالْإِنْكَارُ، وَلَجَّ مِنْهُمْ الْعِضْيَانُ وَالْإِدْبَارُ، وَبَرَزُوا أَوَّلَ يَوْمٍ يَجْمَعُ لَهُمْ ذَمِيمٌ، وَجُنْدٌ مِنْهُمْ وَجِيمٌ⁽¹⁾، خَارِجَ بَلَدِهِمْ، لَتَظْهَرَ قُوَّةُ بَصَائِرِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَجَلَدِهِمْ. فَاشْتَغَلَ جَمِيعُ الْمُوحِّدِينَ- أَعَانَهُمُ اللَّهُ- بِشُغْلٍ نَزُولِهِمْ، وَتَرْتِيبِ حُلُولِهِمْ، وَخَفَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَسَاكِرِ مَنْ [قَاوَمَ]⁽²⁾ نَازِيَهُمْ، وَرَدَّ طَاغِيَهُمْ. فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي تَرْتَبَ الْمُوحِّدُونَ- أَعَانَهُمُ اللَّهُ- عَلَى جِهَاتِهِمْ، وَأَخَذُوا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ وَنَهَدُوا إِلَيْهِمْ بَعْزُ كَسَرِ اللَّهِ بِهِ مِنْ حَدِّ الطُّغَاةِ وَشَبَاتِهِمْ، وَأَوْهَنَ كَيْدَ عَزَمَاتِهِمْ. فَانْجَحَرُوا وَرَاءَ أَسْوَارِهِمْ وَاشْتَمَلُوا بِخَزَائِهِمْ وَعَارِهِمْ. وَتَمَكَّنَ الْمُوحِّدُونَ- أَعَانَهُمُ اللَّهُ- مِنْ حِصَارِهِمْ، وَاسْتَعَانُوا بِمَوْلَاهُمْ وَنَصِيرِهِمْ فَكَانَ وَلِيَّ إِنْجَادِهِمْ وَانْتِصَارِهِمْ. وَانْتَقَلُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى مَنَازِلٍ بِقُرْبِ الْأَسْوَارِ⁽³⁾ [بِقَدْرِ غَلْوِ السَّهْمِ]⁽⁴⁾ لِيَأْخُذُوا بِمُخَنِّقِ مَحْصُورِهِمْ، وَيُظْهِرُوا الْجِدَّ وَالْقُوَّةَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ. فَتَمَّ ذَلِكَ وَمَعُونَةُ اللَّهِ تَصَحُّبُهُمْ، وَالتَّوْفِيقُ إِلَى كُلِّ سَعَادَةٍ يُقَرِّبُهُمْ، وَاشْتَغَلَ مَعَ ذَلِكَ بِعَمَلِ آلَاتِ حَرْبِيَّةٍ يَسْتَظْهِرُ بِهَا عَلَى الْحُصُونِ الْمَشِيدَةِ وَتَكُونُ [وَبَالَا] فِي الْحَرْبِ وَالْمَكِيدَةِ. مِثْلَ الْمَجَانِيقِ وَالِدَبَابَاتِ وَالْأَبْرَاجِ. فَيَسَّرَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَا ضَمِنَ دَرَكَ الْمَطْلَبِ، وَسَهَّلَ أَحْوَالَ الْغَلَبِ، وَلَمَّا كَمَلَتِ الْآلَاتُ، وَبَلَغَتْ مِنَ الْحَزْمِ الْغَايَاتُ وَأَشْرَفَ الْبُرْجُ الْمُبَارَكُ عَلَى جُدْرَاتِهِمْ، وَنَالَتِ الْمَجَانِيقُ مِنْ هَدْمِ بُيُوتِهِمْ، أَخَذَ الْمُوحِّدُونَ مِنْ نِزَالِهِمْ، وَبَلَّغُوا

(1) جند وجيم: أي كثير مثل الحجارة المركومة بعضها فوق بعض، قال الشاعر:

وَهَامَةٌ كَالصُّنْدِ بَيْنَ الْأَصْمَادِ أَوْ وَجِمَ الْعَادِي بَيْنَ الْأَجْمَادِ

(2) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) الغلُو: الإعداء، وغلا بالسهم يغلو غلواً وغلواً، رفع يده يريد به أقصى الغاية وهو التجاوز. قال الشاعر:

كَالَسَّهْمِ أَرْسَلَهُ فِي كَفِّهِ الْغَالِي



الغَايَةِ فِي نِكَالِهِمْ، فَيَسِّرَ اللَّهُ لَهُمْ هَذِمَ سَائِرِ السَّائِرِ الَّتِي أَمَامَ الْأَسْوَارِ، وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْامْتِنَاعِ فِي حَدٍّ لَا تَنَالُهُ الظُّنُونُ، وَلَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ الْعُيُونُ. وَاتَّصَلَ الشُّغْلُ بِرَدْمِ الْخَنْدَقِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبُرْجِ الْمُبَارَكِ حَتَّى يَتَّصِلَ الْمُوحِّدُونَ بِالْأَسْوَارِ مِنْ أَمَمٍ، وَلَا تَمْتَنِعَ عَلَى كَفِّ مُتَنَاوِلٍ وَلَا قَدَمٍ، فَلَمَّا رَأَى الْمَخْصُورُونَ مَا أَنَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ وَأَلَمِ عِقَابِهِ، وَعَايَنُوا الْمَوْتَ قَدْ كَشَّرَ لَهُمْ عَنْ نَابِهِ، وَقَدْ تَبَرَّأَ حِينَئِذٍ مِنْهُمْ الشَّيْطَانُ⁽¹⁾ وَأَسْلَمَهُمْ إِلَى حِمَامِهِمُ اللَّجَاجُ وَالْعِصْيَانُ، نَدِمُوا عَلَى مَا أَسْلَفُوا وَعَرَفُوا قَدْرَ مَا وَطَّنُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ وَأَسْرَفُوا، فَهَتَفَ جَمِيعُهُمْ بِدُعَاءِ الْإِسْلَامِ، وَأَعْلَنُوا بِالْإِسْتِعْطَافِ وَالْإِسْتِرْحَامِ، وَرَدَّدُوا أَرْسَالًا يُخْبِرُونَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، وَرَجَّوْا رَحْمَةً تُنْجِيهِمْ وَتَوْبَةً مِنَ اللَّهِ تُرْشِدُهُمْ وَتَهْدِيهِمْ، فَرِحِينَ أَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ مَتَابَهُمْ، وَيَصِلَ بِالْخَيْرَاتِ أَسْبَابَهُمْ؛ وَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا ظَهَرُوا إِذْ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَوَلَّى حِسَابَهُمْ، وَبَذَلَ لَهُمُ الْأَمَانُ فِي رِقَابِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَذُرَارِيهِمْ، وَاسْتَنْزَلُوا مِنْ صِيَاصِيهِمْ⁽²⁾ وَأُخْرِجَ مَعَهُمْ نَافِخُ نَارِ الْفِتْنَةِ، وَمُدِيرُ رَحَى الْمِخْنَةِ، ابْنُ الرُّنْكِ⁽³⁾ صَاغِرًا ذَلِيلًا قَبِيذًا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ⁽⁴⁾ وَذَاقَ وَبَالَ أَمْرِهِ⁽⁵⁾ وَعَلِمَ أَنَّ مَرْتَعَ الْبَغْيِ وَخِيمٌ.

فَإِنْ صَحَّ مَتَابُهُ، وَكَانَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ مَابَهُ، فَقَدْ خَتَمَ بِالْحُسْنَى عَمَلَهُ، وَأَذْرَكَ مَا أَمَّلَهُ. وَجُمِعَ سَائِرُ مَنْ كَانَ بِالْمَوْضِعِ فَعَلِمُوا مَا لَا يَحِلُّ جَهْلُهُ وَلَا يَسَعُ، وَأُسْمِعَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَا يَسْمَعُ. ثُمَّ صُرِفَ جَمِيعُ الرِّعَايَا إِلَى أَوْطَانِهِمْ، وَأَخَذُوا بِعِمَارَةِ مِيَاهِهِمْ وَجَنَانِهِمْ، وَحَدَّ لِلْأَجْنَادِ الْإِنْتِقَالَ إِلَى بِلَادِ التَّوْحِيدِ، وَالْجَزْيِ عَلَى غَرَضِ هَذَا الْأَمْرِ

(1) اقتباس من القرآن الكريم.

(2) الصياصي: القمم الشامخة من الجبال.

(3) ابن الرنك: في الروض المعطار ورد على سد الرند صاحب قصص الذي أمره بالانتقال إلى مراکش فولاه على سلا إلى أن توفي. ولعل المؤلف هنا ذكره باسم من أسماء النصارى.

(4) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾. سورة القلم، الآية: 49.

(5) فيه نفس قرآني.



الرَّشِيدِ، وَخُلِصَتْ لِلْمُوحِّدِينَ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ - هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْعَتِيقَةُ، وَالْقَاعِدَةُ الرَّيْقَةُ،
الَّتِي جَمَعَتْ مِنْ جَمَالِ الْوَضْعِ، وَحَصَانَةِ الصُّنْعِ، وَاتَّسَاعِ الْخُطَّةِ، وَشَرَفِ الْبُقْعَةِ،
وَاعْتِلَاءِ الذَّرْوَةِ، وَامْتِنَاعِ الصَّهْوَةِ، مَا لَا يُوجَدُ إِلَّا فِيهَا لِأَنَّهَا مَعَ عَتَاقَةِ الْبِنَاءِ، وَسِعَةِ
الْفِنَاءِ، قَدْ عَمَرَ خَارِجُهَا مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ بِسَوَادٍ يَجْمَعُ النَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَالزَّيْتُونَ
وَالرُّثْمَانَ، وَفَوَاكِهَ ذَاتِ أَلْوَانٍ، صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ⁽¹⁾، تَتَفَجَّرُ عَلَيْهَا عُيُونٌ مُسْتَبْجِرَةٌ
تَخْرُجُ مِنْ دَاخِلِ الْبَلَدَةِ فَتَسْقِي كُلَّ جَنَّةٍ بِقِسْطٍ مَقْسُومٍ، وَشَرِبٍ مَعْلُومٍ⁽²⁾ [وَأُنبِطَتْ]⁽³⁾
خِلَالَ سَوَادِهَا مِيَاهُ تَسْقِي مَا ارْتَفَعَ مِنَ الظُّهُورِ عَلَى الْعُيُونِ. وَامْتَدَّ ذَلِكَ أَمِيالًا يَجْرِي
سَوَادُهَا عَلَى هَذَا الْوَزْنِ الْمَوْزُونِ، وَمَعَ هَذَا الْحُسْنِ الْجَامِعِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ بِشَرَفِ
وَضِعْهِهَا غَدَتْ مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ بِلَادٍ إِفْرِيقِيَّةٍ وَبِلَادٍ الْجَرِيدِ⁽⁴⁾ جَامِعَةً بَيْنَ تَسَاوِيِ النَّسْبَةِ إِلَى
الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، مُطَلَّةً عَلَى عَرَبِ هَذِهِ الْجِهَاتِ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا إِلَى طَرَابُلُسَ بِالْقَهْرِ
الشَّدِيدِ، أَخَذَةً بِحِطِّ وَافِرٍ مِنَ الصَّخْرَاءِ وَالْأَرْيَافِ تَجْمَعُ الْأَشْتَاتِ، وَتَقْمَعُ الْمُفْتَاتِ⁽⁵⁾
وَإِذْ قَدْ صَرَفَهَا اللَّهُ إِلَى طَاعَةِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ وَمُلْكِهِ، فَسُيُوجَدُ عَظِيمُ مَنَابِهَا فِي هَذِهِ
الْأَصْقَاعِ، وَشَرَفِ غَنَائِهَا فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ، بِضُرُوبِ مَنَافِعِهَا الْجَمَّةِ الْإِنْتِفَاعِ، وَتَنْقَطِعُ بِهَا
خَوَاطِرُ الْمُنَافِقِينَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ سَوَّلَتْ لَهُمْ وَسَاوِسَ مِنَ الْأَطْمَاعِ، وَيَتَفَرَّغُ بَعْدَ ذَلِكَ
الْمُوحِّدُونَ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ - إِلَى إِصْلَاحِ أَمْرِ الْعَرَبِ، وَتَرْتِيبِ أَحْوَالِ الْأَبْعَدِ مِنْهُمْ
وَالْأَقْرَبِ، وَتَتِمِّمُ الْغَرَضُ فِي هَذَا الْغَزْوِ السَّعِيدِ وَالْمَطْلَبِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ.

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَرِزْقٌ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ﴾. سورة الرعد، الآية: 4.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾. سورة الشعراء الآية: 155.

(3) خرم بالأصل ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) بلاد الجريد: تطلق على مناطق واسعة في تونس غير أن توزر تعد قاعدتها، انظر الروض المعطار، ص:

(5) المفتات: يقصد بها المفتت أي الرجل الذي يقول الباطل والزور على الناس.



وَعَرَّفْنَاكُمْ وَفَقَّمُكُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْبُشْرَى وَالنَّعْمَةِ الْكُبْرَى، لِيَتَّبِعُوهَا فِي أَنْدِيَّتِكُمْ وَأَقْطَارِكُمْ،
[وَتَجْعَلُوهَا] حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا دَأْبَ عَلَانِيَّتِكُمْ وَإِسْرَارِكُمْ، وَقُطْبَ هَوَاجِسِ
خَوَاطِرِكُمْ وَاعْتِبَارِكُمْ، وَتَتَلَقَّوْا بِالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى وَافِدَهَا الَّذِي زَارَكُمْ فِي دِيَارِكُمْ
[وَعَادَ] عَلَيْكُمْ بِتَوْفِيرِ حُطُوطِكُمْ مِنَ الرَّعَايَةِ وَإِيثَارِكُمْ، بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَا رَبَّ غَيْرُهُ،
وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ. كُتِبَ يَوْمَ الْخَمِيسِ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ
سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ نَارَازٍ فِي فَتْحِ قَفْصَةٍ:

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، بِنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدُهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدُهُ بِمَعُونَتِهِ إِلَى الطَّلَبَةِ
الْمُوحِّدِينَ وَالْأَشْيَاخِ وَالْأَعْيَانِ وَالْكَافَّةِ بِإِسْئِيلِيَّةِ أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ وَعَرَفَكُمْ
عَوَارِفَ حُسْنِهِ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ وَنِعَمِهِ وَنُصَلِّي عَلَى
مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَرَسُولِهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَيْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْعَلِيَّةُ وَنَصْرُهَا،
وَأَعَزَّهَا وَأَظْهَرَهَا وَرَفَعَ مَقَامَهَا وَأَعْلَى مَظْهَرَهَا، وَوَهَبَ لِبَطَائِفِهَا الْمَنْصُورَةَ،
وَمَحَابَّتِهَا الْمَبْرُورَةَ مِنْ إِنْجَادِهِ، وَإِسْعَادِهِ، مَا سَهَّلَ مَرَامَاتِهِمْ وَيَسَّرَهَا، وَأَبْهَجَ
نُفُوسَهُمْ وَبَشَّرَهَا، وَسَاوَى فِي تَحَقُّقِ إِنْجَازِهِ وَوُعُودِهِ، وَتَيَقَّنَ اتِّصَالَ نَصْرِهِ الْعَزِيزِ
عَلَى أَحْسَنِ مَعْهُودِهِ، مُضْمَرَهَا وَمُظْهَرَهَا، وَكُتِبَ فِي إِعْلَاءِ دِينِهِ، وَتَمْهِيدِ أَمْرِهِ
وَتَمْكِينِهِ، أَمَدَهَا الْمُتَمَدِّدَ وَأَثَرَهَا، وَجَعَلَ كَلِمَتَهَا الظَّاهِرَةَ، وَمَلَكَتْهَا الْغَالِبَةُ الْقَاهِرَةَ،
فَأَسْمَاهَا وَأَظْفَرَهَا، وَآرَى الْفِتَّةَ الْمُعَانِدَةَ، وَالْأَشَابَةَ النَّافِرَةَ عَنِ اللَّهِ الشَّارِدَةَ مِنْ
عَزَمَاتِهَا الْمُظْفَرَةَ، وَمُحَاوَلَاتِهَا الْمَيْسِرَةَ، مَا رَعَاهَا وَبَهَرَهَا، وَأَذَلَّهَا وَقَهَرَهَا، وَأَدَاَهَا
بَعْدَ الْإِبَاءِ وَالْعِنَادِ، إِلَى الْإِذْعَانِ وَالْإِنْقِيَادِ، وَصَيَّرَهَا؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ
وَرَسُولِهِ الْمُتَبَعِثِ وَقَدْ أَظْهَرَتْ الْجَهَالََةَ مُنْكَرَهَا، وَعَبَدَتِ الْجَهْلَةَ طَاغُوتَهَا



وَصُورَهَا، وَأَتَّبَعَتْ فِي خَبْطِ عَشَوَائِهَا وَسَحَبِ فُضُولِ أَهْوَائِهَا عَمَائَتَهَا الْمُضِلَّةَ
وَسَدَرَهَا فَأَزْهَقَ اللَّهُ بِحَقِّ بَاطِلِهَا وَأَخْمَدَ شَرَّهَا، وَأَخَذَ عَلَى النَّارِ وَمَزَلِقِ الْعِثَارِ
بِحَجَزِهَا وَبَشَّرَهَا وَأَنْذَرَهَا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ بَوَّأَتْهُمْ الْقَرَابَةُ مَحَلَّهَا وَخَوَّلَتْهُمْ
الصُّحْبَةُ أَثَرَهَا، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، الْمُظْهِرِ لِشَرِيعَةِ
جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَمَا أَخْفَاها الضَّلَالُ وَأَضْمَرَهَا وَأَشْعَرَهَا لِلْبَاطِلِ مِنْ تَبْدِيلِهِ وَتَغْيِيرِهِ
مَا أَشْعَرَهَا، فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ بِضِدْعِ بَنُورِهِ دَاجِيَهَا وَيَجْلُو مُعْتَرَكَهَا، وَيُوضِّحُ سُبُلَهَا
الطَّامِسَةِ فَيُخَيِّبُ دَائِرَهَا، وَيُمِيتُ مُدْتَرَهَا، حَتَّى أَعَادَهَا عَلَى جَدَّتِهَا اللَّاحِجَةِ الْيَبْنَةِ
وَقَرَّرَهَا، وَعَنْ مُظَاهِرِهِ وَمُؤَازِرِهِ، وَخَلِيفَتِهِ وَصَاحِبِهِ وَنَاصِرِهِ، الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِي بَثَّ كَلِمَتَهُ الْهَادِيَةَ وَنَشَرَهَا، وَرَقَاهَا فِي مَرَاقِي السَّمَاءِ، وَمَدَارِجِ الْاِكْتِمَالِ
وَالْاِنْتِهَاءِ، مُبَيِّنًا أَعْرَاضَهَا وَمُظْهِرًا غُرَرَهَا، وَوَصَلَهَا إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الْاِرْتِقَاءِ
وَالْاِعْتِلَاءِ، فَأَوْضَحَ مَعَالِيَهَا وَأَطْلَعَ نَبِيرَهَا.

فَإِنَّ كِتَابَنَا إِلَيْكُمْ عَرَفَكُمْ اللَّهُ بِشَائِرِ هَذَا الْأَمْرِ الْمُتَوَارِدَةِ، وَفُتُوْحَهُ الْمُتَنَاضِرَةِ
الْمُتَعَاَصِدَةِ، مَا يَمْلَأُ أَسْمَاعَكُمْ، وَيَعْمُرُ بِوَافِرِ الْمَسَرَّاتِ، وَوَارِدِ الْمُبْهَجَاتِ
الْمُبَشِّرَاتِ، أَرْجَاءَكُمْ وَأَصْقَاعَكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي شُكْرِ نِعَمِهِ وَالتَّحَدُّثِ بِآلَائِهِ الْجَمَّةِ
وَقِيَمِهِ تَلَاقِيَكُمْ وَاجْتِمَاعَكُمْ. مِنْ دَاخِلِ قَفْصَةِ -مَهْدَاها الله- وَقَدْ فَرَّجَ النَّصْرَ الْعَزِيزُ
مُبْهَمَهَا، وَأَنَارَ الْفَتْحَ الْمُبِينُ مُظْلِمَهَا، وَأَعَادَهَا إِلَى مَلَكَةِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَنَظَمَهَا،
وَأَلْهَمَ أَهْلَهَا رُشْدَهُمْ وَهَدَاهُمْ، وَصَرَفَهُمْ عَنْ غِيَّهِمُ الَّذِي اسْتَهْوَاهُمْ بَعْدَ أَنْ اِمْتَدَّ فِي
الضَّلَالَةِ مَدَاهُكُمْ، وَاتَّخَذُوا جَهْلًا وَعِنَادًا إِلَهُهُمْ هَوَاهُمْ⁽¹⁾ فَتَلَفَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَأَوَاهُمْ،
إِلَى حَرَمِ هَذَا الْأَمْرِ وَعِصْمَتِهِ، وَمَدَّ عَلَيْهِمْ رِوَاقَ أَمْنِهِ وَظِلَّ أُمْنِيَّتِهِ وَانْتَشَهُمْ وَقَدْ
أَشْفَوْا عَلَى جُرْفِ الْعَطَبِ وَهُوتِهِ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ -أَعْلَمَكُمْ اللَّهُ رَشَادَكُمْ- مَا كَانَ مِنَ
الْمُنْتَزِي فِيهَا مِنَ الْإِيضَاعِ فِي الْفِتْنَةِ وَالْمَرُوقِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْوُلُوجِ فِي غِيَابَاتِ

(1) لعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.
سورة الفرقان، الآية: 43.



الازتداد والمَعْصِيَّة، وَأَنَّهُ اسْتَدْعَى مِنْ ذُؤْبَانِ الْأَعْرَابِ وَأَوْبَاشِ الْأَكْرَادِ أَشْبَاهَهُ فِي الضَّلَالَةِ، وَنَظَرَاءَهُ فِي الْغَيِّ وَالْجَهَالَةِ؛ فَشَنَّ الْغَارَاتِ بِهِمْ، وَقَطَعَ السُّبُلَ مَعَهُمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَى السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ بِسَبَبِهِمْ، فَتَرَكَضُوا جَمِيعًا فِي مِيدَانِ الْعَيْثِ، وَاسْتَوَلَوْا فِي حَلْيَةِ الْإِعْتِدَاءِ وَأَجْرُوا مِلَاءَ أَعْتَبَتِهِمْ بِالْخَلَاءِ⁽¹⁾، وَغَرَّهُمْ مُنْتَدُ الْإِمْهَالِ وَالْإِمْلَاءِ، فَافْتَرَفُوا إِنَّمَا وَانْهَمَكُوا فِي اسْتِخْلَالِ الْمَحَارِمِ [جُرْأَةً] عَلَى اللَّهِ وَبَغْيًا، فَتَعَيَّنَ حَسْمُ دَائِهِمْ، وَوَجَبَ تَوْجِيهُ النَّظَرِ إِلَى إِطْفَاءِ نَارِهِمْ.

وَكُنَّا - وَفَقَّكُمُ اللَّهُ - عِنْدَ اخْتِلَالِنَا بِإِفْرِيْقِيَا - حَاطَهَا اللَّهُ - عَرَفْنَاكُمْ بِمُوجِبِ هَذِهِ الْحَرَكَةِ الْمُبَارَكَةِ وَأَنَّهَا لَمْ يَتَقَدَّمْهَا قَصْدٌ وَلَا أُعْمِلَ فِيهَا فِكْرٌ، وَلَا مُهْدَلَهَا بِتَعْوِيلِ عَلَيْهَا وَلَا عَزْمٍ، وَأَنَّ مُحَرَّكَهَا الْقَدَرُ الْمُسْعِدُ، وَالبَاعِثُ عَلَيْهَا لِقَوْرِ الْأَخْذِ فِيهَا صُنْعُ اللَّهِ الْمُؤَاوِزُ وَعَوْنُهُ الْمُنْجِدُ؛ وَأَعْلَمْنَاكُمْ بَعْضَ مَا انْطَوَى فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ الْمُتَّصِلَةِ وَالْبَرَكَاتِ النَّاتِمَةِ وَالْإِرَادَاتِ الْمُيسِّرَةِ، وَمَا كَانَ مِنْ وُصُولِ أَشْيَاخِ الْعَرَبِ وَأَعْيَانِهِمْ، وَإِهْطَاعِهِمْ إِلَى دَاعِي هَذَا الْأَمْرِ وَبِدَارِهِمْ. وَكَانَ مِنْ قَصْدِنَا فِيهَا وَإِرَادَتِهَا بِهَا النَّظَرُ فِي أَمْرِ هَذِهِ الْمَذْرَةِ وَإِرَاحَةِ عَلَيْهَا وَتَطْهِيرِ هَذِهِ الْأَضْقَاعِ مِنْ ذَرَنِيهَا إِذْ كَانَتْ شَجَى فِي صُدُورِ أَهْلِهَا، وَقَذَى فِي عُيُونِ قُطَّانِهَا، لِكُونِهَا أَضْحَتْ مَرْكَزًا لِلْمُفْسِدِينَ، وَمَأْوَى لِلْمُتَمَلِّصِينَ الْمُتَمَرِّدِينَ. وَكُنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الدَّوَاءَ الْأَنْجَعَ فِي دَائِهَا، وَالْأَمْرَ الْأَنْفَعُ فِي مُحَاوَلَتِهَا، وَوُصُولَ جَمِيعِ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - إِلَيْهَا وَنُزُولَ جُمْلَتِهِمْ عَلَيْهَا. وَكَانَ مِمَّا خَدَعَ الْفَسَاقَ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا وَغَرَّهُمْ وَاسْتَقْدَاهُمْ إِلَى التَّمَادِي عَلَى الْإِضْرَارِ وَاسْتَجَرَّهْمُ، حَصَانَةُ بَلَدِهِمْ وَشُهُوقُ أَسْوَارِهِمْ وَوُغُورَةُ مَوَالِجِهِمْ، وَحَرَجُ مَدَاخِلِهِمْ، وَإِحَاطَةُ الصَّخْرَاءِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِهِمْ وَعَدَمُ الْأَقْوَاتِ فِي الْبِلَادِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُمْ، وَتَعَذُّرُ جَلْبِهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ النَّائِيَةِ عَنْهُمْ، وَأَنَّ كُلَّ عَسْكَرٍ يُنَازِلُهُمْ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْجِهَاتِ يَسْتَقِلُّونَ بِمُقَاوَمَتِهِ، وَيَنْهَضُونَ بِمُرَافَعَتِهِ، وَأَنَّ الْعَسَاكِرَ الْكَبِيرَةَ وَالْجُمَلَ الْعَدِيدَةَ لَا يَتَهَيَّأُ لَهَا الْمَقَامُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُمَكِّنُهَا مَطَاوِلَةُ حِصَارِهِمْ لِكَثْرَةِ مَا

(1) مقتبس من المثل العربي: «كُلُّ مُجْرٍ بِخَلَاءٍ يُسَرُّ». مجمع الأمثال 2/ 162، المثل رقم: 3007.



تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَنَزَارَةَ مَا يَعْمُهَا فِي طَرِيقِهَا إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَرَافِقِ وَالْمِيَاهِ. وَهِيَ هَاتِ أَنْ تُحَصِّنَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ الشَّوَاهِقُ، أَوْ تَحُولَ دُونَ مَرَامِهِ الْمَهَامِهُ الْفِيحِ وَالسَّمَالِقُ؛ فَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ الْعَزِيزِ جَانِبُهُ، الْمَكْبُوتِ مُنَاوِئُهُ وَمُجَانِبُهُ، الْمَأْخُودِ بِيَدِ الْقَهْرِ وَالْقَسْرِ مُقَاوِمُهُ وَمُغَالِبُهُ. فَقَدَّمْنَا بَيْنَ أَيْدِينَا طَلَبَةَ بَجَايَةِ -وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ- مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ عَسَاكِرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّتِي بِبَجَايَةِ وَإِفْرِيقِيَّةٍ وَفَرَهَا اللَّهُ -تَقْدِمَةُ لِلْأَعْدَارِ، وَأَخْذًا بِالْحُجَّةِ وَالْإِسْتِظْهَارِ، لِيَسْتَبْهُوا مِنْ سِنَاتِ الْإِغْتِرَارِ، وَيَتَوَبُّوا إِلَى الْإِزْعَوَاءِ وَالْإِسْتِبْصَارِ، وَيَقْرَعُوا بِالْبُخُوعِ وَالطَّاعَةِ، وَالرُّجُوعِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْجَمَاعَةِ، بَابِ الْمَتَابِ وَالْإِسْتِغْفَارِ؛ فَتَقَبَّلْ تَوْبَتَهُمْ، وَتَقَابَلْ بِالصَّفْحِ الْجَمِيلِ أَوْبَتَهُمْ، وَتُقَالَ عِثَارُهُمْ، وَتُغْفَرَ زَلَّتُهُمْ، فَأَبَى لَهُمْ شَيْطَانُهُمْ وَعَلَبَتْ عَلَيْهِمْ شَقْوَتُهُمْ، وَتَمَادَوْا عَلَى بَغْيِهِمْ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلَالِهِمْ الْقَدِيمِ وَغَيْهِمْ.

وَكُنَّا بَعْدَ انْفِصَالِ الطَّلَبَةِ -أَعَزَّهُمُ اللَّهُ عَنَّا- نَهَضْنَا بِجُمْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ -أَعَزَّهُمُ اللَّهُ- نَوْمُ الْقَيَرَوَانِ -كَلَّاهَا اللَّهُ- لِيَكُونَ طَرِيقَنَا عَلَيْهَا. وَقَبْلَ وَصُولِنَا إِلَيْهَا وَافْتِنَا كُتُبِ الطَّلَبَةِ الْمَذْكُورِينَ مُعْرِفِينَ بِأَنَّ الْأَخْسَرِينَ أَوْقَدُوا لِلْعِصْيَانِ نَارَهُ، وَاسْتَشْعَرُوا إِشْعَارَهُ، وَرَفَعُوا لِلدِّفَاعِ أَعْلَامَهُ وَأَخَذُوا لَهُ أَوْزَارَهُ. فَاسْتَحَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى الشُّهُودَ إِلَيْهِمْ، وَأَمْضَيْنَا الْعَزَائِمَ الْمُؤَيَّدَةَ عَلَى الْحُلُولِ بِسَاحَتِهِمْ وَالْإِطْلَالَ عَلَيْهِمْ. وَنَهَضْنَا مَعَ الْمُوَحِّدِينَ -أَعَزَّهُمُ اللَّهُ- وَدَلَّيْلُ النُّجْحِ بَادِيَةً، وَمَخَايِلُ الْفَتْحِ لَائِحَةً، وَعَلَامَاتُ الظَّفَرِ مُتَضَحَّةٌ ظَاهِرَةً، وَمَعُونَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِتَسْهِيلِ الْمَطْلَبِ وَإِذْنَاءِ الْمَرَامِ مُتَّصِلَةٌ ضَامِنَةٌ، وَلَمْ يَغْدَمْ الْمُوَحِّدُونَ -أَعَزَّهُمُ اللَّهُ- فِي طَرِيقِهِمْ [مَرْفِقًا] وَلَا لَقُوا -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- مِنْ سَفَرِهِمْ نَصَبًا، إِذْ غَدَوْا عَلَى طَرِيقِ بَعْدِ الْعَهْدِ بِسُلُوكِهَا، وَاسْتَبْهَمَتْ عَلَى غَمْرَةِ هَذِهِ الْأَصْقَاعِ مَنَاهِجُهَا وَسُبُلُهَا، وَأَلْفُوا مِنَ الْمَرَافِقِ الْوَاسِعَةِ وَالْمِيَاهِ الْمَعِينَةِ مَا لَمْ يَخْتَسِبْهُ مِنْ أَحَدٍ، وَلَا خَطَرَ عَلَى بَالٍ وَلَا دَارَ فِي خَلْدٍ؛ وَتَيَقَّنَ أُولُوا الْأَلْبَابِ وَتَحَقَّقَ أَهْلُ الْإِعْتِبَارِ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَصْنُوعٌ لَهُ وَمُؤَيَّدٌ عَزْمُهُ، وَمُكْتَنَفٌ بِعَوْنِ اللَّهِ مُرَادُهُ وَرَوْمُهُ، وَأَنَّ الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَالْمَعُونَةَ الرَّبَّانِيَّةَ تَنْجِدَانِ عَزَائِمَهُ وَتُسِّرَانِ أَعْرَاضَهُ وَمَطَالِبَهُ. وَاسْتَمَرَّ سَيْرُ الْمُوَحِّدِينَ -أَعَانَهُمُ اللَّهُ- عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ الْمَوْصُوفَةِ وَالصُّورَةِ الْمَجْلُودَةِ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَيْهَا



وَأَنَّا خَوَّافُنَا هَا؛ فَلَاوَلَّ إِشْرَافِهِمْ عَلَيْنَا اِزْتَبَكَ الْأَشْقِيَاءُ فِي مَهَاوِي الْمَعَاطِبِ، وَأَبْدَوْا
صَفْحَةَ الْمُنَاصِبِ الْمُطَالِبِ، وَكَشَفُوا عَنْ سَاقِ الْمُجَاهِدِ الْمُحَارِبِ، ظَانِّينَ أَنَّ هَذَا
الْأَمْرَ الْعَظِيمَ [تَرْدُّهُ] ⁽¹⁾ سَامِقَاتُ الْمَعَاقِلِ وَطَامِيحَاتُ [الْمَرَاقِبِ] ⁽²⁾، وَلَوْ أَحْصَنَتِ
الْبَوَازِخُ وَأَكْنَتِ، وَدَفَعَتِ الشَّوَامِخُ عَنِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهَا وَأَجَنَّتْ، لِمَنْعِهِمْ هَذَا الْحِصْنَ
الَّذِي تَعَاقَبُ النُّجُمُ هَضْبَاتُهُ، وَتُنَزَّلُ الْعِصْمَةُ قَدَفَاتُهُ، وَتَتَلَفُّعُ بِنَسْجِ الْغَمَائِمِ بُرُوجُهُ
وَشُرْفَاتُهُ، لَكِنَّ أَمْرَ اللَّهِ لَا تُعَدُّ عَزَمَاتُهُ، وَلَا تُقَامُ بَطْشَاتُهُ وَسَطَوَاتُهُ. وَاشْتَغَلَ الْمُوَحِّدُونَ
بِتَرْتِيبِ نُزُولِهِمْ وَتَهْيِئَةِ مَرُوسِهِمْ، وَاضْطِرَابِ مَحَلَّاتِهِمْ بِأَفْنِيَّتِهِمْ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا زَحْفُوا
إِلَيْهِمْ وَنَصَرَ اللَّهُ يُؤَارِزُهُمْ، وَصُنْعُهُ الْكَرِيمُ يُظَاهِرُهُمْ؛ فَنَارَ لَوْهُمْ أَشَدَّ نِزَالٍ، وَصَالُوا
عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ مَصَالٍ، وَأَرَوْهُمْ مِنْ هَوْلِ الْمَصَاعِ وَصَدَقِ الْقِتَالِ، مَا قَصَرَهُمْ عَنِ
الْاسْتِرْسَالِ، وَصَيَّرَهُمْ بَعْدَ التَّبْسِطِ، وَالْإِقْدَامِ إِلَى الْإِنْقِبَاضِ وَالْإِنْخِزَالِ؛ فَانْكَمَشُوا فِي
أَجْحَارِهِمْ، وَلَاذُوا بِقُنْنِهِمُ الْمُتَيْفَةِ وَأَسْوَارِهِمْ، وَأَجْرُوا طَلَقَ شَرِّهِمْ فِي مِضْمَارِ
انْخِدَاعِهِمْ بِمَعْقِلِهِمْ وَاغْتَرَارِهِمْ. وَكَانَتْ حَوْلَ الْبَلَدِ غُرُوسٌ وَبِنَاءَاتٌ وَعَرَّتِ الْمَسَالِكُ
وَضَيَّقَتِ الْمَنَافِذَ، وَأُشْبِتِ الْمَدَاحِلَ إِلَيْهِمْ وَالْمَخَارِجَ؛ أَخَذَ الْمُوَحِّدُونَ -وَفَقَّهُمُ اللَّهُ-
فِي هَذْمِهِمَا وَنَظَرُوا فِي إِزَالَتِهَا، وَجَدُوا فِي تَغْفِيَةِ رُسُومِهَا؛ وَنَقَلُوا مَضَارِبَهُمْ بِحَيْثُ
يَسْمَعُونَ سَرَائِرَهُمْ وَيَتَعَرَّفُونَ مَعَ اللَّحْظَاتِ أَحْوَالَهُمْ، وَأَخَذُوا بِهِمْ أَتَمَّ إِحْدَاقٍ،
وَأَحَاطُوا بِمَدِينَتِهِمْ إِحَاطَةَ الْأَطْوَاقِ بِالْأَغْنَاقِ، وَشَدُّوا عَلَيْهِمْ أَنْشُوطَةَ الْحِصَارِ
وَالْعِتَاقِ، وَسَدُّوا دُونَهُمْ خِصَاصَ الْأَنْقَابِ وَالْأَنْفَاقِ، وَلَمْ يُوجِدُوهُمْ مَنَفَسًا لِانْسِرَابِ
وَلَا مَذْهَبًا لِازْتِفَاقِ، وَأَشْفَوْا بِهِمْ مِنْ ضَنْكِ النَّكَالِ وَضِيقِ الْمَجَالِ عَلَى شَفَا الْأَرْمَاقِ،
وَنَصَبُوا عَلَيْهِمْ مَجَانِيقَ بَلَغَتْ فِي نِكَائِيَّتِهِمُ الْمَبَالِغَ، وَأَحَلَّتْ بِهِمُ الْقَوَاصِمَ وَالِدَوَامِغَ،
وَنَهَكَتْ أَسْوَارَهُمْ وَهَدَمَتْ دِيَارَهُمْ، وَعَقَتْ أَثَارَهُمْ، وَأَصْلَتْهُمْ بَاغِتِ الْجِمَامِ وَوَحْيِ
الْمَوْتِ الزُّوَامِ أُمَّهُمُ الْهَآوِيَّةُ وَنَارُهُمْ؛ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا تَسْعَى بِهِمْ إِلَى مُنْجَاتِهِمْ قَدَمٌ،
وَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَى اسْتِزَالِ الْأَمَانِ، وَتَطْلُبُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، نُزُوعٌ عَنِ الْعِصْيَانِ، وَلَا

(1) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) خرم بالأصل.



نَدَمُ؛ وَلَا [زَادَهُمْ] مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا لَجَاجًا فِي تَهَوُّرِهِمْ، وَتَتَابُعًا عَلَى عَمَلِهِمْ وَتَحْيِيرِهِمْ، وَاسْتِيطَاءَ لِمَرْكَبِ الْاسْتِنَامَةِ إِلَى قَرِيَّتِهِمُ الْمُحَصَّنَةِ وَجُدْرِهِمْ.

فَرَأَيْنَا -وَالْمُسْتَعَانَ اللَّهَ- أَنَّ مُقَاتَلَتَهُمْ بِآلَاتٍ تَعْلُو عَلَيْهِمْ وَيَتَعَجَّلُ مَعَهَا مَرَامُ أَخَذِهِمْ، أَصْلَحُ بِالْمُوحِّدِينَ -أَعَزَّهُمُ اللَّهُ- وَأَصُونُ لَهُمْ وَأَوْفُقُ لِمَا نُؤْتِرُهُ مِنَ الشُّحِّ بِهِمْ، وَالِاخْتِيَاطِ عَلَيْهِمْ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ فَخَامَةِ التَّنَاوُلِ وَعِزَّةِ الْقَهْرِ وَظُهُورِ الْقُوَّةِ وَإِزْهَابِ الْعُدُوِّ. وَإِنْ كُنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ لِأَمْرِهِ الْعَزِيزِ نَاجِزٌ، وَنَصْرُهُ لِحِزْبِهِ الْمُفْلِحِ لَا يَحْجُزُهُ حَاجِزٌ، فَالِنَظَرُ فِي الْأَسْبَابِ لَا يُنَاقِضُ هَذَا الْعَقْدَ الْمُتَمَكِّنَ، وَلَا يُنَافِي الثَّقَةَ بِأَطْرَادِ فَتْحِ الْأَوَّلِيَّاتِ عَلَى سَنَنِهِ اللَّاحِبِ وَنَهْجِهِ الْبَيِّنِ. فَأَخَذَ فِي عَمَلِ مَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ مِنَ الْآلَاتِ وَالْأَشْكَالِ، وَصُرِفَ إِلَى التَّهْمُ بِهَا وَالْعُكُوفِ عَلَيْهَا وَجْهَ الْقَضْدِ وَالِاسْتِغَالِ، فَيَسَّرَتْ -وَالْمَحْمُودُ اللَّهُ- فِي أَقْرَبِ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْأَمَادِ وَالْأَجَالِ. وَاتَّفَقَ بَيْنُنَا هَذَا الْأَمْرِ السَّعِيدِ وَبَرَكَاتِهِ، وَبَرَاحِينِهِ الْوَاضِحَةِ وَآيَاتِهِ، أَنْ جَلَبَ النَّصَارَى الْعُودَ الْمُوَافِقَ لِذَلِكَ، وَلَمْ تَجِرْ عَادَتُهُمْ بِجَلْبِهِ وَلَا سَبَقَ لَهُمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْعَامِ الْخُرُوجُ إِلَى سَوَادِ إفريقية وَمَا تَهَيَّأَ مِنْ تَوْصِيلِهِ إِلَى هَذِهِ الصَّخْرَاءِ مَعَ عَظَمِ أَجْزَائِهِ وَتَفَاوُتِ خَشْيِهِ؛ وَذَلِكَ مَعْدُودٌ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَمُضَافٌ إِلَى مَا سَلَفَ لِهَذَا الْأَمْرِ السَّعِيدِ مِنْ مَظَاهِرَةِ الْأَقْدَارِ وَمُسَاعَدَةِ السَّعَادَاتِ، صُنْعٌ مِنَ اللَّهِ كَرِيمٌ، وَمَنْ جَسِيمٌ وَعَوْنٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَرِيمُ. وَكَانَ مِنْ قَصْدِنَا مِنْ هَذِهِ الْمُحَاوَلَاتِ أَنْ يَزْدَجِرُوا وَيَدْكُرُوا، وَيَرَاجِعُوا عُقُولَهُمُ الْعَازِيَةَ وَيَسْتَنْصِرُوا، وَيَكْفُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَوَايَةِ وَيَقْصُرُوا، فَرَأَيْنَا الْجَهَالََةَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَعْمَتِ الضَّلَالَةُ أَبْصَارَهُمْ، وَأَصْمَتِ الْعَمَايَةَ أَذَانَهُمْ، فَلَمْ يَطُورُوا بِجَانِبِ التَّوْبَةِ، وَلَا يُسْرُوا لِلْفَيْتَةِ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَالْأُوبَةِ؛ وَالْمُوحِّدُونَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ تَتَحَرَّكُ حَفَائِظُهُمْ لِعُزْوِهِمْ، وَتَلَمَّظُ شِفَاؤُهُمْ لِإِبَادَتِهِمْ وَمَحْوِهِمْ. وَعِنْدَمَا قَرَّبَ كَمَالَ الْآلَاتِ وَتَمَامُهَا، دَنَا اتِّسَافُهَا عَلَى الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْهَا وَانْتِظَامُهَا، وَكَادَ يُحْرِقُ جَوَانِبَ الْغُزَاةِ -أَعَانَهُمُ اللَّهُ- اخْتِدَامُهَا لِإِبَادَتِهِمْ وَاضْطِرَامُهَا، رَأَيْنَا أَنْ نُكْرِّرَ الْأَعْدَارَ إِلَيْهِمْ وَنَزِيدَ تَمَكِينًا وَتَوْكِيدًا فَيَأْمُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ. فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ أَشْيَاخًا مِنَ الْمُوحِّدِينَ وَالطَّلَبَةِ وَالْعَرَبِ -وَفَقَّ اللَّهُ جَمِيعَهُمْ- لِيَعْرِفُوهُمْ



أَنَا نَرَفَعُ عَنْهُمْ السَّيْفَ إِنْ تَابُوا، وَنَبْذُلُ لَهُمُ الْأَمْنَ إِنْ رَجَعُوا إِلَى الْأَمْرِ الْعَزِيزِ وَأَنَابُوا؛ فَعَتَوْا وَاسْتَكْبَرُوا، وَأَشْرَوْا وَبَطَرُوا، وَجَحَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْمِنَّةِ الْعُظْمَى وَكَفَرُوا، وَفُتِّحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ فَتَكَصَّوْا عَنْ دُخُولِهَا وَفَهَقَرُوا؛ فَعَرَفَ الْمُوَحِّدُونَ - وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ - بِأَنَّهُمْ عَمُوا عَنِ النَّذَارَةِ وَصَمُّوا - وَتَرَدَّدُوا بِرِداءِ جَهَالَتِهِمْ وَاعْتَمَوْا، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى عِنَادِهِمْ وَأَتَمُّوا؛ فَازْدَادَتْ حَفَائِظُهُمُ التَّطَاءَ، وَنِيَّاتُهُمْ خُلُوصًا فِي جِهَادِهِمْ وَصَفَاءَ، وَعَزَائِمُهُمْ تَضَمِيمًا عَلَى غَزْوِهِمْ وَمَضَاءَ. فَأَذِنَّا لَهُمْ فِي مُنَاجَزَتِهِمْ وَحَضَضْنَاهُمْ عَلَى الْجِدِّ فِي نِزَالِهِمْ وَاعْتِنَامِ الْأَجُورِ فِي قِرَاعِهِمْ، فَنَصَبُوا لَهُمُ الْحَرْبَ مُسْتَعِينِينَ بِاللَّهِ، مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ، رَاجِينَ جَسِيمَ ثَوَابِهِ، مُتَجَزِّينَ كَرِيمَ وَعْدِهِ، فِي مَنْ حَادَ أَمْرُهُ وَعِنْدَ عَنْ سَبِيلِهِ، وَأَبَاحَ مَحَارِمَهُ وَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ⁽¹⁾ فَشَاهَدُوا مِنْ جَدِّهِمْ وَشَدَّهِمْ مَا زَلَزَلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَذْهَبَ جُرْأَتَهُمْ وَإِقْدَامَهُمْ، وَأَظْهَرَ نُكُوصَهُمْ وَإِحْجَامَهُمْ، وَأَكْذَبَ أَمْلَهُمْ فِي الْاِحْتِمَاءِ وَمَرَامَهُمْ.

وَتَمَادَى الشُّغْلُ فِي الْأَلَاتِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى أَنْ تَمَّتْ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهَا، وَتَهَيَّأَتْ حَسَبَ الْقَصْدِ بِهَا، ثُمَّ اسْتُخِيرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِذْنَائِهَا إِلَيْهِمْ، وَتَقْرِيبِهَا مِنْهُمْ، فَقَدِّمَتْ، وَنَصُرُ اللَّهِ يَقْدُمُهَا وَتَأْيِيدُهُ يَكْنُفُهَا، وَعَوْنُهُ يُمَهِّدُ وَيُطْرِقُ لَهَا، فَانْتَهَتْ إِلَى حَفِيرَتِهِمْ، وَاسْتَعَلَّتْ عَلَى أَسْوَارِهِمْ، وَتَضَاءَلَتْ لَهَا مَنِيَقَاتُ جُدُورِهِمْ، وَصَبَّتْ عَلَيْهِمْ سَوَاطِ عَذَابٍ⁽²⁾، وَرَمَتْهُمْ بِالصَّيْلِمِ الصَّمَاءِ، وَالْدَّامِيَّةِ [الدَّهْيَاءِ]، وَمَنَاهُمُ اللَّهُ بِمَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ، وَلَا اسْتِطَاعَةَ عَلَى مُقَاوَمَتِهِ وَدَفْعِهِ. وَاسْتَمَرَّتِ الْحَالُ فِي التَّوْطِئَةِ لَهَا، وَرَدَمَ الْخَنْدَقِ أَمَامَهَا أَيَّامًا، وَالْحَرْبُ تَكَلَّمُهُمْ، وَالْحَيْنُ يُبْرِزُهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ وَيَقْدُمُهُمْ. وَكَانُوا قَدْ بَالِغُوا فِي تَأْشِيبِ الْخَنْدَقِ وَتَحْصِينِهِ، بِمُجَاوَزَةِ الْحَدِّ فِي تَوْعِيرِهِ وَتَوْسِيعِهِ. فَانْشَغَلَ الْمُوَحِّدُونَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - فِي تَسْوِيَّتِهِ وَرَدْمِهِ، وَنَاوَشَتْهُمْ الْقِتَالُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ لَمْ يَتَوَقَّرْ اسْتِعْدَادُهَا، وَلَمْ تَكْتَرِثْ بِسَبَبِ اشْتِغَالِ سَائِرِ الْمُوَحِّدِينَ بِالْخَنْدَقِ أَعْدَادُهَا، فَأَهَبَّ اللَّهُ

(1) هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَبْرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾. سورة الجاثية، الآية: 22.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿قَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِ عَذَابٍ﴾. سورة الفجر، الآية: 13.



ربف الفف لففف الفف وفففه؁ وأولفئه الذففبف عف فرفمفه المففهفدبف لاففراز
أمره وإعلاء كلمفهفؑ فاففففموا السففارة عفففهم ودفلوها عففوة عف فففورهم؁ وهفموا
برفا مف أبرافها ومسافة ممفدة مفهاؑ وففلوا عففها ففملة مف ففلفائفهم؁ وففملة مف
فحب ففففائفهم وأشفائفهم؁ وعففففهم الفرب - هفالفك - بأففافها؁ ومفدت الففوف
ففهم بأسبابها؁ ودفلت المفاا عفففهم مف فمفع أبوابها وأقفافها؁ فأفففففهم ما عاففوه
مف ذلك وهالفهم؁ وأوفن كففهم وأففف ففالفهم؁ وأففاف عف المصافرة ذرفهم
وقفف ففها مفافهم؁ وففففوا أن لا وزر مف أمر الله ولا مفعف لهم؁ وعففموا أنهم إن
فأفروا فواف فافة؁ أو اسفففوا ازفداد لفطفة؁ دارف بهم الفائرة؁ وفزلف الفاصمة
الفافرة؁ ودفل الموففون المففنة عفففهم واسففافهم مف فورهم؁ فالفوا فف
الففوع والقفا؁ وألفوا بالاسفففار والمفف؁ وبافروا بارسال أشفافهم وأعفافهم
وأهل الفل والعفد مفهم بافعف بالفافة مسفففلف مف العفرة مسففففف عف سالف
الفرفة والزفة؁ رافف فف فبول الإنافة والفوبة؁ مافف لفلف الأمان أفف الاسفففاف
والففرة؁ مسفففلف مف فضل هفا الأمر ما لم فزل فعفد مف العفوف بعف الفلب
والقفرة؁ فففل مفافهم؁ وفففل بسبب الفافز أسبابهم؁ وكان إلف فمفد العاففة
وسعفد الفافمة مالفهم ومافهم؁ وبذل لهم مف الفافف ما رجوه؁ وبلفوا مف
الصفف الفمفل ما أملوه وبفوه؁ وإن كانت سوافف ذفوبهم؁ وسوافف فزفهم
وفوبهم؁ ففففف رف رعبافهم وإفافهم بما اكففبوا مف سففائفهم؁ لكف رفمة الله
وسففهم ومففرفه فغمففهم؁ وساففة الفسنى هففهم إلف الفوبة وفسففهم؁ والمفة
المعلومة لهفا الأمر عففهم وفمففهمؑ فأففوا للفمة مسففففف؁ وبما وهفوه مف
السفامة فف الأففس والأهلف مسففففف؁ والله فعالى عف ما فداركهم بف مف أعلق
أفمافهم بففل الفبول وسبفه فامفدبف وفافرف؁ وفرف زعفهم عف البلف صافرا؁
وسارف إلف أمففال الأمر فافرا فافرا؁ فافلا بما مفع مف الإبقاء عففه فف ففسه
وأهله؁ معفرافا بالفمة فف الفافز عف سالف ذفبه وقفف فعفه؁ واسففوا الموففون
- أعزهم الله فعالى - عف المففنة أفم الاسففلاء؁ وأفارهم الله فف إظهار رافففهم



وَإِخْرَازِ أَمْرِهِمْ مِنَ النَّصْرِ وَغَايَتِهِمْ، عَلَى مُتَعَارِفِ الْأَسْمَاءِ وَالْإِعْلَاءِ، سُنَّةٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لَا يُنْسَخُ حُكْمُهَا، وَلَا يَتَبَدَّلُ رِسْمُهَا، وَلَا يَغْدُلُ عَنْ سَمِيَّتِهِ السَّيِّدِ، وَأَجْرِهِ الْحَمِيدِ، قَصْدُهَا وَأَمُّهَا. فَلَهُ الْحَمْدُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ، وَالشُّكْرُ عَلَى مَا يَسِّرَهُ مِنْ إِعْزَازِ أَمْرِهِ وَسَنَاهُ.

وَكَانَ الْمُتَنَزِّي فِيهَا قَدْ اسْتَهْوَى جَمَاعَةً مِنْ طَعَامِ الْفِتْنَةِ، وَاسْتَعْوَى حُثَالَةً مِنْ أَرَادِلِ الْعَامَّةِ، فَهَرَّ بِهِمْ سَوَاهُمُ، وَاسْتَوَلَى بِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ وَتَسَبَّبَ إِلَى اسْتِمَالَةِ نَفُوسِهِمْ، وَتَوَسَّلَ إِلَى اسْتِخْلَاصِ نِيَّاتِهِمْ بِإِبَاحَةِ الْمُحَرَّمَاتِ لَهُمْ وَرَفَعَ الْحُدُودَ فِيهَا عَنْهُمْ، يَزْتَكِيُونَ مِنَ الْكِبَائِرِ مَا شَاءُوا، وَيَسْتَرْسِلُونَ مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْمَآثِمِ فِيمَا اسْتَهْوَوْا وَأَحْبَوْا، وَلَا وَازِعَ يَزْعُهُمْ، وَلَا مَانِعَ يَمْنَعُهُمْ، وَلَا قَادِعَ يَقْدَعُهُمْ وَيَزْجُرُهُمْ، فَتَسَرَّبَ إِلَيْهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ دُعَاؤُ اللَّصُوصِ وَأَبَاقِ الْعَبِيدِ، وَأَخَابَتْ أَهْلَ الْحِرَابَةِ وَالشُّرُورِ، وَجَاوَوْهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَأَتَوْهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَنَسَلُوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوَّبَ⁽¹⁾ فَاتَّخَذَهُمْ جُنْدَهُ، وَصَيَّرَهُمْ بِطَانَتَهُ، وَ«وَأَفَقَ شَنْ مِنْهُمْ طَبَقَةً»⁽²⁾ فَأَمَرَ بِهِمْ أَمْرُهُ وَاسْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ، وَثَقَلَتْ بِسَبَبِهِ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ وَطَائِفَتِهِ، وَمَلَأَتْ نَفُوسَهُمْ ذُعْرًا وَفَرَقًا هَيْبَتُهُ وَسَطَوْتُهُ، فَلَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ نَظَرِ فِي مَا يُنْجِيهِمْ، وَلَا تَوَسَّلُوا إِلَى إِرَاقَةِ أَمْرِ يُقَرِّبُهُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَيُذْنِيهِمْ، لِإِذْكَائِهِ الْعِيُونَ عَلَيْهِمْ [وَأَخَذِهِ] الشَّنَايَا دُونَهُمْ، وَبَثَّ الْأَرْضَادَ فِيهِمْ، وَبَحْثِهِ عَنْ أَخْبَارِهِمْ، وَإِصَاحَتِهِ لِأَنْبَاءِهِمْ، فَمَنْ عَثَرَ مِنْهُ عَلَى مَا يَرِيهِ، أَوْ سَمِعَ عَنْهُ مَا يُنْكِرُهُ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ، وَنَهَبَ أَوْبَاشَهُ مَالَهُ، وَنَوَّعَ عُقُوبَتَهُ لَهُمْ بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ وَعَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ؛ فَتَقِيلُ أَوْ طَرِيدُ أَوْ حَبِيسُ، وَتَجَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى أَخْذِ الْوَلِيِّ بِوَلِيَّتِهِ، وَقَتْلِ الْحَمِيمِ بِحَمِيمِهِ، وَتَعَدَّى مُعَاقَبَةَ الرَّجَالِ، إِلَى التَّنْكِيلِ بِرَبَّاتِ الْحِجَالِ، فَتَحَامَى النَّاسُ شَرَّهُ، وَصَدَّهُمْ عَنْ كُلِّ مُحَاوَلَةٍ خَوْفُهُ، وَاسْتَرَابَ الْإِبْنُ لِأَبِيهِ، وَلَمْ يَتَّقِ الْأَخُ إِلَى أَخِيهِ. وَلَمَّا تَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَنَا، وَتَحَقَّقَ لَدَيْنَا، أَمْنَاهُمْ أَمَانًا عَمَّهُمْ فَضْلُهُ، وَكَنْفَهُمْ كَنْفُهُ وَعَمَرَهُمْ إِحْسَانُهُ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾. سورة الأنبياء، الآية: 95.

(2) مثل عربي مشهور: مجمع الأمثال، المستقصى في الأمثال، اللسان. «شَنْ».



وَأَوَاهُمْ رُكْنَهُ، فَأَحْرَزُوا سَلَامَةً فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَاسْتَقَرَّتْ الدَّعَةُ وَالْأَمْنَةُ فِي عِرَاصِهِمْ وَمَغَانِيهِمْ.

وَكَانَ الْمُوَحِّدُونَ-أَعَانَهُمُ اللَّهُ- طُولَ مُقَامِهِمْ عَلَيْهَا، وَمُدَّةَ حَضَرِهِمْ لَهَا، تَرَادَفُ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ، وَتَسَاقُ الْأَرْزَاقِ إِلَيْهِمْ، وَتَعْتَمِدُهُمُ الْخَيْرَاتُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَتُجَلِّبُ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، عَلَى مَا كَانَ بِإِفْرِيقِيَّةٍ فِي هَذَا الْعَامِ مِنْ قَلَّةِ إِصَابَتِهَا وَخُلُوءِ مَحَازِنِهَا، فَوَضَعَ اللَّهُ الْبَرَكَاةَ فِيمَا سَبَقَ لَهُمْ وَأُوتِيَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَعَمَّهُمُ الْخَيْرُ وَشَمَلَهُمُ الرَّفْقُ وَالْيُسْرُ، عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنْجَادٌ عَلَى تَتْمِيمِ مُرَادِهِمْ، وَحِفْظٌ لِعَوَائِدِهِ الْكَرِيمَةِ عِنْدَهُمْ.

وَهَذَا الْقَطْرُ-أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ- قَدِيمُ الْأَشْتِهَارِ، مُعْتَرَفٌ بِشَرَفِهِ، عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَالْأَقْطَارِ، مَعْرُوفٌ فَضْلُهُ وَشُفُوفُهُ عَلَى سَالِفِ الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارِ، وَلَهُ مِنَ الْمَرَايَا وَالْمَحَاسِنِ مَا يُزِي بِخُبْرِهِ عَلَى الْإِخْبَارِ، يَتَّبِعُ مِنْ دَاخِلِهِ الْمَاءُ الْمَعِينُ، وَتُحِيطُ بِخَارِجِهِ الضِّيَاعُ الْمُغَلَّةُ وَالْبَسَاتِينُ، وَيَرُوقُ النَّوَاطِرُ مَرَاهُ الْمُعْجِبُ، وَلَا يَسْتَعْرِقُ الْوَصْفُ مَفَاخِرَهُ وَلَا يَسْتَوْعِبُ وَوَضْعُهُ مِنَ الْإِنْتِهَاءِ فِي الْحَصَانَةِ، وَالتَّجَاوُزُ فِي الْمُنْعَةِ وَالْوَثَاقَةِ، بِحَيْثُ لَا يُضْحَبُ مُضْعَبُهُ، وَلَا يُتَمَهَّدُ إِلَّا لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ مَرْكَبُهُ، وَهُوَ رُوحُ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَمَعْنَاهُ، وَقُطْبُهُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَاهُ، وَكَانَ شُدَّادُ الْعَرَبِ وَشُرَّادُهُمْ يَلُودُونَ بِذَرَاهِ، وَيُسْنِدُونَ فِيمَا يُزِيغُونَ مِنْ عِنَادِهِمْ وَيَحَاوِلُونَ مِنْ إِضْرَارِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ عَلَى جَنَابِهِ، وَيَأْرِزُونَ إِلَى حِمَاهُ، وَقَدْ قَمَعَ اللَّهُ بِأَخْذِهِ كُلَّ مُتَطَلِّعٍ إِلَى الْفِتْنَةِ وَفُلٍّ شَبَاهُ. وَكَانَ الْأَشْتَغَالُ بِهِ قَدْ صَرَفَ النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَوَقَفَ الْمُحَاوَلَةُ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَفَرَّغَ بِفَضْلِ اللَّهِ النَّظَرُ فِي مَصَالِحِ هَذِهِ الْأَرْجَاءِ؛ وَخَلَا التَّقْوِيمُ لِإِمَاطَةِ مَا ظَهَرَ فِيهَا مِنْ نَوَاةِ الْأَعْيَادِ، وَانْصِرَافِ التَّسْهِيدِ لِدُخْصِ الشَّوَائِبِ عَنْ مَشَارِبِ أَهْلِهَا وَالْأَقْدَاءِ. وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ فِيمَا نَحَاوِلُهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ وَتَمْكِينِ الدِّينِ، وَإِفَاضَةِ الْمَعْدِلَةِ وَنَشْرِ الْخَيْرِ وَإِصْلَاحِ الْخَلَلِ؛ وَهُوَ الْمُنْجِدُ وَالْمُعِينُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.



وَكُنَّا -وَفَقَّكُمُ اللَّهُ- أَعْلَمْنَاكُمْ أَنَّ الْعَرَبَ -أَصْلَحَهُمُ اللَّهُ- يُرْجَى لَهُمْ أَنْ يَتَلَفَوْا زَلَّ لَهُمْ، وَيَسْتَنْدِرْكُوا خَلْلَهُمْ، يَغْزَوْ فِي جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ -حَاطَهَا اللَّهُ- يَكْفُرُ اللَّهُ بِهَا خَطَايَاهُمْ وَيُصْلِحُ عَمَلَهُمْ. وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ مُتَوَالٍ، وَالْأَخْذُ فِيهِ مُتَّصِلٌ وَعَوْنُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُرْتَقِبٌ، وَوَعْدُهُ الْكَرِيمُ مُتَجَزِّ. وَهُوَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ مُتَمِّمٌ أَمْرُهُ وَمُنْجِزٌ وَعْدُهُ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَوَظَّهَرَ مِنْ نَتَائِجِ هَذِهِ الْحَرَكََةِ السَّعِيدَةِ وَأَثَارِهَا الْحَمِيدَةِ، أَنَّ اللَّهَ تَدَارَكَ بِهَا هَذِهِ الْجِهَاتِ بَعْدَ أَنْ أَشْفَتْ عَلَى تَلَافِهَا، وَقَبَضَتْ عُرُوقَ النِّفَاقِ فِي أَوْسَاطِهَا وَأَطْرَافِهَا، وَأَوْمَضَتْ بَوَارِقَ الْفِتْنَةِ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَائِهَا وَأَكْنَفِهَا. وَكَانَتْ أَحْوَالُهَا تُنْقَلُ إِلَيْنَا عَلَى غَيْرِ صُورِهَا، وَتُحْكَى عَلَى غَيْرِ حَقَائِقِهَا، وَتُهَوَّنُ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْمَذْرَةِ مَا لَيْسَ بِهِيْنِ، وَتُضْعَفُ مِنْ حَالِ غَوِيَّهَا مَا لَيْسَ بِضَعِيفٍ، فَكَذَّبَ الْخُبْرُ الْخَبَرَ، وَشَهِدَتْ الْمُشَاهَدَةُ بِتَحْرِيفِ النَّقْلِ، وَأَبَانَتِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ مِنَ الْحَصَانَةِ وَالْإِمْنَانِ، وَالسُّمُوقِ وَالْإِزْتِفَاعِ، بِحَيْثُ لَا تُنَالُ فِي الْمُدَدِ الْقَصِيرَةِ، وَلَا يُتَسَنَّى مَرَامُهَا إِلَّا بِالْمُحَاوَلَةِ الصَّعْبَةِ وَالْمُطَاوَلَةِ الْمَدِيدَةِ، وَأَنَّ تَيْسَّرَهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، وَالْمَعْنَى الْمَرْوِيِّ الْمَأْثُورِ، فِي هَذَا الْأَمَدِ الْقَرِيبِ، لِمَنْ بَرَكَاتِ هَذَا الْأَمْرِ الْمَعْهُودَةِ، وَسُعُودِهِ الْمُطْرِدَةِ وَعَوَائِدِ اللَّهِ لَهُ الْجَمِيلَةِ. فَاشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْجَمَّةِ وَالْآلَاءِ الْمُتَتَابِعَةِ وَعَظُّوا بِالنَّوَاجِدِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِعُرْوَتِهِ، وَاسْتَدِيمُوا الدَّعَةَ بِرُكُوبِ سَفِينَتِهِ، وَتَمَلَّكُوا النِّعْمَةَ بِالْإِيوَاءِ إِلَى رُكْنِهِ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُ أَمْرُهُ الَّذِي تَكْفَلُ بِعَضْدِهِ، وَأَبَى إِلَّا إِتِمَامِ نُورِهِ وَإِعْلَاءِ حِزْبِهِ، وَانْشُرُوا هَذِهِ الْفُتُوحَ الْمُبِينَةَ وَالْبَشَائِرَ الْمُبْهَجَةَ، وَبُثُّوْهَا فِي أَمْلَئِكُمْ، وَتَحَدَّثُوا بِهَا فِي نَوَادِيكُمْ، وَخَاطِبُوا بِشَرَحِهَا جَمِيعَ جِهَاتِكُمْ، وَأَذِيعُوهَا فِي كَافَّةِ أَرْجَائِكُمْ، يَشْتَرِكُ جَمِيعُكُمْ فِي الْمَسْرَةِ بِهَا، وَيَتَسَاهَمُ كُلُّكُمْ فِي شُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَيَتَجَدَّدُ الْإِخْلَاصُ لِكَاِفَتِكُمْ بِهَذَا الْمَسْمُوعِ السَّارِّ مِنْهَا، وَهُوَ تَعَالَى جَدُّهُ يُتَابِعُ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ، وَيُؤَالِي قَبْلَكُمْ مَنَحَهُ وَمِنْتَهُ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ؛ وَالسَّلَامُ الْعَمِيمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. كُتِبَ عَقِبَ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.



وَمَعْظُوفًا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ وَكَتَبَ أَيْضًا فِي الظَّفَرِ بِالتَّاجِمِ بِلَادِ جَزُولَةَ لَهُ:

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدَهُمُ اللَّهُ [بِنَصْرِهِ] ⁽¹⁾ وَأَمَدَّهُمْ بِمَعُونَتِهِ إِلَى الشَّيْخِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ أَبِي إِسْحَاقَ ابْنِ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا [الْخَلِيفَةِ] ⁽²⁾ أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَهُ وَكَرَامَتَهُ وَتَقْوَاهُ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا نَحْمَدُ [إِلَيْكُمْ] ⁽³⁾ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ الْمَعْهُودِ.

وَأِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ رِضَاءً - مِنْ حَضْرَةِ مُرَّاشٍ [حَرَسَهَا] ⁽⁴⁾ اللَّهُ. وَالَّذِي نُوَصِّيكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ، وَالْأَسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ. وَإِلَى هَذَا - وَصَلَ [اللَّهُ تَوْفِيقَكُمْ] ⁽⁵⁾ وَكَرَامَتَكُمْ - فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ نَجَّمَ هَذِهِ الْمُدَّةَ بِبِلَادِ جَزُولَةَ شَقِيٍّ يَدْعِي الْمَحَالَ، وَيَتَّبِعُ الْخَبَالَ، وَالْمُوحِّدُونَ ⁽⁶⁾ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَالَهُ وَمَالِ أَمْثَالِهِ مِنْ كُلِّ مَنْ أَدْعَى دَعْوَاهُ، وَنَحَا فِي الْبَاطِلِ الْبَحْثَ مَنْحَاهُ، [وَأَنَّ كُلَّ مَنْ شَايَعَهُ مِنَ الْجَهَّالِ، وَكُلُّ مَنْ اغْتَرَّ] ⁽⁷⁾ [بِعَمَلِهِ الْخَبِيثِ] ⁽⁸⁾ وَلَمْ يَعْرِفِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ [.....] ⁽⁹⁾ وَبَادَرُوا، أَنْجَزَ اللَّهُ فِيهِمْ وَعُدَّهُ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ⁽¹⁰⁾ وَذَلِكَ بِأَنَّهُ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقَبَائِلُ، وَتَقَرَّبُوا بِقَتْلِهِ وَقَتْلَ أَشْيَاعِهِ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَامَتْ عَلَى [نَشْرِهِ] ⁽¹¹⁾ وَظُهُورِهِ الدَّلَائِلُ. وَأَعْلَمْنَاكُمْ بِهَذَا الصُّنْعِ لِتَكُونُوا مِنْهُ

(1) خرم بالأصل.

(2) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه لأنه يناسب سياق الرسالة.

(3) خرم بالأصل.

(4) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(6) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(7) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(8) خرم بالأصل، لم تتمكن من قراءته.

(9) خرم بالأصل، لم تتمكن من قراءته.

(10) مقتبس من سورة آل عمران، الآية: 9. سورة الرعد: الآية 32.

(11) خرم بالأصل، لعل الصواب ما أثبتناه.



عَلَى يَقِينٍ. وَبَشَّرُوا بِهِ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُوقِنِينَ. وَاللَّهُ يَجْزِلُ لَكُمْ عَوَارِفَ نِعَمَاهُ، وَيُعِينُكُمْ عَلَى شُكْرِ مَا أَوْلَاهُ؛ بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. كُتِبَ فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ لِرَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ.

وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمِنْ أَنْشَاءِ أَحَدِ شُيُوخِ الْكِتَابَةِ الْمَشْهُورِينَ بِالْإِجَادَةِ فِيهَا وَالْإِصَابَةِ السَّابِقِينَ مِنْ دَعْوَةِ الْأَدَابِ بِالتَّلْبِيَةِ وَالْإِجَابَةِ. الشَّيْخُ الْفَقِيهَ الْحَسْبِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْقَلْنِيَّ أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ جَوَابًا عَلَى الْفَتْحِ.

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْعَالِيَةُ الْمُعَظَّمَةُ الْمُكْرَّمَةُ الْمُقَدَّسَةُ الطَّاهِرَةُ السَّامِيَّةُ، حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَصَلَّ اللَّهُ لَهَا مَا عَوَّدَهَا مِنَ النَّصْرِ وَالتَّائِيدِ وَالتَّمْكِينِ، وَأَيَّدَهَا، وَأَعْلَى يَدَهَا أَنْتَى حَلَّتْ وَحَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ وَالسَّعْدِ الْمَكِينِ. الْعَبِيدُ الْمُعْتَصِمُونَ بِحَبْلِ عِصْمَتِهَا، الْمُذْمُومُونَ بِذِمَامِهَا، الْمَخْصُوصُونَ مِنْ سَابِغِ نِعْمَتِهَا بِإِكْمَالِهَا عَلَيْهِمْ وَإِتْمَامِهَا، الْفَاخِرُونَ بِجَوَارِهَا الْكَرِيمِ عَلَى عِرَاقِ الْبَسِيطَةِ وَيَمَنِّهَا وَشَامِهَا، الدَّاعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِنَصْرِ أَلْوِيَّتِهَا وَظَفَرِ أَعْلَامِهَا، الْمُتَبَهِّلُونَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي اعْتِلَاءِ جَدِّهَا وَمَجْدِهَا وَمَقَامِهَا، أَهْلُ مُرَّاكُشٍ. سَلَامٌ كَرِيمٌ طَيِّبٌ مُبَارَكٌ عَمِيمٌ، عَلَى حَضْرَةِ الْإِمَامَةِ وَمَثَابَةِ الْخِلَافَةِ وَمَقَرِّ الرَّحْمَةِ وَمَعْهَدِ النُّعْمَةِ مِنْ [نَدْوَتِهَا] (1) الْقُدْسِيَّةِ الطَّاهِرَةِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا وَعَلَى الْأُمَّةِ مِنْ جَزِيلِ إِحْسَانِهِ، وَخَفِيلِ امْتِنَانِهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُتَبَعِ بِحُجَّتِهِ الْبَالِغَةِ وَبُرْهَانِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُتَسَابِقِينَ إِلَى مِضْمَارِهِ وَالْجَارِينَ عَلَى [سَنَنِهِ وَإِحْسَانِهِ] (2) وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ بِحَسْبِهِ وَنَسْبِهِ وَمَكَانِهِ وَزَمَانِهِ، وَعَنِ الْخَلِيفَتَيْنِ الْإِمَامَيْنِ الرَّاشِدَيْنِ الْمُرْشِدَيْنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِنَا الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ وَالْمُعَظَّمِينَ لِشَأْنِهِ، وَمُؤَالَاةِ الدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ

(1) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) خرم بالأصل.



المؤيّد المنصور الناصر لدين الله أمير المؤمنين، المُجاهِد في الله تعالى حقَّ جهادِهِ⁽¹⁾ مُعْتَقِدَةَ التَّحْلِيثِ وَعَبْدَةَ صُلْبَانِهِ، وَلِنَجْلِهِ الْأَطْهَرِ الْأَزْكَى الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ الْمُبَارِكِ الْمَيْمُونِ الْمُظَفَّرِ الْأَسْعَدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ⁽²⁾ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الْأَيْمَةِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بِعِزَّةِ سُلْطَانِهِ وَغَلْبَةِ جُمُوعِهِ وَظَفَرِ أَعْوَانِهِ:

فَكَتَبَ الْعَبِيدُ الثَّائُونَ مِنَ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَدَامَ اللَّهُ عَلْوَكُمْ وَسُموُكُمْ- فِي الْحَرَمِ الْأَمِينِ وَالْبَلَدِ الْأَمِينِ، الْأَوُونَ مِنْ نِعْمَتِهَا وَذِمَّتِهَا إِلَى الرَّبِّوَةِ ذَاتِ الْقَرَارِ الْمَعِينِ⁽³⁾ كَتَبَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الْفُتُوحِ الْمُتَوَالِيَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَالسُّعُودِ الْمُتَوَافِيَةِ الْوَافِرَةِ، مَا يَشْرُقُ عَلَى الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ أَنْوَارُهُ، وَيَتَضَيَّحُ فِيهَا فَجْرُهُ السَّاطِعُ وَنَهَارُهُ، وَيُعِزُّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَالتَّوْحِيدَ وَحِزْبَهُ بَسْطَتُهُ الْغَالِيَةُ وَاقْتِدَارُهُ، وَيَرْفَعُ بِعَدْلِهَا الشَّامِلِ وَسَعْدِهَا الْبَاهِرِ الْكَامِلِ رُكْنَهُ وَمَرْقَبَهُ وَمَنَارَهُ. مِنْ مَدِينَةِ مُرَّاكُشٍ -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَأَمْرُهَا الْعَزِيزُ الْعَالِي -أَدَامَ اللَّهُ [رَفَعَتَهُ]⁽⁴⁾ وَعَلَاءَهُ - وَمَا عَوَّدَهُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ مِنْ إِعْزَازِ الْمُجَاوِرِ وَالْمُصَاحِبِ، وَإِذْلالِ الْمُوَارِبِ وَالْمُجَانِبِ، وَتَعَرَّفَ الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ وَالْيُمْنَ وَالْبَرَكَاتِ فِي كَافَّةِ الْأَنْحَاءِ وَجَمِيعِ الْمَذَاهِبِ، وَاطَّرَادِ الْفُوزِ وَالتَّجَحُّجِ وَالسَّعْدِ الَّذِي يَأْتِي كَفَلَقِ الصُّبْحِ مِمَّا يَعْزُّ مِنَ الْأَغْرَاضِ وَيَسْنُحُ مِنَ الْمَطَالِبِ وَاللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ -يَا سَيِّدَنَا- عِنَايَةً رَبَّانِيَّةً قَدْ ظَهَرَ عَلَى الْعَالَمِ سُعُودُهَا، وَانْتَجَزَ بِيُمْنٍ نَقِيبَتُكُمْ وَبَرَكَاتِ سِيرَتِكُمْ وَعُودُهَا، وَوَفَدَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا وَالْأَقْطَارِ وَمَنْ حَلَّهَا بِنَيْلِ الْمَرْغُوبِ وَبُلُوغِ الْأَمَلِ الْمَحْبُوبِ بَرِيدُهَا، وَبَدَأَ لَهُمْ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ وَتَغَايُرِ الْأَحْيَانِ نُمُوها الْمُتَعَنِّمِ وَمَزِيدُهَا. فَالْخَيْرَاتُ بِكُمْ ظَاهِرَةٌ وَالْبَرَكَاتُ بِجَمِيلِ مَذْهَبِكُمْ شَاهِرَةٌ، وَالْمَسَرَّاتُ بِعَالِي نَظَرِكُمْ رَاهِنَةٌ، وَالْبِشَارَاتُ -بِحَمِيدِ أَثَرِكُمْ- وَاعِدَةٌ حِرَازَ الْأَمَانِي طَامِنَةٌ. لَا جَرَمَ أَنَّ

- (1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾. سورة الحج، الآية: 76.
- (2) هو أبو عبد الله محمد الناصر بويق بولاية العهد في أواخر 587 هـ. انظر البيان المغرب، ص: 117-136، الحلل الموشية، ص: 160، روض القرطاس، ص: 231-241.
- (3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَأَوْيَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوبَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. سورة المؤمنون، الآية: 51.
- (4) خرم بالأصل: وقد أثبتناه ما يناسب السياق.



تِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَكُمْ الْمَعْرُوفَةِ، وَسُنَّتُهُ لَكُمْ الْمَعْهُودَةُ الْمَأْلُوفَةِ، الَّتِي بَهَرَتْ آيَتُهَا،
وَاسْتَوَى سِرُّهَا إِلَيْكُمْ وَعَلَانِيَتُهَا، وَوَسِعَ الْجُمْهُورَ فَضْلُهَا، وَأَحْسَبُهُمْ عَلَى الْعِلَالِ
طَوْلُهَا وَبَذْلُهَا، وَأَرَاهُمْ عَيْنَ الْيَقِينِ أَنَّ آيَاتَكُمْ - فَسَحَهَا اللَّهُ - أَجْمَلُ الْآيَاتِ، وَمُدَّتْكُمْ -
مَدَّهَا اللَّهُ وَأَمَدَّهَا - أَطْوَلَ الْمَدَدِ، وَسَيَّاسَتُكُمْ - حَاطَهَا اللَّهُ وَحَفِظَهَا - أَفْضَلُ السِّيَاسَاتِ،
وَأَنْتُمْ الْمَنْصُورُونَ الْمُغْلَبُونَ، وَالْمُظْفَرُونَ الظَّافِرُونَ، بِتَأْيِيدِ اللَّهِ الْقَاهِرُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ
الْمُغْتَلَبُونَ، بِمَنْ اللَّهِ الْمُتَسَوِّلُونَ، عَلَى كُلِّ مَا عَانَدَكُمْ، وَكَأَيْدِكُمْ، بِفَضْلِ اللَّهِ [وَعِنَايَتِهِ] (1)
عَمَّ عَدْلُكُمْ، وَتَمَّ عَلَى الْكَافَةِ فَضْلُكُمْ، وَشَهَرَ إِحْسَانَكُمْ، وَبَهَرَ أَمْنَانَكُمْ، وَظَهَرَ
إِشْفَاقَكُمْ عَلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ حَاطَهُمُ اللَّهُ (2) بِنَظَرِكُمُ الْمُبَارَكِ وَحَنَانِكُمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى
يَجْزِيكُمْ عَنِ الْأُمَّةِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وَيُؤَيِّدُكُمْ وَيُعْلِي يَدَكُمْ عَلَى كَافَةِ الْأَعْدَاءِ، وَيُعِينُنَا
مَعَشَرَ عِبِيدِكُمْ عَلَى الْإِثْمَارِ بِهَدْيِكُمْ وَالْإِقْتِدَاءِ.

وَقَدْ وَصَلَ إِلَى الْعَبِيدِ وَصَلَ اللَّهُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مُدَّةَ التَّأْيِيدِ وَالنَّصْرِ، وَصَاعَفَ لَهَا
مَزِيدَ الظَّفَرِ الْمُؤَذِّنِ بَاغِتِلَاءِ الْأَمْرِ، وَاشْتِدَادِ [الْأَسْرِ] (3) الْكِتَابِ الْإِمَامِيِّ الْعَزِيزِ،
وَالْخِطَابِ الَّذِي لَهُ الشُّفُوفُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالتَّبَرُّيزِ، مُضْمِنًا الْمَسْرَّةَ الْكُبْرَى، وَالْبِشَارَةَ
الَّتِي هِيَ مِنْ كُلِّ بَشَارَةٍ أَعْلَى وَأَسْمَى وَأَسْنَى، بِهَا فَتَحَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ عَلَى
الْكَرِيمَتَيْنِ يَدَي سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ الْمُؤَيَّدِ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَنُخْبَةِ الْخُلَفَاءِ الْمُحْسِنِينَ.

خَلَدَ اللَّهُ مُلْكُهُ، وَصَيَّرَ سَبْعَةَ الْأَقَالِيمِ مُلْكُهُ، عَلَى اللَّعِينِ الْمُدْبِرِ «الْأَذْفُونَش» (4) طَاغِيَةِ
النَّصَارَى أَوْكَسَهُ اللَّهُ كَمَا وَكَسَهُ، وَصَلَّمَهُ كَمَا وَقَمَهُ، وَأَخْزَاهُ وَأَذَلَّهُ، كَمَا أَذْخَرَهُ وَأَقْلَلَهُ،
وَفِي شَيْعَتِهِ النَّصْرَانِيَّةِ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ وَبِهِمْ نِكَالَهُ، كَمَا أَذَاقَهُ وَإِيَّاهُمْ - بِسَعْيِكُمُ الْمَنْصُورِ -

(1) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) الأذفونش هو ألفونصو الثامن Alfonso الملقب بالنيل، حكم بين سنتي 552 و612 هـ وهو الذي انتصر في معركة العقاب بعد أن كان قد انهزم في معركة الأزك.



عَذَابُهُ^(١) وَوَبَالَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ وَبِهِمْ هَوْنُهُ وَخِزْيُهُ، كَمَا أَظَلَّ بِهِدِيكُمْ سَعِيَهُمُ الْخَاسِرَ وَسَعِيَهُ، وَمَا صَنَعَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي جُمُوعِهِمُ الَّتِي كَانَتْ غَصَّ بِهَا الْقَضَاءُ، وَعَرِفَ مِنْهَا الْغَنَاءُ، فِي الْمَوَاطِنِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَضَاءِ، [حِينَمَا جَاءُوا]^(٢) بِالْعُدَّةِ وَالْعَدِيدِ، وَيَقْنَنَّ أَنَّهُ لَمْ يَعْهَدْ لَهُمْ مِثْلَهَا فِي الزَّمَنِ الْمُتَقَادِمِ وَالْأَمَدِ الْبَعِيدِ، مِنَ الْقَتْلِ الذَّرِيعِ السَّنِيعِ، وَالْهَزِيمَةِ الْفَاضِحَةِ لِلْجَمِيعِ، وَكَيْفَ تَقَسَّمَتْهُمْ السُّيُوفُ، وَتَوَزَّعَتْهُمْ الْحُتُوفُ، وَتَحَكَّمَتْ فِي رِقَابِهِمْ^(٣) وَطَلَّاهُمْ بَيْضُ الصَّفَاحِ، [وَمَشَتْ]^(٤) فِي مَجَالِ صُدُورِهِمْ وَتَغَرَّ نُحُورِهِمْ أَسِنَّةُ الْعَوَالِي وَسُمْرُ الرِّمَاحِ، [مَا لَجَأَ]^(٥) إِلَيْهِ رِعَالُ كُمَاتِهِمْ، وَصَنَادِيدُ حُمَاتِهِمْ، بِحُكْمِ الْاضْطِرَارِّ، مِنْ تَوَلَّيَةِ الْأَذْبَارِ، وَرُكُوبِ الْعَارِ، بِإِسْلَامِ الْحَوَزَةِ وَإِبَاحَةِ الدَّمَارِ، وَتَسَابِقِ هَامِيهِمْ مَعَ أَقْدَامِهِمْ فِي الْفِرَارِ وَالْإِنْتِثَارِ، وَمَا اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْمُوَحِّدُونَ -أَعَزَّهُمُ اللَّهُ- فِي مَحَلَّتِهِمُ الْمَغْلُوبَةِ الْمَسْلُوبَةِ مِنَ الظَّهْرِ وَالْكَرَاعِ، وَحُرِّ السَّلْبِ وَفَاحِرِ الْمَتَاعِ، وَحَصَلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَزْوَادِ وَالْأَقْوَاتِ، وَالْمَضَارِبِ وَالْأَبْنِيَةِ وَالْآلَاتِ، وَكُلُّ مَا ذَخَرُوهُ وَوَفَّرُوهُ وَصَنُّوا وَشَحُّوا عَلَيْهِ، وَتَقَدَّمُوا فِي الدَّفَاعِ عَنْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ إِسْلَامِهِمْ لِأَعْلَامِهِمُ الْمَنكُوسَةِ [وَصُلْبَانِهِمْ]^(٦) قَرَابِينَهُمْ لِلْحَادِثَةِ وَزُهَبَانِهِمْ وَاسْتَوَى بَطَارِقَتُهُمْ وَأَسَافِقَتُهُمْ وَأَسْخَلَارِيَّتُهُمْ وَزَرَاوِرَتُهُمْ فِي الْقَتْلِ [وَالْإِسَارِ]^(٧) وَالتَّوَلَّى وَالْإِدْبَارَ^(٨)، وَمَا اسْتَحَرَّ بِالْأَفْرِيئِينَ وَهُمْ ذَوُوا الْبَصَائِرِ فِي يَقِينِهِمْ وَالتَّشَدُّدِ فِي دِينِهِمْ مِنَ الدَّمَارِ وَالْبَوَارِ، الْمُفْضِيَّ بِجَمِيعِهِمْ إِلَى هَاوِيَةِ النَّارِ وَسَخَطِ الْجَبَّارِ. وَمَا افْتُكَّ بِأَخِيذَتِهِمْ فِي الْأَرْكَو -عَمَرَهُ اللَّهُ- مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ، وَفُقِدَ مِنَ النَّوَارِدِ وَالْمُعْتَرِكِ مِنْ مَخْشُورَتِهِمُ الْأَغْفَالِ وَمَشَاهِيرِهِمُ الْمُعْلَمِينَ، [مَا

(١) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) خرم بالأصل.

(٦) خرم بالأصل.

(٧) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٨) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.



عِلْمٌ⁽¹⁾ بِهِ خَرَقَ الْعَادَةَ، وَفُهِمَ بِتَصَوُّرِهِ اقْتِبَالَ السَّعَادَةِ، الَّتِي أَعَزَّتِ الْإِسْلَامَ، وَمَنْحَتِ الشُّرْكَ وَأَهْلَهُ الْامْتِعَاضَ وَالْإِزْغَامَ وَالْإِنْتِلَامَ وَالْاضْطِلَامَ، وَأَعْطَتْ ظُهُورَ الْكَلِمَةِ وَاعْتِلَاءَ اللَّمَّةِ مَا عَاقَبَ الْإِضْبَاحَ الْإِظْلَامَ وَالْإِخْلَالَ الْإِحْرَامَ.

وَإِنَّهُ، سَيِّدَنَا - وَصَلَ اللَّهُ ظَفَرَكُمْ - وَأَحْمَدَ فِي سَبِيلِهِ وَأَعْدَائِهِ أَيْنَمَا كَانُوا أَثَرَكُمْ - الْفَتْحَ الَّذِي أَغْرَبَ، وَشَرَّقَ وَغَرَّبَ، وَأَغْرَقَ وَأَشَامَ، وَأَنْجَدَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ وَأَنْتَهُمْ، وَقَضَى عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كُنْهِهِ، أَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ فِي مَا سَلَفَ بِشَبْنِهِ، وَلَا تَقَدَّمَهُ مِثْلُ يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَلَا عِلْمٌ نَظِيرٌ تَنْصَافُ صِفَتُهُ إِلَيْهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى [جَلَى]⁽²⁾ مِنَ الْإِسْلَامِ قُوَّةَ الْمَرِيرَةِ⁽³⁾، وَأَبْقَى كَلِمَتَهُ عَالِيَةً فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ، وَقَصَمَ بِوُقُوعِهِ وَسَمَاعِهِ ظُهُورَ فِرْقِ النَّصَارَى مَا بَيْنَ حَدِّ بُرْتُقَالٍ فَأَقْصَى الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ. وَأَنَّ مِنْ أَظْهَرِ الْآيَاتِ، وَأَشْهَرِ الْعِنَايَاتِ، حُصُولُ الْمَعَاقِلِ الَّتِي كَانَ الْكُفْرَةُ شَدُّوا عَلَيْهَا يَدَ الضَّنَانَةِ، وَصَرَفُوا إِلَيْهَا هِمَّةَ الْعِنَايَةِ وَالصِّيَانَةِ، وَتَوَفَّرُوا عَلَى سَدِّ ثَغْرِهَا بِغَايَةِ جُهِدِهِمْ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى ذَلِكَ وَفِيهِ بِأَوْفَرِ تَهَمُّمِهِمْ وَأَظْهَرِ جَدِّهِمْ، وَالْقَدَرُ يَضْحَكُ مِنْ وَرَائِهِمْ، [وَيُنْكِتُ]⁽⁴⁾ بِاخْتِقَارِهِمْ فِي ذَلِكَ وَازْدِرَائِهِمْ، وَيَذْخُرُهَا لِمُطْعَمِ النَّصْرِ، أَوْحِدِ الدَّهْرَ وَالْعَصْرَ، وَيَعُدُّ الْإِيمَانَ عَلَى يَدَيْهِ بِالْجَبْرِ مَا كَانَ فِي تِلْكَ الْمَعَاقِلِ مِنَ الْكُسْرِ. وَقَدْ أَضْبَحَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِسَعَادَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا دَارَ إِسْلَامٍ، وَأَضْحَتْ مَعْهَدَ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ، تُسْمَعُ مِنْ صَوَامِعِهَا نَغْمَةُ الْأَذَانِ، وَتُشْرِقُ جَوَامِعُهَا بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَتُقَامُ بِهَا الْجَمَاعَاتُ وَالْجُمُعُ، فَتُظْلَمُ بِضِيَائِهَا الْكُنَائِسُ الْمُجَاوِرَةُ لَهَا وَالْبَيْعُ، وَأَمْسَتْ قَذَاةً فِي عَيْنِ اللَّعِينِ وَغُصَّةً فِي قَلْبِهِ، وَحَزَازَةً فِي نَفْسِهِ وَكَمْدًا فِي كَبِدِهِ، وَخِيفَتْ مِنْهَا أَصْقَاعُ الشُّرْكِ وَمَغَانِي الْكُفْرِ، وَأَذْنَتْ أَهْلَهَا بِالْجَلَاءِ وَالتَّبَدُّدِ، وَرَمَتْهُمْ بِالتَّقَرُّقِ وَالتَّشَرُّدِ، كَمَا قَدْ أَمِنَتْ

(1) خرم بالأصل.

(2) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) المريرة : العزيمة قال الشاعر :

وَلَا أَتَّئِي مِنْ طَيْرَةٍ عَنْ مَرِيرَةٍ إِذَا الْأَخْطَبُ الدَّاعِي عَلَى الدَّوْحِ صَرَصَرَا

(4) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.



بِهَا تُغَوَّرُ الْمُسْلِمِينَ وَبَسَائِطُهُمْ، وَوَدَعَتْ أَطْرَافُهُمْ وَوَسَائِطُهُمْ، وَانْتَضَمَ تَأْلِيفُهُمْ، وَأَنْظَمَ شَمْلُهُمْ قَوِيَّتُهُمْ وَضَعِيفُهُمْ، وَأَنْصَبَ مِنْ مُغْيِرَتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ سَوَاطِ الْعَذَابِ، وَأَخْسَبَهُمْ مِنْ مُرَابِطَتِهِمْ ضَيْمُ تَبَارٍ وَتَبَابٍ، يُغَادُونَهُمْ وَيُرَاوِحُونَهُمْ بِالْوَيْلِ، وَبِعَارَةِ الصَّبَاحِ وَبَيَاتِ اللَّيْلِ دُونَ إِغْبَابٍ، وَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمُ الْمَكَارَةَ الْمُحْرِقَةَ الْمُعْرِقَةَ مِنْ كُلِّ بَابٍ.

فَأَمَّا مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي حُمَيَّا الصَّدْمَةِ وَاخْتِدَامِ الْمُلَاقَةِ فَقَدْ قَرَّتْ عُيُونُهُمْ بِمَا قَدَّمُوا مِنْ جَسِيمِ الثَّوَابِ عَلَيْهِ، وَازْتَاخَتْ نُفُوسُهُمْ بِمَا صَارُوا مِنْ كَرَمِ الْمَابِ إِلَيْهِ، وَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ أُعْطُوا كَرَّةً، وَرَدُّوا إِلَى الدُّنْيَا وَلَوْ مَرَّةً أَنْ يُعَاوِدُوا بِأَنْفُسِهِمْ ثَانِيَةً، وَيُحَدِّثُوا إِخْوَانَهُمْ بِمَا رَأَوْهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ جَهْرَةً وَعَلَانِيَةً ﴿وَلَيْكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ ﴿وَلَيْكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁽¹⁾، الْأَخْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزْرَقُونَ⁽²⁾ أُولُوا الْحِمَاسَةِ وَالْبَسَالَةِ، وَالنُّفُوسِ الْأَبْيَةِ وَالْمُهْجِ الْمُسَالَةِ، أُولُوا الشَّهَامَةِ وَالْكَرَمِ، وَالْمَجْدِ الْأَتْلَدِ الْأَقْدَمِ، الَّذِينَ رِبِحَ بَيْعُهُمْ وَتَجَرُّهُمْ، وَوَقَعَ عَلَى أَجْرِهِمْ، وَكَرُمَ مَشْهُدُهُمْ وَمَخْبَرُهُمْ، وَبَعُدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْثَرُهُمْ، وَبَرَضَى الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ عَنْهُمْ وَصَلُّوا إِلَى الْحُسَيْنِيِّينَ، وَأَحْزَرُوا عَلَى إِحْدَى الْحَسَنَتَيْنِ، وَقَازُوا بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ، فَمَنْ أَحْسَنُ مِنْهُمْ مَقِيلًا، وَأَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى قِيْلًا⁽³⁾ وَأَوْجَدُ إِلَى نَيْلِ الْمَطْلَبِ وَالرَّغَائِبِ الْقُدْسِيَّةِ طَرِيقًا وَسَيْلًا، وَقَائِدًا هَادِيًا وَدَلِيلًا.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا، كَشَفَ بِكُمْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا الْغَمَاءَ، وَأَتَمَّ بِإِيَالَتِكُمْ وَكَفَالَتِكُمْ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ النَّعْمَاءَ، وَأَخْزَى بِكُمْ وَعَلَى يَدَيْكُمْ الْأَعْدَاءَ، وَأَعَادَ إِلَى مَعْهَدِهِ وَمَرْقَبِهِ بَعْدَ انْتِزَاجِهِ عَنْهُ وَتَغْيِيهِ الدَّعْوَةَ الْعَلِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ وَالنَّدَاءَ، وَذَخَرَ لَكُمْ أَجَرَ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، وَشَفَى صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَذْهَبَ غَيْظَ

(1) من سورة البقرة، الآية: 176.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزْرَقُونَ﴾. سورة آل عمران، الآية: 169.

(3) ينظر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيْلًا﴾. سورة النساء، الآية: 121.



قُلُوبِهِمْ بِإِذْرَاكِ النَّصْرِ الْجَسِيمِ، وَآيِدَ الْإِسْلَامِ وَحِزْبِهِ، وَرَفَعَ بِنَظَرِكُمُ الْمُبَارَكِ وَرَأَيْكُمُ الْمَيْمُونِ عَنْهُ كَرْبُهُ وَدَفَعَ حَزْبَهُ، وَقَرَعَ سِنُّ الْكَافِرِ بِكُمْ نَدَمَهُ، بَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَوَارُهُ وَعَدَمَهُ، وَعَرَفَكُمْ أَنَّ مَحَادَثَكُمْ وَمَشَاقِقَكُمْ أَزَلَّتْ قَدَمَهُ، وَصَلَبَتْ صَلِيبُهُ وَنَكَّسَتْ عِلْمَهُ، وَسَتَرِيقُونَ وَإِنْ أَمْهَلَهُ الْقَدَرُ بِسَيْفِكُمُ الْقَاهِرِ الْغَالِبِ دَمَهُ، وَهَذَا اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَسَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّةَ الْمُسْلِمِينَ مَا مَنَحَ اللَّهُ تَعَالَى وَنَوَّلَ، وَأَعْطَى وَخَوَّلَ وَأَنْعَمَ فَأَجْزَلُ، وَمَنْ فَاكْمَلَ، وَشَفَعَ هَذَا الْفَتْحَ بِأَمْثَالِهِ وَقَرَنَهُ بِأَشْبَاهِهِ، وَجَعَلَهُ عُنْوَانًا عَلَى مَا يَتْلُوهُ وَدَلِيلًا لِمَا يَتَّبِعُهُ وَلَا أَعْدَمَنَا أَبَدًا دَائِمًا نَصْرًا أَوْ شُكْرًا مُتَوَالِيًا مُتَتَابِعًا مَا يَزِيدُ عَلَيْهِ فِي الشُّمْعَةِ وَيَتَقَدَّمُهُ فِي الذِّكْرِ وَيَنْسِبُهُ فِي الْأَثَرِ آمِينَ آمِينَ بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ، الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ الْعَمِيمُ، عَلَى الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

رِسَالَةٌ أُخْرَى [رِسَالَةُ أَبِي الْقَاسِمِ الْقَالِي]:

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدَّهُ بِمَعُونَتِهِ إِلَى الطَّلَبَةِ الْغُزَاةِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَمَّا بَعْدُ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ الْمَعْهُودِ.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّكُمْ وَكَرَامَتَكُمْ بِتَقْوَاهُ مِنْ حَضْرَةِ مُرَّاكَشٍ -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَالَّذِي نُوَصِّيكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَالدُّوَابَّ عَلَى الْمَسَاعِي الْحَمِيدَةِ الْمُزْلَفَةِ لَدَيْهِ، وَالْجِدُّ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ مِنْهُ الْمُذْنِيَّةِ إِلَيْهِ، الْمُفْتَضِيَّةِ اسْتِصْحَابِ أَفْضَالِهِ وَامْتِنَانِهِ، الْمُدِيمَةِ مَا اِزْتَهَنَ لَدَيْكُمْ مِنْ جَمِيلِ عَوَائِدِهِ وَجَزِيلِ إِحْسَانِهِ، الْمُوجِبَةِ لَكُمْ رِضَاءٍ عَاجِلًا وَآجِلًا، الْمُسْتَدِرَّةَ عِمَادَ كَرَمِهِ وَابِلًا فَوَائِلًا، الْمُفْضِيَّةَ بِكُمْ إِلَى سَنَنِ الْهُدَى وَنَهْجِهِ، الْحَامِلَةَ لَكُمْ عَلَى كَاهِلِ السَّدَادِ وَتَبَجِهِ، الصَّاعِدَةَ بِكُمْ فِي مَرَاقِي النُّجُجِ وَدَرَجِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُصْجِبُكُمْ تَوْفِيقًا يَهْدِي وَيُرْشِدُ، وَيُسْنِي لَكُمْ اعْتِنَاءً مِنْهُ يُعِينُ وَيُنْجِدُ، بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ.



وَقَدْ وَصَلَتْ مُكَاتِبَتُكُمُ الْأَثِيرَةُ وَمُخَاطَبَتُكُمُ الْمَبْرُورَةُ مِنْ مَنْزِلِ الْمُوحِّدِينَ بِظَاهِرِ قَسَنَظِينَةٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ - مُتَضَمِّنَةً امْتِدَادَ ظِلِّ السَّلَامَةِ عَلَيْكُمْ، وَاتِّصَالَ الْبَشَائِرِ وَالْمَسَرَّاتِ لَدَيْكُمْ، وَوُصُولِ الْمُخَاطَبَةِ إِلَيْكُمْ بِالْفَتْوحِ الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّيْسِيرَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي تَسَنَّتْ فِي الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُوحِّدِينَ - حَمَاهَا اللَّهُ - عَلَى مَا شَرَحَ لَكُمْ، وَفُصِّلَتْ وَجُوهُهُ وَأَصْنَافُهُ لَدَيْكُمْ، وَقِرَاءَتُكُمْ مَا كُتِبَ بِهِ إِلَيْكُمْ عَلَى كَافَّةٍ مِنْ قِبَلِكُمْ وَبَعَثَ الْكُتُبِ بِهَا إِلَى سَائِرِ أَنْظَارِكُمْ وَمَا كَانَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ انْبِسَاطِ الْأَمَالِ وَعُمُومِ الْجَدَلِ وَالِابْتِهَاجِ إِلَى آخِرِ مَا قَرَرْتُمُوهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَتَشْتَمُوهُ، وَأَوْضَحْتُمُوهُ مِنْهُ وَشَرَحْتُمُوهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاجِبِ لَهُ عَلَى مَا آتَى مِنْ نَجْحٍ، وَآتَى مِنْ يُسْرٍ، وَمَنْحٍ مِنْ فَتْحٍ، وَأَسْدَى مِنْ فَضْلٍ، وَهُوَ الْمَسْئُولُ إِسْبَاغِ نِعَمِهِ وَإِكْمَالِ فَوَاضِلِهِ وَإِجْرَاءِ أَوْلِيَائِهِ أَمْرِهِ عَلَى مَا عَوَّدَهُمْ مِنَ الْإِنْجَادِ، وَعَرَفَهُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْإِسْعَادِ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

وَذَكَرْتُمْ أَنْبَاءَ تِلْكَ الْجِهَاتِ - حَاطَهَا اللَّهُ - وَمَا شَمِلَ أَهْلُهَا مِنَ الْأَمْنَةِ وَالْهُدُونِ، وَاسْتَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّعَةِ وَالشُّكُونِ، وَمَا غَمَرَهُمْ مِنْ وُفُورِ الْخَيْرَاتِ، وَظُهُورِ الْبَرَكَاتِ، وَإِرْسَالِ الرَّحْمَةِ الَّتِي آذَنْتْ بِالْإِقْبَالِ وَالْخِصْبِ، وَبِانْصِرَامِ الْمَحَلِّ وَالْجَذْبِ، وَاشْتِغَالِهِمْ بِمَصَالِحِهِمْ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَى مَرَاشِدِهِمْ، وَبِمَا يَعُودُ بِصَلَاحٍ عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ فَوَالُوا حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا وَآلَى مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَوَّلَى مِنْ نِعْمَتِهِ، وَأَفَاضَ مِنْ مِيتَتِهِ، وَشَكَرُوهُ شُكْرَ مَنْ يَرْغَبُ فِي مَزِيدِهِ، وَيَحْرِصُ عَلَى دَوَامِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ وَتَجْدِيدِهِ.

وَذَكَرْتُمْ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ وَكَرَامَتَكُمْ - اعْتِمَادَكُمْ عَلَى مَا رُسِمَ لَكُمْ مِنْ تَوَجُّهِ الْمُوحِّدِينَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ - وَفَقَّهُمُ اللَّهُ - إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ - حَمَاهَا اللَّهُ - وَمُبَادَرَتُكُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَعَمَلِكُمْ فِي حَمَلِهِمْ وَالرَّفْقِ بِهِمْ عَلَى مَا رُسِمَ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ انْتَقَلُوا بِجُمْلَتِهِمْ، إِلَّا مَنْ حُدَّ لَكُمْ مَقَامُهُ بِتِلْكَ الْبِلَادِ، وَأَنْتُمْ قَطَعُوا تِلْكَ الطَّرُقَ عَلَى حَالِ تَيْسِيرٍ وَتَسْهِيلٍ، وَعَوْنٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقٍ، مُسْتَشْعِرِينَ يُمْنِ حَرَكَتِهِمْ وَبَرَكَاةِ تَنْقُلِهِمْ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُمُوهُ حَسَنٌ مِنْ فِعْلِكُمْ، وَسَدَادٌ مِنْ قَصْدِكُمْ، سَتَعْرِفُونَ بَرَكَتَهُ، وَتَجْتَنُّونَ ثَمَرَتَهُ



وَتَحْمَدُونَ مَغْبَتَهُ. وَمَنْ اسْتَدَّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَضَاءَ بِنُورِهِ وَاسْتَقَامَ عَلَى طَرِيقِهِ، وَاهْتَدَى فِي إِرَادِهِ وَإِصْدَارِهِ بِهَدْيِهِ، فَتَجَارَتْهُ رَابِحَةٌ، وَمَسَاعِيهِ نَاجِحَةٌ، وَدَلَائِلُ الرُّشْدِ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ وَأَصْحَةٌ فَلْيَكُنْ [جِدُّكُمْ] ⁽¹⁾ وَدَأْبُكُمْ وَهَمُّكُمْ وَطَلَبُكُمْ فِي اتِّبَاعِ أَثَرِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ وَالْجَزْيِ عَلَى سَنَنِهِ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى عَوْنَكُمْ بِمَنِّهِ [وَقَدْ] ⁽²⁾ تَقَدَّمَتِ الْمُكَاتَبَةُ إِلَيْكُمْ بِمَا تُرْتَّبُونَ بِهِ سُكْنَاهُمْ، وَتُمْكِّنُونَ بِهِ قَرَارَهُمْ عِنْدَ حُلُولِهِمْ بِإِفْرِيقَةٍ [إِنْ شَاءَ اللَّهُ] ⁽³⁾.

وَذَكَّرْتُمْ -أَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَأَكْرَمَكُمْ- مَا فَعَلْتُمُوهُ فِي أَمْرِ بَنِي عَدِيٍّ وَمَا تَفَعَّلُونَهُ مَعَ بَنِي رِيَّاحٍ ⁽⁴⁾ إِذَا وَصَلْتُمْ إِلَيْهِمْ وَتَنَجَّيْتُمْ كُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْإِسْتِغَالِ، فَذَلِكَ كُلُّهُ مَشْكُورٌ مِنْ قَصْدِكُمْ وَمُضَافٌ إِلَى سَدِيدِ نَظَرِكُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِيزُكُمْ وَيَحْمِيكُمْ، وَيُوفِّقُكُمْ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ مِنْ مَقَاصِدِكُمْ وَمَنَاحِيكُمْ بِعِزَّتِهِ. وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ يَخْصُكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَكُتِبَ غُرَّةَ رَجَبِ الْفَرْدِ مِنْ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ بَحْرِ الْأَدَبِ الطَّايِّمِ وَطُودِ الْحَسَبِ السَّامِيِّ، وَغُرَّةِ الْأَكَارِمِ، الْمَشْهُورِ الْمَحَامِدِ وَالْمَكَارِمِ، الْمُبَرِّزِ فِي حَلْيَةِ الْأَفَاضِلِ قَاضِي الْخِلَافَةِ الْمُكْرَمِ الْقَاضِلِ أَبِي مُوسَى رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ لَدَيْهِ.

حَضْرَةَ سَيِّدِنَا الْمُعَظَّمَ الْأَسْنَى أَبِي فَلَانِ ابْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -أَيَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُمْ وَأَعَزَّ نَصْرَهُمْ- مِنَ الْمُلتَزِمِينَ لِأَمْرِهِمُ الْمُدَيِّمِينَ لِحَمْدِهِمْ وَشُكْرِهِمْ، الطَّلَبَةِ الَّذِينَ بِفُلَانَةٍ، سَلَامٌ عَلَى السَّيِّدِ الْمُعَظَّمَ الْأَسْنَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَسِّرَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ آيَةً لِأَمْرِهِ شَاهِدَهُ، وَنِعْمَةً لِأَعْلَى مِنْهَا وَاعِدَهُ، وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَلَى صَحَابَتِهِ الَّتِي عَكَفَتْ عَلَى إِعْلَاءِ دَعْوَتِهِ وَنَصْرِ كَلِمَتِهِ جَاهِدَةً مُجَاهِدَةً، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ

(1) خرم بالأصل.

(2) خرم بالأصل بفعل الرطوبة.

(3) خرم بالأصل بفعل الرطوبة.

(4) انظر في شأن هذه القبائل كتاب: أعمال الأعلام لابن الخطيب، والعبر لابن خلدون.



الَّذِي رَدَّ بِالسَّيْفِ وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعِينَ قُلُوبًا نَافِرَةً وَأَفْنِدةً شَارِدَةً، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِإِمْدَادِ جُيُوشِهِ بِجُيُوشٍ مِنَ الرُّعْبِ تَسِيرُ بَيْنَ أَيْدِيهَا نَاهِدَةً، وَتُغَادِرُ فِرْقَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ حَيْثُ كَانَتْ حَصِيداً خَامِدةً، وَلِلْأَمِيرِ الْأَجَلِ الْأَفْضَلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِإِسْعَادِهِ بِرَّكَهٍ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ سَعَادَةً عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ مُسَاعِدَةً.

فَالْكِتَابُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدْرَكُمْ، وَأَدَامَ تَأْيِيدَكُمْ وَنَصْرَكُمْ - وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَعَظُمَتْ مَنَّتُهُ، بِرَّكَهٍ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيَّدَهُمُ اللَّهُ - فِي غَزْوَةِ بَحْرِيَّةٍ عَظِيمَةِ الْأَثَرِ، كَرِيمَةِ الْخُبَرِ وَالْخَبَرِ، قَرَّبَ اللَّهُ فِيهَا مَرَامَاتٍ مُتَبَعَّةً، وَسَهَّلَ مَسَالِكَ مُتَوَعَّرَةٍ، وَشَفَى صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ كَانَتْ عَلَى الْكَافِرِينَ مُتَغَيِّطَةٌ مُسْتَعْرَةٌ، وَصُورَتُهَا الْحُسْنَى أَنَّ الْقِطْعَتَيْنِ الْمُبَارَكَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَقَدَّمَ الْإِعْلَامُ بِتَوَجُّيهِمَا لِانْتِهَازِ غَزْوٍ إِنْ اتَّفَقَ، وَلِتَشْيِيعِ الْمَرْكَبِ الَّذِي وَسَقَ فِيهِ مِنْ ثِيَابِ الْمَخْزَنِ الْمَعْمُورِ مَا وَسَقَ، وَكَانَتْ الْجَمَاعَتَانِ اللَّتَانِ فِي الْقِطْعَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنْ أَهْلِ بَجَايَةِ⁽¹⁾ وَالْآخَرَةُ مِنْ أَهْلِ بُونَةِ⁽²⁾ - وَمُقَدَّمَاهُمَا حَسَنٌ وَأَبُو بَكْرٍ - أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ - نَهَضُوا وَشَعَارُهُمُ التَّوْحِيدُ، وَاسْتَنْصَارُهُمْ يُمِّنُ الْخِلَافَةَ الَّتِي لَا يَنْجُو هَارِبُهَا وَلَا يَحِيدُ، فَوَافُوا مَرَّسَى: «تَنْس»⁽³⁾ - حَرَسَهَا اللَّهُ - عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ مِنْ رَجَبِ الْقُرْدِ، وَإِذَا فِيهِ غُرَابَانِ⁽⁴⁾ اثْنَانِ

- (1) بجاية: مدينة جزائرية معروفة كانت في القديم عاصمة لبني حماد الصنهاجيين، وإليها ينسب صاحب عنوان الدراية؛ وقد عرف في كتابه بجملته من علمائها وفقهائها وكتابتها. انظر الروض المعطار.
(2) بونة: مدينة من بلاد إفريقية وهي على ساحل البحر تعرف ببلد العناب لكثرة بها وفيها دفن أبو زكرياء الحفصي الذي قال فيه أحدهم بعد وفاته:

لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْخَلِيفَةِ يَخْيَى وَإِلَى لَيْتَ يَسْتَرْيَحُ الْحَزِينُ
قَلَّ الْجَيْشُ سَالِمِينَ وَيَخْيَى بِالْمُصَلَّى مِنْ بُونَةِ مَذْفُونُ

الروض المعطار 115، الفارسية 107، البيان المغرب 3/ 393.

- (3) تنس: مدينة تقع قرب مليانة وهي قديمة محصنة بسور تبعد عن البحر بميلين؛ أما تنس الحديثة فقد بناها - كما يقول صاحب الروض المعطار - البحريون من أهل الأندلس سنة 262 هـ، ومنها علي بن الملمش التنسي. الروض المعطار ص: 138، الاستبصار: 133، الإدريسي 83.
(4) الغراب: مصطلح قديم يقصد به القطع البحرية من السفن التي تستخدم للقتال أو غيره، انظر كتاب الأستاذ الجعماطي في الموضوع.



أَحَدُهُمَا مِنْ طُرُوشَةَ⁽¹⁾ وَالثَّانِي مِنْ بَرَشْلُونَةَ⁽²⁾ - فَتَحَهُمَا اللَّهُ - فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عِلْمٌ بِالثَّانِي وَإِنَّمَا كَانَتْ مُفَاجَأَةً لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهَا مُقَدِّمَةٌ إِلَّا التَّوَكُّلُ وَالِاتِّكَالُ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْعَلِيَّةُ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمُعَايِنَةِ وَصِدْقِ الْمُخَالَطَةِ زَمَانٌ، وَلَا شَغْلٌ قِرْنَا عَنْ مُنَازَلَةِ قِرْنٍ⁽³⁾ شَانٌ، وَوَقَّعَتْ كُلُّ قِطْعَةٍ بِإِرَاءِ صَاحِبَتِهَا فَتَنَاطَعَ الْقَوْمُ هُنَاكَ وَتَرَامَوْا بِالسَّهَامِ وَتَدَاعَسُوا بِالرِّمَاحِ وَتَمَاصَعُوا⁽⁴⁾ بِالسُّيُوفِ، وَتَصَارَعُوا بِالْأَيْدِي وَالْأَيْدِ⁽⁵⁾ وَتَعَامَلُوا بِمَا يُوصِلُهُمْ إِلَى الْحَتُوفِ، وَنَصَّامُوا حَتَّى لَوْ يُلْقَى الْمَاءُ بَيْنَ اثْنَيْنِ لَمْ يَكُذَّ يَتَسَرَّبُ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ، وَاخْتَلَطَ الطَّغْنُ وَالضَّرْبُ، إِلَى أَنْ تَحَطَّمَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَجَازِفِ وَالْعِيدَانِ، وَتَثَلَّمَتْ أَجْزَاءُ مِنَ الْمَرَائِبِ لِفَرْطِ التَّدَانِي عَلَى سَعَةِ الْمِيدَانِ، وَامْتَدَّ الْقِتَالُ مِنَ الْوَقْتِ الْمَذْكُورِ إِلَى قُرْبِ الزَّوَالِ حَتَّى كَادَ الْيَأْسُ يَحْصُلُ، وَخِصَابُ الرَّجَاءِ يَنْصُلُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ مِنَ الْبَرِّ لَا يَقْدِرُونَ لِإِخْوَانِهِمْ إِلَّا عَلَى الْإِبْتِهَالِ فِي الدُّعَاءِ، وَالضَّرَاعَةِ إِلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَهَبَ اللَّهُ رِيحَ النَّصْرِ لِأَوْلِيَائِهِ، وَمَكَّنَهُمْ مِنَ الظُّهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَحَكَّمَ فِيهِمْ سَيْوِفًا تَنْقَبُضُ وَتَنْبَسِطُ، وَتَقْسِطُ وَلَا تَقْسِطُ وَتَغْلِبُوا عَلَى إِحْدَى الْقِطْعَتَيْنِ، وَكَانَ الْقَتْلَى مِنْ أَهْلِهَا شَطْرًا، وَالْمَاسُورُونَ شَطْرًا، وَجُمْلَةُ الْمَاسُورِينَ نَحْوُ ثَمَانِينَ فِيهِمْ مِنْ وَأَفْلَتَتِ الْقِطْعَةُ الثَّانِيَةُ بِجُرِيعَةِ الدَّفَنِ⁽⁶⁾ عِنْدَ الْإِشْتِعَالِ بِأَخِيَّتِهَا بَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنْ كُفَّارِهَا نَحْوُ الْأَرْبَعِينَ الثَّانِيَةِ فِي الْبَحْرِ، وَاسْتَنْقَذَ اللَّهُ مَنْ كَانَ عَنْدهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي رِبْقَةِ الْأَسْرِ، فَسَرَّيَ عَنْ أَهْلِ السَّوَا حِلِّ، فَسَرُّوا وَفَرِحُوا وَاسْتَبَشَرُوا، وَعَايَنُوا آيَةً عَظِيمَةً فِي مُقَابَلَةِ قِطْعَتَيْنِ لَا عَهْدَ

(1) طرطوشة: مدينة أندلسية تقع في سفح جبل به خشب الصنوبر بينها وبين البحر الشامي ميلان ومنها الفقيه الطرطوشي، صاحب كتاب: «الحوادث والبدع». انظر الروض المعطار، ص: 391.

(2) برشلونة: مدينة أندلسية مشهورة قديما وحديثا.

(3) الْقِرْنُ: بالكسر كفؤك في الشجاعة، وفي حديث ثابت بن قيس: «بشما عودتم أقرانكم»، أي نظراءكم في القتال. اللسان: قرن. وشان هنا: مخففة شأن.

(4) المماصة: المقاتلة والمجادة بالسيف، قال الشاعر:

يَهْدِي الْخَمِيسَ نَجَادًا فِي مَطَالِعِهَا إِمَّا الْمِصَاعُ، وَإِمَّا ضَرْبَةً رُغْبُ

(5) الأيد: القوة، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾. سورة ص، الآية: 16.

(6) مثل معروف ومشهور.



لَهُمَا [بِمِثْلِهِمَا] مَعَ الْإِنْفِرَادِ بِهِمَا فِي ذَلِكَ الْجِهَادِ وَالْجَلَادِ، لِقِطْعَتَيْنِ لَيْسَ فِيهِمَا إِلَّا... رِطَةُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ عُرِفُوا بِالنَّجْدَةِ وَوُصِفُوا بِالشَّدَةِ، وَاتَّخَذُوا هَذَا الْبَحْرَ جَمَلًا ذُلُولًا، يَرْكَبُونَ جَنَابَهُ، وَيَضْرِبُونَ عُبَابَهُ، عَرْضًا وَطُولًا وَاعْتَقَدَ الْمُوَحِّدُونَ أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِ الْفَتْحِ الْأَعْلَى بِالْمَهْدِيَّةِ⁽¹⁾ - كَلَّاهَا اللَّهُ - فَقَدْ أَبْقَى بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْكُفَّارِ سُنَّةً قَدْ اسْتَقَرَّتْ، وَاطْرَدَتْ وَاسْتَمَرَّتْ، وَهِيَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مَصَارِعَهُمْ بِحَيْثُ يَرَاهَا الْجَالِسُ عَلَى الشَّطِّ، وَيُعَايِنُهَا مَنْ لَمْ يُعَايِنُهَا قَطًّا.

وَفِي تَارِيخِهِ وَصَلَ الْغَزَاةَ الْمَفْتُوحَ عَلَى أَيْدِيهِمْ - بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ - بِقِطْعِهِمُ الثَّلَاثَ، مَجْمُوعًا لَهُمْ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْمَنْعَمِ، مَسْمُوعًا مِنْهُمْ الْاعْتِرَافُ بِأَنَّهَا إِحْدَى بَرَكَاتِ هَذَا الْأَمْرِ الْأَعْظَمِ، لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا إِلَّا الْحِظُّ الْمُسْتَعْمَلُ الْمُسَخَّرُ، وَإِنَّهُ لَلْحِظُّ الْغَيْبِيُّ الْمَقْدَمُ غَيْرُ الْمُؤَخَّرِ، لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ، وَلَا فَقَدَ مِنْهُمْ شَخْصٌ وَاحِدٌ، مَنْ عَرَضَ لِلنَّاسِ شَهِدَ لَهُ أَصْحَابُهُ بِحُسْنِ الْبَلَاءِ، وَعَظِمَ الْغَنَاءُ، مَا تُرْجَى لَهُ بِهِ الشَّهَادَةُ، وَتُنَالُ بِهِ السَّعَادَةُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا يَكُونُ كِفَاءً لِنِعْمِهِ، وَإِرَاءً لِقِسْمِهِ، وَمَدْعَاةً لِفَيْضِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ أَنْ يُورِدَ مَعَ السَّاعَاتِ وَالْأَوْقَاتِ عَلَى حَضْرَةِ الْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَهْدِيَّةِ فُتُوحًا تَتَرَى، وَيَدْرُعُ ثَانِيهَا بَتْرًا، وَيَمْلَأُ طَيْبَ أَحَادِيثِهَا بَرًّا وَبَحْرًا، وَبَدْوًا وَحَضْرًا.

وَالرَّغْبَةُ فِي دُعَاءِ سَيِّدِنَا الْمُعْظَمِ وَابْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْمُنْعَمِ - أَيْدَهُمُ اللَّهُ - تَتَأَكَّدُ، وَمُلَازِمَتُهُ لِلْمَجْلِسِ الْأَعْلَى وَمُشَاهَدَتِهِ لِلنَّيْرِ الْأَسْمَى مِمَّا تَتَزَيَّنُ بِهِ هَذِهِ الرَّغْبَةُ وَتَتَزَيَّدُ، لَا زِلْتُمْ مُسْتَمِدِّينَ مِنْ بَرَكَتِهِ، مَجْدُودِينَ بِسَعَادَتِهِ، وَالسَّلَامُ الْأَبْرُّ الْأَرْكَى الْأَعْظَرُ الْأَذْكَى عَلَى السَّيِّدِ الْمُعْظَمِ الْأَرْفَعِ الْأَسْنَى، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. كُتِبَ فِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

(1) المهديّة: مدينة بناها عبد الله الشيعي الخارج على بني الأغلب وهو الذي سماها بذلك الاسم ونسبها إلى نفسه، وبينها وبين القيروان ستون ميلا، الروض المعطار، ص: 561.



وَمِنْ إِنْشَاءِ الْكَاتِبِ: الْمَجِيدِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ:

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَأَمَدَّهُ بِمَعُونَتِهِ - إِلَى الطَّلَبَةِ
وَالْمُوحِدِينَ وَالشُّيُوخَ وَالْكَافَّةِ بِمُرَاكُشٍ - أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُمْ بِتَقْوَاهُ - وَأَوْزَعَهُمْ شُكْرَ
نِعْمَاهُ - سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ وَنَعْمِهِ، وَنُصَلِّي
عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدَّمَ لَأَوْلِيَاءِ أَمْرِهِ فِيمَا يَرُومُونَهُ
مِنْ كَبْتِ الْعَدُوِّ وَقَهْرِهِ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَصِييَا، وَصَنَعَ لَهُمْ فِي إِنْزَارِ الْكُفْرَةِ إِلَى
مَضَاجِعِهِمْ وَسَوْقِهِمْ عَلَى قَدَمِ الْإِغْتِرَارِ إِلَى مَصَارِعِهِمْ صُنْعًا عَجِيبًا، وَوَعَدَ الْقَائِمِينَ
بِدَعْوَتِهِ وَالنَّاصِرِينَ لِمِلَّتِهِ فُتُوحًا آزِفَةً يَفْتَحُونَهَا، ﴿وَمَعَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾⁽¹⁾،
﴿بَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁽²⁾، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي إِلَى
سُبُلِ السَّلَامِ تَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ لَبَّى دَعْوَتَهُ إِلَى رَبِّهِ سَامِعًا
مُجِيبًا، سَامِعًا فِي مَقَامِ النُّصْرَةِ، وَمَحَلِّ الْأَثَرَةِ أَغْرَ نَجِييَا، وَنَسَأَلُهُ الرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ
الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الْمُجَدِّدِ لِدِينِهِ عِنْدَمَا عَادَ غَرِيبًا، كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا⁽³⁾ وَذَهَبَتْ
بِهِ الْأَهْوَاءُ الْمُتَّبَعَةُ وَالْأَصَالِيلُ الْمُتَبَدِّعَةُ تَضَعِيدًا وَتَضْوِيًا، وَعَنْ صَاحِبِهِ وَخَلِيفَتِهِ
الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُوَازِرِهِ، وَمُظَاهِرِهِ تَوْسِيْعًا لِأَكْنَافِ الدَّعْوَةِ الْعَلِيَّةِ وَتَرْحِيبًا،
وَوَارِثِ مَقَامِهِ الْكَرِيمِ وَأَهْلِيهِ الْقِيَامَ بِأَمْرِهِ الْعَظِيمِ مَنْصُورًا وَمَفْتُوحًا لَهُ وَمُصِيْبًا.

وَإِنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كَتَبَكُمْ اللَّهُ مِمَّنْ أَحْسَنَ تَلَقَّى الْبَشَائِرِ، وَوَفَّى النُّعْمَةَ حَقَّهَا مِنْ شُكْرِ
الشَّاكِرِ، وَجَعَلَكُمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَقَتْ بِهِمْ أَنْوَارُ الْهِدَايَةِ فَائِضَةً عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ،
مِنْ حَضْرَةِ إِشْبِيلِيَّةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَالَّذِي نُوَصِّيكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ
وَالِاسْتِعَانَةَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَالِي وَمَا نَاطَ بِهِ مِنْ إِظْهَارِ

(1) سورة الفتح، الآية: 20.

(2) سورة الفتح، الآية: 27.

(3) مأخوذ من حديث نبوي شريف مضمونه: «بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء».



الدِّينَ وَنَصْرَ الْمِلَّةِ وَإِعْلَاءَ الْكَلِمَةِ أَفْضَالاً خَافِيَةً وَعَالِيَةً، وَأَثَاراً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَأَسْرَاراً مُتَجَلِّيًا، وَمُحْتَجَبَةً، وَلَطَائِفَ مَشْهُودَةٍ وَمُتَغَيِّبَةٍ، فَمَهْمَا أُتْسِيءَ لِعِدَاتِهِ فِي أَمَلِ الْإِمْهَالِ، وَأُزْحِيَ لَهُمْ فِي طُولِ الْإِمْلَاءِ فَلْيُسَاقَ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْفَتْحُ فِيهِمْ بِالْمَسَاقِ الْعَجِيبِ، وَلِيَتَرَتَّبَ لَهُمْ حَالُ الْقَطْعِ لِذَايِرِهِمْ وَالِاسْتِصْصَالِ، لِشَافَتِهِمْ فِي أَجْمَلِ صُورِ التَّرْتِيبِ، إِشَارَةً لِلْعَنَايَةِ وَدَلَالَةً عَلَى الْأَثَرِ وَتَنْبِيْهَا عَلَى الْإِزْتِقَاءِ فِي الْأَسْبَابِ وَتَبْصِرَةً ﴿وَذِكْرِي لِأَوَّلِي الْأَلْبَبِ﴾⁽¹⁾.

وَقَدْ كَانَ مُقَامُنَا بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ -مَهْدَهَا اللَّهُ- لِتَسْمِيَةِ الْمَقْصُودِ فِيهَا مِنْ إِظْهَارِ الدِّينِ وَنَصْرِ الْمِلَّةِ وَمُرَابَطَةِ فِي مُعَاقِبَةِ الْعَدُوِّ قَسَمَهُ اللَّهُ وَفِي مُهْلَةِ النَّظَرِ فِي حَسْمِ دَائِبَتِهَا، وَاجْتِيَاكِحِ أَعْدَائِهَا إِلَى أَنْ بَلَّغْنَا أَنَّ جُمْلًا ذَمِيمَةً مِنَ النَّصَارَى -لَعَنَهُمُ اللَّهُ- أَهْلُ آيَلَةٍ وَمَا أَخَذَ إِخْذَهَا، وَمِنْ أَنْصَافِ إِيْلِهِمْ مِنَ الْفَرِيرِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ -كَبَتَ اللَّهُ جَمِيعَهُمْ- قَاصِدُونَ قَصْدَ هَذِهِ الْجِهَاتِ -كَلَّاهَا اللَّهُ- وَقَدْ وَقَعَتِ الْإِسْتِفَاضَةُ وَحَصَلَ الْعِلْمُ بِأَنَّ أَهْلَ آيَلَةٍ⁽²⁾ حَمْدُ النَّصَارَى وَحُمَاتِهِمْ، وَبُؤْسَاؤُهُمْ وَكُمَاتُهُمْ، وَجَمَرَتُهُمْ الْمُتَلَهَّبَةُ، وَجَمَهَرَتُهُمْ الْمُتَغَلَّبَةُ، وَالشُّوْكَةُ الَّتِي لَمْ يَخْضِدْهَا مِنْ قَبْلُ خَاضِدٌ، وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ الَّتِي لَمْ يَعْضِدْهَا عَلَى النَّارِ عَاضِدٌ، وَأَتَّهَمُ بِمَا خَبَأَ اللَّهُ مِنَ الْفَتْحِ فِيهِمْ لِأَوَّلِي أَمْرِهِ، وَأَوْلِيَاءِ نَصْرِهِ، سَوَّلَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمُ الْحَائِنَةُ الْخُرُوجَ لِلْغَارَةِ بِهَذِهِ الْجِهَاتِ -كَلَّاهَا اللَّهُ- تَخْيِلاً مِنْهُمْ أَنَّ جُيُوشَ الْمُوَحِّدِينَ قَدْ تَفَرَّقَتْ ذَاهِبَةً، وَسَرَحَتْ قَافِلَةً، وَأَنْتَهَازاً مِنْهُمْ فِي زَعْمِهِمْ لِلْفُرْصَةِ قَبْلَ احْتِفَالِ الْجُنُودِ، وَالِاحْتِشَادِ لَوْفَتِ الْغَزْوِ الْمَشْهُودِ: فَاسْتَمَرُّوا مُصَمِّمِينَ، وَتَهَوَّرُوا مُقَدِّمِينَ، وَمَا زَالُوا يَتَقَدَّمُونَ إِلَى حَتْفِهِمْ، وَتَضَرَّبُ أَسْدَادُ الْغَيِّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ، مُغَالِطِينَ بِالْجُرْأَةِ مُتَحَمِّطِينَ بِالْبَسَالَةِ، فَارِقِينَ لِحِجَابِ الْمَهَابَةِ، نَاكِبِينَ عَنِ سَمَتِ الْإِصَابَةِ، إِلَى أَنْ بَلَّغُوا هَذِهِ الْبِلَادَ -حَمَاهَا اللَّهُ- وَأَجَازُوا الْوَادِي الْكَبِيرَ بَيْنَ قُرْطُبَةَ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرِي لِأَوَّلِي الْأَلْبَبِ﴾. سورة ص، الآية:

42. وقوله: ﴿هُدًى وَذِكْرِي لِأَوَّلِي الْأَلْبَبِ﴾. سورة غافر، الآية: 53.

(2) آيَلَةُ avila مدينة أندلسية، الروض المعطار.



وَإِسْبِيلِيَّةَ، وَانْتَسَحُوا جُمَلًا مِنَ الْغَنَمِ كَثِيرَةً بِجَهَةِ إِسْتِجَّةٍ⁽¹⁾، ثُمَّ عَطَفُوا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْكَنْبَانِيَّةُ مِنْ قِبَلِي قَرْطَبَةَ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ طَرِيقَهُمْ إِلَى مِثُورٍ⁽²⁾.

وَلَمَّا اتَّصَلَ بِنَا نَبُوهُمْ الذَّمِيمُ، وَتَوَجَّهَ فِيهِمُ الصُّنْعُ الْكَرِيمُ، اسْتَخِيرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى تَمْيِيزِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ، وَتَسْرِيبِهَا إِلَيْهِمْ مَعَ الطَّلَبَةِ وَأَشْيَاخِ الْمُوَحِّدِينَ -أَعَانَهُمُ اللَّهُ- فَاتَّبَعُوهُمْ مُجِدِّينَ مُسْتَعِينِينَ بِاللَّهِ وَمُسْتَنْجِدِينَ، وَاجْتَمَعُوا بِالشَّيْخِ الْأَجَلِّ أَبِي حَفْصٍ، -أَعَزَّهُ اللَّهُ- وَمَنْ هُنَالِكَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ -أَعَانَهُمُ اللَّهُ- وَعَرَفُوا بِمُتَجَدِّدِ حَالِهِمْ، وَمَا انْكَشَفَ لَهُمْ مِنْ صُورِ الْأَحْوَالِ فِي حُلَّتِهِمْ وَتَرَحُّلِهِمْ، وَاسْتَمَدُّوا الْأَوَامِرَ الَّتِي عَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى إِسْعَادُ مُطِيعِيهَا وَتَوْفِيقُ الْمُسْنِدِ إِلَيْهَا، فَأَمَرُوا بِصِدْقِ لِقَاءِ الْعَدُوِّ قَصَمَهُمُ اللَّهُ وَأَخَذَهُمْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ الَّذِي سَبَقَتْ كَلِمَتُهُ أَنْ يَنْصُرَ مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ، وَيَبْذُلَ فِي مُجَاهَدَتِهِ إِخْلَاصَهُ وَبَقِيَّتَهُ. فَاسْتَمَرُّوا فِي جِدِّ الْإِتْبَاعِ عَلَى وَجْهِهِمُ الْمَيْمُونِ، وَإِلَى نَصْرِهِمُ الْمَضْمُونِ، وَدَرَجَتْ أَيَّامٌ قَدَرًا مَا يَصِلُ الطَّالِبُ إِلَى الْمَطْلُوبِ، وَيَتَمَخَّضُ بِمَكْرُوهِ الْكَفَرَةِ، فَهُوَ عَيْنُ الْمَحْبُوبِ، إِلَى أَنْ هَتَفَتْ الْبَشَائِرُ مَالِيَّةَ الْأَسْمَاعِ، طَالِعَةً مِنْ أَحْسَنِ ثَنَائِيَا الْأَطْلَاعِ، وَوَرَدَ الْفَتْحُ الْجَلِيلُ، وَالصُّنْعُ الْجَمِيلُ، وَوَصَلَ مِنْ أَعْيَانِ الْمُوَحِّدِينَ، -أَعَانَهُمُ اللَّهُ- مَنْ شَهِدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي أَخَذَ فِيهِ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُمْ الثَّارَ، وَعَرَفَ الْكَافِرِينَ لِمَنْ عُقِبَى الدَّارُ⁽³⁾، مَعَهُمْ أَعْلَامُ الرُّومِ الْمَنْكُوسَةِ فِيهَا تَمَائِلُهُمْ وَصُلْبَانُهُمْ، وَافْتَرَاؤُهُمْ عَلَى اللَّهِ وَطُغْيَانُهُمْ، وَرَأْسُ شَيْخِهِمُ الذَّمِيمِ، وَشَيْطَانُهُمُ الرَّجِيمِ، وَاتَرُّ أَهْلُ الْإِيمَانِ، وَأَشَدُّ الْكَفَرَةِ عُتِيًّا عَلَى الرَّحْمَنِ، فَذَكَرَ الْوَاصِلُونَ أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ -أَعَانَهُمُ اللَّهُ- اتَّبَعُوهُمْ مُغْدِينَ، وَأَرْهَقُوهُمْ مُشْمَرِينَ فِي الرِّكْضِ مُجِدِّينَ، إِلَى آخِرِ فَحْصِ هَالَالٍ، وَقَدْ طَمِعَ الْأَعْدَاءُ بِالنَّجَاةِ، فَتَهَيَّأَ هُنَالِكَ اللَّحَاقُ وَالْإِذْرَاكُ، وَتَرَاءَى الْإِيمَانُ وَالْإِشْرَاكُ، فَرَأَى الْكَفَرَةُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ، وَجُنْدِهِ الَّذِي لَا

(1) قَرْطَبَة CORDOBA، إِسْبِيلِيَّة SEVILLA، إِسْتِجَّة ECIZA، مَدَنِ أَنْدَلُسِيَّة مَشْهُورَة. يَنْظُرُ الرُّوَضُ الْمَعْطَارُ، مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ لِلْبَكْرِيِّ.

(2) يَنْسَبُ إِلَيْهَا الْمَتَوَرِّي صَاحِبُ الْفَهْرَسَةِ الْمَشْهُورَةِ.

(3) فِيهِ نَفْسٌ قَرَأَنِي.



يُصَدُّ، مَا هَالَهُمْ وَرَاعَهُمْ، وَأَنْسَاهُمْ جِلَادَهُمْ وَمَصَاعَهُمْ، وَعَلَى ذَلِكَ فَطَمِعُوا فِي الدِّفَاعِ، وَارْتَفَعُوا إِلَى الْيَقَاعِ، وَحَمَلُوا حِمْلَاتٍ قَاصِرَةً، وَكَرُّوا كَرَّاتٍ خَاسِرَةً، إِلَى أَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْكَلِمَةُ، وَحَاقَتْ بِهِمُ النِّقْمَةُ، وَأَخَذَتْهُمْ السُّيُوفُ الْمُسْتَلْحِمَةُ، وَأَنْصَبَتْ عَلَيْهِمُ الْجِيُوشُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَصَيَّرَتْهُمْ الْحُمَاءُ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، وَأَوْلِيَاءُ الْحَقِّ وَأَنْصَارُ اللَّهِ وَأَهْلُ طَاعَةِ أَمْرِهِ قَدْ هَبَّتْ لَهُمْ رِيحُ النَّصْرِ، وَطَلَعَتْ عَلَيْهِمْ شَرَاةُ الْفَتْحِ لَمْ يُنَلِّ مِنْهُمْ نَيْلٌ، وَلَمْ يَقُمْ لِلْكَفَرَةِ فِي جَانِبِهِمْ مَيْلٌ، إِلَى أَنْ وَلَّى أَعْدَاءُ اللَّهِ الْأَذْبَارَ، وَابْتَدَرُوا الْفِرَارَ، وَخَلَوْا عَنْ غَنَائِمٍ كَانُوا اسْتَأْفَوْهَا، وَأَسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَلَّ اللَّهُ عَنْ قَتْلِهِمْ أَيْدِيَهُمْ، وَكَفَاهُمْ تَعْدِيَهُمْ، وَتَمَّتْ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْهَزِيمَةُ، وَالْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ، وَالتَّقِطُوفُ فِي بَقِيَّةِ تِلْكَ الْأَنَاءِ، وَقُتِلُوا قَتْلَ الْفَنَاءِ، حَتَّى عَمَّتْ حِمَاةُ بَدَمٍ، وَلَمْ يَكُذْ أَنْ يَبْقَى بَيْنَ الْقَتْلَى مَحْطٌ قَدَمٍ، وَاقْتَصَّوْا كَذَلِكَ تَلْفَظُهُمُ الشَّوَاهِقُ، وَتُرْدِيَهُمُ الْمَهَاوِي، وَيَنْسُمُ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ وَهُوَ كَاتِمٌ، وَيَكْلَحُ لَهُمُ الصُّبْحُ وَهُوَ بَاسِمٌ، وَلَا تُذِمُّ عَلَيْهِمْ غِيْظَةٌ مُلْتَمَّةٌ، وَلَا شَجَرَاءٌ مُحْتَفَّةٌ، بَلْ يَقُولُ الْحَجَرُ يَا مُؤْمِنُ هَذَا الْكَافِرُ خَلْفِي فَأَقْتُلْهُ، وَإِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ فَأَعْتَلْهُ⁽¹⁾ ﴿أَيْنَمَا تُفِيقُوا خُذُوا وَفُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾⁽²⁾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴿وَلَسَ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾⁽³⁾ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ خَطَرُهُ، الْجَلِيلِ قَدْرُهُ، الَّذِي لَهُ مَا بَعْدَهُ، وَأَنْسِيَاقٍ مَا يُنْجِزُ اللَّهُ فِيهِ وَعَدَهُ، حَمْدًا يُبْلَغُ رِضَاهُ، وَيُوجِبُ زُلْفَاهُ، وَيَمْتَرِي الْمَزِيدَ مِنْ نِعَمَاهُ.

وَهَذَا الْفَتْحُ - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ وَأَعَانَكُمْ - وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا فِي نَفْسِهِ، عَالِيًا فِي جَنْسِهِ، فَإِنَّهُ لِلْفُتُوحِ الْأَرْفَةِ مِفْتَاحٌ، وَبَيْنَ يَدَيِ السَّعْيِ فِيهَا مِصْبَاحٌ، فَإِنَّهُ رَأَيْدُ الْفُتُوحِ الْمُتَنَظَّرَةِ، وَعُنْوَانُ الْخَيْرَاتِ الْمُسِيرَةِ، وَمُثَبِّتُ السَّعَادَةِ وَإِنْ كَانَتْ ثَابِتَةً مُكَرَّرَةً، وَنَازِلٌ مِنَ الْفُتُوحِ الْأَرْفَةِ بِمَحَلِّ الْبَاكِيرِ مِنَ الثَّمَرَةِ، لِمَا أُشْرِبَ فِيهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَنْصَارُ الْحَقِّ وَجُنُودُ الْأَمْرِ

(1) قوله تعالى: ﴿خُذُوا بِأَعْتَلِهِ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾. سورة الدخان، الآية: 44. عَتَلَهُ: يَعْتَلُهُ وَيَغْتَلُهُ؛ جَرَهُ جَرًا عَنِيفًا.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 61.

(3) سورة الفتح، الآية 23، سورة فاطر، الآية: 43.



وَحُمَاةُ الْإِسْلَامِ وَأَحْزَابُ الدِّينِ مِنْ رِيحِ الظَّفَرِ، وَوَجَدُوا مِنْ عِزِّ الْغَلَبِ وَاسْتَحَلُّوا مِنْ مَذَاقَةِ النَّصْرِ، وَتَوَطَّأَ لَهُمْ مِنْ طَرِيقِ الْفَتْحِ الْمَرْوَمِ، وَتَذَلَّلَ لَهُمْ مِنْ مَرْكَبِ الرُّومِ، إِذْ عَرَفُوا ذَوْقَهُمْ، وَسَاقَوْهُمْ سَوْقَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِي نَفْسِهِمْ قَدْرٌ مُقَاوَمَةٍ، وَلَا مَحَلٌّ مُرَاقَبَةٍ، وَلَا مَا خَامَرَ الرُّومَ - قَصَمَهُمُ اللَّهُ - مِنَ الرَّعَةِ ⁽¹⁾ وَالرُّوعِ، وَانْفَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبْوَابِ الْخُطُوبِ، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ مِنْ جُنُودِ الرُّعْبِ ⁽²⁾، وَبَاءُوا بِهِ مِنْ ذُلِّ الْغَلَبِ، وَسُوءِ الْمُتَقَلِّبِ، وَفَقَدُوهُ مِنْ مَنَكِبِ الدَّفَاعِ، وَرَدَّهِ الْاِمْتِنَاعِ، وَفُرْسَانِ الْجِلَادِ وَالْمِصْصَاعِ، فَإِنَّهُمْ بَعْدُ أَوْلَيْكَ الْهَلَكَى الْمُطَوَّحِينَ بِمَنْزِلَةِ الرُّمَحِ بَعْدَ السَّانِ، وَالْجَسَدِ بَعْدَ الْجَنَانِ؛ فَهَذَا الْفَتْحُ الْعَظِيمُ قَدْ عَظُمَتْ بِهِ النُّعْمَى وَالْمِنَّةُ الْعُظْمَى، وَكَثُرَتْ الْعَوَائِدُ، وَاسْتَمَرَّتْ مِنْهُ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ الْفَوَائِدُ. فَوْقَهُ حَقُّهُ وَأَعْطُوهُ قِسْمَهُ شُكْرًا وَنَشْرًا وَإِشَاعَةً وَإِذَاعَةً يَمْتَدُّ مَدَاهَا وَيَبْلُغُ أَقْصَاهَا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُشَفِّعُهُ بِأَمْثَالِهِ، وَيُرْدِفُهُ بِمُنْهَالِ الْفَتْحِ وَمُنْثَالِهِ، وَيَتَوَلَّى تَوْفِيقَكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ، وَعَوْنَكُمْ عَلَى مَا يُزِلُّهُ لَدَيْهِ، بِمَنِّهِ وَيُمْنِهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَنَا بِكُلِّ خَيْرٍ كَفِيلُ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

كُتِبَ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ الْمُكْرَمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَكُتِبَ أَيْضًا:

مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ، وَأَمَدَّهُ بِمَعُونَتِهِ إِلَى الطَّلَبَةِ وَالْمُوحِدِينَ وَالشُّيُوخَ وَالْأَعْيَانَ وَالْكَافَّةَ بِمُرَاكُشٍ - أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُم بِتَقْوَاهُ - سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَنَعَ لِأَوْلِيَاءِ أَمْرِهِ وَالْقَائِمِينَ بِدَعْوَتِهِ مَا كَنَفَ بِهِ حُمَاةَ الْأُمَّةِ وَأَنْصَارَهَا، وَكَفَّ عَنْهَا أَيْدِيَ الْكَافِرِينَ بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَهَا عَلَيْهِمْ وَأَعَزَّ نَصْرَهَا وَإِظْهَارَهَا، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّنَا الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ النَّاهِجِ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَرَامَاتِ الْجَسِيمَةِ سُنَنًا أَوْضَحَ لِلْمُقْتَفِينَ آثَارَهَا، وَرَفَعَ لَهُمْ مَنَارَهَا، وَعَرَفَ مِنْهُمْ أَوْلِيَ الْأَيْدِي

(1) الرعة: السكون والهدوء وهي عكس الروع.

(2) الرُّعْبُ والرُّعْبُ: الخوف والفرع.



وَالْأَبْصَارِ مُتَنَاوَلَهَا وَمُشَارَهَا، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ إِمَامِنَا الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ مُعِيدِ الْمِلَّةِ، وَمُفِيدِ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَدَلَّةِ، حَتَّى قَرَّتْ قَرَارَهَا، وَاسْتَمَرَّتْ عَلَى السَّنَنِ الْقَوِيمِ وَالْأَمْرِ الْحَكِيمِ اسْتِمْرَارَهَا، وَعَنْ خَلِيفَتِهِ وَوَلِيِّهِ وَصَاحِبِهِ وَحَوَارِيهِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِ لِدَعْوَتِهِ الْعَالِيَةِ الْعَالِنَةِ وَالْمُتَمِّمِ أَنْوَارَهَا، وَالْمُمْكِّنِ لَهَا فِي الْأَرْضِ حَتَّى عَمَّتْ نِجَادَهَا وَأَغْوَارَهَا.

وَأَنَا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَكُمْ اللَّهُ - مِمَّنْ عَرَفَ النِّعَمَ حَقَّ عِرْفَانِهَا، وَأَقَامَ النَّظَرَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ الْحَمِيدَةِ، وَمَنَاقِلِ الْأَحْوَالِ السَّعِيدَةِ مَقَامَ عِيَانِهَا، وَاسْتَبَشَرَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ، وَأَفَاضَ عَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ نِعْمَةٍ، فِي تَمْكِينِ إِيْمَانِهَا وَأَمَانِهَا مِنْ حَضْرَةِ إِشْبِيلِيَّةٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَالَّذِي نُوصِيَكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى بِوَاجِبِ شُكْرِهِ عَلَى عَظِيمِ نِعْمَتِهِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ وَمَا أَلْقَى إِلَيْ كَفَالَتِهِ، وَأَسْنَدَ إِلَى إِيَالَتِهِ، مِنْ حِفْظِ الْمِلَّةِ، وَحِمَايَةِ الْحَوَازَةِ، وَالْحِيَاظَةِ لِلْأُمَّةِ، وَالِاكْتِنَافِ لِأَرْجَاءِ الدَّعْوَةِ، وَالِإِحْيَاءِ لِمَيِّتِ الْبِلَادِ، وَإِجْرَاءِ رُوحِ الْأَمْنِ فِي الْعِبَادِ، وَالِاسْتِئْصَالِ لِشَافَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ الصَّالِحَةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى يَوْمِ النَّادِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ كَانَ رِبَاطُنَا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ - كَلَّاهَا اللَّهُ - بَعْدَ إِجْمَاعِهَا مِنَ التَّوْحِيدِ عَلَى كَلِمَةِ السَّوَاءِ، وَاسْتِقَامَةِ الْأُمُورِ بِهَا بَعْدَ اغْوِجَاجِهَا وَأَمْنِهَا⁽¹⁾ عَلَى سَمْتِ الْإِسْتِوَاءِ، وَمَا أَلَفَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ السَّعِيدَةِ مِنَ الْقُلُوبِ وَجَمَعَ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَدَأَّبَنَا فِي إِعْمَالِ نَظَرٍ وَإِطَالَةٍ تَأَمُّلٍ وَإِدَارَةٍ مَحَالَّةٍ فِي مَا فِيهِ حَسْمٌ دَائِئِهَا، وَاجْتِيَاحٌ أَعْدَائِهَا وَبِمُقْتَضَى ذَلِكَ تُحْفَلُ فِي امْتِدَادِ الْجُنُودِ، وَاسْتِظْهَرَهُ عَلَى الْمَرَامِ الْمَقْصُودِ، وَجُمِعَ إِلَى وَفِّتِ الْغَزْوِ الْمَعْهُودِ، وَالرُّعْبُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ يَصْرَعُ الْأَقْتَالَ، وَيَكْفِي الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، وَجُنُودُ اللَّهِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ⁽²⁾ تَفْعَلُ فِي عُدَاتِهِ الْأَفْعَالِ، وَتَعْمَلُ فِيهِمُ الْأَعْمَالِ، إِلَى

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾. سورة طه، الآية: 104.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾. سورة المدثر، الآية: 31.



أَنْ تَسَابَقَتْ وَتَلَا حَقَّتْ وَفُودُ الرُّومِ لِبَاسِ اللَّهِ رَاهِبِينَ، وَفِي أَخْذِ حَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ أَهْلِ دِينِهِ رَاغِبِينَ، قَدْ بَخَعُوا⁽¹⁾ بِالضَّرَاعَةِ، وَتَدَوَّخُوا بِالذَّلَّةِ وَتَيَاسُوبَابِ الصَّغَارِ، وَخَلَعُوا حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ خَلَعَ الْحِذَاءِ، وَنَزَعُوا عَنِ الزَّعْمِ إِلَى الْاسْتِكَانَةِ وَالْاسْتِقْذَاءِ. وَكَانَ أَوَّلُهُمْ فِي ذَلِكَ مَلِكٌ «بُرْتُقَال» وَنَصَارَى الْغَرْبِ بِأَذْلِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الطُّوعَ بِرَدِّ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ، وَشُرُوطَ أَعْطَوْهَا مُسْلِمِينَ مُسْتَسْلِمِينَ، وَتَمَسَّكَ ابْنُ السُّلَيْطِينَ الْمُسَمَّى فِرَّانْدُو⁽²⁾ بِعَهْدٍ مِمَّا كَانَ بُلْتُ بِهِ يَدَاهُ، وَرَأَى أَنَّهُ اسْتَضَرَفَ بِهِ رِذَاهُ، ثُمَّ رَدَفَتْ ضَرَاعَةُ مَلِكِ طَلَيْطَلَةَ وَمَا وَالَاهَا وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنْ رُومِ الْجَزِيرَةِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ تَأْكُدِ فُرْقَةٍ وَشَتَاتٍ، وَاخْتِلَافٍ فِي ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَانْبِتَاتٍ، فَجَاءُوا مُتَطَارِحِينَ مُتَفَائِلِينَ مُفْصِحِينَ بِأَنَّ الْأَضْطِرَارَ أَجَاءَهُمْ، وَأَنَّ التَّامِيلَ فِي سَعَةِ فَضْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ بَعَثَ رَجَاءَهُمْ، وَذَاكِرِينَ أَنَّ لَهُمْ فِي الْخِدْمَةِ الْمَنَابَ الْحَمِيدَ، وَالْغَنَاءَ الشَّدِيدَ، وَأَنَّهُمْ يَتَضَمَّنُونَ حِفْظَ مَا بَيْنَ بَطْلْيُوسَ إِلَى قَاصِيَةِ تُغُورِ مُرْسِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَيَخْتَدِمُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي ذَلِكَ بِأَجْهِدِ الْاسْتِخْدَامِ، آيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَتْ الْأَوْهَامُ تُسَوِّغُهَا، وَالْأَمَالُ تُبَلِّغُهَا، فَوَقَعَتِ الْمَذَاكِرَةُ فِي ذَلِكُمْ وَالْمُفَاوِضَةُ مَعَ شُبُوحِ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَانَهُمُ اللَّهُ - وَنُظِرَ بِحَسَبِ النَّصَبِ حَالُ الْجَزِيرَةِ - كَلَاهَا اللَّهُ - وَضَعْفُ أَطْرَافِهَا، وَاسْتِيلَاءُ الضَّنْكِ وَالْأَزْلِ عَلَى تُغُورِهَا، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ السَّعِيدَةُ فِي إِغَاثَةِ مُسْتَضْرِحِيهَا وَجَبَرِ مُضْطَهَدِيهَا، فَوَضَحَ وَبَانَ أَنَّ تَلَكُّمُ الْأَطْرَافِ - مَهَّذَا اللَّهُ - يُحْتَاجُ إِلَى جَبْرِهَا وَمَا يُعْمَرُ بِهِ خَرَابُهَا، وَيُسْكَنُ خَالِيهَا وَأَنَّهَا وَحَالَتُهَا تِلْكَ لَا تَحْمِلُ وَطْءَ الْجِيُوشِ الْحَافِلَةِ وَلَا يَتِمَكَّنُ بِمُناوَشَةِ الْعَدُوِّ صَلَاحُ أَحْوَالِهَا الْحَائِلَةِ، وَأَنَّهَا بِمُهَاذَنَةِ الْعَدُوِّ تَصْلُحُ وَذَلِكَ لِأَمْنِ مَسَالِكِ تِجَارَتِهَا، وَمُتَصَرِّفَاتِ عِمَارَتِهَا، وَالِاتِّسَاعِ فِي أَقْوَاتِهَا وَالتَّوَصُّلِ لِمَا تُخْرِجُ الْأَرْضُ مِنْ ثَمَرَاتِهَا، وَأَنَّهَا بِذَلِكَ يَتِمَكَّنُ بِنَاءُ مَعَاqِلِهَا، وَيَتَرْتَّبُ الدُّخُولُ إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ مِنْهَا وَتَتَكَنَّفُ أَعْدَادُ حُمَاتِهَا، وَيَعُودُ

(1) بَخَعُ: تَذَلُّلٌ وَأَطَاعٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَلِخَغٌ تُفْسِكُ﴾. سورة الكهف، الآية: 6.

(2) فِرَّانْدُو: هُوَ الْبِيُوجُ، وَيَعْرِفُ بِالْإِسْبَانِيَّةِ بِـ ELBABOS مَلِكُ لِيُونِ حَكَمَ سَنَةَ (1157 إِلَى 1188 م) (583 - 552 هـ).



إِلَيْهَا بِالْأَمْنِ رُوحُ حَيَاتِهَا، وَتَقَرَّرَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَنْجَحُ فِي عِلَاجِهَا وَالْأَوْقَعُ فِي مُدَاوَاتِهَا، وَنُظِرَ فِي أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْفَاتِ إِلَى الْمَصَالِحِ مِمَّا سَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاحِهِ لِلْمُشْرِكِينَ، عَلَى حِينِ أَنْكَرَ الْمُنْكَرُونَ، وَأَكْثَرَ فِي ذَلِكَ الْمُكْثِرُونَ، فَسَمَّاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَحًا مُبِينًا⁽¹⁾، وَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ تَمْكِينًا، وَأَظْهَرَ دِينَهُ الَّذِي اِزْتَضَاهُ دِينًا، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَزَادَهُمْ هُدًى وَيَقِينًا، وَكَفَى بِاللَّهِ هَادِيًا وَرَسُولَهُ عَلَى الْغَيْبِ أَمِينًا⁽²⁾.

وَلَمَّا ظَهَرَتْ -وَفَقَّكُمُ اللَّهُ- طَوَاهِرُ الْمَصْلَحَةِ، وَكَثُرَتْ دَوَاعِي الْإِصَابَةِ، وَأَصَاءُ وَجْهِ الرَّأْيِ وَشَهِدَ شَاهِدُ الشَّرْعِ، اسْتُخِيرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْقَبُولِ لِمَا ضَرَعَ فِيهِ الرُّومُ مِنْ ذَلِكَمْ وَبَخَعُوا بِهِ، وَعُقِدَ لِكُلِّ جِهَةٍ مِنْهُمْ الْعَهْدُ إِلَى مُدَدٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدَرُ مَا يَنْجَبُرُ فِيهَا مَا يَلِيهِ مِنَ الثُّغُورِ، وَيَتَسَقُّ فِيهَا نِظَامُ الْأُمُورِ، فَاسْتُثْمِرَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَمُ الْعَوَائِدُ، وَاسْتُجْزِلَتْ مِنْهُ الْفَوَائِدُ، وَانْبَثَّتْ فِي الْأَطْرَافِ حَيَاةُ السَّكَنِ وَالْأَمْنِ، وَعَظُمَ بِذَلِكَ مِقْدَارُ الْإِنْعَامِ وَالْمَنْ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رُومِ الْجَزِيرَةِ إِلَّا شِرْذِمَةٌ بِإِزَاءِ «بَلَنْسِيَّة» الْخَطْبُ فِيهَا بِحَوْلِ اللَّهِ يَسِيرٌ، وَاللَّهُ عَلَيْهَا ظَهِيرٌ، وَالْفَتْحُ فِيهَا قَرِيبٌ، وَالرَّأْيُ فِي قَطْعِ دَابِرِهَا وَاجْتِيَا حَ غَابِرِهَا مُصِيبٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

طَالَعْنَاكُمْ -وَفَقَّكُمُ اللَّهُ- بِهَذَا الْفَتْحِ الْكَرِيمِ أَنْرَهُ، الْحَمِيدُ خُبْرُهُ وَخَبْرُهُ، الْعَائِدُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْخَيْرِ الْعَامِّ التَّامِّ مُسْتَفَادُهُ وَمُسْتَثْمَرُهُ، لِنَنْظُرُوا إِلَى أَسْرَارِهِ وَحَمِيدِ آثَارِهِ بَعِيُونَ قُلُوبَكُمْ، وَتَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى صُنْعِهِ فِيهِ بِالْإِخْلَاصِ مِنْ سَرَائِرِكُمْ وَغُيُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ بِتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ، وَانْفِرَاجِ بَابِهِ، تَنْتَعِشُ الْجَزِيرَةُ -مَهَّدها اللَّهُ- بِعِمَارَةِ أَطْرَافِهَا، وَانْفَسَاحِ أَكْنَافِهَا، وَازْتِفَاعِ سَدَائِدِهَا، وَاتِّسَاعِ مَرَافِقِهَا وَمَرَافِدِهَا، وَأَمْرُ الْعَدُوِّ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْقَرُ، وَشَأْنُهُ أَصْغَرُ وَأَذْهَرُ، وَوَجْهُهُ الْاسْتِعْلَاءُ عَلَيْهِ وَالْاسْتِيْلَاءُ عَلَى مَا لَدَيْهِ أَجْلَى وَأَظْهَرُ، فَاسْتَبَشِّرُوا بِمَا اسْتَقْبَلَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْبَشَائِرِ السَّارَّةِ، وَالنَّعَمِ

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْيِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. سورة الفتح، الآيتان: 1-2.

(2) هذه العبارات كلها تمتع من القرآن الكريم.



الدَّارَةَ، وَبَيَّنُّوا مَوَاقِعَهَا الْكَرِيمَةَ، وَخَيْرَاتِهَا الْعَمِيمَةَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْعَلُكُمْ مِمَّنْ قَبِلَ الْبُشْرَى، وَيُسِّرَ لِلْيُسْرَى، وَيَكْتُبُكُمْ فِي الَّذِينَ لَهُمُ الْبُشْرَى⁽¹⁾ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَى، بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، لَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَا تَرْجُوا إِلَّا إِلَآهَهُ. وَالسَّلَامُ.

وَمَعْظُوفًا عَلَى مَا لِلْفَقِيهِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَضْلِ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَكَتَبَهُ أَيْضًا:

...فَالكِتَابُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْبَشَائِرِ مَا يُجَدِّدُ أَمَالَكُمْ وَأَمَانِيَكُمْ، وَيَعْمُرُ بِالْمَسَرَّاتِ الْمُسْتَمِرَّاتِ رُبُوعَكُمْ وَمَعَانِيَكُمْ.... يَتَقَلَّصُ ظِلُّهَا قَاصِيَكُمْ وَدَانِيَكُمْ - مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَ كِتَابُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ أَبْقَى اللَّهُ سَعَادَتَهَا وَأَكْمَلَ فِي إِعْزَازِ الْإِيمَانِ إِرَادَتَهَا، تَنْطِقُ عَمَّا سَنَى اللَّهُ تَعَالَى لِحِزْبِهِ الْمُوَحِّدِينَ أَوْلِيَاءِ حَضْرَتِهَا وَخُدَمَائِهَا.... يَخْتَبِطُ فِي هَوَاهُ، الْمُعَذَّبُ فِي دُنْيَاهُ وَأَخْرَاهُ، شَقِيٌّ مَيُورَقَةٌ - أَحَانَهُ اللَّهُ - عَلَى حَسَبِ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنَ [الْأَنْبَاءِ]⁽²⁾ الْمَنْقُولَةِ إِلَيْكُمْ الطَّالِعَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لِسَمَاعِهَا بِأَذْهَانٍ حَاضِرَةٍ، وَنُفُوسٍ [مُتَطَلِّعَةٍ وَعُيُونٍ سَاهِرَةٍ]⁽³⁾، وَأَصِيحُوا إِلَى مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ مِنْ آيَاتِهَا إِصَاخَةً تَجْمَعُ لَكُمْ بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاجْتَهِدُوا [فِي إِرْضَاءِ الْأَمِيرِ]⁽⁴⁾ الْمُرْتَضَى، وَسَيْفِهِ الْمُتَّصِلِ الْمُتَّضَى، فَطَالَ مَا أَسْهَرَ جَفْنَهُ لِيُنِيمَكُمْ، وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ لِيُكْمَلَ رَاحَتُكُمْ⁽⁵⁾..... وَلَا عَزِيزَ إِلَّا مَنْ أَعَزَّهُ اللَّهُ، وَلَا ذَلِيلَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى [يَحْمِلُكُمْ عَلَى] سَنَنِ هُدَاهُ، وَهُوَ يَجْمَعُ قُلُوبَكُمْ عَلَى تَقْوَاهُ، بِمَنْهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

(1) في هذه العبارات نفس قرآني.

(2) خرم بالأصل.

(3) خرم بالأصل.

(4) خرم بالأصل.

(5) بتر في الأصل بمقدار ثلاثة أسطر بسبب الرطوبة وتآكل الأوراق.



وَبَعْدَ مَا لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ عَمْرِو رَحْمَةُ اللَّهِ وَمِنْ إِنْشَاءِ الْفَقِيهِ الْأَدِيبِ الْكَاتِبِ
الْحَسْبِ الْحَمِيدِ الْأَوْصَافِ الْمَشْكُورِ التَّحْقِيقِ وَالْإِنْصَافِ السَّابِقِ فِي حَلْبَةِ الْعُقَلَاءِ
الْمُقَدَّمِ فِي عَلَيْهِ الْإِخْوَانِ الْفُضَّلَاءِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَيْسَى أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ.

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْخِلَافِيَّةُ الْمُعَظَّمَةُ الْعَلِيَّةُ الطَّاهِرَةُ الْقُدْسِيَّةُ الْهَادِيَّةُ الْمَهْدِيَّةُ، السَّنِيَّةُ
السَّنِيَّةُ، حَضْرَةُ الْخِلَافَةِ، وَمَقَرَّ الْفَضْلِ الْبَاهِرِ وَالْإِنَافَةِ، وَغِيَاثِ الْأَنَامِ، وَمُعْتَمَدِ
الْإِسْلَامِ، حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَسَ اللَّهُ جَلَالَهَا وَكَمَالَهَا، وَأَبْقَى بِهَجَّتِهَا وَجَمَالَهَا، وَهَنَّا
الْإِسْلَامَ مَا حَوَّلَهَا مِنَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ وَأَنَالَهَا، مَمَالِكُ طَاعَتِهَا، الْمُتَقَلِّبُونَ فِي سَابِغِ
نِعْمَتِهَا، الرَّائِعُونَ فِي ظِلَالِ أَمْنِهَا، وَالْمُتَنَعِّمُونَ فِي بَرَكَاتِ خِلَافَتِهَا السَّعِيدَةِ وَيُؤْمِنُهَا،
وَالْمُتَضَرِّعُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَصْرِ أَعْلَامِهَا، وَدَوَامِ أَيَّامِهَا، وَإِمْضَاءِ مُرَادِهَا فِي مَنْ
عَانَدَ وَإِحْكَامِهَا، عَيْدُهَا وَأَنْشَاؤُهَا الْطَلَبَةُ الَّذِينَ بِأَسْبِيلِيَّةِ، سَلَامٌ كَرِيمٌ عَمِيمٌ عَلَى
حَضْرَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا، وَعِصْمَةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَبَرَ بِأَمْرِكُمْ صَدْعَ الْإِسْلَامِ، وَأَبْقَاهُ مُخْلَدًا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامِ، وَجَعَلَ التَّمَسُّكَ بِهِ سَبَبًا لِلنَّجَاةِ وَالْفَوْزِ بِدَارِ السَّلَامِ، وَحَكَمَ فِي مَنْ عَانَدَهُ أَوْ
بَاعَدَهُ مِيلَ السَّمْهَرِيِّ وَجَوْرِ الْحُسَامِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ خَيْرَ الْأَنَامِ وَمُيِّدِ
الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا⁽¹⁾ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾⁽²⁾. فَبَيْنَ شَرَائِعِهِ، وَحَفِظَ وَدَائِعِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ نَاطِمِ شَمْلِ الدِّينِ
أَحْسَنَ نِظَامِ، وَمُعَزِّهِ بَعْدَ الصُّنْمِ وَالْإِهْتِصَامِ، مُبِيرِ الْبُعَاةِ، وَقَامِعِ الطُّغَاةِ، النَّاطِقِ
بِالْحِكْمَةِ، وَالْمُؤَيَّدِ بِالْعِصْمَةِ فِي النُّقْضِ وَالْإِبْرَامِ، السَّابِقِ الْعَزْمِ، الْمُوَصِّلِ لِلْحَزْمِ، فِي
تَطْهِيرِ الْبِلَادِ وَإِرَاحَةِ الْعِبَادِ مِنْ رِجْسِ أَهْلِ اللَّثَامِ، وَتَنْزِيهِهِ الشَّرِيعَةِ عَنْ تَحْكُمِ الطُّغَاةِ

(1) من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. سورة سبأ، الآية: 28.

(2) من سورة الأحزاب الآية: 46.



وَاللَّتَّامَ، وَعَنْ خُلَفَائِهِ [الرَّاشِدِينَ] الْمُرْشِدِينَ فِي كُلِّ مَرَامٍ، الْمُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِهِ أَشَدَّ
اعْتِصَامًا، الْمُبْلَغِينَ سُنَّهَ وَسُنَّهَهُ إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ [وَالدُّعَاءَ] لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا
الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [دُعَاءَ تَحَارٍّ] فِيهِ الْأَوْهَامُ، وَتَعْجُزٌ عَنْ إِذْرَاكِهِ الْأَفْهَامُ، وَتُسْتَبْقَى لِلْعَالَمِ
بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ [صَفْحَةً] زِمَامِهِ وَتُسْتَدَامُ، [فَكْتَبْنَاهُ كَتَبَ] اللَّهُ لَهَا مِنْ مُسَاعَدَةِ الْقَدَرِ،
وَتَأْيِيدِ جَمِيعِ مُحَاوَلَاتِهَا الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ، وَمَا يَتَكَفَّلُ لَهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَلَاتِهَا وَكَافَّةً
مُتَصَرِّفَاتِهَا فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، وَتَعْجِيلِ الْمُرْتَقَبِ فِي أَعْدَائِهَا وَالْمُنْتَظَرِ، مِنْ إَشْبِيلِيَّةِ الَّتِي
اهْتَزَّتْ أَعْطَافُهَا اِزْتِيَاحًا، وَعَادَ لَيْلُهَا [الْبَهِيمُ صَبَاحًا]، وَكَادَتْ تَطِيرُ مِنَ الْجَذَلِ لَوْ
أُعِيرَتْ جَنَاحًا، وَأَمْرُكُمْ الرُّكْنُ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ، وَبِهِ الْيُمْنُ [وَالْإِقْبَالُ
وَالْأَمَانُ]، وَفِي الْاِزْتِبَاطِ بِمَحَبَّتِهِ وَالتَّمَسُّكِ بِطَاعَتِهِ الْإِسْرَارُ وَالْإِعْلَانُ، وَاللَّهُ الْمُعِينُ
وَالْمُرْشِدُ، وَالْمَوْفُقُ الْمُسْعِدُ، [لَا رَبَّ سِوَاهُ يُحْمَدُ، عَلَيْهِ] الْمُعْوَلُ وَإِلَيْهِ يُضْمَدُ.

وَبَعْدُ وَصُولِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، الصَّادِرِ عَنْ مَحَلِّ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ، يُبَشِّرُ بِتَنْعَمِ
الْحَضْرَةِ فِي ظِلَالِ أَفْيَاقِهَا، الْمُكْتَنَفَةِ بِأَنْوَارِ الْخِلَافَةِ السَّعِيدَةِ وَأَضْوَائِهَا، وَبَشَائِرِ الْخِلَافَةِ
السَّعِيدَةِ قَدْ جَدَّدَتْ مَوَاسِمَهَا وَأَعْيَادَهَا، [وَتَنَائِجُ الْبَيْعَةِ الْمُؤَيَّدَةِ السَّعِيدَةِ] قَدْ أَضْحَكَتْ
مَبَاهِجَهَا وَحَلَّتْ أَجْيَادَهَا، وَمَيَّامُنُ أَيَّامِهَا، وَسَوَابِغُ إِنْعَامِهَا، قَدْ أَلْقَتْ فِي أَيْدِي مَحَبَّتِهَا
أَزِمَّةَ الْقُلُوبِ فَأَعْطَتْهَا قِيَادَهَا، وَبَرَاهِينُ السَّعْدِ قَدْ أَطْلَعَتْ مِنْ كَوَاكِبِ النَّصْرِ عَلَى مَرَاقِبِ
الْبَصْرِ نِيرَهَا وَوَقَّادَهَا، وَنَوَّرَتْ كَافَّةَ الْبَصَائِرِ، بِمَا لَهَا مِنْ حُسْنِ الْعَوَاقِبِ وَالْمَصَائِرِ،
فَأَكَّدَتْ يَقِينَهَا وَاعْتِقَادَهَا، وَالْبَرَكَاتُ الْعَمِيمَةُ وَالْإِلْتِفَاتَاتُ الْكَرِيمَةُ قَدْ عَجَزَتْ الْأُمَّةُ عَنْ
شُكْرِهَا وَلَوْ اتَّخَذَتْ الْأَشْجَارُ أَقْلَامَهَا وَالْبَحَارُ مِدَادَهَا⁽¹⁾، فَالذَّهْرُ تَعَلَّلَ صَفْحَاتُهُ بِشُرَا،
وَالْجَوُّ تَتَضَوَّعُ نَفْحَاتُهُ نَشْرًا، وَالْفَرْحُ يَحْشُرُ النَّاسَ لِلتَّحَدُّثِ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فِي كُلِّ جِهَةٍ
حَشْرًا، وَكُلُّ نَفْسٍ مُؤْمِنَةٍ قَدْ بَلَغَتْ مُنَاهَا، وَنَالَتْ غِنَاءَهَا وَغِنَاهَا، وَأَشْرَقَ لَهَا ضَوْؤُ
السَّعَادَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَسَنَاهَا، وَشَعُرَتْ بِأَسْرَارِ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَفَهِمَتْ مَعْنَاهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(1) نفس قرآني مستمد من آية مشهورة على الألسنة.



رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي لَا يَحْصُرُهَا الْعَدُّ، وَلَا يَضْبِطُهَا الْحَدُّ، حَمْدًا يُكْرِمُ
مَثْوَاهَا وَيَقْرِئُهَا حَقَّ قِرَاهَا، وَيُحْمَدُ بَعْدَ تَبْلُجِ صَبَاحِ الْمَزِيدِ وَتَأَرُّجِ نَشْرِ الصُّنْعِ الْجَدِيدِ
سَيْرُ رُكَّائِهِ وَسُرَاهَا⁽¹⁾، وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَتُهَا - [الْمُشْتَمِلُ] عَلَى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ مِنْ
النَّصِيحَةِ فِي خِدْمَتِهَا - كِتَابُهَا الْمُعْظَمُ الْكَرِيمُ الَّذِي أَعَزَّ الدِّينَ وَجَدَّدَ الْإِيمَانَ، وَحَقَّقَ...
... حُلَى عَلَى مِنْصَةِ السُّعُودِ، الصَّادِقَةَ بِنَصِّ الْوُعُودِ، السَّابِقَةَ عُرُوسَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ،
وَجَاءَ بِهِ الصُّنْعُ الْمُكْمَلُ الَّذِي يَبْهَرُ كَمَالُهُ فِي أَوْفَقِ سَاعَةٍ مِنَ الْجُمُعَةِ وَأَفْضَلِ حِينِ،
مُضْمِنًا مَا صَنَعَ اللَّهُ لِأَمْرِهَا الْعَزِيزِ فِي قَتْلِ الشَّقِيئِ وَتَقْتِيلِ أَشْيَاعِهِ مِنَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ، وَمَا
عَرَفَهَا فِي ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِ التَّيْسِيرِ وَعَجَائِبِ التَّنْهِيلِ، الْجَارِيَةِ [عَلَى تَعَلُّقِ عِبِيدِهَا]
الْمُوحِّدِينَ بِالْوَاحِدِ الَّذِي أَعْلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَجَعَلَ مَالَ أَعَادِيهَا، وَمَصِيرَ مُنَاوِيهَا
وَمُحَادِيهَا الْحَيْنَ الْعَتِيدِ، فَهَزَّ الْأَرْضَ بِهَذَا النَّبَأِ السَّارِّ طَرَبًا، وَأَنْطَقَ بِالْإِقْرَارِ بِعِزَّةِ
هَذَا الْأَمْرِ عَجَمًا مِنَ الْأُمَمِ [وَعَرَبًا، وَأَذَاقَ جُمُوعَ] النُّصْرَانِيَّةِ رَغَبًا وَرَهَبًا، فَقَالَتْ
بِلِسَانِ الْحَقِّ ﴿لَسْتُ نَعْجِزُ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَسْتُ نَعْجِزُهُ هَرَبًا﴾⁽²⁾، وَأَنْحَشَرَ الْبَعِيدُ
وَالْقَرِيبُ، فَلِلَّهِ يَوْمُهَا الْعَجِيبُ، لَقَدْ سَبَّتْ فِيهِ بِبَهْجَةِ بَشَارَتِهِ الشَّيْبُ، وَخُلِعَ عَلَى الْأَرْضِ
بُرْدُهَا [الْقَشِيبُ]، وَأَنْطَقَ الْأَلْسِنَةُ [فَكُلُّ أَمْرٍ] فِي مَقَامِهِ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى سَعْدِ إِمَامِهِ
خَطِيبُ، وَلَقَدْ عَمَّتِ الْأَفْنِيَّةُ ... وَحَوْلَهَا الْأَبْنِيَّةُ مِنَ الْجَامِعِ الْكَرِيمِ وَقَالَ كُلُّ سَامِعٍ إِلَيْهِ
وَمُتَقَاطِرٍ عَلَيْهِ هَاهُنَا حَيَاتِي الْبَاقِيَّةُ ... بِمَخْضَرِ ذَلِكَ الْجَمْعِ الْوَافِرِ، وَالسُّرُورِ السَّافِرِ،
[فَلَا يَسْمَعُ الْمَرْءُ بِإِزَاءِ كُلِّ لَفْظَةٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمُعْظَمِ إِلَّا صَحِيحَ تَرْدِيدِ هَتَافَاتٍ، وَلَمْ
يَخْلُ نَفْسُهُ إِلَّا بَيْنَ الْحَجِيجِ فِي عَرَفَاتٍ، شَمِلَهُمُ الْفَرَحُ وَعَمَّهُمُ، وَصَيَّرَهُمْ فِي أَحْفَلِ جَمْعٍ
[وَلَمَّهُمْ]، [جَعَلَ اللَّهُ لِهَذَا الْأَمْرِ] الْعَزِيزِ عُقْبَى الدَّارِ، وَعُلُوَّ الْكَلِمَةِ فِي الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ،
وَإِنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ الْعَزِيزِ لِلْأَنْصَارِ وَمَنْ لَهُ الْحُكْمُ وَالْمَخْصُوصُ بِالْبَسْطَةِ وَالْإِقْتِدَارِ، وَأَنَّ مَنْ

(1) فيه نظر إلى المثل العربي: «عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ». مجمع الأمثال.

(2) من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّاهُ أَنْ لَسْتُ نَعْجِزُ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَسْتُ نَعْجِزُهُ هَرَبًا﴾. سورة الجن، الآية:



أَطَاعَهُ فَلَهُ فِي الدَّارَيْنِ [جَزَاءُ] الْأَبْرَارِ، وَمَنْ [عَصَاهُ أَحَلَّهُ اللَّهُ دَارَ] الْبَوَارِ، فَهَذَا فِي الْأَعْلَى مِنْ شُرَفَاتِ الْأَسْوَارِ، وَهَذَا فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ. وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ الْكَاتِبِ الْأَدِيبِ الْمَاجِدِ الْحَسِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَامِدٍ:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْقُدْسِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ الْعَلِيَّةُ مَهْبِطُ الرَّحْمَةِ، وَمَلْجَأُ الْأُمَّةِ وَمَعْدِنُ الْبَرَكَةِ، حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَلَّ اللَّهُ تَأْيِيدَهَا وَسَعَادَتَهَا، تَهَيْبُ بِالْأَمَالِ فَتُلَبِّيْهَا مُطِيعَةً سَامِعَةً، وَتَتَكَفَّلُ لَهَا بِالنَّصْرِ الرَّبَّانِيِّ فَتَسْتَوِي لَدَيْهَا الْمَآخِذُ الدَّائِنَةُ وَالْمَرَامِي الشَّاسِعَةُ، وَتُبَيِّرُ مِنْ مَكَامِنِهَا سَوَاكِنَ الْفُتُوحَاتِ وَالسُّيُوفِ فِي خَلَلِهَا وَادِعَةً، وَتُنْهَضُ بِمَا قَلَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَعْبَاءِ خِلَافَتِهِ قَائِمَةً بِالْحَقِّ صَادِعَةً، قَادِعَةً أُتُوفَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْفَسَادِ جَادِعَةً، دَامِعَةً كُلَّ مَنْ عَانَدَ أَمْرَهَا الْعَالِي قَامِعَةً، وَلَا زَالَتْ بَرَكَاتُهَا عَلَى عِبِيدِهَا أَنْوَاءَ هَامِيعَةٍ وَأَنْوَارَ سَاطِعَةٍ، عَيْدُهَا الْحَائِزُونَ بِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لَهَا شَرَفِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، الْمُتَفَيِّضُونَ ظِلَالَ طَاعَتِهَا الْمُخْرِجَةِ، إِلَى النُّورِ مِنَ الظُّلُمَاتِ، الْمُهْطِعُونَ إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنْ رِضَاها صَادِقِي النِّيَّاتِ وَالْعَزَمَاتِ، اللَّائِذُونَ بِحَرَمِهَا لِيَاذِ الْهَذْيِ بِمَقَامِهَا السَّامِيِّ عِنْدَ اغْتِلَاجِ الشُّبُهَاتِ الْمُظْلِمَاتِ، الْفَارِجُونَ بِبِرْكَةِ الْإِنْتِمَاءِ إِلَى رِقِّ وَلَائِهَا مُبْهِمَاتِ الْأَزْمَاتِ: مَمَالِيكَ مَقَامِهَا وَأَرْقَاءُ إِحْسَانِهَا سَلَامٌ كَرِيمٌ عَمِيمٌ عَلَى الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ. وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي رَفَعَ مَنَارَ الْحَقِّ عَلَى أَيْدِي أَوْلِيَاءِ أَمْرِهِ الْعَالِي فَظَهَرَ، وَتَكَفَّلَ بِحِفْظِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ فَلَا يَضُرُّهُ [مَنْ بَدَّلَهُ] أَسْرًا أَوْ جَهْرًا، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ مِنْ أَجْنِبَاتِهِ بِمَا غَلَبَ وَبَهَرَ، [وَرَقَّاهُ مِنْ مَعَارِجِ اخْتِصَاصِهِ] حَيْثُ يَنْقَطِعُ دُونَهُ كُلُّ أَبْهَرٍ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الَّذِي سَلَّ سِنْفَ الْهِدَايَةِ وَشَهَرَ، وَقَمَعَ الزَّيْغَ وَالْبَاطِلَ وَظَهَرَ، وَأَطْفَأَ نَارَ الْفِتْنَةِ بَعْدَ أَنْ صَحَّدَ الْأُمَّةَ لَفْحُهَا وَصَهَرَ، وَأَحْلَاهُمْ بِدَعْوَتِهِ الْمُنْجِيَّةِ وَكَفَالَتِهِ الْوَاسِعَةِ مَعَ ﴿الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ



وَنَهَرٍ⁽¹⁾. وَعَنِ الْأَئِمَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ أَعْلَامَ الطَّهَارَةِ وَالْهُدَى، وَمُتَّبِعِي سَنَنِهِ الْأَلْحَبِ الْأَهْدَى، وَمُقْتَسِبِي أَنْوَارِهِ الَّتِي مَلَأَتِ الْبَسِيطَةَ مَجْدًا وَوَهْدًا، فَتَلَأُلًا بِهِمْ الزَّمَانُ وَزَهَرَ، وَهَجَعَ فِي كَنْفِ عَذْلِهِمْ مِلءٌ عَيْنِيهِ وَقَدْ [نَحَلْنَا] لَطُولِ السَّهَرِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَادَاتِنَا الْأَئِمَّةِ الْخُلَفَاءِ [أُمَرَاءِ] الْمُؤْمِنِينَ بِنُورِ تَسِيرُ تَحْتَ لَوَائِهِ الْأَقْدَارِ، وَيُقْضَى لَهُ [بِالْفَوْزِ] فِي هَذِهِ الدَّارِ وَتِلْكَ الدَّارِ، وَتُنَادِيهِ [الْفُتُوحَاتُ] بِاللُّسَنِ الْبَشَائِرِ، بَدَارِ بَدَارٍ، فَتَعَاجَلُ أَنْ يُسْتَعَدَّ لَهَا وَيُسْتَظْهَرُ أَوْ يُسَدَّدَ نَحْوَهَا خَطِيئِي أَوْ يُعْطَفَ لَهَا أَبْهَرُ.

فَكَتَبَ عَبِيدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ كَتَبَ اللَّهُ لِمَقَامِهَا مِنْ ظَفَرِ الْفَيَالِقِ وَنَضْرِ الْأَعْلَامِ، مَا تَضِيْقُ عَنْ وَصْفِهِ بَطُونُ الْمَهَارِقِ وَتَكِلُّ عَنْهُ أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ، وَتَكْفُلُ لِعِزِّهَا [مَا يَجْدُعُ] أَنْوَفَ الشُّرُكِ رَاغِمُهُ، وَيَفْتَرِسَ فِي عَرِيْسِهِ ضَرَاغِمُهُ، وَيَعْمَرُ خَيْلًا وَمَنَالًا مَرَاقِبَهُ وَمَرَاقِدَهُ، وَيَنْشُرُ أَلْوِيَةَ الْحِمَامِ تَحْتَ لَوَائِهِ وَالْأَجَالَ رَاقِدَهُ، وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ تُنَادِي عَبِيدَهَا وَتُرَاوِحُ لَا يَحْجُبُهَا [عَنِ السَّرَفِ]، وَتَلَأُلُوْ أَنْوَارِهَا لَا تُكِنُّهُ أَغْسَاقُ الشَّرَفِ، وَآيَاتُ آثَارِهَا لَا تَحْمِلُهَا أَوْرَاقُ الصُّحُفِ، وَمُتَعَرَّفُ عَوَارِفُهَا الْفَرَادَى وَالتَّوَامِ، وَيُؤْمِنُ مَقَامِهَا الْمُقَدَّسِ مُوضِعُ لَحِبَاتِ الْمَرَاشِدِ، حَاشِرُ شَوَارِدِ [مَنْ يُنَاوِيهِ] كُلُّ حَاشِدٍ، فَلَا يَضِلُّ مُسْتَمْسِكٌ بِهِدِيهِ [الزَّكِيِّ وَهَدْيِهِ] النَّاشِدِ، قَدْ أَبَانَ مَنَارَ الْحَقِّ لِمَنْ يَنْقَلِبُ فِيهِ أَيْ مُنْقَلَبِ، وَالسَّعَادَةُ الَّتِي مَا عَدَاهَا فَبَرَقَ خُلْبُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحَلَّ الْعَبِيدَ مِنْ خِدْمَةِ الْحَضْرَةِ الْمُطَهَّرَةِ بِحَيْثُ تَضَرَّخُ بِشُكْرِ آلَائِهَا، وَتَتَسَبَّبُ إِلَى رِقِّ وَلَائِهَا، فَإِنَّهَا مَنَّةٌ أَضْفَى اللَّهُ عَلَى الْعَبِيدِ [رُسُومًا مَا] لِنَصِّهَا تَأْوِيلَ، وَأُمْنِيَّةً لِأَقْلَامِ الشُّكْرِ فِي بُحُورِ مَوَاهِبِهَا سَبْحٌ طَوِيلٌ: فَحَسْبُ الْعَبِيدِ أَنْ يَقْرُوا بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ نِعْمَائِهَا، وَيَعْتَرِفُوا بِالتَّقْصِيرِ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ آلَائِهَا؛ وَإِلَى اللَّهِ يَضْرَعُ عَبِيدُهَا أَنْ يُجْرِيَ طَوْعَ إِرَادَتِهَا الْأَقْدَارِ، وَيَضْرِفَ وَفَقَ اخْتِيَارِهَا الْإِيرَادَ وَالْإِضْدَارَ، وَيُضْفِي عَلَى الزَّمَانِ

(1) من سورة القمر، الآية: 54.



بِإِيَّالَتِهَا الْمَهْدِيَّةَ أَسْنَى لِبَاسٍ، وَيُؤَيَّدَ بِنَصْرِ مُؤَزَّرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴿فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾⁽¹⁾، وَيَجْعَلْ نُورَهَا السَّاطِعَ بَاقِيًا فِي عَقِبِهَا لَا يُنْقِصُهُ كَثْرَةُ الْاِقْتِبَاسِ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعَ الْعَبِيدِ مِمَّنْ عَرَفَ بِهَذِهِ النِّعَمِ فَقَدَّرَهَا قَدَرَهَا، وَأَطْلَعَ فِي أَفْقِ الْإِخْلَاصِ بَذَرَهَا، وَقَابَلَهَا مِنَ الشُّكْرِ عَوْدًا عَلَى بَدْءِ بِمَا يَقْضِي لَهُ بِازْدِيَادِ الْحَظِّ وَيَحْكُمُ، تَصَدِّيقًا لِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾⁽²⁾.

وَأَنَّ الْعَبِيدَ لَمَّا وَصَلَهُمُ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ قَبْلُ، فَاجْتَلَوْا مِنْهُ، بَعْدَ لَثْمِ الْبَسْمَلَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالْعَلَامَةِ الْمَنْصُورَةِ مَا أَلْقَاهُ اللَّهُ فِي الرُّوْعِ الطَّاهِرِ، وَيَسَّرَ لَهُمُ الرَّأْيَ السَّعِيدَ، وَاقْتَضَاهُ الْأَمْرُ الْعَالِي مِنَ النَّظَرِ فِي أَشْغَالِ الْعَرَبِ الَّذِينَ بِهَذِهِ الْجِهَةِ وَمُبَاشَرَةِ أَحْوَالِهَا، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى مَا رَسَمَ مِنْ ذَلِكَ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ، تَضَرَّعَ الْعَبِيدُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُنْجِدَهُمْ وَيُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا يُحْظِي لَدَى الْحَضْرَةِ وَيُسِّرُ لَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْمُحَاوَلَةِ مَا يُزِلْفُ عِنْدَهَا وَيُذْنِي مِنْهَا، وَيُنْهَضُهُمْ إِلَى الْقِيَامِ بِأَعْبَاءِ خِدْمَتِهَا وَأَدَاءِ أَمَانَتِهَا، وَيُثَبِّتَ لَهُمْ رَسْمًا فِي دِيْوَانِ أَوْلِيَائِهَا، وَبَادَرُوا إِلَى امْتِثَالِ أَوْامِرِهَا الْعَالِيَةِ مُهْطِعِينَ مُطِيعِينَ، وَبَرَكَتِ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ تُرْشِدُهُمْ وَتُمِدُّهُمْ، وَالتَّزَامُ طَاعَتِهَا الْمُفْتَرَضَةَ نُورٌ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ. وَلَمَّا حَلَّ بِهَذَا الْمَوْضِعِ -عَمَرَهُ اللَّهُ- حَسَبَمَا تَقَدَّمَتْ بِهِ مُخَاطَبَةُ الْعَبِيدِ، شُرِعَ لِلْحَجِينِ فِي تَنْفِيذِ الْأَوْامِرِ السَّعِيدَةِ الْمُؤَسَّسِ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْشُورُهَا وَمَبْنَاهَا، الْمُسْتَنَدِ إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَيَتَكَفَّلُ بِصَلَاحِ الْمُسْلِمِينَ أُمَّتِهِ مَغْزَاهَا وَمَعْنَاهَا، الْمُؤَيَّدِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَبْدُوءُهَا وَمُنْتَهَاهَا، الْمَخْصُوصِ بِسَعَادَةِ الْجُمْهُورِ ظَاهِرُهَا وَفُحْوَاهَا، وَأُخْضِرَ لِدَلِكُمْ أَشْيَاخُ «جُشَم»⁽³⁾ مَعَ حِفَاطِهِمْ وَفَقْهِهِمُ اللَّهُ وَأُنْهِيَ إِلَيْهِمْ مَا تَلَقَّاهُ الْعَبِيدُ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فِي شَأْنِهِمْ، فَحَمِدُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ عَظِيمِ النِّعْمَةِ، وَجَزِيلِ الْمِنَّةِ، وَذَخَرَهُ لَهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ بِمُرُورِهِمْ عَلَى الْخَاطِرِ الطَّاهِرِ، وَذَكَرَاهُمْ لَدَيْهِ

(1) مقتبس من سورة البقرة، الآية: 176.

(2) مقتبس في من سورة إبراهيم، الآية: 9.

(3) ينظر في تقسيم الموحدين للطلبة والأشياخ والحفاظ وغيرهم في كتاب: «المن بالإمامة»، «الحلل الموشية» و«نظم الجمان».



وَاخْتَصَّاصِهِمْ بِهَذَا الِاعْتِنَاءِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي جَعَلَ مَصَالِحَهُمْ تُسْفِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدَّرُوا قَدْرَ مَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ وَأَنْعَمَ، وَتَلَقَّوْهُ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ سِوَاهُ كِفَاءً.... وَأَمَرُوا أَنْ يَكُونُوا مَعَ مَزَاوِرَتِهِمْ يَدًا وَاحِدَةً فِي مَا قُلَّدُوهُ، وَأَنْ يَتْرَكُوا الْهُوَيْنَى فِيمَا اعْتَمَدُوهُ، وَيُؤَلُّوا [الجلاد] عَلَى مُشْغَبِي أَوْبَاشِهِمْ وَذَنَابِ هِرَاشِهِمْ، وَأَنْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِمْ مَهَاوِي الْوَهَادِ، وَأَعَالِي الْجِبَالِ، [وَيَقْتَحِمُوا] عَلَيْهِمْ مَكَامِنَ الْأَسَاوِدِ وَأَغْيَالِ [الأساد]، وَأَنْ يَقْعُدُوا لَهُمْ بِكُلِّ مَرْصَدٍ⁽¹⁾، وَيَقْفُوا لَهُمْ عَلَى كُلِّ مَقْصَدٍ، وَيَفْتَحُوا [عَلَيْهِمْ لِفَتْكَاتِ] كُلِّ بَابٍ مُوصَدٍ، حَتَّى تَلْفِظَهُمُ الْبَيْدُ السَّمَالِيُّ، وَتَقْدِفَهُمُ الْجُرْدُ الشَّوَاهِقُ، وَتَنْقُطِعَ بِهِمُ السَّبُلُ الْفَوَارِقُ، فَمَنْ عَثَرَ بِهِ انْتِزَاؤُهُ، وَقُبِضَ عَلَيْهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ، وَمَنْ فَرَّ بِهِ أَجَلُهُ، وَانْطَبَقَ عَلَيْهِ مَجْهَلُهُ، [كُسِرَ] عَظْمُهُ لِاسْتِباحَةِ مَالِهِ كَسْرًا لَا يَرْجُوا لَهُ عَثْمًا⁽²⁾، وَأَصْبَحَ دَاخِلًا تَحْتَ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾⁽³⁾.

وَاسْتَنْفَرَ الْعَبِيدُ جَمِيعَ أَشْيَاحِ جُشَمٍ - أَنْجَدَهُمُ اللَّهُ - وَأَعْيَانِهِمْ لِيَتَعَاوَنُوا مَعَ مَزَاوِرَتِهِمْ عَلَى ... تَتَنَاوَلُهَا بِيضُ الْقَوَاصِبِ، وَتَنْقُصُ صُمْ الْأَنْبِيبِ، وَتَبَادَرُوا إِلَى الْمَوْضِعِ مَوَاقِبَ تَتَلَوُهَا مَوَاقِبَ، وَطَلَعُوا فِي أَفْقِ اجْتِهَادِهِمْ كَوَاكِبَ تَرْدِفُهَا كَوَاكِبَ، وَأَوْضَعُوا إِلَى مَا يَحْمَدُونَ فِيهِ بَرَكَةَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ طَرِيقَهُمُ الْمُثَلَّى وَوَتِيرَتَهُمْ، مُتَسَارِعِينَ إِلَى اسْتِئْصَالِ شَافَةِ ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾⁽⁴⁾ ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾⁽⁵⁾ وَنَهَدُوا صُحْبَةَ مَزَاوِرَتِهِمْ مَعَ مَنْ لَدَى الْعَبِيدِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - وَالْأَجْنَادِ، وَنُورِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ قَائِدُهُمْ، وَهَذَاهَا آيَةٌ سَلَكُوا رَائِدُهُمْ، وَبَرَكَتُهَا تَفْتَحُ لَهُمْ مُهَمَّاتِ الْمَغَالِقِ، وَتُسِّرُ لَهُمْ مَا تَعْجِزُ عَنْهُ أَشْتَاتُ الْكَتَائِبِ وَالْفِيَالِقِ، وَقَدْ كَانَتْ قَبِيلَةُ الْكُرَيْزِ مِنْ سُفْيَانٍ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْضَرُوهُمْ وَافْعَدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾. سورة التوبة، الآية: 5.

(2) العثم: إساءة الجبر حتى يبقى فيه أود كهينة المشش.

(3) من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ سورة آل عمران، الآية: 178.

(4) من قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. سورة المجادلة، الآية: 22.

(5) من نفس السورة والآية.



يَتَّصِلُ عَنْهَا مَا هُمْ عَلَيْهِ شِرَارُهُمْ مِنْ بَطَرٍ⁽¹⁾ النِّعْمَةِ، وَالتَّعَرُّضِ بِإِزْكَابِ الْجَرَائِمِ بِحُلُولِ النِّقْمَةِ، فَطَالَ مَا أَوْضَعُوا فِي مِيزَانِ الضَّلَالَةِ وَأَوْقَدُوا فِي مَجَاهِلِ الْجَهَالَةِ، قَدْ اسْتَهْوَاهُمْ شَيْطَانُهُمْ، وَاسْتَعْوَاهُمْ خِذْلَانُهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْغِيَّ وَإِنْ أَهْمَلَ مُجْتَنِّتُ فَرْعُهُ وَأَصْلُهُ، وَأَنَّ الْبَغْيَ وَإِنْ أَهْمَلَ مَمْحُوتُ نَوْعِهِ وَفَضْلُهُ، حَتَّى حَلَّ بِهِمْ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا أَمْسَكَ بِمُخَنَّقٍ تَنَفَّسِهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽²⁾ فَقَدَّمَ النَّظْرُ فِي تَطْهِيرِ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ أَذْنَابِهَا، وَغَسَلِهَا بِجَدَاوِلِ السُّيُوفِ مِنْ أَرْجَاسِهَا، وَجَعَلَ مُفْتَتِحَ الشُّغْلِ لِكُونِهَا لِرَأْسِ الْفَسَادِ مَسْقِطًا، وَلِحَرْبِ الضَّلَالِ مَاقِطًا، فَحَرَجَتِ الْجُمْلَةُ النَّاهِدَةُ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ وَرَّتْ عَنْهَا أَوَّلَ النَّهَارِ بِغَيْرِهَا، حَتَّى إِذَا أَضْفَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ نَنَّتْ إِلَيْهَا أَعْنَةً سَيْرِهَا، وَأَذْلَجَتْ إِلَيْهَا سَوَادَ لَيْلِهَا مَشْيَ الْعَصْفَرِ فِي حِمَى الْعَرِينِ، وَأَشْرَفُوا عَلَى حَلَالِهِمْ مَعَ الصَّبَاحِ ﴿بَسَاءَ صَبَاحِ الْمُنْذَرِينَ﴾⁽³⁾ فَتَشَطَّتْ قَنَاءُ شِقَاقِهِمْ شَقَقًا، وَسَقَطَتْ فِي أَيْدِي فِرْقِهِمْ فِرْقًا، وَاسْتَبِيحَ لَهُمْ حَرِيمٌ عَرَّضَتْهُ جَرَائِمُهُمْ أَنْ يُسْتَبَاحَ، وَتَشَاءُوا بِسُرَى ذَلِكَ الصَّبَاحِ⁽⁴⁾ وَلَوْ لَا ضَلَالُهُمْ لَحَمِدُوا سُرَى ذَلِكَ الصَّبَاحِ وَانْتَهَبَ جَمِيعُ مَا أُلْفِيَ لَهُمْ، وَنُسِبَ إِلَيْهِمْ، وَسَلَبُوا النِّعْمَةَ الَّتِي قَامَتْ بِهَا حُجَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ، وَقُبِضَ عَلَى فِتْنَتِهِمُ الْبَاغِيَةِ إِلَّا شَذَازًا مِنْهُمْ مَجَاهِلٌ، وَأَفْذَازًا أَسَافِلُ، هَامُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ [فَسَلَكُوا طَرِيقًا بِحَيْثُ] لَا يَسْلُكُهُ سَالِكٌ، وَلَقَطَّتْهُمْ الْمَهَامَةُ الْفَيْحُ إِلَى مَهَاوِي الْمَهَالِكِ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الْأَسْبَابُ فَقِيلَ هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ⁽⁵⁾، وَاسْتَوْصِلَ جَمِيعُ مَا لَهُمْ فَأُضْحَتْ مَعَالِمُهُمْ بِلَاقِعِ⁽⁶⁾ وَكَمْ كَانَتْ مَصَاقِعُ، يَمْرَحُونَ فِي ظِلَالِهَا وَيَرْتَعُونَ، ﴿فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ

(1) البطر: الطغيان في النعمة وطول الغنى، ومنه في الحديث: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا».

(2) مقتبس من سورة الرعد، الآية: 12.

(3) من سورة الصفات، الآية: 177.

(4) هذا عكس المثل المعروف: «عند الصباح يحمد القوم السرى».

(5) فيه نظر إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الْأَسْبَابُ﴾. سورة البقرة، الآية: 165.

(6) البلاقع: الأرض القفراء الخالية التي لا شيء، فيها قال رؤبة:

فَأُضْحَتْ دَارُهُمْ بِلَاقِعَا

وفي الحديث: «شر النساء السلفعة البلقعة».



فَإِذَا فَهَأَ اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ⁽¹⁾، وَلَا عِيَانِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَطْمَةِ الَّتِي حُطِمَتْهَا عَشَائِرُهُمُ الْأَثَرُ الْمَحْمُودُ، وَالْغَنَاءُ الْمَشْهُودُ، وَحَقٌّ لَهُمْ، فَقَدْ كَانَتْ جَرَائِمُ مُفْسِدِيهِمْ طَاطَاتٍ مِنْ رُؤُوسِهِمْ، وَسَاوَتْ فِي الْإِتْهَامِ بَيْنَ رَئِيسِهِمْ وَمَرْؤُوسِهِمْ، حَتَّى سَهَرَهُمُ الْإِنْتِقَادَ، وَجَلَا شُبْهَهُمْ مِنْ نُورِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ كَوَكَبٍ وَقَادَ، فَتَبَيَّنَ [الْجَهَامُ] مِنَ الصَّبِّ، وَمَيَّزَ اللّهُ تَعَالَى الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ⁽²⁾.

وَلَمَّا فُرِغَ مِنْ وَطْءِ هَذِهِ الشَّرِذْمَةِ الْبَاغِيَةِ، وَحَلَّ بِهِمْ مَا يَحُلُّ بِالْأَشْقِيَاءِ ﴿بِقَآخَذِهِمْ أَخَذَةَ رَابِيَةً﴾⁽³⁾، طَارَ الرُّعْبُ مَطَارَهُ بِقُلُوبِ ذَوِي التُّهَمِ، وَسُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ فَخَرُوا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ وَ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾⁽⁴⁾، سَوَاءُ التَّنَوُّفَةِ الْفَيْقَى⁽⁵⁾ وَالْمُشْمَخِرِ الْأَبْهَمِ، فَرَمَتْ بِهِمْ مَرَامِيهَا أَيْدِي الصَّغَارِ.... وَقَدْ فَتَهُمْ شُعُوبٌ فِي شِعَابِ كُلِّ مَتْنِيَّةٍ مَضْلَةٍ⁽⁶⁾، لَا جَرَمَ أَنَّ بَعْضَ عَوَفٍ مِنَ الْخُلَطِ أَيْضًا كَانَتْ قَدْ اسْتَوَلَتْ [عَلَيْهَا حَمَاقَتُهَا] وَانْتَهَتْ بِهَا فِي الشَّقَاوَةِ غَايَتُهَا، فَلَا يُصِيحُونَ إِلَى مَوْعِظَةٍ سَمْعًا، وَلَا يُبْشِرُونَ إِلَّا فِي مِيدَانِ جَهَالَةٍ [طَبْعًا] وَلَا [يَجْمَعُونَ] إِلَّا فِي نَيْدِي ضَلَالَةٍ جَمْعًا، وَلَمَّا تَمَرَّدَ شَيْطَانُهَا، وَامْتَدَّتْ فِي قَلْبِ عِصْيَانِهَا أَشْطَانُهَا [...] تِهَ] بِمَا لَا يَسْكُنُ لَهُ رَوْعٌ وَلَا خَبَلٌ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ، وَثَبِتَتْ وَقَصَدَ الْجُمْلَةُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللّهُ - مَعَ مَنْ أَنْصَافَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَجْنَادِ - أَنْجَدَهُمُ اللّهُ - قَصَدَهُمْ [فِي صَحْرَاءٍ] يَخُوضُونَ لُجَجَ غِيَابِهَا بِسُفْنِ الرِّكَائِبِ، وَيَهْتَدُونَ فِي مَجَاهِلِ حَنَادِسِهَا مِنْ نُورِ الْحَضْرَةِ بِالنَّجْمِ الثَّاقِبِ، وَهُمْ فِي مَهْمَةٍ قَفِيرٍ، وَنَقْنَفٍ صَفِيرٍ،

(1) سورة النحل، الآية : 112.

(2) من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾. سورة آل عمران، الآية : 179.

(3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَبَعْضُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ بِأَخَذِهِمْ بِأَخَذَةِ رَابِيَةٍ﴾. سورة الحاقة، الآية : 9.

(4) سورة التوبة، الآية : 119.

(5) الْفَيْقَى: تجمع على فياف وهي المفازة.

(6) التيه: المفازة يتاه فيها والجمع أتياء وأتاويه، وفلاة تيهاء وأرض تيه وتيهاء ومتيهة، ومتيهة، ومتيهة، ومتيهة مَضْلَةٍ، قال الشاعر:

يَنْوِي اشْتِقَاقًا فِي الصَّلَالِ الْمَتِيهِ



فَوَاصِلُوا السَّيْرَ بِالسَّرَى، وَأَحَالُوا عَلَيْهِ صُدُورَ [الْعَيْسِ] تَنْفُخٍ فِي [الثَّرَى] ⁽¹⁾ إِلَى أَنْ حَلَّتِ
الشَّمْسُ كَيْدَ السَّمَاءِ وَتَوَسَّطَتْ دَرَجَةَ الْإِسْتِوَاءِ، فَهِيَ ﴿لَا إِلَى هَوَآءٍ وَلَا إِلَى
هَوَآءٍ﴾ ⁽²⁾ فَإِذَا شَرَارُ عَوْفٍ قَدْ نَذَرُوا بِهِمْ فَتَسَنَّمُوا بِجُمْلَتِهِمْ رُبَاوَةً ⁽³⁾، وَاسْتَلَّامُوا لِحِمَايَةِ
ذِمَارِهِمْ جَهَالَةً وَغَبَاوَةً، وَنَعَّمَهُمْ عَنْ مَسَارِحِهَا مَعْكُوفَةً، وَهَمَّمَهُمْ إِلَى الطَّعَانِ دُونَهَا
مَضْرُوفَةً، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ سَرَعَانُ الْخَيْلِ مِنْ عَشِيرَتِهِمْ لِيَخْضِدُوا شَوْكَةَ انْتِزَائِهِمْ،
وَيَكْتَسِحُوا مَا بِإَزَائِهِمْ، فَالْقَوْهُمْ قَدْ تَحَالَفُوا عَلَى الْبَسَالَةِ، فِي الْفَسَالَةِ، وَحَاكَمُوهُمْ إِلَى
الْبَيْضِ الْقَوَاصِبِ وَالشُّمْرِ الْعَسَالَةِ، وَشَيْطَانُهُمْ يُدْلِيهِمْ بِغُرُورٍ، فَلَا يَتَمَارُونَ ﴿فَلَمَّا
تَرَأَتْ إِلَيْهِمْ نَكَصَ عَلَى عَفْبِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرَحْتُ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ ⁽⁴⁾
فَلَا قَتْ هَبَّةٌ رِيحِهِمْ إِعْصَارًا، وَعَادَ تَعَاطِي جُرْأَتِهِمْ إِفْصَارًا، وَفَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ،
كَالْحُمْرِ الْمُسْتَفْرِقَةِ فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ ⁽⁵⁾ فَطَارَتْ بِهِمْ أَجْنِحَةُ أَجَالِهِمْ، وَنَجَتْ بِهِمْ مَنَجَى
الدُّثَّابِ شِعَابُ سَبَاسِيهِمْ وَرِمَالِهِمْ، قَدْ وَسَمَهُمُ الرُّعْبُ بِسِمَاتٍ يُحَلَّأُونَ بِهَا عَنْ
الْمَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ، وَتَلَفَّظُوهُمْ لَهَا صُدُورُ الْمَعَالِمِ إِلَى بَطُونِ الْمَجَاهِلِ، فَهُمْ أَمْوَاتُ
الْأَحْيَاءِ، وَعُنُونٌ بَاقٍ لِمَا مُجِي مِنْ صَحِيفَةِ الْأَشْقِيَاءِ، قَدْ اكْتَنَفَهُمُ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ فَلَوْ
اسْتَطَاعُوا لَانْبَغَوْا نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ⁽⁶⁾ فَسَلَبَ جَمِيعُ مَا أُلْفِيَ لَهُمْ
وَحَصَلَ عَلَى أَنْتَمِ الْإِسْتِيفَاءِ، إِلَّا مَا تَطْعَمُهُ أَتْبَاعُ الْمُوَحِّدِينَ وَخُدَّائِهِمْ، وَأُضِيفَ ذَلِكَ
إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ سَلَبِ الْكُرْنِزِ حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ بِهِ خِدْمَةُ الْعَبِيدِ قَبْلَهُ.

ثُمَّ أَخَذَتِ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ -أَعَزَّهُمُ اللَّهُ- وَمَنْ مَعَهُمْ فِي الْإِيَابِ إِلَى هَذَا
الْمَوْضِعِ، وَبَرَكَتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَةِ الْقُدْسِيَّةِ قَدْ مَلَأَتْ أَيْدِيَهُمْ، وَأَفْعَمَتْ بِالْخَيْرَاتِ

(1) في الأصل: كلمتان مأروضتان.

(2) سورة النساء، الآية: 142.

(3) الرُّبَاوَةُ والرُّبَاوَةُ والرُّبَاوَةُ: كل ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر:

عَلَوْنَ رُبَاوَةً وَهَبَطْنَ غَيْبًا فَلَمْ يَرْجِعْنَ قَائِلَةً لِحَسِينِ

(4) مقتبس من سورة الأنفال، الآية: 49.

(5) مقتبس من سورة المدثر، الآيتان: 49-50.

(6) مقتبس من سورة الأنعام، الآية: 36.



وَإِذِہُمْ، وَلَهُمْ مِنْ نُورِہَا السَّاطِعِ فِى كُلِّ مَوْمَۃٍ قَائِدٌ وَذَلِیلٌ، وَفِی کَتَفِ سَعَادَتِہَا الْکَامِلَۃِ مُعَرَّسٌ وَمَقِیلٌ. وَتَعَرَّفَ الْعَبِیدُ مِنْ اجْتِهَادِ أَعْيَانِ الْعَرَبِ فِی ہَذِہِ الْمُحَاوَلِۃِ وَحُسْنِ الْغِنَآءِ، وَظُہُورِ الْجِدِّ وَبَذْلِ النَّصِیحِ مَا أَطْلَقَ لَهُمُ اللَّسَانُ بِالشُّکْرِ، وَعَرَفَهُمْ بِمَا لَهُمْ بِذَلِکَ لَدَى الْمَقَامِ الْإِمَامِیِّ الْمُقَدَّسِ مِنْ کَرِیمِ الصِّیْتِ وَجَمِیلِ الذِّکْرِ. وَلَمْ یَبْقَ بَعْدَ ہَذِہِ الشَّرِذْمَۃِ الَّتِی اسْتُوْصِلَتْ مِنْ «سُفِیَانٍ وَالْخُلَطَّ» لِشَرِّ مَشَعَبٍّ، وَلَا لِغَوَاِیَۃِ مَشَعَبٍّ، فَإِنَّہَا کَانَتْ شَوْکَۃُ الْفَسَادِ وَقَدْ خُضِدَتْ، وَدَاعِیَۃُ الضَّلَالِ وَقَدْ بُهَظَتْ -بِبَرَکَۃِ أَمْرِہِ الْعَالِی- وَاضْطَهَدَتْ، إِلَّا مَا یُکُونُ فِی سَائِرِ الْقَبَائِلِ مِنْ أَتْبَاعِ رَبِّمَا تَطَّرَقَ إِلَیْہُمْ اتِّہَامٌ، وَاحْتَمَلَ أَنْ یُکُونَ لَهُمْ بِإِفْتِرَافِ جَنَآیَۃِ الْإِمَامِ، فَضَمِنَ أَشْیَآخُہُمْ وَحَفَاطُہُمْ کَشْفَ أَحْوَالِہُمْ، وَالْحَاقِہِمْ بِأَمْثَالِہُمْ، وَنَهَضُوا لِذَلِکُمْ وَقَدْ عُیِّنَ لَهُمْ مِنَ الْأَجْنََادِ مَنْ یَسْتَعِیْنُونَ بِہِ وَعَزَائِمُہُمْ صَادِقَۃٌ، وَنِیَّاتُہُمْ فِی جِیدِ الْإِخْلَاصِ مُتَنَاسِقَۃٌ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَقَدْ قَضَوْا مَا تَوَجَّهُوا عَنْہُ وَقَبَضُوا عَلَى مَنْ عَثَرُوا عَلَیْہِ، وَاجْتَمَعَ لَدَى الْعَبِیدِ مِنْ شِرَارِہُمْ جُمْلَۃٌ عَوِجَلٍ بِمَشَاهِرِہُمْ، وَشُرِّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ، وَأَذِیقُوا وَبَالَ مَکْرِہُمْ⁽¹⁾ وَجَرَعُوا بِیَدِ الرَّدِّی کُؤُوسَ غَدْرِہُمْ.

وَلَمَّا شَمِلَ الْبَحْثُ جَمِیعَ ہَذِہِ الْقَبِیلَۃِ الْجُسَمِیَّۃِ بَطْنًا وَظُہْرًا، وَاسْتُكْشِفَتْ أَحْوَالُہُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، حَتَّى لَمْ یَبْقَ فِیْہَا مِنْ شُبْہَۃٍ مَجَالٍّ، وَلَا لِقَائِلِ مَکَانٍ رَوِیَۃٍ وَارْتِجَالٍّ، وَمِیزَ الْإِنْتِقَادِ عَامَّتْہَا فَخَلَصَتْ إِبْرِیزًا، وَامْتَحَنَ الْاِخْتِیَارَ أَعْيَانُہَا فِی ہَذِہِ الْمُحَاوَلِۃِ فَبَرَزُوا فِی مِیدَانِ الْمُنَاصَحَۃِ تَبْرِیزًا، وَتَصَفَّتْ مِنْ أَقْدَاءِ شِرَارِہُمْ، مَشَارِبُ غَمَارِہُمْ، أَمَرُوا بِالْإِنْتِقَالِ عَنْ جِہَاتٍ «تَامَسْنَا» إِلَى مَحَالِّہُمْ الْأَوَّلِ مِنْ بِلَادٍ تَاذَلِی، وَالْاِزْتِحَالِ بِجُمْلَتِہُمْ حَسْبَمَا افْتَضَاهُ الْأَمْرُ الْعَالِی -أَدَامَہُ اللہُ-، فَبَادَرُوا إِلَى ذَلِکَ وَأَسْرَعُوا لِامْتِثَالِ مَا أَمَرُوا بِہِ، وَرَحَلُوا عَنْ ہَذِہِ الْجِہَاتِ بِقُلُوبِہُمْ وَکَثْرِہُمْ، وَثَاغِیْتِہُمْ وَرَاغِیْتِہُمْ⁽²⁾، وَصَاحِلِہُمْ وَشَاحِجِہُمْ صُخْبَۃٌ حَقَّاطِہُمْ لَیْلُومُوا فِی حَلِہُمْ وَتَرَحَّلِہُمْ شَعَثُہُمْ، وَیَرُدُّوْا مُعْتَاثُہُمْ⁽³⁾ فَسَارُوا تَسِیْلَ بِہُمْ الْأَبَاطِیْحِ

(1) فیه نظر إلی قوله تعالى: ﴿أَلَمْ یَاتِیْکُمْ نَبَؤُا الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدَافُوا وَبَالَ أَمْرِہُمْ﴾. سورة التغابن، الآیۃ: 5.

(2) تقول العرب: ما له ثاغیة ولا راغیة أو ما له تاغ ولا راغ؛ الثاغیة للشاة، والراغیة للإبل.

(3) أى الذى أثار فى أرض عیثا وفسادا.



وَالرُّبَى، [وَتَقْدَفُ بِهِمْ] الْبَيْدَاءُ فَتَعْقِدُ رِعَانَ شَوَاهِقَهَا حُبًّا. وَبَرَكَتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ تَكْتَنِفُهُمْ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ، وَتُنْجِزُ لَهُمْ [مُواصَلَةَ الرَّغَائِبِ] وَالْأَمَالِ، وَتُرِيهِمْ النُّجَحَ فِي صِنْفِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ.

وَلَمَّا وَصَلُوا بِلَادَ تَادَلَى نَزَلُوا مِنْهَا بِمَوَاضِعِهِمْ قَدِيمًا فَهَدَأَتْ غَوْغَاؤُهُمْ، وَسَكَنَتْ دَهْمَاؤُهُمْ، وَاسْتَقَرَّتْ أَحْوَالُهُمْ، وَانْتَقَلَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ بَنِي جَابِرٍ - وَفَقَّهُمُ اللَّهُ - إِلَى جَهَةِ «تَاْفَرْدِيُون» وَنَزَحَ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ رَغِبَ انْتِقَالَ الْجُشَمِيِّينَ إِلَى هَذِهِ الْجِهَاتِ، أَمَرُوا بِالتَّخْلِصِ مِمَّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَبِيرَتِهِمْ أَهْلَ تَامَسْنَا مِنْ مَطَالِبِ الْمُعَامَلَاتِ، وَسَائِرِ التَّبَعَاتِ، حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُمْ تَشَبُّثٌ وَلَا عُلُقَةٌ، فَتَخْلَصَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَأَنْسَدَتْ بَيْنَهُمْ مُفْتَحَاتُ الْأَبْوَابِ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾⁽¹⁾ وَضَمِنَتْ طُرُقَ هَذِهِ الْجِهَاتِ - أَمَّنَهَا اللَّهُ - أَشْيَاخَ مَوَاضِعِهَا، وَقُطِعَتِ الْأَعْدَارُ بِكُتُبِ الْعُقُودِ عَلَيْهِمْ بِتَلْزِيمِهِمْ لَهُمْ وَأَخَذِهِمْ بِكُلِّ مَا يَطْرَأُ فِيهَا، وَرِضَاهُمْ بِذَلِكَ وَضَمَانِهِمْ لَهُ، فَانْتَشَرَ الْأَمْنُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِبَرَكَتِهِ النَّظَرِ الْإِمَامِيِّ السَّعِيدِ بِأَدَانِي هَذِهِ الْجِهَاتِ وَأَقَاصِيهَا، وَانْبَثَّتِ الدَّعَةُ فِي غِيْطَانِهَا وَصِيَاصِيهَا، وَاللَّهُ يُجَازِي الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ عَنْ عِيْدِهَا خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ أَئِمَّتَهُ الرَّاشِدِينَ، وَخُلَفَاءَهُ الْمُهْتَدِينَ بِمَنْهَ وَيُمْنِهِ.

وَإِنَّ أَعْيَانَ الْعَرَبِ مِنْ جُشَمٍ وَمَنْ حَضَرَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ أَعْيَانِ سَائِرِ هِلَالٍ⁽²⁾ لِمَا دَهَمَ عَشَائِرُهُمْ مِنْ هَذَا التَّمَحِيصِ مَا فِيهِ - بِبَرَكَتِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - سَبَبُ حَيَاتِهِمْ، وَخَامَرُهُمْ مِنَ الرُّغْبِ مَا هُوَ مُوجِبُ نَجَاتِهِمْ، وَأَصَابَهُمْ مِنَ الْاِخْتِيَاجِ مَا فِيهِ ثَرَاءُ أَمْوَالِهِمْ، وَأَشْرَبُوا مِنَ الْقَنْطِ مَا فِيهِ دَرَكُ أَصْلِهِمْ، رَغِبُوا فِي تَأْنِيسِ دَهْمَائِهِمْ، وَتَسْكِينِ رَوْعِ حُمَاتِهِمْ، وَتَلَا فِي بَاقِي دِمَائِهِمْ، بِأَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِمَا اعْتَادُوهُ مِنْ إِحْسَانِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ وَعَمِيمِ إِنْعَامِهَا، وَمَغْهُودِ إِفْضَالِهَا حَسْبَمَا أَلْفُوهُ مِنْ بَرَكَتِهَا وَعَهْدُوهُ مِنْ لُطْفِهَا وَحَنَانِهَا، لَتَتِمَّ النُّعْمَةُ بِذَلِكَ عَلَى جَمِيعِهِمْ، وَتَسْكُنَ لَهُ نُفُوسٌ كَافَتِهِمْ،

(1) سورة البقرة، الآية: 165.

(2) هلال: هو الجد الأعلى للأسر والقبائل التي استوطنت بلاد المغرب الأقصى من رباح والجشميين، ينظر: العبر لابن خلدون 6/ 27-28.



وَتَفِيضُ بِهِ الْمِنَّةُ عَلَى خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَلِيَكُونَ كَالْتَّبَاشِيرِ لِصُبْحِ الرِّضَا عَنْهُمْ، وَعُنُونًا لِجَمِيلِ الْغَرَضِ فِيهِمْ، وَدَلِيلًا عَلَى تَتِمُّمِ النُّعْمَةِ قِبَلَهُمْ. وَوَالُوا الرَّغْبَةَ لِلْعَبِيدِ فِي مُطَالَعَةِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ بِمَا أَمَلَوْهُ فِي ذَلِكَ وَاسْتَفْتَحَ أَبْوَابَ رَحْمَتِهَا لَوْلُوجِهِمْ وَاسْتِمْطَارِ صَيِّبِ إِحْسَانِهَا لِظَمَائِهِمْ وَاسْتِلْطَافِ رَأْفَةِ حَنَانِهِمْ لِضَعْفِهِمْ، فَطَالَعَ الْعَبِيدُ بِذَلِكَ مِنْ رَغَبَاتِهِمْ رَاجِحِينَ لَهُمْ مِنْ بَرَكَاتِ امْتِنَانِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مَقَرَّ الرَّحْمَةِ وَنَبُوعَ الْبَرَكَاتِ مَا لَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ مُنَاهُمْ، وَلَا يَبْلُغُهُ مُتَمَنَّاؤُهُمْ حَسْبَمَا اعْتَادَهُ جَمِيعُ عِبِيدِهَا مِنْ فَضْلِهَا، وَعَهْدُوهُ مِنْ بَرَكَاتِ هَذِيهَا. وَإِلَى اللَّهِ يَضْرَعُ عَبِيدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ فِي أَنْ يَبْلُغَ مُلْكُهَا مَا زَوَى لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَقَاصِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ⁽¹⁾ وَيُغْنِيَهَا بِتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ عَنْ مُنَاصَبَةِ مُنَاصِبٍ، أَوْ مُحَارَبَةِ مُحَارِبٍ، وَأَنْ يَتَكَفَّلَ بِأَعْلَامِهَا الْمُؤَيَّدَةِ مِنْ تَسْيِيرِ الْإِرَادَاتِ مَا لَا يَمُرُّ بِخَاطِرٍ، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَضَرٍ حَاصِرٍ. بِمَنْهِ وَكَرَمِهِ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ عَلَى الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقُدُسِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْحَسَنِ الْقَلْبِيِّ:

مِنْ مُحَمَّدٍ⁽²⁾ بَنِي سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَنِي سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَذَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَ أَمْرِهِمْ - إِلَى الطَّلَبَةِ وَالشُّيُوخِ وَالْأَعْيَانِ وَالْكَافَّةِ مِنْ أَهْلِ مُرْسِيَّةٍ وَجِهَاتِهَا، أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَوَاكِبَ الْفُتُوحِ نَبْرَةِ الْإِشْرَاقِ، وَأَجْنَاهُمْ ثَمَرَ الْبَشَائِرِ الْمَعْسُولَةِ حُلْوِ الْمَذَاقِ، وَهَزَّ أَعْطَافَهُمْ سُرُورًا مِنْ اهْتِزَازِ الشُّمْرِ وَالْبَيْضِ الرَّفَاقِ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ أَمْرَهُ عَالِيًا، وَضَاعَفَ النَّصْرَ لَهُ مُتَتَابِعًا مُتَوَالِيًا، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ فَيَأْبُشِرُ مَنْ كَانَ عَنِ الْإِسْلَامِ ذَابًا وَلِحُوزَتِهِ حَامِيًا،

(1) هذا مأخوذ من الحديث الشريف: إن الله تعالى رَوَى لي الأرض فَأَرَيْتُ مشارِقَ الأرض ومغاربها؛ أي جمع لها الأرض كاملة ﷺ.

(2) كانت ولاية محمد بن يوسف بن عبد المومن على مرسية سنة 579 هـ، وذلك عندما خلف عمه أبا يوسف بن عبد المومن. انظر البيان المغرب، ص: 141. والحلل الموشية لابن سماك، ص: 159.



وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ لِدِينِهِ الْحَنِيفِيِّ دَاعِيَا، وَجَعَلَهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عِنْدَ تَكَاثُفِ الظُّلْمَةِ نُوراً هَادِيَا، وَبَعَثَهُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَذْنَى وَالْأَبْعَدِ بِقَوْلِهِ الْفَضْلَ وَحُكْمِهِ الْعَدْلَ آمِراً وَنَاهِيَا، وَسَمَّاهُ لِفَضْلِ كَرَامَتِهِ عَلَيْهِ عَاقِبَا وَحَاشِراً وَمَاحِيَا⁽¹⁾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةٌ تُوفِّرُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ [وَالنُّبْلِ] حَقّاً جَسِيماً وَافِيَا، وَحَيَّاهُ تَحِيَّةً طَيِّبَةً تَرْفَعُ لَهُ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عَلَى حُكْمِ انْتِجَازِ الْوُعُودِ مَحَلّاً [زَاقِيَا] وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الَّذِي أَعْلَنَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ مُنَادِيَا، وَأَخَذَ بِحَجَرٍ مَنْ كَانَ فِي [حَاجِبِ] التَّجَسُّيمِ مُتَهَافِئَا وَفِي هَوْنِهِ هَاوِيَا، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ جِهَادِهِ⁽²⁾ لِيُعَزَّزَ كَلِمَةُ الْحَقِّ وَيُذِلَّ مَنْ كَانَ لَهُ قَالِيَا وَشَانِيَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رِضَى يُورِدُهُ مِنْهَلِ الْكَرَامَةِ نَمِيراً صَافِيَا، وَيَلْبِسُهُ بُرْدَ الْأَمْنَةِ سَبُوعَ الْأَذْيَالِ ضَافِيَا، وَيَلْقَاهُ، وَفِرَ الْعِصْمَةِ وَبِرِذَاءِ الرَّحْمَةِ مُطَالِعَا لَهُ مُوَافِيَا، وَعَنْ صَاحِبِهِ الْأَكْرَمِ وَعَاضِدِهِ الْأَلْزَمِ، وَمُؤَاوِرِهِ الْأَقْدَمِ، وَخَلِيفَتِهِ الْمُقَدَّمِ، سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَوْدِعِ مِنْ بَرَاهِينِ حِكْمِهِ وَأَنْوَارِ عُلُومِهِ، مَا لَمْ يَزَلْ أَبَدًا لِرِثِّ ثَوْبِ الْجَهْلَةِ⁽³⁾ صَاقِلَا حَالِيَا، وَالْمُعِيدِ شَرْعَ الْإِسْلَامِ إِلَى شَرْخِهِ الْقَشِيبِ الْجَدِيدِ وَقَدْ كَانَ بَالِيَا، وَالْمُصِيرِ لَهُ بَعْدَ الْعَطَلِ [مُزْدَانَا] بِالْعَوْدِ الْأَحْمَدِ⁽⁴⁾ حَالِيَا، وَمُوَالَاةِ الدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعِزٌّ وَنَضِيرٌ يَدُرُّ صَبِيهُ عَلَى أَكْنَافِ الْبَسِيطَةِ هَامِراً هَامِيَا، وَتَوَالِي فَتْحٍ يَنْظُمُ لَهُ أَفَاقَ الْأَرْضِ مِنْهَا قَاصِيَا أَوْ ذَانِيَا.

فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ بَشَائِرَ تَتَنَاسَقُ تَنَاسَقَ الْجُمَانِ، وَتَجْمَعُ بَيْنَ نَيْلِ الْأَمَانِي وَالْأَمَانِ، وَتَتَكْفَلُ بِعِزَّةِ التَّوْحِيدِ وَيَكْسِرُ مَضْرُوبِ النَّوَاقِيسِ وَمَعْبُودِ الصُّلْبَانِ [مَنْ مَنَزِلِ] الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - بِظَاهِرِ «يَابُرَةِ» - فَتَحَهَا اللَّهُ - وَكَوَاكِبِ النَّصْرِ

(1) قال النبي ﷺ في حديث: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، والماحي يمحو الله به الكفر، والحاشر أحشر الناس على قدمي، والعاقب أي آخر الأنبياء».

(2) مقتبس من سورة الحج، الآية: 76.

(3) خرم بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) من أمثال العرب: «عُدْنَا وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ».



العزف فشرق وترفه؁ [وأفأف سفده] فأفلق ونبهر؁ وسعود الفأفد المقترن بالفأفد ففعلف وترفه؁ وفف فف سر هفا الأمر العزف من المفلأف؁ وفصروف العبر والأفأف؁ فاف طار مئله السابق فف الأفاف؁ وفجرف لطائفه لطائفه الفف على المراد وعافف الوفاق؁ وأبفد سمسف صافف فف عافف الأفارة والأشراق؁ وأطلع قمره الفماف [فسفف] بالفبذار والأفساق. لا جرم أنه أمره العالف الفف عزف أنصاره وأشفاعه؁ وطبق الفاففن نوره الساطع وسعاعه؁ وعمر القلوب الموقنة والأففس المؤمنة فصوره ففها وانطباعه؁ والحمد لله على ذلك كئفرا حمفا فقتضف المرفد من الآفه والففأف فباهر نعمائه.

والف هفا أدام الله فوففكم؁ ونهج الف ما فعود علىكم بالفارفف الفسنى فف الففنا والأجرة سننكم وطرففكم فأنه لفا فارفنا ذلك الصفع على ما كان الأمر العالف -أدام الله علاه وأنار ففجوم السعد سماءه- فده لنا من الفأفب للفهاد؁ والفظر فف ضم الأففنا؁ رفلنا عن فلكم المفلل بمن صففنا من الكماء؁ ومشاهفر الفماء؁ وذكرف الله فعالى شعار السفنا؁ واستشعار فوفف -فل فللاه- مفقر سفنا؁ ولم نزل ففضف الروافل؁ ونطوف المرافل؁ ونسفعف الله فعالى ونسرففه؁ ونسفهفه ونسرففه؁ ونسأله أن فوفر كلمفه العالف؁ وأن ففعل طائففه الفالف الفاف؁ وأن ففل بالفاففن ففمفه؁ وفهب لطائفه الفوفف عضمفه؁ فف الفففنا بالموفففن -أعزهم الله- وبالسواف الأفظم والفماء الففر من جماهفر العسافر الموففده المنصورة على مقربة من وافف «فأفه»⁽¹⁾ فاففظمنا بفهم وفصلنا سببنا بالمفن من سببهم؁ وازفل الففمف والفعد الصافق فففر عن وشفك انفجاره؁ وفنبف أن على مففم صفورف مفأفر أعجاره؁ وسار الموففون -أعزهم الله- بفف عازم؁ وسعد مفالف ملازم؁ فقففون السباسب⁽²⁾ والفوامف؁ وفسففون الفف أعفاء الله وأعفاهم المرامف؁ وففسون لهم ففأف الفراب الفوامف؁ فف اففلوا بففوفة بلافهم؁ وفطفوا على رعم الكفرة عالف شرفهم ومفففف وهافهم؁ من أرض طالما باض الشفطان ففها وفر؁ ومذ ألقى

(1) فأفه TAJo: ففر أنفلسف مشهور.

(2) السباسب: الففار والففاف.



كَذَلِكَ عَلَيْهَا مَا أَفْرَجَ عَنْهَا وَلَا أَفْرَحَ، وَحَفَاطُ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - تَغُورُ،
وَنُفُوسُهُمْ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ تَكَادُ تَمَيِّزُ وَتَغُورُ⁽¹⁾، وَعِيُونُهُمْ إِلَى إِرَاقَةِ دِمَائِهِمُ الْمَطْلُوعَةِ
تَتَطَّلَعُ وَتَمُورُ، وَكُلَّمَا دَنَا الْمُوَحِّدُونَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - مِنَ الْكُفْرَةِ - أَحَانَهُمُ اللَّهُ - تَقَدَّمَ
الرَّغْبُ إِلَيْهِمْ نَذِيرًا، وَأَوْسَعَهُمْ مِنْ مُقَاوِمَةِ حِزْبِ اللَّهِ تَعَالَى تَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا، وَأَوْمَأَ
النَّصْرُ إِلَى غَلَبَةِ طَائِفَةِ الْحَقِّ مُعْلِمًا وَمُشِيرًا، وَأَطْلَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَوَالِ السَّعْدِ مَا كَانَ
دَلِيلًا عَلَى الْفَتْحِ الْمُبِينِ وَبَشِيرًا. وَلَمْ يَزَلْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى [يَأْرُزُونَ] إِلَى الْمَعَاقِلِ
وَالْقَنَنِ، وَيُفْضُونَ إِلَى الْكُهُوفِ الْمُؤَذَنَةِ مِنْهُمْ بِضَعْفِ الْمُؤْنِ، وَيَسْتَرْبِلُونَ الْخَوْفَ بَدَلًا
مِنْ وَاقِي الْجُنَنِ، وَالْمُوَحِّدُونَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -، يَصِلُونَ فِي بِلَادِهِمُ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ
الْقَرِيبِ، وَيَجْمَعُونَ السَّيْرَ الْحَثِيثَ إِلَى مَطَانِنِهِمْ بَيْنَ الْحَبِّ وَالتَّقْرِيبِ، وَمَهْمَا نَزَلُوا
بِسَاحَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَاءَ صَبَاحُهُ⁽²⁾ وَبَدَأَ بِحَرَازَةِ قَلْبِهِ، وَسُخْنَةِ عَيْنِهِ عَلَيْهِ إِمْسَاؤُهُ
وِلِصْبَاحُهُ، فَلَمْ يَزَالُوا يُوسِعُونَ عَامِرَهُمْ وَغَامِرَهُمْ إِقَامَةً وَتَنْقَلًا، وَيَجُوسُونَ خِلَالَ
دِيَارِهِمْ [حَيًّا حَيًّا] وَمَعْقَلًا مَعْقَلًا، يُحِيطُونَ بِهِمْ إِحَاطَةَ الدَّائِرِ بِالْمَرْكَزِ، فَيُصَيِّرُونَهُمْ
إِلَى حَالِ الْأَوْهَنِ الْأَعْجَزِ، يَكْتَنِفُونَهُمْ نَهَبًا وَيُوسِعُونَهُمْ ضَرْبًا وَقَتْلًا وَأَسْرًا، فَيَتَمَلَّكُونَ
أَقْوَاتَهُمْ تَغْلِبًا عَلَيْهَا وَقَسْرًا، وَإِذَا سَرَوْا إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهِمُ وَنَالُوا مَا ابْتَغَوْا مِنْ قِرَاهِمُ،
وَفَصَّمُوا لِلْكَفْرَةِ مِنْهَا مَوْتِقَ عُرَاهِمُ، وَلَمْ يَزَلْجُلُوا عَنْهَا إِلَّا وَقَدْ خَسَفُوهَا خَسْفًا،
وَأَوْسَعُوا الْأَعْدَاءَ الْكُفْرَةَ بَعْدَ الْاِغْتِرَارِ هَدْمًا وَنَسْفًا، وَأَضْرَمُوا النَّيْرَانَ فِي كُلِّ سُوِيحَةٍ
كَالْغُورِ، غَادَرُوهَا كَحَرِيقِ مُسْتَطِيرٍ بِالْبُورِ، تَنَعَّقُ فِيهَا نَاعِبَاتُ الطَّيْرِ، وَتُوحِشُ إِحَاشَ
... الَّذِينَ طَعَنُوا فَتَعَقَّبُوا عَامَّةَ دِيَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ... عَلَى غَيْرِ تَرَاضِيهِمْ، وَخَيَّمُوا بِسَيْفِ
الْهَجْرِ فِي أَرَاضِيهِمْ، وَالْغَارَاتُ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ ... فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ ...
وَالْمُوَحِّدُونَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - ... عَيْنُ اللَّهِ تَعَالَى تَرَعَاهُمْ وَتَلَحَّظُهُمْ، وَكَلَاءَتُهُ الْوَاقِيَةُ
تَصُونُهُمْ وَتَحْفَظُهُمْ، حَتَّى احْتَلُّوا فِي قُفُولِهِمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنْ وَادِي «تَاجِهِ».

(1) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾. سورة الملك، الآية: 8.

(2) في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿بَسَاءَ صَبَاحِ الْمُنْذَرِينَ﴾. سورة الصافات، الآية: 177.



وَعِنْدَمَا ارْتَحَلَ الْمُوحِّدُونَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ مَضْرِبٍ مُعْسَكِرِهِمُ الْمُبَارَكِ بِهِ، ذَمِرَ الْكَفَرَةَ - أَعْدَاءُ اللَّهِ - نُفُوسَهُمْ، وَاعْتَقَلُوا ذَوَابِلَهُمْ وَاجْتَابُوا بُوسَهُمْ، وَاجْتَمَعُوا بِالْقَضِّ وَالْقَضِيزِ، وَنَزَلُوا عَنْ عَزْعَرَةٍ مَعْقِلِهِمُ الَّذِي أَبْقَى عَلَيْهِمْ دِمَاءَهُمْ إِلَى الْحَضِيزِ، وَتَأَلَّبُوا وَتَكَتَّبُوا وَذَهَبُوا إِلَى مُقَاتَلَةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَبِشْمَا ذَهَبُوا، وَرَامُوا أَنْ يَنْتَهَزُوا فِي الْمُوحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ الْفُرْصَةِ، مَا يُذْهِبُ عَنْهُمْ بَعْضَ مَغْصِ الْغُصَّةِ، وَأَنْ يُصِيبُوا مِنْ شِدَادِهِمْ وَمُفْتَرِقِ أَفْذَادِهِمْ، مَا يَجِدُونَ بِهِ إِلَى الْعَزَاءِ سَبِيلًا، وَيَقِيمُونَهُ عِنْدَ رُهْبَانِهِمُ الضَّعْفَةَ الْوُهْنَ عَلَى جَلَدِهِمْ وَأَيْدِهِمْ دَلِيلًا، وَهَيْهَاتَ لَا تَعَارِضُ صَوْلَةُ الْأَسَدِ بِانْتِفَاحِ الْهَرِّ⁽¹⁾ وَلَا يُقَاسُ خَيْطُ الْعَنْكَبُوتِ بِالْحَبْلِ الْمَشْدُودِ الْمُمَرِّ، فَوَشَكَانَ مَا نَذَرَ بِهِمْ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ تَعَالَى - وَهُوَ الْمُفْلِحُ⁽²⁾ - مِقْنَبٌ فِيهِ إِخْوَانُكُمْ أَهْلُ الشَّرْقِ وَسَرِيَّةٌ مِنَ الْغَرْبِ كَانُوا فِي سَاقَةِ الْمُوحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - عَطَفُوا عَلَيْهِمْ، وَأَشْرَعُوا قَبْلَ رِمَاحِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَتَرَأَى الْجَمْعَانِ وَسَقَطَ الْعِشَاءُ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سِرْحَانِ⁽³⁾، فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ شِدَّةً وَجَدُّوا رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهَا، وَقَضَّتْ بِذَهَابِ نُفُوسِهِمُ الْخَيْثَةَ مِنْ إِنْقَائِهَا، وَأَزْدَوْهُمْ حِيَاضَ الْمَنَابِيا وَالْحُتُوفِ، وَأَتَوْا عَلَيْهِمْ قَعَصًا بِالرِّمَاحِ وَهَبْرًا بِالسُّيُوفِ، فَلَاذَتْ الشَّرْذِمَةُ الدَّيْمِيَّةُ، وَالْأَشَابَةُ اللَّيْمِيَّةُ مِنْ فُرْسَانِهِمْ بِالْفِرَارِ وَالْإِحْجَامِ، وَنَجَوْا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ⁽⁴⁾ بَعْدَ أَنْ عُرِّكُوا عَزَكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا⁽⁵⁾، وَتَرَكُوا أَشْرَدَ مِنَ النَّعَامِ فِي

(1) فيه إشارة إلى قول الشاعر الأندلسي:

مِمَّا يُزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَسْمَاءُ مُعْتَصِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِدٍ
أَلْقَابُ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِّ يَخْكِي انْتِفَاحًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ

(2) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. سورة المجادلة، الآية: 21.

(3) السَّرْحَانُ: الذئب، وفي المثل: «سقط العشاء به على سرحان»: قال أبو عبيد في تفسيره، وأصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله والمثل في مجمع الأمثال واللسان «سرح».

(4) من قول حسان:

تَرَكُ الْأَجْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامِ

(5) نثر لزهير بن أبي سلمى في معلقته.



إِجْفَالِهَا⁽¹⁾، وَانْصَاعَ إِلَى الْحِصْنِ مِنْهُمْ مَنْ نَجَا، وَمَا كَانَ طَمِعَ فِي الْحَيَاةِ وَلَا رَجَا، فَكَمْ مِنْ ابْنٍ هُنَاكَ أَسْلَمَهُ أَبُوهُ، وَأَخْ لَمْ يَعْطِفَ عَلَيْهِ أَخُوهُ، وَذِي صَافِيَةٍ وَحَاشِيَةٍ فَرَّ عَنْهُ ذُووُهُ، خَرَجَ فِي غَيْرِ ضَمْنِ الْكَلَاءَةِ، فَخَرَّ وَلَمْ يُوسِدْ عَلَى الْأَلَاءَةِ، وَكَانَ لَهُمْ يَوْمٌ كَيَوْمِ جَفْرِ عِنْدَ الْهَبَاءَةِ، وَفَقَدَ فِي ذَلِكَ الْمُعْتَرِكِ مِنْ أَعْيَانِهِمْ، وَذَوِي آرَائِهِمْ وَأَسْنَانِهِمْ، عُصْبَةٌ كَأَنَّهَا مِائَةٌ أَوْ حُدَّهَا، وَرُبَّمَا تَجَاوَزَ الْقَدْرَ عُدَّهَا، وَأَمَّا مَا لَا يُعْرَفُ مِنْ لَفِيفِهِمْ، وَمَنْ ضَمَّهُ إِلَى مَضْرَعِهِ خَوْفٌ لَوْ مِثْلُهُمْ وَتَغْنِيفُهُمْ، فَالْعَدْدُ الْجَمُّ، وَالْجُمُهورُ الْأَعْمُ، طَوَائِفُ طَالَمَا صَلَّتْ وَأَضَلَّتْ، وَأَذَلَّتْ بَعْدَهَا رِقَابُ الْمُشْرِكِينَ فَذَلَّتْ، وَأَبَ الْمُؤَحِّدُونَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ أَحْسَنَ إِيَابٍ، وَأَحْلَوْا بِأَعْدَائِهِمْ دَارَ الْبَوَارِ، وَأَذَنُوهُمْ عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ بِمُوبِقِ [السَّنَارِ]، وَوَسَمُوهُمْ يَدَ الْمُسْنَدِ بِمِيسَمِ الذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ، وَأَقْرَأُوا عِيُونَهُمْ بِإِذْرَاكِ الْمُقِيمِ مِنَ [الْفِرَارِ]. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَهَرَ الشُّرَكَ وَأَذَلَّهُ، وَحَمَلَهُ عِبَاءَ هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ وَكَلَّهُ، وَشَهَرَ عَلَيْهِ سَيْفَهُ وَسَلَّهُ، وَأَرَأَى بِهِ دَمَ أَهْلِ التَّثْلِيثِ فَهَدَرَهُ وَطَلَّهُ.

وَخَاطَبْنَاكُمْ - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - بِهَذِهِ الْفُتُوحِ، لِتَأْخُذُوا [الْعِبْرَةَ] مِنْ هَذَا الْخَيْرِ الْمَمْنُوحِ، وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الصَّنْعَ الْجَمِيلَ فِي خَرْقِ الْعَوَائِدِ مُحْسُوبٌ، وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْعَزِيزَ إِلَيْهِ مَعَزُّوٌّ وَمَنْسُوبٌ. وَأَنَّ هَذَا الشَّرَفَ الْمُبَارَكَ قَدْ أَمَدَّ لِأَهْلِ الشُّرْكِ وَالصَّلِيبِ مَا مَنْ خَالَفَ هَذَا الْأَمْرَ الْعَزِيزَ وَشَقَاقَهُ، وَابْتَهَجَ لِسَمَاعِهِ شَأْمَ الْمَعْمُورِ وَعِرَاقَهُ، فَخَاطَبُوا جُلَّ بِلَادِكُمْ بِهَذَا [الْخَبَرِ] وَأَصْقَاعَكُمْ، وَاجْعَلُوا عَلَى التَّحَدُّثِ بِهِ مُجْتَمَعَ تَفَرُّقَكُمْ وَمُفْتَرَقَ اجْتِمَاعِكُمْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [يُقَيِّضُ لَكُمْ مَا كَانَ] مِثَالَهُ، وَيَبُوتُّكُمْ فَيَأْ أَلْأَمْنِ وَظِلَالَهُ، وَيُنْجِفُكُمْ بُرْدَ الْخَفْضِ وَالسَّعَةِ، وَيُسْرِبِلُكُمْ سِرْبَالَ [الْأَمْنِ وَالِدَّعَةِ]، لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ؛ فِي الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

(1) مثل عربي مشهور.



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِىْمِ صَلَّى اللّٰهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَعَلٰى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا.

كَتَبَ عَنِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْأَعْلَى أَبِي الْعَلَاءِ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُمْ - إِلَى الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْمُعْظَمِ أَبِي عِمْرَانَ بْنِ الشَّيْخِ الْمَرْحُومِ أَبِي حَفْصٍ، أَبْقَى اللَّهُ بَرَكَتَهُمُ الْكَاتِبُ الْأَفْضَلُ أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ يَخْلَفَتْنِ الْفَارَزَارِي، أَعَزَّهُ اللَّهُ.

الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ الْأَسْنَى الْمَبْرُورُ الْمُعْظَمُ الْمُكْرَّمُ الْأَسْمَى الْأَسْرَى، أَبُو عِمْرَانَ ابْنِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْمُعْظَمِ الْمُكْرَّمِ أَبِي حَفْصٍ؛ مَكَّنَ اللَّهُ عِلَاءَهُمْ، وَأَحْسَنَ فِي رُزْنِهِمُ الْفَاجِعِ الْفَادِحِ عَزَاءَهُمْ؛ مُسَاهِمُهُمْ فِي مُصَابِهِمُ الْأَفْطَعِ، وَمُشَارِكُهُمْ بِخَفَقِ الْفُؤَادِ وَدَفْعِ الْمَدْفَعِ، الْمُزْتِمُضُ أَشَدَّ الْإِزْتِمَاضِ لِرُزْنِهِ الَّذِي فَتَقَ الْمَجْدَ فَأَوْسَعَ، وَشَغَلَ التَّصَوُّرُ لَهُ وَالتَّحَدُّثُ كُلَّ مَرَأَى وَمَسْمَعٍ؛ إِذْرِيسُ ابْنُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ؛ وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَفْنَى، الْمُقَدِّرِ لَوْفَاةِ كُلِّ شَخْصٍ وَخَرَابِ كُلِّ مَغْنَى، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ أَقْرَبَ مَنْ اسْتُنْدَيْتَنِي فَاسْتُنْدَيْتَنِي الْمُعَزَّى لِلْمُصَابِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ كُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ سَرَّ نَفْسًا وَأَقَرَّ عَيْنًا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ الْمُكَافِحِينَ عَنْ مِلَّتِهِ الْغُرَاءِ ضَرْبًا وَطَعْنًا، وَالْمُغْنِينَ فِي تَمْهِيدِ شِعَائِرِهِ الْكَرِيمَةِ وَشَرَائِعِهِ الْعَظِيمَةِ كُلِّ مَغْنَى؛ وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ مُجَدِّدِ مَا دَنَّى لِلشَّرْعِ مِنْ رَسْمٍ وَمَشِيدِ مَا دَرَسَ لِلْحَقِّ مِنْ مَبْنَى، وَمُثَبِّتِ الْحَقَائِقِ عَلَى أَوْثَقِ الْقَوَاعِدِ بَعْدَ أَنْ قَلَبَهَا الْبَاطِلُ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَعَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الْمُقْتَفِينَ آثَارَهُ الْعَلِيَّةَ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالْمُتَمِّمِيهِ لِدَأْتِهِ الْمُبَارَكَةِ فَنَّا فَنَّا، وَالدَّعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْأَيْمَةِ الْخُلَفَاءِ أُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِ يَمْلَأُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا مَنَّا وَأَمْنًا، وَفَنَحِ يَسْتَتِيعُ الْأَعْدَاءُ أُمَّةً فَأُمَّةً وَيَهْدُ مَعَاوِلَهَا حِصْنًا فَحِصْنًا.

فَكَتَبَ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صَبْرًا لَا تُكَدِّرُ بَحْرُهُ دِلَاءُ النَّوَائِبِ، وَشُكْرًا لَا يُغَيِّرُ بَذْرُهُ وَلَاؤُ الْمَصَائِبِ. مِنْ «قُرْطُبَةٍ» - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَالْأَحْوَالُ صَالِحَةٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا؛ عَلَى أَنَّ



النَّفْسُ لِلْإِكْتِثَابِ شَدِيدَةُ الْإِزْتِمَاضِ، وَالْعَيْنُ لِلْإِثْتِحَابِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْاِغْتِمَاضِ، وَالْقَلْبُ قَدْ وَجَبَ حَتَّى انْفَطَرَ، [وَالْخَلْقُ] قَدْ اخْتَدَمَ حَتَّى اسْتَعَرَ، وَالنَّفْسُ قَدْ اِزْتَفَعَ حَتَّى خَفَتْ، وَاللِّسَانُ قَدْ ضَجَّ حَتَّى صَمَتْ؛ أَسَفًا لِمَا نَقَذَ بِهِ الْقَدَرُ الَّذِي لَا يُعَالَبُ، وَالْحَكَمُ الَّذِي لَا يُطَالَبُ. مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ الْأَجَلِ الْمُكْرَمِ الْمُعْظَمِ، صِنُوكُمُ الْأَسْنَى الْأَسْرَى، وَالتَّارِكِ الْأَمَالَ ظُلْعًا وَالنَّفُوسَ حَسْرَى، لَيْثِ الْحُرُوبِ، وَعَيْثِ الْجُدُوبِ⁽¹⁾، وَالذِّكْرِ الْمُعَدِّ لِكُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ؛ أَبِي مُحَمَّدٍ نَوَّرَ اللَّهُ مَضْجِعَهُ، وَكَرَّمَ لَدَيْهِ مَرْجِعَهُ، وَكَانَ فِي وَخْشَةِ اللَّحْدِ وَوَحْدَةِ الْفَقْدِ لَهُ وَمَعَهُ. ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾⁽²⁾، تَسْلِيمًا لِلْقَدَرِ، وَاسْتِرَاحَةً فِي عَدَمِ الْمُصْطَبِرِ، وَوَا أَسَفًا لَهُ صَارِمًا أَغْمَدَ بَعْدَهَا هَالَتْ آثَارُهُ، [وَمُبَارِزًا] فَقَدْ بَعْدَهَا سَارَتْ شَرْقًا وَغَرْبًا أَخْبَارُهُ. لَقَدْ فُجِعَتْ لِفَقْدِهِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ، وَشَجِيَتْ مِنْ بَعْدِهِ حَيَاضُ الْبَيْضِ الرَّقَاقِ، وَجِيَادُ الْجُرْدِ الْعِتَاقِ؛ وَمَا كَانَ إِلَّا الْغَمَامُ انْقَشَعَ، وَقَدْ تَرَكَ الْبَسِيطَةَ [مُسْرِعَةً]، وَالْحُسَامَ انْقَطَعَ، وَقَدْ غَادَرَ الْأَحْشَاءَ لِلْأَعْدَاءِ مُنْقَطِعَةً.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُجَبِّرُ بِكُمْ مَكَانَهُ، وَيُعِزُّ بِمَنْ تَخَلَّفَهُ مِنْ سَرَاةِ الْأُسْرَةِ بِأَسَهُ وَإِحْسَانَهُ؛ بِمَنْهُ. وَلَوْ لَا أَنَّ التَّغْزِيَّاتِ مِنَ السَّنَنِ الْمَشْرُوعَةِ، وَالْآثَارِ الْمَتَّبُوعَةِ، لَصَدَّ وَلَيْكُمُ عَنْهَا لِعِلْمِهِ بِمَا لَدَيْكُمْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْإِحْتِسَابِ، وَكَوْنِهِ فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الْفَاجِعَةِ الْجَامِعَةِ شَرِيكِكُمْ الْمُبِيرِ فِي الْأَسَفِ وَالْإِكْتِثَابِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُنَا -جَمِيعًا- فِيْمَنْ أَصَاخَ لِهَذَا النَّبَأِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ دَفْعًا أَوْ سَمْعًا وَأَعِدَّ لِهَذَا الْخُطْبِ الَّذِي لَا نُطِيقُ لَهُ رَدًّا حَدًّا. وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَضْرَعُ فِي أَنْ يُنْفِيَكُمْ أَطْوَلَ الْبَقَاءِ، وَيُرْقِيَكُمْ أَحْسَنَ الْإِزْتِمَاضِ، وَيُحْسِنَ عَزَاءَكُمْ عَمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ مُغِيرَاتِ الْحَوَادِثِ وَمُكَدَّرَاتِ الْأَرْزَاءِ. بِمَنْهُ؛ وَالسَّلَامُ.

(1) بالأصل: «المحروب». والتصويب بالهامش.

(2) سورة البقرة، الآية: 155.



جوابها: وكتب به عن الشيخ الأجل المعظم أبي عمران المذكور. الكاتب الأجل
الأفضل أبو بكر يزيد بن أبي عبد الله بن صقلاب - أكرم الله -

السيد الأجل الهمام المبارك الأعلى الماجد الزعيم السري الأسمى، الفاضل
المالك السعيد الأوحى الأنجد الأسنى أبو العلاء ابن الخلفاء الراشدين، أئمة الطهارة
والهدى أمراء المؤمنين، أيد الله كلمة الإسلام بسعد لوائهم، وشد لينة الكمال والتمام
بأيدي علائهم، لأنهم تلوكم الساحات الطاهرة والأربع، المنجذب إلى سلطانها وشرف
أوطانها بجنوح الجوانح الدانية والأضلع الهاتفة بذكرها الطيب وتنايتها الصيب عن
طبع لا عن تطبع، الناطق في شكر إحسانها وفضل زمانها بلسان ابن القرية وبيان ابن
المقفع. «موسى بن أبي حفص»:

سلام كريم على مكانكم السامي ورحمة الله تعالى وبركاته. وبعد حمد الله
المحمود بكل فضل ومعنى المرسل سوا فتح الرحمة مؤزنا، الجاعل في الرضا بما قدر
الله وقضى مفعلاً أشباً للعقول وحضناً. والصلاة على محمد رسول الله الذي وفى
بالذمة، ووزن بالأمة، فرجح وزنا، المهون بمصابه كل مصاب، وقد كادت القلوب
بتباريح الأوصاب تدوب حزننا، والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي المعلوم،
الوارث مقامه الأشرف ومثابه الحسنى، وعن الخلفاء الراشدين المقيمي شرائع
الإسلام حتى أعادوا حشيش الأيام لذننا، والدعاء لسيدنا الإمام الخليفة المرتضى بن
الخلفاء الراشدين بالنصر الأغر والفتح الأسنى.

فكتبه الشاكر الصابر كتب الله لحضرة سيدنا سعداً يغنيها عن قود الكتاب، ورشداً
يؤنيها من ورد المني والرعائب من «المرية» - حرسها الله - والآمال إلى مقرركم
الكريم طامحة، والأعمال ببركة أمركم العظيم زاكية راجحة، - والحمد لله - والنفس
ترتع من حضرتكم العلية في أبهى رياض، وتكرع من آدابها الشرعية في أروى
حياض، وتلين مع الدهر وتهون فتكة البراض، ووصل الكتاب العالي فكان كالصباح
أسفر، أو وجه النهار سفر، أهان طوارق الأزراء فهانت، وأبان طرائق الضراء فبان،



وَأَنْتَحَى سُمُومَ الْكُرُوبِ، حَتَّى مَحَا رُسُومَ النُّدُوبِ مِنْ خَبَايَا الْقُلُوبِ، فَلِلَّهِ هُوَ مِنْ كِتَابِ كَرِيمِ الْأَثَرِ، مُبَارَكِ النَّظَرِ، نَمَا فِي تَرْبَةِ الْعَلِيَاءِ إِيْثَارُهُ، وَسَمَا عَلَى تَرْعَةِ الْعَلِيَاءِ مَنَارُهُ، أَوْقَفَ الدَّمَعَ فِي الْمَاقِي، وَوَرَدَ النَّفْسَ وَقَدْ نَزَلَ فِي التَّرَاقِي، وَمَدَّ جَنَاحَ الْحَنَانِ وَالرَّحْمَةَ عَلَى الدِّمَاءِ الْبَاقِي، فَلِلَّهِ مَوْعِظُهُ الصَّادِقُ، لَقَدْ دَعَا فَأَسْمَعَ، وَضَمَّ نَشْرَ الْأَنْسِ وَجَمَعَ، وَرَتَّقَ الْفَتَقَ وَرَفَّقَ، وَالْقُلُوبَ عَلَى الْأَحْزَانِ مُصْصِفَةً مُجْمِعَةً تَوَلَّى اللَّهُ فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ وَثَقَلَ بِالْأَجْرِ وَفَضَلَ التَّجَرُّ مِيزَانَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَخْرُسُ بِيَدِهِ ذَلِكَ الْبَابُ، وَالْحَسْبَ اللَّبَابُ، صَرِيحَ الصَّرِيحِ مِنْ بَنَى الْعَلِيَاءِ، وَأَطْفَالَ الْوَقَائِعِ وَكُمَاةِ الْهَيْجَاءِ، وَيَبْسُطُ لِسَانِكَ خَيْلَهَا رَائِدَ الْأَعْدَاءِ. بِمَنَّهُ، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

رِسَالَةٌ أُخْرَى:

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا الشَّفِيقُ الْحَبِيبُ وَالْأَخُ الْمُبَارَكُ النَّجِيبُ الَّذِي كَانَ مَخَايِلَ نَجَاتِهِ ظَاهِرَةً، وَدَلَائِلُ طَهَارَتِهِ سَافِرَةً، وَشَمَائِلُ هِدَايَتِهِ وَاضِحَةً بَاهِرَةً، وَسُودَدُهُ مُتِقِنًا، وَذَكَوُّهُ فِي الْمَهْدِ مُتَحَقِّقًا مُتَبَيِّنًا، فَقَدْ صَحَّتْ شَوَاهِدُكَ، وَوَضَحَتْ مَقَاصِدُكَ، وَوَجَبَ قَبُولُكَ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْنَا بِمَا عَايَنَاهُ تَفْضِيلُكَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ شَرَفِ هِمَّتِكَ، وَتَوْقُرِ فِطْنَتِكَ، وَمَضَاءِ جَدِّكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَعَزْمَتِكَ، وَاسْتِقَامَتِكَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى، وَارْتِيَا حَكِّ لِفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ بِإِذْرَاكِهِ لَاحِقُ الْأُولَى، عَلَى حِينِ زَهْرِكَ لَمْ تَفْتَحْ كِمَامَهُ، وَمِسْكُكَ لَمْ يَفْضَ عَنْهُ خِتَامُهُ، وَبَدْرُكَ لَمْ تَكْمُلْ لَيَالِيهِ وَأَيَّامُهُ، فَلِلَّهِ أَنْتَ لَقَدْ أَقْمَرْتَ هَلَالًا، وَلَقَدْ خَلُصْتَ عَلَى قَدْرِ الشَّيْبَةِ عَذْبًا زُلَالًا، حَاشَاكَ إِلَّا أَنْ يَشْفَ عَلَى الْيَاقُوتِ جَوْهْرُكَ، وَيَزِيدَ عَلَى الْمِسْكِ خُبْرُكَ وَمَخْبَرُكَ، فَارْبَعٌ عَلَى مَكَانِكَ، وَزِدْنَا مِنْ إِحْسَانِكَ، وَاسْقِنَا صَافِيَةَ مُعْتَقَةٍ مِنْ دِنَانِكَ، وَإِيَّاكَ نُقْصَانُ فَضْلِهَا، وَإِعْجَالُهَا عَنْ تَمَامِ حَوْلِهَا، فَإِنَّ بَاسْتِكْمَالِهِ يَتِمُّ كَمَالُهَا، وَتَعْظُمُ جُرْأَتُهَا وَصِيَالُهَا، وَقَدْ جَمَعَ الْقَلَمُ هَاهُنَا بِمَا تَرَى، وَسَرَى إِلَى فَهْمِكَ وَذَهَبَكَ مِنْهُ مَا سَرَى، فَالزَّمْ مَعْنَاهُ، وَتَوَشَّحْ مَا اسْتَطَعْتَ بِحُسْنَاهُ. وَقَدْ وَقَى كِتَابُكَ الْكَرِيمَ رَافِعًا بِذُرْوَةِ الْعَلَاءِ عِلْمَهُ، وَاضِعًا عَلَى قِمَّةِ الْجُورَاءِ قَدَمَهُ،



آخِذًا عَلَى السَّوَابِقِ مَدَاهَا، ضَامِنًا لِلشَّهْبِ الْأَرْضِيَّةِ رِدَاهَا، فَفَضَضْنَاهُ عَنْ أَنْفَاسِ الْوَرْدِ
وَالنَّدَى، وَاسْتَطَعَمْنَا مِنْهُ حَلَاوَةَ الْوَصْلِ وَمَرَارَةَ الصَّدِّ، وَرَأَيْنَا ظَنِّكَ حَيْثُ غَارَ، وَرَجَمَكَ
إِلَّا مَا أَشَارَ، فَقُلْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَبْعَدَ عَنَّا النَّسِيَانَ وَأَقْرَبَ مِنَّا التَّذْكَارَ.

أَبَى الْحُبُّ وَالْوَجْدُ الْمُبَرَّحُ وَالْجَوَى وَعَهْدُ الرِّضَا فِي الذِّكْرِ إِلَّا تَمَادِيَا
لَعْنِ سَهْرَتِ اللَّبَنِ عَيْنُكَ لَيْلَةً لَقَدْ سَهَرَتْ مِنَّا عُيُونُ لَيَالِيَا
أَبَا حَكَمٍ لَوْ كَانَ بِالْيَمِّ مَا بَنَا لِأَصْبَحَ يَسْتَسْقِي الْعَمَامَ الْعَوَادِيَا

فَمَا لَكَ أَسْعَدَكَ اللَّهُ تَرْمِينَا بِالْجَفَاءِ، وَقِلَّةِ الْاِخْتِفَاءِ، كَأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ شَوْقَنَا إِلَيْكَ،
وَإِشْفَاقَنَا فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ عَلَيْكَ، وَإِنَّا لَوَقَدِرْنَا عَلَى صَيَانَةٍ فِي الْجُفُونِ لَصُنَّاكَ،
وَأَنْ نَقْدِيكَ مِنْ تِلْكَ الْغُرْبَةِ بِالنَّفُوسِ لَفَدَيْنَاكَ، لَكِنَّكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْفَتَ عَنْ مُجَانَسَةِ
الْبَهَائِمِ، وَأَبَيْتَ إِلَّا حَمْلَ الْعُلَا وَالْمَكَارِمِ، وَإِذْ قَدْ فَعَلْتَ فَالْبَسَ لِلْغُرْبَةِ لُبُوسَهَا، وَاجْرَعَ
عَلَى الرُّغْمِ كُوسَهَا، وَاضْبِرْ عَلَى لَأَوَائِهَا، وَدَاوِ نَفْسَكَ مِنْ أَدَوَائِهَا، وَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا
التَّنَاسِي، وَالْقَلْبَ الْقَاسِي. وَمَا أَضْرَبْنَا عَنْ مُطَالَعَتِكَ بُخْلًا بِالْكَلامِ، وَلَا نَسِيَانًا -
وَعِيَاذًا بِاللَّهِ- لَوَاجِبِ الذَّمَامِ، وَلَكِنْ أَرَدْنَا أَنْ تُقْبَلَ عَلَى بَابِكَ وَشَانِكَ، وَتَشْتَغَلَ عَنْ
إِخْوَانِكَ وَأَخْدَانِكَ، إِلَى أَنْ يَتَّضِحَ نَهَارُكَ، وَتُشْرِقَ شُمُوسُكَ وَأَقْمَارُكَ، وَتَكْمُلَ عَلَى
الْمُرَادِ آمَالُكَ وَأَوْطَارُكَ، وَتَأْتِي بِحَوْلِ اللَّهِ مُفْعَمَ الْعِيَابِ، مُتَمِّمَ الْأَدَابِ، بِعَوْنِ مُبَلِّغِ
الْوَطْرِ مِنْ دَقَائِقِ الْإِعْرَابِ، وَأَمَّا لَوْ أَقْبَلْنَا عَلَى زِنَادِ الشَّوْقِ نَقْدُحَهُ، وَعَلَى بَابِ التَّفَكُّرِ
وَالْتَفَجُّعِ نَفْتَحَهُ، وَعَلَى الْقَلْبِ الشَّجِيِّ نَصْدَعُهُ بِالتَّشْوُقِ وَنَجْرَحُهُ، لَنَبَا بِكَ مِهَادُكَ،
وَأَضْرَبَ بِكَ سُهَادُكَ، وَقَلَّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ حِرْصُكَ وَاجْتِهَادُكَ، وَلَقَدْ فَ بَكَ الشَّوْقُ فِي
لُجَّةِ تَضْلِيلِهِ، وَأَعْمَاكَ عَنْ سَنَنِ الْهَدْيِ وَسَبِيلِهِ، فَإِيَّاكَ وَخَوَرَ الضُّعَفَاءُ، وَلَيْنِ السُّفَهَاءُ:

وَصَبْرًا عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ لِرَحْلَةٍ كَسْتِكَ مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَشَاخَا
فَلَوْلَا النَّوَى لَمْ يَظْفَرِ النَّاسُ بِالْمُنَى وَلَمْ تَبْدُ فِي أَفْقِ الذِّكَاكِ صَبَاخَا
عَلَيْكَ سَلَامُ الْأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ يُحْيِيكَ مَانِمَ الرِّيَاضِ وَفَاحَا



وَصَنَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَكَفَّلُ بِوَقَايَتِكَ، وَيَمُنُّ عَلَيْكَ بِرِغَابِكَ وَحِمَايَتِكَ، وَيُؤَاصِلُكَ مَيْتًا وَمَقِيلًا، وَيَكُونُ عَلَيْكَ مِنَ الْحَادِثَاتِ ظِلًّا ظَلِيلًا وَسِتْرًا جَمِيلًا، بِمَنْهِ وَكَرَمِهِ. وَالسَّلَامُ الْجَزِيلُ الْحَفِيلُ الْمُرَدَّدُ عَلَيْكَ مِنْ إِخْوَتِكَ وَأَوْلِيَايِكَ بِقَدْرِ تَشَوُّقِهِمْ إِلَيْكَ.

رِسَالَةٌ أُخْرَى:

أَبْنَيْيَ إِنْ وَاثَتْ شُهُورُكَ سَبْعَةٌ وَمِنْ التَّغَرُّبِ أَنَّ شَهْرِي ثَامِنٌ وَلَئِنْ أَكُنْ أَبْدِي التَّجَلُّدَ فِي النَّوَى فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ وَجْدِي كَامِنٌ⁽¹⁾

كَتَبْتُهُ كَتَبَ اللَّهُ أَمَلَكُمْ وَهَوَاكُمْ، وَقَرَّبَ عَلَى الْخَيْرِ الْمُعْتَادِ وَالْأَمَلِ الْمُرْتَادِ بُعْدَكُمْ وَنَوَاكُمْ، وَجَعَلَكُمْ مِمَّنْ شَرَحَ بِالْعِلْمِ صَدْرُهُ، وَرَفَعَ بِهِ لِلْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ قَدْرَهُ، وَأَعْلَى بِهِ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى صِيَّتَهُ وَذِكْرَهُ، وَالْقَلْبُ يُسَاعِدُكُمْ فِي الْهَوَى، وَالْعَقْلُ يُبَاعِدُكُمْ فِي اخْتِيَارِ النَّوَى؛ فَهُمَا كَمَا قَالَ الْحَكِيمُ، فِي الْمَثَلِ الْقَدِيمِ: «الْوَالِدُ يُكْوَى وَالْأُمُّ تَبْكِي» فَالْأُمُّ تَبْكِي لِحُرْقَةِ الدَّوَاءِ، وَالْوَالِدُ يُكْوَى⁽²⁾ خَوْفَ عُقُوبَةِ الدَّاءِ، فَهَذِهِ لِقُصُورِ عَقْلِهَا تَنْظُرُ فِي الْعَاجِلِ، وَهَذَا لَوْفُورِ عَقْلِهِ وَحَزْمِهِ يَنْظُرُ فِي الْآجِلِ؛ وَشَتَانُ بَيْنَ مَنْ يَبْكِي لِحُرْقَةِ النَّوَائِبِ، وَبَيْنَ مَنْ يَبْكِي لِلنَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ. وَأَيُّ دَاءٍ - وَلَكُمْ الْعَافِيَةُ - أَذْوَى مِنَ الْجَهَالَةِ، أَوْ أَيُّ أَلَمٍ أَعْدَى مِنَ الْبَطَالَةِ؛ فَالْقَلْبُ - عَلِمَ اللَّهُ - يُشْفِقُ مِنْ نُزُوجِكُمْ وَغُرْبَتِكُمْ، وَالْعَقْلُ يَخْشَى مِنْ رُجُوعِكُمْ لِأَهْمَالِكُمْ وَغَفْلَتِكُمْ، فَإِنَّ الْمُقِيمَ لَا مَحَالَةَ سَاكِنٌ إِلَى أَهْلِهِ وَسَكَنِهِ، مُسْتَقِلٌّ لِمَالِهِ وَآلِهِ وَوَطَنِهِ؛ وَإِنَّ الْغَرِيبَ مُقْبِلٌ عَلَى غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ، وَطَالِبٌ لِمَا يَرْجِعُ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ. وَأَرْجُو بِحَمْدِ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ تَضَعِ رَحْلَتَكُمْ، وَلَمْ تَخْبِ غُرْبَتَكُمْ وَوَحْشَتَكُمْ؛ فَإِنْ بَيْنَ حَالَتِكُمْ الْيَوْمَ وَأَمْسِهَا كَثِيرٌ، وَجِدْتُمْ بَعُونَ اللَّهَ خَلِيقٌ بِذَلِكَ وَجَدِيرٌ. فَاسْتَعِينُوا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ بِتَقْوَاهُ، وَاسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةِ مَوْلَى رَبِّكُمْ⁽³⁾ وَرِضَاهُ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ وَعَدَ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّعْلِيمِ،

(1) البيتان من الكامل.

(2) في الأصل يكوى ويكي، والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(3) سورة آل عمران، الآية: 133.



وَهَدَى بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ كُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾. وَقَدْ عَلِمْتُ صُورَةَ حَالِكُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ، وَالْيَّانِ وَالتَّخْصِيلِ؛ فَاسْتَمِرُّوا عَلَى مَا أَنْتُمْ بِسَبِيلِهِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- إِلَى تَمَامِ الْعَامِ، وَلَا أَقَلَّ مِنَ الْعَامِ؛ فَقَدْ جَعَلَهُ أَهْلُ الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ أَجَلًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ، قَالَ الْأَوَّلُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَمَنْ يَنْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ⁽²⁾
وَقَالَ آخَرُ⁽³⁾:

لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلِ ثَوَاءِ ثَوِيَّتُهُ تَقْضَى لُبَانَاتٌ، وَيَسْنَأُ سَائِمٌ
وَمِثْلُهُ فِي الْمَعْنَى كَثِيرٌ وَجَعَلَهُ أَهْلُ الْفَقْهِ أَجَلًا فِي الْعُهُدَةِ وَالْعِنَةِ وَالْعُذْرَةِ؛
وَمِثْلُ ذَلِكَ فَاعْمَلُوا بِحَوْلِ اللَّهِ بِحَسَبِهِ، وَتَعَلَّقُوا مِنَ الْعِلْمِ بِأَقْوَى سَبَبِهِ، وَقَدِّمُوا الْأَهَمَّ
فَالْأَهَمَّ مِنْ اقْتِبَاسِهِ وَطَلَبِهِ، وَاسْتَغْلُوا مَعَ مُطَالَعَةِ النَّحْوِ بِدَرْسِ اللُّغَةِ، وَلَا تَتَكَلَّوْا إِلَّا
عَلَى الْمَحْفُوظِ مِنْهَا ظَاهِرًا، وَاعْلَمُوا أَنَّ النَّحْوَ وَاللُّغَةَ رَضِيْعَا لِبَانٍ، وَبِهِمَا يَتِمِّيزُ
الْإِنْسَانُ مِنْ جِنْسِ الْحَيَوَانِ، وَهُمَا أَسُّ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالطَّبِيعَةِ، وَقُطْبُ الْمَعَارِفِ
الْجَلِيلَةِ الرَّفِيعَةِ، فَخُذُوا بِحَظِّكُمْ مِنْهُمَا، وَكُلُّ عِلْمٍ يَسْهُلُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- بَعْدَهُمَا. وَاللَّهُ
يُحْسِنُ عَلَى مَا أَنْتُمْ بِسَبِيلِهِ عَوْنَكُمْ، وَيَصِلُ فِي طَاعَتِهِ هِدَايَتُكُمْ وَصَوْنُكُمْ. وَالسَّلَامُ
الْعَمِيمُ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.



(1) سورة البقرة، الآية: 281.

(2) البيت للبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي المعروف، انظر التعازي والمراثي، ص: 270 ديوانه.

(3) البيت للأعشى في ديوانه 127، الأغاني 2/ 206، وهو من الشواهد النحوية، ويروى: «تَقْضَى لُبَانَاتٍ وَيَسْنَأُ سَائِمٌ».



وَمِنْ رِسَالَةٍ أُخْرَى:

السَّيِّخُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ، الْحَافِظُ الْعَلَمُ الْحَافِلُ الْأَكْمَلُ، الْأَخُ فِي اللَّهِ الْأَبْرُ الْأَوْصَلُ
فُلَانُ أَطَالَ اللَّهُ مُدَّتَهُ، وَأَبْقَى لِطَالِبِ الْعِلْمِ عُمْدَتَهُ، وَحَرَسَ عَلَى الْأَنَامِ وَالْأَيَّامِ بَهْجَتَهُ؛
مُعْظَمُ مَقْدَارِهِ، وَمُقَدَّمُ إِثَارِهِ، وَمُلتَزِمُ إِجْلَالِهِ وَإِكْبَارِهِ؛ أَخُوهُ فِي اللَّهِ «عُمَرُ بْنُ عُذْرَةَ»:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ
نَبِيِّهِ الْأَكْرَمِ وَرَسُولِهِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الدَّاعِي عَلَى
بَصِيرَةٍ إِلَى سَبِيلِهِ، وَعَنْ خَلِيفَتِهِ الْمُرتَضَى سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَهَدِّي بِوَاضِحِ دَلِيلِهِ،
وَالدَّعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْإِمَامِ الْأَعْدَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُمَشِّي أَمْرِهِمُ
الْعَزِيزِ إِلَى غَايَةِ تَتِمِّيمِهِ وَتَكْمِيلِهِ.

فَكَتَبْتُهُ مِنْ «الْخَضْرَاءِ» -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَقَدْ أَحْكَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَنَا بِتَنَاجِي الضَّمَائِرِ،
وَتَلَاقِي الْخَوَاطِرِ، مِنَ الْمُصَافَاةِ وَالْمُوَاحَاةِ مَا لَوْ كَانَتْ الْمُشَاهَدَةُ تُحْكِمُهُ، وَالْمُشَافَهَةُ
تَعْقِدُهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَتُبْرِمُهُ، لَمْ تَزِدْهُ إِحْكَامًا، وَلَمْ تُجَدِّدْ عِنْدَنَا سِوَى ذَلِكَ الذِّمَامِ ذِمَامًا؛
فَأَنْتُمْ -أَعَزَّكُمْ اللَّهُ- الْوَلِيُّ الْكَرِيمُ، وَالصَّفِيُّ الْحَمِيمُ، الَّذِي بَرَزَ فِي إِحْسَانِهِ، وَحَازَ قَصَبَ
السَّبْقِ فِي سَنَنِ الْعَلَاءِ وَمِيدَانِهِ، وَأَصْبَحَ -وَاللَّهُ يُبَارِكُ لَهُ وَفِيهِ- وَاحِدَ عَصْرِهِ وَزَمَانِهِ،
فَالْأَيْمَةُ تُسْتَهْدِيهِ، وَالْهَيْمَةُ تَتَنَافَسُ فِيهِ، وَالْكُلُّ مُحْتَاجٌ لِأَخْذِ مَا أَخَذَهُ وَرِوَايَةِ مَا يَرْوِيهِ.

وَلَمَّا لَمْ يُمْتَعْ الزَّمَانُ بِمُلَاقَاتِهِ، وَلَا أَسْعَفَ بِمُنَاجَاتِهِ، رَأَيْتُ الْخُلُوءَ مِنْ ذَلِكَ وَجْهًا
قَدْ أُغْفِلَ، وَوَاجِبًا مِنَ الْوَاجِبَاتِ قَدْ أَهْمِلَ؛ فَرَمَيْتُ إِلَى جَلَالِهِ -صَانَهُ اللَّهُ وَأَبْقَاهُ- بِشَمْرَةِ
الْأَنْسِ، وَرِيحَانَةِ النَّفْسِ، وَنُورِ النَّاطِرِ، وَرُوحِ الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ؛ ابْنِي وَعَبْدِي -أَبِي
الْحَكَمِ- هَذَا اللَّهُ وَأَسْعَدَهُ، الْوَاصِلِ -عَلَى بَرَكَاتِهِ اللَّهُ- إِلَيْهِ، الْمُطِلِّ بِمَحَبَّتِي وَمَوَدَّتِي
عَلَيْهِ، الْمَائِلِ فِي مَقَامِهِ، الْمُلتَمِسِ بَرَكَاتِهِ تَعْلِيمِهِ وَإِفْهَامِهِ، الْمُرتَقِي إِلَى مَحَلِّ عِلَالَتِهِ،
الرَّائِبِ فِي الْأَمْتَرِاجِ بِنُجُومِ سَمَائِهِ، النَّابِذِ لِيُوسِنَهُ، الْمُخْتَارِ لِذَلِكَ الْوَطَنِ الْكَرِيمِ عَلَى
وَطْنِهِ؛ حَسَنَ اللَّهُ سِيرَتَهُ، وَأَكْدَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ بَصِيرَتَهُ، وَمَا سَمَخْتُ بِهِ يَا
عِمَادِي طَيِّبَ اللَّهِ ذِكْرَكُمْ، وَأَعْلَى قَدْرَكُمْ فِي هَذَا عَنْ عَزْمَةٍ هِيَ تَقَدَّمَتْ، وَلَا نِيَّةٍ فِي



نَفْسِي انْبَعَثْتُ، لِأَنَّ حَالَهُ مِنَ الْغَرَارَةِ وَالْغُمَارَةِ تَقْتَضِي مُلَازِمَةً كُنَّهَ، وَمُدَاوَمَةً صَوْنَهُ، لِكُنْهَ أَكْثَرُ الرِّغْبَةِ فِي ذَلِكَ مِرَاراً، وَاسْتَظْهَرَ بِشَفَاعَةِ الْأَوْلِيَاءِ اسْتَظْهَاراً؛ وَلَمَّا وَضَحَتْ مَقَاصِدُهُ، وَصَحَّتْ دَلَالُ حُبِّهِ لِدَلِكِ وَشَوَاهِدُهُ، لَبِثْتُ مُنَادِيَهُ، وَأَجَبْتُ دَاعِيَ الْخَيْرِ دَاعِيَهُ، وَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى - وَهُوَ الْمُسْتَخَارُ - عَلَى إِنْقَاذِهِ إِلَيْكُمْ، وَإِلْقَاءِ زَمَامِهِ فِي الْكَرِيمَتَيْنِ يَدَيْكُمْ.

وَهَا هُوَ قَدْ أَمَّ دَارَكُمْ، وَاخْتَارَ عَلَى هَذَا الْجَوَارِ جُورَكُمْ، وَسَارَ وَاللَّهُ بِمَنْهَ وَكَرَمِهِ يَكْفُهُ فِي مَسِيرِهِ، وَيَقْضِي لَهُ بِتَسْهِيلِ مَا يَطْلُبُ وَتَيْسِيرِهِ؛ وَقَدْ أَنْزَلْتُهُ بِذِمَامِكُمْ، وَوَضَعْتُهُ فِي يَدَي تَهْمِكُمْ وَإِكْرَامِكُمْ؛ فَانْظُرُوا - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكُمْ - بَعَيْنِ مَبَرَّتِكُمْ إِلَيْهِ، وَاخْلَعُوا مِنْ مَحَبَّتِكُمْ مَا يَخْلَعُ وَالِدُهُ عَلَيْهِ، وَأَبْرُوهُ بِالْإِيْنَسَاسِ، لِيَدْرَ فَهْمُهُ عَلَى الْإِنْسَاسِ⁽¹⁾؛ وَابْذُلُوا لَهُ بِمَقْدَارِهِ، وَإِذَا اشْتَدَّ فَاسْتَوْدِعُوهُ مِنَ الْعِلْمِ نُكْتَ أَسْرَارِهِ، وَرَبُّوهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «بِصْغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ» وَاسْعَوْا لَهُ يَا سَيِّدِي وَعِمَادِي خَيْرَ سَعَايَتِكُمْ، وَاجْرُوا مِنَ الْفَضْلِ وَالْبِرِّ عَلَى عَادَتِكُمْ، وَارْشُدُوهُ - بِحَوْلِ اللَّهِ - إِلَى طُرُقِ مَعَالِيكُمْ، وَأَقْرِوْا بِتَأْدِيهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَيْنَ مُوَاحِيَكُمْ وَمُصَافِيَكُمْ.

وَاللَّهُ - بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ - يَبْلُغُهُ وَيُبْلُغُ فِيهِ الْأَمَلَ، وَيُنْجِحُ لَهُ السَّعْيَ وَالْعَمَلَ، وَيَجْعَلُ لَوَجْهِهِ فِي ذَاتِهِ مَا أَمَلَ؛ وَهُوَ الْمُسْتَمْنَحُ الْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ أَنْ يُبْقِيَ هَدْيَكُمْ مَأْمُولاً، وَرَغْبَتَكُمْ مَوْصُولاً، وَفَنَاءَكُمْ بِنُجُومِ طَالِبِي الْعِلْمِ مَأْمُولاً؛ وَمَا أَكْذْتُ عَلَى جَلَالِكُمْ بِالتَّوَصُّيَةِ بِهِ إِلَّا وَعِنْدِي أَنَّ اشْتِمَالَكُمْ عَلَيْهِ يَفُوقُ اشْتِمَالِي، وَاحْتِمَالَكُمْ لَهُ يَزِيدُ وَيُرْبِي عَلَى احْتِمَالِي.

وَاللَّهُ يُدِيمُ بِكُمْ الْإِمْتَاعَ، وَيُطْلِعُ مِنْهُ وَمِنْكُمْ مَا تَقَرَّبُ بِهِ الْعُيُونُ وَالْأَسْمَاعُ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ الْبَرُّ الْعَمِيمُ عَلَى أَخِي فِي اللَّهِ وَمُعَظَّمِي، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(1) الإِنْسَاسُ: يُقَالُ بَسَ بَسًا وَأَبْسَ بِالنَّاقَةِ: دَعَاهَا لِلْحَلَبِ مُتَلَطِّفًا بِهَا.



وَلَهُ أَيْضًا:

الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُ الْعَلَمُ، السَّرِي السَّنِي الْأَمَجْدُ الْأَكْرَمُ، إِمَامُ الْخُطَبَاءِ، وَنَاجِ الْأَدْبَاءِ، وَسِرَاجُ الدَّهْرِ إِنْ أَظْلَمَ أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ. نَفَسَ اللَّهُ فِي أَمَدِهِ، وَبَارَكَ فِي وَلَائِهِ وَمُعْتَقَدِهِ، وَلَا زَالَتْ أَزَاهِيرُ الْأَدَبِ الْغَضُّ تُجْتَنَّى مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. أَخُوهُ فِي اللَّهِ وَمُكَبِّرُهُ، وَمُقَدَّمُهُ فِي صَدْرِ الْأَوْلِيَاءِ وَمُؤَثَّرُهُ «عُمَرُ بْنُ عُدْرَةَ»⁽¹⁾:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنْفَرَدَ بِتَصْوِيرِهِ، وَاتَّحَدَ بِتَقْدِيرِهِ وَتَخْيِيرِهِ، وَتَعَالَى فِي حُكْمِهِ وَتَنْذِيرِهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ الْأَكْرَمِ، وَنَبِيِّهِ الْمَخْصُوصِ بِشَرَفِ الْمَقَامِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ بِشِيرِهِ وَنَذِيرِهِ، وَصَفْوَتِهِ الْمُتَخَبِّ لِبَثِّ حِكْمَتِهِ وَإِفْشَاءِ نُورِهِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، مُخَيِّي رَسْمِ الْهَدْيِ عِنْدَمَا كَادَ الْعَمَى يَسْحَبُ عَلَيْهِ ذَيْلَ دُثُورِهِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْهِ عَاصِفَ تَغْيِيرِهِ، وَعَنْ خَلِيفَتِهِ وَمُؤَاوِزِهِ وَمُؤَاوِزِهِ فِي إِطْلَاعِ الْحَقِّ بِمَرْقَبِ تَقَشُّيهِ وَتَشْهِيرِهِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْأَعْدَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِدَوَامِ أَمْرِهِمُ الْعَزِيزِ وَظُهُورِهِ.

فَكَتَبْتُهُ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ الْحُسْنَى، وَأَنَافَ بِكُمْ عَلَى الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ الْأَسْنَى. «مِنْ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ» - حَرَسَهَا اللَّهُ - عَنْ وَدٍّ مُتَزَيِّدٍ، وَذَكَرَ لِرَبِّكُمْ وَفَضْلَكُمْ مُتَجَدِّدٍ، وَغَرَامَ بِمَحَاسِنِكُمْ مُتَرَدِّدٍ فِي الْجَوَانِحِ مُتَوَقِّدٍ، أَوْجَبَهُ كِتَابُكُمْ الْوَارِدَ، وَجَوَابُكُمْ الَّذِي حَلَّ مِنِّي مَا يَحُلُّ مِنَ الظُّلُمَانِ الزُّلَالُ الْبَارِدَ، بَلْ مَا يَحُلُّ مِنَ الْهَيْمَانِ الْحَرَّانِ الْحَبِيبُ الْوَافِدَ، لَا بَلْ مَا يَحُلُّ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ هَذِهِ النُّفُوسِ الْقَلِقَةِ، وَالْقُلُوبِ الْمُخْتَرِقَةِ، الْغَمَامِ الْوَائِكِ الْرَاكِدِ؛ طَلَعَ كَمَا طَلَعَ الْبَدْرُ الْأَثَمَ وَفَاحَ عِنْدَ الْفَضِّ كَمَا فَاحَ الْمِسْكُ الْأَثَمَ، فَظَنَرْنَا إِلَى الْحَدَائِقِ مَمْطُورَةٍ، وَالْخَمَائِلِ مَنْشُورَةٍ، وَاللَّائِي مَنْظُومَةٍ وَمَنْشُورَةٍ، وَالْحِكَمِ الْبَارِعَةِ جَائِلَةٍ فِي عِنَانِهَا، زَاهِيَةً بِإِحْسَانِهَا، مُفْتَرَةً عَنْ مَبَاسِمِ إِتْقَانِهَا وَافْتِنَانِهَا،

(1) هو عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد العزيز بن حسين بن عدرة الأنصاري من الجزيرة الخضراء، كان من فقهاؤها وقضااتها، توفي سنة 576 هـ. انظر الذيل والتكملة، 5-2/448. التكملة، ترجمة رقم:



شَاهِدَةٌ لِذَلِكَ الذَّهْنِ بِذَكَائِهِ، وَلِذَلِكَ الْحُسْنِ بِاسْتَوَائِهِ وَانْتِهَائِهِ، دَالَّةٌ عَلَى ذَلِكَ الْقَدْرِ بِاعْتِلَائِهِ، وَذَلِكَ الْبَحْرِ الْغَمْرِ بِجَمَامِ مَائِهِ، صَادِرَةٌ عَنْ صَدْرِ مُنْشِرِحٍ، وَلُبٌّ مُشْتَعِلٌ مُنْقَدِحٌ، وَأَدَبٌ وَافِرٌ مُنْتَفِعٌ مُنْفَسِحٌ، وَقَلْبٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى بَيَانِهِ، مُنْعَكِسٌ إِلَيْهِ نُورٌ إِنْسَانِي، لَمْ تَقْلُبْهُ عَنِ الطَّاعَةِ نَظْرَةً، وَلَا شَغَلَتْهُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ خَطَرَةٌ، فَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ النَّاطِرِ الْمُبْصِرِ، الْمُعَايِنُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَلِيِّ وَالْقَدْرِ السَّنِيِّ مَا أُضْمِرُ، الَّذِي لَمْ يُسْرَحْ نَاطِرُهُ، فَيَتَقَيَّدُ خَاطِرُهُ، وَلَمْ يَشْهَدْ ظَاهِرُهُ، فَيَغِيبُ بَاطِنُهُ وَسَائِرُهُ، بَلْ انْدَرَجَ فِي أَنْوَارِهِ، وَانْدَمَجَ مِنَ الْعِلْمِ فِي أَسْرَارِهِ، وَصَارَ يُخْبِرُنَا مِنْهُ بِالْغَيْبِ، وَيَكْشِفُ لَنَا عَنِ الْعَيْبِ، وَيَأْتِي بِمَا لَيْسَ فِي الْقُصُورِ عَنْهُ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ؛ فَأَهْلًا بِهِ -أَبْقَاهُ اللَّهُ- مِنْ سَائِرِ مُبَرِّزٍ، وَوَاحِدٍ مُنْفَرِدٍ بِمَكَانِهِ مُتَحَيِّزٍ، فَصَرَ عَنْ جَلَدِ الْأَذْهَانِ، وَزَفَّ الْأَبْكَارِ الْحِسَانِ.

وَصَلَ كِتَابُهُ الْبَرُّ الْمُفْدَى، طَيَّبَ اللَّهُ ذِكْرَهُ، وَأَعْلَى قَدْرَهُ، فَتَلَقَّاهُ وَلِيُّهُ وَأَخُوهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى مَعَ جُمْلَةٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْقَبُولِ وَالْتَعْظِيمِ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّقْخِيمِ، وَاسْتَوْضَحُوا مِنْ حِكْمِهِ الْبَاهِرَةِ، وَأَمْثَالِهِ السَّائِرَةِ، مَا أَطَالَ النَّظَرَ، وَأَنْسَى النَّاطِرَ فِي الزَّهْرِ الزَّهَرِ، وَمَلَأَ الْقُلُوبَ بِالْوِدَادِ، وَقَصَرَ الْأَلْسُنَ عَنِ الْإِنْسِاطِ عَلَيْكُمْ وَالْإِمْتِدَادِ، وَأَغْرَى الْأَنْفُسَ بِالِاسْتِكْثَارِ مِنْكُمْ وَالْإِزْدِيَادِ، وَلَقَدْ حَسَدَ الْمُقِيمُ الرَّاحِلَ، وَالْقَاطِنُ الظَّاعِنَ، حَتَّى لَقَدْ خَفْتُ مِنْ سَرَيَانِ الْأَرِيحِيَّةِ تَشْتَّتِ الْأَهْوَاءُ، وَهَجَرَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الْخَضْرَاءَ. وَبِحَقِّ -أَعَزَّكُمْ اللَّهُ- فَإِنَّ اتِّسَاعَكُمْ لَمْ يَتْرُكْ لِمُجَرِّ فِي الْحُسْنِ مَجَالًا، وَلَا غَادَرَ لِمُتَبَقِّينَ فِي الْبَلَاغَةِ رَوِيَّةً وَلَا اِزْتِجَالَ، وَقَدْ أَحْرَزْتُمْ الْغَايَةَ، وَأَذْرَكْتُمْ النَّهَايَةَ، وَأَطْلَعْتُمْ فِي الْآيَةِ الْآيَةِ. وَاللَّهُ يَحْرُسُ جَلَالَكُمْ وَيَصُونُ مَجْدَكُمْ وَكَمَالَكُمْ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ وُصُولِ وَلَدِكُمْ وَعَبْدِكُمْ أَبِي الْحَكَمِ -هَدَاهُ اللَّهُ- إِلَى مَحَلِّكُمْ الْأَرْفَعِ، وَجَوَارِكُمُ الْأَمْنَعِ، وَالنِّفَاتِكُمْ إِلَيْهِ، وَإِقْبَالِكُمْ بِفَضْلِكُمْ وَطَوْلِكُمْ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ الظَّنُّ بِأَخْلَاقِكُمْ، وَالْمَرْجُوُّ مِنْ شَرَفِ أَعْرَاقِكُمْ، وَمَا تُقَصِّرُونَ بِهِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- عَنْ دَرَجَةِ رَفِيعَةٍ مِنَ الْعِلْمِ تَرْفَعُونَهُ إِلَى عَالِيَّتِهَا، وَحُرَّةٍ بِكْرِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْمَعَارِفِ تُمَكِّنُونَهُ مِنْ نَاصِيَّتِهَا. وَمُنْذُ اعْتَلَقَ بِأَيْمَانِكُمْ، وَاسْتَدَدَ إِلَى إِيْمَانِكُمْ، وَاسْتَفْتَحَ بِأَبْكُمْ، وَاسْتَسْقَى



عَمَامَتُكَ الْمُعَدَّقِ وَسَحَابَتُكَ، فَانْتِفَاعُهُ مَأْمُولٌ، وَتَرَى ذَهَبَهُ وَفَهْمِهِ مَطْلُوبٌ، وَالسَّبَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعَارِفِ - بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ - مَوْصُولٌ؛ أَرْهَفَ اللَّهُ شَبَاهَهُ، وَتَكَفَّلَ بِهُدَاهُ، وَلَا أَسْلَمَهُ فِي يَدَيِ هَوَاهُ. وَأَنْتُمْ أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكُمْ فِيهِ رَبُّ النِّعْمَةِ يُؤَلِّمُهَا، وَالْمِنَّةُ يُهْدِيهَا، وَالْيَدِ الْبَيْضَاءُ يَمْنَحُهَا وَيُسَدِّدُهَا؛ صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ أَجْمَلَ الصَّنْعِ وَأَسْنَاهُ، وَأَتَمَّهُ وَأَبْهَاهُ؛ وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ الْبَرُّ الْعَمِيمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكَاتِبُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عُذْرَةَ⁽¹⁾، يَخُصُّ حَضْرَتَكُمْ الْكَرِيمَةَ وَنُجُومَهَا بِأَتَمِّ سَلَامِهِ، وَأَطْيَبِ ثَنَاتِهِ؛ وَيُخْبِرُهَا عَنْ صَدْرِ عَلَى حُبِّهَا مُنْطَبِقٍ، وَدَمْعٍ عَلَى الْخُلُوعِ مِنْهَا مُطَرِّدٍ مُسْتَبِقٍ، وَشَوْقٍ إِلَى رُؤْيَيْهَا مَا بَيْنَ الضُّلُوعِ بِجَمَرَتِهِ مُخْتَرِقٍ؛ أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِلِقَائِهَا، وَرَشَّ عَلَى حَرِّهَا مِنْ أَنْوَارِهَا. وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُعَادُ عَلَيْهَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَلَهُ أَيْضًا:

السَّيِّحُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ، الْحَافِظُ الْحَافِلُ الْأَكْمَلُ، الْوَلِيُّ الْأَبْرُّ الْأَكْرَمُ الْأَوْصَلُ. أَبُو زَيْنِدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ. أَخِي فِي اللَّهِ وَمُعْظَمِي. أَمْتَعَ اللَّهُ بِنَفَاسَتِهِ، وَتَكَفَّلَ بِوَقَايَتِهِ وَحِرَاسَتِهِ، وَجَعَلَ أَنْفَاسَ الْأَيَّامِ تَنْقَطِعُ دُونَ نَهَائِيَّتِهِ. وَلَيْتُهُ وَمُصَافِيهِ، الْكَلْفُ بِمَنَاقِبِهِ الْحَالِيَةِ وَمَعَالِيهِ. «عُمَرُ بْنُ عُذْرَةَ»:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛ وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، الْمُتَّقِدِ مِنْ أَعْمَالِ الْجَهْلِ وَتَضْلِيلِهِ، وَعَنْ خَلِيفَتِهِ وَصَاحِبِهِ الْإِمَامِ الْعَدْلِ مُوَضِّحِ أَثَرِهِ وَسَالِكِ سَبِيلِهِ، وَالدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَنِيِّ الصَّنْعِ وَجَمِيلِهِ، وَعَلَيَّ الْفَتْحِ وَكَفَيْلِهِ.

(1) هو عبد الرحمن بن عمر بن عذرة الأنصاري من الجزيرة الخضراء كان خطيباً مفوهاً نبياً ذكياً توفي سنة 606 هـ. انظر: تحفة القادم، ص: 146، التكملة، ترجمة رقم: 1631.



فَكَتَبْتُهُ مِنَ الْخَضِرَاءِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - عَنِ الْعَهْدِ الْكَرِيمِ، وَالْعَقْدِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالشُّكْرِ
لِرَبِّكُمْ الْحَفِيلِ الْعَمِيمِ، وَالرَّسْمِ الثَّابِتِ لَكُمْ مِنَ التَّبَحِيلِ وَالتَّعْظِيمِ، بَعْدَ وُصُولِ كِتَابِكُمْ
الْأَكْبَرِ، وَوُقُوفِي مِنْهُ عَلَى مَا أَثَرِ بِجَنْبِ إِشْفَاقِي كُلِّ التَّأْثِيرِ:

وَلَدَيَّ مِنْ شَكْوَى أَلَمٍ بِمَجْدِكُمْ أَلَمٌ يَقْطَعُ زُفْرَتِي نَقْطِيعًا
يُخْفِي لِمُجْتَمَعِ الْحَشَى مِنْ حَرِّهِ قِنْطَا، وَيُبْدِي فِي الْجُفُونِ رَيْعًا
عَمْرِي لَقَدْ أَظْلَمَ لَوْصَبِكَ نَهَارِي، وَتَكَدَّرَ صَفْوُ أَمَالِي وَأَوْطَارِي، فَلَا أَعْدَمَكَ
الزَّمَانُ، وَلَا اشْتَكَى مِثْلُكَ مِنَ الْجَلَّةِ الْأَعْيَانِ، وَأَهَبَّ اللَّهُ عَلَيْكَ نَسِيمَ الرَّاحَةِ، وَعَمَرَ
بَطُولَ بَقَائِكَ وَبَاهِرَ أَضْوَانِكَ جَمَالَ السَّاحَةِ، وَصَرَفَ إِلَيْكَ وَجَهَ الصَّحَةِ قَسِيمًا،
وَعَقَدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعَافِيَةِ عَقْدًا كَرِيمًا.

تَصَفَّحْتُ - أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ - كِتَابَكَ الْكَرِيمَ إِلَى آخِرِهِ، وَأَتَيْتُ عَلَى جُمْلَةِ بَدَائِعِهِ
وَنَوَادِيرِهِ. فَرَأَيْتُ الْفَضْلَ مَنْصُوصًا، وَالسُّؤْدَدَ مَنْظُومًا بِجَلَالِكَ مَخْصُوصًا، وَوَقَفْتُ
عَلَى إِجَارَتِكَ الْمَنْصُوصَةِ⁽¹⁾ لِابْنِكَ وَعَبْدِكَ أَبِي الْحَكَمِ - هَذَا اللَّهُ - عَلَى الْجُمْلَةِ
وَالْتَفْصِيلِ، وَتَشْرِيفِكَ لَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ النَّبِيِّ الْجَلِيلِ، فَشَكَرْتُ اللَّهَ عَلَى إِسْعَادِهِ بِلِقَائِكَ،
وإِمْتِنَاعِهِ بِالْحِظِّ الْأَوْفَرِ مِنْ مُشَافَهَةِ عَلَيَّائِكَ، وَسَأَلْتُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَفْسَحَ لَهُ فِي حَيَاتِكَ،
وَيَنْفَعَهُ بِآيَاتِكَ، وَيَجْعَلَهُ مِنَ الْفَائِزِينَ بِعِنَايَتِكَ وَكَرَامَتِكَ، ثُمَّ عَطَفْتُ عَلَيْهِ - أَرْشَدَهُ اللَّهُ -
سَائِلًا عَنْ حَالِهِ، وَمُسْتَفْهِمًا عَمَّا لَقِي فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ، فَقَدَّمَ الْحَدِيثَ عَنْكُمْ أَوَّلًا،
وَأَتَى بِهِ مُفَصَّلًا وَمُجْمَلًا، وَأَوْرَدَ عَلَى مَسَامِعِ الْقَبُولِ، مِنْ ذَلِكَ الْبِرِّ الْمَبْدُولِ، مَا خَفَّ
سَمَاعًا وَثَقُلَ مَحْمَلًا، فَقُلْتُ لَهُ - هَذَاكَ اللَّهُ - مَا تَجَاوَزْتَ فِي الْإِخْبَارِ، وَلَا أَتَيْتُ إِلَّا
عَلَى شَمْسِ النَّهَارِ، ذَلِكَ الْمَعْلُومُ مِنْ جَلَالِهِ، وَالْمَشْهُورُ مِنْ كَرَمِ خِلَالِهِ:

وَهَلْ يَمْلِكُ الْمِسْكُ الْفَتِيقُ لِنَاشِقِ سِوَى نَفْحَةِ مَوْجُودَةٍ فِي طِبَاعِهِ

(1) بالأصل «المنهوسة» وهي كلمة غير واضحة المعنى.



أَقَرَّ اللَّهُ - يَا أَحْي - بِكَ عَيْنَ الْمَجْدِ وَالذِّكَاءِ، وَوَقَاكَ سِهَامَ الْأَرْزَاءِ، وَأَبْقَاكَ مَمْدُودَ رَوَاقِ السَّنَاءِ، مَطْلُولَ الْأَرْجَاءِ بِالنَّعْمَاءِ. فَقَدْ أَقَرَّرْتَ عَيْنَا، وَأَوَّلَيْتَ بِتَدْرِيبٍ وَلَدِكَ فَضْلًا جَزِيلًا وَمَنَّا؛ وَقَدْ اسْتَصَفَى بِرُّكَ لَهُ وَدَادَهُ، وَاسْتَخْلَصَ لِمَحَبَّتِكَ وَأُفْلَتِكَ خَاطِرَهُ وَفُؤَادَهُ؛ وَبِحُكْمِ ذَلِكَ مَا كَادَ أَنْ يَكْحَلَ الْعَيْنَ بِمَرَاهِ، وَلَا يَشْفِي النَّفْسَ مِنْ أَلَمِ نَوَاهِ، حَتَّى اشْتَدَّ رِكَابًا، وَأَجْمَعَ عَلَى الْمَقَامِ عِنْدَكَ إِرَادَةً وَاسْتِحْبَابًا؛ وَقَدْ جَاذَبْنَاهُ الْمَقَامَ - طَرْفَةَ عَيْنٍ - فَأَبَى، وَاسْتَدْعَيْنَاهُ الثَّوَاءَ - وَمَضَّةَ بَرْقٍ - فَشَرَدَ وَنَبَا؛ فَأَثَرْنَا هَوَاهُ، وَغَلَبْنَا فِي الْحُكْمِ مُنَاهُ، وَأَلْقَيْنَاهُ - بِأَمَانَةِ اللَّهِ - فِي كَنْفِ ذَلِكَ النَّهْيِ وَحِمَاهِ. وَجَلَّالُكُمْ صَانَهُ اللَّهُ وَأَبْقَاهُ يَرْعَى لَهُ ذِمَامَ الْإِنْقِطَاعِ وَالْإِنْتِدَابِ، وَيُؤْنِسُهُ فِي وَخْشَةِ الْإِغْتِرَابِ، وَيَقْطَعُهُ جَانِبًا مِنْ دُعَائِهِ النَّافِعِ الْمُجَابِ، بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. صَنَعَ اللَّهُ لِأَحْيِ وَيَدِي أَفْضَلَ الصَّنْعِ وَأَسْنَاهُ، وَيَلْغَهُ فِي الدَّارَيْنِ غَايَةً مَا يَتَمَنَّا، وَأَوْجِبَ لَهُ وَلَنَا - بِرَحْمَتِهِ - زُلْفَاهُ؛ وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَوْفَى، الْمَعَادُ الْمَوْصُولُ الْمُسْتَوْفَى، عَلَيْهِ وَعَلَى كَافَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

وَلَهُ:

الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ: الْحَافِظُ الْعَالِمُ الْأَكْمَلُ، أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ شَيْخُنَا وَمُعَظَّمُنَا. وَصَلَّ اللَّهُ عِزَّتُهُ وَعِلَآءُهُ، وَشَكَرَ بَرَّهُ وَتَهَمَّمَهُ وَثَنَاءَهُ. الْمُسْتَشْفِيَانِ بِنَسِيمِ أَنْجَادِهِ، الْمُسْتَشْفِيَانِ صَوْبَ عِيَادِهِ، الْمُتَقَادَانِ فِي أَرْمَةِ حُبِّهِ وَوِدَادِهِ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَمُحَمَّدُ ابْنَا عُذْرَةٍ؛ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ:

حَرَسَ الرَّحْمَنُ أَلْسِنَةً	بِجَمِيلِ الْقَوْلِ قَدْ نَطَقُوا
أَنْكَرُوا شُنْعَاءَ مَنْ كَذَبَ	لَيْسَ فِي ظُلُمَائِهَا فَلَقُوا
وَانْبَرُوا لِلدَّفْعِ عَنْ قَمَرٍ	فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ يَأْتَلِقُ
كُلَّمَا ضَاءَتْ مَشَارِقُهُ	فَلَقَ الْحُسَّادُ أَوْ شَرِقُوا
أَنْفٌ مَنْ أَجْرَى لَيْسِقُهُ	بِرَغَامِ الْعَجْزِ مُلْتَصِقُ
يَا إِمَامَ الْوَقْتِ مِثْلُكُمْ	نَمَّ مِنْهُ ذَلِكَ الْعَبَقُ



غَضِبْتُ عَلَیْكُمْ لَفَتَیْ نَالَ مِنْهُ الْكَاشِحُ الْحَنِیْ
فَرَمَیْتُمْ عَیْنَ حَاسِدِهِ بِأَلَّتْیْ تُزَوَى لَهَا الْحُرْقُ
وَفَضَحْتُمْ زُورَ مُؤْتَفِكِ لِمَعَانِي الذَّمِّ یَحْتَلِقُ
وَرَفَعْتُمْ ذِكْرَ ذِي هَمَمٍ أَنَّهُضَتْهُ النَّفْسُ وَالْخُلُقُ
عَانَقْتُمْ كُلَّ مَنْزِلَةٍ لَمْ تَزَلْ لِلسَّعْدِ تَعْتَنِقُ
وَأَنَامَتْ عَنْكُمْ زَمَنًا بَاتَ فِی أَجْفَانِهِ الْأَرْقُ

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْفَقِيْهُ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ، وَالْعَلَمُ الْفَرْدُ الَّذِي بَدَّ الْأَعْلَامَ. فَإِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ حَقَّ حَمْدِهِ، وَنُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ رَّسُولِهِ وَعَبْدِهِ، وَنَسْتَوْهِبُهُ الرَّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ وَعَنْ خَلِيفَتِهِ الْقَائِمِ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنْ يَمُدَّ سَيِّدَنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَأْيِيدٍ وَنَصْرٍ مِنْ عِنْدِهِ. وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى وَجَلَّ أَنْ يَسْقِي حَضْرَتَكُمْ الْعَالِيَةَ مِنْ غُرِّ دِيَمِهِ، وَمَثَابَتَكُمْ الْحَالِيَةَ مِنْ سُبُلِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ. فَإِنَّهَا حَضْرَةُ الْعُلُومِ، وَمَقَرُّ السُّودَدِ الْمَعْلُومِ، وَمَشْرِعُ الْبِرِّ وَوَادِيهِ، وَمُجْتَمَعُ الْفَضْلِ وَنَادِيهِ، وَزَهْرَةُ الْأَدَبِ وَرَوْضَتُهُ، وَغَدِيرُهُ وَأَيْكَتُهُ، حَرَسَ اللَّهُ مَكَانَهَا، وَنَصَرَ لِلْأَمَلِينَ أَفْنَانَهَا، وَأَوْدَعَ الْقُلُوبَ حِكْمَتَهَا وَإِيمَانَهَا.

وَخَطَطْنَاهُ ⁽¹⁾ -أَدَامَ اللَّهُ عِزَّكُمْ- مِنْ «الْخَضْرَاءِ» -حَرَسَهَا اللَّهُ- عَنْ أَلْسِنَةِ مُفْصِحَةٍ بِحَمْدِكُمْ، وَصُدُورِ مُنْطَبِقَةٍ عَلَى وُدِّكُمْ، وَنُفُوسِ مُشْرِبَةٍ عِلَاقَةً فَخَرِكُمْ وَمَجْدِكُمْ؛ عَظِيمُ أَمَلِهَا أَنْ تَذْنُقُوا قَلِيلًا، وَتَرِدَ مِنْكُمْ عَيْنًا سَلْسِيلًا ⁽²⁾، وَتَأْخُذَ عَنْكُمْ فُرُوعًا وَأَصُولًا، وَتُنَشِّطَ بِكُمْ مِنْ عِقَالِ الْغَفْلَةِ خَاطِرًا لَمْ يَزَلْ مَعْقُولًا؛ وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ يُنْهِجُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَيَسْفِي بِلِقَائِكُمْ مِنْ بَرِّ حَائِهِ عَلِيلًا.

(1) فف الأصل: وخططناه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) سورة الإنسان، الآية: 18.



وإِلَى هَذَا - دَامَ سَعْدُكُمْ - فَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ الْأَيُّورُ الْكَرِيمَ، كَمَا هَبَّ النَّسِيمَ، وَطَلَعَ عَلَى الْمَشْغُوفِ وَجْهَ قَسِيمٍ، فَأَخْلَلْنَاهُ بِمَحَلِّ التَّكْرِيمِ، وَتَلَقَّيْنَاهُ بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ، وَنَظَرْنَا إِلَى أَلْفَاظِكُمُ الْغُرِّ، وَأَغْرَضِكُمُ النَّبِيَّ لَا نُعْدِلُ بِنَفِيسِ الدَّرِّ، وَمَا حَمَلْتَكُمْ عَلَيْهِ الْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ وَالْأَنْفَةُ الْحَامِيَةُ مِنَ التَّشْيِعِ وَالْإِنْتِصَارِ، وَالْأَخْذِ لِعَبْدِكَ وَمَحَلِّ ابْنِكَ أَبِي الْحَكَمِ - وَفَقَهُ اللَّهُ - مِنْ عَدُوِّهِ بِالنَّارِ، وَمَا خَلَعْتُمْ عَلَى عَرْضِهِ مِنَ الْحَلِيِّ وَالْحُلِّ، وَأَشْرَعْتُمْ نَحْوَ مُنْعِمِهِ مِنَ أَلْفَاظٍ قَامَتْ مَقَامَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ. فَرَأَيْنَا مَا قَرَّتْ بِهِ النَّفْسُ وَالْعَيْنُ، وَتَمَيَّزَ بِهِ الصَّدْقُ مِنَ الْمَيْنِ، وَلَا حَ بِه ذِكَاؤُ ذَلِكَ الْجَانِبِ لِذِي عَيْنَيْنِ، وَشَكَرْنَا - عَلِمَ اللَّهُ - تِلْكَ الْأَنْفَاسَ، وَلَكُنْمَا فِي تِلْكَ الْأَنْفَاسِ ⁽¹⁾ وَقُلْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ كَانَتْهَا نَطَقَتْ بِاللِّسَانِ، أَوْ عَلِمَتْ بِمَا فِي الْجَنَانِ. فَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ مِنْ عَالِمٍ عَلِمَ، وَفَاضِلٍ وَقَفَ وَقُوفَ الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ عَلَى قَدَمٍ، وَتَرَكَ الْحَاسِدَ الْكَاشِحَ يَعْضُ بَنَانَهُ مِنْ نَدَمٍ ⁽²⁾. أَسَكَّتْ اللَّهُ نَأْمَتَهُ، وَاسْتَأْمَلَ شَأْفَتَهُ، أَرَادَ أَنْ يَطْمِسَ فَجَلِّي، وَيَهْدِمَ فَبْنَى وَأَعْلَى، وَيَبْحَسَ الْجَوَاهِرَ فِي أَثْمَانِهَا، فَرَادَ - عَلَى رَغْمِهِ - وَأَعْلَى، بِفِيهِ الْإِثْلَبُ ⁽³⁾ مَا ضَرَّ بَنُحَهُ، وَلَا أَثَرَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - جُرْحُهُ، وَقَوْلُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، وَإِفْكُهُ مَضْرُوفٌ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا إِشَارَةُ الْأُسْتَاذِ عِمَادِنَا - أَبْنَاهُ اللَّهُ - كَيْفَ تَمَكَّنَ مِنَّا حَتَّى تَقَرَّرَتْ عِنْدَنَا تِلْكَ الْأَفِيكَةُ، فَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ الْأَسْمَاعَ الَّتِي سَمِعَتْهَا مَا قَبْلَتْهَا، وَأَنَّ الطَّبَاعَ الَّتِي أَشْرَبَتْهَا قَدَفَتْهَا فِي الْحَيْنِ وَمَجَّتْهَا. وَصَنُونَا - صَانَهُ اللَّهُ - أَرْجَحُ مِنْ ذَلِكَ عَقْلًا، وَأَوْفَى فَضْلًا، وَأَشْفُ جَوْهَرًا، وَأَعْلَى فِي سَاحَةِ التَّنْزِهِ وَالْعَفَافِ مِنْبَرًا، وَمَا خُوطِبَ عَنَّا فِي ذَلِكَ إِلَّا لِيَتَضَحَّ هَذَا الْكَاذِبُ، وَيَتَضَحَّ بَرُّ ذَلِكَ الْجَانِبِ، فَقَدْ كَانَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - وَلِيِّ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْأُسْتَاذِ الْمُعْظَمِ - شَرَّفَ اللَّهُ ذِكْرَهُ - مَشْكُورٌ لَهُ الْمَقَامُ، مَحْمُودٌ لَهُ الْإِنْتِصَارُ لَوْلِيهِ وَالْإِنْتِقَامُ، مَذْكُورٌ لِكُلِّ صَالِحَةٍ مَا بَقِيَتْ الْأَيَّامُ. وَرَغْبَةُ مُجَلِّهِ وَمُحِبِّهِ

(1) الأنفاس: جمع «نفس» وهو المداد الذي يخط به الكتاب.

(2) مقتبس من قول الشاعر:

لَتَفَرَّعَنَّ عَلَيَّ السِّنُّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَغْضَ أَخْلَاقِي

(3) الإثلب: التراب والحجارة. ويقال: «بفيه الإثلب». انظر: اللسان.



«عَبْدُ الرَّحْمَنِ» إِلَى سَابِقِ عِلْمِهِ، وَسَاتِقِ فَهْمِهِ، فِي إِجَارَةِ يُقْلَدُهُ دُرَّهَا وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ شَرَفَهَا وَفَضْلَهَا، وَيَمْلِكُ بِذِكْرِهَا نَجْدَ الْأَرْضِ وَغَوْرَهَا، وَهُوَ يَرْجُو -بِفَضْلِ اللَّهِ- أَنْ يَكُونَ عَلَى الْغَيْبِ أَبْرَّ شَاهِدٍ، وَأَنْ يَأْتِيَ عَلَى ذَلِكَ الْحَوْضِ أَوْلَى وَارِدٍ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ بَهَرَ بِالْحُجَجِ الْقَوَاطِعِ، وَصَدَعَ الْقُلُوبَ بِالْبَيَانِ الصَّادِعِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رُبَّ مُبْلَغٍ أَوْلَى مِنْ سَامِعٍ»⁽¹⁾. فَلْيَمَنَّ الْأُسْتَاذُ -وَفَقَّهُ اللَّهِ- بِإِسْعَافِي، وَلْيَعْلَمْ قَدَرَ تَشَوُّفِي وَاسْتِشْرَافِي، وَلْيَجْرِ عَلَى عَادَتِهِ فِي الْوَفَاءِ فَإِنَّهُ الرَّاجِحُ الْوَافِي. وَأُهِدِيهِ مِنَ السَّلَامِ أَلْفَهُ سِرًّا وَأَفْرَحَهُ نَشْرًا وَأَحْسَنَهُ تَأْلَفًا وَبِشْرًا، وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَعُودُ عَلَيْهِ وَعَلَى حَضْرَتِهِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

أُخْرَى:

الشُّيُوخُ الْفُقَهَاءُ الْجِلَّةُ الْأَوْلِيَاءُ الْبَرَّةُ الْأَصْفِيَاءُ، أَبُو فَلَانٍ وَأَبُو فَلَانٍ وَأَبُو فَلَانٍ. بَنُو أَبِي الْعَبَّاسِ⁽²⁾ جَبَرَ اللَّهُ مُصَابَهُمْ وَخَتَمَ بِهِ أَوْصَابَهُمْ. مُتَنَزِّمٌ بِرَّهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ، وَمُسَاهِمُهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ -عَمْرُ بْنُ عَذْرَةَ-.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُحْمَدُ عَلَى الْمَكْرُوهِ سِوَاهُ، وَلَا يُشْكَرُ عِنْدَ نَزُولِ الْفَجَائِعِ إِلَّا إِلَاهُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ وَمُحِبَّتَبَاهُ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الَّذِي هَدَى بِهِ وَهْدَاهُ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَارِثِ عِلْمِهِ وَحِلْمِهِ وَنُهَاةِ، وَلِلْإِمَامِ الْأَجَلِّ الْمَلِكِ الْأَعْدَلِ الْأَكْمَلِ «أَبِي يَعْقُوبِ»⁽³⁾ حَامِلِ رَايَةِ الْمَجْدِ وَعُلَاهُ.

فَكَتَبْتُهُ مِنْ «سَبْتَةِ» -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَالنَّوْمِ -عَلِمَ اللَّهُ- غِرَارَ، وَالْقُلُوبُ أَعْشَارَ، وَالْأَنْوَارُ كُلُّهَا فِي الْعُيُونِ ظِلْمٌ وَأَكْدَارُ، أَسَفًا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْقَدَرُ السَّابِقُ، وَالْقَضَاءُ اللَّاحِقُ، مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ الْحَافِظِ الْكَاتِبِ الْأَجَلِّ الْأَوْحِدِ الْأَمَّجِدِ الْأَكْمَلِ، عَلِمَ

(1) حديث نبوي شريف.

(2) يعني ببني أبي العباس أبناء أحمد بن عذرة.

(3) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن وقد سبق التعريف به.



الأعلام، وسراج الأيام، وتاج الكمال والتمام، أبي محمد أخيكُم وأبيكُم، ووليي وأخي وصفي ونجِّي كان، برَّد الله ثراه، وقدَّس مثواه، وجعل الجنة ماله ومُنتهاه.

فِيَالَهُ مُصَابٌ تَرَكَ الْقُلُوبَ مَقْطُورَةً، وَالْأَذَانَ مَوْقُورَةً⁽¹⁾، وَالنَّفُوسَ هَامِدَةً، وَالْعُقُولَ ذَاهِلَةً خَامِدَةً، فَعَلَى مِثْلِهِ تَبْكِي الْمَجَالِسُ وَالْمَحَاضِرُ، وَتَنْدُبُ الْمَحَافِلُ وَالْمَنَابِرُ، وَتَرْثِي الدَّفَاتِرُ وَالْمَحَابِرُ، وَتَنُوحُ الْمَآئِرُ وَالْمَفَاخِرُ، فَلَقَدْ أَصْبَحَتْ آثَارُهَا بَعْدَهُ دَارِسَةً، وَأَعْلَامُهَا طَامِسَةً، وَأَيَّامُهَا مِنْ خَلْفِ مِثْلِهِ يَائِسَةً، وَبُطُونُ الثَّرَى فِي ضَمِّهِ وَشَمِّهِ - كَمَا حَكَّمَ اللَّهُ - مُتَنَافِسَةً، وَعِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى نَحْتَسِبُهُ مِنْ وَلِيِّ كَرِيمٍ، وَصَفِيِّ حَمِيمٍ، وَحَبِيبٍ - فَارَقْنَا - غَيْرَ مَلُومٍ وَلَا مُلِيمٍ. وَأَنَا أَقُولُ عَلَى خِلَاءِ الْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ مِنْ مَكَانِهِ، وَعَرَاءِ الْمَعَارِفِ وَالْآذَابِ مِنْ مَحَاسِنِهِ وَإِحْسَانِهِ، «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾. وَمِثْلُكُم - يَا أَوْلِيَاءَنَا وَأَبَاءَنَا - صَبَرَ عَلَى لَوْعَةِ الْحَمِيمِ، وَرَجَعَ إِلَى التَّقْوِيضِ وَالتَّسْلِيمِ، وَلَقِيَ اللَّهَ فِي حُسْنِ الْعَزَاءِ فِيهِ ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽³⁾. أَقُولُ هَذَا وَالصَّبْرُ - عِلْمُ اللَّهِ - مَعْدُومٌ، وَالْجَزَعُ مَعْلُومٌ، وَالتَّجَلُّدُ خَلْفَ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ مَفْهُومٌ. فَلَقَدْ كُنْتُ أَكَاثِرُ بِهِ أَوْلِيَائِي، وَأَفَاخِرُ بِهِ أَصْفِيَائِي، وَأَعِدُهُ لِنَفْسِي وَزَمَنِي وَأَبْنَائِي.

وَاللَّهُ - بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ - يُحْسِنُ فِيهِ عَزَاءَنَا وَعَزَاءَكُم، وَيَخْتِمُ بِهِذَا الرُّزْءَ الشَّامِلَ أَرْزَاءَنَا وَأَرْزَاءَكُم، وَيَجْعَلُ فِيهِ الْأَجَرَ الْجَزِيلَ، وَالثَّوَابَ الْحَفِيلَ، جَزَاءَنَا وَجَزَاءَكُم، وَعِنْدِي مِنَ التَّطَلُّعِ لِحَالِكُم مِنْ بَعْدِهِ، وَتَعَرُّفِ حُسْنِ عَزَائِكُم وَصَبْرِكُم عَلَى فَقْدِهِ، مَا يَكُونُ عِنْدَ مَنْ فَقَدَ وَاسِطَةَ عِقْدِهِ⁽⁴⁾، وَسَاهَمَكُم بِالْحِظِّ الْأَوْفَرِ فِي مُصَابِهِ وَحُزْنِهِ وَوَجْدِهِ. وَالسَّلَامُ الْعَمِيمُ الْمُعَاذُ الْكَرِيمُ عَلَى جَمِيعِكُم، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(1) موقورة: أي فيها وقر بحيث لا تسمع وقد ذكر القرآن الكريم ذلك حيث قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾. سورة فصلت، الآية: 4.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 35.
(3) سورة الشعراء، الآية: 89.
(4) فيه نظر إلى قول ابن الرومي:

تَوَخَّى حِمَامَ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ



أُخْرَى:

السَّيِّخُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُ الْأَوْرَعُ الْأَذْكَى الْأَفْضَلُ الْوَلِيُّ الْأَخْلَصُ الْأَوْصَلُ «أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ أَبِي الْحَسَنِ» أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ، وَفَسَحَ مُدَّتَهُ، مُوَثِّرُهُ الْمُخْلِصُ لَهُ الْمُحِبُّ فِيهِ فَلَانٌ.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ، وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ حَمْدِهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَعَبْدِهِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَنْ خَلِيفَتِهِ الْأَكْرَمِ وَلِيِّ عَهْدِهِ، وَالِدَعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ الْعَمِيمِ مِنْ عِنْدِهِ.

فَكَتَبَهُ مُوَثِّرُكُمْ وَالْبَرُّ بِكُمْ، عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي لَا يَذْبُلُ نَاضِرُهُ، وَلَا يَغْمُضُ عَنْ حِفْظِ الْوِدَادِ نَاطِرُهُ. وَإِنَّهُ كَانَ وَصَلَ كِتَابُكُمْ الْكَرِيمِ، مُعْرِبًا عَنْ خُلُوصِكُمْ الَّذِي لَا يَبْرَحُ وَلَا يَرِيمِ، وَأَصْحَبْتُمْ مَعَهُ مِنَ الدَّرِّ النَّظِيمِ، مَا تَلَقَّيْتُمْ بِيَدِ التَّرْفِيعِ وَالتَّعْظِيمِ، وَصَرَفْتُمْ بَيْنَ النَّاطِرِ وَالْفُؤَادِ، فَتَارَةً فِي السُّوَيْدَاءِ وَتَارَةً فِي السَّوَادِ، وَلَا نَكِيرَ فِي جُودِ الْبَحْرِ بِالدَّرِّ، وَالْعَمَامِ بِوَاكِينِ الدَّرِّ، وَالرَّوَضَةِ الْغَنَاءِ بِالنَّفِيسِ الْعَطِيرِ، وَالْأَخِ الْمُخْلِصِ بِالْعَلْقِ الْخَطِيرِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْقِيكُمْ لِإِخَاءٍ تَرْفَعُونَ عُمْدَهُ وَتَصِلُونَ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَمْدَهُ. وَحَالُ وَلِيِّكُمْ الْوَادُ لَكُمْ أَنْ ذَهَبْتُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، عَلَى مَا يُسِّرُ مِنْ اتِّصَالِ الْعَافِيَةِ، وَالنِّعْمَةِ الْكَافِيَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَكْرَمُ الْأَعْظَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أُخْرَى:

السَّيِّخُ الْأَجَلُ الْأَكْرَمُ الْأَعَزُّ الْأَفْضَلُ، سَيِّدِي وَمُعَظَّمِي الْفَقِيهِ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ «أَبُو الْقَاسِمِ» أَكْرَمَهُ اللَّهُ كَرَامَةً أَوْلِيَائِهِ، وَأَمْتَعَ الْمُسْلِمِينَ بِبَقَائِهِ، ذَاكِرَ عَلَيَّائِهِ وَنَاشِرَ بُرْدِ فَخْرِهِ وَلَوَائِهِ، عَبْدُهُ الْمُتَقَلِّبُ فِي ظِلَالِ نِعْمَائِهِ، فَلَانٌ سَلَامٌ كَثِيرٌ أَثِيرٌ عَمِيمٌ عَلَى سَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فِي الْحَلِّ وَالتَّرْحَالِ، فَإِنِّي كَتَبْتُ وَلَا حَادِثَ إِلَّا عَوَارِفَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَامْتِنَانَهُ، وَعَمِيمَ بَرَكَتِهِ وَإِحْسَانَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمَسْئُولُ أَنْ يُعَيِّنَ عَلَى شُكْرِ مَا أَسْدَى مِنْ نِعَمِهِ الْكَامِلَةِ، وَخَيْرَاتِهِ الشَّامِلَةِ.



وَقَدْ كَانَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، وَأَعْظَمَهَا خَطَرًا لَدَيَّ الْعَوْدُ إِلَيْكُمْ، وَالْوَفُودُ عَلَيْكُمْ. فَاسْتَضِيءَ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ، وَأَقْتَطِفَ مِنْ تِلْكَ الْأَزْهَارِ، لَوْ سَاعَدَ الزَّمَانُ، وَلَمْ يُعِقْ عَنِ الْمُرَادِ الْحَدَثَانِ، وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَنَا أَمْتَطِي صَهْوَةَ الْجِدِّ، وَأَسْتَمْطِرُ غَمَامَةَ الْجِدِّ، لَعَلَّ اللَّهَ يُقَرِّبُ الْمَأْمُولَ، وَيَمْنَحَ الْمَسْئُولَ، فَأَشْهَدُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ، وَأَرِدُ ذَلِكَ الْمَوْرَدَ، وَأَرْغَبُ إِلَى سَيِّدِي -أَدَامَ اللَّهُ- عِلَّاهُ، وَكَبَتِ أَعْدَاؤُهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ فِي تَيْسِيرِ ذَلِكَ، وَالظَّفَرِ بِمَا هُنَالِكَ. وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى سَيِّدِي بِالْمَسْأَلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرَ، وَلَمْ أَلْ جُهْدًا فِي أَمْرِهِمَا وَإِنْ كَانَ مِنِّي فِي ذَلِكَ مَا يُشْبِهُ التَّقْصِيرَ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ تَعْجِيلٌ، وَمِثْلُ سَيِّدِي -أَعَزَّهُ اللَّهُ- يَقْضِي وَيَسْمَحُ، وَيَهَبُ الرِّضَا وَيَمْنَحُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ عَلَى آدَاءِ حَقِّهِ وَشُكْرِ أَيَادِيهِ بِمَنْهَ، وَالسَّلَامُ الْأَزْكَى الْأَخْطَرُ الْأَذْكَى الْأَعْطَرُ عَلَى سَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أُخْرَى:

السَّيِّخُ الْأَجَلُ الْفَقِيهُ الْأُسْتَاذُ الْأَفْضَلُ الْمُتَكَلِّمُ الْأَجْمَعُ الْأَخْفَلُ فُلَانُ، الَّذِي أَضَاءَ زَمَانًا بِهِمَا رَوْقَتَ ظُلُمَاؤُهُ، وَشَرَّفَ سَهْلًا⁽¹⁾ حِينَ اعْتِزَاؤُهُ إِلَيْهِ وَانْتِمَاؤُهُ. أَبْقَاهُ اللَّهُ وَالْعَالِمُ الْحَبْرُ وَالنَّخِيرُ أَسْمَاؤُهُ، وَهَدَفَ الْإِصَابَةَ يُقَرِّطُهَا نِصَالَهُ السَّيِّدِ وَرِمَاؤُهُ، مَصَافِيهِ الْوُدَّ الصَّرِيحَ بِمُقْلَةٍ السَّوَاءِ، الْمُفْتَخِرَ بِدُخُولِهِ تَحْتَ تِلْكَ الرَّائِيَةِ وَاللَّوَاءِ، الْعَالِمُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْاِحْتِشَادِ الْحَافِلِ وَالْاِحْتِوَاءِ، مُجِلَّهُ وَمُعَظَّمِهِ الْمُكْبِرِ لَهُ «فُلَان».

سَلَامٌ طَيِّبٌ عَلَيْكُمْ يَأْخُذُ مِنَ الصُّبْحِ النَّيِّرِ فَلَقَهُ، وَمِنْ الْمَسْكَ الْفَتِيْقِ أَرْجَهُ وَعَبَقَهُ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ، أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْقُلُوبَ تَعْرِفُ أَمْثَالَهَا وَتُنْكِرُ أَضْدَادَهَا⁽²⁾ وَتَتَجَاوَزِي عَلَى الْبُعْدِ بُغْضَهَا الْحَاصِلَ أَوْ وَدَادَهَا، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَاةً مُكَرَّرَةً يَكُونُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامِهَا وَالسَّبْعَةُ الْأَبْحُرِ

(1) يقصد به الكاتب الإمام السهيلي المشهور بكتابه: «الروض الأنف» وهو من كبار المحدثين وشرح السيرة في الأندلس.

(2) فيه نظر إلى قوله ﷺ: «القلوب جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف».



مِدَادَهَا⁽¹⁾؛ وَالرَّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ الْكَاشِفِ عَنْ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ ظَلَمَتَهَا بِالتَّجْسِيمِ الْمُضَلَّلِ وَازِيدَادَهَا، وَعَنِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ النَّاصِرِ الَّذِي أَذَاعَ الدَّعْوَةَ الْآخِذَةَ مِنَ النُّورِ النَّبَوِيِّ اسْتِنَصَارَهَا وَاسْتِمْدَادَهَا، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فِي فُتُوحِ جَمَّةٍ لَا نُحْصِي حُسْبَانَهَا وَلَا نُحْصِرُ تَعْدَادَهَا.

فَإِنَّ كِتَابَكُمْ الْكَرِيمَ وَرَدَّ وَرُودَ الْبَذْرِ الْمُنِيرِ وَطَلَعَ، وَقَارَنَ وَرُودَهُ أَسْعَدَ السُّعُودِ أَوْ سَعَدَ بُلْعِ⁽²⁾، فَلِلَّهِ دَرَّةٌ مِنْ كِتَابِ كَرِيمٍ تَمَتَّعْتُ مِنْهُ بِالرَّوْضَةِ الْأَيْقَةِ الْغَنَاءِ، وَتَرَنُّحْتُ لِمَا اسْتَوْدَعَهَا مِنْ جَمِّ الْمَدِيحِ وَعَمِيمِ الثَّنَاءِ، وَصُتَّتْ كَمَا يُصَانُ دُرٌّ الْاِخْتِرَانِ وَيَا قُوْتُ الْاِقْتِنَاءِ، وَأَمَّا الْحُلِيِّ الَّتِي حَلَيْتُمْ وَلَيْكُمُ الْمُعْظَمُ بِنَفْسِهَا وَخَطِيرَهَا، وَذَكَرَاهُ الَّتِي غَنَيْتُمْ وَلَكُمْ الطُّولُ بِتَطْيِيبِهَا وَتَعْطِيرِهَا، فَمَا ذَلِكُمْ إِلَّا خَيْمٌ كَرِيمٌ يُغْرِي بِالْفَضْلِ الْمُبِيرِ وَيُولِعُ، وَيَخْلَعُ عَلَى مُجَلِّهِ صِفَاتِ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَتْ صِفَاتِ النَّفْسِ لَا تُخْلَعُ، وَلِيَهْنِي رَئِيسِي الْمُعْظَمُ وَإِمَامِي الْمُقَدَّمُ، مَا سَارَ لَهُ مِنَ الذِّكْرِ الْأَرِيحِ بِسَيْرِ الشَّمْسِ، وَتَخْدِثُ الرُّكْبَانَ عَنْ فَضْلِهِ بِالْجَهْرِ لَا بِالْهَمْسِ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَكَرِيمِ الْغُرُضِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمُتَّقِي: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ».

وَأَمَّا الْفَقِيهَ النَّبِيَّ ذُو الشَّرَفِ وَالْحَسَبِ وَالْفَضْلِ الْمَوْزُوثِ وَالْمُكْتَسَبِ «فُلَانٌ» فَجَمَعَ خِصَالَ الْإِيمَانِ وَشُعْبَهُ وَدَلَّلَ لَهُ مَقَرَّمِ الْمَجْدِ وَمُضْعَبَهُ، فَإِنِّي تَلَقَّيْتُهُ كَمَا يَتَلَقَّى الْأَبُّ الرُّوْمَ وَاحِدَهُ، وَعَرَفْتُ فِي الْأَلَايَةِ وَلَوْ ذَعِيَّتِهِ مَنَابِتَهُ الشَّرِيفَةَ وَمَحَاتِدَهُ. وَجَدِيرٌ بِمَنْ خَلَصَهُ تَخْرِيبُكُمْ، وَصَرَفَهُ فِي سُنَنِ الْمَعَارِفِ تَذْرِيبُكُمْ، وَعَرَفَهُ تَعْطِيرُكُمْ وَتَأْرِيبُكُمْ، أَنْ يَتَلَقَّى رَايَةَ الْمَجْدِ كَمَا تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ⁽³⁾، وَيَأْتِي بِمَا شَاءَ مِنْ نَبَاهَةٍ وَغَرَابَةِ. وَلَيْكُمُ -أَعَزَّكُمْ اللَّهُ- الْكَفِيلُ بِبِرِّهِ، الصَّامِنُ بِخَزَنِ دَرَّةٍ. وَاللَّهُ يُعِينُ عَلَى مَا يَتَقَاضَى رِضَاكُمْ وَيَضْقَلُّ مُزْهَقُكُمْ وَمُسْتَفَاكُكُمْ، وَيَجْرِي فِيهِ عَلَى دَيْدَنِكُمْ فِي كَرِيمِ الْمَعَاشِرَةِ

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْقَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَهَدْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾. سورة لقمان، الآية: 26.

(2) هناك برجان مشهوران هما: سعد السعود وسعد بلع.

(3) فيه إشارة إلى قول الشاعر العربي:



وَمُقْتَفَاكُمْ بِمَنِّهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ. وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ تُقْصِدُ بِهِ حَضْرَتَكُمْ وَتُضْمَدُ،
وَيُعَادُ عَلَيْكُمْ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ⁽¹⁾. وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أُخْرَى⁽²⁾:

وَمَا سَرَّ قَلْبِي مُنْذُ شَطَطَتْ بِكَ النَّوَى نَعِيمٌ وَلَا أَنْسُ وَلَا مُتَصَرِّفٌ
وَلَا دُفْتُ طَعْمَ الْمَاءِ إِلَّا وَجَدْتُهُ سِوَى ذَلِكَ الْمَاءِ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
كَتَبْتُهُ أَيُّهَا الْأَخُ الْوُدُودُ، وَالصَّفِيُّ الْمَوْدُودُ، الَّذِي بَدَّ النَّاسَ جَمَالًا، وَفَاتَهُمْ تَمَامًا
وَكَمَالًا، وَطَالَهُمْ أَضْلًا، وَمَخْتَدًا وَجَلَالًا. وَحَلَّ مِنْ شَرَفِ آبَائِهِ الْكَرَامِ، وَأَسْلَافِهِ
السَّادَةِ الْفُضَلَاءِ الْأَعْلَامِ، بِحَيْثُ حَسَدَتْهُ دَرَارِي النُّجُومِ، وَأَضْبَحَتْ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ
الْمَرَاتِبِ الْمَنِيعَةِ، وَالرُّتَبِ الرَّفِيعَةِ تَدُورُ وَتَحُومُ. وَسَلَّمْ لَهُ نَظْرَاؤُهُ فِي مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ،
وَقَضُوا بِتَقْدِيمِهِ وَتَفْضِيلِهِ، وَخَلُّوا لَهُ فِي مَجَالِ الْعِلَالِ بَيْنَ عَرِيضِهِ وَطَوِيلِهِ، وَتَنَحَّوْا لَهُ
عَنْ تِلْكَ الْمَنَاهِجِ وَالْمَسَالِكِ، وَتَحَامَوْا مَكَانَهُ فِي الْوَفَاءِ تَحَامِي الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ⁽³⁾.
وَتَبَرَّأُوا إِلَيْهِ مِنْ شِيْمَةٍ طُبِعَتْ فِي بَنِي أَبِي الْعَبَّاسِ، وَتَمَيَّزُوا بِحُسْنِ صِفَاتِهِ تَمَيَّزَ عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ عَبَّاسٍ، فَقَبِلَ -وَفَقَّهُهُ اللَّهُ- تِلْكَ الْخَطَابَةَ، وَتَلَقَّاهَا مِنْهُمْ كَمَا تَلَقَّى رَايَةَ الْمَجْدِ عَرَابَهُ.
وَأَضْبَحَ وَاضِحَ الْجَبِينِ، مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ، نَاهِضًا إِلَى كُلِّ مَجْدٍ وَشَرَفٍ بِأَحْكَمِ بَصِيرَةٍ
وَأَبْرَمِ يَقِينٍ⁽⁴⁾:

فَتَى لَوْ يُبَارِي الشَّمْسُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرُ السَّارِي لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا
كَتَبَ وَصَلَ اللَّهُ جَلَالَهُ، وَقَارَضَ بِهِ وَاجْمَالَهُ، يَشْكُو مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ مَا أَخُوهُ وَمُعْظَمُهُ
أَحَقُّ بِشُكْوَاهُ، وَأَجْدَرُ بِذِكْرَاهُ، وَأَبْلَى أَنْ يَغْلِبُهُ عَلَى حُسْنِ الْعَزَاءِ وَإِظْهَارِ التَّحْمُلِ هَوَاهُ،

إِذَا مَارَايَةَ رُفَعْتَ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةً بِالْيَمِينِ

(1) مثل عربي مشهور، انظر معجم الأمثال 2/ 41. المثل رقم 2543.

(2) البيتان لابن زريق البغدادي صاحب العينية المشهورة. انظر كتاب: بغداديون في الأندلس. وهو من الطويل.

(3) البراء بن مالك: صحابي جليل قتل سنة 20 هـ في فتح تُسْتُر.

(4) البيت للأعشى، ديوانه، ص: 115.



لأنه - جبر الله مُصابه- فارق بهجة سناء، وعمدة وفاء، ونخبة جلاله ونباهة وذكاء،
وجملة عذبت مواردهم وحياضهم، وحمدت مقاصدهم وأغراضهم، وأشرقت
كالسيف الصقيل وجوههم وأغراضهم، رعوأ أكناف المجد وسادوا وهم في المهة،
وشادوا مناقب أتعبت من في العور والتجد، ووصلوا إلى كل غاية، ونشروا على ربوة
البیان وثنية الإبداع والإحسان راية جنب راية، وتركوا من آثارهم وأنوارهم في كل مكان
وزمان آية تقصدها آية. فما شئت من لسان قد غدي بالصواب، وأيد بالحكمة وفصل
الخطاب، إن لآن فروض ممتور أو لؤلؤ منشور، أو ليلة وصل نجوم سغدها لا تغور، وإن
خشن فعضب مطرور، أو أسد مؤتور، أو كتيبة حرب رحي موتها تدور. يسبح حمى
الأساد، ويذيب المناصل في الأعماة، وما أحييت من خلق كريم يغنيك عن الروضة
الغناء، ويُنسبك محاسن الوشي في يد الحسناء، يغمرك بنواله، ويخرج إليك عن جميع
حاله، ويأنف من فعل الفزاري في قسمة ماله. أهلاً بكم يابني أبي العباس لقد جلت
أقداركم وكرمت آثاركم، وفاح في زهر الآداب رندكم وعراكم⁽¹⁾.

والله أنتم لقد أخذتم بمجامع القلوب، وأتيتم في اطراد الشرف ككعوب الرمح
أنبوباً على أنبوب.

وأما كتابكم الحسن، وخطابكم الأغرأ الأبين، الذي فتن بإحسانه، ونظم السيادة
في طريق بيانه. فقد ملأ عين محبكم جمالا، وضاعف لكم في نفس وليكم إعظاما
وإجلالا. وسقاه من الكلام الرفيع، والنثر البديع، سلاقة لا جزىالا، شيممة عرفتموها
من أخزم. وسجية عهدتموها وأحرزتموها منذ الزمان الأقدم، أبت أن تحسب إلا في
خصالكم، وتسكن إلا إلى وصالكم، وتوجز على الحقيقة إلا في بزلكم وفصالكم⁽²⁾.
بارك الله لكم في إحسانكم، وزاد في علو قدركم ومكانكم، ولا أخلاكم من حاسد
يخسد فضلكم فلا يدركه، ويروم شأوكم في المعارف فلا يعبره ولا يسلكه. ولا

(1) عرار: نبت بري رائحته طيبة.

(2) بزل البعير يزل بزولا: فطر نابه أي انشق. والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.



زَالَتْ حَالُكُمْ الَّتِي سَرَّني سَمَاعُهَا، وَأَبْهَجَنِي تَعَرُّفُهَا وَاسْتِطْلَاعُهَا، حَالًا تَسْتَبِقُ إِلَيْهَا
الْأَمَالَ، وَيَزِدُّكُمْ عَلَيْهَا الظُّهُورُ وَالْإِقْبَالُ، بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ. وَالسَّلَامُ الْأَبْرُّ الْأَوْفَى
الْمُعَادُ الْمَوْصُولُ الْمُسْتَوْفَى عَلَى الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْأَجَلِّ الْحَافِظِ الْحَافِلِ الْأَكْمَلِ وَالِدِكُمْ
وَمَحَلِّ أَبِي وَعَلَيْكُمْ يَا أَخِي وَظَهِيرِي وَعَلَى الْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ عَمِّكُمْ وَمُعَادَهُ عَلَيْكُمْ.
وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أُخْرَى:

الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْفَقِيهُ الْحَافِظُ الْأَكْمَلُ الْأَخُ الْمُكْرَمُ الْمُوقَّرُ الْأَبْرُّ الْأَوْصَلُ «فُلَان».
بَلَّغَهُ اللَّهُ وَبَلَغَ فِيهِ مُنْتَهَى الْأَمَلِ، مُوقَّرُهُ الْعَلِيمُ بِحَقِّهِ، الْمُخْلِصُ فِي وَدِّهِ، الْحَافِظُ لِكَرِيمِ
عَهْدِهِ أَخُوهُ «فُلَان» سَلَامٌ كَرِيمٌ يَخْصُكُمْ أَخِي الْمُوقَّرُ الْمُكْبَرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَرَسُولِهِ وَعَلَى آلِهِ خَيْرِ آلٍ،
وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ مُعِيدِ الدِّينِ بَعْدَ الْأَضْمِحْلَالِ، وَعَنْ
سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُمَشِّي أَمْرِهِ الْعَزِيزِ إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ وَالْإِكْمَالِ. وَمُؤَالَاةِ الدُّعَاءِ
لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِاتِّصَالِ النَّصْرِ وَالْإِقْبَالِ.

فَكَتَبْتُهُ كَتَبْتُكُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، كَمَا جَعَلَكُمْ مِمَّنْ أَخْلَصَ فِي مُؤَالَاةِ الْحَقِّ قَضْدَهُ مِنْ
«سَبْتَةٍ» - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَوُدِّي غَضُّ الْحَدَائِقِ، مُتَجَلِّ فِي مَطْلَعِ الْوَفَاءِ بِمَنْظَرٍ رَائِقٍ، لَا
يُحِيلُهُ عَنْ مَرْكَزِ الثُّبُوتِ مِنْ عَائِقٍ، وَحَقِيقُ بِمُودَّةٍ اِزْتَبَطَتْ فِي الْحَقِّ وَلِلْحَقِّ مَعَاقِدُهَا،
وَأَسَّسَتْ عَلَى الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ قَوَاعِدُهَا، أَنْ يَزِيدَ عَقْدُهَا عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ شِدَّةً، وَعَهْدُهَا
وَأِنْ شَحَطَ (1) الْمَزَارُ جِدَّهُ، وَأَنْ تَدَّخِرَ لِلْأُخْرَى عُدَّةً.

وَإِنِّي -عَلِمَ اللَّهُ- لَمَنْ يَعْتَمِدُ مَحَبَّتَكُمْ وَمُؤَالَاتِكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُقَرِّبُ مِنَ اللَّهِ
وَيُزِيلُ إِلَيْهِ، وَيَعْتَمِدُهَا وَزَرَ يَعُودُ فِي الْآخِرَةِ «يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» (2) عَلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ

(1) شحط المزار: بعد ونأى.

(2) من حديثه ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله».



وَالْيَتْمُ فَأَخْلَصْتُمْ فِي الْوَلَاءِ، وَعَرَفْتُمْ اللَّهَ فَقُمْتُمْ بِحُقُوقِ الصُّحْبَةِ عَلَى الْوَلَاءِ، مُعْرِضِينَ فِي ذَلِكَ الْأُخُوَّةَ عَنْ غَرَضِ الدُّنْيَا وَعَرَضِهَا مُؤَفِّينَ بِشُرُوطِ نَقْلِهَا وَمُفْتَرِضِهَا، إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ بِافْتِرَاقِنَا، وَحُقُوقِكُمْ الْمُتَاكَّدَةَ دُيُونُ عَلَيْنَا، وَالْأَيَّامُ تَمُطِّلُ بِقَضَائِهَا عَنَّا، فَأَوْنَةً أَقْفُ فَأَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى التَّقْصِيرِ السَّابِقِ نَدْمًا⁽¹⁾، وَأَوْنَةً أَسْتَنِيْمُ إِلَى فَضْلِكُمْ فَأَتَقَدَّمُ قَدْمًا. وَفِي أَثْنَاءِ هَذَا لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ حَقُّ لَكُمْ سَابِقٍ، إِلَّا وَقَدْ كَرَّرَ عَلَيْهِ مِنْكُمْ آخِرُ لَهُ لَا حِق. حَتَّى وَقَفْتُ مَوْقِفَ الْعِزِّ، وَصَاقَتْ عَلَيَّ الْعِبَارَةُ عَنْ حَقِيقَةِ مَقَامِكُمْ فِي النَّفْسِ فَكِدْتُ لَا أَتَكَلَّمُ فِيهِ إِلَّا بِالرَّمْزِ، إِجْلَالًا لِحَقِّكُمْ الرَّفِيعِ، وَإِشْفَاقًا مِنَ التَّقْصِيرِ الْمَمْنُوعِ، وَهَذَا الْخَاطِرُ هُوَ الَّذِي وَقَفَنِي عَنِ الْمُخَاطَبَةِ مَعَ الْوَارِدِ وَالصَّادِرِ. وَلَوْ أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِكَشْفِ مَا فِي النَّفْسِ، لَأَغْنَى شَهِيدُ الْحِسِّ عَنْ تَعْرِيفِ الْفِرْطَاسِ وَالنَّفْسِ. فَعُذْرًا - أَعَزَّكُمْ اللَّهُ - وَنَفَعَ بِإِيخَائِكُمْ عَنْ إِغْيَابِ الْمُرَاسَلَةِ بِالْمُكَاتَبَةِ عُذْرًا وَصَبْرًا عَلَى بُعْدِ اللَّقَاءِ صَبْرًا. فَإِنْ يَقْدَرُ فِي هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا نَلْنَا فِيهَا مَا نَتَمَنَّى، وَإِلَّا فَلَنْ نَعْدَمَ بِفَضْلِ اللَّهِ جَزَاءَ الْحُسْنَى، وَلِقَاءَ لَا يَبِيدُ وَلَا يَفْنَى ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ ءُذُنُكَ رَبِّهَا﴾⁽²⁾ إِيْقَانًا بِالْوَعْدِ وَتَحْقِيقًا. فَمَنْ أَوْجَبَ لَهُ مَحَبَّتَهُ، أَذْخَلَهُ جَنَّتَهُ وَأَحْضَرَهُ مَا دُبَّتَهُ، وَكَمَّلَ لَهُ أَمْنِيَّتَهُ.

جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُتَحَابِّينَ لِجَلَالِهِ بِكَرَمِهِ وَإِفْضَالِهِ إِنَّهُ مُنْعِمٌ كَرِيمٌ، وَالسَّلَامُ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

أُخْرَى:

السَّيِّخُ الْفَقِيهُ السَّرِيُّ الْمَاجِدُ الْحَسِيبُ الْأَبِيُّ الْفَاضِلُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الْأُسْتَاذُ الزَّكِيُّ الْأَلَمَعِيُّ «أَبُو زَيْدٍ السُّهَيْلِي»⁽³⁾.

(1) مقتبس من قول الشاعر:

لَتَفْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

(2) سورة النساء، الآية: 68.

(3) أبو زيد السهيلي: عالم أندلسي مشهور له كتاب: «الروض الأنف» و«نتائج الفكر» وغيرهما.



سَيِّدِي وَعِمَادِي وَبَصِيرَتِي وَعَتَادِي الَّذِي أَوْقَرُهُ وَأَجِلُّهُ، وَأَسْنِدُ إِلَيْهِ وَأُؤَمِّلُهُ. وَمَنْ
أَبْقَاهُ اللَّهُ مُعَانًا عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ، مُبَلِّغًا مِنْ أَمَلِهِ مُنْتَهَاهُ، مَخْتُومًا لَهُ بِالسَّعَادَةِ فِي دُنْيَاهُ
وَأُخْرَاهُ. وَجَعَلَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمَكَارِمِ فِيهِ، وَاقِيَةً مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ وَفَوَارِقِ الْحَدَثَانِ
تَحْرُسُهُ وَتَقِيهِ.

مُجَلِّ قَدْرِكُمْ وَمُعْتَقِدُ إِثَارِكُمْ وَبِرِّكُمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمَائِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ
الْمُهَنْدِيِّ أَكْرَمِ أَوْلِيَائِهِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ لَابْنِهِ الْأَمِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي
يَعْقُوبَ⁽¹⁾ مِنْ بَعْدِهِ بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ.

فَكِتَابِي إِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ السَّلَامَةَ، وَمَدَّ عَلَيْكَ ظِلَّ النِّعْمَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَأَنَا
أَسْتَوْهِبُ اللَّهَ لَكَ الْعَافِيَةَ، وَأَنْ يُسَبِّحَ عَلَيْكَ نِعْمَةُ الضَّافِيَةِ وَأَسْأَلُهُ الْإِطَالََةَ فِي بَقَائِكَ
وَالْمُرَافَعَةَ عَنْ حَوْبَائِكَ. وَبَعْدَ أَنْ وَرَدَنِي - أَوْرَدَ اللَّهُ عَلَيْكَ الشُّرُورَ وَجَنَّبَكَ الْمَحْذُورَ -
كِتَابُكَ الْكَرِيمُ فَقَرَأْتُهُ وَفَهَمْتُهُ، وَوَقَفْتُ عَلَى مَا أَوْدَعْتُهُ فِيهِ، وَضَمَنْتُهُ مِنْ خَالِصِ
مَوَدَّتِكَ، وَكَثْرَةِ وَحْشَتِكَ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ أَكْرَمُ وَارِدٍ، وَوَقَدَ عَلَيَّ مِنْهُ أَجَلٌ
وَافِدٌ، مَلَأَ قَلْبِي سُرُورًا وَبَهْجَةً، وَفَرَّجَ عَنِّي - بِلُطْفٍ مَوْقِعِهِ مِنِّي - كُلَّ كُرْبَةٍ، وَزَادَنِي
رَغْبَةً فِيكَ، وَمُحَافَظَةً عَلَيْكَ وَعَلَى ذَوِيكَ. وَأَتَسْتُ بِمُشَاهَدَتِهِ أَنْسِي بِمُشَاهَدَتِكَ،
وَارْتَحْتُ إِلَى مُشَافَهَتِهِ ازْتِيَّاحِي إِلَى مُشَافَهَتِكَ، وَتَزَهْتُ طَرْفِي فِي حَدَائِقِ مِنْ بَرِّهِ
نَاطِقَةٍ، وَأَجَلْتُ فِكْرِي فِي بَدَائِعِ لَفْظِهِ رَائِقَةٍ، مَلَكَ اسْتِحْسَانُهَا نَفْسِي، وَأَخْبَى الاسْتِمَاعَ
بِهَا مَيِّتَ أَنْسِي. وَوَقَفْتُ عَلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ إِيْمَانِكَ الَّذِي حَضَضْتَنِي عَلَيْهِ، وَنَدَبْتَنِي
بِفَضْلِكَ إِلَيْهِ، مِنَ التَّقَهُ فِي عِلْمِ الدِّينِ وَالْأَثَرِ، وَالنَّظَرِ فِي الصَّحِيحِ مِنَ الْحَضَرِ،

(1) هو يوسف بن عبد المومن الخليفة الموحي المشهور، انظر: البيان المغرب في صفحات، الحلل
الموشية في صفحات.



وَالْآدَابِ الْمُسْتَعَانِ بِهَا عَلَى فَهْمِ الْآيَاتِ الْكُبْرَى، وَمَا تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَالْعِبَرِ. فَجَعَلْتُ وَصِيَّتَكَ بَيْنَ عَيْنِي وَأَمَامِي، وَصَيَّرْتُهَا عُمُرَتِي وَإِمَامِي. أَمْتَعْنِي اللَّهُ يَا سَيِّدِي -وَعَامَّةً مُتَوَلِّكَ- بِكَ، أَرَانَا غَايَةَ آمَالِنَا لَنَا وَفِيكَ، وَأَعَانَنَا عَلَى أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّكَ، وَقَضَاءِ شُكْرِكَ وَبِرِّكَ، حَتَّى نَبْلُغَ الْغَايَةَ مِنْ ذَلِكَ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ. وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَكْرَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أُخْرَى:

سَلَامُ اللَّهِ يَعْْبَقُ نَشْرًا، وَيَطِيبُ تَنَسُّمًا وَمَسَرًّا، عَلَى الْأَخِ فِي اللَّهِ تَعَالَى الْوَفِيِّ وَالْحَبِيبِ، الصَّفِيِّ الْفَقِيهِ الْأَجَلِّ الْأَرِيبِ، الْأَطْوَلَ الْأَدِيبَ الْأَكْمَلَ، الْأَخْلَصَ الزَّكِيَّ الْأَرْوَغَ⁽¹⁾ الْأَخْفَلَ فَلَانْ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ وَتَوَلَّى رِعَايَتَهُ وَحِرْزَهُ سَلَامًا كَعَرَفِ الرَّوْضِ فَاحَ نَسِيمُهُ، وَطَابَ عَرَفُهُ الذَّكِيُّ وَشَمِيمُهُ، لَا يَزَالُ يَتَجَدَّدُ مَدَى الدَّهْرِ وَيَتَوَالَى، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

وَبَعْدُ يَا سَيِّدِي وَمُعَظَّمِي فَكَتَبَهُ أَخُوكَ فِي اللَّهِ وَمُعَظَّمُ قَدْرِكَ «حَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ» وَرَوْضِ الْوِدَادِ يَعْْبَقُ ثَرَاهُ، وَنَسِيمِ اعْتِقَادِي يَطِيبُ مَسَرَاهُ، وَشَوْقِي إِلَى شَرَفِ لُقْيَاكُمْ، وَشَمِّ رِيَاكُمْ، شَوْقِ الْقَارِضِينَ إِلَى سُكُونٍ وَسُكْنَى، وَالْقَيْسِيِّنَ إِلَى لَيْلَى وَلُبْنَى. وَذَلِكَ -أَعَزُّكُمْ اللَّهُ- لَمَّا انْفَصَلْتُ مِنْ هَضْبَتِكُمُ الْعَلِيَّةِ، وَمَعَاهِدِكُمُ الْمُكْرَمَةِ السَّنِيَّةِ. وَلَمْ يَكْ إِلَّا رَيْثٌ وَدَاعِكُمْ، وَحِينَ أَذِنَ قَلْبِي عَنْهُ بِانْقِطَاعِكُمْ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْبَيْنَ سَبِيلًا، وَلَمْ أَسْتَطِعْ عَنْهُ مُنْقَلَبًا وَلَا تَحْوِيلًا، كَادَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيَّ الْأَسَى، وَجَعَلْتُ أَتَعَلَّلُ بِلَعْلٍ وَعَسَى. فَلِلَّهِ أَيَّامُكُمْ الْعَلِيَّةُ مَا كَانَ أَخْلَاهَا بِعَيْنِي أَيَّامًا، وَأَعْظَمَهَا بِقَلْبِي دِمَامًا، مَا كَانَتْ إِلَّا كَلِمَحَةٍ طَيْفٍ أَوْ كَانِهَا الْخُطَا قِصْرًا. تَاللهُ مَا بَيَّضَ بِالْفَرَجِ جُنْحُهَا، حَتَّى اعْتَكَرَ بِالْفِرَاقِ صُبْحُهَا، وَلَا جَرَى بِالسَّائِحِ السَّعِيدِ رِكَابُهَا حَتَّى نَعَبَ بِالْفِرَاقِ غُرَابُهَا. وَالسَّلَامُ.

(1) في الأصل: «الأرع».



أُخْرَى:

الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُ الْأَوْرَعُ الْأَبْرَعُ، السَّرِيُّ الْأَفْضَلُ الْوَلِيُّ الْأَسْنَى الْأَعَزُّ الْأَكْمَلُ «أَبُو زَيْدِ السُّهَيْلِيِّ» فَسَحَّ اللَّهُ مُدَّتَهُ وَوَاصَلَ بِالتَّقْوَى كَرَامَتَهُ. مُلتَزِمٌ بِرِّهِ، الْمُحَافِظُ عَلَى رِعَايَةِ عَهْدِهِ الْمُغْتَبِطُ بِخُلُوصٍ وَدَّةٍ، مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ. سَلَامٌ عَمِيمٌ كَرِيمٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَعَبْدِهِ وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْلُومِ مِنْ بَعْدِهِ وَعَنْ خَلِيفَتِهِ الْأَكْرَمِ وَلِيِّ عَهْدِهِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّضْرِ الْعَمِيمِ مِنْ عِنْدِهِ.

فَكَتَبْتُهِ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ أَفْضَلَ الْعَمَلِ وَأَسْنَاهُ، وَيَسَّرَ أَمْلَكُمْ بِإِنْجَاحِ السَّعْيِ وَسَنَاهُ، مِنْ «قُرْطَبَةَ» -حَرَسَهَا اللَّهُ- عَنِ الْوُدِّ الَّذِي تُشْرِقُ صَفَحَاتُهُ، وَتَعْبُقُ مَعَ الْأَيَّامِ نَفَحَاتُهُ، وَتَتَزَيَّدُ مَعَ السَّاعَاتِ نَضَارَتُهُ، وَتَشْهَدُ بِخُلُوصِ الضَّمِيرِ شَهَارَتُهُ. وَحَقٌّ لِمَنْ عَلَقَ بِإِيخَائِكُمْ بِالْحَبْلِ الْأَقْوَى، وَاعْتَبَطَ بِوَلِيِّ مِثْلِكُمْ جُبِلَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَوَثِقَ بِكِرَمٍ مُعْتَقِدِكُمْ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، أَنْ يَرْغَبَ وَيُرْغَبَ فِي الشَّئِءِ عَلَيْكُمْ كُلِّ التَّرْغِيبِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَصِلُ مَا بَيْنَنَا ثَابِتَ الْأَسْبَابِ، مُتَمِّدَ الْأَطْنَابِ، سَرِيعَ الْجَنَابِ. وَلَكُمْ الْفَضْلُ فِي إِهْدَاءِ الْمُرَاجَعَةِ، وَالتَّهَمُّ بِالْمُطَالَعَةِ، حَسْبَمَا تَتَحَقَّقُونَ مِنْ شَرْحِي إِلَى سَمَاعِ أَنْبَائِكُمْ، وَالتَّطَّلُعِ إِلَى مَا يَرِدُ مِنْ تَلْقَائِكُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ السَّارَّ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَيَصِلُ دَوَامَ جَذَلِكُمْ، وَيُؤَيِّدُ تَأْتِي أَمْلِكُمْ، وَيَنْفَعُ وَلِيَّكُمْ بِصَالِحِ دُعَائِكُمْ، وَخُلُوصِ وَلَائِكُمْ، وَالسَّلَامُ الْآتَمُّ الْأَكْرَمُ الْأَعْظَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

أُخْرَى:

الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُ الْأَوْرَعُ الْأَبْرَعُ الْأَخْفَلُ الْوَلِيُّ الْأَزْكَى الْأَفْضَلُ. «فُلَانٌ» أَدَامَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى عِزَّتَهُ، وَفَسَحَ فِي غَبْطَةِ مُتَّصِلَةِ مُدَّتِهِ. مُلتَزِمٌ بِرِّهِ الْحَافِظُ عَلَى رِعَايَةِ عَهْدِهِ، الْمُغْتَبِطُ بِوَلَائِهِ وَوُدِّهِ «فُلَانٌ» سَلَامٌ عَلَى الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْأَجَلِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.



وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ
الْمُهَدِي الْمُرْتَضَى، وَعَنْ خَلِيفَتِهِ وَلِيِّ عَهْدِهِ الْأَكْرَمِ الْأَهْدَى، وَالذُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ الْأَعْمِّ الْأَسْنَى.

فَكَتَبْتُهُ إِلَيْكُمْ مِنْ قُرْطُبَةٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسٍ لَهَا إِلَيْكُمْ أَكْرَمُ نِزَاعٍ - وَمَوَدَّةٍ مُجْتَمِعَةٍ
عَلَى هَوَاكُمْ غَيْرِ أَوْزَاعٍ وَعَهْدٍ تَشْحَدُ الْأَيَّامُ جَوْهَرَهُ وَتَضَقُّهُ، وَتُقَرُّهُ فِي مَعْدِنِ الْوَقَاءِ
وَلَا تَنْقُلُهُ. عَلِمًا بِمَا حُزُّتُمْ مِنْ فَضَائِلِ أَحْرَزَ الْعِلْمِ رِعَايَتَهَا، وَرَفَعَتْ يَدُ الْوَرَعِ رَايَتَهَا،
وَأَحْكَمَتِ النِّيَّةَ الْخَاصَّةَ آيَتَهَا، فَظَهَرَتْ بَاهِرَةً الْمَحَاسِنِ سَافِرَةَ الْفِتْنَانِ، وَارْتَفَعَتْ
بُوضُوحُ بُرْهَانِهَا عَنْ دَوْحَةِ الْإِفْتِنَانِ.

وَأَنَّهُ وَصَلَ كِتَابَكُمْ الْبَرَّ الْأَكْرَمُ وَالنَّفْسُ نَحْوَهُ مُتَطَلِّعَةٌ، وَالْيَدُ إِلَى قَبُولِهِ مُتَسَرِّعَةٌ،
صُحْبَةُ الطَّائِرِ الْغَرِيدِ، وَالصَّادِحِ الْمُشِيدِ الَّذِي جَعَلَ شَهَوَاتِهِ، عِيَالًا عَلَى نِعْمَاتِهِ، فَمَتَى
عُرِّيَ أَوْ جَاعَ، أَعْمَلَ الْأَلْحَانَ وَالْأَسْجَاعَ، فَعَادَ بَطِينًا بَعْدَ أَنْ كَانَ خَمِيصًا⁽¹⁾ وَلَيْسَ مِنَ
الرِّيشِ لِلْوَامِ قَمِيصًا. وَإِنَّ مِنْ أَكْرَمِ مَا يُمِثُّ بِهِ وَيُرَاشُ بِسَبَبِهِ مَا يَثْرُهُ مِنْ مَحَاسِنِكُمْ
وَيَسْرُدُهُ، وَيَكْرِّرُهُ مِنْ إِطَابَةِ ذِكْرِكُمْ وَيُرَدِّدُهُ. وَإِنِّي وَقَفْتُ مِنْ كِتَابِكُمْ الْبَرَّ عَلَى مَا شَرَحَ
النَّفْسَ، وَأَتَانَحَ الْأَنْسَ، فَإِنَّكَ ضَمَمْتَهُ فُصُولًا، أَصْبَحْتَ لِلْحِكْمَةِ أَصُولًا، وَأَرْتِ مَفْصُولَ
الْبَلَاغَةِ مَوْصُولًا، جَلَّتِ الْبَصَائِرُ وَأَذْكَنْتَهَا، وَتَصَدَّدَتْ لِمَرْضَى النُّفُوسِ وَأَشْكَنْتَهَا.

وَمِنْ قَبْلِهِ وَصَلَ أَيْضًا مِنْكُمْ كِتَابٌ اخْتَلَسَتْهُ يَدُ الضَّيَاعِ مِنْ يَدِي، قَبْلَ أَنْ يَرْتَسِمَ مَعْنَاهُ
فِي خَلْدِي، وَالضَّيَاعِ إِلَى الذَّخَائِرِ النَّفَائِسِ، أَسْرَعَ مِنَ النَّسِيمِ إِلَى الْغُصْنِ الْمَائِسِ. فَوَا
أَسْفَا عَلَى أَنْ لَمْ أَفْضُ خِتَامَهُ، وَأَحْطَطَ لِنَامِهِ، وَأَقِفَ عَلَى حِلْيَةِ مَعْنَاهُ وَالْقَطْعَ جَوْهَرَ الْحِكْمَةِ
مِنْ بَحْرِهِ، وَأَسْقَطَ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ سِرِّهِ⁽²⁾، وَالنَّفْسُ حَتَّى الْآنَ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ عِلْقَةٌ، وَإِلَى
مَعْرِفَةِ مَا حَوَاهُ قَلْقَةٌ، فَلَكُمْ الْفَضْلُ بِالْإِعْلَامِ بِمَا كَانَ اقْتَضَاهُ، وَاسْتَيْعَابِ الْغَرَضِ الَّذِي

(1) الخميص: الجائع وهو ضد البطين وعكسه.

(2) مثل معروف.



أَوْدَعْتُمْ فِيهِ إِلَى أَقْصَاهُ، وَعَرَفُوا مَعَ ذَلِكُمْ، بِمُقْتَضَى حَالِكُمْ هُنَالِكُمْ. وَعَلِمَ اللَّهُ حِرْصِي عَلَى سَمَاعِ أَنْبَائِكُمْ، وَاسْتِطْلَاعِ السَّارِّ مِنْ تَلَقَّائِكُمْ. وَهَذَا شَأْنٌ مِنْ وَدُّكُمْ فِي صَدْرِهِ مَسْطُورٌ، وَفَوَادُهُ عَلَى رِعَايَةِ عَهْدِكُمْ مَفْطُورٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَصِلُ مَا بَيْنَنَا فِي ذَاتِهِ وَيَقِيهِ مِنْ غَيْرِ الدَّهْرِ وَأَذَاتِهِ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ سَلَامًا جَزِيلًا، مُرَدِّدًا عَاطِرًا حَفِيلاً. وَرَحْمَةُ اللَّهِ أُخْرَى:

السَّيِّحُ الْفَقِيهُ الْأَجَلُ الْأُسْتَاذُ الْعَلَمُ الْأَوْرَعُ الْأَوْحَدُ الْأَفْضَلُ «أَبُو زَيْد» أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهُ وَأَبْقَى بَرَكَتَهُ، مُعَظِّمُ عَلَانِيَتِهِ، الرَّاجِي بَرَكَاتِهِ دُعَائِهِ «مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ» سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُتَرْضَى وَعَنْ خَلِيفَتِهِ الْإِمَامِ الْأَكْرَمِ الْأَهْدَى وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمُؤَالَاةِ النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

فَكَتَبَ مُعَظَّمُكُمْ الْعَارِفُ بِحَقِّكُمْ مِنْ «قُرْطُبَةَ» وَلَا جَدِيدَ إِلَّا الْخَيْرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَعَ تَشَوُّفِ النَّفْسِ إِلَى مَعْرِفَةِ أَنْبَائِكُمْ، وَتَطَلُّعِهَا إِلَى مَا يَسُرُّ مِنْ تَلَقَّائِكُمْ، وَيُودِّهَا لَوْ مَنَحَتْ مَا تَمَنَّاهُ مِنْ لِقَائِكُمْ، وَتَجَنُّحِ إِلَيْهِ مِنْ مُشَافَهَةِ مَجْدِكُمْ، وَمُحَاوَرَةِ سَنَائِكُمْ، فَإِنَّكُمْ بَقِيَّةُ السَّلَفِ الَّتِي تُلْتَمَسُ الْبَرَكَاتُ فِي مُجَاوَرَتِهَا، وَتُسْتَفَادُ الْحِكْمَةُ مِنْ مُحَاوَرَتِهَا، وَتَرْضَى النَّجَاةُ لِمَنْ اقْتَدَى بِأَثَارِهَا، وَاقْتَبَسَ مِنْ أَنْوَارِهَا، وَاللَّهُ يُمَتِّعُ الْعِلْمَ وَذَوِيهِ بِإِنْفِسَاحِ عَهْدِكُمْ وَالزِّيَادَةِ فِيهِ، بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ.

وَإِنْ كُتِبَ الْكَرِيمَةُ -أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَكُمْ- كَانَتْ تَرْدُ مُضْمَنَةً مِنَ الْحِكْمِ مَا يَهْدِي إِلَى الْمَنْهَجِ الْأَهْمِّ، وَيُرْشِدُ فَيُسْتَضَى مُعَظَّمُ عَلَانِيَتِكُمْ بِنُورِهَا، وَيَتَبَيَّنُ الرُّشْدُ أَثْنَاءَ سَطُورِهَا. فَلَا يَزَالُ كُلُّ حِينٍ يَتَشَوَّفُ إِلَى إِيْرَادِهَا، وَيَتَشَوَّقُ إِلَى إِرْشَادِهَا وَلَمَّا أَغْبَتْهُ الْآنَ عَرَاهُ نِزَاعُ إِلَيْهَا، وَحَرِصَ كَمَا يَجِبُ عَلَيْهَا، فَخَاطَبَ بِهَذِهِ مُذَكَّرًا كَرِيمَ خِلَالِكُمْ، وَمُتَطَلِّعًا سَنِيَّ أَحْوَالِكُمْ، وَاللَّهُ يُطْلِعُ عَلَى السَّارِّ مِنْهَا، وَيُسْمِعُ الْمُبْهَجَ عَنْهَا. وَحَالُ مُعَظَّمُ



علائكم إن تشوف ففلكم إلى معرفتها، وشرح صفتها، فهي بعمد الله جارية على ما عود سبحانه، من اتصال نعمائه، وتوالي آلائه، والشكر على ذلك، والسلام الأتم الأعم عليكم دامت رفعتكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أخرى:

الشيخ الفقيه الأجل المعظم المبجل الولي في الله عز وجل المقرئ الرفيع نسبح وحده، وشمس نظائره في سوره ومجده. «أبو القاسم ابن أبي الحسن» أنام الله عينه بالمسرات، كما أيقظ بصيرته لبيان المشكلات. من محل عبدك، القائل بشكرك وحمدك. الفقير إلى الله تعالى «أيوب» المتطلع إلى مايرد علي من تحياته وأخباره، المقتبس من بركاته وأنواره.

سلام عليكم مني كثير أرحمة الله تعالى وبركاته تحية رضىها الله سبحانه مفتاحاً لحقه، وأماناً بين عباده وخلقه. والحمد لله الذي قامت له الحجة بعد ثبوت القدرة على عبده، واندراج غضبه ورضاه في حقيقة حمده، فلا إله إلا هو الرفيق بمن أطاعه وعصاه، العادل فيمن أذناه وأقصاه، وإلى الله جل جلاله يلجأ الضعيف، ويلطفه يستمسك اللهي، وصلواته على سيدنا المصطفى صلاة تحجب عن الخلاف، وتقود إلى محل النجاة يوم التلاف، وعلى آله وأهل بيته الأبرار المصطفين الأخيار والتابعين لهم بإحسان.

أطال الله بقاء عمادي الأعصم، وعتادي الأعظم، في رفعة لا يغورها أمل زيادة، ولا يعجزها عمل سعادة. حتى لا ينقى للشرح حاسد، ولا للزرع حاصد، ورد كتاب سيدي الكريم وحاجتي إليه وإلى الوقوف عليه حاجة المادي إلى الولي، والقافية إلى الروي. فوقفت منه على الرياض العبة، والحياض العدة. وعندي من آثاره المطربة، وأخباره المغربة أنوار تنكشف بضائها الظلم، وتستبين بحقائقها الحكم، فله دره من كلام حر، كأنه قلادة در. فالحمد لله الذي أبقي في هذا العالم الغافل،



وَالزَّمَانِ الْمَائِلِ، مَنْ يُرْجَى وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ يَا سَيِّدِي أَنِّي ذَاكِرُكَ فِي
أَغْلَبِ الْأَوْقَاتِ، وَشَاكِرُكَ عَلَى مَمَرِّ السَّاعَاتِ. وَمَا شَاهَدْتُهُ فِي مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ،
الْأَعَزِّ الْمُتَيْنِ، مِنْ بَسْطِ الْعُلُومِ بِالْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ، وَتَأْيِيدِهَا بِالشَّاهِدِ وَالذَّلِيلِ، فَلَوْلَا
أَنَّ النَّفْسَ طَامِعَةً بِالْأُوبَةِ إِلَيْكَ، وَرَاجِيَةً فِي الْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْكَ، لَطَارَتْ غَرَامًا وَشَوْقًا،
وَلَذَابَتْ تَأْسُفًا وَتَوَقُّعًا⁽¹⁾:

لَوْلَا الرَّجَاءُ لَمِتُ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى لَكِنَّ قَلْبِي بِالرَّجَاءِ مُوَكَّلٌ

وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ فِي جِسْمِي عُضْوٌ وَلَا جَارِحَةٌ إِلَّا وَلِذِكْرِهِ فِيهَا
مَجَالٌ، وَحِينٌ إِلَيْهِ حَيْنِ الظَّمَانِ إِلَى الْمَاءِ الزُّلَالِ. قَرَّبَ اللَّهُ الْاجْتِمَاعَ بِحَضْرَتِهِ، وَأَدَامَ
الْإِمْتِنَاعَ بِسَنَى مُهْجَتِهِ، وَأَدَامَ بَقَاءَهُ لِلَّذِينَ يَذُبُّ عَنْهُ وَيَحْمِيهِ، وَلِلضَّالِّ يُرْشِدُهُ وَيَهْدِيهِ،
وَجَعَلَ ذَلِكَ زَادَهُ إِلَى الْمِعَادِ، وَأَنَالَهُ فِيهِ غَايَةً مَا يَتِمَّتْهُ مِنَ الْأَمَلِ وَالْمُرَادِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ
مَنَّانٌ، وَعَلَيْهِ فِيهِ التَّكْلَانُ.

وغير خفي عن شيعي وسيدي ما أنا عليه من شدة الشوق إليه ما لو ذهبت إلى
شرحِه وبسطِه، ويانِ عقده وربطِه، لاستنفذت المداد والأقلام، ولقصر عنه التشرُّ
والنظام، ولو لا خيفة الإطْنا، لكتبت ببعض ما أجده من ألم الشوق والأوصاب،
لكني أثبت بعض من طوت عليه نفسي، وخامر عقلي وحسي، ولو أنني عرفت الدرَّ
من معادنه، وجوهر الكلم والألفاظ من موطنه، حرصاً على نشر محاسن شيعي
وسيدي لما كنت في ذلك إلا حلبة التقصير، ولما أفدت منه إلا النزر اليسير. ومن لم
ينل ما بعد منه رضي بالقرب، ومن لم يجد ماء تيمم بالترُّب. فالرغبة إلى سيدي
وشيعي ألا أخلو من بركة دعائه، فسح الله لي في مدته، ونفعني بمعرفته. وما أردت
من معرفة حالي فحال عبد عبد نومه، وضيق يومه، لا يتصرف الأيام زاد علمه، ولا
بتصاريف الأحكام بقي حلمه. والسلام الأتمُّ الأعظمُ الأكملُ عليكم ورحمة الله.

(1) البيت للبحري وهو من الكامل، انظر ديوانه.



أُخْرَى:

الشَّيْخُ الْأَجَلُ الْفَقِيهُ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ الْأَرْفَعُ الْأَسْنَى الْأَخْصُ الْأَكْمَلُ «أَبُو زَيْد» سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ بِتَقْوَاهُ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ لُبُوسَ نِعْمَاهُ، مِنْ عَبْدِهِ الْمُتَّقِيِّ فِي ظِلَالِ نِعْمَاتِهِ، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِطَالَةِ بَقَائِهِ «مُوسَى بْنُ أَحْمَدَ» سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَثِيرًا وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ مَهْدِيِّهِ، وَالدُّعَاءِ لِخَلِيفَتِهِ الْأَهْدَى وَلَوْلِيِّهِ بِعَزِيزِ النَّصْرِ وَعَلَيْهِ.

فَكَتَبْتُهُ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَمْرَهَا نِصَابًا، وَأَخْصَبَهَا فِي كُلِّ صَالِحَةٍ جَنَابًا، مِنْ «رُنْدَةَ» -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَلَا جَدِيدَ إِلَّا نِعَمُ اللَّهِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَخَيْرَاتِهِ الْجَهَامِ الَّتِي أَوْلَاهَا بَاطِنَةٌ وَظَاهِرَةٌ. وَلَهُ الْحَمْدُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ وَاصْبَا، وَالشُّكْرُ دَائِبًا، وَعَنْ نَفْسٍ تَنْقَطِعُ أَنْفَاسًا شَوْقًا إِلَيْكُمْ، وَلِسَانٌ لَا يَنِي فِي نَشْرِ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ آخِرُ ثَنَائِي ابْتِدَاءً، وَأَوَّلُ شُكْرِي انْتِهَاءً. وَقَدْ مَلَكْتُمْ رَقِي بِصَنَائِعِكُمُ الْمُتَرَعَةَ الْحِيَاضِ، وَأَيَادِيكُمُ الْغُرَرِ النَّاصِعَةِ الْبَيَاضِ. وَأَنِّي يَسْتَقِلُّ لِي كَاهِلٌ بِشُكْرِ أَيَادِيكُمُ، أَوْ يَنْهَضُ لِي عَاتِقٌ بِعَبَاءِ مَا حَمَلَ بِأَيَادِيكُمُ حَسْبِي أَنْ أَخْلُدَ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَتَوَلَّى بَغْضَ الْوَاجِبِ الْفَرَضِ، وَأُسَلِّمَ لِإِحْسَانِكُمْ ذِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ. وَالرَّبُّ تَعَالَى يَجْعَلُنِي لَكُمْ الْفِدَاءَ، وَيُسَبِّغَ عَلَيْكُمُ النِّعْمَاءَ، وَيُجْزِلَ لَكُمْ الْحِظَّ الْأَوْفَى وَالثَّنَاءَ. بِمَنْهُ وَطَوْلُهُ. وَمِنْهُ تَعَالَى أَسْأَلُ أَنْ يُمَتِّعَنِي بِكُمْ طَوِيلًا، وَيُمَدِّ عَلَيْنَا مِنْ كَنْفِهِ ظِلًّا ظَلِيلًا، وَأَلَّا يَجْعَلَ لِمَا عَقَدَهُ بَيْنَنَا صَرْفًا وَلَا تَحْوِيلًا، وَأَنْ يَمُنَّ بِالْعُودَةِ، عَلَى أَقْرَبِ مُدَّةٍ، حَتَّى نَرْتَعَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْأَمْنِ لَا يَذْوِي نُورُهُ، وَنَغْنَى فِي رُبْعٍ مِنَ الْعِزِّ مَمْنُوعٌ مِنَ الدُّلِّ طَوْرُهُ، فَمَا ذَلِكَ عَلَيْهِ بِعَزِيزٍ وَلَا لَهُ بِمُعْجِزٍ.

وَالَّذِي وَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِي -دَامَ عِزُّكُمْ- فِي مَجْلِسِكُمُ الْكَرِيمِ مِنَ الْمُكَابَرَةِ، وَثَارَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالْمُهَاجَرَةِ، فَأَمْرٌ لَا يَنْتَسِبُ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَيْكُمْ. وَحَاشَاكُمْ أَنْ يَعْدَ سِوَى الْإِيلَافِ وَالِائْتِلَافِ. وَالَّذِي تَحَامَلَ فِي ذَلِكَ عَلَيَّ، وَاسْتَهْدَفَ إِلَيَّ، عِنْدِي -عَلِمَ اللَّهُ- لَهُ الصَّفْحُ الْجَمِيلُ، وَحُسْنُ التَّأْوِيلِ، فَكُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ، وَيَجْرِي عَلَى



سَجِيَّتِهِ فِي مُوَاصَلَتِهِ. أَصْلَحَ اللَّهُ كِلَانَا بِفَضْلِهِ، وَوَفَّقَ جَمِيعَنَا بِطَوْلِهِ إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ. وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ الْأَطْوَلُ عَلَى الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ سَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَعَلَى الْفَقِيهِ الْجَلِيلِ الْأَوْحَدِ الْأَصِيلِ «أَبِي جَعْفَرٍ» أَخِي وَصَفِيِّي، أَبَقَاهُ اللَّهُ وَسَلَّمَهُ، وَأَثَبَتْ فِي الْمَكْرُومَاتِ قَدَمَهُ. وَهُوَ الْمَعْهُودُ مِنْهُ تَعَالَى فِيمَنْ رَضَعَ أَخْلَافَ الْأَدَابِ، وَاسْتَنَدَ إِلَى ذَوِي الْأَفْهَامِ الْمُتَبَيِّضَةِ وَالْأَلْبَابِ، وَأَمْتَعَنِي اللَّهُ بِوَلَائِهِ، وَلَا عَرَفَنِي نَقْصًا فِي إِخَائِهِ، بِعِزَّتِهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَالرَّغْبَةَ إِلَيْكُمْ -أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَكُمْ- أَنْ تَخْصُوا بِسَلَامِي الْفُقَهَاءَ النَّبَهَاءَ، جَمِيعَ طَلَبَتِكُمْ إِخْوَانِي وَأَوْلِيَائِي. وَصَلَّ اللَّهُ كَرَامَتَهُمْ وَأَوْصَلَ بِطَاعَتِهِ كَلَاءَهُمْ وَحِمَايَتَهُمْ، بِمَنِّهِ وَطَوْلِهِ، وَإِنْ شَرِهَتْ نَفُوسُكُمْ -نَفْسَ اللَّهِ مُدَّتْهَا- إِلَى اسْتِطْلَاعِ حَالِ عَبْدِكُمْ، وَنَاشِرِ فَقْرِكُمْ وَمَجْدِكُمْ، فَهِيَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا يُرْضِيكُمْ، وَيَقَعُ وَفَقَ تَمَنِّيَكُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْقِيَكُمْ وَيُثَبِّتُكُمْ، وَيَذَرُّ الْمَحْذُورَ عَنْ نَوَاحِيكُمْ، وَمُعَادُ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أُخْرَى:

الْفَقِيهِ الْإِمَامُ الْأَوْحَدُ الْمُحَدِّثُ الْأَوْرَعُ الْأَمْجَدُ مَعْنَى الزَّمَانِ، وَرُوحُ جَسَدِ الْأَمَانِ، سِرَاجُ الدِّينِ وَنَاطِظُهُ، وَمُظْهِرُ الْحَقِّ فِي جَمِيعِ الْعِلْمِ وَنَاصِرُهُ، السَّابِقُ فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ لِلْأَوَائِلِ الَّذِي طَرَزَ زَمَانَهُ بِالْبَهَاءِ، وَتَاهَتْ بِهِ الْأَرْضُ عَلَى السَّمَاءِ، الْمُخْبِي لِكُلِّ عِلْمٍ وَمَا انْدَرَسَ لَهُ مِنَ السَّنَنِ، وَالْمَجْدُدُ لَهُ مَا رَثَ مِنَ السَّنَنِ. الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ «أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ» لَا زَالَ بَذْرُهُ بِأَفَاقِ الْعُلُومِ طَالِعًا، وَدَهْرُهُ سَامِعًا لَهُ وَطَائِعًا، حَتَّى تُلْحَظَ أَمَالُهُ صُورًا، وَتَتَلَى عَلَى أَخْرِيَّاتِ الزَّمَانِ آلاؤُهُ سُورًا.

عَبْدُ إِعْنَامِكُمْ، وَمُلْتَزِمُ تَوْفِيرِكُمْ وَإِعْظَامِكُمْ «حَاجِرُ بْنُ حَسَنٍ» الْمُعْتَرِفُ بِالتَّقْصِيرِ فِيمَا يَجِبُ لِجَلَالِكُمْ، وَمَا خَوَّلْتُمُوهُ مِنَ الْآثِكُمْ. وَعُذْرًا فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عَفْوَكَ، وَلَكِنْ مَنْ ذَا يُطِيقُ، مَا يَجِبُ لَكُمْ مِنَ الْحُقُوقِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِهَا وَسُنَنِهَا، وَيَحْمِلُنَا مَدَى الْحَيَاةِ عَلَى سُنَنِهَا. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.



وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ. كَتَبْتُهُ عَنْ فُرَادٍ ظَمَانٍ إِلَى
وَرَدِ ذَلِكَ الْعُلُومِ، وَحِرْصٍ عَلَيْهَا مَدَى الْأَيَّامِ مَوْجُودٍ وَوَرْدٍ مَعْدُومٍ. وَإِنْ تَكُنِ الْأَقْدَارُ
قَدْ حَسَمَتِ الْاِخْتِيَارَ، فَإِنِّي مُعِيرُكُمْ ضَمِيرًا كَمُنْبَلَجِ النَّهَارِ. وَشُكْرًا كَمَا أَرَجِ النَّوَارِ. وَلَوْ
وُفِّقَ أَهْلُ الطَّلَبِ كَهَلًا وَشَبَابًا، لاسْتَحَثُّوا الرِّكَائِبَ إِلَى مَشْرِيقِ أَنْوَارِ عُلُومِكُمْ وَجَابُوا
الْيَبَابَ. وَمَنْ دَنَا مِنْهُمْ وَمَنْ كَانَ قَصِيًّا، وَيَسْطُوا خُدُودَهُمْ إِلَى مَوْقِعِ أَقْدَامِكُمْ
وَلَاذُوبًا مِلًّا، وَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ اللِّسَانُ، أَوْ يَحْصِلَهُ⁽¹⁾ الْإِنْسَانُ. وَفَضَائِلُكُمْ تَلُوحُ
شُمُوسًا لِلْوَرَى، وَتُخْرِجُنَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ بِلَا امْتِرَاءٍ، وَإِلَى اللَّهِ تَرْغَبُ كَمَا جَمَعَ
لَكُمْ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ الْأَشْرَفَيْنِ الْعِلْمُ وَالِدِّينَ، أَنْ يَجْعَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْفَائِزِينَ.
وَالَّذِي أَرْغَبُهُ مِنْ شَيْخِنَا - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِصَالِحِ دُعَائِهِ. فَقَدِمَا نَفْعَنَا وَعَهْدَنَا
مِنْهُ الْاسْتِجَابَةَ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَخْلُدُ عَلَى الدُّنْيَا بِهَجَّةِ أَنْوَارِكُمْ، وَيُطِيلُ لِلْعَالَمِينَ فِي
أَعْمَارِهِمْ. وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِي وَمُعَظَّمِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي زَيْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَخْلَفَتْنِ الْفَارَازِيِّ، رِسَالَةً كَتَبَ بِهَا إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ الْمَكِينِ مَكَانُهُ	وَمُقَدِّمًا وَهُوَ الْأَخِيرُ زَمَانُهُ
وَالْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ هَذَا الْوَرَى	فَمَحَلُّهُ عَالِي الْمَحَلِّ وَشَانُهُ
وَمِنْ النُّبُوَّةِ وَالطَّهَّارَةِ وَالْهُدَى	شَرَفٌ حَوَاهُ فُرَادُهُ وَلِسَانُهُ
عُنْوَانُ طَرَسِ ⁽²⁾ الْأَنْبِيَاءِ وَخَتْمُهُ	وَالطَّرَسُ يُكْمِلُ حُسْنَهُ عُنْوَانُهُ
فَالْدَّهْرُ أَفْقٌ أَحْمَرٌ إِضْبَاحُهُ	وَالْخُلُقُ جَفْنٌ أَحْمَرٌ إِنْشَانُهُ
نَادَاكَ عَبْدٌ أَخْرَنَهُ ذُنُوبُهُ	وَالشُّوقُ تَلْفَحُ قَلْبَهُ نِيرَانُهُ
وَقَدَّتْ عَلَيْكَ رِكَابُ أَرْيَابِ التَّقَى	وَالْمُذْنِبُ الْخَطَاءُ كُفَّ عِنَانُهُ

(1) في الأصل: «يخلصه» والتصويب بالهامش.

(2) قصيدة الفارازي توجد منها بعض الأبيات في أزهار الرياض للمقري 4/ 18. وقد وردت رسائل
الفارازي في مخطوط ليدن رقم: 30. والطَّرْسُ هو الكتاب أو الصحيفة التي محيت ثم كتبت.



لَمَّا تَخَلَّفَ لِلتَّخْلُفِ مُذْنِبًا فِي الْمُذْنِبِينَ وَعَزَّهُ إِمْكَانُهُ
كَتَبَ الْكِتَابَ لَعَلَّهُ إِنْ لَمْ يَزُرْ بِاللَّحْظِ قَبْرَكَ أَنْ تَزُورَ بَنَاتُهُ
وَوَرَاءَ أَضْلَاعِي فُؤَادَ قَيْدُهُ أَلْفُ الذُّنُوبِ وَسِجْنُهُ أَشْجَانُهُ
لَكِنَّ حُبَّكَ شَافِعٌ وَمُشَفِّعٌ يَغْشَى مُحِبَّكَ يُمْنُهُ وَأَمَانُهُ
وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأَنْامِ تَحِيَّةٌ كَالرَّوْضِ صَافِحِ رَوْحِهِ رِيحَانُهُ
مِمَّنْ يَزُورُكَ خَطُّهُ وَكَلَامُهُ إِذْ لَمْ يَزُرْكَ لِذَنْبِهِ جُنْمَانُهُ

السَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ، وَالرَّحْمَةُ الَّتِي لَا تَبْرُحُ وَلَا تَرِيمُ، وَالْبَرَكَةُ الَّتِي أَوَّلُهَا الصَّلَاةُ
وَأَخِيرُهَا التَّسْلِيمُ، عَلَى حَضْرَةِ الرِّسَالَةِ الْعَامَّةِ الدَّعْوَةِ، وَالنَّبُوَّةِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالْعِصْمَةِ،
وَالْأَيْدِ وَالْقُوَّةِ وَمَثَابَةِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فَهِيَ لِقُلُوبِ الطَّيِّبِينَ صَفَاً وَمَرَّةً، مَقَامَ سَيِّدِ
الْعَالَمِينَ طُرّاً وَهَادِيهِمْ عَبْدًا وَحُرّاً، وَمُنْقِذِهِمْ مِنْ أَشْرَاكِ الْهَلَائِكِ وَقَدْ طَالَمَا أَلْفُوا
الْعَيْشَ ضَنْكًا وَالذَّهْرَ مُرّاً، وَمَقَرَّ الْأَنْوَارِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَالْبَرَكَاتِ السَّرْمَدِيَّةِ، مَتَعَ اللَّهُ
الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِحِرَاسَةِ أَضْوَائِهَا، وَكَلَاءَةِ ظِلَالِهَا الْعَلِيَّةِ وَأَفْيَائِهَا، وَأَقَرَّ عَيْنَ
عَبْدِهَا بِلَثْمِ ثَرَاهَا، وَالْانْخِرَاطِ فِي سِلْكِ مَنْ يَرَاهَا. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ السَّلَامِ
عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، سَلَامٌ مَنْ يَمُدُّ إِلَيْكَ يَدَ الْغَرِيقِ، وَيَرْجُو الْإِنْقَادَ بِبِرْكَتِكَ مِنْ نَكِدِ
الْمَضِيْقِ، وَيَنْقَطِعُ أَسْفَاً وَيَتَنَفَّسُ صُعْدًا كُلَّمَا ارْتَدَلَفَ إِلَيْكَ فَرِيقٌ، وَعَمَرَتْ نَحْوُكَ
طَرِيقٌ، وَلَا يَفْتَرُ صَلَاةً عَلَيْكَ لَهُ لِسَانٌ وَلَا يَجِفُّ رِيقٌ. كَتَبْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ رَحَلَ
الْمُجِدُّونَ وَأَقَمْتُ، وَاسْتَقَامَ الْمُسْتَعِدُّونَ وَمَا اسْتَقَمْتُ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ لَثْمِ ثَرَاكِ النَّبَوِيِّ،
وَلَمَحِ سَنَاكَ الْمُحَمَّدِيِّ، مَفَاوِزُ لَا يَقُوزُ بِقَطْعِهَا إِلَّا مَنْ طَهَّرَ دَنْسَ تَوْبِهِ بِمَاءِ تَوْبِهِ،
وَسَتَرَ وَضَمَ عَيْنِهِ، بِطَهْرِ عَيْنِهِ، فَكُلَّمَا رُمْتُ الْمَتَابَةَ رُدِدْتُ، وَكُلَّمَا يَمُمْتُ الْبَابَ
صُدِدْتُ، وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَجِيءِ إِلَيْكَ وَالْوَفَادَةِ عَلَيْكَ، وَمَنْ لِي بِذَلِكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَالْآثَامُ تُثْنِي وَتُبْعِدُ، وَالْأَيَّامُ لَا تُدْنِي وَلَا تُسْعِدُ، وَبَيْنَ جَنْبِي أَشْوَاقٌ لَا يَزَالُ يَهْزُنِي
مِنْهَا الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ. وَلَئِنْ كُنْتُ مِمَّنْ خَلَفْتُهُ عُيُوبُهُ، وَأَوْبَقْتُهُ ذُنُوبُهُ، وَلَمْ يَرْضَ لِلْوَفَادَةِ
وَهُوَ مُدْنَسٌ، عَلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ وَهُوَ الْمُطَهَّرُ الْمُقَدَّسُ، فَعِنْدِي مِنْ صِدْقِ مَحَبَّتِكَ،



وَحُبِّ صُخْبِكَ، وَالْإِعْتِلَاقِ بِذِمَّتِكَ، مَا يُقَدِّمُنِي وَإِنْ كُنْتُ مُبْطِئًا، وَيُذْنِبُنِي وَإِنْ لَمْ أَزَلْ مُخْطِئًا. فَاشْفَعْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي زِيَارَتِكَ فَهِيَ أَفْضَلُ الْمُنى، وَتَوَسَّلْ لِي إِلَى مَوْلَى بَيْنَ فَضِيلَتِكَ وَتَقَبَّلْ وَسِيلَتَكَ فِي النُّقْلَةِ إِلَى هُنَاكَ مِنْ هُنَا، وَاقْبَلْنِي وَإِنْ كُنْتُ زَائِفًا⁽¹⁾ وَاقْبَلْ عَلَيَّ وَإِنْ أَصْبَحْتُ إِلَى الْإِثْمِ مُتَجَانِفًا، فَأَنْتَ عِمَادُ أُمَّتِكَ جَمِيعًا وَأَسْتَاتَا، وَشَفِيعُهُمْ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتَا، وَمَنْ نَأَتْ بِهِ الدَّارَ، وَقَعَدَتْ بِعِزِّهِ الْأَقْدَارَ، ثُمَّ زَارَ خَطُّهُ وَلَفْظُهُ، فَقَدْ عَظُمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الْخَيْرِ وَحَظُّهُ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ سَابِقًا فَعَسَى أَنْ أَكُونَ مُصَلِّيًا⁽²⁾، وَإِنْ لَمْ أَعُدْ مُقْبِلًا فَلَعَلِّي لَا أَعُدُّ مُوَلِّيًا. وَوَحَقَّكَ وَهُوَ الْحَقُّ الْأَكِيدُ، وَالْقَسَمُ الَّذِي يَبْلُغُ بِهِ الْمُقْسِمُ مَا يُرِيدُ، مَا وَخَدْتُ إِلَيْكَ رِكَابًا، إِلَّا وَلِلْقَلْبِ إِثْرَهَا التَّهَابُ، وَلِلدَّمْعِ بَعْدَهَا سَحٌّ وَأَنْسِكَابُ، وَيَا لَيْتَنِي مِمَّنْ يَزُورُكَ مَعَهَا وَلَوْ عَلَى الْوَجْهَيْنِ، وَيُحْيِيكَ وَلَوْ بَيْنَ رَكْبَيْهَا وَلَوْ بِالْمُقْلَتَيْنِ، وَمَا الْغِنَى ذُنُوكَ إِلَّا بُوْسٌ وَإِقْلَالُ⁽³⁾ وَلَا الدُّنْيَا وَلَوْ طَالَتْ وَعَرُضَتْ إِلَّا سُجُونٌ وَأَغْلَالٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ يَمُنُّ عَلَى كِتَابِي بِالْوُصُولِ وَالْقُبُولِ، وَعَلَيَّ بِلِحَاقِهِ بِبَرَكَتِكَ وَلَوْ بَعْدَ طُولٍ، ثُمَّ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْخَلْقِ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنَ الْحَقِّ، وَأَوَّلَاهُمْ بِإِخْرَازِ قَصَبِ السَّبْقِ، وَمَنْ طَهَّرَ اللَّهُ مَثْوَاهُ وَقَدَّسَهُ وَبَنَاهُ. عَلَى التَّقْوَى وَالرِّضْوَانِ وَأَسَّسَهُ، وَأَتَاهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ نَبَوِيٍّ أَعْلَاهُ وَأَسْنَاهُ، وَأَنْفَسَهُ، وَعَلَى ضَجِيعِيكَ السَّابِقِينَ لِمُهَاجِرِيكَ وَأَنْصَارِكَ، الْفَائِزِينَ بِصُخْبِكَ الْعَلِيَّةِ وَجِوَارِكَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الْمُطَهَّرِينَ، أَوَائِلَ وَأَوَاخِرَ، الْمُشْهَرِينَ مَنَاقِبَ وَمَفَاجِرَ، وَصَحَابَتِكَ الَّذِينَ عَزَّرُوكَ⁽⁴⁾ وَوَقَّرُوكَ، وَأَوَّوْكَ وَنَصَّرُوكَ، وَقَدَّمُوكَ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَهْلِ وَالْأَمْوَالِ وَاتَّرُوكَ، وَأَقْرَأُوكَ سَلَامًا يَنَالُ بَرَكَتَهُ مَنْ مَضَى مِنْ أُمَّتِكَ وَغَبَرَ، وَيَخْصُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَاهِكَ مَنْ كَتَبَ وَسَطَّرَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(1) في الأصل: «ز» وقد أضفنا ما يناسب السياق.

(2) الفرس المصلي الذي يأتي بعد المجلي.

(3) في الأصل: «وأما الغنى دونك لا بؤس» وقد صححناها بما يناسب السياق.

(4) عزره: فخمه وعظمه وأزره.



وَكَتَبَ عَبْدُكَ الْمُسْتَمْسِكُ بِعُرْوَتِكَ الْوُثْقَى، اللَّائِذُ بِحَرَمِكَ الْأَمْنَعِ الْأَوْقَى، الْمُتَأَخَّرُ
جِسْمًا الْمُتَقَدِّمُ نُطْقًا، عَبْدُ الرَّحْمَانِ ابْنِ يَخْلَفْتَنَ بْنِ أَحْمَدَ الْفَارَازِيِّ. عَفَا اللَّهُ عَنْهُ
وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَالِدَيْنِ:

رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا يُؤَمِّلُ نَفْعَهُمْ
وَأَجْدُرُ بِالتَّأْمِيلِ فِي كُلِّ مُغْضِلٍ
هُمُ الْقَوْمُ لَا يَنْفَكُ رَاجِي نَوَالِهِمْ
غِيُوثُ جُدُوبٍ أَوْ شُمُوسُ مَعَارِفٍ
وَأَنَّ بِأَكْنَافِ الْمَرِيَّةِ مِنْهُمْ
بَقِيَّةٌ مَنْ فِي الْكُتُبِ دِينًا وَسُنَّةً
تَكَسَّبَ مِنْ عِلْمِي كِتَابٍ وَسُنَّةٍ
وَلَمْ يَتَّبِعْ فِي الدِّينِ بِذَعَةٍ غَيْرِهِ
وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي قَدْ أَقَادَنِي
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ الْمَدْحِ أَطْنَبْتُ مُنْيَا
إِذَا كَانَ مَدْحُ الْمُتَّقِينَ فَضِيلَةً
وَمَنْ يَسْتَرْبِ فِي مَا ذَكَرْتُ فَإِنَّهُ
تَشَوَّقْتُ فِيهِ فَاسْتَنْبْتُ صَحِيفَتِي

عَلَى بُخْلِ أَيْدٍ وَاخْتِلَالِ مَكَاسِبِ
بَنُو الدِّينِ وَالرَّاجُونَ حُسْنَ الْعَوَاقِبِ
لَدَى ظِلِّ أَذْوَاجٍ وَطَلِّ سَحَائِبِ
هَضَابُ حُلُومٍ أَوْ نُجُومُ غِيَاهِبِ
لَقَدْ السَّجَايَا وَالْحُلَى وَالْمَنَاقِبِ
فَشَاهِدُهُ قَدْ نَابَ عَنْ كُلِّ غَائِبِ
كَرِيمِ الْمَسَاعِي فِي سَدِيدِ الْمَذَاهِبِ
وَلَا شَذَّ عَنْ بَادٍ مِنَ الْحَقِّ لِأَحِبِّ (1)
تَوَاتَرُ نَقْلِ مِنْ ثِقَاتِ الْأَصَاحِبِ
عَلَى فَضْلِهِ قِيلَ امْرِيٍّ غَيْرِ كَاذِبِ
فَمَدَحُ أَبِي إِسْحَاقَ أَكْدُ وَاجِبِ
بِرُؤْيَيْهِ يَذْرِيه بَعْدَ التَّجَارِبِ
وَرُبَّ كِتَابٍ نَائِبٍ عَنْ مُكَاتِبِ

السَّلَامُ عَلَى إِمَامِ الْمَعَارِفِ الْعَارِفِ، وَغَمَامِ الْعَوَارِفِ الْوَائِفِ، وَشَيْخِ الطَّرِيقَةِ
الْمُثَلَّى، وَالْأَحَقِّ بِالْحَقِيقَةِ وَالْأَوَّلَى، وَالْمُقْتَفَى لِسَنَنِ السُّنَنِ وَالْمُقْتَفَى مِنْ خُذَعِ الْبِدَعِ
وَالْغَيْثِ الْمُنْهَلِّ عَلَى أَوَامِ الْمُتَّبِعِينَ، وَالسَّيْفِ الْمُنْسَلِّ عَلَى هَامِ الْمُتَّبِعِينَ، أَبْقَاهُ اللَّهُ

(1) لاحب: واضح بين وظاهر.



وَحُجَّتُهُ قَاطِعَةً، وَمَحَجَّتُهُ عِلْمًا وَعَمَلًا نَاصِعَةً، وَالنُّفُوسُ الصَّادِقَةُ بِتَذْكِرِهِ مُجَلَّاتٌ،
وَالْأَنْفَاسُ الْعَاطِلَةُ بِتَبْصِيرِهِ مُحَلَّاةٌ.

كَتَبَ الْعَارِفُ بِمِقْدَارِهِ، الشَّيْءُ لِأَجَلِهِ إِلَى جِيرَتِهِ وَدَارِهِ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى تَعْظِيمِهِ
وَإِثَارِهِ، الْمُجْتَهِدُ فِي افْتِنَاءِ سُنَنِهِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِ، الْعَازِمُ عَلَى زِيَارَتِهِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى-
مُتَبَرِّكًا، الْحَرِيصُ عَلَى مُجَاوَرَتِهِ -بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى- مُتَلَفِيًا لِعُمْرِهِ الضَّائِعِ مُسْتَدْرِكًا،
فُلَانٌ. وَحَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَاجِبُ التَّقْدِيمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُهِمٍّ، وَأَمَامَ كُلِّ مُبْتَدَأٍ يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ،
وَشَوْقِي إِلَى سَيِّدِي وَأُسْتَاذِي، وَمَلَجَتِي فِي الْاِقْتِدَاءِ وَمَلَاذِي، لَا يَزَالُ زَنْدُهُ يُقَدِّحُ،
وَوُزْقُهُ أَثْنَاءَ الضُّلُوعِ تَصْدَحُ. وَلَوْ كَانَتْ مُخَاطَبَتِي إِيَّاهُ بِحَسَبِ حُبِّي، وَعَلَى مُقْتَضَى
مَحَلِّهِ الْأَثِيرِ مِنْ قَلْبِي، لَكَانَتْ الْمُهْجَةُ طَرَسًا، وَالْمُقَلَّةُ نَفْسًا⁽¹⁾، وَلَا أَصْبَحَتْ الْأَنْفَاسُ
كَلَامًا، وَالْجَوَارِحُ أَقْلَامًا. فَقَدْ زُكَّ أَثَرُهَا الْأُسْتَاذُ غَيْرُ خَافٍ عَلَى مَنْ مُنِحَ تَوْفِيقًا، وَرَزِقَ
قَلْبًا مُفِيَقًا.

نَفَعَ اللَّهُ بَرُّوَاكَ السَّالِكِينَ، وَنَبَّهَ بِآرَائِكَ التَّارِكِينَ، بِمَنِّهِ.

وَالْأَخُ فُلَانٌ عَبْدُ اللَّهِ لَهُ الطَّرِيقُ عَلَى يَدَيْكَ، وَسَنَ لَهُ أَسْبَابَ الْإِقَامَةِ [وَالسَّعَادَةِ]⁽²⁾
لَدَيْكَ، قِطْعَةً يُصْلِحُهَا عِلَاجُكَ، وَفَائِدَةً يَنَالُهَا⁽³⁾، اسْتَدْرَاجُكَ. وَبِهِ رَغْبَةٌ فِي السُّلُوكِ
وَالطَّرُقِ شَتَّى، وَأَمَلٌ قَوِيٌّ فِي الْاِقْتِدَاءِ بِكَ إِنْ أَمَكُنَ وَتَأَتَّى، وَهُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ هَمَّةٍ تُزْقِيهِ
إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا، وَحَالَةٍ تُحَرِّكُهُ حِينَ بَعْدَ الْحِينِ لَطَلَبِ الدُّنْيَا. وَمَنْ كَثُرَتْ عِلَلُهُ،
وَأَثَرَتْ غُلَلُهُ، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا طَبِيبٌ يَتَعَهَّدُهُ بِبَلَالٍ، وَيُعِيدُ عَلَيْهِ مَا فَقَدَ مِنَ الْإِبْلَالِ، وَقَدْ
أَمَّكَ وَالنَّجْحُ يُقَدِّمُهُ، وَالتَّوْفِيقُ يُقَدِّمُهُ، وَزَادَهُ حُبُّهُ وَمَرْكُوبُهُ قَدَمُهُ. فَإِذَا وَصَلَ -بِمَشِيئَةِ
اللَّهِ تَعَالَى وَمَعُونَتِهِ- وَرَزِقَ مِنْكَ قَبُولًا، وَإِلَيْكَ وُصُولًا، فَقَدْ أَوْدَعَتْهُ مَقْصِدِي مِنْ
الْإِلْمَامِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَالْاِعْتِدَارِ بِالْأَعْدَارِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ خَافِيَةٍ. وَمَا أَخَوَجَنِي إِلَى

(1) النَّفْسُ: الممداد.

(2) بياض بالأصل. وقد أضفنا ما يناسب السياق.

(3) بياض بالأصل.



الطَّبِّ وَالِدَاءُ قَدْ تَمَكَّنَ، وَأَوْلَانِي بِالْإِقْلَاعِ وَالْفَرْضِ قَدْ تَعَيَّنَ، وَأَحَقَّنِي بِالْإِسْتِنْصَارِ
وَقَدْ وَضَحَ الصُّبْحُ لِدِي عَيْنَيْنِ وَتَبَيَّنَ⁽¹⁾، وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسِّرُ لِي وَلِهَذَا الصَّاحِبُ خَالاً
يُسِّرُ خِدْمَتَهُ، وَتُكْسِبُ حِكْمَتَهُ، حَتَّى نَكُونَ أَحَدَ حَسَنَاتِهِ الْمَشْهُورَةِ، وَبَعْضُ قُرْبَاتِهِ
الْمُدَوَّنَةِ الْمَسْطُورَةِ، فَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى يُثْقِيهِ لِعَرِيقٍ يَأْخُذُ بِيَدِهِ، وَمَائِلٍ
يُقِيمُ مِنْ أَوْدِهِ، وَلَا يُعِدُّهُ مِنَ التَّوَابِينَ الْمُتَطَهِّرِينَ زِيَادَةً فِي عَدَدِهِ وَعُدْدِهِ بِمَنْتِهِ:

خُذْهَا إِلَيْكَ أَبَا إِسْحَاقَ عَنْ عَجَلٍ عُنْوَانٌ وَدُّ كَرِيمِ الْخُبَرِ وَالْخَبَرِ
صَحِيفَةً صَدَرَتْ، وَالشَّوْقُ يَخْفِزُهَا، وَالْقَلْبُ يَتْبَعُهَا، وَالْجِسْمُ بِالْأَثَرِ
أَمْتُ فِنَاءِكَ تَسْتَسْقِيكَ مِنْ ظَمًا أَضْنَى الْفُؤَادِ وَتَسْتَشْفِيكَ مِنْ ضَرَرِ
وَفِي لِقَائِكَ بُرءٌ عَاجِلٌ وَرَوَى إِنْ كَانَ فِي الْغَيْبِ إِنْسَاءٌ مِنَ الْعُمَرِ
مَنْ أَخْطَأَ السَّمْتَ وَالظَّلْمَاءَ عَاكِفَةً لَمْ يَهْدِ مُقْلَتَهُ إِلَّا سَنَى الْقَمَرِ

وَكَتَبَ لِشَيْخِنَا الرَّاهِدِ أَبِي بَكْرٍ بِنِ قَسُومٍ⁽²⁾ وَقَرَأَتْهُ عَلَيْهِ:

السَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرَكَاتُهُ، عَلَى مَنْ أَعْتَقَدُ حُبَّهُ قُرْبَةً، وَأَرَى
لِقَاءَ الْأَهْلِ دُونَهُ غُرْبَةً، وَأَوْدَهُ ذَاتًا وَجِيرَةً وَتُرْبَةً. أَخِي فِي اللَّهِ تَعَالَى الشَّيْخُ الْفَقِيهِ
الْفَاضِلُ الْمُبَارَكُ الْمُوَفَّقُ وَكُنْتُ أَزِيدُ، لَوْلَا أَنَّهُ لَا يُرِيدُ، أَمَّا بَعْدُ:

يَا سَيِّدِي أَرَاكَ اللَّهُ أَمْلَكَ، وَخَتَمَ بِالْخَيْرَاتِ عَمَلَكَ، فَإِنِّي كَتَبْتُهُ وَحَالِي فِي نَفْسِي وَبَنِي
وَأَهْلِي صَالِحَةً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَثِيرًا. وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا فُرْقَةً أَمْثَالِكَ، وَالْبَيْنُ
عَنِ الْمُتَتَحِلِّينَ لَانْتِحَالِكَ. فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنِّي أَحْبَبْتُ نِلْكَ الطَّرِيقَةَ السَّيِّئَةَ وَإِنْ لَمْ
أَسْلُكُهَا، وَأَكْرَهُ هَذِهِ الْحَالَةَ الدَّيِّئَةَ وَإِنْ لَمْ أَتْرُكْهَا، وَإِنَّ التَّوْبَةَ لَمَنْوِيَّةٌ، وَإِنَّ الثَّقَةَ لِبُلْطَفٍ

(1) من الأمثال العربية المشهورة.

(2) ابن قسوم: زاهد أندلسي اقتصر في شعره على غرض الزهد وأحاط به مجموعة من المريدين. التكملة
2/ 364، الذيل والتكملة 6/ 43، برنامج شيوخ الرعيني، ص: 92.



الله تَعَالَى لِقَوِيَّةٍ، وَمَا أَقْدَرَ الله أَنْ يُقِيلَ عِثَارِي، وَيَفُكَّ مِنْ رِبْقَةِ الْمَعَاصِي إِسَارِي، وَيَنْقُلَنِي مِنْ سُؤْمٍ الإِعْرَاضِ إِلَى نَسِيمِ الإِقْبَالِ، وَيُفَرِّغَنِي لِلنَّظَرِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ وَشِيكِ الْإِنْتِقَالِ، وَيَلْطَفَ لِي فِيمَا امْتَحَنْتَ بِهِ مِنْ ضَعَائِفِ أَيَّامِي وَأَصَاغِرِ أَطْفَالِ؛ حَتَّى يُعَاوِدَنِي رَوْحٌ مِنَ الْخَيْرِ كُنْتُ تَنْسَمْتُهُ، وَيُرَاجِعَنِي دَوْحٌ مِنَ الْبِرِّ كُنْتُ تَوَسَّمْتُهُ؛ ثُمَّ رَكَدَ ذَلِكَ وَقَدْ كَادَ أَنْ يُمَطِّرَ، وَصَوَّحَ ⁽¹⁾ هَذَا وَقَدْ قَارَبَ أَنْ يُزْهَرَ، وَالْعَبْدُ بِحِكْمَةِ الْقَدَرِ مُحْكُومٌ، وَإِلَى مَظَنَّةِ النَّصْرِ مَضْمُومٌ، وَلَوْ أَنِّي مَلَكَتُ يَدِي وَنَفْسِي، وَصَرَفْتُ بِاخْتِيَارِي عَقْلِي وَحِسِّي، لَمَا نَقَلْتُ قَدَمًا، فِيمَا يُعَقِّبُ نَدَمًا، وَلَا قَضَيْتُ وَطَرًا، مِمَّا يُرْكِبُ خَطَرًا؛ وَعَلَى ذَلِكَ فَلَا يَأْسَ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَلَا مَفَرٌّ إِلَّا إِلَى اللهِ. فَأَعِنِّي يَا أَحْيِ أَعَانِكَ اللهُ عَلَى الْخَيْرِ، وَوَقَاكَ الْحَاجَةَ إِلَى الْغَيْرِ، بِذِكْرِي مَا تَنْبَهْتَ مِنْ غَفْوَةٍ، وَتَلَهَّفْتَ لَهْفَةٍ، وَأَمِدَّنِي بِدُعْوَةٍ يُخْلِصُهَا الْقَلْبُ الْحَاضِرُ، وَتُلْتُ اللَّيْلَ الْآخِرَ، وَلَا تَجْعَلْ دُعَاءَكَ بَيْضَةً الْعُقْرِ ⁽²⁾، وَلْتَكُنْ حَاجَتِي مِنْكَ عَلَى ذِكْرٍ، فَالْعَرِيقُ لَا يَسْتَعْنِي عَنْ آخِذٍ بِيَدِهِ، وَإِنْ كَانَ سَابِحًا، وَالْمُذْنِبُ لَا يَسْتَبِدُّ دُونَ مُسْتَغْفِرٍ لَذَنْبِهِ وَلَوْ عَادَ صَالِحًا؛ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ» ⁽³⁾ وَمَنْ كَانَ بِمِثْلِكَ كَثِيرًا رَاحِمَ بِعُودٍ ⁽⁴⁾، وَاسْتَسْقَى وَابِلَ مَطَرٍ جَوْدٍ، وَانْتَظَرَ النِّجَاحَ لَطِيبِهِ، وَالصَّلَاحَ مِنْ قَلْبِهِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. وَقَدْ وَصَلَ فَلَانٌ وَأَدَّى مَا حَمَلْتُمُوهُ مِنْ قَوْلٍ حَسَنٍ، وَتَرْجِيَةٍ تَلَقَّاها قَلْبِي بِسَمَاعٍ وَأُذُنٍ، فَجَزَاكُمُ اللهُ فِي ذَلِكَ الْقَوْلِ وَجَزَاهُ فِي هَذَا النَّقْلِ جَزَاءً لَا تُعْدِمُونَ بَرَكَتَهُ مَحْيَا وَمَمَاتًا، وَلَا تَفْقِدُونَ يُمْنَهُ جَمِيعًا وَأَشْتَاتًا. بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ.

(1) صوح يقال: صوح البقل، وتصوح ييس، ومنه قول أبي علي البصير:
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا أَفْسَعَرَتْ وَصَوَّحَ نَبْهَارُ عِيِ الْهَشِيمِ

(2) بيضة العقر: فيها اختلاف لغوي كبير ملخصها أنها توضع مرة واحدة.

(3) حديث نبوي شريف. انظر كشف الخفاء للعجلوني. 204 / 2.

(4) مثل عربي قديم، مجمع الأمثال 1 / 320.



وَكَتَبَ لِلزَّاهِدِ أَبِي عِمْرَانَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ⁽¹⁾:

السَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ، وَالرَّحْمَةُ الَّتِي لَا تَبْرُحُ وَلَا تَرِيمُ، وَالْبَرَكَاتُ الْمُتَّصِلَةُ الْإِلْمَامِ الدَّائِمَةُ التَّخْيِيمِ، عَلَى حَضْرَةِ الْبَقِيَّةِ الصَّالِحَةِ، وَالْخَتَمِ الْمَوْجُودِ فِيهِ مَعْنَى الْفَاتِحَةِ، قُطْبِ الْمُجَاهِدِينَ، وَعِلْمِ الْمُشَاهِدِينَ، وَالْخَيْرِ الْجَامِعِ عِلْمًا وَعَمَلًا بَيْنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِي الدِّينِ. نَفَسَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ عُمْرَهُ، وَنَفَعَهُمْ بِهِ إِذْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ غَيْرُهُ. كِتَابٌ مُلْتَزِمُ الْفَرْضِ مِنْ تَعْظِيمِهِ، وَمُغْتَنِمُ الْحِظِّ مِنْ وَصَاتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، الْمُعَدُّ فَخْرًا لِلْآخَرَى بِرَكَّتِي دُعَائِهِ وَتَسْلِيمِهِ. مُحِبُّهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَانٌ. وَهُوَ يَحْمَدُ إِلَيْهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا يَكُتُّ⁽²⁾ عَدَدُهَا، وَلَا يَقْطَعُ بِشِيرِ الشُّكْرِ أَبَدًا أَمَدُهَا. وَإِنَّ مِنْ أَجْلِهَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ، ذِكْرِي بِالْجَمِيلِ لِدَلِكُمُ الْمَقَامِ، عَلَى هَفَوَاتٍ عِنْدِي وَهَنَوَاتٍ، وَتَضْيِيعِ شُهُورٍ جَمَّةٍ وَسَنَوَاتٍ، وَقَلَّةِ اكْتِرَاثٍ لِكُلِّ مَاضٍ وَعَدَمِ إِعْدَادٍ لِكُلِّ آتٍ. فَسُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ يَسِيرَ الْجَمِيلِ وَسَتَرَ كَثِيرَ الْقَبِيحِ، وَخَصَّنِي مِنْ اعْتِقَادِ ذَلِكُمُ الْجَنَانِ الطَّاهِرِ وَذَكَرِ ذَلِكُمُ اللَّسَانِ الشَّاكِرِ بِالتَّجَرِّ الرَّبِّيعِ، وَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي أَيُّهَا الْعَلَمُ الْأَهْدَى، وَالْقُدُوءُ عِلْمًا وَزُهْدًا، وَالْخَلْفُ الْمَحْمُودُ صَدْرًا وَوَرْدًا، جَزَاءً مَنْ أَحْسَنَ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، وَنَاطَ بِالْخَيْرِ الْآخِرِيِّ هِمَّةً قَصْدِهِ وَسَيْرِهِ، وَنَفَعَنِي بِالْبَاعِثِ عَلَى مَحَبَّتِكُمْ، وَالرَّغْبَةِ فِي الْمُثُولِ بِحَضْرَتِكُمْ. وَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ أَعْظَمُ الشَّاهِدِينَ، وَأَكْرَمُ الْمُشَاهِدِينَ، أَنِّي أَوْثِرُ الْأَنْدَلَسَ كُلَّهَا، وَأُحِبُّهَا وَأُحِبُّ مَنْ حَلَّهَا، إِجْلَالًا لَكُمْ وَلِأَمْثَالِكُمْ، وَرَغْبَةً فِي الْاِقْتِدَاءِ بِعُلُومِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ. فَأَمَّا وَاللَّقَاءَ لَمْ يُقْضَ، وَإِبْرَامُ الْعَزِيمَةَ لَا يُعْدَمُ النِّقْصُ؛ فَإِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَنْ تُفَرِّدُوا لِي مِنْكُمْ سَحْرًا تُجَرِّدُونَ فِيهِ النِّيَّةَ، وَتُخْلِصُونَ الطَّوَيَّةَ، وَتَقْصِرُونَ الرَّغْبَةَ عَلَى تَيْسِيرِ أَسْبَابِ الْمَثَابِ، فَقَدْ تَعَذَّرْتُ عَلَيَّ،

(1) أبو عمران الميرتلي: موسى بن حسين بن عمران كان من الزهاد في عصره، صاحب فضل وصلاح. انظر تحفة القادِم، ص: 132، التكملة: 678، المغرب 1/ 406، الغصون اليا نعة، ص: 135. وله شعر كثير في أماكن متفرقة من شرح المقامات للشريشي. برنامج الرعي ني، ص: 95.

(2) كُتْ يَكُتْ: بمعنى قل العدد ونقص.



وَعُدِمَتْ لَدَيَّ، فَكُلَّمَا أَبْرَمْتُ أَمْرًا انْحَلَّ، وَكُلَّمَا أَضْمَرْتُ عَقْدًا اخْتَلَّ. وَهَذِهِ حَالَتِي قَدْ شَرَحْتُهَا، وَحَاجَتِي عَلَى فَنَاءِ تِلْكَمُ الْحَضْرَةِ قَدْ طَرَحْتُهَا. وَأَرْجُو أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ مِنْ سَيِّدِي قَبُولًا فَيُسْعِفَ، وَيُعِينَ بِدُعَائِهِ الصَّالِحِ هَذَا الْمُذْنِبِ الْمُتَخَلِّفَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ فَقَدْ نَفَذَ عُمْرُهُ لَهْوًا وَلَعِبًا، وَقَطَعَ ظَهْرُهُ دَعْوَى وَكَذِبًا. وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَا يَقْبَلُ الْمُتَبَهِّرَجَ، وَلَا يَسْتَعْمِلُ إِلَّا الْمُتَحَرِّجَ. وَأَنَا مُنْتَظِرٌ تَبَدُّلَ هَذَا الْاِخْتِلَالِ عَلَى يَدَيْكُمْ، وَنَاطِرٌ بِعَيْنِ الْاضْطِرَارِ فِيهِ إِلَيْكُمْ. فَاجْعَلُونِي يَا سَيِّدِي مِنْ بَعْضِ حَسَنَاتِكُمْ، وَأَعِدُّوا مَعُونَتِي فِي جُمْلَةِ إِعْدَادَاتِكُمْ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُكُمْ وَيَنْفَعُ بِكُمْ، وَيَجْزِيَكُمْ بَعْضَ الْجَزَاءِ عَنْ سَنَنِكُمُ الْقَوِيمِ وَمَذْهَبِكُمْ بِمَنِّهِ وَعِزَّتِهِ.

وَكَتَبَ يُخَاطِبُ صَاحِبًا وَيَذُمُّ لَهُ الدُّنْيَا وَأَحْوَالَهَا وَيَصِفُ تَقَلُّبَهَا وَاخْتِلَالَهَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ:

السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِتَقْوَاهُ، وَأَبْقَاهُ بَقَاءً يَرْضَاهُ، وَحَفِظَهُ وَرَعَاهُ وَتَوَلَّاهُ، وَلَا أَعْدَمُهُ عَلَى تَغْيِيرِ الزَّمَنِ تَوْفِيقًا يَعْصِمُ دِينَهُ وَجَاهًا يَعْضُدُ دُنْيَاهُ. كَتَبْتُهُ وَلَا جَدِيدَ إِلَّا الرَّحْمَةَ الْوَاسِعَةَ وَالْأَلْطَافَ الْمُتَابِعَةَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا وَوُدِّي عَبْقُ الرَّيَّا، أُنِيقُ الْمُحَيَّا، لَمْ تُحْدِثِ النَّوَى لِنَشْرِهِ طَيًّا، وَلَا انْتَقَصَتْ مِنْ قُوَاهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَرْمًا شِيًّا وَإِنْ زَمْنَا⁽¹⁾ يُنْبِئُ أَمْثَالَكَ وَيُعْدِمُ مِثَالَكَ لَجَدِيرٍ بِأَنْ يَطُولَ عِقَابُهُ، وَيُنْتَظَرُ إِفْلَاحُهُ وَمَتَابُهُ، فَأَنْتَ السَّرِيُّ الْفَعَالُ، الْكَرِيمُ الْعَمُّ وَالْخَالُ، الْمَخْصُوصُ بِخُلُقِي كَالْخَمْرِ مَمْرُوجَةٍ بِمَاءِ زُلَالٍ. وَإِنَّكَ لَمَنْ يُعْتَدُّ بِمَعْرِفَتِهِ، وَيُعْدَمُ الْمُتَصِفُ بِصِفَتِهِ، وَيُوثَقُ بِنَزَاهَتِهِ وَأَنْفَتِهِ، وَإِنْ حَلَلْتَ مَحَلًّا لَا يَحُلُّ الْأَخْرَارُ، وَلَا يُرْعَى فِيهِمُ الْأَلُّ وَالْجَوَارُ؛ فَأَنْتَ كَالْمِسْكِ إِنْ قُصِدَ كِتْمُهُ، ذَاغَ شَمُّهُ، لَا بَلَّ كَالسَّيْفِ إِنْ حَوَاهُ غَمْدُهُ، خُرِقَ حَدُّهُ، وَالْحَقُّ عَالٍ وَإِنْ نُويَ حَطُّهُ، وَالطَّرْسُ حَالٍ وَإِنْ سَتِرَ خَطُّهُ، وَالزَّمْنُ وَإِنْ كَانَتْ عَادَتُهُ إِخْمَالُ أَهْلِ الْكَمَالِ، وَقَسَمَ حُطُوظُهُمُ الْوَاجِبُ لَهَا الْيَمِينُ بِالسُّمَالِ، فَرُبَّمَا خَرِقَ الْعَادَةُ، وَتَدَارَكَ مَا ضَيَّعَ بِالْإِعَادَةِ.

(1) في الأصل: «وان رمنا». ولم تتمكن من قراءتها.



وَالْقَاضِي فَلَانٌ مَّمَّنَ يَصْدُقُ نَظْرُهُ، وَيَظْفَرُ بِالْأَمَلِ مُنْتَظَرُهُ، وَإِنْ رَابَ مِنْهُ أَوَّلُ
فَسِيحَمْدٍ آخِرًا، وَإِنْ غَفَلَ لَهُ سَمْعٌ فَسَيَكَلُ نَاطِرًا، فَهُوَ حُرٌّ وَابْنُ أَحْرَارٍ وَقَدْ خَبَرْتُهُ⁽¹⁾
فَحَيَّ هَلَّا بِذَلِكَ الْاِخْتِيَارِ، وَلَنْ يَضِيقَ صَدْرُكَ الْمُتَسَّعُ عَمَّا كُنْتُ ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ
الْأَعْذَارِ؛ فَالْحَاكِمُ مُنْتَحَنٌ وَيَسْعَافُ فُلٌّ وَفُلَانٍ مُرْتَهَنٌ، وَالْقُلُوبُ كَمَا تَعْلَمُ دَخَنَ كُلِّهَا
وَلِإِخْنٍ. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى صَلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَالْمَعُونَةَ عَلَى إِصْلَاحِ الْجَانِبَيْنِ، فَالْدُّنْيَا
أَنْذَرُ مِنْ أَنْ يَقُودَ الْعُقُولَ خِطَامُهَا، أَوْ يَرُوقَ الْعُيُونَ حُطَامُهَا، فَتَقْلِبُهَا طَبِيعِي، وَالْمَرْءُ
فِيهَا إِمَّا نَاعٍ أَوْ مَنْعِيٍّ، وَالْحَالُ هَذِهِ فَالْتَزَاخُمُ عَلَيْهَا غَيٌّ أَوْ عِيٍّ، وَلَسْتُ أَعْنِيكَ، وَلَا
أُسِيرُ إِلَى أَلْفَاظِكَ وَمَعَانِيكَ. فَاحْفَظْ قَلِيلًا مِنْ جَنَاحِكَ، وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَعْهَدَهُ مِنْ
رَفِقِكَ وَسَمَاحِكَ. فَكَأَنَّ قَدْ وَقَعَ الْفِرَاقُ بِمَوْتِ أَوْ نَوَى، وَغَادَرَ الْمَرْءُ أَوْ غُوِِدَرَ
الْهَوَى⁽²⁾ الْفَقِيهُ أَبُو فَلَانٍ جَابَ وَجَالُ، وَدَخَلَ الْأَمْصَارَ وَلَقِيَ الرَّجَالَ، وَقَيَّدَ الْإِسْنَادَ
خَطًّا وَحِفْظًا وَالْأَرْسَالَ، وَأَفْنَى عُمُرَهُ بَيْنَ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا قَالَ،
وَبِالْأَمْسِ كُنَّا دَائِرَيْنِ بِمَرْكَزِهِ، مُسْلِمِينَ لِمِيزِهِ وَتَمِيزِهِ، فَهَا هُوَ قَدْ أَضْحَى رَهِينَ اللَّحْدِ،
كَأَبِي الزُّنْدِ، صَرِيحًا لَصَفِيحَةِ الرَّدَى عَلَى صَفْحَةِ الْخَدِّ، كَأَنَّ لَمْ يَعْمُرْ جِسْمَهُ الرُّوحُ،
وَلَا كَانَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ يَغْدُو وَيَرُوحُ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُغِمُّهُ بِرِضَاهُ، وَيَنْفَعُهُ بِالْعِلْمِ فَقَدْ
رَوَاهُ، وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ اعْتَبَرَ وَانْتَظَرَ فَكَأَنَّ الْمَوْتَ قَدْ آتَاهُ.

وَإِنَّ دَارَ مَالِهَا الْمَمَاتُ، وَغَايَةُ جَمْعِهَا الشَّتَاتُ، لِأَهْلٍ أَنْ تُتْرَكَ ذَمِيمَةً، وَيُرْهَدَ فِيهَا
فَلَا قَدْرَ لَهَا وَلَا قِيمَةَ. وَقَدْ وَعِظْنَا لَوْ نَتَّعِظُ، وَاخْتَلَفَتْ بَيْنَنَا سِهَامُ الْمَنِيَّةِ وَنَحْنُ لَا
نَحْتَفِظُ. وَإِنَّا اللَّهُ عَلَى قُلُوبٍ عَمِيَتْ بِصَائِرِهَا، وَخَبِثَتْ سَرَائِرُهَا، وَوَقَفَ عَلَى الدُّنْيَا
الدَّيْنِيَّةِ سَمْعُهَا وَنَاطِرُهَا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى صَلَاحًا عَاجِلًا، وَتَوْفِيقًا لَا يُغَادِرُ حَقَّهُ فِي
الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ بَاطِلًا، فَهُوَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَالْمَوْلَى الَّذِي لَمْ يُعْذَمْ مَعَ لُطْفِهِ تَسْهِيلٌ
وَتَيْسِيرٌ، وَلِإِلَيْهِ سُبْحَانَهُ أَضْرَعُ أَنْ يُعْلِي كَعْبَكَ، وَيُسَوِّءَ شَانِيكَ وَيَسِّرَ مُحِبَّكَ. وَلَا زِلْتَ
مَخْرُوسَ الْمَكَانِ وَالْمَكَانَةِ، مَجْزِيًا بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ.

(1) في الأصل: جبرته.

(2) بياض بالأصل.



وَكُتِبَ لِلشَّيْخِ الفَقِيهِ أَبِي عَبدِ اللهِ رُكنِ الدِّينِ ⁽¹⁾ رَحِمَهُ اللهُ:

الفقيه العالم الأوحد علامة العلماء، وقُدوة الأتقياء، والعَضْبُ الَّذي لَا يُعارِضُ
حدّه شيءٌ مِنَ الأشياءِ، أبو فلانٍ رُكنُ الدِّينِ وقُطْبُ الموحِّدين، والشَّجَى المُنْعَرِضُ
في صُدُورِ المُلْحِدين. حَرَسَ اللهُ مُهجَّتَه، وأَعْلَى حُجَّتَه، ونَهَجَ إِلَى دارِ السَّلامِ -بِذَبِّهِ
عَنِ الإِسْلامِ- مَحَجَّتَه.

كَتَبَ مُعَظَّمُ مِقْدارِهِ، الحَرِيصُ عَلَى الإِفْتِدَاءِ بِأَثارِهِ، المُقَدِّمُ لِزِيَارَتِهِ، لَوْلَا تَأخيرُ
أَعذارِهِ، فَلانٌ وَلَا جَدِيدٌ إِلَّا فَضَّلَ اللهُ تَعَالَى السَّابِعَ ⁽²⁾ وَمَنْهُ السَّائِعُ ⁽³⁾. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا
وَأَنَا عَلَى مَا يَتَعَيَّنُ مِنْ إِجْلالِكُمْ مُقِيمٌ، وَتَشْيِيعِي ⁽⁴⁾ فَيْكُمُ حَدِيثٌ وَقَدِيمٌ، وَتَقْدِيمِي لَكُمْ
عَلَى تَقْدِيمِ مَنْ لَمْ يَذُلُّهُ عَلَى سِوَاكُمْ سَبَرٌ وَتَقْسِيمٌ. وَكُنْتُ أَخَذْتُ عَنْ طَلَبَةِ تَوْسٍ -
جَبَرها اللهُ- مَنَاقِبَكُمْ تَفْليدًا، وَأودَعْتُها خَلْدي صَوْنًا لَهَا وَتَخْلِيدًا، وَأَضْمَرْتُ لَهَا الرِّحْلَةَ
إِلَيْكُمْ وَإِنْ كانَ المَزَارُ بَعِيدًا؛ فَلَمْ تَزَلِ السُّنُونُ تَنْقَرِضُ، وَالقَوَاطِعُ تَعْتَرِضُ، وَالْحَاجَةُ إِلَيَّ
مُشَافَهَتِكُمْ فِي العَوامِضِ العَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ تَسْتَنْهَضُ؛ إِلَيَّ أَنْ بَانَ الآنَ أَنَّ الزَّمَنَ غَيْرُ
مُواتٍ، وَأَنَّ بَنِيهِ -حاشاكم- أَحْياءُ كَأَمْواتٍ؛ وَصَحَّ أَنَّ مُتَحَلِّي العُلُومِ أَدْعِياءُ، وَأَنَّهُمْ
لَمْ يَكْتَسِبُوا مِنْ حُلَى العُلَماءِ إِلَّا الأَسْماءَ. فَاسْتَخَرْتُ اللهُ تَعَالَى أَنْ أُوَجِّهَ إِلَيَّ
حَضَرَ تَكُمُ الَّتِي هِيَ حَضْرَةُ المَعارِفِ، وَمَقَرُّ العِلْمِ التَّالِدِ وَالطَّارِفِ، مَسائِلَ طالَمَّا
صَافَحْتُ ⁽⁵⁾ بِهَا الفُحُولَ، وَذاكَرْتُ مَنْ يُحَسِّنُ فِيمَا يَقُولُ أَنْ يَقُولَ؛ فَكُلُّهُمْ يَرُوعُهُ
مُجْتَلَاهَا، وَيُودُّ أَنْ غَيْرُهُ تَوَلَّاهَا؛ وَرُبَّمَا سَطَّرْتُ فِيهَا أَوْرَاقَ، وَكانَ فِي الجَوابِ عَنْها

(1) عالم متكلم مشهور بين الأندلسيين، التكملة، ص: 868، الذيل 6/ 364. برنامج شيوخ الرعيني، ص: 73.

(2) في الأصل: «السابع».

(3) في الأصل: «السائغ».

(4) في الأصل: «وتشييعي».

(5) في الأصل: «صفحت» وقد تكون: شافهت.



خِلَافٌ وَوِفَاقٌ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ أَعُثِرْ عَلَى بَارِقَةِ صَوَابٍ، وَلَا ظَفِرَتْ بِنُكْتَةٍ أَرْتَضِيهَا فِي جَوَابٍ، وَالْإِبْدَاعُ⁽¹⁾ مِنْكُمْ يُنَادِي هَلُمَّ هَلُمَّ، إِلَى كَمْ تَسْتَطِيقُ الصَّمَّ، وَتُودِعُ الْوَهَادَ وَتَدْعُ الشَّمَارِيخَ الشَّمَّ؛ هَاكَ رَوْضُ الْبَلَاغَةِ مُزْهَرًا، وَوَرْدُ الْبَرَاغَةِ مُتَفَجِّرًا؛ فَقُلْتُ بِلِسَانِ الْحَالِ لَيْسَ قَدْرُكَ بِخَافٍ، وَلَا تَأْخِيرُكَ لِانْكِفَافٍ، بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَجْتَمَعَ النُّورُ وَالظُّلُمَاءُ، «وَبُضْدُهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ»⁽²⁾، وَقَدْ قَدَّمْتُ الْوَسَائِلَ، وَأَخَّرْتُ الرِّسَائِلَ، لِتَرِدَ عَلَى مَحَلِّ قَابِلٍ، وَتَحْطَى بِوَرْدِ بَحْرِ مَا لَهُ مِنْ سَاحِلٍ.

وَقَدْ اتَّفَقَ أَرْبَابُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، وَجَهَابُذَةُ الْخَبِيرَةِ وَالنَّقْدِ، عَلَى أَنَّكُمْ مِفْتَاحُ مُغْفَلِهَا، وَإِيضًا مُغْفَلِهَا؛ وَأَنَا مُنْتَظَرٌ مِنْ جَوَابِكُمْ الْقَاطِعِ، وَتَحْقِيقُكُمْ الْحَالِ مِنَ الصَّوَابِ بِأَشْرَفِ الْمَوَاضِعِ، مَا يُقَرِّبُ لِي بِهِ الْبُعْدُ، وَلَا أَشْكُو مَعَهُ مُشْكِلًا مِنْ بَعْدُ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَهُوَ يُبْقِيكُمْ لِلْعِلْمِ تَقْبِسُونَ نُورَهُ، وَالْحَقُّ تَحْمُونَ أَعْجَازَهُ وَصُدُورَهُ، وَلَا يُعِدُّكُمْ مُسْتَرَشِدًا تَمُدُّونَ قُصُورَهُ، وَمُسْتَرْفِدًا تَتَوَلَّوْنَ أُمُورَهُ. بِمَنِّهِ. وَلَهُ الْفَضْلُ فِي الْإِغْضَاءِ عَنْ خَلَلٍ يَمُرُّ بِهِ فِي هَذَا الْمَكْتُوبِ، أَوْ عَيْبٍ يَرَاهُ مِنْهُ فِي مَعْنَى أَوْ أُسْلُوبٍ. فَإِنِّي كَتَبْتُهُ وَالْمَحَلَّ بِالْفِكْرِ مَعْمُورٌ، وَدُونَ الْمُرْتَضَى مِنَ الْكَلَامِ خُطُوبٌ وَأُمُورٌ، وَالْمُتَحَمِّلُ لَهُ فِي الْحَفَرِ وَالْانْحِفَازِ مَعْدُورٌ.

وَكَتَبَ لِلْأُسْتَاذِ الْعَالِمِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْقُرْطُبِيِّ⁽³⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ:

السَّلَامُ عَلَى الشَّيْخِ الْفَقِيهِ الْعَالِمِ الْحَافِظِ الْأَوْحِدِ قُدْوَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَعَلِمِ عُلُومِهَا الْمُفْتَتَةِ، وَالذَّابِّ عَنْ حِمَاها مِنْ فُهْمِ أَفْكَارِهِ، وَرُسُومِ أَسْطَارِهِ، بِأَمْضَى مِنَ الظُّبَاتِ، وَأَنْقَذَ مِنَ الْأَسْتَةِ؛ أَبْقَاهُ اللَّهُ وَبَخَّرَ عِلْمِهِ زَاخِرَ، وَأَوْصَافُهُ كُلُّهَا مَعَالٍ وَمَفَاخِرَ.

(1) في الأصل: «ولا يداع».

(2) شطر بيت شعري.

(3) هو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري، كان صدرا في المقرئين ورئيسا للمحدثين في عصره. انظر: الذيل والتكملة 4/ 191. ترجمة: 363، التكملة، ترجمة رقم: 879.

656



وَلَمَّا تَوَجَّهَ مُتَحَمِّلُهَا حَمَلَتْهُ أَمَانَةُ السَّلَامِ، وَاسْتَنْبَتْهُ بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ فِي اسْتِلامِ ذَلِكَ
الْمَقَامِ. فَإِنْ أَسْعَفَتِ الْإِيَّامُ بِمَرَامِي، فَالْلِقَاءُ أَمَامِي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. أَبْقَاكُمْ اللَّهُ فِي
نِعَمٍ وَافِيَةٍ، وَعِصْمٍ كَافِيَةٍ، وَلَا أَخْلَاكُمْ فِي أُمُورِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ مِنْ سَلَامَةٍ وَعَافِيَةٍ.
وَكَتَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُرَاجِعاً بَعْضَ الْأَصْحَابِ وَمُتَشَكِّياً خِلَالَ مُرَاجَعَتِهِ التَّسْوِيفَ بِالْمَتَابِ:

وَهِيَ رِسَالَةٌ جَمَعَتْ نَثْرًا وَنَظْمًا، وَأُطْلِعَتْ فِي أَفْقِ الْبَيَانِ لِلِإِجَادَةِ نَجْمًا، أَوَّلُهَا:
أَصْفَيْتُكَ الْوُدَّ مُضْطَرًّا وَمُخْتَارًا وَلَمْ أَحَاطِ بِكَ، إِجْلَالًا وَإِكْبَارًا
وَصُنْتُ سَمْعَكَ عَنْ قَوْلِ أَجْشُمِهِ وَهُوَ الدُّجَى، أَنْ يُعِيرَ الشَّمْسُ أَنْوَارًا
وَقُلْتُ أَيُّ كَلَامٍ أَرْتَضِيهِ لَهُ وَهُوَ الْمُقَدَّمُ تَرْسِيلًا وَأَشْعَارًا
يَخْفَى الْأَصِيلُ أَصِيلًا مِنْ رَوِيَّتِهِ لِذَاكَ يَظْهَرُ بِالْأَشْحَارِ أَشْحَارًا
وَيَقْذِفُ الْقَوْلَ مَعْدُومٌ مُعَارِضُهُ وَمَنْ يُسَاجِلُ طَامِي الْمَوْجِ إِنْحَارًا⁽¹⁾
قَدْ عَافَ عُونََ الْمَعَانِي وَهِيَ مُعْرِضُهُ لَهُ فَسِيرَهَا فِي النَّاسِ أَبْكَارًا
سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ مَرَّ الطَّيْرِ مُسْرِعَةً حَتَّى حَسِبْتَ لَهَا الْأَكْوَارَ أَوْكَارًا
يَأْتِيكَ عَفْوًا بِمَا تُعْيِي رَوِيَّتُهُ عَبْدَ الْحَمِيدِ وَيَكْسُو الْعِيَّ بَشَارًا⁽²⁾
وَلَوْ جَعَلْتُ كَلَامِي رَوْضَةً أَنْفَا وَصُغْتُ أَحْرَفَ خَطِي فِيهِ أَزْهَارًا
وَهَبْهُ يُغْضِي عَنِ الْعَوْرَاتِ يَسْتُرُهَا فَضْلًا، فَفِي النَّاسِ مَنْ لَا يَكْتُمُ الْعَارَا
وَهَبْهُ كَانَ - أَدَامَ اللَّهُ بَهْجَتَهُ - حُرًّا، فَلَيْسَ جَمِيعُ النَّاسِ أَحْرَارَا
تَكْفِيهِ مِنْ نِي مُوَالَاةٍ مُخْلَصَةٍ مِنْ الشَّوَائِبِ إِعْلَانًا وَإِسْرَارَا
وَإِنِّي لَا أَرَى فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ خِلَافًا يُؤَاوِيهِ أَخْلَاقًا وَمَقْدَارَا
وَإِنَّ إِيَّارَهُ لِلْخَيْرِ يَفْعَلُهُ لَمْ يُبْقِ لِلنَّاسِ فِي دَعْوَاهُ أَنْارَا

(1) بياض بالأصل.

(2) يقصد بعبد الحميد الناصر العربي المعروف. أما بشار فهو شاعر عباسي من دعاة التجديد.



وَإِنِّي قَبْلَ مَرَاهُ وَخَبَرْتَهُ
وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْهُ حَمَلَهُ
فَقُمْتُ أَلْتُمُ أَثَارَ الرَّسُولِ بِهِ
وَأَسْتَمْطِرُ الشُّوقَ لِمَا فُضَّ خَاتَمُهُ
وَلَمْ أُمِرْ بِحَرْفٍ مِنْهُ أَقْرَأَهُ
وَصُتُّهُ بَعْدَمَا وَفَيْتُ وَاجِبَهُ
وَكُنْتُ أَخْفِيهِ فِي جَفْنِي وَفِي خَلْدِي
أَفْوَحُ السَّلَامَ وَأَعْطِرُهُ، وَأَنْثُهُ نُورًا وَأَنْضِرُهُ، عَلَى السَّيِّدِ الَّذِي لَا أَزَالُ أَتَذَكَّرُهُ،
وَأُورِثُهُ، وَأَشْكُرُهُ وَأُكْبِرُهُ، وَالْفَاضِلِ الَّذِي طَابَ خُبْرُهُ وَمَخْبَرُهُ، وَسَمَا فِي قُنَّةِ الْمَجْدِ
حَيْثُ لَا يُقْتَفَى أَثَرُهُ.

كَتَبْتُهُ كَتَبَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِمَّنْ أَسْعَدَ مَمَاتَهُ وَمَحْيَاهُ، وَلَمْ يَرْجُ لِمُهِّمَاتِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إِلَّا
إِيَّاهُ، وَأَنَا أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَى نِعَمِهِ وَعِصْمِهِ، أَعُوْلُ فِي صَلَاحِ
حَالِي عَلَى فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ. فَإِنِّي سَلِيمٌ إِلَّا مِنَ الْعُيُوبِ، وَمُقْلَعٌ إِلَّا عَنِ الذُّنُوبِ، رَاكِبٌ
مِنْ هَوَى نَفْسِي شَرِّ مَرْكُوبٍ، أَقْتَصِرُ عَلَى التَّمَنِّيِ وَالتَّسْوِيفِ، وَأَعْلَقُ تَوْبَتِي بِالْأَمَلِ
الضَّعِيفِ، وَلِلْمَنِيَّةِ كُلِّ يَوْمٍ سَهْمٌ صَائِبٌ، وَالدُّنْيَا مَكَارِهِ كُلُّهَا وَمَصَائِبٌ⁽¹⁾:

حَالٌ يَقْلُ لِمِثْلِهَِا
وَمُصِيبَةٌ عَظُمَتْ عَلَيَّ
لَهْفِي لِأَيَّامِي التِّي
مَرَّتْ وَمَا حَلَّتْ لَدَيَّ
حَلَّ الْعِقَابِ بِأَهْلِهَِا
فَمَا أَقْوَمُ بِثِقَلِهَِا
مِنْ غَفْلَةٍ لَمْ أُخْلِهَِا
دَقِيقَةً فِي حِلِّهَِا

(1) من مجزوء الكامل.



لَمْ أَسْتَفِقْ مِنْ بَغْضِهَا⁽¹⁾ حَتَّى أَصِيبْتُ بِكُلِّهَا
لَهْفِي عَلَى النَّفْسِ الَّتِي لَا تَزَعَوِي عَنْ جَهْلِهَا
تَلْهُو وَقَوْسُ الْمَوْتِ تَخُ تَرِمُ النَّفْسُوسَ بِنَبْلِهَا
وَكَاثَتْهَا قَدْ أَلْحَقْتُ بِمَنْ انْقَضَى⁽²⁾ مِنْ قَبْلِهَا
يَا أَيُّهَا الْخِلُّ الْمُنَا دَى مِثْلُهُ فِي مِثْلِهَا
أَسْعِدْ أَحَاكَ بِدَعْوَةٍ تَسْقِي ثَرَاهُ بَوْبِلِهَا
فَعَلَيْهِ مِنْ نَسِجِ الذَّنُو بِ مَدَارِعَ لَمْ يُبْلِهَا
وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّي فِي حَيْرَةٍ⁽³⁾ مِنْ أَجْلِهَا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ لَا يُصَدِّقُهُ الْفِعْلُ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَفْعَلَ بِي مَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، فَمَا حَقُّ
مِثْلِي أَنْ يَتَحَلَّى بِهَذَا الْمَقَالِ، وَهُوَ مُخَالَفٌ⁽⁴⁾ لَهُ بِالْحَالِ. لَكِنْ أَنَا مَصْدُورٌ، وَفِي طَوْلِ
التَّفَجُّعِ مَعْدُورٌ، وَقَدْ فَقِدَ الشَّبَابَ، وَلَيْسَ إِلَّا الْعَارُ وَالْعَابُ:

وَأَتَتْنِي الْأَرْبُعُونَ وَمَا ثَقُلْتُ عَنْ زَلَّةٍ قَدَمًا
كُلَّمَا جَدَّدْتُ عُدَّتَهَا جَدَّدْتُ لِي عُدَّتِي أَلَمًا
كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُوَافِيَهَا قَاطِنًا مِنْ تَوْبَةٍ حَرَمًا
مُضْغِيًا لِلنُّضْحِ أَسْمِعُهُ أَذْ نَا قَدْ أَوْقَرَتْ صَمَمًا
فَأَبْتُ نَفْسٌ قَدْ اتَّخَذَتْ خَضَمَهَا مِنْ جَهْلِهَا حَكَمًا⁽⁵⁾

(1) في الأصل: «من بغضها»، ولعل الصواب ما أثبتناه حيث يناسب ما ورد في آخر البيت.

(2) في الأصل: «بهن انقض»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(3) في الأصل: «في حيرة»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) في الأصل: «وهو مخالف»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) فيه إشارة إلى قول المتنبي:

يَا أَعْدَلِ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فَيَكِ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكَمُ



تَرْكَبُ الْأَثَامَ دَائِبَةً ثُمَّ لَا تَسْتَشْعِرُ النَّدَمَا
يَقْظَاتُ كُلَّهَا حُلُمٌ وَوُجُودُ يُشْبِهُ الْعَدَمَا
لَوْ رَأَيْتُ الذَّنْبَ مُنْصَرِمًا لَمْ أَعُدَّ الْعُمَرَ مُنْصَرِمًا
خَالَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ وَجَنَى قَلْبِي وَقَدْ عَلِمَا
وَعَلَى هَذَا فَلِي أَمَلٌ يَرْقُبُ الْإِحْسَانَ وَالْكَرَمَا

وَأَمَّا مَا أَحْدَهُ لِيَنَّكَ أَيُّهَا الْأَخُ الْأَوْحَدُ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي أَنَارَهُ الْكَرِيمَةَ لَا تُجَحِّدُ⁽¹⁾،
فَأَمْرٌ إِمْرٌ، وَخَطْبٌ مَا لِي عَلَى تَحْمِلِهِ صَبْرٌ⁽²⁾. أَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ،
وَأَعْلَى الْمُطْلَعِينَ وَالْمُشَاهِدِينَ، إِذْ أَعَدُّكَ أَوَّلَ الْخُلَصَانِ، وَأَرْبَأُ بِكَمَالٍ خِلَالِكَ عَنِ
النَّقْصَانِ، وَأَتَمَّنِي قُرْبَكَ فِي جُمْلَةِ مَا أَتَمَّنَاهُ، وَأَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ لَفْظِكَ وَصِدْقِ
[مَعْنَاهُ]⁽³⁾ وَأَقْطَعُ أَنِّي لَمْ أَرِ فِي أَبْنَاءِ الرِّيَاسَةِ وَذَوِي النَّفَاسَةِ أَشَدَّ مِنْكَ انْجِدَابًا إِلَى الْخَيْرِ
وَلَا أَكْثَرَ كِبَرًا عَنِ الْكِبَرِ تَمِيلُ بِطَبْعِكَ السَّرِيِّ إِلَى الْفُقَرَاءِ، وَتَنْبِذُ النَّابِذِينَ لَهُمْ وَإِنْ عَزَّوَا
بِالْعَرَاءِ، وَتُجَدِّدُ بِمُجَالَسَتِكَ ذِكْرَ الصُّلَحَاءِ الرَّفَقَاءِ، وَتَرْغَبُ لِصَلَاحِكَ فِي صَلَاحِ الْفُقَرَاءِ،
وَتُحْسِنُ الظَّنَّ حَتَّى بِالْمُخَلَّطِينَ، وَتَتَوَاضَعُ حَتَّى لِلْغَالِطِينَ وَالْمُعْطَلِينَ⁽⁴⁾. هَا أَنْتَ تُحَلِّينِي
بِالزُّهْدِ وَالْفَضْلِ، وَتَنْسُبُنِي إِلَى سَدَادِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتُخَاطِبُنِي مُخَاطَبَةً مَنْ نَبَذَ الدُّنْيَا
وَانْتَبَذَ، وَهَجَرَ أَهْلَهَا فَمَا أُعْطِيَ وَلَا أَخَذَ، حَسَنَتِ الظَّنَّ بِكَ تُبِّصُ صَفَفَتَهَا⁽⁵⁾، وَأَقْوَالِي فِي دَمِّ
الدُّنْيَا بِلِسَانِ السَّهْوِ صَرَفَتَهَا، وَالْبَاطِنُ بِالْمُهْلِكَاتِ مَشْحُونٌ، وَالْأَخْلَاقُ كُلُّهَا دُونَ، وَالْمَانِعُ
مِنَ الْخَوْضِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّنْيَا عَجْزٌ وَهُونٌ. وَاللَّهُ مَا أَكْتُمُكَ حَرْفًا مِنْ حَالِي وَانْتِحَالِي،
وَأَمَّا الْفَضْلُ فَكَيْفَ وَأَنَّى لِي⁽⁶⁾.

(1) فِي الْأَصْلِ: «يَجْحَدُ».

(2) فِي الْأَصْلِ: «صَبْرًا».

(3) فِي الْأَصْلِ: «مَعَ».

(4) فِي الْأَصْلِ: «الْمُعْطَلِينَ».

(5) فِي الْأَصْلِ: «صَفَفَتَهَا».

(6) مِنَ الْكَامِلِ.



بَيْنِي وَبَيْنَ الْفَضْلِ كُلُّ تَنُوفَةٍ⁽¹⁾ لِلذَّنْبِ لَمْ تَقْطَعْ بِصِدْقِ إِنَابَتِي
وَمَهَالِكٍ لَا جُنَّةُ تُتْلَفَى بِهَا وَثَقْتُ بِغَيْرِ إِصَابَتِي⁽²⁾ فَأَصَابَتْ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي مُسْتَهْدَفٌ حَتَّى أَبْدَلَ حَالَتِي وَعِصَابَتِي
أَشْهَدُكَ اللَّهُ أَيُّمَى قَوْلِي هَذَا بِإِزْرَاءٍ وَأُنْسَبُ فِيهِ إِلَى تَمَلُّقٍ وَطِرَاءٍ. كَلَّا وَحَقِّكَ بَلْ
اخْتَصَرْتُ، وَأَشْرْتُ وَمَا فَسَّرْتُ. أَفْأَلَا أَنِّي أَنْجَذْتُ إِلَيْكَ بِالْكَلِّيَّةِ، وَأُولِي عَلَى تَقْدِيمِكَ
كُلَّ أَلِيَّةٍ. وَأُرَدُّ الْمَثْلَ الَّذِي⁽³⁾ قَالَ: «حَسُودُكَ فِيهَا مَنْ يَسُودُكَ».

قُلْ لِمَنْ يَخْسُدُكُمْ يَضْرِبُ فِيهِ أَصْدَرُهُ أَبْصَرْتُ عَيْنَاهُ مَا
كَذَبَهُ عَنْ أُذُنَيْهِ وَرَأَى أَوْسَطَ مَجْدٍ قَدْ نَبَا عَنْ طَرَفَيْهِ
قَالَ كَمْ ذَا تَفَرُّغُو⁽⁴⁾ الشُّكْرَ وَالذِّكْرَ عَلَيْهِ
قُلْتُ: كُلُّ الشُّكْرِ مِنَّا بَغَضُ أَثَارِ يَدَيْهِ
فَلَهُ فَضْلٌ عَلَيْنَا وَبِنَا شَوْقٌ إِلَيْهِ

وَأَمَّا مَا أَجْرَى إِلَيْهِ سَيِّدِي مِنَ الْمُعَاتَبَةِ، فِي تَرْكِ الْمَكَاتِبَةِ، مَعَ أَنَّهُ يَسْتَعْمِلُهَا كَثِيرًا، وَلَا
يَرَى تَأْثِيرًا؛ فَقَدْ فَرَّغْتُ الْآنَ مِنْ أَنَّهُ سَبَاقُ الْفَضَائِلِ، وَهَذِهِ إِحْدَى الدَّلَائِلِ؛ صَدَقَ -أَعَزُّهُ
اللَّهُ- فِيمَا قَالَ، وَهُوَ أَوْلَى مَنْ أَعْصَى⁽⁵⁾ وَأَقَالَ. أَمَّا وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ ذَلِكَ إِخْلَالًا لَهُ بِقَدْرِ،
وَلَا لِأَنَّهُ لَيْسَ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ لِسَانٍ وَصَدْرٍ؛ وَلَكِنْ لَمْ أَعْلَمْ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَكَانًا، وَلَا
وَجَدْتُ لَوَاجِبِ مُخَاطَبَتِهِ إِمْكَانًا؛ فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ عَلِمْتُ الْمُسْتَقَرَّ، وَتَيَقَّنْتُ أَنَّهُ اسْتَقَرَّ،
فَسَأَوِرُهَا عَلَيْهِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- رِيَاضًا تُزْهِرُ بِذِكْرِهِ، وَتَقْتَصِرُ عَلَى شُكْرِهِ، وَأُخْصِيهِ

(1) التنوفة: المفازة الفقراء.

(2) العبارة غامضة لم ترجح قراءتها لدي.

(3) في الأصل: «بياض»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(4) في الأصل: «تفرعون».

(5) في الأصل: «من أعصى».



-وَلَا فَخْرَ - بِكُلِّ مُخْتَرَعِ الْكَلَامِ بِكَرِهِ، وَلَمْ لَا وَنَظْمِي وَنَثْرِي مُسْتَرْقٍ مِنْ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ.
هَذِهِ كُتُبُهُ الْأَيُّقَةُ بِمَرَايَ مِنِّي وَمَسْمَعٍ، وَالْفَاظَةُ الْبَدِيعَةُ مَضْرُوفٌ إِلَيْهَا حِفْظِي أَجْمَعُ،
صَيَّرْتَنِي مُحْسِنًا وَقَدْ كُنْتُ مُسِيئًا، وَتَرَكْتَنِي سَابِقًا وَمَا زِلْتُ بِطَيِّئًا⁽¹⁾:

فَالْآنَ أَحْسِنُ إِنْ نَثَرْتُ وَإِنْ نَظَّمْتُ عَلَى الْبَدِيعَةِ
وَأَحْوَكُ كُلَّ قَصِيدَةٍ عَذَاءً تَكْبُرُ عَنْ شَبِيعَةٍ
أَنْطَقْتُهَا مِنْ لُغَةِ الْإِنْسَانِ وَطَالَ مَا كَانَتْ فِيهِ
مَا إِنْ تُحَاذِرُ حَيْثُ سَارَتْ نَاقِدًا إِلَّا الْعَظِيمَةَ
أَثَارُ مَا أَوْدَعْتَهُ الـ كُتِبَ الْمُوجَّهَةُ الْوَجِيهَةَ

وَهُوَ أَعَزُّهُ اللَّهُ يَصِلُ عَادَةً إِمْتَاعِهِ بِرِقَاعِهِ، وَيُعْفِي خَطِيئِي وَلَفْظِي مِنْ نَقْدِي عِيَانِهِ
وَسَمَاعِهِ، وَلَا يَقِيسُ ضَيْقَ فِتْرِي فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى سَعَةِ بَاعِهِ، وَيَتَلَقَّى مَا أَشَارَ بِرِسْمِهِ بِيَدِ
قَبُولِهِ، وَيُعْضِي عَنْ قِصَرِ أَصُولِهِ وَقُصُورِ فُصُولِهِ، فَإِنِّي كَتَبْتُهُ وَالْمُتَحَمِّلُ حَافِزٌ، وَبَيْنِي
وَبَيْنَ الْإِصَابَةِ مِنَ الْعِيِّ حَاجِزٌ، وَقَدْ عَجَزْتُ أَعْجِزُ عَجْزًا فَأَنَا عَاجِزٌ. جَعَلَنِي اللَّهُ مِمَّنْ
لَا يُرِيدُ سِوَاهُ، فِيمَا قَالَهُ أَوْنَوَاهُ، وَمِمَّنْ وَقَى دُرَرَ دِينِهِ بِأَصْدَافِ دُنْيَاهُ، فَعَلَيْهِ قَصْدُ
السَّبِيلِ، وَهُوَ حَسْبِي وَنَعْمَ الْوَكِيلُ:

وَلَا تَزَلْ فِي سُعُودِ مَوْصُولَةٍ وَجُدُودِ
وَنِلْتَ قَصْدَكَ مَا بَيْنَ رَاحَةٍ وَقُعُودِ
وَزُرْتَ عَمَّا قَرِيبٍ لِلْأُنْسِ بَابَ الْبُودِ
وَقَدْ وَعَدْتَ وَلَا بُدَّ مِنْ وَفَاءِ الْعُهُودِ
وَصَانَ رَبُّكَ مَا فِيكَ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ

(1) مجزوء الكامل.



وَكَتَبَ أَيْضاً فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَعْنَى:

حُرُوبُ النَّوَى وَالْقُرْبِ فِيكَ سَجَالُ
أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُلْفَى لِيِنَّكَ غَايَةٌ
لَقَدْ حَلَّ قَلْبِي مِنْ وَصَالِكَ جَنَّةٍ
وَلَوْ خَفَّ شَجْوِي لَمَحَّةً طِرْتُ نَحْوَكُمْ
وَإِنِّي وَقَدْ بَنْتُمْ لَفِي كَفِّ حَادِثٍ
فَحَلَّلَ⁽¹⁾ حُزْنِي فِيكَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ
إِذَا عَمِيَتْ أَنْبَاؤُكُمْ فَتَنْفُسِي
أَبْعَدَكَ -وَالْإِنْسَانُ قُرْبُكَ وَخَدَهُ-
وَأَنْتَ الَّذِي قَدْ فُتَّتَ بَذْلاً وَفِطْنَةً
رَحَلْتَ إِلَى مَثْوَى النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى
وَأَدَّيْتَ فَرَضَ الْحَجِّ حَزْماً وَلَمْ تَكُنْ
وَمَنْ خَانَهُ فِي مَقْصِدِ الْخَيْرِ عَقْلُهُ
إِذَا جَالَ فِي عِلْمِ الْعَقَائِدِ خَاطِرُ
وَصَرَّفَتْ فِكْراً يَقْذِفُ الدَّرَّ بَحْرُهُ
إِذَا بَهَرَتْ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ نَاطِراً
أَعَزَّتْ⁽²⁾ دَلِيلَ الْحَقِّ حُسْنَ إِبَانَةٍ

يُدَالُ عَلَيْنَا تَارَةً وَنُدَالُ
فَتُذْرِكُ آمَالاً وَيَخْسُنُ حَالُ
نَعِمْتُ عَلَيْهَا لَوْ يَدُومُ وَصَالُ
وَلَكِنْ أَغْبَاءُ الْفِرَاقِ ثِقَالُ
فَقَضَى رَمَقٌ مِنْهُ وَضَاقَ مَجَالُ
وَحَرَّمَ صَبْرِي عَنْكَ وَهُوَ خَلَالُ
جَوَابُ، وَدَمَعُ الْمُقْلَتَيْنِ سُؤَالُ
تَرُوقُ رِيَاضُ أَوْ تَرِيقُ شِمَالُ
وَحَسْبُ الْمَعَالِي فِطْنَةٌ وَنَوَالُ
فَبُورِكَ مَقْصُودٌ وَبَرَّ فَعَالُ
كَمَنْ أَغْفَلْتَهُ شَرَّةٌ وَصِيَالُ
فَفِي رِجْلِهِ مِمَّا جَنَاهُ عِقَالُ
تَرَكْتَ يَمِينَ الْخَضَمِ وَهِيَ شِمَالُ
وَأَقْصَى فِكْرٍ غَيْرِكَ أَلُ
فَلَيْسَ يُبَالَى أَنْ يَغِيبَ هِلَالُ
فَصُلَّتْ بِسَيْفٍ قَدْ عَلَاهُ صِقَالُ

(1) في الأصل: «فخلل» وهو خطأ، ولعل الصواب ما أثبتناه؛ لأن السياق يقتضيه.

(2) في الأصل: «أعدت».



فَكُلَّ كَلَامٍ رَائِقٍ وَمُحَقَّقٍ إِلَيْكَ مُمَالٌ أَوْ عَلَيْكَ مُحَالٌ
وَلَا غَرَوَ أَنَّ حُزْتَ السَّبَاقِ دِيَانَةً فَلِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَدَى وَرَجَالٌ
يُذَكِّرُنِيكَ الْفَضْلُ مَهْمَا ذَكَرْتُهُ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ مُشْبِهٌ وَمِثَالٌ
وَلَمْ يُسَلِّني شَيْءٌ فَأَنْسَاكَ عِنْدَهُ وَإِنْ بَرَّ آلٌ أَوْ تَوَفَّرَ مَالٌ
وَلَوْ جَازَ لِي دَعْوَى السُّلُوْ أَدْعَيْتُهُ عَزَاءً، وَلَكِنَّ السُّلُوْ مُحَالٌ
فَفِي كُلِّ وَدٍّ غَيْرِ وَدِّكَ رِيَّةٌ وَفِي كُلِّ حِلٍّ مَا خَلَكَ مَقَالٌ

كَتَبْتُهُ كَتَبَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ مِمَّنْ رَضِيَ عَنْهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَنَظَرَ فِي الْإِصْلَاحِ مِنْ عَمَلِهِ
وَالْتَسَدِيدِ مِنْ اعْتِقَادِهِ، وَجَعَلَ فِي الْمُتَنَظَّرِ مِنْ رَمْسِهِ وَمَعَادِهِ، غَايَةَ تَهْمَمِهِ وَأَقْصَى
اسْتِعْدَادِهِ. وَأَنَا أَحْمَدُ اللهُ إِلَيْكَ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأُقِرُّ بِفَضْلِهِ الْمُكَتَنِفِ لِي فِيمَا آتَيْهِ
وَأَذَرُهُ، وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ مُنْكَرٍ لَا أَرَا أَلْأَلِ أَحْضَرُهُ وَأَسْتَحْضِرُهُ، وَذَنْبٍ لَا أَبْرَحُ أُوْرِدُهُ بِيَدِ
الْخِذْلَانِ وَلَا أُصْدِرُهُ. وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ أَوْقَاتٍ ذَهَبَتْ ضَيَاعًا، وَتَقَلُّبَاتٍ لَمْ أَجِدْ
مَعَ الْإِنْصَافِ فِيهَا انْتِفَاعًا، وَأَنْفَاسٍ فَنِيَتْ أَوْكَادَتْ وَلَمْ أَحْتَقِبْ فِيهَا غَيْرَ مُوَبَقَاتٍ
الْجَرَائِمِ مَتَاعًا. وَيَا لَهَا حَسْرَةً إِنْ لَمْ يَتَذَكَّرْنِي الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ بِعَفْوِهِ الْوَاسِعِ،
وَيَرْشُدْنِي إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِمَّنْ وَاحَدْتُهُ بِذَنْبِهِ، وَطَبَعَتْ بِمَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ عَلَى قَلْبِهِ. بِمَنْكَ. أَمَّا
بَعْدُ أَيُّهَا الْأَخُ الَّذِي أَنَا بِإِخَائِهِ مَسْرُورٌ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي مَحَلُّهُ لَدَيَّ مُكْرَمٌ مَبْرُورٌ؛ فَقَدْ
خَاطَبْتُكَ مُجْمَلًا وَمُقْصَلًا، وَكَاتَبْتُكَ مَرْوِيًا وَمُرْتَجَلًا؛ فَلَمْ أَقِفْ لَكَ عَلَى غَيْرِ الْكِتَابِ
الْمُضْمَّنِ الْقِطْعَةَ الْفَرِيدَةَ، وَالْفَقْرَ الْمُحَسَّنَةَ الْجَيِّدَةَ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ نَسِيجَ وَحْدِهِ،
وَمُسْتَرْقٍ أَوْ صَافٍ الْبَلَاغَةَ بِحَدِّهِ، وَمُعْبَرًا عَنْ صِدْقٍ وَلَاءٍ مُهْدِيهِ وَخُلُوصِ عَقْدِهِ، فَقَدْ
أَضْرَبَ عَنْ ذِكْرِ مَا اسْتَفْهَمْتُهُ عَنْهُ صَفْحًا، وَلَمْ يَبْدُ لِي فِي لَيْلِ السُّؤَالِ مِنْ نُورِ الْجَوَابِ
صُبْحًا، وَزَادَنِي عَلَى الْإِضْرَابِ عَنْ هَذَا الْبَابِ وَصَفِي بِصِفَاتٍ لَمْ أَسْتَحِقَّهَا، وَلَا
رَعَيْتُ مُنْذُ وَعَيْتُ حَقَّهَا، حَتَّى كَأَنِّي فَوَزْتُ وَلَجَجْتُ، وَلَجَجْتُ حَتَّى حَجَجْتُ،



وَرَأَفْتُ الْأَغْزَارَ وَالْأَعْرَابَ، وَأَعْمَلْتُ الْمَرَائِبَ وَالرَّكَابَ، وَوَقَفْتُ بَيْنَ زَمْزَمَ
وَالْحَظِيمِ، وَلَثَمْتُ قَائِمًا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، وَاقْتَصَرْتُ فِي الْأَلْيَةِ، عَلَى رَدِّ هَذِهِ الْبَيْتَةِ،
وَشَهِدْتُ لِيَالِي التَّشْرِيقِ، وَعَايَنْتُ النُّورَ النَّبَوِيَّ مِنْ ثَنِيَّةِ الْعَقِيقِ، وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي
بِالسَّلَامِ، عَلَى سَيِّدِ الْأَنَامِ، وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِي بِلَثْمِ تَرْبِيَةِ الْكَرِيمَةِ أَجْرَامَ الْإِجْرَامِ،
وَزُرْتُ مَشَاهِدَ صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ، وَأَنْشَيْتُ عَنِ الذُّنُوبِ مُتَجَانِفًا،
وَلِلْأَعْمَالِ مُسْتَأْنِفًا؛ فَأَمَّا وَأَنَا لِلْبَيْتِ حِلْسٌ، وَلَيْسَ بِيَدَيَّ مِنْ أَثْمَانِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَلَسٌ؛
فَمَا أَجْدَرَنِي بِالذَّمِّ وَالشُّنَنِ، وَأَخَوْجَنِي إِلَى الْخَفْضِ مِنَ اللِّسَانِ وَالْغَضِّ مِنَ الْعَيْنِ. أَمَّا
تِلْكَ الْأَوْصَافُ فَهِيَ عَلَيْكَ رَدٌّ، وَمَا لَكَ مِنْ قَبُولِهَا بُدٌّ؛ وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَخْتِمُ بِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ
الثَّلَاثَةَ، عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَنَائَةِ:

أَعِدْ نَظْرًا فِي نِسْبَةِ الْفَضْلِ وَالنُّسْكِ وَعُدْ لِيَقِينِ الدَّمَّ عَنْ مِدْحَةِ الشُّكِّ
وَلَا تُكْسِنِي تِلْكَ الْحُلَى فَهِيَ كُلُّهَا حُلَاكَ عَلَى مَا صَحَّ بِالسَّيْرِ وَالسَّبْكِ
وَإِنْ جَمَعْتَنَا فِي الظُّوَاهِرِ نِسْبَةً تُخِيلُ، فَإِنَّ الْقَارِ فِي اللَّوْنِ كَالْمَسْكِ
وَمِنْ رَسَائِلِهِ الْإِخْوَانِيَةِ رِسَالَةٌ رَفِيعَةٌ جِدًّا سَمِعَهَا مِنْ لَفْظِهِ تَلْمِيزُهُ ابْنُ سَيِّدِ
التَّائِسِ ⁽¹⁾ وَهِيَ:

يَا نَازِحًا عَنِّي وَلَوْ أَسْطِيعُ مَا فَارَقْتُه
وَمُؤَلَّفًا مِنِّي هَوَى لِسِوَاهُ قَدْ فَرَقْتُه
وَمُعَلَّقًا أَمْلِي بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَلَّقْتُه
اللَّهُ يَغْلِبُ أُنْزِي فُتُّ الْغَرَامِ وَفَقْتُه
وَجَهِلْتُ مَا فَعَلَ الْهَوَى فِي النَّأْيِ حَتَّى دُفْتُه
وَضَنَنْتُ أَنِّي شَيْقُ فَالآنَ قَدْ حَقَّقْتُه

(1) انظر عنه أطروحة الدكتور محمد الراوندي «أبو الفتح اليعمري حياته وآثاره».



وَمَلَكْتُ أَنْسِي بَعْدَكُمْ
كَمْ أَوْرَقٍ جَارِيَتْهُ شَأْوُ
مَا زِلْتُ أَشْكُبُ مَدْمَعِي
لَمْ أَذِرْ إِذْ غَنَى وَنَا
إِنْ كَانَ صَبْرِي بَائِداً
فَالْقَلْبُ قَدْ أَخْرَقْتُهُ،
وَفَيْتُ غَيْرَ صَبَابَةٍ
لَوْ لَا رَجَاءُ لِقَائِكُمْ
لَكَيْتُ لِي أَعْتَقْتُهُ
الْأَسَى فَسَبَقْتُهُ
حَتَّى الْعِذَارَ نَطَقْتُهُ
ح⁽¹⁾ أَشْأَقْنِي أَمْ شُفِقْتُهُ
يَوْمَ مَا فَهَذَا وَقْتُهِ
وَالْجَفْنُ قَدْ أَغْرَقْتُهُ
مِنْ مَدْمَعٍ رَفَقْتُهُ
مِنْ بَعْدِهَا لَأَرْقُتُهُ

أَغِيبْ وَعِنْدِي بِالْوَفَاءِ حُضُورُ
وَأَغْدُو وَلِلتَّذْكَارِ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَأَدْعُوكَ وَالْأَشْوَاقُ تَفْعَلُ فِعْلَهَا
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْكِتَابِ وَقَلَمًا
وَإِنِّي⁽²⁾ وَصَبْرِي عَنْكَ فِي النَّأْيِ لَيْلَةٌ
وَكَيْفَ اضْطَبَّارِي عَنْ سَنِيٍّ سَنَاؤُهُ
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ قَلْبُهُ
أَبْعَدَكَ وَالْعَلِيَاءُ فِيكَ سَجِيَّةٌ
وَيَنَآيَ مَزَارِي وَالْكِتَابُ يَزُورُ
لَهَيْبٍ لِدَمْعِ الْعَيْنِ عَنْهُ صُدُورُ
دُعَاءٍ لَهُ فَوْقَ الْخَلَاصِ عُبُورُ
شِمْتُ دَاءَ بَيْنِ أَحْرَفٍ وَسُطُورُ
فَكَيْفَ لَيَالٍ عِدَّةٍ لَصَبُورُ
لِأَنْفِي نَوْرٍ أَوْ لِطَرْفِي نُورُ
وَلَكِنْ حَزْمِي فِي الْقَضَاءِ قُصُورُ
يَطِيبُ⁽³⁾ نَعِيمٌ أَوْ يَتِمُّ سُرُورُ

(1) في الأصل: «لم أدر ذغني ونحت»، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) في الأصل: «وان صبري». ولا يستقيم معها الوزن.

(3) في الأصل: «بطيب».



أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنَّكَ الْفَضْلُ كُلُّهُ
فَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ مَعَانٍ أُنِيقَةٍ
وَمِنْ فَقْرٍ لَوْ أَلْفَ النَّظْمِ بَيْنَهَا
يُقَصِّرُ عَنْهَا جَزُولٌ⁽¹⁾ وَمُهْلَهْلٌ
فَفِي كُلِّ خَلٍّ - مَا خَلَكَ - مَقَالَةٌ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِلْقِيَاكَ كَرَّةٌ
وَلَا يَأْسَ مِنْ رَوْحِ الْإِلَهِ وَلُطْفِهِ
«تَذَرُكَ أَمَالٌ وَتُقْضَى مَآرِبٌ
تَغَيَّرَتْ وَالْأَيَّامُ تَصْفُو وَتَكْذُرُ
وَعَامَلْتَ بِالسُّلُوفِ خِلَافُودُهُ»⁽³⁾
طَوَى لَكَ وَالْأَيَّامُ تَبْلَى مَوْدَّةً
أَبَى اللَّهُ أَنْ أَنْسَى إِخَاءَكَ لِمَحَّةٍ
وَكَيْفَ تَنَاسَى مَنْ هَوَاهُ وَشَخْصُهُ
إِذَا غَابَ عَنْ طَرْفِي تَلَقَّاهُ نَاطِرِي
وَقَدْ طَالَ وَجْدِي فِي لَيَالٍ طَوِيلَةٍ
وَقَدْ أَصْمَتْنِي عَنْكَ لِلْبَيْنِ رَوْعَةٌ
فَفِي طَيِّ أَحْشَائِي لِذِكْرِكَ مِجْمَرٌ
وَإِنْ حَرَجْتَ مِمَّا أَقُولُ صُدُورُ
تَسِيرُ وَمَعْنَى مِنْ سِوَاكَ أَسِيرُ
تَحَلَّتْ صُدُورُ دُرِّهَا وَنُحُورُ
وَيَخْذُو عَلَيْهَا أَخْطَلُ وَجَرِيرُ⁽²⁾
وَفِي كُلِّ وَدٍّ - غَيْرِ وَدِّكَ - زُورُ
فَيَعْدِلُ دَهْرٌ لَا يَزَالُ يَجُورُ
فَإِنَّ تَصَارِيفَ الْقَضَاءِ تَدُورُ
وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْأَى وَلَا يَتَغَيَّرُ
وَمَنْطِقُهُ ذِكْرٌ لَكُمْ وَتَذَكُّرُ
تَكَادُ لِإِفْرَاطِ الْغَضَاظَةِ تَقْطُرُ
وَإِنْ بَعْدَتْ مِنْ أَدْيَارٍ وَأَعْصُرُ
لِقَلْبِي فَكُرُّ أَوْ لِعَيْنِي مَنْظَرُ
فَمِنْ لُفْيَةٍ تُمَحَى وَأُخْرَى تُصَوِّرُ
لِيُعْدِكَ كَانَتْ حِينَ قُرْبِكَ تَقْصُرُ
وَلَكِنْ لِسَانُ الْحَالِ عَنْكَ يُعَبِّرُ
وَفِي نَشْرِ أَلْفَاظِي⁽⁴⁾ بِذِكْرِكَ عُنْبُرُ

(1) في الأصل: «جدول» ولا معنى له، لأنه يقصد الشاعر العربي المعروف بالحطينة ويلقب بجرول.

(2) الأخطل وجرير من شعراء النقااض ثالثهما الفرزدق.

(3) في الأصل: «فؤده».

(4) في الأصل: «الفاضي».



أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَيَّ، وَأَصْعَبُهُ عَلَيَّ، مَا مَثَلْتُهُ بِمِثَالِكَ، وَنَسَجْتُهُ عَلَى مِنْوَالِكَ، مَا الْوَشْيِ
وَقَدْ أَنْقَتَ صَنَائِعَهُ، وَتَأَنَّقَتَ صَوَانِعَهُ، وَقَيَّدَتْ أَوَابِدَ الْأَلْحَاطِ طَرَائِفَهُ وَوَشَائِعَهُ:

وَشْيِ حَكَى رَوْضَةَ الْأَدَابِ⁽¹⁾ مُودَعَةً نُورَ الْبَدِيعَيْنِ تَتِمِّمَ وَتَجْنِيسِ
تَرَى بِهِ حَيَوَانَ الْبَرِّ مُضْطَلِحًا ظَبْيِي الْكِنَاسِ يُوَارِي ضَيْغَمَ الْخَيْسِ
كَأَنَّهُ وَضِيَاءُ الشَّمْسِ تَنْشُرُهُ وَالْكَفُّ تَطْوِيهِ، أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ
كَأَنَّ لَا بَسَهُ وَالتِّيَهُ يُعْطِفُهُ نَشْوَانُ يَخْتَالُ بَيْنَ الْكَاسِ وَالْكِيسِ

مَرَّتْ لِتَخْيِيرِهِ أَعْصَارُ وَأَعْصَارُ، وَكَلَّتْ فِي اسْتِخْرَاجِهِ قُوَّةٌ وَفِعْلًا قُلُوبٌ وَأَبْصَارُ،
فَلَمَّا دَانَتْ الْقِطَافَ أَزْهَارُهُ، وَقَارَبَتِ الْإِفْصَاحَ أَطْيَارُهُ، وَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ
خُطُوطُهُ الْمُتَقَاطِعَةُ وَأَلْوَانُهُ، وَمَثَلَ فِي عِلْمِيهِ ذُو يَزْنِ⁽²⁾ وَغُمْدَانُهُ⁽³⁾، وَكَسَرَى وَإِيَوَانُهُ⁽⁴⁾،
وَنَمَّقَتْ يَدُ الصَّبَاحِ وَالصَّبَاحَةِ صَفْحَتَهُ النَّاصِعَةَ، وَحَارَتْ فِي بَدَائِعِ رُقُومِهِ الْعَيْنُ
الْمُبْصِرَةُ وَالْأَذَانُ السَّامِعَةُ، وَأَزْبَى حُسْنًا عَلَى الدِّينَارِ الْمَنْقُوشِ، وَالرُّوْضِ الْمَعْرُوشِ،
وَصَحَّ بَعْدَ نَقْدِهِ، أَنَّهُ نَسِجَ وَخَدِهِ، وَأَصْبَحَ يَشْكُو الْحَرَّ وَالْقَرَّ مَظَاهِرُهُ، وَيَشْفُ رِقَّةً عَنْ
بَاطِنِهِ ظَاهِرُهُ، سَامَهُ نَذْبٌ يَهْيُنُ الْمَالَ وَهُوَ مُكْرَمٌ، وَيَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ عَرْمَرَمٌ، وَيَحُوزُ
سَبْقَ الْمَجْدِ بِخُلُقِي ابْنِ مَامَةِ وَابْنِ مُكْرَمٍ⁽⁵⁾ غَذَتْهُ⁽⁶⁾ الْمَمْلَكَةُ بِلَبَانِهَا وَأَطْلَعَتْهُ السِّيَادَةُ فِي
إِبَانِهَا، فَكَسَاهُ مَعَاطِفَ رِيْمِيَّةٍ رُومِيَّةٍ تَسْتَخْشِنُ الْخَزَّ حِينَ تَلْمَسُهُ، وَتَسْتَهْجِنُ الْقَزَّ وَهِيَ
تَلْبَسُهُ، فَشَفَّ عَنْ حُسْنِهَا حُسْنُهُ، وَدَلَّ عَنْ نَهْدِهَا وَخَصْرِهَا زُرُّهُ وَرُذْنُهُ، وَانْتَشَتْ فِيهِ
فَكَانَ الْقَضِيبُ الْمَيَّالَ فَوْقَ الْكُتَيْبِ⁽⁷⁾ الْمُذَالِ⁽⁸⁾ وَأَقْبَلَتْ وَأَذْبَرَتْ فَكَانَ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ

(1) في الأصل: «الأدب».

(2) ذو يزن: من ملوك اليمن المشهورين.

(3) غمدان: قصر من قصور صنعاء باليمن وقد اشتهر لدى الناس وارتبط اسمه بذِي يزن.

(4) يقصد به كسرى أنوشروان، وإيوانه مشهور وقد وصفه الشاعر البحتري في قصيدته السينية المشهورة.

(5) ابن مكرم: من كبار الكتاب المشاركة، وابن مامة جواد من أجواد العرب.

(6) في الأصل: «غذته».

(7) في الأصل: «الكتيب».

(8) بياض بالأصل.



فِي ذَلِكَ الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ. وَلَا يَمَّ وَقَدْ سَمَحَ رِكَابُهُ، وَسَنَحَ رُكَّابُهُ، هَبَّتْ رِيحُهُ بَلِيلًا، وَأَعَادَتْ هَجِيرَهُ أَصِيلًا، وَقَرَنْتْ رُبَاهُ بِوَهَادِهِ تَسْوِيَةً وَتَعْدِيلًا، وَأَقَامَتْهُ لِلطَّرْفِ النَّاطِرِ، وَالذَّهْنِ الْحَاضِرِ، سَمَاءً مُوجِهِ «مُوجِّهًا»⁽¹⁾، وَفُلُكُهُ فُلُكُهَا، فَلَمَّا اطمَأْنَنْتْ جَوَائِبُهُ، وَاسْتَوَتْ أَخْصَارُهُ وَمَنَاكِبُهُ، وَتَنَافَقَتْ فِي أَعِنَّةِ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ مَرَائِكِبُهُ، وَسَافَرَتْ بِالنَّوَاطِرِ فِيهِ مَسَارِحُهُ الْمُتَمَدَّةَ وَمَسَارِبُهُ، وَافَاهُ الْأَلْ صُنْعَ مُبْدِعٍ بِهِ، مَنْقُطَعٌ يَسْتَحِثُّهُ الْإِفْلَاقُ، وَيَسْتَعْجِلُهُ الْمَسْكَنَ الَّذِي لَا مَالَ بِهِ وَلَا آلَ، وَلَا مَاءَ عِنْدَهُ وَلَا آلَ، فَأَلْفَاهُ وَدِينَارُ⁽²⁾ الْعَشِيَّيِّ قَدْ رَجَحَ، وَغُرَابُ الْغُرُوبِ قَدْ سَنَحَ، وَطَرَفُ النَّجْمِ إِلَى حَمَلِ الْغَزَالَةِ⁽³⁾ قَدْ طَمَحَ، فَرَكِبَهُ عَجَلًا، وَأَرَاغَ مَطْلَبُهُ مُسْتَعْجِلًا، وَمَا زَالَ يَحُلُّ وَيَعْقِدُ، وَيَرُومُ الْوَجْدَانَ فَيَفْقِدُ، إِلَى أَنْ تَجَهَّهَ وَجْهُ الشَّمْسِ بِالنَّوَى، وَبَقَلَ عَارِضُ الظَّلَامِ فِي خَدِّ الضُّوَى، فَلَمَّا عَايَنَ دَوَائِرَ السُّفُنِ إِلَى مَرْكَزِ الشِّطِّ تَغْفِلُ، وَأَبْوَابَ الْبَحْرِ بِيَدِ السَّمَاءِ تَقْفِلُ، وَرَأَى الشَّمْسُ إِلَى الْأَفْقِ الْغُرْبِيَّ⁽⁴⁾ تَارِزًا⁽⁵⁾، وَالْوَيْةَ اللَّيْلِ فِي كُلِّ مَرْقَبَةٍ تَرْكُزُ، ضَمَّ مَرْسَاهُ، وَذَمَّ مَمْسَاهُ، وَعَزَمَ عَلَى الْعَوْدَةِ وَقَدْ أَلْقَى بِيَدِ الْخَبِيَةِ زَمَامَهُ، وَرَأَى غَنِيمَةَ عَيْتِهِ تِلْكَ السَّلَامَةَ، فَأَنَسَ وَقَدْ وَلَّى، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الْأَسْفُ وَاسْتَوَلَى، ثُمَّ قَادَ عِنَانَ نَظَرِهِ إِلَى اقْتِصَاصِ أَثَرِهِ، فَأَهْلَ وَسَجَدَ، وَأَيَقَنَ أَنْ قَدْ وَجَدَ، وَعَلَتَهُ الْأَرْيَحِيَّةُ، وَعَاوَدَتْهُ هَزَّةُ الطَّمَعِ الْوَحْيِيَّةِ، وَوَدَّ أَنْ تُعِيرَهُ الشَّمْسُ وَلَوْ وَقْفَةَ التَّحِيَّةِ، وَأَرْسَى سُكَّانَهُ، وَلَمْ يَعُدْ مَكَانَهُ، وَأَذْلَى رِشَاءَهُ، حَيْثُ شَاءَهُ، ثُمَّ غَاصَ وَقَدْ أَوْثَقَ أَسْبَابَهُ، وَتَأَبَّطَ جِرَابَهُ، فَعَثَرَ عَلَى أَعْلَاقٍ لَمْ تَسْبِقْ إِلَيْهَا يَدٌ⁽⁶⁾ وَلَا دَلَّ عَلَيْهَا قَبْلَهُ أَحَدٌ، فَظَفِرَ مِنَ الْغِنَى بِعَائِزَةِ عَيْنَيْنِ، وَطَفِقَ يَخْتُو فِي الْجِرَابِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ، حَتَّى أَفْعَمَ مَا تَأَبَّطَ، وَعَجَلَ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَتَشَبَّطَ، فَصَعِدَ، وَقَدْ سَعِدَ، وَشَدَّ عَلَى تِلْكَ الْغَنِيمَةِ كَفَّ الضَّنَانَةِ، وَأَذَاهَا إِلَى مَحَلِّهِ الْمُقْفَرِ

(1) يياض بالأصل: وقد أثبتنا ما يناسب السياق.

(2) في الأصل: «دئر».

(3) الغزالة: الشمس.

(4) في الأصل: «الغزي».

(5) تَارِز: يقال أَرَزَ يَأْرِزُ أَرِزًا: تَقْبِضُ وَتَجْمَعُ.

(6) في الأصل: «بد».



بِالْأَمَانَةِ. فَلَمَّا مَدَّ غُرَابُ الْجُنْحِ جَنَاحَهُ، وَأَطْفَأَ ضَوْؤُ الصُّبْحِ مِصْبَاحَهُ، فَضَّ الْأَغْلَاقَ،
عَنِ الْأَغْلَاقِ⁽¹⁾، وَمَا زَالَ يُمَيِّزُ الدُّرَّ مِنَ الْمُخْشَلَبِ، وَيَطْلُبُ الذُّخْرَ الْأَنْفَسَ فَيُلِحُّ فِي
الطُّلُبِ، إِلَى أَنْ خَلَصَ اللُّؤْلُؤُ وَالدُّرُّ، وَاسْتَخْلَصَ الْمَتَاعَ الْحَرُّ، فَمِنْ يَاقُوتٍ كَحَلَمَاتِ
النُّهُودِ، وَجَوْهَرٍ كَالثَّغْرِ الْبُرُودِ، وَزُمُرْدٍ وَعَقِيقٍ حَكِيًّا الْأَصْدَاغَ عَلَى الْخُدُودِ، إِلَى بَلُورٍ
كَالْأَجْيَادِ وَالْجِبَاهِ، وَمَرْجَانٍ كَاللِّثَامِ وَالشِّفَاهِ، فَنَظَمَ مِنْهُ عَقُودًا وَسُلُوكًا، وَأَمَّ بِهَا
رُؤَسَاءَ وَمُلُوكًا، فَبَاعَهَا بَيْعَ الْمُغَالِي، بِالثَّمَنِ الْغَالِي. فَعَوَّضَتْ مِنْ بَطُونِ الْبُحُورِ،
بِنُحُورِ الْحُورِ⁽²⁾ وَنَقَلَتْ مِنَ الصَّدَفِ الْمَقْصُورِ، إِلَى ضِيَاءِ الْقُصُورِ؛ وَلَا الرَّبِيعُ وَقَدْ
نُمِّقَتْ رِيَاضُهُ، وَأَفْهَقَتْ حِيَاضُهُ، وَقَيَّدَ الْعُيُونَ وَأَطْلَقَهَا خُضْرَتُهُ وَبَيَاضُهُ، يُضَاحِكُ
الشَّمْسَ مِنْهُ كَوَكَبٌ شَرِيقٌ، وَيُغَازِلُ⁽³⁾ حَدَّ الْوَرْدِ فِيهِ جَفْنُ لِلنَّجَسِ أَرَقٌ، وَيَهْفُو عَلَى
نُورِهِ حَشَى لِلصَّبَا بِالصَّبَابَةِ قَلِقٌ، وَيَلْفُ أَغْصَانَهُ النَّسِيمُ الْعَلِيلُ، بِالسَّحَرِ وَالْأَصِيلِ،
فَتَعْتَنِقُ ثُمَّ تَفْتَرِّقُ، وَجَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةً، وَعَاهَدَتْهُ الْعِهَادَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، حَتَّى لَمْ
تُبْقِ لَهُ صَدَأٌ فِي صَفِيحَةٍ، وَلَا لَحَقَا فِي صَحِيفَةٍ؛ فَأَصْبَحَ قَدْ مَجَّ الْمَاءَ رِيًّا، وَأَنْبَطَ فِي كُلِّ
مَحْمِيَّةٍ سَرِيًّا، وَافْتَرَّتْ عَنْ شَقَائِقِ الْبُورَاقِ كَمَاثِمُ عَمَائِمِهِ، وَانْحَلَّتْ عَنْ أَنْاشِيدِ الْأَغَارِيدِ
تَمَائِمُ حَمَائِمِهِ، وَاخْتَالَ فِي مُقَوَّفَاتِ الْبُرُودِ، وَمَرُصُوفَاتِ الْعُقُودِ، وَأَبْدَى مِنْ تَرْجِسِهِ
وَوَرْدِهِ مَا أَنْسَى مَرَضَى الْعُيُونِ وَصِحَاحِ الْخُدُودِ، وَأَضْحَى مِنْ خَرِيرِ الْجَدَاوِلِ،
وَالْغُصُونِ الْمَوَائِلِ، فِي خُضْرِ الْغَلَائِلِ، بَيْنَ طُبُولٍ وَرَايَاتٍ، وَأَقَامَ مَعْرَكَةً لِلْهُوِّ فِي سَفْكِ دَمِ
الْمُدَامِ وَنِيَّاحِ النَّايَاتِ، عَصَرَتْ فِي نَهْرِ الصَّبَا فَدَرَجَتْهُ، وَنَثَرَتْ دُرَّ طَلِّهِ فِي حُجْرِ ظَلِّهِ
فَدَخَرَجَتْهُ، وَتَوَلَّعَتْ بِسِرِّ زَهْرِهِ، فِي ضَمِيرِ سَحَرِهِ، فَأَخْرَجَتْهُ، حَتَّى أَخْرَجَتْهُ، فَكُلُّ رِيْقٍ
رَوْحٌ، وَكُلُّ مَخْنِيَّةٍ دَوْحٌ، وَكُلُّ وَرْقَاءٍ، فِي كُلِّ رَوْضَةٍ غَنَاءٌ غَنَاءٌ، وَنَزَحَ فَأَحْسَنَ مَرْيَا
وَمَسْمُوعًا، وَأَحْلَى فِي أُذُنِ الْفُؤَادِ وَقُوعًا، مِنْ كِتَابٍ فِيهِ كِتَابٌ لِلظَّرْفِ، وَمَذَاهِبُ لِلسَّمْعِ
وَالطَّرْفِ، وَغَرَائِبُ مُودَعَةٌ مِنْهُ فِي قَوَالِبِ الْأَسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ، خَطَّ حَكَى الْوَشْيِ

(1) في الأصل: «الأغلاق».

(2) في الأصل: «الخور».

(3) في الأصل: «ويعازل».



المُحَبَّر، وَالرَّوْضَ الْمُنَوَّرَ، وَلَفْظُ [وَجَدَ الْبَلَاغَةَ صُورَةً فَتَشَكَّلَ وَتَصَوَّرَ]، شَقَّتْ عَلَيْهِ
الْمُقْلُ جِلْبَابَ الطَّرَبِ، وَمَدَّتْ إِلَيْهِ الْأَسْمَاعُ أَسْبَابَ الطَّلَبِ:

«فَكَانَ شَجَرٌ بَدَأَ لِكِنَّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الظَّرْفَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا»

* * *

فَسَمَاءُ بِهِ وَهُوَ النَّهْيَةُ فِي الْجَلَالَةِ وَالْجَزَالَةِ
وَلَهُ الْإِطَابَةُ وَالْإِطَالَةُ وَالْإِصَابَةُ وَالْأَصَالَةُ
لَقَدْ اعْتَدَى فِي حُسْنِهِ فَوْقَ الْغَزَالَةِ وَالْغَزَالَةِ⁽¹⁾

وَكُتِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قُلْ لِلْفَقِيهِ الْمُحَدِّثِ الصُّوفِيِّ مِنْ مُغْرَمٍ بِالْكَمَالِ مَشْغُوفٍ
أَنْتَ الَّذِي إِنْ وُصِفَتْ شَيْمَتُهُ فَهَمْتُ مِنْهَا أَجَلَ مَوْصُوفٍ
عِلْمٌ وَدِينٌ يُعْمُ نُورُهُمَا كُلُّ بَصِيرٍ وَكُلُّ مَكْشُوفٍ
إِنْ كُنْتُ عَنْهُ بِالشَّخْصِ مُنْصَرِفًا فَخَاطِرِي عَنْهُ غَيْرُ مَضْرُوفٍ
وَإِنْ أَشَاعَ الصَّحَابُ حُبَّهُمْ قَصَرْتُ حُبِّي عَلَى ابْنِ مَعْرُوفٍ

فُلَانٌ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَهُ وَأَنَامَهَا، وَحَرَسَ مَكَانَتَهُ وَحَمَاهَا، وَلَا أَعْدَمَهُ نِعْمَةً يَتَطَابَقُ اسْمُهَا
وَمُسَمَّاها، وَفِطْنَةً يَقْرُبُ تَنَاوُلُهَا وَيَبْعُدُ مَرَمَاهَا. كُتِبَ مُحِبُّهُ وَمُتَمَنِّيهِ، الرَّاعِبُ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى فِي حَالِ تَقَرُّبِهِ مِنْهُ وَتَدَنِّيهِ، الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ عَنِ إِبْطَائِهِ فِي مُخَاطَبَتِهِ وَتَأَنِّيهِ، الَّذِي إِنْ
مَدَحَ خِلَافًا سِوَاهُ أَوْ أَشَارَ إِلَى وَلِيِّي بِهِوَاهُ فَإِنَّمَا يَعْنِيهِ. فُلَانٌ وَلَا جَدِيدٌ إِلَّا فَضْلُ اللَّهِ
السَّابِغِ الْأَثْوَابِ، وَلُطْفِهِ الْمُفْتَحِ الْأَبْوَابِ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُخَوِّجُ - وَلَهُ الْحَمْدُ
كَثِيرًا - إِلَى وَسَاطَةِ الْأَسْبَابِ، وَأَنَا لِذِكْرِكَ نَدِيمٌ، وَبِي مِنْ بُعْدِكَ مُقْعَدٌ مُقِيمٌ، وَمُضْمَرٌ
جَنَانِي وَمَظْهَرُهُ⁽²⁾ تَبْجِيلُ لَكَ وَتَعْظِيمٌ؛ وَشَوْقِي إِلَيْكَ شَوْقُ الْأَرِقِ إِلَى إِضْبَاحِهِ،

(1) الغزاة الأولى: يقصد بها الظبي، والثانية: يعني بها الشمس.

(2) في الأصل: «ومظهر».



والمشوق^(١) إلى نعمة ممّتاحه؛ وأنسى بذكرك أنس المحبّ بمعالم أحبابه^(٢) وابن الثمانين يتذكّر أيام شبابه، وثنائي عليك ثناء الرياض على مدة حياها، والجسوم على مدة محياها؛ فأنت كنت للروح روحاً، وخلاً لم يزل ولا يزال محموداً ممدوحاً، والحبيب الذي سرّني مسموعاً وملموحاً. قسماً بالله العظيم وهو أجل الأقسام، والحلف الذي لا يسبح غيره الإسلام، إنني لأحنّ^(٣) إلى لقائك حين الواليه، وأوالي ذكرك ولولا الحب لم أواله، وأتمنّى مثال أنسك ومن لي بمثاله، ومتى أظفر بشخص تلقى به النفس منها، وترى منه غاية القرّة عيناها، تفنّن ألقت المعارف في يمنه يمنها، وتدبّر شهدت له الكعبة المقدّسة وعرفتها ومناها، ومودة تفهم من صدق ألفاظها صدق معناها؛ أفنى الشبيبة عالماً أو عاملاً، ورأى في حجّته المبرورة وزيارته المشكورة كل ما كان آملاً، وحلّي من تلك المواضع الشوقيّة، والمطالع الشرفيّة، بكلّ طائل، وقضى أرباً من لقاء كل عالم فيها وعامل، وشارك أشياخه علماً وعملاً فيما لديهم من المعارف والفضائل؛ إلى ما امتاز به من مجالسة تفصح الرّوض وهو أتيق، ومحادثة تبهرج المسك وهو فتيق؛ إن عايته رأيت طرفاً مملوء طرفاً، أو باحثه لم تفقد من تلك المعالم المطهّرة حرفاً؛ فكأنك تعانين الإسكندريّة ومنازها، ومصر وعيسها^(٤) وإدلاجها وتعريسها، وذمياط وتئيسها، والنيل ومدّه، وابن أيوب وجنده، وعيداب وصخراءها، والقدس وإسراءها، وجدة ولجتها، ومكة وبهجتها، والعمرّة وحجتها، والتليّة وضجتها، والكعبة وناءها، وزمزم وماءها، والركن وميزابه، والحرم وأبوابه، والطواف وأسباعه، وأبا قيس وارتفاعه، والباب وعزوته، والصفا ومزوته، والكسوة وجلوتها، والدار وتذوتها، وعرفة ومشعرها،

(١) في الأصل: «وا».

(٢) في الأصل: «أحبا».

(٣) في الأصل: «لاحل».

(٤) في الأصل: «وعي».



وَمِنَى وَمَنْحَرَهَا، وَالْمَوْقِفَ وَأَرِيحَه، وَالْحَجِيجَ وَعَجِيجَه، وَالْدُمُوعَ وَأَنْسِكَابَهَا،
وَالضُّلُوعَ وَالتَّهَابَهَا، وَالْعَقَبَةَ وَجَمْرَتَهَا، وَالْبَطْحَاءَ وَعُمَرَتَهَا، وَالْعِرَاقَ وَجُمُوعَهَا،
وَالْعَجَمَ وَشُمُوعَهَا، وَبَذْرًا وَكَثِييَه، وَالْمَشْهَدَ وَقَلْبِيَه، وَالْعَقِيقَ وَالْإِشْرَافَه، وَالنَّخِيلَ
وَالْتِفَافَه، وَطَيْبَةَ وَطَيْبَهَا، وَقَاضِيَهَا وَخَطِيبَهَا، وَالرَّوْضَةَ وَنُورَهَا، وَالْمَدِينَةَ وَدُورَهَا،
وَالْمَسْجِدَ وَزَوَايَاهُ، وَالْمِنْبَرَ وَبَقَايَاهُ، وَقُبَاءَ وَقُبْتَه، وَسَيِّدَ الشُّهَدَاءِ وَتُرْبَتَه، وَالْبَيْعَ
وَسُكَّانَه، وَأُحَدَّ وَأَرْكَانَه:

مَعَالِمُ يَنْلَى كُلُّ شَيْءٍ وَإِنَّهَا⁽¹⁾ مُجَدَّدَةٌ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ
تَلُودُ بِهَا حَسًّا وَمَعْنَى فَتَنْتَنِي بِمَا نَشْتَهِيهِ بَيْنَ قَبْرِ وَمَسْجِدٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُغْيِيهِ أَوْجُهُ مَطْلَبٍ تَنَاولَهَا مُسْتَشْفِعًا⁽²⁾ بِمُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَلِلَّهِ أَيْامِي بِجُورِهِ، وَمَسَرَّتِي بِالْعَلِقِ الْخَطِيرِ مِنْ جُورِهِ، آهِ
لِفَقْدَانِهَا، وَمَنْ لِي بِهَا تَعَلُّلاً بِنُشْدَانِهَا. وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُعِيدَهَا، وَيُقَرِّبَ لِي فِي عَافِيَةٍ
بَعِيدَهَا، أَمَا إِنِّي لَمْ أَطِقْ بُعْدَكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْحَمِيمِ، وَالْخِلَ الَّذِي وَدَّهُ الْوُدَّ الصَّصِيمِ، بِمَنْ
تُشْجِي النَّفْسَ لُقْيَاهُ، وَيُقْذِي الْعَيْنَ مَرَّاهُ، وَيَجْعَلُ دِينَهُ وَقَايَةً لِدُنْيَاهُ؛ لَا هِمَّةَ لَهُ إِلَّا فِي
الْحُطَامِ وَجَمْعِهِ، وَلَا حَدِيثٍ إِلَّا فِي الضَّرِّ الدُّنْيَوِيِّ وَنَفْعِهِ، طُوبَى ذِكْرُ الدِّينِ بَنَاتَا
وَأَضْبَحَ الْجُمْهُورُ فِي طُرُقِ الْحَقِيقَةِ وَهُمْ الْأَحْيَاءُ أَمْوَاتَا، فَقَدْ قَلَّ الْمُفْلِحُ، وَاللَّهُ
الْمُصْلِحُ؛ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى جَمْعَ الشَّمْلِ بِكَ فِي تِلْكَ الْعَرَصَاتِ الْكَرِيمَةِ، وَالْحُلُولِ مِنْ
كَتَفِ الرَّحْمَةِ فِي أَنْضَرِ رَوْضٍ تَحْتَ أَغْزَرِ دِيمَةٍ، وَالْمَنْ بَتَوْبَةٍ لَا مَثْنَوِيَّةَ فِيهَا، وَإِنَابَةٍ
تَتَكَلَّلُ بِجَبْرِ هَذِهِ الْحَالِ الْمُخْتَلَّةِ وَتَلَا فِيهَا، حَتَّى نَنْقُضَ بَقَايَا الدُّنْيَا فِي وُجُوهِ بَنِيهَا،
وَنَتْرُكَ أَطْلَالَهَا فِي يَدَيَّ مَنْ يَبْنِيهَا؛ فَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ. أَوْثَرُ مِنْكَ تَعْجِيلَ جَوَابِكَ،
وَالْتَّغْلِيلَ بِكِتَابِكَ، وَمُعَامَلَتِي فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْعَجْرِ وَالْبَجْرِ مُعَامَلَةً أَحْبَابِكَ، وَإِعْلَامِي

(1) في الأصل: «وأياها».

(2) في الأصل: «مستشفيعا».



كَيْفَ ذَلِكَ الْقَطْرُ الْأَيْقُ وَانْفِصَاحُهُ، وَتِلَاعُهُ الْمَوْشِيَّةُ وَبَطَاحُهُ، وَبَحْرُهُ اللَّجِي، وَمَوْجُهُ
الزَّنْجِي، وَبَابُ الْبُنُودِ وَرَابِطَتُهُ، وَطَرَفَا الرُّوضِ الْأَمَامِيِّ وَوَاسِطَتُهُ، وَحَظُّ النَّهْرِ
السَّلْكِ، وَتُرْبَةُ الْمَسْكِي، وَالْجَوُّ الْمَشْرِقِ، وَالنَّسِيمُ الْعَبِقِ، وَالْأَزَاهِرُ الَّتِي هِيَ لَوْ ...
رِيحًا تَخْتَلِفُ وَتَتَفَقُّ؛ هَلْ حَالُهَا حَالُهَا، أَمْ غَيْرُهَا وَاللَّهُ ... مُحَالُهَا، فَالزَّمَنُ خَوَانٌ،
وَسِيرَتُهُ فِي الزَّمَانِ نَقْصَانٌ:

مَنَازِلُ قَدْ كَانَتْ لِلْمَسَرَّةِ مَعْهَدًا فَبَانَتْ فَلِي مِنْ غَيْرِهَا الْحَزْنُ وَالْحَزْنُ
يَصُبُّ الْحَيَا مَا دَامَ حَيًّا خَيَالُهَا سَجَالًا يَكِلُ الْكَيْلُ عَنْهُمْ وَالْوَزْنُ
إِذَا الْمُزْنُ لَمْ يُضْحِكْ عَلَيْهَا بَوَارِقًا وَلَمْ يُنْكِ أَجْفَانًا فَلَا طَلَعَ الْمُزْنُ
طَالَمَا أَلَمَّتْ بِذَلِكَ السَّاحِلُ، وَأَسْلَفَتْ فِيهِ أَيَّامًا طَوَيْتُهَا طَيِّ الْمَرَّاحِلِ، وَهَذَا أَنَا الْآنَ
حُلَسُ⁽¹⁾ الْبَيْتِ، وَحَيِّ فِي مَعْنَى الْمَيِّتِ⁽²⁾، عَاقَتْنِي مِنْ لُجَجِ الطَّيْنِ عَوَائِقُ، وَحَالَتْ⁽³⁾ بَيْنِي
وَبَيْنَ الْحَدَائِقِ وَأَيْنَ الْحَدَائِقِ؟ وَأَمَّا النَّاسُ فَالْجَنَسِيَّةُ مَعْدُومَةٌ، وَوَرَاءَ هَذِهِ الْإِشَارَةِ أُمُورٌ
مَكْتُومَةٌ:

أَطَلْتُ وَحَقِّي أَنْ أُطِيلَ لِأَتْنِي أُحَاطِبُ طَوْدًا مُشْرِفًا هَضْبَاتُهُ⁽⁴⁾

وَكَتَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ شَافِعًا لِبَعْضِ الطَّلَبَةِ أَبَرَّهُمُ اللَّهُ:

الْفَقِيهُ أَبُو فَلَانٍ كَاتِبُ الْإِمَامَةِ، الْمَخْصُوصُ بِالْحُظُوءِ وَالْكَرَامَةِ، أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عِصْمَةِ
لَا يَنْبِتُ عِقْدُهَا، وَنِعْمَةٌ لَا يَنْبِتُ عِقْدُهَا. كَتَبَ وَلِيَّهُ الْمَسْرُورُ بِمَا لَا يَزَالُ يَسْمَعُهُ عَنْهُ مِنْ
الْأَفْضَالِ مَعَ التَّكْرَارِ، وَالْأَشْتِمَالِ مَعَ الْأَحْرَارِ، وَاللُّطْفِ مَعَ السَّاعَاتِ
مُتَجَدِّدًا، وَقَدْ وَشَجَ بَيْنَنَا مِنْ ذِمَّةِ الصَّحَابَةِ، مَا يَزِيدُ عَلَى حُرْمَةِ الْقَرَابَةِ، فَلَا غَرَوْ أَنَّ

(1) فِي الْأَصْلِ: «جَلَسَ».

(2) فِي الْأَصْلِ: «الْبَيْتِ».

(3) فِي الْأَصْلِ: «وَحَالَةٌ».

(4) يَبْدُو أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ مَبْتُورَةٌ يَنْقُصُهَا بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْ خَاتَمَتِهَا.



يَحْمِلُ بَعْضَنَا بَعْضًا كُلَّهُ، وَيُجَشِّمُهُ⁽¹⁾، بَغْضَ مُهْمِهِ أَوْ كُلَّهُ، فَالْيَدُ تُعِينُ أُخْتَهَا، وَالضُّلُوعُ تَصُونُ مَا تَحْتَهَا. وَقَدْ كُنْتُ اسْتَدْعَيْتُ إِحْسَانَكَ لِفُلَانٍ فَأَجَابَ، وَوَالَى قِبَلَهُ الْإِيَادِي الرَّغَابَ، فَهُوَ الْآنَ يَهْصِرُ أَفْنَانَ الْإِحْسَانِ، وَيَحْضُرُ فِي مِيدَانِ⁽²⁾ الْاِمْتِنَانِ، قَدْ كَثُرَتْ فَاشِيَّتُهُ، وَأَدَّى الرِّكَاءَ عَيْنُهُ وَحَرْنُهُ وَمَاشِيَّتُهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُكَ بِهَا يَدًا قَلَّ مُسْنِدُهَا، وَعُدِمَتْ يَدُ تَوْذِيهَا⁽³⁾.

وَإِنْ فَلَانًا حَامِلُ رَايَةِ الْفَضْلِ بِالْيَمِينِ، وَالسَّامِي إِلَى الْبَرَاعَةِ وَالْبَلَاغَةِ مُنْقَطِعِ الْقَرِينِ، وَاخْتِبَارُهُ يُغْنِي دَعْوَاهُ عَنْ تَكْلُفِ شَاهِدٍ عَلَيْهَا أَوْ يَمِينٍ؛ وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بِفُلَانَةٍ فَالْفَيْتُهُ فِي الْمُعَامَلَةِ بَرًّا، وَعَلَى الْمُبَاحَثَةِ حُرًّا. وَكَانَ يَنْتَحِلُ حِرْفَةَ التَّوْثِيقِ وَهِيَ غَيْرُ وَثِيقَةٍ، وَيُحَاوِلُ تَنْبِيَةَ الْحَالِ بِهَا وَهِيَ غَيْرُ مُفِيقَةٍ؛ وَلَمَّا رَأَى الْكَفَّ لَا تَزْدَادُ إِلَّا صَفْرًا أَخَذَتْ سِفْرًا، وَقَالَ لَعَلِّي أَجِدُ لِلْعَيْنِ عَيْنًا أَوْ أَنْرَأَ؛ ثُمَّ رَمَى بِهِمَّتِهِ «ذَلِكَ الْبَلَدُ»⁽⁴⁾ الْقَصِي، وَاعْتَمَأَ بِأَوَامِهِ السَّرِيِّ السَّرِي، وَقَالَ: غَرْنَاطَةُ مَبْرُكٌ⁽⁵⁾، لَيْسَ لَهُ مَتْرُكٌ، وَقَاضِيهَا مَفْضُلٌ، لَيْسَ عَنْهُ مَعْدِلٌ، وَلَا نُكْرُ أَنْ يُلْفِي الْمَوْرِدَ عَذْبًا، وَقَدْ يَمَّمُ حُرًّا نَذْبًا، وَلَا غَرَوْ أَنْ يَجِدَ الْأَرْبَ سَهْلًا، وَقَدْ اعْتَمَدَ مُسْتَحَقًّا لِلْإِحْسَانِ وَأَهْلًا؛ وَسَتَسْمَعُ مِنْ نَظْمِهِ لِمَحَاسِنِكَ مَا يُكْسِبُكَ أَرْحِيَّةً وَحِيَّةً، وَيُحَرِّكُ مِنْكَ عَصَبِيَّةً أَدْبِيَّةً، وَالطَّالِبُ يُفْنِعُهُ الْبِشْرُ، وَيَكْفِيهِ مِنَ اللَّبِّ الْقَشْرُ.

لَا زِلْتَ وَقَدْرَكَ مَرْقَى، وَذِكْرَكَ بِالْدُّعَاءِ لَهُ وَالشَّنَاءِ عَلَيْهِ مُوقَى؛ وَلَا أَهْلَ الْحُقُوقِ عَلَى النَّاسِ يُوجِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَضْلًا وَحَقًّا. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(1) في الأصل: «ومجشمه».

(2) في الأصل: «في ميدان».

(3) في الأصل: «توذيها».

(4) بياض بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(5) بياض بالأصل، ولعل الصواب ما أثبتناه.



وَكَتَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى:

السَّلَامُ عَلَى ذِي الْمَوَاهِبِ الَّتِي لَا يَكِثُ حِسَابُهَا، وَالْمَنَاقِبِ الَّتِي لَا تَنْبُتُ أَسْبَابُهَا؛ أَبْقَاهُ اللَّهُ مُعْتَرَاً بِالذِّينِ، مُهْتَرَاً لِمَطَالِبِ الْقَاصِدِينَ. كَتَبَ مُحِبَّةً لِكَرَمِ خِلَالِهِ، الشَّاكِرَ لَهُ عَلَى تَجَاوُزِهِ فِي الْإِحْسَانِ وَالْإِيثارِ طَوْرًا لِحَالَتِهِ وَطَوْرًا لِحَالِهِ، الْمَسْرُورُ بِالمُسْمُوعِ مِنْ صَنَائِعِهِ الْجَمِيلَةِ مِنْ جَاهِهِ وَمَالِهِ، الْمُتَمَنِّي لِقَاءَهُ لِيَرَى الشَّخْصَ الْمُجْمَعِ عَلَى فَضْلِهِ وَأَفْضَالِهِ؛ وَهُوَ يَعْتَرِفُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِاللُّطْفِ الدَّائِبِ، وَعَلَى نَفْسِهِ بِالتَّقْصِيرِ فِي الْوَاجِبِ، وَعِنْدَهُ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمُخْتَرَمُ، وَالسَّرِيُّ الَّذِي سَجَايَاهُ الْفَضْلُ وَالْكَرَمُ، مِنَ التَّشْيِيعِ لَكَ، وَالْمُشَايَعَةِ لِمَنْ أَثَرَكَ وَفَضَّلَكَ، وَالْمُكَاتَرَةِ وَالْمُفَاخَرَةِ بِالْمَحَاسِنِ الَّتِي قَبْلَكَ مَا عِنْدَ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ فَاتَّزَرَهُ، يُصَدِّقُ بِعَدَمِ الْجُودِ وَقَدْ عَايَنَ أَثَرَهُ.

وَقَدْ كَانَ فُلَانٌ أَلْقَى مِنْ ... تِلْكَ الْمَنَازِعِ، وَشَرَفَ ذَلِكَ الْخُلُقِ الْبَارِعِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ النَّفْسُ انْقِيَادَ السَّامِعِ الطَّائِعِ؛ وَعَزَمْتُ عَلَى التَّبَرُّكِ بِرُؤْيَيْهِ لَوْلَا إِبَاءُ الْأَعْدَارِ وَعَلَبَةُ الْمَوَانِعِ، وَإِلَى هَلُمَّ جَرَا؛ فَنَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُهْدَى عَنْكَ خَبَرٌ سَرِيٍّ، وَيَبْدُو مِنْكَ أَثَرٌ بِالشُّكْرِ حَرِيٍّ؛ لَا جَرَمَ أَنَّ الْأَفْتِدَةَ مَفْطُورَةٌ عَلَى وَلَائِكَ، وَالْأَلْسِنَةُ مَقْصُورَةٌ عَلَى شُكْرِكَ وَثَنَائِكَ. أُمْتَعَكَ اللَّهُ بِالْعُلَى، وَلَا سَلْبَكَ هَذِهِ الْحُلَى، وَفُلَانٌ فَرَدَّ مُلَى مَحَاسِنِ، وَشَخِصٌ يَرُوقُ الْأُذُنَ وَالْمُعَايِنِ. مَا شِئْتَ مِنْ خَطِّ يَنْهَرُ الْحَمَائِلَ الْمُنَوَّرَةَ، وَشَدُو يُخْجِلُ الْعَنَادِلَ الْمُصَرَّصَةَ، وَأَدَبٌ يَسْتَجْلِبُ النُّفُوسَ الْأَيُّبَةَ، وَيَسْتَحْضِرُ الْقُلُوبَ النَّائِيَةَ، وَقَدْ أَصَابَهُ الزَّمَنُ بِأَرْزَائِهِ، وَخَامَرَ الزَّمَنُ كُلَّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ، فَأَصْبَحَ ذَا كَفِّ صَفَرٍ، وَطَرَفٍ لَا يَجُولُ⁽¹⁾ فِي بَيَاضٍ وَلَا صَفَرٍ، وَقَدْ أَمَلَكَ لِمَا تُؤْمُّ لَهُ الْأَكَارِمُ، وَاعْتَامَكَ كَمَا تُعْتَامُ الْبُحُورُ الْخَضَارِمُ⁽²⁾، وَسِيرِدُ مِنْكَ عَلَى حُرٍّ يَأْسُو كَلَمَهُ⁽³⁾، وَيُسَرِّي بِجَمِيلِ اللَّقَاءِ هَمَّهُ، وَلَا يُخْلِيهِ مِنْ نَظَرٍ لَهُ وَإِلَيْهِ، وَرَفِيقٍ بِهِ وَعَظْفٍ عَلَيْهِ. لَا زِلْتَ لِلْأَمَالِ مُتَتَجِعًا، وَلِلسُّؤَالِ مُصْطَافَاً وَمُرْتَبَعًا.

(1) في الأصل: «لا يحول».

(2) في الأصل: «الخصارم».

(3) الكلم: الجرح.



وَكَتَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى:

فُلَانٌ أَبْقَى اللَّهُ رَفْعَتَهُ عَالِيَةَ الْمَرَاقِي، حَالِيَةَ التَّرَاقِي. كَتَبَتْهُ وَنِعْمَةُ اللَّهِ السَّابِغَةُ تَجَدَّدُ، وَرَحْمَتُهُ السَّابِغَةُ لَا تَزَالُ تَتَغَمَّدُ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ عَلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ، وَيَمُنُّ عَاجِلًا بِالْعَوْدَةِ إِلَى عِزِّ خِدْمَتِهِ، بِمَنْهِ. وَعِنْدِي أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمُحْتَرَمُ الْجَانِبِ، الْمُلتَزِمُ الْوَاجِبِ⁽¹⁾، مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى فَضْلِكَ وَالِاعْتِرَافِ بِأَنِّي لَمْ أَطْفِرْ فِي أَبْنَاءِ الرِّيَاسَةِ بِمِثْلِكَ، مَا عِنْدَ مَنْ عَلِمَ تَصَرُّفَكَ فِي كَرَمِ الْمَنَاجِي وَالْمَنَازِعِ، وَتَوَقُّفَكَ فِي الْمُشْكِلَاتِ مَعَ أَفْضَلِ صَارِفٍ مِنَ الدِّينِ وَأَنْصَحَ وَازِعٍ، نَفَعَكَ اللَّهُ بِمَا خَصَّكَ بِهِ مِنْ صَدْرِ سَلِيمٍ مِنَ الْحَقِّدِ، وَطَبَعَ بَعِيدٍ عَنِ تَعَقُّبِ النَّقْدِ.

وَفُلَانٌ صَحْبَتُهُ مُدَّةً، وَخَبَرْتُ مِنْهُ حُسْنَ أَدَبٍ وَصِدْقَ مَوَدَّةٍ، وَلَهُ رَغْبَةٌ فِي أَنْ يَكُونَ مِنْ أَكْدِ عُدْدِهِ، وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ -بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى- فِي إِقَامَةِ أَوْدِهِ؛ وَأَنْ تَأْخُذَهُ مُحْسِنًا بِيَدِهِ، وَتُعِينَهُ عَلَى مَا يَنْبَغِيهِ مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَى بَلَدِهِ وَوَلَدِهِ.

جَعَلَكَ اللَّهُ مِمَّنْ صَانَ مَالَهُ بِبَذْلِهِ، وَتَوَسَّلَ بِالمُؤَاسَاةِ بِفَضْلِهِ إِلَى جُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ، وَلَا أَغْدَمَكَ لِإِسْدَاءِ مَعْرُوفٍ وَإِجْزَالِ إِحْسَانٍ إِلَى مُسْتَحِقٍّ لَهُ وَلَا أَهْلِهِ.

وَكَتَبَ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى أَيْضًا:

كَتَبَ مُلتَزِمٌ بِرِّهِ، الْمُعْتَرِفُ بِمَا رَأَاهُ مِنْ سَمَاحٍ كَفَّهِ وَانْشِرَاحٍ صَدْرِهِ. وَلُطْفٍ اللَّهِ تَعَالَى طُلٌّ مِنْهُمْ، وَظِلٌّ غَيْرٌ مُتَقِلٌّ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُجَدِّدُ نِعْمَتَهُ، وَيُخَلِّدُ رَحْمَتَهُ؛ وَعِنْدِي مِنَ تَعْظِيمِكَ، وَالثَّنَاءِ عَلَى حَدِيثِكَ وَقَدِيمِكَ مَا عِنْدَ مَنْ تَحَقَّقَ سِرُّكَ، وَرَأَى وُجُوهَ الْأَمَالِ مُتَوَجِّهَةً نَحْوَكَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ لَكَ النِّعَمَ الَّتِي لَهَا تُقْصَدُ، وَيُبْقِي عَلَيْكَ الشَّيْمَ الَّتِي عَلَيْهَا تُخْصَدُ.

وَفُلَانٌ صَحْبَتُهُ فَوْجَبَ لِصُحْبَتِهِ ذِمَامًا، وَتَعَيَّنَ لِمَعْرِفَتِهِ حُسْنٌ وَإِكْرَامٌ؛ وَإِنْ لَمْ يَتَّفَقْ فِي الْمَعُونَةِ فِعْلًا، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَّفَقَ كَلَامًا، وَلَا أَكْسَدَ مِنْ بِضَاعَةِ الشَّفَاعَةِ إِلَّا عِنْدَ مِثْلِكَ

(1) في الأصل: «الواح».



مِنْ كَرِيمٍ وَابْنِ كِرَامٍ. وَحَاجَةٌ هَذَا الصَّاحِبِ اسْتِمطَارٌ لِهَضْبَةٍ فَضْلِكَ، وَاسْتِنصَارٌ
بِهَضْبَةٍ طَوْلِكَ، وَفِي مَجْدِكَ الشَّهِيرِ مَا يُورِدُهُ الطَّلَّ صَافِيَا، وَيَصْبُغُ عَلَيْهِ الظَّلَّ وَافِيَا.
أَبْقَاكَ اللَّهُ لِتَكْرِيمِ الْوَفَادَةِ، وَتَفْخِيمِ الْإِفَادَةِ، وَنَفْعِكَ بِمَا حَلَّاكَ بِهِ مِنْ شَمَائِلِ الشُّرُورِ
وَالسِّيَادَةِ بِمَنِّهِ.

وَكَتَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ مُرَاجَعًا:

سَلَامٌ عَلَى فُلَانٍ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي كَرَامَةٍ جَدِيدَةٍ الْمَعَاهِدِ، وَسَعَادَةٍ شَدِيدَةِ الْمَعَاقِدِ؛
وَفَضْلُهُ قَدَى فِي عَيْنِ النَّاقِمِ وَشَجَى لِصَدْرِ النَّاقِدِ.

كَتَبَ الشَّاكِرُ لَهُ حِلًّا وَارْتِحَالًا، الْمُجَدِّدُ مَعَ كُلِّ بَرْقٍ يَخْفُو وَنَسِيمٌ يَهْفُو لَهُ ذِكْرًا وَعَنْهُ
سُؤَالًا، وَالْأَلَطَافُ تَبْهَرُ الْعَمَائِمُ انْسِكَابًا، وَتَمَلُّ الْأَتَامِلُ حِسَابًا، وَتَعْدُّ لِكُلِّ حَاجَةٍ
قَضَاءً وَلِكُلِّ مَسْأَلَةٍ جَوَابًا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يَفْتَحُ لِلْقَبُولِ أَبْوَابًا، وَيَجْعَلُ مُضَاعَفَةَ النِّعْمَاءِ
وَمُتَابَعَةَ الْآلَاءِ أَجْرًا وَثَوَابًا؛ وَوَدَّكَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ، الْبَيِّنُ صِدْقُهُ، الْمُتَعَيِّنُ حَقُّهُ، الْمُتَشَوِّقُ
لِأَجَلِهِ نَاسُهُ وَأَفْقُهُ، غَالِبٌ عَلَى الْفِكْرِ، مَالِيٌّ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ
بِهَا أُخُوَّةَ صَافِيَةٍ، وَيَزِيْنُهَا بِلَذَّتِي الْمُجَاوِرَةِ وَالْمُحَاوِرَةِ فِي عَافِيَةٍ؛ بِمَنِّهِ.

وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ الْمَبْرُورِ فَنَعَمَ بَالِي، وَجَدَّدَ أَنْسِي الْبَالِي، وَقَدَّرَ عِنْدِي مِنْ صَفَائِكَ
وَوَفَائِكَ - مَا لَمْ أَزَلْ أَتَعَرَّفُهُ - الْمُتَّصِلَ الْمُتَوَالِي. فَلَوْ أَنَّ السُّطُورَ تَسْتَحِيلُ شُدُورًا
وَالْفَقْرَ تَصِيرُ دُرَرًا لَمَا نَفَقْتُ لِلْسُّلُوكِ عِنْدَ الْمُلُوكِ سُوقٌ، وَلَا تَحَلَّتْ سِوَاهَا سَوَالِفُ
وَمَعَاصِمُ وَسُوقٌ، أَخْرَ بِكَلَامِ أَسَسْتُهُ وَثَاقَةَ الصَّدَاقَةِ وَحَسَنَتُهُ جَدَّةَ الْمَوَدَّةِ أَنَّ تَلْتَقِطَ
الْعُيُونُ عُيُونَهُ، وَتَعْتَقِدَ الْقُلُوبُ كُلَّ سِحْرِ دُونِهِ؛ فَلَوْ أَنَّ الصَّادِقِينَ رَأْيَاهُ لَفَدْيَاهُ، وَلَوْ أَنَّ
الدَّالِّينَ سَمِعَاهُ لَمَا تَعَدْيَاهُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْقِيكَ وَرَوْضَ فَهْمِكَ أُنِيقُ، وَنَسِيمَ ذَهْنِكَ رَقِيقُ، وَكَلَامُ بُلْغَاءِ عَصْرِكَ
لِشَرِّكَ رَقِيقُ، بِمَنْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَحَالِي عَقَبَ تَرْحَالِي، عَلَى مَا يُرْضِيكَ لَمْ أَعِدْمْ مَحْبُوبًا
إِلَّا مَرَّاكَ، وَلَا وَجَدْتُ مَكْرُوهًا إِلَّا مَنَّاكَ، وَمِثْلُكَ يَكْفِيهِ تَعْرِيبُ لَفْظِهِ، وَيُغْنِيهِ أَيْمًا
لَحْظُهُ.



وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كُلُّ يَسْرِ بِتَيْسِيرِهِ، وَكُلُّ خَيْرٍ بِتَقْدِيرِهِ؛ وَتَفْصِيلُ هَذَا التَّجْمِيلِ يَمْنَعُ مِنْهُ شُغْلُ اسْتَحَقَّ الْيَدَ وَالْخَلْدَ، وَمُتَحَمَّلُ أَطَالَ الْحَفْزَ وَقَصَّرَ الْأَمْدَ؛ وَفَضْلُكَ يُغْضِي عَنْ خَطْلِي، وَلَا يَقِيسُ حَلِيهِ عَلَى عَطْلِي؛ فَمَا أَصْبَحْتُ مِنْ أَصْبَحَ، وَلَا سَبَحْتُ مِنْ بَحْرِ الْبَلَاغَةِ حَيْثُ يَسْبَحُ. أَبَتْ لِي ذَلِكَ نِسْبَةُ بَرِّيرِيَّةً، وَفِكْرَةٌ مِنْ دَعْوَى الْأَدَبِ بَرِيَّةً وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُنَا رَاحَةً مِنَ الْعِلَلِ، وَفَصَاحَةً فِي الْعَمَلِ؛ بِمَنِّهِ:

رَحَلْتُ وَقَدْ وَجَدْتُ الْعَيْشَ مُرًّا بِسَعْيِ الْبَغْيِ، وَالْمَرْعَى وَخِيَمًا
فَسَنَى اللَّهُ لِي بِرًّا حَدِيثًا نَسِيتُ بِطَيْبِهِ الْبِرَّ الْقَدِيمًا
فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَلَانِي وَجَدْتُ اللَّهَ رَحْمَانًا رَحِيمًا

وَكَتَبَ إِلَى الْفَقِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ الشَّرِيشِيِّ⁽¹⁾:

لَا خَطْبُ⁽²⁾ فُرْقَتِكُمْ لَدَيَّ قَلِيلًا كَلًّا وَلَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ جَمِيلًا
يَا نَازِحًا عَنْ غَيْرِ قَلْبِي إِنَّهُ مُذَبَّانٌ⁽³⁾ عَنْهُ، أَقَامَهُ تَمْثِيلًا
كَيْفَ السُّلُوفُ وَيَتَنَّا مِنْ رَغْبَةٍ أُسْدٌ، تَكُونُ لَهَا الْأَسِنَّةُ غِيَلًا
وَسَبَاسِبٌ تَذُرُ الدَّلِيلَ مُرَدِّدًا نَظَرًا إِلَى أُنْثَرِ الْمَطِيِّ كَلِيلًا
لِلَّهِ أَنْتَ، فَقَدْ وَجَدْتُكَ عُدَّةً سَمَحَ الزَّمَانُ بِهَا، وَكَانَ بِخِيَلًا
وَبَلَوْتُ مِنْكَ شَمَائِلًا، مِنْ دُونِهَا صَفَوُ الشُّمُولِ، فَمَا أَرَدْتُ بِدِيلًا⁽⁴⁾
أَبْلُغَ رِبَاطَ التُّونِسِيِّ تَحِيَّةً عَنِّي، وَأَوْسَعَ قَبْرَهُ تَقْبِيلًا
وَأَقْرَأُ بِهِ الذِّكْرَ الْحَكِيمَ مُوفِيًا آيَاتِهِ، التَّجْوِيدَ وَالتَّزْيِيلًا

(1) لعله أحمد بن عبد المومن الشريشي شارح المقامات اشتهر بعلمه وأدبه وتبحره في الأدب واللغة، انظر: التكملة 1/ 111، الذيل والتكملة 11/ 268. برنامج شيوخ الرعيني، ص: 90.

(2) في الأصل: «أخطب».

(3) في الأصل: «مذبان».

(4) في الأصل: «يديلا».



وَإِذْ كَرَّ أَحَاكَ بِدَعْوَةٍ مَبْرُورَةٍ
وَإِعْطِفَ عَلَى صَفِّ الْبُصَيْلَةِ إِنَّهُ
وَالْمَخِ بِقُبْلِي الْمَدِينَةِ مَنْظَرًا
لَبَسَتْ مُلَوْنَةَ الْأَزَاهِرِ أَرْضُهُ
وَأَنَسَابَ فِي تِلْكَ الْأَبَاطِحِ نَهْرُهُ
وَكَأَنَّمَا الْجَبَلُ الْمُتَمَقُّ فَوْقَهُ
نَشَقَّ الْهَوَاءَ بِهِ صَحِيحًا عِنْدَمَا
لَا أَنَسَى أَيَّامًا قِصَارًا فِيهِ لِي
سَدَّ السَّبِيلَ عَنِ اللَّقَاءِ فَلَمْ أَجِدْ
أَعَزَّزَ عَلَيَّ بِأَنْ أَكُونَ مُحْمَلًا
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ أَحَا الْوَفَاءِ فَإِنِّي
دَعَوَايَ حُبَّكَ بِالضَّرُورَةِ لِأَحِقُّ
أَفْتَنُ فِي فَنِّ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً حَمَلْتُهَا
وَلَقَدْ أَرَدْتُ زِيَادَةً فِي نَظْمِهَا
لَا وَالَّذِي كَانَ الْفِرَاقُ بِحُكْمِهِ

تَطَرَّحَ بِهَا عِشًا عَلَيْهِ ثَقِيلًا
قَدْ كَانَ لِي مَأْوَى وَكَانَ مَقِيلًا
أَضْحَى بِمُشْتَبِكِ النُّجُومِ عَدِيلًا
وَخَطَا بِهِ رِيحُ الشَّمَالِ بَلِيلًا
فَهَجَرْتُ دِجْلَةَ عِنْدَهُ وَالنَّيْلَا
أَضْحَى لِمَبْرَقِ رَأْسِهِ إِكْلِيلًا
هَبَّ النَّسِيمُ بِصُخْرِيهِ عَلِيلًا
أَضْحَى تَذَكُّرُ مَا عَلَيَّ طَوِيلًا
لَمَّا نَأَيْتُ إِلَى السُّلُوسِيْلَا
شَوْقَ الدُّنُوِّ إِلَيْكُمْ تَرْسِيلًا
أُنْنِي عَلَيْكَ إِمَامَةً وَرَجِيلًا
وَعَلَى الضَّرُورَةِ لَا تُرِيدُ دَلِيلًا
وَأَوَاصِلُ التَّعْظِيمِ وَالتَّبَجُّيلَا
فَتَحَمَّلْتُ شَوْقًا إِلَيْكَ دَخِيلًا
لَكِنْ كَرِهْتُ - وَحَقُّكَ - الثَّقِيلَا
مَا خَطَبُ فُرْقَتِكُمْ لَدَيَّ قَلِيلًا

كَتَبْتُ دَامَتْ كَرَامَةُ سَيِّدِي الْفَقِيهِ، وَالْأَخِ الَّذِي أَفْدِيهِ بِالنَّفَائِسِ وَأَقِيهِ، وَلَا زَالَ غَنِيًّا
بِوَقَايَةِ السَّعَادَةِ عَنْ تَوَفِّيهِ، مُتَعَرِّفًا عَلَى الدَّوَامِ عَادَةً تَرْفَعُهُ وَتَرْفِيهِ؛ مِنْ حَضْرَةِ فَاسٍ -
حَرَسَهَا اللَّهُ- وَالْحَالِ جَمِيلَةً صَالِحَةً، وَالطَّافُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ غَادِيَةً رَائِحَةً؛ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجَدِيدِ الْأَنْسِ بَعْدَكَ بَالٍ، وَفِكْرُ الشَّوْقِ مُتَابِعُ مَتَوَالٍ، وَالنَّفْسُ حَنَانَةٌ
إِلَى أَيَّامِ مَاضِيَةٍ لَنَا وَلِيَالٍ، فَمَا كَثِيرٌ وَقَدْ غَلَبَهُ الشَّوْقُ وَعَزَّهُ، وَاسْتَدْعَى الْبُكَاءَ مِنْ خَلِيلِهِ
حَيْثُ حَلَّتْ عَزَّهُ، وَلَا سَمِيَّةٌ مَعْنَى وَقَدْ فَارَقَ الْجَزِيرَةَ، وَتَيَمَّنَهُ عَزَّهُ الْأَخِيرَةَ، وَكَانَ فِي



مُضْمَرِ الْمَحَبَّةِ، وَذِكْرِ الْأَحَبَّةِ عَدِيلَ سَمِيهِ الْمَعْنَوِيِّ وَنَظِيرُهُ، وَإِيَّاكَ أَعْنِي يَا جَارَةَ فَاسْمَعِي⁽¹⁾، وَخُذِي فِي اللَّوْمِ إِنْ شِئْتَ أَوْدَعِي:

بِأَوْحَدٍ مِنِّي مُذْنَأَيْتُ وَإِنَّمَا
وَالْأَفْأَفَاسِي أَحَرُّ مِنَ الْغَضَى
فِيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِقُرْبِكَ كَرَّةٌ
لَعَلَّ الَّذِي كَانَ الْفِرَاقُ بِحُكْمِهِ
فَتَسْرَحُ فِي تِلْكَ الْبِطَاحِ نَوَاطِرًا
وَتَرْقَى وَبَيْنَ الصَّخْرَتَيْنِ مَنَاطِرُ
وَتَنْشُقُ أَنْفَاسَ النَّسِيمِ بَلِيلَةً
تَذَكَّرْتُهَا وَالْبَيْنُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَمَّا وَهَوَاهَا بَلْ هَوَاكَ فَإِنَّهُ
فَمَا لَبَسَتْ إِلَّا بِحُسْنِكَ حُسْنَهَا
وَإِيهِ وَقَدْ وَفَيْتُ شَوْقِي حَقَّهُ
فَهَلْ طَلَعَتْ فِي الْغُصْنِ لِلْبِشْرِ نَوْرُهُ
وَهَلْ لِلْجِيَادِ الْقُبِّ فِي الْقُبِّ مَسْرَحُ
وَمَا كَانَ نَذْرُ نَذَرْتُ صِيَامَهُ

أَعْلَلُ نَفْسِي بِالتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
عَلَيْكَ وَأَجْفَانِي أَدْرُ مِنَ الْقَطْرِ
وَهَيْهَاتَ، كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ قَفَرٍ
يُعِيدُ لَنَا عَيْشًا تَوَلَّى وَمَا نَذَرِي
تَنْقَلُ مِنْ رَوْضٍ نَضِيرٍ إِلَى نَهْرٍ
تَمَثَّلُ مَا بَيْنَ الْغَدِيرِ إِلَى الْبَحْرِ
مُعْطَرَةً بَيْنَ الْمَذَانِبِ وَالزَّهْرِ
وَلَا بُدَّ لِلْمُشْتَاكِ مِنْ لَوْعَةِ الذِّكْرِ
تَمَكَّنَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
وَلَا بُدَّ لِلْحَسَنَاءِ مِنْ نَفْحَةِ الْعَطْرِ
أَعِدْ نَظْرًا فِي الْبَدْرِ وَالْغُصْنِ النَّضْرِ
وَهَلْ وَضَحَتْ مِنْ غَيْمِهَا صَفْحَةُ الْبَدْرِ؟
بِأَسَدٍ هِيَاجٍ غِيلُهَا أَجْمُ السُّمْرِ
مَعَ الْوَصْلِ مِنْ عَشْرِ تُصَافُ إِلَى شَهْرِ

كَمْ ذَا أُطِيلُ، وَيَكْثُرُ مِنِّي الْقَالُ وَالْقِيلُ، وَأَخْرُجُ عَنْ حَدِّ انْتِزَاحٍ، إِلَى وَجِدِ مِرَاحٍ، وَقَدْ
نَفِدَ السَّحْلُ، وَكُلُّ أَخْوَكِ الْمُجَلِّ، وَلَمْ يَبْقَ الْآنَ إِلَّا أَنْ أَخْتِمَ الرُّفْعَةَ، بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ:
أَنَا مُذْنَبْتُ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ فِي رَجَاءٍ مِنَ اللَّقَاءِ وَيَاسِ

(1) من الأقوال المشهورة على الألسنة.



وَدُمُوعٍ لِلْبَّيْنِ تَهْمِي وَلَكِنْ
كَيْفَ حَالِ امْرِئٍ تَشِطُّ تِلْمَسَا
لَمْ يَكُنْ مَا لَقِيْتُهُ مُذْنَأً
لَا وَرِيمٍ يَصُونُ خِذَا بِصُدْغٍ
وَجُفُونٍ تَعَلَّمَتْ صَنْعَةَ السَّحْرِ
مَاقَامِي وَقَدْ فَقَدْتُكَ إِلَّا
قَدْ حُلَّ بَابُ الْهَوَى، وَتَمَّ الْآنَ وَاسْتَوَى؛ وَكُنْتُ أَحْتَفِلُ فِيهِ وَأُطْنِبُ، لَوْ وَجَدْتُ أَيْنَ
أَكْتُبُ. وَهَبَ اللَّهُ لِي وَلَكَ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَبَابَ عَمَلٍ إِلَى قِبَلَةِ الرِّضَا⁽¹⁾ مُفْتُوحًا؛ بِمَنْه.
وَمِنْ مُحَاطَاتِهِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْأَمْرَاءِ وَمَا تَعَلَّقَ بِذَلِكَ قَوْلُهُ فِي رِسَالَةٍ صَادِرَةٍ عَنْهُ
لِلْحَضْرَةِ:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ مَقَامُ الْفَضْلِ الْمُتَابِعِ الْمُتَوَالِي، وَنِظَامُ الْإِحْسَانِ الْمُتَنَاسِقِ
الْمُتَالِي؛ أَدَامَ اللَّهُ عُلوَّهَا وَظُهُورَهَا، وَأَجْرَى وَفَقَ إِرَادَتَهَا وَأَمْرَهَا وَأُمُورَهَا، وَوَصَلَ
بِرَكَّتِهَا لِلْأُمَّةِ جَذَلَهَا وَسُرُورَهَا؛ عَبْدٌ مِنْهَا الْوَاضِحَةِ الْحُجُولِ وَالْغُرَرِ، وَمُسْتَرْقُ
أَيَادِيهَا الْكَرِيمَةِ الْأَثَرِ وَالْأَثَرِ، الْمُتَقَلِّبُ مِنْ تَعَهُّدَاتِهَا الْمُتَلَا حِقَّةً، وَتَفَقُّدَاتِهَا الْمُتَنَاسِقَةَ،
بَيْنَ غَيْمِ سَحَابِ الْمَطَرِ، وَدَوَّحِ نَفَاحِ الزَّهْرِ، الشَّاكِرُ لَهَا بِالْإِسْنَةِ أَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَغَايَتُهُ
الْعَجْزُ وَالْحَصَرُ؛ وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَقَامَ الْعَلِيِّ ظِلًّا يَكْنُفُ الْأَنَامَ وَيَكْفِيهِمْ،
وَعَيْنًا يُغِيثُهُمْ مَظَانَّ الْأَوَامِ وَيَرْوِيهِمْ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُنْقِذُ
الْعِبَادِ مِنَ أَشْرَاكِ الْإِنْسَانِ وَمُنْجِيهِمْ، الْمَخْصُوصِ وَخُدَّهِ بِمَرْيَتِهِ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾⁽²⁾ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيهِمْ، الْبَازِلِينَ فِي

(1) فِي الْأَصْلِ: «الرَّصَى».

(2) سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الْآيَةُ: 33.



الذَّبُّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَمَّ اخْتِفَالِهِمْ وَأَعَمَّ تَحْفِيهِمْ، وَالرَّضَىٰ عَنِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ مُبِيدِ
الْمُبْطِلِينَ بَعْدَ اشْتِدَادِ هَوَائِهِمْ وَامْتِدَادِ مَهَاوِيهِمْ، وَمُعِيدِ الْحَقَائِقِ عَلَىٰ أَهْلِهَا حِينَ
اجْتِيَا حَاجَاتِهِمْ وَانْتِزَاحِ أَمَانِيهِمْ⁽¹⁾، وَالِدُعَاءِ لِسَادَتِنَا الْمُتَمِّمِينَ لِدَعْوَتِهِ طَعْنًا بِأَسْتِثْمِهِمْ
وَضَرْبًا بِمَوَاضِيهِمْ، الْمُقْتَنِينَ مِنْ سَنَنِهِ الْوَاضِحِ بِعَمَلِهِمْ وَنِيَّتِهِمْ وَتَوْخِيهِمْ، وَالِدُعَاءِ
لِسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَعْدِ يَحْيَىٰ أَوْلِيَاءَهُ وَيَقِيهِمْ، وَنَضْرٍ يَذَرُ عِدَاءَهُ نُهْبَةً لِأَوَّلِ يَدِ
تَلَاقِيهِمْ.

فَكَتَبَ الْعَبْدُ الْمُسْتَرْقُ السَّرَّ وَالْعَلَنَ، الْمُسْتَحَقُّ بِتَرَادُفِ الْآلَاءِ وَنَضَاعِفِ الْمِنَّةِ، كَتَبَ
اللَّهُ لِلْمَقَامِ جُنُودًا مِنَ الْجِدِّ لَا تَزَالُ غَالِيَةً مَنْصُورَةً، وَبُثُودًا مِنَ السَّعْدِ لَا تَنْفَكُ عَالِيَةً
مَنْشُورَةً، وَلُطْفُ اللَّهِ تَعَالَىٰ يُؤْمِنُ كُلُّ شَعْبٍ، وَيُسَهِّلُ كُلُّ صَعْبٍ، وَيُذَلِّلُ كُلَّ جَامِحٍ،
وَيُقَرِّبُ كُلَّ نَازِحٍ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْيُمْنَ لَدَيْهَا، وَأَجْرَى الْخَيْرِ عَلَىٰ يَدَيْهَا؛ وَعِنْدَ
الْعَبْدِ مِنَ الْإِلْتِزَامِ لِلرَّسْمِ الَّذِي رُسِمَ لَهُ، وَالِاسْتِعْمَالِ لِلْقَانُونِ الَّذِي فُسِّرَ لَهُ، الصَّوَابُ
قَوْلًا وَعَمَلًا، وَفَضْلُهُ مَا حَسَّنَ الْأَثَرَ، وَعَمَّ بِالْأَمْنَةِ وَالصَّلَاحِ مَنْ بَدَأَ وَحَضَرَ؛ فَالْعَافِيَةُ
شَامِلَةٌ، وَالطَّرْقُ سَابِلَةٌ، وَالرَّعِيَّةُ إِلَى الْمُقْتَرَحَاتِ النَّازِحَةِ، وَالْمُبْتَغِيَّاتِ الطَّامِحَةِ وَاصِلَةٌ؛
وَكُلُّ ذَلِكَ بِلُطْفِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَيُمْنِ مَقَامِ أَقَامَهُ اللَّهُ لِلْمَصَالِحِ فَبَثَّهَا⁽²⁾، وَأَمَدَّهُ بِتَمْشِيَةِ
النَّصَائِحِ فَبَثَّهَا⁽³⁾. فَلَا مَضْرَإَ إِلَّا وَقَدْ تَبَلَّجَ إِنْارَةً، وَتَأَرَّجَ عَطَارَةً، وَلَا فِتْنَةً إِلَّا وَقَدْ وَجَدَتْ
تَمْنِيَهَا، وَفَقَدَتْ بِالنَّظَرِ الْأَصْلَحَ تَعْنِيَهَا؛ مَدَّ اللَّهُ لِلْجَمِيعِ ظِلَالَ الْحَضْرَةِ الْعُلْيَا، وَوَصَلَ
لِلْكَافَةِ بَقَاءَهَا الَّذِي هُوَ عِزُّ الدِّينِ وَبَهْجَةُ الدُّنْيَا.

وَقَدْ وَصَلَتْ لِلْعَبْدِ الْمِنَّةُ الْعُظْمَىٰ، وَالْمِنَّةُ الَّتِي لَيْسَتْ وَرَاءَهَا لِأَمَلٍ مِنْ آمَالِ الدُّنْيَا
مَرْمَىٰ⁽⁴⁾؛ فَتَمَمَّتِ الْأَيْدِي الْمُتَقَدِّمَةُ، وَجَدَّدَتِ الْمَوَاهِبَ الْمُتَصَرِّمَةُ؛ وَكَانَتْ كَالطَّلِّ

(1) في الأصل: «أمانهم».

(2) في الأصل: «فبثها».

(3) في الأصل: «فبثها». نت الشيء: نشره وأفشاه. قال الشاعر:

إِذَا جَاوَزَ الْإِنْسَانُ سِرًّا فَإِنَّهُ بَنَتْ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَوْمِينَ

(4) في الأصل: «مري».



الْمُنْسَكِبَ بَعْدَ ظَلَالٍ، وَالظِّلَّ الْمُنْسَجِبِ فَوْقَ ظَلَالٍ، فَمَدَّ الْعَبْدُ إِلَيْهَا يَدًا مَلَأَتْهَا الْمِنْنُ، وَأَحَالَ فِي شُكْرِهَا لِسَانًا أَنْطَقَهُ الصَّنْعُ الْحَسَنُ، وَأَعَدَّ لِمَوْقِعِهَا قَلْبًا تَشَرَّفَ بِطُلُولِهَا هُوَ وَالْبَدَنُ، وَلَمْ تَبْقَ لَهُ جَارِحَةٌ⁽¹⁾ إِلَّا اسْتَجَدَّتْ عَزْمَةً فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ، وَلَا جَانِحَةٌ⁽²⁾ إِلَّا اسْتَعَدَّتْ هِمَّةً لِمُسْتَقْبَلِ الْخِدْمَةِ؛ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ لَوْ أَبَانَ⁽³⁾، بِمَقُولِ سَحْبَانَ⁽⁴⁾ لَقَصَّرَ عَنِ الْحَدِّ، وَلَمَا كَانَ إِلَّا سُكِّنَتْ حَلَبَةُ الْحَمْدِ؛ بِخُرِّ الْمِنْنِ الْإِمَامِيَّةِ مَنْ حَاوَلَ قَطْعَهُ سَبْحًا، لَقِيَ بَرْحًا، وَمَنْ تَعَاطَى اسْتِنْفَادَهُ عَبًّا، رَكِبَ مَرْكَبًا صَغْبًا، وَحَسَبُ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ اسْتِكْدَادَ طَبْعِهَا، وَاسْتِنْفَادَ جَهْدِهَا وَوُسْعِهَا. ثُمَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمَفْرَعُ فِي مُكَافَأَةِ مَقَامٍ لَا يُكَافِيهِ سِوَاهُ، وَلَا يُؤْمَلُ لِمُجَازَاةِ نِعْمَاهُ إِلَّا رُحْمَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ أَيَادِي الْمَقَامِ قَدْ أَكْمَلَتْ الرِّغَائِبَ، وَشَمَلَتْ الْحَاضِرَ وَالْغَائِبَ، فَالْعَبْدُ أَرْحَبُهُمْ مَذَاهِبَ مَوَاهِبَ، وَأَمْرُهُمْ مَسَارِحَ مَنَائِحَ، كَمَا أَنَّهُ أَصْدَقُ الْعَبِيدِ ظَاهِرًا فِي الشُّكْرِ وَأَخْلَصُهُمْ ضَمِيرًا، وَأَمْدُهُمْ فِي الْخِدْمَةِ بَاعًا وَأَشَدُّهُمْ تَشْمِيرًا؛ جَازَى اللَّهُ عَنْهُ الْمَقَامَ أَفْضَلَ مَا جَازَى بِهِ مَقَامًا شَرَفَ بِالِاسْتِخْدَامِ، وَتَعَهَّدَ بِالْمِنْنِ الْفَرَادَى وَالتُّؤَامِ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُدِيمَ لِلْمَقَامِ أَفْضَلَ مَا عَوَّدَهُ، وَيَصِلَ لَهُ وَعَلَى يَدَيْهِ مَنْصُورِ الْعَزْمِ وَمُؤَيَّدَهُ، وَيَعْرِفَهُ عَلَى الدَّوَامِ فَتَحًا يُعْلِي كَعْبَ الْإِسْلَامِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ، بِمَنَّهُ.

وَكَتَبَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ:

السَّيِّدُ أَبُو فَلَانٍ أَدَامَ اللَّهُ مَجْدَهُ جَدِيدَ الْمَعَالِمِ، وَوَصَلَ سَعْدَهُ حَدِيدَ الصَّوَارِمِ؛ أَخُوهُ السَّابِقُ فِي مِضْمَارِ وُدِّهِ، الْمُتَطَابِقُ الْحَالِ وَالْمَقَالِ فِي الْإِفْصَاحِ بِحَمْدِهِ، الْبَرُّ بِهِ الْمُجَلُّ

(1) فِي الْأَصْلِ: «جَارِحَةٌ».

(2) فِي الْأَصْلِ: «مَانِحَةٌ».

(3) فِي الْأَصْلِ: «لَوْ أَبَانَ».

(4) سَحْبَانَ: مِنْ أَشْهُرِ خُطَبَاءِ الْعَرَبِ وَأَفْصَحِهِمْ، وَيَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَيَانِ. إِذْ يُقَالُ: «أَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانَ»، وَسَحْبَانَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ:

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ: أَمَا بَعْدُ أَنَّنِي خَطِيبُهَا

انظر: الدررة الفاخرة، ص: 91.



لَهُ لِعِظَمِ حَقِّهِ وَكَرَمِ عَهْدِهِ، الْمُتَرَقِّبُ لِمَا يُنْفُسُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَرْوِّحُ عَنْ رُوحِهِ مِنْ نَبَأٍ سَارٍّ، مِنْ عِنْدِهِ فَلَانٌ.

أَمَّا بَعْدُ فَكُتِبَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مَجْدًا لَا تَهِي أَرْكَانُهُ، وَسَعْدًا لَا يَنْتَهِي إِمْكَانُهُ؛ وَالْطَّافُ
اللَّهُ تَعَالَى مُتَّصِلُهُ الْوُفُودُ، طَالِعَةُ بِمَعْنَاهُ الْفَضْلُ وَالْجُودُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
حَمْدًا لَا زَالَتْ بِهِ دَيْمُ النِّعَمِ ثَرَّةٌ تَجُودُ، وَلَا تَبْرَحُ مَعَهُ قِسْمُ الْعِصَمِ كُلَّمَا وَلَّتْ تَعُودُ،
وَالَّذِي يَتَعَيَّنُ لِجَانِبِكَ مِنَ التَّكْرِيمِ، وَلَوْاجِبِكَ مِنَ التَّقْدِيمِ، سَنَنْ أَسْلُكُهُ مُتَدَيِّنًا، وَدَيِّدُنْ
أَعْتَقْدُهُ فَرَضًا مُتَعَيِّنًا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهَا أُخُوَّةَ كَرِيمَةِ الْأَوَاصِرِ، سَلِيمَةَ الْبَوَاطِينِ
وَالظَّوَاهِرِ، لَا تُؤَيِّسُ⁽¹⁾ النَّوَى ثَرَاهَا، وَلَا يَطْوِي الزُّرُوحَ مَغْدَاهَا وَمَسْرَاهَا؛ وَقَدْ عَلِمْتَ
أَنَّ النَّفْسَ بِأَنْبَائِكَ مُتَوَلِّعَةً، وَإِلَى مَا يَتَزَيَّدُ بِأَرْجَائِكَ مُتَطَلِّعَةً، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ أَوْثَرُ مِنْكَ
التَّعْرِيفُ بِمَالِ الْحَرَكَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلْتَهَا، وَأَحْوَالِ الْجِهَةِ الَّتِي اسْتَقْبَلْتَهَا؛ فَإِنِّي مُذْ
انْفِصَالِكَ عَنْ فَلَانَةٍ إِلَى إِيَابِكَ إِلَيْهَا لَمْ أَزَلْ أَسْتَبْطِئُ الرَّوَاحِلَ، وَأَسْتَطِيلُ الْمَرَاحِلَ،
وَأَنْتَظِرُ بِمَا يَسُرُّكَ وَيَسُرُّ عَنْكَ الْإِيَابَ الْعَاجِلَ، إِلَى أَنْ اسْتَفَاضَ إِيَابُكَ عَلَى الْإِجْمَالِ،
وَبَقِيَ الْمَوْجِبُ لَهُ تَحْتَ احْتِمَالٍ، فَمِنْ قَائِلٍ خَيْرًا وَقَائِلٍ ضِدَّهُ، وَكُلٌّ بِحَسَبِ الْهَوَى
الْغَالِبِ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ؛ وَفِي النَّوَى يَكْذُبُكَ الْصَادِقُ، وَيَخُونُكَ الْأَصَادِقُ، وَلَمْ أَرْ لِدَفْعِ
هَذَا الْإِنْهَامِ، وَقَطَعَ أَطْبَاعَ أَهْلِ أَنْهَامٍ، إِلَّا الْبِدَارَ بِخَطَابِكَ، وَالْإِنْتِظَارَ لِجَوَابِكَ؛ وَأَنْتَ
تَعْرِفُ سَبَبَ سُرْعَةِ الْمُنْقَلَبِ وَتُبَشِّرُ بِمَرْجُو الظَّفَرِ وَمَأْمُولِ الْغَلَبِ، وَتُشْرِفُ عَلَى الْوَفَاءِ
بِمَا سَفَرَتْ عَنْهُ تِلْكَ السَّفَرَةُ، وَأَنْتَجَتْهُ مُقَدِّمَاتُ السَّنَانِ وَالسَّفَرَةُ، وَتُهْدِي ذَلِكَ إِلَى مَنْ
يُشْرِكُ فِي نَعِيمِ الْأَوْقَاتِ وَبُؤْسِهَا وَيَلْقَى كُلَّ حَالَةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ بَلْبُوسِهَا. وَالَّذِي بَيْنَنَا
مِنْ تَلَاصِقِ الْاِسْتِيبَاكِ، يَقْضِي بِتَطَابُقِ الْاِسْتِيرَاكِ، وَتَرْجُو اللَّهُ تَعَالَى لَوْصُولِ كِتَابِكَ
الْأَثِيرِ، مُتَقَدِّمًا⁽²⁾ بِالْبَشِيرِ، نَاطِقًا بِنُجْحِ ذَلِكَ الْمَسِيرِ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَسِيرٍ؛ وَهُوَ
سُبْحَانَهُ يُبْقِيكَ وَصُدُورُ الصُّدُورِ عَلَى حُبِّكَ مُنْطَبِقَةً، وَالسِّنَةُ الْجُمْهُورِ فِي شُكْرِكَ

(1) هذه لغة في «يش» ولعلها هي الأصل، فقد وقع القلب في كلمة «أيس» فأصبحت «يش».

(2) في الأصل: «متق».



وَجَمِيل ذِكْرِكَ مُتَّفَقَةٌ، وَحَرَكَاتُكَ وَسَكَنَاتُكَ فِي سِلْكِ الْمَصْلَحَةِ مُنْتَظِمَةٌ مُتَّسِقَةٌ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكَتَبَ بِرَغْبَةِ إِنْسَانٍ:

وَبِقُمْرِ غَزْوَتِكَ الْبَعِيدَةِ	أَهْلًا بِغُرَّتِكَ السَّعِيدَةِ
شَمِيمِ الطَّرِيفَةِ وَالتَّلِيدَةِ	وَبِمَا خُصِّصْتَ بِهِ مِنْ أَلْ
فَةِ نِسْبَةِ الشَّرَفِ الْمَجِيدَةِ	يَابَنِ الْإِمَامَةِ وَالْخَلِي
مِنْ الْعَرِضَةِ وَالْمَدِيدَةِ	وَأَخَا النَّدَى وَالْبَاسِ وَال
قَامَتْ بِهَا نَفْسٌ جَلِيدَةٍ	لَكَ فِي الْجِهَادِ مَزِيدَةٍ
وَوَطْأَتْهُ شَدِيدَةٍ	وَنَكَايَةٍ ذُلَّ الْعَدُوُّ لَهَا
لَ الْغَزْوِ آرَاءَ سَدِيدَةٍ	قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ قَبْ
قَطَعْتَ بِهَا وَرِيدَةٍ	وَأَزَلْتَ إِفْرِيقِيَّةَ قَطْعَا
بِكَرَّتِكَ الْمُيِّدَةِ	وَتَرَكْتَهُ مُتَرْقِبًا بِأَسَا
وَالسَّعْدُ يُقْضَى أَنْ تَصِيدَهُ	صَادَ الْكُمَاةَ مُخَاتِلًا
لَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ الْمَكِيدَةُ	وَلَكُمْ أَعَدَّ مَكِيدَةً
بَدَأْتُ، وَسَوْفَ تُرَى مُعِيدَةُ	قَدْ ذَاقَ حَطْمَةَ عَزْمَةٍ
ظِ قُصُورُهُ أَنْفَاً وَغِيدَةُ	أَثَارَ مِنْ هَجَرِ الْحَفَا
حَرِّ الْوَعَى سَيِّمَا الْقَعِيدَةِ	وَرَأَى عَلَى الْقَعْدِيِّ عَن
صَارَ الْهَزْبُ لَهْ طَرِيدَةٍ	يَا ضَيِّعَ الْحَرْبِ الَّذِي
أَوْدَتْ بِهَا مِحْنُ عَتِيدَةٍ	أَحْيَيْتَ تُوسَّ بَعْدَمَا
وَبِصْدَقِ وَعْدِكُمْ وَعِيدَةٍ	وَمَحَوْتَ إِذْ كَلَبَ الْعَدُوُّ
دَبْجُودَ رَاخَتِكَ الْمَجِيدَةِ	وَتَرَكْتَهَا كَالرَّوْضِ جِي



بِإِدَمِ الْعُلَا حَلَّيْتُ جِيدَهُ
وَصَارِمِ صَافِي الْحَدِيدَهُ
دَدُرُوسِهَا بِكُمْ مَشِيدَهُ
فَكَأَنَّهَا بِكَ مُسْتَفِيدَهُ
تِيهًا فَهَاهِي كَالْخَرِيدَهُ
م، وَلَا عَمِيدَ لَهُ عَمِيدَهُ
لِ مِنْ الْأَيْمَةِ وَابْنِ سِيدَهُ⁽²⁾
ءِ أَبَا الْعَلَاءِ⁽³⁾ وَعَمَرْتُ يِيدَهُ
مَأْمُونَةً بِكَ بَلْ رَشِيدَهُ
تَ مَلُوكُهُ وَيَعْدُ صِيدَهُ
فَ لَمَحَةٍ فَانْظُرْ حَفِيدَهُ
فَتَةِ الْمُحِبَّةِ وَالْعَنِيدَهُ
وَعَلَى الْأَعَادِي كَالْهَيْدَهُ⁽⁴⁾
دَةَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فَقِيدَهُ
مَلِكًا لَهُمْ وَعُدُّوا عِيدَهُ
م وَشِبْهَهُ، مِنِّْي فَصِيدَهُ
إِمْلَاءَ وَضَفِكَ مُسْتَفِيدَهُ

يُنْزِي عَلَيكَ مُسَوِّمَ
وَمَقْصُومَ لَذَنِ الْمَهْزُ
وَعَدْتُ⁽¹⁾ رُسُومَ الدِّينِ بَع
نَفَقْتُ مِنْ سُوقِ التَّقَى
وَاخْتَالَتِ الدُّنْيَا بِكُمْ
وَعَدُوتَ فِي دَسَّتِ الْعُلُو
وَنَشَرْتُ مَا بَيْنَ الْخَلِي
شَيْدَتْ أَرْجَاءَ الْعَلَا
الْمَلِكِ نَاسِ ذِكْرُهُ
إِنِّي بَعِيدٌ وَأَنْتَ أَنْ
وَإِذَا أَرَدْتُ مِنَ الْخَلِي
مَلِكٌ لَهُ طَعْمَانٍ لَل
هُوَ لِلْمُسَالِمِ شُهُدَةً
وُجِدْتُ بِهِ شَيْمُ السِّيَا
يَهْزِي الْأَكْوَارِمَ إِنْ غَدَا
وَالْيَكْ، يَنْجَلِ الْإِمَا
حَسُنْتُ وَلَمْ لَا وَهِيَ مِنْ

(1) في الأصل: «وعدت».

(2) يقصد بالخليل: الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب: «العين» ومؤسس علم العروض. أما ابن سيدة فهو العالم اللغوي المشهور صاحب كتاب: «المُخَصَّص».

(3) في الأصل: «أن يستريده».

(4) الهيدة: الحنظل وقيل حبه وتجمع على هبيد.



إِنْ شَاءَ مَجْبُولِ الضَّمِي
دَاعٍ لِمُلْكِكَ بِالْأَدْوَا
فَبَقَاءِ مُلْكِكَ مُؤْذِنٌ
أَنَا وَاحِدٌ فِي نَشْرِ مَا
قَدْ صَارَ شُكْرُكُمْ لَدَيَّ
يَبْلَى الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ
وَأَفَى الْبَشِيرُ بِقُرْبِكُمْ
وَوَهْبَتُهُ نَفْسِي وَمِنْ
فَلْيُهْنِكِ الْعَيْدُ السَّعِي
وَأَخْلَدَ لِمُلْكِكَ لَا تَزَا
وَالسَّعْدُ يُنْشِدُ دَائِبًا
رَعْلَى مَحَبَّتِكَ الْوَكِيدَ
مِ، وَحَظُّهُ أَنْ يَسْتَزِيدَهُ⁽¹⁾
بِبَقَاءِ غُضْبَتِكَ الْمُرِيدَ
تَطْوِي سَيَادَتِكَ الْوَحِيدَ
سَجِيَّةً لَا بَلَّ عَقِيدَ
وَمَحَبَّتِي أَبَدًا جَدِيدَ
فَسَجَدْتُ مَرَّاتٍ عَدِيدَ
حَقِّ الْبَشَارَةِ أَنْ أَرِيدَ
دُ وَيُهْنِهِ، إِنْ كُنْتَ عِيدَ
لُ فَرِيدَ بَهْجَتِهِ الْفَرِيدَ
أَهْلًا بَعْرَتِكَ السَّعِيدَ

حَضْرَةَ السَّيِّدِ الْأَرْزَاقِ الْأَجَلِّ، وَعَلِمَ الْعَقْدِ فِي هَذَا الْعَصْرِ وَالْحَلِّ، وَتَارِكِ الْعَدُوِّ
مُحَامِيًا بِالْحَدِّ الْأَقْلِ أَوْيَا إِلَى الْعَدَدِ الْأَقْلِ، فِي ذُرَى الشَّيْمِ الْجَمِيلَةِ، وَالْمِنْنِ الْجَزِيلَةِ،
وَالْهَمَةِ السَّامِيَةِ إِلَى نَيْلِ كُلِّ مَنْقَبَةٍ وَإِحْرَازِ كُلِّ فَضِيلَةٍ؛ أَعْلَى اللَّهِ يَدُهُ وَعَصْدَدَهَا، وَأَقَامَ
بِعَدْلِهِ مِثْلَ الْمَكَارِمِ وَأَوْدَدَهَا، وَأَمْتَعَ بِبَقَائِهِ الْكَافَّةَ فَقَدْ اسْتَرْقَهَا بِالْإِحْسَانِ وَاسْتَعْبَدَهَا.

عَبْدُ حَضْرَتِهِ السَّامِيَةِ، وَشَاكِرُ أَيْادِهِ الْهَامِيَةِ، الْمُنْطَوِي عَلَى كَمَدٍ إِلَى تَقْبِيلِ كَفِّهِ
الْعَالِيَةِ، فَلَا نَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فَكَتَبْتُهُ كَتَبَ اللَّهُ لِلْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ أَسْنَى الْمَوَاهِبِ، وَأَزْبَابًا بِالْفَتْحِ الْآتِي عَلَى الْفَتْحِ
الذَّاهِبِ، وَلَا أَعْدَمَهَا لِتَحْمِلِهِ غَرْبَ الْقَنَا وَنَوَاصِي السَّلَاحِ؛ وَلَا جَدِيدَ بَعْدِ الْإِعْتِرَافِ
بِمِنْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَاللُّطْفِ الَّذِي لَا أَزَالُ أَرَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مَكَانَهُ، إِلَّا مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ

(1) في الأصل: «أن يستزیده».



بِرِّ ذَلِكُمُ الْجَنَابِ الْأَرْفَعِ، وَشُكْرِ إِحْسَانِهِ الْأَنْجَعِ، وَالْقَوْلِ بِكَمَالِهِ الْجَائِزِ أَمَدِي
الْمَرْأَى وَالْمَسْمُوعِ؛ فَهُوَ حَضْرَةٌ كَمَالٍ، وَقِبْلَةُ أَمَالٍ وَجَاهُ وَمَالٍ، لِمَنْ لَيْسَ بِذِي جَاهٍ وَلَا
مَالٍ، أَقَامَهَا اللَّهُ لِلْفُقَرَاءِ عِلْمًا يَقْصِدُونَهُ، وَيَمْحُونَ بِأَنْسِ رُؤْيَيْهِ الْوَحْشَةَ الْمُعْتَزَّةَ
دُونَهُ، فَأَجْيَاذُهُمْ حَالِيَّةٌ بِنْدَاهَا، وَخَوَاطِرُهُمْ عَلَى كَثَرَتِهَا لَا تَتَعَدَّاهَا، وَلَهَا مِنْ دَعَوَاتِهِمْ
الْخَالِصَةِ الْحَظُّ الْأَجْزَلُ، وَالْقِسْمُ الَّذِي يَحُلُّ مَحَلَّ الْبِدَايَةِ وَيُنْزَلُ، ذَلِكَ لِنِسْبَةِ التَّقْوَى
الَّتِي اكْتَسَبَهَا وَمُجَاهَدَاتِهِ الَّتِي أَخْلَصَهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَاحْتَسَبَهَا، وَانْجَذَابِهِ بِطَبْعِهِ الْفَاضِلِ
إِلَى مُمَارَاةِ الْفُقَرَاءِ، وَسُمْوِهِ بِهِمَّتِهِ عَنْ مُلْكِ الْأَرْضِ إِلَى مَلَكُوتِ⁽¹⁾ السَّمَاءِ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُمَتِّعُ عُلَاهُ بِحُلَاهُ، وَيَجْمَعُ لَهُ خَيْرَ أُخْرَاهُ وَأَوْلَاهُ، وَمَا أَحَقَّهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَأَمْثَالِهِ
وَمَا أَوْلَاهُ.

وَلَمَّا يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَتَكُمْ السَّعِيدَةَ، وَغَزَوَتْكُمْ الَّتِي تَرَكْتَ الْجِهَاتِ الْإِفْرِيقِيَّةَ
غَضَةً جَدِيدَةً⁽²⁾، وَحَرَّكَتْكُمْ بَوَاعِثُ الْإِشْفَاقِ وَالذِّينِ، لِجَبْرِ⁽³⁾ أَهْلِهَا الْمُضْطَهَّدِينَ، لَمْ
يَزَلِ الْعَبْدُ بَاسِطًا يَدَ الدُّعَاءِ، مُسْتَشْفِعًا بِمَنْ يُرْجَى كَوْنُهُ مِنَ الشُّفَعَاءِ، مُسْتَدِيمًا
لِلْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ دَوَامَ الْعُلَا وَالْبَقَاءِ، وَالِإِمْتِنَاعِ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ مَقَامِ الْإِتْقَاءِ، مُسْتَوْهَبًا لَهُ
الْأَوَّلِيَّةُ بِمَسَارِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَسَاءَتِ الْأَعْدَاءِ، مُسْتَفْهِمًا جَوَابَ التَّنَائِفِ، وَرِكَابَ اللَّجِّ
الْمُتَقَاذِفِ، سَائِلًا سُؤَالَ الْمُشْفِقِ الْخَائِفِ، مُتَنَسِّمًا نَسِيمَ الْإِيَابِ، مُتَمَلِّمًا لِحَرْقِ
الْغَيْبَةِ وَالْإِغْبَابِ، إِلَى أَنْ وَافَى الْبَشِيرِ، وَالْأَكْفُفُ إِلَيْهِ تُشِيرُ، فَأَهْدَى إِلَى النَّفْسِ شِفَاهَا،
وَقَدْ قَارَبَتْ أَشْفَاهَا، وَأُورِدَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَسَرَّةِ كِفَاءَهَا⁽⁴⁾، وَقَدْ شَارَفَتْ انْكِفَاءَهَا،
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةٍ وَأَيِّ نِعْمَةٍ، وَخُرُوجِ إِلَى فُسْحَةٍ مِنْ غَمَّةٍ، وَسَلَامَةِ مُلْكٍ تَمْلِكُهُ
الْبَاسُ وَالْجُودُ، وَتَوَرِّطَ طَائِقٍ مَعْنَاهُ مِنْهُ حِسُّ هَذَا الْوُجُودِ. وَأَمَّا الْعَبْدُ -خُصُوصًا- فَلَوْ

(1) في الأصل: «ملكوت».

(2) في الأصل: «غضت حديده».

(3) في الأصل: «بحير».

(4) في الأصل: «كفاها».



يَسْتَطِيعُ لَطَارَ، وَفَارَقَ هَذِهِ الْأَقْطَارَ، فَبَقَاؤُهُ لَا يَقْبَلُ الْكَفَّ الْعُلْيَا، مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا،
وَهُوَ يَنْتَظِرُ حَالًا تُسْعِدُهُ، وَأَفْدَارًا تَعْتَلِقُ بِهَا يَدُهُ، فَيَصِلُ التَّأْوِيبَ بِالسَّرَى، فَيَوْمُ حَضْرَةِ
الْمَلِكِ الْأَسْنَى الْأَسْرَى، فَيَرَى الْفَضَائِلَ مَجْمُوعَةً شَخْصًا، وَيَسْمَعُ مَنَقُولَاتِ
الْمَحَامِدِ نَصًّا، وَيَظْفَرُ بِمَقَامٍ يَزِيدُ مَرَاهُ الْبَصِيرَةَ صِقَالًا، وَيُكْسِبُهَا تَدَرُّجًا فِي مَرَايِي
السُّلُوكِ وَانْتِقَالًا، وَيَحُطُّ عَنْ ظَهْرِهِ مِنْ أَلَمِ الْغَيْبَةِ عَنْ تِلْكَ الْحَضْرَةِ أَعْبَاءً ثِقَالًا.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْقِي السَّيِّدَ الْأَجَلَ فِي مَنَحٍ تَتَسَقُّ دُرَرُهَا وَمَعَالٍ تَأْتَلِقُ غُرُرُهَا، وَلَا
يُعِدُّهَا سَعَادَةً تَكُونُ عَلَى النُّجْحِ مَوْرِدُهَا وَإِلَى الْفَتْحِ مَصْدَرُهَا؛ بِمَنْه.



الملحق:

**رسائل أخرى للبلوي الموجودة في مخطوط
المنوني**



وَمِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَلَوِيِّ مِمَّا كَتَبَهُ عَنْ وَالِي إِشْبِيلِيَّةَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْحَضْرَةِ:

الْحَضْرَةُ الْعَلِيَّةُ الْإِمَامِيَّةُ الْمُعَظَّمَةُ الْمُكْرَمَةُ الْقُدْسِيَّةُ، الْمُؤَيَّدَةُ الْمَنْصُورَةُ الزَّكِيَّةُ، مَطْلَعُ الْأَنْوَارِ السَّامِيَّةِ، وَمَنْشَأُ الْخَيْرَاتِ النَّامِيَّةِ، وَمَثَابَةُ الْبَرَكَاتِ الْهَامِيَّةِ. أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهَا، وَحَرَسَ جَلَالَهَا، كَمَا مَدَّ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ظِلَالَهَا، وَوَصَلَ لَهَا مَا عَوَّدَهَا مِنْ عُلُوِّ الْمَقَامِ، وَنَصَرَ الْأَعْلَامِ، كَمَا أَعْلَى بِهَا كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، وَعَرَفَهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَاسْتَقْبَالَ عَوَارِفَ الْمَسَرَّاتِ وَالْبَشَرِ، كَمَا أَفَاضَ أَنْوَارَ عَزْلِيَّهَا وَإِحْسَانِيَّهَا عَلَى الْبَشَرِ.

عَبْدُ مَقَامِهَا، وَمَمْلُوكُ أَنْسَامِهَا، الْمُحَافِظُ عَلَى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ مِنْ حُقُوقِ إِعْظَامِهَا، الْوَاعِي بِمُضَاعَفَةِ سُعُودِهَا وَدَوَامِ أَيَّامِهَا، إِبْرَاهِيمُ: سَلَامٌ كَرِيمٌ، طَيِّبٌ مُبَارَكٌ عَمِيمٌ، يَخُصُّ مَقَامَهَا الْأَسْنَى، الْمَخْصُوصِ بِالْحُسْنَى، كَثِيرًا وَرَحْمَةً اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ؛ فَكَتَبَ عَبْدُ إِحْسَانِيَّهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عُلُوُّ الْمِقْدَارِ، وَمُطَاوَعَةُ الْأَقْدَارِ، وَنَجَاحُ الْإِيرَادِ فِي كُلِّ مَقْصُودٍ وَالْإِضْدارِ، وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَيْدَهَا اللَّهُ عَمِيمَةً عَلَى الْعِبَادِ بِأَنْسِكَابِ غَمَامِهَا، وَسَعَادَتُهَا كَفِيلَةً بِمَصَالِحِ الْبِلَادِ بِكَمَالِهَا وَتَمَامِهَا، وَأَيَّامُهَا السَّعِيدَةُ تَرُوقُ الْأُمَّةَ بِإِفْتِرَارِهَا عَنْ نُغُورِ الشُّرُورِ وَانْتِسَامِهَا، وَنِعْمُهَا الْمُتَوَالِيَّةُ -شَكَرَهَا اللَّهُ- تَسْتَغْرِقُ حَمْدَ الْحَامِدِينَ وَشُكْرَ الشَّاكِرِينَ بِتَرَادُفِهَا وَتَضَاعُفِ أَفْسَامِهَا، وَلِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرُ الَّذِي يَقْضِي بِمَزِيدِ النِّعَمِ وَدَوَامِهَا؛ وَأَحْوَالُ هَذِهِ الْجِهَاتِ -وَصَلَ اللَّهُ تَأْيِيدَ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ- جَارِيَةٌ مِنَ الصَّلَاحِ الشَّامِلِ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ الْبَرَكَاتُ الْإِمَامِيَّةُ؛ فَالْبَلَدُ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- فِي تَمْهِيدٍ وَسُكُونٍ، وَالرَّعِيَّةُ فِي اسْتِبْشَارٍ وَهُدُونٍ، وَالْمَصَالِحُ مُنْتَظِمَةٌ، وَالْأَنْوَاعُ وَالْفُنُونُ؛ وَسَعَادَةُ الْخِلَافَةِ الْمُبَارَكَةِ قَدْ اتَّضَحَ دَلِيلُهَا، وَاسْتَبَانَ جَلِيلُهَا، لِلْقُلُوبِ وَالْعُيُونِ، فَسَحَابُ النِّعَمِ بِهَا عَلَى الْبِلَادِ تَصُوبُ، وَثَمَرَاتُ الْمَصَالِحِ بِهَا لِلْعِبَادِ تَطْيِبُ، وَشَمْسُ الْبَهْجَةِ وَالْمَسَرَّةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَشْرُقُ وَلَا تَغِيبُ. وَأَمَّا الزَّرْعُ فَالْأَمَالُ بِكَثْرَتِهِ وَصَلَاحِهِ فِي هَذَا الْعَامِ مَبْسُوطَةٌ، وَهَذِهِ الْجِهَاتُ فِيمَا أَعْطَاهَا اللَّهُ مِنْهُ مَغْبُوطَةٌ؛ فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا قَدْ بَذَلُوا مِنَ الْإِزْدِرَاعِ فِي الثُّغُورِ وَغَيْرِهَا جُهِدَهُمْ، وَأَنْفَقُوا فِيهِ مُتَنَافِسِينَ مَا عَزَّ وَهَانَ عِنْدَهُمْ، وَوَقَفُوا مِنَ السَّعَادَةِ



الإمامة بما يسوؤهم بفضل الله أمنهم وينجح لهم قصادهم؛ فامتلاً به البسيط غوراً ونجداً، واتسع الأمل فيه للمسلمين جداً، ودرت عليه أخلاف السحاب، بجميل صنع العزيز الوهاب، فقرت العيون بحسن صفاته، وامتدت الأيدي ضارعة إلى الله في أن يخلصه للمسلمين من جميع آفاته. وذلك كله -والحمد لله- ببركة الخلافة الميمونة أدام الله أيامها، وحرس مقامها، فببركتها يؤمن الله البرية، ويصلح نظامها، ويسعادتها يسعد الله الرعية ويسر مرامها. وبعد:

وصل الله للحضرة الإمامية ما عودها من النصر والتمكين، وأنجز لها ما وعداها من الفتح المبين. فإن الله سبحانه بما له بها من العناية المطردة العادة، الجارية على وفق السعادة، لا يزال يسبب لها أسباب المسرة تسبيهاً، ويُسبب لها على النصر تشبيهاً، ويسمعه من غرائب التكيف وبدائع الصنع اللطيف⁽¹⁾ عجيباً فعجيباً.

ومن ذلك وصل الله إعلاء أمرها، وإعزاز نصرها، كما باهى العصور بسعادة عصرها، أن الواردين من الثغور في هذه الأيام قد كانوا يتقولون بارتباط صلح بين النصرائين -خاتهما الله- صاحب قشتالة وصاحب ليون [وأمر] الله في نقض عزائمهما الحبيثة بين الكاف والنون، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽²⁾.

وردد الآن على العبد كتاب المقدّم بماردة⁽³⁾ يذكر أن ابن صاحب ليون وابن صاحب قشتالة اجتمعاً وقعداً في موضع واحد، فظهر لكل واحد منهما من الآخر ما يظهر من المُبغض الشاني، وادعى كل واحد منهما الشفوف لنفسه ولأبيه على الثاني. ثم آل بهما التفاخر إلى أن تلاطما، وارتفع بينهما عباب الشقاق وطما، وانتصر لكل واحد منهما فريقه الحاضرون فاقتتل الفريقان للحين والحين، وعجل الله من

(1) في الأصل: «اللطيف».

(2) سورة يس، الآية: 81.

(3) ماردة: مدينة أندلسية تقع بجوف قرطبة وتميل إلى الغرب قليلاً. الروض المعطار، ص: 518.



أَرْوَاحِهِمْ إِلَى النَّارِ بَنَحَوْهُ خَمْسِينَ؛ وَهَذِهِ مَسْرَّةٌ كَبِيرَةٌ، وَدَاعِيَةٌ مُبِيدَةٌ لَجَمْعِهِمَا الدَّيْمِ -
بِفَضْلِ اللَّهِ - وَمُيِيرُهُ، تُنْتِجُ بِفَضْلِ اللَّهِ مَسَرَّاتٍ كَثِيرَةً، وَالْمَسَرَّاتُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - بَبَرَكَةِ
الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - تَنَسَّاقُ فِي أَحْسَنِ نِظَامٍ، وَتَتَقَادُّ فِي أَسْمَحٍ ⁽¹⁾ زِمَامٍ. وَاللَّهُ
يُؤَالِي مِنْهَا مَا يَقْضِي بِذِلَّةِ الْكُفْرِ وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَيُطْلِعُ مِنْ أَنْبَائِهَا الْمُبَشِّرَاتِ مَا تَهَلَّلُ
بِهِ أَسْرَةُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَتَخْطُبُ بِهِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنَامِلِ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ، وَيُطِيلُ بَقَاءَ
الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مَنْصُورَةَ الْأَعْلَامِ، مَضْنُوعًا لَهَا الصَّنْعُ الْجَمِيلُ فِي كُلِّ مَرَامٍ، وَيَجْعَلُ
دَعْوَتَهَا رَاقِيَةً، وَكَلِمَتَهَا بَاقِيَةً، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ إِنَّهُ وَلِيُّ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ.
وَكَتَبَ أَيْضًا:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْقُدْسِيَّةُ الْمُؤَيَّدَةُ الْمَنْصُورَةُ الْعَلِيَّةُ. خَلَدَ اللَّهُ أَيَّامَهَا، وَنَصَرَ أَنْصَارَهَا
وَأَعْلَى أَعْلَامَهَا، وَوَصَلَ إِعْلَاءَهَا وَإِظْهَارَهَا وَإِعْظَامَهَا، وَأَمَدَّ بِمَوَادِّ التَّمَكِينِ وَالْفَتْحِ
الْمُبِينِ مَقَامَهَا، وَأَجْرَى عَلَى مَا يُقَرُّ عُيُونَ الْبَشَرِ وَيَقْضِي بِالْمَسَرَّاتِ وَالْبَشْرِ أُمُورَهَا
كُلَّهَا وَأَحْكَامَهَا. عَبْدُهَا الطَّائِفُ بِحَرَمِ جَلَالِهَا، الْعَاكِفُ فِي مُعْتَصِمِ طَلَالِهَا، الْعَارِفُ
بِحَقِّ مَا تَعَهَّدَهُ مِنْ كَرِيمِ الْفَاتِيهَا وَشَرِيفِ اهْتِبَالِهَا، الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي شُكْرِ مَا غَمَرَهُ مِنْ
صَفْوِ نِعَمِهِ الْعَمِيمَةِ وَزُلَّالِهَا، الدَّاعِي بِحِرَاسَةِ مَا مَلَأَ الْأَرْضَ نُورًا وَالْقُلُوبَ سُورًا مِنْ
كَمَالِهَا وَجَمَالِهَا، الْمُعْتَصِمُ بِرَفِيعِ سَنَدِهَا وَمَتِينِ حِبَالِهَا؛ عَبْدُهَا إِبْرَاهِيمُ:

سَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ، الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْعَمِيمِ، يَخُصُّ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ الْمُؤَيَّدَةَ
الْمُكْرَمَةَ الْعَالِيَةَ الْمُمَجَّدَةَ كَثِيرًا أَثِيرًا وَرَحْمَةً اللَّهُ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ. وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الْعَمِيمِ
عَلَى آلَائِهِ الْعَمِيمَةِ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ؛ فَكَتَبَ عَبْدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْعَلِيَّةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا
مَا عَوَّدَهَا مِنْ أَطْرَادِ السُّعُودِ، وَازْدِيَادِ السُّمُوفِ فِي كُلِّ مُسْتَقْبَلٍ وَالصُّعُودِ، وَأَنْجَزَ لَهَا فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَا عَوَّدَهَا بِهِ مِنْ كَرِيمِ الْوُعُودِ. وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -
أَعَزَّهَا اللَّهُ - مُشْرِقَةُ الْآيَاتِ، ظَاهِرَةُ الْآيَاتِ، مُسْتَوَلِيَّةٌ مِنْ أَنْهَارِ سَحَابِهَا وَاقْتِبَالِ شَبَابِهَا

(1) في الأصل: «في أحسن»، والتصويب بهامش النسخة.



على الآمادِ والعايات، مُعربٌ ففها التكميلُ والصنعُ الجميل، عما لها من الكراماتِ
الربانية والعنايات؛ والحمدُ لله على ذلكَ يمتري أخلاف النعم، ويضاعفُ آلاف
القسم، والشكرُ للحضرة الإمامية -أيدها الله- واجبٌ فرض، والنصيحةُ في خدمتها
أوكدُ الأعمالِ الموصلةِ إلى جنة عرَضها السماوات والأرض، والتمشية لأغراضها
السنية، والامتنالُ لأوامرها العلية، أنجحُ ما التمس به الفوزُ بالنجاة يوم يكونُ الجزاءُ
والعرَضُ. وعندَ عبدٍ جلالها، ومملوكٍ أفضالها من المحافظة على ذلك كله أوفى ما
يكونُ من ذلك عند ممالك إحصانها، وخلصان عبانها، الشاكرين لعطفها وحنانها،
المتقربين إلى الله سبحانه بتوفية ما أوجبهُ لعلِّي مكانها. والله يعينُ على أداءِ واجباتها
وشكرِ منحها المتردفة وهباتها، ويُبقي بركة أمرها العزيز سلكاً على نُحور الأيام
السعيدة ولباتها، وينشرُ على العبد جناحَ رحمتها التي سكنت من القلوب في جناتها.

وإلى هذا وصلَ الله للحضرة القدسية عادة حضورها واستيلائها، وحرسَ على
البلادِ والعبادِ كريمِ علائها، وعظيمِ آلائها؛ فإن مما وجب به إعلاء مقامها الأعلى -
أيدها الله- أن أحوال هذه الجهات ببركتها -والحمد لله- جارية على الصلاح
المستدام، والعاية الشاملة والخير العام، والرخاء الذي ظهرت مبادئه، وقوي الرجاءُ
بفضل الله وبالبركة الإمامية -أدامها الله- في تزيده وتماديه؛ والسرورُ بالالتفاتِ
الإمامي الذي أبهج رائحه الكريم وغاديه؛ فالزمان -والحمد لله- بالبركة الإمامية في
صعود، والخيرُ في مزيد والإسلامُ في ظهور والكفرُ في خمود، ومياه الاستيشار قد
جرت في الأبشار جري الماء في العود، والناسُ في تخليد الحضرة الإمامية إلى الله
ضارعون، وإلى طاعتها مسارعون، وفي ملابس إحصانها رافلون، وفي مشاريع حنانها
شارعون، والله يوزع الجميع شكر نعيمها التي لم تزل عوائدها معروفة، وقوائدها
معهودة مألوفة، ولم تبرح دانية قطوفها، متعددة ضروبها الجميلة وصنوفها.

وإنه وردَ على عبدٍ إحصانها ومملوكٍ امتنانها كتابها الكريم المعظم، المبارك
المكرم، تلوح الهداية في أثنائه، وتعشو البصائر والأبصار إلى أشعة سنائه وسنائه،



وَيَبْتَهِجُ الدِّينَ وَالْدُنْيَا بِتَهْمِهِ بِمَصَالِحِهَا وَاعْتِنَائِهِ، فَعَظُمَ بِهِ الشُّرُورُ عُمُومًا وَالْإِبْتِهَاجُ،
وَسُلِّكَتْ مِنْ تَعْظِيمِهِ السُّبُلُ الْوَاضِحَةُ وَالْمِنْهَاجُ؛ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ وَارِدِ⁽¹⁾ هَادٍ، فَضْلُهُ
وَاضِحٌ وَعَدْلُهُ بَادٍ؛ وَكُلُّ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْأَوَامِرِ الْمُطَاعَةِ، تَلَقَّاهُ الْعَبْدُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛
وَأَمَّا مَا افْتَضَّاهُ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ مِنَ الْأَمْرِ بِتَأْكِيدِ أَسْبَابِ الْهُدَى وَتَمْهِيدِهَا، فَتِلْكَ نِعْمَةٌ
مِنْ نِعَمِهَا الْمَعْهُودَةِ عَلَى بِلَادِهَا وَعَبِيدِهَا، وَمِنَّةٌ لَمْ تَزَلِ الْبَرَكََةُ الْإِمَامِيَّةُ تَتَكَفَّلُ فِي كُلِّ
زَمَانٍ بِتَجْدِيدِهَا؛ وَاللَّهُ يُعِينُ فِي ذَلِكَ وَفِي سِوَاهُ عَلَى تَمْشِيَةِ مَنْوِيَّهَا الْكَرِيمِ وَمَقْصُودِهَا.

وَأَمَّا مَا أَمَرَتْ بِهِ -أَعْلَى اللَّهُ أَمْرَهَا- مِنْ مُبَاشَرَةِ أُمُورِ النَّاسِ مَعَ الْأَيَّامِ، وَتَخْوِيفِهِمْ
بِالْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ عَلَى الدَّوَامِ، وَإِنْصَافِ الْمَظْلُومِينَ، وَتَأْمِينِ الطُّرُقِ أَعْمَ تَأْمِينَ؛
فَالْعَبْدُ مُسْتَنْفِدٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِمْتِنَانِ جُهِدِهِ، جَارٍ فِيهِ مِنَ النَّصِيحَةِ عَلَى مَا هُوَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عِنْدَهُ؛ وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الدَّعَاةِ وَالْفَسَادِ قَدْ اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ جَمَاعَاتٌ، فَعَانَتْ
أَيَّامًا فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ؛ فَأَنْفَذَ الْعَبْدُ جُمْلَةً مِنَ الْأَجْنَادِ فِي طَلَبِهِمْ وَخَاطَبَ أَهْلَ الْجِهَاتِ
بِالْخُرُوجِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ إِلَيْهِمْ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَيْهِمْ، حَتَّى فَرَّقَ اللَّهُ جُمُوعَهُمْ وَشَتَّتَ
شَمْلَهُمْ وَأَحْلَلَ نَظْمَهُمْ وَاسْتَنْفَذَتْ أَكْثَرُهُمُ الْبَرَكََةُ الْإِمَامِيَّةُ الظَّاهِرَةُ، الَّتِي هِيَ لِكُلِّ
مُحَارِبٍ -بِحَوْلِ اللَّهِ- قَاهِرَةٌ، بَيْنَ قَتِيلٍ ذَاهِبٍ، وَطَرِيدٍ هَارِبٍ، وَنَازِلٍ عَلَى الْأَمَانِ
تَائِبٍ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بِبَرَكََةِ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْعَالِيَةِ، وَبِخُلُوصِ النِّيَّةِ فِي خِدْمَتِهَا وَالطَّوَيَّةِ.

وَاقْتَرَنَ بِالْكِتَابِ الْمُعْظَمِ الْإِمَامِيِّ الْكَرِيمِ، وَصَلَ اللَّهُ لِلْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَسْبَابَ
التَّقْدِيرِ وَالتَّعْظِيمِ، مَا وَصَلَ بِهِ أَمْرَهَا الْمُطَاعَ، وَنَفَذَ بِهِ نَظْرَهَا الْجَمِيلَ الَّذِي لَا يُطَاقُ
شُكْرُهُ وَلَا يُسْتَطَاعُ، مِنْ أَنْوَاعِ النِّعَمِ الَّتِي شَمِلَتْ الْخَاصَّ وَالْعَامَ، وَأَوْزَدَتْ عَلَى
أَرْقَائِهَا النَّاصِحِينَ وَعَبِيدِهَا الْمُؤَحِّدِينَ وَالْأَنْدُلُسِيِّينَ الْفَرَحَ الْعَظِيمَ وَالشُّرُورَ التَّامَ، بِمَا
خَصَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ فِي مَطْلُوبِهِ، مِنْ إِسْعَافٍ مَرْغُوبِهِ.

(1) في الأصل: «واضح». والتصويب من الهامش.



أَمَّا عَبْدُ عَلَائِهَا، فِيمَا أَوْلَتْهُ مِنْ كَرَمِ التَّفَاتِهَا، وَشَرَفِ اعْتِنَائِهَا، وَالْإِنْعَامِ بِرَسْمِ
التَّضْيِيفِ الَّذِي ضَاعَفَتْ بِهِ مَا قَبْلَهُ مِنْ نِعَمِهَا الْجَزِيلَةِ وَالْآيَةِهَا، وَغَمَرَتْ فِي الْإِحْسَانِ
بِهِ - شَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانَهَا - عَلَى مَقَاصِدِهَا الْمَعْهُودَةِ الْمَحْمُودَةِ وَأَنْحَائِهَا. وَإِنَّهَا لِنِعْمَةٍ
يَتَرَدَّدُ الشُّكْرُ فِي أَثْنَائِهَا، وَلَا يَفِي الْاِخْتِفَالُ فِيهِ وَلَوْ أَمَدَّتْهُ كُلُّ يَرَاعَةٍ بِأَقْلٍ جُزْءٍ مِنْ
أَجْزَائِهَا؛ وَاللَّهُ الْكَفِيلُ بِثَوَابِهَا عَلَيْهِ وَحُسْنِ جَزَائِهَا.

وَأَمَّا عَيْدُهَا الْحَاضِرُونَ الْمُوَحِّدُونَ فِيمَا أَنْعَمَتْ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ إِجْرَاءِ الطَّعَامِ لَهُمْ
فَصْنَعَ لَهُمْ كُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ، وَكَثُرَ فَرَحُهُمْ وَعَظُمَ شُكْرُهُمْ وَدُعَاؤُهُمْ بِسَبِّهِ؛ وَتِلْكَ النِّعَمُ
الَّتِي أَلْفَوْهَا، وَعَهْدُوهَا فِي الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَعَرَفُوهَا؛ أَوْزَعَ اللَّهُ شُكْرَ سَحَابِهَا الْمُتَهَمِّرِ
مَاؤُهَا، الْمُتَعَارِفِ نَمَاؤُهَا.

وَأَمَّا عَيْدُهَا الْأَنْدُلُسِيُّونَ فَمَا جَهَّمُوا مِمَّا قُرِئَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهَا النَّافِذِ الْمُطَاعِ مِنْ
قَطْعِ شَرَاءِ دِيَارِهِمُ الْمُتَزَلَّةِ الْآنَ مِنْ بَرَكَةِ سَاكِنِيهَا حَتَّى يَفْتَصِرُوا عَلَى الضَّرُورِيِّ الَّذِي
لَا بُدَّ مِنْهُ؛ وَإِنَّهَا لِنِعْمَةٍ لَا يُقَدَّرُ فَرَحُهُمْ بِهَا وَلَا يُحْصَرُ شُكْرُهُمْ عَلَيْهَا؛ اِرْتَفَعَ صَحِيحُجُهُمْ
فِيهَا بِالْإِعْدَاءِ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الَّتِي أَنْعَمَتْ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ بِحُسْنِ الْجَزَاءِ، وَعَلَتْ
أَصْوَاتُهُمْ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ، وَعَلِمُوا أَنَّ دِيَارَهُمْ إِنَّمَا هِيَ مِلْكُهُمْ حَيْثُ أَمَرَ لَهُمْ
فِيهَا بِأَخْذِ الْكِرَاءِ، وَظَفَرُوا بَعْدَ الْقُنُوطِ وَالْيَأْسِ مِنْهَا بِالطَّمَعِ فِيهَا وَالرَّجَاءِ، وَأَكْثَرَهَا
إِنَّمَا هِيَ دِيَارُ الضُّعَفَاءِ، وَتِلْكَ عَادَةُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ فِي الرِّفْقِ بِالضُّعَفَاءِ. فَكُلُّ فَرِيقٍ
مِنْ عَبْدَانِهَا، يَضْجُ بِشُكْرِ مَا جَاءَهُ مِنْ إِحْسَانِهَا، وَشَمَلَهُ مِنْ إِشْفَاقِهَا وَحَنَانِهَا. وَاللَّهُ
يُجَازِيهَا بِأَفْضَلِ الْجَزَاءِ عَلَى حُسْنِ نَظَرِهَا لِعِبْدَانِهَا وَبُلْدَانِهَا، فَمَا زَالَتْ أَيَادِيهَا تَلُوحُ فِي
أَعْنَاقِ الْأَنَامِ، أَطْوَاقًا كَأَطْوَاقِ الْحَمَامِ، وَمَا بَرَحَتْ تُورِدُ مَوَارِدَهَا، وَتَلْبَسُ مَلَابِسَهَا
وَتَعْهَدُ مَعَاهِدَهَا. وَاللَّهُ يَخْرُسُ مِنْهَا مَا أَلْفَ، وَيُتَّقِي مَا عَرِفَ، وَيُوزِغُ مِنْ شُكْرِهَا مَا
يَسْتَحْفِظُ مَأْلُوفَهَا، وَيَسْتَزِيدُ مَعْرُوفَهَا، وَهُوَ تَعَالَى يُدِيمُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مَا عَوَّدَهَا مِنْ
نَصْرِ الْأَعْلَامِ، وَتَيْسِيرِ الْمَرَامِ، وَمُسَاعَدَةِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَيُعِينُ عَلَى وَاجِبَاتِ خِدْمَتِهَا،
وَشُكْرِ نِعْمَتِهَا جَمِيعَ الْعَبِيدِ وَالْخُدَّامِ؛ بِمَنِّهِ.



وَكَتَبَ أَيْضاً:

مَطْلِعُ الْأَنْوَارِ الْهَادِيَةِ، وَمَنْشَأُ الْبَرَكَاتِ الْمُتَضَاعِفَةِ الْمُتَمَادِيَةِ، وَمَصَابُّ الرَّحْمَةِ الْهَامِيَةِ، وَمَثَابَةُ الْخَيْرَاتِ الْجَامِعَةِ، أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهَا وَخَلَّدَ أَيَّامَهَا، وَنَصَرَ أَنْصَارَهَا وَعَلَا أَعْلَامَهَا، وَقَرَنَ بِمُطَاوَعَةِ الْأَقْدَارِ وَيُؤْمِنُ الْإِيرَادِ وَالْإِضْدَارِ مَرَامَهَا، كَمَا وَهَبَ لِلْبِلَادِ اغْتِنَاءَهَا الْكَرِيمَ وَاهْتِمَامَهَا، وَكَمَا أَصْدَرَ عَلَى الْعِبَادِ إِحْسَانَهَا الْعَمِيمَ وَإِنْعَامَهَا. عَبْدُهَا الْمُجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ عِلَائِهَا، الْمُعْتَصِمُ بِظِلِّ لَوَائِهَا، الْمُعْتَكِفُ عَلَى شُكْرِ نِعَمِهَا الْمُتَتَابِعَةِ وَالْآثِي، الدَّاعِي بِحِرَاسَةِ مَا مَلَأَ الْأَرْضِينَ مِنْ أَشْعةِ سَنَاهَا وَسَنَائِهَا. إِبْرَاهِيمُ:

سَلَامٌ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ. فَكَتَبَ عَبْدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهَا مُضَاعَفَةَ الشُّعُودِ وَمُصَاحَبَةَ النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، وَخَصَّهَا مِنْ إِعْلَائِهِ وَتَوَالِي آيَاتِهِ بِالْمَزِيدِ؛ وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيَّدَهَا اللَّهُ- قَدْ عَمَّتِ الْأَنَامَ، وَسَاجَلَتِ الْغَمَامَ، وَوَاصَلَتِ الْإِنْجَادَ فِي طَيِّ الْبِلَادِ وَالْإِنْتِهَامِ، وَأَسْعَدَتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ، وَأَعْجَزَتِ فِي شُكْرِهَا الْأَلْسِنَةَ وَالْأَقْلَامَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النَّعْمِ حَمْدًا يَتَكَفَّلُ لَهَا بِالْمَزِيدِ وَالِدَّوَامِ؛ وَعَبْدُ عِلَائِهَا عَلَى أَوْفَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ النَّاصِحُونَ مِنْ عِبِيدِهَا وَأَرْقَائِهَا، مِنَ النَّصِيحَةِ فِي خِدْمَتِهَا وَالشُّكْرِ لِنِعْمَتِهَا، وَاللَّهُ يَنْشُرُ عَلَيْهِ جَنَاحَ رُحْمَاهَا، كَمَا أَعْلَى مِصْعَدَهَا فِي أَعْلَاهَا وَمَسْمَاهَا. وَأَحْوَالُ هَذِهِ الْجِهَاتِ بِبَرَكََةِ خِلَافَتِهَا الْمَيْمُونَةِ، وَسَعَادَةِ إِمَامَتِهَا الْمُبَارَكَةِ الْمَأْمُونَةِ، فِي صَلَاحٍ يُقْتَبَلُ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- شَبَابُهُ، وَيَتَفَتَّحُ بِبَرَكََةِ عِنَايَتِهَا الْكَرِيمَةِ بَابُهُ، وَتَمْتَدُّ بِهِ ظِلَالُ الْأَمْنِ وَيَتَسَّعُ جَنَابُهُ فَالسَّعْدُ الْإِمَامِيُّ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ- كَامِلٌ، وَالْخَيْرُ بِهِ -بِفَضْلِ اللَّهِ- هَامٌ هَامِلٌ، وَالْكُلُّ بِالْأَوَامِرِ الْإِمَامِيَّةِ عَامِلٌ، وَالنَّاسُ لِمَوْلَاهُمْ وَإِمَامِهِمْ دَاعُونَ، وَفِي مَرْضَاتِهِ سَارِعُونَ.

وَكَانَ لِلْمَطَرِ إِغْيَابٌ تَمَادَى أَيَّامًا ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ الْغَيْثَ الْآنَ فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ فَجَادَ الْأَرْضَ وَبَسَطَ النُّفُوسَ، وَكَانَ لِلشُّعُورِ الْجَوْفِيَّةِ مِنْهُ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ بِالْبَرَكََةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَدَامَهَا اللَّهُ- وَاللَّهُ يَهْنِئُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مَا شَمِلَهَا مِنَ الْإِلْفَاتِ الْإِمَامِيَّةِ الْكَرِيمِ، وَيَصِلُ لَهَا مَا عَوَّدَهَا بِهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ.



وَبَعْدُ: وَصَلَ اللهُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَسْبَابَ نَضْرَهَا، وَعَرَفَهَا يُمْنَنَ نَقِيبَتَهَا وَسَعَادَةَ عَصْرِهَا؛ فَإِنَّهُ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ مَقَامِهَا الْعَلِيِّ كِتَابُهَا الْمُعْظَمُ الْكَرِيمُ، الصَّادِرُ عَنِ الْإِنْفَاتِ الْمَعْهُودِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، الْمُضْمَنُ مَا لَمْ تَزَلْ تَنْعَمُ بِهِ -شَكَرَ اللهُ إِنْعَامَهَا- مِنْ سَنِيَّ التَّشْرِيفِ وَالتَّنْوِيهِ، وَحَمِيدِ الْغَرَضِ الْجَمِيلِ وَالْقَصْدِ النَّبِيهِ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى مَا اقْتَضَاهُ النَّظَرُ الْكَرِيمُ مِنْ إِضَافَةِ «بَطْلِيُوسَ» وَتُعُورَهَا الْجَوْفِيَّةُ، وَمَا افْتَرَنَ بِذَلِكَ مِنَ الْأَوَامِرِ الْمُطَاعَةِ وَالْمَقَاصِدِ الْعَلِيَّةِ؛ وَتِلْكَ عَوَائِدُهَا الْجَمِيلَةُ فِي مَوَاطِنِ الْإِنْفَاتِ وَالْإِعْتِنَاءِ، وَمُضَاعَفَةِ النَّعْمِ وَالْآلَاءِ، وَاهْتِدَائِهَا عَلَى التَّابِعِ وَالْوَلَاءِ؛ وَاللهُ يُجَازِيهَا عَنْ قَدِيمِ نِعْمِهَا وَحَدِيثِهَا بِأَفْضَلِ الْجَزَاءِ. وَإِنْ لَحَظْهَا الْكَرِيمُ الَّذِي كَسَتْ الْعَبْدَ -بِمِثَّتِهَا- جِلْبَابُهَا، وَعَظَمَهَا الَّذِي وَصَلَتْ لَهُ -بِرَحْمَتِهَا- أَسْبَابُهَا، لَيُعْجِزُ شُكْرُهُمَا إِسْهَابُ الْبَلِيغِ وَإِطْنَابُهَا، وَلَوْ أُزِيلَ عَنَانُ الْكَلَامِ وَمُدَّ أَطْنَابُهَا، فَلَا سَبِيلَ لِلْعِبَارَةِ إِلَى اسْتِيفَاءِ الْمُعْبَّرِ عَنْهُ مِنَ الشُّكْرِ وَلَوْ طَاوَلَتْ فِيهِ الْأَوَانُ بَعْدَ الْأَوَانِ، وَاسْتَظْهَرَتْ عَلَيْهِ بِكُلِّ بِكْرٍ مِنَ الْمَعَانِي وَكُلِّ عَوَانٍ؛ إِنَّمَا فُصِّرَ لَهَا الْإِعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ عَنِ الْإِذْرَاكِ، وَالْحَيْنِ إِلَى غَايَةِ الْمَطْلُوبَةِ كَدْعَاءِ الْهَدِيلِ عَلَى الْأَرَاكِ؛ فَمَتَى يُؤَدِّي الْعَبْدُ شُكْرَ هَذَا الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَيُّ بَيَانٍ يُعْبِّرُ عَنْهُ أَوْ أَيُّ لِسَانٍ، كَلَّا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لِيَشِيرَ بِشُكْرِهِ إِلَّا بِمَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَلَيْسَ إِلَّا التَّضَرُّعُ إِلَى اللهِ فِي تَوَلِّيِ جَزَائِهِ وَاللهُ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وَقَدْ تَلَقَّى الْعَبْدُ كِتَابَهَا الْكَرِيمَ بِوَاجِبِهِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِمْتِثَالِ، وَالْاجْتِهَادِ فِي شُكْرِهِ وَالْإِخْتِفَالِ، وَاللهُ تَعَالَى يُعِينُهُ عَلَى تَمْشِيَةِ أَغْرَاضِهَا الْكَرِيمَةِ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ؛ وَتَضَمَّنَ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ أَنْ يَتَفَاوَضَ الْعَبْدُ فِي تَعْيِينِ مَنْ يُنْفَذُ إِلَى الْجِهَاتِ الْمَذْكُورَةِ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -أَكْرَمَهُ اللهُ- لِمَا جُرِّبَ مِنْ اجْتِهَادِهِ، وَسَدَادِ ارْتِيَادِهِ. وَاللهُ يَشْكُرُ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ وَيَصِلُ أَسْبَابَ حِرَاسَتِهَا، وَيَحْفَظُ عَلَى نَظَرِهَا وَنُورِ مِنْ فِرَاسَتِهَا، فَإِنَّ الَّذِي عِنْدَ الْمَذْكُورِ فِي حَقِّ الْأَمْرِ الْعَالِيِّ -أَدَامَهُ اللهُ- مِنَ الْجِدِّ وَالنَّصِيحَةِ، وَالْخِدْمَةِ الْخَالِصَةِ الصَّحِيحَةِ، وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي ذَاتِهِ مِنْ مَحْمُودِ الشَّيْمَةِ وَالْخَلِيقَةِ، وَمَشْكُورِ السَّيْرَةِ وَالطَّرِيقَةِ، وَالْأَعْمَالِ الْمُسْتَقِيمَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَسَدَادِ الرُّوِيَّةِ فِيمَا يَقْصِدُهُ وَيَتَّبِعِيهِ، وَصِدْقِ النِّيَّةِ فِيمَا يَنْظُرُ فِيهِ، يَقْتَضِي الْإِغْتِبَاطَ بِمَذَاكِرَتِهِ وَيَسْتَدْعِي النِّشَاطَ لِمُفَاوَضَتِهِ. وَمَا زَالَ الْعَبْدُ لِهَذِهِ



الصفات التي ظهرت له من المذكور، يُفادُ في الكلّيات والجزئيات من الأمور، وبهذه الإشارة الإمامية الكريمة الواردة الآن يزاد العبد بمفاوضته اغتباطاً، وبجبل موافقته على المصالح ارتباطاً.

والله يجازي الحضرة الإمامية على ما يؤثّره لنصاح خدامها وخلصان عبدانها من نبيه اللّخظ والرعاية، وكرم الالتفات وشرف العناية.

وما تضمّنته الأوامر المطاعة من الاحتياط على المخازن، -أنماها الله- يُعنى به كل الاحتناء، ويحافظ عليه في جميع الأناء، وكذلك كل ما تضمّنته الكتاب الكريم من الفصول يحصل فهمه كل التحصيل، ويمادى إلى امثاله على الجمل والتفصيل؛ ويذلل العبد جهده في ما يبط به وأُسند إليه، ويتوخى فيه الغرض الكريم ويعتمد عليه؛ والبركة الإمامية -أدامها الله- هي السبب الموصول إلى نجاح الأمل، والظهير المعين على صلاح القول والعمل، إن شاء الله يكون التوفيق والتسديد، وعليها ينبنى التسكين والتمهيد، بأنوارها الساطعة يستضيء في كل محاولة العبد؛ والله يوفق في كل مُتَحَيٍّ إلى ما يقع بوفق الحضرة الإمامية ويحظى برضاها، ويعين في كل حال على ما يُزلف من رُحماها. والله تعالى يديم لها النصر والتمكين، ويفتح لها الفتح المبين، ويجعل كلمتها باقية، ودعوتها راقية، إلى يوم الدين، ويُجز بها ما وعدّها من الاستيلاء على ما روى نبينا عليه السلام من الأرضين؛ ويعين على ابتغاء مرضاتها، وأداء مفترضاها.

وكتب أيضاً:

أنمى الله خدودها، وأدام تأييدها، وظاهر سُعودها، وإلى سُموها في ذرى العز والتمكين وصُعودها، وضاعف بهجتها وسُروها، كما ضاعف كرمها وجودها، وأجرى لها من قرة العيون، وصدق الآمال والظنون مُعتادها ومعهودها. عبدها اللائد بظل لوائها، العائد بحرم علائها، العارف بحق ما فاض عليه من جزيل نعمها وآلائها، المتضرع إلى الله في شكرها وإحسان جزائها، الداعي بإدامة أيامها وإطالة بقائها، المعتصم بالاستناد إلى ظلالها الوارفة وأفيائها.



سَلَامٌ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ؛ كَتَبَ اللَّهُ لَهَا ظُهُورًا لَا يُضَاهَى، وَعِزًّا لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهَا،
وَسُعُودًا تَتَضَاعَفُ أَعْدَادُهَا إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى، وَأَمْرًا الْعَزِيزُ أَدَامَهُ اللَّهُ مِنْ إِفَاضَةِ أَنْوَارِهِ،
عَلَى أَنْجَادِ الْبَسِيطِ وَأَغْوَارِهِ، وَظُهُورِ بَرَكَاتِهِ، فِي سَكَنَاتِهِ كُلِّهَا وَحَرَكَاتِهِ، وَالصَّنْعِ الَّذِي
لَا يَزَالُ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ جَمِيلًا، وَالْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي تُكْمِلُ لَهُ صِفَاتِ السَّعَادَةِ تَكْمِيلًا.
وَلِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ الَّذِي تُدِرُّ بِهِ مِنَ النِّعَمِ أَخْلَافُهَا، وَتَتَّبِعُ بِهِ أَحَادُ الْقِسَمِ آلَافُهَا.
وَالشُّكْرُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَيَّدَهَا اللَّهُ فَرَضَ مِنْ فُرُوضِ الْأَعْيَانِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خِدْمَتِهَا
أَوْكَدُ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَعْبَدُ بِهَا الْإِنْسَانُ، وَالتَّمَشُّيَةُ لِأَغْرَاضِهَا السَّنِيَّةِ، وَالْامْتِثَالُ لِأَوَامِرِهَا
الْعَلِيَّةِ أَنْجَحُ مَا التَّمَسُّ بِه نَيْلُ الرِّضْوَانِ، وَأَصَحُّ مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أَوَانٍ؛ وَعَبْدُهَا
مِنَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى أَوْفَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْإِحْسَانُ، وَنُصَّاحُ الْخُدَّامِ
وَحُلَصَانُ الْعُبْدَانِ، الْعَارِفُونَ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهَا مِنْ تَعْظِيمِ الشَّانِ وَخِدْمَةِ الْمَكَانِ؛
وَاللَّهُ يُعِينُهُ عَلَى مَا يُحْظِيهِ بِرِضَاهَا الْمُوَصِّلِ إِلَى إِرْضَاءِ الرَّحْمَنِ، وَيَنْشُرُ عَلَيْهِ جَنَاحَ مَا
جَبَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ مَا أَضْفَتْ عَلَيْهِ مِنْ
بُرُودِ النُّعْمَى وَالْامْتِنَانِ. وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ لِلْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ مَا عَوَّدَهَا مِنْ عُلُوِّ
الْمِقْدَارِ، وَمُطَاوَعَةِ الْأَقْدَارِ، وَتَعَرُّفِ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ فِي الْإِيرَادِ وَالْإِضْدَارِ؛ فَمِمَّا وَجَبَ
بِهِ إِعْلَامُ مَقَامِهَا الْأَسْمَى أَيَّدَهَا اللَّهُ أَنَّ أَحْوَالَ هَذِهِ الْجِهَاتِ بِبَرَكَاتِهَا جَارِيَةٌ - وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ - عَلَى الصَّلَاحِ الشَّامِلِ، وَالْعَافِيَةِ الْمُتَّصِلَةِ وَالْأَمْنِ الْكَامِلِ، وَالنَّاسِ مُسْتَبْشِرُونَ
بِالرَّخَاءِ، آمِنُونَ لَيْلًا وَنَهَارًا حَيْثُ كَانُوا مِنَ الْأَرْجَاءِ، دَاعُونَ فِي مَظَانِّ الْقَبُولِ لِخَلِيفَتِهِمْ
وَإِمَامِهِمْ وَسَيِّدِهِمُ الَّذِي حَوَّلَهُمُ اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِ خِلَافَتِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا حَوَّلَهُمْ، وَأَوَّلَاهُمْ
بِسَّعَادَةِ إِمَامَتِهِ مِنَ الْيُسْرِ مَا أَوَّلَاهُمْ، قَدْ فَاضَتْ عَلَيْهِمُ الْبَرَكَاتُ الْإِمَامِيَّةُ فَيُضُّ النَّهَارُ،
وَوَثُقُوا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ دِينَهُ الْقَيِّمَ مِنَ الْإِعْلَاءِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَالْإِظْهَارِ.

وَاللَّهُ يَصِلُ النِّعَمَ بِتَخْلِيدِ الْحَضْرَةِ الْعُظْمَى، وَيُجْرِي الْأَحْوَالَ فِي كُلِّ حَالٍ وَاسْتِقْبَالَ
عَلَى مَا يُرْضِي الْمَقَامَ الْأَسْمَى، وَلَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ إِحْسَانِهَا، وَمَمْلُوكٍ امْتِنَانِهَا كِتَابُهَا
الْكَرِيمِ الْمُعْظَمِ، الْمُبَارَكُ الْمَكْرُمُ يُشْرِقُ نُورُهُ، وَتَنْطِقُ بِالْفَضْلِ الْمُبِينِ وَالْهَدْيِ الْمُبِينِ
عَلَى قَوَاعِدِ الدِّينِ سَطُورُهُ، فَقَظَمَ بِهِ ابْتِهَاجَ الْعَبْدِ وَسُرُورُهُ، وَتَلَقَّتْهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
أَعْجَازُ الْامْتِثَالِ وَصُدُورُهُ، وَاشْتَمَلَ عَلَامَتَهُ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هِيَ الْقُطْبُ الَّذِي يُحَرِّكُ فَلَكُ



الْمَصَالِحِ وَيُدِيرُهُ؛ فَيَالَهُ مِنْ وَارِدِ كَرِيمٍ مَا أَعْظَمَهُ، وَوَاصِلِ عَظِيمٍ مَا أَجَلَّهُ وَأَكْرَمَهُ، لَقَدْ بَلَغَ الْعَبْدُ غَايَةَ سُؤْلِهِ، مِنَ التَّبَرُّكِ بِوُضُوْلِهِ، وَبَادَرَ لِلْفَوْرِ إِلَى امْتِثَالِ مَعَانِيهِ الْكَرِيمَةِ وَفُضُولِهِ.

فَأَمَّا الْإِشَارَةُ الْكَرِيمَةُ فِي حَقِّ رَغْبِي السَّلَامِ مَعَ صَاحِبِ قَشْتَالَةٍ فَقَدْ نَبَّهَ الْعَبْدُ أَهْلَ هَذِهِ الْجِهَاتِ عَلَيْهَا، وَبَثَّهَا فِيهَا وَأَنَهَاهَا إِلَيْهَا، وَلَنْ يَزَالَ يُؤَكِّدُ فِيمَا يَجِبُ مِنْ حِفْظِ الْعُهُودِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحُدُودِ، وَيُمَشِّي فِي ذَلِكَ الْغَرَضِ الْإِمَامِيَّ الْكَرِيمِ، عَلَى التَّكْمِيلِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّتَمِيمِ، حَتَّى تَقُومَ عَلَى صَاحِبِ قَشْتَالَةٍ فِيمَا يُطْلَبُ بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ الْحُجَّةِ، وَتَتَّصِحَ لَهُ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالْمَعْدَلَةِ السَّيْلُ الْوَاضِحَةُ وَالْمَحَجَّةُ، بِرُشْدِ اللَّهِ. وَكَتَبَ أَيْضًا:

مَطْلَعُ الْأَنْوَارِ الْهَادِيَةِ، وَمَنْشَأُ الْبَرَكَاتِ الرَّائِحَةِ الْغَادِيَةِ، وَمَجْمَعُ الرَّحْمَةِ الْهَامِيَةِ، وَمَثَابَةُ الْخَيْرَاتِ الْجَامِيَةِ، خَلَدَ اللَّهُ بَقَاءَهَا دَائِمًا وَتَأْيِيدَهَا مُتَضَاعِفَةً سَعُودُهَا، مَنْصُورَةً عَلَى عِدَاهَا، كَمَا شَرَّفَهَا بِالسَّعْدِ الْمُسْتَبِينِ وَلَحَفَهَا بِرِذَاءِ الْفَضْلِ الْمُبِينِ وَرِذَاهَا؛ عَبْدٌ فَضَّلَهَا الْعَمِيمِ وَنُعَمَّاها، الْمُعْتَكِفُ عَلَى شُكْرِ مَا فَاضَ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِ عَطْفِهَا الْكَرِيمِ وَرُحْمَاها، الْمُجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ عَلَائِهَا وَابْتِغَاءِ رِضَاها، الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي تَقْلِيدِ أَمْرِهَا الْعَزِيزِ وَانْفِسَاحِ مَدَاها.

سَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ، الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْعَمِيمِ، يَخْصُصُ مَقَامَهَا الْأَعْظَمَ، وَمَحَلَّهَا الْأَشْرَفَ الْأَكْرَمَ، كَثِيرًا وَرَحْمَةً اللَّهُ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

كَتَبَ عَبْدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَشَاكِرُ نِعْمَتِهَا الْمُتَوَالِيَةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا مِنْ مُضَاعَفَةِ السَّعْدِ وَمُصَاحَبَةِ النَّصْرِ، مَا لَا يُخْصَرُ بِالْإِخْصَاءِ وَلَا يُخْصَى بِالْحَضَرِ؛ وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ سَامِيَةٌ أَضْوَاؤُهَا، هَامِيَةٌ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ أَنْوَاؤُهَا، مَبْسُوطٌ بِهَا أَمَلُ كُلِّ نَفْسٍ مُؤْمِنَةٍ وَرَجَاؤُهَا، عَاجِزٌ عَنِ اسْتِيفَاءِ حُقُوقِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا فَصَحَاءُ الْبَلَاغَةِ وَخُطْبَاؤُهَا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا تَتَضَاعَفُ بِهِ أَقْسَامُ النِّعَمِ وَأَجْزَاؤُهَا، وَشُكْرُ عَبْدِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ لِنِعْمَتِهَا بِحَرٍّ لَا يُلْحَقُ قَعْرُهُ، وَلَا يُدْرِكُ شَطْرُهُ، وَنَصِيحَتُهُ فِي خِدْمَتِهَا عَمَلٌ مَحْفُوظٌ رَسْمُهُ مُوَفَّى شَرْطُهُ، وَافِرٌ حَظُّ الْعَبْدِ مِنْهُ وَقِسْطُهُ؛ وَاسْتِنْفَادُهُ



الوسع فف امثالف أوامرها العلفة؁ وتمشفة أعرافها البلفة؁ مئقررب إلى الله بالمحافظة الجملفة علفه؁ وصرف وءوه الملاحظة الموصولة إلفه. والله فففعفه من ذلف علف ما فلفزه فرضا فسلكه سنا؁ وفوزعه شكر الففاتها الذي من ناله فقد نال المنى؁ وفرفقه رضاها الذي من أحرزه فقد أحرز فف الدنيا والآخرة سنا وسنا.

وبعد: وصل الله للخرة الإمامفة أسباب النصر المعهود؁ وعرفها بإحراز الرغائف إنجاز الموعود؛ فإن كتابها الكرفم وصل العبد فوصله بالمعتاد من كرفم الففات؁ وجزفل الصلالت؁ بما تضمفه عرضه الكرفم وطوله العفم؁ من الإنعام علف عبدها ابن عبدها بفقفمه فف بطلفوس وسائر ثغرها الجوفف - كلاء الله - وإنه لنشاة من نشات إنعامها ومملوك من ممالك عتائفها الكرفم واهتمامها؁ المتفافسفن فف الافتداء فف ففمها وشكر نعمتها بنصحاء ففمها؁ الساعفن ففما ففب لهم الرضا من علف مقامها؁ الحراس علف أن فنفقوا فف طاعتها فتاءهم وشبابهم؁ ففموا إلى الفطوة لدفها والتقرب إلى الله بالتقرب إلفها أسبابهم؁ ففدرج علف الاستقامة والافتهاد فف أعراف الإمامة ألبابهم؛ وقد أولته - شكرها الله - من التئوه؁ والإنهاض ما تعجز الأقلام عن شرح الشكر علفه فلا فستوعبه الوصف ولا فستوففه؁ ونهجت له بوصافها الكرفمة من جمفل الأعراف ما فرفشه إلى الصواب وفهفه؛ فكفست بأول بركة من بركات المقام الإمامف ولا ففد من عفم أفافه؁ فلك عادة إفسانها المعروفة؁ وشفمة امتنانه المألوفة. للفصل فلفق علف كافة العبدان؁ ففمفلك القلوب بالإنعام والإفسان؁ فهو فففضل علف البعف والقرف؁ ولا فزال ففمفلك قلوب الشاب والشفب؁ وتعم نعمه الآباء والبنفن؁ وفشمف كرمه الفلق أجمعفن. تولى الله جزاء فضله الجزفل؁ وشكر ففله الجمفل؁ وإن للأقلام فف شكر هذه النعمة سبفا طوفلا؁ وإن للحمد ففه معرسا ومقفلا؁ وإن الففام فواجب هذا الإفسان؁ ففس فف وسع المفلوق ولا فف استطاعة الإنسان؛ فلفس إلا أن العبد لا فزال إلى الله فف شكر الفخرة الإمامفة متضرعا؁ وبطاعتها مغتبطا وإلى النصففة فف ففمها متسرعا؁ وقد واءع العبد عبدها المذكور؁ علف فوخي الغرض الإمامف فف فلك الثفور؁ وألقى إلفه



مِنَ التَّكْيِيدِ وَالتَّشْدِيدِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَأَعْلَمَهُ بِأَنَّ هَذَا التَّقْدِيمَ تَجَرِيبٌ لَهُ
وَاخْتِبَارٌ، وَمِحْكٌ - كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ - وَمِسْبَارٌ؛ فَشَمَّرَ تَشْمِيرَ الْبَاذِلِ جُهْدَهُ
الْمُسْتَطِيعَ وَأَنْفَصَلَ وَنُورُ الْعَرَضِ الْإِمَامِيِّ - شَكَرَهُ اللَّهُ - دَلِيلُهُ وَهَادِيهِ، وَسَعَدَ الْمَقَامُ
الْإِمَامِيِّ - نَصَرَهُ اللَّهُ - قَائِدُهُ وَحَادِيهِ، وَمَنْ حَسَنَ الْعَرَضُ الْإِمَامِيُّ فِيهِ فَالْصَّنْعُ الْجَمِيلُ
وَالْخَيْرُ الْجَزِيلُ مَقْرُونَانِ - بِفَضْلِ اللَّهِ - بِخَوَاتِمِ عَمَلِهِ، وَمَوَاسِطِهِ وَمَبَادِيهِ، بِفَضْلِ اللَّهِ؛
وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ كَمَا أَمَرَ نَاطِرًا مِنْ وَرَائِهِ، مُتَطَلِّعًا لِأَحْوَالِهِ وَمَتَمَسِّعًا لِأَنْبَاءِهِ.

وَاللَّهُ يَشْكُرُ الْإِنْفِاتِ الْإِمَامِيَّ الَّذِي يُنْشِئُ الْعَبِيدَ إِنْشَاءً، وَيُقَيِّدُهُمْ بِقِيُودِ إِحْسَانِهِ، فَلَا
يَزَالُونَ يَطُوُونَ عَلَى حُبِّهِ جَوَانِحَ وَأَحْشَاءَ.

وَأَمَّا أَحْوَالُ هَذِهِ الْجَهَةِ الْآنَ - وَصَلَ اللَّهُ تَأْيِيدَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - فَعَلَى مَا تَقْتَضِيهِ
سَعَادَةُ الْإِمَامَةِ الْعَلِيَّةِ، وَبَرَكَتُهُ الْخِلَافَةِ السَّنِّيَّةِ، مِنَ الْإِبْتِهَاجِ وَالِاسْتِبْشَارِ، وَحَيَاةِ الْحَرْثِ
وَالنَّسْلِ بِمَا تَوَالَى مِنَ الْغَيْثِ الْمَذْرَارِ، وَاسْتِقْبَالِ الطُّمَأْنِينَةِ وَتَمْهَدِ الْقَرَارِ، بِمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ
- بِسَعَادَةِ أَيَّامِهَا - مِنْ إِذْعَانِ الْأَعْدَاءِ وَاسْتِلَامِ الْكُفَّارِ. وَالثَّقَّةُ بِمَا عَوَّدَ اللَّهُ أَمْرَهُ الْعَزِيزَ
مِنْ حِفْظِ الْأَمْصَارِ، وَعِزَّةِ الْأَنْصَارِ، وَاللَّهُ يُجْزِي الْأُمُورَ كُلَّهَا عَلَى اخْتِيَارِ الْحَضْرَةِ
الْإِمَامِيَّةِ الَّذِي هُوَ خَيْرُ اخْتِيَارٍ، وَيُعِينُ عَلَى مَا يَخْطِئُ بِرِضَاهَا، وَيُجْزِلُ الْحِطَّ مِنْ
نُعْمَاهَا، وَيُوزِغُ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْوَالِدَ وَالْوَلَدَ شُكْرَ فَضْلِهَا وَنُعْمَاهَا.
وَكَتَبَ أَيْضًا:

حَضْرَةُ الْخِلَافَةِ الْعَلِيَّةِ، وَالْإِمَامَةِ السَّعِيدَةِ السَّنِّيَّةِ، مَطْلَعُ الْأَنْوَارِ الْعَاكِفَةِ، وَمَنْبُعُ
الْبَرَكَاتِ الدَّارَةِ الْوَائِكَةِ، وَصَلَ اللَّهُ تَأْيِيدَهَا، وَخَلَّدَ أَيَّامَهَا وَضَاعَفَ سُعُودَهَا، وَأَعْلَى
أَعْلَامَهَا، وَشَكَرَ إِحْسَانَهَا الْمُتَرَادِفِ الْمُتَضَاعِفِ وَإِنْعَامَهَا، وَأَبْقَى بَرَكَتَهَا الْعَظِيمَةَ
الْجَسِيمَةَ وَأَدَامَهَا. عَبْدٌ مَقَامُهَا الْكَرِيمِ، وَمَمْلُوكٌ فَضْلِهَا الْعَظِيمِ، الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي
شُكْرِ إِحْسَانِهَا الْمُتَتَابِعِ وَإِنْعَامِهَا الْجَسِيمِ، الدَّاعِي بِدَوَامِ أَيَّامِهَا الَّتِي سَفَرَتْ السُّعُودُ
فِيهَا عَنْ كُلِّ وَجْهِ وَسِيمٍ، غَذِي نِعَمِهَا وَرَهِيْنُ شُكْرِهَا إِبْرَاهِيمَ:



سَلَامٌ كَرِيمٌ، طَيِّبٌ مُبَارَكٌ عَمِيمٌ، عَلَى حَضْرَةِ التَّقْدِيسِ وَالتَّكْرِيمِ كَثِيرًا، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ؛ وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ كَمَا يَجِبُ لِجَلَالِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى وَعَلَى آلِهِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، وَارِثِ شَيْمِهِ النَّبَوِيَّةِ وَخِلَالِهِ، وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، الْأَيِّمَةِ الْمُرْشِدِينَ الَّذِينَ مَشَوْا أَمْرَهُ الْعَزِيزِ إِلَى غَايَةِ كَمَالِهِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي يَعْقُوبَ ⁽¹⁾ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِلُغِ أَمَالِهِ وَدَوَامِ سَعْدِهِ وَتَمَكُّينِهِ وَيُؤْمِنِهِ وَإِقْبَالِهِ، وَبِالصَّنْعِ الْأَجْمَلِ، وَالتَّضَرُّعِ الْأَعَزِّ الْأَكْمَلِ، فِي كَافَّةِ أَحْوَالِهِ.

فَكَتَبَ عَبْدٌ إِحْسَانُهَا، وَمُسْتَرْقٌ عَطْفُهَا وَامْتِنَانُهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا صَلَةً مَا عَوَّدَهَا مِنْ إِفَاضَةِ النُّورِ، وَمُسَاعَدَةِ الْقَدَرِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَبَرَكَاتُهَا -وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهَا- طَائِمَةُ الْعُبَابِ، وَنِعْمُهَا عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ هَامِيَةُ الْعُبَابِ، وَالتَّفَاتَاتُهَا الْكَرِيمَةُ مُدْخَلَةٌ عَلَى الْجُمْهُورِ وَفُودِ السَّرُورِ مِنْ كُلِّ بَابٍ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يَسْتَخْرِجُ مِنَ الْمَزِيدِ كُلِّ لُبَابٍ، وَالشُّكْرُ لِأَلَانِيَةِ الْجِسَامِ وَأَيَادِيهَا الْجَمَّةِ، مِنْ أَوْكِدِ الْفُرُوضِ الْوَاجِبَةِ الْمُهِمَّةِ، وَأَوْجِبِ الْحُقُوقِ الَّتِي تَتَعَيَّنُ فِي كُلِّ حِينٍ عَلَى الْعِنَايَةِ وَالْهِمَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي وُجُوبِ الْأَمْتِثَالِ بِأَوَامِرِهَا الْمُطَاعَةِ وَبَذَلِ النَّصِيحَةِ لَهَا فِي الْخِدْمَةِ؛ وَعِنْدَ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَوْفَى مَا يَكُونُ مِثْلُهُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ كُنْهَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهَا مِنْ عَظِيمِ الْحَقِّ وَيُقَدَّرُ قَدْرُ مَا أَسْبَغَتْ عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَةِ، وَاللَّهُ يُعِينُهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْمَوْجِبِ الْمُفْتَرَضِ، وَيُنْهِضُهُ مِنْ تَمْشِيَةِ أَغْرَاضِهَا الْكَرِيمَةِ، وَالْمُحَافَظَةِ مِنْهَا عَلَى كُلِّ غَرَضٍ، بِمَا يُحْظِيهِ بِرِضَاها الَّذِي هُوَ خَيْرُ أَمَلٍ عَزَّ وَأَشْرَفُ مَطْلُوبٍ عَرَضَ.

وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ مَقَامِهَا الشَّاكِرِ لِجَزِيلِ إِنْعَامِهَا، أَوْرَدَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَفُودَ السَّرُورِ، وَبَلَغَهَا الْأَمَلُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، كِتَابُهَا الْكَرِيمُ الْأَفْخَمُ، الْأَشْرَفُ الْأَعْظَمُ، الَّذِي كَمَلَتْ

(1) هو يوسف بن عبد المؤمن الموحي، انظر ترجمته في المعجب، ص: 236، والبيان المغرب، ص:



بِهِ الْإِنْعَامَ وَجَدَّدْتُهُ، وَأَوَّلْتُ فِيهِ مِنْ كَرِيمِ الْإِنْفَاتِ مَا عَوَّدْتُهُ، وَمَنَحْتُ بِهِ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالتَّنْوِيهِ، وَالْحِظِّ الْكَرِيمِ النَّبِيهِ، مَا لَمْ تَزَلْ -بِفَضْلِهَا وَرَحْمَتِهَا- تُضَاعِفُهُ وَتُثْمِنِيهِ، فَتَلْقَاهُ الْعَبْدُ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَاخْتَفَلَ فِي شُكْرِ مَقَاصِدِهِ الْكَرِيمَةِ أَنْتَمَ اخْتِفَالٍ، وَابْتَدَرَ الشُّكْرَ لَهُ بِلِسَانٍ إِلَى اللَّهِ فِي الْمَعُونَةِ عَلَيْهِ ضَارِعٌ، وَأَمْرُهُ الْمُطَاعُ بِاجْتِهَادٍ مُبَادِرٍ إِلَى امْتِثَالِهِ مُسَارِعٌ.

فَأَمَّا مَا اقْتَضَاهُ الْمُطَاعُ -أَمُضَاهُ اللَّهُ- مِنَ التَّأْكِيدِ فِي تَعْرِفِ أَنْبَاءِ الْكَفَرَةِ أَحَانَهُمُ اللَّهُ مَعَ السَّاعَاتِ، وَتَكْلِيفِ أَهْلِ الثُّغُورِ وَتَعْمِيمِهَا وَالْإِعْلَامِ بِهَا فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، وَمُوَاصَلَةِ الْإِعْلَامِ بِمَا يَرِدُ مِنْ حَقِيقَةِ الْأَنْبَاءِ، يُعْلَمُ بِهِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- عَلَى الْوَلَاءِ، وَلَمْ يَزِدْ الْآنَ مِنْ حَقِيقَةِ أَنْبَائِهِمْ إِلَّا مَا هُمْ بِهِ مِنَ الْمُفَاتِنَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ مُسْتَعْلُونَ، وَاللَّهُ لَا يُعْدِمُهُمْ بِذَلِكَ اسْتِغْلَالًا، حَتَّى يُبِيدَهُمُ اللَّهُ وَيُدَمِّرَ أَعْدَادَهُمْ، وَيُخَرِّبَ -بِالْبَرَكَةِ الْإِمَامِيَّةِ- بِلَادَهُمْ.

وَأَمَّا مَا اقْتَضَاهُ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ فِي أَمْرِ «كُومِيَّة» -وَفَقَّهُمُ اللَّهُ- مِنْ أَنْ يُحْضَرَ الْعَبْدُ مِزْوَارُهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ وَيُحَذِّرُوا عَاقِبَةَ الْاِعْتِدَاءِ، وَيُخَوِّفُوا مِنَ الْجَزَاءِ، وَيُسْتَوْفَى فِي الْإِلْقَاءِ إِلَيْهِمْ كُلُّ مَا اقْتَضَاهُ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ فَذَلِكُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْإِمَامِيِّ الَّذِي عَمَّ الْبِلَادَ، وَشَمَلَ الْعِبَادَ، وَمِنَ النَّظَرِ الْجَمِيلِ الَّذِي بِهِ يُغَيِّرُ الْمُنْكَرَ حَيْثُ كَانَ وَالْفُسَادَ. وَوَجَبَ الْإِعْلَامُ -أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ- بِأَنَّهُ قَدْ أَلْقَى إِلَيْهِمْ مِنْ مُقْتَضَى الْأَغْرَاضِ الْإِمَامِيَّةِ، وَالْوَصَايَا الْهَادِيَةِ الْعَلِيَّةِ مَا أُمِرَ بِالْقَائِهِ إِلَيْهِمْ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ جُهْدُهُ عَلَيْهِمْ، وَبَرَكَتِ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ تَظْهَرُ الْمَصْلَحَةُ وَيُحْمَدُ الْأَثَرُ، وَيَتَّصِلُ ⁽¹⁾ النَّفْعُ وَيَنْقَطِعُ الضَّرَرُ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَاللَّهُ يُجَازِي الْمَقَامَ الْإِمَامِيَّ عَلَى عَطْفِهِ عَلَى الرَّعَايَا عَيْدِهِ، وَتَشْدِيدِهِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَتَأْكِيدِهِ، وَيُعِينُ عَلَى تَمْشِيَةِ عَرْضِهِ الْكَرِيمِ فِيهِمْ وَمَقْصُودِهِ؛ فَمَا زَالَ الْإِنْفَاتُ الْكَرِيمُ يَرْفَعُ الْمَظَالِمَ وَيُؤَمِّنُ الْخَائِفَ وَيُسِّرُ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ، وَيُلَبِّي دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ تَلِيَّةَ الْمُجِيبِ ⁽²⁾.

(1) في الأصل: «ويصلح» والتصويب بالهامش.

(2) فيه نظر إلى القرآن الكريم.



وَأَمَّا مَا افْتَضَاهُ النَّظَرُ الْكَرِيمُ، وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ، وَالْإِنْفَاتُ الْعَلِيُّ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ التَّكْمِيلُ لِلنَّعْمِ وَالتَّيْمِيمِ، مِنْ تَقْدِيمِ عَبْدِ الْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ ابْنِ عَبْدِهَا عَلَى «بَنِي رِيَّاحٍ» وَقُرَّةِ مَنْافٍ، وَإِلْزَامِهِ سُكْنَى «شَرِيش»⁽¹⁾، وَأَخْذِهِ بِرُكُوبِ الطَّرِيقَةِ الْحَمِيدَةِ، وَاتِّبَاعِ الْمَنَاحِي السَّيِّدَةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ النَّعْمِ الَّتِي جَلَّتْ أَنْ يُحِيطَ شُكْرُ الْمَخْلُوقِ بِأَجْزَائِهَا، فَإِنَّ الَّذِي أَوْلَتْهُ بِذَلِكَ مِنَ التَّنْوِيهِ وَالتَّشْرِيفِ يُعْجِزُ الْإِنْسَانِيَّةَ عَنْ اسْتِيعَابِ وَاجِبَاتِ شُكْرِهِ وَاسْتِيفَائِهَا، فَلَيْسَ إِلَّا الدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ فِي تَوَلَّى جَزَائِهَا، فَهُوَ الْقَدِيرُ - سُبْحَانَهُ - عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الشُّكْرَ الْمُوفَى بِإِزَائِهَا، وَلَيْسَتْ بِأُولَى مِنْ بَرَكَاتِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ شَكَرَ اللَّهُ عَمِيمَ الْإِنْفَاتِهَا، وَلَا بِفَاتِحَةٍ مِنْ مَنَحِهَا الْعَظِيمَةِ وَهَبَاتِهَا؛ فَتِلْكَ عَادَتُهَا فِي تَمَلُّكِ قُلُوبِ الشُّبَّانِ مِنْ عَيْدِهَا وَالشَّيْبِ، وَإِسْبَاغِ النَّعْمِ عَلَى الْبَعِيدِ مِنْهُمْ وَالْقَرِيبِ؛ وَمَا زَالَتْ نِعْمُهَا تَسُحُّ عَمَائِمَ، وَتَتَفَتَّحُ عَنْ زَهْرِ الْأَمَالِ كَمَاثِمَ، وَتَصْفُو وَدِيَّةً، وَتَطْمُؤُا بِحَارًا وَتَسِيلُ أَوْدِيَّةً، وَمَا بَرَحَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ بِفَضْلِهَا الْعَظِيمِ، وَطَوْلِهَا الْعَمِيمِ، نَعْمُ الْأُمَمِ بِهِمَا الْمَحَافِلُ فِي كُلِّ فُطْرٍ وَالْأَنْدِيَّةِ. وَلَوْ وَصَفَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى تَوَالِي بَعْضِ الْإِنْفَاتِهَا، وَتَضَاعُفِ بَرَكَاتِهَا، لَأَنفَدَ الْأَوْرَاقُ وَالْأَقْلَامُ، وَلَمْ يَسْتَوْفِ الْكَلَامُ؛ لَكِنَّهُ يَعْتَرِفُ بِأَنَّ هَذِهِ النَّعْمَ إِنَّمَا تُشْكُرُ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِهَا، فَقَصَارَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَغَنَّى⁽²⁾ بِحَمْدِهَا عَلَى الدَّوَامِ وَذِكْرِهَا. وَقَدْ تَلَقَّى الْعَبْدُ النَّظَرَ الْكَرِيمَ فِي ذَلِكَ بِالْإِمْتِثَالِ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَصَايَا الْإِمَامِيَّةِ الْكَرِيمَةِ مَا يَخْتَوِي مِنْهُ - بِحَوْلِ اللَّهِ - أَكْرَمَ مِثَالٍ، وَيَسْتَعِينُ بِاللهِ تَعَالَى وَبِالْبَرَكَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَدَامَهَا اللَّهُ - عَلَى الْإِنْتِهَاضِ بِهِ وَالْإِسْتِقْلَالِ. وَاللَّهُ يُوزَعُ شُكْرُ مَا أَفْضَلَتْ بِهِ الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ مِنْ جَزِيلِ الْأَفْضَالِ، وَيَسْتَعْمَلُ عَلَى مَا يَخْطِ بِرِضَاهَا فِي كُلِّ حَالٍ، وَيُوزَعُ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْوَالِدَ وَالْوَلَدَ بِشُكْرِ مَا عَمَّمَهُمْ مِنْ كَرِيمِ الْإِنْفَاتِ وَالْإِهْتِبَالِ.

(1) مدينة أندلسية مشهورة ومنها شارح المقامات أبو العباس الشريشي. وشهرتها بالمُجَنَّبَاتِ مبسوبة في كتب الأندلسيين.

(2) في الأصل: «يتغذى».



وَكَتَبَ أَيْضاً:

مَطْلَعُ الْأَنْوَارِ الْهَادِيَةِ، وَمَنْشَأُ الْبَرَكَاتِ الرَّائِحَةِ وَالْغَادِيَةِ، وَمَثَابَةُ الْبَشْرِ الْمُتَوَالِيَةِ الْمُتَمَادِيَةِ؛ أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهَا وَإِعْزَازَ نَصْرِهَا وَهَنَاقَهَا مَا أَوْضَحَ مِنْ بَرَاهِينِ السُّعُودِ فِي عَصْرِهَا، وَوَالَى لَهَا مِنَ التَّمَكِينِ، وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ، مَا يُعْرِفُهَا فِي كُلِّ إِرَادَةِ عَوَارِفَ يُسْرِهَا. عَبْدُ مَقَامِهَا السَّامِي، وَمَمْلُوكُ إِنْعَامِهَا الْهَامِي، الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي شُكْرِ إِحْسَانِهَا الْمُتَضَاعِفِ وَإِدَامَةِ سَعْدِهَا النَّامِي، اللَّائِذُ بِظِلِّهَا الْوَافِي وَكَهْفِهَا الْحَامِي. إِبْرَاهِيمُ:

سَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُعْلِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَمُظْهِرِهَا عَلَى كُلِّ جَبَّارٍ أَثِيمٍ وَكَفَّارٍ غَنِيْدٍ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ بِالذَّلِيلِ الصَّادِقِ وَالشَّهِيدِ، وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَيَّمَةِ الْمُرْشِدِينَ إِلَى سَنَنِهِ الْقَوِيمِ وَصِرَاطِهِ الْحَمِيدِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِدَوَامِ مَا عَوَّدَهُ مِنَ النَّصْرِ وَالتَّيْدِ، وَإِنْجَازِ مَا ذَخَرَ مِنَ الْفَتْوحِ لِرِزْمِهِ السَّعِيدِ. فَكَتَبَ عَبْدٌ عَلَانِيَتِهَا، وَرَهْنُ شُكْرِ آلَانِيَتِهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا مِنَ السُّعُودِ أَعْظَمَهَا مِقْدَاراً، وَأَلْزَمَهَا إِيرَاداً وَإِنْجَازاً لِيُوعِدَ وَإِضْداراً، وَبَرَكَاتُ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَيُّدَهَا اللَّهُ - قَدْ تَدَفَّقَتْ شَائِبِيَّتِهَا، وَأُضْفِيَتْ عَلَى الْعُبْدَانِ فِي كَافَةِ الْبُلْدَانِ جَلَابِيَّتِهَا؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يَدْعُو النَّعْمَ فَيَكْبِيهِ مُجِيبُهَا، وَعَبْدٌ جَلَالُهَا - وَصَلَ اللَّهُ حِرَاسَةَ كَمَالِهَا - عَلَى أَوْفَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ عُبْدَانُهَا الْمُخْلِصُونَ وَأَرْقَاؤُهَا النَّاصِحُونَ، مِنَ النَّصِيحَةِ فِي خِدْمَتِهَا، وَالاجْتِهَادِ فِي شُكْرِ نِعْمَتِهَا، وَبَذْلِ الْجُهِدِ فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهَا، وَاسْتِنْفَادِ الْوُسْعِ فِي آدَاءِ مُفْتَرَضَاتِهَا، وَاللَّهُ يُوزِعُهُ شُكْرَ نِعْمَاتِهَا، وَيَنْشُرُ عَلَيْهِ جَنَاحَ رُحْمَاتِهَا.

وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ إِحْسَانِهَا، أَوْرَدَ اللَّهُ وَفُودَ الشُّرُورِ عَلَى عَلِيٍّ مَكَانِهَا، كِتَابُهَا الْكَرِيمِ، الْمُعْظَمُ بِوَاجِبَاتِ التَّعْظِيمِ، يُشْرِقُ نُورُهُ، وَتَنْطِقُ بِالْهُدَى وَالْإِزْشَادِ سَطُورُهُ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَعْجَازُهُ الْكَرِيمَةُ وَصُدُورُهُ؛ فَعْظَمَ بِوُصُولِهِ فَرَحَ الْعَبْدِ وَسُرُورُهُ، وَاقْتَبَسَ الْمَصَالِحَ وَالْمَرَاشِدَ مِنْ ضَوْءِ سِرَاجِهِ، وَاقْتَصَى بِالْإِمْتِنَانِ لَأَوَامِرِهِ الْمُطَاعَةَ وَاضْطَرَّ مِنْهَا جِهَةً؛ وَكُلُّ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْأَغْرَاضِ الْعَلِيَّةِ، وَالْإِشَارَاتِ



الكَرِيمَةِ الْجَلِيلَةِ، فِي حِفْظِ الْمُهَادَنَةِ وَالْإِعْلَامِ بِالْأَنْبَاءِ وَتَأْمِينِ الرَّعِيَّةِ، يُبَادِرُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ، وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُحَافِظُ - بِحَوْلِ اللَّهِ - عَلَيْهِ.

وَاللَّهُ يُجَازِي الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ عَلَى اعْتِنَائِهَا بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، وَتَأْكِيدِهَا فِي وَضَلِ مَا يَعُودُ بِالصَّلَاحِ، وَقَطْعِ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْفَسَادِ، بِأَفْضَلِ جَزَاءِ الْخُلَفَاءِ الْمُحْسِنِينَ، وَالْأَيُّمَةِ السُّعْدَاءِ الْمُفْضَلِينَ الْمُنْعَمِينَ.

وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مَا عَوَّدَهَا مِنْ نَصْرِ الْأَعْلَامِ، كَمَا حَفَظَ بِدَعْوَتِهَا الْعَالِيَةَ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِأَمْرِهَا الْعَزِيزِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ سَعْدَهَا فِي الْأَشْتِهَارِ، أَوْضَحَ مِنَ النَّهَارِ، وَفِي الْبَيَانِ، أَصْدَقَ مِنَ الْوَعْدِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا الْأَصْلُ، يَعْضُدُهُ النَّقْلُ، وَيَشْهَدُ بِهِ الْحِسُّ وَالْعَقْلُ، فَيَحِقُّ لِلْبَشَائِرِ أَنْ تَرْتَدَّدَ فِي أَيَّامِهَا تَرْتَدَّدُ الْأَنْفَاسُ، وَتَتَنَاسَقَ تَنَاسُقَ وَرَقِ الْأَس.

وَقَدْ بَلَغَ الْآنَ الْخَبْرَ الْعَمِيمَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - بِمَا كَيْفَهُ السُّعْدُ الْمُطَرَّدُ الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ، وَهِيَائَهُ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَعَلَى النَّاسِ، مِنْ قَتْلِ الشَّقِيئِ الَّذِي نَجَمَ بِالْقِبْلَةِ وَكَتَمَ الْحَقَّ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ كَتْمُ كَاتِمٍ، وَأَرَادَ أَنْ يُعَارِضَ النُّورَ الْمُبِينَ بِالظُّلَامِ الْعَاتِمِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ أَمْرَهَا الْعَزِيزُ هُوَ أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَصُدُّهُ صَادٌ، وَلَا يَضُرُّهُ مُحَالِفٌ وَلَا مُضَادٌ؛ فَاهْتَرَّتْ أَرْضُ الْأَنْدَلُسِ طَرَبًا بِهَذِهِ الْبَشَارَةِ الْعَظِيمَةِ اهْتِرَازًا، وَاعْتَرَزَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ اعْتِرَازًا، وَشَمَلَ السُّرُورُ الْأَيُّمَةَ قَاطِبَةً وَعَمَّهُمْ، وَقَصَدَهُمُ الْخُبُورُ فِي كُلِّ جِهَةٍ وَأَمَّهُمْ، وَارْتَفَعَ الصَّجِيحُ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ الْعَمِيمَةِ، وَامْتَلَأَتِ الْقُلُوبُ بِهَجَّةٍ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ الْجَسِيمَةِ، وَحَسَدَتِ الْعُيُونُ عَلَيْهَا الْأَذَانَ، وَازْدَادَ الْمُسْلِمُونَ يَقِينًا بِأَنَّ سَعْدَ هَذِهِ الْخِلَافَةِ الْعَالِيَةِ كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ.

وَأَمَّا الَّذِي خُصَّ الْعَبْدُ بِهِ مِنَ السُّرُورِ بِهَذِهِ الْبُشْرَى، وَالْمِنَّةِ الْكُبْرَى، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ الْوَصْفُ بِتَخْصِيلِهِ، أَوْ يَشْتَمِلَ عَلَى حَضَرِ جُمْلَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ، وَإِنَّهُ لَفَتْحٌ مِنَ الْفَتْوحِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا أَسْعَدُ الْأَرْمَانِ، وَيَقَرُّ اللَّهُ بِهَا عَيْنَ الْإِيمَانِ. وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ فِي إِظْهَارِ أَمْرِهِ عَلَى كُلِّ مَنَاقِبٍ، وَإِعْزَازِ نَصْرِهِ عَلَى كُلِّ شَقِيٍّ غَاوٍ. ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ﴾



وَعَدَهُ ﴿١﴾. وَسَعَدُ قَضَى بِهِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ تَمْكِينَهُ وَسَعْدَهُ، وَيُتْبِعُ لَهُ كُلَّ فَتْحٍ بِأَكْبَرَ مِنْهُ بَعْدَهُ، وَيُنْجِزُ لَهُ مَا وَعَدَهُ مِنَ الْاِسْتِيلَاءِ وَالظُّهُورِ، إِلَى يَوْمِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ. وَإِنَّ مِنْ سَعْدِ أَيَّامِهِ السَّعِيدَةِ، وَمِنْ بَرَكَاتِهِ خِلَافَتِهِ الْمُبَارَكَةِ الْحَمِيدَةِ، مَا أَلْقَى اللَّهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ بَيْنَ رُؤُوسِ الْكُفَرَةِ -أَحَانَهُمُ اللَّهُ- مِنَ الْمُفَاتِنَةِ فِيمَا بَيْنَ فِرْقِهِمُ الدَّمِيمَةِ، وَالشَّتَاتِ الَّذِي عَلَا كُلًّا مِنْهُمْ جَحِيمَهُ؛ فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَسْرَجَ لِحَرْبِ الْآخِرِينَ مِنْهُمْ وَالْجَمِّ، وَأَنْجَدَ فِي ضَرْبِ بِلَادِهِمْ وَأَتْنَهُمْ. وَاللَّهُ يَمْحَقُ جَمِيعَهُمْ مَحَقَ الدَّبَا^(٢)، وَيُيِيدُ جُمُوعَهُمْ حَيْثُ كَانَتْ بَيْنَ مَهَبِّ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ وَمَهَبِّ الدُّبُورِ وَالصَّبَا، وَيَزِيدُ الْخِلَافَةَ الْعَلِيَّةَ سُعُودًا تَقْضِي لَهَا فِي كُلِّ مَرَامٍ بِالتَّسْهِيلِ، وَيُعَرِّفُهَا فِي كُلِّ مَقَامٍ عَوَارِفَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ؛ بِمَنَّهُ.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

الْحَضْرَةُ الْعَلِيَّةُ الْمَقَامُ، الْقُدْسِيَّةُ التَّمْجِيدِ وَالْإِعْظَامُ، السَّعِيدَةُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، الْمَخْفُوفَةُ بِالتَّيِيدِ الدَّائِمِ الْاِسْتِمْرَارِ وَالتَّسْنِيدِ الْمُسْتَمِرِّ الدَّوَامِ، الطَّيِّبَةُ بِذِكْرِهَا أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ، وَالْخَافِقَةُ بِنَصْرِهَا عَذْبُ الْأَعْلَامِ، وَالْمَفْتُوحُ لَهَا فِي كُلِّ مَرْمَى وَالْمَيْسَرُ لَهَا فِي كُلِّ مَرَامٍ، وَالْمَيْمُونَةُ الْمَطَالِعُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَالْمَقْضِيُّ بِهَا عَلَى كُلِّ عَدُوٍّ فِي كُلِّ رَوَاحٍ وَعُذُوٍّ بِالْاِصْطِلَامِ. حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَيِّمَةَ الْمُرْشِدِينَ الْكَرَامِ. خَلَدَ اللَّهُ سُلْطَانَهَا، وَعَمَرَ بِوُفُودِ الْبَشَائِرِ أَوْطَانَهَا، وَمَدَّ لَهَا أَسْبَابَ الْفَتْوحِ وَأَشْطَانَهَا، وَأَيَّدَ بِإِنْجَازِ الْمَوْعُودِ أَمْرَهَا وَأَعْظَمَ فِي إِظْهَارِ السُّعُودِ شَانَهَا، كَمَا جَعَلَ أَيْمَنَ الدُّوَلِ دَوْلَتَهَا وَأَسْعَدَ الْأَزْمَانِ زَمَانَهَا؛ وَكَمَا جَعَلَ حَيَاةَ الْأَرْوَاحِ طَاعَتَهَا وَقَيْدَ الْقُلُوبِ إِحْسَانَهَا.

عَبْدُ سَنَائِهَا، وَمَمْلُوكُ عَلَائِهَا فِي بَحْرِ الشُّكْرِ لِأَلَائِهَا، الْبَاذِلُ جُهْدَهُ فِي شُكْرِ اللَّهِ عَلَى تَيْسِيرِ ظَفَرِهَا وَاسْتِيلَائِهَا، الْفَرِحُ بِنَصْرِ الْبُشْرَى وَالْمِنَّةِ الْكُبْرَى مِنْ كَرِيمِ إِمْلَائِهَا،

(1) سورة الروم، الآية: 5.

(2) غير واضحة في الأصل. والدبا: صغار النمل.



الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي إِدَامَةِ مَا عَوَّدَهَا مِنْ نَصْرِ كَلِمَتِهَا وَإِعْلَانِهَا، الْمُقْتَطِفُ ثَمَرَ الْمُنَى طَيْبَ الْجَنَى مِنْ بَيَانِ سُعُودِهَا وَوُضُوحِ جَلَالِهَا؛ إِبْرَاهِيمُ:

سَلَامُ اللَّهِ الْعَبْقُ النَّفَحَاتِ، الْمُشْرِقُ الصَّفَحَاتِ الْمَقْرُونُ بِالرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ وَالْبَرَكَاتِ، الْمَوْضُولُ فِي آنَاءِ السَّكَنَاتِ كُلِّهَا وَالْحَرَكَاتِ.

يَخُصُّ حَضْرَةَ السُّعُودِ، الْمَقْضِي لَهَا بِالسُّمُوِّ وَالصُّعُودِ، مَا شَرَحَتْ بِدَوْلَتِهَا الصُّدُورَ، وَتَتَابَعَ بِسَعَادَتِهَا السُّرُورَ، وَذَلِكَ أَجَلَ مُسْتَأْخِرٍ، وَأَمْدٌ لَيْسَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ آخِرٌ. وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنْجَزَ لِلْأُمَّةِ الْعَزِيزَةِ الْمَحْفُوظَةَ فِي حِرْزِهِ الْحَرِيزِ صَادِقَ عِدَاتِهِ، وَأَجْزَاهُ عَلَى أَوْضَحِ أُسْلُوبٍ مِنَ الظُّهُورِ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ عَلَى عِدَاتِهِ، وَأَطْلَعَ بِشَائِرُهُ الْعُزَّاطِلَاغَ الْمُسْتَمِرَّ عَلَى حَضْرَةِ الْإِسْلَامِ وَبُدَاتِهِ؛ وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الَّذِي بِشَارَتِهِ لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ بِالْفَتْحِ لَهَا وَشَهِدَتْ أَنَّهُ لَا يَضُرُّهُ مَنْ خَالَفَهَا وَلَا مَنْ خَذَلَهَا مِنْ مَعْلُومِ بِشَائِرِهِ وَشَهَادَاتِهِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، عَتَادِ الدِّينِ الْقِيَمِ وَأَدَاتِهِ، وَطَيْبِ الْإِسْلَامِ، حِينَ تَضَاءَلْ فِي أَسْمَالِ السَّقَامِ لَا يَعْرِفُ عَشِيَّةُ مِنْ عِدَاتِهِ، وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَثَمَةِ الْمُرْشِدِينَ قَادَةَ هُدَى رُكْبِهِ وَحُدَاتِهِ، وَمُكْمِلِي أَمْرِهِ الْعَلِيِّ وَمَوْضُحِي مَنَهْجِهِ الْجَلِيِّ وَهُدَاتِهِ، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِاطْرَادِ عَوَارِفِهِ فِي النَّصْرِ وَعَادَاتِهِ، وَمُضَاعَفَةِ حُظُوظِهِ مِنَ الدَّهْرِ وَسَعَادَاتِهِ، وَتَيْسِيرِ مَقَاصِدِهِ كُلِّهَا وَإِيرَادَاتِهِ.

فَالْكِتَابُ إِلَى حَضْرَةِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا، وَعِصْمَةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الْفُتُوحِ مَا يَخْرِقُ مُعْتَادَهَا، وَيَتَجَاوَزُ مَبْغَاَهَا وَمُرْتَادَهَا، وَمَلَكَهَا مَا رُويَ لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَسَارِقِ وَالْمَعَارِبِ، وَوَصَلَ لَهَا مَا عَوَّدَهَا مِنَ الظُّهُورِ عَلَى كُلِّ مُنَاوٍ وَمُحَارِبٍ، وَهَنَّاها مَا خَوَّلَهَا مِنْ تَيْسِيرِ الْأَغْرَاضِ، وَالْأُمْنِيَةِ بِفَضْلِ اللَّهِ كَامِلَةٍ، وَالْعَافِيَةِ شَامِلَةٍ.

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ رَحْمَتِهِ مَا بَسَطَ الْقُلُوبَ، وَأَزْبَى عَلَى الْمَطْلُوبِ؛ فَالنَّاسُ مُتَشِيرُونَ فِي الْأَرْضِ لِرِزَاعَتِهِمْ، وَمُسْتَكْثِرُونَ مِنْهَا جُهْدَ اسْتِطَاعَتِهِمْ؛ وَالرُّومُ بِالسَّلْمِ مُغْتَبِطُونَ وَلِلصِّلَحِ مُرْتَبِطُونَ؛ وَكُلُّ نِعْمَةٍ تُنَالُ، وَرَحْمَةٍ تُشَالُ، فَمِنْ الْحَضْرَةِ



الإمامية أنبغاث أسبابها، ونُشوء سحابها؛ والله يهنئ الجميع ما شملهم من نعمها، وعمهم من عطفها وكرمها. وقد ورد على عبد جلالها، ومملوك أفضالها، كتابها المعظم المكرم الذي بوروده تنبعث المسرات، وبمقصوده تنال البركات والخيرات؛ فأورد جملة الشُّرور، وأزشد إلى مصلح الأحوال ومناجح الأمور؛ فتلقاه العبد تلقى من ظفر منه بآمله، وأخلص له في الطاعة بنيته وعمله، وتفهم فصوله تفهم الواقف عندها المنتهي إليها، المتضرع إلى الله في الإعانة عليها، وعرف قدر ما تضمنه من الوصايا الجامعة لضروب المنافع في الدارين، والإشارات الموصلة إلى نيل الحُسنيين، والأغراض التي لا يضل من سلك واضح سبيلها، وأتبع صالح دليلها، ولا يزل من استند إليها، واعتمد عليها، وطفق عبد الحضرة الإمامية -أيدها الله- لا يدبر أمراً إلا اتخذ وصاياها الكريمة فيه إمامه، ولا يحاول شغلاً إلا استشعرها أمامه.

والله تعالى يشكر الحضرة الإمامية على توصيتها المرشدة، وإشارتها المعينة على الخير المنجدة، ومواعظها التي لا تزال تشحذ الأفكار والضماير، وتنور الأبصار والبصائر، وتحمل على التماس الأنفع، واكتساب العمل الصالح الذي يرفع؛ والله العليم سبحانه بما عند العبد من بذل الجِدِّ في طاعتها والاجتهاد، والاستعانة بالله في أداء حقوقها والاستنجاد، واستغراق إمكانه واستنفاد وسعه في تفقد جزئيات الأمور بآتم وجوه الاستغراق والاستنفاد، والسعي المتصل في العمل الأضلع والرأي الأصوب، والملازمة لا يتغيا الأذنَى إلى المرامي الإمامية والأقرب، والتمشية لمقصودها من العدل والإحسان، والامتنال لأوامرها المطاعة في كل معنى وكل أوان؛ وإنه لا يغفل عن مصلحة بحسب وسعه ساعة من الساعات، ولا وقتاً من الأوقات؛ والله يعينه على ما يحظى برضاها، ويؤلف من رَحَمَها.

وقد تقدّم الإعلام بأحوال الثُّغور غير مرة، وشرح العبيد ما مسها من الضيق والضعف، وغلاء السُّعْر، وعدم الطَّعام، وكثرة التشكي بقلّة الإنصاف، واحتياجها إلى النظر الكريم الذي يصلح أحوالها، ويُسِّط آمالها، وأحوالها الآن باقية على ذلك؛ وكان من جميل صنع الله وفضله الذي لا تنحصر أسبابه، ولطفه الذي لا يغلق في وجهه



مُسْتَفْتِح بَابِهِ؛ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَغَاثَ أَهْلِهَا فِي هَذَا الْعَامِ بِالْبَلُوطِ، فَإِنَّ شَجَرَهَا حَمَلَتْ حِمْلًا كَثِيرًا فَاتَّخَذَهَا أَهْلُهَا قُوْتًا لِأَنْفُسِهِمْ وَلِدَوَابَّهُمْ وَسَدَّتْ لَهُمْ مَسَدًا كَبِيرًا، حَتَّى لَا يَكَادُ يُوجَدُ عِنْدَهُمْ دَقِيقٌ إِلَّا مِنْهَا؛ فَعَظُمَتْ بِهَا عِنْدَ أَهْلِ الثُّغُورِ النِّعْمَةُ، وَظَهَرَ فِيهَا مَنْ اللَّهُ بِعِبَادِهِ وَالرَّحْمَةِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِبَرَكَاتِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيُّدَاهَا اللَّهُ- وَبِجَمِيلِ يُمْنِهَا وَبِرَكَّةِ دَعْوَتِهَا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا خَوَّلَ أَمْرَهَا الْعَزِيزَ مِنَ السُّعُودِ الَّتِي تَظْهَرُ أَثَارُهَا فِي كَافَّةِ الْأُمُورِ وَعَامَّةِ الْأَرْجَاءِ، وَيَغْنَى الْمُجْدِبُونَ بِبَرَكَاتِهَا عَنِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَنْدَاءِ.
وَكَتَبَ أَيْضًا:

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُعْلِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، الْفَاتِحِ لَهَا الْفَتْحَ الْقَرِيبَ فِي الْمَكَانِ الْبَعِيدِ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾ وَالصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالْمُبْدِي فِي تَبْيِينِ الشَّرِيعَةِ وَالْمُعِيدِ، وَالْهَادِي بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ⁽²⁾، وَالرَّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، بِالدَّلِيلِ الْوَاضِحِ وَالشَّهِيدِ، مُؤْنَسِ الدِّينِ حِينَ اسْتَوْحَشَ اسْتِيحَاشَ الْغَرِيبِ الْوَحِيدِ، وَطَبِيبِهِ حِينَ تَضَاعَلَ فِي أَسْمَالِ سَقِيمٍ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ الْحَمِيدِ، وَالْقَاصِمِينَ مِنْ عُدَاتِهِ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، حَتَّى وَضَحَتْ مَعَالِمُ الْحَقِّ بَعْدَ طُسُومِ الرُّسُومِ، وَالدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ بِنَصْرِ عَتِيدٍ، وَفَتْوحٍ لَا تَزَالُ فِي مَزِيدٍ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

فَكَتَبَ عَبْدُ جَلَالِهَا، وَشَاكِرُ أَفْضَالِهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا الظُّهُورَ عَلَى كُلِّ عَدُوٍّ مُسَالِمٍ أَوْ مُحَارِبٍ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَتْحَ الْمَوْعُودَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ. مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَبَرَكَاتِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيُّدَاهَا اللَّهُ- يَنْهَرُ الْأَلْبَابُ ظُهُورُهَا، وَتَزْخَرُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَذْبَةٌ بِحُورُهَا، وَيَفِيضُ عَلَى كَافَّةِ الْبَلَدِ فَيْضُ الشَّمْسِ عَلَى كُلِّ مَكَانٍ نُورُهَا،

(1) سورة الحديد، الآية: 20. وسورة الجمعة، الآية: 4.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، سورة المائدة، الآية: 18.



وَبَشَائِرُهَا الْكُبْرُ يُنْهَجُ سُفُورُهَا وَتَرَوْقُ أَعْجَازُهَا كَمَا تَرَوْقُ صُدُورُهَا؛ وَلِلَّهِ عَلَيْهَا
الْحَمْدُ الَّذِي تُنْمَى بِهِ أَقْسَامُهَا وَتُشْرِقُ بُدُورُهَا. وَالَّذِي يَعْتَكِفُ عَبْدُ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ
عَلَيْهِ وَيَنْصَرِفُ بِأَخْلَصِ الْعَمَلِ وَأَبْلَغِ النِّيَّةِ إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي خِدْمَتِهَا وَالتَّضَرُّعِ إِلَى
اللهِ فِي شُكْرِ نِعْمَتِهَا، وَالْعِلْمِ بِقَدْرِ عَطْفِهَا الْكَرِيمِ، وَالتَّفَاتِهَا الْعَمِيمِ وَرَحْمَتِهَا، وَبَذَلِ
الْجُهْدِ فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهَا، وَاسْتِنْفَادِ الْوُسْعِ فِي آدَاءِ مُفْتَرَضَاتِهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى تَمْشِيَةِ
أَوَامِرِهَا الْعَلِيَّةِ، وَالسُّرُورِ بِمَا صَنَعَ اللهُ لَهَا مِنَ الْمَصْنُوعَاتِ السَّيِّئَةِ، لَا يَزَالُ يَنْمُو
وَيَزِيدُ، وَيَنْشَأُ كَمَا يَنْشَأُ الْوَلِيدُ، وَلَا يَبْرَحُ يَتَابَعُهُ التَّقْرِيرُ وَالتَّكْرِيرُ وَالتَّرْدِيدُ وَالتَّوَكُّيدُ،
تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ بِآدَاءِ الْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ وَالْفَرَضِ، أَوْ عَمَلًا بِحَدِّهِ مُحَضِّرًا يَوْمَ الْجَزَاءِ
وَالْعَرْضِ؛ وَاللهُ يَنْهَضُهُ بِوَاجِبَاتِهَا، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ مَنِحِهَا الْعَظِيمَةِ وَهَبَاتِهَا.

وَمِمَّا وَجَبَ بِهِ إِعْلَامُ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيَّدَهَا اللهُ- أَنَّ أَحْوَالَ هَذِهِ الْجِهَاتِ -
بِرَّكِتِهَا- جَارِيَةٌ عَلَى الصَّلَاحِ الْمُتَّصِلِ، وَالْهُدْنَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ وَالْخَيْرِ الْمُشْتَمِلِ؛ وَقَدْ امْتَدَّ
ظِلُّ الْأَمَانِ، وَاقْتَبَلَ شَبَابُ الزَّمَانِ، وَتَمَكَّنَتْ طُمَأْنِينَةُ الْقُلُوبِ، وَقَضَى بِالْمُؤْمِنِينَ
لِلْحُسْنَيْنِ الْإِيَابِ الْكَرِيمِ، وَالْأَلِفَاتِ الْعَمِيمِ، كُلُّ مَرْغُوبٍ وَمَطْلُوبٍ. وَالنَّعْمُ وَافِيَةٌ
وَالْغِبْطَةُ ظَاهِرَةٌ، وَآيَاتُ الظُّهُورِ عَلَى الْأَعْدَاءِ بَاهِرَةٌ، وَالنَّاسُ مُشْتَغِلُونَ بِضَمِّ زَرْعِهِمْ
شَاكِرُونَ لِلَّهِ عَلَى الْخَيْرِ الَّذِي اسْتَقْبَلَهُمْ، وَالْاعْتِزَازِ الَّذِي أَظْلَمَهُمْ. وَالرُّومُ مُغْتَبِطُونَ
بِسَلَامِهِمْ لَمَّا تَقَرَّرَ - مِنْ نَصْرِ اللهِ لِأَمْرِهِ الْعَزِيزِ عَلَى مَنْ يُنَازِعِيهِمْ - فِي عِلْمِهِمْ؛ غَيْرَ أَنَّ
أَمَدَ الصُّلْحِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ نَحْوُ شَهْرَيْنِ. وَاللهُ يُجْرِي الْأَحْوَالَ - بِرَّكِتِهَا - فِي كُلِّ مُسْتَقْبَلٍ
عَلَى أَفْضَلِ مَعْهُودٍ، وَيُعَرِّفُهَا الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ وَالْيُمْنَ وَالْبَرَكَهَ فِي كُلِّ مَنْوِيٍّ مَعْقُودٍ.

وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدِ إِحْسَانِهَا، وَشَاكِرِ امْتِنَانِهَا، كِتَابُهَا الْعَظِيمِ الْكَرِيمِ الْمُتَضَمِّنُ مِنْ
عَظِيمِ الْبَشَارَاتِ، وَكَرِيمِ الْإِشَارَاتِ، مَا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْأَمَالَ، وَيُصْلِحُ بِهِ الْمَسَاعِيَ كُلَّهَا
وَالْأَعْمَالَ؛ فَتَلَقَّاهُ تَلَقِّيَ أَمْثَالِهِ، وَتَضَرَّعَ إِلَى اللهِ فِي أَنْ يُجَازِيَ الْمَقَامَ الْإِمَامِيَّ بِأَفْضَلِ
الْجَزَاءِ عَلَى كَرِيمِ التَّفَاتِ وَاهْتِبَالِهِ، وَأَنْ يُعِينَ عَلَى تَمْشِيَةِ غَرَضِهِ الْكَرِيمِ وَتَنْفِيزِ أَمْرِهِ
الْمُطَاعِ وَامْتِنَالِهِ.



فَأَمَّا مَا تَصَمَّنَ مِنْ مُشَارَفَةِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ ثَنَائَا الْبِلَادِ، وَوَعْدَهَا بِالْخَيْرِ الَّذِي
اسْتَقْبَلَ كَافَّةَ الْعِبَادِ؛ فَتِلْكَ نِعْمَةٌ لَا يُحْصَرُ السُّرُورُ بِهَا وَلَا يُحْصَى، وَلَا يَزَالُ الشُّكْرُ
عَلَيْهَا يَنْتَهِي فِي الْاِخْتِفَالِ وَالِاتِّصَالِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى؛ فَيَا لَهَا مِنْ مَسَرَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَمِنَّةٍ
جَسِيمَةٍ، وَبِشَارَةٍ كَامِلَةٍ عَمِيمَةٍ، تُشْرِقُ بِهَا كُلُّ جَهَّةٍ نُورًا، وَتَكَادُ تَهْشُّ إِلَيْهَا الْمَغَانِي
فَضْلًا عَنْ أَهْلِهَا بِهَجَةٍ وَسُرُورًا، وَتَشْمَخُ بِهَا كُلُّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمُسْلِمِينَ عِزَّةً
وْظُهُورًا، وَيَدْعُو لَهَا الْكَافِرُونَ حَيْثُ كَانُوا بُبُورًا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا صَنَعَ لِلْحَضْرَةِ
الْإِمَامِيَّةِ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ السَّيْنِيَّةِ مِنَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَفَهَا فِيهَا مِنَ
التَّمْكِينِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ.

وَلِعَبْدِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيُّدَا اللَّهُ- صَبَابَةٌ إِلَى لِقَائِهَا وَحِرْصٌ عَلَيْهِ، وَرَغْبَةٌ أَكِيدَةٌ
فِيهِ وَتَشَوُّقٌ إِلَيْهِ، وَلَوْ لَا أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ الْإِقْدَامُ عَلَى حَرَكَةٍ إِلَّا بِإِذْنِهَا الْكَرِيمِ لَطَوَى
الْمَرَاحِلَ شَوْقًا إِلَيْهَا، وَلَسَابَقَ الْأَزْوَاحَ فِي الْوَفَادَةِ عَلَيْهَا؛ وَلَكِنَّهُ يَتَحَمَّلُ بَرَحَ الشَّوْقِ فِي
انْتِظَارِ الْإِذْنِ الْكَرِيمِ وَلَوْ أَقَامَ عَلَى الْجَمْرِ، وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى الْقُدُومِ بِغَيْرِ أَمْرٍ؛ وَفَضْلُ
الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيُّدَا اللَّهُ- يُسَعِّفُهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَرْغُوبِهِ، وَيُسِّرُ عَلَيْهِ فِي مَطْلُوبِهِ؛
بِفَضْلِ اللَّهِ.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

وَبَعْدُ؛ وَصَلَ اللَّهُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مَا عَوَّدَهَا مِنْ نَصْرِ أَعْلَامِهَا، وَإِعْلَاءِ مَقَامِهَا،
وَأَوْزَعِ شُكْرِ إِحْسَانِهَا الْعَمِيمِ وَإِنْعَامِهَا. فَإِنَّ عَبْدَ نِعْمَتِهَا وَآلِئِهَا، لَمْ يَزَلْ يَشْتَدُّ بِهِ
الْحِرْصُ عَلَى لِقَائِهَا، وَيَتَّصِلُ مِنْهُ التَّشَوُّفُ إِلَى إِحْيَاءِ النَّفْسِ وَتَمْكِينِ الْأَنْسِ بِرُؤْيَا
عَلَائِهَا، وَيَنْتَهِي بِهِ الشَّوْقُ إِلَيْهَا إِلَى غَايَةِ مُتْنَهَا، وَيَتَجَاوَزُ بِهِ الْكَلْفُ بِمُشَاهَدَتِهَا حَدَّهُ
وَمَدَاهُ؛ وَلَمْ تَزَلْ رَغْبَتُهُ إِلَى اللَّهِ فِي تَعْجِيلِ لِقَائِهَا شَدِيدَةً، وَيَدُ صَرَاعَتِهِ فِي تَيْسِيرِ ذَلِكَ
مَمْدُودَةً، وَثِقَتُهُ بِالْإِسْعَافِ فِي ذَلِكَ بِعَظِيمِ فَضَائِلِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَعَمِيمِ أَيْادِهَا
لَمَعْمُودَةٍ؛ إِلَى أَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُهَا الْمُعْظَمُ الْكَرِيمُ، بِمَا اقْتَضَاهُ إِنْعَامُهَا السَّابِغُ وَفَضْلُهَا
الْعَظِيمُ، مِنْ إِسْعَافِ الرَّغْبَةِ فِي الْحَرَكَةِ إِلَيْهَا، وَقَبُولِ الصَّرَاعَةِ فِي الْإِذْنِ بِالْوُرُودِ عَلَيْهَا،



فَكَانَ لَهُ وَرُودُ الْمَاءِ عَلَى الْعَلِيلِ وَالشَّفَاءُ عَلَى الْعَلِيلِ، وَنَزَلَتْ بِهِ عَلَى الْعَبْدِ الرَّحْمَةِ، وَكَبُرَتْ لَدَيْهِ بِوُرُودِهِ النَّعْمَةِ، وَعَظُمَ بِهِ الشُّرُورُ، وَسُرَّ بِهِ الْبَشِيرُ، وَمَا عَسَى أَنْ يُقَرَّرَ الْعَبْدُ مِنْ سُرُورِهِ بِهَذِهِ النَّعْمَةِ وَشُكْرِهِ عَلَيْهَا؛ وَسُرُورُهُ بِهَا لَا يُحِيطُ بِهِ حَدٌّ، وَشُكْرُهُ عَلَيْهَا لَا يَأْخُذُهُ حَضَرٌ وَلَا يَضْبِطُهُ عَدٌّ، وَاللَّهُ يُجَازِيهَا عَلَى أَيَادِيهَا الْمُتَظَاهِرَةِ، وَمَلَابِسِ نِعَمِهَا الْفَاحِرَةِ، وَيُبْلَغُهَا كَافَةً أَمَلِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

وَبَعْدُ. وَصَلَّ اللَّهُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَسْبَابَ السُّعُودِ، وَيَسَّرَ لَهَا إِنْجَازَ الْفَتْحِ الْمَوْعُودِ. فَإِنَّ عَبْدَ نِعْمَتِهَا الْبَازِلَ جُهِدَهُ فِي خِدْمَتِهَا، قَدْ وَصَلَ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُكْرَمِ كَلَاءَهُ اللَّهُ مُسْتَبَشِرًا بِالْقُرْبِ مِنْ رَحْمَتِهَا، مُتَبَرِّكًا بِالدُّنُوِّ مِنْ كَرَمِ لَحْظَتِهَا، وَاثِقًا مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، وَالْإِلْتِفَاتِ الْكَرِيمِ، بِمَا يَثِقُ بِهِ مَنْ كَانَ فِي الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ-أَيْدَهَا اللَّهُ- غَايَتُهُ الْمَقْصُودَةُ، وَحَرَمُهُ الْمُيَمَّمُ وَشَرِيعَتُهُ الْمَوْرُودَةُ، وَعَلِمَ اللَّهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ التَّشَوُّقِ إِلَى لِقَائِهَا الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْبَرَكَاتِ، وَمِنْ شُكْرِ اللَّهِ عَلَى تَأْتِي الْحَرَكَةِ نَحْوَهَا الَّتِي هِيَ أَسْعَدُ الْحَرَكَاتِ، وَمِنْ الْحِرْصِ عَلَى تَعْجِيلِ الْوُصُولِ، وَالْعَمَلِ عَلَى الْجَدِّ فِي السَّيْرِ مُسَارَعَةً إِلَى الْمَرْجُوِّ مِنْ لِقَائِهَا وَالْمَأْمُولِ.

وَالْعَبْدُ الْآنَ مُتَوَجِّهٌ فِي إِثْرِ هَذَا الْمَكْتُوبِ، وَمُنْحَفِزٌ جُهِدَهُ-إِنْ شَاءَ اللَّهُ- فِي بُلُوغِ الْمَطْلُوبِ مِنْ رُؤْيَةِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَتَبَلِّ الْمَرْغُوبِ؛ وَمُتَضَرِّعٌ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ يَجْعَلَ تَضَرُّعَهُ فِي كُلِّ حَالِهِ وَاقِعًا بِوَفْقِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ، جَارِيًا عَلَى حَسَبِ أَنْحَائِهَا الْكَرِيمَةِ وَأَغْرَاضِهَا الْعَلِيَّةِ، مُحْتَفِيًا فِي الْحَالَيْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ؛ وَاللَّهُ يَنْفَعُهُ بِمَا يَسْتَضِجِبُهُ فِي حَقِّهَا مِنَ الْعَمَلِ وَيُخْلِصُهُ فِي مَرْضَاتِهَا مِنَ النِّتَةِ.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

وَالِىَ هَذَا. وَصَلَّ اللَّهُ لِلْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ مَا عَوَّدَهَا مِنْ نَصْرِ أَعْلَامِهَا الْخَوَافِقِ، وَإِمْضَاءِ سُيُوفِهَا الْبَوَارِقِ، وَفَتْحِ لَهَا الْفَتْحِ الْمَوْعُودِ فِي الْمَغَارِبِ وَالْمَشَارِقِ؛ فَإِنَّ بَرَكَتَهَا لَا تَزَالُ تَتَكَفَّلُ لِبِلَادِهَا بِالْأَمْرِ فِي سِرِّبِهَا، وَتُولِجُ أَهْلَهَا بِالسَّلَامِ الْمُسْتَوْتِقِ مِنْ



سُورَة حَرْبِهَا؛ وَحَظُّ هَذِهِ الْجِهَاتِ مِنْ ذَلِكَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - حَظُّ كُبَارٍ، وَالسَّلَامُ قَدْ ضَمِنَتْ لَهَا أَلَّا يَرْتَفَعَ فِيهَا عَلَى فِئَتَيْنِ مُتَقَاتِلَتَيْنِ قِتَامٌ وَلَا غُبَارٌ، وَلَا يُرَاعَى لَهَا سِرْبٌ وَلَا صُورٌ، وَلَا يَضِيرُهَا دُثُوٌّ مِنْ بِلَادِ الْعَدُوِّ وَلَا جُورٌ.

وَقَدْ كَانَ نَشَأَ بِهِذِهِ الْجِهَاتِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ نَاكِثٌ غَادِرٌ، مُجْرِمٌ فَاجِرٌ، ظَهَرَ فَسَادُهُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَابْتَدَرَ الشُّكُوى مِنْهُ بِكُلِّ لِسَانٍ؛ وَكَانَ يَهْتَصِرُ أَفْتَانَ الْفِتْنَةِ اهْتِصَاراً وَلَا يُحَاشِي مِنَ الْإِذَايَةِ مُسْلِمِينَ وَلَا نَصَارَى؛ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِالنَّهْيِ اعْتِذَاراً وَإِنْذَاراً، وَدُعِيَ لِمَا يُخَيِّبُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ الدُّعَاءُ إِلَّا فِرَاراً⁽¹⁾، ثُمَّ اجْتَرَأَ عَلَى أَنْ نَهَدَّ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ رِعَاءِ النَّصَارَى قَدْ أَظْلَمَهُمُ السَّلَامُ بِسِتَارَتِهِ، وَأَدْخَلَهُمُ الْعَهْدُ فِي خِفَارَتِهِ؛ فَرَمَاهُمْ وَغَنَمَهُمْ؛ وَأَتَى بَطْلَيْوَسَ بِأَحَدٍ وَعِشْرِينَ أَسِيراً مِنْهُمْ وَالصُّلْحُ قَدْ عَلَاهُمْ فُسْطَاطُهُ، وَوَسَعَتْهُمْ عُهْدُهُ اللَّازِمَةُ وَأَشْرَاطُهُ؛ فَأَخَذَهُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِ أَخْذاً وَبِيلاً⁽²⁾، وَجَاءَ أَجَلُهُ فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ إِلَى الْاسْتِيخَارِ سَبِيلاً؛ وَحَكَمَتِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى السَّلَامِ بِتَعْجِيلِ إِطْلَاقِهِمْ، وَحَلَّ وَثَاقِهِمْ، حَذِراً مِنْ نَكْثِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَخَوْفاً أَنْ يَنْجُمَ نَاجِمٌ فِتْنَةٍ أَوْ يَفَاقَ، أَوْ يَسْتَوِيَ ضَرَرُ الْكُفْرِ عَلَى سَاقٍ. فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ وَصَدَرَ الرَّعَاءُ⁽³⁾، وَهُنَالِكَ ازْتَفَعَ النَّدَاءُ إِلَى اللَّهِ بِتَخْلِيدِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَالْدُّعَاءِ. وَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّ عَدُوَّهُمُ الْمُفْسِدَ قَدْ اسْتُؤْصِلَتْ مِنْهُ شَافَةٌ، وَلَمْ تَأْخُذْ بِهِ فِي دِينِ اللَّهِ وَصَلَاحِ الْمُسْلِمِينَ رَأْفَةٌ؛ فَهُمْ لِخَلِيفَتِهِمْ دَاعُونَ، وَلِأَمَانَتِهِ وَعَهْدِهِ رَاعُونَ⁽⁴⁾.

وَعَلِمَ حِزْبُ الرُّومِ أَيْضاً أَنَّ النَّاكِثَ الَّذِي كَانَ يَقْدَحُ فِي سَلَمِهِ، قَدْ أَخَذَهُ اللَّهُ بِظُلْمِهِ، وَرَأَوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ⁽⁵⁾، وَكَيْفَ يُحْفَظُ الْمِيثَاقُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ. فَالرُّومُ بِذَلِكَ مُغْتَبِطُونَ، وَبِحَبْلِ السَّلَامِ مُعْتَصِمُونَ جَمِيعاً مُرْتَبِطُونَ؛ وَقَدْ اتَّصَلَتْ رِجَالُهُمْ

(1) فيه نفس قرآني.

(2) فيه إشارة إلى القرآن الكريم.

(3) فيه اقتباس.

(4) فيه إشارة قرآنية.

(5) فيه إشارة إلى القرآن الكريم.



بِرِجَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَنَمُهُمْ بِغَنَمِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَالْكُلُّ فِي هَذِهِ الْأَحْوَازِ مُخْتَلِطُونَ، كِلَا الْفَرِيقَيْنِ يَزْتَعِي فِي الْمَرْعَى الْوَاحِدِ، وَيَلْتَقِي بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ وَهُوَ لَا يَاتِ السَّلْمَ غَيْرُ جَاحِدٍ؛ وَالْبِلَادُ خِلَالَ ذَلِكَ تَرْتَضِعُ تَذِي هَذَا الْأَمْرِ الشَّامِلِ، وَتَثِقُ بِمَا يَصْنَعُ اللَّهُ لِيُخْلِفَتِهِ فِي الْأَرْضِ مِنَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ الْكَامِلِ.

وَقَدْ وَصَلَ مُتَجَسِّسُونَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ فَأَعْلَمُوا بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِغْطَا بِسَلْمِهِمْ، وَبِمَا قَدْ تَقَرَّرَ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ لِأَمْرِهِ الْعَزِيزِ عَلَى خَالِقِهِ فِي عِلْمِهِمْ؛ وَأَنْبَأُوا أَنَّ ابْنَ الرَّيْقِ، وَصَاحِبَ لِيُونِ تَعَاقَدًا وَتَعَاهَدًا بَيْنَهُمَا سَلْمًا؛ اخْتَلَفَ النَّاقِلُونَ فِي أَمْدِهَا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهَا لِأَمْدٍ طَوِيلٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهَا لِعَدَدٍ قَلِيلٍ.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ «ابْنِ الرَّيْقِ» بِزَعْمِهِ مِنْ تَوْجِيهِ الْقُمُطِ إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيَّدَهَا اللَّهُ- فَإِنَّمَا كَانَ رَامَ ذَلِكَ إِذْ كَانَ «إِذْفُونَش» يَرُومُ تَوْجِيهِ ابْنِ حَرِيْقٍ إِلَيْهَا، وَإِشْحَاصِهِ لِلْوَفَادَةِ عَلَيْهَا؛ فَلَمَّا لَمْ يَوْجِهُ «إِذْفُونَش» رَسُولَهُ، بَلَغَ «ابْنَ الرَّيْقِ» فِي تَقْصِ تِلْكَ الْعَزِيمَةِ سُؤْلَهُ. وَذَلِكَ مِنْ خِدَاعِ الْمُشْرِكِينَ، وَمَكْرِ الْكَافِرِينَ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾⁽¹⁾.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْقُدْسِيَّةُ الْمُؤَيَّدَةُ الْمَنْصُورَةُ الْعَلِيَّةُ الطَّاهِرَةُ الزَّكِيَّةُ. حَضْرَةُ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْأَهْدَى الْإِمَامِ الْمُبَارَكِ الْأَزْكَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْأَيْمَةِ الْهَادِي، الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ سَادَاتِنَا أُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَأَدَامَ تَأْيِيدَ أَمْرِهَا، وَإِعْزَازَ نَصْرِهَا، وَوَصَلَ تَمْكِينَ عِزِّهَا وَإِسْعَادَ عَصْرِهَا، وَوَالَى عُلُوقَهَا وَظُهُورَهَا، وَصَاعَفَ بَهْجَتَهَا وَسُرُورَهَا، وَأَجْرَى مَا يُقَرَّرُ الْعُيُونِ، وَبُصِّدَقُ الْأَمَالِ فِيهَا الظُّنُونِ، أَحْوَالَهَا كُلَّهَا وَأُمُورَهَا. عَبْدُهَا الطَّائِفِ بِحَرَمِهَا، الْعَارِفِ بِحَقِّ فَضْلِهَا الْعَظِيمِ وَكَرَمِهَا، الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي شُكْرِ مَا فَاضَ عَلَيْهِ مِنْ جَزِيلِ نِعَمِهَا، اللَّائِذُ بِظِلِّ أَعْلَامِهَا، الدَّاعِي بِدَوَامِ أَيَّامِهَا وَالْحَفِظُ لِعَلِّي مَقَامِهَا، الْمُعْتَصِمُ بِمَتْنِ حَبْلِهَا، الْمُسْتَبِدُّ إِلَى وَارِفِ ظِلِّهَا عَبْدُهَا، إِبْرَاهِيمُ:

(1) سورة الأنفال، الآية: 30.



سَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ، الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْعَمِيمِ، يَخُصُّ الْحَضْرَةَ الْعُظْمَى، وَالْمَقَامَ الْأَشْرَفَ الْأَسْمَى، كَثِيرًا وَرَحْمَةً اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى آلِهِ الْعَمِيمَةِ، وَنِعْمِهِ الْجَسِيمَةِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمَخْصُوصِ بِالذَّرَجَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ، بِالذَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ وَالْخِلَالِ الْكَرِيمَةِ، وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْهَادِينَ الْمُرْشِدِينَ، الَّذِينَ صَمَّمُوا فِي نَصْرِ الدِّينِ تَضَمُّمَهُ، وَرَأَوْا تَكْمِيلَ أَمْرِهِ الْعَزِيزِ وَتَتْمِيمَهُ، وَمُواَلَاةَ الدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ السَّعِيدِ، الْمُبَارَكِ الْحَمِيدِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِنَصْرِ يَصِلُ بِحَدِيثِهِ قَدِيمَهُ، وَفَتْحِ يُعْجِزُ الْأَقْلَامَ وَالْأَفْهَامَ أَنْ تَصِفَ عَظِيمَهُ.

فَكَتَبَ عَبْدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَةِ الْعَالِيَةِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا سُعُودًا مُتَضَاعِفَةً مُتَنَاصِرَةً، وَعِزَّةً لَا تَرَالُ الْأَفْهَامُ عَنْهَا قَاصِرَةً، مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ -حَرَسَهَا اللَّهُ- وَلَأَمْرِهَا الْعَزِيزِ -أَدَامَهَا اللَّهُ- مَا عَوَّدَ مِنْ وَفُورِ الْخَيْرَاتِ، وَظُهُورِ الْبَرَكَاتِ، وَتَعَرُّفِ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ، وَالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ، فِي السَّكَنَاتِ كُلِّهَا وَالْحَرَكَاتِ، وَوُجُوبِ التَّعْظِيمِ الْمَفْرُوضِ لَهُ عَلَى الْأُمَّةِ فَرَضَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَاللَّهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ الَّذِي يَقْتَضِي مَزِيدَ النِّعَمِ وَدَوَامَهَا، وَيَسْتَدْعِي جَدِيدَ الْقِسَمِ وَيُضَاعِفُ أَقْسَامَهَا. وَشَكَرُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَةِ -أَيَّدَهَا اللَّهُ- أَوْجَبُ مَا يُبْدَأُ بِهِ الذِّكْرُ وَيُخْتَمُ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خِدْمَتِهَا أَوْكَدُ مَا يُكْمَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَيُتَمَّمُ، وَالتَّمَنُّيَةُ لِأَعْرَاضِهَا السَّنِيَّةِ، وَالْامْتِنَالُ لِأَوَامِرِهَا الْعَلِيَّةِ، أَهَمُّ مَا يُعْتَنَى بِهِ وَيُتَهَمَّمُ، وَبَابُ رِضَاهَا أَسْعَدُ مَا يُقْصَدُ مِنَ الْأَبْوَابِ وَيُتَمَمُّ؛ وَعَبْدُهَا مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَوْفَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ مَمَالِكُ إِحْسَانِهَا، وَأَرْقَاءُ امْتِنَانِهَا، الشَّاكِرُونَ لِعَظْفِهَا وَخَنَانِهَا، الْعَارِفُونَ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ لِعَظِيمِ شَانِهَا وَعَلَيَّ مَكَانَهَا؛ وَاللَّهُ يُعِينُهُ عَلَى مَا يُحْظِيهِ بِرِضَاهَا، وَيَنْشُرُ عَلَيْهِ جَنَاحَ رُحْمَاهَا، وَيُوزَعُهُ شُكْرَ فَضْلِهَا وَنِعْمَاهَا.

وَقَدْ كَانَ الْوُصُولُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ بِبِرْكَةِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَةِ أَفَاضَ اللَّهُ أَنْوَارَهَا، كَمَا مَلَأَ بِبَهْجَةِ انْفَاتِحَاتِهَا الْكَرِيمِ نُجُودَ الْأَرْضِ وَأَعْوَارَهَا، عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ مِنَ التَّيْسِيرِ، فِي حَالَتِي الْحُلُولِ وَالْمَسِيرِ؛ تَلُوحُ لَهُ وَلَمْنَ مَعَهُ الْبَرَكََةُ الْإِمَامِيَّةُ بِكُلِّ سَبِيلٍ، وَيَجِدُ بِهِ



الْخَيْرِ أَجْمَعَهُ فِي كُلِّ مُعَرَّسٍ وَمَقِيلٍ. وَاللَّهُ يَخْرُسُ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ وَيَحْفَظُ مَا وَهَبَ لَهَا مِنَ السَّعَادَةِ وَالْبَرَكَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ، الَّتِي هِيَ -بِفَضْلِ اللَّهِ- كُلُّ يَوْمٍ فِي زِيَادَةٍ؛ فَقَدْ كَانَتْ أَصَابَتْ النَّاسَ شِدَّةٌ ظَاهِرَةٌ فِي الْعَامِ، بِمَا كَانَ مِنْ غَلَاءِ السَّعْرِ وَعَدَمِ الطَّعَامِ؛ إِلَى أَنْ تَدَارَكَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِبَرَكَاتِهَا الْكَافِيَةِ، وَإِيَالِهَا السَّعِيدَةِ، فَظَهَرَتْ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ عُمُومًا وَعَلَى هَذِهِ الْجِهَةِ خُصُوصًا بَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَسَعَادَتُهَا، وَاطَّرَدَتْ لَهَا -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- طَرِيقُهَا فِي الْإِنْفَاتِ الْإِمَامِيِّ وَالنَّظَرِ الْعَلِيِّ وَعَادَتُهَا؛ فَالرَّخَاءُ هُنَا الْآنَ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- كَائِنْ مَوْجُودٍ، وَالْمَقَامُ الْإِمَامِيُّ مَشْكُورٌ بِكُلِّ لِسَانٍ عَلَى الْإِنْفَاتِ الْجَمِيلِ وَمَحْمُودٍ؛ وَالنَّاسُ لِخَلِيفَتِهِمْ وَإِمَامِهِمْ دَاعُونَ، وَلَأَمَانَتِهِ وَعَهْدِهِ رَاعُونَ، وَفِي مَرْضَاةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ سَارِعُونَ.

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ جُمْلَةِ بَرَكَاتِهَا بِالْهُدَنَةِ وَالْعَافِيَةِ، وَمَوَارِدِ الْأَمْنَةِ الصَّافِيَةِ، فَجَمِيعُهُمْ مُسْتَبْشِرُونَ، وَفِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاجِي مُتَشِيرُونَ، يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى النِّعَمِ سِرًّا وَجَهَارًا، وَيَسْتَعْلُونَ بِضَمِّ زَرْعِهِمْ آمِنِينَ حَيْثُ كَانُوا لَيْلًا وَنَهَارًا، مَبْسُوطَةً لَهُمُ الْأَمَالُ مُنْشَرَحَةً مِنْهُمْ الصُّدُورُ، صَالِحَةً لَهُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيْدَاهَا اللَّهُ- الْأَحْوَالُ كُلُّهَا وَالْأُمُورُ، وَمُتَسَاوِيَةً فِي الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ الْمَوَاسِطُ مِنْ أَوْطَانِهِمْ وَالثُّغُورِ، وَقَدْ فَاضَ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ عَلَى جَمِيعِهِمُ النُّورُ، وَعَمَّهُمْ بِبَرَكَاتِهَا الْفَرَحُ الْمُقْتَبِلُ وَالشُّرُورُ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَصِلُ النِّعَمَ بِتَخْلِيدِهَا وَيُثَبِّتُهَا، وَيُجْرِي الْأَحْوَالَ فِي كُلِّ حَالٍ وَاسْتِقْبَالٍ عَلَى مَا يُرْضِيهَا.

وَعَبْدُهَا الْآنَ مُشَمَّرٌ عَنْ سَاعِدِ الْاجْتِهَادِ جُهْدَ الاسْتِطَاعَةِ، فِي تَمْشِيَةِ أَغْرَاضِهَا الْكَرِيمَةِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهَا الْمُطَاعَةِ، لَا يَغْفُلُ عَنْ أَدَاءِ وَاجِبَاتِهَا، وَشُكْرِ هِبَاتِهَا بِحَوْلِ اللَّهِ سَاعَةً؛ وَاللَّهُ يُوزِعُهُ شُكْرَ نِعْمَتِهَا، وَيُنْجِدُهُ عَلَى مَا يُزِلُّهُ مِنْ رَحْمَتِهَا. وَلِلْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ -أَيْدَاهُ اللَّهُ- الْفَضْلُ الْعَظِيمُ، وَالطُّوْلُ الْعَمِيمُ، فِي الْإِمْدَادِ بِبَرَكَاتِ دُعَائِهِ الَّذِي هُوَ الْمُوَصِّلُ بِفَضْلِ اللَّهِ إِلَى خَيْرِ الدَّارَيْنِ، وَالْكَفِيلُ مِنَ اللَّهِ بِنَيْلِ الْحُسْنَيْنِ. وَاللَّهُ يُدِيمُ أَيَّامَهُ، وَيَنْصُرُ أَعْلَامَهُ، وَيَشْكُرُ إِحْسَانَهُ الْعَمِيمَ وَإِنْعَامَهُ، وَيَمُدُّهُ بِمَوَادِّ النَّصْرِ وَالتَّمَكُّينِ، وَالْفَتْحِ



المُبِين، بِمَنِّهِ وَنُعْمَاهُ، لَا رَبَّ سِوَاهُ. وَسَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْعَمِيمِ الْأَخْفَلُ، الْأَخْفَى عَلَى
الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ كَثِيرًا أَثِيرًا، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ. كُتِبَ فِي الْمَوْفَى
عِشْرِينَ لِحَضْرَةِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

وَكُتِبَ أَيْضًا:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْقُدْسِيَّةُ الْمُعَظَّمَةُ الْمُكَرَّمَةُ الْمُبَارَكَةُ الْعَلِيَّةُ، الْمُؤَيَّدَةُ الْمَنْصُورَةُ
الطَّاهِرَةُ الزَّكِيَّةُ. مَطْلَعُ الْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ، وَيَنْبُوعُ الْخَيْرَاتِ الْمُنْسَكِبَةِ الْأَنْوَاءِ. حَضْرَةُ
سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَيَّمَةِ الْمُرْشِدِينَ، أَفَاضَ
اللَّهُ أَنْوَارَهَا، وَنَصَرَ أَنْصَارَهَا، وَشَكَرَ إِرَادَهَا فِي الْإِنْعَامِ وَإِضْدَارَهَا، وَبَلَّغَهَا فِي الدَّارَيْنِ
بَيْنَ الْحُسَيْنَيْنِ آمَالَهَا وَأَوْطَارَهَا، كَمَا عَمَّ بِمَوَادِّ فَضْلِهَا الْعَظِيمِ، وَطَوَّلَهَا الْعَمِيمِ، أَصْقَاعَ
الْأَرْضِ وَأَفْطَارَهَا؛ عَبْدَ جَلَالِهَا، وَمَمْلُوكَ أَفْضَالِهَا، الْمُعْتَصِمَ بِوَافِرِ ظِلَالِهَا، الْمُتَضَرِّعُ
إِلَى اللَّهِ فِي شُكْرِ الْتِفَاتِهَا الْكَرِيمِ وَاهْتِبَالِهَا، الدَّاعِي لِحِرَاسَةِ مَا بَهَرَ مِنْ كَمَالِهَا؛ إِبْرَاهِيمُ:

سَلَامُ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَتَحِيَّتُهُ، عَلَى الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ؛
وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى الْآلِيَةِ الْعَمِيمَةِ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ؛ فَكُتِبَ عَبْدُ نُعْمَاهَا، وَمُسْتَرْقُ
عَطْفِهَا وَرُحْمَاهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا عُلُوَّ الْمَقَامِ، وَمُطَاوَعَةَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ؛ مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ -
حَرَسَهَا اللَّهُ- وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ خَلَّدَ اللَّهُ أَيَّامَهَا، وَأَعْلَى مَقَامَهَا، تَدَفَّقُ شَأْبِيُّهَا،
وَتَصَفُّو بُرُودُهَا وَجَلَابِيَّتُهَا؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا تَدْعُو الْأَلْسِنَةُ الْمَزِيدَ
فِيْلَبِّيَّهَا وَيُجِيبُهَا. وَمَا يَنْطَوِي عَبْدُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ عَلَيْهِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ فِي
خِدْمَتِهَا، وَالْإِحْفَالِ فِي شُكْرِ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ مِنْ نِعْمِهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى تَمْشِيَةِ
أَغْرَاضِهَا الْكَرِيمَةِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهَا الْمُطَاعَةِ، بِغَايَةِ الْوُسْعِ وَجَهْدِ الْاسْتِطَاعَةِ، حُكْمُ
يُلْتَزَمُ التِّزَامًا، وَعَمَلُ يُغْتَمُّ الْبِدَارُ إِلَيْهِ اغْتِنَامًا، وَاللَّهُ يُعِينُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى الْوَاجِبِ
الْفَرْضِ، الْمَحْظِيَّ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْعَرْضِ.



وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ إِحْسَانُهَا، أَوْرَدَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَفُودَ السَّعْدِ الْبَاهِرِ، وَالصَّنْعِ الْجَمِيلِ الْمُتَظَاهِرِ، مَا أَنْعَمَتْ بِهِ؛ شَكَرَ اللَّهُ إِنْعَامَهَا الْهَامِي، وَنَصَرَ مَقَامَهَا السَّامِي، مِنَ الظَّهِيرِ الْكَرِيمِ الْمُبَارِكِ الَّذِي أَسْبَغَتْ بِهِ النُّعْمَةَ عَلَيْهِ، وَضَاعَفَتْ الْإِمْنَةَ لَدَيْهِ، وَجَرَتْ فِيهِ عَلَى عَوَائِدِهَا الْكَرِيمَةِ فِي التَّنْوِيهِ بِهِ وَحُسْنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ، وَضَمَّتْهُ مِنَ التَّشْرِيفِ، وَالْإِحْسَانِ الْمُثْنِيِّ، مَا لَمْ تَزَلْ بِعَظَمَتِهَا وَرَحْمَتِهَا.

وَكُتِبَ أَيْضًا:

وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيُّدَاهَا اللَّهُ- تَعْدُو كَمَا عُرِفَتْ فِي حُلَّةِ الْجَمَالِ وَتُرُوحِ، وَتَبْدُو عَلَى مَا أَلْفَتْ مِنَ الْكَمَالِ وَتَلُوحُ؛ وَلِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ الَّذِي بِهِ يَتَضَاعَفُ الْخَيْرُ الْمَمْنُوحُ؛ وَمَمْلُوكُ إِحْسَانِهَا عَلَى أَوْفَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْمُخْلِصُونَ النَّاصِحُونَ مِنْ عَبْدَانِهَا مِنَ الْجِدِّ فِي خِدْمَتِهَا، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ فِي شُكْرِ نِعْمَتِهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِهَا الْمُطَاعَةِ، وَالْاجْتِهَادِ فِي تَمْشِيَةِ أَغْرَاضِهَا الْكَرِيمَةِ جُهْدَ الْاسْتِطَاعَةِ؛ وَاللَّهُ يُعِينُهُ عَلَى ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهَا، وَأَدَاءِ مُفْتَرَضَاتِهَا، وَيُوزِعُهُ شُكْرَ نِعْمَتِهَا، وَيَنْشُرُ عَلَيْهِ جَنَاحَ رَحْمَتِهَا.

وَأَحْوَالُ هَذِهِ الْجِهَةِ بِبَرَكَاتِهَا -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- فِي صَلَاحٍ يَتَفَتَحُ بِأَبْوَابِهِ، وَنَجَاحٍ تَتَأَكَّدُ أَسْبَابُهُ، وَأَمِنْ يَتَمَهَّدُ بِالسَّعَادَةِ الْإِمَامِيَّةِ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- جَنَابُهُ؛ وَبَعْدُ:

وَصَلَّ اللَّهُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مَا عَوَّدَهَا مِنَ السَّعَادَةِ وَأَجْرَاهَا مِنَ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ عَلَى حُسْنِ الْعِمَادَةِ فَإِنَّهُ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ عِلَاقَتُهَا كِتَابُهُ الْمُعْظَمُ الْكَرِيمُ أَعْظَمَ بِهِ مِنْ وَارِدِ الشُّرُورِ، وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ وَاصِلِ لِمَا فِيهِ صَلَاحُ الْأُمُورِ؛ فَتَلَقَّاهُ الْعَبْدُ بِمَا يَجِبُ لِمِثْلِهِ، مِنْ تَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَشُكْرِ فَضْلِهِ؛ وَالنَّصِيحَةِ فِي خِدْمَتِهَا عَقِيدَةً دِينِيَّةً، وَقَاعِدَةً شَرْعِيَّةً، بِهَا يَصِحُّ كَمَالُ الْإِيمَانِ، وَيُنَالُ رِضَا الرَّحْمَنِ؛ وَالَّذِي عِنْدَ عَبْدٍ نِعْمَتُهَا، وَمَمْلُوكُ كَرَمِهَا، مِنَ الْمُوَاصَلَةِ لِهَذَا الْإِعْتِقَادِ، وَمُؤَالَاةِ الْجِدِّ فِي طَاعَتِهَا وَالْاجْتِهَادِ، لَا يَزَالُ مَعَ الْأَيَّامِ فِي ازْدِيَادٍ، وَلَا يَنْفَكُ عَلَى مَا يَرْجُو بِهِ الْفَوْزُ بِالنَّجَاةِ فِي الْمِيعَادِ؛ وَاللَّهُ يُوزِعُ الْجَمِيعَ شُكْرَ نِعْمَتِهَا، وَيَنْشُرُ عَلَى الْكُلِّ هَنَاءَ رَحْمَتِهَا، وَيَنْهَضُ بِوَاجِبَاتِ خِدْمَتِهَا؛ بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ. وَبَعْدُ:



وَصَلَّ اللّٰهُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَسْبَابَ الظُّهُورِ، وَجَعَلَ عَلَى وَفْقِ اخْتِيَارِهَا جَرِيَّ الْأُمُورِ.
فَإِنَّهُ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ إِحْسَانِهَا، وَمُسْتَرْقٍ لِحُظِّهَا وَامْتِنَانِهَا، كِتَابُهَا الْمُعْظَمُ الْكَرِيمُ بِمَا
اِقْتَضَتْهُ نِعْمَتُهَا، وَتَضَمَّنَتْهُ فَضْلُهَا وَرَحْمَتُهَا، مِنَ الْإِنْعَامِ وَالتَّنْوِيهِ، وَالْإِلْتِفَاتِ الْمُتَنَاهِي
فِيهِ، وَالْغَرَضِ الْكَرِيمِ الَّذِي يَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ الْخَيْرِ وَيَسْتَوْفِيهِ؛ فَطَارَتْ بِالْعَبْدِ عِنْدَ
وُضُوْلِهِ أَجْنَحَةُ السَّرُورِ وَالْجَذَلِ، وَبَلَغَ بِمُضْمَنٍ فُضُولِهِ غَايَةَ الْمُتَمَنَّى وَنَهَايَةَ الْأَمَلِ،
وَتَضَرَّعَ إِلَى اللّٰهِ فِي أَنْ يَتَوَلَّى مِنْ شُكْرِهِ مَا لَيْسَ لِمَخْلُوقٍ بِهِ مِنْ قَبْلِ، وَجَعَلَ التَّعْظِيمَ لَهُ
وَالْعِلْمَ بِقُدْرَةِ شِعَارِهِ، وَطَفِقَ يَقْطَعُ بِشُكْرِ مُتَضَمِّنِهِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَيَرَى أَنَّهُ إِذَا بَدَّلَ فِي
الْإِعْلَامِ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْوُسْعِ وَالْجُهْدِ، وَحَمَلَ نَفْسَهُ مِنَ التَّوَعُّلِ فِي
شَرْحِهِ الْجُهْدِ، وَتَجَاهَدَ فِي الْاِحْتِفَالِ فِي وَصْفِهِ الْجِدِّ، فَلَمْ يُوفِ مَعَ ذَلِكَ حَقَّ الْإِعْلَامِ
بِكُنْهِ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ شُكْرِ مَا عَمَرَهُ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي يَتَفَقَّأُ ظِلَالُهَا، وَيَسِيغُ زُلَالُهَا؛ وَمَا
خَصَّهُ مِنَ الْعِنَايَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي يَلْتَحِفُ بِرُودِ إِحْسَانِهَا، وَيَقْتَطِفُ ثَمَرَ عَطْفِهَا وَحَنَانِهَا؛
فَقُصَّارَاهُ أَنْ يَعْتَرِفَ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِهَا، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللّٰهِ فِي تَأْيِيدِهَا
وَنَصْرِهَا، وَمُجَازَاتِهَا عَلَى نِعْمِهَا الَّتِي تَعْجِزُ الْأَلْسِنَةُ عَنْ حَضَرِهَا.

وَأَمَّا مَا اقْتَضَاهُ الْكِتَابُ الْمُعْظَمُ الْكَرِيمُ مِنْ كَفِّ أَوْلَائِكُمْ الَّذِينَ تَأَلَّمَ الْعَبْدُ مِنْهُمْ،
وَمِمَّا صَدَرَ عَنْهُمْ؛ فَذَلِكُمْ نَظَرُ كَرِيمٍ مُحْسِبٍ، وَتَنْوِيهُ عَظِيمٍ مُطْنِبٍ، وَفَضْلٌ فِيهِ الْمَقْنَعُ،
وَفِي نَظَرِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْخَيْرُ أَجْمَعُ. وَلَيْسَ الْآنَ إِلَّا الْهُدْنَةُ وَالسُّكُونُ، وَالْخَيْرُ
الَّذِي هُوَ مِنْ بَرَكَةِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ مَضْمُونٍ، وَبِرَكَّتِهَا كَانَ وَيَكُونُ.

وَاللّٰهُ تَعَالَى يُجَازِيهَا عَنْ عَبْدٍ إِحْسَانِهَا بِأَفْضَلِ الْجَزَاءِ، وَيَسْتَجِيبُ فِيهَا صَالِحَ
الدُّعَاءِ، وَيُوزَعُ شُكْرُ نِعْمَتِهَا الَّتِي لَوْ اسْتَعِيرَتْ لَهُ أَلْسِنَةُ الْبُلْغَاءِ، وَبُلْغَاءُ الْفُصَحَاءِ، لَمْ
يَأْتِ مِنْهُ عَلَى الْجُهْدِ إِلَّا بِأَقْلٍ جُزْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ.

وَأَمَّا مَا اقْتَضَاهُ الْكَرِيمُ مِنَ الْوَعِيدِ بِالنَّظَرِ الَّذِي يَعُمُّ - بِرُشْدِ اللّٰهِ - صِلَاحُهُ، وَيَظْهَرُ -
بِفَضْلِ اللّٰهِ - نَجَاحُهُ؛ فَيَلْكَمُ نِعْمَةً قَضَتْ بِبَسْطِ الْأَمَالِ وَبَهْجَةِ النُّفُوسِ، وَأَهْدَتْ إِلَى



الْجَمِيعَ أَعْظَمَ التَّائِسِ؛ وَاللَّهُ يُقَرِّبُ إِنْجَارَ الْمَوْعُودِ، وَيَقْضِي بِالْإِيَابِ الْحَمِيدِ بَعْدَ
الْفَوْزِ الْمَقْصُودِ، وَالْإِسْتِيفَاءِ لِجُمْلَةِ السُّعُودِ.

وَأَمَّا مَا أَنْعَمْتَ بِهِ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ عَلَى عَبْدٍ أَنْعَمَ مِنْ التَّائِسِ فِي كِتَابِهَا الْكَرِيمِ
الصَّادِرِ عَنْ عَظِيمِ عَطْفِهَا وَكَرَمِهَا، فَلَيْسَتْ بِأَوَّلِ نِعْمَةٍ وَصَلَتْ لَهُ أَسْبَابُهَا، وَأَضْفَتْ
عَلَيْهِ جَلْبَابُهَا، وَلَا بِأَوَّلِ مِنَّةٍ مِنْ مَنِهَا الَّتِي تَمْلِكُ الْقُلُوبَ، وَتَمْنَحُ الْمَطْلُوبَ؛ كَلَّا، إِنَّهَا
عَادَتْهَا فِي الْإِحْسَانِ، وَبَرَكْتُهَا الَّتِي تَفِيضُ عَلَى نُصَحَاءِ الْعِبْدَانِ، وَنِعْمَتُهَا الَّتِي لَيْسَ
شُكْرُهَا فِي اسْتِطَاعَةِ الْإِنْسَانِ. تَوَلَّى اللَّهُ جَزَاءَهَا وَشَكَرَ نِعْمَاءَهَا كَمَا نَصَرَ أَعْلَامَهَا،
وَأَعْلَى مَقَامَهَا، وَجَعَلَ الْأَرْوَاحَ مَمَالِيكَهَا وَالْقُلُوبَ خُدَّامَهَا، وَلَا زَالَتِ السُّعُودُ تَسِيرُ
خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

وَأَنَّهُ وَرَدَ عَلَى عَبْدِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْعَلِيَّةِ -أَيَّدَهَا اللَّهُ- كِتَابُهَا الْمُعْظَمُ الْمُكْرَمُ؛ فَيَا لَهُ
مِنْ وَارِدِ سَرٍّ وَأَبْهَجٍ، وَهَدَى السَّبِيلَ وَأَوْضَحَ الْمَنْهَجَ، وَبَسَطَ الْأَمَلَ وَفَسَحَ الرَّجَاءَ،
وَبَشَّرَ بِالصَّلَاحِ التَّامِّ، وَالْخَيْرِ الْمُسْتَقْبَلِ الْعَامِ، هَذِهِ النَّوَاحِي وَالْأَرْجَاءُ؛ فَتَلَقَّاهُ الْعَبْدُ
تَلَقِّيَ أَمْثَالِهِ مِنْ مَوَادِّ نِعْمِهَا، وَنَتَائِجِ عَطْفِهَا وَكَرَمِهَا، وَشَكَرَ اللَّهُ عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ
الْبَشَارَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَالْإِشَارَاتِ الْكَرِيمَةِ.

وَعَلَى مَا اقْتَضَاهُ مِنَ الْاِعْتِنَاءِ الْكَرِيمِ وَالْإِنْعَامِ الْعَمِيمِ، وَالْفَضْلِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ، وَسُرَّ
بِهِ سُرُورَ مَنْ عَرَفَ فِيهِ حُسْنَ الْغَرَضِ، وَاعْتَكَفَ لَهُ عَلَى الْحَمْدِ الْمُتْلَزِمِ وَالشُّكْرِ
الْمُقْتَرَضِ؛ وَتَعَرَّفَ مِنْ كَرِيمِ مُضَمَّنِهِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى الْغَرْبِ الْأَوْسَطِ -كَلَاةُ اللَّهِ- بِمَا
كَانَ اقْتَضَاهُ النَّظَرُ الْعَلِيُّ وَالرَّأْيُ الْكَرِيمُ الْإِمَامِيُّ مِنْ تَرَدُّدِ الْمُوَحِّدِينَ -أَعَزَّهُمُ اللَّهُ- فِيهِ
لِتَائِسِ رَعَايَاهُ، وَالْفَحْصِ عَنْ شُؤُونِهِ وَقَضَايَاهُ؛ وَتِلْكَ عَادَةُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيَّدَهَا
اللَّهُ- فِي الْعِنَايَةِ بِمَنَاجِحِ الْأُمُورِ، وَالرَّعَايَةِ لِمَصَالِحِ الْجُمْهُورِ، وَالتَّقَدُّدِ لِأَحْوَالِ الْبِلَادِ،
وَالِاتِّفَاتِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ. وَمَا اسْتَرَعَاها اللَّهُ هَذَا الْعَالَمَ إِلَّا وَقَدْ خَصَّهَا مِنَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ، وَالْفَضْلِ وَالْجُودِ وَالْإِمْتِنَانِ، وَالنَّظَرِ الْمَبْنِيِّ عَلَى السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، بِمَا تَحُوطُ



بِه رَعِيَّتْهَا الْمُسْنَدَةُ إِلَيْهَا، وَتَكْلَافُ بِه الْبَرِيَّةُ الَّتِي هِيَ أَمَانَةُ اللَّهِ لَدَيْهَا؛ فَهَذَا اللَّهُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ حُسْنَ رَعِيَّتْهَا، وَجَمِيلَ مَذْهَبِهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَحَمِيدَ رَأْيِهَا، وَجَزَى اللَّهُ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ أَفْضَلَ مَا جَزَى بِه خُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ، الْمُجَاهِدِينَ فِي حَيَاطَةِ الْمُسْلِمِينَ، الْعَالَمِينَ عَلَى مَا يَعُودُ فِي الْبَسِيطِينَ بِمَصْلَحَةِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ.

وَتَعَرَّفَ الْعَبْدُ أَيْضًا مِنْ مُضَمَّنِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ مَا صَنَعَ اللَّهُ مِنْ تَيْسِيرِ أَسْبَابِ رِحْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ - إِلَى أَوْطَانِهِمْ، وَإِمْكَانِ الْاقْتِرَابِ مِنْ أَوْلِيَائِهِمُ الْمُشْتَاقِينَ إِلَيْهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ؛ فَهَنِيئًا لِيَتَلَكَّمُوا الْأَوْطَانَ الَّتِي طَالَتْ بِهَا إِلَى الْمُوَحِّدِينَ الْأَشْوَاقُ، وَكَادَتْ تُزْعِجُهَا نَحْوُهُمْ فَتَنْزَعِجُ وَتَسُوْقُهَا إِلَيْهِمْ فَتَنْسَاقُ، لَقَدْ دَنَتْ مِنْهُمْ إِلَيْهَا أَرْوَاحُهَا، وَاسْتَقْبَلَتْهَا مَسَرَّاتُ الْعِظَائِمِ وَأَفْرَاحُهَا، وَأَظْلَتْهَا الْبَرَكَاتُ الْإِمَامِيَّةُ، وَطَلَعَ عَلَيْهَا صَبَاحُهَا.

وَتَلَكَّمُ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ يَسَّرَ أَسْبَابَهَا وَفَتَحَ أَبْوَابَهَا، وَمَدَّ عَلَى عَبِيدِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ أَطْنَابَهَا، وَشَكَرُ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى مُتَعَيْنٌ، وَفَضْلُ اللَّهِ فِيهَا عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بَيِّنٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى مَا عَرَفَ الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ السَّعِيدَةِ مِنَ التَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ، وَالْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ وَالصُّنْعِ الْجَمِيلِ؛ وَعَلَى السَّلَامَةِ الَّتِي آتَاهَا، وَالظَّفَرِ الَّذِي صَاحَبَهَا وَالسَّعْدِ الَّذِي وَاتَاهَا؛ وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ الَّتِي عَوَّدَهَا، وَفَضْلُهُ الَّذِي أَمَدَّهَا بِهِ وَأَسْعَدَهَا. وَاللَّهُ يُعَرِّفُهَا فِي كُلِّ مُحَاوَلَةٍ سَعَادَةِ الْمُتَبَدِّلِ وَالْخِتَامِ، وَتَيْسِيرِ الْمُحَاوَلِ وَالْمُرَامِ، وَيَصِلُ لَهَا فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ مَا عَوَّدَهَا مِنَ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْكَرَامَةِ الرِّضْوَانِيَّةِ.

وَمَا أَوْرَدَتْهُ الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - مِنَ الْإِنْبَاءِ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَالْإِعْلَامِ بِهِ، فَمِنَّةٌ مِنْهَا - شَكَرَهَا اللَّهُ - وَنَعْمَى، وَالتِّفَاتُ كَرِيمٌ وَإِحْسَانٌ عَمِيمٌ وَنِعْمَةٌ عَظْمَى، وَآيَةُ سَاعَةِ مِنَ السَّاعَاتِ أَغْبَتْ بَرَكَاتُهَا، وَمَتَى لَمْ يَتَمَلَّكِ الْقُلُوبَ اغْتِنَاؤُهَا الْمُسْتَضْحَبِ وَالتِّفَاتُهَا. إِنَّ هِيَ إِلَّا تُوَالِي سَوَابِغَ الْإِنْعَامِ مُخْتَلِفَةَ الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ، وَتَوَابِعُهَا مَعَ الْأَيَّامِ بَلْ مَعَ السَّاعِ مُتَابِعَةُ الْأَنْفَاسِ، وَتَجُودُ مِنْهَا بِمَا لَيْسَ شُكْرُهُ بِالْمُسْتَطَاعِ قَبْلَ



السُّؤَالِ وَالْإِتِمَاسِ. فَجَازَاهَا اللَّهُ عَنْ كَافَّةِ عِبِيدِهَا بِأَفْضَلِ الْجَزَاءِ، وَتَوَلَّى شُكْرَهَا عَنْ الْخَاصَّةِ وَالذَّهْمَاءِ.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

وَأَحْوَالِ هَذِهِ الْجِهَاتِ بِبَرَكَاتِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيُّدَهَا اللَّهُ- صَالِحَةٍ، وَنَعَمُ اللَّهُ بِحُسْنِ الْيَفَاتِيهَا غَادِيَةً عَلَيْهَا وَرَائِحَةً، وَيَخُوضُونَ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهَا فِي بَحَارٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ لَيْسَتْ كَذَاتِ السَّوَاحِلِ وَيَتَمَسَّكُونَ بِأَسْبَابِ الْبَيْعَةِ السَّعِيدَةِ⁽¹⁾ الَّتِي تَعْرِفُوا يُنْمِنُهَا فَهُمْ بِهَا مُغْتَبِطُونَ، وَبِحِبَالِهَا الْمُحْكَمَةِ الْمَعَاقِدِ مُزْتَبِطُونَ، يَدْعُونَ لِخَلِيفَتِهِمْ وَمَوْلَاهُمْ، الَّذِي خَوَّلَهُمْ بِسَعَادَتِهِ مَا خَوَّلَهُمْ، وَأَوْلَاهُمْ بِبَيْمَنِ خِلَافَتِهِ مَا أَوْلَاهُمْ، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ فِي إِدَامَةِ أَيَّامِهِ وَتَخْلِيدِهَا، وَنَصْرِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ وَتَأْيِيدِهَا، وَيُوقِنُونَ بِأَنَّهَا رَحْمَةُ اللَّهِ الْمُتَنَزِّلَةُ عَلَى عِبِيدِهَا. وَالْعَجَبُ مِنَ الشَّقِيِّ الْمَذْكُورِ، كَيْفَ جَمَعَ فِي شَأْوِ الْغُرُورِ، فَرَامَ أَنْ يُغْطِي صَفْحَةَ الشَّمْسِ، وَطَمَعَ فِي إِذْرَاكِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِحَاسَةِ اللَّئِيسِ؛ وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْعَزِيزَ هُوَ أَمْرُ اللَّهِ الْمَصْنُوعُ لَهُ فِي عَقَبِ الزَّمَانِ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ -إِلَى يَوْمِ الدِّينِ- مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ فِي أَمَانٍ؛ وَلَمْ يَغْتَبِرْ بِمَا لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ مِنَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ سِمَاتِهَا، وَالْعِنَايَاتِ الْفَاضِحَةِ لَشَمْسِ الضُّحَى قَسَمَاتِهَا ﴿لِيَفْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾⁽²⁾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾⁽³⁾. وَلِلَّهِ قِبَائِلُ قَرَبَتْ رَأْسَهُ قُرْبَانًا، وَغَادَرَتْهُ مِنْ جَسَدِهِ مُبَانًا، وَعَاقَتْ مِنَ النُّمُورِ نَجْمَةُ الدِّمِيمِ، وَأَتَتْ فِيهِ مِنَ الزُّلْفَى بِمَا يَقْضِي لَهَا فِي الدَّارَيْنِ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالشُّوَابِ الْجَسِيمِ؛ فَلَا أَخْلَفَتْ بِلَادَهَا الْغَمَائِمَ، وَلَا أَغْبَاهَا الْإِحْسَانُ الْإِمَامِيَّ الدَّائِمَ؛ وَاللَّهُ يُلْحِقُ بِهِذَا الشَّقِيِّ أَمْثَالَهُ مِنَ الضُّلَالِ، كَمَا أَلْحَقَهُ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الْمُحَالِ وَالضُّلَالِ.

وَقَدْ بَثَّ الْعَبْدُ هَذِهِ الْبُشْرَى فِي أَرْجَاءِ هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا وَنَوَاحِيهَا، لِنِعْمِ الْمَسْرَةِ كَافَّةٍ قَاصِيَهَا وَدَانِيَهَا، وَيَأْخُذُ الْجَمِيعُ بِالْحِظِّ الْأَوْفَرِ مِنْ فَهْمِ مَعَانِيهَا، وَالْإِتْبَهِاجِ بِمَا ضَمَّنَهُ

(1) في الأصل: «السعي».

(2) سورة الأنفال، الآية: 45.

(3) سورة النور، الآية: 39.



سَعَدُ الْخِلَافَةِ أَدَامَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ الْجَزِيلِ فِيهَا لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا⁽¹⁾ وَيَرَوْا ثَوْرَ الْحَقِّ عَيْنَانَا، وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ بِهَذَا الصَّنْعِ الْجَمِيلِ اطْمَئِنَّانَا؛ وَإِنْ كَانَ الْعِلْمُ بِسَعَادَةِ الْخِلَافَةِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - عَلَى يَقِينٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَابِتٌ مَكِينٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَالِ بَلَىٰ وَلَكِنْ لَّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ﴾⁽²⁾، حِكَايَةً عَنْ خَلِيلِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَعْلَمَ الْعَبْدُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ أَنَّ الَّذِي تَصَمَّتْهُ هَذِهِ الْبُشْرَى مِنَ النِّعَمِ لَا يُحْصَى لَهَا عَدَدٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوفِيَ حَقَّهُ مِنَ الشُّكْرِ أَحَدٌ؛ فَلَوْ اسْتَمَدَّ الْبَلِغُ الْقَوَائِي كُلَّهَا وَالْأَسْجَاعُ؛ وَاجْتَلَبَ الْأَجْنَاسَ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْأَنْوَاعِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِقَدْرِهَا كِفَاءً، وَلَا لِشُكْرِهَا وَفَاءً؛ فَقَصَّارَى الشَّاكِرِينَ التَّنْعُمُ مَدَى الدَّهْرِ بِذِكْرِهَا، وَالتَّحَدُّثُ غَايِرَ الْعُمُرِ بِإِعْجَازِ شُكْرِهَا؛ فَعَمَّتِ الْبُشْرَى مَوَاسِطَ هَذِهِ الْجِهَاتِ وَأَطْرَافِهَا، وَطَفَقَتِ الْبِلَادُ تَرْتَضِعُ ثُدَيَّ الْأَمْنَةِ وَأَخْلَافَهَا، وَتَتَجَعُّ مِنْهَا حَيًّا تَرَوِي بِهِ وَتَسِيمُ، وَتَسْتَقْبِلُ بِهِ وَجْهَ الزَّمَانِ الْوَسِيمِ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾.

وَاللَّهُ يَصِلُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ عَادَةً نَصْرِهَا، وَيُهَيِّئُهَا سَعَادَتَهَا وَسَعَادَةَ عَصْرِهَا، وَيُبَارِكُ فِيهَا وَهَبَ لَهَا مِنَ الْيُمْنِ وَالْإِقْبَالِ، وَالْبَرَكَاتِ الْعَامَّةِ لِأَقْسَامِ زَمَانِهَا السَّعِيدِ مِنَ الْمَاضِي وَالْحَالِ وَالْآسِتِقْبَالِ، وَيُجْرِي أَقْدَارَهُ عَلَى وَفْقِهَا، وَيُطْلِعُ عَلَى الْوَلَاةِ شُمُوسَ الشُّرُورِ وَأَقْفَارَهُ الْمُعْتَادَةَ مِنْ أَفْقِهَا، وَيُعِينُ كَافَّةَ أَرْقَائِهَا، مِنْ شُكْرِ الْفَتَايَا وَاعْتِنَائِهَا، عَلَى مَا يُؤَدُّونَ بِهِ وَلَوْ بَعْضُ الْبَعْضِ مِنْ عَظِيمِ حَقِّهَا، وَيَتَابِعُ لَهَا إِنْجَازَ الْوُعُودِ الْمُؤْتَوَّقِ بِصِدْقِهَا، وَيُدِيمُ بِرَّكَتِهَا تَوَالِي الْبُشْرِ، كَمَا جَمَعَ عَلَى طَاعَتِهَا وَمَحَبَّتِهَا قُلُوبَ الْبُشْرِ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهَا مِنَ النَّصْرِ جَزِيلَ مَوَاهِبِهَا، وَيَجْلُبُ الْمَسَارَ إِلَيْهَا مِنْ جَمِيعِ طُرُقِهَا

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾.

سورة الفتح، الآية: 4.

(2) سورة البقرة، الآية: 259.

(3) سورة الحديد، الآية: 20، سورة الجمعة، الآية: 4.



وَمَذَاهِبِهَا، وَيَجْعَلُ كَلِمَتَهَا بَاقِيَةَ النُّورِ، رَاقِيَةَ الظُّهُورِ، مَنْصُورَةَ الْأَحْزَابِ إِلَى يَوْمِ
النُّشُورِ، بِمَنِّهِ وَرَحْمَاهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْقُدْسِيَّةُ الْمُؤَيَّدَةُ الْمَنْصُورَةُ الْعَلِيَّةُ، الْمُبَارَكَةُ الطَّاهِرَةُ الزَّكِيَّةُ. مَطْلَعُ
الْأَنْوَارِ الْبَاهِرَةِ لِلْبَشَرِ، وَمَنْشَأُ السُّعُودِ الصَّامِنَةِ لِأَنْوَاعِ الْبُشْرِ. حَضْرَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا
الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، الْأَيْمَّةِ الْهَادِينَ الْمُرْشِدِينَ. أَدَامَ
اللَّهُ تَمَكِينَهَا وَتَأْيِيدَهَا، وَوَصَلَ بِسَعْدِهَا الْمُتَضَاعَفِ لِلْبِلَادِ تَأْمِينَهَا وَتَمْهِيدَهَا، وَحَرَسَ
عَلَى الدُّنْيَا وَالْدِّينِ سُعُودَهَا، وَأَنْجَزَ لَهَا مِنَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ وَعُودَهَا؛ كَمَا مَلَأَ بِأَنْوَارِهَا
السَّاطِعَةِ، وَبَرَاهِينَ سَعْدِهَا الْقَاطِعَةِ، أَغْوَارَ الْبَسِيطَةِ وَنُجُودَهَا. مَمْلُوكُ نِعَمِهَا الْهَامِيَّةِ،
وَرَهْنُ بِشْكْرِ مَقَامِهَا النَّامِيَّةِ، الْمُعْتَصِمُ بِظِلِّهَا الْمَمْدُودِ، الدَّاعِي بِجِرَاسَةِ مَا خَوَّلَهَا اللَّهُ مِنْ
السُّعُودِ، الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي شُكْرِ فَضْلِهَا الْعَظِيمِ، عَبْدُهَا؛ إِبْرَاهِيمُ:

سَلَامُ اللَّهِ وَأَفْضَلُ تَحِيَّاتِهِ، عَلَى الْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ السَّعِيدَةِ وَأَكْمَلُ رَحْمَتِهِ تَعَالَى
وَأَوْفَى بَرَكَاتِهِ؛ وَبَعْدُ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ. وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيْدَهَا اللَّهُ- وَخَلَدَ
أَيَّامَهَا وَأَعْلَى أَعْلَامِهَا، تُشْرِقُ أَنْوَارُهَا وَأَضْوَاؤُهَا، وَتَنْسَكِبُ عَلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ
أَنْوَاؤُهَا، وَتُبْسِطُ بِهَا فِي كُلِّ آوَنَةٍ أَمْلَ الْبَرَكََةِ وَرَجَاؤُهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا
تَتَضَاعَفُ بِهِ أَقْسَامُ النِّعَمِ وَأَجْزَاؤُهَا؛ وَعَبْدُ إِحْسَانِهَا، وَصَلَ اللَّهُ عُلوَّ مَكَانِهَا، عَلَى أَوْفَى
مَا يَكُونُ عَلَيْهِ النَّصَحَاءُ الْمُخْلِصُونَ مِنْ عِبْدَانِهَا، مِنَ النَّصِيحَةِ فِي خِدْمَتِهَا، وَالتَّغَدِّي
بِشُكْرِ نِعَمَتِهَا، وَاللَّهُ يُنْهِضُهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا يَعْتَقِدُهُ دِينًا وَيَلْتَزِمُهُ شَرْعًا وَيُحَافِظُ عَلَى
أَصُولِهِ الْوَاجِبَةِ وَفُرُوعِهِ الرَّائِيَةِ أَضْلًا أَضْلًا وَفَرَعًا فَرَعًا.

وَهَذِهِ الْجِهَاتُ بِبَرَكََةِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيْدَهَا اللَّهُ- تَرْتَعُ مِنَ الْخَيْرَاتِ فِي جَمِيمِ،
وَتَتَعَرَّفُ مِنَ الْمَسَرَّاتِ كُلِّ شَامِلٍ عَمِيمٍ، وَتَسْنُدُ مِنْ سَعْدِ الْخِلَافَةِ الْمَيْمُونَةِ إِلَى
صَمِيمٍ، وَيَضِجُ أَهْلُهَا بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا خَوَّلَهُمْ بِسَعَادَةِ مَوْلَاهُمْ وَإِمَامِهِمْ مِنْ
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ؛ وَالْأَمْنَةِ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- تَضْرِبُ بِجِرَانِهَا، وَالْهُدْنَةُ تُمَدُّ بِأَسْبَابِهَا



وَأَشْطَانِهَا، وَالسَّعَادَةُ الْإِمَامِيَّةُ - حَرَسَهَا اللَّهُ - تُدَلِّي بِحُجَّتِهَا وَبُرْهَانِهَا، وَتُظِلُّ الْمُؤْمِنِينَ دَوْحَتِهَا الزَّاكِيَّةُ وَتُقْطِفُهُمْ ثَمَرُ الشَّرُورِ مِنْ أَغْصَانِهَا. وَمِمَّا أَثْمَرَهُ سَعْدُ الْخِلَافَةِ الْعَلِيَّةِ - وَصَلَهُ اللَّهُ - مِنْ الثَّمَرِ الشَّافِي لِلصُّدُورِ، الْمُوَافِي بِالْبَهْجَةِ وَالشَّرُورِ، مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ بَيْنَ فِرْقِ الْكُفْرَةِ - أَبَادَهُمُ اللَّهُ - مِنَ الْفِتْنَةِ الْمُضْطَرِّمَةِ نَارُهَا، الْعَائِدَةِ عَلَى مِلَّتِهِمُ الدَّائِرَةِ بِمَا فِيهِ تَبَارُهَا وَخَسَارُهَا؛ حَيْثُ شَغَلَهُمْ بِنُفُوسِهِمْ، وَجَعَلَ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ لِيُؤْسِهِمْ، وَجَعَلَ سُعُودَ الْخِلَافَةِ الْمُبَارَكَةِ كَفِيلَةً بِنُحُوسِهِمْ.

وَمِمَّا وَجَبَ بِهِ إِعْلَامُ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - مِنْ أَنْبَاءِ الْأَعْدَاءِ، الْوَارِدَةِ بِالسَّرَّاءِ؛ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى الْعَبْدِ كِتَابٌ مِنْ «بَطْلِيُوس» ⁽¹⁾ - حَمَاهَا اللَّهُ - يَتَضَمَّنُ مِنَ الْمَسْرَةِ الَّتِي سَاقَتْهَا سَعَادَةُ الْخِلَافَةِ الْعَلِيَّةِ - أَدَامَهَا اللَّهُ - مَا نُسَخَّتُهُ مَسْطُورَةً فِي الْمُدْرَجِ طَيِّ هَذَا الْكِتَابِ؛ وَإِنَّهَا لَمَسْرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ جَسِيمَةٌ، وَبَشَارَةٌ شَامِلَةٌ عَمِيمَةٌ، تُؤْذِنُ كَلِمَةَ الْكُفْرِ بِزِيَالٍ، وَتَقْضِي عَلَيْهَا بِالْهُونِ وَالْإِذْعَانِ بَعْدَ التَّخْمُطِ وَالصِّيَالِ. وَإِنَّهُ لَفَتْحٌ مِنَ الْفُتُوحِ الْمَذْكُورَةِ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَالِي، وَصُنْعٌ جَمِيلٌ مِنْ بَدَائِعِ صُنْعِ اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي؛ وَلَا نُكْرَ عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ لِلْخِلَافَةِ السَّعِيدَةِ - أَدَامَهَا اللَّهُ - مِنَ السَّعْدِ اللَّاحِظِ السَّيْلِ، الْوَاضِحِ الدَّلِيلِ، يَتَسَرَّبُ بِهِ أَسْبَابُ الْمَسْرَةِ لِلْإِسْلَامِ، وَتَدُورُ بِهِ عَلَى الْكَافِرِينَ دَوَائِرُ التَّدْمِيرِ وَالْإِضْطِلَامِ. وَاللَّهُ يَصِلُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِنْ سَعَادَةِ الْخِلَافَةِ الْعَلِيَّةِ مَا يَشْرَحُ الصُّدُورَ وَيَقْرُّ الْعُيُونَ، وَيُصَدِّقُ الْأَمَالَ وَالظُّنُونَ، وَيُطْلِعُ الْبَشَائِرَ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَيَزِيدُ الْكَافِرِينَ اشْتِدَادَ فِرْقٍ، وَشَتَاءَ فِرْقٍ، وَقَطْعًا بِهِمْ فِي جَمِيعِ الطَّرِيقِ، وَيُرِيهِمْ أَنَّ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ عِنَايَةً رَبَّانِيَّةً تُشْمِتُهُ بِالْأَعْدَاءِ، وَتُعَرِّفُهُ عَوَارِفَ الصُّنْعِ الْجَمِيلِ مُتَتَابِعَةَ الْإِعَادَةِ وَالْإِبْدَاءِ.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

وَبَرَكَاتُهَا أَيَّدَهَا اللَّهُ تَشْرِيقُ أَنْوَارِهَا، وَتَبَرُّقُ ابْتِسَامِ الْأَيَّامِ السَّعِيدَةِ عَنْهَا وَافْتِرَارُهَا، وَنِعْمُهَا يَنْسَكِبُ مِذْرَارُهَا، وَيَقُوتُ الْحَدَّ وَالْعَدَّ مِقْدَارُهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(1) مدينة أندلسية مشهورة ومنها ابن السيد العالم المشهور.



حَمْدَ اسْتِزَادَةِ النِّعَمِ وَاسْتِكْثَارِهَا. وَصَلَّاحُ هَذِهِ الْجِهَاتِ بِبَرَكَتِهَا- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- جَدِيدُ
فَجْدِيد، وَظِلُّ الْاَلْتِفَاتِ الْكَرِيمِ عَلَى أَزْجَائِهَا مَزِيد، وَزَمَانُ خِلَافَتِهَا الْمَيْمُونَةِ-
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- زَمَانُ سَعِيد، فَكُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِ كَأَنَّهُ عِيد، وَقَدْ ابْتَهَجَ بِالْاَلْتِفَاتِ
الْإِمَامِيَّةِ- شَكَرَهُ اللَّهُ- الْقَرِيبُ وَالْبَعِيد.

وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدٍ عَلَائِهَا أَوْرَدَ اللَّهُ عَلَيْهَا السُّعُودَ مُتَعَاقِبَةً، وَعَرَفَهَا الْخَيْرَةَ الْمُطَرَّدَةَ
فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ حَالًا وَعَاقِبَةً؛ كِتَابُهَا الْكَرِيمُ الْمُعْظَمُ الْمُثِيرُ الشُّرُورِ، الْمُبْهِجُ لِلْجُمْهُورِ،
الْمُصْلِحُ لِلْأَحْوَالِ وَالْأُمُورِ، وَالْمُتَضَمِّنُ مِنْ مَصَالِحِ الرَّعِيَّةِ، وَنَقَلَ الْعَرَبَ إِلَى الْأَمَاكِينِ
الْخَالِيَةِ الْقَصِيَّةِ؛ مَا لَمْ يَزَلْ مِثْلُهُ مِنْ وُجُوهِ النَّظَرِ النُّورِيَّةِ، يَصْدُرُ عَنْ فَضْلِ الْحَضَرَةِ
الْإِمَامِيَّةِ الْعَلِيَّةِ، وَتِلْكَ عَادَتُهَا- دَامَتْ سَعَادَتُهَا- فِي الْاِعْتِنَاءِ بِمَنَافِعِ الْبَرِيَّةِ، وَاللَّهُ يُجَازِيهَا
عَلَى جَمِيلِ الْغَرَضِ وَصَلَاحِ النَّظَرِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ؛ فَمَا زَالَتْ تَحُوطُ الْبِلَادَ بِالصَّارِمِ
وَالسَّنَانِ، وَتَعُمُّ الْبِلَادَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَتَبْسُطُ بِجَوَازِ رَأْفَتِهَا وَرَحْمَتِهَا عَلَى كُلِّ
مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ، تَوَلَّى اللَّهُ جَزَاءَهَا عَنْ كَافَّةِ الْبُلْدَانِ وَالْعُبْدَانِ.

وَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ- أَكْرَمَ بِهِ مِنْ وَارِدِ خَطِيرٍ- تَلَقَّاهُ الْعَبْدُ بِوَاجِبِهِ مِنَ التَّعْظِيمِ
وَالشُّكْرِ، وَجَعَلَ الْبِدَارَ إِلَى امْتِنَالِهِ أَهَمَّ مَا يُمِثِّرُ عَلَى الْبَالِ وَأَوْكَدَ مَا يَسْبِقُ لِلْفِكْرِ، وَرَأَى
أَنَّ كُلَّ مَا تُشِيرُ بِهِ الْحَضَرَةُ الْإِمَامِيَّةُ- أَيَّدَاهَا اللَّهُ- بِالتَّوْفِيقِ مِنَ اللَّهِ يَسُوقُهُ وَيَحْدُوهُ، وَلَا
يَتَجَاوَزُهُ وَلَا يَغْدُوهُ، وَفِي الْحِينِ أَنْفَذَ الْعَبْدُ مُخَاطَبَتَهُ إِلَى الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ أَبِي الْعَبَّاسِ
بْنِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْمُكْرَمِ أَبِي حَفْصٍ⁽¹⁾، أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ، بِمُقْتَضَى مَا وَصَلَهُ مِنَ الْأَمْرِ
الْمُطَاعِ، وَسَأَلَهُ مَتَى يَكُونُ خُرُوجُهُ لِمَا أَمَرَ بِهِ فِي هَذِهِ الْمَحَاوَلَةِ الْمُهَمَّةِ مِنَ الْاجْتِمَاعِ.

وَشَمَّرَ الْعَبْدُ عَنْ سَاعِدِ السَّامِعِ الْمُطِيعِ، الْبَاذِلِ فِي مَا أَمَرَ بِهِ جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ؛ فَرَاجَعَهُ
الْمَذْكُورُ بِكِتَابِ أَنْفَذَهُ الْعَبْدُ صُحْبَةً هَذَا إِلَى الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ الْعَلِيِّ- أَيَّدَهُ اللَّهُ- لِيَقِفَ

(1) هو أبو حفص عمر الصنهاجي. انظر حوله: البيان المغرب، ص: 222، المعجب ص: 333. وأبو
العباس المذكور ولده.



أمره العالى على مقتضاه؛ وكل ما ينفذ به الأمر المطاع أمضى الله حُدوده، وأسمى جُوده، فإليه يبادر وعليه يعتمد، وبحسبه يعمل وفي تمشيته يجتهد. والعبد يستنفذ في امثال ما يؤمر به في كل شأن، نهاية الوسع وجهد الإمكان؛ ويستعين على ذلك بالله تعالى وهو خير مستعان، وبركة الأمر العزيز التي المستعين بها أبرر معان.

وكتب من كتب وزراء الخلافة المعظمين المكرمين الأبرار أدام الله سعودهم:
فصل:

وبركات الحضرة الإمامية العلية -أيدها الله- تنسكب انسكاب الغمام، وسعادتها تتكفل بمصالح العباد بالكمال والتمام، والله على ذلك الحمد الذي يرزاه، ويقتضي مزيد نعماء؛ وما تعلمون مجلكم عليه -وصل الله عزتكم- من إجلالكم وإخلاص الود فيكم، والشكر لحמיד مقاصدكم وجميل مناحيكم، فمهيعه لأحب، ومنزعه على الدوام مصاحب، والله يصله في ذاته ويبيقيه، ويجعله خالصاً لما يرضيه.

وأحوال هذه الجهة -وصل الله عزتكم- قد ظهر صلاحها، وتساوى في الأمنة والدعة ليلها ونهارها وغدوها ورواحها، والبلاد والحمد لله ممهدة ساكنة، والرعية هادئة هادنة، والمصالح منتظمة متناسقة، وأصول البركة الإمامية -حرسها الله- في كل مكان ثابتة وفروعها باسقة، وسعادة الخلافة العلية -أدامها الله ترسل على العباد من سماء النعم كل صيب، وأغراضها الكريمة -شكرها الله- تثمر في البلاد من ثمرات الخيرات والبركات كل طيب؛ فلا عين لعبيدها المؤمنين إلا وهي بفضلها وإحسانها قريرة، ولا نفس لأرقائها المسلمين إلا وهي بسعادة زمانها مبهجة مسرورة.

وأما الزرع فقد بسط الله آمال بكثرته وصلاحه في هذا العام بسطاً، وأعطى هذه الجهات منه حظاً وافراً وقسطاً؛ فإن الناس كانوا قد استكثرُوا منه في كل مكان، وأنفقُوا فيه ما عزّ وهان؛ واعتنى أهل الثغور أيضاً بالازدراع اعتناء الغير، وتنافسوا في الإكثار منه تنافس الوافقين بما تكفلت به السعادة الإمامية من اليمن والأمن واليسر والخير؛ فتملاً به السهل والجبل، واتسع فيه للمسلمين الرجاء والأمل، وعظم به



السُّرُورُ وَالْجَدَلُ؛ وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ الْجَمِيلِ، الْجَارِي عَلَى وَفْقِ التَّامِيلِ، أَنْ جَادَهُمْ فِي هَذَا الْعَامِ مِنَ الْغَيْثِ كُلِّ مَذْرَارٍ، وَأَعَادَهُ عَلَيْهِ فِي أَوْقَاتِ احْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ مَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁽¹⁾ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ⁽²⁾؛ فَبَدَتِ الْأَرْضُ مِنْهُ فِي مُلَاءَةٍ حُسْنٍ يَسُرُّ النَّاظِرِينَ جَمَالَهَا، وَوَعَدَتْ فِيهِ بِفَوَائِدٍ يُرْجَى مِنَ اللَّهِ تَمَامُهَا عَلَى جُمْلَةِ السَّلَامَةِ وَكَمَالِهَا.

وَذَلِكَ كُلُّهُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - بِبَرَكََةِ الْخِلَافَةِ السَّعِيدَةِ - أَدَامَهَا اللَّهُ - وَيُؤْمِنُ أَيَّامُهَا، وَسَعَادَةِ مَقَامِهَا؛ وَمَا وَهَبَهُ اللَّهُ لِلرَّعِيَّةِ مِنْ بَرَكََةِ مَوْلَاهَا وَإِمَامِهَا، حَرَسَ اللَّهُ حَضْرَتَهُ الْقُدْسِيَّةَ وَتَكْفَلَ بِنَصْرِ أَعْلَامِهَا، فَبِبرَكَةِ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ يَأْمَنُ سِرُّهَا، وَبِرَحْمَتِهِ وَعَطْفِهِ وَحَنَانِهِ يَصْفُو - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ كُلِّ كَدَرٍ شَرُّهَا.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

السَّيِّخُ الْأَجَلُ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ الْأَسْنَى الْوَلِيُّ الْأَيُّرُ الْأَوْدُ الْأَخْلَصُ الْأَزْكَى الْأَفْضَلُ؛ أَبُو سَعِيدِ ابْنِ السَّيِّخِ الْأَجَلِ أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ السَّيِّخِ الْأَجَلِ الْمَرْحُومِ أَبِي إِسْحَاقَ، أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَهُ، وَوَصَلَ كَرَامَتَهُ وَرَفَعَتَهُ، وَلِيَّتُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَمُحِبَّتُهُ فِيهِ الْبَرُّ بِجَانِبِهِ، الْمُؤَثِّرُ لَهُ الْحَقِيقِيُّ بِهِ؛ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

سَلَامٌ كَرِيمٌ يَخْصُكُمْ كَثِيرًا وَرَحْمَةٌ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛ أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمُجْتَبَى، وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ أئِمَّةِ الْهُدَى، وَالِدُعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي يَعْقُوبَ⁽³⁾ بْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ الْأَسْنَى.

(1) مقتبس من قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سورة آل عمران، الآية: 26.

(2) فيه إشارة قرآنية.

(3) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن الموحد. انظر: البيان المغرب، والحلل الموشية لابن سماك العاملي.



فَالْكِتَابُ إِلَيْكُمْ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ أَمَدَهَا ظِلَالًا، وَمِنَ السَّعَادَةِ أَدْوَمَهَا اتِّصَالًا؛ مِنْ -إِشْبِيلِيَّة- حَرَسَهَا اللَّهُ، وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ -أَيُّهَا اللَّهُ- تَنُمُو وَتَزِيدُ، وَيَتَعَرَّفُ مِنْهَا الْجَدِيدُ فَالْجَدِيدُ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يَسُوقُ النِّعَمَ وَيَقْوِدُهَا، وَيُنَمِّيها بِفَضْلِ اللَّهِ وَيَزِيدُهَا، وَعَنِ الَّذِي يُوَالِيهِ مُجَلِّكُمْ مِنْ شُكْرِكُمْ، وَجَمِيلِ ذِكْرِكُمْ، وَيُخْلِصُ فِيهِ مِنْ وُدِّكُمْ، وَيَتَحَقَّقُهُ مِنْ جَمِيلِ عَرْضِكُمْ وَقَصْدِكُمْ، وَيُؤَثِّرُهُ مِنْ إِثَارِكُمْ، وَيَعْتَنِي بِهِ مِنْ اسْتِطْلَاعِ السَّارِّ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، وَصَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي ذَاتِهِ، وَقَرَنَهُ بِمَرْضَاتِهِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَقَدْ وَصَلَتْ مُخَاطَبَتُكُمْ الْأَثِيرَةَ السَّارَّةَ الْخَطِيرَةَ، وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَكُمْ، وَسَنَى أَمَلَكُمْ كُلَّهُ وَإِرَادَتَكُمْ؛ مُتَضَمِّنَةً مِنَ الْأَوَامِرِ الْعَلِيَّةِ، وَالْأَعْرَاضِ الْكَرِيمَةِ الْإِمَامِيَّةِ، مَا انْفَسَحَ فِيهِ مُتَرَدِّدُ الشُّكْرِ وَمَجَالُهُ، وَعَجَزَتْ عَنِ اسْتِيفَاءِ شُكْرِهِ رَوِيَّةُ الْفِكْرِ وَازْتِجَالُهُ، وَتِلْكَ الْعَوَائِدُ الْإِمَامِيَّةُ الْمُعْتَادَةُ، وَالْفَضَائِلُ الَّتِي لَمْ تَزَلْ نَنَالُ الْمُتَبَغَاءَ مِنْهَا وَالْمُرْتَادَةَ؛ وَاللَّهُ يُجَازِي الْإِنْعَامَ الْإِمَامِيَّ الْعَمِيمَ، وَالْفَضْلَ الْمُتَرَادِفَ الْعَظِيمَ؛ وَتَضَمَّنَتْ مُخَاطَبَتُكُمْ الْأَثِيرَةَ -أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ- مَا اقْتَضَاهُ النَّظَرُ الْكَرِيمُ مِنْ مُخَاطَبَةِ «كُومِيَّة» بِكِتَابٍ عَزِيزٍ، وَأَنْ يُحْضَرُوا لِقِرَائَتِهِ، وَيَتَّبَعَ مِنَ الْقَوْلِ مَا يُحْمَلُهُمْ عَلَى الْمَقْصُودِ؛ فَلَمْ يَصِلْ لِمُجَلِّكُمْ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ الْمَذْكُورَ الَّذِي خُوطِبُوا بِهِ إِلَّا مَفْضُوضُ الْخِتَامِ دَفَعَهُ إِلَيْهِمْ مِزْوَارُهُمْ؛ بَعْدَ أَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ قَرَأَهُ عَلَيْهِمْ؛ فَأَغْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَةِ قِرَائَتِهِ عَلَيْهِمْ؛ وَأَلْقَى إِلَيْهِ -مُجَلِّكُمْ- مِنَ الْقَوْلِ مَا أُمِرَ بِالْقَائِهِ، وَأَوْضَحَ لَهُ مُقْتَضَى الْغَرَضِ الْإِمَامِيَّ -شُكْرُهُ اللَّهُ- فِي جَمِيعِ أَنْحَائِهِ.

وَاللَّهُ يُعِينُ عَلَى امْتِثَالِهِ، وَيُجَازِي الْمَقَامَ الْإِمَامِيَّ عَلَى الْإِفَاتِهِ الْكَرِيمِ وَاهْتِبَالِهِ. وَأَشْرُتُمْ -أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ- عَلَى اسْتِحْسَانِ مَا بَيْنَ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -أَدَامَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ- وَبَيْنَ مُجَلِّكُمْ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ وَالْمُعَاضَدَةِ؛ وَذَلِكَ عَمَلٌ مُحَافِظٌ عَلَى اسْتِضْحَابِهِ، مُجْتَهِدٌ فِي وَضَلِ أَسْبَابِهِ، تَوَخَّيَا لِمُقْتَضَى الْغَرَضِ الْإِمَامِيَّ الْكَرِيمِ، وَاعْتِبَاطًا بِمَا عِنْدَ الْمَذْكُورِ مِنَ النَّصِيحَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَنْزَعِ



الْقَوِيمِ؛ أَعَانَ اللَّهُ الْجَمِيعَ عَلَى وَاجِبَاتِ الْخِدْمَةِ، وَأَوْزَعَ شُكْرَ مَا شَمِلَ مِنْ كَرِيمِ
الْإِلْتِفَاتِ وَعَمِيمِ النُّعْمَةِ.

وَذَكَرْتُمْ -أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَكُمْ- مَا افْتَضَاهُ الْإِنْعَامُ الْإِمَامِيُّ الَّذِي صَفَتْ أَدْوِيَّتُهُ،
وَسَالَتْ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- أَوْدِيَّتُهُ، مِنْ الْأَمْرِ لِمُجِلَّتِكُمْ بِاقْتِضَاءِ فَائِدَةِ السَّهْمِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ
بِهِ الَّذِي «بِرَجْرَاجَةٍ» مِنْ مَخْزَنٍ «إِشْبِيلِيَّةٍ»، وَأَنَّهُ قَدْ خُوِطِبَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ؛ وَذَلِكُمْ -أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَكُمْ- مِنْ جُمْلَةِ مَا تَعَوَّدَ مِنْ فَضْلِ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ أَعْلَى
اللَّهُ ذِكْرَهُ، وَأَوْزَعَ الْعَبِيدَ شُكْرَهُ؛ وَاللَّهُ يُجَازِي النَّظَرَ الْكَرِيمَ خَيْرَ جَزَاءٍ الْإِحْسَانَ، وَيَتَوَلَّى
مِنْ شُكْرِهِ مَا لَيْسَ فِي وَسْعِ الْإِنْسَانِ.

وَأَعْلَمْتُمْ -وَصَلَّ اللَّهُ رَفَعَتَكُمْ- بِتَغْيِينِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفَقِيهِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ
الْمَالِقِيِّ لَشَرِيشٍ. وَالشُّكْرُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مُطَرِّدُ الْوُجُوبِ كَثِيرُ الْاِحْتِفَالِ، فَسِيحُ
الْمَجَالِ؛ وَوَسَاطَتُكُمْ الْجَمِيلَةَ -أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ- مَشْكُورَةٌ فِي جَمِيعِ الْأَنْحَاءِ،
وَتَمْشِيَّتُكُمْ الْحَمِيدَةَ مَذْكُورَةٌ بِأَجْمَلِ الذِّكْرِ وَأَحْسَنِ الثَّنَاءِ؛ وَمُجِلَّتُكُمْ يَشْكُرُ تَهْمُمُكُمْ
الَّذِي مَا زَالَ يَتَعَرَّفُهُ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- عَلَى الْوَلَاءِ؛ فَقَدْ غَمَرَهُ الْإِحْسَانُ بِإِسْعَافِكُمْ فِي
مَسَالِيهِ، وَقَدْ أَوْلَيْتُمُوهُ مَا يَقْصُرُ اللِّسَانُ عَنْ شُكْرِهِ مِنْ مُوَاصَلَةِ التَّهْمُمِ بِجَانِبِهِ؛ وَلَا نُكِرَ
فِي مَا فَعَلْتُمُوهُ مِنْ ذَلِكَ، عَلَى فَضِيلَةِ سَجَايَاكُمْ وَكَرَمِ خِلَالِكُمْ، فَمَا زِلْتُمْ أَهْلًا
لِلْجَمِيلِ، وَمَكَانًا لِلشُّكْرِ الْحَفِيلِ؛ بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ وَشَكَرَكُمْ، وَبَلَّغَكُمْ فِي الدَّارَيْنِ
أَمْلَكُمْ، وَضَاعَفَ النُّعْمَ قَبْلَكُمْ، وَوَصَلَ السَّعَادَةَ لَكُمْ، وَأَبْقَاكُمْ لاسْتِحْقَاقِ الشُّكْرِ
وَالْحَمْدِ، وَلِلْقَصْدِ لِقَضَاءِ اللَّبَانَاتِ وَالْعَهْدِ.

وَذَكَرْتُمْ -أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ- إِقَامَةَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ وَزِيرٍ مَكَانَهُ بِسَبَبِ الْخَبَرِ اللَّيُونِيِّ
الَّذِي كَانَ بَلَّغَ. وَأَنَّ الَّذِي كَانَ رَأَاهُ مُجِلَّتُكُمْ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْحَزْمُ؛ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى
التَّوْفِيقِ لِمَا وَافَقَ الْغَرَضَ الْكَرِيمَ الَّذِي مُوَافَقَتُهُ نِعْمَةٌ كُبْرَى مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُحْصَى.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ أَنَّ يُتَفَاوَضَ مَعَ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي مَنْ يَسِيرُ بَدَلًا مِنْهُ
فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ حَسْبَمَا صَدَرَ إِلَيْكُمْ الْإِعْلَامُ بِهِ قَبْلَ هَذَا. وَمَا يَفْعَلُ مُجِلَّتُكُمْ شَيْئًا



مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا مَا صَدَرَ عَنِ الْمُفَاوَضَةِ مَعَهُ وَالْإِتِّفَاقِ وَالْمُذَاكِرَةِ وَالْاجْتِمَاعِ هَذَا حُكْمٌ مُلْتَزَمٌ وَعَمَلٌ مُّغْتَنَمٌ. وَاللَّهُ يُعِينُ الْجَمِيعَ عَلَى مَا يَحْتَظِي بِرِضَى الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ، وَمُوَافَقَةِ غَرَضِهِ الْكَرِيمِ الْجَلِيلِيِّ.

وَوَرَدَ عَلَى مُجَلِّدِكُمْ - أَدَامَ اللَّهُ عُلوَّكُمْ - الْكِتَابُ الْإِمَامِيُّ الْكَرِيمُ الَّذِي أَشْرَفْتُ إِلَيْهِ بِتَقْدِيمِ عَبْدِ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى «بَنِي رِيَّاحٍ» وَقُرَّةِ مَنْافٍ وَالزَّامَةِ سُكْنَى «شَرِيش» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ مِنَ الْوَصَايَا الْمُنِيرَةِ، وَالْأَغْرَاضِ الْمَحْمُودَةِ بِكُلِّ لِسَانٍ وَالْمَشْكُورَةِ. وَذَلِكَ - حَفِظَ اللَّهُ مَكَانَكُمْ - مِمَّا عَوَّدَهُ الْمَقَامُ الْإِمَامِيُّ - أَيْدَهُ اللَّهُ - عَبْدَانَهُ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْإِنْعَامِ وَإِسْبَاحِ بُرُودِ الْإِحْسَانِ، وَتَجْدِيدِ الْعَطْفِ وَالْإِلْتِفَاتِ وَالْإِمْتِنَانِ، عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَالشَّيْبِ وَالشُّبَّانِ. وَاللَّهُ يُجَازِي الْمَقَامَ الْإِمَامِيَّ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ الْمُنْعِمِينَ، وَيُوزَعُ شُكْرُ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ وَطَوْلِهِ الْمُبِينِ. وَالَّذِي عِنْدَ مُجَلِّدِكُمْ مِنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ الْعَدِيدَةِ، وَالْأَيَادِي الْجَدِيدَةِ، هُوَ بَخْرٌ لَا تُمْتَطَى أَثْبَاجُهُ، وَلَا يَزَالُ وَاضِحًا مِنْهَا جِهَهُ، وَقَدْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ مُتَوَالِيَةً مِنَ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ - شَكَرَهُ اللَّهُ - عَنْ أَنْ يَقُومَ بِشُكْرِهَا الْإِنْسَانُ، وَمِنْ اللَّهِ الْجَزَاءُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ هَذَا الْإِحْسَانُ.

وَقَدْ تَوَجَّهَ الْعَبْدُ الْمَذْكُورُ إِلَى «شَرِيش» بَعْدَ الْوَصِيَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ كَمَا أُمِرَ؛ وَاللَّهُ يُعِينُ عَلَى امْتِنَالِ الْأَوَامِرِ، وَشُكْرِ النِّعَمِ الْهَوَامِرِ؛ وَهُوَ تَعَالَى يُدِيمُ عَزَّتَكُمْ، وَيَصِلُ رِفْعَتَكُمْ؛ وَالسَّلَامُ. وَكَتَبَ أَيْضًا:

الْحَضْرَةُ الْإِمَامِيَّةُ الْقُدْسِيَّةُ الْعَالِيَّةُ، الَّتِي أَنْوَارُهَا مَبْسُوطَةٌ وَنِعْمُهَا مُتَوَالِيَةٌ، وَمَقَامَاتُهَا بِحُلَى النَّصْرِ وَالتَّائِيدِ حَالِيَّةُ، وَالْإِيَّامُ لآيَاتِ سَعْدِهَا وَسُورِ شُكْرِهَا وَحَمْدِهَا تَالِيَّةُ. حَضْرَةُ الْهِدَايَةِ الْمَوْرُوثَةِ⁽¹⁾ الْمَأْثُورَةِ، وَالْبَرَكَاتِ الْمَبْثُوثَةِ الْمَشْهُورَةِ، قَرَنَ اللَّهُ سُعُودَهَا بِالْأَدَامِ

(1) الموروثه: وردت في هامش الأصل وفوقها صح.



وَالِاتِّصَالِ، وَضَاعَفَ مِنَ النَّصْرِ مَزِيدَهَا مَدَى الْبُكْرِ وَالْآصَالِ، وَعَرَّفَهَا عَوَارِفَ التَّمَكِينِ ثَرَّةَ الْغَمَامِ، وَقَادَ لَهَا نَجَائِبَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ السَّمْحَةَ الزَّمَامِ.

عَبْدُهَا الْمُعْتَصِمُ مِنْهَا بِوَارِفِ الظَّلَالِ، الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ فِي الشُّكْرِ عَلَى مَا خَوَّلَتْهُ مِنَ الْإِنْعَامِ السَّابِغِ وَالْإِفْضَالِ، الدَّاعِي بِحِرَاسَةِ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ؛ إِيرَاهِيمُ:

سَلَامٌ إِلَى آخِرِ الصَّدْرِ؛ فَكَتَبَ عَبْدُ إِنْعَامِهَا الدَّارَ، وَمُسْتَرْقُ الْإِفْغَاتِهَا الْمُبْهِجِ السَّارِ؛ كَتَبَ اللَّهُ لَهَا إِخْرَارَ السُّعُودِ، وَإِنْجَارَ مَا وَعَدَ لَهَا فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مِنْ صَادِقِ الْوُعُودِ، وَبَرَكَاتِهَا-أَيَّدَ اللَّهُ نَصْرَهَا وَأَسْعَدَ عَصْرَهَا- تَلُوحُ بُدُورًا، وَتَمْلَأُ بِالسُّرُورِ أَفْئِدَةً وَصُدُورًا، وَتَسْتَوْجِبُ مِنَ اللَّهِ جَزَاءً وَشُكُورًا؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يَقْتَضِي لِلْمَزِيدِ مِنْهَا وَفُورًا، وَالَّذِي يُوَالِيهِ الْعَبْدُ فِي خِدْمَتِهَا-أَيَّدَهَا اللَّهُ- مِنَ النَّصِيحَةِ الْمُبَادِرِ إِلَيْهَا، وَيَلْتَزِمُهُ مِنَ الْإِمْتِثَالِ لِلْأَوَامِرِ الْمُطَاعَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا حُكْمَ مُسْتَضْحَبِ الْعَمَلِ، وَالْمَعُونَةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ مَا يَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْأَمَلِ، وَاللَّهُ يُعِينُ عَلَى مَا أَوْجَبَ لَهَا وَافْتَرَضَ، وَيُوفِّقُ لِمَا يُوَافِقُ مِنْ أَغْرَاضِهِ الْكَرِيمَةِ كُلِّ غَرَضٍ. وَأَمَّا شُكْرُ الْعَبْدِ لِنِعْمِهَا الْمُخْتَلِفَةِ الْأَجْنَاسِ الْمُتَضَاعِفَةِ الْأَقْسَامِ، وَالْإِفْغَاتِهَا الْكَرِيمَةِ الْمُتَعَارِفَةِ مَعَ الْأَيَّامِ؛ فَشُكْرُ الْعَارِفِ بِقَدْرِ النُّعْمَةِ، الْبَادِلِ جُهْدُهُ فِي حَوْلِ الْخِدْمَةِ، الْمُتَضَرِّعُ إِلَى اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا فِي مُجَازَاتِ مَا لَهَا مِنَ الْإِحْسَانِ، إِذْ لَيْسَ الْقِيَامُ بِشُكْرِهَا فِي وَسْعِ الْإِمْكَانِ، لَكِنْ مَا عَجَزَ الْمَرْءُ عَنْ أَدَائِهِ، فَاللَّهُ كَفِيلٌ بِجَزَائِهِ.

وَقَدْ وَصَلَ الْأَرْسَالَ الصَّادِرُونَ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْعَلِيَّةِ أَفَاضَ اللَّهُ نُورَهَا، وَضَاعَفَ بِهَجَّتِهَا وَسُرُورَهَا، فِي بُرُودِ إِحْسَانِهَا رَافِلِينَ، وَبِجَدِيدِ امْتِنَانِهَا نَافِلِينَ، وَلَا لَهَا شَاكِرِينَ، وَلَمَّا شَاهَدُوهُ مِنْ أَنْوَارِ عِلَائِهَا ذَاكِرِينَ؛ وَتِلْكَ عَادَتُهَا-دَامَتْ سَعَادَتُهَا- فِي إِسْبَاغِ النُّعْمِ عَلَى كُلِّ مَنْ قَصَدَ لِبَابِهَا، وَتَعَلَّقَ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ بِسَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِهَا، الْفَضْلِ-وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- شَيْمَتُهَا، وَدِيمَةُ الْجُودِ الْعَمِيمَةِ عَلَى أَهْلِ الْوُجُودِ دِيمَتُهَا؛ أَوْزَعَ اللَّهُ شُكْرَهَا، كَمَا أَحْسَنَ فِي أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ذِكْرَهَا.



وَقَدْ أَخَذَ الْأَرْسَالَ الْمَذْكُورُونَ فِي الْإِنْفِصَالِ مِنْ هُنَا إِلَى صَاحِبِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي
اِقْتَضَاهُ النَّظَرُ الْكَرِيمُ وَنَفَذَ بِهِ الْأَمْرَ الْمُطَاعَ أَمَضَى اللَّهُ حُدَّهُ، وَأَسْمَى جَدَّهُ، مُتَوَخِّئًا فِي
ذَلِكَ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ، مَعْمُولًا جَهْدَ الْإِمْكَانِ فِي تَوْجُّهِهِمْ وَتَوَجُّعِهِ مَنْ صَحْبِهِمْ بِحَسَبِهِ،
مُتَحَدِّثِينَ مِنْ عَظَمَةِ الْأَمْرِ الْعَزِيزِ - أَدَامَهُ اللَّهُ - بِمَا يُبَلِّغُهُ الشَّاهِدُ مِنْهُمْ الْغَائِبِ، وَلَوْ
سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْهِ الْحَقَائِبُ ⁽¹⁾.

وَبِرَكَّةِ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - يَتَسَنَّى مِنْ مَصَالِحِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ كُلِّ مَطْلُوبٍ،
وَيَتَمَشَّى فِي كُلِّ مَا يَعُودُ بِالْأَمْنِ الشَّامِلِ وَالْخَيْرِ الْكَامِلِ كُلِّ مَرْغُوبٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.
وَاللَّهُ يُجَازِي الْحَضْرَةَ الْإِمَامِيَّةَ بِأَحْسَنِ الْجَزَاءِ، عَلَى حُسْنِ نَظَرِهَا لِلْجِهَاتِ وَالْأَرْجَاءِ،
وَعَلَى مَا لَمْ تَزَلْ تَوَالِيهِ مِنْ كَرِيمِ الْأَعْتِنَاءِ، الْعَائِدِ بِسِنِّ السَّرَّاءِ وَكَفِّ الضَّرَّاءِ، وَتَشْتَرِطُهُ
لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِحَسَبِ مَا لَهَا - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مِنْ عُلُوِّ الْكَلِمَةِ وَنَصْرِ اللِّوَاءِ؛ وَهُوَ تَعَالَى
يَخْرُسُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْوَارَهَا، وَيَحْفَظُ سُعُودَهَا الَّتِي عَدَتْ حَوَائِطَ الْبِلَادِ وَأَسْوَارَهَا،
وَيَصِلُ لَهَا مِنَ الْإِمْدَادِ الرَّبَّانِيِّ وَالْإِنْجَازِ السَّمَائِيِّ مَا يَقْضِي أَعْرَاضَهَا كُلَّهَا وَأَوْطَارَهَا،
وَيُطَبِّقُ ذِكْرَهُ آفَاقَ الْأَرْضِينَ وَأَقْطَارَهَا؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَكَتَبَ أَيْضًا مِنْ أُخْرَى:

وَبَرَكَاتُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - يَتَوَالِي إِلْمَامُهَا، وَنِعْمَهَا يَسُحُّ عَلَى الْعِبَادِ
وَالْبِلَادِ غَمَامُهَا؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يَسْتَدِيمُهَا وَيَسْتَزِيدُهَا، وَيَنْمَى بِهِ
مَزِيدُهَا. وَمَا تَعْلَمُونَهُ - وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ - مِنْ كَمَالِ الْوِدَادِ، وَجَمَالِ الْإِعْتِقَادِ،
وَاحْتِفَالِ الشُّكْرِ، وَإِجْلَالِ الْقَدْرِ، فَرِيَاضُهُ زَاهِرَةٌ، وَمَحَاسِنُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَسْبَابُهُ مُبْرَمَةٌ،
وَالنَّفْسُ بِاسْتِصْحَابِهِ مُغْرَمَةٌ، وَاللَّهُ يَصِلُ ذَلِكَ فِي ذَاتِهِ وَيُبْقِيهِ، وَيَخْرُسُ وَيَقِيهِ.

(1) هذا شطر بيت شعري من الطويل وهو منسوب لنصيب الشاعر برواية:

فَعَاجُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ



وَمِنْ صِفَاتِ أَحْوَالِ هَذِهِ الْجِهَاتِ اقْتِيَالُ الصَّلَاحِ، وَانْتِيَالُ النَّجَاحِ، وَتَمَهُدُ الْقَرَارِ،
وَاسْتِسْلَامُ الْكُفَّارِ، وَامْتِدَادُ ظِلِّ الْأَمَانِ، وَالْاسْتِيشَارُ بِسَعْدِ الزَّمَانِ، وَالْانْبِسَاطُ فِي
الرَّجَاءِ، بِحُسْنِ مَوَاقِعِ الْغَيْثِ الْمُتَتَابِعِ الْغَنَاءِ، الْمُؤْذِنِ فِي الزَّرْعِ وَالصَّرْعِ بِالْبَرَكَةِ
وَالنَّمَاءِ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِسَعَادَةِ الْخِلَافَةِ وَبَرَكَةِ الْإِمَامَةِ الَّتِي قَضَى اللَّهُ فِي الْأَزَلِ بِأَنْ تَنْبِي
عَلَيْهَا مَصَالِحُ الْجُمْهُورِ، وَتَكُونَ بِهَا مَنَاجِحُ الْأُمُورِ، وَتَتَّصِلَ بِهَا أَسْبَابُ الْجِهَةِ وَالشُّرُورِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَقَدْ وَصَلَ - وَصَلَ اللَّهُ سَعَادَتَكُمْ وَيَسَّرَ فِي كُلِّ أَمَلٍ إِرَادَتَكُمْ - كِتَابُكُمْ
الْأَثِيرَ، السَّارَّ الْخَطِيرَ، صُحْبَةَ الْكِتَابِ الْإِمَامِيِّ الْكَرِيمِ السَّنِيِّ الْمُضْمَنِ مِنْ جَزِيلِ
الْفَضْلِ وَجَلِيلِهِ، وَخَفِيِّ التَّنْوِيهِ وَحَفِيلِهِ، مَا يَزِدُّهُمُ الشُّكْرُ عَلَى فُضُولِهِ، وَيَتَفَرَّغُ الْحَمْدُ
مِنْ أَصُولِهِ، وَيَتَحَصَّلُ السَّعْدُ بِقُدُومِ مِثْلِهِ وَوُضُولِهِ، وَالْمَشْحُونُ مِنْ أَنْوَارِ الْإِلْفَاتِ
الْكَرِيمِ بِمَا جَرَى عَلَى مُتَعَارَفِهِ وَمُغْتَادِهِ، وَحَسَبَ أَمَلِ آمِلِهِ وَازْتِيَادِ مُرْتَادِهِ، بِمَا اقْتَضَاهُ
مِنْ إِنْعَامِ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - عَلَى عَبْدِهِ ابْنِ عَبْدِهِ بِالْأَمْرِ بِتَقْدِيمِهِ فِي «بَطْلَيْوَس»
وَسَائِرِ تَغْرِهَا الْجَوْفِيِّ، وَإِنْقَادِهِ إِلَيْهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْضِيِّ الْحَفِيِّ. وَتِلْكَ عَادَةُ الْمَقَامِ
الْإِمَامِيِّ - شَكَرَهُ اللَّهُ - فِي إِنْشَاءِ الْعُبدَانِ، وَالْإِعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ وَإِسْبَاحِ بُرُودِ الْإِنْعَامِ
عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانِ، وَتَمَلُّكِ قُلُوبِ الشَّيْبِ مِنْهُمْ وَالشُّبَّانِ؛ تَوَلَّى اللَّهُ جَزَاءَهُ، وَشَكَرَ
تَهَمُّهُ الْكَرِيمِ بِعَبِيدِهِ وَاعْتِنَاءَهُ.

وَمُجْلِكُمْ مُتَلَقِّ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ بِمُسْتَوْجِبِهَا مِنَ الشُّكْرِ وَمُسْتَحَقِّهَا، وَمُبَالِغٍ فِي ذَلِكَ
مُبَالِغَةَ الْعَارِفِ لِحَقِّهَا. وَقَدْ أَلْقَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَصَايَا الْوَاجِبَةِ فِيمَا قُلَّدَ، مَا اقْتَضَاهُ الْغَرَضُ
الْإِمَامِيِّ الْكَرِيمِ، وَهُوَ الْآنَ آخِذٌ فِي الْحَرَكَةِ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أُمِرَ بِهِ، عَامِلًا -
بِحَوْلِ اللَّهِ - فِيمَا يُورِدُهُ وَيُضِدِّرُهُ بِحَسَبِهِ؛ وَالْبَرَكَةُ الْإِمَامِيَّةُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - تُعِينُهُ
وَتُنَجِّدُهُ، وَيُوقِّقُهُ اللَّهُ بِهَا وَيُسَدِّدُهُ. وَمَا يَقْصُرُ مُجْلِكُمْ فِي التَّضَرُّعِ لِأَحْوَالِهِ وَالتَّسَمُّعِ
لِأَنْبَاءِهِ حَسْبَمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَاللَّهُ يُجَازِي الْمَقَامَ الْإِمَامِيَّ عَلَى غَرَضِهِ
الْجَمِيلِ، وَفَضْلِهِ الشَّامِلِ الْجَزِيلِ.



وَتَضَمَّنَ كِتَابُكُمْ الْأَثِيرُ الْمَشْكُورُ مَا شَفَعَ الْإِنْعَامَ بِالْإِنْعَامِ، فَقَرَنَ الْمِنَّةَ بِالْإِكْمَالِ وَالْإِتْمَامِ؛ مِنْ أَفْضَالِ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ - شَكَرُهُ اللَّهُ - بِإِكْمَالِ مُرْتَبِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مُرْتَبُ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ؛ بِأَوَّلِ أَيَادِيهِ وَنِعَمِهِ، بَلْ هُوَ الْمَعْرُوفُ الْمَأْلُوفُ مِنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ؛ وَالَّذِي عِنْدَ مُجْلِكُمْ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحْوِيَهُ الْكِتَابُ، وَلَوْ أَطْنَبَ فِيهِ كُلُّ الْإِطْنَابِ.

وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ كِتَابُكُمْ الْأَثِيرُ الْإِعْلَامُ بِالْوُقُوفِ عَلَى النَّصِيحَةِ الَّتِي كَانَ الْعَبْدُ أَشَارَ إِلَيْهَا، وَالتَّقْرِيبِ لِرَأْيِهِ فِي التَّنْبِيهِ عَلَيْهَا؛ وَإِنَّ الشُّرُوعَ فِي النَّظَرِ فِيهَا يَكُونُ عِنْدَ إِكْمَالِ مَا يُحَاوِلُ مِنَ الْمُهَادَنَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَمُوَافَقَةِ الْغَرَضِ الْكَرِيمِ فِي ذَلِكَ وَمِنْ أَمْثَالِهِ نِعْمَةٌ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي تَرْتَبِطُ نَفَائِصُهَا بِالشُّكْرِ، وَتُقَيَّدُ حَبَائِصُهَا بِالْحَمْدِ وَالذِّكْرِ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مُوَافَقَةِ الْغَرَضِ الْكَرِيمِ، حَمْدَ الْمُسْتَزِيدِ لِلنِّعْمَةِ فِي ذَلِكَ وَالْمُسْتَدِيمِ؛ وَكُلُّ مَا تَمَشَّى - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ - مِنْ فَضْلِ الْمَقَامِ الْإِمَامِيِّ فَهُوَ أَهْلُهُ. وَمُجْلِكُمْ يَغْلَمُ مِنْ حُسْنِ وَسَاطَتِكُمْ فِيهِ وَجَمِيلِ سَعْيِكُمْ فِي نَسَبِهِ مَا لَا يَسَعُ جَهْلُهُ، وَشُكْرُهُ كَثِيرٌ لِمَا يَتَحَقَّقُ مِنْ جَمِيلِ مَقَاصِدِكُمْ، وَحَمِيدِ مَصَادِرِكُمْ فِي الْجِدِّ وَمَوْرِدِكُمْ؛ وَاللَّهُ يُبْقِيكُمْ لِشُكْرِ تَسْتَحِقُّونَهُ بِكَرَمِ خِلَالِكُمْ، وَجَمِيلِ فَضْلِكُمْ وَاهْتِبَالِكُمْ، وَبِحُسْنِ تَمَشِّيَتِكُمْ وَحَمِيدِ فِعَالِكُمْ، وَيُيْلِغُكُمْ فِي كُلِّ حَالٍ جَمِيعَ آمَالِكُمْ.

وَكَتَبَ أَيْضًا:

وَالِإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ سَرَاءَكُمْ وَضَاعَفَ نِعْمَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَفْصَحَ لِسَانُ الزَّمَانِ، وَنَطَقَتْ شَوَاهِدُ الْبُرْهَانِ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَمْرِهِ الْعَزِيزِ - أَدَامَهُ اللَّهُ - عِنَايَةً تَعْلُو بِهَا مَقَامَاتُهُ، وَتَبْدُو فِي كُلِّ زَمَانٍ كَرَامَاتُهُ، وَتَتَضَحَّى بِنَتَائِجِ مُقَدَّمَاتِهَا دَلَائِلُ سَعْدِهِ وَعَلَامَاتُهُ.

وَإِنَّ سَعَادَةَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَصَلَ اللَّهُ تَأْيِيدَهَا وَنَصْرَهَا، كَمَا أَسْعَدَ بِهَا عِبِيدَهَا وَعَصَرَهَا، قَدْ ثَبَّتْ أَصُولَهَا وَبَسَقَتْ فُرُوعُهَا، وَاطَّرَدَ فِي الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ مَقْدُورُهَا الْإِلَهِيِّ وَمَضْنُوعُهَا، وَامْتَدَّ شَأُوهَا وَاتَّسَعَ بَاعُهَا، وَرَسَخَ انْتِعَاشُهَا فِي صَفَحَاتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ انْطِبَاعُهَا؛ فَأَثَرُهَا وَاضِحٌ وَنُورُهَا مُبِينٌ، وَالْعِلْمُ بِاطْرَادِهَا وَاتِّصَالِهَا مَعْنَاهُمَا



يَقِين، وَمِثْلُهَا فِي عُكُوفِ فَوَائِدِهَا وَتَجَدُّدِ مَأْلُوفِ عَوَائِدِهَا ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾⁽¹⁾. وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَإِنَّ الْبَلَاغَةَ تَعْجِزُ عَنْ وَصْفِ السَّعَادَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَلَوْ أَغْرَبْتُ إِغْرَابًا، فَلَيْسَ إِلَّا أَنَّ لِسَانَ الْحَالِ بِهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ أَقْوَمُ قِيلًا وَأَفْصَحُ إِغْرَابًا؛ وَمَا زَالَتِ الْبَشَائِرُ -بِرَّكَهٍ الْخِلَافَةِ- وَالسَّعَادَةُ تَطْلُعُ شُمُوسًا فِي سَمَاءِ سَعْدِهَا، وَكُلَّمَا جَاءَتْ أَبْيَامُهَا الْمُبَارَكَةُ بِبُشْرَى جَاءَتْ بِأَخْتِهَا الْكُبْرَى مِنْ بَعْدِهَا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَدْ طَلَعَتِ الْآنَ فِي سَمَاءِ السَّعَادَةِ الْإِمَامِيَّةِ بُشْرَى مِنْ أَعْظَمِ الْبُشْرِ، وَأَكْبَرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْبَشَرِ، تُؤْذِنُ الْكُفْرَ بِإِنْشَارِ كَوَاكِبِهِ وَتَبْدُدُ شَمْلِهِ وَتَفَرِّقُ جُمُوعَهُ، وَاجْتِنِاثُ أَصُولِهِ الْخَيْثَةِ وَقُرُوعِهِ، وَقَذْفُ الرُّعْبِ⁽²⁾ فِي قَلْبِهِ وَنَقْثُ الرُّوْعِ فِي رُوعِهِ؛ كَمَا تُؤْذِنُ الْإِسْلَامَ بِنَضْرٍ لَوَائِهِ، وَاعْتِزَّازِ أَوْلِيَائِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَتَمَكُّنِ الْأَمْنِ فِي ثُبُوتِهِ وَاسْتِوَائِهِ، وَنَفْيِ مَا مَدَّ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ مِنْ ظِلٍّ وَارِفٍ، وَعَرَفَهُمْ بِبِرَّكَهٍ الْخِلَافَةِ السَّعِيدَةِ مِنْ جَمِيلِ الْعَوَارِفِ. وَذَلِكُمْ بِمَا كَانَ مِنَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ، وَالصَّنْعِ الَّذِي أَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الدِّينِ، بِمَوْتِ طَاغِيَةِ الْكُفْرِ الْمُعْجَلِ بِرُوحِهِ إِلَى النَّارِ، صَاحِبِ «قَشْتَالَةَ» لَا سَقَى اللَّهُ لَهُ قَبْرًا، وَلَا أَعْقَبَ صَدْعَ أَهْلِ مِلَّتِهِ بَعْدَهُ جَبْرًا. وَإِنَّ ذَلِكَ لِنِعْمَةٍ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي ذَخَرَهَا اللَّهُ لِأَيَّامِ خَلِيفَتِهِ الْمَيْمُونَةِ السَّعِيدِ، وَاخْتَصَّ بِهَا دَوْلَتُهُ الَّتِي قَضَى فِيهَا لِلْإِسْلَامِ بِإِنْجَازِ الْوَعْدِ وَعَلَى الْكُفْرِ بِإِنْجَازِ الْوَعِيدِ، فَبِسَّعَادَةِ خِلَافَتِهِ يُدَمِّرُ اللَّهُ الْكُفْرَ تَدْمِيرًا، وَبِرَّكَهٍ إِمَامَتِهِ يُثَبِّرُ أَهْلَ الشُّرْكِ تَثْبِيرًا.

وَقَدْ-كَانَ- تَقَدَّمَ هَذِهِ الْبُشْرَى مَسْرَّةً أُخْرَى كَانَتْ لِصَحِيفَتِهِ هَذِهِ كَالْعُنْوَانِ، وَكَالْفَجْرِ الدَّالِّ عَلَى مَا بَيْنَ طُلُوعِهِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ قُرْبِ الْأَوَانِ. بِهَلَاكِ «دِيَاقُهُ لُبْسِ»⁽³⁾ الَّذِي كَانَ عِنْدَ الطَّاغِيَةِ الْمَذْكُورِ رَئِيسَ الْخُدَّامِ، وَزَعِيمِ الْأَقْوَامِ، وَالَّذِي كَانَتْ

(1) سورة: إبراهيم، الآيتان: 26-27.

(2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾. سورة الأحزاب، الآية: 26.

(3) DIEGO LOPEZ أحد دهاقنة قشتالة.



أَكْثَرُ أُمُورِ الطَّاعِيَةِ بِيَدِهِ، وَكَانَ الْكَافِرُ يَعْتَدُّ بِهِ اعْتِدَادَهُ بِسَاعِدِهِ وَعَضِدِهِ، وَيَسْتَظْهِرُ بِكَفَايَتِهِ اسْتَظْهَارَهُ بِالْقَوِيِّ عِنْدَهُ مِنْ عُدَدِهِ؛ فَلَمْ يُتَّقِ اللَّهَ مِنْهُمْ بِسَعَادَةِ الْخِلَافَةِ الْمُبَارَكَةِ رَئِيسًا وَلَا مَرْؤُوسًا، وَلَا تَرَكَ لِلْكَفَّارِ عِلْمًا بَعْدَهُ إِلَّا مِنْكُوسًا، وَكُلَّمَا ضَاعَفَ لِلْخِلَافَةِ الْمُبَارَكَةِ سُعُودًا، ضَاعَفَ لِلْكَفَّارِ أَعْدَادَهَا نُحُوسًا. وَكَأَنِّي بِكَلِمَةِ الْأَعْدَاءِ قَدْ تَفَرَّقَتْ، وَبِأَصْنَافِ الرِّزَايَا إِلَيْهِمْ قَدْ تَطَرَّقَتْ، وَبِالْأَيَّامِ قَدْ قَلَبَتْ لَهُمْ ظَهَرَ الْمِجَنِّ، وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ بِالْفَضْلِ مِنَ اللَّهِ وَالْمِحَنِّ، وَبِسَعَادَةِ الْخِلَافَةِ الْمَصْنُوعِ لَهَا، وَبَرَكَةِ الْإِمَامَةِ الَّتِي بَسَطَ اللَّهُ بِهَا لِلْأُمَّةِ أَمَلَهَا؛ فَسَعَادَةُ الْخِلَافَةِ هِيَ الَّتِي أَهْدَتْ هَذِهِ الْبَشَائِرَ وَأَفْطَقَتْ ثَمَرَهَا، وَبَرَكَةُ الْإِمَامَةِ السَّعِيدَةِ هِيَ الَّتِي أَطْلَعَتْ شَمْسَ هَذِهِ الْأَفْرَاحِ وَقَمَرَهَا. وَكَذَلِكَ تَتَوَالَى الْفَتْوحُ فِي أَيَّامِهَا وَتَتَنَاصَرُ، وَتَأْتِي الْأَقْدَارُ الْمُسْعِدَةُ مِنْهَا بِمَا تَتَضَاعَلُ لَوْضْفِهِ الْأَذْهَانُ وَتَتَقَاصِرُ. بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يُعَلِّمُكُمْ مُجِلُّكُمْ - أَذَامَ اللَّهُ سَعْدَكُمْ - بِمَا تَوَاتَرَ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ السَّارِّ عِنْدَهُ؛ وَهُوَ خَبَرٌ قَدْ اسْتَفَاضَ بِحَيْثُ لَا يُشَكُّ فِي صِدْقِهِ وَلَا يُمْتَرَى فِي صِحَّتِهِ؛ وَقَدْ وَصَلَتْ بِهِ الْمُخَاطَبَاتُ، مِنْ حُصُونِ شَتَّى وَجْهَاتٍ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَّ غَارِبَ الْكُفْرِ وَسَنَامَهُ، وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَأَعْلَى مَقَامَهُ، وَأَظْهَرَ بَرَكَةَ إِمَامَةِ خَلِيفَتِهِ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَرَكَ سَائِمَةَ الشُّرْكِ هَمَلًا، وَلَمْ يَبْنِ لَهَا فِي الْفَلَاحِ وَلَا فِي الصَّلَاحِ أَمَلًا؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَأَعَزَّ كَلِمَةَ الْإِيمَانِ، وَجَعَلَ الْبَشَائِرَ تَتَوَارَدُ عَلَيْهَا مِنَ الْأَمَامِ وَالْوَرَاءِ وَعَنِ الشَّمَائِلِ وَالْأَيَّامِ.

فَالْأَحْوَالُ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ مُعْتَمِلَةٌ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - فِي مَنَهِجِ الصَّلَاحِ، مُقْتَرَنَةٌ بِالْأَمْنَةِ الْمُقْتَبَلَةِ الشَّبَابِ وَالْعَافِيَةِ الْمُتَبَلِّجَةِ الصَّبَاحِ؛ وَالنَّاسُ بِمَا جَادَ الْأَرْضُ مِنَ الْحَيَا أَيْضًا فِي اسْتِبْشَارِ، وَلِلْجِرَائَةِ انْبِسَاطُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَانْتِشَارُ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بِبَرَكَةِ الْخِلَافَةِ السَّعِيدَةِ وَسَعَادَتِهَا، وَصَلَّ اللَّهُ لَهَا فِي الشُّعُودِ بِأَطْرَادِ عَادَتِهَا. وَقَدْ وَثَقُوا بِأَنَّ سَعَادَةَ الْخِلَافَةِ وَثِيقَةُ الْمَبَانِي، ظَاهِرَةٌ فِي كُلِّ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي، لَا رَيْبَ لِلْقَاصِي وَالْدَّانِي؛ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَزَالُ يَنْشُرُ أَنْوَارَهَا، وَيُجْرِي الْأُمُورَ عَلَى مَا يُوَافِقُ اخْتِيَارَهَا، وَيَمْلَأُ بِالسُّرُورِ فِي أَيَّامِهَا السَّعِيدَةِ بِلَادَهَا وَأَمْصَارَهَا؛ وَاللَّهُ يُوزِعُ شُكْرَ مَا أَوْلَى فِي أَيَّامِهَا مِنَ الْمَسَرَّاتِ، وَجَزِيلِ الْخَيْرَاتِ، وَيَجْعَلُ سَعْدَهَا كَالْعِلْمِ الصُّرُورِيِّ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ.



وَكُتِبَ أَيْضًا:

وَبَرَكَاتُ الْحَضَرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَيْدَهَا اللَّهُ - صَافِيَةُ الْبُرُودِ، دَائِمَةُ الْوُرُودِ، جَارِيَةٌ مِنْ التَّرَادُفِ وَالتَّضَاعُفِ عَلَى أَكْرَمِ مَعْهُودٍ، كَفِيلَةٌ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِالتَّأْمِينِ وَالتَّمْهِيدِ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْوُدُّ لَكُمْ مُنْتَدًى الْأَمْرَاسِ⁽¹⁾، وَثَبْتُ الْأَسَاسِ، وَالشُّكْرُ لَجَمِيلِ مَقَاصِدِكُمْ مَغْمُورُ الْمَغَانِي، حَفِيلُ الْمَعَانِي، وَالتَّطَلُّعُ لِسَمَاعِ أَنْبَائِكُمْ، وَتَلْقَى الْمَسَرَّاتِ مِنْ تِلْقَائِكُمْ، مُسْتَضْحَبٌ فِي جَمِيعِ الْأَنَاءِ، مُغْتَنَى بِهِ كُلُّ الْاِعْتِنَاءِ؛ وَاللَّهُ يَنْسُطُ جَذْلَكُمْ، وَيُضَاعِفُ النِّعَمَ قَبْلَكُمْ.

وَالْأَحْوَالُ فِي هَذِهِ الْجِهَاتِ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ - جَارِيَةٌ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ سَعَادَةُ الْخِلَافَةِ الْمُبَارَكَةِ - أَدَامَهَا اللَّهُ - مِنْ عُمُومِ الْمَسَرَّاتِ وَالْأَفْرَاحِ، وَأَنْشِرَاحِ الصُّدُورِ وَتَنْعَمِ الْأَرْوَاحِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَوَّدَ أَمْرَهُ الْعَزِيزُ مِنَ الظُّهُورِ، وَتَمَامِ النُّورِ.

وَقَدْ وَصَلَ الْكِتَابُ الْإِمَامِيَّ الْمُعْظَمُ الْكَرِيمُ - وَصَلَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ - مُضْمَنًا مِنَ التَّشْرِيفِ وَالتَّنْوِيهِ، وَالْاِلْتِفَاتِ الْكَرِيمِ النَّبِيِّ، مَا لَمْ يَزَلِ الْمَقَامُ الْإِمَامِيَّ - شَكَرَهُ اللَّهُ - يُؤْلِيهِ؛ وَاللَّهُ يُوزِعُ شُكْرَ مَنْنِهِ الْجَسِيمَةِ وَأَيَادِيهِ.

وَوَصَلَ أَيْضًا صُخْبَةُ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ كِتَابُكُمْ الْأَثِيرُ، الْمُبْهَجُ الْخَطِيرُ، فَسَرَّ مُحِبِّكُمْ بِوُضُوءِهِ، وَشَكَرَ جُمْلَةَ فُضُولِهِ؛ وَذَكَرْتُمْ نُفُودَ الْإِنْعَامِ الْإِمَامِيَّ - شَكَرَهُ اللَّهُ - بِمُرْتَبِ لِلْمُحَاسِبِ الَّذِي قَدِمَ هُنَا مُحِبِّكُمْ يَسْتَعِينُ بِهِ؛ وَتَلَكُمُ عَادَةُ الْمَقَامِ الْإِمَامِيَّ - أَيْدَهُ اللَّهُ - فِي الْإِحْسَانِ، وَقَصْدِ الْإِنْعَامِ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ؛ وَاللَّهُ يُجَازِي الْإِنْعَامَ الْإِمَامِيَّ وَالنَّظَرَ الْكَرِيمَ الْعَلِيِّ؛ وَسَاطَتَكُمْ فِي ذَلِكُمْ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ - مَشْكُورَةً، وَبِكُلِّ جَمِيلٍ مِنَ الذِّكْرِ مَذْكُورَةً، وَاللَّهُ يُشْكُرُ اهْتِبَالَكُمْ بِجَمِيعِ الْمَسَائِلِ، وَيُبْقِيكُمْ لِلْمَحَامِدِ وَالْفَضَائِلِ.

(1) الأمراس هي الجبال. قال الشاعر:

كَأَنَّ التُّرْبَا عُلِقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ



وَكُتَبَ أَيْضًا:

وَالِى هَذَا أوردَ الله عَلَى المَقَامِ الإِمَامِيِّ مِنَ البَشَائِرِ أَصْدَقَهَا بَيَانًا، وَأَوْضَحَهَا لِلْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ عِيَانًا، وَأَعْوَدَهَا بِمَا يَكُونُ عَلَى سَعْدِ الْخِلَافَةِ الْمُبَارَكَةِ بُرْهَانًا. فَإِنَّهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَسَنَ، وَأَفْصَحَ اللَّسَنَ، وَعَلِمَ مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَمْرِهِ الْعَزِيزِ - أَدَامَهُ اللَّهُ - عِنَايَةً لَا يَزَالُ يَصِلُ لَهُ أَسْبَابُهَا، وَكَرَامَةٌ لَا يَبْرَحُ يَفْتَحُ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَاسْتِقْبَالِ أَبْوَابِهَا؛ وَقَدْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْ عَوَّدَ هَذَا الْأَمْرَ الْعَزِيزَ أَجْمَلَ الْعَوَائِدِ، وَتَكْفَّلَ لَهُ بِأَحْفَلِ البَشَائِرِ وَأَكْمَلَ الفَوَائِدِ، وَ.... إِلَيْهِ مُخْتَلِفَاتِ الْقُلُوبِ، وَأَجْرَاهُ فِي حَالَتِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ، وَالْبُعْدِ وَالْقُرْبِ مِنَ التَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ وَالصَّنْعِ الْجَمِيلِ عَلَى أَوْضَحِ أُسْلُوبٍ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَقَدْ وَرَدَ الْآنَ مِنْ سَارِ الْأَنْبَاءِ، مَا تَجِبُ بِهِ مُطَالَعَةُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْمَنْصُورَةِ اللُّوَاءِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ وَصَلَ نَصْرَانِي فَأَخْبَرَ بِكَذَا وَكَذَا؛ وَهَذِهِ بَشَائِرُ بَرَكَاتِهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْ أَعْدَائِهِ بَيْنَهُمْ وَأَهْلَكُهُمْ بِأَرَائِهِمْ وَجَعَلَ فِي تَذْيِيرِهِمْ، عَاجِلَ تَذْيِيرِهِمْ. فَأَعْلَمَ الْعَبْدُ بِمَا تَجَدَّدَ عِنْدَهُ مِنْ أَخْبَارِ الْأَعْدَاءِ. وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ وَيُدِيمُ تَأْيِيدَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَيُخَلِّدُ مُلْكَهُ فَبِسَعْدِهِ تَطْمَئِنُّ الْبِلَادُ وَتَمْتَدُّ الْأَمْنَةُ وَيَمْحَقُ اللَّهُ الْكُفْرَ وَشَيْعَتَهُ. وَكُلُّ مَا يَرِدُ مِنَ البَشَائِرِ وَالْمَسَرَّاتِ، وَيَتَوَالَى مِنَ الصَّنَائِعِ الْجَمِيلَةِ وَالْخَيْرَاتِ، فَذَلِكَ كُلُّهُ بِبَرَكَاتِهِ الْخِلَافَةِ السَّعِيدَةِ، وَبِسَعَادَةِ الْإِمَامَةِ الْمُبَارَكَةِ الْحَمِيدَةِ. وَتِلْكَ عَوَائِدُ اللَّهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي هِيَ بِكُلِّ مَصْلَحَةٍ مِنْ مَصَالِحِ الْأَمْرِ الْعَزِيزِ كَفَيْلَةً، وَاللَّهُ يُوَالِي الْمَسَرَّاتِ تَبَاعًا، وَيُطْلِعُ مِنْهَا أَجْنَاسًا مُتَوَالِيَةً وَأَنْوَاعًا.

وَكُتَبَ أَيْضًا:

إِلَى وَزِيرِ الْخِلَافَةِ الْعَالِيَةِ أَسْعَدَهَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ. وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُعَوِّدِ أَمْرِهِ الْعَزِيزِ كُلِّ فَتْحٍ جَلِيلٍ، الْمُجَدِّدِ لَهُ كُلِّ صُنْعٍ جَمِيلٍ، الْمُقِيمِ مَا وَهَبَ لَهُ مِنَ التَّيْسِيرِ فِي كُلِّ مَرَامٍ وَالتَّسْهِيلِ، مَقَامِ الْبُرْهَانِ عَلَى سَعْدِهِ وَالذَّلِيلِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْهَادِي إِلَى



خَيْرِ سَبِيلٍ، وَالرِّضَا عَنِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ ظِلُّ اللَّهِ الْمَمْدُودِ الظَّلِيلِ، وَطَبِيبِ الدِّينِ حِينَ تَضَاعَلْ فِي أَسْمَالِ عَلِيلٍ، وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ الَّذِينَ مَشَّوْا أَمْرَهُ الْعَزِيزَ إِلَى غَايَةِ التَّسْمِيمِ وَالتَّكْمِيلِ، وَالدُّعَاءِ لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، بِالنَّصْرِ الْأَعَزِّ وَالْفَتْحِ الْحَفِيلِ، عَلَى وَفْقِ التَّامِيلِ.

فَالْكِتَابُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ السَّرَّاءِ مَا يَفِيضُ سَنَاهُ، وَبِحَسَبِ أَمَلِ الْأَمِلِ وَمُنَاهُ - مِنْ «إِسْبِيلِيَّةٍ» - حَرَسَهَا اللَّهُ - وَسَعَادَةُ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ - أَيَّدَهَا اللَّهُ - كَبِيرَةً، وَبَشَائِرَهَا لِأَوْلِيَائِهَا الْمُؤْمِنِينَ سَارَةً وَلِأَعْدَائِهَا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ مُبِيرَةً؛ وَيُؤْمَنُ خِلَافَتُهَا قَدْ اتَّضَحَ دَلِيلُهُ وَبُرْهَانُهُ، وَسَوَاقِ كَرَامَاتِهَا قَدْ غَصَّ بِهِ مِضْمَارُ السُّرُورِ وَرَهَانُهُ، وَأَيَّامُهَا السَّعِيدَةُ - أَدَامَهَا اللَّهُ - أَعْيَادُ كُلِّهَا وَمَوَاسِمُ، وَتُغُورُ الْمَوَاسِطُ وَالتُّغُورُ⁽¹⁾ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الظُّهُورِ بِوَاسِمٍ؛ وَبَيَعْتُهَا الْمَيْمُونَةُ قَدْ أَثْمَرَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ أَطْيَبَ الثَّمَرِ، وَأَبْدَتْ آيَةً سَعْدِهَا أَبَيَّنَ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ فَنُورُ الْحَقِّ بِهَا بَاهِرٌ، وَرَوْضُ الْعَدْلِ زَاهِرٌ، وَجِيدُ الدَّهْرِ بِمَحَامِدِهَا حَالٍ، وَكَعْبُهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ عَالٍ، وَغَيْثُ نِعَمِهَا وَابِلٌ، وَمِثْلُ مَا غَرَسَ اللَّهُ مِنْ مَحَبَّةِ أَمْرِهَا الْعَزِيزِ فِي كُلِّ قَلْبٍ ﴿كَمَلَّ حَبَّةٌ أَتَيْتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾⁽²⁾ وَحَبْلُ الْيَقِينِ بِصَدَقِ دَعْوَتِهَا الْعَالِيَةِ مُغَارٌ⁽³⁾، وَنُطْقُ النَّاطِقِينَ كُلُّهُ اعْتِرَافٌ بِعِزَّتِهَا وَإِقْرَارٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُحْصَى بِالْحُسْبَانِ، وَلَا يَخْطُرُ حَضْرُهَا فِي الْحُسْبَانِ، حَمْدًا يَكُونُ بِفَضْلِ اللَّهِ لَهَا قَيْدًا، وَيَقْتَنِصُ بِهِ الْمَزِيدُ وَالصُّنْعُ الْجَدِيدُ صَيْدًا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِطَابُ إِلَيْكُمْ، أَسْبَغَ اللَّهُ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً عَلَيْكُمْ، بِمَا كَانَ قَدْ طَلَعَ بِهِ فِي هَذَا الْأَفْقِ فَجْرُ الْبُشْرَى، مِنَ الْأَخْبَارِ بِمَا يَسْرُهُ اللَّهُ لِأَمْرِهِ الْعَزِيزِ مِنَ الْبُشْرَى، وَسَنَاهُ

(1) الثغور الأولى: يقصد بها الأفواه، جمع ثغر. أما الثانية فيعني بها الأراضي المتاخمة للحدود النصرانية.

(2) سورة البقرة، الآية: 260.

(3) مغار: شديد الفتل، وقد أشار الشاعر الجاهلي إلى ذلك بقوله:

بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ يَسْذُبِلُ



سَعْدُهُ مِنَ النُّعْمَةِ الْكُبْرَى، فف قَتَلَ الشَّقِيَّ الَّذف كَانَ نَجَمَ «بِجَزْوَلَةٍ» لَحْفنُهُ، فَاسْتَوَى سَفِيفُ اللَّهِ مِنْ نَاصِيَتِهِ الْكَاذِبَةِ الْخَاطِئَةِ⁽¹⁾ اقْتِضَاءً دْفنَهُ. وَكَانَ حُكْمُ الْبَقْفنِ، بِمَا لِلْأَمْرِ الْعَزِيزِ مِنَ السَّعْدِ الْمُبْفنِ؛ -يَعْلَمُ اللَّهُ- بِضُرُورَةِ الْعَقْلِ، صِحَّةُ هَذَا الْخَبَرِ مِنْ طَرَفِ الْمَعْنَى وَيَتَشَوَّقُ إِلَى صِحَّةِ تَأْكُدهِ مِنْ طَرَفِ النُّقْلِ. فَكَانَ الشُّرُورُ وَقَدْ مَدَّ لِلنَّسْجِ سَدَاهُ، وَأَخَذَتْ بِطَرَفِي مَنْوَالِهِ يَدَاهُ، وَوَضَعَ قَدَمَهُ فِي الدَّرَجِ، لِيَضَعَدَ بِالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَى عُرْفَاتِ الْفَرَجِ؛ ثُمَّ لَمْ يَدَعْ الْأُمَّةَ الْمُبْتَهْجَةَ بِأَنَّ أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَاهَا وَإِمَامَهَا إِلَّا طُلُوعَ شَمْسِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَمَامَهَا، مُضْمِنًا مِنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ وَتَحْقِيقِ الْفَتْحِ الَّذف مِنْ أُمَمَاتِ الْعَبْدِ مَا أَعَزَّ دْفنَهَا وَأَكْدَّ بَقْفنَهَا وَزَادَهَا إِيمَانًا لِإِيمَانِهَا، وَغَبَطَةً لِبَغْطِهَا؛ بِالْبَيْعَةِ الْمَفْمُونَةِ الَّتف كَانَتْ قَدْ أُعْطَتْ بِهَا صَفْقَةٌ أَيْمَانِهَا، فَعْدَا كُلُّ لِسَانٍ وَهُوَ بِعَظَمِ هَذِهِ النُّعْمِ مُفْنَعَمٌ، وَأَضْحَى الشُّرُورُ وَغُفْلُهُ مُعْلَمٌ، وَسَرَى كَالْمُتَقَدِّمِ الَّذف كَرَّ مُلْجَمٌ، وَعَلَا فِي ذِرْوَةِ الْاسْتِشَارِ مِضْعَدُهُ وَمُسَمَاهُ، وَانْتَهَى إِلَى الْارْتِفَاعِ مِنْ شَرَفِ الْارْتِفَاعِ إِلَى أَسْمَاهُ.

وَكَانَ مِنَ السَّعْدِ الَّذف أَشْرَقَتْ آيَاتُهُ، وَالصُّنْعِ الَّذف اطَّرَدَتْ فِي الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ جُزْئِيَاتُهُ وَكُلِّيَاتُهُ، أَنَّ وَافَقَ وَصُولُ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَتَمَّ اللَّهُ بِذَلِكَ فَضْلَ الْيَوْمِ وَجَمْعَهُ. وَأَعْرَبَتْ مُوَافَقَةُ عَرُوبَةٍ عَنْ تَأْتِي الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِمَصَالِحِ الْأَمْرِ الْعَزِيزِ أَفْصَحَ إِعْرَابٍ، وَأَعْرَبَتْ لَطَائِفُ التَّكْفِيفَاتِ بِمَا كَانَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَشْرِ لِلْإِذَاعَةِ بِهِ وَالنَّشْرِ أَوْضَحَ إِعْرَابٍ، حَيْثُ جَمَعَ اللَّهُ الْأُمَّةَ مِنَ الْحَاضِرَةِ وَالْبَادِيَةِ لِسَمَاعِ الْبُشْرَى، وَحَشَرَهَا فِي الْجَامِعِ الْكَرِيمِ، فِي يَوْمٍ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَيَوْمٍ مَشْهُودٍ حَشَرًا⁽²⁾؛ فَفَرَحَ بِهِ الْمُنْبَرُ الْمُبَارَكُ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي حَفْلِ سَاعَدَةِ الْقَضَاءِ، وَضَاقَتْ مِنْهُ الْأَرْضُ وَغَصَّ بِهِ الْفَضَاءُ، فَكَانَ فِعْلُ اللَّهِ فِي جَمْعٍ مَنْ جَمَعَ فِيهِ وَحَشَرَ مَنْ حَشَرَ، أَجْمَلَ وَأَكْمَلَ مِنْ كُلِّ احْتِفَالٍ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي ذَلِكَ الْبَشَرِ، فَضَجَّ النَّاسُ بِالْإِدْعَاءِ

(1) فف إشارَة إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنَسْبَعَنَّ بِالْئَاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾. سورة العلق، الْآيَتَانِ:

17-16.

(2) مَقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾، سورة هود، الْآيَةُ:

103.



وَالشُّكْرُ، عِنْدَ سَمَاعٍ مَا تَصَمَّنَ مِنَ الذِّكْرِ، ضَجِيجَ مَنْ اسْتَخَفَّ الْفَرْحَ وَقَارَهُ، وَطَارَ بِهِ
السُّرُورُ مَطَارَهُ، وَتَيَقَّنَ الْجَمِيعُ أَنَّ الْأَمْرَ الْعَزِيزَ اللَّهُ الَّذِي يَنْصُرُ أَنْصَارَهُ، وَيَخْذُمُ أَقْدَارَهُ،
وَيَكْشِفُ لَهُ مِنْ خَبَايَا الْفَتْحِ الْمُبِينِ أَسْرَارَهُ. فَلَوْ رَأَيْتُمْ -أَدَامَ اللَّهُ عِزَّتَكُمْ- اِزْتِيَاخَ الْخَلْقِ
وَاهْتِزَّازَهُمْ، وَافْتِخَارَهُمْ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ سَعْدِ أَيْمَانِهِمْ وَاعْتِزَّازَهُمْ، وَإِعَادَتَهُمْ فِي
شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِبْدَاءَهُمْ، وَدُعَاءَهُمْ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِتَخْلِيدِ هَذَا الْأَمْرِ وَنِدَاءَهُمْ، وَخَتْمَهُمْ
بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالتَّمَجِيدِ، وَابْتِدَاءَهُمْ، لَرَأَيْتُمْ مَا يُقَرُّ عَيْنَ
الْإِيمَانِ، وَيَشْهَدُ تَضَرُّيحًا وَتَلْوِيحًا بِسَعَادَةِ هَذَا الزَّمَانِ. وَلَقَدْ اسْتَفْرَه الطَّرْبُ الْخَاصَّةَ
وَالْعَامَّةَ فَحَكَّمُوا بِحُكْمِ الْأَعْيَادِ لِلْأَيَّامِ، وَأَجْرَوْهَا مَجْرَاهَا فِي إِنْشَاءِ السَّلَامِ فِيهَا
وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَاحْتَفَلُوا فِي حَقِّهَا اخْتِفَالَ ذَوِي الْاهْتِمَامِ؛ وَبَدَأَ بِذَلِكَ «الْمُوحِّدُونَ»
-أَعَزَّهُمُ اللَّهُ- عَلَى عَادَةِ بَدَارِهِمْ، ثُمَّ تَلَاهُمْ أَهْلُ الْبَلَدِ عَلَى أَطْوَارِهِمْ، يَنْتَشِرُونَ
لِإِظْهَارِ مَا عَمَّهُمْ مِنَ الْفَرْحِ فِي أَنْجَادِهِمْ وَأَغْوَارِهِمْ، وَيَقِيمُونَ أَغْرَاسًا فِي كُلِّ مَكَانٍ،
وَيَخْسِبُونَ كُلَّ يَوْمٍ يَوْمَ مُوسِمٍ وَمِهْرَجَانٍ؛ فَدَرَّتِ النِّعَمُ دُرُورًا، وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ
سُرُورًا، وَعَادَ الْفَضَاءُ كُلَّهُ مَأْلَفَ لِلشُّكْرِ وَمَعَاهِدِ، وَمَجَالِسَ لِلذِّكْرِ وَمَسَاجِدَ؛ وَيَحَقُّ
ذَلِكَ لِهَذَا الْفَتْحِ فَإِنَّهُ لَفَتَحَ مِنَ الْفُتُوحِ الَّتِي يَتَعَدَّدُ إِثْمَارُهَا، وَتَصْلُحُ بِهَا أَحْوَالُ الْأُمَّةِ
وَتَشِبُّ أَعْمَارُهَا، وَتَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِأَمْثَالِهَا⁽¹⁾، وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي حُلَلِ جَمَالِهَا،
وَتَنْصَرِفُ الْمُنَى عَنْهَا حُفْلًا مَشْمُولَةً الْحَلَبِ⁽²⁾، وَلَا تَتْرُكُ لِأَحَدٍ مَطْلَبًا إِلَّا تَقْضِيهِ
فَيُصْحَبُ الدُّنْيَا بَعْدَهَا بِلَا طَلَبٍ، إِلَّا طَلَبَ إِطَالَةِ بَقَاءِ الْخِلَافَةِ الَّذِي يَعْضُدُّهُ الْوَعْدُ،
وَتَخْلِيدَ دَعْوَتِهَا الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ كَلِمَةٌ مِنْ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ⁽³⁾.

(1) مقتبس من قول الشاعر العباسي:

فَتَحَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُسْبِ

(2) مقتبس من قول أبي تمام:

يَا يَوْمَ وَقَعَةَ عُمُورِيَّةَ أَنْصَرَفَتْ مِنْكَ الْمُنَى حُفْلًا مَغْسُولَةَ الْحَلَبِ

(3) مقتبس من قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾. سورة: الروم، الآية: 3.



فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ أَقْسَامَ الْفَرْحِ وَالْجَدَلِ، وَبَلَّغَهُمْ مِنْ سَعْدِهَا خَلِيفَتَهُ غَايَةَ الْأَمَلِ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ أَنْصَارًا فِي كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْكَائِدِينَ يَكِيدُهُمْ - وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ - مِنْ قِبَلٍ؛ وَيَاعَجَبًا لِدَلِّكَ الشَّقِيَّ الْمَغْرُورِ، كَيْفَ عَمِيَ عَنِ النُّورِ، الَّذِي يَتَسَاوَى فِي إِذْرَاكِهِ عُقَلَاءُ الْجُمْهُورِ، ﴿وَمَا يَسْتَوِي إِلَّا عُمِّي وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾⁽¹⁾؛ وَلَقَدْ قَابَلَ الْبَحْرَ الزَّخَارَ بِالْوَشْلِ، وَالْقُدْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ بِالْعَجْزِ وَالْفَشْلِ، وَزَا حَمَّ الْحَدِيدِ بِالزُّجَاجِ، وَلَمْ يَعْرِفِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالزُّجَاجِ، وَدَفَعَ الْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ بِدَوَاحِضِ الْحِجَابِ؛ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مَنْ شَكَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَزِيزِ فَقَدْ شَكَّ فِي وَحْدَانِيَّةِ الْجَلِيلِ، وَمَنْ طَلَبَ الدَّلِيلَ عَلَى ظُهُورِهِ فَقَدْ اخْتَأَجَ النَّهَارُ عِنْدَهُ⁽²⁾ إِلَى دَلِيلٍ⁽³⁾.

فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْجَزَ فِيهِ وَفِي أَشْيَاعِهِ وَعَدَهُ، وَأَوْضَحَ بِصُنْعِهِ فِيهِمْ يُمْنَنَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيَّنَّ سَعْدَهُ، وَبَشَّرَ قِيَّاسًا وَسَمَاعًا بِأَنَّ لَهُذَا الْفَتْحَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - مَا بَعْدَهُ. وَمَا لَبِثَ مُجْلِكُمْ أَنْ أَنْقَذَ نُسَخَ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ إِلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْجِهَاتِ، وَعَمَّ بَيْنَهَا جَمِيعَ الْأُمَمَاتِ مِنْهَا وَالْبَنَاتِ، حَتَّى عَمَّتِ الْبُشْرَى كُلَّ ثَغْرِ وَحِضْنٍ، وَحَلَّتْ عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، بِبَرَكَاتِ الْأَمْرِ السَّعِيدِ، عَرُوسُ النَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ، وَالْفَتْحِ الْمُيَسَّرِ، فِي أَكْمَلِ حُسْنٍ فَلَا أَلْسِنَةً فِي كُلِّ غَوْرٍ وَتَجْدٍ بِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ نَاطِقَةً، وَالْقُلُوبُ مُوقِنَةً بِأَنَّ الدَّعْوَةَ الْمَهْدِيَّةَ فِي الظُّهُورِ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ صَادِقَةٌ؛ وَالْأَمْنَةُ قَدْ مَدَّتْ عَلَى الْبِلَادِ جَنَاحًا، وَأَرْضُ النَّصْرَانِيَّةِ قَدْ زُلْزِلَتْ زَلْزَلَةً⁽⁴⁾ وَهَيَّجَتْ هَذِهِ الْمَسْرَةَ بَلْبَالَهَا، وَأَذْنَتْ بِذُلُّهَا وَصَغَارِهَا وَعَدَمَتْ تَخَمُّطَهَا وَصِيَالَهَا.

(1) سورة: فاطر، الآيات: 19-20-21.

(2) وردت بهامش الأصل؛ وفوقها «كلمة صح».

(3) فيه إشارة إلى قول الشاعر العربي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا اخْتَأَجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

(4) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.



وَاللّٰهُ يَصِلُ لِلْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ يُمْنَهَا وَإِقْبَالَهَا، وَيُضَاعِفُ لَهَا مَا خَوَّلَهَا مِنَ السُّعُودِ
وَأَوْلَاهَا، وَيُورِّثُهَا الْأَعْمَارَ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ كَافَّةً عِدَاهَا،
وَيَحْرُسَ عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَا أَشْرَقَ عَلَيْهِمَا مِنْ نُورِ هُدَاهَا، وَيُهْنِيهَا مَا وَهَبَ لَهَا مِنْ
عُلَاهَا، وَيَرْزُقُنَا أَجْمَعِينَ حُسْنَ رِضَاهَا وَيُعِينُنَا فِي كُلِّ حَالٍ عَلَى مَا يُزِلُّ مِنْ رُحْمَاهَا.



الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
﴿وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ﴾	البقرة	23	247
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	البقرة	43	236
﴿صَفَرَاءَ قَافِعٍ لَوْ نَهَا تَسْرَ النَّظِيرِينَ﴾	البقرة	68	509
﴿وَإِنْ مِنَ الْجِبَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾	البقرة	73	247
﴿قَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	البقرة	89	244
﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	البقرة	136	241
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ١ ﴿وَلْيَكْ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَلْيَكْ لَهُمُ الْمُنْتَدُونَ﴾	البقرة	-155 156	327
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	البقرة	155	285
﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	البقرة	155	-337-292 611-328
﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾	البقرة	165	603-522
﴿يَوْمَ الْبَاسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾	البقرة	176	597
﴿١﴾ ﴿وَلْيَكْ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ ١ ﴿وَلْيَكْ لَهُمُ الْمُتَّقُونَ﴾	البقرة	176	576
﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾	البقرة	217	198
﴿قُلْ إِنَّمَا كُنَّ مَثَافٍ أَوْ تُسْرِيعُ﴾	البقرة	227	261



422	235	البقرة	﴿وَأَنْ تَغْفِرُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ﴾
422	235	البقرة	﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾
524	247	البقرة	﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾
728	259	البقرة	﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قُلِّي﴾
745	260	البقرة	﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾
480	272	البقرة	﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾
616	281	البقرة	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
615	133	آل عمران	﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
410	140	آل عمران	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾
319	167	آل عمران	﴿يَقُولُونَ يَا أَفْوَهِهْمَ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾
598	178	آل عمران	﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾
234	185	آل عمران	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾
251	187	آل عمران	﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾
232	58	النساء	﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾
423	62	النساء	﴿بِأَعْرَاضٍ عَنْهُمْ وَعِظُهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾
634	68	النساء	﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَافِقًا﴾
409	72	النساء	﴿يَتَلَاثِنَنَّهُ كُنْتُ مَعَهُمْ بِأَفْوَزًا عَظِيمًا﴾
410	93	النساء	﴿كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾
168	112	النساء	﴿فَقَدْ اخْتَمَلَ بُهْتَنَانَا وَإِنَّمَا مَثْبُتَانَا﴾
488	127	النساء	﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾
233	135	النساء	﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْأَيْسُطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوَّلَٰئِكَ أَلَا يَعْلَمُونَ﴾



601-525	142	النساء	﴿لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾
513	26	المائدة	﴿إِنَّا هَدَيْنَا قَعِدُونَ﴾
384	34	المائدة	﴿وَمَنْ أَحْبَبَهَا فَبِكَأَنَّهَا أَخِيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾
477	35	المائدة	﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾
270	68	الأنعام	﴿بِقَاعِضٍ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾
270	112	الأنعام	﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾
494	32	الأعراف	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾
188	143	الأعراف	﴿أَرِنِي أَنْظِرِ النَّاسَ﴾
719	30	الأنفال	﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيرِ﴾
682	33	الأنفال	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ بِهِمْ﴾
266	38	الأنفال	﴿فَلِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾
727	45	الأنفال	﴿لِيُفْضِيَ اللَّهُ أُمُورًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾
601	49	الأنفال	﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْبَيْتِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرَحْتُ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾
424	64	الأنفال	﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾
547	33	التوبة	﴿عَلَىٰ الَّذِينَ كَلِمَةٌ﴾
233	109	التوبة	﴿أَسِسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَقَا جُرْفٍ هَارٍ فَإِنْ هَارَ بِهِ فِي بَارِ جَهَنَّمَ﴾
600	119	التوبة	﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾
482	26	يونس	﴿الْحُسَيْنِ وَزِيَادَةَ﴾
240	59	يونس	﴿قُلِ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾
247	82-81	هود	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مُنْضُودٍ﴾
478	82	هود	﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾



479	88	هود	﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾
185	23	يوسف	﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْثَابَ وَقَالَثَ هَيْتَ لَكُمْ﴾
239	44	يوسف	﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِيِلٍ إِلَّا خَلْقٌ يَعْلَمِينَ﴾
364-245	76	يوسف	﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾
415	84	يوسف	﴿وَابْتِصَتْ عَيْنُهُ مِنَ الْخَزَنِ فَهِيَ كَظِيمٌ﴾
415	88	يوسف	﴿يَتَأْتِيهَا الْفَرِيزُ مَسْنَاً وَأَهْلُنَا الْأُصْرُ﴾
185	92	يوسف	﴿لَا تُفْرِيبْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَغْيُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾
185	97	يوسف	﴿إِسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾
547	108	يوسف	﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾
479	9	الرعد	﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِحِفْظٍ﴾
599	12	الرعد	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يُقْدِرُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا يَأْنَفُسِهِمْ﴾
547	-24 43-25	الرعد	﴿غَفَبَى الْبَرَارِ﴾
265	34	الرعد	﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾
318	39	الرعد	﴿يَكُلُّ أَجَلَ كِتَابٍ﴾
597	9	إبراهيم	﴿لَيْسَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾
320	26	إبراهيم	﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾
741	27-26	إبراهيم	﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ثَوْنٍ أَكَلَهَا كُلُّ حِينٍ﴾
530	39	إبراهيم	﴿يُؤَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾
502	47	الحجر	﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾
168	8	النحل	﴿وَالْحَتِئِلِ وَالْبِقَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْنَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

525	77	النحل	﴿كَلِمَاحِ الْبَصَرِ﴾
599	112	النحل	﴿بَكَفَرَتْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ بِآذَانِهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْخُجُوعَ وَالْخُجُوعَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾
490	82	الإسراء	﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُزَّةِ إِنْ مَا هُوَ شِقَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
238	29	الكهف	﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
291	45	الكهف	﴿إِلْمَالِ وَالْبَنُونَ رَبَّنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
496	62	الكهف	﴿وَمَا أُنَبِّئُكَ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَكْفَرَهُ﴾
514	76	الكهف	﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْفِقَ بِأَقَامَةٍ﴾
264	59	مريم	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾
447	74	مريم	﴿أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾
504	31-30	طه	﴿وَأَشْرِكُهُ بِحُجْرَةِ أَمْرِ﴾
239	46	طه	﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾
251	104	طه	﴿فَاعَا صَفْصَبًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾
239	134	طه	﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾
342	23	الأنبياء	﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾
627	35	الأنبياء	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾
512	103	الأنبياء	﴿كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾
528	106	الانبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
235	11	الحج	﴿خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينِ﴾
319	109	المؤمنون	﴿إِخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُونَ﴾
270	16	النور	﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَلٌ عَظِيمٌ﴾
727	39	النور	﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾



478	42	النور	﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾
270	4	الفرقان	﴿إِلَّا إِنْكَارَ الْفَرِيقِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾
502	54	الفرقان	﴿بَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾
627	89	الشعراء	﴿يَقْلَبُ سَلِيمٌ﴾
203	-128 129	الشعراء	﴿أَتَنْبُوهُنَّ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُنَّ أَصْلُهُنَّ وَلَا يُنْصِلُهُنَّ أَبْنَاهُنَّ وَلَا يُنْصِلُهُنَّ الْمَوْلُونَ وَلَا يَنْصِلُهُنَّ الْمَوْلُونَ﴾
270	-151 152	الشعراء	﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُنْشِرِينَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾
501	223	الشعراء	﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾
218	226	الشعراء	﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾
420	35	النمل	﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا أُذُنًا﴾
492	79	القصص	﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
264	41	العنكبوت	﴿كَمَثَلِ الْغَنَكَبُوتِ إِذْ خَدَّتْ بُيُوتًا﴾
243	41	العنكبوت	﴿وَأَنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِثَ الْغَنَكَبُوتِ﴾
710	5	الروم	﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾
270	16	الروم	﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾
240	19	الأحزاب	﴿حِذَادِ أَشِجَّةٍ عَلَى الْخَيْرِ﴾
240	20-19	الأحزاب	﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَرْفَعُوا قُلُوبَهُمْ إِلَى اللَّهِ أَعْمَلُوا لَهُمْ﴾
592	46	الأحزاب	﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِينًا﴾
586	61	الأحزاب	﴿أَيْنَمَا تُفِيقُوا خِذُوا وَفُتِلُوا فُتِيلًا﴾
533	15	سبا	﴿جَنَّتَنِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾
474-244	15	سبا	﴿بَلَدَةَ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ غَمُورٍ﴾



264	8	فاطر	﴿أَقِمَّ زِينَةَ لَهُ سُوَّةَ عَمَلِهِ قَرِيبًا حَسَنًا﴾
233	12	فاطر	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٍ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾
481	14	فاطر	﴿وَلَا يَنْبِيئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾
748-265	-19 21-20	فاطر	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾
586	43	فاطر	﴿وَلَسْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾
694-479	81	يس	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
599-235	177	الصافات	﴿قِسَاءَ صَبَاحٍ الْمُنْذِرِينَ﴾
270	-178 179	الصافات	﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾
422	23	ص	﴿وَإِنْ كَثِيرَ آيَاتٍ الْخُلَطَاءُ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾
480	23	ص	﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾
510	31	ص	﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾
317	41	ص	﴿كَغَضِّ رِيحٍ خَالِكَةٍ هَذَا مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾
584	42	ص	﴿وَذَكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾
-326 350-337	11	الزمر	﴿إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
265	17	الزمر	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾
239	5	فصلت	﴿فَلَوْ نَا بِحُكْمَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾
217	25	الشورى	﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾
447	26	الشورى	﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾
234	22	الزخرف	﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى امَّةٍ وَإِنَّا عَلَى الْبِرِّهِمْ مُفْتَدُونَ﴾



502	67	الزخرف	﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾
183	71	الزخرف	﴿وَبِهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾
533	71	الزخرف	﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾
270	6	الجاثية	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾
265	15	محمد	﴿أَقِمَّصَ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن رُّيِّسَ لَهُ سَوْءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾
583	20	الفتح	﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾
586	23	الفتح	﴿وَلَسَ تَجِدُ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾
480	26	الفتح	﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾
583	27	الفتح	﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾
547	28	الفتح	﴿عَلَى الدِّيبِ كُلِّهِ﴾
455	10-9	ق	﴿جَنَّتْ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالشَّخْلُ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلَعُ نَضِيدٍ﴾
235	42	الذاريات	﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ﴾
317	28	النجم	﴿وَإِنَّ الظُّلَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾
525	50	القمر	﴿كَلِمَاحٍ الْبَصَرِ﴾
595	54	القمر	﴿الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾
518	18	الرحمن	﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِي﴾
337	25-24	الرحمن	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ وَيَنبِى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ﴾
234	19	الحديد	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾
-367 728-714	20	الحديد	﴿ذَلِكَ بِضَلِّ إِلَهِ يُرِيدُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾
598	21	المجادلة	﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
598	21	المجادلة	﴿وَلَوْ كَانَ ذَا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾



503	9	الحشر	﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْثِثُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾
422	14	الحشر	﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾
236	3	الصف	﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
237	9	الطلاق	﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾
247	6	التحريم	﴿وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾
270	11-10	القلم	﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلْمٍ فِيهِمْ مَعَارِشًا يَنِيمُ﴾
600	9	الحاقة	﴿بِأَخَذِهِمْ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾
594	12	الجن	﴿لَسْ تُفْعِزْ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَسْ تُفْعِزُهُ هَرَبًا﴾
312	31	المدثر	﴿وَمَا يَغْلَمْ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾
523	35	المدثر	﴿إِنَّهَا لَا تَخَذِي الْكُبْرَى﴾
270	24	الإنسان	﴿وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ ذِيئًا أَوْ كِبُورًا﴾
266	27	الإنسان	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحْثِثُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَفِيلًا﴾
368	18-17	التكوير	﴿وَالنَّيْلُ إِذَا عَسْفَسَ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾
388	21	الفجر	﴿أَغْلَا لَمَّا﴾
217	7-6	العلق	﴿كَلاَّ إِنَّ الْأَنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ ۖ أَن رَّبَّاهُ اسْتَفْغَىٰ﴾
247	4	الفيل	﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾
474	5	الفلق	﴿مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾





فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
254	اتقوا دعوة المظلوم
168	الخييل معقود بنواصيها الخير
188	استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان
275	أعوذ بالله من الحور بعد الكور
421	اغتنم خمسا قبل خمس
319	الله أكبر خربت خيبر
380	المدينة كالكير تنفي خبيثها
502	المرء كثير بأخيه
414	المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين
503	المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص
157	إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد
458	أنا ابن العواتك من سليم
480	جبلت النفوس على حب من أحسن إليها
231	حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات
503	رأس العقد بعد الإيمان التودد إلى الناس
626	رب مبلغ أولى من سامع
507	سافروا تصحوا وتغنموا
466	كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته
277	من تواضع لله رفعه
472	من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له



فهرس الأشعار

الصفحة	القافية
الهمزة	
324	عزائها
412	بكاء
492	الماء
512	النعماء
الباء	
166	الحب
167-166	صعب
184	بالقلوب
189	مذاهب
228	الكتابه
250	نسبا
253	أغضبا
261	الكاذب
270	الذيب
273	العتاب
359	غلاب
359	خصبه
384	واللعب
475	مشيب
484	ولا عصب



506	الرطب
509	للنوادب
488	رعبا
490	الترابا
502	تنسبا
647	مكاسب
التاء	
425	الكميت
525	وأظلت
496	كاد يموت
الحاء	
205	القوادح
252	فلاح
456	الأباطح
الدال	
167	الجياذ
251	بزائد
254	رغدا
317	هند
407	خالذ
421	المهند
445	الفاصد
512	من سنداد
525	المكمذ



631	المقالدا
662	وجدود
673	موحد
686	البعيده
الراء	
481-302	الدهر
347	الأكابري
320	ابن نادر
320	والقمر
366	عشائره
390	ومعشرا
388	المعار
440	من الشكر
440	وشكر
454	غدير
473	الساري
302	الدهر
484	زمر
484	واصفري
531	ونوم سمر
511	الأبهر
513	المسافر
302	الدهر
519	الأخرى



526	بها عشرا
486	أيمن طير
487	شهور
496	الديار
666	يزور
681	والصبر
الزاي	
241	أنجز
السين	
178	عدس
275	بآيس
364	المرء أسا
365	الكؤوس
443	نفسي
668	تجنيس
الضاد	
528	عوضا
العين	
240	شافع
298	الدموعا
334	الجميع
475	قطع
516	يتطلع



الفاء	
358	عيوف
671	مشغوف
القاف	
184	المشوق
250	أغرق
387	فاحترقا
397	في الشفق
415	خفوق
485	مطاق
الكاف	
411	ببالك
515	مالكا
اللام	
252	قيلا
253	سلسبيل
258	البذل
271	فاضل
302	نعالها
386	عسلا
387	وأوصالي
392	ذلك لي
396	سبيل
408	نابل



413	خبالا
481	أهلي
506	في رجل
531	أولا تسل
514	ثم ارتحل
515	مسأله
515	شامل
528	للأرامل
671	والجزاله
679	جميلا
الميم	
166	ذمم
169	والقلم
185	لفمي
205	تلوم
213	بدم
314	السلام
321	ممن يكرم
327	في الكرام
343	الشمام
377	عقم
379	للصنم
387	متقدم
422	مؤلم



507	بلا سلام
529	أويلم
530	وأسهمي
533	من ألم
520	القدم
521	النديم
524	أو تستقيما
493	كريم
497	الصائم
616	سائم
659	قدما
النون	
158	الوثن
221	بالدون
231	خوان
246	مرجان
247	إنسان
248	تكون
249	فأتاني
250	هجين
338	الصين
342	والدين
408	صاحبان
490	الغيطان



494	والكفن
504	جيرانى
615	ثامن
644	زمانه
674	والحزن
الهاء	
381	أتوب
463	أدعى لها
482	مجتلاه
671	ثمراتها
665	فارقته
674	هضباته
الياء	
256	التقاضيا
485	ورائيا





فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
حرف الألف	
أبو إبراهيم بن أبي إسحاق	426-411
أبو إسحاق الصابي	286-215
أبو إسحاق النيجرمي	153-151
إذفونش	231
أحمد بن جبير	524-487
أحمد بن سعيد	285
أحمد عبد المؤمن الشريشي	679
أحمد بن مبشر	259-201
أحمد بن محمد البلوي	-355-328-285-269-201-186-151 541-534-429-424-401-394
حرف الباء	
أبو بحر صفوان بن إدريس	-387-355-317-201-231-151-166 429-408-401
بديع الزمان الهمذاني	311-214-152-151
أبو بكر بن أبي الحكم	201
ابن بكساس	267
أبو بكر بن عبد العزيز	301-285
أبو بكر بن قزمان	406-401
أبو بكر بن القصيرة	227-201
أبو بكر بن مغاور الشاطبي	391-376-355-311-285-171-151



241	أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم
612	أبو بكر يزيد بن صقلاب
حرف الجيم	
355	أبو جعفر بن أحمد
401-298-225	أبو جعفر بن عباس
285-298	أبو جعفر اللمائي
441	ابن جهور
حرف الحاء	
312	أبو الحجاج بن عيسى
267-201	أبو الحجاج بن عتبة
228-151	ابن حسداي
416-415	أبو الحسن بن حريق
583	أبو الحسن بن زيد
604-571	أبو الحسن القلني
316	أبو الحسن بن عبد الواحد
190	أبو الحسين همام
440-429-292-285-204-201-151	الحسن بن وهب
218-201-154-151	أبو حفص بن برد
456	أبو الحسين القرشي
342-188	أبو حفص بن عمر
322-285	أبو الحكم بن عذرة
حرف الخاء	
440	ابن الخصيب
216-201	أبو الخطاب العبدكاني



517	أبو الخطاب ابن واجب
حرف الدال	
367	ابن دري
حرف الزاي	
189	أبو زكرياء بن أبي الربيع
363	أبو زيد السروجي
637-634	أبو زيد السهيلي
610-194-169-151	أبو زيد الفازازي
حرف السين	
438-429	سالم مولى سعيد بن عبد الملك
324-215-186	سحبان وائل
497	سعيد بن جبير
665	ابن سيد الناس
حرف الفاء	
373-355-227-226	الفتح بن عبيد الله
404	الفضل بن الربيع
455	أبو الفضل عياض
حرف الصاد	
310	صلاح الدين الأيوبي
حرف الطاء	
525	طفيل بن كعب الغنوي
حرف العين	
369-355	أبو عامر ابن شهيد
294-285-201-181-174-151	أبو العباس بن رشيق



380-288	أبو العباس بن أبي الطيب
291-290	العباس بن الفضل
264	ابن عبد الحميد بن توندوت
285-215-186	عبد الحميد الكاتب
279-231	عبد الرحمن بن أمير المؤمنين
374-355-300-285-160	أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر
621-619-617	عبد الرحمن بن عمر بن عذرة
356-206	عبد العزيز بن عمر بن هبيرة
225-201	أبو عبد الله البزلياني
285-316	أبو عبد الله حمادو
355-367	أبو عبد الله ابن الحنّاط
208	أبو عبد الله الطبري
397-394-315-285-187-165-151	أبو عبد الله بن عياش
303-285	أبو عبد الله اللوشي
572	أبو عبد الله محمد الناصر
204-201	عبد الملك بن مروان
610	أبو العلاء إدريس
292	علي بن بنان
204-201	علي بن الحسين بن علي
559	أبو علي نارار
305-285	عماد الدين الأصفهاني
403-371-298-285	أبو عمر الباجي
289	أبو عمرو البحتري
612	أبو عمران



610	أبو عمران بن أبي حفص
182-151	أبو عمر بن حفصون
153	أبو عمران بن رباح
322	عمر بن عبد الرحمن بن عذرة
452-429	أبو عمرو عثمان بن علي بن الإمام
285-326	أبو عمرو بن غياث الشريشي
285-290	عمرو بن مسعدة
651	أبو عمران الميرتيلي
حرف القاف	
371-151	أبو القاسم بن الجذ
194-169	أبو القاسم بن حسان
355-376-151	أبو القاسم بن السقاط
355-370-228-201	أبو القاسم بن عبد الغفور
151	أبو القاسم الهمذاني
495	قيس بن الذريح
حرف اللام	
395	ليبد بن ربيعة
حرف النون	
287	ناصر الدولة
حرف الميم	
595-413	أبو محمد بن حامد
445	أبو محمد بن الحاج اللورقي
286	محمد بن العباس
405-401-370-355-228-201-151	أبو محمد عبد الغفور



172-188-192-175-176-177-179-	محمد بن عبد الله (الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
251-232-237-276-282-285-327-	
334-328-329-331-341-342-346-	
349-306-307-363-362	
205	محمد بن علي القمي
655	أبو محمد القرطبي
301-320	محمد بن القاسم
201-217	محمد بن مكرم
526	مالك بن أسماء
246	ابن مرج الكحل
379	ابن مردنيش
334-335-298	أبو مروان الباجي
285	مروان بن محمد
201-223	أبو مروان بن حيان
151-201-228	أبو المطرف بن الدباغ
300	المعتصم بن صمادح
282	معاذ بن جبل
201-202-382	معاوية بن أبي سفيان
401-402	أبو المغيرة بن حزم
579	أبو موسى
338	أبو موسى بن أمير المؤمنين
293	ميمون الكاتب
حرف الهاء	
206-356	ابن هبيرة



هشام	436-181
حرف الياء	
يزيد بن معاوية	203-202
أبو يعقوب بن يوسف عبد المومن	328
حرف الواو	
أبو الوليد	237-236-151
أبو الوليد إسماعيل بن محمد	444-156





فهرس الأمثال

الصفحة	المثل
260	أبدى الصريح عن الرغبة
186	أريها السها وتريني القمر
220	أعز من بيض الأنوق
154	أعط القوس باريها
419	التمرة إلى التمرة تمر
420	الحديث ذو شجون
238	الحق أبلغ والباطل لجلج
196	أعز من الكبريت الأحمر
492	إن البغات بأرضنا يستنسر
423	أنفك منك وإن كان أجدع
489	بلغ الحزام الطيبين
168	تبين الصبح لذي عينين
215	تسمع بالمعيدي خير من أن تراه
661	حسودك فيها من يسودك
501	سبق السيف العذل
499	شب عمرو عن الطوق
520	طال الأبد على لبد
238	عش رجبا تر عجباً
236	على أهلها دلت براقش
241	عند جهينة الخبر اليقين
175	عند الصباح يحمد القوم السرى



245	كل مجر بخلاء يسر
257	كل نار لأناس نارها
421	كلام الليل يمحوه النهار
485	لأمر ما جذع قصير أنفه
490	ما أشبه الليلة بالبارحة
474	ما قلت إلا بالذي علمت سعد
173	ما يوم حليلة بسر
412	من العناء رياضة الهرم
318	هذا أوان الشد فاشتدي زيم
389	وافق شن طبقة





جريدة المصادر والمراجع

- ❖ الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، طبعة الخانجي مصر 1974.
- ❖ اختصار القدح المعلى، ابن سعيد المغربي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط: القاهرة، بيروت 1980.
- ❖ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أبو العباس المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وشليبي، ط: القاهرة 1939.
- ❖ إعتاب الكتاب، ابن الأبار، تحقيق: الدكتور صالح الأشر، ط: دمشق 1961.
- ❖ الأعلام، خير الدين الزركلي، ط: بيروت 1986.
- ❖ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط: الملكية، المغرب.
- ❖ أعلام المغرب العربي (الجزء الرابع)، عبد الوهاب بن منصور، ط: الملكية، الرباط، 1986.
- ❖ أعمال الأعلام، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: ليثي بروفنسال، ط: بيروت 1956.
- ❖ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ط: دار الكتب المصرية.
- ❖ الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيد، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، ط: بيروت، لبنان (دون تاريخ).
- ❖ أمثال العرب، المفضل الضبي، ط: الجواثب 1300.
- ❖ أمثال العوام في الأندلس، أبو عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، تحقيق: الدكتور محمد بن شريفة، ط: المغرب 1971.
- ❖ أمراء البيان، محمد كرد علي، ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ❖ الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، ط: بيروت- لبنان (دون تاريخ).
- ❖ البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، ط: وزارة الثقافة، مصر، 1960.
- ❖ البديع في وصف الربيع، أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري، تحقيق: هنري بيريس، ط: الرباط 1940 - 1359.



- ❖ برنامج شيوخ الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشيلي، تحقيق: إبراهيم ثبوح، ط: دمشق 1962.
- ❖ البسطي آخر شعراء الأندلس، د: محمد بن شريفة، ط: دار الغرب الإسلامي، لبنان 1935.
- ❖ بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، ابن عميرة الضبي، ط: مدريد 1884.
- ❖ بغية الوعاة، السيوطي، ط: مصر 1926.
- ❖ البيان المغرب (قسم الموحدين) تحقيق: إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت التطواني، محمد زنيير، عبد القادر زمامة، ط: الرباط، 1985.
- ❖ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن أبي بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: 4، بيروت، لبنان.
- ❖ تحفة القدام، ابن الأبار القضاعي، أعاد بناءه الدكتور: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي 1986.
- ❖ التحف والهدايا، أبو بكر محمد، وأبو عثمان سعيد الخالدين، تحقيق: سامي الدهان، ط: دار المعارف، مصر 1956.
- ❖ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي. ط: القاهرة 1931.
- ❖ التعازي والمرائي، أبو العباس المبرد، تحقيق: محمد الدياجي، ط: دمشق - سوريا 1976.
- ❖ التكملة، ابن الأبار القضاعي، نشره عزت العطار، ط: مصر 1956.
- ❖ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ابن القاضي، ط: المغرب.
- ❖ جذوة المقتبس، أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط: مصر 1952.
- ❖ الجمهرة، ابن دريد (الأجزاء: 1-4) ط: الهند.
- ❖ جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، ط: بيروت - لبنان 1988.
- ❖ جوهر الكنز، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: الدكتور زغلول سلام، ط: الإسكندرية - مصر (دون تاريخ).
- ❖ الحلة السراء، ابن الأبار القضاعي، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، ط: مصر 1963.
- ❖ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط: دار الرشاد - المغرب 1979.



- ❖ الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج البصري، ط: حيدر آباد 1964.
- ❖ الحيوان، أبو عثمان عمرو بن أبي بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: القاهرة 1938 - 1945.
- ❖ خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهاني، تحقيق: «جماعة»، ط: تونس 1971.
- ❖ خزانة الأدب، البغدادي، ط: بولاق 1299.
- ❖ الدرر الفاخرة في الأمثال السائرة، حمزة الأصفهاني، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط: دار المعارف 1976.
- ❖ ديوان أبي تمام (1-4) ط: دار المعارف، القاهرة.
- ❖ ديوان ابن الرومي (1-2) تحقيق: د. حسين نصار 1973 - 1974.
- ❖ ديوان ابن زيدون، تحقيق: علي عبد العظيم، ط: مصر.
- ❖ ديوان ابن المعتز، تحقيق: ب. لوين، ط: المعارف، اسطنبول 1950.
- ❖ ديوان بشار بن برد، تحقيق: الطاهر بن عاشور، ط: تونس.
- ❖ ديوان الخنساء، ط: بيروت - لبنان.
- ❖ ديوان الشماخ، تحقيق: صلاح الدين الهادي، ط: دار المعارف المصرية.
- ❖ ديوان الفرزدق، ط: دار صادر، بيروت - لبنان.
- ❖ ديوان المتنبي، تحقيق: عبد الوهاب عزام، ط: مصر 1944.
- ❖ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د. إحسان عباس، ط: الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس 1975.
- ❖ الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي (الأجزاء: 4-5-6) تحقيق: الدكتور إحسان عباس (والأجزاء: 1-8) تحقيق: د. محمد بن شريفة، طبعات: بيروت والمغرب.
- ❖ رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، ط: دار الفكر، دمشق - سوريا 1987.
- ❖ مقامات بديع الزمان الهمذاني، تقديم وشرح الإمام العلامة الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ❖ رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي السبتي، ط: السعادة مصر 1344.



- ❖ الروض الأنف، أبو زيد السهيلي، ط: الجمالية مصر 1914.
- ❖ الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، ط: بيروت-لبنان 1975.
- ❖ زهر الآداب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: زكي مبارك، (ط: 4) بيروت-لبنان 1972.
- ❖ زاد المسافر، أبو بحر صفوان بن إدريس، تحقيق: عبد القادر محداد، ط: بيروت-لبنان 1970.
- ❖ الزهرة، ابن داود الأصفهاني، تحقيق: لويس نيكل، إبراهيم طوقان، ط: 1932، والجزء الثاني من تحقيق: إبراهيم السامرائي ونوري حمودي القيسي، ط: العراق 1974.
- ❖ شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ط: القاهرة 1350-1351.
- ❖ شرح أدب الكاتب، أبو منصور موهوب بن أحمد الجوالقي، ط: مكتبة القدسي، طهران 1350.
- ❖ شرح ديوان جرير، تحقيق: محمد عبد الله إسماعيل الصاوي، ط: دار الأندلس، بيروت-لبنان (دون تاريخ).
- ❖ شرح ديوان الفرزدق، ط: الصاوي، مصر 1936.
- ❖ شرح ديوان امرئ القيس، للسندوبي، ط: مصر 1953.
- ❖ شرح المعلقات العشر، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان 1980.
- ❖ شعراء الأعراب، خليل مردوم بك، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط: الأولى 1973.
- ❖ شعراء بصريون، تأليف محمد جابر المعبيد، ط: الإرشاد، بغداد 1977.
- ❖ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ط: مصورة.
- ❖ الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: إبراهيم كيلاني، ط: دمشق 1964.
- ❖ الصلة، ابن بشكوال (1-2) ط: مصر 1955.
- ❖ صلة الصلة، ابن الزبير، تحقيق: ليفي بروقنسال، ط: الرباط 1938.
- ❖ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق: العلامة محمود شاكر، ط: 1952.
- ❖ عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، تأليف: د. إحسان عباس، ط: الأردن.



- ❖ العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ط: مصر 1965.
- ❖ العقد الفريد للملك السعيد، أبو سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي الوزير، ط: مصر (دون تاريخ).
- ❖ عنوان المرقصات والمطربات، ابن سعيد المغربي، ط: بيروت 1973.
- ❖ الغصون الياقة، ابن سعيد المغربي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط: دار المعارف، مصر (دون تاريخ).
- ❖ الغيث المسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين الصفدي، ط: 1 مصر 1305.
- ❖ الفاخر، المفضل بن سلمة، ط: الحلبي 1380.
- ❖ الفاضل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط: دار الكتب، القاهرة 1956.
- ❖ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، تحقيق: د. إحسان عباس، عبد المجيد عابدين، ط: مؤسسة الرسالة 1983.
- ❖ فهرس الفهارس، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعثناء: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان 1982.
- ❖ فوات الوفيات، ابن شاعر الكتبي، تحقيق: د. إحسان عباس، ط: بيروت 1973 - 1974.
- ❖ قلائد العقيان، الفتح بن خاقان، تحقيق: محمد العنابي، ط: تونس 1966.
- ❖ الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: الحلبي.
- ❖ 1937.
- ❖ مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط: دار القلم، بيروت (دون تاريخ) ط: مصر 1310.
- ❖ المحمدون من الشعراء، جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، ط: دمشق 1975.
- ❖ المختار من شعر بشار، اختيار: الخالدين، وشرح التجيبي، ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر.
- ❖ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، العمري، (مخطوط باريس الجزء 17).



- ❖ المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية الكلبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري وجماعة، ط: بيروت- لبنان 1955.
- ❖ مطمح الأنفس، الفتح بن خاقان، ط: الجوائب 1302.
- ❖ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، ط: القاهرة 1963.
- ❖ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ط: القاهرة 1936-1938.
- ❖ معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: وستنفلد، ط: بيروت-لبنان.
- ❖ معجم ما استعجم، أبو عبيد البكري، تحقيق: مصطفى السقا، ط: القاهرة 1945.
- ❖ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر، بيروت- لبنان 1987.
- ❖ معالم الكتابة ومغانم الإصابة، عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي، تحقيق: محمد حسين علي شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان 1988.
- ❖ المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط: 2، دار المعارف، القاهرة، مصر 1964.
- ❖ مفاخر البربر، مؤلف مجهول، ط: الرباط 1934.
- ❖ المقاصد النحوية، العيني، (على هامش خزانة الأدب للبغداد)، ط: بولاق.
- ❖ المن بالإمامة، ابن صاحب الصلاة، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط: بيروت- لبنان 1964.
- ❖ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المقرئ، ط: بولاق، مصر (دون تاريخ).
- ❖ نظم الجمان، ابن القطان، تحقيق: د. علي مكّي، ط: معهد مولاي الحسن، المغرب.
- ❖ نفح الطيب، أبو العباس المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، ط: بيروت- لبنان 1968.
- ❖ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (1-4)، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد 1357-1377.





فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
7	تقديم السيد الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء
9	مقدمة
17	قسم الدراسات
19	البلويون بالأندلس
22	مصادر ترجمة البلوي
23	أ - المصادر القديمة
23	1 - ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة
24	2 - ابن سعيد المغربي: اختصار القدر المعلى
25	ب - المصادر الحديثة
25	الإعلام بمن حل مراكش وأغمت من الأعلام
25	ج - الدراسات المعاصرة
25	1 - الدكتور محمد بن شريفة
26	2 - الدكتور إحسان عباس
27	3 - عبد الوهاب بن منصور
27	4 - إدريس العلوي البلغيثي
29	المؤثرات العامة في حياته
29	1 - في الأندلس
32	2 - البلوي في المغرب
35	شيوخه وتلامذته
42	شاعرية البلوي
43	1 - المدح



49	2- الرثاء
57	3- الشعر الذاتي
60	نثر البلوي: الكتابة والكتاب في عصر الموحدين
61	أ - رسائل البلوي الرسمية
74	ب - رسائل البلوي الإخوانية
75	1- الإهداء
76	2- الإسعاف
76	3 - الاستدعاء
77	4- العتاب
79	5- التعازي
80	6- الوصف
82	مؤلفات البلوي
84	العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل
84	1- اسم الكتاب
84	2- بواعث تأليفه
85	3- منهجه ومصادره
87	4- وصف النسخة الخطية
89	مضمون الكتاب: محاولة للتحليل
89	الباب الخامس عشر:
	أ - الرسائل المشرقية
90	ب - الرسائل الأندلسية
98	الباب السادس عشر:
	أ - الرسائل المشرقية
105	ب - الرسائل الأندلسية



113	الباب السابع عشر: أ - الرسائل المشرقية
117	ب - الرسائل الأندلسية
122	الباب الثامن عشر: أ - الرسائل المشرقية
123	ب - الرسائل الأندلسية
129	الباب التاسع عشر: أ - الرسائل الأندلسية في هذا الباب
132	الباب الموفاي عشرين: أ - الرسائل المشرقية
137	ب - الرسائل الأندلسية
146	عملي في تحقيق الكتاب
147	قسم التحقيق
149	الباب الخامس عشر: في الإهداء والإتحاف والاستدعاء والاستزارة والاستجداء والاعتذار والإسعاف
151	رسالة من إنشاء الحسن بن وهب
151	رسالة من إنشائه أيضا
152	رسالة من إنشاء أبي القاسم الهمداني إلى بديع الزمان
152	رسالة من بديع الزمان يجيب أبا القاسم الهمداني
152	رسالة من إنشاء أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد عن والده أبي الفضل
153	رسالة من إنشاء أبي إسحاق إبراهيم ابن عبيد الله النيجرمي في القلم إلى أبي عمران بن رباح
154	رسالة من إنشاء أبي حفص بن برد الأصغر في الاستزارة



155	رسالة أخرى له
155	رسالة أخرى له
156	رسالة من إنشاء أبي الوليد إسماعيل بن محمد الملقب بحبيب فصل إلى أبيه
157	رسالة أخرى له
157	رسالة من إنشاء أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج
158	رسالة من إنشاء أبي محمد عبد الغفور بن أبي القاسم بن عبد الغفور
159	وله فصل منها
160	رسالة من إنشاء أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر معتذرا عن الوصول لزفاف بنت أبي بكر بن عبد العزيز إلى المستعين بالله
161	رسالة من إنشاء أبي المطرف بن الدباغ يستدعي خمرا
161	وله يستدعي إلى مجلس أنس
162	وله رسالة أخرى
163	رسالة من إنشاء أبي القاسم بن السقاط في إهداء فرس
163	وله رسالة يستدعي فيها أحدهم إلى مجلس أنس
164	رسالة من إنشاء أبي الفضل بني حسداي يستدعي أبا عبد الرحمن بن طاهر لعرس المستعين بالله بينت أبي بكر بن عبد العزيز
165	رسالة من إنشاء صاحب القلم الأعلى أبي عبد الله بن عياش في الإسعاف
166	رسالة من إنشاء أبي بحر صفوان بن إدريس يستعير بغلة من أحد الأصحاب
167	رسالة أخرى له
169	رسالة من إنشاء أبي زيد الفازازي كتب بها إلى أحمد البلوي وأبي القاسم بني حسان
171	رسالة من إنشاء أبي بكر بن مغاور الشاطبي
173	رسالة أخرى له
174	رسالة أخرى له



176	رسالة أخرى له
177	رسالة أخرى له
179	رسالة أخرى له
181	رسالة أخرى له
182	رسالة من إنشاء الكاتب الأديب أبي عمر بن حفصون
185	رسالة أخرى له
186	رسالة من إنشاء أحمد بن محمد البلوي إلى بعض الإخوان يطلب من كلامه
187	رسالة أخرى له إلى أبي عبد الله بن عياش يطلب من كلامه
188	رسالة أخرى له إلى أبي حفص بن عمر يطلب لقاءه مستشيراً
189	رسالة أخرى له كتبها عن الشيخ أبي زكرياء إلى الشيخ أبي العباس بن أبي الغمر في يوم عنصرة
190	رسالة أخرى له كتبها عن الفقيه أبي الحسين همام
192	رسالة أخرى في الإسعاف
194	رسالة أخرى له كتبها عنه وعن أبي القاسم بن حسان إلى أبي زيد بن يخلفتن الفازازي
195	رسالة أخرى له
199	الباب السادس عشر: في العتاب والتقريع والذم والتشنيع
201	رسالة من إنشاء علي بن الحسن بن علي إلى عبد الملك بن مروان
202	رسالة لمعاوية بن أبي سفيان إلى ابنه يزيد
204	رسالة من إنشاء عبد الملك بن مروان إلى علي بن الحسين
204	رسالة من إنشاء الحسن بن وهب
204	رسالة أخرى له
205	رسالة أخرى له وجهها إلى محمد بن علي القمي
206	رسالة من إنشاء عبد الحميد الكاتب عن مروان إلى ابن هبيرة



207	رسالة أخرى كتبها إلى أخ له
207	رسالة أخرى له كتبها إلى عبيد الله بن مروان فيما شكته امرأته
208	رسالة من إنشاء أبي الفضل ابن العميد إلى أبي عبد الله الطبري
209	وله فصل من هذه الرسالة
210	وله رسالة أخرى إليه
212	وله فصل من هذه الرسالة وقد ذكر دعواه في العلوم
213	وله فصل منها
214	رسالة من إنشاء بديع الزمان الهمذاني إلى رجل ولي الأشراف
215	رسالة من إنشاء أبي الخطاب أجاب بها الصابي عن أبي العباس بن سابور في صفة حمل أهده
216	رسالة من إنشاء العبدكاني
216	رسالة أخرى له في ذم أهل الخلاف
217	رسالة من إنشاء محمد بن مكرم
218	رسالة من إنشاء أبي العباس بن رشيق
218	رسالة من إنشاء أبي حفص بن برد الأصغر
220	رسالة أخرى له
220	رسالة من إنشاء أبي عبد الله محمد بن مسعود خاطب بها ابنه
222	رسالة أخرى له
223	رسالة من إنشاء أبي مروان بن حيان
224	وله فصل
225	رسالة من إنشاء أبي عبد الله البزلياني إلى أبي جعفر بن عباس
226	وله فصل منها
226	رسالة من إنشاء أبي عبد الرحمن بن طاهر يعتب على الفتح بن عبيد الله
227	رسالة من إنشاء أبي بكر بن القصيرة يراجع بها الفتح بن عبيد الله



228	رسالة من إنشاء أبي المطرف بن الدباغ
228	رسالة من إنشاء أبي محمد عبد الغفور بن أبي القاسم بن عبد الغفور
231	رسالة من إنشاء أبي بحر صفوان بن إدريس إلى إذفونش
236	رسالة أخرى له يرد على بعض أهل إشبيلية وقد كتب ينقذ على القاضي أبي الوليد بعض أحكامه
239	وكتب إلى بعض الإخوان وقد عتب عليه المكتوب إليه لكلام بلغه عنه
241	وكتب أيضا إلى أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم المرسي
244	وله الرسالة التي سماها «الزند الواري في الرد على الناقد المتواري»
253	وله رسالة كتبها إلى الوزير أبي عمر بن حسون وقد كان فارقه وهو مشغول بالطلب وأخبر عنه أنه مال إلى الراحة
256	وكتب أيضا
259	رسالة من إنشاء ابن مبشر
261	رسالة من إنشاء أبي بكر بن أبي الحكم بن عبد العزيز إلى أبي العباس بن البنته
264	رسالة من إنشاء ابن عبد الحميد إلى ابن توندوت
267	رسالة من إنشاء أبي الحجاج بن عتبة إلى بن بكساس
269	رسالة من إنشاء أحمد بن محمد البلوي
271	رسالة أخرى له
273	رسالة أخرى له
274	رسالة أخرى له
275	رسالة أخرى له
276	رسالة أخرى له
277	رسالة أخرى له
279	رسالة أخرى له
282	رسالة لسيد الأولين والآخرين المصطفى رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل يعزيه بابه



283	الباب السابع عشر: في التعازي
285	رسالة من إنشاء عبد الحميد عن مروان بن محمد إلى أخيه
285	وله من عبد الحميد
286	رسالة من إنشاء أبي إسحاق الصابي إلى محمد بن العباس
287	رسالة من إنشاء أبي الفضل الميكالي يعزي الأمير ناصر الدولة
288	وله فصل من كتاب تعزية إلى أبي العباس بن أبي الطيب
289	وله من كتاب تعزية إلى أبي عمر البحتري
289	ومن إنشاء البديع إلى بعض إخوانه يعزيه عن أبيه
290	رسالة من إنشاء عمرو بن مسعدة يعزي المأمون في العباس بن الفضل
292	رسالة من إنشاء الحسن بن وهب إلى علي بن بنان يعزيه بأخيه
293	وكتب إلى ميمون الكاتب معزيا بمولود
293	وكتب أيضا معزيا
294	وله جواب تعزية بابنة له
294	رسالة من إنشاء أبي العباس بن رشيق إلى الموفق في موت القاضي الجوهري
296	وله مجاوبة عن ابنه العباس وعبيد الله إلى الموفق
297	وله إلى الموفق
298	رسالة من إنشاء أبي جعفر اللمائي يعزي أبا جعفر بن عباس في أبيه
298	رسالة من إنشاء أبي عمر الباجي يعزي أبا عامر في ابنه المعتز
299	وله فصل منها
300	رسالة من إنشاء أبي عبد الرحمن بن طاهر إلى المعتصم أيام رياسته يصف العدو العاث بالأندلس
301	رسالة من إنشاء أبي بكر بن عبد العزيز إلى محمد بن القاسم مسلما عن نكبته
303	رسالة من إنشاء أبي عبد الله اللوشي إلى أمير المسلمين يعزيه في الأمير مزدلي
305	رسالة من إنشاء عماد الدين الأصفهاني



310	وله فصل في ذكر وفاة صلاح الدين
311	رسالة من إنشاء أبي بكر بن مغاور الشاطبي
312	رسالة له أيضا يعزي أبا الحجاج بن عيسى
315	رسالة من إنشاء أبي عبد الله بن عياش
316	رسالة من إنشاء أبي عبد الله بن حمادو معلما بوفاة الشيخ أبي الحسن بن أبي محمد عبد الواحد
317	رسالة لأبي بحر صفوان بن إدريس
319	وله رسالة أيضا وقد أبطأ جواب هذه الرسالة المتقدمة لمرض أصابه
320	وله أيضا رسالة أخرى
321	وله أيضا رسالة أخرى
322	رسالة من إنشاء أبي الحكم بن عذرة بعثها إلى أحمد بن محمد البلوي أيام وجوده بمربلة وإسطبونة يعلمه بوفاة أخيه
324	وله رسالة أخرى
326	رسالة من إنشاء أبي عمرو بن غياث الشريشي
328	رسالة من إنشاء أحمد بن محمد البلوي
329	رسالة أخرى له
331	رسالة أخرى له
332	رسالة أخرى له
334	وكتب يعزي أبا مروان الباجي في وفاة أخيه أبي عبد الله
338	وله رسالة في تعزية أبي موسى بن أمير المؤمنين
339	وله رسالة أخرى مع قصيدة مسهبة
349	وله رسالة أخرى بعد قصيدة
347	وله رسالة أخرى بعد قصيدة أنشدها عند ورود أبي إبراهيم من بطليوس
349	وله أيضا رسالة أخرى



351	وله أيضا رسالة أخرى
351	وله رسالة أخرى
353	الباب الثامن عشر: في الأوصاف على اختلاف الأنواع والتصرف في التشبيهات والإبداع
355	رسالة من إنشاء عبد الحميد الكاتب في وصف طغيان الفرات
356	وله رسالة إلى عبد العزيز بن عمر بن هبيرة في ابتياع جارية
357	وله رسالة تقرأ معكوسة
358	وله الرسالة الرقطاء
360	وله الخطبة النخبة بلا سقط والعروس بغير نقط
362	وله الخطبة البديعة النظام العرية من الإعجام
363	وله فصل من المقامة السادسة عشرة المغربية
364	ومن رسائله على التزام حرف السين
365	وله أيضا على التزام حرف الشين
367	رسالة من إنشاء أبي عبد الله محمد ابن سليمان بن الحنات يخاطب بها ابن دري
369	رسالة من إنشاء أبي عامر بن شهيد في وصف برغوث أسود
369	وله في ثعلب
370	وله في وصف الماء
370	رسالة من إنشاء أبي محمد عبد الغفور بن أبي القاسم بن عبد الغفور
371	وله يعارض رسالتي أبي عمر الباجي وأبي القاسم بن الجد في صفة المطر بعد القحط
373	رسالة من إنشاء الفتح بن عبيد الله في وصف الأدب
374	رسالة من إنشاء أبي عبد الرحمن بن طاهر إلى المنصور بن أبي عامر يعلمه بخبر السيل الذي سال بمرسية
375	وكتب إليه أيضا مع شواذنقات



375	رسالة من إنشاء أبي جعفر بن أحمد وقد أهدي إليه مشموم ورد
376	رسالة من إنشاء أبي القاسم بن السقاط في إهداء فرس
376	رسالة من إنشاء أبي بكر بن مغاور في وصف كلب ماشية
378	وله في وطواط
379	وله في ذئب لما أمر بن سعد بإخراجه من شاطبة
384	وله رسالة في صباغ كساء
385	وله إلى صديق له وكان مولعا بالتين الصهابي
387	رسالة من إنشاء أبي بحر صفوان بن إدريس يصف دابة سيئة
392	وله في وصف مطر معه برق وريح ورعد
393	ومن إنشاء غيره في وصف ديك
394	رسالة من إنشاء أحمد بن محمد البلوي وهي أول ما كتب
396	وله رسالة في وصف رمانة
399	الباب التاسع عشر: في الهزل والمداعبة والتهكم في المكاتبة
401	رسالة من إنشاء أحمد بن سعيد
401	رسالة من إنشاء أبي جعفر بن عباس يخاطب أبا المغيرة بن حزم
405	رسالة من إنشاء أبي محمد بن عبد الغفور وقد وصف له أحد إخوانه امرأة مدحها وحضه على أن يتزوجها
406	رسالة من إنشاء أبي بكر بن قزمان وكلف مخاطبة عروس
407	وله أيضا جواب على رسالة
408	رسالة من إنشاء أبي بحر صفوان بن إدريس يهازل بعض الإخوان
411	وله أيضا رسالة أخرى
413	وله أيضا رسالة أخرى
415	وله يراجع أبا الحسن بن حريق
421	وله يداعب بعض إخوانه وكان يلقب بالكلبة فخرج سحرة يوم فعضه كلبان



424	رسالة من إنشاء أحمد بن محمد البلوي مما كتب به إلى بعض الأحاب
427	الباب الموفي عشرين: في الفيون من سائر الفنون
429	رسالة من إنشاء عبد الحميد الكاتب إلى نصر بن سيار
431	وله إلى أخ في مولود وهو أول مولود كان له
433	وكتب إلى أخ له
435	وكتب أيضا في الموسم
436	وله في دخول شهر رمضان
436	وكتب إلى هشام في القدرية
438	رسالة من إنشاء سالم مولى سعيد بن عبد الملك بن مروان عن هشام بن عبد الملك إلى عمرو بن سعيد
440	رسالة من إنشاء معن بن زائدة إلى بعض من أفرط في شكره
440	رسالة من إنشاء الحسن بن وهب في هدم دار بن الخصيب
441	رسالة من إنشاء أبي حفص بن برد الأصغر خاطب بها ابن جهور
442	وله فصل منها
444	رسالة من إنشاء أبي الوليد إسماعيل بن محمد الملقب بحبيب يناقض الرسالة المتقدمة
445	رسالة من إنشاء أبي محمد بن الحاج اللورقي في نزول الغيث بعد القحط
447	رسالة من إنشاء أبي عمر الباجي في نزول الغيث بعد القحط
448	رسالة من إنشاء أبي محمد بن عبد الغفور يعارض رسالتي أبي عمر الباجي وأبي القاسم بن الجدي في صفة المطر بعد القحط
449	رسالة من إنشاء أبي حفص بن صاحب الصلاة الأوبي
452	رسالة من إنشاء أبي عمرو عثمان بن علي بن عثمان بن الإمام الاستجي
455	رسالة من إنشاء أبي الفضل بن عياض
456	وله فصل من رسالة



456	رسالة من إنشاء أبي الحسين القرشي العامري إلى قبر رسول الله ﷺ
459	رسالة من إنشاء ابن المبشر في رفع ظلم عن أحد العمال
461	وكتب عن رجل قتل أخوه ظلما
462	وكتب أيضا إلى أبي يعقوب يوسف
463	وله رسالة أخرى
464	وله رسالة أخرى
465	وله رسالة أخرى
466	وله رسالة أخرى
467	وله رسالة أخرى
468	وله رسالة أخرى
468	وله رسالة أخرى
469	وله رسالة أخرى
470	وله أيضا رسالة أخرى
471	رسالة من إنشاء أبي بكر بن مغاور الشاطبي
473	رسالة من إنشاء أبي بحر صفوان بن إدريس وهي الرسالة التي سماها: شرك العقول ومسرح الأنس المعقول
477	وله يراجع بعض إخوانه
479	وله الرسالة التي سماها: عنوان التصريح عن الود الصريح وميزان التصحيح للعهد الصحيح
500	وله أيضا عندما تحقق أن أصحابه الذين كان ينوي السفر معهم إلى الحج قد أقلعوا
502	وله الرسالة التي سماها: الارتحال والتعريس
534	رسالة من إنشاء أحمد بن محمد البلوي
537	ومن إنشائه مما كتب به إلى القائد أبي القاسم بن مثنى



538	وله رسالة أخرى أيضا
539	وله أيضا رسالة أخرى في نفس الموضوع
541	وله أيضا رسالة أخرى
541	خاتمة الكتاب
545	الزوائد التي تلحق في أبواب الكتاب
547	رسالة من إنشاء أبي الحكم بن عبد العزيز
552	رسالة أخرى له
559	رسالة من أبي علي بن نارار في فتح قفصة
570	وله أيضا في الظفر بالناجم ببلد جزولة
571	ومن إنشاء أبي الحسن القلني يجيب عن الفتح
577	رسالة أخرى: رسالة أبي القاسم القالمي
579	رسالة من إنشاء أبي موسى
583	رسالة من إنشاء أبي الحسن بن زيد
587	وله أيضا رسالة أخرى
591	رسالة أخرى للفقير أبي الحسن بن الفضل
592	رسالة من إنشاء أبي بكر بن عيسى
595	رسالة من إنشاء أبي محمد بن حامد
604	رسالة من إنشاء أبي الحسن القلني
610	الملاحق
610	رسالة من إنشاء أبي زيد الفارازي عن أبي العلاء بن الخلفاء الراشدين إلى أبي عمران بن أبي حفص
612	رسالة جوابية لأبي بكر يزيد بن أبي عبد الله بن صقلاب
613	رسالة أخرى
615	رسالة أخرى



617	ومن رسالة أخرى
619	ومن رسالة أخرى أيضا
621	رسالة لعمر بن عذرة إلى أبي زيد السهيلي
623	رسالة أخرى له
626	رسالة أخرى للإمام السهيلي
628	رسالة من إنشاء عمر بن عذرة إلى الإمام السهيلي
628	رسالة أخرى له
629	رسالة أخرى له
631	رسالة أخرى له
633	رسالة أخرى له
634	رسالة أخرى له
636	رسالة أخرى له
637	رسالة أخرى له
637	رسالة أخرى لأحدهم
639	رسالة أخرى لمحمد بن يوسف إلى أبي زيد السهيلي
640	رسالة من أيوب إلى أبي القاسم السهيلي
642	رسالة من موسى بن أحمد إلى الإمام السهيلي
643	رسالة من حاجز بن الحسن إلى الإمام السهيلي
644	ومن رسائل أبي زيد الفازازي رسالة كتب بها إلى رسول الله ﷺ
647	وكتب إلى بعض المشهورين بالعلم والدين
649	وكتب إلى أبي بكر بن قسوم
651	وله رسالة وجهها إلى أبي عمران الميرتلي
652	وله يخاطب صاحباً ويذم له الدنيا وأحوالها
654	وله يخاطب أبا عبد الله ركن الدين



655	وله إلى أبي محمد القرطبي
657	وكتب مراجعا بعض الأصحاب
663	وكتب أيضا في مثل ذلك المعنى
665	ومن رسائله الإخوانية رسالة رفيعة جدا سمعها من لفظه تلميذه ابن سيد الناس
671	وله أيضا رسالة أخرى
674	وكتب شافعا لبعض الطلبة
676	وكتب في ذلك المعنى
677	وكتب في ذلك المعنى
677	وكتب في ذلك المعنى أيضا
678	وكتب أيضا مراجعا
679	وكتب إلى الفقيه أبي العباس الشريشي
682	ومما صدر عنه إلى الحضرة رسالة بديعة
684	وله أيضا رسالة أخرى
686	وكتب برغبة إنسان
691	الملحق: رسائل أخرى للبلوي الموجودة في مخطوط المنوني
693	ومن إنشاء أبي القاسم البلوي مما كتبه عن والي إشبيلية إبراهيم إلى الحضرة
695	وكتب أيضا
699	وكتب أيضا
701	وكتب أيضا
703	وكتب أيضا
705	وكتب أيضا
709	وكتب أيضا
711	وكتب أيضا
714	وكتب أيضا



716	وكتب أيضا
717	وكتب أيضا
717	وكتب أيضا
719	وكتب أيضا
722	وكتب أيضا
723	وكتب أيضا
725	وكتب أيضا
727	وكتب أيضا
729	وكتب أيضا
730	وكتب أيضا
732	وكتب من كتب وزراء الخلافة المعظمين المكرمين الأبرار أدام الله سعودهم
733	وكتب أيضا
736	وكتب أيضا
738	وكتب أيضا من أخرى
740	وكتب أيضا
743	وكتب أيضا
744	وكتب أيضا
744	وكتب أيضا
751	الفهارس العامة
753	فهرس الآيات القرآنية
763	فهرس الأحاديث النبوية
765	فهرس الأشعار
773	فهرس الأعلام
781	فهرس الأمثال



783	جريدة المصادر والمراجع
789	فهرس الموضوعات

